

تاريخ المغرب العربي

من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال
(ليبيا وتونس و الجزائر و المغرب)

الجزء الأول

دكتور

سعد زغلول عبد الحميد



الناشر **الإعجاز** منشأة بالإسكندرية

جلال حزي وشركاه

تاريخ المغرب العربي

١

من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال

(ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)

دكتور

سعد غلoul عبد الحميد

أستاذ التاريخ الحديث من جامعة تونس في سابقه
أستاذ بكلية الحقوق بـ جامعة الكويت

١٩٩٣

الناشر: دار الثقافة بالأكندرة

جلال حزي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ
قرآن کریم ، سورتہ یوسف
۱۱۱ ۶۲

محتويات الجزء الأول

محتويات الكتاب ، ص (هـ - ل)

الملحة : ص ٥ - ١١ .

الهدف : (ا) الجزء الأول ، ص ٩ - (ب) الجزء الثاني ، ص ١٠ .

مصادر تاريخ المغرب العربي ، من الفتح الى قيام الدولة الفاطمية ،
ص ١٣ - ٥٨

هامش على منهج البحث ص ١٥ - في مصادر فتوح العرب في
المغرب ، ص ١٦ - الروايات المشرقية ، ص ١٧ - الروايات المغربية ،
ص ٢٢ .

كتب التاريخ العام ، ص ٢٧ - في الكتب المغربية ، ص ٢٧ - في الكتب
المشرقية ، ص ٢٣ .

كتب التاريخ الخاص ، ص ٢٦ - في الأغلبه ، ص ٢٦ - في الرستميين ،
ص ٢٧ - في الإدارة ، ص ٤٤ - في قيام الدولة الفاطمية ، ص ٤٦ .

المصادر الجغرافية ، ص ٥١ - كتب الطبقات ، ص ٥٤ - الكتب العلمية
المتأخرة ، ص ٥٦ - الكتب الحديثة ، ص ٥٧ .

الباب الأول

البلاد والسكان ، ص ٥٩

البلاد : التسمية (المغرب) ، ص ٦١ - أنطابلس (برقة) وفزان ، ص ٦٢ -
أطرابلس وجبل نفوسة ، ص ٦٦ - افريقية ، ص ٦٧ - المغربان :
الأوسط والأقصى ، ص ٦٩ - مميزات المغرب الأقصى ، ص ٧٠ -
الوحدة الطبيعية ، ص ٧٢ .

السكان : التسمية (البربر) ، ص ٧٨ - أصل البربر ، ص ٨١ - تقسيم قبائل البربر : البرانس ، البتر ، ص ٨٦ - أسس التمييز بين البتر والبرانس ، ص ٨٨ - توزيع قبائل البربر في المغرب ، ص ٩١ .

التنظيم الاجتماعي والعادات والتقاليد ، ص ٩٨ - الزراعة ، ص ١٠٠ -
الرعاة ، ص ١٠٣ - الأقليات غير الوطنية : الأمازيغ ، ص ١٠٦ -
اليهود ، ص ١٠٦ - السودان ، ص ١٠٨ - الروم والفرنج ، ص ١٠٩ -
اللغة ، ص ١١٠ - الدين ، ص ١١٢ - اليهودية والنصرانية ، ص
١١٦ - الكنيسة الأفريقية : تنظيمها وتطورها ، ص ١١٧ - الانقسام
الذوناتي ، ص ١١٨ - القديس أغسطين وانتصار الكاثوليكية ، ص
١١٩ - الأريوسية ، ص ١٢٠ .

القرن الأخير للحكم الروماني في المغرب ، ص ١٢٢ .

الباب الثاني

الفتح العربي للمغرب ، ص ١٢٧

خاصية الفتح ، ص ١٢٩

الفصل الأول

ما بين الفتح والاستكشاف (٢٢ هـ / ٦٤٣ م - ٥٠ هـ / ٦٧٠ م) .

١ - فتح ليبيا (برقة - فزان - طرابلس) ، ص ١٣٠ - (أ) فتح برقة ،
ص ١٣٠ - (ب) فتح صحراء برقة وفزان ، ص ١٣٣ - (ج) فتح
طرابلس (أطرابلس) ، ص ١٣٧ - (د) فتح صبراتة (صيرة) ،
ص ١٤٠ - (هـ) تمام فتح الأقاليم الصحراوية في فزان ، ص ١٤١ .

٢ - فتح إفريقية (البلاد التونسية) : التفكير في الفتح على أيام عمر ،
ص ١٤٢ . بداية الفتح في البلاد التونسية على أيام عثمان :
(أ) عبد الله بن سعد واللقاء الأول مع الروم ، ص ١٤٥ - الانتصار

(ز)

في سبيطلة ، ص ١٥٣ - مشكلة المغانم ، ص ١٥٩ - موقعة ذي
أنصوازي البحرية ، وبداية الفتنة في مصر ، ص ١٦٢ ، (ب) معاوية بن
حديج واللقاء الثاني بين العرب والروم ، ص ١٦٥ .

الفصل الثاني

الاستقرار الفتح الدائم (٥٠ - ٩٥ هـ / ٦٧٠ - ٧١٣ م)

عقبة بن نافع : المرابط الأول في المغرب ، ص ١٧٥ - (١) غزوات عقبة في
صحراوات طراينس وافريقية ، ص ١٧٦ - (٢) ولاية عقبة وبنساء
القيروان ، ص ١٨٣ - (٣) أبو المهاجر وعزل عقبة بن نافع ، ص ١٨٨
- (٤) ولاية عقبة الثانية وفتح المغرب الأقصى ، ص ١٩١ - اجتياح
المغرب الأوسط ، ص ١٩٤ - فتح الزاب ، ص ١٩٥ - دخول المغرب
الأقصى ، ص ١٩٧ - طريق العودة ، ص ٢٠٢ - استشهاد عقبة ،
ص ٢٠٣ - كسيلة أمير القيروان ، ص ٢٠٦ - (٥) زهير بن قيس
والثار لعقبة ، ص ٢٠٨ - موقعة ممش ، ص ٢٠٩ - عودة زهير ومقتله
في برقة ، ص ٢١٠ .

المقاومة الأخيرة وتثبيت أقدام العرب نهائيا في المغرب .

(١) **أعمال حسان بن النعمان الفساني** : (أ) الصراع ضد الروم
والبربر ، ص ٢١٤ - فتح قرطاجنة ، ص ٢١٥ - الصراع ضد
الكاهنة ، ص ٢١٧ - هزيمة حسان ، ص ٢١٨ - تخريب افريقية ،
ص ٢٢٠ - عودة حسان ، ص ٢٢٢ - حول نهاية الكاهنة ، ص ٢٢٤ -
مقتل الملكة الأسطورية ، ص ٢٢٥ - استعادة قرطاجنة وتخريبها ،
ص ٢٢٧ - (ب) أعمال حسان الادارية والعمرائية ، ص ٢٢٨ - بناء
تونس ، ص ٢٣١ .

(٢) **عزل حسان وولاية موسى بن نصير** : عزل حسان ، ص ٢٣٥ -
ولاية موسى بن نصير ، ص ٢٣٨ - (أ) أعمال موسى بن نصير في
المغرب ، ص ٢٤٠ - (ب) فتح طنجة ، ص ٢٤٤ - (ج) للنشساط
البحري ، ص ٢٤٥ - (د) طارق في تلمسان وعلاقته بيليان ، ص
٢٤٨ - (هـ) نهاية ولاية موسى بن نصير ، ص ٢٥١ - مسألة الأموال
ونهاية موسى ، ص ٢٥٣ .

الباب الثالث

الإدارة الأموية

أخطاؤها ورد الفعل بين المغاربة : حركات الخوارج ، ص ٢٥٧

١ - محاولات الإصلاح : (أ) محمد بن يزيد القرشي وتصفية آل موسى بن نصير ، ص ٢٥٩ - (ب) خلافة عمر بن عبد العزيز ، مرحلة حاسمة في تاريخ المغرب : علاج الأزمة المالية ، ص ٢٦١ ، ولاية اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، ص ٢٦٣ .

٢ - اضطرابات المغرب بعد عمر بن عبد العزيز : (أ) يزيد بن أبي مسلم ، وتطبيق سياسة الحجاج العنيفة ، ص ٢٦٦ - رد الفعل واغتيال ابن أبي مسلم ، ص ٢٦٨ - قائد الأسطول واليا مؤقتا ، ص ٢٦٩ - (ب) بشر بن صفوان : سياسة داخلية هدفها استئصال بقايا الحشوم ، وجمع الأموال ، ص ٢٧٠ - سياسة خارجية هدفها تأكيد سلطان العرب في البحر : حملات سنوية على جزر سردانية وكورسيكا وصقلية ، ص ٢٧١ - غزو سردانية وكورسيكا ، ص ٢٧٢ - غزو صقلية ، ص ٢٧٣ - (ج) عبيدة بن عبد الرحمن السلمي . سياسة العصبية والعنف ، ص ٢٧٣ - سياسة داخلية مبنية على العصبية والعنف ، ص ٢٧٤ - الحرب البحرية الدورية في سواحل صقلية وسردانية ، ص ٢٧٥ - عودة عبيدة الى دمشق مستعفيا ، ص ٢٧٧ - (د) عبيد الله بن الحبحاب - سياسة قوية مبنية على العصبية ، ص ٢٧٨ - النشاط البحري بين اللحاح على صقلية وسردانيا ، والعناية بتونس ، ص ٢٧٩ .

سياسة داخلية صارمة : تقسيم المغرب الى ولايتين : والعمل بحزم على اقرار الأمور فيه ، ص ٢٨١ - الاستبداد بالمغاربة وسوء الاستغلال ، ص ٢٨٣ - مقدمات الثورة ، ص ٢٨٤ - المذهب الخارجي في المغرب الأقصى ، ص ٢٨٤ - ثورة ميسرة ، ص ٢٨٦ - انتصار الصنفية في وقعة الأشراف ، ص ٢٩٠ - (هـ) كلثوم بن عياض القشيري : وقعة وادي سبو (بقدورة) ، ص ٢٩٣ - كارثة الجيش الخلفي فني بقدورة ، ص ٢٩٥ - مقتل كلثوم ، ص ٢٩٨ - حصر بلج وأهل الشام في سبتة ، ص ٢٩٨ .

(ط)

خوارج في المغرب الأدنى . ص ٣٠٠ - (و) حفصة بن صفوان : انساب
الخلافة في رقتى الأصنام والفرن . ص ٣٠٢ - الإسنام . ص ٣٠٦ -
القرن . ص ٣٠٨ - تأديب خوارج طرابلس . ص ٣٠٩ .

الباب الرابع

ما بين الاستقلال والتبعية للخلافة

أحوال المغرب على أواخر أيام الأمويين وقيام العباسيين . ص ٣١١

الفصل الأول

الفهريون بنو عقبة بن نافع في أفريقيا . ص ٣١٣

١ - عبد الرحمن بن حبيب الفهري والعودة من الأندلس . ص ٣١٣ -
انتغلب على القبرون . ص ٣١٤ - أعمال عبد الرحمن بن حبيب :
نورات الافانيم . ص ٣١٦ - اضطراب الأقاليم الساحلية . ص ٣١٧ -
الاباضية في طرابلس . ص ٣١٨ - سرعية ولاية عبد الرحمن بن حبيب
لمغرب : علاقته بالأمويين ثم العباسيين . ص ٣٢٤ - فتوحه في
المغرب الأوسط وفيما وراء البحر . ص ٣٢٥ .

محاولة الخلافة العباسية استرجاع ولاية المغرب . ص ٣٢٦ - العضيعة
مع الخلافة العباسية واستقلال عبد الرحمن : علاقة ابن حبيب بالأجناد
من الأمويين . ص ٣٢٧ - الوثقة بين المنصور وابن حبيب . ص ٣٢٩ -
والعضيعة والاستقلال . ص ٣٣٠ - الصراع بين بني حبيب : مفضل
عبد الرحمن . وامارة أخيه الياس . ص ٣٣٢ - الياس بن حبيب
والصراع مع حبيب بن عبد الرحمن . ص ٣٣٤ - حبيب بن عبد الرحمن
ونهاية أسرة الفهريين بآفريقية على أيدي الخوارج . ص ٣٣٧ .

الفصل الثاني

العصر الذهبي للخوارج

المغرب ما بين الصفرية والاباضية ، ص ٣٤٠

موقف الخليفة المنصور من الخوارج بفريقية ، ص ٣٤٢ - ولاية محمد بن الأشعث ، ص ٣٤٤ - اضطراب العسكر الخلفي : انهيار ابن الأشعث ، وولاية الأغلب بن سالم التميمي ، ص ٣٤٧ - بداية أبو قررة المغيلي الصفري ، ص ٣٤٨ - نورة الحسن بن حرب الكندي ومقتل الأغلب ، ص ٣٤٩ .

الفصل الثالث

المهلبيون في افريقية

عمر بن حفص بن قبيصة واستمرار الصراع ضد الخوارج ، ص ٣٥١ - النورة الخارجية تعم افريقية والمغرب . ص ٣٥١ - جهود مستميتة من جانب عمر بن حفص في مواجهة النوار ، ص ٣٥٢ - أبو حاتم الاباضي يستولي على افريقية ويحاصر القيروان . ص ٣٥٥ - استسلام القيروان ، ص ٣٥٧ - يزيد بن حاتم ونهاية أبي حاتم الاباضي ، ص ٣٥٨ - القضاء على بني النوار ، ص ٣٦١ - أعمال يزيد بن حاتم العمرانية - الحياة الأدبية والدينية في افريقية ، ص ٣٦٤ - المهلبيون بعد يزيد بن حاتم ، ص ٣٧١ - داود بن يزيد بن حاتم . عودة الاضطراب الى البلاد ، ص ٣٧١ - الاباضية في باجة . ص ٣٧١ - روح بن حاتم : عودة الاستقرار ، ص ٣٧٣ - نصر بن حبيب المهلبى ، ص ٣٧٦ .

آخر المهلبين في افريقية : الفضل بن روح . سعى للولاية في بغداد . واستقبال ملوكي القيروان ، ص ٣٧٧ - اضطراب العسكر الخلفي في تونس : نورة ابن الجارود علي رأس الحراسانية ، ص ٣٧٩ - ما بين

(ك)

الجند الخراساني والجنـد العربي ، ص ٣٨١ - عسكر تونس ببنـدون
انقيروان ، ص ٣٨٢ - سقيط القيروان بمعاونة الخراسانية
ومقتل العضيل ، ص ٣٨٣ - محاولات من قبل الخلافة لاقرار
الأمور في افريقية : ولاية هرثمة بن أعين ، ص ٣٨٦ - أعمال هرثمة ،
ص ٣٨٩ - ولاية محمد بن مقاتل العكي ، واستمرار اضطراب العسكر
الخلفي ، ص ٣٩٠ - ثورة تمام بن نميم وطرد ابن مقاتل من القيروان ،
ص ٣٩١ - تدخل ابراهيم بن الأغلب فصلحة الوالي النسرعي ، ص
٣٩٢ - عودة ابن مقاتل في جو من انسخط العام ، وهزيمة تمام على
يدي ابن الأغلب ، ص ٣٩٣ - ابراهيم بن الأغلب ، رجل الخلافة في
المغرب ، ص ٣٩٥ .

«الكشاف بالاعلام والأماكن» ، ص ٣٩٩ .

(ل)

الأشكال والخرائط

- شكل (١) بلاد المغرب (ومصر) ، الشكل الطبيعي والأقاليم
مختلفة ص ٧٦
- شكل (٢) قبائل البتر والبرانس ص ٨٤
- شكل (٣) توزيع قبائل البربر في بلاد المغرب العربي ص ٩٢
- شكل (٤) الحدود الرومانية والبيزنطية ص ١٢١
- شكل (٥) البلاد الليبية بأقاليمها المختلفة ص ١٢٤
- شكل (٦) بلاد افرقية (« تونس » مع طرابلس وقسنطينة) ص ١٥٥
- شكل (٧) حملة عقبة بن نافع في المغرب الأقصى ص ١٩٨
- شكل (٨) موقع تونس وقرطاجنة ص ٢٣٤
- شكل (٩) خريطة بلاد المغرب - كما رسمها الادريسي - ص ٣٩٧

المقدمة

في أواخر سنة ١٩٦٤ أخرجنا كتاب تاريخ المغرب العربي : ليبسياً وتونس والجزائر و « المغرب » من الفتح العربي الى قيام دول الأغلبية والرستمين والادارسة ، مع تقديم لاستاذنا الدكتور أحمد فكري - رحمه الله - في جزء واحد (١) ، ووعدنا القراء في حينه بأن يتبعه بالجزء الثاني الذي يكمله الى تاريخ الدولة الفاطمية . والآن ، وبعد أن قبض الله لنا انجاز ما كنا نأمله - وان كان بعد أكثر من عشر سنوات - فأكملنا تاريخ المغرب العربي الى قيام الدولة الفاطمية ، اتضح لنا أنه من غير الموافق أن نخرج الاضافة الجديدة لتكون جزءاً ثانياً لكتابنا الأول ، وذلك لعدة أسباب ، ليس أهمها أهم الكتاب الأول قد نفذ من سوق الكتب - منذ وقت طويل .

فالحقيقة أنه يصعب من الناحية الفنية تكملة الكتاب الأول الذي وقفنا فيه عند قيام دول الأغانية والرستمين والادارسة ، بعد أن قطعنا مرحلة لا بأس بها من تاريخ الدول الثلاث ، بجزء ثانٍ يصبح مبتور البداية - وهو العيب الذي لا يعالج الا بنكرار ذلك القسم من تاريخ تلك الدول ، وتلك آفة أخرى . هذا ، كما اقتضت الدراسة الرجوع الى عدد من المصادر الأساسية ، الخاصة بالموضوعات الجديدة المطروحة في القسم الثاني ، والتي استفدنا بها في مراجعة بعض الموضوعات التي عالجنها في القسم الأول . ويضاف الى ذلك نشر بعض المخطوطات المتعلقة بتاريخ المغرب مما لم يكن في متناول يدينا ، والتي لا يجوز اهمالها في الدراسة (٢) ، مما يعني اضافات لا يستهان بها

(١) ط . دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٥ .

وكان بودنا أن يكون تقديم هذا الكتاب أيضاً لاستاذنا الدكتور أحمد فكري ، ولكن حال دون ذلك أجله المحتوم ، اد وافته منيته ، بعد معاناة شجاعة خابت لها قلوب تلاميذه ومحبيه ، عشية الجمعة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٧٥ - رحمة الله ورضوانه عليه .

(٢) والمثل لذلك كتاب الحلة السبواء الذي نشره حسين مؤنس في جزئين ، ط . القاهرة ، ١٩٦٣ . وتلك القطعة من كتاب الرقيق القيرواني التي نشرها المنجني الكعبي تحت عنوان تاريخ المرقبية والمغرب ، من أواسط القرن الأول الهجري الى أواخر القرن الثاني ، =

بالنسبة لبعض موضوعات الكتاب الأول .

لكل ذلك رأينا أن يكون عنوان كتابنا الجديد في : تاريخ المغرب العربي من الفتح الى قيام الدولة الفاطمية ، قائما بذاته . وأن يكون في جزئين : أولهما يعالج ، فضلا عن دراسة المصادر والتعريف بأجلاد ، تاريخ الفترة من الفتح الى بدء عصور الاستقلال . وثانيهما يحوى تاريخ الدولة الاغلبية مع فتح صقلية وتاريخها أيام الاغلبية ، وتاريخ كل من دول الرستميين والمدرايين والادارسة ، بالإضافة الى مرحلة قيام الدولة الفاطمية في المغرب . ونرجو بذلك أن يكتمل محتوى كل من الجزئين ، كما يمكن لنا أن نستمر في اكمال الكتاب بالجزء الثالث - ان شاء الله - تكملة منطقية ، دون حاجة الى بتر أو تكرار .

وهكذا تمت الدراسة على طول ثلاثة قرون ، نعالج فيها مرحلتين متكاملتين من مراحل تاريخ المغرب العربي : الأولى منهما تمثل فترة الفتوح التي تكاد تنتهى بنهاية الدولة الأموية في دمشق ، والثانية تمثل عصور الاستقلال الأولى في المغرب التي تبدأ مع قيام الدولة العباسية في بغداد ، وتنتهى بقيام الدولة الفاطمية كخليفة منافسة للخلافة العباسية ، تطالب بشرعية حقها في سيادة العالم العربي الاسلامي .

وتكاد أهمية دراسة هاتين المرحلتين من تاريخ المغرب العربي ، بالنسبة للتاريخ الاسلامي العام . تتلخص في عدد من أوجه الشبه مع تاريخ الأقاليم الشرقية من دولة الخلافة . وخاصة في خراسان وما وراء النهر . لفترة الفتوح التي امتدت في المغرب الى فتح الأندلس بعقد سنة ٩٠ هـ / ٧١٠ م . تكاد تعادل فترة الفتوح في الشرق : حيث يعتبر فتح بخارى وسمرقند نيائيا في نفس هذا التاريخ (سنة ٩٠ - ٩٣ هـ / ٧١١ - ٧١٣ م) ، علامة مميزة في تاريخ العرب في المشرق .

وفيا يتعلق بمرحلة الدول المستقلة التالية في المغرب - وبضمنها الأندلس - نجد أنها تتطابق بشكل ملفت سنظر مع الفترة المناظرة من تاريخ الشرق ، حيث قامت الدول المستقلة ابتداء من عصر المأمون ، وأهميا : الدولة

= ط . مرس . ١٩٦٧ . وكذا - ربيع حليصه - خيساط . أفهم كتب العولت التي وصلتنا . والذي نشر معرفة كره تعري بغداد ١٦٧٨ . هذا الى جانب بعض كتب الاباضية من مطبوعة ومخطوطة ، مثل : تاريخ ابن الصعر ط . الجزائر ، أو سير أس ركوبا أو الوسياني . أو طبقات الدرجير مع ذاتي ذكره .

الطاهرية وما عاصرها من دويلات الصفاريين والسامانيين . وهكذا يكون عصر الدول المستقلة في المغرب وفي المشرق ، هو السمة المميزة لدولة الخلافة العباسية ، اعتبارا من عصرها الأول .

هذا من وجهة النظر العامة ، أما من حيث التفاصيل فلقد أتى دخول أهل المغرب ، وهم البربر ، في الجيش العربي الإفريقي أثناء الفتوح ، مقابلا لدخول الترك من أهل المشرق في الجيوش العربية ، تحت قيادة قتيبة بن مسلم فاتح بخارى وسمرقند في بلاد ما وراء النهر ، ونظير موسى بن نصير فاتح الأندلس . ومن جانب الفاتحين العرب فانهم حملوا معهم الى كل من المغرب والمشرق نزاعاتهم العصبية والمذهبية التي عرفوها في بلادهم وفي مركز الدولة ، مما كان له أثره على مسار الأحداث في كل من طرفي دولة الخلافة .

فالنزاع بين القيسية واليمانية الذي ظهر في المغرب ، وخاصة في الأندلس كان يتهك قوى العرب في خراسان على أواخر أيام الأمويين . ومذهب الحوارج الذي أضرم نيران الفتنة في المغرب منذ أواخر أيام الأمويين الى أن انتهى بإقامة دولة الرستمين في عهد العباسيين ، كانت له حيلاته السرية والعلنية في المشرق الخراساني حتى أيام دولة الطاهريين ، وعلى أساسه قامت دولة الصفاريين ، وهما الدولتان المعاصرتان لكل من دولتي الأغالبية والرستمين . أما عن العلويين الحسينيين الذين نجحوا في إقامة دولة الأدارسة في بلاد أوربة ، فكان لهم نجاحهم في المشرق أيضا حيث أقاموا دولة الزيدية الأولى ، في بلاد طبرستان وجرجان ، من حيث أخذت الأفكار الشيعية تنتشر في خراسان الطاهرية ، وما وراء النهر السامانية .

وبذلك كانت الأحداث تسير في جناحي دولة الخلافة : الغربي والشرقي بتوافق ايقاعي عجيب . فبينما كانت قوى المعارضة تضعف من شأن الخلافة ، كان نزاعها فيما بينها يحقق نوعا من توازن القوى ، كما يقال الآن ، وهو الأمر الذي يفسر كيف نجحت خلافة العباسيين في البقاء على طول العصور .

وهكذا كانت عوامل الضعف التي عانت منها دولة الخلافة العباسية ، وأهمها : آفتا انتفتت السياسي ، والخلاف المذهبي ، تتناقض فيما بينها ، وتؤثر بردود فعلها على حياة المجتمع الكبير . فبينما كان التفتت السياسي يضعف من كيان دولة الخلافة . كان استقلال الأقاليم سببا في قيام قوى

جديدة ، ذات دماء فنية وحيوية شبابية ، أخذت على عاتقها إحياء العمل السياسي واخضاري الذي قامت به الخلافة في عصور نهضتها الأولى .

ومن هذا يفد أيضا عن الانفصالات المذهبية ، فرغم أنها كانت من أسباب تفتت المجتمع على المستويين : السياسي والديني ، فإن ما ظهر من حرص أبناء كل طائفة من الطوائف المذهبية ، المتفرقين ما بين المغرب والشرق على إقامة علاقات أحرية وثيقة فيما بينهم ، كان مما حافظ على نوع من الوحدة بين أفراد المجتمع الكبير : فخوارج المغرب كانوا على صلات مستمرة بأخوانهم في الشرق ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للشيعة من العلويين .

ولقد ترتب على تلك العلاقات المعقدة فيما بين دول المغرب المستقلة ، في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) الذي ندرسه ، وفيما بينها ودولة الخلافة في الشرق ، ظاهرة تبدو غير منطقية لأول وهلة ، وهي أهمية الدور الذي قام به المشاركة في مجريات الأحداث في بلاد المغرب وقتئذ ، وخاصة في كل من دولتي الأغالبة والرسنمين - ليس على المستوى الثقافي فقط . بل والسياسي أيضا - فالجند الخراساني كان له نساط عظيم في أحداث أفريقية الأغلبية ، كما تعدى حدودها إلى المنكة الأدرسية والإمامة الرسنمية . وفي مقابل الجند الخراساني كان العجم أو الفرس لهم دور عظيم في تاريخ الإمامة الرسنمية . وهذا الأمر يعني أن العصر العباسي الأول الذي عرف في الشرق عند المؤرخين بـ « العصر الفارسي » ، كانت له آثاره المباشرة في المغرب ممثلا في الأوضاع السياسية والأحوال الحضارية - والأثر الفارسي الذي نسبر إليه لا يتضمن التأثير العرفي أو اللغوي على وجه الخصوص ، وذلك أن من يسمون في أفريقية بالجند الخراساني أو من منكة ناهرت بالعجم أو الفرس كانوا أصلا من عرب خراسان الذين دخلوا في خدمة العباسيين منذ قيام دولتهم . والذين رغم تأثرهم بالعادات والتقاليد الفارسية ، ظلوا محتفظين بعروبيتهم الحالصة . لا يقلل منيا احتماطهم باسم الخراسانية أو الفرس أو العجم .

فكان المشرق الفارسي كان بعد بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري (٩ م) . إلى جانب مقوماته الحضارية ، بدماء عربية جديدة . غير تلك التي جاء بها لغارون من بلاد العرب الأصيلة . من أعداء العباسيين ، أو من التقيؤن العربية المهاجرة التي انضقت أهدميا أبواب المشرق الأيراني . ثم سبق لها من صليل إلى المغرب . وكذلك الأمر بالنسبة للاندلس التي كان يعد عربيا أيضا إلى بلاد البربر . وبذلك بقي تبار الهجرة العربية منسوحا نحو المغرب

في الوقت الذي أخذت أبواب المشرق تنطلق أمام العرب ، نسينا فسينا بفضن
تزايد حركة احياء القومية الفارسية . الى ان انتهى الأمر في القرون الخالية
الى انقسام العالم العربي الاسلامي . الى : جناح مشرقى تارسي الصبغة ،
وجناح مغربي عربي السداة والملحة - وهو الحال الذي عنيه العالم الاسلامي
الآن .

وهكذا تنضح أهمية دراسة الفترة المبكرة من تاريخ المغرب العربي
بالنسبة لما تلقىه من أضواء على مسار اتاريخ الاسلامي أعام ، والظروف التي
أدت الى تطور المجتمع العربي الاسلامي عبر العصور التاريخية الى أن أصبح
على ما هو عليه الآن ، فضلا عما توضحه الدراسة التفصيلية من بيان الظروف
المحلية التي كان لها أثرها في تكوين الخصائص المميزة لتاريخ كل اقليم عما
يجاوره من البلاد - وهذا هو الهدف الأكبر من دراسة التاريخ .

ويحتوي تاريخ المغرب الذي نعالجه في هذا الكتاب على الموضوعات
التالية :

(أ) الجزء الأول :

- ١ - المصادر .
- ٢ - التعريف بالبلاد والسكان والأحوال الاجتماعية قبيل الفتح
العربي .
- ٣ - الفتح العربي ما بين الاستكشاف واستقرار العرب في البلاد
(٢٢ هـ / ٦٤٣ م - ٩٥ هـ / ٧١٣ م) .
- ٤ - الادارة الأموية : أخطاؤها ورد الفعل الذي تمثل في حركات الحوارج
(١٠١ هـ / ٧١٩ م - ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م) .
- ٥ - بلاد المغرب م بين الاستقلال والتبعية للخلافة على أواخر أيام
الأمويين وقيام العباسيين :
- (أ) العنبريون بنو عتبة بن نافع في إفريقية (١٢٥ هـ / ٧٤٣ م -
١٣٩ هـ / ٧٥٦ م) .
- (ب) العصر الذهبي للحوارج : المغرب ما بين الصفرة والاباضية
(١٤٠ هـ / ٧٥٧ م - ١٥٥ هـ / ٧٧٢ م) .

(ج) المهلبيون في إفريقية (١٥١ هـ / ٧٦٨ م - ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م) .

(ب) الجزء الثاني :

١ - الأغالبة في إفريقية من ملك إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ هـ / ٨٠٠ م)
إلى نهاية زيادة الله الثالث (٢٦٩ هـ / ٩٠٨ م) .

٢ - صقلية الأغلبية من الفتح (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) إلى نهاية الأغالبة
(٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) .

٣ - إمامة الرستميين الإباضية في تاهرت وجبل نفوسة (١٦١ هـ /
٧٧٧ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) .

٤ - إمامة المدرارين الصفيرية في سجلماسة (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م -
٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م) .

٥ - مملكة الإدارة في فاس والمغرب الأوسط (١٧٢ هـ / ٧٨٩ م -
٣٠٥ هـ / ٩١٧ م) .

٦ - قيام الدولة الفاطمية وتوحيد المغرب تحت راية المهدي : خليفة
الله ، أمير المؤمنين (٢٨٠ هـ / ٨٩٤ م - ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م) .

وإذا كنا نطمح في أن يكون التوفيق حليف عملنا هذا ، فإن الأمانة
العلمية تقتضي منا التنويه بأعمال كل من قاموا بدراسة تاريخ المغرب أو
موضوعات ذات صلة به من التاريخ العام ، من : الأساتذة الأجلاء والزملاء
الأفاضل والتلاميذ النجباء ، ممن عرفناهم بأشخاصهم ، ومن قرأنا لهم - مع
اعتذارنا عن اغفال ذكر من سهونا عن ذكره منهم - أما عن العاملين في دور
الكتب والمكتبات والمستولين عنها ، ممن قدموا لنا يد العون والمساعدة ، فهم
الجنود المجهولون الذين يقفون وراء هذا العمل وأمثاله . إلى جميع هؤلاء نهدي
هذا الكتاب ، ونعتذر عن عجزنا في إيفاء كل منهم حقه - وإن كنا سنحاول
الإشارة إلى بعضهم في فصل المصادر وفي خلال الدراسة .

شكرا جزيلاً لسكل من عاوننى فى اخراج هذا الكتاب حتى وصل الى يدى القارىء الكريم . وأخص بالذكر الدكتورة نبيلة حسن ، مدرسة التاريخ الاسلامى بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، تلميذتى ، لمعاونتها التى لا تقدر فى اعدادى للكتاب ومراجعة طباعته . وكذلك الحال بالنسبة للدكتور محمد عبد العال أحمد مدرس اتاريخ الاسلامى بمعهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة ، والأستاذ محمد عبد العزيز محمود مدير متحف الآثار بكلية آداب الاسكندرية ، والأستاذ يوسف شكرى مدير الادارة الفنية كلية الآداب بجامعة الاسكندرية لتجشمه عناء اعداد خرائط الادريسى عن بلاد المغرب وصقلية وجنوب ايطاليا .

وأخيراً أوجه الشكر للأستاذ جلال حزى الناشر السكندرى الذى تفضل مشكوراً وأخذ على عاتقه عبء نشر الكتاب .

ونكرر الرجاء فى أن يكون التوفيق حليف هذا العمل ، ونأمل فى أن يمن الله علينا بما نصبو اليه من اكمال تاريخ المغرب العربى ، وما التوفيق الا من عند الله - انه نعم المولى وانعم النصير .

الاسكندرية فى ٢٥ يوليه ١٩٧٨

سعد زغلول عبد الحميد

**تاريخ المغرب العزبي
من الفتح إلى قيام الدولة الفاطمية**

<https://alborjournalspot.com>

للمصادر

هامش على منهج البحث :

قد يكون من المناسب في موضوع المصادر أن نبدأ بالإشارة الى أن المادة الموجودة بين أيدينا ، واللازمة للبحث ، قد لا تفي بكتابة تاريخ متكامل العناصر للمفترقة التي نزمع دراستها ، مما يرضى عنه الباحثون . فالتوثاق الرسمية التي يجب أن يكون اعتماد الدارس عليها تكاد تكون مفتقدة بشكل تام ، بينما يقصر الأدب التاريخي ، الذي عليه المعول ، عن أداء الغرض منه بالشكل المرجو وتلك آفة الكتابة في التاريخ الاسلامي بشكل عام . وفي قصور الأدب التاريخي اللازم للبحث يمكن أن نسجل عددا من الملاحظات الهامة بالنسبة لمنهج البحث . فإذا كانت ندرة المادة التاريخية المطلوبة للمراء جوانب التاريخ المتعددة ، من : سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وغيرها ، يمكن أن تكون أول ما يعاني منه المؤرخ ، فإن ذلك ليس أهم جوانب القصور بشكل أكيد . فالمادة المفتقدة في بعض جوانب البحث قد تكثر وتتشابك في نواح أخرى ، ثم انها كثيرا ما تتضارب فيما بينها ، كما قد تكتنفها الأساطير بطريقة تجعل الوصول الى الحقيقة ، في بعض الأحيان ، وكأنه ضرب من المحال .

وقلة المادة اللازمة للبحث لا تأتي من افتقادنا للمصادر التي لم يصلنا كثير منها فقط ، إذ أن العديد من المصادر التاريخية أنصب اهتمام أصحابها على نقاط معينة من التاريخ دون غيرها . كما أنه ليس من الضروري أن تكون الأحداث الهامة هي التي أثار انتباه الكاتب ، إذ الأمر يتعلق بظروفه الحياتية ، وأحواله المزاجية ، ونظراته الذاتية الى مجريات الأمور . وإذا كانت المصادر ، باختلاف مادتها ، وتنوع مقاصد أصحابها ، يمكن أن تكمل بعضها بعضا ، فلا شك أن وضع المواد ذات الطبيعة المتباينة جنبا الى جنب ، عند اجراء عملية البناء التاريخية ، لما يضاعف من هيكلها . ويظهر ذلك بشكل صارخ عند معالجة تاريخ الجماعات المتنافرة ، مثل : أهل السنة والحوارج والشيعية ، بل انه يظهر بين أفراد الجماعة الواحدة منها عندما تنشق على بعضها ، كما هو الحال بين المالكية والحنفية وبين الإباضية الوهبية والنكارية

أو بين الشيعة الزيدية والاسماعيلية العاطمية ، مما نشير إليه أسماء الدراسة .
والمهم من هذه الاشارات : أن كل جماعة من نمك الجماعات أخذت
بأروايات التي تناسب أغراضها وأهوائها . مما يتعين معه عرض النصوص
لنقد . وتقليب الأمور على وجهها المختلف ، قبل ترجيح مقالة على غيرها .
وهو الأمر الذي لا ينطو على الصبر على المعاناة فقط ، بل يتطلب الكثير من الخبرة
بنهم انصوص ، وشيئا من سلامة الحس وخصوصية الحال . وهو مالا ندعيه
لأنفسنا .

في مصادر فتوح العرب في المغرب :

والفترة الأولى من تاريخ المغرب ما زالت بحاجة إلى مزيد من الدرس
والتقصي ، وعلى وجه أصح إلى المزيد من المصادر الجديدة . فالمصادر الأصلية
من الأوراق الرسمية التي تعرف بالأرشيف (أو الوثائق) ، أو من النقوش
والنقود والآثار وغيرها ، قليلة نادرة أو تكاد تكون معدومة . وبناء على ذلك
فنحن نعتمد في دراستنا - كما هو الحال بالنسبة لتاريخ الإسلام على وجه
العموم - على الأدب التاريخي ، وروايات الكتاب من مؤرخين وغير مؤرخين ،
من المتقدمين والمتأخرين .

ولقد أخذ الكتاب الأوائل روايات قدامى الاخباريين ، وهؤلاء نقلوا في
أول الأمر أخبارهم شفوية عن شهود العيان أو عن سماع عنهم من الرواة
والقصاص . والرواية الشفوية كثيرا ما تتحول وتتطور بسبب صعوبة
ضبطها ، وتأثرها بالانجاهات العصبية أو القبلية القديمة ، وبالنظرسوف
السياسية والميول المذهبية ، وكذلك بالعوامل الشخصية والنفسية . وكثيرا
ما يبلغ التطور فيها إلى درجة تحول الحقيقة التاريخية إلى أسطورة أو انعكس .
وهذا ما يفسر غلبة الأسطورة على كثير من أخبار الفترة الأولى لسدر الإسلام .
وكنرة اختلاف الأخبار عن الحادثة الواحدة . مما يجعل مهمة المؤرخ المحدث
من الصعوبة بمكان . ومع ظهور تلك الصعوبة بشكل واضح عند التأريخ
للفتوحات الإسلامية الأولى بعامة ، فإنها تظهر بشكل حاد عند التأريخ لفتح
المغرب والأندلس بشكل خاص . فالأمر لا ينتهي بحيرة المؤرخ ، عند مقابلة
الروايات التاريخية المختلفة بعضها البعض ، في محاولته معرفة الصحيح
منها من غير التصحيح ، بل باضطرابه كذلك إلى تحليل الروايات ذات الطابع
الأسطوري ، وردها إلى أصولها التاريخية إن كانت لها أصول .

وهكذا نجد أنفسنا أما مصعوبات ثلاث : أولها ندرة المصادر ، وثانيها
اضطرابها أو اختلاطها بدرجة تجعل ترتيبها أمرا صعبا ، وثالثها غلبة

الأسطورة على كثير منها (١) .

الروايات المشرقية :

وأهم مصادر هذه لفكرة المبكرة من تاريخ المغرب هي مجموعة الكتب الخاصة بالمغزى أو الفتوح " فادب المغازى هو أقدم نوع من الأدب التاريخي " وذلك أن ظهوره كان وثيق الصلة بظهور الإسلام وعصر النبوة ، وأول المغازى هي مغزى الرسول ، التي اعتنى بها أصحاب السيرة ثم اتبعوها بمغازى المسلمين في البلدان المفتوحة . فهذه الأخيرة تكمنه نلأولى . وكتب المغازى هذه تنقسم إلى نوعين : الكتب الخاصة بالفتوح العربية عامة ، والكتب المتعلقة بفتوح المغرب خاصة . وهذه الأخيرة أهمها بطبيعة الحال . هذا ولو أن ذلك التقسيم شكلي إلى حد كبير ، إذ يشترك النوعان في خاصية واحدة ، وهي أنهما من أصل مشرقى (٢) . ونريد بتلك الملاحظة الأخيرة الرد على أولئك الذين يقسمون الروايات الخاصة بفتح المغرب إلى نوعين أحدهما مشرقى وثانيهما مغربي محلي ، ويريدون أن يصفوا النوع الأخير بأنه أكثر أصالة أو دقة من الأول . فهذه الملاحظة لا تنطبق إلا على العصور التالية ، بعد أن قامت مراكز الحضارة العربية في المغرب والأندلس ، وظهر فيها أجلة العلماء وثقات المؤرخين من المشاركة الذين هاجروا إلى المغرب ، أو المغاربة الذين أخذوا العلم من مناهله الأولى في المشرق .

ويعتبر ابن اسحق (توفي سنة ١٥١ هـ / ٧٦٨ م) أول من كتب في المغازى ، فله إلى جانب السيرة عدد من الكتب في المغازى (٣) . منها : كتاب

(١) انظر للمؤلف ، فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية ، مجلة كلية الآداب ، اسكندرية ، سنة ١٩٦٣ ، ص ١ - ٥ .
(٢) تكتمى هذا بذكر أقدم مؤرخ الأندلس وهو عبد الملك بن حبيب (١٧٩ - ٢٢٨ هـ / ٧٩٦ - ٨٥٣ م) الذي رحل إلى المشرق . ودرس اللغة المالكي . رحل لعب و عالم الأندلس .
والمف كتابه سماه " التاريخ " ولقد تناول هذا الكتاب (الذي زاد فيه الكتاب فيما بعد) تاريخ أمراء الأندلس إلى سنة ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م ، ولكنه رغم قدمه على الأساطير والخرافات (انظر : Angel Gonzalez Palencia تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، ١٩٥٥ ، ص ١٩٤) ولقد نسرت منه قطعة صغيرة معروفة بحمود مكي في مجلة معهد الدراسات الإسلامية بتونس ، عدد ٥ سنة ١٩٥٧ ، النص ، ص ٢٢١ - ٢٤٣ - حيث الرواية الخاصة بفتح أسبيلبة أشه بروايه كتاب الإمامة والسنة لابن قتيبة .
(٣) عن ابن اسحق انظر الفهرست لابن السكيت . طبعة التجارزة ، ص ١٤٢ .
Brockelmann, G.A.L., supp. I p. 205 ولا بأس من الإشارة هنا إلى " (م ٢ - تاريخ المغرب العربي)

فتوح مصر والاسكندرية ، • انذى وصلنا - فى شكل رواية قصصية -
منسوبا اليه(٤) • ويعتبر الواقدي (توفى سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) أقدم
مثل هذا النوع من الأدب التاريخي ، • فقد كان عالما بالمغازي والسير
والفتوح ،(٥) • وقد ذكر له عدد من كتب الفتوح والمغازي وصلنا بعضها ،
مثل • فتوح الشام ، انذى يشك فى صحة نسبه اليه ، وفتوح مصر الذى
يكون جزءا من فتوح الشام والذى وصلنا مستقلا فى شكل • كتاب فتوح
مصر والاسكندرية ،(٦) • وهو نفس عنوان كتاب ابن اسحق ، وله أيضا
كتاب فتح البهنسة وفيوم من أرض مصر(٧) ، وأخيرا ، كتاب فتوح أفريقية •
وهو الذى يهمننا •

ومع أنه يوجد عدد من مخطوطات فتوح افريقية هذا فى مكتبات العالم
المختلفة(٨) ، ومع أن الكتاب طبع منذ حوالي ثمانين عاما(٩) ، إلا أننا لا نجد
له ذكرا بين الكتب التى يرجع اليها المشتغلون بتاريخ المغرب العربى •

• بعض معاصرى ابن اسحق ممن اعتنوا بالتدوين التاريخي فى ذلك الوقت المبكر ، وهم الذين
يعرفون بالأخباريين (أى رواة الأخبار أو طليعة المؤرخين) والذين اهتموا بالمغازي ، مثل
• أبو مخنف لوط بن يحيى بن مخنف بن سليم الأزدي (توفى سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م) وله فتوح
الشام وفتوح العراق (ابن النديم ، الفهرست طبعة التجارية ، ص ١٤٣) ، وسيف بن عمر
الأسد التميمي (توفى سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) وله كتاب الفتوح الكبير (ابن النديم ، الفهرست
ص ١٤٣) • ويأتى بعدها هشام بن محمد بن السائب الكلبى (توفى سنة ٢٠٦ هـ /
٨٢١ م) وله كتاب البلدان الكبير وكتاب البلدان الصغير (الفهرست ص ١٤٦ - ١٤٩) ثم
المدائني وهو • أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني • هو شخص بن
عبد مناف (توفى سنة ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م) ، وله عدد من الكتب فى فتوح الشام والعراق وفارس
وخراسان ومصر وبيرونة (الفهرست ص ١٥٣ . وأنظر بروكلمان (G.A.I.) الملحق ج ١
ص ٢١٤) • ومصعب بن عبد الله الزبيرى (فهرست ، ص ١٦٦) • والزبير بن بكار بن
عبد الله بن مصعب بن الزبير (توفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) (الفهرست ص ١٦٦ ، ١٦٧ ،
بروكلمان (G.A.I.) ، ج ١ ص ١٤١) •

(٢) طبعة أوروبا •

(٥) الفهرست ، ص ١٥٠ •

(٦) طبعة ليدن ، سنة ١٨٢٥ •

(٧) طبعة القاهرة ، ١٢٨٠ هـ . ١٢٧٨ هـ (قصة البهنسة وما فيها من عجائب ..) •

ومخطوط مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن ، رقم ٦٢٨٦ (أنظر للمؤلف ، فتح العرب

للغرب بين الحقيقة والأسطورة ، مجلة آداب إسكندرية ، ١٩٦٣ ، ص ٧) •

(٨) أنظر بروكلمان (G.A.I.) ، الملحق ، ج ١ ص ٢٠٨ •

(٩) طبعة تونس ، سنة ١٣١٥ هـ (بعرفة عبد الرحمن الصنادلى) •

والظاهر أن ذلك الإهمال وقع لسببين : أولهما شيوع ضياع هذا الكتاب مثل معظم كتب الواقدي التي لم تصل إلينا إلا منقولة عند من أتى بعسده من الكتاب ، وثانيهما أن الطابع الأسطوري والقصصي يغلب فيه على الطابع التاريخي ، مما يجعل الاستفادة منه أمرا صعبا (١٠) . ورغم ما يشهده قدامى الكتاب حول صحة أخبار ابن اسحق وكذلك الواقدي الذي يأخذ عنه (١١) ، ورغم ما يثار من الشك في صحة نسبة ما وصلنا من كتبيهما إليهما ، فنحن نرى أن كتاب الواقدي الأصيل عن « فتوح إفريقية » أخذ يتطور مع مرور الوقت حتى وصلنا في الشكل الأسطوري الذي هو عليه ، وذلك في ظروف تاريخية حاولنا شرحها في دراستنا لهذا الكتاب التي جعلنا عنوانها « فتح المغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية » ، دراسة ونقد لمخطوط « فتوح مدينة إفريقية » من مخطوطات الواقدي بالمتحف البريطاني (١٢) التي نشرناها في بعض المواضع .

أما أقدم وأدق رواية وصلتنا كاملة عن فتح المغرب ، فهي رواية عبد الرحمن بن عبد الحكم (توفي بالفسطاط سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م) في كتابه « فتوح مصر والمغرب والأندلس » (١٣) . وأهمية الكتاب تتلخص في أن ابن

(١٠) انظر للمؤلف ، فتح المغرب بين الحقيقة والأسطورة ، ص ٦ (حيث يشير إلى ابن مزنيس يورد ذكره في بعض هوامشه ، وكذلك أشار إليه عبد الحميد ماجد في مراجعته في « التاريخ الإسلامي للدولة العربية ») .

(١١) عن الشك في أخبار ابن اسحق انظر الفهرست لابن النديم ، ص ١٤٢ ، وعن الواقدي فلاحظ أن الطبري في كلامه عن الفتوح الأولى والحرب ضد الروم يسبق كثيرا روايته بكلمتي « وزعم الواقدي » (انظر سنة ٥٢ و ٥٤) أو يلحقها بكلمتي « في قول الواقدي » (انظر سنة ٥٨ ، ٦٠) وانظر السخاوي ، الإعلان بالتبويب لمن تم التاريخ طبعة ١٣٤٩ ص ١١٧ حيث يشير إلى أن ابن سعد صاحب الطبقات ثقة « وكان شيخ الواقدي ضعيفا » . ونشير هنا إلى ابن عبد العزيز العمري يأخذ بالرأي المضاد (انظر علم التاريخ عند العرب ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٣٠ - ٣١) .

(١٢) مجلة كلية الآداب ، المجلد العاشر ، سنة ١٩٦٣ .

(١٣) انظر طبعة لندن (بحرفة تودي Torrey) ، سنة ١٩٢٠ . ولقد طبع هنري ماسيه Massé القسم الخاص بمصر من الكتاب سنة ١٩١٤ . وأخيرا طبع القسم التاريخي بمرقة عبد المنعم عامر ، ولكن هذه الطبعة يؤخذ عليها عدد من الأخطاء ، منها ما يتعلق بتحقيق النص ومنها ما يتعلق بصحة الهوامش . ونشير هنا إلى نقد الدكتور حسين نصار لها في مجلة « المجلة » العدد ٨٠ السنة السابعة ، أغسطس ١٩٦٣ ص ٩٨ - ١٠٣ . وعن تقييم الرواية انظر للمؤلف : « فتوح المغرب والأندلس في رواية ابن عبد الحكيم » ، (بحث) في كتاب : « دراسات عن ابن عبد الحكم » ، المكتبة العربية : (ط - وزارة الثقافة القاهرة ، ١٩٧٥) ، ص ١٥٣ - ١٩٦ .

عبد الحكم مصرى . ومصر كانت قاعدة الفتوح الأولى فى المغرب ثم ان المؤلف كان من أسرة كبيرة ضربت بسهم وافر فى العلم وشاركت بصق فى أمور السياسة مما عرضها فى سنة ٢٢٧ هـ / ٥١ - ٩٥٢ م . لمحنة عظيمة (١٤) . هذا يعنى أن ابن عبد الحكم كان فى موقف اجتماعى يسمح له بالاطلاع على ديوان القسطنطين ، الذى زخر بالوثائق الرسمية والسجلات الخاصة بفتح مصر والمغرب ، أو الإخذ عن المشايخ الذين رأوا هذه السجلات أو نسخوها . وأهم ما نقل عنهم ابن عبد الحكم ، هم : ابن نهيعة (توفى سنة ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م) (١٥) ، وفقية مصر وزاويتها الليث بن سعد (توفى سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م) (١٦) ، ويزيد بن أبى حبيب النوبختى الأصل (توفى سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م) ، وهو من ثقات رواة فتوح مصر والمغرب وأستاذ ابن نهيعة والليث ابن سعد ويحيى بن عبد الله بن بكير (توفى سنة ٢٢١ هـ / ٨٤٥ م) الذى جمع عددا من السجلات والوثائق فى كتاب أهداه لابن عبد الحكم (١٧) ، وعثمان ابن صانع (توفى ٢١٩ هـ / ٨٢٤ - ٢٥ م) وهو من أهم مصادر ابن عبد الحكم من اجزاء التاريخ الخاص بالمغرب ، وعرف باللين والصدق وبأنه لم يكن ممن يكذب (١٨) ، ويحيى بن أيوب (توفى سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٩ - ٨٠ م) ، وخالد ابن حميد (توفى سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ - ٨٦ م) ، وعبد الملك بن مسلمة . وأكثر من نقل عنهم من كل هؤلاء العلماء الذين يكونون أول مدرسة مصرية فى التاريخ ، هم : عبد الملك بن مسلمة ، ويحيى بن بكير ثم عثمان بن

(١٤) انظر الكلبى ، الولاد والقضاة ، ص ١١٩ - ٢٠٠ ، ٤٥٢ ، مصنفه تورى . Torrey
(بالانجليزية) . ص ٢١ ، وقصعة جاتو Gateau للطبعة الجزئية مع الترجمة الفرنسية ،
الجزائرية - ٧٦٤٨ ، ص ١٢ ، ١٣ . إبراهيم المندوبى ، ابن عبد الحكم لابن الجوزى للمغرب ، القاهرة
١٩٦٤ ، ص ٢٦ - ٢٥ .
(١٥) انظر عن تقييم ابن نهيعة الذى غرام ، مدققا ، ويجتهد فى أخذ الأخبار من منابعها
الأولى . فتوح المغرب والأندلس فى رواية ابن عبد الحكم ، ص ١٧٤ .
(١٦) عن عم الليث بن سعد ، يروى عن الشافعى أنه قال : « الليث بن سعد أفقه من
عالمك . إلا أنه أصحابه لم يقروا به » (ابن خلكان ، خيمة حبيب الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٠) .
وانظر للمؤلف فتوح المغرب والأندلس فى رواية ابن عبد الحكم ص ١٧٥ - ١٧٦ .
(١٧) انظر مصنفه تورى ، ص ٣ - ٦ . وقصعة جاتو ، ص ١٨ ، وانظر للمؤلف فتوح
المغرب والأندلس فى رواية ابن عبد الحكم ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(١٨) انظر الذهبى ، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، القاهرة ١٩٦٢ ، ج ٣ ، ص ٢٦٠ -
٢٠ . طبخ قبيب عثمان بن صالح ، حسب مصنف الحديث ، ص ١١٠ ، ص ١١٠ ، ص ١١٠ ،
و « فتروى » ، ال - حاتم شهادة من قال : « لم يكن عثمان عندي ممن يكذب » ، وانظر للمؤلف
فتوح المغرب والأندلس فى رواية ابن عبد الحكم ص ١٦٨ - ١٦٩ ، وقصعة جاتو ، ص ١٦٩ .

صانع (١٩) -

والى جانب ذلك نقل ابن عبد الحكم كثيرا من الروايات والتقصص الشعبية التي كانت متداولة بين أهل مصر سواء عن فتوح مصر والمغرب ، أو عن التنظيمات الادارية والمخطط . ومن هنا تزداد أهمية كتاب ابن عبد الحكم - وخاصة الجزء المتعلق بمصر - فهو لم يهتم بالتاريخ السياسي فقط بل اهتم بالمران والنظم والتراتب . وعلى ذلك فهو رائد هذا النوع من الأدب التاريخي الذي يهتم بالمجتمع وبالمخطط ، والذي سينبع فيه المقرئ فيما بعد ، عندما يقدم أهم نماذجه مثلا في كتاب المخطط ، وبفضله يصبح مثل هذا النوع .

وابن عبد الحكم يظهر في كتابه بمظهر المحدث أكثر مما يبدو في مظهر المؤرخ . فهو يعتنى في كثير من الأحيان بإيراد الروايات المختلفة ، كما يهتم بتسجيل الاسناد . وتظهر صفة المحدث هذه في الفصل الأخير ، الذي يختتم به ابن عبد الحكم كتابه عن الصحابة الذين دخلوا مصر والمغرب ، والهدف منه هو سرد الأحاديث النبوية التي رويت نقلا عنهم . ولقد ترتب على طريقة المحدثين هذه تقديم وتأخير بعض الروايات نتج عنه تقديم وتأخير في بعض الأحداث التاريخية - حتى الهامة منها - مما جعل ترتيبها زمنيا من الأمور الصعبة ، وهذا ما سنشير إليه في مواضعه (٢٠) .

وبعد ائواقدي وابن عبد الحكم يأتي كتاب البلاذري (أبو جعفر أحمد ابن يحيى بن جابر) توفي سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) المعروف بفتوح البلدان . والكتاب سريع نظرا لانه يتناول الفتح جميعا ، وفتوح المشرق بوجه خاص ، ونظرا أن اسمه الكامل هو « كتاب البلدان الصغير » بمعنى المختصر ، وذلك ان البلاذري كان قد بدأ في تطويله وأعطاه اسم « كتاب البلدان الكبير » ، ولكنه لم يتمه ، كما يقول ابن النديم (٢١) . وطريقة البلاذري هي نفس طريقة الواقدي وابن عبد الحكم ، وذلك انه يعتنى بالاسناد فهو من هذا الوجه مؤرخ

(١٩) انظر للمؤلف . فتوح المغرب والأندلس في رواية ابن عبد الحكم ، ص ١٦٧ .
(٢٠) انظر فتوح مصر ، ص ٢١١ والهوامش ، ص ٢٣٦ و ٣٠٧ . وانظر للمؤلف فتح المغرب ما بين الحقيقة التاريخية والاسطورة الشعبية ، مجلة كلية الآداب - الاسكندرية ١٩٦٣ ، ص ٥ . وانظر للمؤلف . فتوح المغرب والأندلس في رواية ابن عبد الحكم ص ١٨٢ - ١٨٧ .
(٢١) انظر المهرست ، ص ١٧٠ .

محدث هو الآخر ، وهو يعتمد على روايات عبد الله بن صالح ، والليث بن سعد ونافع مولى آل الزبير وابن الكلبي ثم الواقدي - نقلا عن كاتبه ابن سعد في بعض الأحيان - بصفة خاصة . وينبغي الإشارة الى أنه لا علاقة بين روايات فتح المغرب المنقولة عن الواقدي هنا ، وبين الروايات ذات الطابع الاسطوري المحض الموجودة في « فتوح افريقية » المنسوب للواقدي والذي أشرنا اليه ابتداء .

والى جانب ما تقدم نشير الى أهمية المعلومات المتعلقة بفتح المغرب والموجودة في الكتب الخاصة بفتح الأندلس ، ولا سيما كتاب أخبار مجموعة ، مؤلف مجهول من كتاب القرن الرابع الهجري (١٠ م) (٢٢) ، وافتتاح الأندلس ، لابن القوطية (محمد بن عمر بن عبد العزيز - توفي سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) كما نضيف أيضا كتاب الكندي (توفي ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) ، عن ولاية مصر وقضاتها ، وله أهمية خاصة بالنسبة للعلاقات بين مصر والمغرب في القرون الأربعة الأولى للهجرة . ففيه قطع قيمة عن الفتوح الأولى التي قام بها ولاية مصر الأوائل ، الذين كانوا يضمون الى عملهم ولاية المغرب . وكثير من معلومات الكندي ترد منسوبة الى روايات الأوائل ، ومن أهمهم : سعيد بن عفير ، وابن لهيعة ، ويحيى بن عبد الله بن بكير ، ويزيد ابن أبي حبيب ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، وهؤلاء ينهبون في بعض الأحيان بسلسلة المسندين حتى شهود العيان الأوائل مثل عبد الله بن عمرو ، وعمرو بن العاص مثلا (٢٣) .

وعن العلاقة بين مصر والمغرب لا بأس من ذكر خلفاء ابن عبد الحكم والكندي ، مثل المقرئ في خطه أو في كتابه عن أوائل الفسطاطيين في المغرب ، المعروف بـ « تعاط الحنفا » (نشر الشيال ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٧ م) ، وهو مهم بالنسبة للفترة الثانية ، كما يأتي ، ومثل ابن تغري

(٢٢) انظر فيما بعد ، ص ٢٩٦ وما بعدها . وعن نقد الكتاب يرى ريبيرا أن له أكثر من مؤلف ، وأن الجزء الأول منه كتب أحد رجال السياسة الى هشام بن عبد الرحمن الداخل . بينما الجزء الثاني منه كتب أحد الفقهاء . وهو يرى أن الكتاب دون في القرن الرابع الهجري (١٠ م) . أما دوزي نراي أنه دون في القرن الخامس (١١ م) . انظر انجل جونزالس النسيا (A.G. Palencia) تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسن مؤنس ،

١٩٥٥ ، ص ١٩٨ .

(٢٣) انظر الكندي ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

يردى فى كتابه « النجوم الزاهرة » (٢٤) أو السيوطى فى « حسن المعاصرة » .
هذا عن أقدم الروايات الخاصة بفتوح المغرب ، وأدقها وأكثرها أصالة ،
وهى من النوع الذى يوصف بأنه مشرقى . أما عن الروايات المغربية القديمة ،
والتي يمكن أن تعادل تلك الروايات المشرقية ، فلأسف لم يصلنا منها شيء .

الروايات المغربية :

والحقيقة أنه كانت قد ظهرت بالقىروان روايات منسوبة الى بعض أبناء
الفاطحين مثل عيسى بن محمد بن سليمان بن أبى المهاجر ، حفيد أبى المهاجر
دينار ، مناس عقبه فى ولاية المغرب ، وكان قد ألف كتابا فى فتوح افريقية
نقل منه أبو العرب (٢٥) فى تراجمه ، ولا بأس فى أن تكون له بعض الاشارات
فى مسالك البكرى (٢٦) ، الذى يسجل روايات لجدته الأكبر أبى المهاجر
عن فتوح عقبه فى المغرب الأقصى (٢٧) .

ومن المهم الاشارة الى أن عيسى حفيد أبى المهاجر كان من تلاميذ عبد الله
ابن وهب المحدث المصرى الشهير ، الذى يعتبر من مؤسسى أول مدرسة مصرية
تاريخية ، كما هو الحال بالنسبة لغيره من المغاربة الذين كانوا يجعلونه ، مما
يجعلنا نظن أن روايته لن تختلف كثيرا عن روايات أهل مصر (٢٨) .

ولقد نبه فى القىروان ، خلال القرن الثانى الهجرى ، قاضى افريقية
الشيخ عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (٧٤ هـ / ٦٩٣ م - ١٦١ هـ / ٧٧٨ م)
الذى شارك فى أحداث تلك الفترة حتى أنه وقع أسيرا بين أيدي الروم فى
سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م ، وسجن فى حبس قصر الملك بالقسطنطينية ثم أفرج

(٢٤) انظر للمؤلف ، أهمية ابن تفرى بردى لتاريخ العرب والأندلس ، بحث فى كتاب
المؤرخ ابن تفرى بردى ، مجموعة المكتبة العربية ط . وزارة الثقافة . القاهرة ١٩٧٤ .
(٢٥) انظر أبو العرب ، ترجمة رقم ٩١ ص ١٠٦ (حيث يقول عن الكتاب انه لا بأس به :
أما عن النقول فهي كثيرة فى تراجم أبى العرب المختلفة) .
(٢٦) انظر جاتو ، مقصدة فتوح افريقية لابن عبد الحكم ، ص ٢٦ .
(٢٧) انظر البكرى ، ص ٧٣ - ٧٤ . ولا بأس فى أن تكون الروايات الأندلسية الموجودة
فى « أشبار مجموعة » عن فتح المغرب صادج لتلك الروايات المغربية الأصل . وعن أبى المهاجر
والى المغرب لمسلمة بن مخلد ، والى مصر أيام معاوية ، انظر فيما بعد ص ١٨٨ وما بعدها .
(٢٨) انظر للمؤلف ، فتوح المغرب والأندلس فى رواية ابن عبد الحكم ، ص ١٧٩ - حيث
الاعتماد على رواة أبى العرب .

عنه بالمدينة سنة ١٢١ هـ ٧٢٦ م ، كما انه سار في سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م .
على رأس وفد الى العراق يستنجد بالخليفة المنصور عندما استولى الخوارج على
القيروان (٢٩) . ولما كان معاصروه من علماء مصر ، مثل : ابن لبيبة وعبد الله
ابن وهب ، ومحمد بن عبد الحكم ، ممن رووا عنه ، فانه من الطبيعي أن يكون
قد أثر فيهم بروايات المغاربة ، كما تأثر منهم بروايات المصريين (٣٠) ، ويمكن
لنا أن نقرر ، من التنق انقلينة التي وصفتنا عن ابن أنعم في كتاب أبي العرب
وفي كتب المتأخرين ، مثل البكري ، وصاحب الاستبصار ، وابن عذاري ،
أن ابن أنعم كان له عناية خاصة بالروايات الأسطورية أو القصص التسعبي .
العجيب (٣١) . ومن ثمة بعد ابن أنعم من المؤرخين القيروانيين الذين لا نعرف
شيئا عن أعمالهم سوى ما يروى عنهم في كتب المتأخرين ، نذكر : الفقيه أبي
محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (توفي ٢٢٧ هـ / ٤١ - ٨٤٢ م) (٣٢) ،
والأمير الأغلب محمد بن زيادة الله بن الأغلب (توفي ٢٨٢ هـ / ٨٩٦ م) الذي
كان أدبيا شريفا وكان له الى جانب تواليفه الأدبية كتاب في تاريخ بني
الأغلب (٣٣) ، وأبا سهل فرات بن محمد العبدي (توفي ٢٩٢ هـ /
٤ - ٩٠٥) (٣٤) ثم أباسعيد عبد الرحمن المعروف بانوكيل (توفي ٣١٠ هـ /
٢٢ - ٩٢٣ م) الذي كان من كبار حفاظ الحديث كما كان من أهل التراء .

(٢٩) انظر تاريخ خليفة بن حباط ، سير تكريم العمري ، بغداد ١٩٦٨ ، ج ٢ ص ٣٦٢
(أحداث سنة ١١٦ هـ - حيد الاسيرة الى انه وقع في الأمر عقب عزو صعية . وكان من أسر
معه ابن عثمان بن أبي عبيدة وهذا عمرو وسليمان ، وكذلك آخر عبد الرحمن بن أنعم وهو
المخيرة بن زيد بن أنعم . أم عن فت أسار ابن أنعم فيقول حليفة بن حباط ان عبد الرحمن
ابن حبيب هو الذي فداء بعد ان ولى افرينة . والمعروف أن ابن حبيب لم ين افرينة الا في
سنة ١٢٧ هـ . وعن ترجمة عبد الرحمن بن أنعم . انظر : طبقات علماء افرينة لأبي العرب ،
ط ٠ تونس ١٩٦٨ ، ترجمة رقم ١ ص ٩٥ - ١٠٥ ودارن الرفوف ، تاريخ امرة المغرب ،
ص ١٦٣ - ١٦٤ . وانظر حيد بعد ، ص ٢٨٠ وهـ ١٠٤ وص ٣٢٣ وهـ ٨٢ . وعن معونات
برو صليليه في الجزء ٢ . وكذلك عن سدر السمع القاضي في الجزء ٢ .

(٣٠) انظر للمؤلف ، فتوح المغرب والأندلس في رواية ابن عبد الحكم ، ص ١٧٩ .

(٣١) انظر للمؤلف ، فتوح المغرب والأندلس في رواية ابن عبد الحكم ، ص ١٧٩ .

(٣٢) انظر قضا بعد ، ص ٢٧ وهـ ١ .

(٣٣) انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٨٠ .

(٣٤) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٩ . حيد يسير الى أن أبا سهل فرات سمع من

بحون واليحصبي واقه له معرفة بالاسد ، وان أخذ عليه طول اللسان ، فقد : « كان أعلم

الناس بالناس وان وقع الناس في الناس ، حتى سمع ان الكذب » .

بينما كان ابنه أبو محمد الحسنى من أهل الأدب (٣٥) .

وتأتى بعد ذلك ، من أخبار أهل إفريقية التى تم تصننا . الروايات المنسوبة إلى أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار . المائر الخارجى على الفاطميين ، وهو من رجال القرن الرابع الهجرى (١٠ م) . وينقل عنه ابن خلدون فقرات فى فتوح المغرب (٣٦) . ومن كتب المعاصرين لأيوب بن أبي يزيد اتى لم تصننا كتاب يوسف الوراق وكتاب ابنه محمد بن يوسف الوراق القيروانى (٢٩٢ - ٣٦٢ هـ / ٩٠٤ - ٩٧٣ م) صاحب كتاب المسالك والممالك (٣٧) الذى ينقل عنه البكرى بعض المعنومات القيمة المناظرة لروايات المصريين الموجودة فى كتاب ابن عبد الحكم . أما عن كتاب « مغازى إفريقية » أو « أخبار إفريقية » لأبى جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبيب المعروف بابن الجزائر (٢٨٥ - ٣٦٩ هـ / ٨٩٨ - ٩٨٠ م : أوراق ، قسم ١ ص ٣٠٦ . ٣١٠) فقد وصلتنا منه نطف فى كل من مسالك البكرى وكتاب الاستبصار . ومنها يفهم أن ابن الجزائر كان يعتنى بجمع الأساطير (٣٨) ، التى ربما جمعها فى كتاب ثان له فى عجائب البلدان (٣٩) .

أما إبراهيم بن القاسم المشهور بالرفيق انقيروانى ، والمعروف أيضا بالرفيق النديم (٤٠) ، صاحب ديوان الرسائل عند بنى زيرى الصنهاجيين ،

-
- (٣٥) انظر أبو العرب . ط . بيروت . ص ١٧٤ - ١٧٥ (حى الاسارة إلى نهب داره بعد زعمه بمعرفة كبار زعماء المهدي الفاطمى . وانظر . حسن حسنى عبد الوهاب . أوراق . ط . تونس ١٩٦٥ . قسم ١ ص ٦٩ ، ومقدمة المنجى الكبير لتاريخ إفريقية والمغرب . للرفيق انقيروانى ، ط . تونس ١٩٦٧ . ص ١٥ .
- (٣٦) انظر العبير . ج ٦ . ص ١٠٣ - ١١٠ . والمؤلف . فتوح المغرب والأندلس فى روايه من عند الحكم . ص ١٥٦ .
- (٣٧) ابن عذارى . ج ١ ص ١٢٩ . ص ٣٢ . وانظر قدم بعد . ص ٢٨ و ٢٠ . ص ٣٠ .
- (٣٨) انظر المؤلف . فتوح المغرب والأندلس فى روايه ابن عبد الحكم . ص ١٨٠ . وهذا لا يقلل من قيمة كتابات ابن الحرار الذى يقدم لنا معلومات تاريخية حادة عن بعض ما وصلت فى كتاب المنجى لابن خلدون . انظر القطعة التى حققها عبد الرحمن الحبنى . ط . بيروت ١٩٦٥ . ص ٣٦ - ٣٨ (فى موضوع الفاطميين فى المغرب) .
- (٣٩) انظر أدب الحضارة لرهبرى . تحقيق محمد حاج صادق . مجلة الدراسات الشرقية للمعهد الفرنسى بباريس . ١٩٦٨ . ص ٢٧٦ . ٢٧٩ . ٢٨٩ . - الج . وحسن حسنى عبد الوهاب . الأوراق . قسم ١ ص ٣١٨ وما بعدها .
- (٤٠) انظر له . وكتب الحرور فى أوصاف الخيول . تحقيق أحمد الخليلى . المقدمة . ص ١٠٠ هـ .

والذي ترجع وقاته الى ما بعد ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م (٤١) ، فهو يعتبر أشهر مؤرخى افريقية وبلاد القيروان - وان كان قد جمع الى جانب العناية بالتاريخ حب الأدب وهواية الشعر والسمر ، وهذا ما يظهر فى اعتماد من أتى بعده من المؤرخين عليه ، سواء كانوا من المشاركة مثل : ابن الأثير والنويرى ، أو من المقاربة ، مثل ابن عذارى وابن خلدون .

ولتقييم كتاب الرقيق تكفى شهادة ابن الأثير له عندما ينقل عنه أخبار المغرب ، فبرجحها على غيرها ، قائلا : ورب البيت أدري بما فيه (٤٢) . وإذا كان كتاب الرقيق فى تاريخ افريقية والمغرب لم يصل اليثا ، فلحسن الحظ انه وجدت قطعة من تاريخ المغرب المبكر يرجع انها بعض الكتاب ، أو انها نقلت من بعض كتب الرقيق . وهذه القطعة التى تبدأ من أواسط القرن الأول الهجرى وتنتهى فى أواخر القرن الثانى الهجرى ، حققها ونشرها المنجى الكعبى ، تحت عنوان : تاريخ افريقية والمغرب ، للرقيق القيروانى (٤٣) ، والأمل أن يسعد الحظ المشتغلين بتاريخ المغرب بالعثور على أجزاء أخرى من الكتاب ان لم يكن جميعه .

ولقد دلت تلك القطعة من تاريخ الرقيق - كما لاحظ المحقق بحق - ان النقول من كتاب ما ، مهما استفاضت ، لا تقضى الباسحين عن الكتاب الأصيل (٤٤) ، فبعضها أمكن تحديد كثير من أماكن الوقائع وتحديد تواريخها وأسماء أبطالها ، مما كان قد اختصره النقلة ، والمثل لذلك أحداث الصراع بين زهير بن قيس ، خليفة عقبة بن نافع ، وكسيلة زعيم أوربة ، وأخبار عودة موسى بن نصير الى الشام ، ووصف وقعتى الأصنام والقرن ، وثورات الخوارج ، واضطرابات الجند الأفريقى ، وغيرها (٤٥) . هذا وان كانت تلك القطعة تعاني الكثير من الحروم والصفحات الساقطة ، الى جانب تحريفات عديدة سواء فى النص أو فى أسماء المواضع والأشخاص . مما قد تشير الى بعضه خلال الدراسة .

(٤١) أنظر مقدمة قطب السرور ، ص ج .
(٤٢) أنظر الكامل ، أحداث سنة ٥٠ هـ .
(٤٣) نشر السقطى ، تونس ١٩٦٨ .
(٤٤) أنظر مقدمة الكعبى ، ص ٩ - ١٠ .
(٤٥) نفس المقدمة ، ص ١٢ - ١٤ .

أما عن المصادر التي رجع إليها الرقيق في تلك القطعة ، فإنه يذكر عدداً من المشاركة . مثل : الزبير بن بكار ، وابن سلام ، والمدائني ، والواقدي ، وبعض المغاربة ، مثل : سحنون بن سعيد ويوسف بن هشام ، وخاصة ابن أبي حسان (توفي سنة ٢٢٧ هـ / ٤١ - ٨٤٢ م) ، الذي أورد عنه الكثير من الأخبار (٤٦) ، والتي تظن أنه كان اخباري القيروان في زمانه . وهذا لا يمنع بطبيعة الحال أن يكون الرقيق قد أهمل ذكر غير هؤلاء ممن نقل عنهم ، ومنهم بعض من ذكرنا من قدامى الاخباريين من قيروانيين ومغاربة .

كتب التاريخ العام :

ويأتي بعد ذلك النوع الثاني من مراجع تلك الفترة ، التي تتمثل في كتب التاريخ العام ، وهي الأخرى على قسمين : الأول في تاريخ المغرب ، والثاني في تاريخ المشرق بصفة خاصة .

في الكتب المغربية :

ابن عذارى :

وأقدم ما وصلنا من انقسم الأول كتاب ابن عذارى المراكشي ، وهو كتاب البيان المغرب في أخبار المغرب ، الذي بدأ تأليفه منذ أواخر القرن السابع الهجري واستمر إلى حوالي سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م ، والذي كان يضم القسم الخاص بالمشرق ، واسمه « كتاب البيان المشرق في أخبار المشرق » ، الذي لم يصل إلينا . والجزء الأول من البيان المغرب يتناول تاريخ المغرب منذ الفتح إلى دخول الهلالية إلى المغرب ، في منتصف القرن الخامس الهجري (١١ م) ، وما بعد ذلك من الأحداث . ورغم أن هذا الكتاب مختصر من وجه ومتأخر - بالنسبة للفترة التي ندرسها - من وجه آخر ، إلا أنه يحتوي على روايات قدامى المؤرخين من المغاربة والأندلسيين ، التي لم تصل إلينا والتي يعرض على ذكر أصحابها في كل مناسبة ، مما يزيد في قيمته . ولقد عرف المستشرق الهولندي دوزي قيمة البيان فنشر منه ، منذ أكثر من قرن وربع قرن ، الجزء الأول الخاص بالمغرب والجزء الثاني الخاص بالأندلس (طبعة ليدن ، ١٨٥١) . ولكن الجزء الأول كان ينقصه قطعة كبيرة في أوله تتناول حملة عقبة بن نافع في المغرب الأقصى ، ولقد اكمل برفنسال وكولان

(٤٦) نفس المقدمة . ص ١٢ ، وعن أخبار ابن أبي حسان التي ملأت مجالس أمراء الأغالبة . انظر على سبيل المثال مما بعد . في تاريخ الأغالبة ، عهد زبادة الله الأول ، ج ٢ ص ٣٤ و ٣٥ عن نسند المحصن في فتاواه ضد التواتر ، و ٣ ص ٣٩ . عن قوله من الأمير .

(Colin) هذا النقص في طبعتهما الأخيرة لهذا الجزء بعد أن عثروا على مخطوط جديد من البيان (٤٧) .

وممن أخذ عنهم ابن عذارى ممن كتبوا في تاريخ المغرب ولم فصل إلينا كتبهم : ابراهيم انريقيق (توفي بعد ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) الذي كتب في تاريخ افريقية حوالي سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م ، وابن شرف (توفي سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٨٨ م) ، وابن رشيق (توفي سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م) ، ويوسف الكاتب المعروف بالوراق ، وابنه محمد بن يوسف الوراق ، القيرواني مولدا والقرطبي مائتا (توفي سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) ، والذي ألف للحكم المستنصر الأموي كتابا في تاريخ افريقية حتى أيامه (٤٨) ، وابن القطان (توفي سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) صاحب كتاب نظم الجمان في أخبار الزمان ، الذي عثر بروفنسسال على جزء منه خاص بنهاية المرابطين وبداية الموحديين (٤٩) ، وهو الجزء الذي نشره محمود علي مكى ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط .

ومن مصادر ابن عذارى كتاب لابن أبي العياض الأندلسي (توفي سنة

(٤٧) ولا بأس من الإشارة الى أن هنا المخطوط يعبرى على قسم ثالث خاص بتاريخ الموحديين فضلا . وكان بروفنسسال قد نشر من البيان قسما خاصا بتاريخ الأندلس على أيام المرابطين جعله جزءا ثالثا بالنسبة لجزأى دوزى (طبعة باريس ، ١٩٣٠) . أما عن القسم الخاص بالموحديين ، فلقد ظهر ان الكتاب الذى يتناول تاريخ الموحديين والذى نشره ريسى (Huici) على أنه مؤلف مجهول، وذلك تحت عنوان "Anonimo de Madrid y Copenhague"

بالاسبانية وكتاب التواريخ لابن بسام بالعربية (هدريد - بلنسيا ١٩١٧) . ليس الا مختصرا لهذا القسم . وعلى ذلك فهو الجزء الرابع والأخير من بيان ابن عذارى (انظر مقدمة بروفنسسال للطبعة الأخيرة للجزء الأول من البيان (بالفرنسية) ص ٧ . والحقيقة أنه أمكن التعرف قبل ذلك على أن الكتاب المجهول المؤلف الذى نشره ريسى هو لابن عذارى . بفضل مقارنة بعض نصوصه بالمقتطفات التى اقتبسها منه ابن الخطيب فى الاحاطة بأخبار غرناطة . ولقد نشر هذا الجزء بعرفة ريسى وابراهيم الكنانى . تطوان ، سنة ١٩٦٣ .

(٤٨) انظر . نص جديد عن فتح العرب للمغرب . دراسة النص ، ص ١٩٨ . وقارن مقدمة دسلان (De Slane) لكتاب البكري ، طبعة ١٩١١ ، ص ١٦ (حيث يقول انه يفهم من السكري ان محمد بن يوسف قيرواني الاصل بينما يؤكد ابن حزم انه أندلسي صميم من إقليم وادي الحجرة وهذا ما ينص عليه الحميدى فى حلوة المكتسب ، مجموعة ترانثا ، المكتبة الاملسية . رقم ٣ ط . القاهرة ، سنة ١٩٦٦ . ترجمة رقم ١٦٠) .

(٤٩) Pons Boigues p. 279. وعبد السلام بن سوادة ، دليل مؤرخ المغرب الاملى تطوان ١٩٥٠ . ص ١٠٨٤) وانظر مقدمة كتاب أخبار المهدي (السيد Documents in édits) بالفرنسية . ص ١ هامش ١ ، ونص جديد عن فتح العرب للمغرب

دراسة النص ، ص ٢٠٠ وهامش ٢ .

٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م) في تاريخ المغرب اسمه « العبر » (٥٠) الذي نقل عنه كثير من المتأخرين ، وكتاب « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » ليوسف بن عبد البر النمري ، القرطبي مولداً وأنشأه في وفاة (٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م - ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) (٥١) . ومنها كتاب للقيه التاريخي أبي علي صالح بن الشيخ أبي صالح عبد الحليم ، نزيل نفيس . وهنا نشير إلى أن ابن هذا المؤرخ وهو عبد الله بن صالح بن عبد الحليم له كتاب في أخبار البربر ، ومنه قطعة صغيرة نشرها الأستاذ بروفنسال تحت عنوان « نص جديد عن فتح العرب للمغرب » ، في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد سنة ١٩٥٤ ، بعد دراسة وتحليل لمادتها نشره في العدد الأول من مجلة « ارابيكا » (٥٢) .

وبفضل القطع التي احتفظ لنا بها ابن عذارى ، من هذه الكتب الضائعة (إلى الآن) ، أسدى خدمة جليلة لتاريخ المغرب الإسلامي ، وضم مجموعة قيمة من النصوص التي لا تقدر قيمتها ، بثمن ، كما يقول بروفنسال (٥٣) .

البكري :

ومن أهم من نقل عنهم ابن عذارى أبو عبيد البكري (توفي ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) صاحب المسالك والممالك . ولحسن الحظ أنه وصلنا من هذا الكتاب الجزء الخاص بصفة المغرب (كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب - نشر دسلان (De Slane) الجزائر ، ١٩١١) . ورغم أن كتاب البكري من كتب المكتبة الجغرافية العربية إلا أننا نذكره بين كتب التاريخ ، نظراً

(٥٠) أنظر النص الجديد ، ص ٢٠٠ وهامش ١ حيث الإشارة إلى
F. Pons Boigues, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos árabigoespañoles, Madrid, 1898, p. 138
(No. 103)

وأنظر ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، تحقيق مختار العبادي ، ط . مدريد ، القلعة ، ص ٢٠ (حيث الإشارة إلى أن ابن الكردبوس يسمي كتاب ابن أبي الفياض بـ « العبر » و « العبرة » و « صلة السطح وسمة المرط ») .

(٥١) نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، من ٢٠٠ وهامش ٢ ، حيث يرجع بروفنسال إلى النص المطبوع على هامش الاصابة لابن حجر ، طبعة القاهرة ١٣٢٣ - ١٣٢٧ ، ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩ . وكتاب الاستيعاب من مجموعة كتب التراجم العامة .

(٥٢) أنظر النص الجديد ، صحيفة المعهد المصري بمدريد ، ص ٢٠٢ .

(٥٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

للمعلومات التاريخية الهامة التي يحويها بين دفتيه . والتي جعلته مرجعا لكل من أتى بعده من المؤرخين . من القدامى والمحدثين . وتتلخص أهمية كتاب البكري في انه احتفظ لنا بمعلومات تاريخية نفىها من أهميات المصادر التي لم تصل إلينا . وأهمها مؤلفات محمد بن يوسف الوراق (٢٩٦ هـ / ٩٠٤ م - ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م) المعروف بالتاريخي^(٥٤) ، والذي ألف - تلبية لرغبة خليفة قرطبة الحكم المستنصر - عددا من الكتب التاريخية والجغرافية عن إفريقية . وفي هذه الكتب التي لم تصل إلينا كتب في تاريخ كثير من مدن المغرب ، مثل تاريخ تونس ، وتاريخ تاهرت ، وتاريخ وهران . وتاريخ سبتة . وتاريخ تكور . وتاريخ أبصرة (بصرة المغرب الأقصى) . وتاريخ سجلماسة^(٥٥) . هذا ، كما يفهم من المعلومات الدقيقة ، وخاصة الإحصائية منها . أن البكري نقل عن الوثائق والأوراق الرسمية القديمة التي كانت محفوظة على أيامه في ديوان قرطبة^(٥٦) .

وأخيرا نلاحظ أن البكري لا يكتفى بالنقل من المؤرخين العرب ، بل ينقل أيضا من بعض مؤلفات كتاب الأفرنج في تاريخ المغرب قبل الفتح العربي ، مثل معلوماته عن حروب زروما وقرطاجنة . وكذلك معلوماته عن المسيحية في المغرب . ونحن نرى أن كثيرا من معلوماته عن المسيحية في المغرب منقولة من كتب قديمة (سابقة لنصر الذي يدون هو فيه) ، ولكنه يكاد يوقعنا في الخطأ عندما يسجل هذه المعلومات على أنها معلوماته الخاصة^(٥٧) وهذا ما يفسر كيف انفرد بمعلوماته عن انتعاش المسيحية في المغرب حتى القرن الخامس الهجري . وذلك ما لم يشر إليه غيره ، حتى من كتاب العرب الأوائل ، مثل فعل السعدي من قبل عندما كان ينقل بعض كتاب اللاتين القدماء ويتبعيا بوضع التاريخ الذي يكتب هو فيه (سنة ٣٣٢ هـ / ٤٣ - ٩٤٤ م)^(٥٨) .

(٥٤) انظر فيما سبق . ص ٢٥ ، ٢٨ والهوامش .

(٥٥) انظر منه دسلاي (De Slane) للبكري . ص ١٦ .

(٥٦) نفس المصدر ، ص ١٣ - ١٤ .

(٥٧) انظر فيما سبق ، ص ١١٩ وهـ ٢٦٥ وص ١٢٦ . ولا بأس من الإشارة هنا الى أن صاحب مكتب الاستبصار (ص ٨٨) الذي ينقل كثيرا عن البكري ، يفعل مثل ذلك عند كلامه عن مصر . وهو عندما يسجل رواية السعدي (يكتب سنة ٣٣٢ هـ / ٤٣ - ٩٤٤ م) عن مدينتي تيسر ودمياط . التي تقول انه يسكنهما و نصارى هو الآن تحت الذمة بعد الله ، ، بضيف ونحوه لأن في سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م .

(٥٨) انظر معلومات السعدي عن قبر الاسكندر التي يوردها عند كلامه في تاريخ هلوك

اليوميات ا مروج الذهب طبعة الجديدة . ج ١ ص ٢٩٢ . وانظر للمؤلف في ، تاريخ =

ابن خلدون : العبر :

ويعتبر القسم الخاص بتاريخ البربر من كتاب العبر لابن خلدون - الى جانب المقدمة - من أهم مصادر تاريخ المغرب (٥٩) . فرغم تأخر ابن خلدون (توفي سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) فان كتابه لا يعتبر مهما بالنسبة للفترة المعاصرة له ، بل بالنسبة لأقدم عصور المغرب العربي ، وذلك للسببين المعروفين اللذين اختص بهما ابن خلدون ، وأولهما : ملكة المؤرخ العبقري الموهوب (٦٠) التي جعلته يفهم التاريخ بمعناه الحقيقي الشامل ، الذي يتلخص في أن الحدث التاريخي أكبر من أن يكون حدثا سياسيا فقط ، بل هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك النفسية أيضا . وهذا ما دعا ابن خلدون الى انكلام عن كل هذه القنون في المقدمة حتى جعل مفهوم التاريخ أشبه ما يكون بمفهوم الحضارة ، أي جعله تاريخا للأمم والشعوب بدلا من سير الملوك والأمراء أو طبقات الأعيان . وهذا ما سماه البعض « فلسفة التاريخ » وهو في الحقيقة ليس الا التاريخ - كما ينبغي أن يكون -

= الإسكندرية الإسلامية في كتاب تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور ، طبعة الاسكندرية سنة ١٩٦٢ ، ص ٢٣٩ .

(٥٩) الحقيقة أن ابن خلدون كان يقصد في أول الامر كتابة تاريخ المغرب فقط قبل أن يجعل تاريخه عاما ، وذلك لتخصمه في معرفة أحوال بلاده ، حتى يكون الكتاب أميلا لا يعتمد على النقل كما فعل غيره . وهذا ما سجله في المقدمة عندما يقول : « وأنا فاكرو في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي ... لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجيساله وأمه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأقطار لعدم اطلاعي على أحوال المشرق وأمه ، وإن الأخبار المتناقلة لا تفي كنه ما أريد منه » (المقدمة ، طبعة التجارية ، ص ٢٢) . ولقد عرف الأوروبيون أهمية المقدمة والقسم الخاص بتاريخ المغرب ، فطبعا في أوروبا أكثر من مرة كما ترجما الى أكثر من لغة . ولقد كان تاريخ ابن خلدون موضع عناية البارون صسلان الفرنسي - الذي شغل منصب المترجم الرسمي للقوات الفرنسية في الجزائر - الذي ترجم المقدمة تحت عنوان (Les Prolégomènes) . كما ترجم القسم الخاص بتاريخ المغرب تحت عنوان (Histoire de Berbères) . ولقد صار ابن خلدون موضع عناية العلماء والدارسين الأوروبيين حتى فاقت الدراسات التي اتخذته موضوعا لها غيرها من الدراسات الخاصة بغيره من أعلام مفكري العروبة والإسلام أنظر مقدمة :

W.J. Fischel, Ibn Khaldun and Tamerlane, Barkeley -
Los Angeles, 1952.

(٦٠) لا بأس من الإشارة هنا الى ما يقوله جوتييه من أن بلاد المغرب ليس لديها من مشاهير الرجال الذين يمكن وضعهم في طبقة ابن خلدون الا القلائل مثل هاتيبال والقديس أغسطس . (Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord, p. 80)

فما عن السبب الثاني الذي يجعلنا نجزئه الخاص بتاريخ المغرب (أو تاريخ البربر) أهمية خاصة، فهو أن معظم النظريات التاريخية التي استنبطها ابن خلدون كانت نتيجة تدراسه لتاريخ المغرب، إلى جانب تجاربه الخاصة أثناء عمه وتجوّاه في خدمة ميوك الحفصيين في تونس، وبنى عبد الواد في تنسنا، وبنى مرين في فاس، وبنى الأحمر النصريين في غرناطة، قبل رحيله إلى مصر والنساج، بنظرية العصبية، التي جعل منها أساساً لقياس الدول، مستمدة من تاريخ القبائل البربرية والعربية في المغرب، فهي في المغرب أوضح منها في أي إقليم آخر، ولهذا السبب نجد أنه يكتب تاريخ المغرب أكثر من مرة، فهو يكتبه بشكل عام على أنه تاريخ دول ثم انه يعود ليكتبه أكثر من مرة، عندما يستقصى أخبار القبائل كل على حدة .

وإلى جانب ذلك نضيف أن ابن خلدون - بفضل علمه ومركزه الاجتماعي - كان في موقف يسمح له بالاطلاع على أهميات مراجع تاريخ المغرب، وكثير من هذه المراجع لم يصل إلينا، وهو يذكر مراجعه في بعض الأحيان، ولكنه يمس الإشارة إليها في أحيان كثيرة، فهو يعرفنا بنسب البربر القدماء من العرب ومن أهل البلاد على السواء (انظر فيما بعد، ص ٢٥) - وهو ينقل من اجكري الذي لم يصننا من موسوعته إلا بعض من انقطع أهمها صفة المغرب، وينقل من الرقبوق وابن رشيوق، وكذلك من ابن عذارى، ولو أنه لم يكتب نصه مشقة الإشارة إلى كتاب هذا الأخير (٦١)، كما يذكر بأن ابن خلدون لم يلتزم في كتابة تاريخه قواعد النقد التي أصر عليها في المقدمة، في الفصل الخاص بفضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والأشع لما يعرف للمؤرخين من المبالغ (٦٢) . هذا، كما أنه ينقل عن المغرب معنومات لبعض قدامى المؤرخين من المشاركة، مثل المسعودي الذي يتخذ نمودج للمؤرخ بعض كتابه مروج الذهب، لأنه : شرح فيه أحوال الأمم والآثار، وذكر نعيم وعوائدهم، ووصف البمدان والجبال والبحار والسمك والدول، وفرق شعوب العرب والعجم، فصار ماما للمؤرخين، (٦٣)

٦١. انظر عن حرب عن فتح العرب لمغرب، صحيفه المعهد المصري لدرية سنة ١٩٥٥ .
ص ١١٥ .
٦٢. عن مقدمه صفة الجزيرة، ص ٢٨ .
٦٣. وابن خلدون مصر المسعودي استاذ الكرى من النسخ، مقدمه ص ٢٢ . كما يعتبر منه حصة له بالنسبة لعمده - رغم قصور المسعودي من سبب أحوال المغرب - ويصير منه، المغرب، سبب - صفة مروج الذهب، وهو من نفس المؤلف مودج (فصل ١) من الجزء من المؤرخين مقدمه ص ٢٣ .

ومثل الطبرى . ولا تجد هذه المعلومات - حاليا - فيما لدينا من كتبهم انى
وصلتنا ملخصة أو مختصرة ، كما هو معلوم .

فى الكتب الشرقية :

الطبرى وخليفة بن خياط :

الى عهد قريب كان كتاب الطبرى يعتبر أقدم كتب التاريخ العام المشرقية
التي تتبع نظام الحوليات فى سرد الأحداث ، وذلك أن كتابا آخر توأحد من
أقدم وأشهر مؤرخى المشرق لم يكن قد رأى النور بعد ، وهو تاريخ خليفة
بن خياط ، المتوفى حوالى سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م ، أى قبل وفاة الطبرى بأكثر
من نصف قرن . ومن غريب الصدف أن ينال تاريخ خليفة بن خياط اهتمام
باحثين دفعة واحدة هما سهيل زكار الذى نشره فى دمشق سنة ١٩٦٧ ،
وأكرم امرى الذى نشره فى النجف فى نفس سنة ١٩٦٧ ، كما نشر كتابا
آخر لابن خياط ، قريب الصلة بالتاريخ ، هو : كتاب الطبقات (٦٤) .

وإذا كانت رواية خليفة بن خياط تعتبر مختصرة جدا على وجه العموم
بالنسبة لروايات الطبرى التي تتصف بالتعدد والأسهاب ، فإن تاريخ ابن
خياط يتميز بتتبع الأحداث خلال حولياته فى المغرب فى حرص شديد ،
وكانه يحرص على الربط الزمنى بينهما دون أن يسقط بعضها .
وهكذا ما يتجلى فى فتوح المغرب والأندلس حيث ذكر لكثير من
الصوائف والتسواتى فى البر والبحر جميعا ، مما لا نجد لها نظيرا
فى كتب التاريخ المبكرة الأخرى ، مثل : ابن عبد الحكيم والبلاذرى والطبرى .
وكذلك القطعة التي نشرت من الرقيق القيروانى . وعن هذا الطريق تضاق
حادة مشرقية جديدة الى الأدب التاريخى الخاص بالمغرب والأندلس فى عصوره
المبكرة (أنظر فيما بعد ، ص ٣٦) ، وإن كان عدد من أسماء المواضع
والأشخاص فى كل من نشرتى دمشق والنجف ما زال فى حاجة الى التحقيق .
أما عن كتاب الطبرى (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ، أشهر كتب التاريخ العام
المشرقية ، فإنه ينقل عن كثير من كتاب المغازى الأوائل الذين لم تصل اليها

(٦٤) وإذا كنا لا نعرف عن حياة خليفة بن خياط إلا أنه ولد فى البصرة ، فمن المعروف
أنه كتب خمسة كتب لم يبق لنا منها إلا الكتابين المذكوران : فى التاريخ وفى طبقات الرجال .
أنظر ناجى حسن ، دور القبائل العربية فى المشرق خلال العصر الأموى ، رسالة دكتوراه
بالإنجليزية ، ط ١ - بغداد ، ٧٥ - ١٩٧٦ ، ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، وإن كان لا يذكر تحقيق
المرى .

كتبهم ، مثل الواقدي (ولو أنه يكاد يشير الشك حول روايته عندما يسبقها في كثير من الأحيان بكنتى ، وزعم الواقدي ، ، كما أشرنا ، والمدائني . ولكن عيبه أنه لم يهتم بالمغرب ، مما أثار دهشة ابن الأثير عند حديثه عن فتح الأندلس . فبعد أن أورد الأسطر القليلة التي سجلها الطبري ، قال : هذا جميعه ذكره أبو جعفر في فتح الأندلس ، وبمثل ذلك الإقليم العظيم والفتح المبين لا يقتصر فيه على هذا القدر ، وأنا أذكر فتحها على وجه أتم من هذا - إن شاء الله تعالى - من تصانيف أهلها إذ هم أعلم ببلادهم (٦٥) .

ابن الأثير :

ولقد أكمل ابن الأثير (توفي ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) هذا النقص عندما خص كتاب الطبري وسد ثغراته ، فرجع إلى كتب أهل الثقة من المغاربة ، ولو أنه أهمل الإشارة إلى مراجعه تلك . ويمكن بالمقارنة تحقيق بعض مصادر ابن الأثير ، وأهمها كتب أرقيق ومحمد بن يوسف الوراق والبكري ، وفيما يتعلق بقيام الدولة الفاطمية يلخص ابن الأثير رواية القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة ، كما يأتي . هذا كما يتضح أن من بين معلومات ابن الأثير أشياء مستمدة من كتب أفرنجية قديمة في تاريخ المغرب والأندلس قبيل الإسلام (٦٦) ، وليس بغريب على ابن الأثير أن يكون قد رجع إلى ترجمات هذه الكتب ، ولم ينقلها عن سابقيه مثل المسعودي أو البكري .

والحقيقة أن ابن الأثير مؤرخ محقق موهوب ، فهو رغم اهماله ذكر مصادره في كثير من الأحيان ، يعنى بصحة معلوماته . وهو في ذلك ، وفي النقد التاريخي له فضل السبق على ابن خلدون . ولقد ترتب على ذلك أن كتابه « الكامل » ليس مهماً بالنسبة للقرون المتأخرة فقط ، بل بالنسبة لأقدم العصور الإسلامية ، وليس بالنسبة للمشرق فحسب - كما هو الحال بالنسبة للطبري - بل بالنسبة لبلاد المغرب والأندلس أيضاً . ولقد تنبه الأوروبيون إلى ذلك ، فجمع فانيان (Fagnan) المعلومات الخاصة بالمغرب

(٦٥) ابن الأثير ، أحداث سنة ٩٢ .

(٦٦) انظر فتح الأندلس لـ ابن الأثير (أحداث سنة ٩٢) حيث المعلومات الخاصة بالملك وكرود (Recared) والملح الكنسي الذي قرر أن تكون الكاثوليكية هي الديانة الرسمية للبلاد (وقانون برويسال . تاريخ اسبانيا الإسلامية ، بالفرنسية ، ص ٥) .

والأندلس من « الكامل » ، وترجمها إلى الفرنسية تحت عنوان « حوليات المغرب والأندلس » (Annales du Maghreb et de l'Espagne) هذا كما أثبتت المكتشفات الحديثة من الوثائق والأوراق الرسمية صحة معلومات ابن الأثير عن تاريخ المغرب الأقصى في القرن السادس الهجري (١٢ م) (٦٧) :

النويري :

وعن ابن الأثير نقل كثير من المتأخرين مثل ابن خلدون والنويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم توفي سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) ، والقسم الحُصَّاص بتاريخ المغرب والأندلس من كتاب النويري المعروف بنهاية الأرب في فنون الأدب له أهمية خاصة . فرغم أن الكتاب (الذي ما زال في معظمه مخطوطا لم ينشر إلا الأجزاء الأولى منه) عبارة عن موسوعة عامة كبرى في الأدب والجغرافية والتاريخ والاجتماع (مثل صبح الأعشى للقلقشندي ومسالك الأبحصار للعمري) ، فإن الجزء الثاني والعشرين منه خصصه النويري لتاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح العربي إلى أيامه (٦٨) ورغم أن النويري متأخر بالنسبة للفترة التي ندرسها ، ورغم أنه ينقل كثيرا عن ابن الأثير إلا أنه احتفظ لنا بقطع نادرة من بعض الكتب التي لم تصل إلينا ، وخاصة كتب المغاربة مثل الرقيق الذي ينقله بتفصيلاته دون حذف أو تغيير عندما يعرض لتاريخ الأغالبة ، سواء في إفريقية أو في صقلية .

وتاريخ المغرب للنويري أشبه ما يكون بكتاب حديث فهو مرتب منسق ، وهو لا يهتم كثيرا بإيراد اختلافات الرواة ، بل يأخذ بالرواية التي يفضئها . وإذا كان ذلك يمكن أن يعتبر من حسناته بصفته سهل التناول ،

E. Lévi — Provençal Un Recueil de lettres officielles (٦٧)
almohades, étude diplomatique, Paris, 1942, pp. 30, 36, 38, 40 etc.

(٦٨) مخطوط دار الكتب ، رقم ١٨٦٦٨ . ولقد نظرنا في النسخة المصورة المحفوظة
بمكتبة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية رقم ٢٢ م وقارناها بما ترجمه منها د. سلاف
De Slane في ملاحظته لابن خلدون . ولقد نشر هذا الجزء وترجم بعرفة جاسار ريمير
Gaspar (Remira) ، غرناطة سنة ١٩١٥ - ١٩١٦ ، في

Revista del Estudios Historicos de Granada y su reino

وهنا لا بأس من الإشارة إلى موسوعة العمري (توفي سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) المعروفة
بمسالك الأبحصار . وبها جزء عن المغرب نقله إلى الفرنسية مع دراسة عميقة جودفروا ديمومبين
(Gaudafroy—Demombynes) ولكنه يتناول الفترة القرطبية من المؤرخ .

يقصد أن الغرض مباشرة ، إلا أنه يضعف من قيمته كمصدر أصيل ، إذا ما قورن بغيره من الكتاب الذين اهتموا بتسجيل اختلاف الرواة في المسألة الواحدة ، تاركين الأمر لتفسير الباحث ، أو مرجحين بعض الروايات على غيرها .

كتب التاريخ الخاص :

بعد هذا العرض نكتب المغازي وكتب التاريخ العام من مشرقية ومغربية مما يرجع إليه في دراسة تاريخ المغرب بشكل عام منذ الفتح العربي وحتى الوقت الذي يتوقف عنده المؤلف ، نستعرض كتب التاريخ الخاصة بـ دول المغرب التي تدرسها ، وهي : دول الأغالبة والرسّيين والأدارسة ثم دولة الفاطميين في بداية أمرها في المغرب .

في الأغالبة :

وفي الوقت الراهن لا نجد تحت أيدينا مؤلفات خاصة بتاريخ الدولة الأغلبيّة . فكتاب الأمير محمد بن زيادة الله بن الأغلب ، الذي دون فيه أخبار أسرته إلى ما قبل وفاته سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م ، (٦٩) لم يصل إلينا ، وكذلك الحال بالنسبة لتاريخ الرقيق أو الوراق وغيرهم من المؤرخين القيروانيين ، وبذلك ليس أمامنا لدراسة تاريخ الأغالبة سوى كتب التاريخ العام من مشرقية ومغربية ، وفي مقدمتها : كتب ابن الأثير ، وابن عذاري ، والنويري .

وتظهر أهمية تاريخ النويري بالنسبة للأغالبة في الروايات المستفيضة التي ينقلها من كتاب الرقيق ، فكأنه لم يترك من كتاب القيرواني أنتج شيئاً . وهذا ما يميز روايته عن رواية ابن الأثير التي اكتفى بتلخيص الرقيق والوراق وبقاضي النعمان . وغيرهم من مؤرخي المغرب . وهكذا فإذا كان انتقال دون تصرف مما يعيب الكتاب - قديماً وحديثاً - فإننا نحمد للنويري نقله المسهب من الرقيق ، وعدم قناعته بنقل ملخصات ابن الأثير ، كما فعل في غير تاريخ الأغالبة من أراضيه .

وإذا كنا نحمد للنويري أنه نقل الرقيق دون تصرف ، فإن ابن عذاري له فضل ترتيب الأحداث التي نقلها من الرقيق ترتيباً تاريخياً موفقاً بفضل

(٦٩) انظر مقدمة كتاب تاريخ الرضا والمغرب للرقيق من ١٥ ، وانظر فيما سبق .

طريقته في الكتابة التي جمعت ما بين المنهج الزمني ، الممثل في الحوليات أو السنويات ، والمنهج الموضوعي ، الذي يعالج غيوب الطريقة الحولية باستيفاء الموضوعات الهامة في مناسباتها المرافقة . وهو المنهج التاريخي الذي نبع فيه ابن الأثير ، وسار على منواله من أتى بعده من الكتاب .

في الرستميين :

وفيما يتعلق بدراسة تاريخ خوارج المغرب ودولة الرستميين في تاهرت - يكاد المؤرخ يفتقد المصادر المعتبرة بشكل تام ، وهو الأمر المنطقي بالنسبة لحركات ثورية مناهضة لدولة اخلافة ، ودويلات معادية لاجتماع أهل السنة ، لا تجد من يكتب عنها - ليس بانصاف فقط بل وبكفاءة أيضا - الا فيما ندر . فكتاب أهل السنة من رسميين وغير رسميين يقفون موقف معاديا من جماعات الإباضية ، ومن دويلات الإباضية والصفيرية نتيجة لعدم اطلاعهم المباشر على أحوال تلك الجماعات . وكتاب الخوارج أنفسهم متعصبون لأهل مذهبهم لا يجدون الا الروايات المنقبة التي يحتفظون بها لأنفسهم ، فكانها أدب سرى نيس للتداول خارج نطاق الجماعة ، مما عرض كثيرا من كتبهم للضياع في ظلال تلك السرية القائمة ، ان لم يكن للتبديل والمسح .

ابن الصغير :

هذا ، وليس من الغريب ألا يصل إلينا في تاريخ الدولة الرستمية الا كتاب واحد معاصر ، وعدد قليل من كتب السير والطبقات المنقبة ، يرجع أقدمها ، الى القرن الخامس الهجري (١١ م) . والكتاب المعاصر لابن الصغير ، في ذكر بعض الأخبار في الأئمة الرستميين ، الذي قدمه موتيلينسكي الى المؤتمر الدولي الرابع للمستشرقين ونشره في باريس ١٩٠٧ مع دراسة بالفرنسية (٧٠) .

والمؤلف ، ابن الصغير ، مالكى من أهل تاهرت ، دون كتابه حوالي سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م على أواخر أيام الرستميين ، فهو معاصر للأحداث ، وهو في موقف يسمح له بالكتابة بانصاف : إذ جمع في شخصه بين حبه لبلده تاهرت ، وعدم التحيز لأنتميا الإباضية ، بصفته سنيا ، وهذا ما يقرره بنفسه

عندما يقول : انه لن يعرف ولا يزيد ولا ينقص : فانقص والزيادة ليس من شيم ذوى الثروات ولا من أخلاق ذوى انديانات ، وان كنا للمقوم مبغضين ، وليسيرهم كارهين ، ولذا هبهم مستقلين (٧١) . وهكذا لا يعيب كتاب ابن الصغير الا انه تاريخ قصصى وليس تاريخا سياسيا بالمعنى المطلوب . فهو يعتمد على الرويات الشفهية التي يسمعا من الأباضية عن الأحداث الخاصة بالإئمة منذ تأسيس الامامة الرستمية فى تاهرت وقبل تأسيسها ، مما مضى عليه مائة عام أو يزيد الى جانب مشاهداته وما عاصره من الاحداث ، وبعض كتب المذهب الأباضية التي قرأها (٧٢) .

وهكذا ، فاذا كانت رواية ابن الصغير مهمة بالنسبة لبعض الأحداث التي مر عليها كتاب الأباضية مروا سريعا ، فقد كان من المنضم ان تعانى من الروايات الشفهية ، من : الطابع القصصى ، والأشميم ، وعدم القدرة على تحديد التواريخ . فهو مثلا لا يعرف مدة حكم أول أئمة تاهرت : عبد الرحمن بن رستم . ويعتدز بقوله : « وقد كنت وقعت على عدد سننى امارته كم كانت ، ولكنى نسيتهما مع مرور الايام (٧٣) » واذا كان ابن الصغير قد أظهر فى هذا الموضع حسا تاريخيا عندما اعتذر عن ذكر سنوات حكم الامام الأول ، فهو يفشل تواريخ ولاية من أتى بعده من الأئمة ، وبالتالي يضرب صفحا عن ذكر سنوات حكمهم . هذا ، الى جانب ما أهمله من الأخبار الهامة مما يقلل من قيمة الرواية من وجهة النظر التاريخية ، رغم ما تحويه من معلومات ثمينة انفرد بها ابن الصغير ، وتميز بها عن بقية كتاب الأباضية ، وخاصة بالنسبة للأحداث القريبة من عهده فى تاهرت .

أبو زكريا :

أما عدة كتب الأباضية بالنسبة لتاريخ تاهرت الرستمية ، فهو كتاب أبى زكريا يحيى بن أبى بكر الوردجلاى ، المعروف بـ « كتاب السير وأخبار الأئمة » ، رغم أن صاحبه من رجال القرن الخامس الهجرى (١١ م) . ولقد نشر مسكرامى الكتاب تحت عنوان أخبار أبى زكريا ، فى سنة ١٨٧٨ (٧٤) .

(٧١) انظر ابن الصغير ، ص ١٠ .

(٧٢) ابن الصغير ، ص ١٧ .

(٧٣) ابن الصغير ، ص ١٦ .

E. Masqueray, Chronique d'Abou Zakaria, Alger — (٧٤)
Paris 1878.

ولكنه لما لم يتيسر لنا الرجوع الى النص المنشور ، فقد اطلعنا على مخطوط دار الكتب المصرية (رقم ح / ٩٠٣٠) .

والكتاب ، كما يفهم من عنوانه ، يجمع بين التاريخ المتمثل في أخبار الأئمة ، وبين السير الممتلئة في تراجم واعمال مشايخ المذهب . فهو يستعرض تاريخ ائمة تاهرت واحدا بعد الآخر ، ويجمع كل ما كان معروفا عن الإباضية حتى وقت تأليفه - دون الاشارة الى مصادره ، وخاصة الأخبار المنقبة والمتعلقة بالانشقاقات المنهية . ورغم انطباع القصص لأخبار أبي زكريا التي يظهر فيها أثر أخبار الأئمة لابن الصغير في عدد من المواضع ، ورغم غلبة الطابع المنقبي المتمثل في الكرامات والأخبار الاسطورية ، فان المؤلف يهتم في بعض الأحيان بالتحديدات المكانية للأحداث ، وضبطها من الناحية الزمنية ، مما يعطيها طابع التاريخ السياسي الجاد ، وان كان يتقصه التوثيق . فهو يحدد امامة عبد الرحمن بن رستم بسنة ١٦٠ هـ / ٧٦ - ٧٧٧ م ، كما يشير الى رأى من ذكر سنة ١٦٢ هـ / ٧٨ - ٧٧٩ م (٧٥) ، وهو يحدد بعض مواقع الانشقاق الثاني على عهد الامام أفلح بن عبد الوهاب بعشية الخميس ١٣ رجب سنة ٢٢١ هـ / ٢ يولية ٨٣٦ م (٧٦) ، مما يبنى انه اطلع على بعض انكتب التاريخية الجادة ، وان أهمل الاشارة اليها . وهو يحدد بعد ذلك امامة أفلح بـ ٦٠ (ستين) سنة ، وامامة محمد بن أفلح بـ ٤٠ (أربعين) سنة ، وولاية يوسف بن محمد بـ ١٤ (أربع عشرة) سنة ، كما يقدم تفصيلات جيدة - وسط الأخبار المنقبية - عن واقعة مانو الهامة ، في جبل نفوسة ، بين الإباضية والأغالبة ، وان كان أهمل تحديد تاريخها (٧٧) (سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م) الذي نجده في ابن عذارى .

والى جانب أخبار الإباضية يحتوى كتاب أبي زكريا على قطعة جيدة من أخبار عبيد الله المهدي ، خاصة برحلته من المشرق الى سجلماسة واستيلاء الداعي على تاهرت ، نظن انها مأخوذة من كتب الفاطميين الأولى ، مثل : كتاب القاضي النعمان المعروف بافتتاح الدعوة ، أو سيرة الحاجب جعفر لمحمد اليماني ، واستتار الامام لأحمد بن إبراهيم النيسابوري ، التي ستشير اليها ، مما كان دارجا بين اباضية المغرب في القرن الخامس الهجري (١١ م) ، بعد نقلة

(٧٥) المخطوط ، ص ١٣ - ١ .

(٧٦) انظر المخطوط ، ص ٢٨ - ب .

(٧٧) انظر المخطوط ، ص ٣٣ - أ .

الفاطميين الى مصر والقطيعة بينهم وبين بنى زيرى فى افريقية .

لكل ذلك لم يكن من الغريب أن يصبح كتاب أبى زكريا هو المصدر الذى نهل منه مؤرخو الأباضية والرسّامين فيما بعد ، كما أصبح النموذج الذى اقتدى به كتابهم فى العصور التالية .

الدرجيني :

وأهم من اقتدى بكتاب أبى زكريا ، هو أبو العباس أحمد الدرجيني ، فى كتابه المعروف بـ « طبقات الأباضية » ، الذى نظرنا فى مخطوطته بدار الكتب المصرية (رقم ١٢٥٦١ ح-صورة عن المخطوط الأصل رقم ٢٦١٢ تاريخ تيمور) ، قبل أن نطلع على طبعة الجزائر التى قام بها إبراهيم طلالى (البليلة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) .

والدرجيني من رجال القرن السابع الهجرى (١٣ م) ، وهو يسير فى كتاب الطبقات على نفس نهج أبى زكريا فينقله ، ويضيف اليه اضافات من عنده . وبناء على ذلك فإن ما وجهناه من نقد أو تقرّظ لكتاب أبى زكريا ينطبق على طبقات الدرجيني . فهو كتاب منقّبى يحتوى على أخبار أئمة قاهرت وسير مشايخ المذهب التى كانت معروفة على أيام المؤلف . من تاريخية وأسطورية . وإذا كان الدرجيني قد أضاف الى معطومات أبى زكريا بعض التحديدات الزمنية ، كما اعتنى بتزويدها ببعض المعلومات التاريخية عن خوارج المشرق وأباضية المغرب ، كذلك التى نقلها من مسالك البكرى ، منسوبة اليه (٧٨) أو الى من أخذ عنهم مثل : محمد الوراق (٧٩) ، وعن بدابة عبيد الله الميلى نقلًا عن أرقيق فى تاريخ افريقية (٨٠) ، مما يسير بمستوى الروايات القصصية نحو مستوى المعلومات التاريخية ، فإن فضل السبق يبقى لأبى زكريا الذى يظل كتابه المصدر الأول للدرجيني .

الوسيانى :

ومن كتب الأباضية التى تعتبر كمهزة الوصل بين كتاب أبى زكريا وكتاب الدرجيني ، من الناحية الزمنية على الأقل ، « كتاب السير » لأبى الربيع سليمان بن عبد السلام الوسيانى ، الذى اطلعنا على مخطوطته

(٧٨) انظر المخطوط ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٧٩) انظر المخطوط ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٨٠) انظر المخطوط ، ص ٤٠ - ٤١ .

المحفوظة بدار الكتب المصرية (رقم ح/ ٩١١٣) (٨١) .

والواضح من التواريخ التي يقدمها الوسياني في الكتاب انه من رجال
القرن السادس الهجري (١٢ م) ، ومن دراسة تلك التواريخ يمكن القول
انه توفي في أوائل النصف الثاني من ذلك القرن . وهو لذلك يعتبر خليفة
أبي زكريا بين مؤرخي الإباضية . وكتاب السير للوسياني من نوع الطبقات
المنقبية في أخبار منسابع جبل نفوسة ، بلد المؤلف ، فهو إذن من النوع
القصصي ، رغم اجتهاد الوسياني في تحري الصحة ، كما يقول في المقدمة
ودعونه من يجد غلطا في الكتاب أن يصلحه (٨٢) . أما عن الغرض من الكتاب ،
مثل غيره من كتب المناقب . فهو تربوي ، كما ينص المؤلف في خاتمة الجزء
الثاني ، اذ يقول : « تم ما وجدت من سير المشايخ رحمة الله عليهم ورضوانه
لديهم ، وفقنا الله لاتباع سيرهم السنية والنخلق بأخلاقهم النيرة ، وعصمنا
من نبذها والنهاون بها . وأفاض علينا مجال بركاتهم ، وحشينا في زمرةهم ،
أمين يارب العالمين (٨٣) » .

هذا ، ويمكن أن يوضح الكتاب أيضا - مثل سير أبي زكريا وطبقات
الندرجيني - بين كتب الفقه ، وذلك أن من أهدافه : التعريف بقواعد الفقه
الإباضي ، من أجل تنظيم حياة الناس العامة والخاصة ، وهو الأمر الذي يظهر
في فتاوى المشايخ (٨٤) .

(٨١) ولقد تقدمنا بدراسة لهذا الكتاب إلى مؤتمر تاريخ المغرب بتونس - ديسمبر ١٩٧٤ -
حملنا عنوانها : « هامس على مصادر تاريخ الإباضية في المغرب : دراسة لكتاب السير لأبي الوصي
سليمان عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني ، من مخطوطات دار الكتب المصرية » -
نرجو أن يكون قد تم طبعه . وأملنا أن نجعل تلك الدراسة مقفلة للكتاب - الذي يقسه
محبوه إلى ثلاثة كتب ، لكل منها مقدمته الخاصة وخاتمة - اذا وفقنا الله إلى تحقيقه ونشره ؛
عنا قريب .

(٨٢) المخطوط ، ورقة ٢ وجه .

(٨٣) المخطوط ، ورقة ١٣٧ ظهر .

(٨٤) ولا بأس من الإشارة هنا إلى وجود من كتب الفقه الإباضي اهتماما ، هو كتاب :
« نسي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوردجاني (قرن ٦ - ١٢ م) المسمى ب « كتاب الدليل
لأهل العقول (طبع حجر بالقاهرة) ، الذي يعتبره الإباضية من أهم مراجعهم المنهجية . انظر
علوش (L.S. Allouche) الذي يترجم فصلين من هذا الكتاب ، توليها عن تنفيذ ذلك
الإنشاعة في مسألة الصفات وعدم خلق القرآن ، وثانيهما في الوعد والوعيد ، مجلة هسبيري
(Hespéria) ، جزء ٢٢ ، ١٩٣٦ ، فصله أ .

وعلى وجه الخصوص فأوسيانى يعرض لنا آثار علماء الأباضية ومشايخهم
عند قيام الدولة الرستمية - حيث يستعين بكتاب أبى زكريا - وحتى أيامه ،
فى جانب عنايته بمعاصريه والتقريبين منه من رجال القرنين الخامس والسادس
الهجريين (١٢ ، ١٣ م) . ولكن ذلك فالكتاب مهم ، من حيث : التعريف
بالرجال ، والمواضع الجغرافية والطبوغرافية (الخطط) . وهو يحتوى على
معلومات مفيدة لدراسة المجتمع الأباضى ، على المستويات الاقتصادية ،
والاجتماعية والدينية ، مما استفدنا منه فى الدراسة . أما من حيث التاريخ
السياسى فهو يعرض لبعض الصراعات المحلية والداخلية ، ويقدم معلومات
يمكن أن تفيد فى دراسة العلاقات الخارجية بين المجتمعات الأباضية والدول
المجاورة فى المغرب فى حينه .

وهكذا يكون كتاب الرسيانى فى سير علماء ومشايخ الوهبة فى جبل
نفوسة حلقة فى سلسلة كتب المناقب الأباضية فى المغرب ، التى تكمل بعضها
بعضاً . فهو صلة لكتاب أبى زكريا كما يعتبر كتاب الدرجينى صلة له ، وإن
كان كل من كتابى أبى زكريا والدرجيني لهما طابع تاريخى مميز ، به - أن
استفادنا من الكتاب التاريخى الأول ، وهو كتاب ابن الصغير . أما أقرب
الكتب الأباضية الى كتاب الرسيانى ، فهو كتاب القرن العاشر الهجرى
(١٦ م) الذى ألفه الشماخى ، والذى أصبح من أهم المراجع التى يعتمد
عليها الدارسون ، مما يجعلنا نرجح أن كتاب الرسيانى كان النموذج الذى
اقتدى به الشماخى .

الشماخى :

والشماخى هو أبو العباس أحمد بن أبى عثمان سعيد بن عبد الواحد
الشماخى نسبا ، اليفرنى بلداً ، ويفرن من قرى جبل نفوسة . ورغم تأخر
الشماخى (توفى سنة ٩٢٨ هـ / ٢١ - ١٥٢٢ م) فإن لكتابه المعروف بالسير
أو سير مشايخ جبل نفوسة ، أهمية خاصة ليس بالنسبة للفترة المتأخرة من
تاريخ الحجاج الأباضية بالمغرب ، بل بالنسبة لأقدم العصور ، من : ثورات
الحجاج الأزدى الى تاريخ الرستميين فى تاهرت وجبل نفوسة (٨٥) . فلقد جمع
الشماخى كل ما تراكم فى المغرب من الأدب الأباضى على مستوياته المختلفة ،

من سياسى ودينى واقتصادي ، وضمنه كتابه فى ثنايا سير الأئمة وإنعبياء
والشايخ ، وميزة النسخة انه فقيه عالم بأصول المذهب وفلسفته وتاريخ
ظهوره فى المغرب ، وهو لا يكتفى بالنقل بل ينتخب رواياته من كتب السابقين
مثل ابن الصغير وأبى زكريا . ويحسن عرضها ، حتى تلك التى تُسَمَّ
بالطابع الأسطورى ، ويعرضها عرضاً مقبولاً لا يجافى العقل أو سلامة الجس .
وهو يبدأ بعرض أحوال الدولة العربية فى صدر الاسلام ، ويلقى الأضواء
على الفتنة أيام عثمان ، وظهر فرق الخوارج الإباضية ، ويتكلم على طبقات
المشاركة منهم ، من اهل الكوفة والبصرة واليمن ، كمقدمة لمقصد الأول ،
وعو : « التعريف بمشايخ المغرب وأئمتهم وكرامتهم ومناقبتهم » .

وهكذا ختم النسخة سلسلة الإباضية المنقبية فى المغرب مع مطلع
القرن السادس عشر الميلادى . وان بقيت بعد ذلك مؤلفات أسرة البارونى
النفوسية الطرابلسية التى أحييت الدراسات الإباضية فى وقتنا المعاصر .

البارونى :

وكاتب البارونية الأباضى هو سليمان بن الشيخ عبد الله البارونى ،
صاحب كتاب الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الإباضية (٨٦) . ولقد اطلعنا
على مجلد القسم الثانى من الكتاب ، وهو الحاض بمدينة تاهرت (تيهرت)
وأئمة بنى رستم فيها ، ويحتوى على مقدمة جغرافية مطولة فى أقوال الكتاب
فى مدينة تاهرت وغيرها من مدن الإباضية ، الى جانب صفحات فى علماء
الإباضية والمشكوك فى أمره منهم ، منقولاً من كتب التراجم المغربية
والاندلسية مثل ابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ) وابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)
ولغزبى (ت ٥٩٩ هـ) وابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) .

أما عن أئمة الرستميين فهو يجمع مادته من كتب التاريخ والتراجم
الإباضية ، مثل : ابن الصغير والشماخي وعو ينص على الأخذ منهما ، ولا
ينس فى أن يكون قد نظر أيضاً فى كتب أبى زكريا والدرجيني حيث تظهر

(٨٦) طبع على ورق أسمر . سرعة المؤلف من مطبعة الأزهار البارونية .

روايتها ، الا اذا كان النقل عنهما بطريق غير مباشر ، كما يأخذ من ابن خلدون . ومن اهم ما يتميز به كتاب الأزهار الرياضية هو اهتمام المؤلف بتوثيق روايته برسائل الأئمة الى عمالهم ورعاياهم ، وكذلك الرسائل المتبادلة بين أهل الدعوة في المغرب واخوانهم في المشرق ، وهو الأمر الذي يعطى قيمة وثائقية كبيرة للكتاب ، وان كنا لا نعرف نصيب هذه الرسائل من الصحة او الخطأ .

اما آخر ما ظهر من كتب الإباضية المعاصرين ، فهو كتاب علي يحيى مصر ، وعنوانه : الإباضية في موكب التاريخ (٨٧) . والكتاب برغم جدته من نوع التراجم التقليدية ، وميزته أنه جمع مادة لا بأس بها من الكتب الإباضية الحديثة ، مثل كتاب : الشماخي وآل الباروني ، و قطب الأئمة ، محمد يوسف طنيس .

في الأدرسة :

وفيما يتعلق بتاريخ الأدرسة لم تصلنا كتب متخصصة ، كما هو الحال بالنسبة للأغالبة . وبناء على ذلك فنحن نرجع الى كتب التاريخ العام من مشرقية ومغربية ، مما ذكرناه ، بالإضافة الى مسالك البكري الذي يقدم مادة تاريخية قيمة عن أدرسة فاس وأدرسة المغرب الأوسط .

ابن أبي ذرع :

ولكنه بشيء من التساهل نذكر هنا كتاب ابن أبي ذرع (أبو العباس أحمد - توفي بفاس فيما بين سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م وسنة ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) المعروف بروض القرطاس (كتاب الأئمة المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) . فالحقيقة أنه رغم تأخر الكتاب نسبيا الا أنه احتم بأخبار مدينة فاس منذ انشائها ، وبالتالي بأخبار الأدرسة الأوائل . ولقد جمع ابن أبي ذرع عددا عديدا من المعلومات الخاصة بقيام الأدرسة وبناء فاس من مصادر وصل بعضها الينا ، بينما البعض الآخر ما زال في حكم المفقود . فمن وصلت اليها كتبهم يذكر القرطاس كتابي البكري وصاحب الاستبصار في عجائب الأمصار . والغريب أن بعض الأخبار التي يوردها ابن أبي ذرع منسوبة الى هذين الكاتبين ، لا توجد في

(٨٧) انظر الجزء الأول في : نشأة المنصب الإباضي ط . القاهرة أكتوبر ١٩٦٤ . والجزء

الثاني . في : الإباضية في ليبيا ط . القاهرة ، أغسطس ١٩٦٤ م .

كتابينها اللذين بين أيدينا الآن . مما يدعو إلى الفطن أن كتسابي البكري والاستبصار ربما تناولتهما أيدي التغيير والتبديل حتى وصلا إلينا في غير شكلهما الأصلي (٨٨) .

أما أصحاب الكتب المفقودة - ممن ينقل عنهم - فأشهرهم أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق ، صاحب كتاب « المتباس في أخبار فاس » ، الذي كان يكتب في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (١٢ م) ، على ما يظن (٨٩) ، والذي لا ينبغي خلطه بمحمد بن يوسف الوراق القرطبي (توفي ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) صاحب التوالمف اندي نقل عنه البكري كثيرا (٩٠) . وينقل ابن أبي زرع عن مؤرخ ثان اسمه ابن غالب ، لا نعرف عنه إلا أنه ألف كتابا في تاريخ المغرب ، وأن عبد الملك الوراق ينقل - في كتابه المسمى « بالمتباس في أخبار فاس » - عنه (٩١) . وأخيرا يذكر صاحب القرطاس مؤرخا يلقبه بالبرنسي ، وهو محمد بن حمادة البرنسي ، الذي عاش في النصف الأول من القرن السادس الهجري (١٢ م) ، وكان تلميذا للقاضي عياض اليعصبى (توفي سنة ٥٤٥ هـ / ٤٩ - ١١٥٠ م) ، وكان له كتاب في تاريخ المغرب والأندلس عنوانه « المتباس » (٩٢) ، إلى جانب كتابه في

-
- (٨٨) أنظر كتاب الاستبصار ، المقدمة ص ب ، وعن البكري ، أنظر فيما بعد في تاريخ الأغلبية (عن إمامة ادريس الثاني) ، ج ٢ ص
- (٨٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٣ ، وأنظر بروفسال ، تأسيس مدينة فاس (في : Islam d'Occident, Paris, 1948 : النص الفرنسي ، ص ٢١ هامش ٢٨ ص ٢٨ والترجمة العربية (الإسلام في المغرب والأندلس ، إدارة الثقافة العامة ، مصر) ص ٢١ والهامش . ويحدد بروفسال ذلك التاريخ مستندا إلى رواية منسوبة إلى عبد الملك الوراق هنا ، يقول فيها أنه دخل مسجد تلمسان في سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م وشاهد النقش الذي كان على المنبر . ولكنه توجد رواية أخرى في القرطاس - وهي النسخة التي اطلعنا عليها - تعدد تاريخ ذلك سنة ٢٥٥ هـ وليس ٥٥٥ هـ (وأنظر فيما بعد ، ص ٢٧٨ هامش ١٢١ .
- (٩٠) المصدر السابق ، وأنظر فيما سبق ، ص ٢٥ و ٢٨ و ٣٠ .
- (٩١) أنظر بروفسال ، تأسيس فاس ، النص الفرنسي ، ص ٢١ والترجمة العربية ، ص ٢١ (تنسب المتباس لابن غالب) . ويجب أن نشير هنا إلى أنه لا بأس من أن يكون ابن غالب هذا من رجال القرن الرابع الهجري (١٠ م) ، وذلك أن الرواية المنسوبة إلى الوراق عن رؤيته لسير جامع تلمسان تجعل لذلك تاريخين هما سنة ٥٥٥ هـ وسنة ٣٥٥ هـ (كما في الهامش قبل السابق) وربما كان التاريخ الثاني خاصا برواية ابن غالب تم تحور عندما نقله الوراق حتى يناسب عصره ، وهذا ما ترى له مثلا عند بعض الناقلين (أنظر فيما سبق - عن المسعودي والبكري - ص ٢٩ - ٣٠ و ٢٢) .
- (٩٢) بروفسال ، تأسيس فاس ، النص ص ٢١ هامش ٤٠ ص ٢٨ والترجمة ص ٢٢ .

ملوك بني عبيد الذي يأتي ذكره .

بفضل هذه المادة الغزيرة والفريدة في نوعها ، أصبح كتاب روض القرطاس رغم تأخره النسبي ورغم ما يؤخذ عليه من عدم الاهتمام بالمنهج التاريخي أو افتقاده إلى روح النقد العلمي (٩٣) - أهم مصدر عن قيام دولة الإدارة وتأسيس مدينة فاس وتخطيطها في أيامها المبكرة ، لا يضاهيه في ذلك إلا كتاب انبكرى . وعن القرطاس نقل المتأخرون مثل الجزنائي (ق ٨ هـ / ١٤ م) صاحب « زهرة الآس » ، وابن القاضي (يكتب في أواخر القرن العاشر الهجري / ١٦ م) صاحب « جنوة للاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس » .

في قيام الدولة الفاطمية :

يعاني الباحث في تاريخ الدولة الفاطمية من قلة المصادر المعاصرة ، كما هو الحال بالنسبة لدول الأغالبة والرسنيين والإدارسة ، رغم أن المقارنة بين دولة كتامة الإفريقية بعد أن أصبحت خلافة عظمى في القاهرة وبين تلك الدول لا وجه لها . فاهم مصادر تاريخ الدولة الفاطمية الموجودة بين أيدينا الآن ، هي لكتاب من العصر السلوكي ، من رجال القرن التاسع الهجري (١٥ م) ، مثل : المقرئ - مؤرخ عصر الشهير - ولا شك أن الاعتماد على مصادر متأخرة عن الفترة التي ندرسها بخمسة قرون أو ستة لما يقلل من شأن النتائج التي تصل إليها الدراسة .

ولحسن الحظ أن رأى النور مؤخرا عدد من المؤلفات الفاطمية المعاصرة للفترة التي ندرسها ، أهمها مؤلفا القاضي النعمان : دعائم الإسلام (٩٤) ، وافتتاح الدعوة (٩٥) ، ثم مذكرات في حركة المهدي الفاطمي (٩٦) . وإلى جانب ذلك نذكر كتاب ابن حمادة في سيرة ملوك بني عبيد السني نشره وترجمه إلى الفرنسية في ندرهايدن (٩٧) . أما كتاب المقرئ المعروف باتعاط

(٩٣) انظر قد جوتيه (Gautier) للكتاب ، وخاصة ص ٧٧ .

(٩٤) دعائم الإسلام ، وذكر الحلال والحرام ، والتضايح والأحكام ، تحقيق أصف بن علي أصغر في جزئين ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .

(٩٥) رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضي ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠ .

(٩٦) استنار الإمام وسيرة حمفر ، تحقيق و. أيفانوف ، مجلة كلية الآداب بالجامعة

المصرية ، المجلد ٤ - ج ٢ - ديسمبر ١٩٦٦ .

(٩٧) منشورات كلية الآداب بالجزائر ، الجزائر - بلديز ، ١٩٢٧ - وصاحب الكتاب =

«حنفا في أخبار الأئمة الخلفاء» (٩٨) ، فإنه ما زال يحتل مركز الصدارة بين مصادر العصر الفاطمي الأول .

القاضي النعمان :

وكتاب دعائم الإسلام يعتبر المرجع الأوّل لدراسة المذهب الفاطمي .
فالقاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ / ٩٤٧ م) خدم الخلفاء الفاطميين الأوائل منذ انهى حتى المعز ، كما مارس القضاء في كل من طرابلس والمنصورة ، مما جعله المشرع الأكبر للفاطميين (٩٩) . وما يزيد في أهمية الكتاب الذي يعالج أصول التشيع وفروعه وفنسفة وجروده ، أنه ألف بأمر الخليفة المعز حتى أنه اعتبر من عمل المعز نفسه .

والجزء الأول يشتمل على دعائم التشيع في سبع كتب ، في : الولاية والعبادة ، والصلاة ، والجنائز ، والزكاة ، والصنوم ، والحج ثم الجهاد ، بينما يشتمل الجزء الثاني على ، ٢٥ (خمسة وعشرين) كتاباً ، في : البيوع ، والإيمان ، والنفوس ، والأطعمة ، والأشربة ، والطب ، واللباس ، والصيد ، والضحايا ، والنكاح ، والطلاق ، والعتق ، والعطايا ، والوصايا ، والفرائض ، والديات ، والحدود ، والسراق ، والردة ، والبنعة ، والغضب ، والعارية ، واللغة ، والقسم ، والبنيان ، والشهادات ، والمعونة ، وأخيراً أدب القضاة ، مما يعني كل ما يمس حياة الناس اليومية ، على المستويين الديني والاجتماعي .

والقاضي النعمان الذي يظهر ، في الدعائم ، كمشرع الفاطميين الأكبر ، يظهر في افتتاح السعدي كفصاح أخباري نابِه ، ومؤرخ من النوع الموهوب .

• يعرف هنا بـ ابن حبلد ، وهو ما قد يوجد في بعض المصادر (ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣) .
• ابن عساق الذي يرجع إليه كثيراً في تاريخ المرابطين فهو لا يعرفه ابن حنابلة (البيان ج ١ ص ٢٠٣ و ٢٢٧ . وكذلك العنفة المشهورة بـسرفة هويبي مراندا في مجلة همجريس - ١٩٦٠ . والتي علق عليها احسان ناس . ونشرت في بيروت ١٩٦٧ هي أنها الجزء الرابع من الكتاب ، ص ٧٤ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٠ الفح) .

(٩٨) تعقيب جمال الدين الشيبان - القاهرة ، ١٩٦٧ .

(٩٩) أنظر قصة الحق ، ص ١١ - ١٢ .

والخليفة المعز أيضا هو صاحب فكرة منه الرسالة التي كتبت سنة ٢٤٦ هـ /
٩٥٧ م (١٠٠٠) .

وبسرد النعمان في افتتاح الدعوة قصة تنظيم الدعوة الفاطمية في المغرب منذ بداياتها الاولى على أيام الامام جعفر الصادق ، وبين علاقتها بدعوة اليماني ، قبل أن يعرف بابي عبد الله الداعي ، وكيف عهد اليه باظهار الدعوة في كتامة . وفيما يتعلق بنشر الدعوة في كتامة ، وتنظيم أنصار مذهب المهدي هناك ، يقدم لنا افتتاح الدعوة معلومات تفصيلية قيمة . هذا ، كما أنه يتفرد - على مستوى التاريخ السياسي ، من : الصراعات الداخلية بين القبائل ، ثم الحرب المكسوفة مع الإغاليين ، التي انتهت بدخول القيروان ، وتاهرت ، وسجماسة حيث تم انقاذ المهدي - بتقديم المعلومات التفصيلية التي نقلها عنه المتأخرون والتي رفعتها ، كما نرى ، الى مستوى كبار المؤرخين .

وهذا ما بينته المحققة في دراستها النقدية ، في المقدمة ، حيث أشارت الى نجاح القاضي النعمان ، بفضل التزامه بحدود موضوعه في الاطار الفاطمي دون الخروج به الى رحاب التاريخ العام أو حتى المغربي ، في اظهار الدعوة العبيدية كدعوة متسلسلة الأحداث متكاملة العناصر . وذلك ما لم ينجح فيه من نقلوا عنه أو اختصروه من كتاب التاريخ العام مثل : ابن الأثير ، والدواداري ، وابن خلدون ، والمقرئزي - إذ تفرقت الأحداث على مختلف السنين أو الفصول ، فتقطعت أوصال الرواية ، وتداخلت عناصرها في غيرها من المواد ، وفقدت بذلك ما كانت تتصف به من السلاسة ، والانسجام .

وبطبيعة الحال لا يعني ذلك أن رواية النعمان في افتتاح الدعوة فوق مستوى النقد ، فقاضي القضاة ما كان يمكنه أن يتجرد من تحيزه للدولة التي كان يخدمها ، وخاصة أنه كتب بطلب من الخليفة المعز ، مما جعله من نوع الكتاب المنكيين ، وجعل كتابه . على كل حال ، من ذلك النوع من الكتب المنقبية التي رأينا نماذج لها عند أهل السنة في القيروان ، وعند الأباضية في تاهرت وجبيل نفوسة . وإن لم يشوبه ما شابها من اختلاط الحقائق بالأساطير .

وتتضح تلك الحقيقة عندما تقارن رواية افتتاح الدعوة بقصتي : استتار الامام (لاحمد بن ابراهيم النيسابوري الذي كان معاصرا للخليفة المعز) ، وسيرة جعفر الحاجب (لاحمد بن محمد اليماني الذي كان من خدام الفاطميين ، والذي كتب على أيام المعز أيضا بعد سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٣ م) . ورغم أن النصين القيمين ينقيان بالضوء على بعض الاحداث التاريخية الغامضة من بداية الدعوة الفاطمية في الشام وعلاقتها بانقراطة ، ويفدمان رواية شاهد العيان انطلق على بواطن الامور فيما يتعلق بتنظيم الدعوة الفاطمية في المشرق وبرحلة المهدي الى سجلماسة ، فانهما تظلان من نوع التاريخ القصصي الذي يكتبه غير المختصين . ويظهر ذلك بشكل خاص في سيرة جعفر التي يمزج الاحداث الجادة بالروايات الأسطورية ، مما يجعل سيرته من النوع المنقبي - رغم معلوماتها الثمينة ، التي يظهر فيها في بعض الأحيان أثر رواية القاضي النعمان في افتتاح الدعوة .

ولقد كانت قصتا استتار الامام وسيرة جعفر ، مثلهما مثل افتتاح الدعوة ، محل عناية الكتاب الذين عالجوا بداية الدعوة الفاطمية ، ويظهر ذلك عند صاحب الاستبصار والمقرئزي كما يظهر عند كتاب الإباضية كابي زكريا والدرجيني ، في الفصول التي تعرضوا فيها لقياس الفاطميين ونهاية الترتيبين .

ويتميز كتاب تعاطف الخنفا للمقرئزي ، بأنه نقل كثيرا من مطومات كتب الفاطميين هذه الى جانب روايات غيرهم من الكتاب والمؤرخين ، من أعداء الفاطميين من رجال الخلافة العباسية ومن العلويين ، ومن المتعاطفين معهم من كتاب أهل السنة ومن الشيعة .

وإذا كان المقرئزي قد نقل عن كتب ما زالت موجودة بين أيدينا . مثل : تاريخ الطبري : وقهرست ابن النديم وكامل ابن الأثير ، وعبر ابن خلدون ، فإنه قد احتفظ لنا بقطع نادرة من كثير من الكتب الاصلية التي لم تصل إلينا ، مثل : سيرة المعز للحسن بن زولاقي ، وانطقن على أنساب الخلفاء الفاطميين لأخي محسن ، وتاريخ افريقية والمغرب لعبد العزيز بن شداد . وغيرها مما ذكره الشيبان في الدراسة (١٠١) . ومما أهمل المقرئزي ذكره بين مراجعه ، كما نظن .

(١٠١) انظر المصدر . ص ٢٦ . ص ٢٨ - ٢٩ .

وهكذا يظل كتاب اتعاظ اخنفا ، رغم تأخره الزمني ، أوفى مرجع
لدراسة تاريخ الفاطميين سواء في مصر أو في المغرب (١٠٢) .

وتظهر أهمية اتعاظ اخنفا بالنسبة للدراسة عند مقارنته به « أخبار
هنوك بنى عبيد وسيرتهم » لابن حماد . فالكتاب الأخير مختصر عام في تاريخ
الفاطميين ، يكتفى برسم الخطوط العريضة لذلك التاريخ دون الدخول في
تفصيلاته المسببة ، ولا في متاهات موضوعاته الفاضلة أو التي كانت محل
خلاف بين الكتاب .

وصاحب الكتاب - الذي عرف به المحقق في مقدمته ، بمساعدة كتاب
عنوان الدراية في مشايخ بجاية لنفيري - هو أبو عبد الله محمد بن علي
ابن حمادة بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي (مولده في منطقة قلعة بني حماد
حوالي من ٥٤٨ هـ / ١١٥٠ م ، ووفاته سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) . وإن جانب
أخبار العبيديين يذكر لابن حمادة كتاب في تاريخ مدينة بجاية عاج فيه
تاريخ أمراء الصنهاجيين الذين ينتسب إليهم ، وكان الكتاب معروف على أيام
ابن خلدون الذي نقل منه .

وابن حمادة يجمع معلوماته ، كما يشير فوندرهايدن في مقدمة الترجمة
الفرنسية ، من الكتب التي وقعت بين يديه ، مثل كتاب الرقيق الذي يظهر
أثره في الكتاب ، إلى جانب الروايات التي سمعها من المشايخ . والتي كانت
قد بقيت في منطقة القنعة وبجاية الختين شهدتا بعض الأحداث الهامة من
تاريخ الفاطميين في المغرب . مثل ثورة أبي يزيد صاحب شمار وهذا يعطى
الكتاب قيمة خاصة بالنسبة للفترة المغربية من التاريخ الفاطمي (١٠٣) .

(١٠٢) وهنا نود الإشارة إلى أنه من الواضح أن الكتاب ظهر في سنجين . كومت الأولى
منها مختصرة لاكتفاء القريري في ترويسها بالنقل عن ابن الأثير - انظر صفحة الشيبان .
سنة ١٩٤٨ وهذا ما يشير إليه المحقق في مقدمة النسخة الثانية . ص ٣٦ - ويظهر أن القرن
ثمة أن تصور هذه نفس هي ترويسها بالمعلومات من مغانم الخبيرة سر سارت أن ما
سارت له في النسخة الثانية تحقيق الشيبان . ١٩٦٧ ، ج ١ ، ص ١٠١ .

(١٠٣) انظر النسخة الفرنسية للكتاب من ٧ - ١١ . وانظر كتاب نفيري عنوان
الدراية ط ٠ بيروت ١٩٦٩ . ترجمة د. ٢٥ .

المصادر الجغرافية :

تلك أهم الكتب التاريخية من مصادر الفترة التي ندرسها ، وتليها في الأهمية انكتب الجغرافية . وكتب الجغرافية تنقسم الى قسمين : علمية خاصة بتقويم البلدان والاطوال والعروض ، ووصفية خاصة بالبلدان والمسالك . وهذا النوع الأخير هو الذي يهمنا بصفة خاصة . ومما يستحق الملاحظة هو أن الجغرافية العربية كانت - مثل الجغرافية عند القدماء - وثيقة الصلة بعلم التاريخ ، ورغم استقلالها عنه ، فلقد ظلت كتب الجغرافية تحتوى على معلومات تاريخية هامة ، الى جانب المعلومات الجغرافية والأدبية وغيرها ، ولهذا السبب نجد أن بعض الكتاب الفوا في التاريخ والجغرافية جميعا ، مثل اليعقوبى (توفى ٢٧٨ هـ / ٨٩٩ م) والمسعودى (توفى ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) والبيرونى (توفى ٤٤٨ هـ / ١٠٤٨ م) وأبى الفدا (توفى ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) وغيرهم .

والمعلومات الجغرافية هامة بالنسبة للمؤرخ . فالتاريخ هو تسجيل الأحداث الخاصة بالانسان في زمن معين وكذلك في بيئة معينة . والبيئة لها اثرها العميق في حياة الانسان ، وهذا ما وضعه ابن خلدون في مقدمته بشكل ميزه عن كل سابقه . وكتب الجغرافية تكمل كتب التاريخ - التي اهتمت بالأحداث السياسية بشكل خاص - من حيث اهتمامها ، الى جانب وصف الأحوال الطبيعية والبيئة ، بإمدادنا بمعلومات ذات طبيعة متنوعة ، منها الاقتصادية والاجتماعية وما يختص بعادات الشعوب وتقاليدها الخ . وهذه المعلومات يمكن أن تنقسم ، مثل المعلومات التاريخية ، الى قسمين كبيرين : المعلومات المنقولة والمتواترة ، وهذه تتراوح في قيمتها ما بين الاصاله والوضع أو التزييف ، والمعلومات وليدة التجربة والمساهمة الشخصية ، وتتصف بالصحة والدقة - بالنسبة للعصر الذى سجلت فيه .

وعلى أساس هذا المنهج تنقسم كتب الجغرافية (مثل كتب التاريخ التى عرضناها) الى قسمين : كتب المشاركة وتكون معظم المكتبة الجغرافية العربية ، وموقفها من المغرب مثل موقف كتاب الطبرى من حيث أنها وجهت معظم عنايتها الى المشرق ، وبذلك تركت ما يشبه الفراغ بالنسبة لجغرافية المغرب . وهذا ينطبق على كتب ابن خرداذبه وابن رسته وابن الفقيه واليعقوبى والاصطخرى والمسعودى والمقدسى وأبى الفدا وغيرهم . وهذا لا يمنع من وجود قطع مفيدة عن المغرب فى كل كتب هؤلاء . ولقد انفرد ابن حوقل (توفى

٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) في كتابه « صورة الارض » بموقف خاص وذلك انه قام بنفسه برحلة جولة فيها في بلاد المغرب والأندلس وصقلية . ووصف أحوالها ووصف شاهد أعيان . وأمدنا بمعلومات ثمينة عن انبلاد على أيامه .

ولقد أتى الجغرافيون المغاربة - بعد ذلك - وسدوا ذلك النقص في المكتبة الجغرافية العربية . فاعتنوا ببلادهم وأفرردوا لها انكتب المطولة . وأهم الجغرافيين المغاربة هو أبو عبيد الله البكري (توفي ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) الذي كتب في الجغرافية العامة كتابا أسماه « المسالك والممالك » ، ولحسن الحظ وصلنا منه الجزء الخاص بالمغرب ، الذي نشره دسلان (De Slane) تحت عنوان « كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب » . كما ترجمه الى الفرنسية تحت عنوان صفة بلاد المغرب . وللكتاب أهمية تاريخية كبرى لأنه ينقل بعض كتب تاريخ المغرب الاصلية التي عاجت تاريخ البلاد في القرون الاسلامية الأولى ، والتي لم تصل اليها وخاصة كتب محمد بن يوسف الوراق وابراهيم الرقيق وغيرها ، كما سبقتم الإشارة (١٠٤) وهذه المعلومات ما زالت محتفظة بقيمتها العريضة اذا لم يعثر على أصولها الاصلية الى الآن .

وفيما يتعلق بالمعلومات ذات الطابع الجغرافي ، نجد في البكري معلومات دقيقة عن الطرق والمسالك لا يحتمل أن تكون وليدة المشاهدة ، والاقرب الى الصحة أن تكون مستقاة من الأوراق الرسمية الموجودة في الدواوين . وهذا يعني أن البكري كان في موقف يسمح له بالاطلاع على وثائق وسجلات ديوان قرطبة (١٠٥) . واتي جانب ذلك نلاحظ أن البكري ينقل عن بعض الكتب القديمة السابقة على العصر العربي ، مثل تاريخ البلاد قبل الاسلام ، والحرب بين روما وقرطاجنة . وكذلك المعلومات الخاصة بالمسيحية ، التي يوردها وكأنيما وليدة مشاهدته وتجربته الشخصية ، تماما كما فعل المسعودي في بعض الأحيان (١٠٦) .

(١٠٤) انظر فيما سبق ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(١٠٥) انظر فيما سبق ، ص ٣٠ .

(١٠٦) انظر المعلومات الخاصة بتونس ودمياط ودير الاسكندر عند المسعودي (طبعه المحررة ج ١ ص ١٠٠ ، ٢٩٢ ، وورد كتاب الاستعداد الذي ينقل بعض هذه المعلومات عن طريق البكري - ويضع لها نفس التاريخ الذي كان يكتب هو فيه (٥٨٦ هـ) (المقامة صرخ - ٢ ص ٨٨ و٨٩) .

ورغم العسفة العلمية الدقيقة التي تصب على معنومات البكري ، نجد أنه يجمع معلومات متنوعة في طبيعتها ، بعضها من الدرجة الثانية ، مثل : معلوماته عن أحوال المغرب السياسية على أيامه (١٠٧) ، وبعضها خرافى أسطورى ، مثل : كلامه عن الواحات وبعض العادات والتقاليد هذا ، الى جانب بعض المعلومات التاريخية الأساسية الخاطئة ، التي قبسها دون أن يعرضها للنقد ، مما كان موضع ملاحظة الذين نقلوا عنه من المتأخرين ، مثل ابن خلدون والتجاني ، والعبدى ، ولكن هذه هنات بسيطة لا تقلل من قيمة الكتاب الكبيرة ، حتى أصبح البكري مرجعا نقل عنه معظم المتأخرين (مثل ابن عذارى وابن خلدون والادريسي وصاحب الاستبصار ، وابن الأثير والتجاني ، وغيرهم) .

ويأتى بعد البكري كتاب الادريسي (توفى سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م) المسى بنزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، والمعروف أيضا بكتاب رجار أو (لجار) ، صاحب صقلية النورمندى . ونقد وصلنا حسن الخط - منه الجزء الخاص بالمغرب الذى نشره وترجمه الى الفرنسية دوزى ودغوية ، تحت عنوان « صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس » (طبعة ليدن ١٨٦٤ م) . هذا ، كما وصلتنا القطعة الخاصة بوصف صقلية ، وجزر البحر المتوسط ، التى نشرها امارى فى مكتبته الصقلية ، وهى أهم وصف للجزيرة وأكثره استفادة فى المكتبة العربية . ومن حسن الطالع أنه وصلتنا أيضا القطعة الخاصة بوصف إيطاليا من كتاب نزهة المشتاق ، التى نشرها امارى أيضا فى روما (سنة ١٨٧٨ م ، مع مقدمة الكتاب) والادريسي فيما يتعلق بالمعلومات الخاصة بأحوال المغرب فى القرون الأولى لا يرقى الى مستوى البكري أو ابن حوقل ، ولكنه يضيف معلومات ثمينة عن الفترات التالية (الخاصة بالقرنين الخامس والسادس الهجريين) . ومثل هذا يمكن أن يقال عن كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار الذى يحتوى على وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب والسودان (مطبوعات كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - سنة ١٩٥٨) . فهو ينقل كثيرا عن البكري والادريسي ولكنه يضيف - عن المغرب - معلومات قيمة (تاريخية وجغرافية وعمرانية) خاصة بعصره - عصر الموحدين وعلى نسق الادريسي ، قسم ابن سعيد جغرافية العالم الى الأقاليم السبعة ، وأضاف

معلومات جديدة عن بلاد المغرب وعلاقتها ، بصفة خاصة ، ببلاد السودان .
ويعتبر ابن سعيده في هذا المجال من مصادر ابن خلدون . واني ذلك نضيف
النصوص الخاصة بجغرافية المغرب في تاريخ ابن خلدون ، لما حوته من معلومات
أصيله ، ومنقولة عن كتب لم تصل اليها او مبنية على التجربة والملاحظة ،
ومصنفة حسب قواعد النقد والتسحيص ، التي عرف بها المؤرخ المغربي
الكبير .

واني كتب الجغرافية تنضاف كتب الرحلة التي تتميز بتسحيص
المعلومات ولينة التجربة ومشاهدة اعيان . ومن أشهرها رحلة السبدي
(سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) - مخطوط انكبة الوضية بباريز ، القسم العربي ،
رقم ٢٢٨٣) ، ورحلة التجاني في تونس وطرابلس من سنة ٧٠٦ هـ الى سنة
٧٠٨ هـ / ١٠٣٦ - ١٣٠٨ م (طبعة تونس ١٣٧٨ / ١٩٥٨) والتجاني - الى
جانب مشاهداته - بنقل عن البكري والادريسي وابراهيم الرقيق وابن رشيقي
(له كتاب ، أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، - رحلة التجاني ، ص ٣٣
والهامش ٢ ، وأنظر ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ الخ ٠٠) ،
وابن شرف (الذي كان له كتاب في التاريخ - ص ٣٣ - وآخر يعتبر صلة
لتاريخ الرقيق - ص ٨٣) . وأخيرا نضيف رحلة العياشي ، رغم تأخره (توفي
سنة ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م) ، وذلك لعنايته السالفة في وصف الطريق
الصحراوي من سجلماسة الى الاسكندرية وصفا دقيقا ، يميزه عن كل
سابقه .

ولقد استفدنا من المعلومات الجغرافية في الفصل الأول من الكتاب بصفة
خاصة ، اما ما حواه من المعلومات التاريخية ، فرغم فائدتها الا أنها تعتبر
اجمالا - من الدرجة الثانية .

كتب الطبقات :

وتأتي بعد كتب الجغرافية كتب الطبقات ، ومنها العامة مثل وميات ابن
خلكان ، والعامة (اقليميا) الخاصة (موضوعيا) مثل طبقات الصحابة وطبقات
الادباء وطبقات الأطباء وطبقات الصوفية ، ومنها الخاصة بالمغرب وهي التي
تيمنا أكثر من غيرها ، وانهم كتب النوع الأخير هو كتاب رحلة السرا ، لابن
الأبار (٥٩٥ هـ / ١١٩٩ م) - (٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) ، الذي يحوي تراجم
أعلام أهل الأندلس والمغرب ، اعتبارا من أهل ثمانية الأولى ، والذي حققه

حسين مؤنس في جزئين (١٠٨) . وأهم الكتب الخاصة بطبقات رجال المغرب من العباد والزهاد والتسائخين أربعة . أولها كتاب أبي العرب محمد بن أحمد ابن نمير (توفي سنة ٣٢٢ هـ / ٤٤ - ٩٤٥ م) المسمى « كتاب طبقات علماء إفريقية » ، الذي نشره محمد بن أبي شنب وأضاف إليه كتاب طبقات علماء تونس لنفس أبي العرب . وثانيها كتاب طبقات علماء إفريقية لعماد بن الحارث بن راشد الحشني (الجزائر ، ١٣٢٢ هـ / ١٩١٤ م) . أما ثانيها فهو كتاب أبي بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي (توفي حوالي منتصف القرن الخامس الهجري / ١١ م) ، المسمى « كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونسائكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم » ، الذي نشر الجزء الأول منه الدكتور حسين مؤنس (القاهرة ١٩٥١) . وثالثها كتاب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري المعروف بالدباغ ، الذي ذيله وأضاف إليه أبو القاسم قاسم بن عيسى بن فاجي التنوخي القيرواني (توفي سنة ٨٣٧ هـ / ٣٣ - ١٤٣٤ م) حتى عرف الكتاب عند البعض باسم الأخير (طبع تونس ، ١٣٢٠ هـ) . والكتب الأربعة يكمل بعضها البعض ، رغم أنها جميعا تبدأ بطبقات الرجال من البداية .

وهذه الكتب تعتبر فرعاً من نوع أهم هو كتب تاريخ الدين العامة ، مثل : الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم القرطبي (توفي ٤٥٦ هـ / ١٠٤٦ م) ، والملل والنحل للشهرستاني (توفي سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) ، والفرق بين الفرق للبغدادي (توفي سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ، إلا أنها تخصصت في تاريخ الإسلام ومذاهبه ونحله في بلاد المغرب . فمع أنها قصت الترجمة أو التاريخ لعلماء أهل السنة ، إلا أنها تعرضت للمذاهب الإسلامية الأخرى التي عرفها المغرب على مر العصور ، مثل مذاهب الخوارج والشيعة وغيرها من النحل الفرعية . وهي هنا تلتقي مع كتب الجغرافية التي قدنا بأهم ما نعرفه عن المذاهب والمعتقدات المخالفة للسنة ، والتي لاقت نجاحاً في كثير من الجهات .

وبناء على ذلك فميزة هذه الكتب تتلخص في أنها تهتم بالتساوي الاجتماعي والسياسي ، أكثر من اهتمامها بالتاريخ السياسي . فهي عندما تترجم لشخصياتها لا تهتم بالمعلومات العلمية الجافة فقط ، بل تتابع من تترجم

ليم في حياتهم الخاصة ، في المدن والأسواق والأزقة ، والمساكن الخاصة .
وهي من هذا الوجه - تحوى معلومات متنوعة ، منها ما هو خاص بخطط
المدن ، وما هو خاص بتنظيم الأسواق وأحوال النشاط الاقتصادي ، وما
ينعنى بتعدادات والتقدير المتعارف عليها في تلك الأزمان ، الى جانب هدفها
الأول ، وهو الكلام عن العلماء والفقهاء من أهل السنة ، وجهادهم في سبيل
نشر الإسلام في البلاد ، وصرايحهم ضد المنشقين من الخوارج والشيعة وأهل
البدع . من عامة الشعب أو الطبقة الخاصة ، وحتى الملوك على حد سواء .

والى جانب المعلومات ذات الطابع العلمى ، اهتمت هذه الكتب بالمعلومات
ذات الطابع الأسطورى . أو الخرافى ، نظرا لعنايتها بسير العباد الصالحين ،
من أصحاب انكراعات والمعجزات ، وخاصة بعد انتشار حركة الربط والزوايا
في المغرب .

وبناء على ذلك فأهمية هذه الكتب تصبح محدودة بالنسبة لفترة انفتاح
الأولى ثم أنها تزداد أهمية مع مرور الوقت . وخاصة منذ بدء عصر الاستقلال
على أيام الأغالبة ، ولا سيما ابتداء من قيام الفاطميين في المغرب . ويستثنى
من ذلك كتاب رياض النفوس ، انذى قدم لتراجمه بمقدمة تاريخية في فتح
العرب للمغرب حوت خليطا من المعلومات ذات الطبيعة والأهمية المتفاوتة ،
فنما الأصيل ، ومنها القصصى ، وهى تختلط بشسكل يجعل التمييز بين
الصحيح منها وغير الصحيح من الصعوبة بمكان . ولقد استفاد الدباغ من
هذه المنقمة في صدر كتابه فنخص بعضها وأضاف بعض الاضافات .

والى كتب طبقات أهل السنة في افريقية هذه تضاف كتب السير
المنقبة الخاصة بالأباضية ، مما سبق ذكره (أنظر ص ٣٧ - ٤٤) فلهما
نفس الأهمية بالنسبة لدراسة المجتمعات الاباضية في تاهرت وجبل نفوسة
وغيرهما من صحراوات المغرب الأوسط وأفريقية .

الكتب المحلية والمتأخرة :

ويتبقى بعد ذلك الكتب التاريخية ذات الطابع المحلى أو الأقليمى أو
المتأخرة نسبيا ، مثل كتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لأحمد
النائب الأنصارى ، (طبعة القاهرة ، ١٣١٧ هـ) . وكتاب التذكار فيمن ملك
طرابلس وما كان بها من الأخبار لابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل
ابن غلبون الطرابلسى) . وهو شرح على قصيدة الشيخ أحمد بن عبد الدائم
الأنصارى الطرابلسى (طبعة القاهرة ١٣٤٩ هـ) ، وكتاب جلاء الكرب عن

طرابلس الغرب أو النفحات المسكية في أخبار المملكة الطرابلسية ، لـ محمد
ابن عثمان الحسائني (توفي سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م) .

ومن تاريخ البلاد التونسية. لدينا كتاب المؤنس في تاريخ افريقية
وتونس لابن أبي دينار (توفي سنة ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م - طبعة تونس سنة
١٢٨٦ هـ) ، وكتاب اتعاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ،
لأحمد بن أبي الضياف (توفي سنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م ، الجزء الأول ويتناول
الفتح الاسلامي وعصر الولاة ، ودولة بني الأغلب ، ودولة بني عبيد ، والدولة
الصنهاجية والدولة الحفصية ، طبعة تونس ١٩٦٣) .

ومن تاريخ « المغرب » ، مثل كتاب الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى
للسلاوي (توفي سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م) .

هذه الكتب تعتبر ثانوية ، ليس بسبب طابعها الاقليمي أو لتأخرها
أو لأن المعاصر منها . رغم حداثة ، لم يتبع المنهج العلمي ، بل لأنها تعرض
سريعا بالفترة التي نعالجها مكثفة بالتلخيص والتقل من الكتب الموجودة بين
أيدينا . وعلى ذلك نحن لا نشير إليها في هوامشنا إلا اذا اقتضت الضرورة ،
لتأكيد شرح نص من النصوص أو لتأييد فكرة من الأفكار ، فقلما تنفرد
بمعلومات خاصة .

الكتب الحديثة :

أما عن الكتب العلمية الحديثة الخاصة بتاريخ المغرب فنكتفي منها
بالإشارة إلى « فتح العرب للمغرب » للدكتور حسين مؤنس ، « وبلاد المغرب
وعلاقتها بالشرق الاسلامي في العصور الوسطى » لجورج مارسيه (١٠٩) .
« وماضي شمال افريقية » لجوتيه (١١٠) ثم « تاريخ شمال افريقية »

G. Marçais, La Berbérie et l'Orient musulman au (١٠٩)
Moyen Age.

E.F. Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord, Les (١١٠)
siècles obscurs.

• لوليان (١١١)

ومما نأسف له عدم تمكننا من الاطلاع على أحدث الدراسات في تاريخ
الأغالبة ، وهي رسالة الأستاذ الطائبي التي قدمها تحت عنوان : امارة
الأغالبة بالفرنسية (L'Emirat Aghlabide) والتي نشرت
سنة ١٩٦٦ م .

الْبَيْتُ الْأَوَّلُ
الْبِلَادُ وَالسَّكَّانُ

<https://alboorjia.blogspot.com>

البلاد

التسمية (المغرب) :

بلاد المغرب مصطلح يقصد به الكتاب العرب كل الأقاليم الواقعة غرب مصر ، والتي تشمل شمال القارة الإفريقية ، وتتضمن حالياً البلاد الليبية بولاياتها الثلاث (برقة وطرابلس وقران) ، وتونس ، والجزائر بصحرائها المترامية إلى تخوم السودان ، وأخيراً المغرب - الذي كان يعرف إلى عهد قريب باسم مراکش نسبة إلى عاصمته الجنوبية - ويمتد ضيقاً نحو الجنوب إلى تخوم السنغال والنيجر .

واسم بلاد المغرب هو اسم الاتجاه الأصلي الذي يحدد مغرب الشمس ، وهذا يعني أنه مصطلح عام قصد به البلاد الواقعة في اتجاه غروب الشمس عكس البلاد الواقعة في اتجاه شروق الشمس والتي تسمى تبعاً لذلك بالشرق (١) . وكانت نسبة الاتجاه إلى بلاد العرب في أول الأمر ثم إلى بلاد الشام بعد انتقال الخلافة إلى دمشق وعلى أيام الفتح الأموية الكبرى ، ثم كانت النسبة في آخر الأمر إلى بلاد العراق وبغداد على أيام التدوين والتنظيم الإداري الراقى الذي عرفه العباسيون ، عندما أصبح دجلة بمثابة خط التقسيم بين الشرق والغرب ، وأصبحت بغداد في هذا المقام بمثابة جرينتش ، بالنسبة لحطوط الطول حالياً . ونقد اتخذ ذلك التقسيم العام للدولة الإسلامية إلى مشرق ومغرب شكلاً قنياً عندما قسم هارون الرشيد دولته - إدارياً في سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م - بين ولديه الأمين والمأمون ، فأصبح لولي العهد الأول وهو الأمين مغرب الدولة ويشمل العراق والشام إلى آخر المغرب ، وأصبح لولي العهد الثاني وهو المأمون مشرقاً أي خراسان وما يتصل بها من الولايات الشرقية (٢) .

(١) انظر ابن خلدون ، العبر ، طبعة القاهرة ، ج ٦ ص ٩٨ والبرهنة ، ج ١ ص

(٢) الحقيقة أن تقسيم الدولة إلى مشرق ومغرب بدأ منذ أيام الخديجي عندما عهد للبايعي بولاية العهد ثم رأى الراسخ في سنة ١٦٣ هـ ، والمغرب كله وأذربيجان وأرمينية ، (ابن الأثير أحدث سنة ١٦٣ ، ج ٦ ص ٢٥) وقارن العمود والحدائق ، ط ، ليل ١٨٧٩ ، ج ٣ ص

ومفهوم المغرب بهذا الشكل عام وشامل يعنى النصف الغربى للدولة
الإسلامية . ولكن الكلمة عندما استخدمها العرب فى عصر الفتوح الأولى لم
يكن لها هذا المعنى الشامل . فقد سموا البلاد المتاخمة لجزيرة العرب شرقا
وشرقا و غربا بأسمائها مثل العراق والشام ومصر ، وخص كتاب الخازنى كلا
منها بكتاب (١) . وهذا يجعلنا نظن أن كلمتى المشرق والمغرب لم نستعملتا
على نطاق كبير إلا بعد أن أصبحت الفتوح ، وأخذ العرب يتدفقون على
البلدان الخاضعة ، داب الأسماء لعربيه على جمهورهم فى سير من لحيات ،
فظهرت الحاجة إلى استعمال مصطلحات سهلة يعرف منها موضع الأقاليم بشكل
عام ويتداولها الناس دون صعوبة - وذلك بطبيعة الحال قبل أن تظهر الحاجة
إلى التنظيم الدقيق الذى عرفته الدولة فيما بعد - فكان استعمال كلمة المغرب
وكلمة المشرق . والذى يهنا هنا أنه بينما ظلت كلمة المشرق لا تعنى أكثر من
مفهومها الفجوى ، اتخذت كلمة المغرب مفهوما جغرافيا سياسيا خاصا ، وذلك
فى ظروف لا نستطيع تحديدها على وجه الدقة ، وإن كنا نظن أنه لما كان
العرب أشد اتصالا بالشرق الفارسى منهم بالمغرب فانهم عرفوا أقاليم المشرق
بشئ من التحديد . ويمكن أن تضيف إلى ذلك أن المشرق الساسانى كان يعرف
نظما وتراتبيا إدارية لم يعرف المغرب الذى كان قائما أبدا على الحكم الرومانى -
مثلا لها (٢) . ربما كانت هذه الظروف هى التى ساعدت على بقاء استعمال

٢٨٢ (حيث النص على أن المهدي ولى هارون المغرب كله من الأنبار إلى إفريقية) .
أما عن تقسيم هارون لدولته بين الأمين والمأمون فرغم أننا لا نجد فيه نصا على ذكر
اصطلاحى المغرب والمشرق ، فإنه يتضح من مشروع التقسيم أن دجلة هو الحد بين شطرى
الدولة - فقد كان للأمين الشام والعراق ، وكان للمأمون من حد همدان إلى آخر المشرق
(الطبرى ، أحداث سنة ١٨٦) أو كان له خراسان وما يتصل بها إلى همدان (ابن الأثير ،
أحداث سنة ١٨٢ ج ٦ ص ٦٥) ، وانظر م . ع . شميرة ، تقسيمات اقليمية فى العصر
العباسى الأول ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٤٤ ، ص ٨٧ (حيث يبين أن
لفظ المغرب يشمل كل ما يقع غربى إقليم العاصمة العراقية) .

(٣) انظر أسماء تولى الوافى والمدائنى فى الخازنى مثل فتوح قانس ، فتوح الشام .
فتوح مصر والاسكندرية (الفهرست لابن النديم) ، طبعة التجارية ص ١٥٠ ، ١٥٤ ، بروكسان
تاريخ الأدب العربى (بالألمانية - G.A.L.) مطبق ١ ص ٢٠٨ .

(٤) تتضح فكرة اتصال العرب الوثيق بالفرس ومعرفتهم بأحوالهم قبل الإسلام من
الأدب التاريخى وغير التاريخى الذى تركه لنا قدامى الكتاب العرب ، وتكفى هنا بالإشارة
إلى كتاب الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، ومروج الذهب
للصعدي . والنسب يلاحظ أيضا أن المعلومات الخاصة بالمغرب فى هذه الكتب لا تعد شيئا
إلى جانب المعلومات الخاصة بالشرق . والمثل لذلك الطبرى الذى يمدنا بمعلومات تفصيلية عن
المشرق وأقاليمه المختلفة فى الوقت الذى لا نجد فيه عن المغرب إلا معلومات طفيفة لا تكاد
تصرف بأقاليمه العظمى .

كلمة المغرب لتعريف البلاد الواقعة غرب مصر ، تعريفا يشوبه شيء من الإبهام على كل حال (٥) . ومع أن هذا الإبهام أخذ يتبدد مع مرور الوقت بعد أن تعرف العرب على البلاد بأقاليمها المختلفة ، إلا أن مفهوم الكلمة لم يتضح تماما حتى بعد نمو واكتمال علم الجغرافيا . فقد ظلت كلمة المغرب تعنى كل الأقاليم التي تشمل شمال القارة الإفريقية - دون مصر وكذلك الأندلس . ولهذا نجد أن بعض الجغرافيين الأوائل مثل الإصطخرى يقسم المغرب الى قسمين : مغرب إفريقيا بمدنه وأقاليمه ، ومغرب أندلسي (٦) . وهذا يعني أن الأندلس أخذت تخرج من نطاق التحديد ، والظاهر أن الظروف السياسية في الأندلس أكدت هذه التفرقة بعد أن استقلت الأندلس عن بغداد ، فلم تصبح جزءا من المغرب الذي ظلت الخلافة متمسكة بشرعية سلطانها عليه .

أنطابلس (برقة) وفزان :

ورغم ذلك فلا بأس أن يكون العرب قد سموا - منذ بداية الفتوح ، قبل أن تدخل الأندلس في نطاق المغرب العربي ، وقبل أن تنقل بعض تواريخ البلاد القديمة الى اللغة العربية ، مما يظهر عند البكري - الأجزاء الشرقية من المغرب بأسمائها السياسية أو الادارية المعروفة في التنظيم الروماني . فالأقليم المتاخم لمصر هو أنطابلس أو بنطابلس أي المدن الخمسة باللغة الإغريقية (٧) **Pentapolis** ، ويعرف أيضا - كما هو الحال اليوم - باسم عاصمته مدينة برقة القديمة (٨) .

(٥) وما يلفت النظر في هذا المقام أن المتأخرين من الكتاب المصريين مثل : القلقشندي وابن تخرى يردى عادوا الى استخدام كلمة الغرب بدلا من المغرب وذلك نسبة الى الديار المصرية ، فقالوا : « الديار الغربية » و « الغرب » و « الغرب الأوسط » و « الغرب الأقصى » . انظر صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ . الخ وانظر النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ٣٣ .

(٦) انظر الإصطخرى ، المسالك والممالك ، طبعة القاهرة ، ١٩٦١ ص ٣٣ .
(٧) انظر اليعقوبي كتاب البلدان ، ملحق ابن رسته ، ص ٣٤٦ (حيث يقول : وتسمى برقة أنطابلس ، هذا اسمها القديم) ، ابن خردادبة ، المسالك ، ص ٩١ (حيث يقول أن أرض برقة هي أنطابلس بالرومية ، وهي خمس حدائق) ، البكري ، ص ٤ ، كتاب الاستبصار ص ١٤٣ ابن سميح ، الجغرافيا ، ص ١٤٧ . والمدن الخمسة القديمة التي أعطت لاقليم برقة اسم بنطابلس على أيام اليونان هي : قورينة وسوسة وبرقة وطوكرة وبرنيق .

(٨) اسم برقة القديم هو **Barki** وموضعها مدينة المرج العالية بالجبل الأخضر نسبة الى المرج الواسع الذي كانت تقع فيه ، كما يفهم من نص اليعقوبي الذي يضيف أن ببرقة جبلين أحدهما يقال له « الشرقي » والآخر يقال له « الغربي » - انظر كتاب البلدان ، ملحق ابن

والحدود غير واضحة بين مصر وبين اقليم برقة ، وهذا أمر طبيعي .
فأرض برقة امتداد طبيعي لأرض مصر نحو انحراب دون ما حدود ولا فواصل
طبيعية ، اللهم تلك العقاب الصغيرة الموجودة في الصحراء ، وأهمها عقبتان
في الطريق الساحلي : احدهما عند مرسى مطروح الحالية وتعرف بالعقبة
الصغرى ، والاخرى عند السلوم وتعرف بالعقبة الكبرى^(٩) . أما في الجنوب
فلا عقاب ولا فواصل أو حدود بل تتداخل صحراء مصر وصحراء المغرب ،
وتنتشر فيها الواحات فلا تفرقة بين واحات مصر وواحات صحراوات المغرب
الكبرى . وهكذا أطلق الجغرافيون المحدثون اسم الصحراء الليبية على صحراء
مصر وليبيا جميعا . إذ الحقيقة أن الخطوط الفاصلة المرسومة على الخرائط لا
وجود لها على الطبيعة .

وكانت برقة تشتمل في أقاليمها الشرقية على وحدة ادارية أو كورة
تعرف بنوبية ومراقية . وهذه الكورة التي كانت وثيقة الصلة بالاسكندرية
احتوت على اقليمين : اشرقي منهما هو لوبية ، اسم عاصمة الاقليم ، وهو
نفس الاسم الذي كان يطلقه كتاب اليونان على شمال القارة الافريقية دون
مصر . ولا يحدد الكتاب موضع مدينة لوبية بالدقة بل يقولون انها بين
الاسكندرية وبرقة^(١٠) والقربي منهما مراقية وهو تعريب لاسم الكورة
الروماني مرمرىكا (Marmarica) ^(١١) . وكانت حدود مراقية الغربية

= وستة ، ص ٢٤٣ . وعن مدينة برقة التي كان يقال لها « المرج » على أيام ابن سعيد انظر
الجغرافيا ، ص ١٤٦ - ١٤٧ وهو يقول ان العرب سمى برقة لما رأت فيها من الحجارة المختلفة
بالرمل . هذا ولو أن المنطقة تعرف حديثا باللغات الأوروبية باسم مدينتها الساحلية قورينة
Cyrène فهي قورينية أو Cyrénaique .

(٩) انظر ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٤٧ : حيث يجعل العقبة الكبيرة في شرقي المجرى
المعروف بالينطان (البضان) ويجعلها أول الديار المصرية فكانها عقبة السلوم . وانظر ص
١٢٨ : حيث يجعل العقبة الصغيرة على سمت سانية أي واحة سيوة ، فكانها في منطقة
مرسى مطروح الحالية . وعن سنترية يقول الادريسي (ص ١٣٦) أنها من البلاد البرية والصحار
المتصلة بأعماق الاسكندرية . وعن العقبة فتقع في الطريق من مدينة برقة الى الاسكندرية ،
بين مرج الشيخ وحوانيت ذبي حليمة (الادريسي ، ص ١٣٧) . وانظر صبح الاعشى
للقلقشندي ، ج ٣ ص ٣٩٥ ، وانظر فيما بعد ص ٦٦ .

(١٠) انظر ياقوت ، معجم البلدان ، طبعة القاهرة ، ج ٧ ص ٢٤١ .

(١١) المالكي ، رياض النفوس ، ص ٢٩ ، وهامش ١ . انظر محمد عبد الهادي شعيرة ،
مجلة كلية الآداب والتربية ، بنغازي ، المجلد الأول ١٩٥٨ ، ص ١٣ حيث يقول ان لوبية ما بين
مرسى مطروح والسلوم حاليا . ص ١٤ حيث يقول ان مراقية نسبة الى شعب المرمرى .

تنتهي عند أرض مدينة برقة نفسها حيث ينحرف الطريق نحو اجنوب بحذاء ساحل خليج سرت في اتجاه إجدابية ، كما ينهم من أحد نصوص المقرئى (١٢) .

أما عن حدود برقة الغربية فهي الأخرى تتداخل فى أرض طرابلس الى درجة أن بعض المتقدمين من الكتاب يجعلون القصور التى بناها حسان بن النعمان شرقى مدينة طرابلس بحوالى ٢٥٠ كم - فى منطقة تاورغى الحالية وهى أول الحدود الشرقية لاقليم طرابلس الخصيب - * من حيز برقة ، (١٣) .
وانتهى الأمر عند المتأخرين الى أن أصبح مفهوم اقليم برقة يعنى المنطقة الصحراوية الممتدة ما بين منطقة طرابلس الزراعية وحدود مصر . فالعياشى صاحب الرحلة بعد أن يترك مدينة مسراة (من ولاية طرابلس) ويتجه نحو المشرق يقول : وفارقنا آخر عمران ودخلنا برقة (١٤) ، وذلك قبل أن يصل الى قصور حسان (٢٥) . وعلى ذلك فهو يجعل سرت التى وصل اليها بعد ذلك ضمن أرض برقة (١٦) . ويقول العياشى بعد ذلك ان أرض برقة مسافة شهرين من الاسكندرية الى افريقية (١٧) ، وهو يقسم أرض برقة الممتدة من مسراة الى الاسكندرية الى خمسة أقسام مشتقة أسماؤها على الجملة من طبيعة أرضها ، وهى : سرت - التى ينسب اليها حاليا الخليج الكبير بين برقة وتونس - ، وبرقة الحمراء ، والجبل الأخضر ، والبطنان ، وما بين العقبتين ، وأخيرا ما بين العقبة الصفرى الى الاسكندرية ، ويسمى العقبة الصفرى (١٨) . والاقاليم الجنوبية لطرابلس هى فزان التى يضيف اليها بعض الكتاب اقليم ودان ، ولو أنهم ينصون على أن ودان هى قسبة أو مدينة فزان ، وهى تمتد الى قلب

(١٢) الخطط ، طبعة مصر ، ج ١ ص ١٦ ، وأنظر للمؤلف ، موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين فى افريقية وقتلتهم الحمر ، مجلة كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية سنة ١٩٥٨ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(١٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر واقرب . طبعة أوروبا ، ص ٢٠٠ ، البلاذرى ، طبعة أوروبا ، ص ٢٢٩ (فى حيز برقة) . وقارن اليخوى ، ص ٤٥ - ٢٤٦ (حيث ينص على أن تورغة هى : آخر عمل برقة ، وأنها على مرحلتين من سرت شرقا و ٦ مراحل من طرابلس غربا) .

(١٤) العياشى ، الرحلة . مخطوط طرابلس ٣٤٠ ، ص ٧٨ وجه .

(١٥) نفس المرجع ، ص ٧٨ خلف .

(١٦) نفس المرجع ، ص ٧٩ وجه .

(١٧) نفس المرجع ، ص ٨٠ وجه .

(١٨) نفس المرجع ص ٨٥ خلف (ويشير العياشى هنا الى أن العبدي صاحب الرحلة ذكر

تقسيمها غير هذا جاريا على اصطلاح أهل زمانه) - وقارن ابن سعيد الجغرافيا ص ١٤٧ ، : حيث يجعل العقبة الكبيرة .

(م ٥ - تفرغ المغرب العربى ،

الصحراء في اتجاه بلاد السودان الى زويلة (١٩) . ومع أن فزان أقرب الى طرابلس منها الى غيرها من الأقاليم الا أنها كانت وثيقة الصلة ببرقة شرقا . فيعد أن دخل العرب برقة كانت سياحتهم الطبيعية جنوبا نحو فزان حتى زويلة والواحات المؤدية الى بلاد السودان (٢٠) كما كانت طرق القوافل تربط واحات فزان بجنوب تونس وبواحات الجزائر ربطا سهلا (٢١) .

أطرابلس وجبل نفوسة :

أما عن أطرابلس (طرابلس) واسمها طر بليطة Tripolitaine, Tripolis ومماها باليونانية المدن الثلاث (٢٢) ، فهي عند ألكتاب الأوائل اقليم له كيانه الخاص مثله مثل برقة أي أنطابلس . وطرابلس متصلة بإقليم جبل نفوسة (٢٣) الذي يعتبره الجغرافيون العرب ذراعا أو امتدادا لسلاسل جبال أطلس المعروفة بجبال دزن في المغرب الأقصى حيث تبلغ أقصى ارتفاعها (٢٤) . وجبل نفوسة يحيط بمنطقة مدينة طرابلس الساحلية كالهلال ويفصل بينها وبين الصحروات الجنوبية في فزان وما ورائها . ولهذا تسمى الأقاليم الساحلية المنخفضة من طرابلس بالجفارة والأقاليم الداخلية المرتفعة بالحسل

-
- (١٩) أنظر البكري ص ١٠ - ١١ . كتاب الاستبصار ، ص ١٤٦ وهامش ٢ وقارن اليعقوبي (ص ٢٤٥ - ٢٤٦) الذي يجعل وطان من أعمال برقة المضافة اليهما والى عمل سرت .
- (٢٠) أنظر فيما بعد عن فتح برقة ، الباب الثاني . وأنظر البكري ، ص ١٥٨ (عن أودغست أول بلاد السودان : حيث يقول ان مكانها أهل انريقية وبرفجانة ونعوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة ، هؤلاء أكثرهم) .
- (٢١) عن طريق القوافل والمسافات أنظر الأستخري ، ص ٣٧ ، البكري ، ص ١١ وتابع .
- (٢٢) أنظر البكري ، ص ٧ « لأن طر معناه ثلاث وبليطة يعنى مدينة » ، كتاب الاستبصار ص ١١٠ وقارن ابن خردادبة (ص ٩١) حيث يقول ان مدينة آياس هي أطرابلس أي ثلاث عدائن ، والمسعودي ط . التجارية ١٩٤٨ ، ج ٢ ص ١١٩ (نفس رواية ابن خردادبة والمدن الثلاث هي : آياس Oea مومع مدينة طرابلس الحالية ، لبسة في شرقها ، وصبرة أو سبرت (سبراتة الحالية) في غربها . وأنظر الرحلة الوريثالية ، تصحيح محمد بن أبي شيب ط ٢ بيروت (تصوير) ١٩٧٤ ، ص ١٤٥ .
- (٢٣) أنظر اليعقوبي ، ص ٣٤٦ (حيث يسمى البلاد « أرض نفوسة » نسبة الى القبائل التي جعل منازلها في « جبال طرابلس » ، فكانه يطلق عن جبل نفوسة اسم « جبال طرابلس ») .
- (٢٤) عن اتصال جبل دزن بجبل أوراس وجبل نفوسة أنظر البكري ، ص ١٦٠ ، وأنظر الاستبصار ، ص ١٦٣ (وأشهر قرى جبل نفوسة ، شروس وحادر) ، وقارن القلقشندي ، صبح الاعشى ج ٥ ص ١٧٣ (عن ابن سعيد) حيث النص على أن أول جبل دزن في أقصى الجنوب وآخره من جهة الشرق على ٣ مراحل من اسكندرية من الديار المصرية ، ويسمى طرفه الشرقي المذكور « رأس أوثان » .

وبالظهور (٢٥) ، وهو وضع جبل نفوسة بهذا الشكل كان سببا في أن أصبح اتصال فزان ببرقة بل وربما بنونس والجزائر أكثر سهولة من اتصالها بطرابلس القريبه . وكان ذلك من أسباب ضيق حسدود افنيم أو حيز طرابلس الذي تم بعد ذلك بيان خاص عند الجغرافيين إذ جعلوا مدينة طرابلس أو مدينة اشريفية (٢٦) .

افريقية :

واقليم افريقية هو أول أقاليم المغرب الحقيقي . يفهم ذلك من روايات الكتاب الاوائل : فابن عبد الحكم عندما يتكلم عن محاولات عمرو بن العاص لفتح ما وراء طرابلس يقول : « وأراد عمرو أن يوجه إلى المغرب » (٢٧) وكذلك عندما يذكر في بعض المواضع حملتي عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٧ هـ ومعازية بن حديج سنة ٣٤ هـ بافريقية ، يقول انهما حرجا إلى المغرب (٢٨) . ولقد ناقش العلماء من المحدثين كلمة افريقية واختلفوا في أصلها ، فمنهم من يميل إلى القول بأنها اسم مكان - كما تستخدم الكلمة حاليا اسما لقارتنا الافريقية - ، ومنهم من يأخذ بالقول بأن أصل الكلمة اسم لشخص أو لقبيل تم أعطى للمكان - منما يطلق على بلاد المغرب اسم بلاد البربر (٢٩) . وجمهرة الكتاب العرب يأخذون كمسألتهم في تقسيم الشعوب ، وحسب قانون علم الأنساب عندهم - بهذا الرأي الأخير . فهم يقولون ان افريقية نسبة إلى الأفرق أهل البلاد الأصليين ، أو أنها نسبة إلى منكة ملكة البلاد في القديم كانت تسمى افريقية أو ابريقية (٣٠) بالعلماء أو بابناء كما يحدث في بعض الأسماء الفارسية مثل أصفهان وأصبهان . ونعتقد أن الكتاب العرب هم الذين وجهوا العلماء المحدثين بوجهتهم هذه في البحث ، رغم الطابع الأسطوري الذي يظلب على هذه الرواية (٣١) . وأيما ما كان الأمر ، فالحقيقة التي تبيننا هي

Despois, Le Gebel Nefoussa (Tripoliaine), Paris, 1935, (٢٥)

p. 1, 10.

(٢٦) الأسطخري ، ص ٣٣ الاستبصار ٢ ص ١١٠ والهامش ١ .

(٢٧) فتوح مصر والمغرب . ص ١٧٢ . (٢٨) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٩٢ .

(٢٩) أنظر حسين عزني ، فتح العرب للمغرب ، ص ١ والهامش . حيث يأخذ بقول من

يقول ان أصل الكلمة فيبني من لفظ امرى (اسم أهل البلاد . انظر Gautier, Le Passé

de l'Afr. p. 125) ، كما يورد رأي من يقول بأن أصل الكلمة صنف من لفظ

امارا ، أو ابريكا ، وانظر محمد عبد الهادي شعيرة ، مجلة كلية الآداب والتربية ، بنغازي ، ١٩٥٨ ،

ص ٨ (عن ظهور اسم افريقية في العهد الروماني) .

(٣٠) انظر كتاب الاستبصار ، ص ١١١ - ١١٢ وهامش ١ .

(٣١) انظر البكري (ص ٢١) حيث الذي يعرض مختلف الآراء ، وأولها النسبة إلى

الملك افريقية والملك افريقس . والظاهر أن هذه الرواية يمنية الأصل إذ ينسب الاخيارى =

أن العرب أخذوا اسم افريقية عن الروم كما نقلوا أسماء ينطابلس (أو أنطابلس) وأطرابلس . فأرومان والروم أطلقوا على أملاكهم في افريقيا الشمالية التي كانت عاصمتها مدينة قرطاجنة اسم أفريكا *Africa* الذي عرب الى افريقية ، والذي ظل مستعملا في العصر البيزنطي رغم اتقسيمات الادارية التي كانت تستحدث داخل هذه الولاية (٣٢) . وعندما دخل العرب بلاد المغرب كان سلطان حاكم قرطاجنة البيزنطي ، وهو والي افريقية يمتد - من الناحية النظرية على الأقل - من تخوم طرابلس الى تخوم طنجة (٣٣) . وكان ذلك سببا في أن أصبح لافريقية مفهومان : أحدهما عام يكاد يعادل مفهوم المغرب . إذ يقول بعض الكتاب ان افريقية تمتد من برقة شرقا الى طنجة غربا (٣٤) ، والآخر خاص ويعني الأجزاء الشرقية فقط من المغرب التي تعادل ولاية افريقية الرومانية الأصلية أي ابلاد التوتسية الحالية مع بعض الأجزاء الغربية لولاية طرابلس (ومنها المدينة) والتخوم الشرقية لبلاد الجزائر الى بجاية في ولاية تسنطية (٣٥) . أو الى مدينة الجزائر الحالية (جزائر بني مزغنة) (٣٦) . وهذا يعني ان الحدود الحالية بين هذه الأقاليم إنما هي حدود اصطلاحية وأن كل إقليم منها يتداخل في الآخر من وجهة النظر الطبيعية - كما سنشير الى ذلك بعد قليل .

= المشهور وهب بن منبه في كتاب التيجان ، ص ٦٥ اسم افريقية الى ملك اليمن افريس التي غزا المغرب قبل الاسلام وأعطى اسمه لتلك البلاد (وقارن القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٠٠) حيث يضيف الى ذلك أن النسبة ربما كانت الى « فاروق بن بصر بن نوح » (وأنظر فيما بعد ص ١٤٣ وه ٥٤) حيث الاشارة الى أن افريقية مترقة ، وهو تفسير لغوي خاص بفكرة صعوبة فتح هذا الاقليم بمعنى المغرب .

(٣٢) عن تقسيم ولاية افريقية على أيام الرومان والبيزنطيين انظر *Julien, Hist. de l'Afr. p. 225* وحسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٢ : افريقية الأصلية تعادل اقليم قرطاجنة ، افريقية القنصلية وتضم افريقية الأصلية ، والجزء لشرقي من تونس ويسمى روجيتانيا ومنطقته الداخلية الى فزان وتسمى بيزاسينا ، والمنطقة التي تعادل الجزائر حاليا وتسمى نوويديا ، وغرب ذلك منطقة طنجة وتسمى مورطانية .

(٣٣) البلاذري ، ص ٢٢٧ ، ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ .

(٣٤) كتاب الاستبصار ، ص ١١١ ، ص ١٣٩ (طنجة آخر حدود افريقية) .

(٣٥) أبو الفداء ، طبعة أوروبا ، ص ١٢٢ (ولكنه يجعل حدودها الشرقية تمتد الى هرفة

والى حدود مصر) .

(٣٦) انظر الزهري ، كتب الجغرافية ، مجلة الدراسات الشرقية ، المعهد الفرنسي بدمشق

ج ٢١ سنة ١٩٦٨ ، ٢٠٠ (ص ١٠٧ من النص) .

المغربان : الأوسط والأقصى :

وبعد أن تحددت مسميات الاقائيم الشرقية من المغرب بمنزومه انعام - بهذا الشكل (من برقة الى طرابلس الى افريقية) - أصبحت حدود المغرب (الحقيقي) عند انكتاب الأوتل نبداً مما بين افريقية غرباً الى سواحل البحر المحيط (٣٧) . وابتداءً من القرن الخامس الهجري (١١ م) ميز الجغرافيون العرب الأقاليم الغربية البعيدة من هذا المغرب فأطلقوا عليها اسم المغرب (٣٨) أو المغرب الأقصى (٣٩) . وبذلك أصبح هناك مغربان : مغرب أو مغرب أقصى ، وهو الذي عرف ابتداءً من منتصف ذلك القرن وإلى عهد قريب باسم عاصمته السياسية مراكش ، ومغرب أوسط (٤٠) وهو الذي يعادل بلاد الجزائر الحالية . وأصبح خط التقسيم انشعالي بين المغربين (الأوسط والأقصى) هو مجرى وادي ملوية أو ما بين تلمسان (عاصمة المغرب الأوسط) وتازا (مدينة المغرب الأقصى) (٤١) ، وذلك رغم عدم وجود حدود أو فواصل في الجنوب .

وهكذا انقسمت بلاد المغرب بمعناها العام الى ثلاثة أقسام ، احتفظ اثنان منها باسم المغرب مع صفة مميزة وهما : المغرب الأوسط والمغرب الأقصى . ونحن نظن أن اصطلاح المغرب الأقصى أقدم من اصطلاح المغرب الأوسط وذلك لأن الأجزاء الشرقية من المغرب وخاصة افريقية لم يطلق عليها الكتاب اسم المغرب الأدنى بل احتفظوا لها باسمها القديم أو أطلقوا عليها

(٣٧) فلاحظ أن ابن عبد الحكم لا يبين الحد بين افريقية والمغرب فهو يستعملها بنفس المعنى عند كلامه عن الفزوات العربية الأولى ، إلا أنه يفهم من كلامه عن فتوحات موسى بن نصير أن كلمة المغرب هنا تعنى ما وراء افريقية بمعناها العام أى اجزاء من طنجة (انظر ص ١٩٢ ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤) ، وقارن البلاذري الذي يقول عن يزيد بن أبي مسلم انه رأى افريقية والمغرب (ص ٢٣١) . وقارن الزهرى ، كتاب الجغرافية ، النص ص ١٠٦ (حيث يجعل أول بلاد المغرب جبال برقة وجبال أوغان في المشرق وهي آخر عمل مصر وأول عمل القيروان ، وآخر أقصى السوس) .

(٣٨) البكري ، ص ٧٦ ، كتاب الاستبصار ، ص ١٧٩ .

(٣٩) أبو القدا ، ص ١٢٢ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٤٠) البكري ، ص ٧٦ ، الاستبصار ، ص ١٧٦ ، أبو القدا ، ص ١٢٢ وانظر ابن سعيد الجغرافيا ، ص ١٤٢ (حيث يصف بجاية بأنها قاعدة « المغرب الأوسط ») وقارن الزهرى كتاب الجغرافية ، الذي يقسم المغرب الى ثلاثة أصقاع ، هي افريقية (النص ص ١٠٧) ، والمغرب الأقصى الذي يحده جبل وتشريش شرقاً ، ومع ذلك فهو يشمل بعض مدن المغرب الأوسط ، مثل : تنس ، وتاهرت ، وتلمسان ، (النص ص ١١٢) ثم السوس الأقصى وحده على البحر المحيط رباط ماسة ويدخل في نطاقه مدينة سجلماسة (النص ص ١١٧) .

(٤١) البكري ، ص ١٢٩ (تلمسان الحد بين المغربين) ، الاستبصار ، ص ١٧٦ ،

١٨٦ - وقارن صبيح الأعشى ، ج ٥ ص ١٤٩ ، ١٥٣ .

في بعض الأحيان اسم « بلاد القيروان » (٤٢) ، نسبة إلى عاصمتها مدينة عغبة ابن نافع قبل حرايتها على أيدي بني هلال ، وهذا يعني أن اصطلاح المغرب الأوسط إنما هو نسبة إلى المغرب الأقصى أي البعيد أو المنتطرف ، ولما كانت بلاد الجزائر مغربا بالنسبة لإفريقية ومشرقنا بالنسبة للمغرب الأقصى ، أصبح هذا المغرب الأخير الحق الأقاليم بالتسمية : فهو مغرب بالنسبة لكل ما درنه من الأقاليم وهو ليس مشرقا بالنسبة لآي إقليم ، وهذا ما يفسر كيف انحلت أسماء الأقاليم - ومنها الحق في ذلك - باسم « المغرب » حاليا دون غيرها من أقاليم إفريقيا الشمالية العربية .

مميزات المغرب الأقصى :

والحقيقة أنه يوجد عامل طبيعي مميز للمغرب الأقصى ذلك أن له ، إلى جانب واجهته الشمالية المشتركة المنطلقة على البحر المتوسط والمعروفة ببلاد الريف حديثا وعند الكتاب العرب ببلاد غمارة (٤٣) ، واجهة غربية مطلة على البحر المحيط تكتنفها جبال درن ، وهي جبال أطلس الحالية ، وتكون سلاسل الجبال مضايبا مرتفعة كما تحوي فيما بينها سهولا عالية ، وهذه الواجهة المحيطية هي التي تميز المغرب الأقصى عن بقية بلاد المغرب ، إذ تشق الجبال أودية الأنهار التي تتجه نحو المحيط ، ومن أهم هذه الأنهار وادي سيو الذي يعرف أيضا باسم رافده وادي فاس ، ويكون منخفضا في شمال البلاد عرفه الكتاب باسم السوس الأدنى (٤٤) ، تمييزا له عن المنخفض الآخر الواقع في الجنوب الغربي للبلاد ، والذي يشقه وادي سوس (الذي يصب عند أغادير) ويعرف بالنسبة له بالسوس أو السوس الأقصى (٤٥) ، ويوجد بين وادي

(٤٢) البكري ، ص ٤٧ ، الاستبصار ، ص ١٥٤ ، وقانون قدامة ، كتاب الخراج (ملحق ابن خردادبة) ، ص ٢٦٥ (حيث يقول أن أول نفود المغرب إفريقية « وهو المنسوق القيروان ») .
(٤٣) عن جبل غمارة أنظر البكري ، ص ١٠٠ وتابيح الأندلس ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، والاستبصار ص ١٩٠ والهاشمي ٢ - وعن تسمية ذلك الساحل ب « الريف » أنظر ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٢٩ .

(٤٤) أنظر ابن عبد الحكم (ص ٢٠٥) ويفهم من روايته أن السوس الأدنى هو المنطقة الواقعة وراء طنجة من حيث كانت توجه الحملات العسكرية أيام موسى بن نصير ، وهذا ما ينص عليه البلاذري صراحة (ص ٢٢٩) عندما يقول عن عقبة بن نافع « ففزا السوس الأدنى وهو حلف طنجة » ، وأنظر ابن خردادبة ، المسالك ص ٨٩ ، ٩١ (حيث يقول : وحلف طنجة السوس الأدنى) ، ويعرف كتاب رومي القرطاس (ص ٦) حد السوس الأدنى من وادي ملوية إلى وادي أم الربيع ، ويعرفه بأنه أنصب بلاد المغرب .

(٤٥) ابن عبد الحكم يسمي المنطقة بالسوس فقط ، وهي آخر ما وصل إليه عقبة بن نافع (ص ١٩٨) ، ولكنه يحدد موقعها المنتطرف في الجنوب عندما يقول أن حبيب بن أبي عبيدة «

سبو و وادي سوس عدد من الأنهار هي (من الجنوب الى الشمال) • وادي تنسيفت (٤٦) وتقع قربه مدينة مراكنس ، و وادي نم الربيع وينبع من درن في إقليم تادلا ويصب قرب أزموور (٤٧) نم وادي بوزجرج (أبو الرقراق) (٤٨) التي يصب عند سلا والرباط (رباط الفنج) •

هذه الأنهار التي كونتها سلاسل الجبال المحيطية هي التي تميز المغرب الأقصى عن الإقليم المغربية الأخرى • ففي المغرب الأوسط لا نجد الا أنهارا صغيرة قليلة الأهمية • أما وادي ملوية الذي يعتبر حدا فاصلا بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط فهو من أنهار المغرب الأقصى اذ ينبع من الجبال الجنوبية ، فيما وراء قرا • ويكون من روافده نهر زيز ونهر سجنماسة (٤٩) ، ويخترق بلاد مكناسة ويصب في بحر الروم قرب جراحة (٥٠) • وأشهر أنهار المغرب الأوسط وادي شلف (٥١) الذي ينبع من جبل ونشريش الذي يمر عند منتصفه قرب مليانة ويصب شرقي مدينة سنغانم (٥٢) • أما بقية الأنهار التي يذكرها البكري والادريس وصاحب الاستبصار وابن سعيد فهي أودية لا يكثر فيها الماء الا في فصل الشتاء عند هطول الأمطار ، وبعضها أودية صغيرة يأتيها الماء من العيون أو من قنن الجبال (٥٣) • وفي اقرقية لا نجد من الأنهار الهامة الا

= غزا السوس وأرض السودان (ص ٢١٧) • ويحدد البلاذري المسافة بين السوس الأدنى والسوس الأقصى بنيف وعشرين يوما (ص ٢٣٠) أما المسافة من مروج الذهب • ج ١ ص ١٦٤ • فيجمل المسافة بينهما نحو من عشرين يوما ، وعن صفة السوس الأقصى الذي يطلق عليه أيضا اسم السوس فقط ، أنظر كتاب الاستبصار ، ص ٢١١ ، وهامش ٤ وابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٢٣ • ويحدد كتاب روض القرطاس السوس الأقصى من جبل درن الى بلاد نول (ص ٦) • وأنظر تحديد الزهري فيما سبق ص ٦٩ هـ ٣٧ •

(٤٦) الاستبصار ، ص ٢٠٩ ، ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٢٣ (نهر تنسيفت) •
(٤٧) الاستبصار ، ص ١٨٥ ، ابن خلدون ، المعبر ج ٦ ص ١٠٢ ، الترجمة ، ج ١ ص ١٩٥ •

(٤٨) أنظر مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس ص ١٠٥ هامش ١ •
(٤٩) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٤٠ (فيكون مسافته من منبع سجنماسة في الجنوب نحو مائة ميل) •

(٥٠) الاستبصار ص ١٩٢ ، ابن خلدون ، المعبر ج ٦ ص ١٠٢ والترجمة ج ١ ص ١٩٥ (النص يقول ان ملوية يصب قرب غساسة ، ولكن دسلان يرجح أن المقصود بلدة جراحة) •

(٥١) الاستبصار ، ص ١٧١ •
(٥٢) أنظر ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٤١ - ١٤٢ (حيث يصف نهر الشلف بأنه مثل السل يزيد أمام نقيص الأنهار) •

(٥٣) أنظر كتاب الاستبصار ، ص ١٧٦ - ١٧٩ : لهوامش ، وقارن ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٤٢ (حيث ذكر أنهار مدن : تنس ، والحزائر ، وبجاية ، والقل) •

نهر بجرده أو مجردة (٥٤) الذي يصب بالقرب من مدينة تونس . وبعد ذلك لا توجد أنهار إلى حدود مصر ، أما الأنهار التي يذكرها الكتاب فهي إما وديان تسيل أيام اشتاء أو جداول تغذيها الينابيع وخاصة في الواحات . وهكذا حق لابن سعيد أن يقول فإذا فارقت طرابلس لا تلتقي مدينة فيها حمام ولا خباز أني أن تصل إلى الإسكندرية (٥٥) .

الوحدة الطبيعية :

وغم التسميات والتقسيمات المختلفة التي ذكرناها ، فإن البلاد جميعا - من مصر إلى المحيط هي - « بلاد المغرب » أولا وقبل كل شيء . وهذه التسمية العامة تحمل في ثناياها معنى وحدة البلاد . والحقيقة أن الكتاب العرب تنبهوا إلى أنه إذا جاز أن تقسم بلاد المغرب رأسيا بالشكل الذي رأيناه ، والتي ينبني على تقسيمات إدارية أو سياسية قديمة ، فإنها جميعا تنقسم أفقيا إلى ثلاثة أقاليم طبيعية متشابهة : أولها الإقليم الساحلي الممتد على بحر الروم من الإسكندرية إلى طنجة (على بحر الزقاق) ثم من طنجة على ساحل البحر المحيط إلى مدينة نول في السوس (٥٦) . ونلاحظ هنا أن كثيرا من المؤرخين والجغرافيين العرب اعتقدوا أن ساحل المحيط الأطلسي (أو قيانوس أو لتلانت أو أدلنت) (٥٧) يمتد في استقامة من الشرق إلى الغرب بإحاطة ساحل البحر المتوسط ولهذا السبب اعتبروا مبدأ جبال درن (أطلس العليا) المنحرفة جنوبا في المغرب الأقصى بداية الحد الغربي للمغرب . وهذا ما أخذ به ابن خلدون (٥٨) . وعلى هذا الأساس فسروا توقف التوسع العربي عند بلاد السوس الأقصى التي اعتبروها نهاية أرض المغرب (أي نهاية شيمان افريقية) (٥٩) . والإقليم الثاني هو المناطق الصحراوية الممتدة من غرب مصر

(٥٤) الاستصار . ص ١٢٦ . وفاروق ابن سعد . الجغرافيا . ص ١٤٢ - ١٤٣ (حيث ذكر أنهار من : بونة وبشزرت ، وقابس) .

(٥٥) الجغرافيا . ص ١٤٦ .

(٥٦) ابن خلدون . العبر . الفصل الخاص بسواحل البربر . ج ٦ ص ٩٨ والترجمة ج ١ ص ١٨٨ .

(٥٧) ابن خلدون . العبر . ج ٦ ص ٩٨ ، النص العربي يكتب لتلانت في شكل البلاية قارن الترجمة ج ١ ص ١٨٧ وهامش ٣ .

(٥٨) ابن خلدون . العبر . ج ١ ص ١٠٠ والترجمة ج ١ ص ١٩٤ وهامش ١ .

(٥٩) انظر فيما بعد غزوة عقبة بن نافع في الحرب الأقصى وكيف انتصت له وصل إلى نهاية المسود غربا عندما وصل إلى وادي نفس حيث ينحرف شاطئ المحيط نحو الجنوب الغربي .

الى جنوب المغرب الأقصى ، وهو اقليم الحدود الجنوبية حيث الجبال التي تعرف عند عرب البادية بالعرق (٦٠) . وبين الاقليمين تمتد سلاسل الجبال موازية للبحر والمحيط وتكون اقليما طبيعيا ثالثا (بعضه يعرف باسم انتل) ، وله مميزات خاصة انتر تزارح في بعض الأحيان ما بين سعات الاقليم البحري والاقليم الصحراوي (٦١) .

والبحر هو عامل الربط الأول بين الاقليم الساحلي : فهو يوصل بين مدنه البحرية ومراسمه ، وهو الذي ينظف من مناخه ويحميه بالرياح المحملة بالأمطار ، فهو على اجملة الذي يعطى هذا الاقليم شكله الطبيعي الموحد أو المنجانس . والى جانب البحر يربط الطريق التاريخي الممتد برا من برزخ السويس الى تازا وفاس بين مختلف المناطق الساحلية . وكانت تبلغ مسافة هذا الطريق من مصر الى فاس ١٤٦ مرحلة . ومحطاته الكبرى هي : برقة ، وطرابلس ، والقروان ، وسطيف ، وتاهرت تم فاس (٦٢) .

والاقليم الصحراوي يستمد من واحات مصر الى واحات برقة الى فزان الى زويلة الى وارجلال (٦٣) (جنوب المغرب الأوسط) الى سبجنامسة (التي عرفت منطقتها فيما بعد باسم تفللت أو تفيلاآت ، نسبة الى أسرة اشرفاء الفيلايين) الى وادي درعة (نحو الجنوب الغربي) الى حد البحر المحيط غربا (٦٤) . ورغم ما يوصف به هذا الاقليم من أنه صحراء موحشة ، الا أن الأمر ليس كذلك .

(٦٠) ابن خلدون ، المعبر ، ج ٦ ص ١٠٠ والترجمة ج ١ ص ١٩٠ .

(٦١) أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠١ والترجمة ج ١ ص ١٩٣ . وعلى أساس صفا النسيم الثلاثي يعيز صاحب كتاب الاستبصار بين اقاليم المغرب ، فخصص للبلاد الساحلية فصولا (ص ١١٠) وللبلاد الصحراوية والقرية من الصحراء فصولا أخرى (ص ١٤٢) .

(٦٢) الأصطخري ، ص ٣٧ .

(٦٣) وتكتب وارجلا أيضا في شكل واركلا (انظر الصفحة التالية) ، وفي شكل واركلي (انظر المعبر ج ٦ ص ١٠٠) ، وفي شكل واركلان (انظر ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، بيروت ، ص ١٢٦) ، التي ربما كانت نسبة الى بني واركلان من قبائل البربر الذين يذكروهم ابن حرداذبة (المسالك ، ص ٩١) . والقروض أن حرف الكاف من الكلمة ينطق كما نطق الجيم المصرية ، ولهذا نجد الاسم في الادبي (ط . ليدن ، ١٨٦٤ ، ص ٤ ، ٨ ، ١١ ، ١٢٠ ، ١٠٠) في شكل « واركلان » .

(٦٤) الأصطخري ، ص ٣٣ ، وأنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٠ والترجمة ، ج ١ ص ١٩٠ - ١٩١ . وعن تحقيق موضع سجلنامسة بوضع تفللت الحديثة ، انظر بلاد السودان العربية له « كولي » (W.D. Cooley) بالانجليزية ، لندن ١٩٦٦ ، ص ١ ص ٥ (حيث يرجع الفضل الى شير (Chenier)

فصانيع انباه والواحات تنتشر في أرجائه وبفضائها أمكن للقوافل أن تختبره من أقصاه إلى أقصاه في طريق أفصر من الطريق الشمالي بحوالي ثلث المسافة . فطريق البرية من القيروان إلى سجلماسة كان يبلغ ٨٠ (ثمانين) مرحلة ، وهو في العمازة ١٢٠ (مائة وعشرون) مرحلة (٦٥) . ويصف العياشي في رحلته (القرن ١١ هـ / ١٧ م) ذلك الطريق الصحراوي الذي قطعه من تفلت وسجلماسة إلى فزاوة وضرابلس وصفا دقيقا . والذي يلاحظ هو أنه رغم بعد الطريق عن العمران إلا أن الماء متوفر على طولها في أماكن كثيرة . ففي المنطقة شرق سجلماسة توجد أحساء تحضر في رمل طيبة الماء (٦٦) . وبعد هذه الأحساء يوجد وادي جير وهو كثير المرعى تجتمع إليه السيول من المسانات البعيدة (٦٧) .

أما الأراضي الموحشة التي لا خصب فيها ولا ماء فهي الهضاب التي تعرف باسم الحمادة ، وهي عبارة عن أرض حرشة صخرية أو محجرة مرتفعة ، ومن أهمها : الحمادة الكبيرة الواقعة بين سجلماسة ووادي جير ، والتي تقطعها القوافل وهي تحمل مؤونها من الماء في ثلاثة أيام (٦٨) ، ثم الحمادة التي تفصل وادي جير عن وادي الساروة الذي تمتد قرابة مسافة عشرة أيام في أعماق الصحراء إلى قريب من مدينة توات في قلب صحراء الجزائر الحالية (٦٩) ، ثم الحمادة الواقعة بين وادي الساروة وتوات (٧٠) (مجمع القوافل الآتية من بلاد السودان) (٧١) ، ثم الحمادة الكبيرة الواقعة في الطريق المؤدى من وادي يكون (ايجون) إلى واركللا (وارجلا في جنوب بلاد الزاب قبلي بجاية) ، وهي مسيرة أربعة أيام في أرض جرداء حرشاء (٧٢) . والطريق يستمر من وارجلا

(٦٥) الأسطخري ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٦٦) العياشي ، الرحلة ، مخطوط ضرابلس ص ١٣ خلف .

(٦٧) نفس المصدر .

(٦٨) نفس المصدر ، ص ١٣ خلف ، ص ١٤ وجه . وعن الحمادة أنظر ابن خلدون ،

ج ٦ ص ١٠٠ ، والترجمة ج ١ ص ١٩١ وهزة وادي جير الذي يصب في الصحراء عند تمنطيت

ورجان (وكان) أنظر ج ٦ ص ١٠٢ والترجمة ج ١ ص ١٩٦ وهامش ١ حيث يذكر دسلان أن

نهر جير ظل يحمل اسمه القديم وهو (١٢٥) .

(٦٩) العياشي ، الرحلة ، المخطوط ، ص ١٤ وجه ، وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١٠٣)

التي يسميها قصور توات .

(٧٠) نفس المصدر ، ص ١٥ وجه .

(٧١) نفس المصدر ، ص ١٦ وجه .

(٧٢) نفس المصدر ، ص ٣٥ حلت - ٣٦ وجه . وعن وارجلا، أنظر فيما سبق ، ص ٧٣

الى وادي ريخ (٧٣) ثم الى وادي سوب (٧٤) . وقبل الوصول الى نغزاوة من الجنوب التونسي توجد السبخة ، وهي الأرض المنحة الهنسة التي يسوخ فيها من يحرف يمنة أو يسرة عن حدود الطريق الذي لا يمشى فيه الا بعير واحد انر بعير (٧٥) .

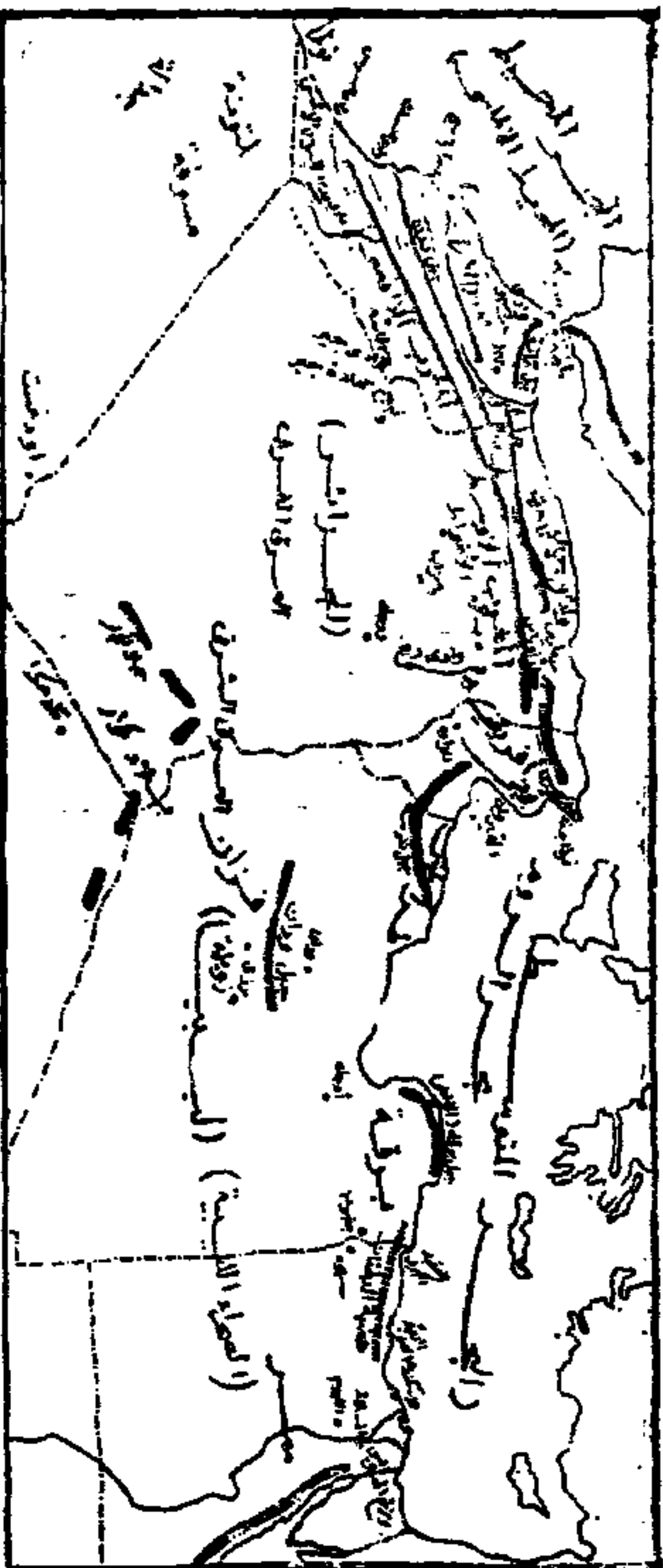
ونغزاوة من الاقليم المعروف باسم قسطليلية والمشهور باسم بلاد الجريد وبلاد النمر أو جزائر النمر لكثرة نخيله ، ومن مدنه نقطة وتوزر وقفصه وبسكرة ، وهو يمتد في جنوب تونس وما يتاخسه من أرض طرابلس والجزائر (٧٦) . ولقد بين ابن خلدون - بما عرف عنه من عمق الملاحظة - أن هذا المون من الاقليم الطبيعي يمتد من سجلماسة ووادي درعة الى واحات مصر وذلك فيما بين جنوب اجبال التي تحده بلاد التل (الهضاب الشمالية الحصبة) والرمال الجنوبية المعروفة « بالعرق » والتي تحده المغرب من جهة السودان وعلى ذلك فبلاد الجريد (أي بلاد التخيل) لا تقتصر على اقليم قسطليلية كما تعارف على ذلك الجغرافيون بل تشمل حقيقة كل الشريط العظيم الممتد جنوبا (من الغرب الى الشرق) من السوس الأقصى ومدينة تارودنت الى سجلماسة على سمت فاس ، الى فجيح على سمت تلمسان ، الى سفوح جبل راشد جنوب ناصرت ، الى وارجلا على قبنة بجاية وبالقرب منها وادي ريخ ، الى اقليم الزاب

(٧٣) نفس المصدر ، ص ٣٩ وجه . وقارن ابن سعيد كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٦ (حيث السمية « بلاد ريخ » شرق وارجلان ، وطولها نحو ٥ أيام ، وهي بلاد نخل ومحضات واسم قاعدتها « تمارية ») .

(٧٤) العياشي ، الرحلة ، المخطوط ، ص ٤١ وجه .

(٧٥) نفس المصدر ، ص ٤٢ وجه . وقارن ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٦ (حيث يصف تلك المنطقة بأنها « الأرض السواخة التي هي كالصابون ، وطالما هلك فيها من أحد جنوبا عن بلاد الجريد . وكان جاهلا بها ») .

(٧٦) انظر ابن حوقل ، ص ٩٢ ، اليكزي ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، الادريسي ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، الاستبصار ص ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٧ والهوامش ، ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٢٧ ، ابن خلدون ج ٦ ص ١٠١ ، والبرجعة ج ١ ص ١٩٢ ، الزهري كتاب الجغرافية ، ص ١٠٧ ، وقارن الرحلة النورثيلانية تصحيح محمد بن أبي شنبه ، ط ٢ - بيروت تصوير ١٩٧٤ ص ٩٣ (عن بسكرة وبلاد الزاب) ص ٦٧٢ عن قسطليلة . ويقول العباس عن نغزاوة اب كثيرة النخل حتى سببت قراها بعري برف مصر ، وحتى قيل ان اسمها (الذي عرفت به قبل الاسلام) أصله الف زاوية (لكثرة عمراها) ثم حرف الى نغزاوة (المختارط ، ص ٤٢ وجه) .



شكل (١)

بلاد المغرب (ومصر) - الشكل الطبيعي والأقاليم المختلفة
 (وعن خريطة بلاد المغرب - كما رسمها الإدريسي - انظر ، فيما يلي ص ٢٩٧)

ومدينته بسكرة ، الى بلاد الجريد (قسطنطينية) ، الى فنزارة ثم فزان وودان
وأخيرا واحات جنوب بركة (٧٧) .

وهذا يعني أن الصحراء كانت - منها مثل البحر - طريقا للمواصلات
والربط بين أقاليم المغرب المختلفة أكثر منها مسطرة للفصل وانعزل كما قد
ينوهم . وكذلك الحال بالنسبة لمنطقة الجبال التي تعتبر هي الأخرى عاملا من
عوامل الربط والوحدة بفضل امتدادها في سلاسل أفقية معاذية لسواحل
البحرية ، فهي أشبه بالهيكل العظمى الذي يربط البلاد ويشد بين أضرافها
من البحر المحيط حتى بركة (٧٨) . وإلى جانب وحدة التضاريس التي تحققها
الجبال فإنها بفضل الوديان المعاذية لها ، والتي تحويها بين ضروعها تمت على
وصل الأقاليم الشرقية بالأقاليم الغربية ، وإن كانت قد جعلت المواصلات صعبة
نسبيا بين المناطق الساحلية والبلاد الداخلية ، كما أنها كونت عددا من المناطق
المنعزلة التي احتفظت خلال العصور التاريخية باتجاهات انفصالية مما جعل
التوحيد السياسي في بعض العصور من الصعوبة بمكان .

وبعزق جوتيه صعوبة الوحدة السياسية إلى عدم وجود مركز طبيعي
للبلاذ يمكن أن تتجمع حوله الأقاليم المختلفة بسبب امتداد المغرب أفقيا على
طول ساحل البحر والمحيط لمسافة ٣ آلاف كيلو متر ، بينما لا تتسع الأقاليم
الخصبة إلا إلى حوالي ١٥٠ كيلو متر (٧٩) . ولكن وديان الأنهار التي تتجه في
معظمها من الأقاليم الداخلية المرتفعة نحو البحر خففت من حسنة صعوبة
المواصلات بين الدواخل والسواحل ، وكذلك عملت طرق القوافل الرأسية

(٧٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٠ - ١٠١ والترجمة ج ١ ص ١٩٢ - ١٩٣ وهذا ما يظهر
حقيقة في وصف الإدريسي (ص ١٣٢ وما بعدها) ، وما يظهر أيضا في وصف ابن سعيد في
كتاب الجغرافيا للجزء الأول والثاني من الأقاليم الثالث (ص ١٢٤ وما بعدها) ولكن الفضل
لاين خلدون في تقرير نظرية حزام النخيل ، كما قلنا . ومن الواحات ، أنظر البكري ، ص ١٤
وتابع ، والاستبصار ، ص ١٤٧ والهامس ٢ وابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٢٨ . وأنظر
شكل ١ ص ٧٦ .

(٧٨) أنظر ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، : حيث النص على اتصال جبل نفوسة بجبل
نمر وما يتصل به من الجبال إلى جبل دون الذي يدخل في البحر المحيط (ص ١٤٥) عند
طرف أجادير لمسافة ٦ أميال (ص ١٢٣) ، وأنظر فيما سبق ، ص ٦٦ وما ٢٣ : حيث يعتبر
الكتاب ، كما قلنا ، جبل نفوسة جنوب طرابلس وكذلك جبل بركة (الجبل الأخضر) أقصى
امتداد لجبل دون (أطلس) في الشرق وأنظر شكل ١ ص ٧٦ .

E.F. Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord. p. 11. (٧٩)

الموصلة بين المراكز الصحراوية والمدين الساحلية على الوحدة والربط بين الأقاليم الحسبة والأقاليم الصحراوية . وبذلك أعطت للبلاد عرضا عميقا يتناسب مع طولها التبير وجعلت الصحراء جزءا لا يتجزأ من المغرب . وهذا ما أدركته ثورة التحرير الجزائرية أخيرا عندما رفضت ، إبان مفاوضاتها مع فرنسا من أجل تقرير النصير ، مبدأ التخلي عن الصحراء . والحقيقة ان تاريخ البلاد يتنحصر في طبيعة العلاقات بين أهل الحضر وأهل البادية . والحقيقة أيضا ان أضراف الصحراء والبادية كانت آخر ملاجئ يلوذ بها الوطنيون في مدافعهم للحرية والمستعمرين .

السكان

التسمية (البربر) :

هذه الوحدة الجغرافية التي حاولنا إيضاح معالمها عملت - بطبيعة الحال ومنذ أقدم العصور - على أيجاد وحدة بشرية أو نوع من القرابة القريبة بين أهل البلاد من حيث السلالة والدم ، ومن حيث النشاط الاجتماعي . ولقد عرف العرب سكان المغرب باسم « البربر » . ولكننا لا نظن أن العرب عرفوا شعب المغرب بهذا الاسم قبل الإسلام ، إذ لا نعرف إن كانت هذه التسمية قد وجدت فيما تأكدت صحته من أخبار العرب في الجاهلية ، فالصلة بين جزيرة العرب وأفريقية الشمالية لم تكن قوية . والمفهوم أن علاقات العرب المباشرة لم تذهب آنذاك إلى أبعد من مصر غربا . أما أخبار اليمن القديمة وما تذكر من فتوحات ملوك حمير في الصين وفي البربر فإنها روايات أسطورية لم تخترع إلا في الإسلام ولم تهدف إلا إلى التفتن بمناقب القحطانية (٨٠) . ولكن العرب لما كانوا على علاقة بالرومان والبيزنطيين فمن الممكن أن يكونوا قد عرفوا كلمة « البرابرة » أو « البرابري » أو « البربر » بمعناها العام الذي عرفته أئينا (Barbaroi) أو روما (Barbari) والذي يعنى الشعوب الجاهلية أو الهمجية أو الخارجة عن نطاق الحضارة الرومانية .

(٨٠) انظر ابن خلدون ، المقدمة ، طبعة التجارية ، باب فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط ، ص ١٢ . أما عن روايات الاخباريين من البنية في فتوحات ملوك اليمن القنماء في بلاد المغرب والأندلس ، فانظر كتاب التيجان لوهب ابن منبه ، ص ٤٨ - ٤٩ ، ٩٢ - ٩٣ وقانون ياقوت ، معجم البلدان ، ط . وستنفلد ، ج ١ ص ٣٢٤ . ولا بأس أن يكون المقصود بفتوح اليمن في المغرب في العصور القديمة هي فتوحهم في سواحل الصومال والحبشة ، مما هو ثابت تاريخيا .

ولما كان الرومان قد أطلقوا هذه التسمية على كل الشعوب الجرمانية التي هاجمت امبراطوريتهم في الحصور الوسطى المبكرة كان من الطبيعي أن يدخل شعب المغرب تحت نطاق هذه التسمية لسببين : أولهما أنه تم يستكن للرومان وتم بهضم الحضارة الرومانية بل قارم احكم الروماني وسبب للدولة كثيرا من المتاعب (٨١) . وثانيهما أن البلاد تعرضت لغزو البرابرة اجرمان من الوندال في القرن الخامس الميلادي وهؤلاء جعلوا من المغرب ملكية بربرية (بالمعنى الأوروبي) الى أن غلبتهم القسطنطينية أيام جستنيان وقائده بيزاريوس . وهنا يمكن لنا أن نتساءل أليس من المحتمل أن تكون كلمة البربر قد أطلقت على أهل المغرب عامة في هذا الوقت وأنه قصد بها الوندال أو خلفائهم الذين بقوا في المغرب ومن انضم إليهم أو تأثر بحضارتهم من أهل البلاد ؟ وعن هذا الطريق يكون العرب قد نقلوا هذه التسمية - كما نقلوا أسماء الأقاليم - فأطلقوا اسم البربر على شعب المغرب ، ولكنهم لم يقصدوا معنى الكلمة الجارح (الذي يقصد في اللغات الأوروبية الحديثة) وما كانوا ليقتصدوه . فموقفهم من روما ومن الحضارة الرومانية لم يكن يختلف عن موقف البربر منها .

ولقد حاول الكتاب العرب تفسير التسمية حسب مفاهيمهم ، فأوردوا على ذلك عددا من الآراء ، ولكنه مما يسترعى الانتباه أن أحدا منهم لم يرجع كلمة البربر الى أصلها الصحيح - حتى أولئك الذين أرجعوا كثيرا من التسميات القديمة الى أصولها الصحيحة (كما ذكرنا في تسمية البلاد) مثل البكري والادريسي وحتى ابن خلدون . فلقد عرض ابن خلدون هذه الآراء المختلفة على مشاهير النسابية ومن كتب في الأنساب مثل ابن الكلبي (أول من ألف في الأنساب - توفي ٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م) ، وابن قتيبة (توفي ٢٩٦ هـ / ٩٠٧ م) ، والطبري (توفي ٢١٠ هـ / ٩٢٢ م) ، والصولي (توفي ٢٣٥ هـ / ٩٤٧ م) ،

(٨١) انظر جوتيه (Gautier, Le Passé de l'Afrique, p. 125) الذي يقول ان الكتاب اللاتين أطلقوا كلمة أفري (Afri) على الأفريقيين على الوطنيين الذين خضعوا لحكم قرطاجنة . أما الوطنون الذين كانوا يتورون على الامبراطورية الرومانية فكانوا يعرفون باسمه قبائلهم كما كان يطلق عليهم اسم مور (Mauri) وبربر (Barbari) يطلق عليهم اسم الأفريقيين أبدا . ومسبة الى المور عرفت أقاليم المغرب الأقصى الخاضعة للدولة الرومانية باسم مورطانية (Mauritaine) وهو الاسم الذي نقله الجغرافيون العرب (الكرى ص ٢١) ومنه اشتقت كلمات Moros, Maures, Moors الأوروبية بالانجليزية والفرنسية والإسبانية .

والمسعودى (توفى ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) ، وعلى بن عبد العزيز الجرجاني (له كتاب فى الأنساب - توفى بنيسابور ٣٦٦ هـ / ٩٦٧ م) وابن حزم القرطبي (توفى فى أول النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى / ١١ م) وأبو عمر ابن عبد البر (ولد بقرطبة وقضى لسببنة توفى ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) ، والبكرى (توفى بأخرية ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ، والسهيلي (ولد بمالقة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م وتوفى بمراكش ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) ، ومالك بن المرحل (توفى فى أواخر القرن السابع الهجرى / ١٣ م) (٨٢) ووجه اليها النقد - حسب الأصول التى رسمتها فى مقدمته - ولكنه لم يشر الى وجود الكلمة عند الروم أو الفرنج .

ونلاحظ أن هذه الآراء تنقسم الى قسمين : أولهما ، تفسير كلمة « البربر » تفسيراً لغوياً لأن لغة القوم رطانة أعجمية تختلط فيها الأصوات التى لا تفهم ، فقولهم « ما أكثر بربرتكم » ! كما يقال بربر الأسد اذا زار بأصوات غير مفهومة ، (٨٣) . أما ثانيهما : فتفسير كلمة « البربر » حسب عادة العرب فى تقسيم الشعوب وعلى الأسس المتعارف عليها عندهم فى علم الأنساب ، اذ قيل ان شعب المغرب اتخذ اسم أحد آبائه اليمعديين وهو « بر » - وهذا رأى ابن حزم نقله عن يوسف الوراق (والد محمد بن يوسف الوراق أحد مراجع البكرى الهامة - توفى سنة ٣٦٣ / ٩٧٣) الذى نقله عن أيوب ابن أبى يزيد صاحب الحمار (٨٤) - أو « بربر » - وهذا رأى الصولى (٨٥) (كما ينتسب العرب الى عرب مثلاً) . وهكذا استقر علم الأنساب بالمغرب .

(٨٢) أنظر ابن خلدون طبعة القاهرة ، الفصل الخاص بأنساب البربر ج ٦ ص ٨٩ - ٩٧ . (ابن الكلبي ص ٩٤ - ابن قتيبة ص ٩٣ - الطبرى ص ٩٣ ، ٩٤ - الصولى ص ٩٢ ، ٩٤ - المسعودى ص ٩٣ - ٩٤ - الجرجاني ص ٩٢ - ابن حزم ص ٩١ - ابن عبد البر ص ٩٢ ، ٩٦ - البكرى ص ٩٤ ، ٩٥ - السهيلي ص ٩٤ - مالك بن المرحل ص ٩٢) والترجمة ص ١٦٨ - ١٨٥ .

(٨٣) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ٨٩ والترجمة ، ج ١ ص ١٦٨ ، ١٧٦ . وهناك رأى آخر يقول ان العرب لاحظوا أن لغة البربر يكثر فيها استعمال حرفى الباء والراء فقالوا : هذه البربرية (الباربارا) .

(٨٤) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ٨٩ والترجمة ، ج ١ ص ١٦٨ - ١٦٩ . وأبو يزيد صاحب الحمار هو الشاعر الأندلسى المشهور الذى خرج على الفاطميين بالمغرب . وابنه هو أبو محمد يوب الذى سار الى الأندلس مبعوثاً عن والده وأنام بعض الوقت فى قرطبة (أنظر ترجمة ابن خلدون ، ص ٢٨ و٢٩) .

(٨٥) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ٩٤ ، والترجمة ، ج ١ ص ١٧٦ .

ومع مرور الوقت ظهر المنخصصون فيه من أبناء أبلاد ، ولم يأت القرن الرابع الهجري حتى كانت أنساب البربر قد دونت بالعربية (٨٦) ، وأصبحت علما مثل أنساب العرب ، ومن مشاهير نسابة البربر الذين يذكرهم ابن خلدون: سابق بن سليم المطاطي وهاني بن مسدور الكومي ، وكيلان بن أبي لزا (٨٧) ، وهاني بن بكور الضريسي ، وأيوب ابن أبي يزيد (٨٨) .

أصل البربر :

والظاهر أن هؤلاء النسابة اتخذوا شجرة الأنساب العربية التي تقسم العرب إلى شعبين كبيرين ينحدران من قحطان ومن عدنان - نموذجا ، فقسموا قبائل البربر إلى مجموعتين كبيرتين ، هما : البرانس والبتر . وقالوا إن الجماعة الأولى أبناء برنس ، وإن الجماعة الثانية أبناء مادغيس الذي لقب بالأبتر (٨٩) - ونكي تتفق هذه الرواية مع الرواية التي تقول إن قبائل البربر تنتسب إلى أصل واحد (كما ينتسب القحطانية والمعدنانية جميعا إلى إبراهيم) ، قيل : إن برنس والأبتر هما ابنا بر (٩٠) جدهم جميعا . ولكن بعض نسابة البربر لم يوافقوا على هذا الرأي الذي قال به ابن حزم في جمهرته ، فقالوا ، إن لكل من الجماعتين جدها الخاص بها فالبرانس أبناء بر ابن مازين بن كنعان ، والبتر أبناء بر بن قيس بن عيلان (٩١) .

وهذه النسبة الأخيرة إلى الكنعانيين وإلى القيسية تعني أن البربر قبائل مشرقية الأصل هاجرت إلى المغرب في ظروف تاريخية معينة ، وهذا ما يقوله النسابة فعلا - ولقد ناقش ابن خلدون اختلاف الكتاب في هذا الأمر ، وعرض آراءهم - فلقد قال في كتاب الأوائل مثل ابن الكلبي وابن قتيبة وأخرجي والطبري ومن حدا حدوهم مثل المسعودي والبكري وابن الأثير إن أصل البربر من الشام وانهم طردوا من فلسطين أيام داود النبي

(٨٦) انظر ترجمة ابن خلدون ج ١ ص ١٦٨ هانس ٣ لفسلان .

(٨٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٨٩ والترجمة ج ١ ص ١٦٩ - ١٧٠ (نلاحظ اختلافات

في الأسماء في النص العربي فهو مرة يكتب سالم بن سليم ومرة سابق بن سليم كما نجد في هاني بن مسدور مكتوبة في شكل صاي بن مسدور) .

(٨٨) نفس المصدر ج ٦ ص ٩٤ والترجمة ج ١ ص ١٧٨ .

(٨٩) ابن خلدون ج ٦ ص ٨٩ والترجمة ج ١ ص ١٦٨ .

(٩٠) نفس المصدر .

(٩١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٨٩ والترجمة ، ج ١ ص ١٦٩ وانظر شكل ٢ ص ٨٤ .

وقارن معجم البلدان لياقوت ، ط - وستنغلد ، ج ١ ص ٥٤١ .

(م ٦ - تاريخ المغرب العربي)

قتل ملكهم جالوت(٩٢) . وقال البعض مثل الصولي وأبو عمر بن عبد البر
أنهم من مصر من أبناء مصر إيم بن حام أو من أبناء قبط بن حام(٩٣) . كما
تذكر بعض الروايات أن أصل البربر جميعا من اليمن وأنهم أبناء الفعمان بن
حمير بن سبأ(٩٤) . ولقد رأى البعض مثل مالك بن ارحل الذي كان في
خدمة أسد بن يعقوب بن عبد الحق المريسي واشنوفى في أواخر القرن السابع
البيجري - أن يوفق بين هذه الروايات جميعا ، فقال : أنهم من أصول متعددة :
حميرية ومصرية وقبط وشمالية وكنعانية وقريشية اجتمعت في الشام(٩٥) .

ولقد كذب ابن خلدون الآراء ففند أن البربر أبناء إبراهيم ، ودحض
قصة جالوت ، وقال ان مسيرهم من الشام نعت قيادة افريقيس أسطورة
لا تصدق ، ونفى أنهم حميريون أو مصريون . وأثبت ابن خلدون رأى من قال
ان البربر أبناء كنعان بن حام بن نوح - حسب تقسيمه لشعوب - ، وأنهم
أقارب الفلسطينيين وليسوا منهم(٩٦) ، رغم أنه قال في أول كلامه عن البربر
انهم جيل من الآدميين سكنوا المغرب منذ القدم(٩٧) . والحقيقة ان فكرة
هجرة البربر من الشام الى الشمال الافريقي يمكن أن تحوي شيئا من الحقيقة
اذ يمكن القول انها تعبر عن الهجرات الفينيقية التي استقرت في المغرب
والتي مثلتها قرطاجنة التي ظلت عاصمة المغرب الى مجيء العرب . وهذا

(٩٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٩٢ - ٩٦ والترجمة ، ج ١ ص ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٧٥ .
١٧٦ . ١٧٤ . ١٧٧ (حسب الترتيب في المتن) . وقارن ، ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ .
السعودي ج ١ ص ٥٥ ابن خرداذبة ، ص ٩١ - السعدي ، الخروج - ج ١ ص ٥٥ ، ج ٢
ص ١١٩ . ابن الأثير (سنة ٢٢) ، ج ٣ ص ١٣ ، الادريسي ، ص ٥٧ . أما ابن حوقل
(ص ٩٧ ، ١٠١) فإنه يقول عن البربر : « جميعهم من ولد جالوت الا اليسير منهم » .
وقارن معجم البلدان ، ط . وستيفلد ، ج ١ ص ٣٤١ ، وأظر ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا
ص ١٢٩ (حيث يشير الى جبل من جبال جرجي أسيرط اسمه جبل جالوت ، ويقول انه
نسب الى جالوت ، على زعمهم لأنه لما فر من فلسطين حيث قتل جالوت الذي كان قبله ، أمام
بهذا الجبل ، ومنه دخل بولسه وقومه الى المغرب) .

(٩٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٩٦ والترجمة ، ج ١ ص ١٧٦ ، ١٨١ .
(٩٤) نفس المصدر ، ج ٦ ص ٩٣ والترجمة ج ١ ص ١٧٤ ، وتدرن السعودي ، المروج
ج ٢ ص ١٤٤ (حيث يقول في تنازع الناس في بدء نسب البربر ان منهم من يقول انهم من
عسان وغيرهم من اليمن الذين تفرقوا بعد سيل العرم ، ومنهم من يرى أنهم من قيس عيلان ،
أو غير ذلك .

(٩٥) نفس المصدر ، ج ٦ ص ٩٤ والترجمة ج ١ ص ١٧٦ .

(٩٦) نفس المصدر ، ج ٦ ص ٩٧ والترجمة ج ١ ص ١٨٤ .

(٩٧) نفس المصدر ، ج ٦ ص ٧٩ والترجمة ج ١ ص ١٦٧ .

يعنى أن روايات الكتاب العرب وإن كانت من ناحية الشكل ذات طابع أسطوري إلا أنها تحمل في نواياها أشياء من أحقائق التاريخية .

ولقد حاول جوتيه في النصوص التي كتبها عن ماضي شمال إفريقيا أن يلقى بعض الأضواء على هذه الروايات العربية بمقارنتها ببعض النصوص اللاتينية واليونانية السابقة . ونجح في لفت الأنظار إلى عدد من الملاحظات الذكية ولو أن كثيراً منها قوبل بنسوخ من الفسور أو التحفظ من جانب المستعربين (٩٨) . ومن أهم هذه الملاحظات الأصرار على الآثار العميقة التي تركتها قرطاجنة (٩٩) في المغرب : فتاريخ المغرب الحقيقي يبدأ بالحروب البونية (١٠٠) . والنقطة البونية بقيت آثارها في البلاد إلى القرن السادس الميلادي (١٠١) . وعلى أيام القديس أغسطين أي في القرن الخامس الميلادي كان الفلاحون في منطقة بونة يقولون أنهم كنعانيون (١٠٢) ، وهي نفس الفكرة التي يسجلها المؤرخ البيزنطي بروكوب (Procopé) عندما يقول إن أهل البلاد (المورطانيين) أتوا إلى إفريقيا من بلاد كنعان عندما غزاها الإسراييليون (١٠٣) . ويلاحظ جوتيه أن أسطورة بروكوب هذه هي نفس أسطورة ابن خلدون ولكنه ينفي احتمال تأثر ابن خلدون بالمؤرخ البيزنطي .

ونلاحظ هنا أنه رغم عدم وجود علاقة بين بروكوب وابن خلدون إلا أن المؤرخ المغربي ينقل عن قدامى المؤرخين المشاركة وإن أوثق من قال إن أصل البربر من الكنعانيين - كما أشرنا - هو الطبرى . وهنا تكون أمام أحد احتمالين : إما أن يكون الكتاب العرب الأوائل نقلوا بعض معلوماتهم الأولى عن المغرب وشعوبه عن كتاب بيزنطيين مثل بروكوب أو أنهم استقوا هذه المعلومات من واقع البلاد نفسها عن طريق شهود العيان الأوائل . وربما كان الأقرب إلى الصحة أنهم أخذوا معلوماتهم عن الطرفين جميعاً ، إذ المعروف أن المؤرخين العرب تأثروا بكتب سابقينهم من مؤرخي الروم والفرس كما أنهم زادوا عليها وأضافوا إليها نتائج دراستهم وتجاربهم .

Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord, pp. 130, (٩٨)
145, 200.

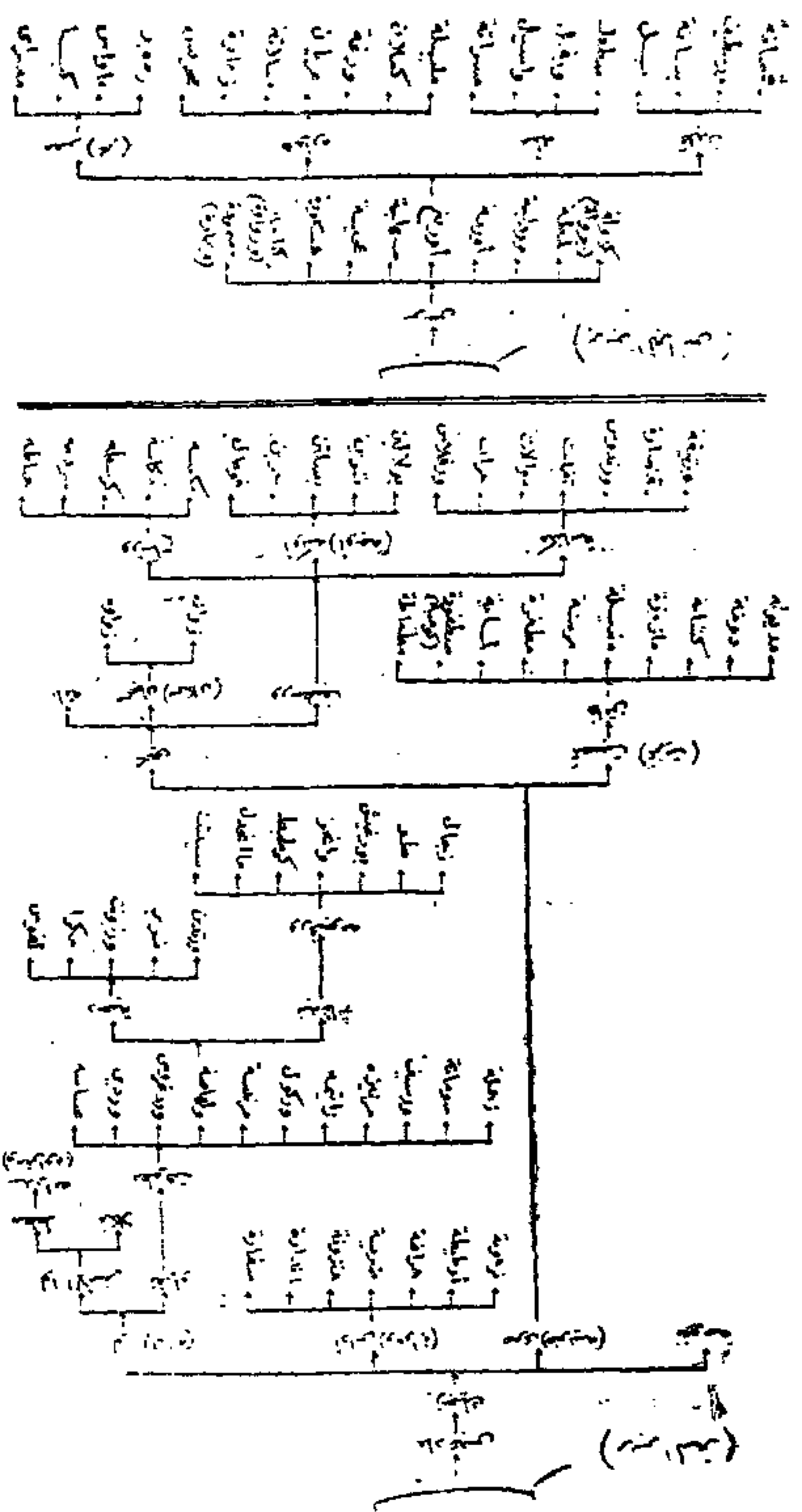
(٩٩) جوتيه . ماضي إفريقيا الشمالية (بالفرنسية) الفصل الثاني ص ٤٣ .

(١٠٠) نفس المصدر ، ص ٥٩ .

(١٠١) نفس المصدر ، ص ١٣٠ .

(١٠٢) نفس المصدر ، ص ١٣٩ .

(١٠٣) نفس المصدر ، ص ١٤٠ - ١٤١ .



شکل (۲) قبائل البتر والبرانس - انظر ابن خلدون (ج ۲ ص ۹۰ و ۹۲)

ورغم ما لرأى الطبرى (الذى يقول ان البربر من بلاد كنعان) من الوزن وهو الرأى الذى رجحه ابن خلدون وأخذ به دون غيره . ورغم ما قلناه من أنه يعوى بعض الحقيقة فان الآراء الأخرى لنا وجهة نظرنا وربما كان أقربها الى الصحة ذلك الرأى الذى عمل على اتفويق بيتها جميعا ، وهو رأى ابن المرحل النسى قال : ان البربر حميرية ومضرية وقبط وشمايقي وكنعانية وقريشية (١٠٤) . وهذا يعنى أنهم اخلاط من عرب اجزيرة على اختلاف قبائلهم ومن قبائل الشام والمصريين . ولقد أشرنا الى الصلة الوثيقة بين البربر والشام عن طريق قرطاجنة ، وهذا يعنى العلاقة مع بلاد المغرب ضمنا . هذا ولو أن جوتيه حاول أن يفسر قرابة البربر بالحميرين كما يذكرها الكتاب لعرب على أنها نفس القرابة مع القرطاجنيين أو البونيين ، فقال : ان الأمر اختلف على الكتاب ، ودلل على ذلك بأن حمير يسمى فى الآثار المصرية يون أو يوني (١٠٥) . أما عن القرابة بين البربر والمصريين فهي قرابة طبيعية بحكم الجوار ووحدة البيئة الجغرافية . فعندما حثت قفرة الجفاف بأقاليم افريقية الشمالية فى العصور القديمة لجأ كثير من أهلها الى وادى النيل (١٠٦) ، كما أن علماء اللغة وجدوا قرابة بين اللغة المصرية القديمة واللغة البربرية وبعض لغات السودان (١٠٧) وتقدر خصص جوتيه فى كتابه عن (ماضى افريقيا الشمالية) فصلا لتبيان العلاقة الأزلية بين مصر ، والمغرب وانتهى الى القول بأن البربر يرجعون - حسب ما يفهم من الآثار القديمة الموجودة فى الصحراء - الى أصول زنجية مصرية ايجية (١٠٨) ، وهى فكرة ابن الرجل تقريبا .

(١٠٤) انظر فى الصفحات السابقة و ص ٨١ - ٨٩ .

(١٠٥) جوتيه ، ماضى افريقية (بالفرنسية) ، ص ١٤٣ .

Jean Vercoutter, L'Egypte Ancienne coll. (Que sais-je), (١٠٦) p. 27.

نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ج ١ مصر ، طبعة ١٩٦٣ ص ٦ . وبسبب القرابة مع المصريين يمكن تفسير الرواية التى يوردها ابن سعيد والتي تقول ان جالوت وقومه استقروا قبل أن يدخلوا المغرب جنوبي مدينة أسبوط ، فى صعيد مصر ، فى الجبل الذى عرف باسمه هناك (انظر فيما سبق ، ص ٨٢ - ٩٥) .

(١٠٧) انظر نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ج ١ مصر ، طبعة ١٩٦٣

ص ٧ .

Jean Vercoutter, L'Egypte Ancienne, coll. que sais-je, p. 29.

(١٠٨) جوتيه : ماضى افريقية الشمالية (بالفرنسية) ص ٤٢ (وانظر الفصل الخامس

من علاقة مصر بالمغرب قديما ص ٣٥ وقامح .

تقسيم قبائل البربر :

ويقسم النسابة قبائل المغرب على جماعتين الكبيرتين كالآتي :

(أ) البرانس (١٠٩) ، ومن قبائلهم المشهورة عشر : أزداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجسة وأوريغة . وينضاف إليهم حسب رأى البعض : نطة وهسكورة وجزولة (كزولة) .

وهذه الأصول الكبيرة تنقسم الى فروع صغيرة : فقبيلة هواة تنحدر من أوريغة ، وقبيلة ملينة تنحدر من هواة وقبيلة عمارة تنحدر من مصمودة (شكل ٢ ص ٨٤) .

(ب) البتر (١١٠) ، ومن قبائلهم المشهورة أربع : أداسسة ونفوسة وضريسة وبنو نوا الأكبر . وهذه الأصول الكبيرة تنقسم الى فروع صغيرة : فمن قبائل لوا تعد قبيلتنا نفزاوة ولواة . ومن لواة تنحدر قبائل مزانة ومناعة ، ومنها قبيلة سدرانة أخت قبيلة مفراوة (عن طريق الأم) . وينحدر من نفزاوة قبيلة ولهاصة ، وينحدر من ولهاصة قبيلة تيرغاش ، ومن تيرغاش تنحدر قبيلة ورفجومة .

ومن قبيلة ضريسة ينحدر بنو تمزيت (تمصيت) وبنو يحيى . وفروع بنى تمزيت (تمصيت) هم : مطاطة ، ومصطفورة التي تعرف باسم كومية أيضا ، ولماية ومطفرة ومضيلة وممزوزة ومديونة . وفروع بنى يحيى هم : قبائل زناتة جميعا بالإضافة الى ورمصطف وسمجان (سكان) ومن ورمصطف تنحدر قبيلة مكناسة .

ومن سمجان تنحدر قبيلتنا زواغة وزوازة (شكل ٢ ص ٨٤) .
والذى يلاحظ هو أنه رغم انقسام البربر الى برانس وبتر ، وانقسام هؤلاء الى قبائل مختلفة فإن القرابة قريبة بين الجماعتين . كما أن الصلة وثيقة بين فروع كل منهما . فالنسابة يختلط عليهم الأمر الى درجة أنهم

(١٠٩) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ٨٩ - ٩٠ ، الترجمة ، ج ١ ص ١٦٩ - ١٧٠ .
وقادون ابن حزم ، جبهة أنساب العرب ، نشر بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ٤٦١ وما بعدها - حيث تظهر استفادة ابن خلدون من الفصل الذى كتبه الفقيه العربى فى انساب البربر وبيوتاتهم فى المغرب والأندلس .

(١١٠) انظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ٩٠ - ٩١ ، المرجعة ، ج ١ ص

يضعون قبيلة هوازة في البرانس (١١١) ثم يعدونها من البتر أو يجعلونها
أختا لقبيلة أداسة البثرية (عن طريق الأم) (١١٢) . وكذلك الأمر بالنسبة
لقبيلة زوازة التي تعد من البتر ويعتبرها ابن حزم من كتامة البرنسية (١١٣) .

وابن خلدون يعدو حذو من ينفي انتساب البربر الى العرب مثل
ابن حزم (١١٤) . ولكنه يكاد يقبل ما قاله ابن الكلبي وما كاد يجمع عليه
النسابة من أن قبيلتي صناجة وكتامة وهما من البرانس ليستا من البربر
وأنهما يمثيتان أملا ، ولو أنه يتصك بنظريته عندما يقول « وعندي أنهم
من اخوانهم (أي من البربر) والله أعلم » (١١٥) .

والحقيقة أن لنسابة العرب والبربر العذر في جعل شجرة النسب
البربرية أشبه ما تكون بشجرة النسب العربية بل وفي نسبة البربر الى
أصل عربي . فما لا ريب فيه أن الشبه قريب بين العرب والبربر ، وهذا
أمر وليد البيئة : فطبيعة بلاد المغرب التي يغلب عليها الطابع الصحراوي
أشبه بطبيعة بلاد العرب مما يترتب عليه نتائج ذو طبيعة متجاسمة من
الاجتماع أو الصران (١١٦) . وبناء على ذلك سنترك جانبا القرابة القريبة
بين العرب والبربر من حيث السلالة أو الجنس حتى ليصعب التمييز بين
العربي والبربري من هذا الوجه (١١٧) ، كما نترك جانبا ما اتفق عليه

(١١١) نفس المصدر ج ٦ ص ٩٠ والترجمة ، ج ١ ص ١٦٩ .

(١١٢) نفس المصدر ج ٦ ص ٩٠ والترجمة ، ج ١ ص ١٧٠ .

(١١٣) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ٩١ والترجمة ، ج ١ ص ١٧٣ .

(١١٤) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، والترجمة ، ج ١ ص ١٧٥ .

١٨٥ ، والقبائل التي انتسبت الى العرب هم : لواتة (حمير) ، وهوازة وأوريفة (كتنة)
وزنافة (من أبناء نبي أي يثية) ، وغمارة وزواوة ومكلاثة (حمير) . وفي انتساب قبائل
صنهاجة ولحطة وهوازة الى حمير ، أنظر الإدريسي ، ص ٥٧ - ٥٨ (حيث تقول الرواية ان
هوازة أبناء هواز من عرب الحجاز التي تزوج تازكاي أم صنهاج ولحط البربريين) . وعن نفي
ابن حزم لادعاء البربر في انتسابهم الى العرب اليمنية أو القيسية ، أنظر جمهرة أنساب العرب ،
ص ٤٦١ .

(١١٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٩٧ والترجمة ج ١ ص ١٨٥ .

(١١٦) أنظر ابن خلدون ، المقسة ، الفصل الخاص بأثر البيئة .

(١١٧) أنظر حوليان ، تاريخ افريقية الشمالية (بالفرنسية) ، ص ٤٦ - ٥٢ والأشكال

٣٤ - ٣٨ ، وآخر دراسات في المجمع العربي . تأليف مجموعة من أساتذة كلتي الآداب

والاقتصاد ، طبع سنة ١٩٦١ - ١٩٦٢ . فصل الخاص بالتحريف بالجزائر ، ص ١١٠ ،

حيث يطلق على الحرر اسم العرب القدماء .

المغربيون من أن اللغة البربرية واللغات السامية ومعنى العربية ؛ وكذلك لغة مصر القديمة) ترجع إلى أصل واحد - كما سبقت الإشارة - وهذا ما يؤيد القرابة الجنسية . وتكتفى بالإشارة إلى طبيعة وروح الحياة الاجتماعية التي كانت رائدة ما يزال البربر يعيشونها . فالبربر عرفوا التنظيم القبلي مثل العرب وعرفوا حياة الحضر والاستقرار كما عاشوا حياة التنقل والبدو . وفي ذلك يقول ابن خلدون : « ويضمن أهل العز منهم والغلب لانتجاع المراعى فيما قرب من الرحلة . . . ومكاسبهم النساء والبقر ، وأحياناً في الغالب لمركوب . وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم . سأفهم في ذلك شأن العرب » (١١٨) . هذا التشابه في طبيعة اجتماع ينتج نوعاً واحداً من العمران ويربى عادات وتقاليد مؤتلفة . وهو على الجملة يخرج مغربيه منجاسة تنبئ على أساسها كل نظريات القرابة بين العرب والبربر .

أسس التمييز بين البتر والبرانس :

وعلى أساس تقسيم البربر إلى « سكان الوبر » (سكان الخيام) و « سكان المدر » (سكان البيوت) ، عند ابن خلدون ، حاول جوتييه تفسير انقسامهم إلى جماعة « البتر » وجماعة « البرانس » ، فقال : إن البتر هم أهل البدو والرحلة ، والبرانس هم أهل الحضارة والاستقرار ، وذلك كما كان يقسم البربر في التاريخ القديم إلى نوميين (أي جزائريين) وموريطنيين (أي مغربيين أو مراكشيين) . وكما يقسم أهل المغرب حالياً إلى عرب وقبائل (Kabyles) (١١٩) . وهذه النظرية لها أساسها من الصحة إذ إن قبائل البرانس تعيش في معظمها عيشة استقرار في السهول والجبال الخصبة حيث تعمل في الزراعة ، بينما تعيش معظم قبائل البتر عيشة تنقل في البضاب والمناطق الصحراوية وأشباهاها حيث تشتغل بالرعى . ولكن يلاحظ أن هذا التقسيم ليس مطلقاً ، فالحضارة والبدو متبادلة في كل من الجماعتين (١٢٠) . فبعض قبائل البرانس تعيش في جوف الصحراء عيشة

(١١٨) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ٨٩ . الترجمة ، ج ١ ص ١٦٧ .

(١١٩) انظر Gautier, Le Passé de l'Afrique, p. 242

(١٢٠) وما يؤيد فكرة أن البرانس ليسوا بالضرورة أهل الحضر ما ينص عليه ابن خلدون عن بربر المغرب الأقصى ، إذ يقول : « ومن باداني سجناسة والمغرب من البربر يأكلون الجوز ويمرغونه . والشعير ويزدعونه . والسور والنبات . وفي أمراهم أصحاب البرانس يصمون بين السوس وأغصت وفاس . ولهم لوازم على المجتازين من فاس إلى سجناسة » . (صورة الأرض ، ص ٩٩) .

جدرية في أنقى صور البداوة مثل صنهاجة الصحراء . ومنهم قبائل لتونة
ومسوفة المشمون ، رعاة الإبل في صحراوات المغرب الجنوبية . وهؤلاء
يسمئهم الكتاب الأوربيون الرعاة الكبار (grands pasteurs) أو الجمالين
الكبار (grands nomades chameliers) (١٢١) .

ويتميز هؤلاء عن رعاة الغنم والماعز الذين يعرفون بالرعاة الصغار
petits pasteurs (١٢٢) بأنهم فرسان شراة . نفضل نجبتهم
السريعة العدو (التي عرفت عند كتاب الفرنج باسم dromadaires)
كانوا يستطيعون تحطيم الدول وإقامتها (١٢٣) . ولقد ظننت قبائل المنمن
(أجداد الطوارق الحاليين) تعيش عيشتها البدائية هذه في قلب الصحراء حتى
القرن الخامس الهجري (١١ م) . وبينما كان العرب يضربون في آفاق
التحضر والمدن في عواصم المغرب والأندلس كان المشمون لا يعرفون النقيق
ولا الخبز ، إنما طعامهم اللحم القديد إلى جانب تمر وشرايهم لبسان
الإبل (١٢٤) . وكذلك توجد بين البتر قبائل من أهل الاستقرار والمدن مثل
قبيلة كومية التي عاشت في أحواز تلمسان عيشة حضرية راقية (١٢٥) ، وهي
قبيلة عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحديين .

ولقد فكر وليام هارسيه في تفسير تسمية البرانس والبتر تبعاً لنوع

G. Marçais, La Berbérie et l'Orient musulman p. 36. (١٢١)

E.F. Gautier, Le Passé de l'Afrique, chap. 4, pp. 215, 224.

(١٢٢) أنظر نفس المصدر .

(١٢٣) يلاحظ هنا أن ابن خلدون (ج ٦ ص ٨٩) يميز اجتماعياً بين قبائل البربر ويقسمها
تسعين : أحدها « أهل المز » أو « المحترزون » وهم « أهل الانتجاع والاطمان في نتاج الإبل
وظلال الرماح وقطع السابلة » ، والآخر هم « المستضعفون » ومعاشهم « في القلع ودراجن
السائبة » . ويطبق ابن خلدون تقسيمه هذا على قبائل العرب فيجعل راعي الإبل أشد وأقوى
من راعي الغنم والماعز (المقدمة ، الفصل الخاص بالمران البدوي) . وعن خطوة جمال
المثمين أنظر ابن حوقل (ص ٩٧ - ٩٨) الذي يروي كيف أن ملك أودغست الصنهاجي كان
يكفيه أن يأمر بأثارة الإبل التي كانت لأخته وتغيرها على جيش كان يضر الضرر بهم ، لكي
تمس ذلك الجيش ما كان معه من إبل وسلاح وتجمعه شفر مذر .

(١٢٤) أنظر البكري ، ص ١٧٠ ، الإدريسي ، ص ٥٨ - ٥٩ ، الاستبصار ، ص ١١٣

وولدن ابن حوقل ، ص ٩٨ .

(١٢٥) أنظر البكري (عن كومية قبل ظهورها . حيث كانت تقيم في حصن صين بمنطقة
تلمسان) ص ٨٠ ، (وعن كومية بعد ظهورها أيام الموحديين) أنظر ابن خلدون ج ٦ ، ص
١٣٣ - ١٣٨ والترجمة ، ج ١ ص ٢٥١ .

أشياء المعروفة في المغرب . فالنوب الوطني المشهور في البلاد كان البرنس
ذا غطاء الرأس المخروطي الشكل الذي ما زال مستعملا الى اليوم (١٢٦) .
وهو يرى أن العرب لاحظوا اختلافا في زي قبائل البربر الأمازيغية : فمنهم من
كانوا يرتدون البرنس الطويل أو البرنس القصير وله غطاء للرأس ، وهؤلاء أطلق
عليهم اسم البرانس (جمع برنس) . ومنهم من كانوا يلبسون هذا الرداء
قصيرا أو دون غطاء للرأس ، وهؤلاء أطلق عليهم العرب اسم المتر (جمع
أبتر بمعنى الناقص أو المقطوع) (١٢٧) مثل براء زياد بن أبيه المشهورة .

وتنكح جوتيبه يلاحظ - وله الحق في ذلك - أن هذا الانتراض الذي
الذي يستند الى معرفة عميقة باللغة لا ينطبق على كل قبائل البربر . إذ
يصعب ادراج المنتمين من بربر الصحراء في طبقة من الطبقتين . فالملمثون من
بربر البرانس ولكنهم لا يلبسون البرنس مطلقا ، ولا يحتمل أنهم كانوا
يلبسونه في عصر من العصور ، كما لا يظن أن هناك علاقة بين غطاء الرأس في
البرنس وبين الثمام عند أهل الصحراء (١٢٨) . وأخيرا يلاحظ جوتيبه أن الذين
يلبسون البرنس حاليا في المغرب هم حفدة البتر على وجه الخصوص إذ أن
البرنس هو لباس انفرسان (١٢٩) . وهذا يعني أن رأى وليام مارسيه لم يخرج

(١٢٦) لا بأس من الإشارة الى محاولة جوتيبه تتبع أصل البرنس إذ يقول انه شبيه
بالنوب الشرقي الذي كان يستعمله القرطاجيون ، وكان يتكون من رداء (tunique)
طويل دون حزام عادة وقلنسوة تزين شكل الرأس (الجمجمة) . ويلاحظ جوتيبه ان مثل
هذا الرداء كان مستعملا في إيطاليا وذكره الكاتب اللاتيني باسم باينولا (Paenula)
وهو يرى أنه لا علاقة بين البونيكوم (Poenicum) اللاتيني الذي كان مستخدما في إيطاليا
وبين القرطاجيين ويرى أن كلمة باينولا مشتقة من كلمة باينا (Paina) بمعنى رداء .
انظر : E.F. Gautier, Le Passé de l'Afrique. p. 148.

وعن شهرة مدينة نول ، في بلاد المنتمين ، في صناعة السروج والنجم والاكساب المعدة
لخدمة الابل والاكسية والبرانس التي يساوي الزوج مها حسين دينارا ، وانظر الانزوي ،
ص ٥٩ .

E.F. Gautier, Le Passé de l'Afrique p. 241 (١٢٧) .

Gautier, Le Passé de l'Afrique; p. 241 (١٢٨) انظر ، وعن فكرة

أن المنتمين لم يعرفوا البرنس ، انظر ابن حوقل (ص ٨٤) حيث يقول عن قبائل البربر الموطنين
في براري سجاسة وواحي لطة وفزان : ان الغالب عليهم الشقاء والانشاج بالكساء .

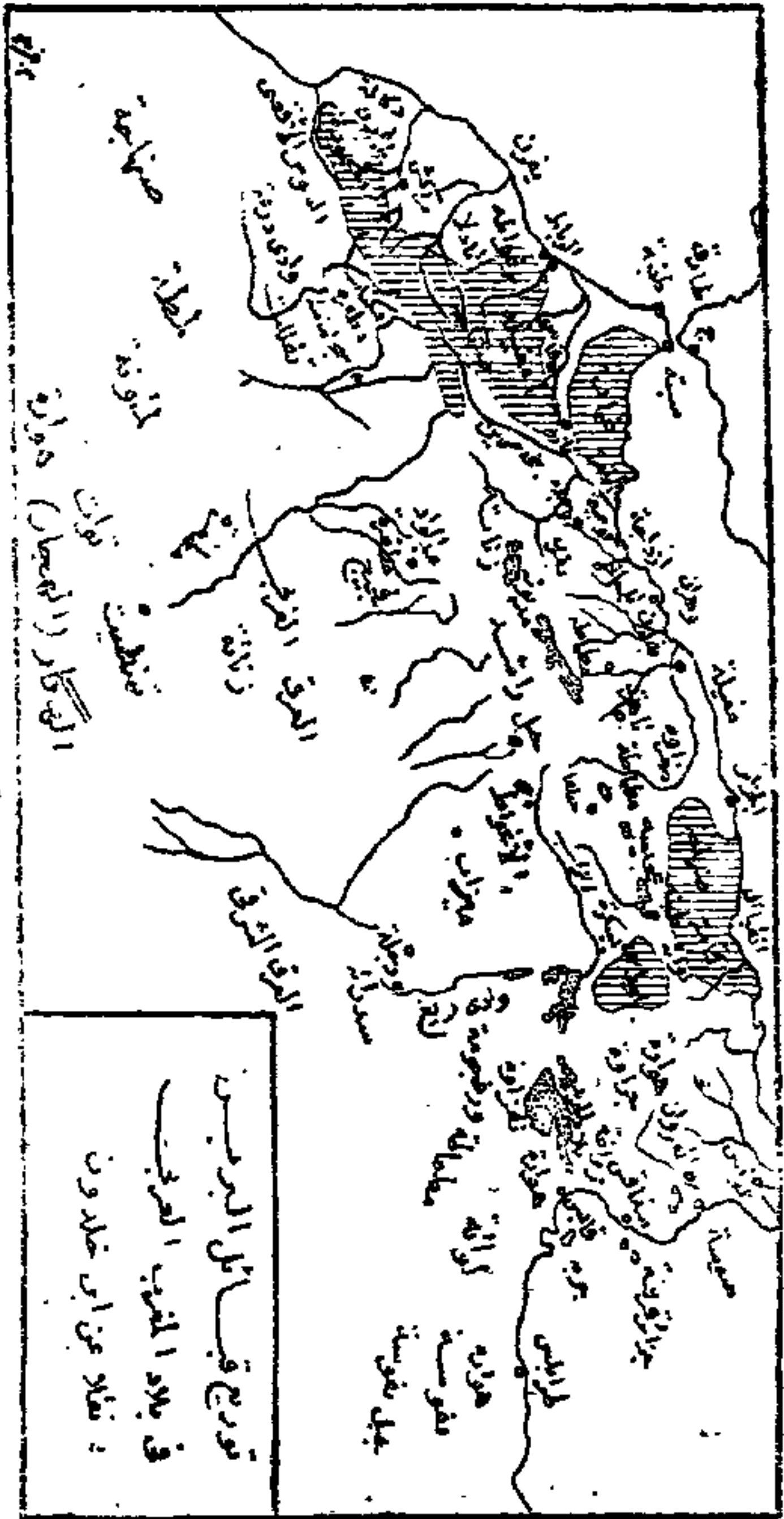
(١٢٩) نفس المرجع ص ٢٤٢ .

عن كونه مجرد افتراض لا يستند الى أساس قوى ، رغم أنه وصفه بامبقرية
التي تستند الى معرفة عميقة باللغة ، وأن أصل تسمية البربر - عند العرب -
و براس وبنر ما زال أمرا غامضا .

ونحن نرى أن كلا من نظرتي جوتيه وونيام مارسيه لهما وجهاتهما
وأنهما لا تعارضان بل ان اوحدة نكمل الأخرى . فجوتيه يور نظرية ابن
خلدون في تسمية البربر ان سكان النوير وسكان المدر ، وطبعا على البتر
وايرانس . وونيام مارسيه فسر تفسيراً معقولا للتسمية العربية لكل من
اجسنين ، ولا بأس من التأمل في افتراضه هذا الى أن تثبت صحته أو يتأكد
نفسه .

توزيع قبائل البربر في المغرب :

لا شك أن رسم خريطة دقيقة لتوزيع قبائل البربر في بلاد المغرب في
العصور الإسلامية المبكرة من الصعوبة بمكان ، وذلك أن أقدم الروايات
التاريخية التي وصلت اليها ترجع الى القرن الثالث الهجرى (٩ م) ، وكذلك
الحال بالنسبة للوصف الجغرافى للبلاد . والحقيقة ان الكتساب الأوائل لم
يهتموا باعطائنا المعلومات التفصيلية عن القبائل وتوزيع مواطنها ، بل تكلموا
عنها بشكل عام لا يبين وجه البلاد الحقيقى . أما المتأخرون الذين جمعوا هذه
المعلومات وأضافوا اليها أخبارهم الخاصة ، فانهم لم يهتموا بتصنيفها تصنيفا
منهجيا مرضيا حسب الترتيب الزمنى الصحيح ولم يميزوا بين القديم منها
والحديث ، ويرجع الفضل لابن خلدون الذى تتبع تاريخ القبائل كل واحد على
حدة ، وبذلك أعطانا صورة كاملة عن توزيع قبائل البربر فى كل المغرب كما
بين تنقلاتها من موطن الى آخر على مر العصور ورغم ذلك فالملاحظ أن هذا
التوزيع ينطبق أولا وقبل كل شيء على عصر ابن خلدون أى القرن الثامن
الهجرى (١٤ م) . وربما كان ذلك أمرا طبيعيا فما كان ابن خلدون
بمستطع أن يبين وجه المغرب فى العصور القديمة بنفس الوضوح الذى بينه
بالنسبة للعصر الذى خبر أحداثه ، وشارك فى تجاربه . وابن خلدون له
الفضل فى محاولة تتبع القبائل من اقليم الى اقليم تبعا للتغيرات السياسية
والاقتصادية والاجتماعية التى عرفتها البلاد ، ولذلك ما زال كتاب العبر
يتمتع بمركز الصدارة بين مراجع تاريخ البربر . ويمكن أن تعدد مواطن
القبائل البربرية بشكل عام تعديدا يصنع للقرون الأربعة الأولى - للأسباب
التي ذكرناها - وحتى الهجرة الهلالية (منتصف القرن الخامس الهجرى /



توزيع قبائل العرب
 في بلاد المغرب العربي
 : نفلا عن ابن خلدون

شکل (۳) از نظر (اللسان الخاص بذكر مواطن البربر بالريقية والمغرب) ج ۶ ص ۹۸ - ۱۰۳

١١ م) التي ترتب عليها تغيرات جوهرية في توزيع القبائل على البلاد بالشكل التي هي عليه الآن .

ففي الأقاليم الشرقية ، وخاصة في برقة وعلى حدود مصر ، كانت توجد قبائل لواتة (١٣٠) . ويقول ابن خلدون انه كانت لهم في الماضي مدن عريقة مثل ليدة وزويلة وبرقة وقصر حسان (١٣١) ، بمعنى أن أرضهم كانت تمتد من حدود مصر الى طرابلس وربما امتدت مساكن لواتة الى سواحل قابس في افريقية (١٣٢) ، بل وحتى جبل أوراس (١٣٣) . ويظن بعض الكتاب أن اسم لوا أو لواتة هو الاسم القديم الذي عرفت به قبائل هذه المنطقة وأن أيوفان هم الذين حوروه الى لوبيين (أو ليبين) (١٣٤) . ومن لواتة ، قبائل نفزة أو نفزاوة التي أعطت اسمها الى الأقاليم الجنوبية من البلاد التونسية وما يتاخمها من بلاد طرابلس شرقا وصحراء قسنطينة غربا كما رأينا (١٣٥) . ومن أهم قروع نفزاوة قبائل ورفجومة المشهورة في أحداث النصف الأول من القرن الثاني الهجري في افريقية (١٣٨) ، ومنها قبائل سدراتة التي أعطت اسمها للمنطقة في جنوب وارجلا (واركلا - واركلان) (١٣٧) . وفي إقليم طرابلس كانت قبائل نفوسة التي أعطت اسمها للجبل المعروف بهذا الاسم (جبل نفوسة) جنوب طرابلس (١٣٨) ، وكانت تجاور نفوسة قبائل

(١٣٠) أنظر ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ ، البلاذري ، ص ٢٢٥ ، ابن خردادبة ، ص ٩١ ، البكري ، ص ٥ ، الاستبصار ص ١٤٤ وهاشمي ١ . وعلى أساس وجود قبائل لواتة البدوية في الأقاليم الشرقية يرى جوتيه (ص ٢٣٤ - ٢٣٥) أنها شرقية الأصل (من طرابلس) وهو يفرق بينها وبين مجموعة القبائل البدوية الكبرى، وهي زناتة ويقول عن هؤلاء الآخرين انهم بلو وطينون (autochtones)

- (١٣١) العبر . ج ٦ ص ١٠٣ والترجمة ج ١ ص ١٩٧ .
(١٣٢) أنظر شعيرة (محمد عبد الهادي) الصراع بين العرب والبيزنطيين ، الاسكندرية ، ١٩٤٧ (بالفرنسية) ص ٦٤ .
(١٣٣) أنظر ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ١٤٥ .
(١٣٤) Gautier, Le Passé de l'Afrique, p. 239.
(١٣٥) أنظر فيما سبق في كلامنا عن الوحدة الطبيعية للبلاد ص ٧٥ و ٧٦ .
(١٣٦) أنظر فيما بعد في الفصل الخاص بنهاية أسرة الفهريين بافريقية .
(١٣٧) Gautier, Le Passé de l'Afrique, p. 230.
وعن وارجلا أنظر فيما سبق ، ص ٧٥ وهاشمي ٧٢ .
(١٣٨) أنظر فيما سبق في الفصل الخاص بأسماء الأقاليم (ص ٦٦) وكذلك الفصل الخاص بالسكان (قبائل التر ص ٨٦) .

هوازة (١٣٩) . وافي الغرب من ذلك وفي جنوب بلاد الجريد كانت مواطن قبائل مطماطة التي أعطت اسمها لجبل مطماطة هناك (١٤٠) ، هذا ونو أن مساكنه القديمة كانت حيث جبل مطماطة الآخر فيسما بينه وهران ونهرت (١٤١) .

وفي جبال أوراس الشرقية كانت قبائل جراوة التي أصبحت العرب في أواخر القرن الأول الهجري وفي من زمانه (١٤٣) . ومجموعه القبائل هذه تعتبر من خروج قبائل زفانة البدرية التي ملأت المغرب الأوسط على أيام ابن خلدون . وقبل ذلك كان المغرب الأوسط لأوربة التي سكنت في غرب الأزاب وفي أوراس (١٤٣) ، ومغراوة في جنوب غرب الجزائر على وادي شلف ، وبنو ايفرن في الغرب من مغراوة في جنوب وهران وفي جنوب تونس (وهم من البتر) (١٤٤) ، ومغيسلة في الأقسام الساحلية شرق مصب وادي شلف (١٤٥) وكذلك جنوبي فاس في المغرب الأقصى حيث أعطت اسمها لاحدى المدن هناك (١٤٦) . وكانت قبيلة مديونة فيما وراء بني ايفرن جنوبي تونس (من جبل زاشد الى جبل المعروف باسمهم جنوبي وجده ، كما يوجد في ممر تازا بين عين مديونة شمال غرب فاس) (١٤٧) ، وكوميسة في الأقسام الساحلية غرب وهران في تخوم أرشجول وتونس - وما زالت مديونة

(١٣٩) ابن خلدون المبرج ج ٦ ص ١٠٢ . الترجمة ج ٢ ص ١٩٧ . وفان ابن خرداذبه (ص ٩١) التي يعنى منازل هوازة في مدينة ايباس الضرابلية . نفس الرواية توجد في خروج الذهب للمسعودي . ج ٢ ص ١١٩ .

(١٤٠) انظر الاستبصار ص ١٥٠ وحمض ٢ .

(١٤١) انظر Gautier, Le Passé de l'Afrique, p. 232

(١٤٢) عن مقدمة حسن أوراس انظر ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٤٥ حيث يقول وسكانه اهل دغرة وتغيب لا يدعون تحت طاعة سمرقند لاسماع جملهم العربى الطرب ولد عنهم من الخيل والرجال والأسنة . وانظر فسا بعد في الباب الخاص بدوح حسن بن العمان .

(١٤٣) انظر ابن خلدون ج ٦ ص ١٠٧ . ١٠٩ . والترجمة ج ٢ ص ٢٠٨ . ٢١٣ . ٢١٤ .

(١٤٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٢ والترجمة ، ص ١٩٦ ، وفان ابن سعيد (الجغرافيا) ص ١٤٢ حيث القرامه « مغراوة » (بدلا من مغراوة) من زمانه وقاعدتهم مدينة نسي . (١٤٥) نفس المصدر السابق .

(١٤٦) انظر الاستبصار ، ص ١٨٨ .

(١٤٧) جزييه ، ص ٢٢٢ . وعن جبل مديون (عربى حمال مدغرة) انظر ابن سعيد

الجغرافيا ص ١٤١ .

ندرومة. هناك تحيي ذكرى بعض فروع قبيلة كومية (١٤٨) . واثي الغرب من أرض كومية كانت أرض مطهرة (أو مدغرة) (١٤٩) . ولقد كانت موطن مطهرة أيام ابن خلدون ممتدة من تمنطيت وتوات جنوبي سجلماسة إلى تلمسان (١٥٠) . وهذه القبائل تنسب من زناتة هي الأخرى ، ولقد انتشرت قبائل زناتة في المغرب الأقصى (عن طريق وجدة وفاس وممر تازا) حتى سهول البحر المحيط . وقبائل لماية كانت في جنوب الجزائر متاخمة للصحراء ، وهي من القبائل التي شاركت في تأسيس امارة تاهرت الإباضية ثم اتها انتشرت بعد سقوط تاهرت إلى الجنوب التونسي ومن لمساية قبائل جرية (الإباضية) التي أعطت اسمها للجزيرة المواجهة لقابس (١٥١) . وعلى طول وادي ملوية ، فيما بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى . كانت قبائل مكناسة (التي ما زالت مدينة مكناسة تحيي اسمها) تنتشر من المصب قرب تلمسان إلى المنبع بالقرب من سجلماسة قبل أن تزاحمها قبائل أخرى من زناتة على أيام ابن خلدون (١٥٢) . ومن فروع مكناسة قبائل جوسيف وطيلة وأيها تنسب المدينتان المعروفتان بهذين الاسمين كما ينسب إقامة رباط تازا أيضا إلى قبائل مكناسة (١٥٣) .

أما عن قبائل البرانس فجماعاتها الكبرى هي كتامة وصنهاجة ومصمودة . ولقد كانت مواطن كتامة وصنهاجة في المغرب الأوسط ، في القسم الشرقي منه أي في شرق بلاد الجزائر الذي يعادل منطقة « القبائل » الحالية (١٥٤) . ويظن أن « قبائل » الجزائر التي يسميها الفرنسيون « قبيل

(١٤٨) جوتيه ، ص ٢٢٢ . وأنظر ابن سعيد (الجغرافيا ص ١٤٠) حيث نجد اريشجول في (اريشجون) ، وهي فرضة تلمسان . وقادش ابن حوقل (ص ٧٩) حيث ارجكوك بدلا من اريشجول . والخطا يكون هنا في الكاف الأخيرة التي كتبها الناسخ بدلا من اللام التي يمكن أن تحل محلها نون ، إذ نجد القراء في شكل « ارجكون » (الادريسي ص ١٧٢) لها التنوين فيكون أن تحل محل الجيم ، كما أن الجيم في نطقها المصري (جاف فارسية) يمكن أن تكتب في شكل عين أو قاف (اريشقول - الادريسي ، ص ١٧٢) .

(١٤٩) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٢ ، والترجمة ج ١ ص ١٩٦ .

(١٥٠) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢٠ ، والترجمة ، ج ١ ص ٢٤٠ ، جوتيه ، ص ٢٢١ .

(١٥١) أنظر جوتيه ، ص ٢٢١ وأنظر فيما بعد الفصل الخاص بلماعة تاهرت .

(١٥٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٩٢ ، والترجمة ، ج ١ ص ١٩٥ .

(١٥٣) جوتيه ، ص ٢٢٢ .

(١٥٤) أنظر ابن حوقل ، ص ٨٧ (حيث يورد تفصلات عن منازل كتامة في الطريق من

الغيران إلى المسيلة) .

"Kabyles" ، هم سلالة كتامة وصنهاجة ، وكانت كتامة تسكن المنطقة التي يسميها الفرنسيون ، القبائل الصفري "Petite Kabylie" وهي المنطقة الجبلية الراقعة بين مدينتي بجاية وقسنطينة (١٥٥) . ويعتبر ابن حزم قبائل زواوة (وهي معدودة في قبائل البتر) من كتامة لأن أرض زواوة القديمة كانت تتاخم أرض كتامة (١٥٦) .

أما قبائل صنهاجة فموطنها الى غرب كتامة في المنطقة الجبلية الممتدة من جنوب بجاية الى جنوب مدينة الجزائر ، ويسمى الفرنسيون هذه المنطقة باسم القبائل الكبرى "Grande Kabylie" ، (١٥٧) . والى جوار صنهاجة استوطنت قبيلة عجيسة (البرنسية) الجبال المشرفة على مدينة انسيطة ، كما سكنت بعض فروعها جبل قلعة بني حماد (جنوب بجاية) . ومن الغريب أن هذه القبيلة وقفت الى جانب أبي يزيد صاحب الحمار ضد قرابتها الصنهاجيين أتباع الفاطميين فكان ذلك سببا في القضاء عليها (١٥٨) . وقرب وهران كانت تقطن قبيلة أزداجسة وهي من البرانس أيضا ، وكان سكانها في منطقة البتر الزناتية ، وهم حلفاء الأمويين في الأندلس ، سببا في القضاء عليها عندما تحالفت ضدهم مع كتامة (١٥٩) . والى جانب بلاد الجزائر استوطنت جماعة كبيرة من صنهاجة بلاد المغرب الأقصى في جبال درن الشرقية (الأطلس الأوسط) . وهذه الجماعة يسميها ابن خلدون بصنهاجة الجيل الثالث ، وينطق اسمها في شكل زناجة . ويرى جوتيه أن سلالة هؤلاء

G. Marçais, La Berbérie et l'Orient musulman, p. 133. (١٥٥)

(١٥٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٩١ ، الترجمة ، ج ١ ص ١٧٣ . والظاهر أن قبائل من كتامة كانت قد تحركت نحو الغرب مع مرور الوقت ، ففي شمال قرين مدينة مكناس أصبحت مدينة القصر مرور على عهد ابن سمية (كتاب الجغرافيا ، ص ١٤١) بقصر عبد الكريم بقصر كتامة الذين يوصفون بأنهم باذية أي بدو . ولعم أنهم من البرانس .

(١٥٧) عن صنهاجة انظر الاستحصار ، ص ١٢٨ ، ١٣٦ . وانظر ابن خلدون ج ٦ ص

١٥٢ ، وعن القبائل الصفري والقبائل الكبرى انظر :

H. Larnaude, Algérie, Coll, Union Française, p. 74.

(١٥٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٤ - ١٤٥ ، الترجمة ج ١ ص ٢٨٥ ، وانظر جوتيه ،

ص ٢٢٨ .

(١٥٩) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٤ - ١٤٥ ، الترجمة ج ١ ص ٢٨٢ ، وانظر جوتيه ،

ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

هم الجماعة المعروفة حالياً في المغرب باسم البرابر ، ومواطنهم بين عمر تاز ،
والصحراء (١٦٠) .

أما قبائل مصوذة فاستوطنت جبال درن (أطلس العليا) في جنوب
المغرب الأقصى (جنوب مدينة مراكش) . وقبائل المصامنة (ومفردها
مصوذة) التي اقامت دولة الموحدين (في منتصف القرن السادس الهجري /
١٢ م) تحوى عددا كبيرا من القبائل من أشهرها هرغة وهكسورة وجنفة
الخ (١٦١) . وتعتبر قبائل غمارة من مجموعة قبائل المصامنة (١٦٢) ،
وكانت مساكن غمارة في الأقاليم الجبلية المواجهة شمسالا للبحر المتوسط
والمعروفة بجبال اريف (١٦٣) . ولقد أعطت هذه القبائل - التي شاركت في
أحداث القرن الثالث الهجري بقيادة متنبئها المعروف بحاميم - اسمها للمنطقة
التي عرفها الكتاب العرب باسم جبال غمارة (١٦٤) .

وفي جنوب اريف ، في منطقة مدينة ويلي (Volubilis) القديمة
وهي منطقة مدينة فاس الحالية ، سكنت قبيلة أوربة المشهورة ، وهي معدودة
من قبائل البرانس . وأوربة هي التي نزل عليها إدريس بن عبد الله العلوي
(في أواخر القرن الثاني الهجري / ٨ م) وبمساعدها أقام دولة الأدارسة في
المغرب (١٦٥) . ومن قبل قامت أوربة بدور هام في الفتوح الأولى عندما
تحالف زعيمها كسيلا مع العرب بعد أن هزموه عند تلمسان ثم عاد وتحالف
مع الروم وغدر بعقبة بن نافع قرب بسكرة من بلاد الزاب (١٦٦) . وهذا

(١٦٠) جوتيه ، ص ٢٣٧ .

(١٦١) أنظر مذكرات البيهقي ، نكرة وترجمه برفيسال ، ص ٣٣ وقابع ، والترجمة ص
٥٢ وقابع .

(١٦٢) أنظر فم سبق في بربر اليراس ص ٨٦ . وعن كفرة عددهم يقول ابن سعد
(الجغرافيا ص ١٣٩) أنهم أمة لا يحصيهم إلا الله .

(١٦٣) عن نسمة سحر عمره . شرق مدينة سسة . بالريف ، أنظر ابن سعيد ،
الجغرافيا ، ص ١٣٩ .

(١٦٤) أنظر فيما سبق في الباب الخاص بأسماء البلاد (ص ٧) وعن حاميم أنظر ،
البكري ص ١٠٠ ، والاستحصار . ص ١٩١ وقابع . وأنظر فيما بعد الفصل الخاص بذلك في
تاريخ الأدارسة (ج ٢) .

(١٦٥) أنظر عما بعد الفصل الخاص بنظام دولة الأدارسة .

(١٦٦) أنظر ابن عذاري ، طبعة كولان ، ص ٢٨ - ٢٩ ، وفيما بعد الفصل الخاص

بصلة عقبة الثانية .

الأمر جعل بعض المحدثين يظن أن قبيلة أوربة استوطنت الاقليم الغربي من جبال أوراس وهي منطقة الشاوية الملاصقة لوادي العبيدي ووادي العرب حاليا (١٦٧) .

والاقليم المواجه للبحر المحيط ، شمال وادي أم ربيع ، كان موطننا لقبائل برغواطة التي شاركت في الأحداث ابتداء من القرن الثاني الهجري بقيادة متنيها صالح بن طريف ، والتي ظلت مضطربة الى القرن السادس الهجري (١٢ م) حتى بنى الموحدون مدينة رباط الفتح (الرباط) لاختصاصهم (١٦٨) . أما الاقليم الساحلي الذي يقع غرب جبال المصامدة ما بين مصب وادي تنسيفت ومصب وادي سوس ، فكانت تقطنه قبائل دكالة وبعدها قبائل جدالة وهي القبائل التي شاركت في أحداث القرن الخامس الهجري (١١ م) عند اضطراب قبائل الصحراء وقيام دولة المرابطين (١٦٩) . وكانت أكبر جماعات قبائل الصحراء الجنوبية المؤدية الى بلاد السودان (غانة وكوكوا) هي قبائل لتونة ومسوفة من الملشين وهم من صنهاجة رعاة الأبل (١٧٠) ، وخلفاؤهم الآن هم الطوارق .

التنظيم الاجتماعي والعادات والتقاليد :

اتضح لنا فيما سبق أن البربر عرفوا - مثلهم مثل العرب - التنظيم القبلي الذي يتناسب مع طبيعة البيئة شبه الصحراوية التي عاشوا فيها . وكانت كل قبيلة تنتسب الى أب أو جد واحد بمعنى أن الرابطة بين أفرادها هي رابطة الدم - من الناحية النظرية على الأقل . فأفراد القبيلة هم بنو فلان من الناس أي أبنائه ، والتكلمة المرادفة لكلمة بنو ، العربية هي

(١٦٧) يسبب جوتيه (Gautier, Le Passé de l'Afrique, p. 233) هذا الرأي الى ماسكراي (Masqueray) ، ويرى أنه بالغ بعض الشيء في أصالة أهل هذه المنطقة .
(١٦٨) الاستعمار ، ص ١٧٧ وأنظر فيما بعد الفصل الخاص بفتح الادارسة لاقليم تلمست
(١٦٩) الاستعمار ، ص ٢٠٩ (دكالة) وص ٢١٤ (جدالة) وقارن البكري ، ص ١٦٤ .
١٧٠ أنظر ابن حوقل ، ص ٩٨ ، البكري ، ص ١٦٣ ، وياقوت ، معجم البلدان ج ٤
قسم ١ ، ص ٢٢٩ (حيث يقول عن الملشين ، وقبائلهم : لتونة ومسوفة ودكالة أكثرهم عددا ، وسنة أحملهم عددا ، ولتونة أشجعهم ، والملك منهم) . وأنظر فيما سبق ، ص ٨٩ .
وع. بلاد السودان الاسلامية أنظر العمري ، مسالك الأبحار (ترجمة -Gaufroy- Demombynes) ص ٤٣ وتبع .

« أيت » بالبربرية . ولقد ظلت بعض القبائل تستخدمها حتى من بين القبائل التي تعربت أو أصبحت عربية مثل (أيت عياش) ومنهم الرحالة المشهور العياشي (١٧١) . أما عن رئيس القبيلة أو شيخها فيطلق عليه بالبربرية « أمغار » ، وأمثال هذه الكلمات موجودة في كتب تاريخ المغرب كما أنها لا زالت مستعملة بين بعض القبائل الى اليوم (١٧٢) . وبطبيعة الحال لم تكن القبيلة لتستطيع دائما أن تحافظ على نقائنها ، فأسماء القبائل التي ذكرناها كانت تعني جماعات متفاوتة من حيث عدد أفرادها ، فبعضها كان يتجاوز شكل القبيلة الى شكل الأمة أو الشعب كما هو الحال بالنسبة لاسم زناته أو صنهاجة اذ تتكون كل من الجماعتين من عدد عديد من القبائل حتى قال ابن خلدون ان صنهاجة تبلغ في عددها ثلث أمة البربر (١٧٣) . وهذا يعني أن اسم القبيلة كان يمثل في كثير من الأحيان اسم اتحاد سياسي تدخل فيه أكثر من عصبية أو قبيلة ، اما عن طريق الحلف أو عن طريق الغلبة . وبطبيعة الحال كانت القبيلة أو العصبية صاحبة التفوق هي التي تعطى اسمها لمثل هذا الاتحاد . والدليل على هذا الاختلاط بين القبائل هو اختلاف النسابة في وضع بعض القبائل الفرعية في جماعة من الجماعات الكبرى مرة ، وفي جماعة غيرها مرة أخرى كما فعلوا بالنسبة لقبيلتي هواة أو زواوة ، فوضعوهما مع الأيتر حيناً ومع البرانس أحياناً . وكذلك ما يقال من أن قبيلة سدراتة هي أخت قبيلة مفرارة من جهة الأم أو ما يقال من اسم كومية هو نفس اسم قبيلة صطفورة (١٧٤) . ونجد مثل هذا أيضا عند قبائل العرب اذ جعل النسابة قبيلة قضاة مرة ضمن القبائل اليمنية ومرة ضمن القبائل العدنانية (١٧٥) .

(١٧١) أنظر محمد القادري . نشر الثاني (ترجمة فرنسية بمعرفة
Ed. Michaux-Bellaire Archives Marocaines, Paris 1917 vol. 24.

ترجمة سيدي عبد الله بن محمد العياشي . ص ١٤٢ .

(١٧٢) مذكرات البيهقي . نشر بروفسال ، النص ص ١١٦ - ١١٩ ، والترجمة ص ١٩٠ ،

١٩١ . ١٩٥ والهامش ١ ، وعن الاستعمال حاليا ، أنظر ،

Célérier, Maroc, p. 105.

(١٧٣) ابن خلدون ، المعبر ، ج ٦ ص ١٥٢ والترجمة ج ٢ ص ٤ . وقارن ابن سعد ،

الجزائري . ص ٢٤ (حيث يقول : « وهذا القبيل أكثر قبائل المغرب ، وفي كل أرض منهم

حان . ويذكرون أن أصلهم من عرب اليمن والعروبية بينهم ظاهرة ») .

(١٧٤) أنظر فيما سبق (الفصل الخاص بقبائل الأيتر والبرانس) ص ٨٦ وما بعدها .

(١٧٥) أنظر ابن خلدون . المقدمة (الفصل الخاص باختلاط الانساب وكيف يقع) .

وكان نشاط هذه القبائل يتفاوت - حسب طبيعة البيئة - ما بين الزراعة عند أهل الاستقرار (سكان المدر عند ابن خلدون) وبين الرعي عند أهل البداوة (سكان الوبر) . والحقيقة ان كل جماعة من الجماعتين تنقسم من حيث طبيعة عملها الى اقسام ثلاثة ، وذلك حسب تقسيم المفكرين للأشياء منذ القديم ما بين التطرف والنوسط والاعتدال . وهذا يعنى أن الطبقة المعتدلة هي كل من الجماعتين تكاد تلتقي من حيث طبيعة عملها الذي يتراوح ما بين الزراعة والرعي ، أي أنهما تكونان طبقة مشتركة أو متوسطة تمثل نشاط جميع السكان . فهي من جهة تعملها طبقتان من الزراع هم سكان الواحات تم سكان القرى المتخصصة في التشجير ، ومن الجهة الأخرى توجد تحتها طبقتان من البدو هم رعاة الغنم ثم رعاة الإبل (١٧٦) .

والأقاليم الزراعية الجيدة هي التي تتوفر فيها الأمطار ، وذلك على طول المناطق الساحلية للبحر - والبحر المحيط خاصة - وتزداد الأمطار في الأقاليم المرتفعة كما هو الحال في جبال شرق المغرب الأوسط في منطقة تسنطينة (القبائل الصغرى) ومنطقة مدينة الجزائر (القبائل الكبرى) وكذلك في المغرب في إقليم وهران . وتكثر المياه في المغرب الأقصى على السواحل وفي جبال دزن (أطلس العليا والوسطى) . وعلى ذلك فكل هذه الأقاليم وما تحتضنه من السهول الممتدة من السوس الأقصى (من تارودانت وأغادير) الى نازا وجبال غمارة (الريف) صالحة للزراعة . ويتأكد ذلك في الأقاليم الشرقية من المغرب في مرتفعات غرب وشمال البلاد التونسية ، وفي جبال نفوسة جنوب طرابلس وحتى جبل برقة المشهور بالجبل الأخضر .

الزراع :

وأصحاب زراعة التشجير أهل استقرار بالضرورة ، لحاجة الشجر الى العناية به طول العام ، ولأنه لا يؤتى ثماره الطيبة الا بعد فترة من الصبر والانتظار قد تطول الى أعوام . وأهم شجرة عرفها المغرب هي الزيتون التي كانت تكون الغلة النقدية الى أيام الفتح العربي . اذ تقول الرواية ان عبد الله بن سعد بن أبي سرح عندما رأى كثرة الذهب والفضة بأفريقية (سنة ٦٤٩/٢٧) ، قال لأهلها : « من أين لكم هذا ؟ فجعل الرجل منهم

يلتمس شيئا من الأرض حتى جاء بنوأة زيتون ، فقال من هذا أصبنا الأموال ، لأن أهل البحر والجزر ليس لهم زيتون ، فكأنوا يمتارونه من هنا (١٧٧) . وما زانت الزيتون تكون الغلة النقدية في البلاد التونسية وفي طرابلس ، كما تعتبر من الغلات الهامة في بلاد المغرب والجزائر ، هذا إذا تركنا الواحات جانبا ومنها واحات مصر وخاصة سيوة التي عرفها الإدريسي باسم سنترية وابن سعيد باسم « سانتيرية » (١٧٨) والى جانب الزيتون وجلت أشجار الفاكهة مثل التين والكرم . وانتشرت كذلك زراعة الحبوب من القمح والشعير في كل السهول الخصبة في المنطقة ذات المناخ المعتدل حيث تختلف الأرض ما بين السواد والحرة . وبسبب طبيعة الأرض رصفت مدينة مراكش في أقصى المغرب بالحمرات وكذلك مدينة برقة في أقصى أطرافه الشرقية (١٧٩) . وبطبيعة الحال يعتبر أصحاب حرفة التشجير وزراعة الحبوب أرقى طبقات أزرار ، فهم سكان القرى المتخصصة في هذه الحرفة .

أما الطبقة الثانية من الأزرار فهم سكان الواحات التي تمتد من الجنوب المراكشي إلى واحات برقة ومصر عبر النطاق الذي يسميه ابن خلدون بشكل عام ولكن بحق بلاد النخل (١٨٠) . والنخيل ينتشر في الواحات التي تتلاصق جنبا إلى جنب في جنوب المغرب الأقصى أشبه ما تكون بحلقات متسلسلة ويمتد النخيل في بطون الأودية على طول عشرات الأميال والمراحل ، كما في وصف العياشي (١٨١) . وهو حاليا يكون شوارع حقيقية عظيمة في قلب الصحراء (١٨٢) . وفي ظلال النخيل التي تلتف من حرارة الجو الصحراوي

(١٧٧) ابن عذاري ، طبعة كولان ، ج ١ ص ١٢ ، قارن ابن عبد الحكم ، ص ١٨٥ .
(١٧٨) الإدريسي ، ص ١٣٦ وأنظر كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٨ (حيث يصفها بأنها جزيرة نخل ومياه في صحاري ، وأنه توجد في أرضها شجرات من النخل وحب اللوز الذي يجلب إلى الإسكندرية . أما عن المسافة بينها وبين البحر - حيث العقبة الصغرى (منطقة مرس مطروح الحالية) التي تعتبر من أرض الإسكندرية (نفس المصدر ص ١٤٦) - فتقدر بشان مراحل) .

(١٧٩) أنظر الاستبصار (عن برقة) ، ص ١٤٣ والهامش ١ ، وأما عن مدينة مراكش فما زالت تسمى بالحمرات (مثل غرناطة) إلى أيامنا هذه أو ذلك ما كان يصفه بها قاضيها عباس بن إبراهيم المراكشي ، صاحب كتاب « الاعلام » وكنا قد التقينا به لدقائق معلومة في مقره سنة ١٩٥١ .

(١٨٠) أنظر فيما سبق في الباب الخاص بالوحدة الطبيعية ص ٧٥ .

(١٨١) أنظر فيما سبق ص ٧٤ .

Célérier, Maroc, p. 86.

(١٨٢) أنظر

تزرع أشجار الساجه من الكروم والنبي والزيتون ، كما تزرع بالواحات الحبوب من القمح والشعير . وسكان الواحات أهل استقرار فهم أهل قرى لاصقون بالأرض ، كما عرفوا بأنهم خبراء في الري وفي حساب (حساب) أوقات الزراعة (١٨٣) ، ولكنهم وضعوا في الطبقة الثانية من الزراعة بسبب علاقاتهم الوثيقة بأهل البادية المتنقلين . فحياة سكان الواحات تعتمد الى حد كبير على بدو الصحراء اذ يحتاجون الى التبادل التجاري معهم . فاهل البادية يأتون الى الواحة من أجل الري والسقيا ، وكذلك لأخذ مؤونتهم من التمر أو نقله الى الأقاليم التي ينفق فيها ، فالتمر كما نعلم أهم غلة في الواحات . قال جانب كثرة النخيل نلاحظ أن إنتاجه مضمون الى حد كبير اذ لا يعتمد على وفرة المياه أو قلتها في سنة من السنوات ، كما أنه لا يتطلب مجهودا كبيرا في العناية به والدفاع عنه ضد الحيوانات والآفات كما هو الحال بالنسبة لأشجار الفاكهة أو الحبوب ولما كان سكان الواحات يضطرون الى الدفاع عن مزرعاتهم في كثير من الأحيان ضد البدو نجد أنهم سكتوا في البيوت المبنية بالحجارة والطوب ، وأحاطوا واحاتهم بالأسوار الى أن اتخذت شكل القلاع التي عرفت - وما زالت تعرف - بالقصور (١٨٤) . ولقد ترتب على تلك العلاقة التي تتراوح ما بين الحرب والسلم الى نوع من المزج بين الجماعتين وتوافق في كثير من العادات والتقاليد ، فقد عرف عن أهل الواحات أنهم تجار رحالة يجوبون الصحراء مثل أهلها في سبيل متاجرهم .

والطبقة الثالثة من الزراعة هم أولئك الذين جمعوا بين زراعة الحبوب وتربية الغنم والماشية ، في الأقاليم الصالحة للجمع بين الحرفتين حيث تسمح ، المياه بالزراعة في السودان وينمو العشب المرعى في الهضاب والمرتفعات . وتشبه هذه الطبقة من الزراعة الطبقة الأولى من الرعاة الذين يجمعون الزراعة الى جانب الرعي في أقاليم الانتقال بين المناطق المعتدلة الحارة والمناطق الجافة الصحراوية ، وذلك في الأقاليم المعروفة بالتل أو التلول

(١٨٣) التل لذلك ما يذكره الكتاب عن مهارة أهل قنصة (أشهر واحات بلاد الجريد) في حنسة الري وتنافسهم على سقى جناتهم وخبرتهم في معرفة أوقات النهار من أجل ذلك (انظر الاستعمار . ص ١٥٢ ، ١٥٣) .

(١٨٤) القصور ومفردها قصر بمعنى قلعة وأول مني لها قصور حسان في طرابلس . اعرف فيما بعد النص الخاص بهزيمة حسان بن النعمان أيام الكاهنة . وعن الواحات التي تشبه ابن النعمان ، انظر ،

E. Laoust, L'habitation Célérier, Maroc, p. 86.
des transhumants du Maroc Central, Hespéris, t 14, 1932.

من المغرب الأوسط ، وفي أقاليم الريف الشرقية وأواسط وادي ملوية ووادي ام الربيع في المغرب الأقصى ، وفي سفوح جبال تونس الغربية ، وفي طرابلس وجبل برقة . ففي هذه الأقاليم وجدت الزراعة الدائمة حيث يتوفر المساء الذي يتوقف على مقداره ازدياد أو نقصان الرقعة المزروعة . أما العشب الصالح للرعى فهو ينبت سواء كانت الأمطار كثيرة أو شحيحة . وفي هذه الأقاليم تختلط البيوت والمساكن المبنية باللبن والطين بالخيام ، معبرة عن طبيعة حياة الناس التي تتراوح ما بين الاستقرار والتنقل ، كما يذكر ابن خلدون أنهم « يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر » (١٨٥) .

السرعة :

ومناطق الانتقال هي أرض العشب والمراعي التي تعرف حالياً باسم السهوب (Steppe) . ورغم أنها أرض الغنم دون منازع إلا أن العشب فيها يتوفر للحصان الصغير الحجم (القريب الشكل من الحصان العربي المعروف بالبرزون وجمعها برازين) وكذلك للجمل (١٨٦) . ورعاة الغنم هؤلاء هم الطبقة الثانية أو الوسطى من الرعاة وهم جمهورتهم إذ ينتشرون في كل المغرب من أدناه إلى أقصاه ، كما في هضبة مراكش الشرقية (التي تكسوها الحلفا) وما يتاخمها من بلاد الجزائر . والرعاة في هذه الأقاليم لم يعرفوا الحدود السياسية بين البلدين إلى اليوم (١٨٧) . والمغرب الأوسط هو بلد الرعي بصفة خاصة ، ولهذا السبب يفسر ابن خلدون كلمة الشاوية التي أطلقت على القبائل في بلاد الجزائر والتي ما زالت مستعملة إلى اليوم على أنها تعني رعاة الشاة (١٨٨) . ولقد اشتهرت برقة أيضا بمراعيها التي تجود فيها الغنم المعروفة بلذة لحمها وكثرة شحمها (١٨٩) . ورعاة الغنم

(١٨٥) ابن خلدون . ج ٦ ص ٨٩ .

(١٨٦) أنظر ابن حوقل (ص ٩٥) حيث الإشارة إلى أن أهل المغرب من الجير لهم الخيل النفيسة من البراذين والبذل القره والابل والغنم والبقر . وأنه عندهم من الجمال الكثير في برازين . وستن صغارهم التي لا تدانيها في الكثرة إبل العرب . وأنظر ابن سعيد الجبرائلي ، ص ١٤١) حيث يقول عن برايرة فاازاد : إن لهم في جبالهم بين نهر سلا ونهر سبو ، في الخيل نناج مشهور .

(١٨٧) أنظر Célérier, Le Maroc, p. 38.

(١٨٨) المقدمة ، الفصل الخاص بالمران البدوي ، طبعة التجارية ، ص ١٢١ .

(١٨٩) الاستبصار ، ص ١٤٣ والهاضي ١ .

ينتقلون عادة بقطعاتهم بين المراعى المرتفعة و الجبال والتلول وبين المراعى المنخفضة لما تتميز به من السدفه انضرورى للحيوان وخاصة من اجل النتائج (١٩٠) . ولكن العشب لا يلبث ان ينقرض بمجرد اشتداد الحرارة فى الوقت الذى تكون فيه الاقاليم العانية غنية بالعشب الذى يتاخر ظهوره شتاء لسدة البرد بينما يكون الطقس لطيفا صيفا . وبسبب هذا النوع من التكامل بين السهل والجبل ينتقل الرعاة بخيامهم الى ظهور الهضاب والجبال صيفا . ثم يلجأون الى عيون المياه بما يقونه لديهم من الشياة فى الاقاليم السهلية الجافة .

والطبقة الثالثة من البدو هم رعاة الابل او الجمال . ومساكنهم على حافة الصحراء حيث يقل الماء ولكن حيث توجد انواع من النباتات الحشنة الصالحة لرعى الابل وانى لا تصلح طعاما لغيرها من الحيوانات الصغيرة ، كما فى صحراوات المغرب الاقصى الجنوبية فى وادى درعة وسجلماسة (تفلت) حيث كان النشمون ، وكما فى قلب صحراوات الجزائر منسل اقليم الهكار (الهجار) حيث يوجد حمة الملتين انقدهاء وهم الطوارق (١٩١) . ورعاة الجمال هؤلاء كانوا يعتمدون فى معاشهم على الابل يشربون البانها وياكلون لحومها المقددة كما يتغذون بتمور الواحات دون غيرها حتى انهم لا يعرفون الخبز (١٩٢) . وهم بفضل جمالهم يجوبون الصحراء من ادناها الى اقاصها طولا وعرضا . ينتقلون المتاجر واخضسارة الى قلب الصحراء والسودان او يبحثون عن موارد المياه البعيدة . وحتى ايامنا هذه لوحظ ان الطوارق يقودون قطعاتهم من الجمال من الحدود المراكشية (من ايجيدى Iguidi ومن ريو دى اورو Rio de Oro) للسقى من نهر النيجر (١٩٣) . والحقيقة ان رعاة الابل هم ابدو حقيقة دون غيرهم فهم من هذا الوجه « أشد لناس قوحشا » كما يقول ابن خلدون (١٩٤) . وهم الرعاة العظام كما يسميهم

(١٩٠) ابن خلدون . المقدمة . الفصل الخامس والعشرون . طبعة الجيزرة ،

ص ١٢١ .

(١٩١) عن بلاد الهكار انظر ابن بطرطة . الرحلة . ط . التقدم بمصر . ج ٢ ص ٢٠٦ (حيث يقول ان مائها مسيرة سبر . وانها قنبلة الساب كثيرة الحجارة وان أهلها من البربر اهل الشام .

(١٩٢) ابن حوقل ص ٨٤ - ٩٨ . البكري . ص ١٧٠ . الاستعمار . ص ٢١٢ - ٢١٤ .

(١٩٣) انظر . Larnaude, Algérie, p. 97.

(١٩٤) المقدمة . الفصل الخامس والعشرون البديوى . طعة النخابة . ص ١٢١ .

الأوروبيون (Grands Pasteurs Chameliers) (١٩٥) . وبطبيعة الحال لا يدخل ضمن هذه الطبقة أولئك الذين يشتغلون برعى أو تربية الجمال من طبقات الزراعة أو رعاة الغنم والحيل الذين ينتشرون في كل البلاد من مراکش الى برقة .

ولقد كان وجود الجمل في المغرب موضوع جدل بين العلماء ، وذلك بعد العثور على النقوش القديمة في صخور صحراء الجزائر التي تبين أن البلاد كانت عامرة في عصر ما قبل التاريخ بحيوانات متوحشة ومنها الفيل والزراف على وجه الخصوص (١٩٦) . أما الجمل فلم يكن من بين هذه الحيوانات كما هو الحال في مصر القديمة (١٩٧) . ووجود الفيل في المغرب قديماً دليل على أن الصحراء المغربية كان يسودها جو أشبه بجو إقليم الأعشاب الطويلة المعروفة بالسافانا ، وعندما انحسر هذا الإقليم نحو أواسط افريقية انسحب معه الفيل . ولقد اتضح أن أول ذكر للجمل في المغرب يبدأ مع مطلع التساريف المسيحي ، وثبت أنه أتى من المشرق وبدأ استخدامه على نطاق واسع ابتداء من القرن الثالث المسيحي كما يشير إلى ذلك كتاب الرومان ، الذين سجلوا العمليات العسكرية في ولاية افريقية (١٩٨) . هنا ونو أن بعض كبار المتخصصين في تاريخ المغرب العربي مثل رينيه باسيه (René Basset) أخطأ وظن أن الجمل دخل إلى المغرب مع العرب ، وهو يستند في ذلك على دراسته اللغوية التي يتضح منها أن اسم الجمل في كل اللهجات البربرية مشتق من اسمه في اللغة العربية (١٩٩) .

(١٩٥) انظر Gautier; Le Passé de l'Afrique, p. 183

(١٩٦) نفس المرجع ص ٢٩ ، واللوحة رقم ٥ أمام ص ٤٠ وانظر ص ١٧٠ حيث يتكلم جوتيه عن قبيلة قرطاجنة ويقول انه ثبت انها افريقية الاصل .
(١٩٧) المعروف أن الجمل لم يعرف في مصر القديمة وانه دخل البلاد لأول مرة مع الغزوة الاشورية ثم مع الفرس ، جوتيه ، ص ٢٠٥ .
(٩٨) M.S. Gsell, La Tripolitaine et le Sahara au 3ème S. de notre ère, p. 145 . وانظر Gautier, Le Passé de l'Afrique, p. 103-104.

(١٩٩) جوتيه ، ص ٢٠٠ .

الأقليات غير الوضعية :

الأفارقة :

عندما وصل العرب الى المغرب وجدوا جماعات أخرى من غير أهل البلاد . وأول هذه الجماعات هي التي أطلقوا عليها اسم الأفارق أو الأفارقة (٢٠٠) . ومع أن التسمية نسبة الى افريقية الا أنه يفهم أن الأفارقة يختلفون عن البربر وعن الروم . وعلى ذلك يمكن أن يكون الأفارقة هم أهل البلاد الذين اختلطوا بالروم (فأصبحوا من المولدين) ودخلوا في خدمتهم وانصبغوا بالحضارة الرومانية كما دخلوا في المسيحية (٢٠١) . ورغم أن كثيرين من هؤلاء الأفارقة دخلوا في الاسلام من أجل المحافظة على أراضيهم، فإن الكثيرين منهم ظلوا يتكلمون لغة خاصة بهم ربما كانت مزيجاً من اللاتينية والبربرية أو لهجة محلية إذ يذكر البكري أن رطانة أهل سرت لا يعرفها غيرهم (٢٠٢) . ولكنه رغم دخول الأفارقة في الاسلام فالظاهر أنهم ظلوا يحتفظون ببيوت انفصالية . فالى جانب احتفاظهم بلغاتهم الخاصة ، شارك بعضهم في الحركات المناهضة لخلافة ابتداء من القرن الثاني الهجري . والمثل لذلك عبد الأعلى بن جريج الافريقي الذي يوصف بأنه رومي الأصل ومن موالي العرب ، والذي كان يرى رأى الصفريه فولاه ميسرة على طنجة (٢٠٣) .

اليهود :

وقد وجد العرب كذلك جماعات من اليهود ، ولو أنه لا يعرف متى دخلت اليهودية الى المغرب . ويرى بعض الكتاب أن الإنكار اليهودية بدأت تعرف طريقها الى البلاد عن طريق الفينيقيين (٢٠٤) ، وذلك قبل أن يهاجر جماعات

(٢٠٠) عن الأفارقة انظر ابن عبد الحكم . ص ١٨٥ ، انظر البكري . ص ١٣٠ حول برقة (ص ٥٦) حول المنتسب على سواحل القيروان) ، الادريسي ص ١١٠ (حيث يقول عن سيظنة أنها كانت مدينة جرجيس ملك الروم الأفارقة) . ابن عذاري . ج ١ ص ١٢ .
G. Marçais, La Berbérie, p. 71. (٢٠١)

(٢٠٢) انظر البكري . ص ٦ الذي يقول « ولهم كلام سراضون به ليس يعرفون لغة بربرية ولا قبطى ولا يعرفه غيرهم » . الاستعمار . ص ٢١١ .

(٢٠٣) ابن خلدون . ج ٦ ص ١١٩ ، وانظر فيما بعد في ثورة ميسرة المظفرى .

(٢٠٤) Nahum Slouschz, Hebraeo-Phéniciens et Judéo-Berbères (Archives Marocaines, vol. 14), Paris, 1908, p. 1 et suiv.

من اليهود الى المغرب على أيام الرومان (٢٠٥) . والظاهر أن هذه الهجرة اليهودية هي التي جعلت الكتاب العرب يقولون ان أصل البربر من فلسطين (٢٠٦) . والى جانب هؤلاء المهاجرين ربما انتشرت اليهودية بين بعض القبائل البربرية ، والمثل لذلك هو ما يذكره ابن خلدون من أن الكاهنة زعيمة قبائل أوراس كانت يهودية ، و و أنه يشك في هذا الأمر الذي لم يشر إليه كتاب الفتوح الأوائل (٢٠٧) .

واستنادا الى رواية ابن خلدون التي يشك في صحتها ، وإلى ما يذكره البكري والادريسي وكتاب الاستبصار وابن أبي زرع في روض القرطاس من وجود جماعات من اليهود في بعض أقاليم المغرب ، وإلى وجود عدد من المواضع التي تحمل اسم اليهودية في برقة وفي المغرب الأقصى ، بل وفي بلاد السودان الغربي (٢٠٨) ، بالغ البعض في دراسة أثر اليهودية في المغرب منذ ما قبل الاسلام (٢٠٩) ، و ظن البعض أن سلالة اليهود الوطنيين القدماء تمثل حاليا في الجماعات اليهودية التي تعمل في الزراعة في قرى جبال أطلس العليا في صفرو ودبدو ودمنات (٢١٠) .

ولكنه رغم هذه المبالغات - التي يمكن تفسيرها في مواضعها - فالحقيقة ان الكتاب الأوائل لا يمدوننا بمعلومات عن جماعات اليهود التي كانت بالمغرب عقب الفتح . وربما كان أقدم نص يشير الى علاقة اليهود بالعرب هو ما يقال من أن يهود المغرب الأقصى كانوا على علاقات بيهود أسبانيا ، والقزينة هي أن المجمع الكنسي الذي انعقد في طليطلة سنة ٦٩٤ م وقرر اتخاذ اجراءات عنيفة ضد يهود أسبانيا ، كانت ذريعته لذلك أنهم اتصلوا بأخوانهم يهود المغرب ليحرضوا العرب على غزو الأندلس (٢١١) .

Célérier, Marc, p. 82.

(٢٠٥)

(٢٠٦) انظر فيما سبق الفصل الخاص بالبربر ص ٨١ .

(٢٠٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٨ ، وانظر مارسيه الذي يشك في صحة هذه الرواية (G. Marçais, La Berbérie et l'Orient, p. 34).

(٢٠٨) انظر الادريسي ص ٤ (عن اليهودية في مدينة للم) ، ص ٢٩ (حيث النص

على أن أهل أرض قنورية المصلة بالصحراء المؤدية الى غانة كانوا من اليهود كما يدعى التجار وأنه « في متقدم تشويش وليسوا شيء » .

Nahum Slouschz, Hebraeo-Phéniciens et Judéo-Berbères (٢٠٩)
p.p. 274, 282, 285.

وعن الكاهنة التي كانت تعبد صنما في رأي آخر انظر ، المالكي ، ص ٢٥ .

Célérier, Maroc, p. 82.

(٢١٠) انظر .

E. Lévi-Provençal, L'Espagne Musulmane, p. 5.

(٢١١) انظر .

السودان :

بلاد المغرب كما رأينا وثيقة الصلة من الناحية الجغرافية ببلاد السودان الغربية ، مثل مصر الوثيقة الصلة ببلاد السودان الشرقية ، مما ترتب عليه اندراج السماء منذ أقدم العصور .

ونلاحظ أن كتاب اليونان القدماء يطلقون اسم الأحباش (الأثيوبيين) على أهل الأقاليم الجنوبية من المغرب (٢١٢) . وفسر بعض المحدثين أن المقصود بالأثيوبيين هم السودان ، واستنتجوا من ذلك أن الصحراء وواحاتها كانت معمورة بجماعات سوداء . وحددوا سكنى الوطنيين من البربر في الواحات والصحراء بالعصر الروماني ، بعد أن احتلت روما البلاد ، ومع توسع الاستعمار الروماني الذي استولى على الأرض الحصبة في الشمال ، مما ترتب عليه التجاء البربر إلى الأقاليم الجنوبية الفقيرة في الصحراء ، وذلك ابتداء من أواخر القرن الثاني الميلادي (٢١٣) . وليس لنا ما نقوله بهذا الشأن إلا ما ذكرناه ابتداء من أن الصلة بين سكان الأقاليم الشمالية والأقاليم الجنوبية ينبغي أن تعود إلى ما هو أقدم من التاريخ المسيحي .

أما عن كلمة الأثيوبيين القديمة فمن الجائز أن يكون اليونان قصدوا بها السودان فعلا أو أصحاب البشرة السمراء من أهل البلاد ، أما لامتزاجهم بالسودان وأما نتيجة لعامل البيئة . والحقيقة أن واحات الصحراء كانت همزة الوصل بين المغرب والسودان ، فكان من الطبيعي أن تكون بالتالي منطقة المزج بين العنصرين الأبيض والأسود . وهذا ما يشير إليه كتاب العرب الأوائل عندما يصفون المسكن الصحراوي متمثل غدامس وزويلة وأوجلة وسجلماصة بأنها أبواب السودان (٢١٤) . ونظن أنه عند الفتح العربي لم تكن

(٢١٢) يسمي هرودوت سكان الافالم الواقعة جنوب ليبيا (بعمو شمال افريقية) بالأحباش (الأثيوبيين) ويظن أنهم على ساحل المحيط الهندي . انظر :
Herodotus, The Histories (The Penguin Classics), 1955,
Book 3, p. 181.

M.S. Gsell, La Tripolitaine et le Sahara p. 160 et suivant.

Larnaude, Algérie, p. 66.

(٢١٣) انظر

(٢١٤) اليعقوبي ، ص ٣٤٥ ، عن رويلة ، الأصطخري ص ٣٤ ، ٣٦ (عن زويلة

وسجلماصة) البكري ، ص ١٨١ - ١٨٢ (عن غدامس) الاستيعاذ ، ص ١٤٦ (غدامس)

و ص ٢١١ (عن سجلماصة) .

توجد في المغرب جماعات سودانية ذات كيان خاص اذ لا يشير الكتاب العرب الى ذلك ، وهذا يعنى أن الدماء السودانية الآتية من الجنوب كانت تنزوب أولا بأول في دماء أهل انبلاد ، كما هو الحال الآن (٢١٥) . والظاهر أن اضطراب الحوارج في المغرب كان فرصة لكي يشارك بعض السودان في الثورة اذ ينص الكتاب على أن أول امام في سجلماسة كان عيسى بن يزيد الأسود (٢١٦) .

الروم والفرنج :

ورغم أن البلاد كانت خاضعة للرومان ثم للروم لمدة طويلة منذ انهيار قرطاجنة أمام روما الا أن هؤلاء ظلوا يكونون جماعة منفصلة عن البربر . حقيقة انه حدث تزاوج واختلاط بين الجماعتين كما يذكر الكتاب العرب أن الملكة الكاهنة كان لها ابن رومي (٢١٧) ولكن الامتزاج كان الى حد محدود لم يتجاوز التحائف أو الحوار في الخدمة العسكرية في بعض الاحيان . وفيما بين الحكم الروماني والحكم البيزنطي وقعت البلاد تحت حكم الوندال الجرمان الذين دخلوها عن طريق اسبانيا في القرن الخامس الميلادي . ورغم القضاء على الوندال ترى أن بعضهم تسكن من النجاة وأنهم لجأوا الى دواخل البلاد خلفاء أو لاجئين لدى بعض القبائل . ومن الطبيعي أن يكون قد حدث اختلاط بينهم وبين البربر . والأقرب الى الحقيقة أن يكون ذلك هو تفسير وجود الشقرة والزرقة بين بعض جماعات البربر ، بدلا من القول بأن النموذج للرجل البربري هو الرجل الأشقر (٢١٨) ، وذلك في محاولة غريبة للابعاد بين المخاربة وأصولهم الحقيقية في المشرق - على ما نظن . ولقد تفنن البعض في ذلك حتى قال ان البربر أتوا مهاجرين الى افريقية من الغرب : من القارة الأسطورية التي اندثرت وكانت موضع المحيط وهي الاتلانتيده (Atlantide) (٢١٩) .

(٢١٥) أنظر جوليان حيث يعرض نتائج الأبحاث التي قام بها علماء الأنتروبولوجيا في المغرب ، والمبنية على دراسة العلاقات بين طول الرأس وعرضها وكذلك الوجه والأف والنج . والتي بينت وجود الدم الأسود في أكثر من جماعة من الجماعات الأربع التي قسم اليها أهل الجزائر :

Julien, Hist. de l'Afrique de Nord, p. 51.

(٢١٦) أنظر ابن عذاري ج ١ ص ١٥٦ ، وأنظر فيما بعد في الفصل الخامس بأمامة بني واسول في سجلماسة .

(٢١٧) أنظر فيما بعد في الفصل الخامس بالكاهنة .

(٢١٨) أنظر الأبحاث الأنتروبولوجية التي أوردها جوليان : Julien, Hist. de l'Afrique du Nord, p. 51 et suiv.

ومع أن المعروف أن الروم انسحبوا أمام العرب إلى حزر البحر فإن جماعات منهم جأت أن الدواخل حيث دخلوا في الإسلام من أجل المحافظة على أموالهم ، ولقد بلغ الأمر إلى درجة أن صاحب الاستبصار يقول إن أكثر أهل قسنطينة وبلاد الجريد من بقايا الروم هؤلاء (٢٢٠) .

اللغة :

لغة البربر عبارة عن عدد من اللهجات ربما كانت أشبه باللهجات القبائل العربية قبل أن تاتلف وتسددها اللغة القومية الواحدة ، لغة الفران . والبربرية كانت تكتب في العصور القديمة ، ولقد عثر على بعض نقوشها في الصحراء ولكن رموزها ما زالت غامضة غير أكيدة (٢٢١) . هذا ولو أن نوعا من الكتابة أو النقش البربري ما زال موجودا عند الطوارق بالصحراء ، ومن الممكن أن يكون سليل الكتابة القديمة ، وهو يعرف عندهم باسم تفينغ (tiffinagh) وتستخدمه النساء خاصة ، ولكن بنىء من الصعوبة والخلط (٢٢٢) . وبعد أن تعرب المغرب كتبت اللهجة البربرية بالحروف العربية في بعض الأحيان . والمثل لذلك تواليف محمد بن تومرت (في مطلع القرن السادس الهجري / ١٢ م) كالعقيدة والمرشدة (٢٢٣) .

ولقد ذكرنا أن بعض الكتاب العرب قال انها لغة يكثر فيها حرفا الباء والراء ، لكنهم فعلوا ذلك في محاولتهم لتفسير كلمة البربر التي أطلقت على أهل البلاد (٢٢٤) . ولقد وضع بعض الكتاب المحدثين اللهجات البربرية مع مجموعات اللغات الحامية مثل اللغة القبطية (٢٢٥) بينما وجد آخرون نوعا من التشابه بين اللغة البربرية واللغة المصرية القديمة وبعض لغات السودان مثل الكوتشيتي (Couchitique) وكذلك مجموعة اللغات السامية ومنها العربية

(٢١٩) انظر

Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord, p. 41.

(٢٢٠) الاستبصار ، ص ١٥٥ .

Larnaude, Algérie (Coll. l'Union Française), p. 65. انظر (٢٢١)

Larnaud, Algérie (Coll. l'Union Française), p. 67. (٢٢٢)

(٢٢٣) مذكرات البيدق ، نشر بروفنسال ، النص العربي ص ٤٠ ، ٦٧ (عن معرفة ابن

تومرت البربرية) ، عبد الواحد المراكشي ، طبعة ١٣٢٥ ، ص ١٢٠ ، وانظر كتاب السير لغوصيانى ، حيث يورد المؤلف نصوصا بالبربرية وترجمتها إلى العربية (المخطوط ، ص ٤٠

(٢٤٤) انظر فيما سبق عن تسمية البربر ص ٦١ ، ٨٠ وهامش ٨٣ .

Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord, p. 35.

(٢٢٥)

وظن هؤلاء أن هذا التشابه يرجع إلى أسباب سياسية تمثلت في الغزوات والفتوحات التي عرفها العالم القديم كفتوحات مصر القديمة في آسيا وفي ليبيا والسودان وعكس ذلك ، وكالتوسع الفينيقي في كل حوض البحر المتوسط . ولكن أبحاث بعض اللغويين أثبتت أن هذا التشابه هو في الحقيقة نوع من القرابة بين هذه اللغات بمعنى أنها ترجع جميعا إلى لغة أم قديمة (٢٢٦) . وإذا صح ذلك تكون تلك القرابة من العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في المغرب (كما في مصر) . هذا ولو أن بعض الكتاب يفسر سهولة انتشار اللغة العربية في المغرب بسبب انتشار اللغة اليونانية (لغة الفينيقيين) قبلها ، كما حلت اللغة الآرامية في الشام محل الفينيقية لأنها من فروع إنسامية ، في الوقت الذي لم يقبل فيه بعض المتخصصين في اللغة البربرية مثل وليام مارسيه (W. Marçais) وجود علاقة ما بين اللغة العربية واليونانية (٢٢٧) .

والحقيقة أنه لا يهنا هنا إن كان التشابه بين لغات المغرب العربي والمشرق العربي القديمة هو وليد صلة الدم أم وليد الاحتكاك السياسي والحضاري ، إنما الذي يهنا هو أنه تشابه على كل حال ترتب عليه نوع من التوافق أو القربى بين أهل البلاد جميعا منذ العصور القديمة . ولا شك في أن ذلك كان من عوامل سرعة انتشار اللغة العربية واستقرارها في المغرب ، وكذلك العادات والتقاليد العربية ، مما ترتب عليه أن عاش الناس في حاضرهم العربي ولم يبق بينهم من تركة العصور القديمة إلا بعض الذكريات . حقيقة إن بعض اللهجات البربرية ما زالت حية في المغرب وخاصة في الأقاليم الجبلية غير المطروقة والتي تكون مناطق انعزال ، ولكن هذه اللهجات البربرية تستخدم في هذه المناطق في حدود ضيقة في نطاق الأسرة وداخل المسكن وخاصة بين الحرير . أما في النطاق العام خارج المنزل والأسرة فاللغة العربية هي المستعملة بين الناس جميعا ، والأمثلة لذلك في جبل نفوسة من إقليم طرابلس وجزيرة جربة وبعض واحات الجنوب في تونس . وأكبر منطقة تستخدم فيها اللغة البربرية توجد في شرق بلاد الجزائر ، فهناك لهجتان بربريتان هما : الشاوية والقبائلي (٢٢٨) .

Jean Vertoutter, L'Égypte Ancienne, coll Que sais-je. (٢٢٦)

p. 29.

Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord, p. 130, note 3. (٢٢٧)

Larnaude, Algérie, p. 65.

(٢٢٨)

ولقد عمل الفرنسيون على احياء اللغة البربرية في اقليم القبائل ،
والظاهر أنهم فعلوا ذلك بغرض تقسيم البلاد الى بربر وعرب عملاً يبتدأ زوما
التقديم ، فترق تسد ، ، وحتى تتمكن النقة الفرنسية من الانتشار على حساب
العربية - عصب القومية - ، فما لى غرب الجزائر فلا يوجد الا جزر صغيرة ممن
يسكنون العربية والبربرية وخاصة في الاقليم الساحلى من شرشل وتنس ،
وكذلك لى بعض واحات الصحراء كما فى : سدراة وتوات وفى جنوب غرب
واشى زيغ وفى وارجنة من بلاد ميزاب (ازاب) اجنوبية (Mzab)
والخيرا لى هضبة الصحراء الوسطى المعروفة بالهجار (الهكار) وهى : بلاد
الطوارق (٢٢٩) .

وما زالت بعض اللهجات البربرية موجودة فى المغرب الاقصى وخاصة
فى اطلس العليا الغربية (جبال درن) ووادى سوس (السوس الاقصى)
حيث يطلق حاليا على السكان اسم الشلوح (Chleuh) كما يطلق اسم
تاشنحيت (Tachelhait) على لهجتهم . ويرى البعض أن الشلوح هم
سلالة بربر مضموجة (٢٣٠) ، بينما يظن آخرون أنهم يمثلون خليطاً من عناصر
متنوعة بعضها من زنانة ، وذلك أن جماعة منهم تحمل اسم الزنانية (٢٣١) .
هذا كما تتكلم اللهجة البربرية فى إقليم اطلس الوسطى على تخوم الصحراء
حيث توجد الجماعة التى تعرف الآن باسم البرابر أو الامازيرغ (Imazirben)
وتعرف لهجتهم باسم تامازيرغ (tamazirhit) ويظن أنهم من صباجة .
وتوجد اللغة البربرية كذلك فى بعض مناطق الريف (٢٣٢) .

ولا ينبغي أن يهول المرء تعدد الاقاليم التى ما زالت تحتفظ باللهجة
البربرية وانتشارها ما بين طرابلس والبحر المحيط ، ففى جزر صغيرة فى
محيط لغة الشعب العربية . ونحن نعتقد أن القرابة القديمة التى تربط
البربرية باللغة العربية كانت من العوامل المساعدة على بقائها . فكثير من
الكلمات البربرية منسقة من اصول عربية مثل لهجاتنا العربية الداخلة ،

Larnaude, Algérie, p. 66-67.	(٢٢٩)
Célérier, Maroc, p. 30.	(٢٣٠)
Célérier, Maroc, p. 81.	(٢٣١)
Célérier, Maroc, p. 79-80. (وآخه اما زيغ من جمع كلمة	(٢٣٢)

مدرج (جد البربر عند ابن خلدون ، ج ٦ ص ٨٩) ومؤنها تامزيغ . واسم امزمن اطلق
من بعض القبائل بمعنى الرجال الاحرار ، انظر حولان ، ص ٢ .

والمثل لذلك هو قول زينيه باسميه (René Basset) ان الجمل دخل الى المغرب مع العرب استنادا الى أن اسم الجمل في اللهجات البربرية مستق من أصل الكلمة العربي (٢٣٣) .

السدن :

ليست لدينا مصنومات كافية عن معتقدات البربر الدينية قبيل الفتح العربي ، ولكنه يفهم من القطع المتناثرة التي أوردتها الكتب بهذا الشأن أن غالبية البربر كانوا ملاحدة أو مجوسا ، بمعنى أنه لم تكن لديهم أفكار معينة عن الاله أو عن مصير الانسان . وما كان لديهم من المعتقدات الدينية اذا استثنينا من تهود منهم ومن تنصر لم تخرج عن ذلك النوع البسيط المعروف في المجتمعات البدائية ، والذي يتلخص في عبادة الشمس والقمر والأصنام ، كما يقول ابن خلدون (٢٣٤) ، أو الاعتقاد في السحر والشعوذة .

ففيما يتعلق بالمجوسية يذكر صاحب كتاب روض القرطاس أن بعض قبائل منطقة فاس كان لهم بيت نار (٢٣٥) . وفيما يتعلق بالوثنية يذكر البكري أن بعض قبائل ودان كان لهم صنم من حجارة مبنى على ربوة يسمى كرزة ، يقربون له القرابين ويستشفون به من أدوائهم ويتبركون في أموالهم (٢٣٦) . وفي الجبل ما بين أغمات والسوس كانت توجد قبيلة من البربر يعبد أفرادها كبشا ، ولهذا السبب المشين كان لا يدخل أحدهم السوق الا مستترا (٢٣٧) . ونظن أنه لمثل هذه الأمور ظهرت أحاديث منسوبة الى النبي - وهي غير صحيحة من غير شك - في قم جبل درن (أطلس) منها :
« ان بالمغرب جبلا يقال له درن يزف يوم القيامة بأهله الى النار كما تزف العروس الى بعلها » (٢٣٨) . والظاهر أن مثل هذا الحديث كان سببا في ظهور أحاديث

(٢٣٣) انظر فيما سبق ص ١٠٥ .

(٢٣٤) ابن خلدون . ج ٦ ص ٩٤ .

(٢٣٥) ابن أبي زرع . روض القرطاس . ص ١٦ .

(٢٣٦) البكري ، ص ١٢ .

(٢٣٧) البكري ، ص ١٦١ .

(٢٣٨) البكري ، ص ١٦٠ . وقرب من ذلك ما يقال من ان « المغرب ينسى ويوحى الطبع ويبيض اللب ، وينصب الرحمة ويكسب الشجاعة ويقنع الضراعة ، وفي أهله غدر ، ولهم خبث ومكر . ديارهم مختلفة ، وهم غير مؤلفة . ولديارهم في آخر الزمان نأ عظيم وخطب جسيم : من أمر يظهر . وأحوال تبهر (مروج الذهب . ج ٢ ص ٦٢) .

(م ٨ - تاريخ المغرب العربي)

أخرى مضادة تؤكد صحة اسلام البربر وتقول انهم أسلموا منذ أيام النبي وذلك عندما ذهبت جماعة من قبيلة رجراجة الى مكة لاداء فريضة الحج ، وذلك قبل الهجرة ، بمعنى أنهم أسلموا قبل بعض الصحابة أنفسهم (٢٣٩) .

ولا بأس من الاشارة هنا الى أن الكتاب يعتبرون أن جبل درن يمتد شرقا حتى يشمل جبل أوراس ثم جبل نفوسة حيث الخوارج الاباضية ، كما سبقت الاشارة . ولا كانت الجبال مناطق انعزال فربما لم يكن من الغريب أن تعيش فيها بعض الجماعات وهي محافظة على شيء من العادات والتقاليد القديمة ، والتي لم يستطع الاسلام أن يقتلعها من جذورها العميقة تماما . وهناك روايات غريبة حقا سجلها الكتاب في حق خوارج جبل نفوسة مثل الرخص في المذهب والتساهل في أمور خاصة بالعفة والعلاقات الزوجية (٢٤٠) . ومثل هذا يقال عن قبائل كتامة (في منطقة قسنطينة من أرض الجزائر) التي نسب اليها بذل اولادها للأضياف النازلين بهم (٢٤١) . وعن قبائل غمارة في جبال الريف قيل انها كانت تمارس عادة « المواربة » ، وهي أن يحمل شباب الناحية العروس قبل أن يدخل بها زوجها ، ويحتفظون بها مدة تطول وتقصر على قدر جمالها ، وذلك قبل أن يعيدوها الى زوجها (٢٤٢) .

ونحن لا نعرف مبلغ هذه الروايات من الصحة ، فقد تكون من تشنيعات

M.E. Michaux-Bellaire, Conférences au Cours (٢٣٩)
Préparatoires de Services des Affaires Indigènes, Archives
Marocaines, vol. 27 p. 16.

ولا بأس من الاشارة الى أن المؤلف يرى أن أساس هذه الرواية يرجع الى زيادة رسل قبيلة رجراجة لتبني قبائل غمارة المعروف بحطيم (عن حاتم أنظر الاستبصار ، ص ١٩١ والفصل الخاص بذلك من تاريخ الادارسة) .

(٢٤٠) أنظر الاستبصار ، ص ١٤٥ .

(٢٤١) الاديسي ، ص ٩٩ . وقارن ابن حوقل (ص ٩١) الذي ينسب هذه العادة الى قوم من بربر المغرب ما بين سجلماسة الى السوسى أو نواحي الزاب ومنطقة قسنطينة وكتامة وسطيف . وهو بعد ذلك (ص ٩٢) يذكر اندثار تلك العادة في بربر سطيف بعد مجاهدة ابو عبد الله الشيعي لهم . وخاصة كتامة منهم .

(٢٤٢) الاستبصار ، ص ١٩٢ . وأنظر الاديسي ص ١٧٠ الذي يتحدث عن فناء جمع غمارة بسبب « كثرة ذنوبهم ، وضعف اسلامهم ، وكثرة جرائمهم واصرارهم على الزنا والمباح والمواربة الدائمة ، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق » .

أهل السنة أو الشيعة وسخرتهم بالحوارج ، وهذا لا يمنع أن تكون أسئلة
بغايا رواسب قديمة ، كما قلنا . والحقيقة انه لا ينبغي أن نعطي لهذه الحركات
أو تلك التقاليد البالية من الأهمية أكثر مما تستحق ، فهي محلية اقليمية على
كثير من حال ، وهي ان دلت على شيء فانما تدل على أن بعض الجماعات المنعزلة
من المغاربة لم تكن قد فهمت الاسلام الصحيح أو أنها فهمته داخل اطار
عادتها ومعتقداتها القديمة التي لم تكن قد تخلصت منها بعد - رغم شدة
الاسازم وحرصه على نقائه .

وفيما يتعلق بممارسة السحر والشعوذة ، فالمثل ذلك ما يورده
الكتاب عن ملكة جبل اوراس المعروفة بالكاهنة لمقدرتها على الحدس والتنبؤ .
وقصة الكاهنة تتراوح ما بين الحقيقة والأسطورة ، ومنها ما قد نفهم بعض
أساليب السحر المعروفة وقتئذ ، وكيفية التأثير في الناس عن طريق الاتيان
بأعمال تثير الرهبة أو الشفقة . فعندما كانت الكاهنة تندمج في حالة الإلهام
أو الاستقبال كانت تنثر شعرها وتدق صدرها وهي تتفوه بأنباء ما يكون
من الأحداث (٢٤٣) . وفي بعض الروايات انها كانت ترمي بأحجارها (٢٤٤)
كما يفعل المنجمون الشعبيون في أيامنا هذه ، مما يدعونا الى الظن بأن هذه
الرواية ظهرت في وقت متأخر وقريب من ذلك ما ينص عليه ابن سعيد من أن
بربر أزكان ، في جنوبي فزان وودان ، كانوا - وهم برابرة مسلمون أحقق
خلق الله في خط الرمل (٢٤٥) .

وتمدنا قصة الكاهنة بصور لبعض العادات والتقاليد التي كانت مبعولة
عند البربر الى درجة العقيدة الدينية . والمثل لذلك عادة المؤخاة عن طريق
انرضاع الرمزى ، وذلك بأن يثل الدقيق بالزيت ويجعل على ندى المرأة ثم

(٢٤٣) ابن عذاري ، طبعة كولان ، ص ٢٧ وعن الكاهنة أنظر فيما بعد الفصل الخاص
بحسان بن النعمان .

(٢٤٤) نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، نشر ودراسة بروفيسال ، مجلة المعهد
المصري بمطبعة ، سنة ١٩٥٤ ص ٢٢٢ .

(٢٤٥) أنظر كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٧ . وقارن الادريسي (ص ٣٦ ، الذي ربما نقل
عنه ابن سعيد ، حيث اسم القبيل أزقان ، وحيث الاشارة الى أن خط الرمل هذا ينسب الى
النبي دانيال ، وأن أهل المغرب يروون عن حنق هؤلاء البربر في خط الرمل ومعرفة مواضع
انسروقات والخبايا قصصا عجيبة ، وذلك على كثرة جهلهم وغلظ طبعم .

يأتي الرجل فيأكل من نديها مع أبنائها فيصبح بذلك ابناً لها وأخاً
لأبنائها(٢٤٦) .

ويستبين من هذه القصة أن المرأة كان لها مرتز ممتد في المجتمع
البربري يسمح لها بالوصول الى مركز القيادة ، كما في هذه الحالة . وترتب
على ذلك أن أصبح النظام « الأموي » في الأسرة (Matriarcat) وهو النظام
الذي يسمح بأن تكون المرأة هي سيدة الأسرة على عكس النظام « الأبوي »
(Patriarcat) - أمراً مألوفاً في هذا المجتمع . وعن هذا السبيل
يرجع النسابة أسماء عدد من القبائل البربرية الى أسماء جداتها - الحقيقية
أو الأسطورية . فقبيلة صنهاجة ولمطة في قول ابن حزم من أبناء امرأة اسمها
تيزكي ، أما اسم أبيها فغير معروف(٢٤٧) . ونجد في تاريخ المغرب العربي
أسراً لامعة اشتهرت بأسماء جداتها مثل بني غانية المرابطين أصحاب جزيرة
ميورقة(٢٤٨) . وما زال النظام « الأموي » هذا مألوفاً عند بعض طوائف
الطوارق في الصحراء الى الآن(٢٤٩) . ولقد ترتب على مركز المرأة المتميز
هذا عند البربر أنها كانت سافرة لا تعرف الحجاب في الوقت الذي كان
يتلثم فيه الرجال في بعض القبائل كما عند قبائل صنهاجة الصحراوية أصحاب
اللتام ، وكما هو الحال عند الطوارق(٢٥٠) .

اليهودية والنصرانية :

الى جانب المعتقدات الوطنية الساذجة عرف المغرب - كما رأينا -
الديانتين السماويتين السابقتين على الاسلام . فالأفكار اليهودية دخلت منذ
وقت مبكر مع الفينيقيين ثم مع المهاجرين اليهود أيام الاضطهاد الروماني ،
والظاهر أنها انتشرت في بعض القبائل الى جانب المعتقدات المحلية ، كما

(٢٤٦) ابن عذاري من ٣٧ وانظر الرقيق القيرواني ، تاريخ افرجة والمغرب من

٥١ - ٥٩ .

(٢٤٧) ابن حنون العبري ٦ من ٩٠ . الترجمة ج ١ ص ٦٩ (اسم المرأة في النص العربي

هو يسكر ولكننا قمنا بتحقيق صاحب الترجمة) .

(٢٤٨) عن شري غاية المورسبين أنظر عبد الواحد المراكشي من ١٩٧ .

Bell, Le Banou Ghania.

Larnaude, Algérie, p. 67.

(٢٤٩)

(٢٥٠) البكري من ١٧٠ (وهم يلزمون النقاب لا يميز الرجل منهم وليه ولا حميه الا

إذا تفتت) . الاستبصار من ٢٢٣ (حيث يقول النص عن أهل قاصعة انهم) ينتخبون كما

يشرف بلاد الصحراء (. وانظر حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤٩ وتابع .

أشرنا (٢٥١) . ولقد انتشرت المسيحية في الأخرى في وقت مبكر ، وقصة انتشارها وثيقة الصلة بالحكم الروماني في المغرب وذلك لأن المسيحية عندما خرجت من الشام فعلت ذلك بهدف غزو وهدم الامبراطورية الرومانية (٢٥٢) . وهكذا بدأ الصراع الذي انتهى بانتصار المسيحية على الامبراطورية بعد جهاد وتضحيات في روما ، حيث صلب بطرس وبولص منكسين ، وفي مصر بلد الشهداء ، وكذلك في المغرب .

الكنيسة الافريقية : تنظيمها وتطورها :

دخلت المسيحية الى المغرب عن طريق مصر وربما عن طريق روما كذلك ، وبدأ تنظيم الكنيسة الافريقية في منتصف القرن الثالث على يدى القديس سيبريان (St. Cyprien) . وانتشرت بفضل مبادئها الداعية الى المحبة والسلام ، بين كثير من أهل البلاد الذين كانوا يتلمسون المبادئ التي تحقق لهم ما يصبون اليه من سيادة العدل والانصاف وقامت الدولة التي استثمرت ما يتهددها من الخطر باتخاذ الاجراءات التي رأتها كفيلة بالمحافظة على وحدتها السياسية ، وخاصة على أيام الامبراطور دسيوس (Decius) الذي طلب في سنة ٢٥٠ م من جميع رعاياه أن يعلنوا عن وطنيتهم باعلانهم التمسك بالديانة الوطنية المثلثة في عبادة الأباطرة الى جانب آلهة روما ، والتنصل من كل العبادات الأخرى وخاصة المسيحية والمناوية . وترك كثير من النصارى ديانتهم حتى قال القديس سيبريان كلمته المشهورة « لقد كان عددهم أكثر من قوة ايمانهم » (٢٥٣) . واضطهدت الدولة النصارى وعظمت كنائسهم وصادرت أملاكهم وانتهى الأمر باستشهاد القديس سيبريان (٢٥٤) . وعلى

(٢٥١) أنظر الصفحات السابقة ١٠٦ - ١٠٧ ، ١١٣ . وأنظر جوزيف نسيم ، مجتمع الاسكندرية في العصر المسيحي كتاب مجتمع الاسكندرية عبر العصور ، ط . جامعة الاسكندرية ١٩٧٥ ص ٧٩ (حيث الاشارة الى أن القديس مرقس الذي تنسب اليه كنيسة الاسكندرية ومصر كان من أيويين يهوديين أقاما في مدينة القروان (عاصمة افريقية) وأبهم رحلا الى بيت المقدس عندما تعرضا لمناعب من قبل البربر) . مصطفى كمال عبد السلام ، يهود الاسكندرية في عصر البطالة والرومان ، نفس الكتاب ، ص ١٧٤ - ١٧٥ (حيث الاشارة الى ثورة اليهود في بركة سنة ١١٥ م وذهابهم على مصر سنة ١١٦ م) .

(٢٥٢) أنظر تورمان بيتر ، الامبراطورية البيزنطية ، الترجمة العربية (مؤنس ومحمود يوسف) ص ٩٧ . Risler, La civilisation arabe, Paris 1955, p. 23.
(٢٥٣) Julien, Hist. de l'Afrique du Nord, p. 228.

(٢٥٤) المصدر السابق ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ ، ولا بأس من الاشارة الى أنه عندما اعتنقت الكنيسة الأوروبية بركات القديسين أو آثارهم وهو ما يعرف عند الكتاب باسم تقديس الرفات =

عهد دقلديانوس (٢٧٠ - ٢٧٥ م) اشتدت الدولة ضد المسيحيين الذين تشبثوا بدينهم ، وقاموا بما يشبه العصيان المدني فرفضوا الخدمة العسكرية . وفي أوائل القرن الرابع توقفت العلاقات بين الدولة والكنيسة حتى أن الكنيسة أعلنت حرمان من يلقى أسلح من رحمتها (٢٥٥) .

الانقسام الدوناتى :

ورغم أن الكنيسة نجحت فى تنظيم نفسها بفضل هذا التحالف وانشأت الكثير من الكنائس ، فان المسيحية بقيت على سواحل المغرب مع الرومان ، ولم تصل الى القبائل الوطنية فى المغرب الأقصى (٢٥٦) . والى جانب ذلك عرفت المسيحية الانحرافات المذهبية المتأثرة بالأفكار الآتية من المشرق البعيد عن طريق عصر مثل مذهب الفيض الالهى (theosophisme) ومذهب المانوية الثنوية (٢٥٧) . ثم ان الكنيسة المغربية عرفت انقساماً خاصاً بها ، وهو المذهب الدوناتى - نسبة الى صاحبه دونات (Donat) الكبير ، أسقف الوطنيين ، الذى رفض الاعتراف بشرعية انتخاب سسيليان أسقفاً لقرطاجنة (٢٥٨) . وكان موقف دونات وظهور مذهبهم كرد فعل لاستكانة رؤساء الكنيسة ، أيام اضطهاد دقلديانوس ، للسلطات الامبراطورية . ولهذا السبب اعتبر بعض الكتاب المذهب الدوناتى انقساماً فى الكنيسة ، ولم يعتبره هرطقة أو زندقة ، لانه مبنى على اصطدام بين الأشخاص وليس بين المبادئ (٢٥٩) . أعلن دونات طلب الاستشهاد واستجاب له كل الساخطين على الدولة وخاصة من طبقات الكادحين .

وعندما اصبحت المسيحية اديانة الرسمية أيام قسطنطين ، وقف هذا الأخير ضد الدوناتية واعتبرهم خارجين على القانون . وترتب على تحالف

= أو الآثار (clute des reliques) سارت سفارة من لندن شرمان الى افريقية على أيام الاغلبة لبحث عن رفات القديس سيبريان . انظر بروكلمان . تاريخ الشعوب والدول الاسلامية (بالفرنسية) ص ١٠٥ .

Julien, Hist. de l'Afrique du Nord, p. 235. (٢٥٥)

Julien, Hist. de l'Afrique du Nord, p. 236. (٢٥٦)

(٢٥٧) نفس المصدر . ص ٢٤١ .

Julien, Hist. de l'Afrique du Nord, p. 243; Gautier, (٢٥٨) انظر

Le Passé de l'Afrique, p. 236. . ص ٢٩ . فتح العرب للمغرب . ص ٢٩ .

Gautier, Le Passé de l'Afrique, p. 286. (٢٥٩)

الإدارة والكنيسة ضد المذهب الدوناتي أن أصبح المذهب رمز المقاومة الشعبية ، وازداد انتشاره بزيادة انتشار البؤس والفقر بين الوطنيين الذين ثاروا ضد المستعمرين والأغنياء ، ودعوا إلى المساواة وتحرير الصبيد (٢٦٠) . وأرادت الدولة أن تقضى على الدوناتية ببريق الذهب عن طريق تعداد الفقراء وتوزيع الأموال عليهم . وعندما فشل هذا الإجراء قررت القضاء عليهم باستخدام القوة وبالإستعانة بالكنيسة . وأنت النتيجة عكسية إذ تحالف الكادحون والفقراء مع الدوناتية ، واستمر الصراع إلى وفاة دونات سنة ٣٥٥ م (٢٦١) ، واتخذ شكل الثورة الوطنية في طرابلس وبلاد الجزائر (نوميديا : Numidie) إلى سنة ٣٧٥ م (٢٦٢) .

القديس أغسطين وانتصار الكاثوليكية :

كانت الدوناتية قد عرقت فترة من الهدوء بفضل مرسوم الإمبراطور يوليان (اليانس كما يسميه المسعودي) الخاص بحرية العبادة . ولكن عندما أعلنت أفريقية انفصالها عن روما بعد انقسام الإمبراطورية إلى غربية وشرقية ، تمكنت روما من قمع الثورة وعمت على القضاء على الدوناتية فأرغمتهم على العودة إلى الكاثوليكية (٢٦٣) . ولقد وجدك الدوناتية في القديس أغسطين أعدائها ، فهو الذي شهر بها وهاجم أساليبها العنيفة ، وعن طريقه عرفت أخبارها (٢٦٤) . وبفضل أغسطين استخدمت الدولة أساليب العنف والقهر ضد الدوناتية ، مستندة إلى نظريته التي أبحاث استعمال الإرهاب من جانب السلطات العامة في سبيل عودة الخارجين على الكنيسة إلى حظيرة الكاثوليكية ومنع ضعف النفوس من الخروج عليها (٢٦٥) . واستمر أغسطين في محاربة المنشقين على الكنيسة والهرطقة مثل أتباع بلاجيوس (Pelagius) الذي قال بعدم جدوى العنف الكنسي (٢٦٦) . وبفضل أغسطين انتصرت الكنيسة الأفريقية على أعدائها ، وأصبح القديس أغسطين

Julien, Hist. de l'Afrique du Nord, pp. 246-247; (٢٦٠) أنظر

Gautier, Le Passé de l'Afrique, p. 286.

Julien, Hist. de l'Afrique, p. 347. (٢٦١)

* (٢٦٢) نفس المصدر . ص ٢٤٨

* (٢٦٣) نفس المصدر ، ص ٢٥٢

Gautier, Le Passé de l'Afrique, p. 260. (٢٦٥)

Julien, Hist. de l'Afrique du Nord, p. 256. (٢٦٥)

* (٢٦٦) نفس المصدر . ص ٢٥٦

- الذي مات أثناء حصار الوندال لمدينة بونة (٢٦٧) - من أشهر رجال الكنيسة عرف البكرى ذلك فقال عند كلامه عن مدينة بونة : « وهي مدينة أقشتين (القاف تنطق كما تنطق الجيم المصرية) العالم بدين النصرانية » (٢٦٨) . ولم يكن ظفر الكاثوليكية يعنى انقضاء تماما على الدوناتية التي ظلت بعض جماعاتها الى القرن السادس الميلادى ، كما أن الأزمة الدينية أدت الى قيام الرهبنة التي مارسها أولئك الذين لم يستطيعوا تحمل الهزات العنيفة فاعتزلوا المجتمع (٢٦٩) .

الأريوسية :

عندما وقعت بلاد المغرب تحت حكم قبائل الوندال البرابرة الذين أتوا من أسبانيا تحت ضغط القوط ، واستولى ملكهم جنزريك (Genséric) على قرطاجنة عاصمة افريقية سنة ٤٣٥ م ، كان ذلك بداية صراع دينى جديد . فالى جانب تخريب البلاد فرض الوندال على الناس مذهبهم الأريوسى (الذى يقول بطبيعة المسيح البشرية) واضطهدوا الكاثوليك وصادروا أملاك الكنيسة وأموالها وحووها الى الأريوسيين (٢٧٠) . وكان من نتائج غزوة الوندال أن انقلبت الأوضاع الاقتصادية ، وعمت الاضطرابات السياسية فى المغرب الأوسط بشقيه اشرقى (نوميديا) والغربى (مورطانيا Marétainie) حيث قامت امارات وطنية مستقلة ، وكذلك فى ولاية طرابلس حيث هزمت قبائلها ، بقيادة الزعيم الوطنى جبون (Gabaon) الوندال فى معركة كان للجمال فيها دور هام (٢٧١) . ووسط هذه الثورات الوطنية ضاع الحكم الوندالى فى المغرب لكى يعون الحكم الرومانى مثلا هذه المرة فى سيادة القسطنطينية أو بوزنطيا كما يسميها المسعودى .

Gautier, Le Passé de l'Afrique, p. 260

(٢٦٧)

(وبونة قديما كانت تسمى Hippone وهي حديثا تسمى عنابة) .

(٢٦٨) البكرى ، ص ٥٤ .

Julien, Hist. de l'Afrique du Nord, p. 259. (٢٦٩)

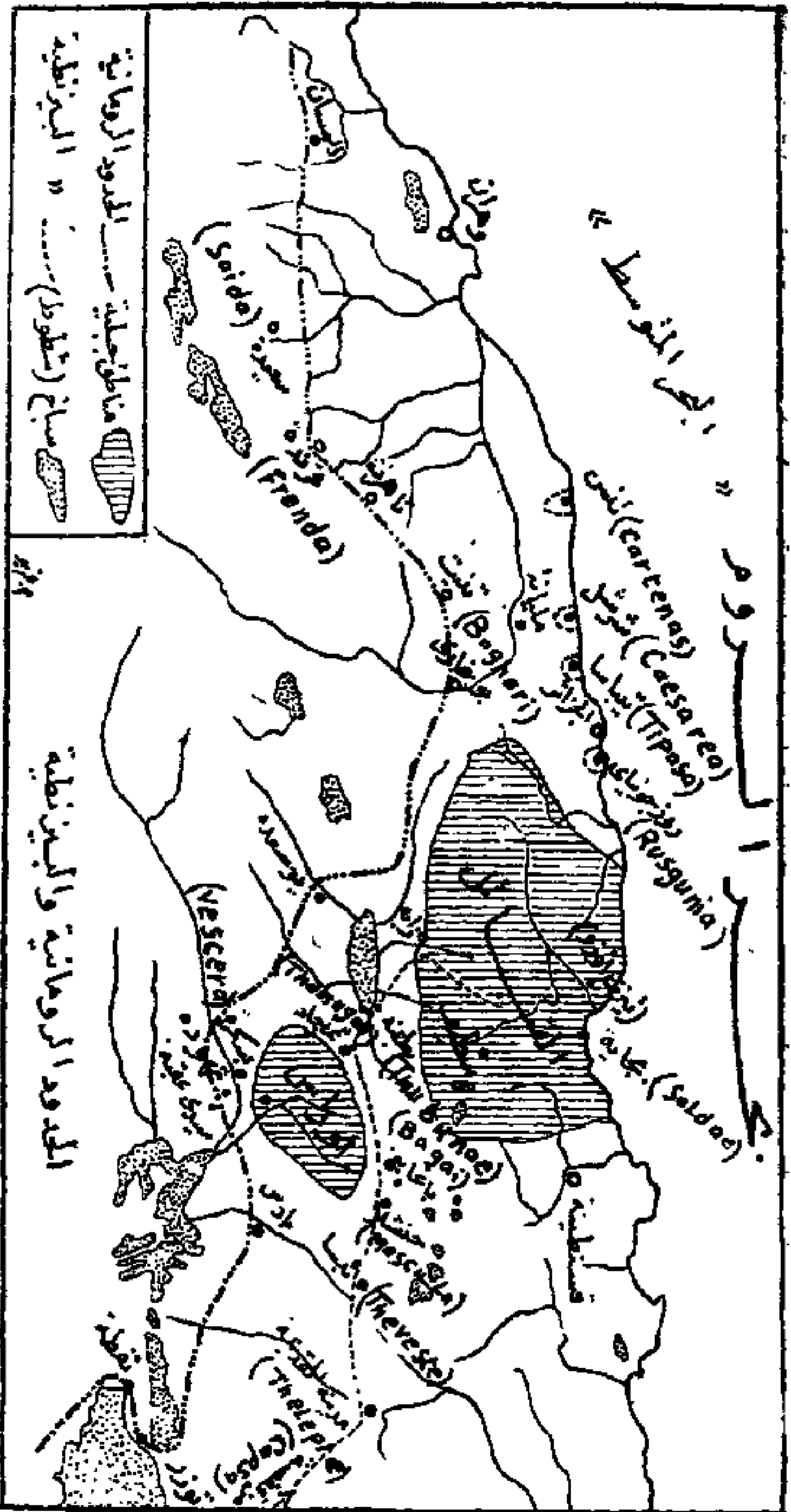
(٢٧٠) نفس المصدر . ص ٢٧١ . والأريوسية نسبة الى أريوس اسقف القسطنطينية الذى

اخذ قول مجمع كنسى فى نيقية سنة ٣٢٥ م لمحاكمته واعتباره هرطيقا أو زنديقا (انظر

المسعودى ، الفصل الخاص بطوك الروم المنتصرة ، ج ١ ص ٣١٨) .

(٢٧١) Julien, Hist. de l'Afr. p. 236 (فى الوقت الذى دار فيه

الفتن وضع الوطنيون جمالهم فى شبه دائرة وجعلوا فى وسطها النساء والأموال) .



شكل (4)

انظر جوتيه (ص ٢١١) وجويان (الملحق) واحد توفيق المدني (خريطة القطار الجزائرى - طبعة كاريونيل بالبرانس)

القرن الأخير للحكم الروماني في المغرب :

بعد دخول قائد جستنيان (يوستينياس كما يسميه المسعودي) وهو بليزاريوس قرطاجنة سنة ٥٢٣ م واستسلام آخر ملوك الوندال جليمر (Gélimer) أخذت الدولة في تنظيم الإدارة المدنية ، وحسم الخلافات الدينية ، كما نظمت البلاد عسكريا الى أربع قيادات تعادل : طرابلس ، ونونس ، والجزائر ، ومراكش (٢٧٢) . وأعاد جستنيان بناء التحصينات التي خربها الوندال الذين صاروا عبيدا ، وتكونت من خطين من القلاع والمدن الحصينة . وبقيت هذه التحصينات تدل على أن الخط الأول كان يبدأ عند مدينة بجاية (على الساحل الجزائري) وينتهي عند قفصه (في الجنوب التونسي) ويمر بمدينة سطيف وطبنة ثم يدور حول جبل أوراس مارا بتمجادة حتى طريقه الى تيسا . وفي منطقة وهران أقيمت سلسلة من الحصون منها شرشل (قيصرية Caesarea) وتنس ، ولقد جعل جستنيان مدينة سبتة مركز ملاحظة هام . أما الخط الثاني في افريقية فكان يبدأ عند قرطاجنة وينتهي عند مدينة قسطنطينة (٢٧٣) . والحقيقة أن هذه التحصينات تدل على مدى انكماش الحدود الرومانية ، ورغم أن بقاياها العظيمة تدل على نشاط الروم وسرعتهم في العمل ، إلا أنها تفصح في نفس الوقت عن المتاعب التي واجهتهم من قبل أهل البلاد الذين لم يلبثوا بعد معسادة بليزاريوس أن قاموهم في طرابلس وفي المغرب الأوسط ، وكان لجبل أوراس العريق دوره في تلك المقاومة . وكاد الوطنيون يلقون بالبيزنطيين في البحر لولا استجابة بعضهم لاغراء الذهب (٢٧٤) . وكان انقسام البربر سببا في تمكين القوات الرومية من هزيمتهم في الجنوب التونسي ، والفتك بأعداد عظيمة منهم . ورغم ذلك لم تثبط همهم حتى تطلب الأمر الاستنجاد ببليزاريوس من جديد . ومع ذلك لم تستقر الأمور وقامت قبائل لواتة في طرابلس وتمكنت من قتل

(٢٧٢) نفس المصدر ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٢٧٣) Julien, Hist. de l'Afr. p. 296. وعن امتداد التحصينات في

نفس الصحراء الغرابلية على أيام الرومان انظر ،

M.S. Gaell, La Tripolitaine et le Sahara au 3e S. de notre ère. Paris, 1926, pp. 8-9.

واخر هذا شكل ٤ ص ١٢١ وكذلك عن تحصينات ليبيا وتونس انظر

R. Cagnat, La Frontière Militaire de la Tripolitaine à l'époque Romaine. 1912, p. 8 et suiv.

Julien, Hist. de l'Afr. p. 299.

سولومون حاكم افريقيه وخليعة بليزارايوس (١٧٥) ، وعلى ذلك فعندما مات
حسسيان كان اخدم الروماني مزعزعا تماما في البلاد .

١٤ عن السياسة الدينية فان الكاثوليك استعادوا كنائسهم وثاروا من
الأريوسيين أشد الثار واضطهدوا الدوناتية وكذلك اليهود (٢٧٦) ، ولكن ذلك
لم يمنع انتشار مذاهب جديدة مثل النسطورية القائلة بثنائية طبيعة
المسيح : الالهية (اللاهوت القديم) والانسانية (الناسوت المحدث) ، وان
مريم هي أم الرجل وليست أم الاله (٢٧٧) . ولم تنته مشاكل المسيحية عند
هذا الحد اذ انقسم اليعاقبة (Monophysites) أصحاب مذهب الطبيعة
الواحدة وهو المذهب الرسمي للقسطنطينية على أنفسهم (٢٧٨) . وتدخلت
تيودورا زوجة جستنيان في سبيل المحافظة على وحدة الكنيسة ، وقامت
باجراءات كان من نتيجتها ثورة أهل افريقية الذين احتجوا على الامبراطور
(في القسطنطينية) والبابا (في روما) . واستخدم جستنيان ضدهم
العنف والارهاب مما عمل على اتساع الهوة بين الامبراطورية وافريقية (٢٧٩) .

وهكذا كانت عودة افريقية الى حظيرة الامبراطورية غير اكيدة :
فالتحصينات السريعة التي اقامتها كانت في حاجة الى من يدافع عنها بعزم
وغيرة ، والادارة المدنية كانت فاسدة ، كما أن الاضطهاد الديني والاستغلال
المالي وفوضى الجيش زادت الأحوال سوءا . حدث كل هذا في الوقت الذي

(٢٧٥) نفس المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .

Gautier, Le Passé de l'Afr. p. 265

(٢٧٦) تورمان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، الترجمة العربية ، ص ١٠٧ .

(٢٧٧) انظر Julien, Hist. de l'Afrique, p. 309 والنسطورية نسبة الى نسطورس

بمراك القسطنطينية الذي انعقد لمحاكمته المجمع الكني الثالث في مدينة افسيس سنة ٤٣١ م

وكان الذي شن الهجوم عليه أسقف الاسكندرية (انظر المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١

ص ٣٢٤ ، تورمان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، الترجمة العربية ص ١٠١) .

(٢٧٨) مذهب اليعاقبة نسبة الى يعقوب اليرازعي الانطاكي الذي كان يصطلح البراذع

(المسعودي مروج الذهب ، ج ١ ص ٣٢٥) .

وفكرة الطبيعة الواحدة تقررت في مجمع افسيس ضد نسطورس ، ولكنه في مجمع

حلفدوبه سنة ٤٥١ م تقررت صيغة جديدة للطبيعة وهي أنه رغم الجسوس يجب تمييز

الطبيعي الالهية والانسانية في المسيح . وهذا ما تأخذ به كنيسة مصر التي غلبت الطبيعة

الالهية الواحدة . ويعقوب اليرازعي هو الذي أسس هذا المذهب الذي عرف باسمه في أيام

جستنيان (انظر تورمان بينز ، الترجمة العربية ، ص ١٠٥) .

Julien, Hist. de l'Afr. du N. p. 306.

(٢٧٩)

تهددت القسطنطينية نفسها أخطار الفرس والبرابرة من الهون والآفار (٢٨٠) . وحاول بعض خلفاء جستنيان القيام بإصلاحات تعيد الهدوء الى المغرب والمثل لذلك اصلاحات الامبراطور موريس (موريقس كما يسميه المسعودي - ٥٨٢ - ٦٠٢) الذي ضم طرابلس الى مصر ، وقصر خط حصون جستنيان وأخضع الموظفين المدنيين الى القواد العسكريين ، ولكن جهوده باءت بالفشل ، اذ زادت من مساويء الأغنياء وعدم انتظام رجال الادارة (٢٨١) .

ولم تكن الكنيسة بأحسن حالا من الامبراطورية في سياستها الدينية التي انتهت بنشر المقاسد من اشاعة الرشوة (Simonie) وعسدم النظام والتحاسد بين رجالها . وكان من نتائج هذا التساهل أن ازدهر من جديد المذهب الدوناتى الذى لفت الأنظار الى مساويء الاستعمار البيزنطى (٢٨٢) .

ومع مطلع القرن السابع الميلادى أخذت ولاية افريقية تقوم بدور هام فى سياسة الامبراطورية . فلقد تم تدبير مؤامرة خلح الامبراطور فوكاس (فوقاس كما يسميه المسعودى) فى قرطاجنة . وذلك أن حاكم افريقية هرقل كان من قواد الامبراطور السابق موريقس الذى قتله فوكاس فكان يحقد على هذا الأخير . أرسل حاكم افريقية ابن أخيه نيقيتاس بن جرجوريوس الى مصر على رأس جيش خرج من المغرب نحو الاسكندرية التي فتحت له أبوابها - نكاية فى القسطنطينية عدوتها المنهية - (سنة ٦٠٨ - ٦٠٩) . وفى نفس الوقت كان هرقل قد سير ابنه وسميه هرقل بن هرقل على رأس قوة بحرية الى سالونيك حيث تربص للاستيلاء على القسطنطينية ، وتم له ذلك فعلا فى سنة ٦١٠ ، وبذلك أصبح ابن حاكم قرطاجنة امبراطورا (٢٨٣) . وتهاوت الكوارث على دولة الروم فاحتل الفرس ارمينيا سنة ٦١٩ وحاصروا الاسكندرية ، ولم ير هرقل الا الاعتماد على افريقية لتقويم الموقف فعهد بحكمها الى ابن عمه نيقيتاس نائبه فى مصر .

وهكذا ظهر وكان الامبراطورية البيزنطية ثبتت أقدامها فى افريقية التي أصبح لها ذلك الدور الرئيسى فى سياسة الدولة . وترتب على ذلك الاستقرار

(٢٨٠) نورمان بينز . الامبراطورية البيزنطية (الترجمة العربية) ، ص ٥١

Bréhier, Vie et Mort de Byzance p. 35 et suiv.

Julien, Hist. de l'Afr. du Nord, p. 309-310. (٢٨١)

(٢٨٢) نفس المرجع . ص ٣١٠ .

(٢٨٣) بتلر ، فتح العرب لمصر ، الترجمة العربية ، ص ٣٢ - ٣٣ ، سنن مؤنس .

فتح العرب للمغرب ، ص ٣٥ .

السياسي ازدهار الكنيسة الافريقية ، رغم أن هذه الأخيرة كانت تقوى علاقاتها بروما التي كانت تسمى بدورها الى بسط سلطانها على البلاد بفضل نشاط رجالها . وهكذا كان الاتفاق بين الادارة البيزنطية والكنيسة الافريقية في مصلحة كل من الطرفين رغم أن الأولى تستمد سلطانها من القسطنطينية والثانية توجه انظارها نحو روما . وكان الخطر يكمن في هذا التناقض (الذي يتمثل في تنازع العاصمتين الكبيرتين على سيادة العالم المسيحي) مما ترتب عليه أن أصيبت الكنيسة الافريقية بأزمة زعزعتها الى الأعماق . فقد ظهر فيها مذهب سرجيوس بطريق القسطنطينية الذي يقول بالطبيعة الواحدة الالهية والانسانية معا ، والذي وقف الى جانبه هرقل رغبة منه في اكتساب تأييد اليعاقبة(٢٨٤) . وعارضت الكنيسة الافريقية ووجهت الاحتجاجات ضد هذا المذهب الى الامبراطور والبابا ، وانتهى الأمر بأن أعلنت أسقفية قرطاجنة عدم صلاحية الامبراطور(٢٨٥) . وتعدد الموقف عندما وصل الى افريقية جماعات من الرهبان والراهبات الذين خرجوا من مصر فرارا من الاضطهاد وبعدا عن مواطن الخطر في الوقت الذي كان العرب يفتحون فيه مصر . وأخذ هؤلاء ينشرون مذهبهم اليعقوبي بحرية في كنف الامبراطور الجديد قسطنطين الثالث مما أثار سخط الكاثوليك وتباعدهم أكثر عن الامبراطور(٢٨٦) . وعلى ذلك عندما اعتلى عرش القسطنطينية قسطنطين الرابع في سنة ٦٤٥ م وكان من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة الانسانية الالهية معا ، وهو المذهب المونوثيلي (Monothélisme) لم يجد المعارضون وعلى رأسهم الراهب مكسيموس (Maximus) صعوبة كبيرة في الثورة اعلان حاكم افريقية جريجوريوس بن تقيتاس بن جريجوريوس امبراطورا(٢٨٧) . وجريجوريوس هذا هو الذي عرفه العرب في افريقية وسموه بجرجير (Grégoire) .

كانت هذه حالة المسيحية في المغرب قبل ظهور الاسلام : مذاهب منشقة ، أهمها بالنسبة لاهل البلاد المنصبغين بالصيغة الرومانية هو الزندقة الدوناتية التي دعت الى الخروج على الكنيسة الرسمية المتحالفة مع الدولة ، وبالتالي الى قلب الأوضاع الاجتماعية التي كانت تستندها الكنيسة . وستعود

Julien. Histoire de l'Afrique du Nord, p. 312.

(٢٨٤)

(٢٨٥) نفس المصدر .

(٢٨٦) نفس المصدر .

(٢٨٧) أنظر حسن مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٤٦ وتابع . وعن المونوثيلية في

مصر ، أنظر السيد الباز العريضي ، مصر البيزنطية ، ص ٤٠٠ .

الى الاشارة الى المذهب الدوناتي عند الكلام عن حركات الخوارج في المغرب .
هذا ولا ينبغي ان يغيب عن الذهن ان كل ذلك كان يجرى في المناطق الساحلية
حيث انكمش نفوذ الامبراطورية ، رغم ما يقال من انه عندما وصل العرب
الى المغرب كان في البلاد أكثر من ٢٠٠ (مائتي) اسقفية (٢٨٨) . وهكذا لم
يكن من الصعب على الاسلام - بمبادئه التي تدعو الى المساواة والاشتراكية -
ان يقضى على انسيحية بسهولة في المغرب ، اذ انها خرجت مع البيزنطيين عندما
جنوا عن المناطق الساحلية التي كانوا يحتلونها .

الباب الثاني

الفتح العزبي للمغرب

(٢٣ هـ / ٦٤٤ م - ٩٥ هـ / ٧١٣ م)

الفصل الأول : ما بين الفتح والاستكشاف (٢٢ - ٥٠ هـ /
٦٤٣ - ٦٧٠ م)

الفصل الثاني : الاستقرار والفتح السليم (٥٠ - ٩٥ هـ /
٦٧٠ - ٧١٣ م)

مخاضية الفتح :

يتصف فتح المغرب - دون الفتوحات الأمريكية الأخرى - بالصعوبة الشديدة والمقاومة العنيدة من جانب أهل البلاد وهم البربر . وذلك أن المغاربة مثل العرب - كما قلنا - أهل نجدة وقوة لا يرضون بالضميم ولا يرضخون لنذل ، وهذه طبيعة الرجل البدوي الذي يفضن تضيير موطنه على الخضوع لمستبد إذ الرحلة جزء من حياته والهجرة منجاة من عوادي الزمن . وهكذا لم يخضع قلب جزيرة العرب ، قديما ولا حديثا ، لاستبداد الدول الكبرى التي لم تكن لتستطيع الاستقرار الا على الأطراف ، وكذلك الحال بالنسبة لبلاد المغرب . فحرب فارس لم تتطلب من العرب الا بضعا من الوقائع وانتصارين فاصلين ليتم خضوع المملكة الساسانية جميعا في أقل من عشرين سنة . والشام لم تتطلب هي الأخرى الا عددا قليلا من المعارك وموقعين فاصلتين . أما مصر فيمكن القول انها أخذت دون قتال ، فلم يتطلب الأمر أكثر من الوقوف قليلا أمام « حصن بابليون » وسنة أو بعض سنة أمام أسوار الاسكندرية . أما فتح المغرب فقد تطلب بضع عشرات من السنين قضاهما العرب في صراع مرير ، عرفوا خلالها حلاوة الانتصارات وذاقوا مرارة الهزائم حتى ظهر في بعض الأحيان وكأن تمام الفتح ضرب من المحال . وفي ذلك يقول ابن خلدون - عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار - أن البربر ارتدوا عن الاسلام اثنتي عشرة مرة ، ولم يثبت اسلامهم الا في أيام موسى بن نصير أو بعدها (١) أي خلال اثنين وسبعين عاما تقريبا .

ولقد استتبع طول أمد الفتح وصعوبته نتيجة ربما كانت منطقية ، وهي صعوبة تاريخ هذه الفترة تاريخا صحيحا يضع الأحداث في مواضعها الحقيقية حسب ترتيبها الزمني الصحيح . والحقيقة أن تلك الصعوبة التي يلقاها المؤرخ لا ترجع الى كثرة الأحداث خلال هذه الفترة الطويلة بل الى قلة المعلومات التي وصلتنا عنها ثم نداخل هذه المعلومات وتنسبكها بدرجة تجعل التمييز بينها من الصعوبة بمكان . ويضاف الى ذلك اختلاط الحقائق التاريخية بالحرفات والأساطير الشعبية بشكل يجعل الوصول الى الحقيقة في كثير من الأحيان أمرا صعب المنال .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١٠٢ والترجمة ، ج ١ ص ١٩٨ .
(م ٩ - تلويح المغرب العربي)

الفصل الأول

مابين الفتح والاستكشاف

(٢٢٠ هـ / ٦٤٣ م - ٥٠ هـ / ٦٧٠ م)

١ - فتح ليبيا (برقة - فزان - طرابلس) :

أ - فتح برقة :

على عكس ما قلناه من أن فتح المغرب اتصف بالصعوبة الشديدة ، نلاحظ أن فتح الأجزاء الشرقية من هذا المغرب اتصف بالسهولة الشديدة مثلها مثل مصر . والحقيقة ان برقة وطرابلس كانت تابعة لمصر من الناحية الادارية منذ اصلاحات الامبراطور موريقس (Maurice) (٢) . ورغم أن النصوص العربية لا تبين لنا أن حاكم مصر (المقوقس) كان له سلطان ما على برقة وطرابلس ، ورغم ما يقول المختصون في تاريخ افريقية البيزنطية من أن حكام قرطاجنة كانوا يسيطرون سلطانهم على طرابلس وبرقة قبل دخول العرب (٣) . فالظاهر أن برقة وطرابلس كانتا في حالة انقطاع عن مصر وعن افريقية اللتين انشغلتا بأمورها الداخلية - وهذا ما ستيينه الأحداث . ومع ذلك فالذي كان معروفا عند العرب هو أن برقة - على الأقل - كانت داخلية في حدود مصر : فمصر منذ عرفت بهذا الاسم كانت تمتد من خلف العريش الى أسوان طولاً ، ومن برقة الى أيلة عرضاً (٤) . ونعتقد أن هذا الأمر هو الذي وجه أنظار العرب نحو برقة وطرابلس في وقت مبكر عقب تمام فتح مصر بفتح الاسكندرية في أوائل سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م - ٦٤٢ م .

(٢) أنظر فيما سبق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٣) أنظر مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٥٠ . محمد عبد الهادي شميرة ، الصراع بين العرب والبيزنطيين (بالفرنسية) ، ط . الاسكندرية ، ١٩٤٧ ، ص ٦٣ .
(٤) أنظر ابن عبد الحكم ، ص ٩ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٧ (يقول عن المقوقس انه صاحب الاسكندرية وبرقة ، ويجعل طرابلس وصيرة ولاية لها صاحبها وهو عامل ملك القسطنطينية) .

وهذا يعني أيضا أن فتح برقة وطرابلس كان ضرورة (استراتيجية) عسكرية ، لحماية حدود مصر الغربية ضد ما قد يتهدهدها من خطر الروم في افريقية ، كما حدث عند الثورة ضد فوكاس ثم الهجوم على افروس .

وعندما سار العرب الى برقة ثم يستهدفوا فتح الأقاليم الشمالية العامرة . فقط حيث المدن الخمسة القديمة التي عطلت اسمها للمنطقة وهي أنطا بلس (تعريف لبنتابلس Pentapolis) ، بل فتحوا الأقاليم الجنوبية بالصحر اوية كذلك . وهكذا نفهم من النصوص أن العرب عندما قرروا اتقنم نحو المغرب ساروا حسب خطة استهدفت تسيير قوتين احدهما نحو الشمال الى مدينة برقة نفسها . وثانيتها نحو الجنوب الى فزان . ومعظم الروايات التي ترجع الى الواقدي والتي يوردها البلاذري (٥) ، وكذلك روايات ابن عبد الحكم (٦) التي يرجع كثيرا منها الى ابن نهيمة (توفي ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م) والليث بن سعد توفي (١٧٥ هـ / ٧٩١ م) يفهم منها أن حملة الشمال التي قادها عمر بن العاص سبقت الحملة الجنوبية التي قادها عقبة بن نافع الفهري (قريب عمرو) . فبعد فتح الاسكندرية سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م سارع عمرو على رأس جيشه نحو المغرب ، ويفهم من رواية ابن عبد الحكم أن قواته كانت من الفرسان (٧) . ومع أن النصوص لا تبين الطريق التاريخي الذي سلكه عمرو فالمعروف أن الطريق من الاسكندرية الى برقة هو الطريق التاريخي الساحلي (حاليا عبر مطروح السلوم) . ولم يلق عمرو مقاومة ما في الطريق كما لا يوجد ذكر للمدن الساحلية المعروفة في برقة مثل : طبرقة (طبرق) أو درنة أو سوسة أو طلمنية ، مما يفهم منه أنها لم تكن مدنا مهمة في ذلك الوقت . وعندما وصل الى مدينة برقة ضرب عليها الحصار (٨) . وفهم من البلاذري الذي يقول ان عمرا « قاتلهم على الجزية » (٩) ، أنه عرض أهل برقة الفلوات خصال التي عرضها على القوقس وأهل مصر (وهي الاسلام أو الجزية أو القتال) .

ورغم أن أهل برقة كانوا من قبيلة لواتة العريضة في المنطقة والتي كان

(٥) فتوح البلاطين ، ص ٢٢٤ .

(٦) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٠ .

(٧) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ ، البلاذري ، ص ٢٢٤ .

(٨) البلاذري ، ص ٢٢٤ .

(٩) البلاذري ، ص ٢٢٤ .

نُها الذكر في مقاومة الرومان والوندال والبيزنطيين ، الا أنهم لم يسببوا لعمر و
أية متاعب ، ولا شك في أنهم رحبوا بمقدم العرب كما رحب به المصريون ،
اذ أنهم ركنوا الى الصلح ، وتم الاتفاق على أن يدفع اللواتيون من أهل برقة
جزية سنوية قدرها ثلاثة عشر ألف دينار ، ويرجع الفضل لابن عذارى الذي
بين كيفية فرض هذه الضريبة ، اذ يقول انه : « صالح أهلها على الجزية :
دينار على كل حالم (١٠) » . وعذا يعنى أن عدد اللواتيين من الراشدين الذين
يجب عليهم دفع الدينار بلغوا ثلاثة عشر ألف رجل ، واذا ما قدرنا أن نسبة
هؤلاء الى عدد سكان المدينة وأعمالها يبلغ الربع تقريبا (نظرا لاستثناء النساء
كما جرت العادة) ، لكان عدد لواتة في المنطقة ما بين أربعين وخمسين ألفا .
ورغم أن جزية برقة كانت نصف جزية أهل مصر - وهذا أمر يبين أن العرب
قدروا ضعف برقة الاقتصادية وقلة مواردها بالنسبة لوادى النيل ، فانصفوا
أهلها من هذا الوجه - الا أن كتاب الصلح اشترط أمرا غريبا . ففي رواية
الليث بن سعد : « كتب عمرو بن العاص على لواتة من البربر في شرطه
عليهم أن « عليكم أن تبيعوا أبناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية » (١١) .
وبطبيعة الحال لا يفهم من ذلك أن لواتة كانت ملزمة ببيع أبنائها وبناتها في
الجزية ، فان ذلك الأمر كان اختياريا ، وهذا ما توضحه الروايات الأخرى التي
تقول : « على أن يبيعوا من أجبروا من أبنائهم في جزيتهم » (١٢) . والنص على
ذلك كتابة يبين أحد أمرين : أولهما أن عمرا عرف فقر اللواتيين وتخوف من
عدم مقدرتهم على أداء الجزية فرأى أن يؤدوها عن هذا الطريق ، وثانيهما أن
اللواتيين هم الذين اقترحوا ذلك ولم يكن أبلم عمرو الا الترحيب بفساد
العروض .

والحقيقة ان أخذ صغار لواتة من البيه والبنات ، لتربيتهم في كنف
العرب ، كان يحقق ثلاثة أهداف رئيسية اولها ديني بتنشئتهم على العقيدة
الاسلامية ، ونشر الدين عمل من أعمال البر والتقوى ، وثانيها اجتماعي
بتعريبهم عن طريق اللغة العربية وتربيتهم على العادات والتقاليد العربية .

(١٠) ابن عذارى ، طبعة كولان وبروفتسال ، ص ٨ .

(١١) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ ، البلاذري ، ص ٢٢٥ ، روقاردن الطبرى . (ذخائر العرب)
أحداث سنة ٢١ ، ج ٤ ، ص ١٤٤ ، تاريخ خليفة بن خباط . تحقيق آكرم المعري ، ط .
النجف ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

(١٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ ، البلاذري ، ص ٢٢٤ وفيه : « يبيعون عبيد من أبنائهم
من أسبوا بيده » .

التزاوج معهم . ونشر العروبة كان رسالة العرب . وثالثها سياسي ، وهو نتيجة طبيعية لسابقه ، بتوثيق أواصر الصلة بين العرب والبربر ، وفي ذلك توحيد وتقوية لدولة العرب .

ولا سبيل الى القول بأنه ربما كان المقصود بالأبناء نوعاً من العبيد او المماليك (١٣) ، فلقد تكلم في ذلك قدامى الرواة ، وقال الليث بن سعد : « فلو كانوا عبيداً ما حل ذلك منهم » (١٤) ، ولو أنه يفهم من هذا النص ان الرأي الذي يعارضه الليث اعتبر لواته من العبيد . والنص الأول يتضح منه تماماً ان المقصود هم أبناء وبنات اللواتيين ، والبنات بصفة خاصة فيما نرى . يؤيد ذلك ما كتبه فيما بعد الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز - الذي راعه الأمر - « في اللواتيات ان من كانت عنده لواتية فليخطبها الى أبيها او فليردها الى أهلها » (١٥) . وهذا يعني أن دفع البنات في جزية لواتة ظل معمولاً به الى أواخر القرن الأول الهجري .

ب - فتح صحراء برقة وقران :

بعد فتح برقة تأتي حملة عقبة بن نافع في الصحراوات الجنوبية . وتقول رواية ابن عبد الحكم أن عمراً وجهه « حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين » (١٦) . وتزيد رواية البلاذري أن عقبة قام بهذا الفتح بعد أن عهد اليه عمرو بولاية المغرب (١٧) . ولا نعرف ان كان ذلك يعني لمن تلك الفتوحات تمت بعد أن ترك عمرو برقة (سنة ٢٢ هـ) في اتجاه طرابلس ، أو بعد عودته من هذه الغزوة الى مصر في سنة ٢٣ هـ قبيل مصرع

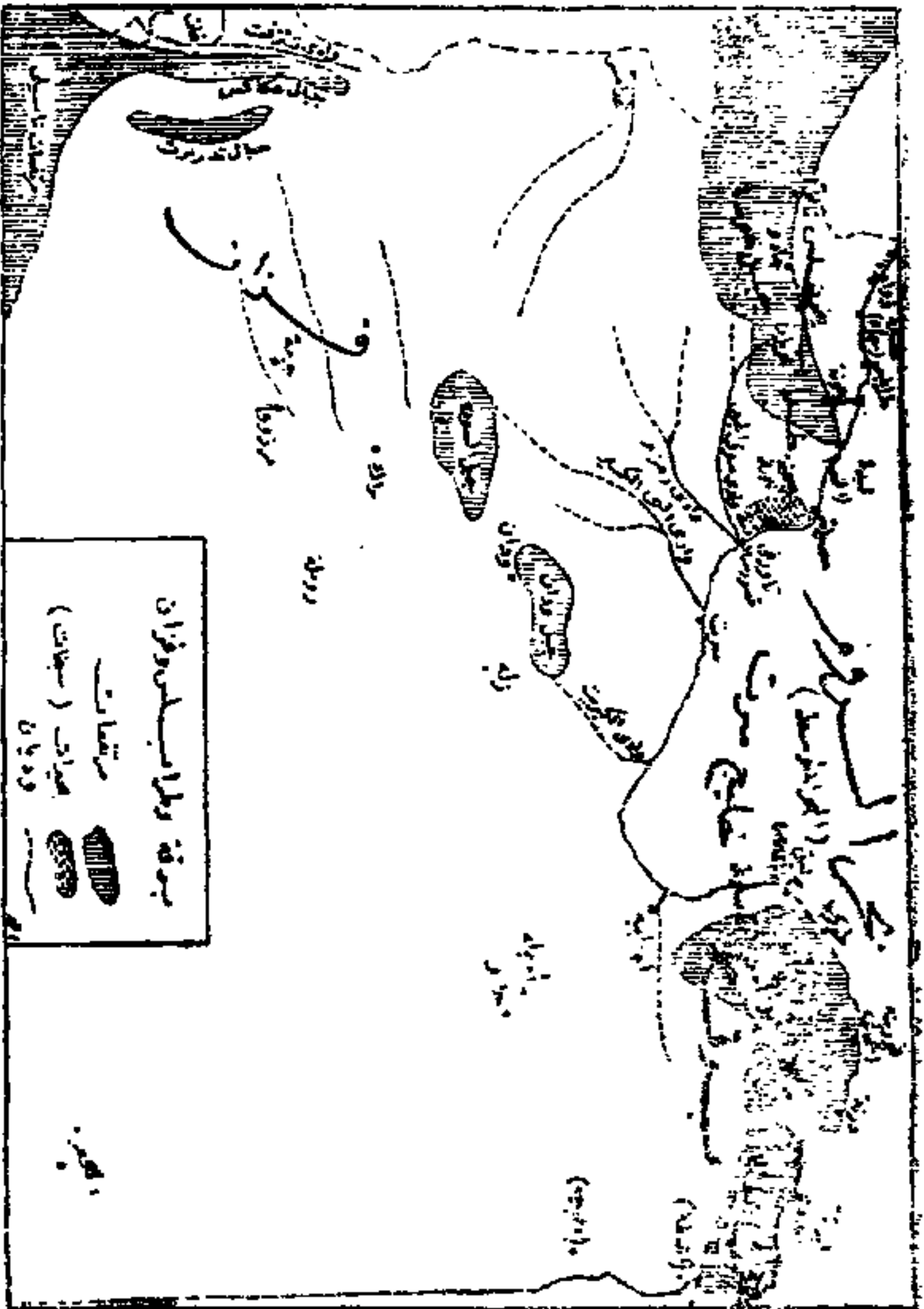
(١٣) يبيل الاستاذ الدكتور شعيرة الى الأخذ بهذا الرأي، ولقد سجله في كتاب « تاريخ ليبيا والعالم الاسلامي » الذي اشرف وشارك في كتابته ، طبعة القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٤٤ . والظاهر ان شعيرة استند في رأيه هذا الى ما سنوضحه النصوص فيما بعد سنة ٤٠ هـ عندما تقول ان جزية أهل قران كانت من العبيد . (انظر فيما بعد - باب ولاية عقبة بن نافع وغزواته في صحراوات طرابلس والفريقية) .

(١٤) البلاذري ، ص ٢٢٥ .

(١٥) البلاذري ، ص ٢٢٥ .

(١٦) ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ وانظر شكل ه ص ١٣٤ .

(١٧) البلاذري ، ص ٢٢٤ .



شكل (٥)
البلاد اللبية بأقاليمها المختلفة

الخليفة عمر (١٨) . ورغم اتفاق ابن عبد الحكم والبلاذري على ترتيب الأحداث بهذا الشكل نجد نصا في ابن عذارى يغير هذا الوضع ، ويجعل فتح عقبة ابن نافع للصحراء الجنوبية سابقا لفتح عمرو لمدينة برقة اذ يقول : « فأول من دخل افريقية غازيا في زمن عمر بن الخطاب - رضه - عمرو بن العاص » وكان استفتح مصر في سنة ٢٠ من الهجرة ، ووجه منها عقبة بن نافع الفهري الى نوبة وافريقية فافتتحها . ثم توجه عمرو بنفسه الى برقة ٠٠٠ (١٩) . ولا يفهم من هذا النص أن حملة عقبة سبقت حملة عمرو في برقة فقط وأن عقبة خرج غازيا المغرب من مصر . ونحن نعتقد في صحة هذا الرأي ونرى أن مسير عقبة لم يكن عبر الطريق الساحلي مع عمرو بل عن طريق الفيوم أو الصعيد أي طريق الواحات الذي تجتازه القوافل ، وهو الطريق الذي ستخذه الجيوش الفاطمية أكثر من مرة في مسيرها نحو مصر . وتتضح هذه الحقيقة وسط سبيل الأساطير الموجودة في كتاب فتوح البهنسبة والقيوم المنسوب للواقدي (٢٠) . ويمكن أن نستند في تقرير هذا الأمر على ترتيب ابن عبد الحكم لأحداث الفتح اذ يتكلم عن فتح برقة عقب كلامه عن فتح الفيوم مباشرة (٢١) . هذا كما أن وجود والد عقبة ، وهو نافع بن عبد القيس الفهري ، في قرسان العرب الذين ساروا ليرابطوا على حدود النوبة (٢٢) ما يمكن أن يكون قرينة على دخول عقبة صحراء برقة من ناحية الفيوم أو الصعيد - كما نقول - اذ المعقول أن يكون عقبة قد صحب والده في مسيره هذا نحو النوبة .

(١٨) يرى مؤنس (فتح العرب للمغرب ، ص ٥٨) أن هذا النص خاص بولاية عقبة لافريقية على أيام معاوية . ومع أن ذلك قد يكون صحيحا ، كما حدث في الخلط بين أحداث فتح الاسكندرية الاول وفتحها الثاني سنة ٢٥ (انظر ابن عبدالحكم ، ص ٨٠ ، ٨٤) ، فإن مؤنس يستند في استنتاجه الى أن النص يتكلم عن تنظيم الضريبة في برقة ثم ان النص يقول ان عمرا ول عقبة المغرب والمحروف أن الضريبة كان ينبغي أن تنظم منذ البداية ، أما عن ولاية المغرب فيمكن أن يكون المقصود بها الرباط في المغرب .

(١٩) ابن عذارى ، ص ٨ . ونعتقد أن كلمتي « لوبية وافريقية » في النص لا تستقيمان والا فينبغي تغييرهما الى لوبية ومراقية (انظر فيما سبق ص ٦٤ - ٦٥) ، وابن عذارى سيتكلم فيما بعد عن فتح المرقية كما هو معروف في كل المصادر - ولا شك أن نص ابن عذارى اللقب نشره دوكي والذي قرأ فيه بدلا منها « زويلة وبرقة » (انظر مؤنس ، ص ٥٩) أصبح وهذا ما يتفق مع رواية ابن عبد الحكم (ص ١٧) ورواية البلاذري (ص ٢٢٤) .

(٢٠) فتوح البهنسبة وقيوم من اقليم مصر ، انظر للمؤلف ، فتح العرب للمغرب في الحقيقة والأسطورة ، مجلة كلية الآداب بالاسكندرية ، سنة ١٩٦٣ ، ص ١٧ .

(٢١) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ .

(٢٢) ابن عبد الحكم ص ١٦٩ - ١٧٠ .

والحقيقة أن عقبة بن نافع كان يخطر خطواته الأولى نحو الشباب ، إذ يحسد مؤنسه بسنة قبيل وفاة الرسول (٢٣) ، بمعنى أنه كان يبلغ من العمر ما بين ثلاث عشرة سنة وأربع عشرة سنة في هذا الوقت ، مما يشكك في أن تكون له قيادة القوات في تلك الفتوح الخطيرة ، وهو في تلك السن المبكرة . وإذا كان الأمر كذلك فلنعمقول أن يكون هذا الفتح لنافع بن عبد القيس الفهري ووالد عقبة ، وأن عقبة الشاب الصغير كان في صحبته ولما ذاعت شهرة عقبة بصفته فاتح المغرب كما سنرى ، نسب هذا الفتح إليه كما اختلطت بعض أحداثه بفتوحه التالية . والحقيقة أن شخصية نافع اختلطت بشخصية ولده عقبة في كثير من روايات ابن عبد الحكم الذي تم يستطع التمييز بينهما في كثير من الأحيان فهو عند كلامه عن الدور التي اختطها نافع بالفسطاط ، يتبع اسم نافع بن عبد القيس الفهري بقوله : « ويقال بل هو عقبة بن نافع » (٢٤) .

والذي يفهم من التصوص أن فتح صحراوات برقة هذه كان سهلا ، إذ ليس هناك ذكر لمقاومة ما لقيها عقبة في طريقه حتى بلغ زويلة . ويشيد الرواة بهندسة تلك الأقاليم فيقال : « أن ما بين زويلة وبرقة مسلم كلهم حسنة طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة وأقر معاهدهم الجزية » (٢٥) . واشتهرت برقة بحسن الطاعة حتى أن الأمر لم يكن يتطلب ذهاب الجباة إليها لتحصيل ما عليها من الأموال التي كانت تبعث بها إلى مصر وقت استحقاقها (٢٦) . وبلغ الاطمئنان والأمن في برقة إلى درجة جعلت عبد الله بن عمرو بن العاص

(٢٣) ابن عسار ، ص ١٩ .

(٢٤) ابن عبد الحكم . ص ٩٣ . ٩٩ . ١١١ . أما عن الروايات التي تسبب فتوح المغرب للصحابي المعروف عقبة بن عمرو الجعفي الذي شارك في فتح مصر (ابن عبد الحكم ، ص ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٧٨) ووليها أيام معاوية (سنة ٤٤ - ٤٧ هـ) ودفن بها (ابن عبد الحكم ص ٢٥٣) فلا نستطيع الأخذ بها لأنه لم يعرف لعقبة الجعفي صوح في المغرب . أما الخلط بين عقبة الفهري وعقبة الجعفي فقد أتى منا عرف عن الفهري من السلاح والتفوق إذ أراد مؤرخي حياة العباد الصالحين أن يجمعوه صحابيا أو ظنوا أنه يجب أن يكون كذلك (أنظر أبو العرب طبقات علماء ابريقية ، طبعة الجزائر . ص ٩ ، وأنظر للمؤلف . فتح العرب للمغرب بين الطبقة والاسطورة مجلة كلية الآداب بالاسكندرية سنة ١٩٦٣ . ص ٢٠ - ٢١) .

(٢٥) انبلاذرى . ص ٢٢٤ .

(٢٦) أنظر ابن عبد الحكم . ص ١٧١ . لم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خرج إنما كانوا

يعتقون بالجزية إذا جاء وقتها . . . وقارن البلاذرى . ص ٢٢٤ .

يقول : « لولا ما لي بالحجاز لنزلت برقة فما أعلم منزلا أسلم ولا أعزل منها » (٢٧) ، هذا ولو أننا نعتقد أن هذه المقالة ترجع الى وقت ما بعد الفتنة - بعد عودة عمرو الى مصر أيام معاوية .

ج - فتح طرابلس (اطرابلس) :

في مثل هذه الظروف التي تدعو الى الطمأنينة بعد فتح برقة وصحراواتها دون تعب ، كان عمرو بن العاص يستطيع مواصلة المسير نحو الغرب قاصدا طرابلس . ولا تذكر النصوص شيئا عن المدن الساحلية والقريبة من الساحل على الطريق من برقة الى طرابلس ، وهي اجدابية وسرت ولبدة . ولا شك في أن هذه المدن كانت خاملة مضمورة في ذلك الوقت ، فلم يكن بها ما يطعم العرب فيها أو ما يجعلهم يخشون خطرها (٢٨) . وكان لطرابلس أسوارها التي تحيط بها الا من جهة البحر ، فقد كانت الأسوار تمتد الى البحر في شرقي المدينة وغربيها تاركة الواجهة البحرية مفتوحة أمام لليناه والمراكب . وأقبل عمرو بقواته من جهة الشرق ورابط في موضع مرقع يشرف منه على المدينة . ولما لم يكن العرب حتى ذلك الوقت قد خبروا حرب الحصون ، فانهم فعلوا كما فعلوا ببابلين والاسكندرية ، فضربوا الحصار على المدينة طوال شهر دون طائل . ومرجعنا الأول هنا هو ابن عبد الحكم الذي يسجل روايات الليث بن سعد وعثمان بن صالح (توفي عام ٢١٩ هـ / ٨٢٤ م) التي تناقلها الكتاب فيما بعد حرفيا أو بشيء من التفسير . ويقول ابن عبد الحكم : « فنزل (عمرو) على القبة التي على الشرف من شرقيها فحاصرها شهرا لا يقدر منهم على شيء » (٢٩) . أما بقية الرواية فموضوعها

(٢٧) البلاذري ، ص ٢٢٤ .

(٢٨) ولا بأس من الإشارة هنا الى أن رواية تاربخ خليفة بن خياط (ج ١ ص ١٢٥) تفرد بالنص على أن عمرو بن العاص افتتح لبدة من أرض طرابلس ، وليس اطرابلس نفسها ، وذلك في سنة ٢٢ هـ ، وأنه رجع في سنة ٢٤ هـ .

(٢٩) ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ . ولا نعرف ماذا يقصد ابن عبد الحكم بالقبة ، وبعينه الزاوي (تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٢٨) أن ابن عبد الحكم يقصد قبة الشيخ عبد الله الشعاب الحالية . وهو يحاول أن يستدل على ذلك بأن الشعاب توفي سنة ٢٤٢ هـ قبل ابن عبد الحكم بحوالي أربعة عشر عاما فهو معاصره . وهذا الاستنتاج يمكن ان يكون معقولا لو تحققنا من أن قبة الشعاب بنيت فعلا عقب وفاة الشيخ ، وهذا ما لا نعرفه . وعن صيغة الشعاب . انظر البكري ، ص ٧ ، وانظر محمد بن عثمان الحشاشي (التونسي ، توفي =

قصة سقوط طرابلس بمحض الصدفة ، وبطل القصة أحد العرب المدليين ولا تعرف اسمه . والنسب يفهم من النص ان العرب بعد ان اطال بهم الوقوف أمام المدينة أخذت جماعات منهم ترقاد الاقليم بحثا عن المغنم أو بقصد الاستكشاف أو طلبا لاصيد والتفزه فالمدلي ترك المعسكر العربي في شرق المدينة وبصحبه ستة من أصحابه بغرض الصيد ، واتخذ الطريق جنوبى المدينة في اتجاه الغرب . وأثناء رحلة العودة أرهقت حرارة الجو الجماعة قرأت أن تخفف عن نفسها باتخاذ طريق البحر . وعندما اقتربوا من جناح سور طرابلس الغربى ، وهم ينظرون إلى مراكب الروم وهي رافعة أشرعتها أمام بيوتهم المظلة على الشيناء ، لاحظ المدلي انحسار البحر عن السور ، تاركا طريقا يمكن الدخول منه . وعبرت الجماعة الصغيرة هذا المسلك فى اتجاه كنيسة المدينة ، وهناك صاحوا على الروم مكبرين . وكان للمفاجأة أثرها فى قلوب الروم الذين تركوا المدينة هاربين نحو سفنهم . وتنبه عمرو بسرعة الى وجود اخوانه فى الداخل فأسرع على رأس رجائه حتى دخل عليهم ، ولم تقلت الروم فى المراكب الا بما خف حمله من المتاع ، بينما استولى العرب على كل ما كان فى المدينة (٣٠) .

ونظرا للتشابه بين هذه الرواية وقصة فتح بابليون على يدى الزبير ابن العوام ، ظن مؤنس أن « الأمر اختلط على بعض الرواة بين الفتحين فوضعوا فى ثانيهما ما وقع فى الأول » (٣١) . ومع أن هذا الفرض محتمل الا أننا نجد فيما أضافه التجانى لرواية ابن عبد الحكم ما يمكن أن يفسر الحقيقة . فالتجاني يقول ان المدلي وأصحابه عندما رأوا البحر قد حصر من جهة المدينة عن مسلك يمكن النفوذ اليها منه ، فندبوا منهم جماعة واقتحموا المدينة (٣٢) بمعنى أن الجماعة الصغيرة كانت على اتصال بالجيش وأنها طلبت معونة من اخوانها وتم تدخل طرابلس وحدها .

وهكذا يمكن أن يفسر خروج المدلي وأصحابه على أنهم كانوا طليعة استكشافية ولم يكونوا متصيدين أو متزهين ، وأنهم عندما وجدوا الثغرة

= ١٣٤٠ هـ) جاز: كتيب عن طرابلس الغرب . نسخة دالة الكاتبة عن مكتبة الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب سوس ، مكتبة بلدية الاسكندرية رقم ٢٥٩١ ب . ص ١٥ - ١٦ . حيث يقول ان السعدي هو الذى سى المسجد الذى سمر باسمه .

(٣٠) ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ .

(٣١) مؤنس ، ص ٦٢ .

(٣٢) مؤنس ، ص ٢٣٥ .

أخبروا عمرا ففاجأ طرابلس على غرة من أهلها . أما عن تحويل الرواية في شكل مغامرة مثيرة فنظن أنه يرجع الى المدليين الذين نسبوا بطولتها الى واحد منهم ، مثلهم في ذلك مثل اخوانهم المدهجين الذين كان لهم شأن وقصص مع عمرو في فتح الاسكندرية (٣٣) .

والاسكندرية نفسها كان لها قصة عندما أخفت عنوة بعد أن ثارت سنة ٢٥ هـ اذ اشترى العرب أحد حراس الابواب الذي مكثهم من دخول المدينة على غفلة من الروم (٣٤) . ولا ينكر على العرب بطبيعة الحال أن يتلمسوا أسهل الطرق لفتح الحصون المنيعه لعدم خيرتهم ذلك الوقت بحرب الحصار ، ولكن يتجنبوا الحسائر الكبيرة في الأنفس والأرواح ، والحرب خدعة ومكر ومكيدة قبل أن تكون رميا وطعنا وفروسية .

وهكذا فتحت طرابلس دون صعوبة رغم ما تقوله بعض النصوص من أن أهلها استنجبوا بقبيلة نفوسة ، سكان الجبل المعروف بهذا الاسم في جنوب طرابلس (٣٥) ، أو ما يقوله البلاذري في روايته المقتضية من أن عمرا « قوتل ثم افتتحها عنوة » (٣٦) . والبلاذري يضيف تفصيلا عن مفاتيح عمرو فيقول : « وأصاب بها أحمال » بزيون « كثيرة مع تجار من تجارها قبيلة وقسم ثمنه بين المسلمين » (٣٧) . ولا بأس من أن يكون المقصود أحمال زحوق كما قرأها مؤنس دون أن يشير الى حقيقتها في النص (٣٨) . فأقريقية وطرابلس عرفت بفناها في الزيتون والزيت في القديم وحتى اليوم . وإذا كان الأمر كذلك فربما كانت هذه الأحمال معدة في الميناء لتحميلها مراكب الروم ، التي اضطرت الى الفرار بسرعة ، فقد كان الزيتون هو الغلة النقدية في البلاد (٣٩) وإلى ذلك يضيف التجاني أن عمرا هدم سور المدينة ، وهذا ما لم يشر اليه الكتاب الاقدمون . ونعتقد أن التجاني - أو من نقل عنه -

(٣٣) انظر ابن عبد الحكم ، ص ١٧٥ .

(٣٤) انظر ابن عبد الحكم ، ص ٨٠ .

(٣٥) ابن عسكري ، ص ٨ ، التجاني ، ص ٢٢٩ .

(٣٦) البلاذري ، ص ٢٢٥ . هذا ولو أن البلاذري يعود فيسرد رواية منسوبة الى النبي

ابن سعد يقول فيها أن طرابلس فتحت بسهم (انظر ص ٢٢٦) .

(٣٧) البلاذري ، ص ٢٢٥ .

(٣٨) فتح العرب للمغرب ، ص ٦٦ . هذا ولو أنه يمكن أن يكون المقصود « أحمال بز »

آتية من قابس القريبة التي اشتهرت بالتوت والحرير دون غيرها من مدن اقريقية ، انظر

الاستبصار ، ص ١١٣ .

(٣٩) انظر فيما سبق ، ص ١٠١ .

استنتج ذلك قياسا على ما حدث فيما بعد من هدم بعض أسوار الاسكندرية بعد أن نقضت سنة ٢٥ هـ ، أو هدم تحصينات قرطاجنة بعد تقضيها أيام حسان بن النعمان سنة ٧٩ هـ / ٦٩٨ م ، وهنا يكون القياس غير صحيح أو مشتتبا فيه على الأقل (٤٠) .

د - فتح صبراتة (صيرة) :

وأقبح عمرو استيلاءه على طرابلس بالاستيلاء على آخر مدن الأقاليم الساحلية الهامة في اتجاه الحدود التونسية ، وهي مدينة صبراتة القديمة التي يكتبها القدماء في شكل صبرة أو سبرة أو سيرت (٤١) . وقصة فتح صبراتة لا تختلف كثيرا عن فتح طرابلس من حيث الحطة والسهولة . ورواية ابن عبد الحكم هي التي يتداولها الكتاب بالنص أو بشيء من التعديل الذي لا يمس إلا الأسلوب . وتقول هذه الرواية إن أهل صبراتة لما بلغهم تبا وصول عمرو إلى طرابلس ، وأنه لم يستطع اقتحام أسوارها واكتفى بضرب الحصار عليها اطمانوا . وهذا يفهم منه أن صبراتة كانت حصينة ، وأن حصانتها ربما فاقت طرابلس ، والا لما أمن أهلها . وتنص الرواية على أنه بمجرد استيلاء عمرو على طرابلس سيز قوة كبيرة من فرسانه ، وأمرهم بالإسراع نحو صبراتة ومفاجأتها على غرة . ونجحت الحيلة العربية في اقتحام المدينة صباحا ، وقد اطمان أهلها إلى سلامتهم ، ففتحو أبواب السور لتسرح ما شئتهم في المساعي القريبة . هكذا دخلت قوات عمرو إلى اصبراتة بسهولة ولم يتمكن أحد من أهل المدينة حتى من الفرار (٤٢) . وهذا يعنى

(٤٠) أنظر التجاني . ص ٢٣٩ . ولقد تبع الزاوي مقالة التجاني فقال - دون أن يذكر سنة - إن عمرا هدم أسوار كل المدن التي فتحها في برقة وطرابلس حتى لا يمتصم أهل هذه المدن خلف أسوارها من حديد (أنظر الفتح العربي في ليبيا ، ص ٢٢ ، ٤٠) .

(٤١) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٢ وهامس ١ . ويفهم من رواية ابن عبد الحكم أنه بنى بالقرب من المدينة القديمة مدينة جديدة سميت نبارة وأن السوق نقل من صيرة إلى تبارة سنة ١٢١ هـ .

(٤٢) يلاحظ أن التجاني (ص ٢١٢) يصف إلى هذه الرواية أن عبد الله بن الزبير كان على رأس هذه القوة مع أن المعروف أن ابن الزبير لم يدخل إفريقية إلا مع ابن أبي سرح سنة ٢٧ هـ . وتظن أن الزبيريين هم الذين عملوا على تمجيد زعيمهم لمنسبوا إليه دخول المغرب في هذا الوقت المبكر . (أنظر للمؤلف فتح المغرب بن الحقيقة والأسطورة . مجلة كلية الآداب =

ان أهل صبراتة كانوا يعتقدون أن عمرا لن يحاول غزو مدينتهم طالما امتنعت عليه أسوار طرابلس طرابلس ، كما يعني أيضا أن عمرا كان على علم باطمئنان أهل صبراتة واستهتارهم بأمره ، وأنهم لم يتخذوا الحيطة لتفادي أي هجوم يمكن أن يتوقع من جانبه ، فبادر بأخذهم على غفلة منهم قبل أن يصلهم نيا سقوط طرابلس ، وهذا يؤكد أن هذه الأخيرة فتحت فجأة كما قلنا . وتقول الرواية ان العرب استولوا على كل ما كان في صبراتة ، ثم اتهم عادوا الى عمرو أي الى حيث كان ، بطرابلس .

ويختتم ابن عبد الحكم قصة فتح طرابلس وصبراتة برواية منسوبة الى أبي تميم الجيشاني ، عن مسألة قضاء صنوم أيام من رمضان ، هل تقضى مرة واحدة أو متفرقة ، ويفهم منبا أن هذه الغزوة وقعت في شهر رمضان (٤٣) ، وهذا يرجح أن يكون الفتح قد تم فعلا في أواخر سنة ٢٢ هـ - حسب الرواية التي يبدأ بها ابن عبد الحكم (٤٤) .

هـ - تمام فتح الأقاليم الصحراوية في فزان :

يفهم من سياق الأحداث ، كما هي في المصادر الرئيسية ، انه بفتح مدينتي طرابلس وصبراتة تمت حملة عمرو في ولاية طرابلس ، ولكن بعض المعلومات المتناثرة في ثنايا فتوح المغرب التالية تدعو الى النظر بأن عمرا سير حملة أخرى نحو الصحراء الجنوبية لطرابلس . فابن عبد الحكم بعد ان يختتم فتح طرابلس وصبرة بالشكل الذي ذكرناه يعود عند كلامه عن فتح افريقية فيقول ان عمرا سير - أثناء حصار طرابلس - قوة على رأسها بسر ابن أبي أرطاة نحو ودان فافتتحها (٤٥) . وودان هي مدينة فزان أي قصبتها وتقع جنوب طرابلس فيما وراء سرت والطرف الشرقي لجبل نفوسة (٤٦) .

= ١٩٦٣ ، ص ٢٩) . وكذلك يضيف التجاني أن عددا قليلا من أهل صبراتة نجوا في المراكب الى صقلية ، وأن عمرا أمر غزاة المدينة بعد أن عادوا اليه بدمها واحراقها . وهذا لم يفته بعد غيره ولا تعرف مصدره .

(٤٣) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٢ .

(٤٤) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧١ .

(٤٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٩٤ . وانظر البكري (ص ١٢) الذي يجعل حملة بسر هذه في سنة ٣٣ هـ (وعلى عكس ما يذكره مؤنس ص ٦٥ وهامس ١ لا يذكر البلاذري ولا ابن الأثير هذا الفتح أثناء غزو ولاية طرابلس مثل ابن عبد الحكم) .

(٤٦) عن ودان انظر ابن حوقل ، ص ٧٠ . وعن الطريق من طرابلس الى جبل نفوسة ان

ودان وزويلة . انظر البكري ، ص ٩ - ١١ وانظر شكل ٥ ص ١٣٤ .

ولقد حاول مؤنس أن يفند ما يحيط بحملة بسر بن أبي أرطاة من الشك نظراً لحدائثة سنه إذ كان في أوائل مرحلة الشباب - مثل عقبة بن ذاقع - كما يروى البلاذري عن الواقدي (٤٧) . وهذا ممكن ، قال البلاذري .
يورد روايات أخرى جعلت من ابن أبي أرطاة صحابياً (٤٨) ، كما جعل البعض عقبة بن ذاقع صحابياً فوضعوا مكانه عقبة بن عامر . والحقيقة أنه يمكن الشك في أن تكون أحداث فزان قد اختلطت في مراحل الفتح المختلفة ، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون ودان قد فتحت في هذا الوقت حتى يصبح ما بين برقة وزويلة للمسلمين فعلاً كما تجمع النصوص (٤٩) . هذا ولو أن فتح ودان عن طريق طرابلس (للمدينة) كان يعني فتح جبل قنوصة ، وهذا ما قال به الزاوي (٥٠) ، رغم أن النصوص لا تشير إلى شيء من ذلك اللهم إلا ما قاله ابن عذارى من أهل طرابلس استنجدوا بنفوسة أثناء حصار عمرو لهم (٥١) .

وبعد أن تم فتح اقليسي طرابلس وفزان أخذ عمرو بن العاص يوجه سرايا للقارات وحمل المقام . كما يقول ابن الحكم (٥٢) . ويعتقد أن هذه الحملات كان يقصد بها اتمام إخضاع بقية قبائل الصحراء وإدخالها في الإسلام أو العهد ، وذلك أن عمرا بدأ يفكر في توسيع الفتح نحو ولاية إفريقية أي نحو بلاد المغرب الحقيقية .

٢ - فتح إفريقية (البلاد التونسية) :

التفكير في الفتح على أيام عمر :

ليس من الغريب أن يفكر عمرو بن العاص في فتح إفريقية في ذلك الوقت المبكر ، (سنة ٢٢ - ٢٣ هـ) بعد أن تحقق له فتح البلاد الليبية الحالية دون عقبات كبيرة في حملة أشبه ما تكون بنزعة عسكرية - إذا جاز استعمال هذا المصطلح - ولكنه قبل أن يفعل ذلك رأى استئذان الخليفة ، ولكن عمر بن الخطاب لم يوافق على ذلك . فالرواية التي ينقلها ابن عبد الحكم

(٤٧) انظر فتح حرب للمغرب ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٤٨) انظر البلاذري ، ص ٢٢٨ .

(٤٩) انظر فريد سني ، ص ١٢٥ - ١٣٦ .

(٥٠) انظر الفتح العربي في ليبيا ، ص ٤٣ .

(٥١) انظر فريد سني ، ص ١٢٦ وهامس ٣٥ .

(٥٢) فتوح مصر بحرب ، ص ١٨٣ .

باستنادها والتي يلخصها البلاذري ، تقول ان عمرا كتب الى عمر بن الخطاب :
« ان الله قد فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبين افريقية الا تسعة ايام فان
رأى أمير المؤمنين أن يفتوحها ويفتحها الله على يديه فعل . فكتب اليه عمر :
لا انها ليست بافريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يفتوحها احد
ما بقيت » (٥٣) .

واستثذان عمرو من الخليفة يعنى أن فتح المغرب كان يتم حسب خطة
موضوعة وان كان نتيجة طبيعية لتطور الأحداث . أما عن رفض عمر فيمكن
أن يفسر على أن مؤسس الدولة العربية وبطل توسعها العسكري ، وصاحب
تنظيماتها الادارية والسياسية ، خشى أن تنهزم الجيوش العربية في بلاد
المغرب البعيدة أو أن تخرج عن رقابته ، خاصة وهو تحت قيادة قائد طموح
مثل عمرو . ولقد أخذ مؤسس بما قاله ديل (Diehl) من أن حدود افريقية
الشرقية كانت محصنة ، وأنه كان قد بقي أمام عمرو عدد من الحصون المنيعة
في ولاية طرابلس نفسها (٥٤) ، فقال « ولو وجد عمرو التقدم ميسورا لتقدم
في غير عناء دون أن يستأذن عمر . . . » (٥٥) . ومع جواز صحة هذا الرأي
الذي يعبر عنه ابن عسار عندما ينسب الى عمرو أنه ذكر في كتابه لعمر :
« وأن ليس أمامه (عمرو) الا بلاد افريقية ، وملوكها كثير ، وأهلها في عدد
عظيم وأكثر ركوبهم الخيل ، فأمره بالانصراف عنها » (٥٦) . فان ابن عبد الحكم
يمدنا برواية يفهم منها أن أحوال مصر الداخلية كانت تتطلب عودة عمرو سريعاً .
ونص هذه الرواية المنسوبة الى عثمان بن صالح : « فأتى عمرو بن العاص كتاب
المقوقس يذكر له فيه أن الروم يريدون نكث العهد ونقض ما كان بينهم
وبينه ، وكان عمرو قد عاهد المقوقس على أن لا يكتمه أمراً يحدث ، فانصرف
عمرو راجعاً مبادراً لما أتاه » (٥٧) . ومع أنه يمكن الشك في هذه الرواية من
حيث اشكل . إذ أن المقوقس كان قد توفي سنة ٦٤٢ م / ٢١ هـ (٥٨) ، الا
أنه لا غبار عليها من حيث الموضوع . وهي أقرب الى الصحة من الاستنباطات

(٥٣) فوج مصر والمغرب ، ١٧٣ . وفي الرواية له نفس المعنى وان اختلف الأسلوب بعض الشيء . ومنها أن عمر قال : « افريقية المفرقة ثلاث مرات لا أوجه الدنيا أحداً ما عقلت عيني (١١) » . وانظر البلاذري ، ص ٢٢٦ .

(٥٤) مؤسس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٦٦ وهامس ٣ .

(٥٥) مؤسس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٦٧ .

(٥٦) البلدان المغرب ، ج ١ ص ٨ .

(٥٧) فوج مصر والمغرب ، ص ١٧٣ .

(٥٨) يسير ، فتح العرب لمصر ، ص ٣١٣ .

المبنية على الفروض . ولقد أتت ثورة الاسكندرية وغدر الروم بالعرب بعد حوالى سنتين تؤكد صحة هذه الرواية .

وبناء على ذلك يحق لنا انقول ان ظروف مصر هي التي أملت على عمرو الاحجام عن غزو افريقية بل والعودة سريعا الى انفساط . والحقيقة اننا نشك في صحة الرواية التي تنسب الى الخليفة انه قال : « ما هي بافريقية ولكنها مفرقة غادرة » . فهناك روايات أخرى تنسب الى عمر انه كتب الى عمرو بن العاص عن افريقية « لا تقربها فانها باب من ابواب جهنم » (٥٩) . وأكثر من هذا بالفتن الروايات فنسبت الى النبي انه قال لاحدى سراياه التي أرسلها الى افريقية ، عندما رجع أصحابه وشكوا اليه شدة برد أصابهم : « ان افريقية أكثر بردا وأعظم أجرا » (٦٠) . وهذه الروايات وان كانت مصنعة - من غير شك - فانها تعبر عن شعور الكراهية والعداء التي آكتها العرب بالنسبة لخروبهم في المغرب ، سواء في فترة الفتح أو فيما بعد . فهناك أحاديث أخرى تعبر عن طول الصراع ومرارته ضد البربر ، منها حديث تنسب روايته الى عقبة بن عامر الجهني ، يقول فيه : « الحث سبعون جزأ ، للبربر تسعة وستون جزءا والجن والانس جزء واحد » (٦١) . ومنها حديث يقول : « ينقطع الجهاد من جميع الجهات ولا يبقى الا ببلاد افريقية » (٦٢) . ولا بأس من الاشارة الى أن الظاهرة حدثت أيضا بالنسبة لمصر ، ولكن بشكل مخالف . فبسبب استقبال مصر الطيب للعرب وتحالف المصريين معهم ضد الروم ، ظهرت سلسلة من الأحاديث تشيد بقبط مصر ، وبأنهم أحسن الأعاجم على الاطلاق ، بل وتنبيه الى صلة القرابة بينهم وبين العرب عامة وقريش خاصة (٦٣) .

-
- (٥٩) أبو العرب . طبقات علماء افريقية ، ص ١٦ .
(٦٠) البكري ، ص ٢١ - ٢٢ . كتاب الاستصار . ص ١١٢ .
(٦١) ابن عبد الحكم . ٢٨٧ .
(٦٢) البكري ، ص ٢١ . الاستصار . ص ١١٢ . وقارن أبو العرب . طبقات علماء
بريفية ص ٦ . رياض النفوس ، ص ٤ .
(٦٣) ابن عبد الحكم . ص ٢ - ٣ . والنسائي ، تاريخ الاسكندرية منذ اقدم العصور
صحة محتفظ الاسكندرية ١٩٦٣ . ص ٢٥٣ . ولقد كلف من الطبيعي بعد ذلك ان تظهر أحاديث
أخرى (مصنعة بطبيعة الحال) - نهر ابن أبي دينار . المؤنس في أخبار امرئته ونوس ،
ص ١٢٨٦ . ص ١٦ - حيث يوافق ابن ناضي على أن هذه الأحاديث موصولة تشيد
بأهل العرب ، مثل : « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » ، « لا يزال
عصاة من أمم يقاتلون على الحق حتى يحد الساعة » . انظر رياض النفوس . ص
٣ - ٤ . وانظر أبو العرب ص ١ .

وبطبيعة الحال ليس من المعقول أن النبي تكلم عن الفزوات البعيدة التي لم تبدأ إلا بعد عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً أو أكثر من وفاته، ولكن أصحابها قصداً بإصطناعهم إياها التعبير عن وجهة نظر أصبحت شبه عامة في وقت من الأوقات أما عن ذكر اسم النبي يصدد هذه الفتوحات والتصاقه بها كما نرى، فيفسر بسبب اشتراك عدد كبير من الصحابة وأبنائهم والتابعين فيها . ولهذا اهتم ابن عبد الحكم بذكر الصحابة الذين دخلوا مصر والمغرب فخصص فصولا من كتابه لذلك .

نخرج من كل هذا بأن عمرو بن العاص لم يكن ليستطيع التقدم إلى قلب المغرب والروم شوكة في ظهره في مصر، فأثر العودة إلى القسطنطينية على أحوالها، فهي قاعدة فتوح المغرب . وبعد عودة عمرو بقليل كان مصرع الخليفة عمر في أواخر سنة ٦٤٣/٥٢٣ م . وبعد فترة قضاها عمرو في القسطنطينية سار إلى الحجاز ليفاوض الخليفة الجديد عثمان بن عفان في أمر تنحية عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن إمارة الصعيد (٦٤) حتى تكون البلاد جميعاً له دون منازع . وقشلت المفاوضات وانتهى الأمر بعزل عمرو وإثبات ابن أبي سرح في ولاية مصر جميعاً . حدث ذلك في سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ - ٦٤٦ م في الوقت الذي بدأت فيه ثورة الإسكندرية مما سمح لعمرو بالعودة إلى مصر لقمع الثورة ولكنه تركها بعد شهر واحد إذ رفض ما اقترحه الخليفة من أن تكون الولاية شركة بينه وبين ابن أبي سرح .

بداية الفتوح في البلاد التونسية على أيام عثمان :

١- عيد الله بن سعد والبقاء الأول مع الروم :

يتفق الكتاب على أن عمر بن الخطاب هو بطل الفتوح والتوسع الإسلامي بمعنى أنه باني الدولة العربية، وعلى العكس من ذلك اعتبروا أن خلافة عثمان هي عهد الفتنة أو الحرب الأهلية، مما قد يفهم منه أنه لم يكن للمخليفة الثالث أفضل على الدولة الناشئة . وإذا كان الأمر الثاني صحيحاً بالنسبة

(٦٤) ابن عبد الحكم ص ١٧٣ .

لنسنوات الأخيرة من خلافة عثمان فهو ليس بصحيح بشكل مطلق - فالحقيقة أن الخليفة الثالث بنى الكثير من حقه : فعهد عثمان يعتبر مرحلة تطور هامة في توسع الدولة العربية يمكن أن تجارى المرحلة التي بدأت بخلافة عمر ، ولا نحب أن نجترى على « أبي حفص » فنخالف ما انعقد عليه الاجماع ونقول أنها ربما فاقتها - فعثمان هو الذى سمح لمعاوية بإنشاء الأسطول - وهذا ما لم يسمح به عمر - فأصبحت الدولة العربية قوة بحرية بعد أن كانت برية فقط ، وبذلك بدأت الفتوحات فى البحر فى جزر أرواد ورودمس وقبرص ، كما حطم العرب الأسطول البيزنطى فى « ذى الصواري » فى أواخر سنى عثمان سنة ٣٤ هـ / ٦٥٤ م . وعلى أيام عثمان تمت فتوح فارس بمقتل يزيدجورد الثالث على حدود التركستان فى سنة ٣١ هـ / ٦٥١ م . وعلى أيامه أيضا بدأت فتوح المغرب الحقيقية فى افريقية - وهذا ما عارض فيه عمر كما يقول الكتاب - حقيقة ان الأزمة التي انتابت الخلافة بعد مقتل عثمان كان لها آثارها فى توقف الفتوح ، ولكن التوسع الذى تم على أيامه يعتبر من وجه استمرارا لبرنامج عمر ، كما يعتبر من وجه آخر تخطيطا للفتوحات الكبرى التي ستم على أيام الأمويين أقاربه - بإعدادات أعظم وبطريقة أكثر تنظيما ، وخاصة فى بلاد المغرب .

رفض عمرو بن العاص أن يشاركه عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، والى الصعيد فى ولاية مصر فيكون لابن سعد الاشراف على الخراج . ولم يرض عمرو أن يكون « كماشك البقرة بقرنيا وآخر بحلبيا » (٦٥) ، فعزله عثمان وجعل الامارة لابن سعد . والكتاب الذين يجعلون من مأخذ عثمان أنه عهد بولاية الأقاليم والقيادات العسكرية الى أقاربه ممن لم تكن لهم سابقة فى الإسلام ، والذين لم يدخلوا فى الدعوة المحمدية إلا جريا وراء مصالحهم الشخصية بعد أن ناكدوا من نجاحها . يضعون عبد الله بن سعد بن أبي سرح بين هؤلاء الولاة المتيسرين فى مشاعرهم الفاترة نحو الإسلام (٦٦) .

وانحنيقة أن ابن أبي سرح اتنابه نوع من التردد آزاء الإسلام على أيام الرسول . فبعد أن كان يكتب الوحى للنبي عاد واتخذ جانب المكيبين . فلما

٦٥١ . ابن سعد . حاكم مصر والشام . ص ١٧٨ .
٦٦ . انظر سمرقنى . مروج الذهب . معجم النبوة . ص ٣٥٣ . ابن الأثير .
حدائق السنية . ص ٣١ . ص ٥٧ .

دخل النبي مكة استجار ابن سعد بعثمان فأخذ له الأمان من النبي (٦٧) .
وكان عثمان مدفوعا في ذلك بطلاقة وعاطفة قوية نحو ابن سعد ، فقد كانت
أم عبد الله بن سعد مرضعة عثمان بمعنى أنه كان أخاه في الرضاعة .
والحقيقة أن مثل هذا التردد الذي انتاب ابن سعد لا ينبغي أن يؤخذ عليه
إلى الأبد ، فقد كان نوعا من انشك الذي يسبق اليقين ويؤكد ، وسيرة
الكثير من أعلام المسلمين والصحابة مليئة بمثل هذا التردد الذي يهتف
إلى تبيان الحقيقة ، فإذا ما اتضحت أصبحت راکزة على أساس مكين . وحقيقة
أخرى هي أنه كان للرجل مزاياه وأفضاله ولم يخف ذلك على عمر ، فهو الذي
جعل له ولاية الصعيد إلى جانب عمرو ، وهذا ما ورد به عثمان على عمرو عندما
جادله في أمر ابن سعد (٦٨) .

والبلاذري يقول إن عثمان جعل لابن سعد ولاية مصر والمغرب (٦٩) .
وهذا تعبير عن تبعية المغرب لوالي مصر في هذا الوقت المبكر وما يليه حينما
كانت الغسقاط هي قاعدة العمليات العسكرية في المغرب . وسار عبد الله
ابن سعد على نفس السياسة العسكرية التي انتهجها عمرو بعد فتح طرابلس ،
وهي التي كان يقوم هو نفسه بتنفيذها كما يفهم من رواية ابن الأثير (٧٠) .
فأخذ يرسل جماعات الخيالة في شكل سرايا تغير على أطراف إفريقية وترجع
بالمغانم والأسلاب (٧١) . ولا شك أن هدف هذه الغارات لم يكن المغانم والسبي
فقط بل كان هدفا الاستكشاف بغرض جنى ثمن العدو ، ومعرفة
قواه وما لديه من عنة وعتاد . فملى نتائج هذه الاستطلاعات كان يقدر ما يمكن
أن يلقاه العرب من المقاومة ، وعلى أساس هذا التقدير كانت تعد خطة الغزو .
ونظرا للنجاح الذي حققته هذه الغارات فكر عبد الله بن سعد في القيام
بالحملة الحقيقية على إفريقية . وبدأ باستشارة الخليفة كما فعل عمرو من
قبل ، فأبلغه بدقة الوضع الاستراتيجي للعرب بالقرب من قوات الروم في
إفريقية واستأذنه في غزوها (٧٢) . والظاهر أن عثمان هو الآخر كان يخشى

(٦٧) ابن هشام ، السيرة ، طبعة ١٩٣٦ ، ج ٤ ص ٥١ - ٥٢ . ابن عذري ، البيان
المغرب ، ج ١ ص ٩ .

(٦٨) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر للمغرب ، ص ١٧٣ .

(٦٩) فتوح البنداق ، ص ٢٢٦ .

(٧٠) يقول ابن الأثير في أحداث سنة ٢٥ (ج ٣ ص ٤٢) أن عمرو بن العاص سار

عبد الله بن سعد ، إلى أطراف إفريقية غزوا بأمر عثمان وكان عبد الله من جنود مصر .

(٧١) أنظر ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ ، البلاذري ص ٢٢٦ . ابن عذري ، ص ٩ .

(٧٢) أنظر ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ .

تهور العرب في تلك البلاد البعيدة إذ يقول البلاذري انه كان ، متوقفا عن غزوها ، (٧٣) وأنه وافق على الغزو بعد أن وصلتته أنباء مشجعة عن نجاح حملات ابن أبي سرح على أطراف افريقية ، وبعد أن استشار كبار الصحابة (٧٤) .

وكانت الموافقة تعنى ارسال الامدادات والجيوش لابن سعد . وفعلا دعا عثمان الناس لغزو افريقية ، واجتمع خلق كثير من العرب من كل القبائل ، وخاصة تلك التي كانت تقطن حول المدينة (٧٥) . وقام عثمان فيهم خطيبا وحثهم على الجهاد ، ووزع عليهم السلاح كما أمدهم بألف بعير يحمل عليها ضفراء الناس أي فقاوهم (٧٦) ، وجعل القيادة أثناء الطريق من المدينة الى مصر الى قريبه الحارث بن الحكم أخى مروان (٧٧) .

ويعدنا الكتاب بتفصيلات لا بأس بها عن ذلك الجيش الذي عباه عثمان والذي دخل افريقية لأول مرة ، وعن مشاهير رجال العرب الذين شاركوا فيه ومعظمهم من الطبقة الثانية من كبار أبناء الصحابة ، فمن يذكر من الهاشميين معبد بن العباس بن عبد المطلب ، ومن الأمويين مروان بن الحكم بن العاصي وأخوه الحارث الذي استندت اليه قيادة جيش المدينة ، ومن بني زهرة المسور ابن مخزومة بن نوفل ، ومن بني عدي عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعاصم ابن عمر وعبيد الله بن عمر ، ومن بني عامر بسر بن أبي أرطاة ومن بني هذيل أبو ذؤيب خويلد بن خالد الشاعر ، ومن بني سهم المطلب بن السائب . أما أشهر هؤلاء فهم : عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن الزبير (٧٨) ، وعبد الله بن عباس (٧٩) . ولهذا السبب

(٧٣) أنظر فتوح البلدان ، ص ٢٢٦ .

(٧٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ والبلاذري ، ص ٢٢٦ .

(٧٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٦ .

(٧٦) ابن عساق ، ج ١ ص ٩ ، والنويري ، ص ٦٣ أ .

(٧٧) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ .

(٧٨) أنظر البلاذري ، ص ٢٢٦ ، ابن عساق ، ج ١ ص ٩ - أبو العرب ، ضقات علماء

الرياسة ، ص ١٣ - ١٥ ، النويري ، نهاية الأوب ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٦٢ ، ٦٣ ب

(حسب الآثار القدرى وغيره) ، انتهى - ج ١ ص ٩ - ١٠ ، ودارقطني تاريخ خليفة ابن خياط ،

ج ١ ص ١٣٥ - ١٣٥ (حيث لا يذكر عبد الرحمن بن أبي بكر) ، أما رواية فتوح افريقية

المسوية لنواقصى والى تحمل عبد الله بن حمير بن أبي طالب أحد العبادة ، بل بطن هذه

الغزوة . ففي من الروايات الشيعة المصطحة ، كما ترى . انظر بحثنا في فتح العرب للمغرب =

عرفت هذه الغزوة عند بعض الكتاب باسم « غزوة العبادلة » (٨٠) . وهذا لا يعنى أن كل هؤلاء ساروا دفعة واحدة تحت قيادة الحارث بن الحكم ، إذ سنرى فيما بعد أن بعضهم سار عددا ، والمثل لذلك أشهرهم وهو عبد الله بن الزبير . وعندما وصل الحارث إلى الفسطاط سلم قواته إلى عبد الله بن سعد الذي آلت إليه القيادة بصفته والى مصر وقائد قواتها ، وبلغ جيش ابن سعد بفضل هذا المدد عشرين ألف رجل (٨١) . أما من يذكره الكتاب من جماهير الناس في هذا الجيش ، فمن قبيلة مهرة ستمائة (٦٠٠) رجل ، ومن غنث ؟ من الأزد سبعمائة (٧٠٠) رجل ، ومن ميدعان من الأزد أيضا سبعمائة (٧٠٠) رجل ، وكان على مقاسم هؤلاء الأخيرين شريك بن صمى (٨٢) . ومن أسلم ثلاثمائة (٣٠٠) رجل ، ومن مزينة ثمانمائة (٨٠٠) رجل ، ومن بنى سليم أربعمائة وخمسون (٤٥٠) رجلا (٨٣) ، ومن جهينة ستمائة رجل (٦٠٠) رجل ، ومن بنى الدليل وضمرة خمسمائة (٥٠٠) رجل ، ومن غطفان وأشجع وفزارة سبعمائة (٧٠٠) رجل ، ومن بنى كعب بن عمرو أربعمائة (٤٠٠) رجل ، وهؤلاء الآخرون كانوا آخر من قدم على عثمان والناس معرسون بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة (٨٤) . ولما كان العدد الكلى لهؤلاء الرجال يناهز الستة

= بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية - وهو الأمر الذى لم يضب عن السلاوى (الاستقصا ، ط . الدار البيضاء ١٩٥٤ ، ج ١ ص ٨٧) الذى يشير إلى وجوب وضع عبد الله بن عمرو بن العاص كأحد العبادلة بدلا من عبد الله بن جعفر .

(٧٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٤٣ ، المالكي ، ج ١ ص ١٣ ، التويرى ، المخطوط ، ص ٦٢ .

(٨٠) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ١٣٤ ، المالكي ، ج ١ ص ١٠ ، التويرى ، المخطوط ، ص ٦٢ ، ابن حجر ، الإصابة ، ترجمة عبد الله بن الزبير رقم ٤٦٨٢ ، ج ١ ص ٣٠٩ ، وأنظر مؤنس ، هامش ٢ ، ص ٨١ .

(٨١) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٤ ، ابن عسارى ، ج ١ ص ٩ ، المالكي ، ج ١ ص ١٠ ، أبو العرب ، ص ١٤ (يقول أن عدة من قدم من المدينة ٢٠ ألفا) .

(٨٢) أنظر ابن عبد الحكم ، ص ١٨٤ ، والقصود بالمقاسم هنا هو الاشراف على تقسيم المقام وتوزيعها على العسكر .

(٨٣) المالكي ، رياض النفوس ، ص ١٠ ، وأنظر مؤنس ، ص ٨١ والهامش ٢ . ويرى مؤنس أنه « ربما كان بعض هذه الأسماء مدخولا اختراعه مؤرخو المغرب للتعظيم من شأن أفريقيا » . ومع أن هذا الرأي مقبول فإن نسبة الاختراع إلى علماء المغاربة والاستدلال على ذلك بأنه لم يرد مفصلا إلا في كتبهم يسكن أن يرد عليه بأن ذلك كان أمرا طبيعيا ، فالمقاربة اهتموا أكثر من غيرهم بتاريخ بلادهم - كما فعل غيرهم بالنسبة لأوطانهم - وصاحب البيت أدنى بما فيه كما يقال - أما عن الكتب المشرقية الأولى الخاصة بفتوح المغرب فكثر منها لم يصل إلينا .

(٨٤) التويرى ، ص ٦٢ ب ، ٦٣ أ .

آلاف رجل ، فلا بأس ان يكونوا جملة الجيش الذي يمت به عثمان من المدينة .
وان عدد رجال الحملة بلغ ٢٠ (عشرين) ألفا بعد ان انضم هؤلاء الى جند
مصر .

وخرج عبد الله بن سعد على رأس هذا الجيش الكبير من القسطنطينية ،
وربما اناب عنه الصحابي المعروف عقبة بن عامر الجهني (٨٥) - الذي سبيل
مصر على أيام معاوية (٨٦) وكان خروج ابن سعد في سنة ٢٧ هـ / ٦٤٧ -
٦٤٨ م حسب رواية الليث بن سعد التي أخذنا بها ، والتي ينقلها ابن عبد
الحكم (٨٧) . ولا يبين الكتاب الطريق الذي اتخذته الحملة نحو الغرب ، واغلب
الظن ان ابن سعد اتخذ الطريق الساحلي المؤدى الى برقة وهو طريق قوافل
الحاج الذي يمر جنوب الاسكندرية الى ابي صير . ووصل عبد الله بن سعد
الى برقة حيث انضم اليه عقبة بن نافع الفهري واصحابه ، وكانوا مرابطين
هناك حسب رواية ابن الاثير (٨٨) . هذا ولا تعرف ان كان مع عقبة في ذلك
الوقت اخوه عبد الله بن نافع بن عبد القيس ام انه كان في قوات عبد الله بن
سعد ، وذلك ان ابن الاثير يذكر ان عبد الله بن نافع كان مع ابن سعد
في حملة وجهتها افريقية - ولكن قبل حملتنا هذه بسنة (٨٩) . وظن انها
كانت غارة من تلك التي كان عمرو يرسل فيها قواده الى اطراف افريقية ،
كما قلنا ابتداء .

ومن برقة اتجه ابن سعد على رأس قواته للمكونة من جيش المدينة وفيه عبد

(٨٥) انظر مؤنس ، ص ٨٢ الذي يشير هنا الى الكندي (ص ١٣) . ولكن الكندي

يذكر تلك التباينة عندما سار ابن سعد الى عثمان لما تكلم الناس بالظن عليه .

(٨٦) الكندي ، الولاة والقضاة ، طبعة بيروت ١٩٠٨ ، ص ٣٦ - ٢٨ .

(٨٧) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٨٧ ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ١٣٤ . وهذه

الرواية هي التي أخذ بها ابن عسار (ج ١ ص ٨) . اما البلاذري (ص ٢٢٦) فانه الى جانب

سنة ٢٧ يسجل أيضا سنة ٢٨ وسنة ٢٩ . وبخلاف هذه الروايات التي تبدأ بسنة ٢٧ يسجل

ابن الاثير (أحداث سنة ٢٥ ، سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٤٢ ، ٤٣) غزوة ابن أبي سرح في سنة

٢٦ ، كما يقول ان ابن أبي سرح قام بغزوة سابقة لافريقية سنة ٢٥ على رأس جيش قوامه

عشرة آلاف رجل . وانظر التويري ، ص ٦٣ الذي يجعل تجمع الناس في المدينة في المحرم

من سنة ٢٧ هـ ، أما ابن خلدون (ج ٦ ص ١٠٧) فانه يجعل حملة ابن سعد في سنة ٢٩ هـ

ولو انه يخطئ ويقول انها في زمان مصر .

(٨٨) ابن الاثير ، أحداث سنة ٣٦ ج ٣ ص ٤٣ ، وانظر السلاوي ، الاستقصا لأخبار

المغرب الأقصى ، طبعة الدار البيضاء ، ص ٣٣ .

(٨٩) ابن الاثير ، أحداث سنة ٣٦ . ج ٣ ص ٤٣ (حيث النص ان تلك الحملة كانت

من عشرة آلاف رجل) .

الله بن عباس ، وجند مصر وفيهم معاوية بن حديج ، ومرابطة برقة وفيهم عقبه بن نافع ، وفيهم من خطبة منسوبة الى عيد الله بن الزبير يصف فيها الحملة أنه جعل الطريق على مراحل ، كل مرحلة مسافة بريدتين . وكان المسير ليلا مما يحقق للعرب أمرين : عدم تسرب أخبارهم الى العدو ، وتقادى حرارة الجو ولفح الشمس نهارا . كما كان من الطبيعي أن يسرع ابن أبي سرح في المناطق القفرة الجدية ويبطئ في الأقاليم الخصبة ليمتار الناس وترعى الخيل والابل (٩٠) وتقدمت الطلائع تستكشف البلاد وتمهد الطريق ، وتأتي بالمؤن للجيش وبالعلف للخيل (٩١) ويظن أن مدينة طرابلس كانت قد خرجت عن طاعة العرب بعد فتحها لأول اذ يقول ابن الأثير أن العرب نهبوا (٩٢) . والظاهر أنهم نهبوا بعض أطرافها كما تذكر الرواية المنسوبة الى أنبا قدي ، والتي تقول ان طلائع العرب أصابوا سفينة في طرابلس وأنهم أسروا من فيها وعددهم مائة رجل ، فكتفوهم الى أن وصل ابن سعد فأمر بقتلهم ، بينما تحصن أهل طرابلس خلف أسوار مدينتهم ولم يخرجوا للقاء ابن سعد ، ولم يهاجمهم هو الآخر (٩٣) .

ولا شك في أن العرب ، وخاصة أولئك الذين خبروا الحرب على حدود أفريقية ، كانوا يعلمون أن أهل طرابلس يكتفون منهم بتركهم في أمان ، وعلى ذلك رأى ابن سعد ألا ينهك قواه في إعادة فتح طرابلس . فتركها خلف ظهره كما ترك قابس بعدها (٩٤) ، واتجه نحو أرض أفريقية الحقيقية مبتعدا عن انشاشط الى أن وصل الى قرب الموضع الذي ستبنى فيه مدينة القيروان ، وهي في المنطقة التي نعرف باسم قمرنية (٩٥) . وكان في ذلك الموضع مدينة قديمة هي سبيطلة (Sufetula) وكان لهذه المدينة أهمية خاصة في ذلك الوقت . فالى جانب أهميتها العسكرية باعتبارها واحدة من سلسلة المدن التي تكون خط الدفاع الثاني الذي أقامته بيزنطة ، للدفاع عن البلاد ضد ما يتوقعه الروم من هجمات أهل البلاد من البربر (٩٦) ، كانت سبيطلة بمثابة عاصمة أفريقية بدلا من قرطاجنة ، وهذا ما ينص عليه ابن الأثير اذ يقول :

(٩٠) المالكي . رانس النفوس . ج ١ ص ١٦ .

(٩١) أنظر المالكي . ج ١ ص ١٠ .

(٩٢) ابن الأثير . أحداث سنة ٢٦ ج ٣ ص ٤٣ .

(٩٣) المالكي . ج ١ ص ١٠ . وقرون النويري ، المخطوط . ص ٦٣ ب .

(٩٤) النويري . المخطوط . ص ٦٣ ب .

(٩٥) المالكي . ص ١٢ .

(٩٦) Julien. Hist. de l'Afrique du Nord, p. 296, 316.

• وهذه المدينة (سبيطلة) كانت في الوقت دار الملك (٩٧) •

وأظاهر أن الاعتبارات الاستراتيجية التي أملت على انحراب ترك المدن والقلاع الساحلية في طرابلس وافريقية واتخاذ الطريق الداخلي هي التي أملت على حاكم افريقية ، المعروف عند العرب بـ «جرجير» وهو جرجوريوس ، اتخاذ سبيطلة عاصمة له • فبعد أن ثار جرجير بمساعدة رجال الكنيسة على الامبراطور كما رأينا (٩٨) ، أعلن استقلاله بالمغرب ، وهذا ما يعرفه الكتاب انحراب اذ يقولون انه خلق هرقل وضرب الدنانير ونقش عليها صورته (٩٩) ، وصار ملكه من طرابلس الى طنجة (١٠٠) • ولما كان مقامة بقرطاجنة - وهي المدينة البحرية الهامة - يعرضه لخطر الاسطول البيزنطي الذي كانت له السيطرة حتى ذلك الوقت على البحر ، فانه فضل أن يكون يمان في الداخل واختار المقام في سبيطلة الحصينة • والحقيقة أن بعض الكتاب الأوائل خفي عليهم أمر سبيطلة هذا ، فابن عبد الحكم رغم علمه باستقلال جرجير ، إلا أنه يقول : « وكان مستقر سلطان افريقية يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة ، وكان عليها ملك يقال له جرجير » • (١٠١) •

ولا شك في أن كلمة قرطاجنة هنا أشبه ما تكون بالخطا المطبعي ، فهي خطأ من النسخ على ما نظن ، والدليل أن ذكر قرطاجنة هنا كما صمته تطلب قولهم ان ابن سعد حاصر قرطاجنة عقب الموقعة (١٠٢) ، وهذا خطأ وصحته سبيطلة (١٠٣) • أما ما أخذ به مؤنس مستندا فيه الى بعض أقوال دييسل (Diehl) من أن جرجير استخدم سبيطلة قاعدة له عندما استشعر خطر

(٩٧) الكامل أحداث سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٥٣ • وهذا ما يأخذ به المالكي (ج ١ ص ١٢) عندما ينقل عن أهل العلم بالسيرة ومغازي افريقية ، فيقول عن جرجير حاكم افريقية الرومي « وهو صاحب سبيطلة » • وقارن خليفة بن خياط ، ج ١ ص ١٢٤ (حيث يجصل سبيطلة على ٧٠ ميلا من القيروان) ، ص ١٣٥ (حيث يقول انها مدينة قنودة - يتحد قنونية - أو عاصمتها) •

(٩٨) أنظر فيما سبق ، ص ١٢٥ والهوامش •

(٩٩) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ • والقراءة فيه « وضرب الدنانير على وجهه » • أنظر مؤنس (ص ٨٤) ولم يعله من أنه لم توجد نقود برسم جرجير •

(١٠٠) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ • البلاذري ، ص ٢٢٦ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٩ •

(١٠١) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ •

(١٠٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢ ، المالكي ، ج ١ ص ١٣ •

(١٠٣) قارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٧ « وكانت دار ملكه (جرجير) سبيطلة » •

العرب بعد أخذهم طرابلس وصبرة (١٠٤) ، فمع أنه معقول إلا أنه يكون أكثر قبولاً لو أن جرجير سار إلى هذا الموضع عندما علم بمسير ابن سعد إليه ، أو لسد الطريق أمام القوات العربية الزاحفة إلى بلاده . وفي هذه الحالة كان يجب وقوفه في منطقة قابس الاستراتيجية كما يبين مؤنس (١٠٥) ، فهي أشبه بعنق الزجاجة كما يقول العسكريون . أما أن ينتقل جرجير إلى سبيطة مع أهله وحريمه وذخائره ، كما تذكر الروايات ، فهذا إجراء لا تملية الضرورة العسكرية . وعلى ذلك فالأقرب إلى الصحة أن جرجير اتخذ سبيطة عاصمة خشية هجوم الأسطول البيزنطي عليه ، تماماً كما ترك العرب مدن الساحل الطرابلسية والأفريقية خشية نفس الخطر ، وهذا ما يقوله ديل كما يلخصه مؤنس (١٠٦) .

وصل أذن ابن سعد إلى إقليم قمونية غير بعيد من سبيطة ، وحط رحاله ليستريح الجند من عناء الطريق وليأخذوا في الاستعداد للقاء الروم . من جم الكراع وإصلاح السلاح . وفي هذه الأثناء أخذ يرسل السرايا تستكشف البلاد في كل الجهات (١٠٧) ، وتأتي بالموث والعلف (١٠٨) . وتبل أن يبدأ القتال بين القوات الرئيسية دارت مفاوضات بين الطرفين ، واختلف رسل ابن أبي مرزوق إلى جرجير يعرضون عليه - كما هي العادة - الإسلام أو الخضوع للعرب ودفع الجزية (١٠٩) . وفشلت المفاوضات إذ رفض جرجير قبول شروط العرب ، وأصبح على القوة أن تقرر لمن ستكون اليد العليا .

الانتصار في سبيطة :

ووقف الجيشان العربي والرومي وجها لوجه في موضع أمام سبيطة على بعد يوم وليلة واحدة من المدينة (١١٠) ، وهذا الموضع يسمى عقوبة (١١١) .

-
- (١٠٤) أنظر مؤنس ، ص ٧٥ .
(١٠٥) نفس المرجع ، ص ٨٥ ، وانظر شكل ٦ ص ١٥٥ .
(١٠٦) نفس المرجع السابق ، ص ٩٦ هامش ٢ .
(١٠٧) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦ ، ج ٢ ص ٤٣ ، وانظر المالكي ، ص ١٦ .
(١٠٨) المالكي ، ج ١ ص ١٠ .
(١٠٩) ابن الأثير ، سنة ٢٦ ، ج ٢ ص ٤٣ ، المالكي ، ج ١ ص ١٠ - ١١ ، النويري ، المخطوط ، ص ٦٣ ب .
(١١٠) ابن الأثير ، سنة ٢٦ ، ج ٢ ص ٤٣ ، وانظر شكل ٦ ص ١٥٥ .
(١١١) البلاذري ، ص ٢٧ ، النويري ، المخطوط ، ص ٦٣ أ .

ويصف الكتاب العرب جرجير وقواته وصفا رائعا يذكر بوصفهم للقائد الفارسي رستم وقواته اليائلة في موقعة القادسية . فالقوات الرومية بلغت ١٢٠ ألف رجل (١١٢) ، « قد رفعوا الصليب ، وعليهم من السلاح ما الله أعلم به ، وفيهم من الخيل مالا يحصى » (١١٣) . وهذا العدد مبالغ فيه من غير شك ، والمعتقد أن أصحاب هذه الرواية أرادوا إبراز النتائج العظيمة التي حققها العرب بإمكانيات بسيطة . أما جرجير فكان يقف خلف قواته متغطيا برذونا أشهب اللون ، وعن يمينه وشماله جاريتان تظلانه من حرارة الشمس يرش الطواويس (١١٤) ، بينما كانت ابنته تطل على أرض المعركة من أعلى المنصة (الديديان) التي أقامها والدها ليشرف منها على عساكره أثناء القتال ، أو من أعلى الحصن القريب ، كما نرجح ، تحيط بها أربعين وصيفة عليهن أجل الثياب وأتمن الحلوى (١١٥) . وإذا كان من الجائز أن يكون الخيال قد لعب دورا هاما في تلك الروايات التي لا نجد ما يمثل هذا التفصيل المزوق عند ابن عبد الحكم ، فليس من الضروري أن تكون جميعا من نسج الخيال . قصة جرجير وحاملات المظلات ، وابنة جرجير ومن يحطن بها من الوصيفات مقبولة ، وأن كانت ستطلق العنان لخيال الكتاب والرواة حتى تطورت إلى أساطير بعيدة عن الحقائق التاريخية كما في « كتاب فتوح افريقية » المنسوب للواقدي (١١٦) .

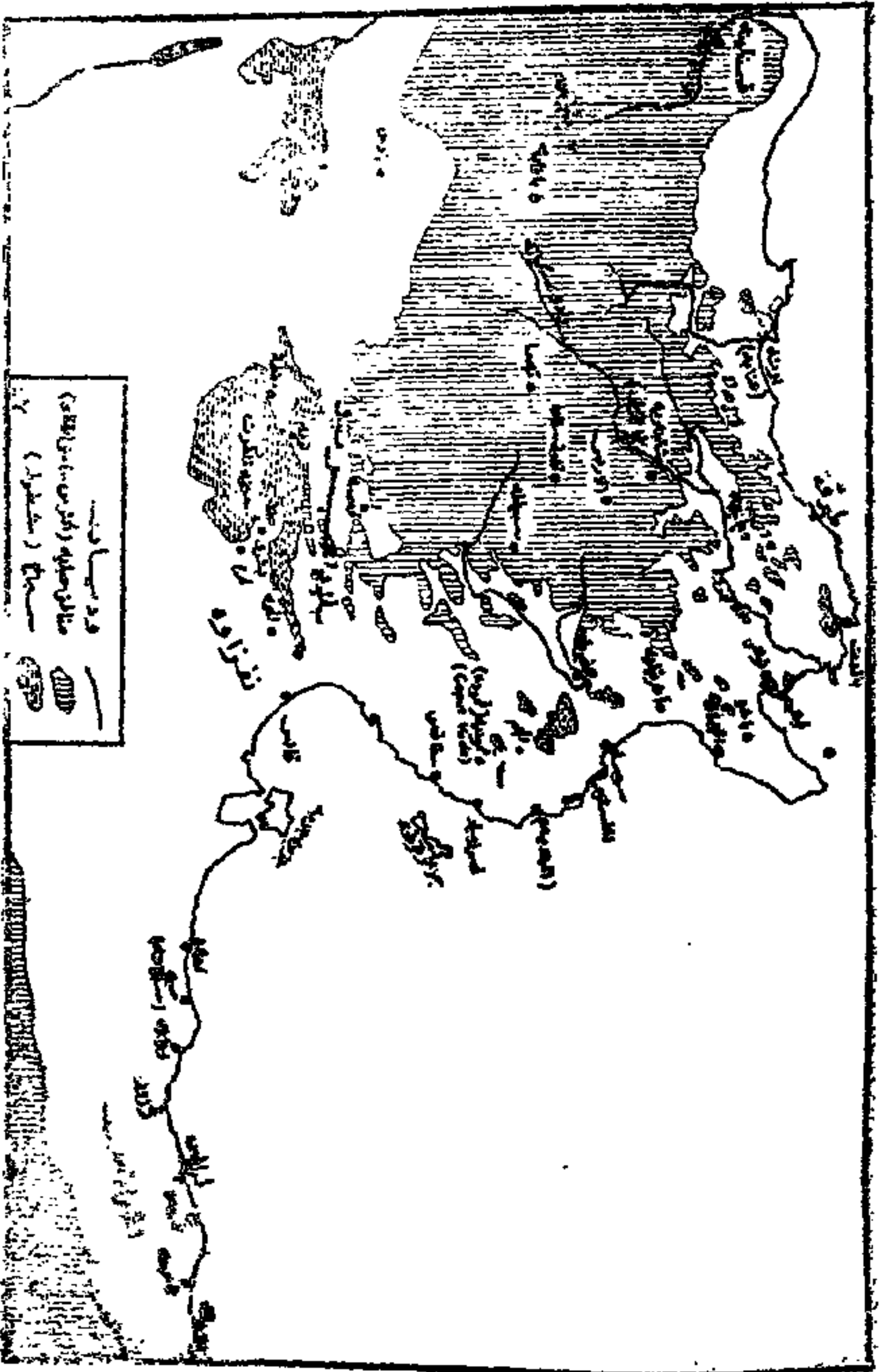
أما عن قوات ابن سعد فكانت تقف في هيئة انقتال ميمنة وميسرة وقلبا (١١٧) ، وفيها الفرسان على ظهور الخيل العربية الضامرة السريعة العدو ، القادرة على تحمل المشاق ، وفيها الرجالة بأسلحتهم الخفيفة وملابسهم البسيطة ، بينما كانت الجمال في الخلف - على ما نعتقد - حيث

(١١٢) ابن الأثير ، سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٤٣ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٧ ، المالكي ، ج ١ ص ١٤ .
(١١٣) المالكي ، ج ١ ص ١١ .

(١١٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١١ ، المالكي ، ج ١ ص ١٤ ، وقارن النويري ، المخطوط ، ص ٦٤ الذي يقول أن ابنة جرجير هي التي كانت تحمل على رأسها مظلة من ريش الطاووس .
(١١٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠ ، المالكي ، ج ١ ص ١٤ .

(١١٦) فيما يتعلق بالمعركة التي يمكن أن تعادل معركة سببلة هذه نجد في كتاب فتوح افريقية المنسوب للواقدي وصفا خياليا رائعا لقواد الروم عليهم حلق القصب ودروع الذهب وجيوبهم ملبئة بالدنانير الذهبية . . . الخ . انظر للمؤلف ، فتح الحرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية ، مجلة كلية الآداب سنة ١٩٦٣ ، ص ٢٦ .

(١١٧) المالكي ، ج ١ ص ١١ .



بلاد المغرب (من تونس) مع طرابلس وليبيا

شكل (1)

الأثقال والأحمال في حراسة بعض الرجال . ولما كان في ذلك الجيش الكثير من الصحابة وأبنائهم ، فإن الصفوف كانت عامرة بقراء القرآن ، الذين يتلون الآيات التي تحض المؤمنين على حسن القتال وطلب الاستشهاد في سبيل الله ، ويذكرون الأحاديث التي تحض على الجهاد . ومن هنا نشأت مجموعة الأحاديث الخاصة بفتوح إفريقية على ما نظن ، والتصق اسم الرسول بهذا الفتح كما قلنا . وبطبيعة الحال كان الشعراء ، وتذكر النصوص منهم أبا ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي (١١٨) ، ينشدون أشعار الحماسة ، بينما كان ابن سعد يحرض الناس ويبث فيهم روح الفداية والاقدم (١١٩) .

وبدأت المناوشات ثم استمرت الحرب سجسالا في عقوبة ، دون طائل (١٢٠) . ويفهم من النصوص أن كلا من الجانبين كان يخشى الآخر ، فالروم كانوا يرهبون العرب وينهزمون أمامهم (١٢١) ، والعرب كانوا يخشون كثرة الروم وعظم معداتهم (١٢٢) . وهذا ما يستشف أيضا من الروايات التي تقول أنهم كانوا يقتتلون ويتبارزون نهارا ، من الصباح الى صلاة الظهر ، ثم يعودون الى معسكراتهم فلا يستأنفون القتال الا في اليوم التالي (١٢٣) . ويمكن أو نفهم من ذلك أن الطرفين كانا يودان لو انتهى الأمر الى الاتفاق . وأخيرا هناك رواية تقول ان جرجير وعد من يقتل عبد الله بن سعد من رجاله بتزويجه ابنته ، وأن عبد الله بن سعد رد على ذلك بالنداء في عسكره . أن من قتل جرجير من المسلمين قفله ابنته وما معها (١٢٤) .

أما عن النصر النهائي فيرجع الى تغيير عبد الله بن سعد لخطة القتال هذه ، وذلك بعد أن استمع الى نصيح الناصحين له بأن يقسم قواته الى قسمين يشترك أحدهما في القتال بينما ينتظر الآخر في شكل كمين حتى اذا انتهى القتال كالعادة ظهرا ، خرج الكمين على الروم وقد تعبوا فيتمكن من

(١١٨) انظر فيما سبق ص ١٤٨ .

(١١٩) انظر للملكي ، ص ١٦ .

(١٢٠) البلاذري ، ص ٢٢٧ .

(١٢١) ابن عسار ، ج ١ ص ١٠ ، المالكي ، ج ١ ص ١١ .

(١٢٢) انظر ابن عبد الحكم ، ص ١٨٥ حيث يقول ان رجال ابن سعد قطعوا الصلاة

ذات يوم عندما سمعوا جلبة فظنوا أنهم العدو ثم انهم أعادوها .

(١٢٣) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٤٣ .

(١٢٤) ابن عسار ، ج ١ ص ١٠ ، المالكي ، ج ١ ص ١٤ . وقارن النويري ، المخطوط

هزيمتهم (١٢٥) . ونجحت الخطة ونارت الكمان بالروم فانهزموا . ولحق العرب بالهزيمة فقتلوا منهم أعدادا كبيرة ، ثم سبقوهم إلى أبواب سبيطة ومنعواهم من دخولها . بينما بقي جرجير مجنونا في أرض المعركة ، ووقعت ابنته أسيرة في أيدي العرب (١٢٦) . وتنسب كثير من الروايات فخر هذا الانتصار إلى عبد الله بن الزبير دون عبد الله بن سعد . فتقول أنه وصل مددا لابن سعد من قبل عثمان بعد أن تأخرت أخبار الحملة عن الخليفة ، وأنه الذي نصح ابن سعد بتطبيق الخطة الحربية للمعركة . وتنسب إليه كذلك الكثير من أعمال البطولة النادرة والشجاعة الشخصية : فهو الذي اخترق صفوف الروم ، وهو الذي قتل جرجير وفتن الأميرة ابنته التي أقرت بذلك وميزته من بين فرسان العرب (١٢٧) .

والظاهر أن الزبيرين وشيعتهم هم الذين عملوا على اداعة أمجاد أسرتهن ، وخاصة بعد أن بلغت أوج عظمتها خلال السنوات التي طالب فيها عبد الله بن الزبير بالخلافة ، وكان قاب قوسين أو أدنى من تحقيق مأربه الذي دفع فيه والده - من قبل - حياته دون جدوى . والحقيقة أن كثيرا من رواة فتوح مصر والمغرب كانوا من الأسرة الزبيرية وأشهرهم عروة بن الزبير وابنه هشام بن عروة (توفي سنة ١٤٦ هـ) (١٢٨) . فقصة مقتل جرجير تظهر أولا مقتضبة عند ابن عبد الحكم الذي يعود فيقول : وكان الذي قتله فيما يزعمون عبد الله بن الزبير ، (١٢٩) ، بينما تجد رواية ثانية تقول إن الذي نصح ابن سعد بعمل الكمان هو أحد القبط (١٣٠) ، ثم رواية ثالثة تقول أن ابنه جرجير كانت لمن نصيب أحد الأنصار ، وإن الشياية الاغريقية فضلت أن تلهي بحسبها من على بافته فتدق عنقها (١٣١) . والظاهر

-
- (١٢٥) ابن الأثير ، سنة ٢٦٠ ، ج ٣ ص ٤٣ - ٤٤ ، المالكي ، ج ١ ص ١١ .
(١٢٦) ابن الأثير ، سنة ٢٦٠ ، ج ٣ ص ٤٤ ، ابن عسار ، ج ١ ص ١١ ، المالكي ، ج ١ ص ١١ ، النويري ، المخطوط ، ص ٦٥ ب .
(١٢٧) نفس المصدر .
(١٢٨) أنظر ابن حجر ، الاسابية ، طبعة ١٣٢٨ هـ ، ترجمة عبد الله بن الزبير ، رقم ٤٦٨٢ ، ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ ، وأنظر للمؤلف ، فتح المغرب بين الحقيقة والاسطورة ، مجلة كلية الآداب ، اسكندرية سنة ١٩٦٣ ، ص ٢٩ .
(١٢٩) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٦٠ ، ج ٣ ص ٤٤ ، ابن عسار ، ج ١ ص ١١ .
(١٣٠) المالكي ، ج ١ ص ١١ .
(١٣١) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٤ - ١٨٥ ، ابن الأثير ، سنة ٢٦٠ ، ج ٣ ص ٤٤ .

عن قصة انتحارها صحيحة فلو انها آلت الى ابن الزبير أو الى غيره لعرفنا أخبارها
و أخبار عقبها ، كما عرف عقب سارة ابنة منك الأندلس القوطي (١٣٢) .

وهكذا انتهت معركة عقوبة أو سبيطة الأولى بانتصار سهل لابن أبي
سرح ، فانهزمت القوات الرومية أمام العرب ، وقتل حاكم افريقية وانتحرت
ابنته ، ولا بأس من أن تكون ألفت بنفسها من أعلى سور القلعة - التي جرت
إلى ناقة - أسفا على والدما . وأتبع ابن سعد ذلك بضرب الحصار على مدينة
سبيطة نفسها بعد أن منع المتهمين من الاعتصام بها . وبذلك حرمت المدينة
من المدافعين عنها ، وسقطت بسهولة في معركة ثانية ، وغنم العرب فيها غنائم
كثيرة ثم صرغوا مثيلا لها في غيرها من المدن (١٣٣) ، وكان أكثرها القصب كما
قول إحدى روايات المالكي (١٣٤) . وأرسل ابن سعد بخبر الفتح مع عبدالله
ابن الزبير كما يرجع الرواة (١٣٥) ، فسار الى المدينة صريحا في أقل من
ثلاثة أسابيع ، وهناك أعلن أنباء انتصارات القوات العربية في افريقية في
مسجد الرسول وفي حضرة الخليفة وكبار الصحابة (١٣٦) .

وأقام ابن أبي سرح معسكره في الأرض التي بنيت فيها القيروان فيما
بعد (١٣٧) ، ومن هناك أخذ يوجه سرايا تضرب في أرجاء افريقية ، فبلت

(١٣٢) انظر ابن القوطي ، تاريخ المنتساج الأندلس ، طبعة بيروت ، ص ٦٢ ، لحن
يوهانس ، تاريخ إسبانيا الإسلامية (بالفرنسية) طبعة ١٩٥٣ ص ١٤٥ (عن ابن القوطي
عربي بليني) .

(١٣٣) ابن الأثير ، سنة ٢٦ ، ج ٢ ص ٤٤ ، التورق للخطوط ، ص ٦٥ ب ، وانظر
ابن عسكري ج ١ ص ١٤ ، ولالك ، ج ١ ص ١٣ ، الذي يخلط عندما يتكلم منا عن حصار
قرطاجنة ، وهو يقصد طليطة الحال سبيطة ، ولقد أتى هذا الخطأ من الاعتقاد بأن قرطاجنة
هي طليطة القرطبة وأن جرجير هو ملك افريقية أي صاحب قرطاجنة .
(١٣٤) لالك ، ج ١ ص ١٢ .

(١٣٥) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٥ - الذي بدأ بأن ملك بن تميم بن مالك هو الذي سار
بالتكليف لم عاد وقتل بل عرفت بن الزبير ، ابن عسكري ، ج ١ ص ١٢ ، ولحق هذا في أن
ابن عبد الحكم يورد رواية أخرى (ص ١٥٦ - ١٥٧) يفهم منها أن ابن سعد وجه مروان بن
الحكم إلى تميم بلطجة . ومن الجائز أن يكون ذلك قد تم في وقت قال عند الخطيب للأمر على
الضمان كما يستشف من التفاصيل ، وانظر تاريخ خليفة ابن خلدون ، ج ١ ص ١٢٦ .

(١٣٦) انظر ابن عبد الحكم ، ص ١٤٥ (في فخر بن لينة) - ١٤٦ ، ابن عسكري ،
ج ١ ص ١٢ ، لالك ، ج ١ ص ١٥ - ١٢ .
(١٣٧) ابن عسكري ، ج ١ ص ١٢ .

جنوباً أرض تفضة من بلاد الجريد ثم جازت إلى مرجانة (١٣٨) ، كما بلغت حصن الجهم على طريق سوسة حيث اجتمعت فلول المنهزمين ، وفتحته صلحا بعد أن ضربت عليه الحصار (١٣٩) . وانسحب الروم إلى الجزيرة - وهي شبه الجزيرة الواقعة بين تونس وسوسة - التي عرفت باسم جزيرة شريك ، نسبة إلى شريك العبيسي وألد قررة بن شريك وإلى مصر أيام الوليد بن عبد الملك ، واجتمعوا هناك في مدينة تعرف بإقليبية ومنها انسحبوا بحرا إلى جزيرة قوسرة (١٤٠) .

مشكلة المغانم :

وأنت هذه السرايا بالمغانم الكثيره والاسلاب ، واستاقت من المواشي ما تقدر عليه (١٤١) . ورأى بطارقة أفريقية ألا قبل لهم بمواجهة العرب فركنوا إلى الصلح ، ورأوا أن يشتروا انسحاب ابن أبي سرح بالمال . وتم الاتفاق على أن يدفعوا للعرب جزية سنوية بلغت ٣٠٠ (ثلاثمائة) قنطار من الذهب (١٤٢) . ويورد البلاذري رواية ثانية تقول ان الصلح تم على ٢٥٠٠٠٠ رطل دينار (ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار) (١٤٣) . أما ما يتفق عليه الكتاب فهو أن ابن أبي سرح أخرج الخمس من الغنمية ثم وزع الأخماس الأربعة الباقية على رجاله بمعرفة عبد الله بن عباس ، فكان نصيب الراجل ١٠٠٠

(١٣٨) ابن عذاري ج ١ ص ١٢ ، المالكي ، ج ١ ص ١٣ ، النويري ، المخطوط ص ٦٦ أ .
(١٣٩) ابن الأثير ، سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٤٤ ، النويري المخطوط ، ص ٦٦ أ ، التجاني (الذي يسمى الحصن : الجهم والأجم) ، ص ٥٧ ، ٦٥ ، وأنظر حسين مؤنس ، فتح المغرب ، ص ٩٧ وعامش ٢ .

(١٤٠) أنظر البكري (ص ٤٥) الذي ينقله التجاني ، الرحلة ، ص ١١ ، ١٢ (وتقول الرواية ان الروم أقاموا بجزيرة قوسرة ان خلافة عبد الملك بن مروان حينما غزا عبد الملك ابن قطن كل جزر الرقية) .
(١٤١) البلاذري ، ص ٢٢٧ .

(١٤٢) البلاذري ، ص ٢٢٧ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢ (وكان من شروط الصلح ان ما أصابه المسلمون قبل الصلح فهو لهم أما ما أصابوه بعد الصلح ودوه) ، والمالكي ، ج ١ ص ١٧ (حيث يقول انهم وجهوا لابن سعد ١٠٠) مائة قنطار فقط (وقارن خليفة بن خياط ، ج ١ ص ١٣٥) حيث يقول ان أهل التصور والمدائن صالحوا ابن سعد على مائتي ألف رطل ذهباً) .

(١٤٣) البلاذري ، ص ٢٢٧ ، ابن الأثير ، سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٤٤ ، النويري ، المخطوط ص ٦٦ أ .

«ألف» دينار ونصيب الفارس ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف) دينار (١٤٤) . مما يشير
عجب الكتاب . ونعتقد أن هذه الرواية الأخيرة مبالغ فيها . إذ لو صححت لوجب
أن تكون قيمة الفنائم في هذه الحملة حوالي ٤٠ (أربعين) مليون دينار . على
زعم أن نسبة الفرسان إلى الرجال في جيش ابن سعد السني بلغ عشرين
الفا لم تزد على الربع فقط . والمعتقد أنها كانت أكثر . أو أن يكون مقدار
الفنيمة نصف هذه القيمة أي حوالي عشرين مليوناً ، لو كان جيش ابن سعد
يبلغ عشرة آلاف رجل فقط ، لو أخذنا برواية ابن الأثير عن الحملة التي
قادها ابن سعد سنة ٢٥ هـ (١٤٥) . وهذه أرقام مبالغ فيها من غير شك لما كان
يمكن الحصول عليها من مدينة واحدة أو أثناء حملة واحدة ، فالمعروف أن
جزيرة مصر جميعاً (دون الاسكندرية) لم تزد في أول الأمر على اثني عشر
مليون دينار .

فما عن أصل الرواية المنسوبة إلى الليث بن سعد . وهي التي تحدد
نصيب الرجال بألف دينار والفارس بثلاثة آلاف . فنرجع إلى أن رجلاً من
جيش ابن سعد توفي في طريق العودة في موضع يعرف بذات الحمام (ونظن
أنها بالحمام حالية على طريق مرسى مطروح الاسكندرية) ، « فدفع إلى أهله
بعد موته ألف دينار ، (١٤٦) . ومع أن الرواية يؤكدون أن الألف دينار كانت
سهمه في الفنيمة فإن الأقرب إلى الصحة أن يكون ذلك مال الرجل الخاص ،
التي حصل عليه من نصيبه في مغنم الجيش وفي مغنم خاصة أخرى تهيأت
له في الغزوة . وأن أصحابه ردوا هذا المال إلى أهله . ونحن نستند في ذلك
إلى روايات يوردها ابن عبد الحكم يفهم منها أن الناس كانوا يتاجرون في
الذهب والتبر ، وأن بعض هذه العمليات التجارية لم تكن سليمة (١٤٧) .
أما عن الثلاثة آلاف دينار وهي سهم الفارس فنظن أنها أتت نتيجة لعملية
حسابية . قياساً على ما كان لهذا الرجل من المال : فالمعروف في الحرب
أن نصيب الفرس وحده سهمان . هذا ومن الجائز أن يكون الخيال قد لعب
دوراً في هذه المبالغة . إذ قال غير الليث من مشايخ أهل مصر : في كل دينار
وربح (١٤٨) . بمعنى أن السهم الحقيقي كان ١٢٥٠ دينار للرجل و ٣٧٥٠
دينار للفارس .

(١٤٤) ابن عبد الحكم . ص ١٨٥ . تاريخ خليفة بن خيسمة . ج ١ ص ١٢٥ . ابن
الأثير . ص ٢٦ . ج ٣ ص ٢٤ . ابن عماري . ج ١ ص ١٢ .
(١٤٥) أنظر فيما سبق . ص ١٤٩ وهامش ٨١ . ص ١٥٠ وه ٨٩ .
(١٤٦) ابن عبد الحكم . ص ١٨٤ .
(١٤٧) أنظر ابن عبد الحكم . ص ١٨٤ .
(١٤٨) نفس المصدر .

ويصبر الرواة عن عظم هذه الأموال عندما يفونون أن ابن سعد دعش
؟ تروم المال التي كانت نوضح بين يديه . فسمان الأفارقة : ومن أين لكم هذا .
وجعل انسان منهم يدور كالذي يتنمس الشيء حتى وجد زيتونه فجاء بها اليه .
فقال من هذا الورق . قال وكيف ؟ قال ان الروم ليس عندهم زيتون فكانوا
يأتون فيشترون منا الزيت فناخذ هذا الورق منهم ، (١٤٩) . وعلى كل حال
كان ابن سعد على حق عندما اكتفى بما كان يحمله هو ورجاله من المغانم
والأموال ، فوافق على الصلح واتخذ طريق العودة إلى مصر دون أن يترك
واليا من قبله على افريقية ، ودون أن يترك بها حامية عربية (١٥٠) . والظاهر
أن المغانم كانت من الكثرة بحيث يصعب حنطا ، اذ تقول رواية يوردها
المالكي - ولا نعرف مبلغ صحتها - ان ابن سعد كتب الى نائبه في مصر ،
وهو عقبة بن عامر الجهني ليرسل اليه المراكب في طرابلس ، وبعد أن
حملت هذه المراكب أثقال الجيش في البحر ، سار ابن سعد وأصحابه الى
مصر (١٥١) . ونظن أن ابن سعد خرج من هذه الحملة بنصيب وافر من المال
مما تثار سخف الناس (١٥٢) . اذ تقول بعض الروايات ان عثمان بن عفان
كان قد وعده بخمس الخمس أي خمس نصيب الخلافة ، وان مروان أخذ في
المدينة من مال افريقية ٥٠ (خمسين) ألف دينار كذلك (١٥٣) ، فكانت تلك
من المآخذ التي أخذت على عثمان (١٥٤) .

ولقد استغرقت الحملة في افريقية سنة وشهرين كما تقول اعطى
الروايات (١٥٥) . ولما كان البلاذري يقول ان القزوة وقعت في سنة ٢٧ هـ -
وهو التاريخ الذي أخذنا به - او في سنة ٢٨ هـ او في سنة ٢٩ هـ (١٥٦) ،

-
- (١٤٩) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٥ . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢ .
(١٥٠) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ (ولم يول عليهم احدا ولم يتخذ بها قيوانا) .
البلاذري ، ص ٢٢٧ (ولم يول على افريقية احدا ولم يكن لها يومئذ قيوان ولا مصر جامع) .
(١٥١) المالكي ، ج ١ ص ١٧ .
(١٥٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣ .
(١٥٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣ (عن الطبري) .
(١٥٤) أنظر ابن الأثير الذي يلخص الروايات التي نسبت الى عثمان أنه اعطى خمس
افريقية لعبد الله بن سعد في هذه المرة . وأنه اعطى خمسا آخر مروان في غزوة اخرى (أحداث
سنة ٢٦ ج ٢ ص ٤٤) .
(١٥٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣ . المالكي ، ج ١ ص ١٧ ، الاستقصا . طبعة الدار
البيضاء ، ص ٣٤ ، ٦٨ (سنة وثلاثة أشهر) .
(١٥٦) أنظر فيما سبق - ص ١٥٠ هامش ٨٧ .

يمكن أن نستنتج أن هذه التواريخ صحيحة جميعها . فيكون خروج عبد الله
ابن سعد من مصر قد حدث في أواخر سنة ٢٧ هـ ، واستغرقت الحملة سنة
٢٨ هـ في إفريقية (١٥٧) ، وعادت في أوائل سنة ٢٩ هـ .

وتقول بعض الروايات ان مسألة المغنم والحسن سببت سخطا في
جيش سبيطلة العربي على عبد الله بن سعد ، فطالب الناس بعزله عن
قيادتهم ، واستجاب لهم عثمان بن عفان . والظاهر أن عزل عثمان لابن سعد
عن قيادة الجيش الإفريقي تحنى عزله عن أمرة إفريقية ، وبقاء مصر وحدها
له . فبعد عودته الى مصر آلت قيادة قوات إفريقية الى عبد الله بن نافع بن
عبد القيس أخى عقبة بن نافع . هنا ما يفهم من رواية لابن الأثير - رغم
ما يحيط بها من انموض الذي يثير الشك في أصالتها ، إذ ترد بصدد التفكير
في غزو الأندلس من جهة البحر ، على أيام عثمان (١٥٨) . ونحن نعتقد
أن عقبة بن نافع بقي مرابطا مع أخيه على حدود المغرب - ان لم يكن النص
يقصد عقبة نفسه دون أخيه عبد الله .

موقعة ذي الصواري البحرية ، وبداية الفتنة في مصر :

استمر عبد الله بن سعد في نشاطه الحربى وخاصة ضد الروم ، الى
نهاية ولايته على مصر (سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م) (١٥٩) . فلقد أمن حدود مصر
الجنوبية بغزو بلاد النوبة (الأساود) في سنة ٣١ هـ / ٦٥١ م ، وكانت حملة
عنيفة اشترك فيها معاوية بن حديج وقد احدى عينيه ، وانتهت الى الصلح
على أن يدفع النوبة ٣٦٠ (ثلثمائة وستين) رأسا (من العبيد) في كل
سنة (١٦٠) وهو الصلح الذى عرف عند بعض الكتاب باسم صلح البقط (١٦١) .

(١٥٧) يؤيد ذلك ما ينص عليه تاريخ خليفة بن خياط (ج ١ ص ١٢٦) من أن تقوم
عبد الله بن الزبير على عثمان بالفتح كان في سنة ٢٨ هـ فعلا .
(١٥٨) أنظر ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٤٥ .
(١٥٩) نلاحظ أن الدكتور مؤنس (فتح العرب للمغرب ، ص ١١٠) يتكلم عن ركود
التروح وتوقفها عقب عودة عبد الله بن سعد بسبب الفتنة أيام عثمان . وهذا ليس بصحيح
فإنه الخلافة لم تبدأ الا على أواخر أيام عثمان ، وفي مصر بعد سنة ٢٤ هـ - بعد غزو
الصواري على وجه الدقة (أنظر ابن الأثير) أحداث سنة ٢١ - ٢٤ ، ج ٣ ص ٥٧ ، وقارن
بين عنارى ، ج ١ ص ١٤ . وأنظر فيما بعد حيث نناقش هذا الأمر (ص ١٦٤ - ١٦٥) .
(١٦٠) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٨ .

(١٦١) أنظر مصطفى محمد سعد ، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، ط القاهرة
١٩٦٠ ، ص ١١٢ و ٢٢ (حيث تفسر كلمة البقط في خطط المقرئى بالمهد Pactum)
أو بالضريبة العينية) .

ورغم ما تقوله رواية ابن الأثير من عزل عبد الله بن سعد عن أفريقية عقب حملة سببيلة - دون تحديد تاريخ ذلك - يذكر عريب بن سعد في مختصره أن عبد الله بن سعد قام بحملة في أفريقية سنة ٣٣ هـ / ٦٥٣ م ، وذلك بعد أن نقض أهلها العهد (١٦٢) . ورغم أننا لا نجد ذكرا لهذه الغزوة عند قدامى كتاب المغازي ، إلا أنه يمكن أن تكون هذه الغزوة جزءا من نشاط ابن سعد ضد الروم الذي سبق الغزوة البحرية المشهورة بنى الصواري . ويفهم ذلك من وصف ابن عبد الحكم لهذه الواقعة اذ يقول ان الأسطول الرومي كان يقصد الإسكندرية (١٦٣) وان ابن سعد عندما أرسى بشاطي ذى الصواري ، أرسل نصف رحالة الأسطول سرية نى البر بقيادة بسر بن أبي أرطاة (١٦٤) . ونحن نعتقد أن سرية بسر هذه كانت فى انجاز الغرب ، وقرينتنا على ذلك أن بسرا كان من أبطال فتوح المغرب كما رأينا (١٦٥) ، كما أنه بعد انهزام الأسطول البيزنطى الذى تارت به الأنواء والعواصف ، ألقت الريح بسفينة القيادة وفيها الامبراطور قسطنطين بن هرقل بصقلية (١٦٦) . ويؤيد ما نريد أن نذهب اليه من أن وقعة ذى الصواري كانت ناحية سواحل المغرب وليس سواحل الشام وآسيا الصغرى (١٦٧) . أنه رغم أن ابن الأثير يسجل أن الاسطول العربى كان عليه معاوية - وهذا ما لم يقله ابن عبد الحكم - وابن سعد ، فإنه يقول ان سبب الغزوة هو استيلاء العرب على أفريقية (١٦٨) . ولقد سجل الأستاذ حسن ابراهيم - دون أن يذكر مصدره للأسف - أن هذه الواقعة كانت فى ناحية زوارة (١٦٩) ، وزوارة من مدى سواحل طرابلس

(١٦٢) انظر ابن عسارى . ج ١ ص ١٤ .

(١٦٣) ابن عبد الحكم . ص ١٩١ .

(١٦٤) ابن عبد الحكم . ص ١٩٠ .

(١٦٥) انظر فيما سبق ، ص ١٤٨ .

(١٦٦) ابن عبد الحكم . ص ١٩١ . ابن الأثير . أحداث سنة ٣١ - (٣٤) . ج ٣ ص ٥٧ .

(١٦٧) انظر محمد عبد الهادى سعيد ، الصراع بين العرب والبيزنطيين (رومانية) ، ص ١٠٢ .

(١٦٨) ابن الأثير ، أحداث سنة ٣١ - (٣٤) . ج ٣ ص ٥٧ .

(١٦٩) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى والاجتماعى . ج ١ ص ٢٦٢

(زوارة) .

الغرب غير بعيد من الحدود التونسية (١٧٠) . وكانت ذو الصواري آخر الانتصارات التي حققها العرب على أواخر أيام عثمان ، وذلك في سنة ٣٤٤هـ / ٦٥٤ م حسب رواية ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد (١٧١) .

وتعتبر غزوة الصواري بداية الخلل الحقيقي في القوات العربية في مصر ، والانتفاض على عثمان . فقد صحب عبد الله بن سعد في هذه الواقعة محمد بن ابي حذيفة ومحمد ابن ابي بكر ، وكانا أول من تكلم في أمر عثمان في هذه الغزوة وأظهرا عيبه وما غير ، وما خالف به ابا بكر وعمر ، ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أباح دمه . ونزل القرآن بكفره . . . (١٧٢) . والحقيقة ان بعض الروايات الخاصة بحملة ابن سعد على سببيلة تعبر عن عدم رضا أبناء الصحابة من المهاجرين والانصار عن قيادة ابن سعد لهم ، ولكن الأمر لم يتجاوز المعارضة الصامتة في ذلك الوقت على ما نظن . أما في غزوة الصواري فالظاهر ان المعارضة أخذت ترفع من صوتها ، وأن الخلل بدأ يندب في صفوف العرب بشكل يبشر بالقطيعة التامة ويثذر بإفدلاع شرر الفتنة . فأبن سعد رفض أن يركب ابن ابي حذيفة وابن ابي بكر في مراكبه الرئيسية حتى ركبا في مركب ما معهما الا القبط ، فنقوا العدو فكانا أقل المسلمين نكابة وقتلاه ، وانتهى الأمر بأن «فسد الناس بقولهما ، وتكلموا ما لم يكونوا ينطقون به» (١٧٣) .

وبمقتل عثمان في أواخر سنة ٣٥هـ / ٦٥٦ م انفتحت أبواب الفتنة على مصاريحها وكان من الطبيعي أن يكون لاضطراب مركز الخلافة في المشرق أثره على الفتوح . ففي مصر التي آلت الى علي ، عزل عبد الله بن سعد بن

(١٧٠) عن زوارة أنظر التجاني ، ص ٢٠٧ ، ٢١٠ ، وأنظر شكل ٦ ص ١٥٥ .
(١٧١) لقد أخذنا بهذه الرواية رغم ما يقوله بعض الكتاب منسوبا الى الوافي من أن ذا الصواري وقعت في سنة ٣١ هـ . إذ الحقيقة أن ابن سعد كان مشغولا سنة ٣١ هـ في حرب النوبة ؛ أنظر ابن الأثير ، أحداث سنة ٣١ - (٣٤) ، ج ٣ ص ٥٧ م . وابن الأثير بعد أن يضعها في سنة ٣١ هـ هي وغزوة الأساورة (وهو يقصد الأسود - أي السودان قريبا) يتبع ذلك بتسجيل الرواية التي تقول انها حدثت في سنة ٣٤ هـ . وأنظر ابن عسار الذي نقل ابن الأثير أن من نقل ابن الأثير عنه (ج ١ ص ١٤) .
(١٧٢) ابن الأثير ، أحداث سنة ٣١ ، ج ٣ ص ٥٧ ، وقارن فيما سبق ص ١٤٦ .
(١٧٣) ابن الأثير ، أحداث سنة ٣١ ، ج ٣ ص ٥٧ . وعن احتكار المصريين لصناعة السفن في ذلك الوقت ، واعداد الأسطول المصري بما يلزمه من المهنات والرجال من جميع مصر ، انظر شعيرة ، الصراع بين العرب والبيزنطيين (بالفرنسية) ص ٩٢ - ٩٣ .

أبى سرح فى سنة ٣٦٦هـ / ٦ - ٦٥٧م (١٧٤) ، وسار إلى معاوية فى الشام حيث مات بعسقلان فى نفس هذه السنة (١٧٥) وصارت الولاية إلى قيس بن عباد الأنصارى ثم إلى محمد بن أبى بكر فى السية التالية (٣٧هـ / ٧ - ٦٥٨م) (١٧٦) ، ولم تستقر الأمور فى مصر إذ اضطربت بها العثمانية بقيادة معاوية بن حديج ، ونجح عمرو بن العاص بمعونته فى استعادة مصر لمعاوية ، بعد قتل محمد بن أبى بكر والتمثيل به فى سنة ٣٨هـ / ٨ - ٦٥٩م (١٧٧) ، واستمرت الفتنة إلى مقتل على وخلص الأمر تماماً لمعاوية ، وعندئذ عادت الفتوح قوية من جديد فى المشرق وفى المغرب على السواء ، والحقيقة أن معاوية ترك أمور المشرق لولاية العراق ووالى البصرة بصفة خاصة بينما اهتم هو بأمر المغرب والحرب مع بيزنطة ، بعد أن كان قد هادن ملك القسطنطينية - أثناء الفتنة - واشترى سكوته عنه بالمال .

ب - معاوية بن حديج واللقاء الثانى بين العرب والروم :

مع أن عمرو بن العاص عاد إلى ولاية مصر من سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م إلى سنة ٤٤هـ / ٦٦٤م ، فلا يذكر الكتاب له نشاطاً ما فى المغرب خلال هذه الفترة ، وعمرو كما نعرف رجل حرب أولاً وقبل كل شيء ، حتى أنه كان يقول « ما كنت بشيء أتجر منى بالحرب » (١٧٨) . ولقد فسر مؤسس قلة نشاط عمرو بكبير سنه ، وانشغاله بأمور المشرق ، وعداء معاوية وخشيته من نشاط ما يقوم به عمرو فى افريقية (١٧٩) . ونحن نرى أنه منذ غزوة عبد الله بن سعد فى افريقية أصبحت الخلافة تهتم مباشرة بأمر هذه البلاد ، بمعنى أن سلطات والى مصر لم تعد مطلقة على الجيش الافريقى . هذا ما يفهم من رواية ابن الأثير التى أشرنا إليها والتى تقول أن عثمان بن عفان عزل عبد الله بن سعد عن افريقية ، وترك فى عمله عبد الله بن نافع بن عبد القيس (١٨٠) . والظاهر

(١٧٤) ابن عذارى ج ١ ص ١٥ .

(١٧٥) ابن الأثير ، أحداث سنة ٣٦ ، ج ٣ ص ٢٤٥ ، وقلوب البخارى ، كتاب التاريخ الكبير ط . حيدر آباد الدكن ، ١٣٦١ هـ . ج ٢ قسم ١ (حيث النص على أنه مات بالرملة لارا من الفتنة) .

(١٧٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥ .

(١٧٧) الكندى ، الولاية والقضاة ص ٢٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥ .

(١٧٨) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٠ .

(١٧٩) فتح المغرب ، ص ١١١ .

(١٨٠) انظر فيما سبق ص ١٦٢ ومامش ١٥٨ .

أن الأمر ظل هكذا أيام ولاية عمرو الثانية إذ أن الكتاب يشيرون إلى غزوات قام بها العرب في المغرب خلال تلك الفترة ، ولكنها تنسب إلى غير عمرو . وأشهر أبطال الغزو بعد عبد الله بن سعد هو معاوية بن حديج السكوني (١٨١) ، الذي ساعد عمرو بن العاص على استعادة مصر سنة ٢٨ هـ ، والذي يقال أنه ولى إمرة مصر بعد عبد الله بن عمرو أو بعد غزو إفريقية في سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م (١٨٢) . أما عن تاريخ غزواته الكبيرة في إفريقية فيجعله ابن عبد الحكم ، وعنه ينقل المتأخرون ، في سنة ٣٤ هـ / ٦٥٤ - ٦٥٥ م على أيام عثمان (١٨٣) . ولقد شك ابن عبد الحكم في صحة هذا التاريخ فقال عن غزوة ٣٤ هـ أنه إنما غزوة لا يعرفها كثير من الناس ، ثم ذكر أن لابن حديج غزوتين أخريين في إفريقية في سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م ، وفي سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م (١٨٤) ورغم أن ابن عذاري يقول أن ابن حديج غزا إفريقية ثلاث مرات أولها في سنة ٣٤ هـ إلا أنه يجعل الثانية في سنة ٤١ هـ / ٦٥١ م ، والثالثة وهي الغزوة الكبرى في سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م ، وهو التاريخ الذي أخذ به خليفة بن خياط ثم الرقيق وابن خلدون (١٨٥) .

وهكذا نجد أمامنا مشكلة تعدد التواريخ ، وهذه انطاهرة تلاحظ أيضا عندما يتعلق الأمر بالأحداث الكبرى مثل فتح مصر ووقعة القادسية أو اليرموك . ونحن نعتقد في وجود أساس من الصحة لهذه التواريخ جميعا وفي عدم اصطناعها . وذلك أنه ينبغي التفرقة بين الرواية التاريخية وتحديد التاريخ :

(١٨١) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ (يلقبه بالكندى) ، وقارن التوربي الذي يسميه بابن حديج بالخاء وليس بالخاء : المخطوط ، ص ٦٦ ب) ولفظه بالكندى . وكذلك ابن خلدون ج ٦ ص ١٠٨ ولكنه يلقبه بالسكوني .

(١٨٢) انظر السلازني ، ص ٢٢٨ (ولى بعد عبد الله بن عمرو لمدة ٥ سنين) . ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨ (وليها بعد غزوة إفريقية وذلك في سنة ٤٧ هـ) ، وانظر فيما بعد في أول الفصل الخامس بعثة بن دفع .

(١٨٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤ .

(١٨٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٥ . المانز (عن ابن أبي العرب) ج ١ ص ١٨ - ٢٩ . وانظر تاريخ خلفه من حساب ، ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٧ (حسب جعل معاوية بن حديج في المغرب سنة ٥٠ هـ ، وذلك نصف كلامه عن بدء عمه للقروان في نفس السنة) .

(١٨٥) انظر هذه التواريخ في لسان المغرب ، ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ على التوالي وفي تاريخ خليفة بن حساب ، ج ١ ص ١٩٢ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٨ ، وابن أبي دینار (المؤسس في أخبار البرقة ببولس ، ص ٢٤) الذي يذكر اختلاف المؤرخين في هذا الفصل .

فلاصطناع شائع في الأولى بغرض خدمة شخص لذيذ أو الترويج لفكرة معينة ، وهذا ما لا يرجى من اصطناع التوقيت أو التمهيد الزمني الا في مجال ضيق ، وكذلك الامر بالنسبة لخطا النسخ . وتعدد التواريخ هنا يعني أحداثا متوالية وتلك طبيعة الحرب التي تعلق بسيرها مصير اقاليم شاسعة وأمم متعددة . وحرب المغرب في تلك المرحلة كانت أشبه ما تكون بالغزوات السنوية المعروفة بالصوائف ، وهي حرب الثغور ، مما يخشى معه أن تكون أحداث الحملات المختلفة قد اختلطت وتداخلت بعضها في بعض ، أو أن تكون قد جمعت كلها في غزوة واحدة . وبناء على ذلك وللتوفيق بين هذه التواريخ المتعددة ، نأخذ بما قاله ابن عبد الحكم من أن حملة ابن حديج الأولى في سنة ٣٤ هـ كانت حملة صغيرة أي صائفة من تلك الصوائف . ولهذا السبب لم يعرفها كثير من الناس : وربما كان مقتل معبد بن العباس في افریقیة سنة ٣٥ هـ (١٨٦) أثناءها . أما عن حملتي سنة ٤٠ هـ وسنة ٤١ هـ فنرى أنهما حملة واحدة ، إذ يجوز أن تكون قد بدأت في أواخر السنة الأولى وانتهت في بداية الثانية . ونظرا لأن هذا الوقت يعني بداية استقرار أمور الدولة معاوية ، فليس من المحتمل أن تكون غزوة ابن حديج الكبرى قد وقعت فيه . وعلى ذلك يحق لنا أن نأخذ بالتاريخ الذي حدده خليفة بن خياط ثم الرقيق والذي أخذ به ابن عذارى والمالكي لتحديد وقت هذه الحملة ، وهو سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م (١٨٧) ، وذلك بعد وفاة عمرو بن العاص .

أما عن الدوافع التي أدت إلى قيام ابن حديج بحملته على افریقیة فهي ، كما ترد عند الطبري والرقيق (كما ينقله ابن عذارى) وابن الأثير ومن ينقل عنهم ، وثيقة الصلة بحملة عبد الله بن سعد - مثلها في ذلك مثل وقضية الصواري . فيفهم من تلك الرواية أن ملك الروم هالته الضريبة العظيمة التي دفعها أهل افریقیة للعرب - فأرسل إلى أهلها قائدا (بطريقا) وأمره أن يأخذ منهم مثل ما أخذ المسلمون ، فنزل البطريق قرطاجنة ، وجمع أهل

(١٨٦) ابن الأثير ، حوادث سنة ٣٥ ، ج ٣ ص ٩٩ .
(١٨٧) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ١٩٢ ، ابن عذارى ج ١ ص ١٦ - ١٧ .
المالكي ج ١ ص ١٧ . ونشير هنا إلى أن النص الذي نشره بروفنسال لأحد عماسرى ابن عذارى ، وهو عبد الله بن صالح بن عبد الحليم ، لا يذكر لمعاوية بن حديج حملات في المغرب . ولا يذكر له الا غزوة في صقلية ، ولكنه يبين أن معاوية ولاء افریقیة بعد عام الجماعة (سنة ٤٠ هـ) .
- انظر صحيفة المعهد المصري في مدريد ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٢٠٢ عن شخصية صاحب النص ، ص ٢١٨ عن ابن حديج .

افريقية وأخبرهم بما أمره الملك . . « (١٨٨) . ورفض أهل افريقية أن يجيبوا الملك - كما تقول الرواية - وقالوا : « نحن نؤدى ما كان يؤخذ منا وقد كان ينبغي له أن يسامحنا لما ناله المسلمون منا » (١٨٩) . وترتب على ذلك اضطراب افريقية واشتعال نيران الفتنة بها ، مما دعا بعض قوادها الى الاستنجاد بالعرب . ومع أن ابن عبد الحكم والبلاذرى لا يشيران الى هذا الأمر فإن مسألة الحاح الدولة البيزنطية في زيادة الضريبة على أهل الولاية بعد ما أخذه العرب منها معقولة ، وكذلك مسألة استنجاد أهل البلاد في صراعهم الداخلى بالعرب مقبولة هي الأخرى ، كما سيحدث نى فتح الاندلس عندما اتخذ أبناء الملك انقوطين غيظشة جاز بالعرب ضد المنقصب لذريق (١٩٠) أما ما يؤخذ على هذه الرواية ، فهو تحديدها زمن عودة الروم الى افريقية ومطالبتهم بالأموال . عقب انسحاب ابن سعد مباشرة . ونعتقد أن هذا غير صحيح : فابن عذارى ينص على أن أهل افريقية تقضوا العهد سنة ٣٣ هـ / ٦٥٣ - ٦٥٤ م (١٩١) ، وابن الأثير يجعل حملة ابن حديج تحت عنوان « ذكر انتفاض افريقية وفتحها ثانية » (١٩٢) .

ولما كانت الروايات تقول ان ابن حديج له حملة فى سنة ٣٤ هـ / ٦٥٤ - ٦٥٥ م . كان ذلك اثباتا للتاريخ الذى يحده ابن عذارى . والمعقول فعلا أن يكون الروم قد عادوا الى افريقية على أواخر أيام عثمان ، فى الوقت الذى دبروا فيه حملة ذى الصوارى بقصد مفاجأة الاسكندرية . وربما كانوا على علم بأزمة الخلافة واضطراب المشرق العربى فى ذلك الوقت (١٩٣) .

بناء على ما تقدم تكون افريقية قد بقيت منقطعة عن الروم وفيه بالعهد للعرب الى سنة ٣٣ هـ . فبعد مقتل جرجير فام بأمر الولاية أحد القواد الذى يطلق عليه اسم جباحه أو جناحه (١٩٤) ، وهو تعريف لاسم جناديه أو

(١٨٨) ابن الأثير . أحداث سنة ٢٦ . ج ٣ ص ٤٥ . العبرى (ذخائر العرب) . سنة ٢٧ ج ٤ ص ٥٦ .

(١٨٩) نفس المصدر .

(١٩٠) أضر ليفى برومى . تاريخ أسباب الاسلامة (بالفرنسة) ص ١٥ وهامش ١

(١٩١) البيان العرب . ج ١ ص ١٤ .

(١٩٢) ابن الأثير . سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٤٤ .

(١٩٣) قارن مؤنس . ص ١١٢ (الذى يذكر نقلا عن ديبل (Diehl) ان السومر

البيزنطية لو كانت على نية من القوة لاستعادت افريقية بسهولة) .

(١٩٤) انظر ابن عساذرى . ج ١ ص ١٦ - ١٧ (حياحة) . النسيوى . ص ٦٧ ا

و حياحة .

جناديوس (Gennadius) (١٩٥) ، الذي ظل قابضاً على ناصية الأمور إلى أن تهيأت الفرصة لملك الروم فأرسل إلى إفريقية قائداً عن لدنه يسميه الرقيق أوليه (١٩٦) . وربما كان تحريفاً لاسم « الوتيرة (Eluthère) (١٩٧) » . والظاهر أن بعض أهل البلاد انضم إلى جانب هذا الأخير ، فقام صراع بين القائدين واتباعهما انتهى بانهزام أوليه وطرده من البلاد (١٩٨) ، ولكن الأمور لم تستقر لجناديوس إذ قام ضده قائد يسميه الرقيق الاطريون (١٩٩) . ولما وجد جناديوس أنه لا يستطيع الصمود أمام خصومه ، لجأ إلى الاستنجاد بالعرب ، فسار إلى معاوية بأشمام وشرح له أحوال إفريقية وعظم له خيراتها وسهل له أمر فتحها . وقرر معاوية أن يسير حملة إلى إفريقية وعهد بقيادتها إلى معاوية بن حديج . والظاهر أن معاوية سير قوات أهل الشام مع القائد الرومي نحو مصر ، كما يفهم من ابن الأثير الذي يقول إن معاوية سير مع الرومي معاوية بن حديج (٢٠٠) . وربما اتخذ ابن حديج الإسكندرية قاعدة لتعبئة قواته واعداد عدته ، فذلك ما يمكن أن يفهم من رواية الطبري التي ينقلها ابن عسار ، والتي تقول إن ابن حديج سار إلى الإسكندرية فاستعمل عليها القائد الرومي جناديوس (٢٠١) . والاقرب إلى الصحة أن يكون جناديوس مات في الإسكندرية كما يقول ابن الأثير (٢٠٢) .

وخرج ابن حديج من الإسكندرية بجيشه الذي بلغ عشرة آلاف رجل (٢٠٣) ، وبصحبه عدد من المهاجرين والأنصار من أبنائهم ممن كانت لهم خبرة بالحرب في إفريقية . ومع أن ابن عبد الحكم لا يذكر من هؤلاء إلا عبد الملك بن مروان ، وسليمان بن يسار الذي تنسب إليه بعض الروايات عن الحملة ، وجبله بن

Le Berbérie et l'Orient. p. 30.

- (١٩٥) أنظر جورج مارسيه
(١٩٦) ابن عسار (ينقل الرقيق) ج ١ ص ١٧ . النويري المخطوط ، ص ٦٦ ب .
(١٩٧) أنظر جورج مارسيه G. Marçais, Le Berbérie et l'Orient., p. 30
(١٩٨) ابن عسار ، ج ١ ص ١٧ .
(١٩٩) ابن عسار ، ج ١ ص ١٧ ، وقارن النويري . المخطوط ، ص ٦٧ أ (الاطريون أو الاطيلون) وربما كان المقصود لوطيون (Aretion) . مثل حاكم بيت المقدس عنه الفتح العربي ، أنظر الباز المريني ، مصر البيزنطية ، ص ٤٠٧ .
(٢٠٠) ابن الأثير ، سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٤٥ ، النويري ، المخطوط ، ص ٦٧ أ .
(٢٠١) ابن عسار ، ج ١ ص ١٦ .
(٢٠٢) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٤٥ ، النويري ، المخطوط ، ص ٦٧ أ .
(٢٠٣) ابن عسار ، ج ١ ص ١٦ .

عمر و الأنصاري (٢٠٤) ، فأننا نجد أيضا عند غيره من المتأخرين ذكرا لعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، ويحيى بن الحكم (٢٠٥) ، وحنش الصنعاني (٢٠٦) والأكدر بن حمام اللخمي ، وكريب بن أبرهة بن الصباح ، وبخالد بن ثابت النقي ، وأشارف من جند مصر (٢٠٧) .

ونحن نشك في أن يكون ابن عمر وابن الزبير بصفة خاصة قد اشتركا في هذه الغزوة إذ لم يذكرهما ابن عبد الحكم ، وربما كانت قصة اشتراكهما فيها من صنع الزبيريين ، وربما كانت صدى من أصداء « غزوة العبادلة » ، حقيقة أن معاوية كان يرغب ابن الزبير وابن عمر وابن عباس على الاشتراك في بعض غزواته ، كما حدث عندما سبهم مع ابنه يزيد لغزو القسطنطينية سنة ٤٩هـ / ٦٦٩م (٢٠٨) ، ولكنه يظن أنه فعل ذلك عندما استشعر خطرهم عليه ، وعندما كانت الحملات قريبة من رقابته . فبعد الفتنة استقر عظماء أبناء المهاجرين والأنصار هؤلاء في الحجاز يترصدون بالأمويين ، ويحاولون استرجاع ما كان لهم وللسدينة الرسول من سلطان مفقود ، بينما كانت العصبية - وهي أبرز ما تكون في الجيش - لبني أمية وأنصارهم من أهل الشام . هذا ما يحدونا إلى الشك في مشاركتهم في تلك الغزوة .

ومهما يكن من أمر فقد سار ابن حديج بقواته عبر برقة وطرابلس . ولا شك في أن سلطان العرب كان قد توطد فيهما إذ لا تذكر النصوص عمليات عسكرية هناك . ونعتقد أو الحامية العربية التي كانت مرابطة في برقة وعلي رأسها ابنا نافع بن عبد القيس القهري ، عقبه وعبد الله ، انضمت إلى ابن حديج الذي استفاد من خبرة رجالها ومعرفتهم بطبيعة الحروب في تلك الأقاليم (٢٠٩) - كما حدث في حملة سببلة . وانتهى المطاف إلى قرب الموضع الذي نزل فيه عبد الله بن سعد (سنة ٢٨ هـ) في منطقة قمونية .

(٢٠٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٦٢ - وقارن تاريخ حنيفة بن خياط ، ج ١ ص ١٦٦ .
١ حيث الإشارة إلى أن معاوية هو الذي أمر مروان بن الحكم بتسيير ابنه عبد الملك على بيت المقدس إلى بلاد المغرب ، وأن كان يجعل ذلك في سنة ٥٠ هـ) .
(٢٠٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦ ، وقارن المالكي ، ص ١٨ ، النويري ، المخطوط ، ص ٦٧ .

(٢٠٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨ .

(٢٠٧) أنظر المالكي ، ج ١ ص ١٨ ، النويري ، المخطوط ، ص ٦٧ .

(٢٠٨) أنظر ابن الأثير ، أحداث سنة ٤٩ ، ج ٣ ص ٢٢٦ .

(٢٠٩) أنظر لما بعد ص ١٧٦ (عن غزوات عقبة بن سحر واث طرابلس وأخرية) .

غريبها (٢١٠) . وحينما وصل ابن حديج كذئ الاضطراب في افريقيصة قد
بلغ أوجه كما تقول النصوص (٢١١) .

وتذكر الروايات أن الأسطول البيزنطي كان قد أنزل حملة بقيادة أحد
البطارقة واسمه نقفور (Néciphore) في الساحل (٢١٢) ، وهي المنطقة
الواقعة فيما بين سناقس وسوسة - وسميت بالساحل لكثافة غابات الزيتون
فيها ، التي ترى من داخل البلاد وكان سوادها ساحل البحر (٢١٣) . ونحن
لا نعرف ان كانت نقفور قد وصلت الى الساحل قبل أو بعد وصول ابن حديج ،
وربما كان الأقرب الى الصحة أنها أرسلت عقب وصوله . يفهم ذلك من الروايات
التي تقول أن ابن حديج بدأ باتخاذ معسكر له في موضع القيروان الى جانب
جبل القرن (٢١٤) وان معاوية بن حديج هو الذي أعطى للجبل هذا الاسم
عندما قال لأصحابه : « اذهبوا بنا الى هذا القرن » ، كما عرف هذا الجبل
باسم مطور أيضا : لهطول الأمطار عليه عندما بلغه ابن حديج (٢١٥) .

وبعد أن استقر معاوية في معسكره أخذ يوجه السرايا ، وتمكن من فتح
عدد من الحصون كما حصل على غنائم عظيمة (٢١٦) . وبناء على ذلك فالظاهر
أن الأسطول البيزنطي كان يقصد مهاجمة المعسكر العربي عندما نزل منطقة
الساحل في سوسة ، إذ المعروف أن سوسة هي ميناء القيروان (٢١٧) . وتستند
أن الروايات العربية تبألف عندما تقول إن جيش نقفور كان يبلغ ٣٠ (ثلاثين)
الف مقاتل ، وذلك أن معاوية بن حديج لم يتكلف مشقة المسير بنفسه للقاء

-
- (٢١٠) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ (الكلمة هنا في شكل تونية لم يصحها الناشر) .
ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦ ، ج ١ ص ٤٥ ، النويري ، المخطوط ، ص ٦٧ .
(٢١١) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦ ، ج ١ ص ٤٥ (كانت نارا مضطرب) ، النويري ،
ص ٦٧ ، ابن عسار ، ج ١ ص ١٦ (كانت حربا كلها) .
(٢١٢) ابن عسار ، ج ١ ص ١٦ (نقفور هنا مكتوبة في شكل نقفور ، وكذلك في
النويري المخطوط ، ص ٦٧ ب .
(٢١٣) أنظر التيجاني ، ص ٦٦ .
(٢١٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ .
(٢١٥) خليفة بن خياط ، ج ١ ص ١٩٢ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٦٥ ، النويري ،
المخطوط ، ص ٦٧ .
(٢١٦) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ .
(٢١٧) أنظر ابن جوقليز ، ص ٧٤ (وهو بين القيروان على مرحلة) ، وأنظر البكري ،
ص ٣٢ (على بعد ٣٤ ميلا من القيروان) ، وقارن النويري ، ص ٦٧ الذي يقول إن نقفور
نزل على ساحل البحر بسنطيرية .

تلك القوة الكبيرة بل أرسل اليها بعض قواته . وما أن رأى الروم القوة العربية حتى انهزموا الى مراكزهم دون قتال (٢١٨) . وهنساك روايات تنسب فخر هذا الانتصار الى عبد الله بن الزبير ، وتجعل منه بطلا أسطوريا كما كان في فتح سببلة . فلقد خرج ابن الزبير من معسكر ابن حديج في جيش كثيف وسار في اتجاه سوسة ، ونزل في موضع استراتيجي مرتفع على بعد ١٢ (أثنى عشر) ميلا يشرف منه على المدينة . وبعد أن انهزم نقفور ورجاله في المراكب نزل ابن الزبير بأصحابه على الشاطئ أمام باب سوسة ومع أن العدو كان يراى منه فإنه أقبل على الصلاة مع أصحابه والروم يتعجبون من هذه الجرأة . وعندما فكروا في اغتنام الفرصة ، « فأخرجوا اليه جمعا منهم كثيرا من كماتهم رجالا وركبانا ، ظل البطل مقبلا على صلاته لا يهوله أمر العدو حتى قضى الصلاة ثم ركب وحمل على الروم بمن معه فانكشفوا منهزمين (٢١٩) .

وأتبع ابن حديج ذلك النصر بتحقيق انتصار آخر فاستولى على قلعة جلولا الحصينة ، على مسيرة ٢٤ (أربعة وعشرين) ميلا من القيروان (٢٢٠) . ولقد ضرب ابن حديج الحصار على الحصن البيزنطي الذي يعتبر من أهم حصون خط الدفاع الثاني لولاية أفريقية (٢٢١) دون طائل ، واستمر القتال مدة ، ولحق برجال ابن حديج كثير من الخسائر « فقد جرح عامة أصحابه ، وقتل منهم ، (٢٢٢) . وبعد لاي سقطت جلولا وحصل ابن حديج منها على كثير من الغنيمة والسبي (٢٢٣) . وتجعل الروايات العربية لسقوط جلولا قصة ينسج احيال كثيرا من خيوطها . وبطل القصة هو عبد الملك بن مروان (الخليفة فيما بعد) ، أما تفصيلاتها فمزيج قريب الشبه من وقائع بايليون وطرابلس وسببلة . فعبد الملك خرج الى جلولا في ألف رجل فلم يصنع شيئا ، وعند عودته تهدم جزء من سور الحصن فأثار غبارا شديدا ، فظن

(٢١٨) ابن الأثير ، سنة ٢٦ ، ج ٣ ص ٤٥ .

(٢١٩) انظر البكري ، ص ٣٤ - ٣٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦ ، التجاني ، الرحلة ،

ص ٢٢ .

(٢٢٠) عن جلولا ، انظر البكري ، ص ٣١ .

(٢٢١) انظر ج . مرسية ، ص ٣١ ، جوليان ،

Hist. de l'Afrique du Nord, p. 319.

(٢٢٢) انظر ابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ .

(٢٢٣) نفس المصدر .

عبد الملك أو العدو يتعقبهم فكر مع جماعة من أصحابه فرأى الحائط قد وقع ،
فدخل المدينة بغير خيل ولا رجال (٢٢٤) .

وكان من الطبيعي أن يحصل ابن حديج ، الذي استقر في معسكره وأخذ
يوجه سراياه نحو سوسة وجلولاء ، على مغام كثيرة . والحقيقة ان بعض
الروايات تقول انه وجه سراياه كذلك في اتجاه بنزرت (٢٢٥) ، كما تقول
رواية انه تم فتح جزيرة جربة في ذلك الوقت ، على يد الصحابي رويغ بن
ثابت الانصاري (دفين برقة) ، الذي ولاء ابن حديج طرابلس سنة ٤٦ هـ فقام
بغزوته هذه سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م (٢٢٦) ، كما سير حملة الى صقلية (٢٢٧) حيث
أقام المسلمون شهرا بقيادة عبد الله بن قيس ، وعادوا الى افرقية بغنائم
كثيرة ورقيق وأصنام منظومة بالجواهر ، (٢٢٨) وقسمت الغنيمة وأخرج الخمس
للخليفة ، ووزعت الاخماس الاربعة على الرجال فأصاب الرجل ٢٠٠ (مائتي)
دينار ، وكان نصيب الفارس ٦٠٠ (ستمائة) دينار بحساب أن للفارس
سهمين ، هذا ولو أن النصوص تجعل ذلك من غنيمة جلولاء وحدها (٢٢٩) .
وكانت غنائم حملة جلولاء - مثلها مثل مغام سبيطلة - سببا في منازعات
في المعسكر ، اذ أراد أفراد السرية التي فتحتها أن تكون غنيمتها وسببها لهم
وحدهم دون بقية المعسكر ، حتى أن ابن حديج اضطر الى مخاطبة الخليفة في

١. ١. ٦٤٣٤

(٢٢٤) أنظر ابن عبد الحكم ، ص ١٩٢ ، خليفة بن خياط ، ج ١ ص ١٩٦ ، البكري ،
ص ٢٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧ ، المالكي ، ج ١ ص ١٨ ، النويري ، ص ٦٧ .
وهنا تقول الرواية ان ابن حديج كان يقاتلهم أثناء النهوض ثم ينصرف الى معسكره (قلون
سبيطلة) ، وان اكتشاف تهلم السور كان صادفة ، لم نرى عبد الملك قوسا له ملقبا في
سجري قرب الحصن فلما عاد ليأخذه وجد جانب السور قد انهم .

(٢٢٥) المالكي ، ج ١ ص ١٩ (تقول رواية للمالكي ان حملة بنزرت وقعت في سنة ٥٠ هـ ،
وربما كان هنا مرضها الصحيح) .

(٢٢٦) أنظر التجاني ، الرحلة ، ص ١٢٤ ، وقارن تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص
١٩٣ (حيث ذكر غزو رويغ لأطرابلس ودخوله افرقية ثم انصرافه في نفس سنة ٤٧ هـ .
(وعن رويغ وقبره في برقة أنظر البكري ، ص ٥ ، المسالكي ، ج ١ ص ٥٣ ، والبيهقي ،
الرحلة ، مخطوط طرابلس ، ج ١ ص ٨١) .

(٢٢٧) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦ - ١٧ (حيث ينقل ابن عذارى هنا عن مختصر
عريب للطبري) ، ص ١٨ (حيث يجعل تلك الغزوة وحدها في سنة ٤٦ هـ وذلك نكلا عن
البلاذري) ، قارن مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١٢٦ (حيث يرجح أن يكون المصود
سنة ٤٦ هـ) .

(٢٢٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧ ، النويري ، المخطوط ، ص ٦٨ .

(٢٢٩) أنظر ابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦ (٢٢٠ مخطوط) .

ذلك ، فرد معاوية بن أبي سفيان : ان العسكر رده للسرية ، (٢٣٠) والظاهر ان ابن حديج أراد أن يسترضى رجاله فجعل لهم نصيبا أكثر مما يستحقون اذ نقلهم ، النصف بعد الخمس ، . ونظن ان المقصود بذلك أنه وهبهم نصف الخمس المخصص للمخلاة . ورضى الناس بذلك ومن جملتهم بعض الصحابة الأجيلة بن عمرو الأنصاري الذي أبي (٢٣١) .

وهكذا انتهت حملة معاوية بن حديج بطرد القوات البيزنطية من ساحل سوسة وسقوط أهم حصون الدفاع الثاني في أفريقية وهو حصن جلولا . ونشر ابن حديج سراياه في البلاد «فسكن الناس وأطاعوا وعاد الى مصر» (٢٣٢) مجملا بالمغانم والسبي . ويقدر ابن الأثير أعمال ابن حديج في أفريقية تقديرا عظيما يعبر عن أنه أقر ، السلام العربي ، في البلاد ، فيقول : « ثم لم يزل أهل أفريقية من أطوع أهل البلدان وأسمعهم الى زمان هشام بن عبد الملك . . . » (٢٣٣) . ومع أن مقالة ابن الأثير هذه تحوى في ثناياها كثيرا من المبالغـة كما سنرى فيما بعد . اذ أن ابن حديج رجع ولم يترك واليا ولا حامية عربية في أفريقية ، بل ولم يعقد اتفاقا ما مع أهل البلاد ، تماما كما فعل عبد الله ابن سعد بن أبي سرح (٢٣٤) . فانها تعبر عن أهمية هذه الحملة . وتتلخص تلك الأهمية في أن بلاد أفريقية أصبحت أرضا مألوفة بالنسبة للعرب ولم تعد أرضا مخوفة ، غادرة مغدور بها ، كما كان الحال من قبل . وأكثر من هذا فانها أصبحت بالنسبة للعرب أرض المغانم والأسلاب والسبي ، أرض اكوام الورق وقناطير الذهب والسبايا الجميلات ، التي ينبغي أن تكون جمعا من أقصاها الى أقصاها - وليس أطرافها الشرقية فقط - أرض العروبة والاسلام . وهذا ما سيقع على عاتق رجال جديرين بالقيام بمثل هذه الأعمال الجليلة ، من أهل الحرب والادارة . وأول هؤلاء وأشهرهم هو عقبة بن نافع الفهري .

(٢٣٠) ابن عبد الحكم . ص ١٩٢ .

(٢٣١) انظر نفس المصدر .

(٢٣٢) ابن الأثير . أحداث سنة ٢٦ . ج ٣ ص ٤٥ .

(٢٣٣) نفس المصدر .

(٢٣٤) انظر فيما سبق ص ١٦١ وضمن ١٥٠ . ص ١٦٨ و ١٨٩ .

الفصل الثاني

الاستقرار والفتح الدائم

(٥٠ - ٥٩٥ / ٦٧٠ - ٦١٣ م)

عقبة بن نافع

تقريب الأول في المغرب :

رجع معاوية بن حديج الى مصر سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م على ما تقطن : فرغم أن أجداد من الكتاب لا يشير الى تاريخ عودته فهناك رواية تقول أن معاوية بن أبي سفيان ولاء مصر في تلك السنة (١) . ومع أن هذا ليس بصحيح إذ أن الذي ولي مصر في سنة ٤٧ هـ هو مسلمة بن مخلد (٢) ، فنحن نرى أن تلك الرواية تعني نجاح حملة ابن حديج على إفريقية ، وأن فكرة ولايته مصر في تلك السنة تعني مكافأته أو تقدير الخليفة لذلك النجاح . وهكذا إذا تركنا النص جانباً. أمكننا الاستفادة من التاريخ كتوقيت لعودة ابن حديج مسجماً إفريقية (٣) . ورغم النجاح الذي حققه العرب في المغرب حتى ذلك الحين ، فإن العنثيات الحربية التي قاموا بها لم تكن سوى غارات بعيدة المدى ، الهدف منها الاستكشاف والحصول على المغام والسبي ، التي جاءت الصل على نشر الاسلام وطلب الاستشهاد . أما عن الحملة التالية التي قادها عقبة بن نافع فكانت لها نتائج مختلفة ، وذلك أن عقبة رسم لنفسه برنامجاً للعمل يرمي الى تحقيق أهداف أبعد من كل أهداف سابقه . وتتلخص خطته

(١) أنظر ابن الأثير . أحداث سنة ٤٧ . ج ٢ ص ٢٢٠ . ابن عذاري . ج ١ ص ١٨ .
(٢) رواية الكندي هي أوثق الروايات فيما يتعلق بالحوادث الحربية (أنظر الولاة والتضام ص ٢٨) .
(٣) قارن مؤسس . ص ١٢٧ . الذي يعرض أن عقبة بدأ غزو إفريقية سنة ٤٩ هـ .
فيكون ابن حديج قد رجع الى مصر في أوائل سنة ٤٨ هـ .

ولا في تبييت أقدام العرب في المغرب - وهذا وسيلة - من أجل تحقيق الهدف الثاني - وهو خايه - وهو نسر الاسلام والا يعبد في الارض سوى الله . وهكذا يظهر عقبة بن نافع بمظهر المجاهد العربي النموذجي : فهو المحارب العابد ، والحرب هي الجهاد الأصغر والعبادة هي الجهاد الأكبر - جهاد النفس .

وكان اختيار معاوية بن أبي سفيان لعقبة بن نافع لولاية حرب افريقية وضعا للشئ في موضعه الصحيح . فعقبة من أوائل جند افريقية اذ دخل برقة مع عمرو بن العاص سنة ٢٣ هـ / ٤٣ - ٦٤٤ م وظل مرابطا هناك منذ ذلك الوقت . وخلال اقامته التي بلغت حوالي ربع قرن من الزمان في ههنا الشحر ، كان عقبة بن نافع دائب الجهد والاجتهاد في العمل على توطيد قواعد العروبة والاسلام . والحقيقة أنه ينسب الى عقبة القيام بكثير من الفتوحات والغزوات ، كما تجعل الروايات منه بطلا أسطوريا في بعض الأحيان ، وقطبا عازفا في بعض الأحيان ، فهو « عقبة المستجاب » .

١ - غزوات عقبة في صحراوات طرابلس وافريقية :

دخل عقبة المغرب مع ابن خالته عمرو (٤) ، وكان في ذلك الوقت في بداية مراحل الشباب ، في حدود الرابعة عشرة من عمره (٥) . ولهذا السبب رأينا أنه ربما كان في صحبة والده نافع بن عبد القيس الذي سار لحرب النوبة مع عبد الله بن سعد ، وأنه ربما دخل برقة عن طريق الصعيد أو الفيوم (٦) . ويتفق جميع الكتاب على أو عقبة - وهو في هذه السن المبكرة فتح كل البلاد ما بين برقة وزويلة فأصبحت جميعا للاسلام (٧) . ولكننا نخشى أن يكون الأمر قد اختلط على الرواة فمزجوا بين أحداث هذا الوقت المبكر وما قام به عقبة فيما بعد ، وهذا ملاحظه مؤنس بصدد رواية البلاذري التي تتكلم عن تنظيم عقبة للضرائب في تلك الأقاليم (٨) . وبقي عقبة في برقة مجاهدا بعد عودة عمرو الى مصر . وعندما سار عبد الله بن سعد الى افريقية سنة ٢٧ هـ انضم اليه عقبة (٩) ، ولكننا لا نعرف الدور الذي قام به

(٤) انظر ابن الأثير . سنة ٤١ ج ٣ ص ٢١٢ . تدريج خليفة بن خياط . ج ١ ص ١٨٩ .

(٥) يقول ابن عسار (ج ١ ص ١٩) أن عقبة ولد قبل وفاة الرسول بسنة واحدة .

(٦) انظر فيه سبق (عن فتح برقة وقران) . ص ١٣٥ .

(٧) انظر فيما سبق . ص ١٣٦ .

(٨) انظر مؤنس . ص ١٣٤ . وفيما سبق . ص ١٣٦ .

(٩) انظر فيما سبق . ص ١٥٠ .

في تلك الغزوة . وبعد عزل عبد الله بن سعد عن قيادة جند إفريقية سنة ٢٩ هـ ، آلت هذه القيادة إلى عبد الله بن نافع أخى عقبة (١٠) : والظاهر أن عقبة بقي مع أخيه مرابطا في إفريقية ، إن لم يكن المقصود بذلك هو عقبة نفسه . ومنذ ذلك الحين وإلى سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م ، لا يذكر الكتاب شيئا عن عقبة ونظن أنه كان مقبلا ببرقة وزويلة منذ فتحها أيام عمر ، كما تقول الرواية التي يأخذ بها ابن الأثير (١١) .

ففي سنة ٤١ هـ بعث عمرو بن العاص - بعد أن آلت إليه ولاية مصر من جديد - جيشا على رأسه عقبة لغزو لواته فهزمهم أكثر من مرة في نواحي برقة وطرابلس ، وفرض عليهم شروطا قاسية منها : « إن شئنا أقررناكم وإن شئنا بعناكم » كما يفهم من رواية الكندي ، بمعنى أنهم عقدوا عليهم هذا بعد أن نقضوا ، وهو ما ينص عليه خليفة بن خياط (١٢) . والحقيقة أن عمرو بن العاص كان قد غزا لواته في العام السابق سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م على يدى شريك بن سمي الخطيفي (١٣) وأتبع ذلك بغزو مزاته ، وألحق بهم الهزيمة أكثر من مرة (١٤) ، ثم فتح غدامس في سنة ٤٢ هـ / ٦٦٢ م ثم غزا هواره في سنة ٤٣/٦٦٣ م ، كما افتتح في هذه السنة كورا من كور السودان (١٥) ، وانتهت هذه الغزوة في أواخر تلك السنة عندما كان عمرو مريضا مرضه الذي مات فيه (١٦) .

ورغم أن النصوص لا تشير إلى عقبة بن نافع أثناء الحملة الكبيرة التي قام بها معاوية بن حديج في إفريقية سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م نرى أن عقبة شارك في العمليات العسكرية مشاركة فعالة تشبه من وجهة النظر الاستراتيجية

(١٠) أنظر فيما سبق ، ص ١٦٢ وهامش ١٥٨ .

(١١) ابن الأثير ، أحداث سنة ٥٠ ، ج ٣ ص ٢٢٤ .

(١٢) الولاة والقضاة ، ص ٢٢ ، وقارن تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ١٨٩ : حيث النص على أن عمرو بن العاص رأى عقبة بن نافع إمرئيا سنة ٤١ هـ وإن عثبه غزا تلك السنة لولية ومراقبة لأنهم كفروا بعد الطاعة) .

(١٣) أنظر الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٢٢ (ونسب لشريك بن سمي أيضا غزو بلدة سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ م) . وأنظر فيما بعد ص ١٧٩ (حيث يلقب ابن عبد الحكم شريك بن سمي « المرادي ») .

(١٤) ابن الأثير ، أحداث سنة ٤١ ، ج ٣ ص ٢١٢ .

(١٥) نفس المصدر ، وأنظر تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ١٩٠ (حيث الإشارة إلى فتح ودان بعد فتح كور السودان) .

(١٦) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٢٢ - ٢٣ .

تلك التي قام بها مع عمرو . فكما حدث أن عمرا اتجه الى طرابلس لفتح الأقاليم الشمالية ، وسير عقبة نحو زويلة لفتح الأقاليم الجنوبية ، تذكر النصوص أن عقبة بن نافع قام بحملة كبرى في الصحراوات الجنوبية ، في قران وما وراءها من الواحات ، في سنة ٤٦هـ/٦٦٦ م في الوقت الذي كان معاوية بن حديج يفتح الأقاليم الشمالية في سوسة وبنزرت . ومع أن ابن عبد الحكم ومن نقل عنه مثل البكري (١٧) ، يجعلون بدء هذه الحملة بداية لولاية عقبة لأفريقية ومسيرة لبناء القيروان ، فإن الأقرب الى الصحة أن تكون حملة سنة ٤٦ هـ غير حملة سنة ٥٠ هـ التي بنيت فيها القيروان ، كما يتفق على هذا الحدث الأخير أهل الثقة من الكتاب (١٨) ، والحقيقة أن رواية ابن عبد الحكم كما نرى تشتمل على معلومات عن الحملتين جميعا ، وبناء على ذلك فلا داعي لتبسيطه تاريخ ابن عبد الحكم ومحاولة تصحيح سنة ٤٦ هـ/٦٦٦ م بسنة ٤٩ هـ/٦٦٩ م كما فعل مؤنس (١٩) ، فطبيعة حرب الثغور كانت تتطلب القيام بحملات سنوية هي المعروفة بالصوائف - كما سبقت الإشارة -

ولا عبرة بما يشير إليه الكتاب تعميما عندما يقولون إن الأمن والهدوء عم برقة وطرابلس وإن « السلام العربي » عم أفريقية إلى أيام هشام بن عبد الملك . فالاضطراب في مركز الخلافة كانت له آثاره في المغرب ، ولهذا السبب توالى الصوائف كما شهدنا في سنة ٤٠ هـ وسنة ٤١ هـ ، وسنة ٤٢ هـ ، وسنة ٤٣ هـ ثم حملة ابن حديج سنة ٤٥ هـ . وبناء على ذلك فليس هناك ما يدعو إلى عدم قبول قيام حملة عقبة بن نافع في الصحراوات الجنوبية في سنة ٤٦ هـ/٦٦٦ م كما يقول ابن عبد الحكم ، وذلك قبل توليته قيادة الحرب في أفريقية سنة ٥٠ هـ/٦٧٠ م ، وبناءه مدينة القيروان في تلك السنة (أو التي تليها) . وهذا الأمر الأخير هو الذي أخذ به ابن الأثير نقلا عن ثقات « أهل التاريخ من المغاربة » ، ونظن أنه يقصد إبراهيم بن القاسم المرقيق الذي ينقله ابن عذارى في بيانه (٢٠) : وهذا يعني إذن أنه في الوقت الذي كان معاوية بن حديج يعمل على فتح سواجل قابس وسوسة وبنزرت ،

(١٧) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٤ ، ١٩٦ ، البكري ، ص ١٢ ، ١٤ .
(١٨) تاريخ خليفة بن حياط ، ج ١ ص ١٩٧ ، ابن الأثير ، سنة ٥٠ ، ج ٣ ص ٢٢٤ .
ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠ (سنة ٥١ هـ) ، الاستقصا ، ج ١ ص ٦٩ .
(١٩) فتح العرب للمغرب ، ص ١٣٧ .
(٢٠) أمير ابن الأثير ، أحداث سنة ٥٠ هـ ، ج ٣ ص ٢٢٤ ، وفلان ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٩٩ .

كان عقبة بن نافع يجول في صحراوات طرابلس وأفريقية الجنوبية . يؤثب القبائل البائدة وينضعها بشكل ثابت لدولة العرب . ويعمل على إدخالها في الإسلام بصفة نهائية .

وكان عقبة على رأس سرية صغيرة . ولا عبرة هنا بما يقال من أن عقبة ترك جيشه واستخلف عليه عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البليوي (٢١) . فليس من المعقول أن يترك عقبة جيشه الكبير دون عمل مدة خمسة أشهر بينما يذهب هو - القائد الأعلى - في غزوة قرعية يمكن أن ينوب عنه فيها أحد قواده . والأقرب إلى الصحة أن يكون عقبة هو أمير هذه الغزوة الفرعية . أما استخلافه لعمر القرشي وزهير البليوي فكان على القيروان عندما قام بحملته الكبرى سنة ٦٢ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٢ كما سنرى فيما بعد (٢٢) .

وخرج عقبة من مضمداس من أرض سرت (٢٣) ومعه ٤٠٠ (أربعمائة) فارس ، وبصحبته قائدان من خيرة حرب الصحراء : هما : بسر بن أبي أرطاة (الذي سبق له غزو ودان أيام عمرو الأولى) ، وشريك بن سمي المرادي (٢٤) (الذي اشترك مع عقبة في غزو قبائل طرابلس فيما بين سنة ٤٠ هـ وسنة ٤٣ هـ) . واستعد عقبة لعبور الصحراء المقفرة فجهز ٤٠٠ (أربعمائة) بعير تحمل الأثقال و ٨٠٠ (ثمانمائة) قربة ماء (على كل بعير قربتان) . وخرجت الصائفة الصحراوية من مضمداس مختربة بلاد هواة (٢٥) في اتجاه ودان حيث يبلغ النفوذ العربي منتهاه . وأعلنت قبائل المنطقة خضوعها (٢٦) . ورغم ذلك فإن عقبة أخذ شيخ المدينة أو ملكها كما يقول

(٢١) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٤ .

(٢٢) يزيد ما ذهب إليه ما ينص عليه المالكي ج ١ ص ٢٢ (من استخلاف عقبة لسر القرشي وزهير البليوي أثناء حملته في المغرب الأقصى) انظر فيما بعد ص ١٩٥ .
(٢٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٤ . وقارن البكري ، ص ١٢ (يقول غدامس) وكذلك الاستبصار ص ١٤٧ (غدامس) .

(٢٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٤ . وقارن البكري ، ص ١٣ (حيث يسميه شريك ابن سحيم المرادي) . انظر مؤنس ، ص ١٣٥ (الذي يكتب لقبه المرادي) وفيما سبق ص ١٧٧ وهاض ١٣ (حيث يلقبه الكندي بالنطيفي وليس بالمرادي) .

(٢٥) انظر البكري ، ص ١٢ .

(٢٦) انظر ابن عبد الحكم ، ص ١٩٤ . البكري ، ص ١٢ (يقول النص هنا انه انضجها بينما يفهم من بقية ان اهلها لم يقاتلوا المسلمين لانه كان بينهم وبينهم عهد) . وقارن تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ١٩٠ (حيث يجعل فتح ودان هذا بعد غزو كور السواد سنة ٤٣ هـ) .

النص ، فجدع أذنه • وعندما احتج الرجل وذكر عقبة بأن هناك عهدا بينه وبين المسلمين (٢٧) ، أفهمه عقبة أن ذلك أدب له حتى لا يفكر في حرب العرب • وأخذ عقبة الضريبة المفروضة على ودان وهي ٣٦٠ (ثلاثمائة وستون) رأسا ، والمفهوم أنها كانت من العبيد ، خاصة وأن بلاد فزان تعتبر باب السودان من حيث يجلب الرقيق ، وهذا ما ستبينه نفس النصوص بعد ذلك مباشرة • وسأل عقبة عما وراء ودان من البلاد فدلله أهل المنطقة على مدينة جرمة (عاصمة الجرمنتين Garamantes القديمة ، وقاعدة فزان وقتئذ) ، فسار إليها ووصلها بعد مسير ثماني ليال • ونزل على بعد ستة أميال من المدينة ، ودعا أهلها إلى الإسلام فأجابوه ، وخرج زعيم المدينة (أو ملكها كما تقول الرواية) راكبا للقاء عقبة التي أرسل بعض فرسانه فأنزلوا الرجل من ظهر مطيته وأمشوه ، فما وصل الزعيم الجرمي الناعم إلى عقبة حتى كان يبصق الدم • وعندما احتج الرجل على تلك المعاملة العنيفة مع أنه أتى طائعا ، رد عليه عقبة مثل رده على زعيم ودان ، كما فرض على الجرمنين ضريبة ماثلة لما كان يدفعه أهل ودان أي ٣٦٠ (ثلاثمائة وستين) عبدا (٢٨) •

والظاهر أن المفاهيم والسمي بلقت من الكثرة درجة جعلت عقبة يوجهها إلى الشرق كما يقول ابن عبد الحكم (٢٩) ، وربما أرسلها إلى مركز قيادته في مغمداس أو إلى ابن حديج في إفريقية • وكان خضوع جرمة يعني خضوع جميع الواحات الحصينة (القصور) بالأقاليم فافتتحتها عقبة واحدة بعد الأخرى (٣٠) • وسأل عقبة عن الأقاليم الواقعة فيما وراء فزان فأخبره الأدلاء عن إقليم كوار ، وعاصمته خاوار (٣١) ، وهي مدينة صحراوية جيدة التحصين (قصر

(٢٧) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٤ (القراءة هنا : « وقد عاهدتني ») ، قارن البكري ، ص ١٣ (القراءة : « وقد عاهدني المسلمون » وهو ما أخذنا به رغم أن ابن عبد الحكم يريد الإشارة إلى فتوح عقبة الأولى في فزان •

(٢٨) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٥ ، وقارن البكري ، ص ١٣ (والنص هنا يقول عن الضريبة إنها ٣٦٠ عبدا وليس رأسا ، ولا بأس في ذلك إذا كان صلح عزوا مع أهل برقة سمح بأن • يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم • (أنظر فيما سبق ، ص ١٤٢) •

(٢٩) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٥ •

(٣٠) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٥ ، البكري ، ص ١٣ • وعن كلمة القصور مفردتها قصر (Castra) أي حصن ، أنظر شعيرة ، الصراع بين العرب والبيزنطيين (بالفرنسية) ، ص ٦٤ ، عبد المنعم منجد ، التاريخ السيلبي للدولة العربية ط ١٩٦٠ ، ج ٢ ص ٥٢ وحاشي ٧ •

(٣١) أخذنا بقراءة ابن عبد الحكم ، ص ١٩٥ ، قارن البكري ص ١٣ (حيث القراءة : حلوان) •

عظيم) ، على ظهر جبل في أول الصحراء الكبرى (المعازة) . وتطلبت الرحلة إليها ١٥ (خمس عشرة) ليلة ، وضرب عقبة الحصار على المدينة التي امتنعت عليه مدة شهر . وهنا رأى أن يقوم بجولة في الاقليم لاختصاع الواحات الأخرى فتم له ذلك . ووجد شيخ الاقليم (ملكه) في آخر قصر من القصور « وأدبه » بأن قطع أصبعه ، حتى يتذكر فلا يفكر في الخروج على طاعة العرب . وكذلك فرض على واحات كوار ضريبة قدرها ٣٦٠ (ثلاثمائة وستين) راسا . وعرف الأدلاء عقبة أنهم لا يعرفون بلادا أخرى بعد كوار الا خاوار ، فقرر عقبة أن يحتال في أخذها . ففي طريق العودة مر بالقصر الحصين دون أن يعرض له ، وسار مسافة ثلاثة أيام حتى أطمأن أهله وأقام عقبة وأصحابه بعض الوقت في موضع يسميه الكتاب « ماء الفرس » ، اذ يتسبب الى فرس عقبة اكتشاف صفاة ماء في هذا المكان ، وقت أن كانت السرية تعاني من الجهد والعطش (٣٢) . وبعد أن استراح الرجال ورويت الدواب ، قرر عقبة مفاجأة أهل خاوار بعد أن شغلوا بأعمالهم وتركوا الحذر ، فسار اليهم « من غير طريقه التي أقبل منها فلم يشعروا به حتى طرقتهم ليلا ، فوجدتهم مطمئنين قد أمنوا » . وفتحت المدينة عنوة ، وأنزل عقبة بالمدينة المتمردة عقوبة رادعة تجعلها مثالا لغيرها ، فقتل المقاتلة وسبى الزرازي والنساء ، وأخذ الأموال . وهكذا انتهت أول جولة كبرى في صحراوات جنوب طرابلس ، ورجع عقبة محملا بالمغانم والسبى الى قاعدته الأولى في مغمساس ، مارا بزويلة ، بعد خمسة أشهر (٣٣) . وكان من نتائج تلك الغزوة تثبيت سلطان العرب في الصحراء ، ونشر الاسلام بين قبائل البربر هناك .

وبعد أن استراح عقبة وأصحابه بعض الوقت في منطقة سرت حتى جمعت خيولهم وابلهم (٣٤) قام بحملة أخرى في جنوب البلاد التونسية (بلاد الجريد) . وعلى ذلك لم يتخذ الطريق الساحلى الرئيسى المعروف بـ « الطريق الأعظم » (٣٥) ، أو « الجادة » (٣٦) في مسيره غربا بل انحرف عنه جنوبا

(٣٢) عن ماء الفرس ، أنظر البكري ، ص ١٤ . الاستيصار ، ص ١٤٦ - ١٤٧ . ابن أسى دينار ، المؤسس ، ص ٢٧ (يسمى الموضع « عين الفرس » بدلا من « ماء الفرس » .
(٣٣) ابن عبدالحكم ، ص ١٩٥ (النص يقول هنا : حتى قدم على عسكره) ، البكري ، ص ١٢ .

(٣٤) ينسب ابن عبد الحكم (ص ١٩٦) ، ذلك الى الجيش الكبير الذى سبقوه عقبة فيما بعد . ص ٥٠ هـ . أما البكري (ص ١٤) فلا يشير الى ذلك .

(٣٥) ابن عبدالحكم ، ص ١٩٦ .

(٣٦) البكري ، ص ١٤ .

واخترق أرض مزاته . وأخضع كل واحاتها ثم أتجه نحو قفصة افتتحها
واتبع ذلك بكل المنطقة وهي بلاد قسطنطينية ثم انصرف إلى القيروان .

وفتح قفصة هذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن حملة عقبة هذه تعتبر قرعا
لحملة ابن حديج سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م . فالكتاب يشيرون إلى أن ابن حديج
سير سرية افتتحت قفصة وقسطنطينية ولا يذكران قائدها ، بينما ينصون على
أن ابن حديج كان قائما في معسكره في موضع القيروان وبيت السرايا . ولا
ينبغي أن نخدع هنا بكلمة « القيروان » وذلك أن معناها موضع المسكر مثلها
مثل كلمة « الفسطاط » ، فالكتاب عندما يتكلمون عن حملتي عبد الله بن
سعد ومعاوية بن حديج يذكران أنهما لم يتخسنا بأفريقية قيروانا (٣٧) ،
ولو أن بعضهم كما نرى يسمى معسكر ابن حديج بالقيروان . وعلى ذلك يكون
عقبة قد عاد إلى معاوية بن حديج في معسكره بجوار جبل القرن بالقرب من
موضع القيروان .

ونحن نرى أن عقبة عاد بعد ذلك إلى المشرق مع ابن حديج سنة ٤٧ هـ /
٦٦٧ م قبل أن يعهد إليه معاوية بن أبي سفيان بولاية أفريقية سنة ٥٥ هـ /
٦٧٠ م . ومن هنا جاء الخلط بين غزوة عقبة في سنة ٥٠ هـ وغزوة ابن
حديج فقال ابن عبد الحكم وخليفة بن خياط ومن نقل عنهما أن ابن حديج
غزا أفريقية في سنة ٥٠ هـ (٣٨) ، ولو أنهم لا يشيرون إلى تفصيلات ما عن
هذه الحملة . ومن هنا جاء الخلط أيضا بين عقبة بن عامر الجهني وعقبة بن
نافع ، فابن الأثير يقول في أحداث سنة ٤٩ هـ « وفيها كانت غزوة عقبة بن
نافع البحر فشتى بأهل مصر » (٣٩) ، والحقيقة أن المقصود بذلك هو عقبة بن
عامر الجهني الذي آلت إليه القيادة البحرية في مصر بعد أن عزله معاوية
بنسطة بن مكلد سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م وأمره بالفرار في البحر بأهل مصر (٤٠) ،
وهذا ما يقوله ابن الأثير نفسه في أحداث سنة ٤٨ هـ / ٦٦٨ م (٤١) .

(٣٧) انظر لينا سبق ، ص ١٦١ وهاش ١٥١ ، ص ١٦٨ و ١٨٩ ، ص ١٧٤ .

(٣٨) انظر فيما سبق ، ص ١٦٦ و ١٨٤ .

(٣٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ٩ ، ج ٤ ، ص ٢٣١ .

(٤٠) انظر الكندي ، ص ٣٨ ، الذي يقول أنه سار لغزو رودس وخرج من الإسكندرية .

(٤١) ابن الأثير ، أحداث سنة ٤٨ ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

٢ - ولاية عقبة وبناء القيروان :

ولقد حق لابن الأثير أن يأخذ بما ذكره المؤرخون المغاربة - « وهم أخير بيلادهم » كما يقول (ولو أنه لم يذكر أسماؤهم) - من أن ولاية عقبة بن نافع لأفريقية كانت في سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م . والظاهر أن معاوية بن أبي سفيان عرف للرجل جهاده وحسن بلائه بالمغرب في سبيل العروبة والإسلام . فكافأه بأن جعل له قيادة الجيش العربي الأفريقي بعد أن ظل قائدا مرؤسا لمدة طالت إلى أكثر من خمس وعشرين سنة . وتتركز أهمية ولاية عقبة هذه في الحملة التي قام بها في تلك السنة ، والتي انتهت بتأسيس عاصمة عربية جديدة لولاية أفريقية هي مدينة القيروان . وهذا ما أشار إليه كتاب المغاربة الذين نقل عنهم ابن عذارى ، وهو ما تنبه إليه ابن الأثير الذي جعل موضوع تلك الحملة هو بناء القيروان فقط وبيان أهمية هذا الحدث . فعندما استعمل معاوية في سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م عقبة بن نافع على أفريقية ، سير إليه عشرة آلاف فارس ، منهم ٢٥ (خمسة وعشرون) من الصحابة كما ذكر بعض المحدثين (٤٢) ، وسائرهم من التابعين كما تنص رواية ابن عذارى (٤٣) . وازدادت قوات عقبة بمن انضم إليها من البربر الذين دخلوا في الإسلام (٤٤) . وكان عقبة عسكريا عنيفا في سياسته كما رأينا من قبل . إذ يقول ابن الأثير انه وضع السيف في أهل البلاد ، لأنهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام فإذا عاد الأمير منهم نكثوا وارتد من أسلم منهم (٤٥) ، وهذا يعني أنه قام بجولة في البلاد التي سبق أن أخضعها من قبل . والحقيقة أنه يمكن القول انه قام في ذلك الوقت بإعادة إخضاع الجنوب التونسي عبر قنصة وقسطينية أي المنطقة التي كان قد فتحها عقب جولاته الكبرى في صحراوات فزان وودان (٤٦) .

والظاهر أن ظروف العرب كانت مواتية إذا اضطرت أحسوا بيزنطة بعد مقتل قسطنطين الثاني ، وأنشغال خليفته قسطنطين بوجونا (Pogona)

(٤٢) انظر أبو العرب ، طبقات علماء أفريقية ، ص ١٧ .

(٤٣) البيان المغرب ، ج ١ ص ٢٠ (١٨) ثمانية عشرة من الصحابة ، النويري ، المخطوط ، ص ٦٨ ب) .

(٤٤) النويري ، المخطوط ، ص ٦٨ ا .

(٤٥) ابن الأثير ، أحداث سنة ٥٠ هـ ، ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٤٦) انظر الصفحات السابقة و ص ١٧٨ .

بالصراع ضد أحد المتغلبين في صقلية ، مما دعا الى استدعاء معظم القوات البيزنطية الموجودة في المغرب . وربما يفسر ذلك فعلا عدم لقاء عقبة لمقاومة نذكر في حملته التأديبية هذه (٤٧) . وهكذا عندما وصل الى الموضع الذي كان معاوية بن حديج قد أقام فيه معسكره ، فكر في إقامة مدينة عربية تكون قاعدة أمامية للفتوح العربية في المغرب ، ومركزا لنشر العروبة والاسلام (٤٨) . وذلك جريا على السياسة التي ابتدأها العرب في المشرق عندما أنشأوا الكوفة والْبصرة في العراق ثم القسطنطية في مصر . واستشار عقبة أصحابه في بناء مدينة لهم حتى يستقر الأمر للعرب ولا يعود أهل البلاد الى العصيان . ولقيت الفكرة قبولا من العسكر بل أن مستشاري عقبة بلغوا في حماسهم الى درجة أنهم « اتفقوا على أن يكون أهلها مرابطين فيها ، وقالوا تقربها من البحر ليتم الجهاد والرباط » (٤٩) . ولم يوافق عقبة - رغم ما عرف عنه من الجرأة التي تبلغ حد التطرف - على هذه الفكرة المتهورة ، وبين لأصحابه خطورة الرباط على ساحل البحر خشية الروم . وأخيرا تم الاتفاق على أن تكون بعيدة عن الساحل خشية الأسطول البيزنطي ، وكذلك غير متوغلة في الداخل خشية البربر . واختير الموضع قريبا من السبخة حيث يمكن أن ترعى الأبل في أمان (٥٠) . وهكذا بنيت المدينة في موضع استراتيجي أولا وقبل كل شيء ، فكانت طبيعتها تختلف عن طبيعة غيرها من المدن . فوضعها العسكري الخاص في نهاية الطريق الممتد من مصر الى افريقية (٥١) جعل منها شبه مدينة اصطناعية . وهذا ما يفسر كيف أنها بعد أن عظمت وأصبحت كبرى مدن الغرب ، عادت الى وضعها الطبيعي (وضع سييطلة أو أجم) مدينة اقليمية ، بينما استعادت مدينة تونس (قرطاجنة الحديثة) مكانتها كعاصمة البلاد الافريقية .

وكان بناء المدينة موضوع كرامة عجيبة تنسب الى عقبة بن نافع . ويفهم من هذه القصة أنه كان بالموضع شعراء وشجر كثيف - وهذا أمر مقبول لمنطقة القيروان عرفت بغابات الزيتون الوحشي حتى قيل ان القيروانيين كانوا

(٤٧) أنظر جورج مارسيه ، ص ٣١ .

(٤٨) أنظر ابن عسار ، ج ١ ص ٢٢٤ (تراد أن يتخذ مدينة يكون بها صكر المسلمين

وأهلهم وأموالهم) .

(٤٩) الاستبصار ، ص ١١٣ والهامش ١ .

(٥٠) الاستبصار ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٥١) أنظر Despois, La Tunisie Orientale..., Paris, 1940, p. 165

يحتطبون الدهر من زيتونها فلا يتأثر (٥٢) - سكنته سباع الأرض من الحيوانات والحشرات والهوام . وعندما لفت أصحاب عقبة نظره الى خشيتهم من المقام في هذا الموضع الوحش ، دعا عقبة السباع والحشرات - باسم صحابة رسول الله - الى مفادرة المكان ، فحدثت المعجزة وخرجت السباع تحمل صفارها ، والذئب تحمل أجرامها ، والحيات تحمل أولادها (٥٣) . ولقد وجدنا في كتاب « فتوح افريقيه » المنسوب لنواقدي - رغم ما يحويه من أخطاء وأساطير - تفسيراً منطقياً لتلك الكرامة نعتقد أنه أصلها التاريخي : فعقبه قبل أن يبدأ البناء رأى أن ينظف المكان مما فيه من الأشجار والأشواك فأطلق فيه النار (٥٤) . وهذا ما يحدث إلى اليوم عندما يراد تنظيف مكان مما فيه من الحشائش والأشواك حتى لا تعود الى الانبات مرة أخرى ، وذلك أسهل وأكثر جدوى مما تقول به الروايات الأخرى من أنه قطع الأشجار (٥٥) وكان من الطبيعي أن تفرغ الحيوانات والحشرات هاربة من الموضع ، وذلك ما يشاهد إلى الآن عندما تشتعل النار في غابة من الغابات أو إحدى القرى ، وكثيراً ما تصيب النار بعض هذه الحيوانات أو الطيور فتنتقل لتزيد من رقعة الحريق (٥٦) .

(٥٢) البكري ، ص ٢٦ .

(٥٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٦ - ١٩٧ ، الطبري ، أحداث سنة ٥٠ ، البلاذري ، ص ٢٢٨ ، ابن الأثير ، سنة ٥٠ ج ٣ ص ٢٢٤ ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ١٩٥ .
(٥٤) فتوح افريقية ، طبعة تونس ، ص ١٢ ، وأنظر لسؤلف ، مجلة كلية الآداب - اسكندرية ١٩٦٣ ، فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية ، ص ١٩ - ٢٠ ، وقارن ابن الأثير ، أسد الغابة ، طبعة ١٢٨٦ ، ج ٣ ص ٤٢١ (فأسر بقطع تلك الأشجار واحراقها) ، وأنظر الرحلة الورديلية ، تصحيح محمد بن أبي شبيب ، ط ٢ سنة ١٩٧٤ ، ص ٩٤ .

(٥٥) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٤ .

(٥٦) قارن حسين مؤنس الذي يأخذ برواية المالكى (ج ١ ص ٢١) والنويرى (ص ٦٩ ب) التي تقول انه كان في الموضع كنيسة أو قصر حرب قديم (قمونية) فيظن أن هذا القصر كان مسكوناً بالحيوانات الوحشية التي فرغت عندما سمعت صوت جنبة الجيش (فتح العرب للمغرب ، ص ١٤٢) . ولقد كان من الطبيعي أن تعظم الأسطورة مع مرور الوقت ، فبعد أن ظهرت قصيدة كفا في الطبري (أحداث سنة ٥٠) ازدادت بسفة خاصة في تراجم العباد الزهاد (أبو العرب ، ص ٨ ، المالكى ، ٧ ، ٢٠) وظهرت لها ذيول أو حوامش : فلقد قيل أن قبيلة من البربر شاهدت تلك الكرامة فسئل في الاسلام (ابن الأثير ، أحداث سنة ٥٠ ، ج ٣ ص ٢٣٤) . وقيل أن موضع القبروان ظل خالياً من الحشرات والهوام مدة أربعين سنة حتى كان السبع أو الضرب يطلب يألف دينار فلا يوجد (ابن عبد الحكم - ص ١٩٦ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠) .

وحسب الطريقة التي أصبحت تقليدية في بناء المدن العربية ، منذ بناء الكوفة والبصرة والفسطاط ، بدء ببناء المسجد الجامع ودار الامارة ثم قسمت الأرض المحيطة بهما على القبائل والناس لبناء الدور والمساكن ، وكذلك المساجد الخاصة . والظاهر أن موضوع المدينة ودار الامارة والمسجد وأي منها بنى قبل الآخر كان محل جدل بين الكتاب . فابن عذارى ينص على أن دار الامارة بنيت أولا (٥٧) . بينما يفهم من ابن الأثير أن المدينة بنيت قبل المسجد الجامع (٥٨) . ومع أنه من الجائز أن يكون المقصود هو نزول عقبة في الموضع الذي بنى فيه دار الامارة وكذلك نزول القبائل والناس في الأماكن التي اتخذوها لأنفسهم قبل بدء بناء الجامع ، فإنه من المعقول أن يكون البدء في بناء دار الامارة قد سبق بناء المسجد . فالبكري يقول إن اختيار اتجاه القبلة كان موضع جدل بين الناس ، وأن هذا الأمر أهم عقبة بعض الوقت وأخيرا ألهم اختيار مكان المحراب بكرامة أكرمه الله بها ، وذلك عندما سمع في منامه هاتفا يقول له انه سوف يسمع تكبيرا في الموضع الصحيح للقبلة فلما سمع التكبير وضع رمحه في المكان (٥٩) .

ورغم أنه يقلب على الظن أن هذه القصة مصطنعة إذ يقول ابن عبد الحكم أن عقبة ركز رمحه لتحديد موضع المدينة وليس لتحديد موضع القبلة (٦٠) فربما كان أمر اختيار عقبة نفسه لموضع القبلة - دون أن يحدده العارفون بشئون الفلك - صحيحا ، إذ يلاحظ أن موضع القبلة في مسجد القيروان ، وهي نفس قبلة عقبة ، ينحرف قليلا عن الموضع الصحيح (٦١) .

وتختلف الروايات في تقدير مساحة المدينة . فيقول ابن الأثير أن دورها (أي محيطها) كان ٣٦٠٠ (ثلاثة آلاف وستمائة) باع (٦٢) بينما يقول ابن عذارى ان دورها بلغ ١٣٦٠٠ (ثلاثة عشر ألفا وستمائة) ذراع (٦٣) . والمساحة الأولى التي تقدر بحوالى ٥٨٠٠ متر معقولة بالنسبة لحطة المدينة

(٥٧) البيان المغرب . ج ١ ص ٢٠ .

(٥٨) ابن الأثير ، أحداث سنة ٥٠ ج ٣ ص ٢٢٤ .

(٥٩) أنظر البكري ، ص ٢٢ ، الاستبصار ، ص ١١٤ .

(٦٠) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٦ .

(٦١) أنظر أحمد فكري ، المسجد الجامع بالقيروان ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٦٢) ابن الأثير ، سنة ٥٠ ج ٣ ص ٢٢٤ (والنويرى ، المخطوط ، ص ٦٩ ب) .

(٦٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠ .

الأولى واقامة الأسوار ووسائل الدفاع - أي بالنسبة للمدينة العسكرية .
أما المسافة الثانية التي تقدر بحوالي ٧٠٠٠ متر فهي معقولة بالنسبة لمساكن
العسكر والقبائل ومن انضاف اليهم من أهل البلاد . وعلى ذلك يمكن القول
ان المدينة العسكرية الأصلية المسورة - حيث للمسجد الجامع ودار الإمارة
والدخائر - كان محيطها ٣٦٠٠ باع بينما انتشرت حولها مساكن القبائل
والمساجد الخاصة بها في محيط بلغ ١٣٦٠٠ ذراع . وهذا ليس
بغريب : ففي الوقت الذي استقر العرب مع عمرو في القسطنطينة (سنة ٦٢١هـ /
٦٤٠ م) اتخذت بعض القبائل مقرا لها بعيدا عنه في موضع الجزيرة عبر
النيل (٦٤) . وهذا لا يمنع من أن تكون القبائل قد اتخذت أسوارا هي الأخرى
في مواضعها حول المدينة ، وهذا يذكرنا بما حدث في بغداد فيما بعد عندما
بنى حولها سواران ، الأمر الذي سيصبح تقليديا في تحصين المدينة العربية
اذ سيكون السور الداخلي بقوته وارتفاعه هو السور الحقيقي ، بينما سيطلق
على السور الخارجي وهو أضعف وأقل ارتفاعا اسم « الستارة » (٦٥) .

وبطبيعة الحال لم يتم بناء المدينة بهذا الشكل دفعة واحدة اذ كمل البناء
في أربع سنوات ، وذلك في سنة ٥٥ هـ (٦٦) ، وكانت المدينة تعمر وتتسع
شيئا فشيئا خلال تلك الفترة . ولم يوجه عقبة خلال ذلك الوقت كل نشاطه
للبناء اذ كان يوجه السرايا توطد سلطان العرب في البلاد ، وتأتي بالمغانم
والأسلاب . وكان بناء المدينة في ذاته حدثا هاما في تاريخ الفتح العربي
للمغرب . هذا ما فهمه بحق ابن الأثير وأصر عليه فقال : « ودخل كثير من
البربر في الاسلام ، واتسعت خطة المسلمين ، وقوى جنان من هناك من
الجنود بمدينة القيروان ، وأمنوا واطمأنوا على المقام ، فثبتت الاسلام بهاء » (٦٧) .
وفي الوقت الذي أتم عقبة بناء القيروان أتى الأمر بعزله ، فكان جزءا غربيا
بعد قيام الرجل بهذا الصل الكبير في خدمة الخلافة والاسلام ، وسنرى
أمثلة لمثل ذلك فيما بعد عندما تقابل الخلافة خدمات كبار رجال الحرب
والإدارة بما يمكن أن يبدو أنكارا للجميل .

(٦٤) انظر ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ص ١٢٨ .

(٦٥) انظر الجبري ، ص ٢٤٠ (حيث يقول عن تحصينات مدينة طرابلس .) وبحيف

بهذا السور الآن تفصيل آخر انصر منه على المادة في ذلك يسمونه السنارة

(٦٦) هذا ما يقوله ابن الأثير (سنة ٥٠ ج ٣ ص ٢٢٤) . وهو ما يفهم من سياق كلام

ابن عذاري الذي يحدد ذلك قصة عن افريقية في تلك السنة (ج ١ ص ٢١) . وهذا ما يتقنه

التويري ، المخطوط . ص ٦٩ ب .

(٦٧) ابن الأثير أحداث سنة ٥٠ ج ٣ ص ٢٢٥ .

٣ - « أبو المهاجر » وعزل عقبة بن نافع (٥٥ - ٦٢ هـ / ٦٧٤ - ٦٨١ م) :

عزل عقبة عن ولاية افريقية في ظروف لا يبيتها الكتاب بوضوح ، ولكنهم يربطون بينها وبين ولاية مسلمة بن مخلد لمصر . فيقولون ان معاوية ابن ابي سفيان استعمل مسلمة ، وجعل له مصر وافريقية فكان « مسلمة أول من جمعت له مصر والمغرب » (٦٨) . والذي يفهم من هذا النص أن الخليفة جعل لوالي مصر مسلمة حرية التصرف في أمور افريقية بعد أن كان الخليفة يتدخل مباشرة في شئون الفتوح في المغرب . ولكنه يبقى بعد ذلك أن نعرف متى آل هذا الحق إلى مسلمة : عند توليه مصر مباشرة أم في الوقت الذي تم فيه عزل عقبة ؟ وذلك أن مؤرخي المغرب ربطوا بين ولاية مسلمة مصر وافريقية وبين عزل عقبة ، فهم لا يتكلمون عن ولاية الأول الا عندما يتكلمون عن عزل الثاني . ولما كانت ولاية مسلمة لمصر تبدأ من سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م (٦٩) ، فاننا نعتقد أن جعل ولاية افريقية لمسلمة كانت قبيل سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ - ٦٧٥ م وهو التاريخ الذي تحده الرواية المغربية التي أخذنا بها لعزل عقبة (٧٠) . ويمكن أن يفسر عزل عقبة بسبب السياسة العتيفة التي كان يتبعها في المغرب ، والتي لم يكن مسلمة ليرضى عنها ، والدليل على ذلك أن والي المغرب الجديد من قبل مسلمة سار على سياسة مغايرة لها تماما . والى جانب الاختلاف في السياسة العامة نظن أنه كانت هناك مسائل شخصية بين مسلمة وعقبة - ربما بسبب التنافس بين كل من الرجلين اللذين كانا من كبار رجال الدولة - إذ تنص الروايات على أن عقبة عزل أسوأ العزل ، وأنه أمين وحيس ، وأن الأمر تطلب تدخل الخليفة لخروجه من المحنة .

أما الوالي الجديد فمشهور عند الكتاب بكنيته وهي « أبو المهاجر » أكثر من اسمه وهو دينار . أما عن ما ضيه فلا نعرف الا أنه كان مولى لمسلمة بن مخلد ، وأنه كان شديد القرب من مسلمة الذي كان يقول : « أبو المهاجر كواحد

(٦٨) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٥٠ ج ٣ ، ص ٢٢٥ (يقول مصر وافريقية ، النويري ص ٦٩ ب) ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٦ (ويقول مصر وافريقية) .
(٦٩) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ ، الكندي الولاية والقضاء ، ص ٣٨ .
(٧٠) أنظر فيما سبق هامش ٦٦ ص ١٨٧ ، وقارن المالكي الذي يجعل ذلك في سنة ٥٧ هـ - رواية المالكي هنا مضطربة أشد الاضطراب (ج ١ ص ١٩ ، وقارن تعليق مؤنس في الهامش ص ١٤٩) .

منا ، أى كواحد من أهل بيته . ويفهم من نص ابن عذارى أن مسلمة أراد أن يكافئ مولاة أبا المهاجر على إخلاصه له وحسن تفانيه في خدمته ، فعهد إليه بولاية إفريقية (٧١) أى جعله نائبا له فى المغرب ، فانضاف سبب شخصى آخر لعزل عقبة - وكان ذلك التعيين فاتحة لاستخدام المسوالى فى الوظائف الكبرى فى الدولة العربية ، وهو الأمر الذى توسع فيه العباسيون فيما بعد حتى أصبح سمة من سمات عصرهم . ورغم أن النصوص تجمع على أن أبا المهاجر أساء عزل عقبة إلا أنها أنفت أن تلقى بمسئولية اهانة عقبة - الذى يضعه الكتاب فى مرتبة الأولياء - على أحد زعماء العرب مثل مسلمة فنقوا التهمة المشينة عنه ، والقوا بكل عبثها على المولى : فمسلمة «أوصى مولاة بعزل عقبة أحسن العزل» و «أساء أبو المهاجر عزل عقبة وأوقره حديدا» ، بمعنى أنه اعتقله ، وذلك قبل أن يأمر الخليفة بتخلية سبيله وأسمخاصه إليه (٧٢) وكان من الطبيعى - فى نظر الرواة - أن يعتذر مسلمة فى مصر عما بدر من مولاة فى حق عقبة ، وكذلك الخليفة فى دمشق (٧٣) .

ومع أن ولاية أبى المهاجر للمغرب طالت الى ما يقرب من ٧ (سبع) سنوات (٥٥-٦٢ هـ) الى حين عودة عقبة الى المغرب مرة ثانية ، فإن الرواة يصرّون بأعماله الانشائية مرا سريعا ولا يصرّون الا على ما فعله بعقبة . وربما كان مرجع ذلك الى الفهرين من أقارب عقبة الذى كان لهم مركز ممتاز فى مصر والمغرب والأندلس ، وكان منهم رواة واخباريون ، وذلك رغم أن بنى أبى المهاجر كان لهم مركزهم فى المغرب وكان منهم اخباريون أيضا . ولكنهم لا يرقون الى مرتبة الفهرين .

والرواة لا يذكرون تفصيلات ما عن خروج أبى المهاجر من مصر أو القوات التى صاحبها معه أو الطريق الذى سار فيه ، وليس لدينا الا ما يمكن استخراجه من رواية المالكى التى تكون مزيجا من المعلومات غير المنسجمة منها الصحيح ومنها الخطأ ، ففيها أن أبا المهاجر خرج من مصر فى سنة ٥٥ هـ / ٤ - ٦٧٥ م

(٧١) أنظر ابن عذارى . ج ١ ص ٢١ ، ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ . ابن الأثير ، أحداث سنة ٥٠ ج ٣ ص ٢٣٥ .

(٧٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ٥٠ ج ٣ ص ٢٣٥ ، ابن عذارى ،

ج ١ ص ٢٢ .

(٧٣) نفس المصدر (ويقول الرواة أيضا ان معاوية وعد عقبة بإعادته الى عمله) .

يجيوش أهل الشام ومصر (٧٤) . وعندما وصل إلى أرض إفريقية لم يكتف بما فعله بعقبة من سوء العزل والاستخفاف بل أنه « كره النزول في القيروان عقبة » . ولو أنه نزل في نفس الموضع على بعد ميلين من القيروان ، حيث ابتنى ونزل بالقرب من قرية بربرية تعرف بـ « دكرور » (٧٥) . وهذا يعبر عن تفكير أبي المهاجر في المزج والتقريب بين العرب والبربر ، وهو الأساس الذي انبنت عليه سياسته . ويذكر الكتاب لأبي المهاجر أنه أول من طبق سياسة الاستقرار الدائم للعرب في إفريقية : فيقول ابن عبدالحكم أن « أول من أقام بعد الغزو بإفريقية أبو المهاجر ، الذي أقام بها الشتاء والصيف » (٧٦) . بينما الحقيقة أن هذا الفضل يرجع إلى عقبة (٧٧) . ويمكن أن يفهم من رواية المالكي ورواية ابن خياط أن أبا المهاجر بدأ نشاطه العسكري جدياً في سنة ٥٩ هـ / ٦٧٩ م ، فأخذ يوجه السرايا نحو الأقاليم التي لم تكن قد افتتحت من إفريقية في اتجاه قرطاجنة وفحص تونس ، وأنه فتح « الجزيرة » - أي جزيرة شريك أو باشو - ووزع الغنائم على العساكر ، وبعث بالخمسة إلى مصر (٨٧) . وسار أبو المهاجر على سياسته المخالفة لسياسة عقبة العسكرية الصارمة فعمل على اكتساب البربر باللين والمدارة ، وهو ما يسميه الدكتور

(٧٤) المالكي . رياض النعوس . ج ١ ص ٢٠ . أما عن رواية خليفة بن خياط (ج ١ ص ٢١١) التي تنص على أن أبا المهاجر كان في الحملة التي بعث بها وإلى مصر مسلحة بقيادة خالد بن ثابت العمري لغزو المغرب . وأن مسلحة أمر خالد بن ثابت أن يستخلف أبا المهاجر ديناراً من الأضار . فتصرف « وختف أبا المهاجر » فلا يمكن التمويل عليها وذلك أن ابن خياط يخلف بعد ذلك في ترتيب الأحداث يجعل حسان بن النعمان في المغرب في سنة ٥٧ هـ . في الوقت الذي يتحدث عن غزوات مالك الأبرج ثم لأبي المهاجر في إفريقية والمغرب الأوسط في السنتين التاليتين ٥٨ هـ . ٥٩ هـ . وهذا لا يمنع بطبيعة الحال من الاستفادة من المعلومات التفصيلية للأحداث . وهو الأمر الذي لا يتعارض في بعض الأحيان مع الخطأ في الترتيب العلم .

(٧٥) ابن عبد الحكم . ص ١٩٧ . ابن عذاري . ج ١ ص ٢٢ (تقول الروايات أن أبا المهاجر نزل بموضع للبربر يعرف بدكرور أو تكورور . وأن البربر كانوا يسمون المسكر العربي الجديد تيكوروان ما دعا البعض إلى التفكير في أن تكون كلمة القيروان تعرباً لكلمة بربرية الأصل ، وهذا ما لم يثبت : . أنظر المالكي . ج ١ ص ٢٠ . ومناقشة مؤس لهذه المسألة . فتح الحرب . ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٧٦) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ .

(٧٧) ينبغي أن نلاحظ هنا أن الذي دعا ابن عبد الحكم إلى القول بأن أبا المهاجر كان أول من أقام بإفريقية هو أنه يجعل عرب عقبة في سنة ٥٩ هـ أي بعد ما قام القيروان أو بعد تخطيطها على وجه أصح .

(٧٨) أنظر المالكي . ج ١ ص ٢٠ . وقارن ربيع خليفة بن خياط . ج ١ ص ٢١٥ (حيث =

شعبية ، بسياسة الحلف (٧٩) . فلقد واصل أبو المهاجر أعماله الحسرية
النشطة في اتجاه المغرب الأوسط فوصل الى موضع عرف بعيون أبي المهاجر ،
وتم له فتح ميعة (٨٠) ، وانتهى به المطاف الى أبواب تلمسان حيث هزم بربر
أوربة ، وهم فرع من البرانس ، ومعهم زعيمهم كسييلة - السدي يقال انه
كان نصرانيا - ولكنه صالح الزعيم الأوربي واكتسبه الى الاسلام واتخذه
خليفا (٨١) ، وعاد به الى القيروان في سنة ٦١ هـ / ٨٦٠ م (٨٢) .

وتعتبر رواية المالكي عن سياسة المدارة اتبعتها أبو المهاجر بشكل عام
فتقول انه لم يصلح البربر فقط بل وكذلك عجم افريقية (٨٣) ولا بأس أن
يكون المقصود بالعجم هنا : الروم أو الجماعات الموالية لهم ، مثل الأفارقة .
ولا شك أن سياسة أبي المهاجر هذه عملت على ازدياد نطاق الاسلام في
المغرب ، فدخول زعماء البربر في الاسلام يعني دخول قبائلهم هي الأخرى
في الدعوة العربية بالتبعية . وهكذا أقام أبو المهاجر في القيروان يوطد أركان
الاسلام في المغرب الى وفاة معاوية وخلافة ابنه يزيد الذي أعاد عقبة من
جديد الى ولاية المغرب .

٤ - ولاية عقبة الثانية وفتح المغرب الأقصى (٦٢ - ٦٤ هـ / ٦٨١ -

٦٨٤ م) :

خرج عقبة بعد عزله عن افريقية في سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ - ٦٧٥ م نحو
المشرق وسار الى دمشق حيث عاتب معاوية ، والظاهر أنه أقام في دمشق

= النص على أن فتح الجزيرة تم صلحا بعد قتال شديد كثر فيه القتل والجراح) . وعن جزيرة
ياشو وهي شبه الجزيرة الواقعة ما بين تونس شمالا وسوسة جنوبا ، انظر التجاني ، ص
١١ - ١٣ .

(٧٩) انظر محمد عبد الهادي شعيرة ، المالك الجليفة ، مجلة كلية آداب اسكندرية ،
سنة ١٩٤٨ ، ص ٢٤ ، ٢٧ ، (وموضوعها تطبيق سياسة الحلف هذه مع قبائل الترك ، وكان
الدكتور شعيرة قد عرض نظرية الحلف في رسالته للدكتوراه ، في موضوع : الصراع بين
العرب والبيزنطيين (بالفرنسية ، ط - الاسكندرية ، ١٩٤٦) .

(٨٠) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٢١٥ .

(٨١) انظر ابن عسار ، ج ١ ص ٢٨ - ٢٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٨ ، تاريخ خليفة

ابن خياط ، ج ١ ص ٢٤٥ (كسييلة كان نصرانيا) .

(٨٢) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٢١٥ . (حيث النص على أن تلك النزاة الموضوعية

في أحداث سنة ٥٩ هـ استمرت نحو من سنتين) .

(٨٣) المالكي ، رياض النفوس ، ج ١ ص ٢١ .

"نظائرا لما وعد به الخليفة - حسب سياسة الإدارة التي كان يتبعها معاوية إذا عماله عندما كان يعزلهم برفق ويعدهم خير الوعود - وإذا صح ذلك يكون عقبية قد أقام في الشام حوالي خمس أو ست سنوات (وليس عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة كما تعني الرواية التي تحدد عزله بسنة ٥١ هـ) إلى أن توفي معاوية وخلفه ابنه يزيد - ورغم أن مسلمة بن مخلد ظل واليا على مصر إلى أن توفي سنة ٦٢ هـ / ٦٨٢ م ، فإن علاقة يزيد بمسلمة لم تكن تصل إلى حال إلى قوة العلاقة بين معاوية ومسلمة (٨٤) - وعلى ذلك استجاب يزيد لشكوى عقبية وسمح لنفسه باسترجاع المقرب من والي مصر ومولاه ، وأعاد عقبية إلى عمله (٨٥) - ويحدد الكتاب ولاية عقبية الثانية بسنة ٦٢ هـ / ٦٨١ - ٦٨٢ م ، وهي نفس السنة التي يجعلون فيها وفاته -

ولما كان عقبية قد قام بأعمال كبيرة لا يمكن أن تكون قد نمت في سنة واحدة ، كما سنرى ، فالأقرب إلى الصحة أن يكون عقبية قد استعاد ولايته عقب وفاة معاوية مباشرة وربما حدث ذلك في سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ - ٦٨١ م . وتصر الروايات جميعا على أن عقبية كان متعجلا في الرجوع إلى ولايته ، ويفهم أنه كان يتحرق شوقا للأخذ بشأره والانتقال من أبي المهاجر (٨٦) - فقد خرج عقبية من الشام في بعض قوات الخلافة ، ويقول ابن عذارى أنه كان بصحبته ٢٥ (خمسة وعشرون) رجلا من الصحابة ، ومر سريعا بمصر حيث اعتذر إليه مسلمة مرة أخرى (٨٧) - وعندما وصل إلى إفريقية كان

(٨٤) مصر ابن عذارى - ج ١ ص ٢٢ - وعن وفاة مسلمة في شهر رجب مارس سنة ٤٠ هـ .

(٨٥) ابن عبد الحكم - ص ١٨٩ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ٥٠ هـ ج ٣ ص ٢٣٥ وأحداث سنة ٦٢ هـ ج ٤ ص ٥٣ (وابن الأثير يسوق هنا رواية يفهم منها أن عقبية لم يشك إلى معاوية أمر عزله بل فعل ذلك عندما رأى يزيد ، وهذا يجعلنا نظن أنه ربما كان لعقبية نشاطه في أمور المشرق بعد العهد ليزيد التي أثار كثيرا من زعماء العرب وخاصة أبناء المهاجرين والأصهار حتى أنه كان ليزيد - سكن أن يشبه بالحرب الذي يؤيده ويعاونه - وأنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣ -

(٨٦) نفس المصادر (تقول بعض الروايات أنه بعد أن عزل عقبية دعا على أبي المهاجر التي ظل خائفا منه نادما على ما فعله به - ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢) -

(٨٧) ابن عذارى، ج ١ ص ٢٣ ، وأنظر الرقيق ، تاريخ إفريقية والحرب ، ص ٣٩ - ٤٠ - وتقول رواية المدلى (ج ١ ص ٢٢) أنه ضم إفريقية بعشرة آلاف فارس ، وبعثه أن المقصود بذلك هو الجيش الذي قاده عقبية في حملته الكبرى الآتية ، ولا شك في أنه الجيش الإفريقي الذي كان مرابطا بالشام إذ ليس من المعقول أن يأتي الولد الجديد بجيش كامل والا كان معنى ذلك عودة الولاة القديم بكل قوات الدولة التي كانت تحت قيادته -

أول ما فعله هو القبض على أبي المهاجر وتوثيقه في الحديد ، وأخذ ما كان لديه من الأموال (٨٨) ، ثم أمر بتخريب مدينته دكرور . وجدد ما كان قد خرب من عمارة القيروان ، ورد الناس إليها (٨٩) . وهكذا أكد عقبة استقرار القاعدة العربية الأولى في إفريقية واستمرارها ، وبدأ منها حملة كبرى . تختلف عن كل الحملات السابقة ، إذ أنه ساج في كل صحراوات المغربين إلى أن انتهى به الأمر إلى سواحل السوس الأقصى .

وحملة عقبة هذه نجدها سريعة مقتضية عند الكتاب الأوائل مثل ابن خياط أو ابن عبد الحكم والبلاذري وفيما ينقلونه من روايات الواقدي (٩٠) ، ولكنها تزداد في مداها وتفصيلاتها عند المتأخرين مثل ابن عذاري ، مما جعل هذه الحملة موضع جدل بين الباحثين حتى قال روبرت برونشفيج : « إذا كان من الممكن أن ننظر إلى حملة عقبة بن نافع على أنها حقيقة تاريخية ، فإن سلامة الحس تحذونا إلى أن تقصرها على (بلاد) الجزائر الوسطى ، وربما جاز أن نقول أنها بلغت - على أكثر تقدير - منطقة وهران الحالية ووادي سلف حتى يعترض على ما بدحض ذلك الفرض (٩١) ، » . والحقيقة أن هذا الرأي يستشف كما قلنا ، من الروايات القديمة المقتضية عن حملة عقبة كما نجدها في ابن عبد الحكم والبلاذري ولكن التفصيلات الدقيقة التي توجد في البكري ، وكذلك في نص ابن عذاري الذي نشره بروفنسال وكولان وكذلك في النص الجديد الذي نشره بروفنسال ، تدعو - كما يقول هذا الأخير - إلى إعادة النظر في هذا الرأي فهي رغم تأخرها نسبيا (من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجري) تمثل الرواية الأندلسية المغربية والرواية

(٨٨) انظر المالكي (ج ١ ص ٢٢ ، الذي يقول إن المال الذي أخذه عقبة من أبي المهاجر بلغ ١٠ ألف دينار ، وقارن الرقيق ، ص ٤٠) (حيث لا يجد الإشارة إلى المال) .
(٨٩) انظر ابن عذاري ج ١ ص ٢٣ (الذي يفسر ازدهار القيروان كاهم مركز عنى إسلامي في المغرب بفضل دعاء عقبة لها إذ قال : « رب أملاها علما وفقها » . وأملاها بالمعنيين لك ... ») .
وقارن الرقيق ، ص ٤٠ (حسب وجد الدعاء الذي ربما نقله ابن عذاري عنه) .
(٩٠) انظر تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٢٤٥ . ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ ، البلاذري ، ط ١٨٦٦ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٣ . ابن عذاري ج ١ ص ٢٣ - ٢٠ (ونلاحظ هنا أن الطبعة الأخيرة التي قام بها كولان وليفى بروفنسال سلت الثغرة الخاصة بحملته في ثغرة دوزي) .
(٩١) انظر ليفى بروفنسال ، ص جديد عن فتح المغرب للمغرب ، صحيفة العهد المصري بمدييد ، ١٥٥ ، ص ١٩٧ .

الإفريقية عن فتح العرب للمغرب (٩٢) . ويؤيد بروفنسال رأيه هذا بقوله :
« ومن المؤكد أنه في بيئة محافظة مغلقة كاليئة البربرية في جنوبي مراكش -
حيث لا زالت ذكريات دعوة محمد بن تومرت وحركة الموحدين حية يتناقضها
الناس - ألا تتلاشى ذكريات حلقات الفتح الإسلامي لهذه النواحي حتى زمن
ابن عذاري ٠٠٠ » (٩٣) . وهكذا لا نستطيع إلا أن نقبل حملة عقبة بن نافع
في المغرب الأقصى على أنها حقيقة تاريخية . وأما ما يحيط بها في بعض
الأحيان من المبالغات أو الأساطير فهو أمر طبيعي له مغزاه وتفسيره ، كما رأينا
في فتوح الأجزاء الشرفية من المغرب . والحقيقة أن سلامة الحس تتطلب
أيضا أن يكون العرب قد بدأوا التعرف على أقاليم المغرب الأقصى بعد أربعين
سنة من بداية تعرفهم على أقاليمه الدنيا : فبدون ذلك لا يمكن أن نفسر
كيفية استقرار سلطان العرب في المغرب الأقصى بعد أقل من ثلاثين سنة ،
ودخل البربر في تلك الجهات في الإسلام وفي الجيش العربي ، ومشاركتهم
في الفتوح واحتلالهم لمراكز قيادية كما حدث في فتح الأندلس .

اجتياح المغرب الأوسط :

أعد عقبة العدة لحملة ، والمفهوم أنه جهز ١٠ (عشرة) آلاف فارس (٩٤) ،
وقرر أن يترك في القيروان بعض قواته التي تقدر بحوالي ٦ (ستة) آلاف
رجل (٩٥) ، على رأسهم قائدان هما عمر بن علي القرشي ، وزهير بن قيس
البلوي (٩٦) . والظاهر أن عمر بن علي القرشي الذي ذكر ابن عبد الحكم
اسمه هنا أولا كان القائد الأول ، وأن زهير كان قائدا ثانياً - على عكس ما يأخذ
به جمهرة الكتاب من أن قيادة عسكر القيروان كانت لزهير الذي استخلفه
عقبة (٩٧) . وكان على تلك القوة التي بقيت في القيروان أن تدافع عن المدينة ،
وأن تحمي ما بها من الذراري والأموال . وقبل الخروج من القيروان جمع
عقبة الناس ، كما أحضر أولاده وخطب فيهم مبينا لهم هدف الحملة ، وهو
طلب الاستشهاد في سبيل الله ، كما أوصاهم وصية يذكر المالكى أنها

(٩٢) نفس المصدر ، ص ١٩٧ - ٢٠٠ .

(٩٣) نفس المصدر ، ص ٢٠٠ .

(٩٤) المالكى ، ج ١ ص ٢٢ (النص يقول هنا ان عقبة أتى الى الريفية على رأس هذا

الجيش ، وانظر ص ٧٩ هامش ٣) .

(٩٥) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ .

(٩٦) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ ، المالكى ، ج ١ ص ٢٢ .

(٩٧) قارن خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٢٤٤ ، ابن الأثير ، سنة ٦٢ هـ ، ص ٥٣ .

ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣ .

شملت على ثلاث خصال : انتهى عن الاهتمام بالشعر على حساب حفظ القرآن ، وترك الاستدانة ، ثم الزهد في أخذ العلم عن المغرورين (٩٨) .
وودع عقبه أولاده وأهل القيروان وداعا مؤثرا ، فقال « أراكم لا ترونني بعد يومكم هذا (٩٩) » ، وخرج محتسبا . واتخذ عقبه الطريق الصحراوي الذي يخترق المغرب الأوسط في اتجاه تاهرت والسوس الأدنى (سوس طنجة) والكتاب - كما قلنا - لا يتفقون على مراحل تلك الغزوة ، فابن عبد الحكم والبلاذري يقولان باختصار ان عقبه سار إلى السوس وجول في بلادهم .
أما الروايات المفصلة التي يقدمها المالكي وابن عذارى ، والتي ترجع أصلا إلى الرقيق ، كما نظن ، فإنها ليست منسجمة الترتيب . رواية المالكي واضحة الاضطراب لأنها تقدم فتح تلمسان على فتح الزاب ، وتسبق فتح الزاب على فتح تاهرت . وأما ابن عذارى فيجمع عددا من التفاصيل المفيدة ، ولكن يؤخذ عليه الحشو الذي يثير اضطراب الرواية في بعض الأحيان : فهو يتحدث عن حصار باغاية ثم يعود فيتكلم عن غزو قرطاجنة ثم عن غزو المنستير قرب سوسة مرتين . وفي رأينا ان رواية ابن الأثير التي ينقلها عن الرقيق هو الآخر ، هي أكثر الروايات اتزاناً ووضوحاً وتسلسلاً منطقياً ، وعلى هديها يمكن فعلا ترتيب روايات المالكي وابن عذارى التي تختلط في بعض الأحيان (١٠٠) .

فتح الزاب :

اتجه عقبه نحو مدينة باغاية عند أقدم جبل أوراس على الأطراف الشمالية لبلاد الجريد ، وكان بالمنطقة حامية رومية كبيرة خرجت للقاء العرب . ووقعت معركة حامية الوطيس ولكنها انتهت بانكسار الروم الذين انهزموا إلى داخل أسوار المدينة بعد أن تركوا عددا من القتلى والكثير من المغانم . وبعد

(٩٨) المالكي . ج ١ ص ٢٢ . ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣ .
(٩٩) المالكي . ج ١ ص ٢٢ . ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٣ (النويري ، ص ٧٠) .
(نلاحظ هنا ان الكتاب يختلف في مناقب عقبه إذ يرون أنه كان يعرف أمر استشيدته منذ دخوله من الشام إلى مصر ، وذلك حسب حديث يسببه إلى الرسول - وهو مصطنع من غير تلمذ يسبي ، يقتل جمعة من أمته على الجهاد في سبيل الله فواهم كتاب أهل بدر وأحد - الجبيري . ص ٧٣ ، الإسنيتار . ص ١٧٤) . ويذكر الرقيق ، ص ٤١ ، حيث يقوم المحقق الحسن المخروم في شكل : « ونسب ادري أتروني بعد (يومى) هذا أو أراكم ، لأن أهل الخوشت بن سنان الله أو ردى اليكم . كما أحب » .

(١٠٠) ابن عذارى . ج ١ ص ٢٣ . المالكي . ج ١ ص ٢٣ ، وقارن الرقيق ، ص ٤١ .

أن ضرب عقبة عليهم الحصار رأى ألا ينهك قواه في حصارهم ، وأكتفى بما ناله العرب من المغنم (١٠١) ، وخاصة من خيل جبل أدراس التي « لم ير المسلمون في مغازيهم أصلب منها » (١٠٢) . ومن باغاية دخل عقبة بلاد الزاب المسيحية وقصد عاصمتها المسييلة (١٠٣) . وتبدد الروم ومن في خدمتهم من البربر ، فلبجأوا إلى القلعة الحصينة ، بينما فر بعضهم إلى الجبال (١٠٤) . ونازل الروم العرب بعض الوقت وكانت المعارك القاسية تنتهي بانتزاعهم ، ومقتل كبار فرسانهم فلما وجدوا ألا طاقة لهم بالعرب اكتفوا بالاعتصام بالحصون ، وبذلك أصبحت السيادة على بلاد الزاب للعرب ، وهذا ما يعبر عنه الكتاب بقولهم : ذهب عز الروم من الزاب ، وذلوا إلى آخر الدهر (١٠٥) .

ويعتبر غزو الزاب بداية مرحلة جديدة في فتوح المغرب ، إذ أن العرب لم يلقوا حتى ذلك الوقت مقاومة إلا من جانب الروم . وهذا الأمر يدعو إلى التساؤل عن طبيعة العلاقة بين الروم والبربر في هذا الوقت ؟ والذي يفهم من النصوص أن تلك العلاقة كانت سلبية : فالروم يعتصمون بالسواحل وبالقلع في الداخل وإلى جانبهم قلة قليلة من أهل البلاد الذين انصبغوا بالصبغة الرومانية ، واعتقوا المسيحية ، ونعتقد أن الكتاب يقصدون هؤلاء مع الروم عندما يذكرون انكشاف النصارى أمام عقبة (١٠٦) . أما جمهرة المقاربة الذين لم يكونوا قد اتصلوا بعد بالعرب ، فكانوا في الدواخل يقفون موقف المتفرج على الطرفين المتنازعين . وعندما وجد الروم - بعد انتصارات عقبة في الزاب - ألا قبيل لهم بمواجهة العرب فكروا في الاستعانة بالبربر . ولا نعرف الظروف التي تمت فيها الاتصالات والاتفاق بين الروم والبربر ،

(١٠١) أنظر ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٣ . المالكي ، ج ١ ص ٢٣ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٢٣ ، قارن الرقيق ، ص ٤١ (حيث يذكر حصار قلعة مجانة في تفصيلات قتال باغاية) .

(١٠٢) ابن عسار ، ج ١ ص ٢٤ . أنويري ، المخطوط ، ص ٧٠ ، وقارن الرقيق ص ٤١ (حيث يتضح أنه مصدر الرواية) وعن الحصان المغربي الحديث ، الصلب القنوع ، نصر ، مقدمة (Gautier, p. 20)

(١٠٣) ابن عسار ، ج ١ ص ٢٤ ، وقارن النويري ، المخطوط ، ص ٧٠ حيث القراءة « يلبس » وهي من أعظم مدن الروم) ، الرقيق ، ص ٤٢ (حيث قراءة المحقق « الحسن ») . (١٠٤) ابن الأثير ، سنة ٦٢ ، ج ٤ ص ٥٣ ، ولا بأس أن تكون القلعة الحصينة هي التي يسميها الرقيق (ص ٤٢) أذنة . والتي قد توجد أيضا في شكل أربة ، وأزبة (أنظر اليانوش للمحقق) .

(١٠٥) المالكي ، ج ١ ص ٢٣ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٢٤ . النويري ، المخطوط ، ص ٧٠ ب ، وأنظر . الرقيق ص ٤٣ .

(١٠٦) أنظر ابن الأثير سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٣ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٢٣ - ٢٤ .

ولا ما هية الوعود أو التنازلات التي قدمها الروم ، فكل ما يقوله الكتاب هو أن الروم استغاثوا بالبربر (١٠٧) ، أو استعانوا بالبربر فأجابوهم ونصروهم (١٠٨) . فعندما وصل عقبة الى منطقة تاهرت وجد نفسه أمام تحالف كبير من الروم والبربر لم يعهد العرب له مثيلا من قبل (١٠٩) . وأعد عقبة العدة لخوض المعركة ، فعبا رجاله في هيئة القتال ، وخطبهم خطبة حضمهم فيها على الجهاد وحسن القتال . ولقى المسلمون كثيرا من الجهد في الواقعة الكبيرة لكثرة العدو ، ولكن القتال انتهى بانتهازم الروم والبربر الى المدينة . وقطع العرب طريق المنتهزمين الى باب المدينة وقتلوا كثيرا منهم ، وغنموا أموالهم وسلاحهم (١١٠) . وهكذا كانت أحمال العرب وأتقالم تزداد على طول الطريق الى طنجة حيث تبدد الروم أمامهم وكذلك قبائل البربر بعد أن تركوا بين أيديهم السلاح والأموال ، والسبايا الجميلات الغاليات الثمن اللاتي سيرن الى أسواق المشرق حيث كانت الجارية الرومية بالمشرق يالف دينار (١١١) .

دخول المغرب الأقصى :

وترك عقبة الروم يعتصمون بالحصون والقلاع لا يبرحونها ، وأوغل في الغرب الى أن نزل على طنجة (١١٢) التي يعرف صاحبها باسم يليان . والمفهوم من سياق النصوص أنه أمير رومي على عكس ما تقوله بعض الروايات من أنه أعجمي أو قوطي ، أو ما يريد أن يذهب اليه بعض المحدثين من الأسباب والمخاربة

(١٠٧) المالكي ، ج ١ ص ٢٢ .

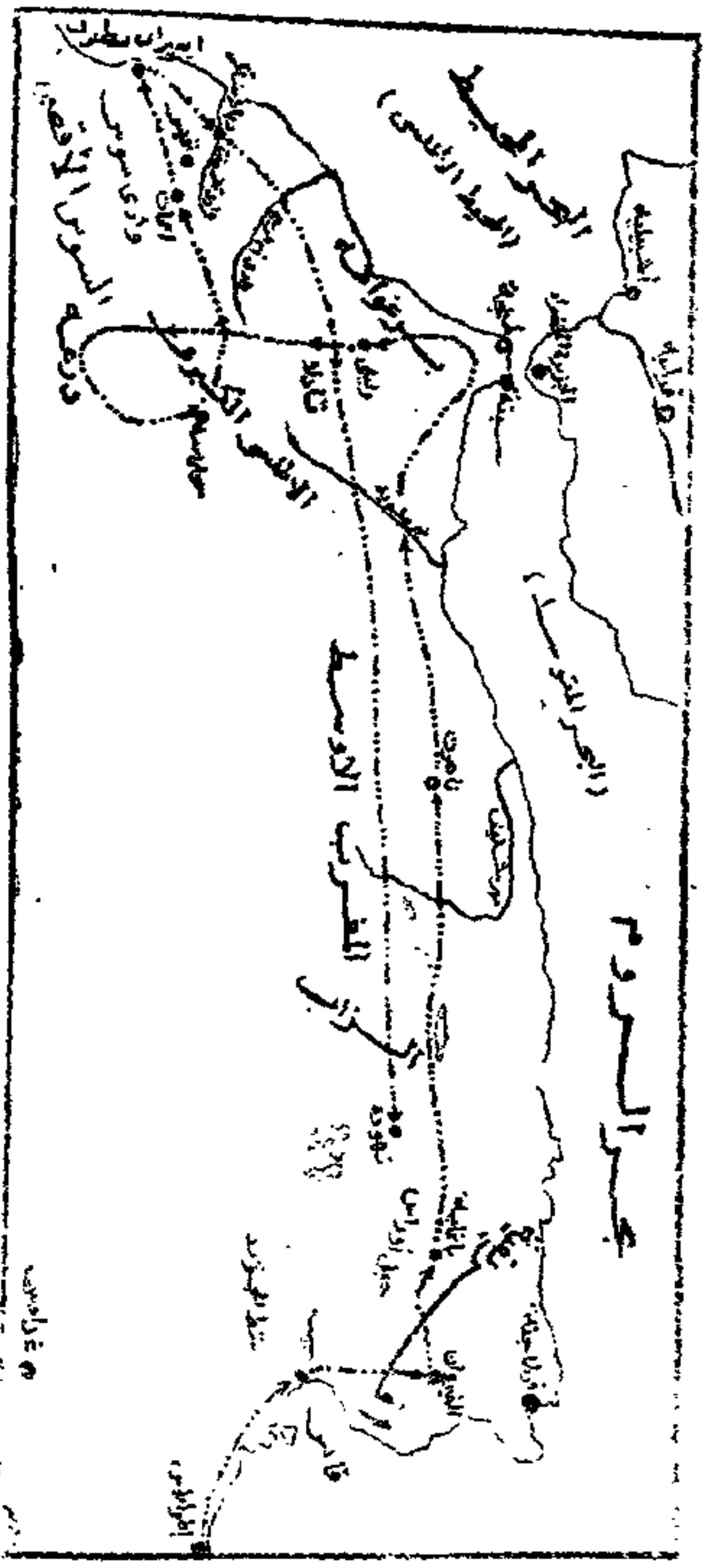
(١٠٨) ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٢ ، وانظر الرقيق ، ص ٤٢ (حيث يتفق الصان . فيما عدا كلمة « اجابوهم » الموجودة في شكل « اعانوهم » في الرقيق) .

(١٠٩) انظر ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٢ (النويري ، ص ٧٠ ب) المالكي ، ج ١ ص ٢٢ ابن عفازي ، ج ١ ص ٢٤ (حيث القراءة تيهرت ، تماما كما في الرقيق ، ص ٤٢) ، ليفي بروفنسال . نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، مدريد ، ص ٢١٩ (يحدد النص قبائل البربر في منطقة تاهرت وهي : « لواتة ، وهوارة ، وزواغة ، وعطاملة ، وزناقة ، ومكناسة ، وغيرهم » .

(١١٠) نفس المصادر ، والرقيق ، ص ٤٤ .

(١١١) المالكي ، ج ١ ص ٢٣ ، وانظر الرقيق ، ص ٤٦ (حيث الإشارة الى الجاريلت الغاليات من سبب طنجة) .

(١١٢) ابن الأثير ، سنة ٦٢ ، ج ٤ ص ٥٢ (النويري ، ص ٧٠ ب) ، ابن عفازي ، ج ١ ص ٢٦ (بلغ أحواز طنجة) ، الرقيق ، ص ٤٤ - ٤٥ .



شكل رقم (٧)

حياة عقبة بن نافع في المغرب الأقصى - انظر ليلى برونيسال ، نص جديد
 عن ذبج الكورب للمغرب ، صحيفة العهد المصري بهدريك ١٩٥٤ ، ص ١٩٩

من أنه بربري (١١٣) . أما عن امارة طنجة فكانت تشمل الأقاليم الواقعة على ساحل المجاز (إلى الأندلس) وخاصة مدينتي طنجة وسبتة وما حولها ، ولو أننا لا نعرف ان كانت كورة طنجة ، في العصور الاسلامية ، التي كان عملها يبلغ مسيرة شهر (١١٤) احتفظت بنفس مساحة امارة طنجة القديمة . والظاهر أن البطريق يليان كان يعمل جاهدا على المحافظة على الاستقلال بامارة الطنجية ، وأنه في سبيل ذلك انتهج سياسة المدارة وحسن الجوار مع جيرانه في الشمال عبر الزقاق ، والبربر في دواخل طنجة . وعندما وصل العرب الى احواز ولايته سارع الرجل الذكي الى الارتباط بعلاقات الود والصداقة معهم ، فراسل عقبة واستعطفه ، وقدم اليه الهدايا الحسنة ، وسأله المسألة (١١٥) . وظهر عقبة بمظهر الرجل السياسي القدير هو الآخر ، فرأى أن يرتبط بهذا الحليف المفيد الى حد كبير ، فقبل ما عرضه عليه الرومي ، وتم الاجتماع بينهما ، ووضع يليان معارفه وخبرته في خدمة العرب ، وأصبح بمثابة المستشار السياسي والعسكري لعقبة . فلتقد أمده بالمعلومات عن القوط في الأندلس ، وعن البربر في المغرب الأقصى (١١٦) ، ولفت نظره الى عدم التفكير في أمر الأندلس ، وذلك في ضوء ظروفه الدقيقة : إذ ترك الروم وراء ظهره ، بينما البربر أمامه في جموع كثيرة لا يعلم عندهم الا الله (١١٧) ، وهم جاهلية لم يدخلوا في دين النصرانية ولا غيرها (١١٨) . وهذه المشورة

(١١٣) هذا الجدل يدور حول شخصية يليان عند الكلام عن فتح الأندلس الذي شارك فيه مشاركا ايجابية (انظر ليفي بروفسال ، تاريخ أسبانيا الاسلامية ، بالفرنسية ، طبعة ١٩٤٤ ص ١١ وهامش ١) - وانظر الاستقصا ، ج ١ ص ٦٢ ، ٧٣ ، ٧٦ (الذي يسميه يليان الفساري نسبة الى قبيلة غمارة التي تقطن جبال الريف) . وانظر الرقيق (ص ٤٥) حيث اليان الذي لقبه عقبة في طنجة ، ولو أنه يضيف اليه فيما بعد ، بمناسبة فتح الأندلس (ص ٧١) شخصا آخر يسمى « اليان » ، ويعرف به على أنه ابن ملك الأندلس الذي كان غلاما حدثا جاء يعرض طارقا على غزو البلاد . وهذا ما لم يشر اليه أي من المصادر الأخرى .

(١١٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٦ .

(١١٥) ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٦ ، الرقيق ص ٤٤ - ٤٥ .

(١١٦) ابن الأثير سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٣ (النويري ، المخطوط ، ص ١٧١) ، الرقيق ،

ص ٤٥ .

(١١٧) ابن عذارى ج ١ ص ٢٦ .

(١١٨) نفس المصدر ، وقارن النويري (ص ١٧١) الذي يقول عن البربر حينئذ « وهم قوم ليس لهم دين يأكلون الميتة ويشربون الدم من أنعامهم وهم أعثال البهائم » ، وهي الرواية المأخوذة عن الرقيق . انظر تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٤٥ .

تعنى بطبيعة الحال البرنامج الذي ينبغي على عقبة أن يتبعه في المغرب : آى القضاء على ما بقي للروم من قواعد (أصبحت كالشوكة في جنب العرب) ثم اخضاع بربر المغرب الأقصى (حتى يمكن لسلطان العرب أن يستقر في البلاد) . ولم يكن عقبة لينكص على عقبيه فقرر أن يتقدم الى الامام وينضع قبائل المغرب الأقصى ، وبدأ بالسوس الأدنى (خلف طنجة) وهي البلاد المعروفة بـ « تامسنا » حيث مساكن قبائل مسمودة (١١٩) . وتقول النصوص انه قتل في بربر السوس قتلا ذريعا ، ووجه رجائه في كل الاتجاهات يفزون ويضمون (١٢٠) . أما عن مراحل الغزوة فيعتبر بيان ابن عذارى أوفى المصادر . ولقد جاء النص الجديد الذي نشره بروفسال يؤيد رواية البيان ، ولو أنه في الحقيقة يمثل نسخة منقحة منها فصدرهما واحد (١٢١) .

اتجه عقبة من طنجة جنوبا نحو مدينة ويلي القديمة (Volubilis) قرب الموضع الذي ستبنى فيه مدينة فاس فيما بعد ، وهناك التقى بجموع بربر أطلس الوسطى ، وهزمهم وأتبعهم جنوبا عبر بلاد تادلا نحو صحراء وادي درعة . ولما كان هدف عقبة هو الاحتساب والعمل في سبيل الله ، فإنه اجتهد في نشر الاسلام لأول مرة في صحراوات بلاد مراكش ، فبنى مسجدا في درعة (١٢٢) . وكان من الطبيعي ألا يكتفى عقبة بالصحراء فوجه أنظاره نحو الاقاليم الغنية في الغرب وكان عليه أن يسير نحو الشمال الغربي الى منطقة تافنلت (حيث ستبنى مدينة سجلماسة) ، لكي يدور حول جبال أطلس العليا وليدخل بلاد صنهاجة حيث أطاعة الناس دون قتال (١٢٣) .

(١١٩) نفس المصدر . وفان المويرى (ص ٧١) الذي يخطئ فيكتب « تارودت » بدلا من تامسنا ، وهي الرواية التي ينقب عن الرقيق (ص ٤٥) والتي لم يلتفت اليها المحقق .

(١٢٠) ابن الأثير سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٣ . ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٦ .

(١٢١) نص جديد عن فتح العرب للمغرب . صحيفة العهد المصري بطريد ، سنة ١٩٥٤ ، دراسة بروفسال . ص ٢٠٧ . أما القطعة من الرقيق التي نشرها الكسبي فلا تضيف شيئا في حملة عقبة . وربما كان ذلك بسبب الخرم الموحد فيها إذ تنتقل من حرب السوس الأقصى في استسلام القيروان تكسيلة . وهو الأمر الذي لم ينس اليه المحقق .

(١٢٢) النص الجديد . ص ٢٠٨ . ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧ .

(١٢٣) ابن عذارى . ج ١ ص ٢٧ . النص الجديد . دراسة بروفسال . ص ٢٠٨ . وتلاحظ أن نفس النص (ص ٢١٩) بسجل روايتين أولاهما تقول : ان عقبة عاد من درعة في تلمسان ومن هذه الأخيرة دخل بلاد صنهاجة . أما الرواية الثانية فلا ترى ذلك وهي التي أخذت بها ، لأنه أقرب الى الحق .

واتبع ذلك بدخول منطقة قبائل هسكورة (١٢٤) في طريقه الى قصبه تلك الأقاليم ، وهي مدينة أغمات (التي ستبنى بالقرب منها مدينة مراكش الحالية) .

والظاهر أن تلك المنطقة المزدهرة كانت على علاقات بالروم أو أنها كانت متأثرة بالحضارة الرومانية على الأقل ، وذلك أن بربر أغمات كانوا نصارى . ولم يخرج أهل أغمات للقاء عقبة بل اعتصموا بمدينتهم ، ولكنهم لم يلبثوا أن نزلوا على حكم عقبة بعد أن ضرب عليهم الحصار مدة قصيرة (١٢٥) . ومن أغمات اتجه عقبة غربا الى مدينة نفيس - عاصمة الوادي المعروف بهذا الاسم - الخصيبة .

ويقول البكري أن عقبة حاصر بها الروم ونصارى البربر الذين اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها وبنى بها مسجدا (١٢٦) . وبدخول عقبة مدينة نفيس الحصينة انفتح أمامه وادي السوس الأقصى ، ف قصد عاصمته وهي مدينة ايجلى التي بنى فيها مسجدا هي الأخرى (١٢٧) . ودعا عقبة قبائل المنطقة الى الدخول في الاسلام فأجابته قبائل جزولة الذين اتوه فأسلموا وعادوا الى منازلهم . ومن ايجلى سار الى ماسة ، ومنها الى رأس ايفيران يط (Cap Gir) على البحر المحيط (١٢٨) . وحسب الفكرة الجغرافية السائدة في ذلك الوقت ، والتي تعتبر أن الساحل الأطلنطي للمغرب يتجه من الشرق الى الغرب ، اعتبر عقبة أنه أنهى فتح المغرب . ويعبر المتأخرون من الكتاب عن

(١٢٤) نفس المصدر وأنظر الخريطة شكل ٧ ص ١٦٨ .

(١٢٥) ابن عذارى ج ١ ص ٢٧ . ويحدد النص هنا مدينة أغمات بأنها « أغمات وريكة » . والحقيقة أن أغمات كما يقول الجغرافيون مدينتان هما : أغمات وريكة ، وأغمات هيلانة (أنظر البكري ، ص ١٥٣ ، الاستبصار ، ص ٢٠٧ ، رحلة لسان الدين بن الخطيب في المغرب ، طبع جامعة الاسكندرية ، ١٩٤٨ ، ص ١٣٠) ، وقارن النص الجديد ، ص ٢١٩ .

(١٢٦) أنظر البكري ، ص ١٦٠ ، الاستبصار ، ص ٢٠٨ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧ ، والنص الجديد (ص ٢١٩) حيث نلاحظ أن بناء عقبة لمسجد نفيس موضوع جفلى بين الكتاب إذ يرى بعضهم أن عقبة لم يبن في المغرب الا مسجد القيروان ، ومسجدا بدمعة ، ومسجدا بالسوس الأقصى « وأما غير ذلك من المساجد المسماة باسمه فإن الناس - والله أعلم - بنوها بموضع نزوله ، أي احياء لذكراه .

(١٢٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧ ، النص الجديد ، ص ٢٢٠ .

(١٢٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧ . ابن الأثير سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٤ (يكتب ايفيران في

شكل مالياً) .

ذلك بقولهم أن عقبة اقتحم المحيط بفرسه حتى وصل الماء إلى تلايبه ، وقال :
يأرب لولا هذا البحر لضيت في البلاد مجاهدا في سبيك (١٢٩) .

طريق العودة :

وهكذا اتخذ عقبة طريق العودة وهو يعمل على نشر الإسلام في المغرب
البعيدة ، فخرج على قبائل حاحة ، ورجراجة ثم صودة . والنسب يفهم من سياق
النصوص أن تلك القبائل استجابت لدعوة عقبة ودخلت في الإسلام .
فمنه وادي تنسيفت - في منتصف المسافة بين مدينتي مراكش وموجادور -
توقف عقبة حيث ترك واحدا من أصحابه اسمه شاعر لتعليم البربر أصول
الإسلام ، وهذا الموضع عرف باسم هذا التابع فهو رباط شاعر عند الكتاب ،
وهو حانيا يعرف بسندى شيكر (حسب النطق الدارج هناك) (١٣٠) .

وحتى ذلك الوقت لم يجد عقبة كما رأينا مقاومة جديدة ، ولكن النصوص
تأخذ في الإشارة إلى ما بدأ يلقاه عقبة من المتاعب . فعندما دخل بلاد دكالة
(شمال وادي نفيس بين وادي تنسيفت ووادي أم الربيع) ودعاهم إلى الإسلام
امتنعوا عليه . والظاهر أنهم دبروا الغدر به ، وعندما قاتلهم انتهى القتال
بانهزيمهم ولكن بعد أن قتل كثير من أصحاب عقبة حتى سمي موضع المعركة
بشجرة الشهداء (١٣١) . ويقول النص الجديد الذي نشره بروفنسال أن مثل
ذلك حدث في بلاد هسكورة ، ولو أن ابن عذارى يخالف ذلك ويذكر أن بربر
هسكورة فروا أمام عقبة ، وأنه لم يقاتله بعد ذلك أحد من أهل المغرب (١٣٢) .
ثم اتجه عقبة شمالا بنزول نحو طنجة لكي يعود إلى المغرب الأوسط عبر ممر
تازا ، وعندما وصل إلى بلاد الزاب اتخذت الأمور شكلا غريبا انتهى
بإستشهاد البطل الكبير - بمعنى أن الانتصار الفاصل انتهى بكارثة
مزوغة .

(١٢٩) انظر تلك الرواية من ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٤ ، المالكي ، ج ١ ص ٢٤ ،
ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧ .
(١٣٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧ ، النص الجديد ، ص ٢٢٠ (وعن سبدي شيكر انظر
الدراسة ص ٢٠٩ وهامش ١) .
(١٣١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٨ ، النص الجديد ، ص ٢٢٠ ، وقارن ابن خلدون ج ٦
ص ١٠٨ (حيث يقول أن الحصانة حاصروا عقبة في جبال درن) .
(١٣٢) النص الجديد لبروفنسال ، ص ٢٢٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٨ .

استشهاد عقبة :

وتتلخص الكارثة في أنه في الوقت الذي عادت معظم القوات العربية نحو القيروان تاركة قائدها في عدد قليل من الرجال ، وجد عقبة أمامه حلفاء كبيرا من الروم والبربر . ومع أن الكتاب يلبسون نهاية عقبة ثوبا روائيا : من معرفته سلفا بنهايته الدامية ، ووقوفه في قلة من أصحابه ، واسراع وائي المغرب السابق « أبي المهاجر » الى طلب الاستشهاد وهو مكبل بالحديد ، فإن تلك النهاية مقبولة على كل حال . فسبب التحالف بين الروم والبربر هو أن عقبة عندما اصطحب معه أبا المهاجر والزعيم الأوربي عامل هذا الأخير دون رعاية - رغم وصية أبي المهاجر - واستخف به مما أثار حقد كسيلة فاضمر الغدر (١٢٣) . وبطبيعة الحال لم يكن هذا السبب الشخصي ليكفي لقيام تحالف بين الروم والبربر ، ولكننا نعتقد أن عنف عقبة مع البربر - ذلك العنف الذي يعبر عنه ابن الأثير تعبيرا رائعا عندما يقول : « وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا ، وغنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا » (١٢٤) - هو الذي أزعج البربر ، وأوجد نوعا من التوافق أو التعاطف بينهم وبين الروم ، فوقفوا جنبا الى جنب في بعض المواضع من المغرب الأقصى . ثم أتت الصعوبات التي لقيها عقبة في نهاية الحملة ، واستشهاد عدد كبير من أصحابه لتشجع التحالف بين الروم والبربر في المغرب الأوسط أيضا .

في هذه الظروف راسل الروم كسيلة ، وهو في صحبة عقبة ، وليس من غير المحتمل أن يكونوا قد سهلوا له طريق الهرب الى قبيلته حيث حشد عددا كبيرا من أوربية تقدر الرواية عندهم بـ ٥٠ (خمسين) ألف رجل (١٣٥) . أما عن سبب بقاء عقبة في عدد قليل من أصحابه فتمر عليه بعض الروايات مرا سريعا فابن عبد الحكم يقول : « أن عقبة » انصرف الى افريقية فلما دفا من ثغرها أمر أصحابه فافترقوا عنه ، وأذن لهم حتى بقي في قلة » (١٣٦) .

(١٢٣) ابن الأثير ، سنة ٢٦ ج ٤ ص ٥٤ ، ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٩ ، المالكي ، ج ١ ص ٢٧ (تقول الرواية ان عقبة كان يرغم كسيلة على سلخ الفم) وهناك رواية غريبة (المالكي ، ج ١ ص ٢٥) تزعم أن سبب ثورة كسيلة أنه سعى لتخليص صديقه أبي المهاجر من اعتقال عقبة .

(١٢٤) ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٤ .

(١٢٥) النص الجديد كبروفنسسال ، ص ٢٢٠ ، وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١٠٩) حيث يقول ان كسيلة تراسل وقومه .

(١٣٦) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ٢٥ .

أما رواية ابن الأثير فتقول : انه ، أمر أصحابه أن يتقدموا فوجا فوجا ثقة منه بما نال من العدو (١٣٧) ، والحقيقة انه ليس من الغريب أن يأذن عقبة لرجاله بالاسراع الى أهلينهم وذرائعهم ، بعد ما أنجزوه من الأعمال في تلك الحملة الكبرى التي استمرت أكثر من عام من غير شك (١٣٨) ، وخاصة أنهم كانوا محملين بالمقائم والسبي . وطبيعة الحال هذه لا تدع مجالاً لما يقوله جوليان من أن عقبة ربما لم يكن مسيطراً على قواته (١٣٩) . أما ما يقوله ليفي بروفنسال من أنه « لا بد أن أخباراً مقلقة قد بلغت عقبة من افريقية ، فلا يكاد يصل الى المغرب الأوسط حتى يبعث معظم جنده الى القيروان على عجل (١٤٠) ، فصح أن هناك نصوصاً في ابن عبد الحكم قد تؤيده ، كذلك التي تقول ان القيروان تعرضت لهجمات قوية من الروم ومن البربر (١٤١) ، فان طبيعة الأشياء لا تسمح بهذا الفرض . فلو أن عقبة أراد نجدة العرب في القيروان لما تباطأ هو نفسه في نفسه في العودة قبل الناس . والأقرب الى المنطق هو ما تتفق عليه الروايات من أن الرجل العسكري الذي لا يكمل من الحرب ولا يمل ، رأى عندما وصل الى مدينة طينة - على مسيرة ٨ (ثمانية) أيام من القيروان - أن يعود معظم رجاله الى القيروان ، واستبقى معه عدداً من خيرة الرجال لينهى به ما قد أجله في أول الحملة من ترك عند من الحاميات الرومية معتصمة بقلاعها . وذلك ما أخذه عليه يليان عندما طلب منه المشورة .

وهكذا فكر عقبة في الاستيلاء على مدينتي تهودة وبادس (غير بعيد من بسكرة) ، ونعتقد أن هذا الأمر لم يكن يتطلب من عقبة الا الإبقاء على بضع مئات من رجاله ، وليس خمسة آلاف كما تقول بعض النصوص (١٤٢) . وفي هذه الظروف حدثت المراسلات بين الروم وكسيلة ، وتمكن البربري من الهرب ، وحشد أهله وبنى عمه (١٤٣) . وعرج عقبة في جماعة أصحابه

(١٣٧) ابن الأثير ، سنة ٦٢ ، ج ٤ ص ٥٤ . وقارن ابن عذارى ج ١ ص ٢٨ (أمر أصحابه فتقدموا ثقة منه بما نال من العدو من البلاد) .

(١٣٨) يقول ابن عذارى (ج ١ ص ٣٠) : مكث عقبة في المغرب ٣ (ثلاث) سنوات .
(١٣٩) Julien, Hist. de l'Afrique du Nord, p. 321.

(١٤٠) النص الجديد صحيفة المعهد المصري بباريس ، ١٩٥٤ ، الدراسة ، ص ٢٠٩ .

(١٤١) أنظر ابن عبد الحكم ، ص ٦٩ ، وليما بعد ، ص ٢٠٦ .

(١٤٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٩ ، النص الجديد ، ص ٢٢٠ ، وقارن ابن الأثير (سنة

٦٢ ج ٤ ص ٥٤) الذي يقول انه سار الى تهودة في نفر يسير ، وابن عذارى (ج ١ ص ٢٨) الذي يقول : انه كان في قلة من أصحابه .

(١٤٣) ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٤ (الثوبري ، ص ١٧٢) .

الصغيرة على تهودة ، فانتصت الحامية الرومية بالحسن ، وأخذ الروم الاستخفاف بأصحاب عقبة لتتبعهم ، فجهلوا يشتدونه ويرمونه بالحجارة والنبل وهو يدعوهم الى الله ، (١٤٤) ، وعلى حين غرة وجد عقبة نفسه أمام جموع كسيلة ، وعرف عقبة ما يضره الأوربي له من الشر ، وكان من الطبيعي ألا يجعل المحارب العريق وجماعة فرسانه الصغيرة ، ومعهم أبو المهاجر ، من كثرة العدو وهوله ، فقرروا مواجهة المحنة ببطولة الشجعان ، فنزلوا عن خيولهم - حتى لا يفسروا - ، وكسروا أجفسان سيوفهم ، حتى تظل مسنولة الى النهاية - ، وقاتلوا حتى قتلوا « جميعا » كما تصر على ذلك كل الروايات ، رغم أنها تذكر أن بعضهم أسر مثل محمد بن أوس الانصارى في نهر يسير ، فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان (١٤٥) .

والكتاب لا يحددون وقت استشهاد عقبة بشيء من الدقة إذ يفهم من الروايات أنه استشهد في نفس السنة التي ولي فيها وهي سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ - ٦٨٢ م . ولكن هناك رواية في ابن عذاري تقول ان غزوة عقبة ربما استغرقت العام الأول من ولايته والسنى يليه (١٤٦) ، بمعنى أن وفاة عقبة كانت في سنة ٦٢ هـ / ٦٨٢ - ٦٨٣ م ، وهذا ما يقول به النص الجديد الذي نشره بروفسال (١٤٧) . هذا ، ونحن نميل الى الأخذ برواية ثالثة لابن عذاري تقول ان عقبة مكث في المغرب ٣ (ثلاثة) أعوام ، وهذا يعني أنه توفي في أواخر سنة ٦٤ هـ / ٦٨٤ م أو أوائل سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م (١٤٨) ، مما يترتب عليه تقليل الفترة ما بين مقتل عقبة والثار له على يد زهير سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ - ٦٨٩ م ، وهذا أقرب الى المعقول . وقبر عقبة يعرف الآن باسم « سيدى عقبة » وهو الاسم الذي غلب على مدينة تهودة ، وقبره مبجل من المغاربة جميعا ، يحجون اليه من كل مكان ، وهو يعتبر من أقدم نماذج العمارة

(١٤٤) ابن عذاري . ج ١ ص ٢٨ . قارن النويرته . المخطوط ، ص ٧١ ب .
(١٤٥) ابن عبد الحكم . ص ١٩٩ . المالكى ، ج ١ ص ٥ . ابن الأثير سنة ٦٢ ص ٥٤ .
ابن عذاري ج ١ ص ٢٩ . النص الجديد . ص ٢٢٠ . المورى . المخطوط ، ص ٧٢ .
(١٤٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤ .
(١٤٧) النص الجديد ، ص ٢٢٠ . وفازن تاريخ حنيفة بن حنيفة . ج ١ ص ٢٥٢ (حيث تصح العروة جميعا في سنة ٦٣ هـ) .
(١٤٨) ابن عذاري . ج ١ ص ٢٠ .

الإسلامية في بلاد المغرب (١٤٩) .

كسيلة أمير القيروان (٦٥ - ٦٩ / ٥ - ٦٨٤ - ٦٨٨ م) :

وحشد كسيلة كل قبائل أوراس والمغرب الأوسط ، وزحف نحو القيروان . ولا شك في أنه كان لنبا استشهاد عقبة صدى هائل في القيروان بلبل الأفكار وزعزع الثقة في نفوس الناس الذين انقسموا الى فريقين : فريق يريد القتال وصد الزحف البربري أو الاستشهاد وعلى رأسه نائب عقبة وهو زهير بن قيس البلوي ، وفريق يرى ألا سبيل الى الوقوف أمام العاصفة الهوجاء وأنه لابد من الانحسار أمامها الى أن تمر ، وكان على رأس هذا الفريق التابعي المشهور حنش (بن عبد الله) الصنعاني (١٥٠) . ولا نعرف ان كان حنش من العسكر الذي بقي مع زهير في القيروان أو أنه حضر غزو المغرب الأقصى مع عقبة ، ولو أننا نميل الى هذا الرأي الأخير ، فقد عرف عن حنش نشاطه العسكري واشتراكه في الشؤون العامة في المغرب حينئذ ثم في الاندلس مع موسى بن نصير ، وفي المشرق أيام فتنة ابن الزبير فيما بين هذا وذاك .

والظاهر أن القيروان تعرضت أثناء غياب عقبة لهجمات من جانب الروم والبربر ، وربما وقع هذا بعد ذلك التلاقى أو التحالف بين الفريقين . فابن عبد الحكم يذكر أنه بعد مسير عقبة ، خالفه رجل من العجم (والمقصود هنا الروم) في ٣٠ (ثلاثين) ألفا الى عمر بن علي ، وزهير وهما في ستة آلاف ، ثم يقول في موضع آخر أن ابن الكاهنة (والمقصود هنا البربر كما سنرى فيما بعد) هاجم القيروان وبها القرشي وزعير ، ولكنهما نجحا في هزيمته وكبداه خسائر في أصحابه (١٥١) . ونعتقد أن ذكر ابن الكاهنة في هذا المقام ان لم يكن صحيحا ، فهو يمثل فكرة تحالف بربر المغرب الأوسط (بربر جراوة قبيلة الكاهنة وجبل أوراس) وبربر المغرب الأقصى (بربر أوربة قبيلة كسيلة وحلفاؤهم من البرانس) . وهكذا اختلف العرب أمام ذلك التحالف الكبير في المقاومة أو الانسحاب من افريقية ، وبدأ حنش الصنعاني

(١٤٩) أنظر بروكلمان . تاريخ الشعوب والمول الإسلامية (بالفرنسية) ، ص ٧١ .
Julien, Hist. de l'Afrique du Nord, p. 321.

رأفت :

(١٥٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣١ .

(١٥١) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٩ .

بالانسحاب نحو مصر (١٥٢) ، وتبعه بعد أن وجد نفسه في قلة قليلة من الرجال لا تستطيع الوقوف أمام كسيلة . ولم يبق في القيروان من المسلمين الا الشيوخ والنساء والأطفال (١٥٢) ، بعد أن خرجت جماعات أخرى من العرب والموالي من البربر الى طرابلس حيث أقاموا (١٥٤) . وهكذا انتهت حملة عقبة الكبرى بكارثة إذ فقد العرب كل فتوحاتهم في افريقية والمغرب ، فقد كان انسحاب زهير الى اقليم برقة (١٥٥) حيث أقام في المنطقة التي عرفت باسم « لوبية ومراقية » (١٥٦) .

ودخل كسيلة القيروان وتأمر على العرب والبربر فيها ، وأصبح أشبه ما يكون بملك لافريقية . والذي يفهم من النصوص أن كسيلة لم يرتد عن الاسلام ، وقرينة ذلك أنه عامل المسلمين في القيروان معاملة طيبة (١٥٢) . والحقيقة ان كسيلة ما كان ليرتد بعد أن حسن اسلامه ، ولا شك في أنه فهم أن اسماة عقبة له لم تكن لتزيد عن مسألة شخصية لا علاقة لها بمبادئ الاسلام البنية على الأخاء والمساواة . هذا ما يفهم من بعض النصوص التي تقول ان كسيلة عندما ثار بعقبة انما فعل ذلك من أجل تخليص صديقه أبي المهاجر من اعتقال عقبة (١٥٨) . واستمر كسيلة أميراً للقيروان ما يقرب من ٤ (أربع) أو ٥ (خمس) سنوات منذ مقتل عقبة سنة ٦٥ هـ (حسب ما أخذنا به من بعض روايات ابن عذاري) (١٥٩) الى سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ - ٦٨٩ م . وخلال

(١٥٢) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٦ (قال حنش : يا مشر المسلمين من أراد منكم للقول الى مشرقه فليتبمنى فتبعه الناس) .

(١٥٣) المالكي ، ج ١ ص ٢٨ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١ . أما عن رواية خليفة بن خياط (ج ١ ص ٢٤٥) فنحوى خطأ جسيما إذ تقول أن كسيلة قتل زهير بن قيس وأصحابه ، رغم أنها تعود الى ذكر انعكس من ذلك في حواشي السنة الثالبة ٦٤ هـ (ج ص ٢٤٨) .

(١٥٤) ابن عبدالحكم ، ص ٢٠٠ .

(١٥٥) ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٤ ، ابن عذاري ج ١ ص ٢١ .

(١٥٦) المالكي ، ج ١ ص ٢٩ (ويلاحظ ان رواية المالكي هنا مضطربة إذ يخلط بين انهزام زهير الى برقة وانتصاه فيما بعد على كسيلة) . وعن لوبية ومراقية ، أنظر فيما سبق (الفصل الخاص بالبلاد) ، ص ٦٤ - ٦٥ والهوامش .

(١٥٧) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٦ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٩ . أما ما يقوله الكتاب عن ارتداد البربر (ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٣) فالمتصود به تواريخهم لا أكثر ولا أقل .

(١٥٨) أنظر فيما سبق هامش ١٣٣ ص ٢٠٢ .

(١٥٩) أنظر فيما سبق ص ٢٠٥ .

تلك الفترة لا نعرف طبيعة العلاقة التي قامت بينه وبين الروم : هل كانت علاقة تحالف أم خضوع أم صداقة وحسن جوار ؟

٥ - زهير بن قيس والثار لعقبة :

ولقد كانت أحوال الخلافة مواتية بالنسبة لكسيلة ، ففي الوقت الذي انسحب فيه زهير كان الخليفة يزيد بن معاوية قد مات ، وانفتحت أبواب فتنة ابن الزبير على مصاريعها . وقضى مروان بن الحكم خلافته القصيرة في صراع من أجل استرداد مصر - طريق المغرب - كما قضى عبد الملك ابنه السنوات الأولى في استعادة العراق والمشرق ، مما اضطره إلى شراء سكوت ملك القسطنطينية عنه بالمال (١٦٠) وعندما بدأت الأحوال تميل إلى الاستقرار انتهز عبد الملك فترة هدوء نسبي ، وفكر في أمر استعادة القيروان والمغرب . وعقد عبد الملك مجلسا من كبار أصحابه واستشارهم في أمر المغرب ، وفي خير وسيلة لاستنقاذ من بالتيروان من المسلمين والأخذ بشار عقبة (١٦١) . وتم الاتفاق على أن تكون قيادة قوات إفريقية إلى زهير بن قيس لأنه صاحب عقبة ، وأعلم الناس بسيرته وتدبيره ، وأولاهم بطلب دمه (١٦٢) .

ويفهم من رواية الرقيق التي يقدمها ابن عذارى أنه تمت مراسلات بين عبد الملك في دمشق وزهير في برقة ، وأن هذا الأخير أطلع الخليفة على قوة الروم والبربر . وعلى ذلك عهد عبد الملك بولاية إفريقية إلى زهير وأمدّه بالخيال والرجال من الشام ، والأموال من مصر ، كما بعث إليه بعدة من

(١٦٠) انظر قلهوذن . تاريخ الدولة العربية ، ترجمة أبو ريدة ، ص ١٨٢ وهامش ٣ عن اليعقوبي .

(١٦١) انظر ابن الأثير . أحداث سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٥ (يعرف ابن الأثير أن ذلك حدث سنة ٦٩ هـ ولكنه يسه إلى أنه يذكر العادة هذا ليتصل خبر كسيلة ومقتله فإن العادة واحدة وإذا تفرقت لم تعلم حقيقتها) - نفس الصفحة . وعلى ذلك فهو يشير إلى زهير في أحداث سنة ٦٩ هـ إشارة سريعة . وانظر ابن عذارى ج ١ ص ٣١ ، وانظر الرقيق ، ص ٤٦ - ٤٧ . أما ابن عمن الحكم فهو يشير في موضع إلى أن عبد العزيز بن مروان هو الذي أرسل بعد أن ولي مصر إلى زهير يأمره بفرار إفريقية ثم أنه يشير في موضع آخر إلى أن حسان ابن النعمان هو الذي وجه زهيراً . ولو أنه يسبح ذلك بقوله : والله أعلم (الفتوح ، ص ٢٠٠) . (١٦٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣١ . المويرى . المخطوط ص ٧٣ ، وقارن أصل الرواية في الرقيق ص ٤٧ .

زعماء العرب من رجال الحرب (١٦٣) ، ومن هؤلاء تبيح ابن امرأة كعسب
الأخبار (١٦٤) الذى كان خيرا بحرب الروم فى آسيا الصغرى وجزر
البحر (١٦٥) .

موقعة ممش :

وفى سنة ٦٦٩/٦٨٨ م خرج زهير فى جيش كثيف من برقة صوب
افريقية ، وعندما دخل أرض قمونية (أى منطقة القيروان) عبا رجاله فى
هيئة القتال (١٦٦) . وكان كسيلا قد علم بمقدم زهير وحشد رجاله من الروم
والبربر ، فكانوا أضعاف أصحاب زهير أضعافا مضاعفة (١٦٧) . ورغم ما يفهم
من رواية المالكى المختلطة ، والتي يأخذ فيها عن أبى العرب ، من أن زهيرا هاله
العدو وكاد يأخذه الرعب ، وأن الفضل يرجع الى ابن حيان الحضرمى وكذلك
تبيح فى تهذبة روع زهير وبث الثقة فى نفوس المسلمين (١٦٨) ، فان كسيلا
لم يشأ لقاء زهير بالقرب من القيروان . وتفسر النصوص ذلك على أساس
استراتيجى أخلاقى يتلخص فى أن كسيلا كان يخشى أن يشب عليه عرب
القيروان من خلف ، ورغم ذلك لم يرد أن يفدر بهم حفاظا لما لهم عليه من العهد .
هذا الى جانب أنه رأى أن يختار للمعركة موقعا آخر قريبا من الجبل ، فان
تحقق له النصر نزل فى اثر العرب وطاردهم الى طرابلس ، وان انهزم اعتصم
بالجبل وغاباته (الشعراء) فكان له نعم الملجأ (١٦٩) . وهكذا سار كسيلا
الى موضع يعرف بـ « ممش » على مسيرة يوم من القيروان ، وهذا الموضع

(١٦٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣١ ، المالكى ج ١ ص ٣٠ ، وأنظر الرقيق ، ص ٤٧ -

٤٩ .

(١٦٤) المالكى ، ج ١ ص ٢٩ . وقارن النص الجديد لبروتسفال ، ص ٢٢١ . وأنظر
ابن حجر الإصابتة رقم ٨٦٠ ، ج ١ ص ٨٧ (الذى يحدد وفاته فى سنة ١٠١ هـ - عن ابن
يونس فى تاريخ مصر) .

(١٦٥) عن تبيح واشتراكه فى حرب الروم بالشرق أنظر الطبرى ، سنة ٥٤ .

(١٦٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ . وقارن خليفة بن خياط (ج ١ ص ٢٤٨) الذى
يجعل فتح زهير وقتل كسيلا (اكسيل) فى سنة ٦٤ هـ ، فكانه يربط بين مقتل عقبه ومقتل
كسيلا .

(١٦٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣١ - ٣٢ .

(١٦٨) المالكى ، ج ١ ص ٢٨ .

(١٦٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ٦٢ ، ج ٤ ص ٥٥ . ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٢ . المالكى

ج ١ ص ٣٠ . وقارن الرقيق ، ص ٥٠ .

(م ١٤ - تلويح المغرب العربى)

يتحيز الى جانب اهميته الاستراتيجية بتوفر الماء فيه (١٧٠) . وسار زهير نحو القيروان ولكنه لم يدخلها ، بل اقام بظاهرها بموضع باب سآلم ، ثلاثة ايام الى أن استراح وأراح رجاله ودوابه استعدادا للمعركة الكبرى . وفي اليوم الرابع (١٧١) وصل زهير في اثر كسيلة التي خرج هو الآخر مع بربره وزومه ، ووقف الجيشان وجها لوجه في آخر النهار ، وكان عليهما أن ينتظرا صباح اليوم التالي فباتا على أهبة الاستعداد (١٧٢) . وفي صبيحة اليوم التالي تم اللقاء الرائع بين الجمعين ، وشهدت ممس قتيلا لم تعرف أفريقية له مثيلا من قبل اذ فشي القتل في الفريقين ، وآيس الناس من الحياة . ولكنه ما كاد اليوم يشرف على الانتهاء حتى حقق العرب نصرا كبيرا فانهزم البربر والروم ، وقتل كسيلة وكثير من كبار أصحابه . وتبع العرب المنهزمين يقتلونهم ويثأرون منهم (١٧٣) . وبالضت بعض الروايات فقالت ان العرب تمادوا في مطاردتهم (طلبهم) حتى سقوا خيلهم من نهر ملوية (١٧٤) . ثم انهم اتبعوا ذلك بفتح مدينة شقبنارية (١٧٥) .

عودة زهير ومقتله في برقة :

ريفهم من النصوص أن غزوة زهير هذه كانت حملة تأديبية أولا وقبل كل شيء . فبعد أن انتقم زهير لمقتل عقبة ، وأخذ يثأر البطل الشهيد عاد نحو المشرق في طريقه الى مصر . ويفسر الكتاب ذلك بأن زهيراً كان من رؤساء الجابدين وأشرف المجاهدين (١٧٦) . وأنه « رأى بأفريقية ملكا عظيما فأبى

(١٧٠) انظر الرقيق . ص ٥٠ . المالكي . ج ١ ص ٣٠ (روى صفحه ٢٨ يقول ان اللغز تم بعصر أبي عبيد أو بسنن . ولو أنه يعهد ذلك قبل رحيل زهير ان نوبية ومرافية) .
(١٧١) انظر الرقيق . ص ٥١ . ابن عذارى . ج ١ ص ٣٢ . النويري . ص ٧٢ .
المالكي . ج ١ ص ٣٠ (يقول يوم الاربعاء بدلا من اليوم الرابع) .
(١٧٢) المالكي . ج ١ ص ٣٠ (بات الناس على مصافهم) . وفي رواية المالكي (ص ٢٩) التي تحدد خطأ تلك الوقعة قبل اسحاح زهير الى نوبية ومرافية بفهم أن اللقاء واقع على الأصحى . وأن زهيراً سأل الروم تحجير مرعى القتال من أجل العيد فأجابوه .
(١٧٣) ابن عبد الحكم . ص ٢٠٠ . وانظر الرقيق . ص ٥١ . ابن الأثير . سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٥ .

(١٧٤) انظر الرقيق . ص ٥٢ (حيث يلهم من النص أن المطاردة عن طريق مرعاجنة على الحدود التونسية الجزائرية حاليا) . المالكي . ج ١ ص ٣٠ . ابن عذارى ج ١ ص ٣٢ .
(١٧٥) المالكي . ص ٣٠ (وعن شقبنارية التي تعرف حاليا باسم « الكف » انظر الاستخبار . ص ١٦٤ وهاض ٣ . ومؤس . فتح المغرب . ص ٢٢٥) .
(١٧٦) المالكي . ج ١ ص ٢٩ .

أن يقيم ، وقال انما قدمت للجهاد فأخاف أن أميل الى الدنيا فأهلك» (١٧٧) .
ورغم ما تقول النصوص من أنه ترك القيروان آمنة لخلو البلاد من عدو أو ذى
شوكة (١٧٨) ، فالحقيقة كانت غير ذلك : فقد كانت الأقاليم الشرقية من المغرب
في ذلك الوقت فريسة لغارات تخريبية من جانب الروم ، وهذا هو السبب -
من غير شك - في عودة زهير نحو المشرق فعندما علم الروم برحيل زهير من
برقة نحو افريقية (١٧٩) لقتال كسيلة ، رأوا أن يهاجموا برقة - وانظروا أنهم
أرادوا أن يوقعوا القوات العربية بين شقي الرحي (بين البربر في افريقية
وهم في برقة) فخرجوا من جزيرة صقلية في أسطول عظيم وأرسوا على
الساحل البرقي (١٨٠) .

ورواية ابن عبد الحكم الخاصة بمقتل زهير مضطربة - وهذا ما يفسر
اضطراب رواية المالكي - وذلك أنه يجعل مقتل زهير بعد ولاية حسان بن
النعمان ، وذلك في سنة ٧٦ هـ أيام ولاية عبد العزيز بن مروان لمصر . ولكنه
رغم هذا الخطأ الزمني فان الرواية تحتوي على تفاصيل مفيدة - لا يقلل ذلك
الخطأ من أهميتها (١٨١) . وحسب هذه الرواية حرب والى برقة ، وهو ابراهيم
ابن النصراني ، تاركاً العرب وأهل النعة بين أيدي الروم الذين احتفظوا ببرقة
مدة أربعين يوماً (١٨٢) . وتشبه الروايات الحملة البيزنطية بغزة انتقامية

(١٧٧) ابن الأثير ، سنة ٦٢ ، ج ٤ ص ٥٥ (التويرى ، المخطوط ، ص ٧٣ ب) ،
وقارن الرقيق ص ٥٢ (الذى يظن أنه صدر منه الرواية) . المالكي ج ١ ص ٢٠ ، ابن
عذارى ، ج ١ ص ٢٢ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٩ .
(١٧٨) ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٤ ص ٥٥ ، ابن عذارى ج ١ ص ٢٢ ، المالكي ج ١
ص ٢٠ .

(١٧٩) الرقيق ، ص ٥٢ ونلاحظ هنا خلطاً في ابن عذارى لم ينسب اليه محقق النص
اذ يقول « فبلغ الروم خروجه من افريقية الى برقة » وهو ما لا يستقيم مع بقية النص (انظر
ج ١ ص ٢٣) . ومثل هذا الخطأ يوجد أيضا في النص الجديد لبروغنسال (ص ٢٤١)
مما يترتب عليه قول بروغنسال في دراسته للنص ان الروم أقبلوا الى افريقية (ص ٢١١)
والظاهر ان ابن عذارى ترك الجملة التي تقول بخروج زهير من برقة الى افريقية ، وهو يقتبس
من الرقيق . واخذ الجملة التي تاتي بعدها وتقول ان غارة الروم وافقت « قدوم زهير من
افريقية الى برقة » وهكذا كان الصحيح ما ينقله المالكي (ج ١ ص ٢٠) وابن الأثير (سنة
٦٢ ج ٤ ص ٥٥) وهو ما أخذنا به .

(١٨٠) ابن الأثير سنة ٦٢ ، ج ٤ ص ٥٥ .
(١٨١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ . وعين المالكي انظر ج ١ ص ٢٩ .
(١٨٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٢ .

لا تهدف الى استعادة المدن اليونانية القديمة بل تهدف الى التخريب والقتل
وانتهب والسبي (١٨٢) .

وتتلخص أهمية رواية ابن عبد الحكم في أنها تبين السبب الحقيقي
في عودة زهير من القيروان نحو المشرق ، وذلك لتخليص برقة وأهلها من الروم
وليس الخوف من أن تفتنه دنيا افريقية . فافريقية في ذلك الوقت كانت
أرض الرباط والجهاد بمعنى أنها كانت قبلة الراغبين في الآخرة والباحثين
عن الاستشهاد في سبيل الله . ويفهم من رواية ابن عبد الحكم أن الروم
كانوا قد اتخذوا مدينة درنة (القريبة من طبرقة) مركزا لهم (١٨٤) ، وعلى
مشارف تلك المدينة كانت نهاية زهير بن قيس التي يجعلها الكتاب أشبه
ما تكون بنهاية مأساة عقبة الدامية . فزهير عندما التقى بالروم لم يكن معه
كل رجاله بل كان على رأس عدد قليل منهم يبلغون ٧٠ (سبعين) رجلا (١٨٥) .
والظاهر أن طبيعة المنطقة الجبلية (وجبل برقة لا يبعد عن الساحل بل ينقض
عليه أو يكاد في منطقة درنة) لم تسمح للعرب بالتقدم جميعا . فاضطر زهير
الى التقدم في جماعة صغيرة من الفرسان نحو الساحل في مسالك الجبل
وشعابه الضيقة ، تاركا جمهرة رجاله في الطريق الرئيسي (١٨٦) . والظاهر
أنه عندما علم الروم بمقدم زهير أخذوا في الاستعداد للرحيل عن برقة ،
فعندما أشرف زهير على الساحل كان الروم يدخلون سباباهم من تساه العرب
وذرا ربهم في مراكبهم . ورأى زهير حشد الروم كبيرا وتأكد من أن جماعته
القليلة لا تستطيع الوقوف أمام العدو ، والظاهر أنه فكر فعلا في الانتظار لحين
مجيء بقية قواته أو العودة للاستنجاد بها . فهذا ما يفهم من الروايات التي
تقول أنه لم يمكنه الرجوع (١٨٧) . وهذا ما يقوله صراحة ابن عبد الحكم ،
لولا حماس بعض الشباب من أصحاب زهير الذين دفعوه دفعا الى خوض غمار
المعركة غير المتكافئة (١٨٨) . في هذه الظروف الصعبة استجاب زهير لاستغاثة

(١٨٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٢ . وقارن الرقيق ، ص ٥٢ ، ابن الأثير سنة ٦٢ ج ٤

ص ٥٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٣ ، المائكي ، ج ١ ص ٣٠ .

(١٨٥) ابن عبد الحكم ص ٢٠٢ .

(١٨٥) نفس المصدر . وقارن الرقيق ص ٥٣ (حسب يقول أنه كان معاه عسكرة من
أشراف المدن) .

(١٨٦) انظر المائكي ج ١ ص ٣٠ .

(١٨٧) ابن الأثير ، سنة ٦٢ ، ج ٤ ص ٥٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٣ .

(١٨٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ (تقول رواية ابن عبد الحكم : « فتونب للمحق
به الناس فعاد له فتى شباب كثر معه ، جئت يا زهير ، فقال : ما جئنت يا ابن أخي ولكن قتلتنى
وهدمت سدودى » . هذا كما حكى المسكر في أن تكون هناك استفاد أو اضطراب في قوات =

المسلمين ، والروم يدخلونهم ، فامر اصحابه بالنزول (١٨٩) . بمعنى أنهم تركوا خيولهم وأصبحوا رجاله لوعورة الارض التي لا تسمح بحرب الخيالة ، وبمعنى أنهم لن يبرحوا أماكنهم مهما كانت نتيجة المعركة .

وهكذا تكاثرت الروم على زهير وأصحابه . واقتتلوا حتى عاتق بعضهم بعضا ، ولم تستطع جماعة الفرسان الصغيرة - وهي تحارب بدون خيلها - الصمود ، فاستشهدوا عن آخرهم (١٩٠) كما استشهد عقبة في تهودة . ويقول ابن عبد الحكم ان قبورهم هناك معروفة (١٩١) تدعى قبور الشهداء (١٩٢) وفي مدينة درنة اليوم قبر مازال يحيى ذكرى استشهاد زهير وأصحابه في تلك الوقعة ، يقال أنه قبر زهير .

وسمع بالكارثة رجل من بني مذحج اسمه عطية بن يربوع كان فارا من الوباء في موضع يعرف بأملس من بركة برقة فاستنقث بالمسلمين في تلك البرية ، واستطاع أن يجمع حوالي ٧٠٠ (سبعمائة) رجل زحف بهم على الروم الذين لجأوا الى مراكزهم بخيلهم وسلاحهم ، وبمن معهم من سبي المسلمين (١٩٣) .

ووصلت أنباء مقتل زهير الى دمشق فكان لها رنة حزن عميقة ، وكانت المصيبة بزهير وأصحابه مثل المصيبة بعقبة بن نافع وأصحابه (١٩٤) . واهتم الخليفة عبد الملك بن مروان بالأمر ، ولكنه لم يكن في وضع يسمح له بالعمل الايجابي في المغرب ، فقد كان عليه أولا أن يتخلص من منافسه عبد

• زهير ، فابن عبد الحكم يورد رواية يعترض فيها زهير على أن يكون عارض الجند في قواحه وجلا اسمه جندل بن صخر لأنه اشتهر بفظاظته وغلظته ، وشدة على الناس (ص ٢٠٢ - وهو يوجه كلامه هنا الى عبد العزيز بن مروان) . كما يفهم من رواية ابن عبد الحكم أيضا أن الوباء كان يجتاح برقة في تلك السنة (ص ٢٠٣) ولا تعرف ان كان قد أثر على قوات زهير أم لا .

(١٨٩) انظر الرقيق (ص ٥٣) حيث يقول النص أن زهيراً نادى بأصحابه : « النزول وحكمكم الله ، فنزلوا » ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٣ .
(١٩٠) انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٣ ، الرقيق ص ٥٣ ، ابن الأثير سنة ٦٢ ، ص ٥٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٣ ، المالكي ، ج ١ ص ٣١ .
(١٩١) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٠٣ .
(١٩٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٩ .
(١٩٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٣ ، المالكي ، ج ١ ص ٣١ .
(١٩٤) الرقيق ، ص ٥٣ ، المالكي ، ج ١ ص ٣١ ، التويري ، ص ٧٢ ب .

الله بن الزبير - بطل وقعة سييطة . وعلى ذلك لم تتمكن الخلافة من استعادة المغرب الا بعد مقتل ابن الزبير في سنة ٧٣هـ / ٦٩٢م . ورغم أننا لا نعرف بشيء من الدقة ما كانت عليه أحوال افريقية والمغرب في فترة السنوات الأربع من سنة ٦٩ هـ إلى سنة ٧٢ هـ ، فمن المعروف أن الروم انسحبوا من برقة فكانت بين أيدي المسلمين ، وكان يليها مولى لعبد العزيز بن مروان اسمه تليد (١٩٥) . ويفهم أيضا أن القيروان ظلت عربية اسلامية بعد أن أمنها زهير ، إذ لا تذكر النصوص أن العاصمة العربية الافريقية تعرضت خلال تلك الفترة إلى أعمال عنائية من جانب الروم أو البربر ، ولا لأعمال مضادة من جانب حسان بن النعمان الذي وقع على عاتقه عبء الثأر لزهير وأقرار الأمور في المغرب .

المقاومة الأخيرة وتثبيت أقدام العرب نهائيا في المغرب :

١ - أعمال حسان بن النعمان الفساني (٧٣ هـ / ٩٦٣ م - ٨٥ هـ /

٧٠٤ م) :

١ - الصراع ضد الروم والبربر :

بعد أن انتهت أزمة الخلافة الثانية ، وتخلص عبد الملك بن مروان من مناقسة عبد الله بن الزبير ، انصب تفكير الخليفة على المغرب فجهز جيشا كبيرا عهد بقيادته إلى أحد مشاهير قواد الشام ، وهو حسام بن النعمان ، من سلالة ملوك عرب الشام القدماء من الفساسنة ، وعهد إليه بولاية المغرب (١٩٦) . واختيار حسان يدل على اهتمام الخليفة في دمشق اهتماما مباشرا بالمغرب ، فحسان هو أول قائد من أهل الشام يدخل المغرب ويعهد إليه بولايتها زمن بني أمية ، كما ينص على ذلك المالكى (١٩٧) . فقد كان القواد والولاة قبل ذلك من أهل مصر . ويشير الكتاب إلى عظم كثافة جيش حسان فيقولون ان عدته بلغت ٤٠ (أربعين) ألف رجل . أما عن وقت دخوله المغرب فيختلفون في تحديده ، فالبعض يجعله في سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م أي مكان

(١٩٥) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٣ .

(١٩٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، ابن الأثير ، سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٧٩ . وعن نسبة

حسان انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٢ (حسان بن النعمان بن عدس بن بكر بن طيب بن عمرو

ابن مزقيا بن عامر بن الأزدي) .

(١٩٧) المالكى ، ج ١ ص ٣٦ .

دخول زهير (١٦٨) ، والبعض يضعه في سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ (١٩٦) م أي في موضع دخوله الثاني كما سنرى . والأقرب إلى الصحة هو التاريخ الذي يحدده ابن عبد الحكم وهو سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م ، بعد مقتل ابن الزبير مباشرة . وهذا لا يتعارض مع ما يأخذ به ابن الأثير من أن حملة حسان كانت سنة ٧٤ هـ / ٦٩٤ - ٦٩٤ م (٢٠٠) ، إذ الحقيقة أن الجيش الكبير لم يخرج إلى المغرب مباشرة بل أن الأوامر صدرت إلى حسان بالاقامة في مصر إلى أن يتم اجتماع رجاله ، وحتى تتبين الأمور وتتضح . أما عن نفقات القوات العظيمة وأعطيات الرجال فكان على خزانة مصر أن تديره ، وكان ذلك يتطلب أيضا بعض الوقت .

فتح قرطاجنة :

وهكذا أعدت الحملة في سنة ٧٣ هـ ، وخرج حسان من مصر في سنة ٧٤ هـ على رأس جيشه الذي لم يدخل بلاد المغرب مثله من قبل (٢٠١) . ونزل في طرابلس حيث انضم إليه من كان هناك من عرب إفريقية وطرابلس (٢٠٢) . وبعد أن أصلح من شأنه خرج نحو إفريقية وعلى مقدمته محمد بن أبي بكر ، وهلال بن ثروان اللواتي (٢٠٣) ، ودخل القيروان حيث تجهز منها للغزو . واتبع حسان خطة عسكرية جديدة أساسها مقابله أعدائه من الروم والبربر كل على حدة حتى يسهل عليه القضاء عليهم . وهذا ما تعبر عنه الروايات العربية عندما تقول انه لما دخل إفريقية سأل عن أعظم ملوكها ف قيل له صاحب قرطاجنة ، فلما تم القضاء على الروم سأل عن بقى من الملوك فدلوه على زعيمة جبل أوراس وهي الكاهنة (٢٠٤) . وبدأ حسان بتوجيه ضربته الأولى

-
- (١٦٨) المالك ، ج ١ ص ٢١ ، النص الجديد لبيروني ، ص ٢٢١ ، النويري ، ص ٧٤ (ينقل رواية الرقيق) .
- (١٩٩) ابن عسار ، ج ١ ص ٢٤ .
- (٢٠٠) ابن الأثير ، سنة ٧٤ ، ج ٤ ص ١٧٩ (النويري ، المخطوط ، ص ٧٤) .
- وقلان خليفة بن خياط (ج ١ ص ٢٦٤) حيث يضع غزو حسان لجبل أوراس في أحداث سنة ٧٢ هـ .
- (٢٠١) نفس المصدر .
- (٢٠٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ .
- (٢٠٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ (ويضيف ابن عبد الحكم هنا زهير بن قيس وذلك لأنه يجعل وفاته كما نعرفنا بعد ولاية حسان) .
- (٢٠٤) المالك ، ج ١ ص ٦١ ، ٢٢ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٣٤ ، ٣٥ ، النويري ، ص ٧٤ ، ٧٤ .

الى قرطاجنة عاصمة افريقية القسدية ، ولم يكن العرب قد حاربوها من قبل (٢٠٥) . وضرب حسان الحصار على المدينة الحصينة ، وكان بها عدد كبير من الروم ، ودارت معارك طاحنة بين العرب والروم بين تراشق بالنبل والسهم والرومي بالمنجنيقات ، وما بين تلاق بين الفرسان والكمأة ، وكان الصرب شديدي الوطأة على خصومهم ، الذين ياسوا من امكانهم انصمود ، حتى ان كثيرا منهم فر في المراكب الى جزائر البحر وخاصة نحو صقلية (٢٠٦) . والظاهر ان ذلك تم خديعة اذ توجد رواية في البكري ينقلها التجاني تقول : انهم طلبوا الامان من حسان فلما اوقف القتال هرب الروم في المراكب (٢٠٧) . ويؤكد ذلك ما يقوله ابن عبد الحكم من ان حسان لم يصب فيهم الا قليلا من ضعفائهم (٢٠٨) . واما ما يكاد يجمع عليه المتأخرون من ان حسان قتل الروم قتلا ذريعا وأنه خرب قرطاجنة (٢٠٩) ، فهو خاص بأخذ المدينة عنوة في المرة الثانية (سنة ٧٧٩/٥٧٩ م كما سنرى) ، وهذا لا يمنع من صحة توقيت المعارك التالية . فلقد اتبع حسان دخول قرطاجنة بالحاق الهزيمة بالروم وبمن انضم اليهم من البربر عند صطفورة وبنزرت غير بعيد من قرطاجنة ، كما أخذ يوجه سراياها في كل أنحاء افريقية . واكتفى حسان بانهزام أعدائه ، ولم ير ضرورة لانهاك كل قواه في حرب باجة حيث هرب الروم وتحصنوا أولا في بونة (عنابة الحالية في شرق الجزائر على حدود تونس) حيث لجأ البربر (٢١٠) . وكانت الجراح قد فشت بين العرب خلال معاركهم الجديدة ، فرجع حسان الى القيروان لتضميد جراح الناس ، ولاصلاح شئونهم (٢١١) .

(٢٠٥) ابن الأثير ، سنة ٧٤ هـ ج ٤ ص ١٨٠ (ويتبنى الاشارة هنا الى أن ابن الأثير يقول ان حسان وجد فيها الروم والبربر وهذا ما لا يقوله غيره مثل ابن عبد الحكم والمالكي وابن عذاري) .

(٢٠٦) لا تقول التصوص العربية انهم فروا نحو صقلية فقط (وهذا امر محقول لان صقلية كانت من أهم مراكز النقل في ذلك الوقت) بل وسحو الأندلس أيضا (وهذا موضع شك فالأندلس كانت قوطية ولم تكن رومية . وثو أنه من الممكن أن يكون التصود هو أنهم فروا نحو سبتة وطنجة مثلا وكانت لهما علاقات بالأندلس) - ابن خلدون ج ٦ ص ١٠٩ .

(٢٠٧) البكري ، ص ٣٧ ، التجاني ، ص ١٠ ، وانظر حسين مؤنس ص ٢٢٦ .

(٢٠٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ .

(٢٠٩) ابن الأثير ، سنة ٧٤ هـ ج ٤ ص ١٨٠ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٥ ، المالكي ج ١ ص ٣٢ .

(٢١٠) ابن الأثير سنة ٧٤ ص ١٨٠ (الفويري ، ص ٧٤ ب) . ابن عذاري ج ١ ص ٣٥ . المالكي ، ج ١ ص ٣٢ .

(٢١١) نفس المصدر .

الصراع ضد الكاهنة :

وهكذا نجحت أولى حملات حسان بدخوله عاصمة افريقية الازبية في سنة ٧٤ هـ ، وبذلك كان يقطن أن أمر المغرب قد تمهد أو كاد بعد القضاء على المقاومة النظامية من جانب الروم ، فلم يعد أمامهم الا بعض تجمعات من القبائل غير المنظمة التي يسهل اخضاعها . ولم يكن الأمر كذلك إذ تمثلت المقاومة البربرية في ذلك الوقت في تحالف قبائل جبل أوراس تحت قيادة امرأة يعرفها الكتاب ان عرب باسم الكاهنة . وتحيط بهذه المرأة روايات شبه أسطورية ولكنه يمكن أن يكون لها أساس من الصحة . فالحقيقة ان الكاهنة ليس اسم المرأة بل هو لقب أطلق عليها نظراً لخبرتها بالسحر وقرانيتها في التنبؤ بما يقع من الأحداث ، وهذا ما عرف به الكهان قديماً ، وهذا ما كان شائعاً بين البربر في جاهليتهم (٢١٢) ، وما كان يشتهر به المقاربة بيننا الى عهد قريب . أما اسم المرأة كما تقول بعض الروايات فهو دهيار (٢١٣) ، والظاهر أن هذا هو الآخر صفة أو لقب أطلق عليها لاتصافها بالدهاء ، وهو الصفة الأساسية عند السحرة والمشعوذين . أما ما يقال من أن المرأة كانت يهودية (٢١٤) ، فهذا ما لم تشر اليه النصوص الأصيلة وما لم يثبت له دليل رغم ما هو معروف من أن الأفكار اليهودية عرفت بالمغرب منذ القديم (٢١٥) . فعلى العكس من ذلك تقول بعض الروايات انه كان مع الكاهنة صنم عظيم من خشب كانت تعبد به بمعنى أنها كانت وثنية (٢١٦) . أما ما هو معروف فالكاهنة بربرية من قبيلة جراوة، وهذه القبيلة من مجموعة قبائل اليترا (البلو) التي سكنت جبل أوراس . ونجحت المرأة العجيبة في جمع قبائل أوراس حولها حتى سماها ابن عبد الحكم والبلاذري « بملكة البربر » (٢١٧) ، وحتى قال مستشارو حسان له « ان قتلها دان لك المغرب كله » (٢١٨) . ولا نعرف ان كانت المرأة استمدت قوتها من البربر فقط أو من علاقة كانت بينها وبين

(٢١٢) انظر فيما سبق ، ص ١١٤ - ١١٦ .

(٢١٣) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١٠٩ (دهيار بنت ماتيبة بن تيفان ملكة جبل

أوراس) .

(٢١٤) نفس المصدر ، ج ٦ ص ١٠٧ .

(٢١٥) انظر فيما سبق ، ص ١١٧ ، ص ٢٥١ .

(٢١٦) المالكي ، ص ٣٥ وانظر فيما سبق ، ص ١١٥ - ١١٦ واليوامش .

(٢١٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، البلاذري ، ص ٢٢٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٠ .

(٢١٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٠ - وقارن ابن الأثير ، سنة ٦٢ ج ٥ ص ١٨٠ .

المالكي ، ج ١ ص ٢٢ .

الروم أيضا . فهناك بعض النصوص تقول انه كان من بين اولادها ابن يوناني (٢١٩) ، مما يحتمل معه أن يكون الروم قد أعانوها على تثبيت مركزها أو أن بعضهم ربط مصيره بمصيرها .

هزيمة حسان :

بدأ حسان في تنفيذ الشطر الثاني من خطته في انقضاء على مقاومة البربر بعد أن شفى رجاله مما أصابهم من الجراح ، وبعد أن أصلحوا من أحوالهم ، فسار نحو جبل أوراس ، في صميم المنطقة حيث لقي عقبة مصرعه . وبدأت المرأة الغربية في تطبيق سياسة ستمارسها فيما بعد على نطاق واسع ، وهي سياسة التخريب الحربية أو ما يسمى حاليا ، « حرب الأرض المحترقة » التي تهدف إلى ترك الأرض خرابا يبابا أمام الخصم ، حتى لا ينتفع بخيراتها ويزهد في الإقامة بها . فعندما اقترب منها حسان أسرع إلى حصن باغاية وخربته (٢٢٠) . والظاهر أنها خشيت أن يعتصم فيه حسان (٢٢١) ، واتباعها يريدون الحرب في الأرض المفتوحة - وانسحبت الملكة البربرية إلى مجرى ماء يختلف الكتاب في اسمه : فابن عبد الحكم والرقيق يسميانه وادي أو نهر « البلاء » (٢٢٢) ، وهذه التسمية أطلقت عليه فيما بعد تنويها إلى ما أصلب العرب في المعركة ، ويضيف الرقيق انه سمي وادي العذارى ، نسبة إلى مقتل زهرة شباب العرب ، بينما يسميه ابن الأثير نينى (٢٢٣) ، والظاهر أنه أحد روافد نهر مسكيانة ، وهو الاسم الصحيح كما في ابن عذارى (٢٢٤) . ووقف الجيشان على ضفة الوادي وجها لوجه في آخر النهار ، وبات الفريقان ليلة المعركة على أهبة الاستعداد للحرب . ورغم ما تقوله النصوص من أن

(٢١٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٧ .

(٢٢٠) ابن الأثير ، سنة ٧٤ ، ج ٤ ص ١٨٠ (النويرى ، ص ٧٤ ب) - وقارن ابن عذارى (ج ١ ص ٣٥) الذي يقول انها أخرجت الروم من الحصن وهدمته وانفلكه ج ١ ص ٣٣) الذي يقول انها أخرجت من بها وهدمتها .

(٢٢١) الرقيق ، ص ٥٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٦ .

(٢٢٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، وقارن الرقيق ، ص ٥٦ حيث يقول ان التسمية « بلى » بربرية أصلا ، وهو الأمر الذي يشكك فيه ما تقوله الرواية بعد ذلك (ص ٥٧) من أن الوادي سمي بوادي البلاء ، وهو ما رجحناه .

(٢٢٣) ابن الأثير ، سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨٠ .

(٢٢٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٦ ، وقارن المالكي (ج ١ ص ٣٣) الذي يسميه حرقا نهر مكناسة .

الجيش العربي كان في أعلى الوادي (أي في مركز استراتيجي جيد) وأن جموع البربر كانت في أسفله (٢٢٥) ، فإن القتال المرير انتهى بانهزام حسان هزيمة منكرة ، ولم يفلت الا بعد أن ترك في أرض المعركة عددا كبيرا من زهرة شباب العرب حتى أطلق على موضع المعركة اسم وادي العذارى (٢٢٦) . ووقع في أسر الكاهنة حوالي ٨٠ (ثمانين) رجلا من وجوه أصحاب حسان أشهرهم خالد بن يزيد القيسي الذي تبنته واتخذته مستشارا لها (٢٢٧) .

وتبع رجال الكاهنة حسان حتى خرج من حدود قابس منسجبا الى ما وراء مدينة طرابلس حيث أقام في موضع ما زان الى الآن يحتفظ باسم قصور حسان (٢٢٨) ، وذلك قرب مدينة تاورغي الخالية على بعد حوالي ٢٥٠ كيلو متر شرق مدينة طرابلس . والظاهر أنه أقام في بعض الحصون القديمة هناك ، وأنه أضاف اليها بناء بعض الحصون الجديدة في ذلك المكان الذي تعتبره بعض الروايات من أرض برقة (٢٢٩) .

وهكذا اضطر العرب الى التخلي عن فتوحهم في افريقية والمغرب للمرة الثالثة خلال عشر سنوات (من ٦٥ هـ الى ٧٤ هـ) ولم يبق بين أيديهم الا أقاليم اجسداية ، ربرقة ، ولوية ومراقيسة (٢٣٠) . وتطلب الأمر خمس سنوات طوال (٢٣١) لكي تسترجع البلاد التي سادتها الكاهنة كخليفة لكسيلة (٢٣٢) . ورغم ما يصف الكتاب به تلك المرأة من الشعوذة واعتناق

(٢٢٥) الرقيق ، ص ٥٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٦ .

(٢٢٦) الرقيق ، ص ٥٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٦ .

(٢٢٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، ابن الأثير ، سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٦ ، المالكي ، ج ١ ص ٢٢ (ابن عبد الحكم والمالكي يقولان انه عيسى - أما ابن الأثير فيسببه القيسي ، وهو ما تؤكد رواية الرقيق ، ص ٥٧ ، ٥٨) .

(٢٢٨) انظر الرقيق ، ص ٥٧ .

(٢٢٩) انظر فيما سبق ص ٦٥ (ونلاحظ أنه ترتيب على قول بعض الكتاب أن قصور حسان في برقة أن طن بروفنسال أن حسان ارتد الى مطقة فيرين (شععات حاليا) أي الى منطقة مدينة برقة (انظر النص الجديد ، الدراسة ، ص ٢١٢) . ويفهم من رواية البلاذري (ص ٢٢٩) أن أهم حصن في تلك القصور كان بناء قديما ، وذلك أن سقفه كان مبنيا من عقود (أزواج) . وهذا يرجح أن تكون القصور قديمة ثم زاد فيها حسان .

(٢٣٠) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ .

(٢٣١) الرقيق ، ص ٥٧ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨٠ ، ابن عذارى ج ١

ص ٣٦ .

(٢٣٢) انظر ابن الأثير ، أحداث سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨١ ، حيث ينقل الواقدي أن الكاهنة خرجت للشار كسيلة .

اليهودية أو الوثنية وسوء السيرة ، ورغم أنهم لا يشيرون الى أى علاقة ودية بينها وبين العرب ، فالمفهوم أن الكاهنة - مثلها مثل كسيلة - كانت لا تكن للعرب الحقد أو الضمينة ، ان لم نقل انها كانت تحترمهم وتعترف لهم قدرهم في قرارة نفسها على الأقل . فكما فعل كسيلة عقب مقتل عقبة ، أطلقت الكاهنة سراح الأسرى العرب وأعادتهم الى حسان . وأكثر من هذا استبقت منهم يزيد بن خالد ، الذى أتجيبها جماله وشجاعته ورجاحة عقله ، وتبينته حسب التقاليد البربرية المعروفة في ذلك الوقت بشكل قريب من التبني والمؤاخاة عن طريق الرضاعة المعروفة عند العرب والمسلمين (٢٢٣) . أما عن علاقتها بالروم التى أشرنا إليها (٢٢٤) فالظاهر أنها لم تكن فى قوة علاقة كسيلة بهم حتى أنهم انقلبوا عليها فى آخر الأمر .

تخريب افريقية :

واتبعت الملكة البربرية سياسة مبنية على مبادئ التنظيم القبلى الذى تعرفه قبيلتها جراوة البترية ، وهو التنظيم البدوى الذى لا يعرف مفاهيم الإقتصاد المدنى ، والذى لم يكن ليلائم البلاد التى عرفت بالمدينة والنظم الاقتصادية العريقة . فكانت الكاهنة تحكم البلاد بمساعدة أبنائها وبمعاونة خالد بن يزيد ومشورته (٢٢٥) ودرست الكاهنة موقفها من العرب ، وعرفت أنهم لا يدعأون بعد حين كما فعلوا من قبل ، وتملكت المرأة فكرة « حرب الأرض المحترقة » ، التى بدأت تطبيقها عندما أخرجت الروم من باغاية وخربتها (٢٢٦) ، حتى يئس العرب من الإقامة بالبلاد . فالنصوص تقول انها قالت للبربر : « ان العرب انما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والنفضة ، ونحن انما نريد منها المزارع والمراعى ، فلا نرى لكم الا خراب افريقية كلها حتى يئس منها العرب ، فلا يكون لهم رجوع اليها الى آخر

(٢٢٣) يقول الرقيق (ص ٥٨ - ٥٩) الذى ينقله ابن عذارى (ج ١ ص ٣٧ ، وقارن الملكى ، ج ١ ص ٣٤) انها جهزت دقيق شعير ولنته زيت ، وجعلته على ثديها ، ودعت خالدًا وولديها وجعلتهم يأكلون على ثديها فلما فعلوا قالت لهم صرتم اخصوة . وقارن ابن حلدون ، ج ٦ ص ١٠٩ وأنظر فيما سبق ، ص ١١٥ - ١١٦ .
(٢٢٤) أنظر فيما سبق ، ص ٢١٨ وهامش ٢١٩ .
(٢٢٥) النصر الجديد ، ص ٢٢٢ .
(٢٢٦) أنظر فيما سبق ، ص ٢١٨ وهامش ٢٢٠ .

الدهر، (٢٣٧) .

وهكذا نزل اتباعها يقطعون الشجر ، ويهدمون الحصون ، ويخربون القرى (٢٣٨) . ولذلك ينسب انكتاب خراب البلاد الى الكاهنة وقبيلتها جراوة ، ويقولون « كانت افريقية ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة ، وقرى متصلة ، ومدائن منتظمة حتى لم يكن في اقاليم انديا اكثر خيرات ولا أوصل بركات ، ولا اكثر مدائن وحصونا من اقليم افريقية والمغرب ، مسيرة ألفي ميل ، فخربت الكاهنة ذلك كله » (٢٣٩) .

ولقد كانت سياسة التخريب التي اتبعتها الكاهنة موضع جدل بين الكتاب الاوربيين ، فيروفتسال يؤيد مقالة جاتو (Gateau) ويقول انه : « من الواضح أن نسبة هذا العمل ، الذي يخالف طباع البربر ، الى الكاهنة لا بد أن تكون محل شك » ولا ريب أن العرب - وهم المستونون الحقيقيون عما أصاب افريقية من خراب البلاد الاقتصادي الزراعي بعد ذلك بسنوات - هم الذين نسبوا الى بطلة الأوراس هذه الجريمة التي لا بد أن نضيفها الى حسابهم دون أدنى ظل من الشك أو التردد » (٢٤٠) . ولكن هذا الرأي لا يبنى الا على مجرد الفرض أو التخمين ، وهو يجافي ما أجبت عليه النصوص . والحقيقة ان أساس هذا الرأي هو أنه ما كانت الكاهنة ومن معها من البربر ليستسيغوا اعادة بلادهم الى طبيعتها الرعوية ، وتدمير مصادر ثروتها (٢٤١) . وهذا الرأي قد يكون مقبولا لو كان الأمر أمر تفكير هادئ ، في ظل ظروف عادية ، لمشاكل البلاد الاقتصادية ، ولكنها كانت

(٢٣٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٦ ، وقارن نص الرقيق (ص ٦١) الذي ينقله ابن عذاري ، وانظر النص الجديد ، ص ٢٢٢ ، وابن الأثير ، أحداث سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨٠ (التويري ، ص ١٧٥) .
(٢٣٨) نص المصدر .

(٢٣٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٦ ، وانظر الجزء الأول من النص في الرقيق (ص ٦١) منسوبا الى قاضي افريقية واخبارها عبد الرحمن بن زياد بن أتم ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٩ ، وقارن ابن الأثير (سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨١) الذي يقول « وهذا هو الخراب الأول لافريقية » . أما الخراب الثاني فالقصور به أيام بني هلال في منتصف القرن الخامس الهجري/ ١١ م .

(٢٤٠) النص الجديد ، العروسة ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢٤١) النص الجديد ، الدراسة ، ص ٢١٢ .

الظروف الاستثنائية . ظروف الحرب التي تبيح المحظورات في بعض الأحيان .

وبناء على ذلك فلا يمكن إهمال ما أجمعت عليه النصوص ، والأخذ بما يجانبها أو بما هو على تقيضها دون دليل أو بينة . والنصوص تبين بوضوح الحكمة من انقيام بيذا العمل التخريبي ، وهي حكمة عسكرية . أما لو سأل سائل ، ولماذا إذن لم يطبق كسيطة مثل هذه السياسة من قبل فيمكن الرد على هذا التساؤل بأن كسيطة وبربرية من أوربية كانوا من البرانس ، أهل المدن والحضارة ، أما الكاهنة وبربرها من جراوة فكانوا من البتر أهل البدو الذين لا يفهمون الاقتصاد المدني . وأما القول بأن عرب بني هلال سوف يخربون الاقتصاد المغربي ، ويقلبون الأوضاع رأسا على عقب بعد ذلك بحوالي ٤ (أربعة) قرون ، فلماذا لا يكون أسلافهم قد فعلوا مثلهم ؟ فهذا قلب للأوضاع ، ووضع للنتائج قبل المقدمات بشك لا يستقيم مع منطق الأحداث ، فنكل عصر ظروفه ، والتاريخ لا يدور في حلقة مفرغة ولا يعيد نفسه بشكل آلي كما قد يتبادر إلى أذهان البعض ، والاهان معناه وبطل مخزاه . ثم انه فيما يتعلق بعرب بني هلال فان مؤرخي العرب واجهوا الحقائق بشجاعة فنصوا على ما قام به الهلالية من أعمال تخريبية كتلك التي قامت بين الكاهنة وبربرها ، وان اختلفت الدوافع والأسباب .

عودة حسان :

ولقد ترتب على أعمال التدمير والتخريب موجة من الذعر بين أهل البلاد من الروم خاصة ، وأتباعهم من الأندرقة ، فترك كثير منهم البلاد فرارا من الكاهنة ، ورحلوا في المراكب إلى صقلية وجزائر البحر ، وكذلك إلى الأندلس (٢٤٢) ، وكان حسان وهو معسكر في أحواز طرابلس على علم بما يدور في المغرب . وذلك عن طريق العرب المقيمين في افريقية ، أو عن طريق السرايا التي كان يعبر بيسا إلى هناك (٢٤٣) . وتقوى التمسوس انه كان

(٢٤٢) ابن عديم . ج ١ ص ٣٧ ، ومصر نيسا ميني . ص ٢١٦ وهنشر ٢٠٦ . وفيما يأتي في دج حسنة .

٢٤٢ . وهذا ما نشره ابن عديم خليفة من حياض من خروج حملتين إلى افريقية خلال السيرة التي تقابل وجود حسان في حيز بوقة . ففي سنة ٧٤ هـ نسا أطلع سنيان . وهو في تونس . ج ١ ص ٢٦٧ . وفي سنة ٧٥ هـ أطلع عمير بن عبيد الخولاني بالحدود التي تقابل وجود حسان في حيز بوقة .

مراسل خالد بن يزيد ، وكان هذا الأخير يكتب اليه بأخبار الكاهنة (٢٤٤) .

ومع أن أخبار تلك المراسلات يشوبها الطابع القصصى ، وخاصة من حيث مقدرة الكاهنة على معرفة ما كان يدور ضدها من وراء ظهرها ، فإنها مهمة بالنسبة لبيان الأساليب التي كانت متبعة قديما في اخفاء الكتب والرسائل السرية حتى لا تنكشف (٢٤٥) . وبطبيعة الحال كانت تلك المراسلات بين حسان وعبونه في المغرب تعنى اعداد العدة لاسترجاع البلاد . وهكذا عندما أصبحت الظروف مواتية أمدته الخليفة عبد الملك بالرجال والأموال ، وأمره بالمسير الى افريقية (٢٤٦) .

والنصوص تختلف في تاريخ عودة حسان الى افريقية الا أننا نرى أن رواية الرقيق التي ينقلها كل من ابن الأثير وابن عذارى هي أكثرها اتزاناً . وهذه الرواية لا تحدد التاريخ ولكنها تقول ان حسان أقام ببرقة خمس سنين ، ولما كانت هزيمته في سنة ٧٤ هـ تكون عودته الى المغرب في سنة ٧٨ أو ٧٩ هـ / ٦٩٧ - ٦٩٨ م (٢٤٧) . ورواية الرقيق التي ينقلها ابن الأثير

(٢٤٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، وانظر الرقيق ، ص ٥٩ - ٦٠ (وان كانت الرواية مقطعة الاوصال من الخروم) .

(٢٤٥) من الأساليب التي يذكر استخدامها في اخفاء كتب خالد الى حسان وضع الكتاب في العيزة قبل اضاجها في النار ، وكذلك وضع الكتاب في قريوس (والقريوس نوع من التبات حسب ابن عبد الحكم ، أما الرقيق الذي ينقله ابن الأثير فيقول قريوس السرج بمعنى الجزء المرتفع منه) انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، الرقيق ، ص ٦٠ ، ابن الأثير سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨٠ ، ابن عذارى ج ١ ص ٣٧ ، المالكي ، ج ١ ص ٣٤ .

(٢٤٦) انظر الواقدي الذي ينقله ابن الأثير ، سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨١ .

(٢٤٧) الرقيق ، ص ٥٧ . وانظر ابن الأثير ، سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨٠ (النويري ، ص ١٧٥) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٦ . هذا ويجب الاشارة الى أن ابن الأثير ينقل رواية للواقدي تقول ان حسان أقام في برقة الى سنة ٧٤ هـ . ومفهوم أن المقصود بذلك هو خروجه لأول مرة . أما ابن عبد الحكم فيورد روايتين احدهما تقول ان حسان أنهى أعماله في المغرب سنة ٧٦ هـ والثانية أنه إنهاها في سنة ٧٨ هـ ، وهذا ما لا يفتق مسح بقية الروايات . وطلان التاريخان يمكن أن يقبلا كبداية لعودة حسان الى المغرب ، فهناك رواية في المسالك (ص ٣٣) تقول انه أقام في برقة ٣ (ثلاث) سنين ، وهذه تتفق مع التاريخ الأول ، أما الثاني فهو قريب مما يحده ابن الأثير هنا وإذا كان ابن خيطل (ج ١ ص ٣٦٧) يجعل مقتل الكاهنة في سنة ٧٤ هـ وهي سنة هزيمة حسان ، فإن النص بعد ذلك على أن الخليفة عبد الملك رد حسان الى افريقية سنة ٧٨ هـ (ج ١ ص ٧٨) يعني عودته في تلك السنة . بصرف النظر عن خلط ذلك بولاية موسى بن نصير - (وانظر أيضا ج ١ ص ٣٠٠ - ٣٠١) .

هي انوحيدة التي نعطينا تفصيلات عن الطريق الذي سنكده حسان من حدود افريقية حتى خرجت اليه جماعات من اهلها ، وخاصة من الروم يستغيثون من الكاهنة (٢٤٨) ، فكان في ذلك تأييد مادي ومعنوي لحسان الذي سر بذلك . ووصل حسان الى قابس حيث استقبله اهلها استقبال المخلص ، فرحبوا به وقدموا له الاموال (٢٤٩) . وبعد ان ترك حسان عاملا من قبله في قابس ترك الطريق الرئيسي الساحلي الطويل ، واتخذ الطريق انصحراوى القصير عبر بلاد الجريدة الى قفصة التي اعلنت خضوعها هي الاخرى ، واتبع حسان ذلك بالاسنيلاء على كل بلاد نفزاوة وقسطينية (٢٥٠) .

وانظاير ان اهل البلاد ثم يكتفوا بالاستغانة بحسان تم بالترحيب به ، بل قدموا المعونة للعرب بشكل ايجابي ، فأمدهم بالرجال الى جانب الاموال . فهذا يفهم من رواية ابن عبد الحكم الذي يقول انه كان مع حسان جماعة من البربر من البتر (٢٥١) .

حول نهاية الكاهنة :

وعندما اقترب حسان من الكاهنة أدركت المرأة الغربية بقراستها ان نهايتها قريبة . ورغم الطابع الاسطوري لقصة بداية الكاهنة فانها معقولة . فالمرأة لم ترض بالاستسلام ووجدت ان ذلك من العار ، ورضيت ان تقتل حافظتها شرقها وشرف قومها (٢٥٢) . ولكنها في نفس الوقت رأت ان يأخذ ابناؤها الامان وينضموا الى جانب حسان . واكثر من ذلك تقول الروايات ان حسان عند ان ولديها قيادة قواته البربرية قبل المعركة بمعنى ان ابناه الكاهنة حاربوا في صفوف العرب ضد قوات واندنهم (٢٥٣) ورغم ان

(٢٤٨) انظر الرقيق ، ص ٦١ (حيث يقول ان من لقيه من الروم واستعانوا به كانوا ٣٠٠ (ثلاثمائة) رجل ، وقاد ابن الانير ، سنة ٧٤ هـ ج ٤ ص ١٨١ .
(٢٤٩) الرقيق ، ص ٦١ (حيث يقول : ان اهل قابس كانوا يتحصنون من كل احد من هم ، وقاد ابن الانير ، سنة ٧٤ هـ ج ٤ ص ١٨١ (حيث يقول اسم كانوا قبل ذلك يتحصنون من الامراء) .

(٢٥٠) الرقيق ، ص ٦٢ ، ابن الانير سنة ٧٤ هـ ج ٤ ص ١٨١ .

(٢٥١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١ ، وانظر الرقيق ، ص ٦٤ .

(٢٥٢) انظر الرقيق ، ص ٦٢ (حيث قالت : كيف ارحس وانسر . وانا ملكة والملوك لا تهر من الموت ، فاقبلد فومي عرا آخر الدهر) .

(٢٥٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١ ، ابن الانير ، سنة ٧٤ هـ ج ٤ ص ١٨١ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٣١ ، ومالكى ج ١ ص ٢٤ .

الأقرب إلى المعقول أن يكون أبناء الكاهنة قد طلبوا الأمان بعد القضاء على وائديهم ، وهذا ما تشير إليه نفس الروايات في نفس الوقت . أو أن يكونوا قد خرجوا عليها كما خرج غيرهم ممن لم يرضوا عن سياستها . وأن هذا العمل العدائي من جانب الكاهنة مقبول بالنسبة لأنكار أهل ذلك العصر (لقديم) بل وهو صحيح أيضا بالنسبة لعصرنا (الحديث) . فإخواننا المسن يمثل الماضي الفاني والأبناء يمثلون الحاضر والمستقبل . وكان المستقبل شغوب والاسلام . هذا ما أدركته منكة أوراس الذكية . عدائية .

هقتل الملكة الأسطورة :

وهكذا تم اللقاء بين حسان الذي كانت تتضح قوته وتزداد بمن ينضم إليها من أهل البلاد حروبين الكاهنة التي كان ينفض عنها أتباعها شيئا فشيئا . والنصوص المتأخرة نسبيا تشير إلى أن اللقاء وقع غير بعيد من حصن الجبل (في منتصف الطريق ما بين سوسة وسفاحس) ، وأن الكاهنة اعتصمت بهذا الحصن (٢٥٤) . وهذه الرواية تعني أن الكاهنة تقدمت للقاء حسان على الطريق الرئيسي صوب قابس . وهذا ما تبدأ به رواية المالكى فعلا (٢٥٥) . ولكن ذلك لا يستقيم مع الروايات التي يفهم منها أن الكاهنة كانت تنتظر مصيرها الدامي مع مقدم حسان . وأما رواية ابن عبد الحكم فتقول إن اللقاء تم في أصل جبل (٢٥٦) ، ويمكن أن يفهم من ذلك أن المعركة وقعت في بلد الكاهنة نفسها أي في جبل أوراس ، وهذا ما يقوله ابن خلدون (٢٥٧) . وهذا ما تؤيده الرواية الأولى التي تقول إن الكاهنة عندما اعتصمت بحصن الجبل حفرت منه سربا في الحجر أصلد نفذت به إلى أصل مدينة سلقطة ، وكانت اختبئ بها هنالك ، فكان الطعام يجرأ به إليها في ذلك السرب على ظهور الدواب (٢٥٨) والظاهر أن الحقيقة تتفق مع ما يذكره المالكى (٢٥٩) أنه حدثت معركةان كبيرتان بين حسان والكاهنة ، الأولى منهما عند قابس

(٢٥٤) البكري ، ص ٢٠ - ٢١ ، التجاني ، ص ٥٧ ، وأنظر الاستبصار (ص ١١٨) الذي يسميه لصر لخم والظاهر أنه حدث تحوير في الاسم القديم فسبب الموضع إلى اللخمين . وعن هذا الأساس يقول الإدريسي (ص ١٢٨) إن اسم المنطقة مستق من اسم أهلها . وقارن فيما سبق ص ١٥٩ وهاض ١٢٩ .

(٢٥٥) المالكى ، ج ١ ص ٢٥ .

(٢٥٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١ .

(٢٥٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٩ .

(٢٥٨) البكري ، ص ٣١ ، البحاني ، ص ١٠٩ . وقرئ الاستبصار ، ص ١١٨ .

(٢٥٩) المالكى ، ج ١ ص ٣٥ .

وتظن أنها المعركة التي يقال إنها وقعت قرب حصن الجمل ، والشسانية وهي
انفاصلة وقعت في جبل أوراس ، وهذا ما تؤيده بوضوح رواية الدباغ (٢٦٠) ،
وأن طلب أبناء الكاهنة الأمان وقع ما بين المعركتين .

أما عن القتال نفسه فكان رهيبا بذل فيه الفريقان قصارى طاقتهما ،
وكثر القتل ، حتى ظن الناس أنه الفناء (٢٦١) . وانتهت المعركة الشسانية
بانتهزام الجرب ، وطارد العرب المنهزمين وأدركوا الكاهنة فقتلوا (٢٦٢) في
موضع يسميه الكتاب بشر الكاهنة (٢٦٣) ، وتبعوا رجالها وقتلوا منهم عددا
كثيرا . أما عن تاريخ مقتل الكاهنة فللاسف انه ساقط في كتاب ابن
عبد الحكم ، ويكتفى الرقيق الذي ينقله ابن الأثير بالقول ان حسان عاد الى
القيروان في رمضان سنة ٧٤ هـ / ٦٩٤ م (٢٦٤) . ولا شك ان هذه الرواية
تخلط بين هزيمة حسان التي وقعت في سنة ٧٤ هـ (٢٦٥) وبين انتصاره
هذا الذي كان في سنة ٧٩ هـ / ٦٩٨ م ، كما قلنا . وبناء على ذلك فالراجع
ان تكون عودة حسان الى القيروان بعد النصر في سنة تالية لتلك السنة .
وفي ذلك تقول رواية ان عودة حسان الى القيروان كانت في سنة ٨٢ هـ /
٧٠١ م (٢٦٦) . ونحن لا نستطيع ان نتخذ تلك السنة الاخيرة كتاريخ لمقتل
الكاهنة (٢٦٧) ، فقد جرت فيما بين مقتل الكاهنة وعودة حسان الى القيروان
أحداث هامة هي التي انبني عليها استقرار العرب بصفة نهائية في المغرب .

(٢٦٠) أنظر معالم الايمان ، تونس ١٢٢٠ هـ ، ص ٦٠ ، وأنظر مؤسس ، فتح المغرب ،
ص ٢٥٩ وهامش ٣ (ولكنه يلاحظ ان تلك الرواية تعود وتقول ان الكاهنة قتلت عند طبرقة
شرفي بنزرت) .

(٢٦١) الرقيق ، ص ٦٣ ، ابن الأثير سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨١ ، وقارن ابن عذارى .
ج ١ ص ٣٨ ، النص الجديد ، ص ٢٢٣ ، النويري ، ص ٧٥ ب ، الدباغ ، ص ٦١ .
(٢٦٢) ابن الأثير سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨١ ، وأنظر الرقيق ، ص ٦٣ .
(٢٦٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١ ، الرقيق ، ص ٦٤ ، النص الجديد ، ص ٢٢٣
المكرر ج ١ ص ٣٦ .

(٢٦٤) الرقيق ، ص ٦٤ ، ابن الأثير سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨١ .
(٢٦٥) أنظر فيما سبق ، ص ٢١٨ وهـ ٢٢٣ ، ص ٢١٩ وهـ ٢٢٠ .
(٢٦٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٨ ، النص الجديد ، ص ٢٢٣ .
(٢٦٧) قارن مؤسس (فتح العرب للمغرب ، ص ٢٥٦ وهامش ١) الذي يوافق على حد
التاريخ ، وكذلك دراسة بروفيسال للنص الجديد (ص ٢١٣) حيث يقول انه انقضت فترة
عشر سنوات ما بين انهزام حسان سنة ٧٣ هـ وانتصاره سنة ٨٢ هـ ، وهذا ما لا يتفق مع
منطق الأحداث لما كانت الخلافة تنتظر عشر سنوات طوال لكي تسير حسان من جديد الى
المغرب .

استعادة قرطاجنة وتخريبها :

فبعد القضاء على المقاومة البربرية بقي على حسان القضاء على الروم في قرطاجنة . والنصوص التي بين أيدينا لا تذكر أن حسان سار إلى قرطاجنة بعد القضاء على الكاهنة أو هي - بشكها الراهن - لا تبين ذلك صراحة . وذلك أنها تخنط بين فتح قرطاجنة في حملة حسان الأولى سنة ٧٤ هـ ، وفتحها الثاني في حملته سنة ٧٩ هـ . وفتح قرطاجنة هذا يذكرنا بفتح الاسكندرية سنة ٢١ هـ ثم سنة ٢٥ هـ ، والأول فتح صلح والثاني فتح عنوة (٢٦٨) . فالكتاب عند كلامهم عن فتح قرطاجنة على يدي حسان يتكلمون عن الصلح مع الروم ثم تقضيهم ، وإعادة الفتح عنوة ، وتخريب المدينة . والمالكي هو الوحيد الذي يتحدث عن أخذ قرطاجنة بعد القضاء على الكاهنة والعودة إلى القيروان . ولكننا نمتد أنه يخنط أيضا بين الصلح والعودة (٢٦٩) . والحقيقة انه ينبغي أن يكون الصلح قد وقح في الفتح الأول (سنة ٧٤ هـ) (٢٧٠) والعودة في الفتح الثاني . وهناك نص في البكري يتناول وأغارت الروم من البحر على من بقي من المسلمين بمدينة «تونس» (والمقصود قرطاجنة) ، خرجت اليهم في المراكب فقتلوا من بها وسبوا وغنموا ، ولم يكن للمسلمين شيء يحصنهم من عدوهم ، إنما كانوا معسكرين هناك (٢٧١) . ويفهم من هذا النص أن المسلمين كانوا معسكرين في قرطاجنة بمعنى أن المدينة اذن لم تخرب بمجرد فتحها . وأما عن الغارة على العرب في قرطاجنة فان الروم انتهزوا فرصة انسحاب حسان إلى برقة (سنة ٧٤ هـ / ٩٣ - ٦٩٤ م) وسيروا حملة في البحر بقيادة البطريق يوحنا ، استطاعت أن تفتك بالحامية العربية الصغيرة . وأن تستعيد المدينة (٢٧٢) .

(٢٦٨) انظر ابن عبد الحكم ، ص ٨٠ .

(٢٦٩) انظر المالكي ، ج ١ ص ٣٧ (الدباج ، معالم الايمان ، ص ٦٢) .

(٢٧٠) انظر فما سبق ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢٧١) البكري ، ص ٣٧ - ٣٨ ، وقارن النجاشي (ص ٦) الذي يذكر غارة الروم هذه على رادس وهي ميناء تونس . والطاهر أن تلك الرواية مأخوذة أصلا من الرقيق (ص ٦٥ - حيث الإشارة إلى مرابطة حسان برادس سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ . بعد وفاة عبد الملك وخلافة الوليد ، وهو الأمر غير الصحيح) .

Ch. Diehl et G. Marçais, Le monde oriental..., Paris, (٢٧٢) 1944, p. 207.

مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٢٥٤ (النصوص البيزنطية تقول ان حملة يوحنا كانت سنة ٦٩٧ م - ٧٨ هـ) .

وَعِنْدَمَا كَانَ عَلَى حَسَانٍ بَعْدَ أَنْ قَضَى عَلَى الْكَاهِنَةِ أَنْ يَسِيرَ ضِدَّ قَرطاجنة .
أَمَّا عَنْ مَرَجَعِنَا فَعِبَارَةٌ عَنِ الْمَعْنَوِيَّاتِ الْمُقْتَضِبَةِ الْخَاصَّةِ بِتَخْرِيْبِ قَرطاجنة .
فَلَقَدْ سَارَ حَسَانٌ نَحْوَ الْعَاصِمَةِ الْإِفْرِيْقِيَّةِ دُونَ أَنْ يَلْقَى مَقَاوِمَةً فِي الطَّرِيقِ .
وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ أَنَّهُ كَانَ بِصَحْبِهِ أُنْقُوَاتٌ عَرَبِيَّةٌ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ قُوَاتٌ مُسَاعِدَةٌ
مِنَ الْبِرْبَرِ . فَالْنَّصُوصُ يَقُولُ أَنَّهُ بَعْدَ انْهِزَامِ الْبِرْبَرِ تَمَّ الصَّلْحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ
عَلَى أَنْ يَمْدُوهُ بِـ ١٢ (اثْنَيْ عَشَرَ) أَلْفَ رَجُلٍ يَجَاوِدُونَ الْعَدُوَّ مَعَهُ ، وَأَنَّهُ
قَسَمَ تِلْكَ الْقُوَّةَ إِلَى جَمَاعَتَيْنِ عَهْدَ بَقِيَادَةِ كُلِّ مَنهَا إِلَى أَحَدِ أَبْنَاءِ الْكَاهِنَةِ ،
وَأَنَّهُ أَخْرَجَهُمْ يَجُولُونَ فِي الْمَغْرِبِ يَقَاتِلُونَ الرُّومَ وَمِنَ كَفَرٍ مِنَ الْبِرْبَرِ ، (٢٧٣) .
وَضَرَبَ حَسَانٌ الْحَصَارَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَمْ يَطْلُقِ الرُّومُ مَدَافِعَ الْعَرَبِ فَهَرَبُوا فِي
سَفِينِهِمْ ، وَدَخَلَ حَسَانٌ الْمَدِينَةَ عَنُودَةً فِي تَنَكِّ الْمَرَّةِ . وَإِذَا كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ
عِنْدَمَا دَخَلَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ ثَانِيَةً أَقْسَمَ لِيَهْتَمَّ سَرُورَهَا ، وَلِيَجْعَلَهَا مِثْلَ بَيْتِ
الزَّانِيَةِ يُؤْتِي مِنْ كُلِّ مَكَانٍ (٢٧٤) ، فَإِنَّ حَسَانَ قَرَّرَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ قَرطاجنة
كُلِّيًّا ، وَهِيَ الْبَابُ الَّذِي يَأْتِي مِنْهُ الرُّومُ ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ تَطْرُقِهَا وَصَعُوبَةِ الدَّفَاعِ
عَنْهَا . فَبَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ أَهْلَ الْأَقَالِيمِ الْمُجَاوِرَةِ خُضُوعَهُمْ ، أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ حَسَانٌ
فَأَنوَّهُ مَسْرِعِينَ ، فَأَمَرَهُمْ بِتَخْرِيْبِ الْمَدِينَةِ ، وَقَطَعَ الْقَنَاةَ الَّتِي تَجْلِبُ إِلَيْهَا الْمَاءُ ،
فَفَعَلُوا (٢٧٥) وَهَكَذَا انْتَهَتْ الْمَدِينَةُ الْأَزْلِيَّةُ ، الَّتِي عَاشَتْ بَعْدَ تَخْرِيْبِهَا فِي
الْحَرْبِ الْبُونِيَّةِ الْفَالَسْتِكِيَّةِ ، وَأَصْبَحَتْ كَأَمْسِ الْغَابِرِ ، كَمَا يَقُولُ ابْنُ
عَدَارِي (٢٧٦) . وَعَادَ حَسَانٌ إِلَى الْقَيْروَانِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٨٢ هـ (٢٧٧) .

ب - أعمال حسان الادارية والعمرائية :

بِالْقَضَاءِ عَلَى مَقَاوِمَةِ الْبِرْبَرِ ، وَبِتَخْرِيْبِ قَرطاجنة اسْتَقْرَأَ سُلْطَانَ
الْعَرَبِ . وَبِذَلِكَ يُمْكِنُ اعْتِبَارُ حَسَانِ بْنِ النُّعْمَانَ الْفَاتِحِ الْحَقِيقِيِّ لِبِلَادِ الْمَغْرِبِ .
فَلَقَدْ أَقَامَ حَسَانٌ فِي الْقَيْروَانِ ، لَا يَفْزُو أَحَدًا وَلَا يَنْزَعُهُ أَحَدًا (٢٧٨) . وَبِنَاءِ

-
- (٢٧٣) ابن الأثير سنة ٧٤ ، ج ١ ص ١٨١ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٣٨ ، النويري ،
ص ٧٥ ب . ودارن الرقيق (ص ٦٤) الذي يظن أن الرواية له أصلا .
(٢٧٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٥ .
(٢٧٥) ابن عسار ، ج ١ ص ٣٥ - ابن الأثير سنة ٧٤ ج ٤ ص ١٨٠ ، المالكي ، ج ١
ص ٣١ - ٣٢ .
(٢٧٦) ابن عسار ، ج ١ ص ٣٥ .
(٢٧٧) ابن عسار ، ج ١ ص ٣٨ ، النص الجديد ، ص ٢٢٢ ، وانظر فيما سبق ،
ص ٢٢٦ وهامش ٢٦٧ .
(٢٧٨) الرقيق ، ص ٦٤ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٣٨ ، ابن الأثير ، سنة ٧٤ ج ٤
ص ١٨١ .

على ذلك بدأ حسان يهتم بعمران مدينة القيروان حتى تصبح جديدة بمركزها .
كعاصمة للبلاد بدلا من قرطاجنة . وبدأ بالمسجد الجامع بالقيروان فجعله
موضع عنايته . وابن عبد الحكم يقول : وبنى مسجد جماعتها (٢٧٩) .
والظاهر أنه جدد بناءه كما يقول المالكي ، و زاد فيه (كما سيفعل أمره)
افريقية فيما بعد) ، وتم ذلك في شهر رمضان من سنة ٨٤ هـ / سبتمبر
٧٠٣ م (٢٨٠) . ومع الأمن والسلام انتشر العمران في المدينة واتسعت
رقعتها .

واعتنى حسان بتنظيم الادارة المالية والجيش : فهناك اشارات سريعة الى
أنه دون الدواوين (٢٨١) بمعنى أنه اتخذ السجلات والموظفين . والدواوين
هنا يمكن أن تنطبق على الترايب الادارية وأهمها كتابة الرسائل . وكان
حسان عندما يخرج من القيروان ينوب عنه مولاة أبا صالح (٢٨٢) ، وهكذا
أصبح استخدام الموالي في أهم المناصب بالمغرب - الأمر الذي بدأ بولاية أبي
المهاجر - شيئا عاديا . وهنا ينبغي الإشارة الى ما ينص عليه ابن عبد الحكم
من أنه كان على برقة مولى لعبد العزيز بن مروان اسمه تليد ، وأنه لما ضاق
الناس بإمامة عبد لهم أعتقه عبد العزيز (٢٨٣) . وفيما يتعلق بالسياسة المالية
نظم حسان الضرائب ففرض الخراج على الروم بأفريقية ، وكذلك على نصارى
البربر ، وكان معظم هؤلاء من بربر البرانس وأقنهم من البتر (٢٨٤) . ومع
أنه من الواضح أن النصوص تقصد بكلمة الخراج هنا الجزية (أي ضريبة
الرؤوس التي يدفعها أهل النمة) ، نعتقد أنه قصد بالخراج التعميم أي
الضريبة عامة سواء كانت جزية أو ضريبة أملاك وعقارات ، أي كل ما يخرج
المرء من الأحوال .

وفي هذا المجال ينسب الى حسان أنه احتفظ بدار الضرب التي كانت
في قرطاجنة . وأنه ضرب النقود في افريقية - حسب السياسة التي رسمها

(٢٧٩) ابن عبد الحكم . ص ٢٠١ .

(٢٨٠) المالكي ج ١ ص ٣٧ (الدباغ ، ص ٦١) .

(٢٨١) ابن عبد الحكم . ص ٢٠١ . الرقيق ، ص ٦٤ .

(٢٨٢) ابن الأثير . ص ٧٤ ج ٤ ص ١٨١ . وانظر المالكي . ج ١ ص ٣٧ وعن بعض

أعمال أبي صالح) .

(٢٨٣) ابن عبد الحكم . ص ٢٠٣ .

(٢٨٤) ابن عبد الحكم . ص ٢٠١ (النص هنا يسمى الروم أيضا بـ « عجم افريقية ») .

قانون الرضى . ص ٦٤ . ابن عذاري . ج ١ ص ٢٨ . النص الجديد . ص ٢٣ .

الحليفة عبد الملك في المشرق - على الطريقة البيزنطية . ولا بأس أن يكون حسان قد أدخل بعض التعديلات على رسم ذلك الطراز الرومي من النقود . فجعل على وجه الدينار صورة عبد الملك وابنه الوليد (بدلا من صورة القيصر وولي عهده) مع كلمات باللاتينية تعبر عن « اسم الله الرحمن الإله الأحد » ، وجعل على ظهر الدينار صورة صولجان (بدلا من الصليب البيزنطي) مع كلمات باللاتينية تعبر عن معنى « وحدة لا شريك له ولا مثيل له » ، مع تاريخ الضرب ومكانه بافريقية (٢٨٥) . وإذا كان الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ينسب هذه التعديلات إلى موسى بن نصير ، فإنه ينص على أن تحول النقود الإفريقية إلى طراز عربي صميم لم يتم إلا في ولاية اسماعيل ابن أبي المهاجر (٢٨٦) . أي في خلافة عمر بن عبد العزيز .

أما عن السياسة العسكرية فكان من الطبيعي أن تكون وثيقة الصلة بالسياسة الدينية ، فالغرض من الفتح كسبا هو معروف نشر الإسلام والتعريب ، وتلك كانت رسالة العرب . ويرجع الفضل إلى حسان في أنه كان أول من أدخل البربر بشكل جدي منظم في الجيش العربي الإفريقي . حقيقة أن نشر الإسلام بين البربر بدأ منذ وطأت أقدام العرب البلاد ، وكان لعقبة بن نافع نشاطه في هذا الميدان منذ أيام عمرو بن العاص ، وإن تلك السياسة بدأت توتي ثمارها بشكل واضح أيام ولاية أبي المهاجر الذي أدخل كسيلا في الإسلام وحالفه ، إلا أن إسلام البربر وتحالفهم مع العرب ، حتى ذلك الوقت ، كان مؤقتا يتراوح ما بين الإخلاص والسياسة . فحسان هو الذي فرض الخدمة العسكرية على أهل البلاد جنبا إلى جنب مع العرب . فعند دخوله المغرب لأول مرة كان على مقدمته أحد زعماء لواته ، وهو هلال بن ثروان اللواتي (٢٨٧) ، وتظن أن هذا القائد كان يرأس قوة من قومه اللواتين . وعندما طلب أبناء

(٢٨٥) انظر محمد علي ديور ، تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ص ١١٩ - حيث الإشارة إلى صحفرات للشيخ عبد العزيز العالبي عن فتح المسلمين لشمسحال افريقية ، جريدة الضياء الحسنة ، عدد ٢٧ مارس ١٩٣١ .

(٢٨٦) انظر حسن حسني عبد الوهاب ، وثقات ، القسم الأول ، ط - تونس ١٩٦٥ ، ص ٤٠٠ - ٤٠٤ . وعن الفلوس النحاسية التي ضربها موسى بن نصير بافريقية في تلمسان (تلمسين) والمقوشة بالعربية تماما . وإن كانت تحمل صورة وجه شخص ملتح بذقن هديب على الطريقة العربية . وشعر رأسه مفروق من الوسط ناحية الأذنين . انظر نفس المرجع ، ص ٤٠٣ - ٤٠٦ .

(٢٨٧) انظر فيما سبق ، ص ٢١٥ و٢٠٣ .

الكاهنة الأمان أعطاها إياه دون حقد أو غضاضة ، بل إنه اكتسبها تماما الى جانب العرب عندما جعلها على رأس القوات البربرية التي كانت تستخدم معه . وبعد أن تم له النصر على الكاهنة أخذ ١٢ (اثني عشر) ألفا من البربر جعل منهم فرقتين كل واحدة منها ستة آلاف ، وعهد بقيادتهما إلى يفرن ويزديان ولدى الكاهنة . وكانت الخنعة في الجيش العربي تعني دخولهم في الاسلام ، فقد عهد حسان بتعليمهم القرآن وأصول الاسلام ١٣ (ثلاث عشر) فقيها من أجله التابعين من أصحابه (٢٨٨) . وبطبيعة الحال كان تعليم القرآن لهؤلاء البربر وغيرهم يعني تعليمهم اللغة العربية ، ونشر التقاليد والعادات العربية بينهم ، واكتسابهم الى جانب العروبة بصفة نهائية ، وبذلك سار التعريب جنبا الى جنب مع الاسلام منذ بداية الشوط .

هكذا دخل البربر في الاسلام بنية صحيحة (٢٨٩) في هذه المرة ، فبنوا المساجد ، وحولوا القبلات للمساجد التي كانت لهم قبيل ذلك ، واستعملوا المناير في المساجد التي عزموا على أن يجعلوا فيها الجمعات (٢٩٠) . ولم يقف هذا النشاط الديني عند حدود افريقية والمغرب الأوسط بل تعداه الى المغرب الأقصى حيث بنى عقبة مسجدي درعة ونفيس ، فتقول بعض النصوص انه على أيام حسان استختم المنبر لأول مرة في جامع أغمات هيلانة ، وذلك في سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م ، وتقتض ذلك التاريخ على المنبر (٢٩١) ، أي قبيل نهاية اماره حسان .

بناء تونس :

إذا كان اسم حسان قد التصق بخراب العاصمة الافريقية القديمة فان اسمه لصق بالعاصمة الحالية وهي مدينة تونس التي أعطت اسمها للبلاد . وبعد أن استقر حسان في القيروان ، وأشاع الأمن والسلام في البلاد ، فكر في بناء مدينة تكون نافذة جديدة تطل منها افريقية على العالم الخارجي - ولكن

(٢٨٨) أنظر النص الجديد ، ص ٢٢٢ .

(٢٨٩) نفس المصدر .

(٢٩٠) نفس المصدر .

(٢٩١) نفس المصدر ، وتلاحظ أن نصوصا أخرى (ابن عشاري ، ج ١ ص ٤٣) تنسب إقامة منبر أغمات الى موسى بن نصير ، وربما كان ذلك بسبب أنها تجعل نهاية اماره حسان وبداية ولاية موسى بن نصير قبل هذا التاريخ (انظر فيما بعد هلمش ٢١٨ ص ٢٢٨) والحقيقة اننا لا نعرف شيئا عن طبيعة علاقة حسان بالمغرب الأقصى .

بشيء من التريص والحذر - وتعدل محل فرطاجنة . وكاتب حسان الخليفة
عبد الملك في هذا الأمر ورأى الخليفة أن تساعده مصر بخبراتها البحرية ،
فأرسل إلى أخيه عبد العزيز بن مروان وإلى مصر بأن يجهز ألف أسرة قبطية
من أهل المعرفة بصناعة السفن ، ويرسلهم إلى أفريقية لإنشاء المدينة الجديدة
التي تقرر أن تكون قاعدة بحرية إزاء الروم (٢٩٢) . وكان علي الجبربر أيضا
أن يساهموا في البناء ، فتقرر أن يكون جنب الخشب اللازم لصناعة المراكب
من غابات الجبال الداخلية نوعا من التكاليف ، يقومون به . ونظن أن ذلك
العمل كان نوعا من الخدمة أشبه بالجنودية الإلزامية إذ يقول النص : « ليكون
ذلك جازيا عليهم إلى آخر الدهر (٢٩٣) » . ونهكذا آثرنا أن نسميه « تكليفا »
كما تقول اليوم .

وخرج حسان من القيروان في سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م لارتياح موضع
غير بعيد من خرائب قرطاجنة . ويفهم من رواية المالكى (٢٩٤) أن خروج حسان
كان أنسبه ما يكون بحملة بونيسية . إذ تم خلاله القضاء على بعض جيوب
المقاومة التي بقيت قرب السواحل . فعندما وصل حسان إلى قرية طنيفة
على مسيرة أميال من تونس (٢٩٥) . وجه مولاة أبا صالح إلى قلعة زغوان فتزل
بموضع أمام القنعة عرف باسمه فهو « فحس أبي صالح » ولكنه عجز عن
أخذ القنعة بعد أن ناشب أهلها القتال ثلاثة أيام حتى اضطر حسان إلى السير
إليها على رأس مرساته وأخذها . ومن زغوان رجع إلى طنيفة . ومنها تقدم
إلى الموضع الذي اختير لبناء تونس (٢٩٦) . ويفهم من الروايات أن المكان لم
يكن غير مأهول إذ كان في موضع المدينة قرية عرفت باسم قرشيش

(٢٩٢) أنظر البكري ، ص ٣٧ (التجاني ، ص ٦) . وقارن رواية الرقيق (ص ٦٦٥)
التي تجعل مكتبة حسان إلى التوليد بعد وفاة عبد الملك ، مع أن المعروف أن عبد العزيز بن
مروان وإن مصر تولى قبله أحد الخليفة عبد الملك . وهذا هو التجاني يرد رواية الرقيق
هنا .

(٢٩٣) البكري . ص ٣٧ .

(٢٩٤) المالكى . ص ٣٧ .

(٢٩٥) عن طنيفة التي سيكون لها شأن من تزيح الأعالي . انظر الجساصي . ص ٨
وهامش ١ (وكنت تسمى أيامه بالمعدية) .

(٢٩٦) المالكى ص ٣٧ (وقارن المدغ . ص ٦١ حيث طنجة بدلا من طنيفة . ص ١٢
حيث زغوان بدلا من زغوان) .

(أو طرشيش) . وأن موضع المرسى كان يسمى في ذلك الوقت رادس (٢٩٧) .
أما عن الاسم الذي أعطى للمدينة وهو تونس ، فتقول بعض الروايات أنه
أطلق على الموضع لوجود صومعة للرهبان كان ينجأ الناس إلى جوارها
فيأتسون بترتيل رهبانها ، فكانوا يقولون هذه الصومعة تؤنس فسمى
المكان « تونس » (٢٩٨) . والأقرب إلى الصحة أنه كان في المكان قرية قديمة
اسمها تونس أو تينس (Tynès) (٢٩٩) حاول البعض أن يجد له أصلا
عربيا ، كما هو الحال بالنسبة لغيرها من المدن -

والفضل للبكري الذي أمدنا بمعلومات طريفة عن موضع تونس وكيفية
إنشائها ، فقد قصد بها بناء « دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلى آخر
الدهر ... » وأن يصنع بها المراكب ويجاهد الروم في البر والبحر ، وأن
يغار منها على ساحل الزوم فيشتغلوا عن القيروان ، نظراً للمسلمين وتحصينا
لشأنهم » (٣٠٠) . ووصل القبط في البر إلى حسان ، فسيرهم إلى قرشيش
حيث تقرر أن تكون موضعا « للترسانة الجديدة ، وكانت تتميز بأنها غير
مفتوحة على البحر مثل قرطاجنة . فقرطاجنة تقع على لسان يكون شبه جزيرة
محصورة بين السبخة (سبخة الريانة) شمالا والبحيرة (بحيرة تونس)
جنوبا ، بينما تقع تونس إلى الداخل غرب البحيرة التي تتصل بالبحر من
جهة الشرق حيث يقع مرسى رادس . ولما كانت البحيرة ضحلة لا تسمح بسير
امراكب الحربية وجب حفر قناة في وسطها تصل ما بين دار الصناعة في
نونس والمينى (الميناء) أو المرسى في رادس ، وهذا ما فعله حسان (أنظر
شكل ٨ ص ٢٢٤) . وبطبيعة الحال كان يمكن إغلاق ذلك المر عند فوهة
البحيرة بواسطة سنسلة ، وهذا ما كان يحدث على أيام البكري نفسه (٣٠١) .

(٢٩٧) البكري ، ص ٣٧ ، الاستبصار ، ص ١٢١ وقارن الادريسي ، ص ١١١ . ابن
أبي دينار ، المؤنس ، ص ٦ وتابع ، وعن قرشيش ؛ التي ربما كانت تحريف لـ « طرسوس »
كما نطق ، أنظر مؤنس ، فتح المغرب ، ص ٢٦٢ وهامش ٢ .

(٢٩٨) البكري ص ٧٨ الاستبصار ، ص ١٢١ .
(٢٩٩) أنظر حوتيه ، Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord,
p. 127.

(٣٠٠) البكري ص ٣٨ ولقد اشتهر اسم رباط رادس . وقامت العناية لبحث الجاهدين
على الرابطة منه - من ذلك ما يقال من أن علماء المشرق كتبوا إلى أهل إفريقية : « من رباط
عنا برادس يوما واحدا حححا عنه حجة » - وهي رواية الرقيق (ص ٦٥) التي ينقلها
المحاسن (ص ٦) .

(٣٠١) البكري ، ص ٣٨ التنجاسي ، ص ٦ وكذلك ص ٧ حيث يورد قول البعض أن
موضع بحيرة تونس كانت مزارع وساتين قس من بخرية حسان) .



(شكل رقم ٨)

أفندي جوتييه ، ص ١٢٧ ، جوليان ، ص ٦٧

وقامت المدينة البحرية بما كان يرجى منها إذ عمر القبط دار صناعتها ،
ومنها انتشروا إلى بقية سواحل المغرب (٣٠٢) يقيمون صناعة المراكب المصرية
العتيدة - ولم تزل تونس مصورة من يومئذ يفزو منها المسلمون بلاد الروم ،
ويكثرون فيهم النكايه ، ولهم الاذايه (٣٠٣) .

وكان قيام المدينة الجديدة يعنى أن العرب في المغرب أصبحوا قسوة
بحرية بعد أن كانوا قوة برية تخشى غشيان السواحل - كما كان يعنى

(٣٠٢) التجاني ، ص ٦

(٣٠٣) البكري ، ص ٣٦

انحسار قوة الروم البحرية ، فلم يصبحوا كسابق العهد بهم خطرا يحسب حسابهم . وهكذا كان بناء تونس التي ورننت تراث قرطاجنة ، تنويجا لأعمال حسان في المغرب . وحق و للشيخ الأمين ، - كما كان يسمى - أن يعود الى المشرق ليقتدم حسابا عن أعماله . فرجع الى دمشق ولكنه لن يعود الى ولايته .

٢ - عزل حسان وولاية موسى بن نصير :

عزل حسان :

ظروف عزل حسان وولاية موسى بن نصير لا فريقية تشبه الى حد كبير ظروف عزل عقبة وولاية أبي المهاجر دينار على أواخر أيام معاوية ، من حيث أن الأهواء والأغراض الشخصية كان لها دورها في مجرى الأحداث ، ومن حيث شعور والى مصر بقوته ازاء الخليفة ، ومحاولته الاستئثار بالسلطة في المغرب وحجبها عن دمشق . فبينما كان عبد الملك بن مروان يهتم بأمور المغرب مباشرة نه سيرا على السياسة التي أصبحت تقليدية - كان أخوه وولي عهده في ذلك الوقت عبد العزيز بن مروان يلى مصر وكأنه ملك متوج وليس أميرا تابعا . وأخذ والى مصر العظيم يتطلع نحو المغرب ، وكان له الحق في ذلك إذ كانت مصر قاعدة الفتح ومادته ، كما كان هو نفسه يريد أن يأنظاره الى ما هو أكبر من المغرب ، الى دمشق والخلافة .

هكذا يضع الكتاب عزل حسان عن ولاية المغرب في ذلك الاطار الضيق ، وكأنه نتيجة لنوع من المنافسة بين عبد الملك وأخيه عبد العزيز أو كأنه نوع من النزاع على اختصاصات والى المغرب . فمن جهة كان عبد العزيز غير راض عن حسان (وهو ممثل عبد الملك) ، ويريد أن يستبدل به محبيه موسى بن نصير الذي لم يكن عبد الملك راضيا عنه . ومن جهة أخرى كان حسان - بصفته والى المغرب - يريد أن يمارس سلطاته على كل البلاد فكان ينازع عبد العزيز في أن يكون له الاشراف على برقة التي تدخل في حدود مصر (٣٠٤) .

هكذا سجل الرقيق ونقل عنه ابن عذارى أن عبد العزيز بن مروان هو

(٣٠٤) عن النزاع بين عبد العزيز بن مروان وحسان بن النعمان على برقة أنظر ابن نينية ، الامامة والسياسة طبعة القاهرة ١٣٢٨ ح ٢ ص ٤٩ وأنظر الصفحة التالية .

الذي عزل حسان عن المغرب (٣٠٥) ، استنادا الى ان والى المغرب تابع لسوالى
مفسر . أما ابن عبد الحكم فيرى أن حسان عاد الى عبد الملك ليطلبه على ما تم
على يديه من الفتوح ، وثيقدم له الحساب عما حصل عليه من المغانم
والأموال (٣٠٦) ، ثم انه عندما وصل الى مصر فى طريق عودته الى ولايته ،
وقعت مشادة بينه وبين عبد العزيز بشأن برقة التى كان يديرها عبد العزيز
عن طريق غلام (أى عبد) له اسمه نليلد (٣٠٧) .

ولا يتفق الكتاب على تاريخ عودة حسان الى المشرق . والأمر يختلط على
التداسى منهم مثل ابن خياط وابن عبد الحكم اللذين يحددان عودته بسنة
٧٦ هـ / ٦٩٥ م و ٧٨ هـ / ٦٩٧ م ، وذلك حتى يتفق هذا التاريخ مع الروايات
التي يوردانها ، ومن أخذ عنهما من الكتاب ، عن الخلاف بين عبد العزيز بن
مروان (الذى توفي فى سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م) وبين حسان (٣٠٨) . ولقد فعل
ابن عبد الحكم ذلك أيضا بالنسبة لعبد العزيز وزهير بن قيس البلوى ، فقال
انه كان ثمة نزاع بينهما ، ولهذا السبب جعل مقتل زهير فى سنة ٧٦ هـ
بل وجعله تحت قيادة حسان (٣٠٩) حتى تستقيم الرواية . ونحن نرى ان
التاريخ الذى يحدده ابن الأثير لولاية موسى بن نصير مقبول ، وهو سنة

(٣٠٥) انظر الزبيدي (ص ٦٥ - ٦٦) الذى يوضح ذلك خطأ فى عهد الوليد بن عبد الملك ،
ويقول ان عبد العزيز أمر حسان بالتقدم عليه ، وبعث اليه أربعين رجلا من أشرف أصحابه ،
وأمرهم ان يحتفلوا جميعا معه . - فكان طبع عبد العزيز فى منام المغرب كانت سبب العداة
بينه وبين حسان . الذى احتال ، كما تقول الرواية القصصية ، فعمد الى الجوهر والنهب
والفضة فجعله فى قرب الماء ، وطرحه فى المسكر . وأظهر ما وراء ذلك . وذلك عندما
استعد لخادزة العرب الى الشام . ابن عساقى ، ص ٣٨ . وقارن ابن قتيبة (الأهم والسياسة ،
ج ٢ ص ٥٠) الذى يقول ان عبد العزيز ولى موسى فى صفر سنة ٧٩ هـ . وحليفة بن خياط
ج ١ ص ٢٧٦) الذى يسجل مثل هذه الرواية .

(٣٠٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١ ، وقارن رواية الرقيق (ص ٦٧) التى تبالغ فيما
حمله حسان معه من السبى (٣٥ ألف رأس) ، والأموال والغنم . التى تخبر منها عبد العزيز
بما أحب الى قلبه من الهدايا لانه حسان ، مما جعل هذا الأخير يشكو الى الخليفة . وهو يفسر
ت . حمله الى حية من الذخائر والأموال .

(٣٠٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٣ .

(٣٠٨) انظر حليفة بن خياط ، ج ١ ص ٢٧٦ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، ابن عبد الحكم ،
ص ٢٠٠ . وانظر فيما سبق ، ص ٢٣٥ .

(٣٠٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ (وانظر فيما سبق ص ٢١١) .

٨٦ هـ / ٧٠٥ م (٣١١) ، وذلك أن حسان خرج لبناء تونس كما رأينا في سنة
٨٤ هـ / ٧٠٣ م (٣١١) . وعلى ذلك يكون الذي عزل حسان - ان كان قد عزل -
عن المغرب هو عبد الله بن عبد الملك (٣١٢) الذي خلف عمه عبد العزيز بن
مروان في ولاية مصر سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م . ويكون قصة تراخ عبد العزيز مع
حسان غير صحيحة ، ويكون هذه القصة المبررة سببا في أن عمه الكتاب
أو تعديل تاريخ عزل حسان وجعله في السباينات بدلا من التسعينات من
القرن الأول الهجري . وهذا يصح ما يقوله الرقيق وما ينقله ابن عذاري
عنه . من أن حسان عندما وصل الشام كان الحديفة في ذلك الوقت الوليد
بن عبد الملك الذي خلف والده في أواخر سنة ٨٦ هـ .

والظاهر أن ذلك هو ما جعل ابن عذاري يستمر في سرد رواية الرقيق
التي نقص استيلاء عبد العزيز بن مروان (الخوفا في سنة ٨٥ هـ) على ما كان
مع حسان ، من الخيل والاحمال والأمتعة والوصائف والوصفان (٣١٣) .
ولا يمنع ذلك الاضطراب الرمزي - الذي تنبه اليه ابن عذاري فقال :
« وغزوات لم تضبط بتاريخ محقق » - من صحة المعنومات الخاصة برجوع
حسان محملا بالأموال والجواهر والذهب والفضة المخبأة في قرب الماء . وكذلك
الوصائف والوصفان والجوارق من بنات عظماء الروم والبربر (٣١٤) - ورواية
الرقيق التي ينقلها ابن عذاري تقول ان الخليفة الوليد بن عبد الملك استعظم
ما قدمه له حسان من الأموال والفضائل . ولكن الرواية تحمل في ثناياها ما يشتم
منه رائحة الخلاف على تقدير المفانم والأموال . فحسان يقول لتوليد : « إنما خرجت
مجاهدا في سبيل الله ، وليس مثلي يخون الله والخليفة » (٣١٥) . ورغم أن
الخليفة عرض على حسان أن يردّه الى عمله بالمغرب وأن يحسن اليه ، فإن
انوائى المعتز بكرامته حلف : « لا أولى لبني أمية أبدا » . وأخيرا تقول الرواية :

(٣١٠) ابن الأثير . أحداث سنة ٨٦ . ج ٥ ص ٢٥٩ . وقارن الويرى المختوم ،
ص ١٧٦ . حسب التاريخ سنة ٨٩ - ونظمه خطأ من النسخ .
٣١١ ، انظر في سبق . ص ٢٣٢ .

٣١٢ ، يورد ذلك ابن الأثير في أحداث سنة ٧٥ ، ج ٥ ص ١٨١ . وكذلك ابن عذاري
ج ١ ص ٢١ ، في أحداث سنة ٨٦ . ولكن الراوند يحطى هذا من التعريف الشخصية
عنه أنه يقول أن الوليد بن عبد الله بن مروان . ويضع ابن الأثير بعد ذلك الاسم
صحيح في أحداث سنة ٨٥ (ج ٥ ص ٢٥٧) فيقول بعد موت عمه العزيز بن مروان : « لضم
محمد الملك عمه الى الله عبد الله بن عبد الملك وولاه مصر » .

(٣١٣) ابن عذاري . ج ١ ص ٣٩ . وقارن الرقيق ص ٦٧ .

(٣١٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٩ ، والرقيق ، ص ٦٧ .

(٣١٥) ابن عذاري . ج ١ ص ٣٩ . وقارن الرقيق ، ص ٦٧ ، وقارن النسوي ،
المختوم ، ص ١٧٦ .

« وكان حسان يسمى الشيخ الأمين » (٣١٦) ، ولا نعرف ان كان يقصد تشييت صفة اتصف بها حسان أم انه قصد أن ينفي ما يمكن ان يحوم حول حسان من الشكوك أو الشبهات في الأموال ، وهذا ما سيروح ضحيته خليفة حسان في ولاية المغرب ، وهو موسى بن نصير .

ورغم كل هذا أجدل حول عزل حسان وعودته ، فربما كانت وفاة حسان بعد قليل من عودته الى الشرق (٣١٧) أو مرضه الذي مات فيه ، السبب الحقيقي في عدم عودته الى المغرب .

ولاية موسى بن نصير :

ولي موسى بن نصير افریقیة من قبل الوليد بن عبيد الملك في سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، حسب رواية ابن الاثير التي فضلناها على غيرها من الروايات المتضاربة في تحديد ذلك التاريخ للأسباب التي ذكرناها آنفا (٣١٨) .
والكتاب القدامى يختلفون في أصل موسى بن نصير ، اذ يقول البعض انه من حم ، ويقول البعض انه من بكر بن وائل أو أنه بلوى مثل زهير (٣١٩) .

(٣١٦) نفس المصدر . ولا بأس في أن يكون ما عرّضه الخليفة على حسان من العودة الى ولايته ورفض هذا الأخير ، هو السبب فيما يروى من أن حسان كان في طريق عودته الى افریقیة وان والي مصر عبد العزيز هو الذي منعه من العودة (انظر خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٢٧٦ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١) .

(٣١٧) انظر ابن عبد الحكم (ص ٢٠٣) الذي يقول بعد الإشارة الى النزاع بين عبد العزيز بن مروان وحسان بن النعمان ان هذا الأخير « لم يلبث يسيرا حتى توفي » .
(٣١٨) انظر فيما سبق ص ٢٣٦ . وقارن النص الجديد (ص ٢٢٣) الذي يجعل سير موسى الى المغرب سنة ٨٩ هـ (وهذا تاريخ متأخر سببا وربما كان ٨٦ أصلا) . أما ابن عسار فهو يورد عبارة تقول ان حسان ولي في سنة ٨٣ هـ (ج ١ ص ٢١) . ولكن آخر كلامه عن موسى يجعل ولايته في سنة ٨٨ هـ (المقري نفع الطيب ج ٦ ص ١٠٨) ووفاته في سنة ٩٨ هـ . ولكنه يتبع ذلك بقوله ان امارته على الأسلس والمغرب بلغت ١٨ (ثمانية عشر) عاما (ج ١ ص ٤٦) . ولو كان ذلك كما ذكره صاحبنا لكافت عشرة أعوام فقط . أما عن تفسير ذلك الخطأ فلاته أخذ - كما نتعد - بالروايات التي تقول ان ولاية موسى كانت حوالي سنة ٨٠ (انظر روايات ابن عبد الحكم التي أسرنا اليها) وهذا ما دعا البعض الى القول ان ولاية موسى كانت من قبل عبد الملك بن مروان ، كما في عدد من روايات خليفة بن خياط (انظر ج ١ ص ٢١٦) .

(٣١٩) انظر ابن عسار ، ج ١ ص ٣٩ ، البلاذري ، ص ٢٢٠ . ولقد كان لاختلاف المصادر هذا أثره على اختلاف آراء المحققين بشأن موسى ، فبينما قال دوزي انه من العرب البمنية (تدريج المسلمين في أسبانيا . بالفرنسية ، ج ١ ص ١٢٢) ، لاحظ ملبوزن (تاريخ الدولة العربية ، تحرير الدكتور أبو زينة ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣) انه وأبناءه لم يسفروا من سياسة الخليفة سليمان الشخصية للمسنة التي بزكدها دوزي .

والظاهر أن المتأخرون أرادوا أن يضموا حدا لهذا الاختلاف بالنسبة للرجل اللامع ، الذي أصبح لحفدته شأن مرموق في مصر والمغرب والأندلس ، فجعلوه من أبناء الصحابة ، فقالوا إنه موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن يزيد صاحب رسول الله (٣٢٠) . وهذا يعني أنهم جعلوه أنصاريا أولا وقبل كل شيء ، وأنه من أسرة نابتة وليس من أسرى عين التمر الذين أصابهم خالد ابن الوليد أو من موالى بنى أمية (٣٢١) .

والحقيقة إن نصيرا والد موسى شغل منصب قائد حرس معاوية وهو أمير على أشبام ، وأنه كان له من قوة الشخصية وأصالة الرأي ما يسمح له بعدم اجابة كل رغبات معاوية حتى في وقت الأزمات الخطيرة (٣٢٢) . أما موسى فإنه كان قد شغل في المشرق وظائف هامة آخرها وظيفة مستشار أخى الخليفة عبد الملك ، وهو الشاب الصغير بشر بن مروان والى البصرة ، ولقد ألقى عليه الخليفة مسئولية فساد ادارة أموال البصرة ، وأراد عقابه فلجأ موسى الى عبد العزيز بن مروان - إذ كان أثيرا لديه - فتدخل من أجله لدى عبد الملك حتى عفا عنه ، وأقام موسى في كنف عبد العزيز بالفسنطاط (٣٢٣) . ولا نعرف ماذا كان نشاط موسى في مصر ، ولكن الظاهر أن عبد العزيز بن مروان كان يلج في أن تؤول ولاية المغرب الى ابن نصير ، وأن فشل ولاية الخلافة في المغرب أمام ثورات البربر كان من الأسباب المواتية لكي يصير عبد العزيز على تقديم رجله . فابن عبد الحكم ينسب الى عبد العزيز أنه قال لحسان عندما طلب منه أن يسحب مولاة تليدا من برقة : « ما كنت لأفعل بعد أن ضيعتها فاستولى عليها الروم » (٣٢٤) . وهكذا نستطيع أن نقول ان موسى كان المرشح لولاية افريقية بعد وفاة حسان ، ونظن أن الذي أيد الترشيح

(٣٢٠) هذا ما يذكره ابن شكوان في الصلوة ، الترجمة ، رقم ١٠٦١ ، ج ٢ ص ٤٩١ ، وما ينقله ابن عذاري (ج ١ ص ٢٩) ، والنص الجديد (ص ٢٢٢) .

(٣٢١) انصار مجموعة ، ص ٣ ، اللادري ، ص ٢٣٠ .

(٣٢٢) أنظر ابن الأثير سنة ٨٦ ج ٤ ص ٢٥٩ (يقول ان نصيرا لم يجب معاوية الى المسير معه ضد علي في صفين اذ قال له : « لا أسركك بكدر من هو أولى بالشكر منك وهو الله عز وجل ، فسكت عنه معاوية ») . ابن خلكان ج ٤ ، ص ٤٠٢ .

(٣٢٣) أنظر ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ص ٤٨ - ٤٩ ، وأنظر ابن عسافري (ج ١ ص ٤٠) الذي يقول ان عبيد الملك أغرم موسى ١٠٠ (مائة) ألف دينار فغرم عبد العزيز صفها .

(٣٢٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٦ .

في ذلك الوقت هو والى مصر الجديد عبد الله بن عبد الملك أخو الخليفة الوليد
ابن عبد الملك كما أشرنا (٣٢٥) ، فسيره الوليد الى افريقية ، ويفهم من رواية
الرقيق أن الخليفة الوليد ، عندما عين موسى بن نصير ، قرر فصل افريقية عن
ولاية مصر . وأنه جعلها ولاية تابعة للخلافة بدمشق مباشرة (٣٢٦) .

أ - أعمال موسى في المغرب :

وصل موسى الى القيروان ، وتسلم مقاليد الأمور من أبي صالح مولى
حسان ونائبه على افريقية (٣٢٧) ، ويقول ابن قتيبة انه أساء اليه فأغرمه
عشرة آلاف دينار ، ووجهه الى المشرق في الجديد (٣٢٨) . ونظاهر أن موسى
سار الى المغرب وهو يرنو الى تحقيق ما لم يستطع سابقوه أن يحققوا مثله .
هذا ما يفهم مما يرويه ابن قتيبة وينقله ابن عذارى من أن موسى عندما وصل
الى افريقية وصار على رأس جيش ذبح عصفورا وقع عليه ولطخ بدمه صدره
من فوق ثيابه ، وتنف ريشه وطرحه على نفسه ، وقال هو الفتح ورب
الكعبة (٣٢٩) . وأنه صعد المنبر وخطب للناس فقال ، انما كان من قبلي على
افريقية أحد رجلين : مسلم يحب العاقبة أو رجل ضعيف العقيدة
قليل المعرفة وأبى الله لا أريم هذه القلاع والجبال الممتعة حتى يضع
الله أرفعها وينزل أمنعها ويفتحها على المسلمين ، (٣٣٠) . والحقيقة أن حسان وإن
كان قد مهد افريقية والمغرب الأوسط فإن المغرب الأقصى لم يكن قد مهد
أمام العرب ، وهذا ما وقع على كاهل موسى .

(٣٢٥) انظر ص ٢٢٧ وما بعدها ٢١٢ .

(٣٢٦) مصر الرقيق ص ٦٨ (حسب يقول) وكذا الرقعة بن عبد الملك - رحمه الله -
ابن عبد العزيز ؟ بن مروان ، يأمره بأن يوجه الى افريقية موسى بن نصير من قبل الوليد ، ويقطع
افريقية عن عبد العزيز ؟ ، .

(٣٢٧) بن الأثير ، سنة ٨٦ ج ٢ ص ٢٥٩ . وقارن ابن خياط ج ١ ص ٢٠٠ (حسب
نظر ابن خياط استخلف سعد بن مالك الهبلي) .

(٣٢٨) ابن قتيبة الامامة والسياسة ج ٢ ص ٥٠ . وقارن ابن خياط ج ١ ص ٢٠٠
- كما يصل على أن موسى والى ابن حسان . وهو بدر بن حسان بن مالك ، افريقية .

(٣٢٩) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ج ٢ ص ٥١ . ابن عذارى ج ١ ص ٤١ .

(٣٣٠) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ج ٢ ص ٥١ .

وبدأ موسى أعماله بالقضاء على بقايا جيوب المقاومة في افريقية . فسير
كتيبة من ٥٠٠ (خمسمائة) فارس الى قلعة زغوان (عسلى مسيرة يوم من
القيروان) فتم فتحها ، ودخل الى القيروان من سببها عشرة آلاف رأس (٣٣١) ،
كما دخل من سبب حملة طينة وصنهاجة عشرين ألفا (٣٣٢) .

أما عن حملات موسى في المغرب الأوسط والأقصى فقد نجحت نجاحا
ياهرا ، وكانت أشبه ما تكون بنزعات عسكرية - كما يقال - فالكتائب
لا يتكلمون الا عن أعداد خيالية من الأسرى والأسبي وصل في بعض المن إلى
١٠٠ (مائة) ألف رأس وأكثر (٣٣٣) . وإذا كانت التواريخ غير ثابتة أو
مجهولة اطلاقا ، فان مواضع العمليات العسكرية هي الأخرى غير أكيدة
بالمره . والذي تتفق عليه النصوص هو أن موسى بن نصير قام بثلاث عمليات
عسكرية كبرى . قاد أحدها هو بنفسه وذلك غير حملة طينة التي سجلها
خليفة بن خياط (٣٣٤) وقام بالاثنتين الأخرين ابنه عبد الله (أكبر أبنائه)
ومروان . وهناك ذكر لعملية رابعة قام بها زرعة بن أبي مدرك . ويرجع
الفضل الى نصير عبيد الله ، الذي نشره بروفسال ، في توضيح الخطوات
الرئيسية لتلك الحملات التي كان هدفها المغرب الأقصى ، والتي تذكر بالحملة
الكبرى التي قام بها عقبة بن نافع قبل ذلك بعشرين سنة . وهنا ينبغي أن
نشير الى أنه من المحتمل أن يكون الكتاب قد خلطوا بين أعمال موسى بن نصير
وأعمال عقبة بن نافع ، وأنهم نسبوا الى عقبة بعض أعمال موسى .

وهكذا بدأ موسى بان أخضع قبائل الجرب التي خرجت على الطاعة بعد
مسير حسان الى المشرق (٣٣٥) ، وكذلك التي لم تكن قد خضعت بعد للعرب ،

(٣٣١) ابن عديم ، ج ١ ص ٤١ .

(٣٣٢) أنظر تاريخ خليفة بن خياط الذي يعرض حملة طينة وصنهاجة معا في سنة ٨١ هـ
(ج ١ ص ٢٧٧ - أحداث سنة ٧٩ هـ) ثم يعود فحفل حملة طينة وحده بقيده (ج ١
ص ٨٠ - أحداث سنة ٨١ هـ) ثم يجعل حملة صنهاجة بقيادة المعيرة ابن أبي بردة العبدى
في أحداث سنة ٨٢ هـ (ج ١ ص ٢٨٩) . ولا بأس من الاستعانة من التفصيل رغم
عدم صحة التواريخ ، كما قلنا .

(٣٣٣) آخر ابن عبد الحكم ص ٢٠٤ ، ابن عديم ج ١ ص ٤٠ ، وقازن ابن الأثير ،
سنة ٨٦ ج ٤ ص ٢٥٩ . التويرى . ص ٧٦ . أما القطيسية التي وصفتها ابن توفيق
ص ٦٩ فلا تذكر الا أسبى الكبير من الجرب .

(٣٣٤) آخر هاشم ٣٣٢ .

(٣٣٥) ابن الأثير ، سنة ٨٦ . ج ٤ ص ٢٥٩ .

حمل نبيته صنهاجة (٣٣٦) . ثم انه خرج من افريقية نحو المغرب الاوسط
 وولاية طنجة ، فتبددت القبائل امامه نحو الغرب (٣٣٧) ، فتتبعها عبر السوس
 الادنى حتى بلاد سجلماسة ووادي درعة (٣٣٨) . والظاهر ان القبائل التي
 استبد بها الخوف (٣٣٩) اختلطت ببعضها البعض خلال تلك المطاردة الرائعة .
 فبينما يذكر عبيد الله (٣٤٠) ان موسى وجد كتامة هناك (بدرعة) ، وانه قتل
 ملكهم كامون ، يضيف ابن عذارى الذي ينقل عن ابن قتيبة (٣٤١) الى كتامة
 قبائل هوازة وزناتة . وخضعت تلك القبائل لموسى الذي ولي عليهم رجلا
 منهم . وتركهم بعد ان استوثق منهم بأخذ الرهائن من اشراقهم ، وعاد بالسبي
 الكثير (٣٤٢) . ورجع موسى الى المغرب الاوسط حيث لقي مرة اخرى قبائل
 صنهاجة ، وقتل منهم على وادي ملوية (٣٤٣) .

... وتبالغ الروايات في عظم النتائج التي حصل عليها موسى في حملته
 هذه . حتى قيل ان سبي مدينة سجوجما (أو سكوجا) الصغيرة - وهي من مدن
 قبيلة أوربة - كان ١٠٠ (مائة) ألف . مما أدهش الخليفة الوليد . فكتب
 الي موسى : « وبحك أظنها احدى كذباتك فان كنت صادقاً فلهدأ حشر
 الأمم » (٣٤٤) . وتقول الرواية ان موسى أخذ من جديد بثأر عقبة في سجوجما

(٣٣٦) انظر ص ٢٢٢ في الصفحة السابقة .

(٣٣٧) ابن عذارى ج ١ ص ٤٢ .

(٣٣٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٤٢ .

(٣٣٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٤٢ .

(٣٤٠) النص الجديد . ص ٢٢٤ .

(٣٤١) انظر ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ج ٢ ص ٥٣ (حيث يذكر خطأ مقتل كسيه
 ابن زياد . والظاهر انه يريد اولاد كسيه امراء قبيلة أوربة) . ابن عذارى ، ج ١ ص ٤١
 (يسمى الأمير الكنتامي طامون ، ويقول ان موسى لم يقتله بل « بعث به الى عبد العزيز بن
 مروان ثم قتله عند البركة التي عند قرية عقبة فسويت بركة طامون الى اليوم » . وقول
 تاريخ حبيبة بن حبيط (ج ١ ص ٢٧٧) حيث الاسطورة ان : اول قبيل من البرابر غزاهم
 موسى بن صير : الدين فتلوا عقبة بن نافع . سار اليهم بنفسه ، فقتل وسبي وهرب منهم
 كسبه (وكان المصود قبيلة أوربة) .

(٣٤٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٤١ ، ٤٢ .

(٣٤٣) النص الجديد . ٢٢٤ . وقارن ابن خياط ، ج ١ ص ٢٧٧ (صفة ٧٩) ، وص

٢٨٩ ، سنة ٨٢) .

(٣٤٤) الجكري . ص ١١٧ - ١١٨ . الامتصاص ، ص ١٩٤ وهامش ٣ . وقارن ابن قتيبة
 (ج ٢ ص ٥٤) الذي يصل هنا المنح في سنة ٨٣ هـ ويجعل قواد موسى : هياض بن عقبة ،
 وده ابن أبي مدرك ، والحيرة بن أبي برده . ونجدة بن مسلم ، وقارن الرقيق ، ص ٧٧ =

على يدي أولاد عقبة أنفسهم . وهم عياض ، وعثمان ، وأبو عبيدة ، وموسى ،
الذين كانوا معه فقتلوا ٦٠٠ (ستمائة) رجل من كبار أهل تلك
المدينة (٣٤٥) .

وكان من الطبيعي وقد حقق موسى ذلك النجاح الباهر أن يوسع دائرة
نشاطه في بقية أنحاء المغرب . فسير ابنه مروان على رأس قوة من خمسة
آلاف رجل إلى السوس الأقصى (٣٤٦) ، كما سير قائده زرعه بن أبي مدرك
إلى بربر مصمودة في طرابلس العليا (٣٤٧) . ونجحت الحمتان فرجع مروان
بسبي كثير كان مجالا خصبا لخيال الكتاب (٣٤٨) ، أما زرعه فلم يلق حربا
من المصامدة الذين أعلنوا خضوعهم ، وقدموا إليه رهائنهم كما قدمت غير
مصمودة الرهائن (٣٤٩) - وكانت هذه هي المرة الثانية التي نطأ فيها الخيالة
العربية أرض مصمودة بعد دخول عقبة . وتأكد انتشار الإسلام في بلاد
المصامدة الذين دخلوا فيه طوعا (٣٥٠) .

د حيث اسم المدينة « سقيوما » ، وابن خياط ج ١ ص ٢٩١ ، سنة ٨٤ (حيث يذكر أن موسى
نزل في شكوما على أودية فقاتلوه ، ثم فتح الله ، فقتل وسبي) .
(٣٤٥) انظر رواية ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ٢ ص ٥٤ - ٥٥ ، وابن عسار
(الذي ينقلها) ج ١ ص ٤١ ، والنص الجديد ، ص ٢٢٤ . وقارن رواية الرقيق (ص ٧٧)
التي تشير إلى مدينة سقيوما ولكن خلال فتح طارق للأندلس ، فتشير إلى أن عياض بن عتبة ،
وسليمان بن أبي المهاجر هاجمها وأنها طلبت أن يعاينها موسى بن نصير قبل عبوره إلى
الأندلس ، ولكنه كره ذلك لأن أهلها في الطاعة . ومع ذلك فقد هاجمها مما يدعو إلى عدم
الثقة بتلك الرواية .

(٣٤٦) النص الجديد ، ص ٢٢٤ ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٨٦ ج ٤ ص ٢٥٩ حيث
يسميه هارون . وقارن ابن قتيبة ، الامامة ، ج ٢ ص ٥٨ .
(٣٤٧) النص الجديد ، ص ٢٢٤ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٤٣ (رواية ابن القطان) .
(٣٤٨) ابن عسار ، ج ١ ص ٤٤ ، حيث يقول : انه لما قسم مروان من السوس خرج
موسى لقاتله فلما التقيا أمر مروان بوصيف أو وصعة لكل رجل مع والده ، وأمر موسى بمثل
ذلك لرجال مروان ، فرجع الكس كهم بوصيف أو وصيعة . وقارن خلفه بن خياط الذي
يجعل حملة مروان في سنة ٨٩ هـ . وينص على أن السبي بلغ أربعين ألفا .
(٣٤٩) ابن عسار ، ج ١ ص ٤٣ . النص الجديد ، ص ٢٢٤ . وهكذا لا نجد ذلك خلافا
لحملة عبد الله بن موسى في المغرب الأقصى ، وإن كان حابفة بن خياط يجعل لعبد الله قيادة
أكثر من حملة بحرية . كما تشير إلى ذلك فيما بعد .

(٣٥٠) ابن عسار ، ج ١ ص ٤٣ .

ب - فتح طنجة :

وشكدا بعد - ثم موسى حجاج العرب الاوسط وامهرب الافصى ، من
 صحر - ذرة ان السوس الانسى ان بلاد السوس شيع موسى وهو دنجة
 انسى - فتح ناصع للاهبر الرومى ببلاد (جزائير) سنة ١٠٠٠ هـ وفتح
 بطنجة سنة ١٠٠٠ هـ التي كانت في التمدد - فتح حصاره سنة (١٠٠٠) ونيس
 المدينة حتى ان الكمان عندما ينكسرون من فتح حصاره اشعرون ان شيع السوس
 لادنى . وهي البلاد الواقعة حنق مدينة صحر ، ومن خصصت الفباين هناك ،
 وولي شيبه موسى وايا من حمله أحسن منهم السوس (١٠٠٠) . ونجح موسى في
 انتزاع طنجة (المدينة) لأول مرة . وكان هذا من البربر بصرى من المر
 والبراس ممن لم يكن دخل في الطاعة ، ووسع موسى على ساحل
 طنجة حامية لرباط فتكون من ١٧٠٠ (ألف وسبعماية) رجل تحت قيادة
 ابنه مروان (٣٥٥) . والظاهر ان ظروف التمدد لم تكن ملائمة بالنسبة لمروان
 فمضى الى انصرف بعد ان . جهه هو وأصحابه ، تاركا القيادة من بعده الى
 طارق بن زياد (٣٥٥) . والظاهر ان البربر أقبلوا على الرباط على الساحل
 المتنحى بحماس لا تقدر ان ادلم تنب فوات طارق ان بلغت ١٢ (اثني عشر)
 ألف رجل ، هذا ولو ان كان من بين هؤلاء البربر رهائن السوسية . وغيرهم
 من رهائن بربر افريقية والمغرب . مع بضع عشر رجلا من ققبساء العرب
 يعمونهم قواعد الاسلام وأصول الشريعة (٣٥٦) . وبذلك تم فتح المغرب

٣٥١ . ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ . وه ١٠٢ .

٣٥٢ . ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ . والظاهر البربري ص ١٠٢ .

٣٥٣ . ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ . وذكر ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ .

٣٥٤ . ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ . وذكر ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ .
 بالاسارة ان ان موسى وحه طارق فوات صحر من حيث ذكر ان الانسى .

٣٥٥ . ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ .

٣٥٦ . ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ .

٣٥٧ . ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ . وذكر ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ .
 ١٢ . ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ . وذكر ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ .
 والظاهر ان هذا الظن يرد . ان حول ان كل الجموع كانت من البربر . والظاهر ان
 من حمله السوس الانسى عند حمله بعموم البربر ببلاد السوس . والظاهر ان
 ٣٥٩ . ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ . وذكر ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ .
 من البربر . وذكر ابن عبد الحكم . ص ١٠٢ .

الأقصى إلا إقليم سبته الذي بنى بين يدي يليان (٣٥٧) . وانتشر الإسلام فيه .
وذلك حوالي سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م ، وهو قريب من التاريخ الذي يجعل فيه بعض
الكتاب ولاية موسى لمغرب (٣٥٨) . وقرر موسى العودة الى افريقية بعد أن
استعمل طارق بن زياد على طنجة (٣٥٩) ، وفي الطريق الى القيروان فتح موسى
مدينة مجانة ، على مسيرة ٣ أيام من القيروان على الحدود التونسية الجزائرية
الحالية ، على يد بشر بن فلان الذي أعطاها اسمه فأصبحت تسمى قلعة
بشر (٣٦٠) .

ج - التشاط البحري :

وتعتبر ولاية طارق بن زياد على طنجة واستقلاله بقيادة الجيش العربي
في المغرب الأقصى أجمل نتائج التطور الطبيعي لعلاقة العرب بالبربر ، علاقة
المواخاة والخلق ، التي بدأت تؤتى ثمارها بتحالف كسيلة مع أبي المهاجر
ثم باستخدام أبناء الكاهنة في قيادة قوات حسان ، وأخيراً باستقلال طارق

= وكانوا قد دخلوا الإسلام ، وحسن إسلامهم ، فركمهم موسى واصبرهم من العرب
خاصة وكان في خلق عظيم . وأمر العرب السبعة والعشرين الذين ترك عند طارق بن زياد أن
يعلموا البربر القرآن ، وأن يفقهوهم في الدين . وقارن ابن عساق ج ٢ ص ٤٣ ، وابن
الأثير ، سنة ٨٦ ج ٤ ص ٢٥٩ . وقارن ابن حلكان (ج ٤ ص ٤٠٣) الذي يقول إن قوة
طارق بلغت ١٩ ألف فارس من البربر .

(٣٥٧) أنظر ابن عبد الحكم الذي ينص على أنه كان يليان أيضاً مدينة الجساز وهي
(الجزيرة) الخضراء على الساحل الأندلسي (ص ٢٠٥) .

(٣٥٨) أنظر النص الجديد ص ٢٢٤ . أما ابن عبد الحكم (ص ٢٠٥) فيجعل ذلك في
سنة ٩٢ هـ وهذا تاريخ متأخر إذ وقع فيه غزو الأندلس التي ما كان ليتم إلا بعد فترة من
الراحة والتروى . وعن تدريخ ولاية موسى أنظر فيما سبق ، ص ٢٣٨ وهامس ٣٦٨ .

(٣٥٩) أنظر ابن عبد الحكم (ص ٢٠٥) حيث يقول إن موسى عزل الذي كان استعمله
على طنجة - ونظن أنه يقصد بذلك مروان بن موسى (أنظر الصفحة السابقة) - وولى طارق
ابن زياد .

(٣٦٠) ابن الأثير سنة ٩٢ ج ٤ ص ٢٥٩ (التويري ص ٧٦ ب) . أما ابن عبد الحكم
(ص ٢٠٥) فإنه يقول إن الذي فتحها هو بشر بن أبي أرطاة وأنها سميت لذلك قلعة بشر .
والمعروف أن ابن أبي أرطاة شارك في الفتوح الأولى إلى جانب عقبة ولكنها لا تعرف أنه صاحب
ابن صحير في المغرب والحقيقة أنه احتشفت في وقت وفاته فقيل أنه توفي أيام معاوية وقيل
بل اسم عبد الملك (أنظر ابن الأثير ، أسد الغابة ج ١ ص ١٨٠) وابن عبد الحكم يأخذ
بالرواية الأولى (ص ٢٦٠) . وقارن الرقيق (ص ٧٠ - ٧١) الذي يوافق ابن عبد الحكم
في أن بشر (بشر) بن أرطاة هو الذي فتح مجانة عنوة وباسمه عرفت ، وضيف إلى ذلك
أنه فتح بها أموالاً كثيرة بلغت مائة ألف دينار . إذ كان صلب الخلافة ، وهو الخمس ، ٢٠
(عشرين) ألف دينار .

بالقيادة وقيامه بعد ذلك بأعظم عملية عسكرية في المغرب ، وهي فتح
الأندلس . ولقد بنى ذلك التطور ذروته تلك خلال ثلاثة أجيال كما يفهم من
نسب طارق . فهو وأبوه وجده عبد الله يحملون أسماء عربية أما جد أبيه
فهو ولغو بن ورفجوم من بربر نغراوة (٣٦١) . وإذا كان الفضل في فتح
الأندلس ينسب إلى طارق فينبغي ألا ننسى أفضال موسى في توسيع دائرة
نشاطه إلى ما وراء البحر - فبدون ذلك النشاط البحري ما كان من الممكن
أن يتم فتح الأندلس - في غارات بعيدة المدى إلى صقلية أو إلى سردانية وجزر
ميورقة ومينورقة (البليار) ، كذلك التي يشير إليها خلفه بن خياط في
تاريخه ، والتي كانت القيادة في بعضها إلى عبدالله بن موسى بن نصير (٣٦٢) .

ولقد عهد موسى لذلك بالأهنام بمران مدينة تونس ، وتوسيع دار
الصناعة بها ، وشق القناة التي توصل بين الميناء (رادس) وبين المدينة ، على
طول ١٢ (اثني عشر) ميلا . وبفضل تلك القناة أصبحت المدينة نفسها
مشتملة على تراكيب تكنها من العواصف والأنواء (٣٦٣) .

والمفهوم أن حملة صقلية قامت من تونس ، وأن الذي قام بها هو عياش
ابن أخيل الذي نزل على مدينة سرقوسة « فغنمها وجميع ما بها ، وقفل سالما
غانما » (٣٦٤) . وأما عن أشهر غزوات سردانية على عهد موسى ، فرغم أن
الرواية تعطي اهتمامها للمغانم الهائلة التي تم الاستيلاء عليها فيها إلا أنها
لم تنته نهاية سعيدة . ويفهم من رواية ابن عبد الحكم أن القيادة في تلك الغزوة
كانت إلى إعطاء بن رافع الهذلي قائد أسطول مصر الذي خرج من مدينته
سوسة (٣٦٥) ، وكان بصحبته أبو عبد الرحمن الحبلي والتابع المشهور حنش

(٣٦١) أنظر ابن عذاري . ج ١ ص ٤٣ . أما عن الروايات التي تقول إنه هذاني أو
دارسي فلا أساس لها من الصحة . أخبار مجوعة ، ص ٦) ونظر أنها من صنع كتاب العرس
الذين أرادوا أن يتسبوا كل عظم في سبي جنسهم . وذلك اثر نشاط حركة السعوية بينهم .
(٣٦٢) أنظر تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٣٠٢ - ٣٠٤ (حيث الإشارة إلى غزو
سردانية مرتين في سنة ٨٧ هـ . اولها بقيادة عبد الله بن موسى والثانية بقيادة عبد الله
ابن حذيفة الأزدي) ، ص ٣٠٥ (حيث الإشارة إلى حملة بحرية قام بها عبد الله في سنة ٨٩ هـ
على جزيرتي ميورقة ومينورقة . وتسمى غزوة الأسراف ، لأنه كان معه أسراف الناس) .
(٣٦٣) ابن قتيبة ج ٢ ص ٥٦ . وأنظر فيما سبق ص ٢٣٣ وشكل ٨ ص ٢٣٤ .
(٣٦٤) ابن عذاري ج ١ ص ٤٣ . ابن قتيبة . الإمامة والسباسة ، ج ٢ ص ٥٧ (يجعل
هذه الغزوة في سنة ٨٦) .
(٣٦٥) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ (يسميه إعطاء بن رافع مولى هذيل) ، ابن قتيبة ،
الإمامة والسباسة ، ج ٢ ص ٥٦ .

ابن عبد الله الصنعاني (٣٦٦) . ونزل البحارة العرب على عاصمة الجزيرة . وكانت الكاتدرائية (البيعة الكبرى كما يسميها ابن الأثير) (٣٦٧) بصفة خاصة هي هدفهم ، فاستولوا على ما كان فيها من الذخائر من آنية الذهب والفضة ، وما كان يكتنزه رجالها من الأموال (٣٦٨) . وللرواية هنا أهمية خاصة إذ تشير الى عدم انتظام الرجال الذين اغواهم بريق الذهب ، فاحتفظوا لأنفسهم بأموال المغانم (الغلول) ، وتفننوا في إخفائها عن قائدهم في أجفان السيوف بل وفي رمم القبط . ولم تشأ الأقدار أن يتمتع الناس بما أخذوه غدرا وخيانة فلقيت مراكبهم المتاعب في رحلة العودة ، فثارت بهم الرياح وضربت المراكب بعضها البعض حتى تكسرت (٣٦٩) ، وغرق كثير من الناس قرب الساحل الأفريقي - على ما يقول ابن قتيبة - وذلك أنه عثر على « أكثر الفرقى والدنانير على أوساطهم » (٣٧٠) . وكان أبو عبد الرحمن الحلبى ، وحشر الصنعاني من الناجين لأنهما « لم يكونا نديا من الغلول بشيء » (٣٧١) .

وهكذا يجعل الكتاب تلك النهاية التعسة عقابا من السماء لأولئك الذين ستمحوا لأنفسهم بأن يفتصبوا ما ليس من حقهم أو يخونوا . وبطبيعة الحال ما كان موسى بن نصير ليسكت على مثل هذا الخروج على النظام في قواته فأرسل أعوانه ، ومنهم عمرو بن أوس ويزيد بن مسروق ، يفتشون الناجين من رجال الحملة . واكتشف عمرو وسائل غريبة لإخفاء الأموال مثل : وضع الدنانير في القصب واستخدامه كعصى للاتكاء عليها ، أو دفنها في الزيت ، وحتى مثل تخبيتها في مواضع حساسة من الجسم ، ثم انه حمل من عثر عليه من هؤلاء الخوية الى دار الصناعة بتونس (٣٧٢) .

أما عن تاريخ هاتين الفزوتين فانكتاب يضعون غارة صقلية في ثانيا

-
- (٣٦٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ (يلقبه بالنسبي وليس بالصنعاني) .
(٣٦٧) ابن الأثير ، سنة ٩٢ ج ٤ ص ٢٧٢ .
(٣٦٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ ، وفارن ابن الأثير ، سنة ٩٢ ج ٤ ص ٢٧٢ (النويرى ، ص ٨٢) (الرواية سير الى أن أخذ الأموال من الكنيسة ثم عموا عليها رمى رجل بعض الحنم بسهم فوق السهم في السقف وانكسر منه لوح حسب قائلهم عليهم بالمال) .
(٣٦٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ .
(٣٧٠) ابن الأثير سنة ٩٢ ج ٤ ص ٢٧٣ : وابن الأثير يقول هنا انهم غرقوا عن آخرهم والظاهر انها مبالغه تعنى غرق كثير منهم) . ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ٢ ص ٥٨ .
(٣٧١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ .
(٣٧٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٠ . ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ٢ ص ٥٧ .

فتح المغرب (٣٧٣) ثم هم يخنطون بين فتح الأندلس وغزوة سردانية مما دعا ابن الأثير إلى وضعها في أحداث سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م (٣٧٤) . والأقرب إلى المنطق أن يكون غزو سردانية قد تم من القواعد البحرية المغربية وليس من الأندلس . ففتح الأندلس كان في بدايته ، ولم يكن العرب في سنة ٩٢ هـ قد وصلوا إلى سواحلها الشرقية ، وهذا ما تقول به الرواية المصرية كما يذكر ابن عبد الحكم عن سعيد بن عفير (٣٧٥) . وهذا ما تؤيده روايات خليفة بن خياط الذي يسجل غزوتين بسردانية سنة ٨٧ هـ / ٧٠٦ م كما يسجل غزو عبد الله بن موسى لميورقة ومينورقة في سنة ٨٩ هـ / ٧٠٨ م (٣٧٦) . وبناء على ذلك لا يتب فقط أن تلك الغارات البحرية قد وقعت قبل فتح الأندلس مباشرة ، بل ويتأكد أنها التي شجعت على القيام بالمغامرة الكبرى فيما وراء بحر الزقاق - إلى جانب الرباط في طنجة .

د - طارق في تلمسان وعلاقته بيليان :

هكذا استقر موسى بن نصير في القيروان ، ولم يبق له في إفريقية من ينازعه ، بينما نائبه ومولاه طارق بن زياد في طنجة يتم تمهيد المغرب ، ويتطلع إلى الأندلس . ولقد لاحظ بعض الكتاب - ولهم الحق في ذلك - أنه كان من الغريب أن يكون طارق في طنجة ، التي تكاد تكون هي وسببها مدينة واحدة ذات شطرين على الحجاز إلى الأندلس ، بينما كانت سببها بين يدي بيليان . فرجح البعض أن مستقر طارق كان في شمال بلاد درعة في المنطقة التي ستبني فيها سجلماسة ، وهي تفلت حالياً ، لأن سلا وما وراءها من أرض فاس وطنجة وسببها كانت للتصاري (٣٧٧) . ولكن هذا الاحتمال منقوض من وجهين : أولهما أنه يتعارض مع النصوص التي تجمع على أن طارق ابن زياد كان بطنجة أو بساحلها . وتانيهما أنه ما كان العرب ليستقروا في الصحراء الجنوبية القاحلة بعد أن كانت لهم الأقاليم الخصبة الساحلية في

(٣٧٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٣ .

(٣٧٤) انظر ابن الأثير ، سنة ٩٢ ج ٢ ص ٢٧٣ - ويورد ابن الأثير بعد هذه العبارة عروات العرب التالية على سردانية أمه ابن حبيب (سنة ١٣٢ هـ) والمتصور الفاطمي (سنة ٣٢٣) ومجاهد العمري أميرانية سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م .

(٣٧٥) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ ، وقارن ابن كتيبة - الامعة والسلمة ، ج ٢ ص ٥٦ .

٥٧ - حيب يعنى تاريخ ذلك سنة ٨٤ وسنة ٨٥ أي قبيل ولاية موسى ؟ ، انظر فيما سبق .

(٣٧٦) انظر فيما سبق ص ٢٤٦ وهـ ٣٦٢ .

(٣٧٧) انظر ابن عذاري ، (الذي نقل رواية ابن العطن) ، ج ١ ص ٤٤ .

تشمال ، وهذا ما وجههم فعلا نحو الأندلس شمالا بدلا من الانجاء نحو
السنگال والسودان الغربي وجنوبيا .

وحقيقة الأمر أن الكتاب يقصدون بطنجة الولاية الفسيحة ، وليس
المدينة الصغيرة . وإذا ما كانت ولاية طنجة تمتد الى مسيرة شهر كما
أشرنا (٣٧٨) ، وإذا ما كانت مدينة صلا (حيث مدينة الرباط الحالية) تعتبر
داخلة في نطاقها من جهة الغرب ، يكون امتداد مدينة طنجة من جهة الشرق
الى حدود المغرب الأوسط ومدينة تلمسان . وهذا ما تؤيده بعض روايات ابن
عبد الحكم التي تقول ان يليان ، عندما أرسل الى طارق يحثه على فتح الأندلس ،
كان « طارق يومئذ بتلمسان ، وموسى بالقيروان » (٣٧٩) . وهذا يعني أن
تلمسان كانت بالنسبة للمغرب في ذلك الوقت قرينة للقيروان بالنسبة
لافريقية ، مما يحمل على الظن بأن مدينة طنجة ذاتها دخلت في حوزة العرب
مع مدينة سبتة وبقيّة أملاك يليان عندما تم التحالف بين هذا الأخير وبين
طارق وموسى . ولا يمنع من ذلك ما يفهم من رواية أخبار مجموعة من أن
موسى بن نصير افتتح فعلا طنجة ، وأنه حاول فتح سبتة ولكنه وجد عند
يليان « عدة وقوة ونجدة ليست تشبه ما قبلها فلم يطقهم فرجع عنهم الى
طنجة ، وجعل يجتث ما حولهم بالمقاورة فلم يطقهم » (٣٨٠) ، فهو صرح ذلك
لكان من المغامرة أن يقيم طارق الى جوار خصمه القوي الذي لا يطيقه .

أقام اذن طارق بتلمسان مع زوجته أم حكيم (٣٨١) على حدود ولاية
طنجة الشرقية كما يقول ابن عبد الحكم ، واستمر اتباع سياسة حسن الجوار التي
اتبعتها العرب ازاء يليان منذ أيام عقبه بن نافع ، ولم يحاول أن ينتزع مدينة
سبتة ، ولو أن العرب استولوا على دواخلها . وأخذ طارق يرأسل يليان
ويلاطفه ، واستجاب الأمير الرومي الذي كان يقف موقفا دقيقا بين القوط
في الأندلس والعرب في المغرب لرغبة طارق ، وتوثقت عرى الصداقة بينهما ،
فكانا يتبادلان الهدايا (٣٨٢) ، وانتهى الأمر بأن أدى يليان خدمات حاسمة
للعرب فكان العامل الفعال في فتح الأندلس .

(٣٧٨) انظر فيما سبق . ص ٢٤٤ . ص ١٩٩ . ص ١١٤ .

(٣٧٩) ابن عبد الحكم . ص ٢٠٥ .

(٣٨٠) أخبار مجموعة . ص ٤ .

(٣٨١) ابن عبد الحكم . ص ٢٠٥ .

(٣٨٢) ابن عبد الحكم . ص ٢٠٥ .

ومع أن الكتاب يميلون من دخول العرب الى الأندلس مادة لقصص منيرة ، أشهره قصة ابنة يليان وملك الأندلس لذريق (٣٨٣) ، فإن الذي يهمنا هنا هو أن فتح الأندلس كان نتيجة طبيعية لتعام فتح المغرب . فمن جهة نلاحظ أن العلاقة وثيقة بين المغرب والأندلس من النواحي الطبيعية حتى أن الكتاب العرب اعتبروا الأندلس جناحا تقريبا للمغرب (٣٨٤) ، ومن جهة أخرى كان للأحداث التاريخية في كل من البلدين آثارها العميقة في الآخر منذ أيام الفينيقيين وقرطاجنة ، وعلى أيام الوندال ، واستمر هذا التأثير المتبادل على أيام العرب والاسلام ، وحتى العصور الحديثة وإلى الآن .

والذي ميز فتح الأندلس عن غيره من الفتوح العربية حتى ذلك الوقت هو اشتراك المغاربة ، أي أهل البلاد التي تم فتحها في اتو والنحظة ، الى جانب العرب اشتراكا ايجابيا في هذا الفتح حتى ليتمكن القول انه وقع على كاهلهم وحدهم . وهذا عمل عظيم من غير شك ، يشهد للعرب بالمجد والفخار إذ نجحوا في أداء رسالتهم - رسالة الاخاء والمساواة - فآكتمسبوا الى جانبهم أهل البلاد قلبا وقالبا ، فأصبح البربر أشد حماسا من العرب للعروبة والاسلام في تلك الفترة اوجيزة ، فقاموا الى جانب اخوانهم العرب ينشرون الرسالة في أوروبا ، يبذلون المنهج والنفوس رخيصة في هذا السبيل .

وهكذا نزل طارق ابن زياد أرض الأندلس في سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م على رأس قواته التي بلغت ١٢ (اثنى عشر) ألف رجل جلهم من البربر (٣٨٥) . وحققت القوة الاسلامية نجاحا باهرا لم يسبق له مثيل ، فضربت في قلب شبه جزيرة ايبيرية كما يضرب النصل الماضي في قالب من الزبد . ووصلت موسى بن نصير وهو في القيروان انباء ذلك النجاح بعد أن كان وصله نصيبه في الخمس من الأموال والسبايا من الاسبانيات الجميلات (٣٨٦) ، ففرع في

(٣٨٣) انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٥ ، اخبار مجموعة . ص ٥ ، وانظر فيما سبق ، هـ ١١٤ ص ١٩٩ - حيث رواية الرفيقي الأسطورية (عن ان يليان على عبد طارق ، كان ابنا لملك الأندلس التي ربما كانت صدى لقصة ابنة يليان وملك القوط الاسباني) .

(٣٨٤) انظر فيما سبق ص ٦٣ .

(٣٨٥) اخبار مجموعة . ص ٦ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٣ (جاز طارق الى ان الأندلس بمن كان معه من العرب والبربر وذهبتهم الذين ترك موسى عنده ، والذين اخضعهم حسان من المغرب الاوسط ص ٦) .

(٣٨٦) اخبار مجموعة ، ص ٦ .

السنة التالية (٩٣ هـ / ٧١٢ م) بمن كان معه من القوات العربية ، وبصحبته عدد من المشاهير منهم مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك ، والتابع المشهور حنش الصنعاني ، وحبيب بن أبي عبيدة الفهري ، واستخلف على القيروان ابنه عبد الله (٣٨٧) . وعبر المضيق الى الأندلس ليتم فتحها أو ليكاد ، الى جانب طارق في قرابة سنتين . أما عن ذخائر الأندلس وكنوزها وسبائها فقد أثارت خيال الكتاب العرب بشكل فاق ما أثارته كنوز افريقية والمغرب ، بل وكنوز المشرق وآل ساسان (٣٨٨) .

هـ - نهاية ولاية موسى بن نصير :

وبتمام فتح الأندلس انتهت ولاية موسى بن نصير للمغرب إذ استدعاه الخليفة الوليد بن عبد الملك ليعرفه بما تم على يديه من الفتوح ، وليحاسبه عما حصل عليه من الأموال والذخائر . وأعد موسى العدة للعودة إلى المشرق فاستخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس ، واستصحب طارق بن زياد وعبر بالأموال والذهب والفضة والجواهر في المراكب الى طنجة (٣٨٩) . ويصف الكتاب موكب النصر التي سار فيه موسى عبر المغرب وصفا رائعا . فالذهب والجواهر والأموال حملت من طنجة على العجلات « فكانت وسق مائة عجلة وأربعة عشرة عجلة » . أما السبايا - حسب مقالة الليث بن سعد - فلم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام (٣٩٠) .

(٣٨٧) انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٧ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٣ ، وعن حنش انظر ابن قتيبة الامانة والسياسة ، ج ٢ ص ٦٥ (القراءة خطأ هنا) حيش الشيباني ، والصحيح في ابن قتيبة ، ملحق ابن القوطية ، طبعة مدريد ، ص ١٢٧) . وانظر مقدمة جاتو (Gateau) لابن عبد الحكم ، ص ١٩ .

(٣٨٨) عما وقع بين أيدي المسلمين من كنوز الأندلس وأشهرها المائدة الأسطورية انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٨ ، ٢١١ ، ابن عذاري ج ١ ص ٤٣ ، أخبار مجموعة ، ص ١٩ ، ابن قتيبة ، ج ٢ ص ٦٣ ، الرقيق ، ص ٧٥ (حيث موكب ودريق العجيب) ، ص ٧٦ حيث اشارة سريعة الى الخاتم) ، ص ٧٩ - ٨٠ (حيث الاشارة الى مغامر طليطلة ومنها مائدة سليمان الأسطورية التي كانت أصلا في بيت المقدس ثم حملت الى روما ثم الى الإسكندرية من حيث حملها الروم - وهم يظرون أمام العرب - الى طرابلس . وقرطاجنة ثم طليطلة ، حيث وضعت بين أيدي العرب) ، ص ٨١ (حيث أسطورة رمى موسى لتلك الكنوز في النيران ، وأخذ منها ما لم تقدر عليه النار فقط) .

(٣٨٩) الرقيق ، ص ٨٢ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٣ . وقارن خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٣١٠ ، أحداث سنة ٩٤ هـ) .

(٣٩٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٣ ، وقارن الرقيق ، ص ٨٢ ، ابن خياط ، ج ١ ص ٣١١

(سنة ٩٥ هـ) .

وسار الموكب العظيم نحو القيروان ، بعد أن ترك موسى ابنه عبد الملك على طنجة (٣٩١) ، فوصل العاصمة الافريقية في آخر سنة ٩٥ هـ / أغسطس ٧١٤ م (٣٩٢) . ولم يدخل موسى القيروان بل نزل على مقربة منها في موضع يعرف بـ « قصر الماء » (٣٩٣) ، حيث جادته وفود المهنيين من قواد الجيوش العربية في القيروان ، فكان لهم نصيبهم مما كان معه من « جوار مختلفات كآنين البدور الطوالع من بنسات ملوك الروم والبربر . عليين الخلي والخللي » (٣٩٤) .

وبعد أن أقر موسى أمور افريقية ، استخلف عليها ابنه الأكبر عبد الله (٣٩٥) وسار في أوائل سنة ٩٦ هـ / خريف سنة ٧١٤ م نحو الشرق ، وبصحبته بقية أولاده ومنهم مروان وعبد الأعلى ، وأشرف العرب . ووجه البربر ، وأمراء القوط (٣٩٦) . ودخل الموكب مدينة القسطنطين في يوم الخميس ٢٣ من شهر ربيع الأول سنة ٩٦ هـ / ٨ ديسمبر سنة ٧١٤ م (٣٩٧) ، حيث عرض موسى ما كان معه من الطوف ، وأظهر كرمه الملوكي فأهدى كل من بالقسطنطين من الفقهاء والشرفاء (٣٩٨) . وفي فلسطين استقبله بنو زنباع استقبال الملوك المنتصرين فنحروا له ٥٠ (خمسين) بعيراً ، فأجزل لهم إعطاء ، وخرج من عندهم بعد أن ترك لديهم بعض أهله وصغار ولده ،

(٣٩١) ابن عذاري ج ١ ص ٤٤ . وانظر الرقيق . ص ٨٨ .

(٣٩٢) الرقيق . ص ٨٦ . ابن عذاري ج ١ ص ٤٤ .

(٣٩٣) ابن عبد الحكم . ص ٢١١ . الرقيق . ص ٨٧ . ابن عذاري ج ١ ص ٤٤ .

(٣٩٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٤ (النص هنا يقول انه كان يتباهى بما كان معه من الجوارى اللاتي اعتبرهن ملكا له . وانه فرقهن على الناس بعد ان لعت نظره على بن زنجار السلمي الى حفورة اسنحواذه عليهن حبه . وفارق الرقيق (مرجع ابن عذاري) . ص ٨٧ - حيث وصف الحراري بالمساء . والزهدي . وسنكره . وحدث لقب على بن زنجار هو « اللحمي » وليس السلمي .

(٣٩٥) ابن عبد الحكم ٢١٠ الرقيق (الذي بنقله) . ص ٨٨ . تاريخ خليفة بن خياط ج ١ ص ٢١١ . ٣١٦ . وابن عذاري ج ١ ص ٤٤ .

(٣٩٦) انظر ابن عذاري ج ١ ص ٤٤ (الذي يقسم أنتم العرب الى فرسيين . واصدر وعبرهم . ويذكر من البربر بني كسيلة وابناء الكاهنة وبني يسوز ومردانة ملك السوس الى نائب أمراء افريقية . ويذكر أمير مورقة ومينورقة الى نائب أمراء القوط . قازن بن صبية . ج ٢ ص ٦٦ .

(٣٩٧) ابن عبد الحكم . ص ٢١١ .

(٣٩٨) ابن عذاري . ج ١ ص ٤٤ . ابن صبيح . ص ٦٧ .

ووصل الى دمشق حيث استقبله الخليفة الوليد وهو على سرير مرضه الذي مات فيه (٣٦٩) .

وتوفي الوليد في جمادى الآخرة عن سنة ٩٦ هـ / فبراير ٧١٥ م ووضع موسى بن نصير قريسة لسخط الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك . والروايات تختلف في سبب نكبة موسى بن نصير ، وتقدم لذلك أسبابا شخصية منها سوم معاملة موسى لطارق بن زياد بسبب تناقضها على فتح الأندلس ، والاستيلاء على كنوزه وذخائره (٤٠٠) ، ومنها أن موسى غوت على سليمان تملك تلك الكنوز فقدمها الى الوليد وهو يحتضر (٤٠١) .

مسألة الأموال ونهاية موسى :

ولا شك أن مسألة الأموال كانت من أسباب السخط على موسى الذي منح لنفسه بالتصرف في بعضها ، فغمر بكرمه وجوه الناس على طول الطريق من القيروان الى القسطنطين . والمعروف أن سليمان جرى على التقليد الذي بدأه معاوية ، نحاسب موسى حسابا شديدا ، ولم يعلم الشهود الذين يشهدون ضد ابن نصير . ومن هؤلاء رجل من أهل المدينة هو عيسى ابن عبد الله الطويل ، الذي كان ينقل منصب صاحب الخاتم (أو المقاسم) في جيش موسى . فقد شكوا لسليمان ، وقال له : « ان الله أغناك بالحلل عن الحرام » . ان موسى لم يخرج خمسا من جميع ما أتاك به ، مما دعا سليمان الى ادخال كل ما أتى به موسى الى بيت المال (٤٠٢) . وانتهى الأمر بتعذيب موسى ، واغرامه مبالغ كبيرة من المال ثم وفاته في تلك الظروف العسرة (٤٠٣) فكانما سقط من حلق .

(٣٦٩) أنظر الرقيق . ص ٨٨ . حيث يصر على أن الولد كان مريض بدير من غوط دمشق .

(٤٠٠) ص ٢٠٧ . ص ٢١٠ . ٢١١ . وأنظر الرقيق . ص ٨٩ . ٩١ .
(٤٠١) أنظر الرقيق . ص ٨٩ ، ٩١ ، ابن عسار ج ١ ص ٤٥ ، القرى . نفع الطيب . ج ١ ص ١٢٢ .

(٤٠٢) ابن عبد الحكم . ص ٢١١ .

(٤٠٣) أنظر الرقيق . ص ٩١ . حيث تقول الرواية ان سليمان اغرم موسى ٣٠٠ (ثلاثمائة) ألف دينار وأمر بتعذيبه . وعزم على قتله لولا استجارته بيزيد بن المهلب الذي سعى له . ولكن سليمان أمر على ان يدفع موسى الفرم الذي فرضه عليه . وعن وفاة موسى في المدينة من موسم حج سنة ٩٨ هـ وهو بصحبة سليمان بن عبد الملك ، أنظر ابن قنينة ، الإمامة والسياسة . ط ١٣٢٨ هـ . ج ٢ ص ٨٢ - ٨٣ .

ولم تكن مسألة الحياة في المال هي التي أودت وحدها بموسى بل شاركتها السياسة الجديدة للدولة التي صاحبت النقلة من عهد توليد الى عهد أخيه سليمان . فنقد أودت تلك السياسة بأخرين غير موسى من كبار رجال الدولة من أهل الحرب والسياسة . فطارق بن زياد انتهى هو الآخر في المشرق نهاية مغمورة ، وقتيبة بن مسلم يظل فتوح « ما وراء النهر » راح هو الآخر ضحية سحق سليمان ، فتم اغتياله على أيدي رجاله الذين طالما قادهم الى ميادين البطولة والتفخر . هؤلاء الرجال أدوا للخلافة والاسلام خدمات جليلة ، فوسعوا حدودها الى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ولقوا في النهاية نكران الجميل أو جزاء سنمار . والى جانب مزاج الخليفة أو أهوائه الشخصية حاول البعض تفسير ذلك التغيير العنيف في سياسة الدولة عن طريق مسألة النزاع العصبي بين القبائل العربية ، فأرادوا أنه بعد أن كان الوليد يسير على سياسة محايدة التيسية والاعتماد عليهم في أمور الحرب والادارة ، سار سليمان على سياسة عكسية معادية ايمنية واستخدمهم وأنزل سحقهم بخصوصهم (٤٠٤) . ولكن هذه النظرية - مع صحتها الى حد كبير - ليست فوق مستوى النقد : فطارق بن زياد كان من الخواري ، وموسى بن نصير نفسه اختلف في أمره ورجح البعض أنه نخمى من أصل عربي يعني (٤٠٥) . وربما كان موقف هؤلاء العاتر أو العدائي من سليمان بن عبد الملك ، وهو ولي للعهد وعملهم من وراء الستار على تحريض الخليفة عبد الملك على أن يعهد لبعض ولده بدلا من أخيه أنه فيما أصابهم من سحق سليمان (٤٠٦) .

والى جانب كل هذا نظن أن الخلافة استنصرت شيئا من الخطر من وجود رجال ممن لهم مثل باع موسى بن نصير وقتيبة بن مسلم - ممن يذكرهم يعمر بن العاص وخالد بن الوليد - في أطراف الدولة البعيدة ، خشية نزوعهم الى الاستقلال أو محاولة الحرز من سلطان الخلافة . والظاهر أن

(٤٠٤) انظر دورق ، تاريخ المسند في الامام (بالعربية) ، ج ١ ص ١٣٣ .

١٣٤ .

(٤٠٥) انظر مقدمة ذلك في مبيرون (تاريخ الدولة العباسية) ، تعريفه أبو ربه ، ص ٢٣٣ ، الذي يصف دورق ويزيد بن مسعدة الشراخ بن العباسين الميراثيين الكبيرتين لم تكن قد طلوت بعد .

(٤٠٦) عن وثيقة الوليد في العهد لاشه بدلا من سليمان انظر حسن ابراهيم حسن ، تاريخ اسلام المسند ، ج ١ ص ٣٣٤ .

هؤلاء القواد تصرفوا في تلك الاقطار النائية - ولهم الحق - بشيء من الحرية
ينهم عن الطموح والرغبة في الاستزادة من السلطان - فبعض الروايات تشير
الى أن فتح الأندلس تم ما بين الحاج موسى وتردد أوليد (٤٠٧) ، تماما كما
يقال ان عمرو بن العاص دخل مصر دون موافقة عمر (٤٠٨) ، كما تفسر بعضها
سخط موسى على طارق بن زياد بأن الأخير خرج على تعليمات قائده فتوغل
في قلب الأندلس دون إذن سابق (٤٠٩) . ويتبين طموح موسى في فتوحه
البعيدة في وادي الايرة وأعلى أراجون ، ذلك الطموح الذي كان يتعدى طاقة
رجالته حتى احتج عليه حنش الصنعاني قائلا : « أتريد أن تخرج من الدنيا
أو تلتبس أكثر وأعظم مما أعطاك الله » (٤١٠) . ولقد ظهر تحرر موسى بشكل
أوضح في تصرفه في أموال المقانم . فبينما حرص على جمع أكبر قدر من المال
حتى أنه حرم رجاله في بعض الأحيان من حقهم في الأخصاس ، حسب شهادة
صاحب المقاسم كما أشرنا (٤١١) ، استحوذ لنفسه على كثير من الأموال
والنسبانيا الجميلات حتى لفت بعض كبار أصحابه نظرة الى خطورة ذلك فسمنح
لنفسه بالتصرف فيها بشكل منح وهدايا (٤١٢) . وكان ذلك يعني نوعا من
الاستهانة بالخليفة ، صاحب الحق الأول والأخير في التصرف في الأموال .

وهكذا حق للخليفة ومستشاريه أن يخشوا بأس ذلك الرجل الذي
سئل ، وهو في محنته ، عن عدد من كان يعتد فيهم هو وأهل بيته من الموالى
والخمس ، وهل قاربوا الألف مثلا ؟ فقال : « نعم ! ألف وألف الى منقطع
النفس » (٤١٣) ، والذي اتبع ذلك ، عندما سئل لماذا لم يمكث في عزه وجاهه
بعيدا عن منال الخلافة ، بقوله : « والله لو أردت ذلك لما قالوا من أطرافي شيئا
ولكن آمرت الله - عز وجل - ورسوله ولم أر الخروج عن الطاعة » (٤١٤) .

(٤٠٧) انظر أخبار مجبرة ، ص ٥ ، ٦ .

(٤٠٨) ابن عبد الحكم ، ص ٥٦ .

(٤٠٩) انظر ابن قتيبة (ملحق ابن القوطية ، ص ١٢١) .

(٤١٠) ابن قتيبة ، ج ٢ ص ٦٥ وملحق ابن القوطية ، ص ١٣٧ ، وقارن رواية الرقيق ،
ص ٨٠ - ٨١ (حيث النص على أن حنشا احتج على توغل موسى عندما وصل الى « أربونة »
(نربونة) .

(٤١١) انظر فيما سبق ، ص ٢٥٤ .

(٤١٢) انظر فيما سبق ، هامش ٢٩٤ ص ٢٥٢ .

(٤١٣) ابن عسار ، ج ١ ص ٤٦ ، ابن قتيبة (عن عدد موالى موسى) ج ٢ ص ٦٩ .

(٤١٤) من المصدر ، وعن اتهام موسى بالخلج انظر ابن قتيبة ، ملحق ابن القوطية

والحقيقة انه رغم أن موسى وقع في قبضة الخلافة وأصبح تحت رحمة خصومه ، الا أنه كان يمثل خطرا شديدا على سليمان . فنقد حضر موسى الى الشام فأركا بلاد المغرب والأندلس جميعا تحت سلطان ابنائه : فلقد كان عبد الله بن موسى في القيروان ، وعبد الملك بن موسى في طنجة ، وعبد العزيز بن موسى في اشبيلية . فكان على الخليفة أن يكون حذرا في معاملة موسى ، وفي العمل على استخلاص ولاياته الغربية من أيدي ابنائه .

ورغم ما يؤخذ على سليمان من تكرانه بجيل كبار قواد الدولة حتى عد ابن عذارى فعله مع موسى وبنيه من هفواته التي لم تزل تنقم عليه ، الا أن سئمتان يعتبر من عظماء خلفاء بني أمية . ههنا الذي قام بأكبر محاولة لأخذ القسطنطينية ، ثم يكفيه فخرا أنه عهد بالولاية بعدد إلى الخليفة الوريح عمر ابن عبد العزيز . ولا شك أنه عندما فعل بموسى وغيره من رجال الدولة ما فعل كان يهدف إلى اصلاح الأوضاع . ويعمل على بسط سلطان الخلافة على كل أرجاء الدولة . وخضوع جميع العمال لسلطة الخليفة . وهو عندما استبدل بالعمال القدماء غيرهم تحرى حسن الاختيار .

الباب الثالث

الإدارة الأموية
أخطاؤها ورد الفعل بين المغاربة

حركات الخوارج

(م ١٧ - تاريخ المغرب العربي)

محاوَلات الإِصْلَاح

٤ - محمد بن يزيد القرشي وتصفية آل موسى بن نصير :

بدأ سليمان بالبحث عن رجل له فضل يوليه إفريقية ، ووقع اختياره على محمد بن يزيد القرشي بالولاء^(١) ، بعد أن أوصاه بتقوى الله وحده الذي لا شريك له والقيام فيما ولاء بالحق والعدل^(٢) . ولقد تم اختيار محمد بن يزيد في سنة ٩٦ هـ / ٧١٥ م^(٣) ، ووصل إلى مقر ولايته بإفريقية في سنة ٩٧ هـ / أواخر سنة ٧١٥ م^(٤) .

والظاهر أن محنة موسى بن نصير لم تبدأ إلا بعد أن استقر محمد بن يزيد في القيروان إذ وصنته الأوامر من سليمان بأخذ عبد الله بن موسى بن نصير ، وآل موسى واستئصال أموالهم حتى يؤدوا ما فرضه عليهم من الغرم ، وهو ٣٠٠ (ثلثمائة) ألف دينار . وتفد ابن يزيد أوامر الخليفة ، فأخذ عبد الله بن موسى ، وزج به في السجن وعذبه ثم انه قتله بعد ذلك على يدي خالد ابن أبي حبيب القرشي^(٥) . وهكذا لم يعدم الخليفة وواليه على إفريقية وجود

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٣ (يلقبه « بالقرشي ») ، الرقيق ، ص ٩٣ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٧ (يقول « مولى قرشي » - النويري ، المخطوط ، ص ٨٢ ب) ، وقارن أخبار مجموعة ص ٢٢ - حيث القراءة عبید الله بن زيد مرة وعبد الله بن يزيد مرة أخرى ، وربما كان المقصود هو كنيته « أبو عبد الله » كما هي العادة بالنسبة لمن اسمه محمد . أما عن ولائه نريش فالنصر يقول « لا أدري لمن من قرشي ! » . أما خليفة بن حياط (ج ١ ص ٢٢٤) فيقول انه « مؤثر بجماله بنت أبي العاصم » . ثم يعود (ج ١ ص ٢٢٣) ليلقبه بالأصاري .

(٢) الرقيق ، ص ٩٣ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٧ ، النويري ، المخطوط ، ص ٨٢ ب .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٣ ، ويورد ابن عبد الحكم رواية أخرى عن الليث بن سعد يقول ان ولاية محمد بن يزيد كانت في سنة ٩٧ هـ - وهو ما ينص عليه خليفة بن حياط .

ج ١ ص ٢٢٤ . عند ذكر عزل عبد الله بن موسى وولاية محمد بن يزيد . ولقد رأينا ان الروايتين يمكن ان تكونا صحيحين بمعنى انه عين في سنة ٩٦ هـ ، ووصل إلى إفريقية في سنة ٩٧ هـ . وقارن النويري (ص ٨٢ ب) الذي يصل ولايته سنة ٩٩ هـ . كما ينقل ذلك من الرقيق (ص ٩٣) . وهذا خطأ من الناسخ على ما نرى .

(٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٧ .

(٥) الرقيق ، ص ٩٤ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٧ ، وقارن ابن عبد الحكم الذي يجمع =

خصوم لآل نصير - بعد المكانة العالية التي بلغوها في المغرب - يساعدهم
على كسر شوكتهم .

ونجح سليمان أيضا في التخلص من عبد العزيز بن موسى بالأندلس .
والظاهر أن عبد العزيز أظهر نوعا من الاستقلال - وحق له أن يفعل بعد ما
نزل بأبيه وأخيه - ولكن الخليفة ألب عليه قواد العرب ، كما نظم ضده
دعاية واسعة لم تكف بالتشديد بخروجه على الطاعة (٦) بل ونجحت في إيهام
الناس بأنه تنصر تحت تأثير زوجته القوطية (٧) . وتمت مؤامرة ضد
عبد العزيز اشترك فيها بعض أقاربه إلى جانب خصومه ، وتم اغتياله في
أواخر سنة ٩٧ هـ / ٧١٦ (أو ٩٨ هـ / ٧١٧ م) على أيدي زياد بن النابغة
التميمي ، وأحد حفدة عقبة بن نافع وهو حبيب بن أبي عبيدة (٨) . وأرسلت
رأسه إلى الخليفة الذي بالغ في تعذيب موسى بن نصير فعرضها عليه (٩) .
وعهد محمد بن يزيد بولاية الأندلس إلى الحر بن عبد الرحمن النقفى (١٠) .

أما عن أعمال ابن يزيد الأخرى فلا نجد إلا ما يشير إليه ابن عذارى من

= (ص ٢١٥) مقتل عبد الله بن موسى في سنة ١٠٢ هـ أيام خلافة يزيد بن عبد الملك وولاية
بشر بن صفوان ، وذلك اثر اتهامه في مقتل يزيد بن أبي مسلم كما سنرى ، وبسبب ذلك
التاريخ المتأخر بالنسبة لنكبة موسى ، وبسبب الطابع الاسطوري للقصة ، رأينا انه ربما اختلط
الأمر على ابن عبد الحكم ، فوضع نهاية عبد الله بن موسى موضع نهاية ابن آخر لموسى بن نصير ،
ونظن انه عبد الملك إذ الحقيقة ان الخلط بين الاسمين ممكن لتشابه رسمها (انظر فيما بعد
ص ٢٦٩ وما ٤٨ ، ص ٢٧٠) - ولذلك فضلنا الأخذ برواية ابن عذارى بصفتها أكثر واقعية .
(٦) الرقيق ، ص ٩٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧ ، النويرى (رواية الوافى) ،
المخطوط ، ص ١٨٣ .

(٧) أخبار مجموعة ، ص ٢٠ ، السرياق ، ص ٩٤ - ٩٥ ، النويرى ، المخطوط ،
ص ١٨٣ .

(٨) أخبار مجموعة ، ص ٢٠ ، ٢٢ ، الرقيق ، ص ٩٥ (حيث يقول ان الذين اشتركوا
في قتله ثلاثة ، هم : حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ، وزيد بن عابدة البلوى ،
وزيد بن قبة ، ويجعل قتله في آخر سنة ٩٨ هـ) ، النويرى ، المخطوط ، ص ٨٣ ب .
(٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٢ ، الرقيق ، ص ٩٦ ، وقارن ابن عذارى (ج ١ ص ٤٧)
الذي يقول ان رأس عبد العزيز أرسلت مع رأس عبد الله حتى وضعتا بين يدي موسى وهو في
عدابه . أما احبر مجموعة (ص ٢٢) ففيها « انه لما بلغ سليمان مقتل عبد العزيز بن موسى
شق ذلك عليه » .

(١٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٤٧ ، انظر أخبار مجموعة ، ص ٢٢ (يسميه خطا الحر بن
عبد الله) ، وقارن الرقيق ، ص ٩٦ (حيث يسمى والى الأندلس : الحسن بن عبد الرحمن
القيس) .

أنه كان « يبعث السرية الى ثغور افريقية فما أصاب قسه عليهم » (١١) .
ونظن أن في ذلك إشارة الى أنه التزم بتطبيق قانون المغانم ، على عكس ما كان
يفعله موسى بن نصير كما تقدم (١٢) . واستمرت ولاية محمد بن يزيد الى
وفاة سليمان بن عبد الملك (في صفر سنة ٩٩ هـ / سبتمبر - أكتوبر
٧١٧ م) وخلافة عمر بن عبد العزيز (١٣) التي تعتبر نقطة تحول هامة في
تاريخ الدولة الأموية عامة .

ب - خلافة عمر بن عبد العزيز مرحلة حاسمة في تاريخ المغرب : علاج الأزمة المالية :

والحقيقة أن خلافة عمر بن عبد العزيز القصيرة الأمد كانت - زمنيا -
نقطة من القرن الأول الى القرن الثاني الهجري ، كانت - سياسيا - نقطة
أيضا في مسار الأحداث في المغرب ، كما في بقية أرجاء الدولة (١٤) .
فمحاولات عمر بن عبد العزيز للإصلاح معروفة ، وهي تتلخص في رغبته
في العودة بالاسلام الى سيرته الأولى ، ولهذا السبب اعتبره بعض المؤرخين
خامس الخلفاء الراشدين (١٥) . وهذا البرنامج كما يتأتى بالقضاء على أسباب
الانقسام والفرقة . ولكي يحقق عمر وحدة الجماعة فأوض الخوارج ، وحاول
إرضاء الشيعة ، كما عمل على إيجاد تسوية لما حدث من التضارب أو التناقض
بين السياسة المالية والسياسة الدينية ، وهو الأمر الذي زاد تفاقمه مع مرور
الوقت .

(١١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٧ .

(١٢) انظر فيما سبق . ص ٢٥٢ وهامش ٣٩٤ ، ص ٢٥٣ .

(١٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٣ ، وقارن ابن عذاري ، (ج ١ ص ٤٧) الذي يجعل
مدة ولاية محمد بن يزيد سنتين وأشهرا على أساس أن ولايته تنتهي بوفاة سليمان . والحقيقة
أن الوالي الجديد لم يعين الا في سنة ١٠٠ هـ .

(١٤) نشير هنا الى أنه يفهم أن قدامى الكتاب يربطون بين نهاية القرن الأول وبداية
القرن الثاني وبين تطور الأحداث الحاسمة بالنسبة للدولة الأموية بأسباب خفية ترجع الى
اعتقاد أهل تلك العصور في علاقة ما بين الزمن والوجود ، ولهذا السبب اعتبر عمر بن عبد
العزيز مجدد الإسلام في مطلع القرن الثاني الهجري (انظر السبكي ، طبقات الشافعية
الكبرى - ط ١٣٢٤ هـ ، ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٦) . والحقيقة أن مثل هذا الاعتقاد كان وما
زال قائما حتى أيامنا هذه عند من يتتظر الناس أحداثا جلييلة ليس في بداية كل قرن فقط
بل وفي منتصفه أيضا .

(١٥) انظر ابن الأثير ، أحداث سنة ١٠١ هـ ، ج ٥ ص ٢٤ ، البخاري ، كتاب التاريخ
الكبير ، ط . حيدر آباد الدكن ، ١٣٦١ هـ ، ج ٣ قسم ٢ (حيث مقارنة خلافة عمر بن عبد
العزيز بخلافة أبي بكر) .

ولا شك في ان الدولة الاموية لم تكن مسئولة عن ذلك التناقص ، فلقد كان تكدر الأموال ، في بيت المال وبين أيدي كبار الصنعاة ، من الأسباب التي أدت الى أزمة الخلافة أيام عثمان (١٦) . ثم أتى الأمويون واتسعت الدولة العربية الى أقصى حدودها ، فكان ذلك يعنى قلة أموال الخزانة بعد توقف الفتح ، وتبع ذلك دخول أهل الأمصار المفتوحة في الاسلام واعفاؤهم من دفع الجزية ، فكان ذلك يعنى قلة أموال الجزية الواردة الى بيت المال . حدث ذلك في الوقت الذي أخذت الدولة تتحضر وترقى ، وتتخذ الجيوش النظامية ، وتنظم الادارة والدواوين ، وتستخدم الموظفين بمعنى أنها في حاجة الى المزيد من الأموال أكثر من ذي قبل . وبناء على ذلك سعت الدولة الى جمع المال من كل الوجوه ، واستخدمت في ذلك عديدا من الوسائل : فحاسبت العمال محاسبة دقيقة ، وتشددت هؤلاء بدورهم مع رعاياهم ، وتكفي الإشارة الى أعمال الحجاج وتعسفه في سياسته المالية ، وهذا أمر متفق عليه (١٧) .

وانتهى الحال الى التفرقة بين المسلمين ومعاملتهم ، فتميز العرب بوضع خاص في المجتمع الجديد ، وحرّم غير العرب من المسلمين من كثير من حقوقهم ، اذ أُجبر كثير منهم على الاستمرار في دفع الجزية ، أو الخدمة في الجيش دون أخذ العطاء . وأكثر من هذا طلبت الدولة من الداخلين في الاسلام من أهل الأمصار انبات صحة اسلامهم ثبوتا قاطعا - وهذا أمر صعب - أو اشترطت شروطا لم يكن من السهل تحقيقها أو تبيانها في بعض الأحيان مثل الحتان والالتزام باقامة الشعائر . ومع أن الدولة كانت تستند في تصرفاتها تلك الى أصول شرعية أو أحكام اتخذت مع الوقت صفة الشرعية ، الا أنه ترتب على ذلك أنها خرجت - من حيث لا تشعر - على المبادئ الاسلامية الأولى ، مبادئ المساواة والاخاء .

عرف عمر بن عبد العزيز ذلك ، وكانت فكرته عن الاسلام أوسع أفقا من أفكار سابقيه . فجعل همه نشر الاسلام أولا وقبل كل شيء ، وفي ذلك ينسب اليه الكتاب أنه قال : « ان الله بعث محمدا هاديا ، ولم يبعثه جابيا » ، أو

(١٦) هذا ما لاحظته السعدي بحق (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٤١ - ٣٤٣) عندما أشار الى تكدر الأموال والثروات لدى الصحابة (مثل الزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وزيد بن ثابت وغيرهم) ، ولدى عثمان نفسه .

(١٧) عن أعمال الحجاج واجراءاته المالية الشديدة في العراق ، التي بلغت الى حد تحريم الهجرة من الخريف الى الخريف ، انظر فتاوى ابن تيمية ، تاريخ الدولة العربية ، تعريب أبو زبينة ص ٣٧٠ .

أنه كتب إلى واليه على خراسان عندما استتار في امتحان الداخلين فيها
الإسلام بالختان : و إن الله بعث محمدا - صلى الله عليه وسلم - داعيا وليا
يبعثه خاتنا (١٨) . ولكي يحقق عمر بن عبد العزيز سياسته . كان عليه
أن يغير عمال الدولة السابقين ، ويعين بدلا منهم عمالا يسرون سيرته (١٩)

ولاية اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر (١٠٠ - ١٠٢ هـ / ٧١٨ - ٧٢٠ م)

وفيما يتعلق بالمغرب قام عمر بعزل محمد بن يزيد القرشي ، واستعمل
بدلا منه اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم ، وذلك في
شهر المحرم من سنة ١٠٠ هـ / أغسطس ٧١٨ م (٢٠) . وولاية حفيد أبي
المهاجر هذه تبين أن الفاتحين الأوائل كونوا أسرا قوية في المغرب وكذلك
في مصر ، وسنرى فيما بعد كيف سيكون لبني عقبة بن نافع ، وبني معاوية
ابن حديج ، وبني موسى بن نصير دورهم في مسير الأحداث في مصر والمغرب .
أما ما يهمنا الآن فهو أن اسماعيل بن عبد الله جمع في ولايته الحرب والخروج
والصدقات كما ينص ابن عبد الحكم (٢١) ، وكانت العساة أن يفصل بين
أمور السياسة والإدارة . وشئون المال ، فيكون لكل عاملها الخاص . والفرقة
هنا بين الأموال وتقسيمها إلى خراج وصدقات تعنى اهتمام عمر بن عبد العزيز
بالمسألة المالية ، كما قلنا .

والحقيقة أن اختيار اسماعيل بن عبد الله تم لما عرفه عمر فيه من التقوى
التي تبعث على الشجاعة في تقرير الصدق وقول الحق عند مواجهة أولى
الأمر ، وخاصة عندما يتعلق الأمر بصحة الجباية وجمع المال من وجوهه
الحقة . فقد جرت العادة ، عند ورود جبايات الأماصار إلى دمشق ، على أن
يأتي مع جباية كل بلد وفد من أهله يتكون من عشرة رجال من الأعيان
وكبار القادة . وكان على هؤلاء أن يقسموا بأن كل دينار ، وكل درهم من
تلك الجباية ، أخذ بحقه ، وأنه فضل أعطيات أهل البلد من المقاتلة والقدرة

(١٨) نفس المصدر ص ٢٨٤ (عن الطبري) .

(١٩) أنظر نفس المصدر (عن ولاية عمر بن عبد العزيز في سائر الأماصار) ص ٢٦٩ -

٢٦٣ .

(٢٠) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٢ ، حليفة بن خياط ، ج ١ ص ٢٣٠ ، ابن عسار ، ج ١
ص ٤٨ ، أخبار مجموعة ، ص ٢٢ ، وقارن الرقيق ، ص ٩٧ (حيث يحدد ولايته بسنة حاة
وسنة إحدى ومائة في خلافة عمر بن عبد العزيز) .

(٢١) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٣ .

بعد أخذ كل ذي حق حقه ، (٢٢) . وعلى أيام سليمان بن عبد الملك أتى وفد إفريقية بالحراج ، وحلف ثمانية من العشرة بصحة جمع المسال ، ورفض اسماعيل بن عبد الله ، وتبعه في ذلك المسح بن مالك الحولاني . وأعجب عمر بن عبد العزيز ، السدي كان حاضرا ، بالرجلين ، فضمهما الى نفسه فاختر منهما صلاحا وفضلا ، فلما صارت اليه الخلافة ولي اسماعيل إفريقية وعهد الى المسح بولاية الأندلس (٢٣) .

وأحسن اسماعيل بن عبد الله السيرة في المغرب ، فكان خير أمير ، وخير وال ، (٢٤) . وكان على اسماعيل أن يطبق سياسة عمر المالية التي تهدف الى وضع الأمور في نصابها ، من تمييز أرض الصلح عن أرض العنوة ، وأن يقر القرى في يدي غناتها بمسد أن يأخذ الخمس ، (٢٥) . وترتب على اصلاحات عمر بن عبد العزيز في المغرب أن خفت الأعباء المالية على المسلمين من أهل البلاد ، فأصبحوا يحتفظون بأرضهم ولا يدفعون عنها الا الحراج الى جانب الزكاة التي عرفت بالصدقة . ثم انه ألغى ما كان متبعاً منذ أيام عقبة الفتي صالح لواتة على أن يبيعوا في خراجهم من أحبوا من أبنائهم ، وذلك تطبيقاً لمبدأ المساواة بين المسلمين ، فلم يعد مستساغاً أن يبيع لواتة - بعد أن أسلمت - بناتها في جزيتها . وصدرت أوامر عمر بن عبد العزيز : « ان من كانت عنده لواتية فليخطبها الى أبيها ، أو فليردها الى أهلها » (٢٦) . واهتم اسماعيل بن عبد الله بدعاء البربر الى الاسلام ،

(٢٢) أخبار مجموعة ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢٣) أخبار مجموعة ، ص ٢٣ . ابن عذارى ، ج ١ ص ٤٨ (يجعل ولاية المسح من قبل اسماعيل بن عبد الله في رمضان سنة ١٠٠ هـ) .

(٢٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٤٨ ، النويري ، المخطوط ، ص ٨٣ ب . واصل الرواية للرفيق (ص ٩٧) . وقارن خليفة بن خياط ج ١ ص ٣٣٠ (حث النص على انه كان حسن السيرة) .

(٢٥) أخبار مجموعة ، ص ٢٣ (هذا النص خاص بأوامر عمر بن عبد العزيز ان والى الأندلس المسح بن مالك ، ولكننا أخذنا به بالنسبة للمغرب لما بين البيهقي من الصلات الوثيقة ، ولان ابن عذارى (هامش ٣ ص ٢٣٥) يرى ان ولاية المسح كانت من لدن اسماعيل ابن عبد الله . أما ما يقوله النص من اقرار القرى في أيدي غناتها ، وأخذ الخمس منها فالظاهر ان التصود به هو الجزء الأخير من النص أي أخذ نصيب الدولة من الأراضي التي وضع العرب أيديهم عليها ولم تبق بين أيدي أصحابها الأصليين) .

(٢٦) الملاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٦ .

واستجاب البربر جميعا لدعااته : فلم يبق في ولايته يومئذ من البربر
أحد الا أسلم (٢٧) .

ويرجع الفضل فيما تحقق في هذا الميدان الى الخليفة نفسه ، اذ ينسب
اليه الكتاب انه بعث الى المغرب عشرة من فقهاء التابعين من أصل العلم
والفضل ، منهم أبو انجم عبد الرحمن بن نافع (٢٨) ، وأبو مسعود سعد
ابن مسعود التجيبي (٢٩) ، وأبو عبد الرحمن الحيلي (٣٠) ، واسماعيل بن عبيد
الأنصاري المعروف بتاجر الله (٣١) ، وموهب بن حي المعافري (٣٢) وحيان بن
أبي جبنة القرشي (٣٣) ، وأبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي (٣٤) ، وأبو سعيد
جعثل بن عاهان بن عمير (٣٥) ، واسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر (٣٦) .

(٢٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٢ ، خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٣٣٠ ، ابن عسار ج ١
ص ٤٨ ، وقارن النويري ، المخطوط ، ص ٨٣ ب ، وأنظر الرقيق ، ص ٩٧ (حيث النص :
وما زال حرصا على دعاه البربر الى الاسلام ، فأسلم بقية البربر على يديه) .

(٢٨) ابن عسار ، ج ١ ص ٤٨ ، وأنظر المالكي (ج ١ ص ٧٢) حيث يجر المحقق ابن
نافع الى ابن رافع حسب طبقات أبي العرب الذي يلقبه بالتونسي أيضا . ولقد ولي عبد الرحمن
قضاء القيروان لموسى بن نصير سنة ٨٠ هـ / ٦٩٩ م وتوفي بالقيروان سنة ١١٣ هـ / ٣٧١ م ،
(٢٩) ابن عسار ، ج ١ ص ٤٨ ، المالكي ، ج ١ ص ٦٦ - ٦٧ (لا يذكر المالكي تاريخ
وفاته ولكنه يفهم من ترجمته أنه حضر ثورة الخوارج سنة ٢٢ هـ أيام مظلة بن سلوان
كما سنرى) .

(٣٠) المالكي ، ج ١ ص ٦٤ ، وأنظر أيضا ص ٦٦ حيث يسميه عبد الله بن أبي يزيد
الافريقي (انتفع به أهل افريقية وبث فيهم علما كثيرا . توفي بالقيروان سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ -
٧١٩ م ، ودفن بباب تونس) وأنظر الدباغ ، ج ١ ص ١٢٨ (أبو عبد الرحمن عبد الله بن
يزيد المعافري الافريقي الحيلي) .

(٣١) المالكي ، ص ٦٩ - ٧٢ (عرف بتاجر الله لانه جعل ثلث كسبه في تعال يصره
في وجوه الخير ، ص ٧٠) . وينسب اليه بناء جامع الزيتونة . توفي سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٥ -
٧٢٦ م) ، الدباغ ، ج ١ ص ١٤٦ .

(٣٢) المالكي ، ص ٧٣ ، الدباغ ، ج ١ ص ١٦١ (ابن حبان) .

(٣٣) المالكي ، ص ٧٣ (حيان قرشي بالولاء فهو مولد بني عبد المنار . سكن القيروان
وانتفع به أهلها . توفي سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م) وأنظر الدباغ ، ج ١ ص ١٥٨ (حبلن) .
(٣٤) المالكي ، ج ١ ص ٧٤ (كان فقيها مفضيا . سكن القيروان وبها توفي سنة ١٢٨ هـ /
٧٤٥ - ٧٤٦ م) وأنظر الدباغ ، ج ١ ص ١٦٠ .

(٣٥) المالكي ، ج ١ ص ٧٥ (أهم ما يعرف عنه أنه كان أحد الفقهاء ، وأنه ولي قضاء
الجند بافريقية على أيام هشام بن عبد الملك وأنه توفي في أول خلافة هشام) ، وأنظر الدباغ ،
ج ١ ص ١٥٣ (جليل) .

(٣٦) هو نفس والي افريقية والمغرب على أيام عمر بن عبد العزيز . واسمه الكامل كما
يورد في المالكي (ص ٧٥) هو أبو عبد الحميد اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي .

وطبق بن جابان الفارسي (٣٧) . بغض جهود هؤلاء التابعين ، وغيرهم ممن لا يعدون في كتب تراجم الصالحين ضمن العشرة ، تعلم المغاربة أصول الاسلام فقرأوا القرآن . وعرفوا اللغة العربية . فحتى ذلك الوقت لم يكن أهل افريقية - كما يقال - يعرفون الحلال والحرام ، وكانت الحمر بافريقية جلالا حتى وصل التابعون فبينوا تحريمها (٣٨) .

والحقيقة أن وجود هؤلاء الأعلام بالمغرب لا يرجع الى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فلقد رأينا بعضهم في افريقية من قبل ، كما أن بعضهم استمر في عمله الورع بعد عمر بفترة طويلة ، وهذا يعني أن تعليم الناس مبادئ الشرع وأصول الاسلام كان يسير جنبا الى جنب مع تقدم العرب السياسي . ولكن الكتاب أرادوا أن ينسبوا الكثير من أعمال الورع والتقوى الى أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز التي لم تبلغ سنتين ونصف السنة . فأيام عمر الثاني - في نظرهم - هي أيام سيادة العزيمة وعمل الخير .

٢ - اضطرابات المغرب بعد عمر بن عبد العزيز :

أ - يزيد بن أبي مسلم ، وتطبيق سياسة الحجاج العنيفة :

ويكاد يجمع الكتاب على أنه بانتهاء خلافة عمر بن عبد العزيز (توفي في رجب أو شعبان سنة ١٠١ هـ / ديسمبر ٧١٩ أو يناير ٧٢٠ م) انتهى عصر الإصلاح . وعادت الدولة الى سيرتها الأولى من الاستبداد بأهل الأمصار . وكانت المسألة المالية هي الصخرة التي تحطمت عليها فكرة المساواة والاخاء بين العرب وغيرهم من المسلمين . ولقد اتخذت الأحداث في بلاد المغرب شكلا خطيرا ، بعد ذلك النجاح الباهر الذي لم يتمثل في دخول الناس في الاسلام فقط بل وفي الجيش العربي الافريقي أيضا .

وبدأت الأزمة في المغرب عندما عزل الخليفة يزيد بن عبد الملك والي عمر الورك اسماعيل بن عبد الله ، واستعمل مكانه يزيد بن أبي مسلم .

١ - الخزومي . وهو قرسي ومخزومي بالولاء كما عرف . إذ كان جدّه أبو المهاجر مولى لخليفة بن خلفين . وكانت وفاة اسماعيل بالقيروان في سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ - ٧٥٠ م) ، الدباغ ، ج ١ ص ١٥٤ .

(٣٧) المانكي . ص ٧٦ . الدباغ . ج ١ ص ١٦٢ (ابن جابان) .

(٣٨) ابن عطار . ج ٢ ص ٤٩ .

أحد تلامذة الحجاج ومعاونيه والذي شغل لديه وظيفة الكاتب ثم صاحب الشرطة (٣٩) .

وعندما استقر يزيد في المغرب سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م طبق سياسة الحجاج العنيفة على المستويين الخارجي والداخلي . فهو من جهة أخذ يلج بالحرب على الروم في البحر ، فسير في نفس السنة حملة بقيادة محمد بن أوس الأنصاري نزلت صقلية وعادت سالمة بالمغانم (٤٠) . ومن جهة أخرى أخذ يتتبع أموال الولاة السابقين ، وبدأ بموالي موسى بن نصير من البربر فجعلهم أخماسا ، وأحصى أموالهم وأولادهم ثم جعلهم حرسه وبطائنه كما يقول ابن عبد الحكم (٤١) ، والظاهر أنه بحث للخليفة نصيبه في أموالهم وأولادهم حسب قانون الأخماس . وأتبع ابن مسلم ذلك بالقبض على الوالي الأسبق محمد بن يزيد القرشي ، وأساء إليه أساءات بالغة من تعذيب وجلد وتعطيش ، وحبس في سجن ضيق أشبه ما يكون بما يسمى الآن بالحبس الانفرادي . ومع أن المفروض أنه فعل ذلك محاسبة لمحمد بن يزيد وبحسب عما لديه من أموال ، فإنه ليس بمستغرب أن يكون للمسائل الشخصية دورها في ذلك ، فابن عبد الحكم يقول : « وكان محمد بن يزيد قد ولي عذاب يزيد ابن أبي مسلم بالمشرق في زمن الحجاج » ، (٤٢) .

(٣٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٣ ، الرقيق ، ص ٩٨ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٤٨٨ ، التويري ، المخطوط ، ص ٨٢ ب (مولى الحجاج) ، وأنظر السلاوي ، الاستقصا ، طبعة دار البيضاء ، ج ١ ص ٩١ الفى يقول انه كان من رجال الوليد ، وان الوليد قال فيه : « ما مثل ومثل الحجاج وابن أبي مسلم قط الا كرجل ضاع منه درهم فوجد دينقرا » .

(٤٠) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٢٢٣ (سنة ١٠٢ هـ) ، وأنظر فيما بعد ، ص ٢٦٩ وه ٤٩ .

(٤١) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٤ (والنص يصححه محمد بن عيسى بن عديهم ، وهذا ما سننكم منه بعد قليل) ، التويري ، مخطوط ، ص ٨٢ ب .

(٤٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٤ . وقارن ابن خياط (ج ١ ص ٢٢٣) حيث الإشارة الى ان الخليفة بين الرحلين ترخح حطاً الى عهد عمر بن عبد العزيز . وتقول الرواية ان محمد بن يزيد ترك ابن أبي مسلم في السجن بينما أخرج كل من كان في حبس سليمان بن عبد الملك . وهكذا نفر ابن أبي مسلم ثم ابن يزيد ، وعندما قص عليه في افرنجية ، قال له : « الحمد لله الذي أمكنني منك بلا عهد ولا عقد » . ورد ابن يربوع : « وأنا طال ما سألت الله ان يبيدني منك » . وكان رد ابن أبي مسلم : « فوالله ما أعزك الله مني ، والله لو أن ملك الموت سابقني ليك لسبقته » . فكان خلاص ابن يربوع لم يحقق بعد هذا الوعيد الا بمقتل ابن أبي يربوع .

وأراد يزيد بن أبي مسلم أن يطبق تنظيماته الجديدة على حرسه من أنبربر - وهنا نشير الى أن هذا الحرس لم يكن خاصا بيزيد بل كان حرس الولاية من قبله كما ينص على ذلك ابن عبد الحكم (٤٣) . وهذا النص يبين في الحقيقة أن الدولة أصبحت لها نظمها المستقرة الثابتة ، فلم يعد الوالي يأتي الى ولايته ومعه قواته من أهله وعشيرته ، فإذا ما عزل عاد بهم وترك للوالي الجديد ما يشبه الفراغ ، بمعنى أن الوالي لم يعد الا موظفا مؤقتا على رأس ادارة دائمة لا تتأثر بعزله أو بغيابه . وكان حرس الولاية هذا يتكون من أنبربر - البتر خاصة ليس فيهم من أنبرانس أحد (٤٤) ، وربما كان ذلك نتيجة لدخول بربر الكاهنة وهم جراوة في الجيش العربي بأعداد وفيرة ، كما رأينا .

رد الفعل واغتيال ابن أبي مسلم :

أراد يزيد أن يخضع حرسه هذا الى نظميات دقيقة تجعل له كيانه وشخصيته وهيئته ، وذلك باتباع التقليد البيزنطي الذي كان يميز قوات الحرس بكتابة اسم الرجل بالوشم في راحة يده اليمنى وصفته كـ « حرسى » في راحة يده اليسرى ، حتى يعرفهم الناس فيسرعون الى تنفيذ أوامر الوالي (٤٥) . ورفض البتر الخضوع لهذا التنظيم واعتبروه نوعا من التفرقة لا تتفق مع مبادئ الاسلام ، وقالوا « جعلنا بمنزلة النصارى » (٤٦) . وقرروا التخلص من ابن أبي مسلم الظلوم الغشوم . وكان أنسب مكان لاغتيال الوالي - كما أصبحت المادة - هو المسجد أو المصلى حيث يتواجد الوالي في أوقات الصلوات . فعندما خرج يزيد من داره الى المسجد لصلاة المغرب هاجمه رجال حرسه ونزله بيد أحدهم واسمه حربز (٤٧) . والحقيقة اننا

(٤٣) عن المصدر .

(٤٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٤ ، الرقيق ، ص ٢٤٠ . حسب النص : « فكث أشهراً وحرسه بيزبر خاصة ، ليس فيهم أحد من الأسياس » .

(٤٥) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٤ ، الرقيق ، ص ١٩٠ . ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٠ .

(٤٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٠ ، وانظر ارقية ، ص ٩٩ ، مصدر الرواية .
(٤٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٠ . حيث يورد بعض المصادر قول انه قتل في داره بعد حربز بعد أن تناول طعام النساء واحترق رأسه وألقى به في المسجد والثانية تقول انه قتل في المسجد وهي مشهورة في تاريخنا . ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٠ .

لا ندري ان كان ثمة يد أخرى لها علاقة بمقتل ابن أبي مسلم . فمحمد بن يزيد الوالي السابق اعتق غلمانة الذين أتوه - وهو في الحبس - بخبر مقتل يزيد (٤٨) . هذا كما أن توقيت اغتيال يزيد يمكن أن يفهم منه أن الأمر كان مبيتا بحيث يأمن القتل السريع على الأقل ، فقد قتل في الوقت الذي كانت قواته ، بقيادة قائد الأسطول محمد بن أوس الأنصاري ، تقوم بالغارة على صقلية (٤٩) .

قائد الأسطول واليا مؤقتا :

وتشاور الناس فيمن يولونه الأمر الى أن تأتي أوامر الخليفة ، وتم الاتفاق على اختيار رجل من أعيان القرشيين بافريقية ، هو المغيرة بن أبي بردة القرشي حليف بني عبد الدار (٥٠) ، وتكن ابنه نصحه بالألا يفعل خشية اتهامه في مقتل يزيد ، فاستجاب الرجل للنصيحة ، وآثر السلامة (٥١) . وأخيرا تم الاتفاق على أن يعهد بالأمر الى قائد الأسطول ، محمد بن أوس الأنصاري - وهذا حل أكثر اتزاناً - الذي لم يلبث أن عاد من غزواته ، فأرسلوا اليه في تونس ، وعهدوا اليه بالأمر (٥٢) . وكتب ابن أوس الى الخليفة بن يزيد يخبره بما حدث ، وبعث كتابه مع رسول من أهل تونس اسمه خالد ابن أبي عمران . وتقبل الخليفة الأمر الواقع ، فعفا عن الجناة ، ولم ينتقم منهم (٥٣) ، ولو أنه لم يرض عن أن يقوم بأمر الولاية غير رجل

(٤٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٤ (رواية ابن عبد الحكم تشير الى اتهام عبد الله بن موسى بن نصير الذي قلنا انه قتل في سنة ٩٧ هـ (أنظر فيما سبق ، ص ٢٥٩) وأنه ربما كان مقصود ابن آخر لموسى بن نصير (أنظر الصفحة التالية) .

(٤٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٩ ، الرقيق ، ص ١٠٠ ، وقارن ابن عبد الحكم (ص ٢١٤) الذي يذكر فقط أن ابن أوس كان صاحب البحر بتونس .

(٥٠) أنظر ترجمته في المالكي (رقم ٤٤ ، ص ٨٠ - ٨١) حيث يذكر انه رجل من أهل الفضل ، معدود من التابعين ، وأن له جهاده مع موسى بن نصير ، وقارن الديباغ ، ج ١ ص ١٥٠ ، وأنظر الرقيق ، ص ١٠٠ .

(٥١) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٤ ، الرقيق ، ص ١٠٠ ، ابن عذاري ، ص ٢١٥ ، المالكي ، ص ٨١ .

(٥٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٩ ، وقارن الرقيق ، ص ١٠٠ .

(٥٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٥ ، وأنظر الرقيق ، ص ١٠٠ (حيث اسم الرجل التونسي : خالد بن أبي عبيدة المجبسي) ، وقارن ابن الأثير ، سنة ١٠٢ (يقول انهم ولوا الوالي السابق محمد بن يزيد) .

عريق النسب^(٥٤) ، فجعل أمر افرريقية الى واليه على مصر ، وهو بشر بن صفوان الكلبي في نفس السنة (١٠٢ هـ / ٧٢١ م) - حسب رواية ابن عبد الحكم^(٥٥) .

ب - بشر بن صفوان :

سياسة داخلية هدفها استئصال بقايا الخصوم ، وجمع الأموال :

استخلف بشر أخاه حنظلة بن صفوان على مصر ، وخرج الى افرريقية . والظاهر أنه تتبع التهمين في مقتل يزيد بن أبي مسلم ، ومن هؤلاء واحد من أبناء موسى بن نصير ، يقول ابن عبد الحكم إنه عبد الله بن موسى^(٥٦) . ولما كان عبد الله قد قتل في سنة ٩٧ هـ / ٧١٦ م قبيل مقتل أخيه عبد العزيز ، وذلك حسب رواية ابن عذارى المنقولة من الرقيق التي أخذنا بها^(٥٧) ، فنرى أنه ابن آخر لموسى ، وربما كان عبد الملك الذي لم نعرف عنه شيئاً منذ تركه والده على طنجة . وابن عبد الحكم يقول ان الذي شهد على أن ابن موسى بن نصير دس لقتل يزيد هو خالد بن أبي حبيب القرشي^(٥٨) ، وسماه محمد بن ابي بكير ، فانهما اللذان حرضا بشر بن صفوان على تنفيذ أمر الخليفة بقتل ابن موسى قبل أن يأتي حكم العفو عنه . فلقد تدخل اربيع صاحب خاتم الخليفة يزيد ، وزوج أخت ابن موسى ، واستصدر عفوا عن المحكوم عليه . ولكن الرسول الذي حمل العفو والذي وعد بمكافأة جزيلة تبلغ ٣ (ثلاثة) آلاف دينار وصل بعد تنفيذ الحكم بساعات^(٥٩) . أما ابن عذارى فلا يذكر الا أن بشر بن صفوان استصطفى بقايا آل موسى بن نصير^(٦٠) . ورغم أن

(٥٥) ابن عبد الحكم (ص ٢١٥) يروي أن يزيد بن عبد الملك احتل بغالد بن عمران . وبعد أن سأله عن محمد بن موسى ، قال له : « فما كان بها قرشي ؟ » . وقد وثق الرقيق (الذي نزل ابن عبد الحكم) ، ص ١٠١ .

(٥٥) ابن عبد الحكم . ص ٢١٥ . وآخر الرقيق . ص ٢٠٢ (حيث النص على أنه قد ورثه سنة ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م . وهو ما نقله البويري (المخطوط ، ص ٨٥) . عرفه ابن عذارى (ج ١ ص ٤٩) معصن ولاية مصر في ملك السنة (١٠٣ هـ) .

(٥٦) ابن عبد الحكم ص ٢١٥ .

(٥٧) انظر ص ٢٥٩ وهـ ٥ .

(٥٨) ابن عبد الحكم . ص ٢١٥ وكذلك ص ٢١٨ حيث يسميه الفهري .

(٥٩) ابن عبد الحكم ص ٢١٥ .

(٦٠) ابن عذارى . ج ١ ص ٤٩ .

بشرا كان صاحب الأمر في الأندلس أيضا فإنه لم يكن يمارس سلطاته هناك فعلا ، فلقد عزل السمع بن مالك ، ولى عمر بن عبد العزيز ، ولكنه كان مضطرا الى الاستجابة لأهل الأندلس في تبديل الولاة وتغييرهم (٦١) .

وفي بداية سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م خرج بشر بن صفوان نحو المشرق بحمل الهدايا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، ولكي يعرفه بأحوال البلاد ، يكن المنية وافق يزيد بن عبد الملك (شعبان سنة ١٠٥ هـ / يناير ٧٢٤ م) . ووصل بشر الى الشام فقدم هداياه للخليفة الجديد هشام بن عبد الملك (٦٢) . ولا يعرف ان كانت تلك الهدايا قد أتت بما كان يرجوه منها بشر ، وذلك أن هشام بن عبد الملك أعاده من جديد الى المغرب في سنة ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م - ٧٢٥ م . وينص ابن عبد الحكم (٦٣) على أن بشرا عندما قدم الى افريقية تتبع أموال موسى بن نصير وعذب عماله (٦٤) . ومع أننا لا نعرف ان كان الأمر قد أبهم على ابن عبد الحكم فذكر ما فعله بشر على أيام يزيد بن عبد الملك متأخرا على أيام هشام (٦٥) ، فالمعروف أن المسألة المالية التي حاول عمر ابن عبد العزيز ايجاد حل لها تفاقت على أيام هشام الذي سعى حثيثا في البحث عن الأموال ، مما لا يستبعد معه أن يكون بشر قد تتبع أموال موسى ابن نصير بناء على أوامر هشام .

سياسة خارجية هدفها تأكيد سلطان العرب في البحر :

حملات سنوية على جزر : سردانية وكورسيكا وصقلية :

يظهر أن وصول قائد الاسطول محمد بن أوس الأنصاري الى منصب

(٦١) أخبار مجموعة ، ص ٢٥ .

(٦٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٥ .

(٦٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٦ .

(٦٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٥ .

(٦٥) ينفي الإشارة هنا الى ان ابن عذاري (ج ١ ص ٤٩) يذكر أن بشرا اسعصم لدى آل موسى بن نصير على أيام يزيد (انظر الصفحة السابقة) . وما يدعو ان الثمن من ابن عبد الحكم يخلط بين أعمال بشر على أيام يزيد وأعماله على أيام هشام أنه يجعل ص ٢١٥ . وانظر ابن عذاري ج ١ ص ٤٩ - حيث رواية الرقيق ، ص ١٠٢ ، التي تكتب عصبه في شكل عبد الله ، عهد نصر بولاية الأندلس لعنيسة بن معمر أيام هشام . والحقه . وكانت في سنة ١٠٣ هـ / ٢٧١ م على أيام يزيد (انظر قائمة ولاة الأندلس في أخبار مجموعة ، ملحق الترجمة الإسبانية ص ٢٤١ - وانظر بروفنسال ، تاريخ إسبانيا الاملاية بالفرنسية) ، ص ٢٨ .

ولاية افريقية والمغرب باختيار أهل الحل والعقد عقب اغتيال يزيد بن أبي مسلم في سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م ، كان علامة مميزة في تاريخ البحرية العربية الناشئة في تونس ، فكانها كانت قد وصلت إلى مرحلة الفتوة والقوة مع مطلع القرن الثاني الهجري ، اثر استيلاء المسلمين على سواحل البحر الغربية في اسبانيا .

هذا ما يظهر بجلاء في حوليات خليفة بن خياط حيث تتوالى الحملات البحرية سنويا في شكل رتيب على جزر سردانيا وكورسيكا (قورسقة) - مما يعنى أن أسطول المغرب العربي أخذ ينجح بالحرب الدورية على قواعد الروم القريبة في البحر بهدف ارضاب العدو ، وبالتالي حماية سواحل المغرب ، مما يمكن أن يمثل تمهيدا تلقفز على تلك القواعد والاستقرار فيها بعد طرد الروم منها .

غزو سردانية وكورسيكا :

ففي سنوات ١٠٣ هـ / ٧٢١ م ، و ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م ، و ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م ، و ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م ، و ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م - أي طوال ولاية بشر بن صفوان - توالت زيارات الأسطول لجزيرة سردانية ، وكان قائد الحملة الأولى يزيد بن مسروق اليحصبي ، بينما كانت قيادة الثانية إلى عمرو بن فاتك الكلبي ، وكانت القيادة في الحملتين الأخيرتين لحسان بن محمد بن أبي بكر مولى بني جمح (٦٦) . وإذا كانت حوليات ابن خياط تجعل كورسيكا من أهداف حملة سنة ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م ، فإنها لا تنص على وجهة الحملتين البحريتين اللتين سيرهما بشر في سنتي ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م و ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م بقيادة عمرو بن فاتك الكلبي وقثم بن عوانة الكلبي المدين عادا سنلين بالمغانم (٦٧) . ولا بأس أن يكون الأسطول قد زار فيهما نفس سردانية وكورسيكا ان لم يكن قد عرج في طريقه على صقلية التي خرج اليها بشر بن صفوان نفسه في سنة ١٠٧ هـ على ما نظن . وهو ما لا نجده في سنويات ابن خياط (٦٨) .

(٦٦) انظر تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٣٦ ، ص ٣٤٩ ، ص ٣٥٢ ، وانظر فوج صقلية - ج ٢ ص .

(٦٧) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٣٨ ، ص ٣٥١ .

(٦٨) انظر فوج صقلية ، فيما بعد ، ج ٢ ص . والهوامش .

غزو صقلية :

والحقيقة أن من أهم أعمال بشر بن صفوان في ولايته تلك قيامه بغزو صقلية . والظاهر أنه قام بغزوته هذه في سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٥ م ، بعد أن بلغته أنباء استشهاد واليه وابن عصبية في الأندلس (فرنسا) عتبسة بن سحيم الكلبي ، فسار بنفسه في البحر بعد أن استخلف على القيروان انعباس ابن باضعة الكلبي (٦٩) . ورغم ما يقوله ابن عبد الحكم من أن الحملة انتهت بنهاية تعسه ، نتيجة ظروف جوية صعبة حتى ، هناك لذلك من جيشه خلق كثير (٧٠) ، فإن بشرا عاد من صقلية إلى القيروان وبصحبه سبي كثير (٧١) . وتوفي بشر بن صفوان بالقيروان في شوال سنة ١٠٩ هـ / ديسمبر سنة ٧٢٧ - يناير ٧٢٨ م متأثرا من مرض يقال له الديبيلة ، بعد ولاية طالت إلى سبع سنوات (٧٢) . وكان بشر عندما مرض مرضه الذي مات فيه استخلف على القيروان نفاش بن قرط الكلبي (٧٣) .

ج - عبيدة بن عبد الرحمن السلمي : سياسة العصبية والعنف :

وعندما بلغ نبأ وفاة بشر إلى دمشق في أوائل سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م عهد هشام بن عبد الملك بولاية إفريقية والمغرب إلى عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (٧٤) ، وهو ابن أخي أبي الأعور صاحب خيل معاوية بصفين (٧٥) .

-
- (٦٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٤١ ، وقارن الرقيق ، ص ١٠٢ (حيث القراءة ابن ناصعة بدلا من ابن باضعة - ولكن بمناسبة غزو صقلية) .
(٧٠) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .
(٧١) الرقيق ، ص ١٠٢ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٠ .
(٧٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٥ (الديبيلة خراج ودمل كبير يظهر في الجوف فيقتل صاحبه) طبعة عامر هاشم ١ ص ٢٩١) ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٩ ، النويري ، المخطوط ، ص ٨٤ وقارن الرقيق ، ص ١٠٢ .
(٧٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٦ ، خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٥٢ ، ٣٧٥ ، وقارن ابن عذاري (ج ١ ص ٤٩) الذي ينقل الرقيق (ص ١٠٢) إذ يجعل خليفة بشر نفس العباس ابن باضعة الكلبي الذي استخلفه بشر على القيروان عندما خرج في سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٥ م لغزو صقلية) .
(٧٤) الرقيق ، ص ١٠١ (حيث تفصيلات قصصية عن خروج عبيدة من السلم) ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٠ ، وقارن ابن عبد الحكم ، ص ٢١٦ (الذي يلقبه بالقيسي بدلا من السلمي) خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٧٥ .
(٧٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٠ ، النويري ، المخطوط ، ص ٨٤ ، وقارن الرقيق ، ص ١٠٤ (حيث يجعل عبيدة أخا للأعور السلمي ، وهو الأمر المشكوك فيه) .
(م ١٨ - تاريخ المغرب العربي)

ووصل عبيدة إلى الفيوان في ربيع الأول من سنة ١١٠ هـ/مايو - يونيو ٧٢٨ م . وكان حضوره بغتة مفاجأة مذهلة لنائب بشر بن صفوان الذي كان يهيباً لشهود صلاة الجمعة ، فقال : « لا حول ولا قوة الا بالله . هكذا تقوم الساعة بغتة ، وألقى بنفسه فما حملته رجلاه » (٧٦) . ونم تختلف سياسة أنوال الجديد عن تلك التي كان ينتهجها سلفه بشر إذ قامت على دعائمي تثبيت أركان الدولة بالقهر داخليا ، ومواصلة الإلحاح على الروم بالحرب البحرية خارجيا .

سياسة داخلية مبنية على العصبية والعنف :

فكما جرت العادة بدأ عبيدة يتتبع عمال الوالي القديم ومعاونيه ، في سبيل البحث عما اكتزوه غدرا من الأموال ، فأخذ عبيدة عمال بشر وأصحابه فحبسهم وأغرمهم ، وعذب بعضهم ، (٧٧) .

والظاهر أن عبيدة استنخدم العنف والشدة في حكم البلاد ، وخاصة مع كبار الموظفين ، ثم يفرق في ذلك بين عماله وعمال الولاة السابقين ، من مدنيين وعسكريين . فهو لم يتردد في إنزال العقاب الصارم بغاند الأسطول ، وهو المستنير بن الجبحاب الحرشي . الذي أخطأ تقدير الوقت المناسب لعودته من حملة قام بها على صقنية في سنة ١١١ هـ/٧٢٩ م ، حتى هجم عليه الشتاء ونارت الأنواء بمراكبه فحطمتيا . فلتقد أمر عبيدة بشد وناقه ، وجنده . وحبسه والتشهير به في كل جمعة ، كما يأتي في الغزو البحري (٧٨) .

واستشرى عنف عبيدة وشدته . وكان من بين من نالهم سوء معاملته

(٧٦) ابن عدي ، ج ١ ص ٥٠ ، وقرون الرقيق ، ص ١٠٥ .

(٧٧) مما يزيد فكرة سعي الولاة حثمة في البحث عن الأموال من كل وجه هو يعونه . بن عبد الحكم (ص ٢١٦) عن عبيدة بن عبد الرحمن هذا . فعندما استعمل عبيدة على الأمان عند الرجس الفافقي . وغزا هذا الأخير بلاد البرجة ، وأصاب هناك بعض الفخار من ذهب والجوهر ، فكسره وأخرج الخمس . وقسم سائر ذلك في المسلمين الذين كانوا معه ، بحسب عبيدة غنم شديد وكتب إلى الفافقي يتوعده . فكتب إليه الفافقي وبن السماوات وأرض لو كره . وقد تحصن الرجس المنقش منها مخرجا . ثم خرج إليهم غازر فاستشهد معه . ص ١٠٥ .

(٧٨) أنظر في هذا ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

أحد زعماء اليمينية من عمال بشر بن صفوان السابقين ، وهو أبو الخطار هشام
ابن ضرار الكلبي ، الذي ولى ولايات كبيرة في إفريقية أيام بشر ، والذي كان
- الى جانب شرفه في قومه - فصيحاً شاعراً - فلما عزله عبيدة ، وتكلم به ،
ندد بسوقف الخلافة الأموية من عصبية الكنبية فقال أبياتاً منها :

أفأنتم بنى مروان قيسنا دعائنا وفي الله ان ثم تنصفوا حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرج زاهط ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
تعاميتم عنا بعين جليية وأنتم كذا ما رعيتم لنا فعل (٧٩)

وتقول رواية ابن عذاري انه عندما وصلت هذه الأبيات الى الخليفة هشام
أمر بعزل عبيدة (٨٠) ، ولكننا نميل الى الأخذ برواية ابن عبد الحكم التي تقول
ان عبيدة خرج بالهدايا من إفريقية ، بعد أن استخلف عليها عقبه بن عبد الله
ابن قدامة التجيبي ، لزيارة الخليفة هشام . وأنه استعفاه فأعفاه (٨١) . وذلك
انه لن يكون لتصيد أبي الخطار هذه صدى - ان كانت قد أحدثت صدى -
الا فيما بعد سنة ١٢٣ هـ / ٧٤٠ - ٧٤١ م (٨٢) .

الحرب البحرية النورية في سواحل صقلية وسردانية :

ويفهم من استمرار الغارات البحرية على جزر صقلية وسردانية طوال
السنوات الخمس التي وليها عبيدة بن عبد الرحمن السلمي ، أن الإلحاح بالحرب

(٧٩) ابن عذاري . ج ١ ص ٥٠ وكذلك حاشي ١ ، حيث توجد هذه الأبيات مع نص
بعض الفاظها ، وقارن ابن القوطية ص ١٨ - ١٩ حيث يورد سبعة أبيات من القصيدة :
مختلفة بعض الاختلاف ، وكذلك الأمر في النويري ، المخطوط ، ص ٨٤ أ ، وابن الأثير ،
سنة ١٢٥ ، وأبصر الرقبين ، ص ١٠٥ - ١٠٦ : حيث يورد أربعة أبيات ، وانظر هـ ١ في
ص ١٠٦ .

(٨٠) ابن عذاري . ج ١ ص ٥١ ، وقارن الرقبين ، ص ١٠٦ .

(٨١) ابن عبد الحكم ، ٢١٧ (أما طبعة عامر ص ٢٩٢ ففيها عقبه بن قطاعة) ، وانظر
النويري ، المخطوط ، ص ٨٤ أ (الذي يضيف انه ترك على القضاء عبد الله بن المنيرة بن بودة
الغري) ، وقارن ابن خياط ، ج ١ ص ٢٧٥ .

(٨٢) يقول ابن القوطية (ص ١٩) انه عندما قامت الخليفة هشام بن عبد الملك تلك
الأبيات التي قلها أبو الخطار أمر والده علي المرز حنظلة بن صفوان الكلبي (بعد سنة
١٢٣ هـ) بأن يولي أبا الخطار الأندلس فعل . انظر نروفنسال ، تاريخ أسبانيا الإسلامية ،
الفرنسية ، ص ٢٤ . وعن أعمال أبي الخطار ووفته في إفريقية ، انظر فيما بعده ص ٣٠١ .

الدائبة على بلاد الروم فيما وراء البحر كان قد أصبح سياسة مستقرة لا يجوز الاخلال بها . والفضل في تسجيل تلك الصوائف البحرية يعود الى حوليات خليفة بن خياط - وان كان بشكل مقتضب .

ففي سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م ، وبمجرد قدوم عبيدة الى افريقية سير عثمان ابن ابي عبيدة (الفهري) في المراكب على رأس ٧٠٠ (سبعمائة) مقاتل لغزو سرقوسة عاصمة صقلية . ورغم تنبه الروم وخروجهم للقاء العرب ، فقد انتهت الحملة بنجاح مرموق يؤكد وقوع قائد العسكر الرومي (بطريفهم) أصيرا بين أيدي رجال عثمان (٨٣) .

ورغم أن حملة السنة التالية (١١١ هـ / ٧٢٩ م) على صقلية بقيادة المستنير هي التي استرعت انتباه ابن عبد الحكم ، بسبب ما لحق بها من الفشل ، وما نزل بقائدها من العقاب . فأسهب بعض الشيء في ذكرها فان رواية ابن خياط المقتضبة تتميز بدقة معلوماتها ، اذ تنفرد بتحديد التاريخ وتسجيل عدد مراكب الأسطول الافريقي ، وعدد ما سلم من الأنواء منها .

والنهم أن عبيدة سير المستنير بن الخبحاب الحرشي لغزو صقلية (٨٤) في ١٨ (ثمانين ومائة) مركب ، فنزل على سرقوسة وضرب عليها الحصار (٨٥) . ولا نعرف ان كان المستنير قد أخطأ في تقدير زمن الغارة أم أن المقام استهوته إلى أن هجم عليه الشتاء . ففي طريق العودة تغيرت الأحوال الجوية واشتدت أمواج البحر وعواصفه مما أدى إلى غرق معظم المراكب فلم ينج منها الا ١٧ (سبعة عشر) مركبا (٨٦) ، وجرف البحر مركب القيادة وفيها المستنير إلى طرابلس . وعندما بلغ نيا الفاجعة إلى عبيدة أرسل إلى وائيه على طرابلس ، وهو يزيد بن مسلم الكندي « بأمره أن يشد وثاقه ، ويبعث معه ثقله » (٨٧) .

(٨٣) أنظر ابن خياط . ج ٢ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ حيث بعد سرقوسة في شكل « سراقس » .
 (٨٤) أنظر ابن عبد الحكم . ص ١١٦ . وقارن ابن خياط . ج ٢ ص ٣٥٥ (حيث الاسم المستنير « بن العازر » وهو ما وجدته أيضا في ابن الأثير (أحداث سنة ١١٣) ، كما يوجد في هامش - امن ابن عبد الحكم حسب بعض المخطوطات الأخرى .
 (٨٥) أنظر ابن خياط . ج ٢ ص ٣٣٥ - حيث العري « فنزل وحاميرهم » دون تعدد مكان الحصار . وإذا كانت سرقوسة هي الهدف في حملة السنة السابقة حيث « تقوى وامر بطريفهم » فقد رجحت ان التصود بكلمة « وحاميرهم » هم روم سرقوسة العاصمة .
 (٨٦) ابن خياط . ج ٢ ص ٣٥٥ .
 (٨٧) ابن عبد الحكم . ص ٢١٦ .

وعندما وصل القائد البحري السبي، الحظ لدى عبيدة « جلده جلدا موجعا ،
وطاف به القيروان على أتان ثم جعل يضربه في كل جمعة حتى أبلغ إليه » (٨٨) .
وظل المستنير محبوسا عند عبيدة (٨٩) .

واستمر الالحاح بالانزوا البحري على صقلية ، كما نجده في سنوات :
١١٢ هـ / ٧٣٠ م ، و ١١٤ هـ / ٧٢٢ م ، و ١١٥ هـ / ٧٣٣ م ، وذلك بقيادة
كل من : ثابت بن خيثم (الأردني) ، « وعبيد الله » بن قطن ، وبكر بن
سويد (٩٠) .

أما سردانية فلقد خصصت لها حملة منفردة في صوائف سنة ١١٤ هـ /
٧٢٢ م ، كانت قيادتها الى عبد الله بن زياد الأنصاري (٩١) .

وتنص حوليات ابن خياط على أن كل تلك الحملات كانت موفقة إذ غنمت
وسببت وعادت سالمة ، باستثناء حملة بكر بن سويد (سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣ م)
الذي « لقيه الروم فرموا مراكبه بالنار » ، وإن كنا لا نعرف إلى أي حد أثرت
النار اليونانية في الأسطول العربي . وإذا كانت النصوص لا تعرفنا بتفصيلات
ما كانت تجلبه تلك الحملات من المغانم والسبي ، فإن ما عاد به عبيدة من الكنوز
والذخائر والهدايا المختلفة إلى المشرق يمكن أن يفسر علة أخرى من علل ذلك
الالحاح السنوي على جزر الروم بتلك الحرب البحرية الدورية .

عودة عبيدة إلى دمشق مستغفيا :

والظاهر أن عبيدة غادر المغرب في أواخر سنة ١١٤ هـ / ٧٢٢ م (٩٢) ،
ووصل إلى دمشق في أوائل سنة ١١٥ هـ / ٧٢٣ م (٩٣) . وينص ابن عبد الحكم

(٨٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٦ .

(٨٩) ابن عبد الحكم - ص ٢١٦ .

(٩٠) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٥٧ ، ص ٢٦٠ (ولا بأس أن يكون « عبد الله »
ابن قطن هو في الحقيقة تعرف لاسم « عبد الملك » بن قطن الذي ولي الأندلس مرتين .
فأبنتهما بعد اضطراب المغرب على أيدي الخوارج سنة ١٢٢ هـ - أنظر فيما بعد ص ٢٨٩
وهـ ١٢٩) ، ص ٣٦١ .

(٩١) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٦٠ .

(٩٢) ابن علقمة ، ج ١ ص ٥١ (شوال سنة ١١٤ هـ - نوفمبر ٧٢٢ م وبذلك استمرت
ولايته ٤ سنوات - النويري ، ص ٨٤) ، وقارن الرقيق (صاحب الرواية) ص ١٠٦ .

(٩٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ . ويورد ابن عبد الحكم رواية أخرى تحدد سير
عبيدة إلى الشام في رمضان سنة ١١٧ هـ - أكتوبر ٧٢٥ م . وهذا غير صحيح فإن ولاية ابن
الجبجج بدأت سنة ١١٦ هـ - ٧٢٤ م .

على عظم انهداين والذخائر التي خرج بها عبيدة ، والتي اشتمنت على العبيد
والامه والجواز المتخيرة (٧٠٠ جارية) والحصيان ، والحيل والدواب ، والذهب
والفضة والآنية (٩٤) مما يذكر بأيام الفتح الأولى ، قبل دخول البلاد في حوزة
الإسلام ، عندما كان المغرب أرض المغانم الثمينة والسبي الجميل . والظاهر
ان عبيدة هو الذي طلب فعلا اعفائه من منصبه - كما يقول ابن عبد الحكم -
وأن الأمر تطلب بعض الوقت . وذلك أن الخليفة هشام بن عبد الملك لم يعف
عفة التجيبي ، نائب عبيدة ، ويعهد بولاية افريقية الى ابن الحبحاب الا في ربيع
الاول سنة ١١٦ هـ / ابريل ٧٣٤ م (٩٥) .

د - عبيد الله بن الحبحاب - سياسة قوية مبنية على العصبية :

ووالى المغرب الجديد هو عبيد الله بن الحبحاب بن الحارث القيسي بالولاء
اذ كان مولى لبني سلول (٩٦) . ويصفه ابن عذارى نقلا عن ترقيق بأنه ، كان
رئيسنا نبيلاً وأميراً جليلاً ، بارعاً في الفصاحة ، حافظاً لأيام العرب وأشعارها
ووقائعها (٩٧) . بدأ ابن الحبحاب حياته العامة كاتباً ثم تناهى به الأمر الى أن
وصل الى وظيفة عامل خراج مصر في سنة ١٠٩ هـ (٩٨) ، ثم الى ولاية المغرب .

(٩٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ . ودارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٥١ .
(٩٥) انظر الرقيق ، ص ١٠٧ . النويري ، المخطوط ، ص ٨٤ ب ، ابن عبد الحكم ،
ص ٢١٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٥١ - أما البكري (ص ٢٧) فيجعل ابن الحبحاب في
تونس سنة ١١٤ هـ .
(٩٦) ابن حياط - ج ٢ ص ٣٦١ . أخبار مجموعة ، ص ٢٥ . ابن القوطية ، ص ١٤ .
ابن عذارى ج ١ ص ٥١ . النويري ، المخطوط ، ص ٨٤ ب .
(٩٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥١ . وقبرن الرقيق ، ص ١٠٧ . النويري ، المخطوط ،
ص ٨٤ ب .

(٩٨) يلاحظ ان ابن الحكم ، ص ٢١٧) يقول انه عهد هشام على مصر دون ان يبين
مخرج عمله . أما ابن عذارى (ج ١ ص ٥١) فيجمله وان مصر وافريقية والأندلس والمغرب
كله - والمعروف أن ولاية مصر من سنة ١٠٩ هـ - ٧٢٧ م الى سنة ١١٧ هـ ٧٣٥ م كانت
الى الوليد بن رفاعه بن خالد بن ثعلب القهقي . ولكنها كانت ولاية الصلاة فقط كما يذكر
الكندي (ص ٧٥) . وفي نفس الوقت لم يذكر الكندي ولاية ابن الحبحاب ولكنه يقول انه
كان يعين بالخليفة هشام ويستأذنه في نزول القسية بأرض مصر . ويعتبر الخليفة
ينقول : ولا يكر ذلك خراج . (الكندي ، ص ٧٦) . وهذا يعني انه كان والى الخراج
الى حبيب الوليد بن رفاعه والى الصلاة . وهذا لا ينع من أن يكون ابن الحبحاب قد حمل
في بعض الأحيان لقب الخراج . كما سئل ذلك حرومان . انظر :
Grohmann.

وخرج عبيد الله بن الحبّاب من مصر بعد أن استخلف على خراجها ابنه القاسم (٩٩) ، وقدم الى افريقية في شهر ربيع الثاني من سنة ١١٦ هـ / مايو ٧٣٥ م (١٠٠) ، وتسلم ولايته من عقبه بن عبد الله بن قدامة نائب عبيدة .

والمفهوم من النصوص أن عبيد الله بن الحبّاب - مثله مثل كبار القادة - انتهج سياسة قوية استهدفت تحقيق ثلاثة أهداف : أولها تقوية سلطان العرب بشكل أكيد في المغرب اقريب ، والعمل على اخضاع الأقاليم أو القبائل في المغرب البعيد بشكل نهائي . وثاني هذه الأهداف : الاستمرار في سياسة الغزو البحري المنظم ، ولكن بشكل أكثر ترتيباً وبإمكانيات أعظم . وهذا ما يمكن أن يساهم في تنمية موارد الولاية المالية . والثالث : الاجتهاد في جمع الأموال اللازمة لاتمام هذا العمل ، ولسد مطالب بيت المال ، وارضاء حاجات الخلافة .

النشاط البحري : بين الاطاح على صقلية وسردينيا ، والعناية بتونس :

وما يؤسف له أن الكتاب يجهلون أعمال ابن الحبّاب دون أن يضعوا لها تواريخ معينة . وذلك باستثناء حواريات خليفة بن خيساط فيما يتعلق بالحملة البحرية الدورية على صقلية وسردينيا وغيرها من الجزر الخاضعة للبيزنطيين . وهكذا يسجل ابن خيساط صوائف ابن الحبّاب من افريقية بشكل رتيب اعتباراً من ١١٦ هـ / ٧٣٥ م ، على مدى أربع سنوات متوالية ، حتى سنة ١١٩ هـ / ٧٣٨ م . ثم انه ينص بعد ذلك في سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٩ م على أنه لم يكن هناك غزو من افريقية ، مما يعني أن التوقف عن الغزو البحري في سنة من السنين يعتبر أمراً استثنائياً غير مقبول - الأمر الذي يتطلب التعليل والتفسير . ولا بأس أن تكون أحوال البلاد الداخلية هي التي أملت الاخلال بتلك السنة الأكيدة .

والمهم أن ابن الحبّاب اجتهد بما عرف عنه من جد ونشاط في العناية بالبحرية الافريقية . وفي هذا المجال بدأ - كما هي العادة - بتغيير ما لم

(٩٩) ابن عبد الحكم ص ٢١٧ ، اليربوع ص ١٠٧ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٥١ .
(١٠٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ٥١ . أما ابن عبد الحكم (ص ٢١٧) فيقول إنه أمر هشام صدر اليه بالسير الى افريقية في ذلك التاريخ . وقارن ابن الأثير الذي يجعلها في ص ١١٧ .

يستحسنه من أعمال سلفه ، فأخرج المستنير بن الجحباب ، قائد حملة صقلية
التعسة ، من حبس الوالي السابق ، وعهد اليه بولاية مدينة تونس (١٠١) وتظن
أن هذا يعنى قيادة الأسطول أيضا ، أو الإشراف عليه . ولقد كان من الطبيعي
فعلا أن يوجه عبيد الله بن الجحباب عنايته الى مدينة تونس بصفتها
قاعدة الأسطول الذى كان عليه أن يمد نشاطه باستمرار الى ما وراء البحار .
فينسب الكتاب اليه أنه بنى دار الصناعة بتونس (١٠٢) ، والحقيقة ان حسان
ابن النعمان هو الذى بناها ، وأن موسى بن نصير اعتنى بها ، فكأنهم يريدون
بذلك أنه جردها - هو الآخر - وزاد فيها . هذا كما اعتنى ابن الجحباب
بعمران مدينة تونس نفسها ، فينسب اليه بناء مسجدها الجامع الذى عرف
فيما بعد بمسجد الزيتونة (١٠٣) .

وفيما يتعلق بالفزو البحرى ، فبمجرد قدوم ابن الجحباب الى افريقية
سنة ١١٦ هـ / ٧٣٥ م ، سير أولى صوائفه البحرية الى صقلية ، بقيادة عثمان
ابن أبى عبيدة (الفهرى) . ونجحت الحملة فى النزول فى بعض نواحي
الجزيرة - التى لا يحددها ابن خياط - وعاد الرجال الى سفنهم بما اعتادوا
اصابته من المغانم والأسلاب . وفى طريق العودة اعترضت بعض وحدات
الأسطول البيزنطى مراكب عثمان . ورغم ما تقوله الرواية من أن القتال انتهى
بهزيمة أسطول الروم الا أنها تنص على أن البيزنطيين أصابوا من المسلمين
وأسروا منهم عددا من الأعيان ، منهم : ابنا قائد الحملة عثمان بن أبى عبيدة ،
وهما : عمر وأبو الربيع سليمان ، وكذلك عبد الرحمن بن زياد بن أنعم
(قاضى افريقية بعد ذلك فى عهد المنصور) وأخوه المقيرة بن زياد (١٠٤) . أما
عن حملة سنة ١١٧ هـ / ٧٣٦ م التالية فكانت بقيادة أخى عثمان ، وهو حبيب
ابن أبى عبيدة (الفهرى) وكانت وجهتها جزيرة سردانية . ونجح حبيب فى
مفاجأة بعض قرى الجزيرة وأنزل بأهلها هزيمة منكرة وعاد منهم بكثير من

(١٠١) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ ، وقلوب ابن الأثير ، سنة ١١٣ ، ج ٥ ص ٦٤ .
(١٠٢) أنظر البكرى ، ص ٣٧ . ابن عشارى ، ج ١ ص ٥١ ، التويرى ، المخطوط ،
ص ٨٤ ب .
(١٠٣) أنظر الاستبصار ، ص ١٢٠ ، ابن عشارى ، ج ١ ص ٥١ ، التويرى ، المخطوط ،
ص ٨٤ ب ، السلوى ، الاستبصار ، ط . الدار البيضاء ج ١ ص ٩٤ .
(١٠٤) أنظر تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٦٢ - حيث الإشارة الى أنهم لم يزلوا
فى أيدي الروم حتى ولاية عبدالرحمن بن حبيب (سنة ١٢٧ هـ) الذى لدى ابنى عمه وناسا
من تيسارى المسلمين . وكذلك عبد الرحمن بن زياد (فى سنة ١٢١ هـ) ، وأنظر فيما سبق ،
ص ٢٣ - ٢٤ .

السببي (١٠٥) .

وفي سنة ١١٨ هـ / ٧٣٧ م سير ابن الحبحاب حملته البحرية نحو صقلية ، وذلك بقيادة قثم بن عوانة الكلبي الذي نزل على مدينة «أوليه» ، والنظامر أن تلك الحملة لم تحقق أغراضها ، ان لم تكن قد باءت بالفشل ، وذلك أن الرواية تقول ان الروم أحاطوا بقثم ثم انهم خلوا عنه (١٠٦) .

ولقد صاحب سوء الحظ قثم بن عوانة عندما صدرت اليه أوامر ابن الحبحاب في السنة التالية ، سنة ١١٩ هـ / ٧٣٨ م ، بفزو سردانية . فلقد هاجم قثم بعض قلاع الجزيرة ، ولكنه قدر له الفرق في رحلة العودة في ظروف غير معروفة ، اذ تقول الرواية : انه غرق « في مراكب من المسلمين ، وسلم بعضهم » (١٠٧) . ولا ندرى ان كان الاسطول البيزنطي قد اعترض مراكب المسلمين أم أن ظروفًا جوية سيئة هي التي تسببت في غرقها .

ولا بأس أن تكون تلك الكارثة التي ألمت بالاسطول هي التي منعت من الغزوة التالية في سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٩ م ، كما ينص على ذلك ابن خياط (١٠٨) ، ان لم يكن ذلك نتيجة لظروف داخلية أخرى ، مثل بدء اضطرابات الخوارج في المغرب الأقصى التي بلغت الذروة أثناء حملة سنة ١٢٢ هـ / ٧٤١ م على صقلية .

سياسة داخلية صارمة : تقسيم المغرب الى ولايتين ، والعمل بحزم على اقرار الأمور فيه :

والذي يفهم من النصوص أن ابن الحبحاب قسم ما دون افريقية من المغرب الى ولايتين : أولاهما السوس الأدنى ، وهو ما يعادل طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ، وجعل هذا الاقليم في أول الأمر الى ابنة اسماعيل بن عبيد الله ، قبل أن يعهد به الى عمر بن عبد الله المرادي الذي ظل وأيا الى سنة ١٢٢ هـ /

(١٠٥) أنظر بن خياط ، ج ٢ ص ٣٦٢ ، وأنظر ابن الأثير (أحداث سنة ١١٣ ، أحداث سنة ١١٧) ، وقارن ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ .
(١٠٦) ابن خياط ، ج ٢ ص ٣٦٢ .
(١٠٧) خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٦٤ .
(١٠٨) تاريخ خبيعة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٦٥ .

٧٤٠ م (١٠٩) . وثانيتها السوس الأقصى حيث بعث حبيب بن أبي عبيدة
الفهري (حفيد عقبة بن نافع) غازيا (١١٠) .

أما الأندلس فانه عهد بها في سنة ١١٦ هـ / ٧٣٥ م الى وليه عقبة بن
الحجاج السلولى ، تكريما له واعترافا بما كان له عليه وعلى آله من افضال (١١١) .

والظاهر أن ابن الجحباب كما كان يلح على الروم بالحرب البحرية
الدورية ، فانه كان يتبع سياسة داخلية صارمة في اخضاع الأقاليم التي لم
تكن قد خضعت تماما لسنطان القيروان ، وخاصة في بلاد المغرب البعيد ،
وفيما وراءها من الصحراوات الغربية في طريق بلاد السودان .

وهكذا أمر ابن الجحباب قائده حبيب بن أبي عبيدة الفهري بالغزو
فتوغل في السوس الأقصى نحو الجنوب حتى بلغ أرض السودان كما تقول
النصوص (١١٢) ، والمقصود بذلك الصحراوات الجنوبية ، من بلاد مسوفة
ولتونة الصنهاجية (١١٣) ، المؤدية الى مدينة أودغست (أولى بلاد السودان) .

(١٠٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥١ ، وأنظر ابن الأثير (سنة ١١٧ هـ) الذي يقول ان
المرادى كان الى جانب اسماعيل على طنجة ، وقارن ابن عبد الحكم (ص ٢١٧) الذي يسمي
الولاية « السوس » فقط ، ولا يذكر ولاية عمر بن عبد الله المرادى بل يجعله والى طنجة ، بينما
يجعل اسماعيل بن عبد الله والى السوس (ص ٢١٨) ، وذلك عند ثورة البربر سنة ١٢٢ هـ ،
وقارن الرقيق ص ١٠٨ ، وقارن خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٢٧٦ .

(١١٠) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ ، ابن خياط ، ج ٢ ص ٣٦١ . ابن عذارى ، ج ١
ص ٥١ ، وقارن الرقيق ، ص ١٠٨ .

(١١١) أنظر فهرس ولاية الأسلس في أخبار مجموعة ، ملحق بالترجمة الأسبانية ،
ص ٢٤١ ، والنص ص ٢٥ . ويلاحظ أن النص (ص ٢٨) يقول ان عقبة دخل الأندلس « سنة
عشر ومائة » ويعتقد أنها خطأ عن النسخ الذي كتب « سنة » بدلا من « ستة » ، وأنظر
الرقيق ص ١٠٨ (وحيث نجد عن عميرة بن سحيم الكنبي ، واستعمال عمبة بن الحجاج ،
دون تاريخ - والمعروف أن عميرة استشهد في فرنسا كما سنقت الاشارة - أنظر نيس سبق
ص ٢٧٣) .

(١١٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ . ابن عذارى ، ج ١ ص ٥١ ، وأنظر الرقيق ،
ص ١٠٨ ، ابن خياط ، ج ٢ ص ٣٦١ (حيث القراءة عبد الرحمن بن حبيب بدلا من حبيب -
وحيث السنة ١١٦ هـ .

(١١٣) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١١٠ ، الترجمة ، ج ١ ص ٢١٦ ، وقارن الرقيق ،
ص ١٠٨ ، حيث الاشارة الى سبى قبيلة « مسوفة » ، التي تركها المحقق في شكل « مسوفة » ،
وال كانت القصة لها شكل « الاسفورة » .

وانتهت الحملة بنجاح كبير ، فخضعت القبائل في تلك الأقاليم ، وعاد حبيب
يعدد وفي من السبى ، وأعمال عظيمة من التبر (١١٤) . والظاهر أن حبيب
ابن أبي عبيدة اعتبر حملته غزوة في « دار حرب » ، فذلك ما يفهم مما تقوله
النصوص من أن ولى طنجة عمر بن عبد الله المرادي « أساء السيرة ، وتعدى
الصدقات والعشر ، وأراد تخميس البربر ، وزعم أنهم في المسلمين » ، وذلك
ما ثم يرتكبه عامل قبله ، كما يقول ابن عذارى الذي ينقل عن الرقيق (١١٥) .
وحقيقة أن بعض الولاة كانوا يخمسون البربر ولكن من لم يدخل في الإسلام
منهم فقط ، وليس من أسلم (١١٦) .

الاستبداد بالمغاربية وسوء الاستغلال :

وهتقد أن الذي دفع عبيد الله بن الحبحاب وعماله إلى تلك القسوة مع
المغاربية هو الرغبة في إرسال المزيد من الأموال والسبى إلى الخلافة . فابن
عذارى يقول : « وكان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب ، ويبعثون
فيها إلى عامل إفريقية فيبعثون لهم بالبربريات السننيات . فلما أفضى الأمر
إلى أن ابن الحبحاب مناهم بالكثير ، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان ،
فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة » (١١٧) . وهناك نص آخر يورده صاحب
أخبار مجموعة - ولو أنه لا يعتقد في صحته - يفهم منه أنه كانت للخلافة رغبة
شديدة في بعض طرائف المغرب ، وأن هذه الطرائف كانت تسبب للناس
خسائر فادحة . ومن ذلك « أن الخليفة وولده كانوا يكتبون إلى عمال طنجة في
جلود الحرفان العسلية ، فتذبح مائة شاة فربما لم يوجد منها جلد واحد -
وهو قول أهل البفس للأئمة » (١١٨) وهكذا كان سوء الإدارة ، والعمل أولا

-
- (١١٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٥١ .
(١١٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥١ - ٥٢ ، وقارن الرقيق ، ص ١٠٩ (حيث اختلاف
خفيف في القراء . مثل : « وتعمى الصدقات والعشم » بدلا من : « الصدقات والعشر ») .
التويرى ، المخطوط ، ص ٨٤ . وقارن ابن حنون ، ج ٦ ص ١١٠ ، الترجمة ج ١ ص
٢١٦ . ابن الأثير ، سنة ١١٧ .
(١١٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٢ . التويرى المخطوط ، ص ٨٤ ب ، وأنظر الرقيق ،
ص ١٠٩ (صاحب الرواية أصلا) .
(١١٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٢ . وقارن ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦ .
(١١٨) أحمد ، مجموعة ، ص ٢١ - ٢٢ . ولا يعرف ماذا يقصد بجلود الحرفان العسلية .
ونظن أنه من عوز معين من الحنف لا يعرف إلا باختباره منه ذبح الشاة . وربما كان المقصود
جلود معينة لأحد الفصم ما كان يتطلب ذبح نسبة ذرة الحرفان - وفي ذلك مبالغة في =

وقبل كل شيء على استغلال البلاد ، دون النظر في مصالح أهلها أو مطالبها ، سببا في ثورة عارمة بقيادة زجل اسمه ميسرة ، فجرت كل طاقات المغرب ضد العرب .

مقدمات الثورة :

ويذكر الطبري وابن الأثير أنه سبق الانفجار الرائع محاولات من أهل البلاد استهدفت لفت نظر الخلافة الى مساوي عمالها في المغرب . فلقد سار وفد من المغاربة يبلغ حوالي عشرين رجلا برئاسة ميسرة صاحب الثورة لعرض شكواهم ومطالبهم على الخليفة هشام ، ولكنه طال مقامهم بباب الخليفة دون جدوى . ولا نعرف ان كانت شكواهم قد وصلت الى مسامح الخليفة هشام أم أن رجال الحاشية حجبوها عنه . أما عن المطالب التي قدمها الوفد فكانت تتلخص في أن أمير المغرب عندما يغزو بجنده (العربي) وبهم (أي المغاربة) فإنه يحرمهم من نصيبهم في الغنية ، ويقول : « هذا أخلص لجهادكم » . وإذا حاصروا مدينة قال : « تقدموا وأخر جنده » . وأرادت الجماعة أن تعرف : « أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا » ؟ (١١٩) . وموضع الشكوى في هذه الرواية - كما نرى - هو امتياز العرب على المغاربة مما يتضمن عسدم تطبيق مبدأ المساواة والأخاء بين المسلمين ، مما يعتبره البعض خروجاً على مبادئ الاسلام .

الذهب الخارجي في المغرب الأقصى :

والحقيقة أن خطورة الثورة التي أشعلها ميسرة في المغرب سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م لا تتمثل في شكلها السياسي بل تكمن طابعها الديني . فالثورة رفعت شعار المساواة بين جميع المسلمين دون أية تفرقة عنصرية ، وهو المبدأ الذي

= الحسارة ، فهذا ما يقوله العبري (أحداث سنة ٢٧ ج ٤ ص ٢٥٥ - ذخائر العرب) « فاجعلوا يشربونها (الماشية) على السخايل يطالبون الغراء الأبيض لأمر المؤمنين ، فيقتلون ألف شاة في جند » (وقارن ابن الأثير في أحداث سنة ٢٦) وهذا ما يقوله ابن خلدون في شرح ذلك - - « كانت الصرمة من الذهب تملك ذبعا لاتخاذ الحوذ العسلية (الألوان ؟) من سخايلها ، ولا يوجد فيها معدنك الا الواحد وما قرب منه ... » ج ١ ص ١١٩ . وانظر « استقصا » ج ١ ص ٩٥ .

(١١٩) الطبري (ذخائر العرب) أحداث سنة ٢٧ ج ٤ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦ ج ٣ ص ٣٥ .

ترتكز عليه أفكار الخوارج . ولقد قامت الثورة بعد تهديد كبير ودعاية واسعة قام بها الخوارج في المغرب . فلزاء ضغط الدولة على الخوارج في مركز الخلافة ، وخاصة بعد عنف الحجاج وشدته ضدهم في العراق ، اضطر هؤلاء الى الالتجاء الى أطراف الدولة البعيدة : شرقا في خراسان ، وشمالا في أرض الجزيرة ، وجنوبا على سواحل الخليج (الفارسي) ، وكذلك في المغرب . ولقد وجد البربر في المذهب الخارجي - الذي يدعو الى المساواة التامة بين جميع المسلمين مهما اختلفت أجناسهم ، والى الرجوع بالاسلام الى نقاته الأول - رابطة معتوية تؤلف بينهم ضد العرب الذين أساءوا السيرة فيهم ، كما وجدوا فيه قاعدة شرعية للخروج على الخلافة ، بعد أن شكك في صحة تصرفاتها من الناحية الدينية ، وخاصة بعد أن جعل أساسه السياسي : الاطاعة لمخلوق في معصية .

أما عن توقيت دخول المذهب الخارجي الى المغرب ، فهو غير معروف تماما ، وابن خلدون يربط بين دخوله المغرب وبين مقتل يزيد بن أبي مسلم سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م (١٢٠) ، والأقرب الى الصحة أن تكون مبادئ المذهب قد دخلت المغرب قبل ذلك . فالمذهب الخارجي وان بدأ تبلوره بعد التحكيم بين علي ومعاوية (سنة ٣٧ هـ / ٦٥٨ م) فان جذوره ترجع الى وقت مبكر منذ بداية فتنة عثمان ، أي منذ الوقت الذي نسب فيه بعض المتعصبين أو المترمطين من أصحاب الضمان الحساسة الى عثمان تهمة الخروج على التقاليد الاسلامية التي عرفت على أيام النبي . فمرامهم هو بالخروج عن الطاعة ومنها اشتق اسم « الخوارج » . وازاء الضغط الذي لاقاه الخوارج في مركز الخلافة ، كان من الطبيعي أن تنجا جماعات منهم الى المغرب ، وربما انضم بعضهم الى الجيش العربي الافريقي ، كما فعل أهل المدينة والحجاز بعد تنكيل الشاميين بهم بعد وقعة الحرة سنة ٦٣ هـ / ٦٨٢ م (١٢١) ، وبعد مقتل ابن الزبير سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م ، فقد كان الخوارج يتحالفون في بعض الأوقات مع ابن الزبير ، كما هو معروف .

:

(١٢٠) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٠ . الترجمة ج ١ ص ٢١٦ . أما ابن الأثير فيسبب ذلك الى دخول أهل العراق الى المغرب أيام هشام (أحداث سنة ٢٦) .
(١٢١) عن أهل المدينة السفين انضموا الى الجيش الافريقي ودخلوا من المغرب الى الأندلس ، انظر دوزي ، تاريخ المسلمين في اسبانيا ، بالفرنسية ، ج ١ ص ٦٩ ، ١٦٤ - ١٦٥ والهوامش .

ما عن اول اشارة الى الخوارج في المغرب فترتبط بغزو الأندلس : إذ تذكر المنصور أن طريف بن منوك الذي قاد اول سرية اسلامية الى أرض الجزيرة الخضراء سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م ، والذي سميت به جزيرة طريف (١٢٢) ، كان مع الخوارج في نوزة ميسرة ، وأنه هو الذي نشر الزندقة التي عرفت بين قبائل برشواطة في إقليم نهمسنا (١٢٣) . كما كان من أهم اعوان ميسرة عبد الأعلى بن جريج ، مولى موسى بن نصير ، الرومي الأصل (١٢٤) هذا ولو أننا لا نعرف ان كان طريف وعبد الأعلى قد اعتنقا المذهب الخارجي قبل نهاية القرن الاول الهجري أم بعدها . والظاهر أن تسامح عمر بن عبد العزيز ومخارطة مصالح الخوارج كان هدنة أو نوعاً من الهدوء هيئاً لهم استعادة قواهم . كما جعلهم يعدلون - أيضاً - أو يعدلون عن آراء المنعصبين منهم مثل الازارقة . وهكذا ظهر الخوارج في المغرب في شكل جماعة الصفرية ، ونسب ابن خلدون اليهم مقتل يزيد بن أبي مسلم الذي خلف اسماعيل بن عبد الله والي عمر بن عبد العزيز (١٢٥) . ولا شك في أن مبادئ المذهب الأنيس من العراق كانت تنتشر في صمت وسرية ، وانظروا أن الدعوة لم ينشروها تحت اسم مذهب معين ، بل أذاعوها باسم الإصلاح والدعوة الى العمل بالكتاب والسنة مما يسميه ابن خلدون الياس الحق بالباطل (١٢٦) . وفي سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م كان المذهب الخارجي قد استهوى عدداً من الأنصار لا يسمح بمعارضة الحكومة فقط بل وبالثورة والانتصار على القوات العربية في المغرب .

ثورة ميسرة .

وقائد الثورة هو ميسرة السعري (أو المعطري) نسبة الى قبيلة مدغرة

١٢٢. بروسيل . تاريخ اسباب الإسلام بالمرسبة . ص ١٣ .
 ١٢٣. ابن عسار . ج ١ ص ٥٧ . وفان الكرى . ص ١٣٥ . الاصبحار . ص ١٩٧ .
 (وهذا يسمي تلك الزندقة أو صانع بن طريف) .
 ١٢٤. ابن تارخ حقه بن حنط . ج ٢ ص ٣٦١ . (حسب التاريخ حقا ص ١١٦ هـ
 وحسب ابن حنط . ص ١١٦ من ان جريج) . ص ٣٦٨ (احد سنة ١٢٢ هـ) . وانظر
 ص ١٤٠ هـ ٢٨٩ هـ .
 ١٢٥. تصحفة السانعة وهامس ١٢٠ - ولا بأس من الاشارة الى ما قال من ان عكرمة
 مولى ابن عباس كان قول من حدى عن عمر بمذهب الصفرية في المغرب . انظر المرجعي
 المعطوف ورقه ٧ . وانصوح . ص ١١ . وانظر ص ١٤٠ هـ . ج ٢ (في بيان الدولة
 المرصدة .
 ١٢٦. نفس المصدر السابق .

(أو مظسرة) ، وهى من القبائل انجيرية ، ويلقبه بعض الكتاب بـ « الفقير » (١٢٧) ، وزبما كان ذلك لقبه بين أتباعه نسبة الى فقره وزهده ، بينما يلقبه آخرون بـ « الحقير » (١٢٨) استهانة به ، وهؤلاء خصومه من أعداء الخوارج . وكان الرجل فى مبدأ حياته بسيطا اذ اشتغل سقاء يبيع الملة فى سوق القيروان (١٢٩) ، عاصمة افريقية ، ومركز الاشعاع الدينى ، حيث العلماء والفقهاء ، ومنهم أجلة التابعين من أهل الزهد والورع والتقوى . ولا شك فى انه كان من بين هؤلاء كثيرون ممن يدعون الى العودة بالاسلام الى نقائه الأول ، ويقفون فى وجه الاجراءات التى تخل بمبدأ الاخاء والمساواة بين جميع المسلمين ، بمعنى أنهم كانوا يروجون - عن غير قصد كما نطن - لمبادئ الخوارج أى لمبادئ الثورة على الدولة (١٣٠) . ولا بأس من أن يكون ميسرة تأخذ هذه المبادئ عن بعض علماء القيروان هؤلاء ، ولو أن الكتاب لا يشيرون الى ذلك . وكل ما يقولونه عنه ، قبل الثورة ، انه كان يسعى الى تحقيق المساواة فى الاعطيات بين العرب والبربر فى الجيش الافريقى كما أشرنا (١٣١) ، وربما كانت لاقامة ميسرة فى دمشق عندما ذهب لعرض شكواه على الخليفة اثرها فى زيادة التعرف على مبادئ الخوارج . وفى ذلك الوقت انتشرت فى المشرق فرقة من الخوارج عرفت بالصفرية - نسبة الى مؤسسها زياد بن الأصفر - وهذه الفرقة أشبه بفرق الوسط اذ تمثل مرحلة تطور المبادئ الخارجية : من التطرف بدموم النى مثله الأزارقة من قبل نحو الاعتدال المقبول الذى مثله الأباضية فيما بعد . وعلى مبادئ الصفرية الوسط قامت ثورة ميسرة (١٣٢) .

(١٢٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ .

(١٢٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٢ .

(١٢٩) ابن حبان ، ج ١ ص ٣٦٨ .

(١٣٠) نظر ابن الأثير ، (أحداث سنة ١١٧) الذى يقول : « وظهر فى ذلك الوقت

حساعة بالترقية فأظهروا مقالة الخوارج » ، وقارن الرقيق ، ص ١٠٩ (حيث النص على أنه

كان فى المغرب يومئذ قوم فهم دعوة الخوارج ، وفيهم عدد كثير وشوكة) .

(١٣١) أنظر فيما سبق ، ص ٢٨٤ .

(١٣٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٢ ، وقارن اخبار مجموعة (ص ٢٨) الذى يقول « ثارت

البربر على فرق الأباضية والصفرية » والمعروف أن خوارج هذه الثورة كانوا من الصفرية

نقط . أما ثورات الأباضية فسراها فيما بعد فى طرابلس ثم فى تاهرت . وأنظر ابن الأثير ،

أحداث سنة ١١٧ . وعن الصفرية الذين يسمون أيضا بالزيادة نسبة الى مؤسس المذهب .

نظر الشهر ساسر . طبعة ليبزج ١٦٢٣ ، ص ١٠٢ . أما ابن الأثير فينسبهم الى عبد الله بن

الصفار السعدى (سنة ٦٤ - ٤ ص ٨٢) .

عاد مسيرة وجماعته من الشام بعد أن خاب رجائهم في انصاف الخليفة ،
وتأكد لديهم أن العمال يعمنون بأمر الخلفاء ، وقرروا السير على المنهاج الذي
يسير عليه خوارج المشرق ، فخرجوا من المعارضة الصامتة الى الثورة المسلحة .
وانتهز مسيرة فرصة خروج أحد نائبي عبيد الله بن الحبحاب في المغرب
الأقصى ، وهو حبيب بن أبي عبيدة الفهرى في حملة بحرية لغزو صقلية (١٣٣) .
وبدأت الثورة في اقليم طنجة (انسوس الأدنى) في ١٥ رمضان سنة ١٢٢ هـ /
١٣ أغسطس ٧٤٠ م في مواطن مدغرة قبيلة مسيرة ، حيث أعلن هذا الأخير
نفسه اماما وبايعه الناس (١٣٤) . وسرعان ما انضمت الى قبيلته جميع قبائل
المنطقة من غمارة ومكناسة وبرغواطة ، وكانت دعوة الخوارج منتشرة في هذه
القبيلة الأخيرة بفضل طريف رئيسها (١٣٥) . وسار الثوار بقيادة عبد الأعلى
ابن جريج نحو مدينة طنجة حيث هزموا عاملها عمر بن عبد الله المرادي ،
وقتلوه واستولوا على المدينة (١٣٦) . والظاهر أنهم انتقموا من أهل المدينة
اذ يقول صاحب أخبار مجموعة انهم قتلوا أهلها ، ويقال انهم قتلوا
الصبيان (١٣٧) ، كما سبوا انساء (١٣٨) . وعندما بلغ ابن الحبحاب سقوط
طنجة بين أيدي الثوار أرسل الى واليه علي الأندلس عقبه بن الحجاج السنولي
بأمره بقمع الثورة . واضطر عقبه الى المسير بنفسه الى طنجة ، وقتل البربر
قتلا ذريعا ، ولكنه لم ينجح في اخماد الثورة مما ترتب عليه ثورة الأندلسيين

(١٣٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ (يقول انه غزا في البحر) . ابن عذاري ، ج ١
ص ٥٩ . ٥٢ (يقول انه خرج الى بلاد الروم) ويرجع الفضل للرفيق (ص ١٠٩) الذي ينقله
ابن الأثير (سنة ١١٧) الذي ينفرد بتفصيلات عن هذه الثورة التي قام بها في سنة ١٢٢ هـ
حبيب وبصحبه ابنه عبد الرحمن التي حقق انتصارات هائلة فازم أهل سرقوسة على دفع
الجزية حتى عزم حبيب على انتقام المدينة الى تمام فتحها لولا ثورة مسيرة . وعن تلك الحملة
أنظر فيما بعد في فتح صقلية ، ج ٣ ص ٥٠ .

(١٣٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٨ (يقول وادعى الخلافة وتسمى بها) وهو يقصد الامامة
كما هو معروف عند الخوارج ، وحده في ذلك الوقت المبكر ، وقارن الرفيق ، ص ١١٠ .
(١٣٥) أنظر فيما سبق ، ص ٢٨٦ . وعن زندقة برغواطة انظر فيما بعد الفصل الخامس
بذلك من تاريخ الإدارة .

(١٣٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ . ابن الأثير ، سنة ١١٧ ، التوريق ، المخطوط ،
ص ٨٤ ب ، وقارن الرفيق ، ص ١٠٩ . حيث اسم والي طنجة عمر بن حبيبة المرادي . ان
خياط ج ١ ص ٢٧٦ (حيث اسم والي طنجة « عمرو بن عبد الله العيسى ») .

(١٣٧) أخبار مجموعة ، ص ٣١ .

(١٣٨) ابن جياض ، ج ٢ ص ٣٧٦ .

به ، فخطعوه واختاروا مكانه وانهبهم السابق عبد الملك بن قطن (١٣٩) .

واستعمل ميسرة - بصفتها الامام - على طنجة عبيد الاعلى بن لاريج الافريقي ، الرومي الاصل ، واحد موالى موسى بن نصير (١٤٠) . ومن طنجة خرج الثوار نحو السوس الأدنى ، وهزموا الجيش الذي صيره اليهم اسماعيل ابن عبيد الله ثم فاجأوا اسماعيل نفسه وقتلوه (١٤١) . وشجعت تلك الانتصارات المبدئية على اشغال لهيب الثورة ضد العرب في كل المغرب « فوثب كل قوم من البربر على من ينيهم فقتلوا وطردهوا » (١٤٢) . وجمع الثوار شملهم وساروا في اتجاه افريقية (١٤٣) ، قاعدة العرب ، حيث عبيد الله بن الحبحاب . وللأسف تمر المصادر سريعاً بالأحداث التالية ، فتقتضبها اقتضاباً ، فلا نعرف ماذا وقع من الأحداث اللهم ما يقوله ابن عذارى من أنه « كانت وقائع مشيرة بين أهل المغرب الأقصى ، وأهل افريقية يطول ذكرها » (١٤٤) . وازاء دقة الموقف أعد عينك لله بن الحبحاب العدة لمواجهة الثوار ، فآخذ في تجهيز عسكر افريقية ، وأرسل الى حبيب بن أبي عبيدة يأمره بالرجوع من صقلية ليسير معهم ضد ميسرة (١٤٥) . ولما لم تكن الظروف تسمح بالانتظار لحين عودة حبيب فان ابن الحبحاب سير خالد بن أبي حبيب الفهري على رأس قوات افريقية فيهم « وجوه أهل افريقية من قريش والأنصار وغيرهم » (١٤٦) .

(١٣٩) أخيبار مجموعة ، ص ٢٩ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ١١٧ ، الرقيق ، ص ١١١ ، ابن خلدون ، ج ١ ص ١١٩ (القرامطة و ابن قطر « خطأ) ، النويرى ، المخطوط ، ص ٨٥ أ - ٨٥ ب ، وأنظر ليفى بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، بالفرنسية ، ص ٣١ .

(١٤٠) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٢ ، وأنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٠ (حيث يذكر مبايعة ميسرة لابن جريج قبل أن تصير اليه الامامة) و ص ١١٩ (حيث القرامطة « ابن خديم » بدلاً من « جريج » وابن خلدون يقول هنا ان عبد الأعلى هو أصل الخارجية . ويحدد ولايته لطنجة بسنة ١٢٥ هـ) .

(١٤١) أنظر خليفة بن خنيط ، ج ٢ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ، ابن عبد الحكم ، ص ١٢٨ .

(١٤٢) أخيبار مجموعة ، ص ٢٩ .

(١٤٣) نفس المصدر السابق .

(١٤٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٢ .

(١٤٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٣ ، الرقيق ، ص ١٠٩ ، ابن الأثير ، سنة ١١٧ .

(١٤٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ ، وقارن الرقيق ، ص ١١٠ ، وابن عذارى ، ج ١

ص ٥٣ .

(م ١٩ - تاريخ المغرب العربي)

انتصار الصفريّة في ولعة الأشراف :

وقصة الأحداث التالية غير أكيدة تماما في فتوح ابن عبد الحكم الذي يورد روايات مختلفة عن الليث بن سعد وغيره ، وكذلك الحال في تاريخ ابن خياط ، وفي بيان ابن عذارى الذي يسجل روايات للرقيق وغيره . وما يؤسف له أن قطعة الرقيق التي تم اكتشافها لا تضيف معلومات جديدة إلى ما نقله ابن الأثير وابن عذارى ، ووجه الاختلاف يتلخص أساسا في أبطال المعارك : فمن جهة البربر يتراوح الأمر ما بين ميسرة وعبد الأعلى بن جريح وابن حميد الزناتي ، ومن جانب العرب ما بين خالد بن أبي حبيب وحبيب بن أبي عبيدة وعبد الرحمن بن المغيرة العبدي . أما عن مواضع اللقاء فتتراوح بين وادي شلف وما دون طنجة أو بمقربة منها ، وكذلك بالقرب من تلمسان (١٤٧) . ولكنه رغم اختلاف الروايات يمكن التوفيق بينها وترتيب الأحداث على الوجه التالي .
تقدم خالد بن أبي حبيب بعسكر إفريقية حتى وصل إلى وادي شلف ، غير بعيد من مدينة تاهرت ، حيث تم اللقاء بينه وبين الخوارج . وكان لقاء عنيفا استبسل فيه الإفريقان وانتهى بانسحاب ميسرة في ظروف لا تعرفها تماما (١٤٨) .

والظاهر أنه حدث انشقاق بين ميسرة وأتباعه السديس أخذوا عليه الانسحاب دون الاستماتة في القتال ، وانتهى الأمر بأن قتلوه ، وذلك حسب مبادئ الخوارج التي تسمح بالتخلص من الإمام إذا ما انحرف عن طريق

(١٤٧) انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ . الرقيق ص ١١٠ . وابن عذارى ، ج ١ ص ٥٣ ، وتاريخ ابن الأثير ، أحداث سنة ١١٧ . وابن خلنون ، ج ١ ص ٢١٩ ، والنويري المعطوط ، ص ٨٤ ب .

(١٤٨) انظر الرقيق ، ص ١١٠ (حيث يجعل خالد بن حبيب يعبر وادي شلف في اثر ميسرة ، بينما يأتي بعده حبيب بن أبي عبيدة بعسكر على وادي شلف ولا يبرح مكانه) ، وتاريخ ابن الأثير ، (سنة ١١٧) الذي يقول بانسحاب ميسرة إلى طنجة ولكنه يجعل القتال وشرب ميثا . وكذلك ابن عذارى ج ١ ص ٥٣ (الذي يذكر وصول خالد إلى وادي شلف ، ثم يجعل القتال عند طنجة ، أما ابن خلنون (ج ٦ ص ١١٠) فيجعل المعركة الكبرى عند شلف . بينما ابن عبد الحكم يقول في رواية (ص ٢١٨) ان اللقاء تم مباشرة بين خالد ونيرس قرب طنجة ، وقتل خالد وأصحابه . ثم يذكر رواية أخرى فيها أن خالد لقي ميسرة دون طنجة فقتل ومن معه ثم انصرف ميسرة إلى طنجة . ويذكر رواية ثالثة عن الليث بن سعد تقول ان ميسرة قتل اسماعيل بن عبيد الله ، وخالد بن أبي حبيب سنة ١٢٣ هـ / ٧٤١ م ثم رجع إليهم ابن الحبحاب بعد ذلك حبيب بن أبي عبيدة .

بجماعة (١٤٩) ، مما أدى الى انقسام أتباعه الصفرية الى فرقتين : « فرقة عليها خالد بن حميد ، وفرقة عليها سام أبو يوسف الهواري » (١٥٠) . وواصل خالد بن أبي حبيب تقدمه في اتجاه طنجة ، واستتبك مع البربر بالقرب من طنجة ، في الوقت الذي كان أصحاب مسيرة قد عادوا الى الاتفاق ، واعترفوا جميعا بإمامة خالد بن حميد الهتوري الزناتي ، ووضعوا انفسهم تحت قيادته (١٥١) . وفي أثناء المعركة المطاحنة وعلي حين غرة ، فاجأ خالد بن حميد الزناتي وأصحابه الصفريه العرب من الخلف وتكاتروا عليهم . واستنكف خالد الفهري من الفرار . وقرر أن يعيد مسيرة عقبه في تهودة ، فألقى بنفسه وأصحابه الى الموت فقتل ابن أبي حبيب ، ومن معه حتى لم يبق من أصحابه رجل واحد . - حسب مبالغات الرواة (١٥٢) ، وذلك في أواخر سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م أو أوائل سنة ١٢٣ هـ / ٧٤١ م (١٥٣) . وهكذا فقد انقلب في هذه الواقعة أعيان فرسانهم وأبطالهم من القرشيين والأنصار ، ولهذا السبب أطلق الكتاب عليها اسم « غروة الأشراف » (١٥٤) .

(١٤٩) أنظر الرقيق (ص ١١٠) . وابن عذاري (ج ١ ص ٥٣) حيث الرواية التي أخذنا بها ، والتي يمكن أن تفسر اختلاف الروايات التي تخلط بين مسيرة وبين ابن حميد الزناتي خليفة (وقارن التويري . المحفوظ . ص ٨٤ ب) . وقارن : Fournel, Etude sur la Conquête de l'Afrique par les Arabes..., p. 77, et Note 1.

(١٥٠) أنظر تاريخ خليفة بن حيان (ج ٢ ص ٣٧٠) الذي يلقب أبا يوسف بالأزدى ، بينما يلقبه ابن عبد الحكم (ص ٢٢٠) بالهواري . وهو يحدد هذا الانقسام بين الصفرية سنة ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م ، بعد وفاة مسيرة ، فكأنه يجعل انتصار الصفرية في وقعة الأشراف تحت قيادة مسيرة . وهو الأمر الذي لا يستطيع النظر فيه حاليا في ضوء المعلومات المخالفة له التي بين أيدينا .

(١٥١) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٣ . أما ابن عبد الحكم (ص ٢١٨) فإنه يخطئ هنا عندما يقول ان البربر بعد أن قتلوا مسيرة « ولو أمرهم عبد الملك بن قطن » ، إذ الحقيقة ان عرب الأندلس هم الذين ذروا برالبيد عمبة بن انججاج فمزلوه ووضعوا مكانه عبد الملك بن قطن (أنظر فيما سبق ص ٢٨٩ وماص ٢٣٩ . وقارن ابن خلدون الذي يقول ذلك (ج ١ ص ١١٠) . يذكر رواية أخرى تدل على ان المقتول حسب مسيرة هو يحيى بن خالد ، ج ١ ص ٢١٩ . وانظر فوري . Fournel : ص ٧٧ وماص ٣ .

(١٥٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٤ ، الرقيق ص ١١٠ (حيث الرواية الأصيلة) ابن عبد الحكم ص ٢١٨ ، التويري المحفوظ ص ٨٥ . ابن الأثير ، سنة ١١٧ . (١٥٣) تاريخ خليفة بن حيان ، ج ٢ ص ٣٦٩ (حيث يقول ان الواقعة حدثت عند نهر بسمى « نهر الكور ») .

(١٥٤) نفس المصادر . وقارن خليفة بن حيان الذي يحدد من قبل المعركة . ان حبيب خالد بن أبي حبيب وابنه : عثمان بن أبي عبيدة الفهري وابنه ابراهيم . وهومي بن عبد الرحمن وعبد الكريم بن مسعل بن عتبة بن حمران بن الخطيب . وذوارة بن عمرو (من بني عمير من بني عبد الدار بن قصى (ج ٢ ص ٣٦٨ - ٣٦٩) .

وعندما وصلت أنباء الكارثة إلى القيروان ، حاول ابن الجحباب سد طريق
افريقية على الثوار ، فأرسل عبد الرحمن بن المغيرة العبدى وأبيا على تلمسان .
وهناك أخذ عبد الرحمن في الانتقام من الصفرية فقتلهم قتلا ذريعا حتى سمي
بـ « الجزائر » . مما أدى إلى موجة من السخط عليه انتهت بإرغامه على مغادرة
المدينة (١٥٥) . وفي هذه الأثناء كان حبيب بن أبي عبيدة قد عاد من غزو
صقلية ، فسيره ابن الجحباب على رأس قواته ضد الثوار (١٥٦) . وسار حبيب
نحو وادي شلف ، ولكنه لم يتقدم بل رابط عند المجاز (١٥٧) ، والظاهر أنه
أقام هناك يستطلع الأخبار . ثم انه تقدم إلى تلمسان التي لم تكن قد سقطت
بين أيدي الثوار ، بعد ما قام به هناك عبد الرحمن العبدى من أعمال العنف
والقسوة . وهناك قبض على وأبيها السابق موسى بن أبي خالد مولى معاوية
ابن حديج ، بتهمة الدس والتحريض على الفتنة ، وأنزل به عقوبة المفسدين ،
فقطع يده ورجله (١٥٨) . ولا تعرف ما كان من أمر حبيب بعد ذلك ، والظاهر
أنه أقام في منطقة وادي شلف ، كما يفهم من الأحداث التالية (١٥٩) . ولكن
أمور المغرب اختلفت على ابن الجحباب ، فاجتمع الناس عليه وعزلوه (١٦٠) كما
فعلوا بواليه على الأندلس (١٦١) . وعندما وصلت تلك الأنباء التمسعة إلى الخليفة
هشام ، أقسم : « والله لأغضببن لهم غضبة عربية ، ولأبعثن اليهم جيشا أوله
عندهم وآخره عندي ، ثم لا تركت حصن بربري إلا جعلت إلى جانبه خيمة
قيسى أو تيمى » ، وأرسل يستدعى ابن الجحباب الذي ترك المغرب في جمادى
الأولى من سنة ١٢٢ هـ / مارس ٧٤١ م (١٦٢) .

(١٥٥) ابن خياط ، ج ٢ ص ٣٦٩ .

(١٥٦) هذه رواية الليث بن سعد التي أخذنا بها . انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ .
نما ابن عذاري (ج ١ ص ٥٣) الذي ينقل الرقيق (ص ١١٠) فيقول ان حبيب ابن أبي
عبيدة صار في أثر خالد بن أبي حبيب مما يفهم منه أن مسيره حدث قبل مطرك خالد بن أبي
حبيب مع الخوارج ومقتله . هذا ولو أن رواية مقتل خالد بن أبي حبيب لا ذكر فيها لحبيب
ابن أبي عبيدة (نفس الصفحة) .

(١٥٧) انظر الرقيق ، ص ١١٠ (حيث النص على أن حبيب بن أبي عبيدة « نزل على
وادي شلف ، فأقام ولم يبرح » ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٣ .

(١٥٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ .

(١٥٩) انظر فيما بعد ص ٢٩٤ والهوامش .

(١٦٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٥ ، وقارن الرقيق ، ص ١١١ .

(١٦١) انظر فيما سبق ، ص ٢٨٩ ، وهامش ١٣٩ .

(١٦٢) انظر الرقيق ، ص ١١١ ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٤ ، ابن عبد الحكم ، =

• كلتوم بن عياض القشيري : وقعة وادي سبو (بقنورة) •

ولم ينكت الخليفة في قسمه ، ففي الشهر التالي (جمادى الثاني سنة ١٢٣ هـ / ابريل ٧٤١) اختار لولاية افريقية شيخا من اعيان القيسية الخلفي (بدلا من ابن المبحاب القيسي بالولاة) هو كلتوم بن عياض القشيري (١٦٣) « وجعل له نائبين يتوليان الامارة بالتوالي اذا ما حدث له حدث ، هما : ابن اخيه بلج بن بشر القشيري ، وتعلبة بن سليمة العاملي (١٦٤) . ويرجع الفضل الى كتاب اخبار مجموعة الذي يضيف تفاصيل هامة عن جيش كلتوم الى جانب ما سجله ابن عبد الحكم وابن عذاري . فقد جهز هشام جيشا عظيما من اهل الشام بلغ عدده ٢٧ (سبعة وعشرين) ألف رجل من الجند النظامي . فكان على كل جند (أي كورة) من اجناد الشام الاربعة : دمشق وحصص والأردن وفلسطين ، أن يقدم ٦ (ستة) آلاف رجل ، وكان على اهل قنسرين (حلب) أن يقدموا ثلاثة آلاف . وأخرج الخليفة مع كلتوم رجلين لها معرفة بالمغرب والأندلس ، هما : هارون القرني مولى معاوية بن هشام (والد عبد الرحمن الداخل) ، ومغيث الرومي مولى الوليد (وصاحب موسى بن نصير) على أن يتقونا مستشاريه . كما أعطاه سلطات مطلقة في البلاد التي يمر بها ، وكتب الى عماله في مصر والمغرب بطاعة كلتوم ، وتقديم العون له من الرجال والاموال (١٦٥) .

وهكذا استعدت الجيوش الخلافية من الجند النظامي والمتطوعة فعلا للمضي من الشام الى افريقية ، وصدقت كلمة هشام . وخرج كلتوم بأهل الشام وعنه

= ص ٢١٨ ، وانظر ابن الأثير ، سنة ١١٧ والنويري ، المخطوط ، ص ٨٥ ، والترجمة في ملحق ابن خلدون ج ١ ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

(١٦٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ (يسميه القيسي) ، ابن خياط ج ٢ ص ٣٧٠ ، ابن عذاري ج ١ ص ٥٤ ، النويري ، المخطوط ، ص ٨٥ ، والترجمة في ملحق ابن خلدون ج ١ ص ٣٦١ . وما يؤسف له أن قصة كلتوم مبتورة في أولها في القطعة التي وجدت من الرقيق ، مما جعل المحقق يترك (ص ١١٢) بيانها .

(١٦٤) اخبار مجموعة ، ص ٣٠ ، ٣٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٥ . هذا ولو أنه في ص ٥٤ يقول ان بلجا هو ابن عم كلتوم ، وهو ما تذكره رواية ابن خياط (ج ٢ ص ٣٧٠) .

(١٦٥) اخبار مجموعة ، ص ٣٠ - ٣١ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٤ ، ابن الأثير ،

سنة ١١٧ .

بلغ على مقدمته من الخيالة ووثنية بن سلمة على جند الاردن . وعندئذ دخل
مصر انضم اليه من جندها ٣ (ثلاثة) آلاف رجل من الجند النظامي فصار جيشه
٣٠ (ثلاثين) ألفا ، سوى من معهم من الموالى والاتباع ، ومن صار معهم من
المتطوعة (١٦٦) . وأخفت قوات كلثوم تزداد عددا على طول الطريق نحو المغرب
بمن انضم اليه من جند يرفة وطرابلس (١٦٧) . الى أن وصل الى افريقية في
شهر رمضان من نفس السنة (١٢٣ هـ / يولية ٧٤١ م) (١٦٨) .

ومع أن جيش كلثوم تضخم تضخما عظيما بمن انضم اليه من جنس
افريقية حتى بلغ عدده ٧٠ (سبعين) ألف رجل (١٦٩) ، الا أن الانشيقاق
والانقسام دب بين صفوفه بشكل جعل سيطرة كلثوم عليه من الصعوبة بمكان .
فالظاهر أن أهل الشام أتوا يزفون بعددهم وعددهم ، وبما أباح لهم الخليفة
من الاباحات ، على التأكيد من أهل افريقية والمغرب الذين حطمهم البربر في
أكثر من موقعة . ولم يكن أهل افريقية ليرضوا من أهل الشام بتلك المعاملة
الغريبة بعد جهادهم وحسن بلائهم . فاذا كان كلثوم قد تجنب النزول في
القيروان ، وسار الى سبيبة على مسيرة يوم منها (١٧٠) ، فان ابن أخيه بلج
طلب من أهل افريقية ألا يطلقوا أبوابهم حتى يعرف أهل الشام منازلهم ،
ومع ذلك كلام كثير يفيضهم به ، (١٧١) . وغضب حبيب بن أبي عبيدة عندما
بلغته ، وهو معسكر على وادي شلف . أنباء الإهانات التي لحقت بأهل بلننه ،
وكتب الى كلثوم يندد بما فعله ابن أخيه بلج . ويطلب منه الرجيل بمسكرو
من افريقية ، والا حول قواته ضده (١٧٢) . ورغم ما تقوله الرواية من أن كلثوم
ابن عياض كتب الى حبيب يعتذر اليه ، وبأمره بأن يقيم بشلف ولا يجاوزه

(١٦٦) أخبار مجموعة . ص ٢١ .

(١٦٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٥ ، ابن عبد الحكم . ص ٢١٨ ، وقارن التويرى ،
المختصر . ص ٨٥ .

(١٦٨) ابن عذارى . ج ١ ص ٥٥ . التويرى ، المختصر . ص ٨٥ ، و ترجمه ،
ملحق ابن خلدون ، ج ١ ص ٣٦١ ، وقارن ابن خياط . ج ٢ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .
١٦٩ . أخبار مجموعة . ص ٢١ .

(١٧٠) ابن عبد الحكم . ٢١٩ . ابن عذارى . ج ١ ص ٥٤ . وقارن التويرى ، (المخطوط ،
ص ٨٥) حبيب الفراء ، ص ٥٥ ، ص ٥٦ ، ص ٥٧ .

(١٧١) ابن عذارى . ج ١ ص ٥٥ . وقارن الأبر . ص ١١٧ .

(١٧٢) نفس المصدر . وانظر الزرقان . ص ١١٢ . وان كانت الرواية معتودة في

حتى يقهر عليه (١٧٣) . . فقد كانت تلك الأحداث بداية للتصديح بين قواها
الحلقة الشامية وجيشها الافريقي ، وبضمنه القوات المصرية .

كارثة الجيش الخلفي في بقلورة :

وفي هذه الظروف العابسة استخلف كلثوم علي القيروان قاضي افريقية
عبد الرحمن بن عقية الفغاري على الصلاة ، ومسلمة بن سوادة القرشي على
الحرب (١٧٤) ، وخرجت قوات افريقية معه وعلى رجالها معيث الرومي . وعلى
فرسانها هارون القرني (١٧٥) . ولم يلبث النزاع مع حبيب بن ابي عبيدة أن
تجدد عند وادي شلف فلقد استهان بلج بحبيب عندما لقيه ، كما طعن كلثوم
فيه « وشتمه وأهل بيته » (١٧٦) . وأخذ الحماس عبد الرحمن بن حبيب - الذي
كان شابا حلت السن بصحية والده - فتدخل في النزاع حتى كاد الأمر ينتهي
الى الفتنة (١٧٧) ، « وصاح الناس ، السلاح ! السلاح ! فقال أهل افريقية الى
ناحية ، ومعهم أهل مصر ، ثم سعى بينهم في الصلح . . . فكان هذا الاختلاف
سبب هلاكهم ، مع سوء رأي كلثوم وبلج » ، كما يقول ابن عذاري نقلا عن
الرقبي (١٧٨) . وخرج الجيش العظيم - الذي كانت تنخر في عظامه الأحقاد
والضغائن - نحو أرض طنجة لتأديب الثوار الذين جمعوا جموعهم تحت قيادة
امامهم الجديد خالد بن حميد الزناتي ، وتم اللقاء على الضفة الشمالية لاسافل
وادي سبو (١٧٩) (نهر مدينة فاس) في موضع يقال له « بقلورة » (١٨٠) :

-
- (١٧٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٩ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٤ ، وأنظر الرقيبي ،
ص ١١٣ ، وقارن ابن الأثير الذي يقول أنه حبيبا كان يتلمسان (أحداث سنة ١١٧) .
- (١٧٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٤ ، وقارن التويري ،
المخطوط ص ٨٥ ب والترجمة ، ملحق ابن خلدون ، ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، والرقيبي ،
ص ١١٣ (حيث يذكر استخلاف القاضي فقط) .
- (١٧٥) أخبار مجموعة ، ص ٣١ .
- (١٧٦) أنظر ابن عبد الحكم ، ص ٢١٩ ، وقارن الرقيبي ، ص ١١٣ (حيث يشير الى
أن بلج بن بشر ، وحده هو الذي استهان بحبيب وسبه في بعض خطبه) .
- (١٧٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٩ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٤ ، وقارن الرقيبي ،
ص ١١٣ .
- (١٧٨) ابن عذاري ، ص ١ ص ٥٤ ، وقارن الرقيبي ، ص ١١٣ (حيث يوجد النص
مستورا) .
- (١٧٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٥ ، ابن خلدون ، ج ١ ص ١١٩ ، وقارن التويري ،
المخطوط ، ص ٨٥ ب والترجمة ، ملحق ابن خلدون ، ج ١ ص ٣٦٢ حيث يسمى ألتهر وادي
طنجة ، وهو ما يقوله ابن خياط (ج ٢ ص ٤٧٠) .
- (١٨٠) أخبار مجموعة ، ص ٣٢ ، وهناك قراءة أخرى من بقلورة (ص ٣٩) أو بقلورة .
أنظر دوزي ، ج ١ ص ١٥٤ وهاشم ٢ .

وكان لقاء هائل استبسل فيه الصفريه بشكل يذكر باستماتة اخوانهم خوارج
المشرق في حروبهم مع جيوش الخلافة ، وانتهى نهاية لم تكن متوقعة اذ تحطم
جيش كلثوم ، العظيم بفرسانه وعدده وعتاده ، أمام مقاومة البربر العزل من
السلاح أو الذين يكادون .

ويصف كتاب أخبار مجموعة المعركة وصفا رائعا : فجيش كلثوم كان
يحتوي على فرقتين من الخيالة ، أولاهما خيالة أهل الشام وعليها بلج بن بشر ،
ويبلغ عدد فرسانها حوالي ١٠ (عشرة) آلاف فارس (١٨١) ، وثانيتها خيالة
افريقية وعليها هارون القرنى (١٨٢) أما الخوارج ، فلم تكن لهم خيل تكافى
خيال المسلمين (١٨٣) - أما عن الرجالة فمع أن كلثوم بن عياض كان معه حوالي
٢٠ (عشرين) ألفا من أهل الشام الى جانب أهل افريقية ، وعليهم مفيث ثم
قوات حبيب بن أبي عبيدة ، فان الذى يفهم من النص هو أن البربر كانوا
أكثر عددا ، اذ « أقبل خالد بن حميد الزناتى قد جمع جموعا ليس يحصى
عددها » (١٨٤) ، بينما يقول ابن عذارى ان عدد الذين ساروا منهم نحو القيروان
بعد ذلك بلغ حوالي ٣٠٠ (ثلثمائة) ألف رجل (١٨٥) . ولكنه وان صحت
كثرة عددهم فان عددهم وسلاحهم كان يدانيا بسيطا ، فقد « أقبلوا عسرة
متجردين ليس عليهم الا أسراويلات (١٨٦) ، ومعهم الجلود اليابسة فيها
الحجارة » (١٨٧) . ورغم ذلك فقد كان يعوضهم عن ذلك الضعف عزمهم الصادق
على الاستتال في الحرب مثل اخوانهم في المشرق ، فقد حلقوا رهوسهم « اقتداء

(١٨١) أخبار مجموعة ، ص ٣٣ . الحفينة ان النص يذكر هنا عددين هما : ١٢ (اثنا
عشر) ألفا ، ٧ (سبعة) آلاف . وصاحب الرواية يعيل الى الأخذ بالعدد الثانى اذ يقول :
« وهو أصح العددين » . ويعتد ان العددين صحيحان : فالأول يمثل عدد الفرسان جميعا من
أهل الشام ، وهذا ما يقوله الخويرى (المخطوط ، ص ٨٥ ب والرجمة ، ملحق ابن خلدون
ج ١ ص ٢٦١) ، أما الثانى فهو يمثل عدد الفرسان الذين بلغوا مع راج بعد الهزيمة .

(١٨٢) أخبار مجموعة ، ص ٣٢ .

(١٨٣) أخبار مجموعة ، ص ٣٣ .

(١٨٤) أخبار مجموعة ، ص ٣٢ ، وقارن ابن خلدون ج ١ ص ١١٩ (النص يذكر ميسرة
خطا بدلا من خالد بن حميد ، وميسرة كان قد قتل كما ذكرنا - انظر لما سبق ، ص ٢٩٠-٢٩٢ .

(١٨٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٦ .

(١٨٦) ابن عبد الحكم ، ص ٦١٦ . ابن عذارى ، ج ٢ ص ٥٥ (فخرجوا اليه

هراة) .

(١٨٧) أخبار مجموعة ، ص ٣٣ . وقارن ابن خلدون ، ج ١ ص ١١٩ .

بالأزارقة وأهل النهروان ، أصحاب الراسبي عبسد الله بن وهب وزيد بن
حصين ، ونادوا بالتحكيم الى جانب رفع المصاحف (١٨٨) .

وطلب كلثوم النصيحة من مستشاريه ، وكاد يقف موقفا دفاعيا باتخاذ
خندق ، واخراج الكتائب تقاتل البربر ثم تعود الى مواقعها ، ولكنه عاد واستمع
الى نصيحة ابن أخيه بنج المعتر بنفسه اذ قال له : « لا تفعل ، ولا يرعك كثرة
هؤلاء فان أكثرهم عريان أعزل لا سلاح لهم » (١٨٩) . وهكذا بدأ القتال وقواه
كلثوم غير راضين عن خطته (١٩٠) . وكانت خطة كلثوم أن يعتمد على الخيالة
كقوة ضاربة لتعطيم الثوار : « فوجه بلج بن بشر على الخيل ليدوسهم بها ،
وكانت الخيل أوثق في نفس كلثوم من الرجالة » (١٩١) . وفاجأ بلج بن بشر
البربر صباحا ، فاستقبلوه بالصياح والحجارة ، فكانت الخيل تنفر
منهم (١٩٢) . واحتال البربر في شل حركة الفرسان العرب حتى يجبرونهم
على الحرب رجالة ، مثلهم : « فعدوا الى الرمك الصعبة ، فعلقوا في أذنانها
القرب والانطاع اليابسة ثم وجهوها نحو عسكر كلثوم فنفرت الخيل ، وفادى
الناس فنزل أكثرهم ، وكان ذلك حجة البربر لكثرتهم ، وانهم لم تكن لهم
خيال تكافئ خيل المسلمين (١٩٣) .

وترتب على ذلك اضطراب نظام الصفوف في جيش كلثوم ، وزحف
البربر دون أن ينجح بلج - الذي بقي في سبعة آلاف فارس - في إيقافهم
حتى « خالطوا صفوف أهل الشام » (١٩٤) . وحاول بلج أن ينقذ الموقف بحيلة
خاطفة على الصفوية ، ونجح فعلا في شق جموعهم ، ولكن الهزيمة انتهت

(١٨٨) أخبار مجموعة ، ص ٢٢ .

(١٨٩) نفس المصدر .

(١٩٠) يضيف ابن عبد الحكم ال ما ذكرنا : أنه عندما « أشار حبيب بن أبي حبيبة الى
كلثوم أن يقاتلهم الرجالة بالرجالة ، والخيل بالخيل ، قال له كلثوم : ما الخيالة عن رأيك
يا بن أم حبيب » (ص ٢١٩) . وأنه عندما تازم الموقف عرض كلثوم القيادة على حبيب فرفضه
عليه : « قد فات الأمر » (ص ٢٢٠) ، وقارن ابن الأثير . سنة ١١٧ .

(١٩١) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٩ .

(١٩٢) أخبار مجموعة ، ص ٢٢ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٠ .

(١٩٣) أخبار مجموعة ، ص ٢٢ ، وقارن ابن خلدون (ج ١ ص ١١٩) السنن وهو
« وكان كيدهم في لئامهم إياه وملؤا المشنان بالحجارة وذبوا بالذئاب الكليل ، فانتفضع
الحجارة في شنائها فنفرت خيولهم واختل مصافهم . . . »

(١٩٤) نفس المصدر .

بانفصاله عن قوات عمه الرئيسية اذ حال انشوار بينه وبين الرجوع الى
عسكره . وانقلبت الآية ، وانقسم جيش كلثوم ، واحاطت جماعات من البربر
بينج ومعه عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة ، بينما وجه خالد بن حميد
الزقاتي قواته الرئيسية نحو كلثوم . وغلب الحوارج بكثرتهم واستماتتهم
جيش كلثوم ، وقتل حبيب بن أبي عبيدة ، ومنيت ارومي ، وهارون القرني ،
وسليمان بن أبي المهاجر ، وكثير من وجوه العرب وانهزمت قوات افريقية من
الخيالة والرجالة (١٩٥) ، اذ عبد الرحمن بن حبيب الذي بقي مع بلج (١٩٦) .

مقتل كلثوم :

وثبت كلثوم تباتا راثعا ، فجلس على منصته (ديدبانه) ترفرف عليه
راية قيادته ، وطلب من أصحابه أن يدافعوا عنه اذا نالت سيوف الحوارج ،
ويقتل وهو يتلو الآيات . « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم . . . » ،
وبها كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا . . . » (١٩٧) . وبمقتل
كلثوم في وقعة « بقدورة » سنة ١٢٣ هـ / ٧٤١ م (٧٤١) ، تقرر مصير المعركة
اذ أخذت الراية ، وانهزم الجيش الخلفي تماما نحو افريقية وتبعه البربر
يقتلون ويأسرون . « فثلث أهل الجيش مقتول . وثلث منهزم ، وثلث
مأسور » (١٩٩) .

حير بلج وأهل الشام في سيرة :

أما عن بلج وفرسانه فكان في المؤخره ، ومعه نعلبة بن سلمة وعبد
الرحمن بن حبيب . بقتل في خصومه قتلا ذريعا ، ولكنهم لم يمكنوه من

(١٩٥) أخبار مجموعة ، ص ٢٤ . ابن عسار ، ج ١ ص ٥٥ ، ابن عبد الحكم ،
ص ٢٤٠ .

(١٩٦) ابن عسار ، ج ١ ص ٥٦ . ابن الأثير ، أحداث سنة ١١٧ .

(١٩٧) أخبار مجموعة ، ص ٢٤ . القرآن الكريم ، سورة العنكبوت آية ١١١ ، سورة آل
عمران آية ١٤٥ .

(١٩٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٠ (هذا ولو أنه يذكر رواية أخرى عن الليث بن سعد
ببعض أن مقتل كلثوم كان في سنة ١٢٤ هـ) ، وقانون أخبار مجموعة (ص ٢٥) الذي يقول
(« يزول بلج الى الأندلس كان في سنة ١٢٣ هـ » ، وابن عسار ج ١ ص ٥٦ .

(١٩٩) أخبار مجموعة ، ص ٢٤٠ . وقانون ابن خياط (ج ٢ ص ٢٧٠) الذي يذكر - الى
جانب كلثوم - من أعيان القتل : محمد بن عبيد الله الأزدي ، وعزيم بن سعيد بن عمرو الحرشي .
وحبيب بن أبي عسار . كما يقول ابن عسار : « سبوا اللدنة » .

الملك بالهيش ، فلما فرغوا من كلثوم رجعوا إليه . وأمام كثرتهم الطاغية انسحب ماضيا في بلادهم ، وهم يتبعونه نحو الشمال . وحاول دخول طنجة فلم يستطع فسار الى مدينة سبتة الحصينة ، واعتصم بها (٢٠٠) . وسير الثوار الى بلج جيشا بقيادة زعيمهم الثاني وهو سالم أبو سيف الهوارى ، ولكن بلج بن بشر قتله ، وشتت رجاله (٢٠١) . وتوالت جيوش الخوارج على سبتة : كلما قضى بلج على جيش سيروا اليه آخر ، حتى هزم لهم خمسة جيوش أو ستة (٢٠٢) . وأخيرا رأى الصفرية ألا سبيل الا القضاء على بلج ورجال الا بتجويتهم ، وقطع الميرة عنهم .

ولما كانت الأرض حول طنجة عامرة كثيرة الثيرات فانهم قرروا تخريبها واقفارها حول المدينة على مسيرة يومين (٢٠٣) . ونجحت الخطة فعلا وأصبح قيام بلج ورجالها بالفارات البعيدة من أجل الحصول على الطعام أمرا صعبا ، فانقطع عنهم المعاش ، فجساعوا حتى أكلوا دوابهم (٢٠٤) ، واكلوا الجلود (٢٠٥) ، وما حملت الأرض من البقل والعشب (٢٠٦) . ورفض والى الأندلس المعجوز عبد الملك بن قطن المدني الأصل ، والذي حارب أهل الشام بالمدينة في وقعة الحررة سنة ٦٢ هـ / ٦٨٢ م ، أن يستجيب لاستغاثتهم باسم الطاعة لأمر المؤمنين ، وباسم العربية (العروبة) ، بل على العكس من ذلك تغافل بهم ، وسره هلاكهم ، وخافهم على نفسه ، وبلغ الخقد على أهل الشام من ابن قطن الى درجة أنه عاقب الزعيم اللخمي عبد الرحمن بن زياد الأحمم ، الذي أسفق على هلاك اخوانه على الشاطئ الآخر للزقاق ، فأرسل اليهم قارين قد شحنتهما بالشعير والأدم ، رغم أن ذلك لم يبلغ منهم مبالغا حتى أشرفوا على الهلاك (٢٠٧) .

(٢٠٠) أخبار مجموعة ، ص ٣٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٥ ، ابن خلوق ، ج ٢ ص ١١٩ .

(٢٠١) ابن عبد الحكم ، ص ٣٢٠ ، وقارن ابن خياط ، ج ٢ ص ٢٧٠ (حيث النص على ان النبي صبر لأبي يوسف - النبي يسميه ابن حميد خطأ - وهزم رجاله وقتله هو قائد مؤخرة جيش بلج واسمه حسان بن عتبة) .

(٢٠٢) أخبار مجموعة ، ص ٢٥ .

(٢٠٣) نفس المصدر .

(٢٠٤) أخبار مجموعة ، ص ٣٥ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ١٢٣ .

(٢٠٥) أخبار مجموعة ، ص ٣٧ .

(٢٠٦) أخبار مجموعة ، ص ٢٨ .

(٢٠٧) أخبار مجموعة ، ص ٣٧ - ٣٨ .

وأخيرا قبل ابن قطن مضطرا - (ولم ير شيئا .) اعسز له من الاستعداد بأهل الشام ، - الموافقة على نزول بلج ورجاله الى الأندلس ، ولكن بعد أن ثار البربر بالأندلس ، واقتلوا بأصحاب ميسرة فحلقوا رؤوسهم (٢٠٨) ، وقتلوا العرب ، وعجزت قواته عن قمع ثورتهم . وقبل ابن قطن ذلك شريطة أن يدفعوا له رهنا من قوادهم ، وعلى أن يعود أهل الشام ، بعد فراغهم من حرب البربر في الأندلس ، في نحو سنة ، الى افريقية جملة دون أن يفرقهم او يعرضهم للبربر (٢٠٩) .

الخوارج في المغرب الأدنى :

ووصلت أنباء الهزيمة الموجهة الى دمشق فكان لها رنة حزن عميق ، وأسف هشام بن عبد الملك على ما أصاب عصبيته من أهل الشام ، وتمنى لو أنه كان أضاف اليها قوات من أهل العراق وغيرهم ، لثلا يؤتى جيشه من قلة (٢١٠) . وحق للخليفة أن يأسف ، وحق له أن يحلف ، نحن بقى ليخرجن اليهم مائة ألف كلهم يأخذ العطاء ، ثم ليخرجن مائة ألف ، ثم ليخرجن حتى اذا لم يبق غير نفسه وغير بنيه ، أقرع بينه وبينهم ، ثم أخرج نفسه ان وقعت عليه القرعة (٢١١) .

والحقيقة ان انتصارات البربر الرائعة على جيوش الخلافة الكبيرة ، كانت نذيرا باشتعال الثورة في كل بلاد المغرب من طرابلس الى الأندلس ، كما كانت تعنى انتصار المنهج الخارجي بشكل ستكون له آثاره الدائمة في البلاد . فبعد مسير كلثوم الى طنجة ، انتفض البربر الخوارج في أقاليم نفاوة ، ما بين صبرة (سبراتة) وقابس . بمعنى أن القيروان أصبحت محصورة بين الثوار من الغرب والشرق أيضا . ففي منطقة قابس ثار عكاشة بن أيوب الفزاري الزناتي ، وهو خارجي صفري ، وأرسل أخا له نحو مدينة صبرة من طرابلس . حيث جمع قبائل زناتة في المنطقة ، وسار بهم نحو المدينة الجديدة

(٢٠٨) أخبار مجموعة ، ص ٣٨ ، ٤٠ ، وقارن ابن خلدون (ج ١ ص ١١٩) الذي

يقول عن بربر ميسرة : « وقد فحسوا عن أوساط رؤوسهم » .

(٢٠٩) أخبار مجموعة ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٦ ، ابن الأثير ،

سنة ١٢٣ .

(٢١٠) أخبار مجموعة ، ص ٣٦ .

(٢١١) نفس المصدر .

التي عرفت بسوق سبرت . والظاهر أنه اختار يوم الجمعة حيث اجتمع الناس ، وعلى رأسهم عاملهم حبيب بن ميمون ، في المسجد الجامع ، وضرب عليهم الحصار - كما يفهم من رواية ابن عبد الحكم (٢١٢) . ووقع تخليص صيرة الجديدة من أيدي الثوار على كاهل والي طرابلس ، وهو صفوان بن أبي مالك ، الذي خرج ونجح فعلا في هزيمة أخي عكاشة ، الذي فر إلى أخيه بقابس ، بعد أن ترك كثيرا من أصحابه الزناتية وغيرهم قتل في أرض المعركة (٢١٤) .

أما عن تأديب خوارج منطقة قابس - وهي من أرض إفريقية - فإنه آل إلى النائب الثاني لكثوم بن عياض في إفريقية ، وهو مسلمة بن سودة القرشي . وخرج مسلمة في أهل القيروان إلى عكاشة ، ولكنه لم يكن حسن الطالع مثل صفوان ، إذ انهزم أمام الفزاري ، وعاد إلى القيروان بعد أن فقد كثيرا من أصحابه - بينما لاذ بعضهم بمدينة قابس . هذا ما يفهم من رواية ابن عبد الحكم الذي يقول ، بعد أن يذكر عودة مسلمة إلى القيروان : « وتحصن عامة من كان مسح مسلمة من أهل القيروان ، وعليهم سعيد بن بجرة القساني » (٢١٤) . وينص ابن خياط على أن عكاشة رجع إلى مدينة قابس حيث كان عبد الأعلى بن عقبة مع سعيد بن بجرة في عسكر القيروان ، وضرب عليهم الحصار . . . ويفهم من الرواية أن هزيمة مسلمة في قابس كانت سببا في اضطراب عسكر قابس الذين اتفقوا ، في حصن المدينة ، حول الزعيم الشامي « أبو الخطار الكلبى » وعهدوا إليه بالقيادة ، ولكنهم عادوا ورضخوا لضغط أهل القيروان الذين تماسكوا بنائبهم القاضي عبد الرحمن بن عقبة (٢١٥) . ويورد ابن عبد الحكم بعد ذلك رواية تقول : إن صفوان بن أبي مالك ، والي طرابلس ، خرج بناء على أوامر لكثوم الذي كتب إليه يستنمده . وأن صفوان

(٢١٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٩ . وقارن ابن الأثير ، سنة ١١٧ .

(٢١٣) نفس المصدر .

(٢١٤) أنظر ابن عبد الحكم ، ص ٢١٩ - تحت القراء مسلمة بن سودة القرشي في نفس الصفحة ، ومسلمة بن سودة الجنامي في ص ٢٢١ . أما سعيد بن بجرة فيكتب في ص ٢٢١ في شكل سعيد بن بجرة ، وقارن الرقيق ، ص ١١٤ (حيث توجد أسطر في الرواية المنورة تشير إلى هزيمة مسلمة ، ورحيل عكاشة ، إلى المكسة ، وهي من حدود تهودة مما يلي سببية » - وهو ما يمكن أن يكون قد حدث اثر هزيمة عكاشة فيما بعد .

(٢١٥) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٢٧٠ . وأغلب الظن أن سوء معاملة لكثوم وابن أخيه بلج لأبي الخطار واليمانية في إفريقية هي التي جعلت أبا الخطار يقف هنا الموقف العدائي من نائب لكثوم . والمرجح أن يكون شعر أبي الخطار الذي وجهه إلى الأمويين وهو يشكو تحيزهم إلى اليمانية قد قيل في هذه الفترة (أنظر فيما سبق ، ص ٢٧٥ - ٢٧٧) .

عندما وصل الى قابس انتهى اليه خبر مقتل كلثوم فانصرف (٢١٦) .
 واظهار انه كان قد تم الاتفاق مسبقا بين والى طرابلس ونواب كلثوم
 بالقيروان على الانسحاب على عكاسته في قابس . فبينما كان صفوان يسير في
 اتجاه قابس ، كان سعيد بن بجرة ، ومن تحصن معه من اصحاب مسلمة بن
 سودة قد خرجوا اليه من قابس . وعندما احس الخزازي بأنه قد يقع بين
 شقي الرحى تنحى عن قابس ، واتخذ مواقع جديدة له على نهر يقال له الجملة
 على بعد ١٢ (اثني عشر) ميلا من قابس . ولكنه لما رجع صفوان الى طرابلس
 (اثر سماعه بنكبة كلثوم) رأى سعيد بن بجرة أن يسرع بقواته الى قابس
 حيث احتسى بأسوارها خوفا من عكاشة ، ولكن فلول المنهزمين في طنجة من
 جيش كلثوم أتت لتتخذ الموقف الصعب . فلقد نهض بهم عبد الرحمن بن
 عقبة الفخاري ، نائب كلثوم على الصلاة ، بعد أن استخلف على القيروان عبد
 الحميد بن ذويب ، وانتقى بعكاشة فيما بين قابس والقيروان ، في موضع يعرف
 بـ « الفحص الأبيض » ، وهزمه في صفر سنة ١٢٤ هـ / ديسمبر ٧٤١ - يناير
 ٧٤٢ م ، فلحق انصغري بطبنة عاصمة الزاب (٢١٧) .

و - حنظلة بن صفوان : انتقام الخلافة في وقتى الأصنام والقرن :

في هذه الظروف الصعبة عجل الخليفة هشام بن عبد الملك بتعيين والى
 مصر حنظلة بن صفوان الكندي ، أخى بشر بن صفوان ، واليا على المغرب ،
 وأمره بالمسير الى ولايته . وخرج حنظلة من مصر في ٣٠ (ثلاثين) ألف
 رجل (٢١٨) ، في ٧ من ربيع الآخر سنة ١٢٤ هـ / ١٨ فبراير ٧٤٢ م (٢١٩) ،
 ووصل الى افريقية بسرعة في أواخر هذا الشهر (٢٢٠) ، ثم سير اليه هشام

(٢١٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٦ .

(٢١٧) انظر تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢١ .
 النويري ، المخطوط ، ص ٨٦ ، وقارن الرقيق ، ص ١١٤ ، حيث الاشارة الى أن انصار
 قاضي القيروان عبد الرحمن بن عقبة على عكاشة كان في موضع الكنسة ، الذي كان قد انسحب
 اليه عكاشة عقب انتصاره على مسلمة على حدود تهودة . والأرجح أن يكون انسحاب عكاشة
 الى ذلك الموضع قد حدث عقب هزيمته أمام عبد الرحمن ابن عقبة الفخاري .

(٢١٨) أخبار مجوعة ، ص ٣٦ .

(٢١٩) الكندي ، ص ٨٢ ، عن ولاية حنظلة الثانية هذه لمصر فانظر ص ٨١ -
 ٨٢ ، ابن الأثير ، سنة ١٢٤ ، النويري ، المخطوط ، ص ٨٦ ، وقارن الرقيق ، ص ١١٥ -
 (٢٢٠) ابن عطارى ، ج ١ ص ٥٨ ، قارن ابن عبد الحكم ، ص ٢٢١ ، وابن خياط (ج ٢
 ص ٣٧١ ، ٣٧٦ ، الذي يجعل وصوله الى النصف من الشهر الثال - جماد الأولى ، أخبار مجوعة ،
 ص ٣٦ حيث يحدد ذلك بسنة ١٢٣ هـ .

بعد ذلك ٢٠ (عشرين) ألف رجل (٢٢١) . ورغم ما يقوله ابن عذارى من أن صفرية للمغرب توجهوا بعد مقتل كلثوم يريدون القيروان لاستباحتها ونهبها ، وهم في ٣٠٠ (ثلاثمائة) ألف رجل ، وأن أهل القيروان هزموهم ، وكانوا في ١٢ (اثني عشر) ألفا فقط (٢٢٢) ، فالظاهر أنه يقصد خوارج طرابلس وأفريقية ، وذلك أن الخطر الذي هدد القيروان في ذلك الوقت أتى من جانب عكاشة بن أيوب الفزاري ، ثم من خليفة عبد الواحد بن يزيد الهواري (ثم المنصفي) ، وكان صفريا هو الآخر . وهذا لا يمنع ، بطبيعة الحال ، من وجود علاقات قوية بين خوارج طنجة وخوارج أفريقية (٢٢٣) .

وفيما يتعلق بخوارج طنجة فيورد المالكى رسالة ينسب كتابتها الى العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز ، باسم حنظلة بن صفوان ، الى أهل طنجة : « ليقضى بها المسلمون ويعتقدون ما فيها » (٢٢٤) . وهذه الرسالة تبين طبيعة ما تدعو اليه آيات القرآن من الأمر بالمعروف ، والزجر عن المنكر ، والتبشير بالجنة ، والإنذار بالنار ، كما توضح أن من يحلل الحلال ويحرم الحرام ، مع الطاعة الواضحة والنية الصالحة ، « فقد أفلح وأنجح ، وحيا حياة الدنيا والآخرة » (٢٢٥) . وهذه الرسالة وإن كان يمكن الشك في أصلتها من حيث الشكل فإنها مقبولة من حيث الموضوع إذ تبين أن حنظلة استخدم السيانية لدعوة ثوار طنجة الى الدخول في الطاعة سلميا .

وفيما يتعلق بعكاشة فإن حنظلة سير اليه عبد الرحمن بن عقبة الفزاري الذي نزل بلاد الزاب في شهر رمضان / أغسطس ، وتمكن من هزيمته ومن

(٢٢١) أخبار مجموعة ، ص ٣٦ .

(٢٢٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٦ .

(٢٢٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ ، وانظر الرضى ، ص ١٥ - ١٦ - ١٨ . ابن الأثير - سنة ١٦٧ (يسميه « المنصفي ») . التويرى ، المحفوظ ، ص ٨٦ أ ، وكذلك ص ٨٦ ب تحت بقول ابن عبد الواحد - كان في ٣٠٠ « ثلاثمائة » ألف رجل . وقارن ابن خياط (ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١) : حيث الإشارة الى أن الذي وجه عبد الواحد بن يزيد الهواري الى أفريقية هو إمام الصفرية في المغرب المنصفي : خالد بن حميد - خليفة ميسرة .

(٢٢٤) المالكى ، رياض النفوس ، ترجمة سميد بن مسعود النجيبى رقم ٣٦ ، ج ١ ص ٦٧ ، وعن التابعين العشرة انظر فيما سبق ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٢٢٥) المالكى ، رياض النفوس ، ج ١ ص ٦٧ .

معه من الصفريّة من جديد مرتين (٢٢٦) ، وأخرجه من طبنة . ولكنه عندما انضم
عند الواحد بن يزيد الهواري الى عكاشة لم يستطع عبد الرحمن بن عقبة ،
وهو في أهل الزاب ، من الوقوف أمامها ، فانهزم وقتل ، وذلك في منتصف
ذي القعدة من نفس سنة ١٢٤ هـ / ٢١ سبتمبر ٧٤٢ م (٢٢٧) .

والظاهر أن ذلك الانتصار الذي حققه الصفريّة على قوات القيروان في
أقليم الزاب كان السبب في بدء النزاع بين عكاشة وعبد الواحد على من تكون
له الرئاسة منهما . والظاهر أن عبد الواحد بدأ يعمل لحسابه الخاص ، فوجه
أنشازه نحو مدينة تونس ، وعندما سير اليه حنظلة بن صفوان قائده ثابت
ابن خنم ليقطع عليه الطريق تمكن عبد الواحد من هزيمة جيش القيروان وقتل
ثابت ، وذلك في أول صفر سنة ١٢٥ هـ / ٤ ديسمبر ٧٤٢ م . وهنا اتضح
لحنظلة صعوبة التمسك بمدينة تونس ، فترك لواليتها المستنير بن الحبحاب
الحرشى حرية الدفاع عنها أو الجلاء ، ففضل المستنير الخروج منها ، وقدم الى
القيروان بعائلات الجنود (٢٢٨) .

وهكذا تهيأت مدينة تونس للمقوط كثرة ناضجة بين يدي عبد الواحد
الذي استولى عليها ، وهناك بايعه أصحابه (٢٢٩) . ورغم ما تنص عليه رواية
خليفة بن خياط من أن مبايعة عبد الواحد بالخلافة في تونس لم تلق قبولا
حسنا لدى خالد بن حميد ، امام الصفريّة في طنجة ، وأن هذا الأخير سير
واحدا من قواده ، هو عبد الأعلى المعروف بزوزور ، مولى موسى بن نصير ،
في الحيل ، وأمره أن يجعل لواء عبد الواحد وأن يولي أمر أصحابه (٢٣٠) ، فمن
الواضح أن كلا من عبد الواحد وعكاشة كان يعمل في إفريقية لحسابه الخاص .
والظاهر أن الزعيمين الصفريين فكرا في أن من تكون له الامامة حقا هو الذي

(٢٢٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ ، ابن خياط ، ج ٢ ص ٣٧٠ .

(٢٢٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ ، ابن خياط ، ج ٢ ص ٣٧١ (حيث الإشارة الى

انه قتل مع عبد الرحمن بن عقبة : مروان بن عثمان الساسي ، ومحمد بن يوسف بن بصر .

كما استولى عبد الواحد على عيالات أهل طبنة) ، وانظر ابن خضاري ، ج ١ ص ٥٨ الذي

ينقل الرقيق ، ص ١١٦ (حيث يقول النص أن عكاشة وعبد الواحد التبرا من الزاب) .

وقارن النويري ، ص ٨٦ والترجمة ج ١ ص ٣٦٣ .

(٢٢٨) انظر تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٧١ .

(٢٢٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ (يقول ابن عبد الحكم انه سلم عليه بالخلافة .

والاصح بالامامة كما كانت عادة الخوارج في ذلك الوقت) .

(٢٣٠) انظر ابن خياط ، ج ٢ ص ٣٧١ .

يستولون على القيروان أولا ، وذلك أنهما بدأ في سياق نحو العاصمة الإفريقية (٢٣١) ، فسار إليها عكاشة على طريق مجانة (على الحدود التونسية الجزائرية) بينما أخذ عبد الواحد على طريق جبال باجة وعلى مقدمته قائد أبو قررة المظيلي (٢٣٢) ، وأرسل اندازا إلى حنظلة بإخلاء القيروان (٢٣٣) .

ويرجع الفضل إلى القطعة الجديدة التي اكتشفت من تاريخ الرقيق في إضافة معلومات تفصيلية أصالتها كتب الذين نقلوا من الرقيق ، كما لا نجد لها ذكرا في رواية ابن عبد الحكم التي تعتبر أقدم رواية كاملة عن هذه الأحداث والتي يظهر أثرها في رواية الرقيق في كثير من المواضع ، مما دعانا إلى اعتماد الترتيب الزمني الذي قرره ابن عبد الحكم لتلك الأحداث ، والذي يجعل وقعة الأصنام قبل وقعة القرن ، على عكس رواية الرقيق وجمهرة انكتاب الذين نقلوا عنه . ولو أن رواية الرقيق تشير فعلا إلى أخذ عكاشة بعد مقتل عبد الواحد ، إلى جانب تفصيلات عن معركة القيروان ، الأمر الذي يظهر أيضا في النويري (٢٣٤)

ففيما يتعلق بحرب عبد الواحد يضيف الرقيق رواية لعمر بن غانم تقول: ان حنظلة أرسل إليه في منطقة باجة جيشا عظيما بلغ عدده ٤٠ (أربعين) ألف فارس - حسبما تبأخ الرواية على ما نضن - بقيادة رجل من لحم . ويفهم من الرواية أن المنطقة الجبلية الوعرة لم تكن مناسبة لقتال الخيالة التي انهزمت بعد شهر من القتال في ظروف غير مواتية ، منها : افتقاد العلف للخيل إلى جانب وعورة الأرض . ومن الراجع أن الرواية تبأخ أيضا عندما تقول أن القائد اللخمي عندما عاد مهزوما من باجة إلى القيروان دفعة واحدة ، أحصى فرسانه فوجد أنه فقد نصف قوته ، أي ٢٠ (عشرين) ألف فرس ، وان كان ذلك بسبب المرض الذي تفشى في الخيسل نتيجة لإطعامها القمح بدلا من الشعير (٢٣٥) .

(٢٣١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ .

(٢٣٢) ابن عساري ، ج ١ ص ٥٨ . وقارن الرقيق ، ص ١١٦ (حيث الاسم أبو عسرة

المظيلي) ، ابن عبد الحكم (ص ٢٢٢) (حيث الاسم أبو قررة العقيلي ، النويري (ص ٨٦) والترجمة ج ١ ص ٣٦٣) . حيث القراءات - عن الرقيق - « أبو عسرة المظيلي » ثم « العسكي » .

(٢٣٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ .

(٢٣٤) الرقيق ، ص ١٢٢ ، النويري ، ص ٨٦ ب ، والترجمة (ص ٦٢٤) .

(٢٣٥) أنظر الرقيق ، ص ١١٨ ، وقارن ابن الأثير (أحداث سنة ١١٧ هـ) الذي ينقل

عن الرقيق - وكذلك النويري (المخطوط - ص ٨٦ ب) .

(م ٢٠ - تاريخ المغرب العربي)

وعندما وصل نبأ زحف البربر في جموعهم الجديدة إلى القيروان توقع
اناس سوء المصير ، وظنوا أنهم سيسبون ، فسرى الفزع والرعب في المدينة
حتى أن الرسول لم يكن يخرج من عند حنظلة إلى مسيرة ٣ (ثلاثة) أميال
ليأتيه بالأخبار إلا بخمسين ديناراً (٢٣٦) . وانتهى الأمر بأن توقف عسكر
كل من عبد الواحد وعكاشة بالقرب من القيروان : الأول على بعد مرحلة ، في
موضع يعرف بالأصنام - لوجود آثار وتمائيل قديمة في المكان على ما نظن - ،
والثاني على مسافة ستة أميال بموضع يعرف بانقرن (٢٣٧) . ولا نعرف إن كان
ذلك قرب الجبل الذي يعرف بهذا الاسم حيث كان قيروان معاوية بن
حديج (٢٣٨) . واستعد حنظلة ورأى أن يتخذ موقفاً دفاعياً في القيروان ، فحفر
لها خندقاً ، وفكر في أن يطلب المدد من الخلفة ، ولكن مستشاريه نصحوه
بأخروج وملاقاة العدو (٢٣٩) ، فكتب إلى واليه على طرابلس ، معاوية بن
صفوان ، بأخروج لمعنته (٢٤٠) .

الأصنام :

وانتهز حنظلة فرصة اختلاف عدويه ، وقرر نفاء كل منهما على حدة .
وفي سبيل ذلك عمل على ألا يتفقا ضده من جديد ، فرأس عكاشة ، وأخذ
يرهبه ويتنيه (٢٤١) . وأخرج حنظلة كراً ، كان في خزائنه من الأموال والسلاح

-
- (٢٣٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ ، وقلان الرقيق (ص ١١٩) حيث النصر على أن حنظلة
كان يدعو خمسين ديناراً كعشاء للجنة الذين أخرجوه نبتال عبد الواحد ، فما كبروا انقصهم
في ٤٠ (أربعين) م أو ٣٠ (ثلاثين) .
- (٢٣٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ . ونشر الرقيق ، ص ١١٨ (التي ينقل منه
البربري (ص ٨٦ ب والشرح ج ١ ص ٣٠٣) التي يجعل الأصنام في بلد جراوة على بعد
٥٠ ميل من القيروان .
- (٢٣٨) أنظر فيما سبق ، ص ١٧١ . والظاهر أنه كان في البلاد أكثر من موضع عرف
بالأصنام وبالعرب : شاندريس (ص ١٢٥) يذكر موضعين بين قصور حسان وسرت يعرفان
بهم بن العاسين . وعن امكابة أن يكون المقصود بالأصنام موضع جلولا . حيث كانت المعركة ،
أنظر فيما بعد ، ص ٣٠٨ .
- (٢٣٩) ابن علقمة ، ج ١ ص ٥٨ ، وقلان أصح الرواية في الرقيق ، (ص ١١٦) حيث
يصر على أن الذي دفع فكرة الفتنة الخنوق ، وحرم على الخروج إلى العدو . هو : عمرو بن
عماد القرسي الذي كان شاباً حدث السن .
- (٢٤٠) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ .
- (٢٤١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ (ربما كان موضوع تلك المراسلة هذا الخطاب الذي
ترجمه في كتابي والذي قلل أن حنظلة أرسله إلى بربر طمعة (أنظر فيما سبق ص ٣٠٣) .

وفرقها في أعلى القيروان الذين أقبلوا على الانفخاط في فترات، حتى أنه عبأ في ليلة المعركة ٥ (خمسة) آلاف درع وخمسة آلاف فأيل، مما جعله يتفحص المعطاء بشكل مطرد من ٥٠ (خمسين) إلى ٤٠ (أربعين) ثم إلى ٣٠ (ثلاثين) ديتارا، كما أنه صار ينتخب المنطوعين فلم يعد يقدم إلا الشباب القوي (٢٤٢) . وهكذا أخرج حنظلة قوات أهل القيروان خرب عبد الواحد، وعلى رأسهم محمد ابن عمرو بن عقبة (٢٤٣) . وتحت امرته، على المقدمة (الطلائع)، شعيب بن عثمان، وعلى المؤخرة (النساق) عمرو بن حاتم، وعلى اليمين عبد الرحمن ابن مالك الشيباني (٢٤٤) ، وهم مسمون على الحرب انكليية، حرب المستقتل اليانس : فاما كسب المعركة من الصفرية واما خسارة كل شيء من ذراري ونساء وأموال (٢٤٥) . وبدأ حنظلة بأقرب وأخطر عدوية وهو عبد الواحد ابن يزيد الهواري، فصبحة على حين غرة بالأصنام . وكانت معركة مجيدة بالنسبة لعرب القيروان . فلقد اصطف الجيشان قلبا ويمينة وميسرة حسب تكتيك المارك في ذلك الوقت، وقام العلماء في أهل القيروان بحثونهم على الجهاد، وخرج اليهم نساؤهم يعرضنهم على حسن القتال، وبعد المبارزة بين بعض الأبطال « التحم القتال، وتداعى الأبطال، ولزم الرجال الأرض، فلا نسمع الا وقع الحديد على الحديد، وتقابض الأيدي بالأيدي » (٢٤٦) . وبدأت المعركة بهجوم يمينة عبد الواحد على ميسرة حنظلة فكسرتها، ولكن القيروانيين نجحوا بدورهم في هزيمة ميسرة البربر وقلبهم، ثم أتبعوا ذلك بالهجوم على يمينتهم المنتصرة فحطموها، فكانت هزيمة عبد الواحد الذي قتل في

(٢٤٢) أنظر الرقيق، ص ١١٩ . وقارن النويري، المخطوط، ص ٦٨ ب، والترجمة ج ١ ص ٣٦٤ .

(٢٤٣) ابن عساري، ج ١ ص ٥٩ .

(٢٤٤) أنظر الرقيق، ص ١١٩ - ولو أن الرواية لم تذكر لمن كانت قيادة الميسرة .

(٢٤٥) ابن عساري، ج ١ ص ٥٩، وقارن الرقيق، ص ١٢٠ (حيث الإشارة الى تعرض الفقهاء لجنود القيروان على الجهاد، وكيف أنهم « ذكروا مذنب عدونا الخوارج وعظم ما يربطونه بنا من السبي وهتك الحرم وسفك الدم، وأنه ليس ملجا بعد هذا المقام » . وإلى جانب ذلك يشير النص الى خروج نساء القيروان أيضا وقد عقدن الألوحة وحملن السلاح، وحلفنا (حلفن) لأزواجهن : لئن انهزم أحد منكم اليانا موليا عن العدو لنقتله . وعلمن ما يرون (يريد) من الصفرية من السبي والعبودية

(٢٤٦) ابن عساري ج ١ ص ٥٩ . وقارن الرقيق، ص ١٢١ - ١٢٢، وأنظر ابن الأثير

المعركة (٢٤٧) . ونتج الحرب أصحابه الصفرية حتى جلولا . يقتلونهم قتلا
« ما يدري ما هو ، وهرب من حرب منهم » (٢٤٨) . ومن الجائز أن يكون المقصود
بالأصنام ، فعلا ، هو جلولا لوجود الآثار القديمة بها ، كما يرى جاتو (٢٤٩) .

القرن :

والذي يفهم من انصوص آه ما أن انتهى حنظلة من القضاء على عبد
الواحد حتى سار رجاله المظفرين نحو عكاشة في موضع القرن ، قبل أن يبلغه
نبا مصرع حليفه بالأمس ، ومقاتل اخوانه صفرية هواره . وانقض القيروانيون
بكل ما بعته فيهم النصر من الحماس والقوة على عكاشة الذي أخذ من هول
المفاجأة ، ولكنه لم ينهزم الا بعد جولات من الكر وانخر يصفها الرقيق ووصفا
رائعا عندما يقول : « وكانت النساء قد ركين ظهور البيوت بالقيروان ، فاذا
رأين الغيار (غبار المعركة) سائرا الى الجبل كبرن وسجدن ، واذا رأينه مقبلا
(نحو القيروان) صرخن واستغفن (٢٥٠) . وأخيرا تمت الهزيمة على أصحاب
عكاشة الذي فر من ميدان المعركة ، ولكنه أخذ وجيء به أسيرا الى حنظلة الذي
قتله ، وخر لله ساجدا شاكرا (٢٥١) .

(٢٤٧) انظر الرقيق ، ص ١٢٢ : تحت اسارة تعصيلية ان هزيمة مسرة العرب الى
ما وراء نهر ناه . وقارن ابن عسارى ، ج ١ ص ٥٩ . وقارن ابن الأثير (سنة ١١٧) ،
وكذلك النويرى (المخطوط ، ص ٨٦ - والترجمة ج ١ ص ٣٦٣ - ٣٦٤) حيث هزيمة عبد
الواحد بعد هزيمة عكاشة . ولو أنه توجد في الرقيق ، بعد ذكره الأصنام اشارة الى مقتل عكاشة
بعد عبد الواحد ان حسب تفصيلات عن وقعة القرن ، مما يزيد أن معركة الأصنام كانت سابقة
عن وقعة القرن .

(٢٤٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢٣٠ . وقارن الرقيق ، ص ١٢٢ ، وابن الأثير سنة ١١٧ .
ومن الجائز أن يكون المقصود بالأصنام هو جلولا لوجود الآثار القديمة بها ، كما يرى جاتو
(ترجمة ابن عبد الحكم هامش ١٥٩ مكرر) .

(٢٤٩) انظر ترجمة ابن عبد الحكم ، هامش ١٥٩ مكرر .

(٢٥٠) الرقيق ، ص ١١٧ . وحيث نجد ذكرا لمشاركة حبيب بن أبي عبيد في هذه المعركة
مع آه من المعروف أنه كان قد قتل في معركة بقلوة (انظر فيما سبق ص ٢٩٧ وهـ ١٩٤
ص ٢٩٨) ، وهذا ما نص عليه الرقيق نفسه بعد ذلك (ص ٢٢٣) .

(٢٥١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ ، وقارن الرقيق الذي يجعل هزيمة عكاشة قبل هزيمة
عبد الواحد (ص ١١٦) ثم يعود لينهى الرواية بمقتل عكاشة مع تفصيلات عن وقعة القرن بعد
مقتل عبد الواحد ، (ص ١٢٢) . وهذا ما يظهر فيما ينقله عنه النويرى والمخطوط ، ص ٨٦ ا
والترجمة ج ١ ص ٣٦٣ ثم ص ٨٦ ب والترجمة ص ٦٣٤ ، وابن الأثير (سنة ١١٧) . ثم
ابن عسارى وضع أنه يجعل هزيمة عكاشة أولا (ص ٥٨ : ذابا مع القرن والأصنام بعد ذلك =

وهكذا تم النصر الذي أحرزه حنظلة في وقعة « الأصنام » بالظفر في وقعة « القرن » وذلك في أواخر سنة ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م (٢٥٢) أو أوائل سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م (٢٥٣) . وبذلك ثار العرب لهزائمهم من البربر في طنجة ، وفي « الأشراف » (شلف) ، وفي « بقدورة » (سبو) ، وكان للنصر رنة فرح عميقة في المشرق حتى بالغ الكتاب في عدد القتلى من بربر الصفرية ، فقالوا انهم بلغوا ١٨٠ (مائة وثمانين) أنفا (٢٥٤) . ولقد علق فقيه مصر وراويها المشهور ، النيث بن سعد ، على ذلك النصر فاعتبره من انتصارات الاسلام الفاصلة حتى قارن الوقعة بغزوة بدر اذ قال : « ما من غزوة كنت أحب أن أشهدا ، بعد غزوة بدر ، أحب الى من غزوة القرن والأصنام (٢٥٥) .

تأديب خوارج طرابلس :

وأتبع حنظلة القضاء على خوارج افريقية بتأديب خوارج نفزاوة . فعندما هدده الصفرية في القيروان ، كان قد أرسل الى واليه على طرابلس ، وهو معاوية بن صفوان ، يطلب منه المدد . وخرج ابن صفوان بجند طرابلس لتجديده ، ولكنه ما أن وصل الى قابس حتى آتته أنباء القضاء على الثوار في الأصنام والقرن (٢٥٦) ، وآتته الأوامر من حنظلة بمطاردة خوارج البربر في نفزاوة ، وكانوا قد هاجموا أهل الذمة هناك وسبواهم . وسار معاوية بن صفوان نحو الثوار ، ونجحت قواته في هزيمتهم « واستنقاذ ما كانوا قد أصابوه من أهل الذمة ، ولكن معاوية دفع حياته ثمنا لهذا النصر ، وعين حنظلة فهد أبناء عصبته ، وهو زيد بن عمرو الكلبي قائدا لجيش ابن صفوان ، فعاد به الى طرابلس (٢٥٧) .

-
- في معركة واحدة (ص ٥٩) . اما ترتيب ابن عبد الحكم الذي أخذنا به فهو وثوق وأوضح (أنظر هامش ١٩٥ من ترجمة جاتو) .
- (٢٥٢) أخبار مجموعة ، ص ٣٧ .
 - (٢٥٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ .
 - (٢٥٤) أنظر الرقيق ، ص ١٢٢ ، وقارن ابن عفار ، ج ١ ص ٩٥ ، ابن الأثير سنة ١١٧ ، النويري ص ٨٦ ب والترجمة ، ج ١ ص ٣٦٤ . (ولم يكن عدم الا بعد أن طرح على كل قبيلة قسبة ثم جمعت القسب فكانت ١٨٠ ألفا - والرقيق يذكر أن عملية الحد القريبة منه تمت بعد مقتل هكاشة) .
 - (٢٥٥) أنظر الرقيق ، ص ١٢٢ ، ابن عفار ، ج ١ ص ٥٩ ، النويري ، ص ١٨٧ .
 - وقارن ابن الأثير ، سنة ١١٧ (ما لغزوة الى الآن تشد بعد غزوة بدر من غزوة العرب بالأصنام) .
 - (٢٥٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ .
 - (٢٥٧) ابن عبد الحكم ، ص ٣٢٣ .

ووصلت أنباء النصر على أعداء الخلافة إلى هشام بن عبد الملك ، وهو
يجود بأنفاسه على فراش المرض في سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م . وبذلك بر هشام
بقسمه ، وثارت الدولة الأموية من خصومها في المغرب ، ولكنها كانت يقظة
أشبه بصحوة الموت - فهشام كان آخر عظماء خلفاء بني أمية ، وكان جده
وكفاحه ، في سبيل المحافظة على وحدة الدولة العربية ، سببا في أن قيل فيه
على لسان المنصور العباسي أنه « رجل القوم » . فلقد خلف هشاما عند من
الأمراء الضعاف الذين لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث ، فشهدوا اضمحلال
الدولة ثم مصرعها . حقيقة ان الثورة التي أصرمت المغرب نارا تشتعل أمكن
إيقافها ان لم يكن التغلب عليها ، ولكنه في الوقت الذي كانت الدولة تقضى
على خصومها الخوارج في المغرب ، كانت الدعوة إلى آل البيت في المشرق تقوى
وتخرج من دور المعارضة الصامتة إلى دور الثورة الرائعة . وكان لانشغال
الأمويين في الصراع ضد العباسيين في المشرق آثاره على بلاد المغرب التي
تركت لمصيرها ، فانقطعت العلاقة بينها وبين دمشق ، وتضرب على أقاليمها
المتغلبون من خوارج ومغامرين وغيرهم .

الباب الرابع

ما بين الاستقلال والتبعية للخلافة

أحوال المغرب على أواخر الامويين وقيام العباسيين

الفصل الأول : الفهرين بنو عقبة بن نافع القرية .

الفصل الثاني : العصر الذهبي للخوارج :

المغرب ما بين الصفوية والاباضية .

الفصل الثالث : المهليون في القرية .

الفصل الأول

الفهريون بنوعقبه بن نافع في إفريقية

١ - عبد الرحمن بن حبيب الفهري والعودة من الأندلس :

بعد أن هزم حنظلة بن صفوان الخوارج في إفريقية سنحت له الفرصة لكي يمد سلطان الخلافة من جديد إلى الأندلس ، وكانت قد اضطربت منذ ثورة البربر بها سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م . ثم بنزول أهل الشام إليها بقيادة بلج ابن بشر . فقد طلب عقلاء أهل الأندلس من حنظلة أن يرسل إليهم واليا ينشر السلام ويقر الأمور ، فأرسل إليهم أحد أبناء عصبته ، وهو أبو الخطار الحسام ابن ضرار الكلبي ، الذي كان عاملا لأخيه بشر بن صفوان من قبل في المغرب ، والذي كان قد بويع أميراً لفترة ما في قابس بعد محنة كلثوم بن عياض (١) .

ولما كان المغرب وقتئذ مضطرباً أخذ أبو الخطار طريق البحر من تونس إلى الأندلس ، فقدمها في رجب سنة ١٢٥ هـ / مايو ٧٤٣ م (٢) ، ونجح بفضل سنه وعصبته ، ولأنه من أعيان أهل الشام ، في فرض سلطانه على الجميع . ولكن أبا الخطار ، في الوقت الذي ضبط الأندلس ، تسبب - من حيث لا يدري - في الاطساحة بزعيم عصبته ورئيسه ، وإلى المغرب ، حنظلة بن صفوان . فقد كان ضمن الاجراءات التي اتخذها أبو الخطار اخراج زعماء انفتنة من الأندلس ، وكان من هؤلاء عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهري ، وثلعة بن سلمة العاملي ، اللذان كانا مع بلج بن بشر في سبتة ثم عبرا معه إلى الجزيرة الخضراء . فقد كان هناك تحاسد وتنافس بين بلج بن بشر وعبد الرحمن بن حبيب منذ النقيا في إفريقية (٣) ، وحصل

(١) انظر أخبار مجموعة ، ص ٤٥ ، وانظر فيما سبق ، ص ٣٠١ وهـ ٢٦٥ .

(٢) انظر أخبار مجموعة ، فائمة الولاة ، بالاسبانية ، ص ٣٤٢ ، وقارن ابن عناري

(ج ١ ص ٥٨) الذي يحدد ذلك برجب ١٢٤ هـ .

(٣) انظر فيما سبق ، ص ٢٩٥ .

عبد الرحمن بن حبيب حقه على بلج الى الأندلس (٤) ، وحاول أن يتقلب على البلاد ، فاشترك في حرب بلج بن بشر عندما آلت اليه الرياسة ثم في مناهضة ثعلبة بن سلمة بعد بلج ، ولكنه فشل .

وهكذا أخرج أبو الخطار من الأندلس عددا من زعماء جند الشام ، ممن انغمسوا في الفتنة ، منهم ثعلبة بن سلمة وعبد الرحمن بن حبيب (٥) . وسار ابن حبيب في البحر الى افريقية ، واستقر بتونس (٦) ، بينما لحق ثعلبة بحنظلة في القيروان (٧) ، وذلك في أواخر سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م أو أوئل سنة ١٢٦ هـ ، أي قبل مقتل الخليفة الوليد ابن يزيد (جمادى الآخرة سنة ١٢٦ هـ / مارس ٧٤٤ م) . فعندما وصلت أنباء مقتل الوليد الى افريقية خرج ثعلبة وكبار قواد أهل الشام بافريقية الى المشرق (٨) . وكان اضطراب أمور الخلافة في الشام فرصة سانحة انتهزها عبد الرحمن بن حبيب ، لمحاولة تحقيق ما فشل فيه في الأندلس في بلاد المغرب ، حيث كان لوالده مقام مرموق ، كما رأينا .

التغلب على القيروان :

قام عبد الرحمن في تونس ، وودعا الناس الى نفسه فأجابوه (٩) ،

(٤) انظر ابن عبد الحكم (ص ٢٢) الذي يقول : ان عبد الرحمن بن حبيب تقلم أهل بلج الى الأندلس ... و امر عبد الملك بن قطن الا يسح لبج ولا يطيمه .
(٥) أخبار مجموعة ، ص ٦٤ ، ابن عذاري ج ١ ص ٦٠ ، وقارن ابن الأثير سنة ١١٧ هـ والنويري ص ٨٧ أ : حيث ينقلان عن الرقيق (ص ١٢٢) ان عبد الرحمن خرج من الأندلس وهو مستتر أو خائف .

(٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٦٠ .

(٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ .

(٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ . وقارن ابن عذاري الذي يقول عن أحداث سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٣ - ٧٤٤ م « انه لم يكن في هذه السنة بافريقية أمر » (ج ١ ص ٥٩) ، والذي يقول بعد ذلك (قلا من الرقيق ، ص ١٢٢) ان نزول عبد الرحمن بن حبيب بتونس كان في جمادى الأولى سنة ١٢٧ هـ / فبراير ٧٤٥ م (ج ١ ص ٦٠ ، النويري ، ص ٨٧ أ والترجمة ج ١ ص ٣٦٤) . والحقيقة ان ذلك كان وقت تغلبه على افريقية ، كما سنرى . وما يرجح تاريخ ابن عبد الحكم هو ان ابن عذاري نفسه يضع تلك الأحداث تحت سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٣ - ٧٤٤ م ، قبل ان يذكر أحداث سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ - ٧٤٥ (ج ١ ص ٦٢) - هذا كما ان ابن خلدون يجعل استيلاء عبد الرحمن بن حبيب على افريقية في سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م (انظر العبر ج ٦ ص ١١١ والترجمة ج ١ ص ٢١٨) .

(٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٦٠ ، وقارن الرقيق (ص ١٢٢) الذي ينقله النويري ، =

ثم حشد قوة ، وأزمع طرد حنظلة من افريقية (١٠) . وفكر حنظلة في قتال عبد الرحمن ، ولكن ورعه غلب عليه ، ورأى أن يستخدم السياسة والمداراة في اقناع القهري بالرجوع إلى الطاعة ، واجتنب الفتنة (١١) . وأرسل حنظلة وفدا من ٥٠ (خمسين) رجلا من أعيان القيروان إلى مدينة تونس لمفاوضة عبد الرحمن . وعندما أشرف الوفد على أبواب تونس ، وصلتهم أنباء ولاية مروان بن محمد الخلافة ، فترادوا العودة من حيث أتوا ، ولكن عبد الرحمن ابن حبيب أسرع فأرسل جماعة من فرسانه ساقتهم إليه بتونس (١٢) . وتشير النصوص إلى سوء معاملة عبد الرحمن لأفراد الوفد إذ أنه وضعهم في الحديد (١٣) .

وينفرد ابن عبد الحكم بإشارة إلى سبب سحق عبد الرحمن عليهم إذ يقول : « ووجد عبد الرحمن عليهم خروجهم إليه ، وكانوا قد كاتبوه قبل ذلك سرا من حنظلة ، فلما بلغتهم ولاية مروان نزعوا عن ذلك » (١٤) . وهذا النص يبين أن زعماء القيروان وافقوا على مبايعة عبد الرحمن بن حبيب على افريقية في الوقت الذي اختلت فيه الخلافة بالشرق ، فشغرت أو كادت بعد مقتل الوليد بن يزيد ، وعلى أيام قاتله يزيد بن الوليد ثم ابن هذا الأخير إبراهيم . فلما تم الأمر لمروان بن محمد اعترفوا بخلافته ، ورجعوا عما كانوا اتفقوا عليه مع عبد الرحمن . وهذا يعني أن أحداث الخلافة في المشرق كانت لها أصدائها - وهذا أمر طبيعي - على الأحوال في المغرب .

والظاهر أن عبد الرحمن بن حبيب اعتبر ابتداءً أن خروج وفد القيروان إليه ، ثم تقريرهم العودة إلى حنظلة ، وهم على أبواب تونس ، أخلايا بما وعدوا به أو نكثا بالعهد يستحقون عليه العقاب ، فوضعهم في الحديد . ثم انه قرر

= ص ٨٧ (حيث النص على أن عبد الرحمن نزل أو عسكر في سمنجة بعد نزوله تونس)
والترجمة ج ١ ص ٣٦٤ (حيث القراءة الصحيحة « نسخة سجوم ») ، وابن الأثير سنة ١٢٦ .
(١٠) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ .
(١١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٦٠ ، وفلان الرقيق ، ص ١٢٣ (النويري المخطوط ، ص ٧٨) والترجمة ، ج ١ ص ٣٦٥ .
(١٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ .
(١٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٦٠ ، وقارن الرقيق ، ص ١٢٤ (النويري ، المخطوط ، ص ٨٧) والترجمة ، ج ١ ص ٣٦٥ .
(١٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ .

العمل الايجابي فساق أفراد الوفد ، وهم في وثاقهم أمامه ، وسار نحو
 القيروان وعسكر بالقرب منها (١٥) . وأرسل عبد الرحمن الى حنظلة انذارا
 يطلب فيه أن يخلى له العاصمة خلال ٣ (ثلاثة) أيام ، وأكثر من هذا حذر
 صاحب بيت المال من إعطاء حنظلة أكثر مما يستحقه من عطائه (١٦) . ولكي
 يقطع على حنظلة وأهل القيروان قيامهم بأي عمل من أعمال العنف ضده ،
 هددهم بقتل رهائنهم عنده ، فأعلن : « ان رمى أحد من أوليائهم بحجر
 قتلهم » (١٧) . وأسقط في يد الوالي الورع أمام دعاه خصمه المفاخر الصعب
 المثال ، ورأى أن يحقن دماء المسلمين ، وأن يعود - كما فعل أهل الشام من
 قبله - الى المشرق . فدعا القاضي والشهود والعدول ، وفتح أمامهم بيت المال ،
 ولم يأخذ منه الا ألف دينار فقط ، وترك الباقي وقال : « لا ألبس منه الا بقدر
 ما يكفيني ويبلغني » (١٨) . وفي شهر جمادى الأولى من سنة ١٢٧ هـ / فبراير
 ٧٤٥ م ، خرج حنظلة في جماعة من أصحابه من القيروان غير آسف ، ودخلها
 عبد الرحمن بن حبيب (١٩) الذي منع الناس من السير مع حنظلة أو الخروج
 لتتسيبته (٢٠) .

أعمال عبد الرحمن بن حبيب : ثورات الأقاليم :

وهكذا نجح عبد الرحمن بن حبيب في التغلب على افريقية ، وأخذ يعمل
 جاهدا على تثبيت أقدامه في البلاد حتى تكون ملكة له ، ولبنته من بعده .

- (١٥) ابن عسار ، ج ١ ص ٦٠ ، وقارن الرقيق ، ص ١٢٤ .
 (١٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .
 (١٧) ابن عسار ، ج ١ ص ٦٠ (النويري ، ص ١٧٨ والترجمة ، ج ١ ص ٣٦٥) ،
 وقارن ابن الأثير سنة ١٢٦ هـ ، والرقيق ، ص ١٢٤ .
 (١٨) ابن عسار ، ج ١ ص ٦٠ ، وقارن الرقيق ، ص ٨٧ ، والترجمة ، ج ١ ص ٣٦٥ .
 (١٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ ، وانظر الرقيق (ص ١٢٤) الذي يجعل انصراف حنظلة
 في جمادى الآخرة سنة ١٢٧ هـ ، وقارن ابن عسار ، (ج ١ ص ٦٠) الذي يجعل خروج
 حنظلة في جمادى الأولى من سنة ١٢٩ هـ . والظاهر أن ابن عسار اختلطت عليه ولاية
 يوسف الفهري على الأندلس سنة ١٢٩ هـ (ص ٦٢) بولاية عبد الرحمن على افريقية سنة
 ١٢٧ هـ . ويقول ان حنظلة دعا على عبد الرحمن وعلى أهل افريقية ، وقارن الرقيق (ص ١٢٥)
 الذي ينقله النويري ، ص ٨٧ ب والترجمة ج ١ ص ٣٦٥ ، الذي يورد رواية تبالغ في دعاه حنظلة
 على عبد الرحمن وعلى أهل افريقية التي وقع فيها الوباء والطاعون سبع سنين . وانظر ابن الأثير ،
 سنة ١٢٦ . أما رواية ابن خياط (ج ٢ ص ٣٨٥) فلم تحقق اذ النص فيها « على أن خروج حنظلة
 كان في سنة ١٠٩ هـ بدلا من ١٢٩ هـ .
 (٢٠) انظر الرقيق ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، وقارن ابن عسار ، ج ١ ص ٦٠ ، النويري ،
 ص ٨٧ ب .

ولم يكن هذا الأمر من السهولة بـمكان ، فالبلاد كانت مضطربة منذ سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م ، والحركة الخارجية كانت تزداد قوة وانتشارا مع مرور الوقت حتى طوقت القيروان أو كادت . ثم آتت أحداث الخلافة الأموية التي كانت تنهاوي تحت ضربات المسودة (العباسيين) وزادت الأمور اضطرابا ، وأخيرا كان تغلب عبد الرحمن نفسه على إفريقية - على غير أساس شرعي - أنموذجا حاول غيره من المغامرين وأصحاب المصالح الشخصية السير على منواله . فبمجرد استيلائه على السلطة اضطربت البلاد ، وعرفت فترة أشبه بالفترات التي يسميها المؤرخون العرب بـ « ملوك الطوائف » ، والتي تعنى فقدان السلطة المركزية لسيطرتها على البلاد ، واستقلال الأقاليم والمدن عن العاصمة . حدث ذلك في تونس ، وفي باجة ، وفي جبال البربر (أوراس) وفي قابس ، وفي طرابلس ، واشترك في الثورة العرب والبربر ، من أهل الجماعة ومن الخوارج . وكان على عبد الرحمن - الذي لم تبق له إلا القيروان في وقت من الأوقات - أن يجاهد في سبيل إخضاع أولئك الذين راودتهم فكرة اقتطاع أمارات لهم في البلاد .

اضطراب الأقاليم الساحلية :

ففي تونس ثار عروة بن الوليد الصدفى ، واستولى على المدينة ، ومن تونس انتشرت الثورة إلى منطقة الساحل (ما بين موسمة وسفاقس) حيث ثار العرب هناك بقيادة ابن عطف الأزدي (٢١) . وفي باجة ثارت قبيلة صنهاجة بقيادة ثابت بن زيدون (٢٢) ، الذي تمكن من الاستيلاء على المدينة (٢٣) ، ولم يلبث أن انضم إلى ثابت زعيم بربري آخر هو عبد الله بن سكرديد (٢٤) . واضطربت كذلك جبال البربر ، وأخيرا منطقة طرابلس . والظاهر أن أشد هذه الثورات كانت ثورة البربر - فالكتاب عندما يرضون للعمليات العسكرية التي قام بها عبد الرحمن بن حبيب لا يتكلمون إلا عن

(٢١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٦١ (النويرى ص ٨٧ ب ، والترجمة ج ١ ص ٢٢٦)
وفان ابن الزبير ، سنة ١٢٦ ، وأبي حنيفة ، ص ١٢٥ (حيث اسم الصدفى : عروة بن الزبير) ،
ص ١٢٦ (حيث لقب ابن عطف : الأزدي) .

(٢٢) ربما كانت كلمة وزيدون ابن زيدون معرفة (انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١١
و زيدون ، والترجمة ، ج ١ ص ٢١٨ وهامش ٢) ، أما بقية الكتاب فيسوفه الصنهاجي .
(٢٣) الرقيق ، ص ١٢٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٦١ ، النويرى ، ص ٨٧ ب .

(٢٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١١ ، والترجمة ، ج ١ ص ٢١٩ .

البربر - وذلك أمر طبيعي . نظرا للطابع الديني الفدائي الذي اتخذته حركاتهم العنيفة . ولقد تفاوتت أعمال عبد الرحمن بن حبيب ما بين استخدام العنف والخديعة والسياسة مع الحصرم . فعندما علم بتورة باجة جهز سرية من ٦٠٠ فارس بقيادة أخيه الياس بن حبيب واتفق معه على أعمال الخيلة حتى يمكن استرجاع باجة دون أن ينهك قواد . وأتبع ذلك بأن بعث بعض جواسيسه يتربص بنواز الساحل . وعندما آتاه الجاسوس وأخبره . أن القوم آمنون غافلون ، فاجأهم الياس بعسكره ، وقتل ابن عطف وأصحابه وذلك في سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م (٣٥) . واتبع ابياس ذلك بمفاجأة تونس حيث قتل عمرو بن الوليد وأقام في المدينة (٣٦) .

الإباضية في طرابلس :

أما أهم الثورات البربرية الخارجية فكانت في إقليم طرابلس . وعن سبب الثورة فكان مقتل أحد زعماء الإباضية هناك ، وهو عبد الله بن مسعود التجيبي في سنة ١٢٩ هـ / ٤٧ - ٧٤٨ م . كما يفهم من رواية ابن خياط ، وذلك على يدي أخى عبد الرحمن بن حبيب . كما يقول ابن عبد الحكم (٢٧) - ونظنه الياس - بعد أن عهد إليه بولاية طرابلس . ونص ابن عبد الحكم يعتبر أول إشارة إلى ظهور المذهب الإباضى بشكل إيجابي في المغرب وهو مذهب المعتدلين من الخوارج القريب من مذاهب أهل السنة ، والذي يعتبر في المغرب خامس المذاهب الأربعة . وصاحب المذهب الذي أعطاه اسمه هو عبد الله بن أباض التميمي ، أحد زعماء الخوارج (٢٨) . والمذهب الإباضى يمثل في الحقيقة آخر تطورات الفكر الخارجي . فبعد تعصب الأزارقة - الذين كفروا

٢٥١ . نظر ابن عساق ج ١ ص ٦١ . وروى الأريفي (ص ١٢٦ - ١٢٧) حيث بعث بعض الكفء - ترويه عن العاصميين في سنة الثيرة وكذب ذلك من عسكر عطف وكلف خسرج ليخبر الياس ومما سئل عسكر عطف الذين أخذوا عن ثيرة فبعض عطف رحل البربر وأسه في عهد الرحمن . وقارن من الأبي . سنة ١٢٦ .

٢٦١ . نظر الرضوي . ص ١٢٧ - ١٢٨ . حيث بعث بعض العفلات الثيرة عن مفاجأة عمرو وهو من الكفء وكذب ذلك - من شرح وبيان الياس بمصاحبه من عمر صلاح) . وقارن ابن الأثير . سنة ١٢٦ .

٢٦٢ . ابن عبد الحكم ص ٢٢٤ . أنظر تاريخ خليفة بن خلدون ، ج ٢ ص ٤١١ (حيث ترويه مسجود . وثلاث : سعد بن مسعود بدلا من عبد الله بن مسعود) .

٢٦٣ . عن مصنف المذهب الخارجي في الثورات أنظر فؤاد حمق . ص ٢٨٤ وما بعدها .

غيرهم من المسلمين ، وأباحوا دماءهم - خفف الحوارج من قسوة ميادئهم التي لقيت قفوارا من جمهرة المسلمين كما تعرضت لبرد فصيل عنيف من جانب الدولة ، فظهر الصفورية ، أتباع زياد بن الأصفر ، ولم يرم الصفورية غيرهم من المسلمين بالشرك ، بل وقفوا منهم موقفا وسطا بين التساهل والتشدد المقبول ، كما أنهم قبلوا مبدأ التقية (أي كتمان العقيدة) - ورغم أن الصفورية لم يروا دار المخالفين لهم دار حرب فإنه لم تكن لهم شعبية أيضا ، ولذلك وصفوا بالقسوة وباستحلال نسي المسلمين . وترتب على ذلك أن ازداد اعتدال الحوارج مع مرور الوقت ، وظهرت منهم جماعات لم تكفر ببيعة المسلمين ، وقالت ان كفرهم كفر نعمة ، وحرموا دماءهم وسبيهم (٢٩) . وأشهر من نادى بتلك الآراء هو عبد الله بن إباض الذي دعا لمبادئه في أواخر القرن الأول الهجري على أيام عبد الملك بن مروان ، فلقيت قبولا من أتباع المذهب الخارجي وذاعت وانتشرت في المشرق والمغرب على أواخر أيام مروان بن محمد (٣٠) .

ونسب كتب الإباضية فضل ادخال المذهب الإباضي الى المغرب الى سلامة ابن سعيد في أوائل القرن الثاني الهجري ، وتذكر أنه اجتهد في نشره وتفاني في اذاعته كما روى أئمة الرستميين ، حتى أنه كان يقول : « وددت أن لو ظهر هذا الأمر (يعني مذهب الإباضية) يوما واحدا ، من أول النهار الى آخره ، فلا أسف على الحياة بعده » (٣١) . ونجح سلامة في اكتساب أتباع مخلصين ،

(٢٩) عن مذهب الحوارج انظر الشهرستاني ، طبعة ليبزج ١٩٢٣ ص ١٠٢ (عن نصرانية الذين خالفوا الأزارقة والنجدات في أمور منها » أنهم لم يكتفوا القعدة عن القتال ... ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم .. وقالوا : التقية جائزة في القول دون العمل .. كما قالوا . الكفر كفران : كفر بالنعمة وكفر بانكسر الربوبية .. ») وقارن البغدادي ، الفرق بين الفرق . طبعة القاهرة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ص ٧٠ - ٧٣ ، أبو زهرة ، المقاصب الإسلامية ، ص ١٣٧ وتابع .

(٣٠) انظر الشهرستاني . ص ١٠٠ حيث يعرض آراء ابن إباض ومنها « ان مخالفينا من هل القبلة كناد غير مشركين ومناعتهم جائزة وعوارثهم حلال ، وما سواه حرام وحرام نكاح وسبيهم في أسر غيلة .. وأجازوا شهادة مخالفينهم على أولياتهم .. وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة .. » وقارن الفرق بين الفرق مستدانت ، ص ٨٢ - ٨٤ ، حيث يعرض أهم آرائهم ومنها « أن مخالفينهم براء من الشرك والابمان » كما يسمى فرغهم والعلاقة العكسية بينهم وبين بعض الفرق مثل المعتزلة والتدريية ، ص (٨٤) .

(٣١) انظر أبو العباس الدرجيني ، طبقات الإباضية ، المخطوط ، ورقة ٦ ، وقارن «

مثل عبد الرحمن بن رستم وأبي الخطاب عبد الأعلى بن أسح ، الذين اعتنقوا
المذهب ، ورفعوا أياته عالية في المغرب من النساحيتين السياسية والمذهبية
جميعاً كما سنرى .

والذي يفهم من سير الأحداث هو أن المذهب الإباضي كان قد مد جنوره
بعيدا في أرض طرابلس - أولى محطات المغرب - عندما تغلب ابن حبيب على
إفريقية . فبعد مقتل عبد الله بن مسعود التجيبي سنة ١٢٩ هـ . كما قلنا .
اجتمعت الإباضية بأطرابلس ، . . . وكان على الإباضية حين اجتمعت في
سنة ١٣١ هـ / ٧٤٨ - ٧٤٩ م عبد الجبار بن قيس المرادي ، ومعه الحارث بن
تزيد الحضرمي ، (٣٢) .

وللتوفيق بين رواية ابن عبد الحكم التي انفردت بالمعلومات المعتمدة عن
تلك الثورة الإباضية في طرابلس ، وبين التفاصيل الإضافية التي يقدمها
الرتيق ، يمكن القول أن عبد الرحمن بن حبيب حاول مصالحة الإباضية فأرسل
اليهم أحد عماله في طرابلس ، وهو بشر بن حنش القيسي (بالولاء) ، يصحبه
بعض مشايخ طرابلس ، ولكن البربر ، قتلوه عن آخرهم ، (٣٣) . وعندما
حاول عبد الرحمن أن يرد على ذلك التحدي القادر في أنتو واللحظة ، فخرج
من القيروان وقت انقيلولة ، بمجرد سماعه النبا ، على أن يلحق به عساكره ،
لم يتبها له ذلك : إذ لم يكن يصل إلى قايس حتى بلغت أخباره مقلقة عن محاولة
خلعه فقرر الرجوع إلى القيروان (٣٤) .

= الضمحي ، السير ، ص ١٢٣ ، (حيث آخر الحديث : « لما أتاني أن ضرب عتق) وانظر
فيما بعد قسم الدولة الرشيديّة .

(٣٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ ، وقرن ابن خياط ، ج ٢ ص ١١١ (حيث تاريخ الثورة
سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م . وربما كذلك تاريخ مقتل ابن مسعود ، والأسماء : سعد بن مسعود وعبد
الجبار بن علي) . الضمحي ، ص ١٢٥ ، وافتقر الرتيق (ص ١٢٨)
التي يذكر مسجما الرزق فقط . عند الحصار ، والحرب ولا يشبه ابن حبيب ثورتها مكتفيا
بالتفوق ، . . . وسعد بن البربر . . . بين الخوارج ، . . . وقرن ابن الأثير ، سنة ١٢٦ ،
والعريزي ، ص ٨٧ (حيث النقل من الرتيق) .

٣٣: الرتيق ص ١٢٨ .

٣٤: الرتيق ، ص ١٣٨ - حيث نقل الرواية - الناس أرادوا عزله وفيه ، وقوله
سعد بن سعد بن سعد لم يبق . . . ثم استمر التنازع في الضفة الحدودية من
البربر . ثم بعد ذلك استتب ستر من اد سبل الرزق ، . . . مسج قري الرزق ما كان
مغشى بسند واعتدل به الرزق . ثم ثور طرابلس سنة ١٣١ هـ . بعد أن استجيب قس
القيروان سعد بن نافع ، وأنه نقل عبد الجبار والحارث فقتلها (انظر ص ١٢٨ - ١٢٩)
وهذا ما لا يقبل رواة ابن عبد الحكم .

وهكذا يظهر أن عبد الرحمن بن حبيب حاول علاج الموقف باستخدام السياسة بدلا من العنف ، كما يقول ابن عبد الحكم ، فعزل أخاه ، وعهد بولاية طرابلس الى حميد بن عبد الله العكي ، ولكن الحرب ظلت دائرة مع الاباضية الذين حاصروا حميد بن عبد الله في بعض القرى . وسامت ظروف حميد عندما وقع الوباء في عسكره ، فاضطر الى مفاوضة النوار . وتم الاتفاق على أن يخرج من طرابلس ورجالها بالأمان . ورغم الاتفاق فإن عبد الجبار بن قيس أخذ أحد كبار أصحاب حميد ، وهو نصير بن راشد الأنصاري (بالولاء) . الذي كان متهما بالتحريض على قتل ابن مسعود الاباضى فقتله به (٣٥) . ويفضل هذا النصر . امتشرت الثورة الاباضية ، فاستولى عبد الجبار على أرض زناة . وعمل عبد الرحمن بن حبيب على الحد من انتشار الثورة . وبينما كتب الى يزيد بن صفوان المعافري (هو ابن صفوان بن أبي مالك ، وأخو معاوية بن صفوان ، الوائين السابقين) بولاية طرابلس . حاول استخدام السياسة مع قبائل هواة حتى لا تنضم الى الثورة ، فأرسل اليهم واحمدا منهم ، وهو مجاهد بن مسلم الهوارى . يستأنف الناس ، ويقطع عن عبد الجبار هواة وغيرهم (٣٦) . ولكن مجاهدا فشل في مهمته ، فبعد اقامة عدة أشهر عند الهواريين طردوه ، فسار الى يزيد بن صفوان بطرابلس (٣٧) .

وقرر ابن حبيب استخدام العنف فيما لم تنجح فيه السياسة ، فسير الى طرابلس فرقة من خياله بقيادة محمد بن مفروق ، وكتب الى يزيد بن صفوان بالمسير معه ضد النوار . وتم اللقاء بين قوات ابن حبيب وبين عبد الجبار بن قيس والحارث بن تليد بمكان من أرض هواة ، وانتهى بهزيمة منكرة لقوات القيروان ، اذ قتل يزيد بن صفوان ، ومحمد بن مفروق ، وانهمز مجاهد بن مسلم بفلول الجيش عبر أرض هواة (٣٨) . وحشد عبد الرحمن ابن حبيب جيشا جديدا عهد بقيادته الى عمرو بن عثمان . ولكنه انهزم أيضا أمام عبد الجبار والحارث في أرض زناة ، وبذلك تم للاباضية الاستيلاء على

(٣٥) ابن عبد الحكم . ص ٢٢٤ .

(٣٦) ابن عبد الحكم . ص ٢٢٤ .

(٣٧) نفس المصدر .

(٣٨) لا يوجد ابن عبد الحكم (ص ٢٢٤) موضع المعركة . أما عن أرض هواة فهي واسعة تمتد على طول سواحل طرابلس شمالا الى ما وراء جبل نفوسة جنوبا . فان ابن خلدون الذى يسمى واثى طرابلس المنول بكر بن عيسى القيسى (العبرج ٦ ص ١١١) المرجحة . ج ١ ص ٢١٩ .

طرابلس كلها (٣٩) . وجرب عمرو بن عثمان القيام بمحاولة جديدة فخرج معه مجاهد بن مسلم الى دغوغا (٤٠) ، ولكنه اضطر الى الهرب عبر الصحراء عندما تبعه الحارث بن تليد ، ثم انه سار الى سرت حيث أدركته خيل الحارث ، وقتلوا بعض أصحابه . ونجا عمرو بنفسه جريحا بعد أن ترك عسكره بين يدي الحارث . وهكذا عظم أمر عبد الجبار والحارث ، ولا نعرف ماذا كان يمكن أن يكون من أمرهما نولا . اختلافهما ، ذلك الاختلاف الذي انتهى بينهما بالحرب ومقتل كل منهما (٤١) .

واختار ابانسية طرابلس اما ما جديدا هو اسماعيل بن زياد النفوسى ، الذى عظم شأنه وكثر أتباعه ، ونجح فى الاستيلاء على مدينة قايس (من أرض افريقية) (٤٢) . وقرر عبد الرحمن بن حبيب الخروج بنفسه للقاء اسماعيل ، وعندما وصل الى قايس سير ابن عمه شعيب بن عثمان على رأس فرقة من الخيالة نحو الخوارج ، فالتقى بهم ، وكانت النتيجة فى هذه المرة فى صالح عسكر اقيروان ، اذ قتل اسماعيل فى هذه المعركة ، وانهزم أصحابه ، وأخذ منهم كثير من الأسرى (٤٣) . وعندما أتت أنباء ذلك النصر الى ابن حبيب سسار بجيشه الى سوق طرابلس ، ومع الأسرى ، دون أن يلقى مقاومة تذكر . ومن طرابلس كتب الى عمرو بن عثمان المرادى ، الذى كان لاجئا بأرض سرت ، بالحضور اليه .

(٣٩) أنظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ .

(٤٠) قارن ابن خرداذبة حيث القرامة زغوغا (الرء) ، وهو على بعد ١٢٧ ميلا غربى سرت و ٨٤ ميلا غربى قصور حسان و ٢٠ ميلا غربى فاروقا (ابن خرداذبة وابن الفقيه . . صفة المغرب وأوروبا ، المكتبة العربية الفرنسية ، نص عربى وترجمة فرنسية لمحمد حاج - صادق ، سعة الجزائر ، ١٩٤٩ ، ص ٤ والترجمة ص ٥ والهامش ٤٧ ص ٩١) .

(٤١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ ، وأنظر ابن خلدون ، العبرج ٦ ص ١١١ ، الترجمة ج ١ ص ٢١٩ - نقل عن الرقيق ، ص ١٢٩ - الذى يقول ان عبد الرحمن بن حبيب قتلها . وأنظر التماخى ، سير علماء جبل نفوسة ، ص ١٢٥ الذى يقول انهما اختلفا على الولاية فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وانهما وجدا ميتين فى بيت واحد ، وصلاح كل واحد فى صاحبه . واذا سمحت هذه الرواية يكون الزعيمان الاباضيان قد لجا الى نفس نزاعهما بالتحكيم - تحكيم السيف - ولقد أصبحت المسألة موضوع جدل بين الاباضية فقال البعض يجب بقاء المتنازعين الى أن يحصل بينهما ، وقال البعض « نفب » ، وقال البعض « يقتلان » . أما فقهاء الاباضية فى المشرق فقد تصحروا بالكف عن ذكرهما .

(٤٢) ابن خلدون ، ج ١ ص ١١١ والترجمة ج ١ ص ٢١٩ .

وانتقم عبد الرحمن بن حبيب من نوار البربر الاباضية انتقاماً هائلاً ،
وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم انه ضرب أعناقهم وصلبهم (٤٤) ، بينما يستغيث
أرقيق في الأمر فينصر على أنه ، امتحن أناس بهم ، وابتلاهم يقتل الرجال
صبراً : يؤتى بالأسير من البربر فيأمر من يتهمه بتحريم دمه بقتله (٤٥) :
ويتضح من النص أن انتقام عبد الرحمن الدموي من خصومه كان سيياً في
صدام بينه وبين فقهاء أرقيقه - الذين كانوا يعارضون نوعاً من الرقابة على
الأمراء - وأنه آمن في الثأر حتى أكره المرضين منهم على انفاذ أمر لقتل
بأيديهم . ولم يسلم من تلك المحنة ، وهذا البلاء ، إلا قاضي أرقيقية وأخباريها:
عبد الرحمن بن أنعم (٤٦) ، الذي كان ابن حبيب قد اقتداه من أسر الروم (٤٧)
وعمل عبد الرحمن على اقرار الأمور ، واعتنى بتحسين المدينة فجدد بناء سورها ،
وبذلك أمنت ، وانتقل الناس إليها من كل مكان (٤٨) . وعندما اطمأن إلى
هدوء الأحوال اتخذ عبد الرحمن صديق القيروان بعد أن عهد بولاية طرابلس
إلى عمر بن سويدة ، وأمره بغزو العصاة ، وإعطاء العسكر نصيبهم في
المغانم (٤٩) . ومع أن ابن عبد الحكم لا يحدد لنا تواريخ الأحداث السابقة ،
بينما يتأرجح المتأخرون من الكتاب ما بين سنتي ١٣١ هـ / ٤٨ - ٧٤٩ هـ
و ١٣٢ هـ / ٤٩ - ٧٥٠ م (٥٠) فإن أرقيق يحدد حملة عبد الرحمن بن حبيب
على طرابلس بسنة ١٣١ هـ ، وبناء سور المدينة بسنة ١٣٢ هـ (٥١) . وهكذا
يمكن تفسير ما حدث من اللبس في تحديد التاريخ ، ويصبح من الواضح أن
تكون الثورة قد استغرقت سنة ١٣١ هـ وبعضاً من سنة ١٣٢ هـ . وهي

(٤٤) ابن عبد الحكم . ص ٢٢٤ . وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١١١ . الترجمة ، ج ١
ص ٢١٩) الذي لا يذكر مقتل اسماعيل بل يتكلم عن مقتل عبد الجبار والحارث على يد
ابن حبيب .

(٤٤) ابن عبد الحكم . ص ٢٢٤ .

(٤٥) الرقيق . ص ١٢٩ . وانظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٦١ .

(٤٦) أقرر الرقيق ، ص ١٢٩ . حسب قول الرواية أنه أبي ذلك . وعصمه الله من
عبد الرحمن .

(٤٧) انظر فيما سبق ، ص ٢٨٠ وهـ ١٠٤ (صرف النظر عن علم صحة التاريخ) .

(٤٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٦٣ . وقارن ابن عذاري ، ص ١٢٩ .

(٤٩) ابن عبد الحكم . ص ٢٢٤ (النص يقول هنا « وأمر أنه ينقل ») .

(٥٠) أقرر ابن عذاري ، ج ١ ص ٦٣ (حيث يحدد تاريخ بناء سور طرابلس بسنة

١٣١ هـ) النمامي ، السير ص ١٢٥ (حبيب يسجن ان ثورة عبد الجبار والحارث استغرقت
سنة ١٣١ هـ أو سنة ١٣٢ هـ) .

١٥ - أقرر الرقيق ص ١٣١ - ١٣٢ .

السنة التي جدد فيها سور طرابلس - وبعد أن اطمأن عبد الرحمن على هدوء الأحوال عاد إلى القيروان بعد أن عين بكر بن حسين القيسي والياً على المدينة ، وذلك في الوقت الذي كان الخليفة الأموي مروان بن محمد قد طلب منه القدوم إليه ، كما يفهم من رواية الرقيق (٥٢) .

شرعية ولاية عبد الرحمن بن حبيب للمغرب :

علاقته بالأمويين ثم العباسيين :

بذلك يكون ابن حبيب قد تمكن ، بعد أربع سنوات ، من القضاء عملياً خصوصاً ، وأكد مركزه كوالي البلاد الشرعي . فهناك روايات تقول انه كتب إلى الخليفة مروان بن محمد ، وأهدى إليه الهدايا ، « وتقول على حنظلة ونسب إليه أهوالاً كذب فيها » ، وأن مروان اعترف بالأمر الواقع ، فكتب إليه بولايته على إفريقية والمغرب كله والأندلس (٥٣) . ومن الواضح أن ذلك حدث قبل سنة ١٢٩ هـ / ٤٦ - ٧٤٧ م ، وذلك أنه في تلك السنة كتب أهل الأندلس إلى عبد الرحمن يطلبون منه الموافقة على اختيارهم لقريبه يوسف ابن عبد الرحمن الفهري والياً عليهم . وأجابهم عبد الرحمن بصفته الوالي الشرعي ، فأنفذ إلى يوسف عهده بولاية الأندلس (٥٤) . أما عن رواية الرقيق التي تقول أن مروان بن محمد كتب إلى عبد الرحمن أثناء وجوده في طرابلس سنة ١٣٢ هـ / ٤٩ - ٧٥٠ م يستدعيه إلى القدوم عليه (٥٥) ، فهي مقبولة على أساس أن آخر خلفاء دمشق ، كان يقوهم - وهو بتعثر في قتاله للعباسيين -

(٥٢) الرقيق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٥٣) أنظر الرقيق ، ص ١٢٩ . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٦ (حيث يظهر النقل من الرقيق ويضمن الإشارة إلى طلب مروان من عبد الرحمن القدوم إليه ، وهو الأمر الذي حدث فيما بعد سنة ١٣٢ هـ . عندما كان عبد الرحمن في طرابلس) . وأنظر البلاذري ، (ص ٢٣٢) الذي يبين أن الفضل في اقوال عبد الرحمن بن حبيب على تفرافريقية يرجع إلى كاتبه خالد بن ربيعة الإفريقي الذي كانت بينه وبين عبد الحميد بن يحيى (كاتب مروان) عودة ومكاتبة .

(٥٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٣ . ويهتم ابن عذارى بهذا الأمر (ص ٦٣) وذلك أنه لم صحت ولاية يوسف الفهري - المتغلب على الأندلس - بعهد من قبل عبد الرحمن بن حبيب الوالي من قبل بني أمية تكون للأمويين دولة متصلة في الأندلس غير منقطعة إلى سنة ٤٢٤ هـ / ١٠١٣ م - ولا بأس من الإشارة إلى ما يورده ابن الأثير ، سنة ١٣٩ ، من أنه ربما كان يوسف الفهري ابناً لعبد الرحمن .

(٥٥) الرقيق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

أنه قد يمكنه الاستعانة بانفهرى ، وإن كان متغلبا على افريقية البيسنة .
والمهم أنه عندما تأكد عبد الرحمن من انتصار العباسيين والبيعة للخليفة
أبي العباس المعروف بالسفاح ، يادر الاعتراف بخلافته ، ووافق أبو العباس
من جهته على اقراره في ولايته (٥٦) . وهذا يعني أن النفوذ العباسي امتد الى
المغرب ، ولكن الى بلاد القيروان فقط ، ومن الناحية الشكلية فحسب .

فتوحه في المغرب الأوسط ، وفيما وراء البحر :

ومع مرور الوقت كانت أقدام ابن حبيب تزداد رسوخا في افريقية ،
فما أن جاءت سنة ١٣٥ هـ حتى كان عبد الرحمن في موقف يسمح له بتوجيه
أنظاره الى المغرب الأوسط ، ويبدأ نشاطه الى ما وراء البحر . ففي سنة
١٣٥ هـ / ٥٢ - ٧٥٢ م قرر ابن حبيب المسير نحو تلمسان ، فأناج ابنه حبيبا
عنه في القيروان ، وخرج على رأس قواته . ورغم ما يقوله الرقيق من أنه
غزا تلمسان ، حتى انتهى اليها ، وظفر بما لم يظفر به أحد قبله ، وأتى اليه
من سبى افريقية بما لم يؤت بمثله من بلد ، ودوخ المغرب كله (٥٧) ، فالظاهر
أن عبد الرحمن اكتفى بما أحرزه من انتصارات على قبائل زناتة في المنطقة ،
وعاد الى القيروان (٥٨) . فهذا ما يفهم من رواية ابن خياط التي تنص على أن
عبد الرحمن هزم الصقر بن أيوب الفزاري ومن معه من البربر في منطقة
تلمسان ، كما لم يطلق الزعيم الصفري ستيمان بن ذواق المرعبي الوقوف
أمامه (٥٩) .

أما فيما يتعلق بالغزو البحري ، فقد قام ابن حبيب بغزو صقلية ،
ورجع بالمغانم والسبي ، كما أنه قام أيضا بغزوسردانية ، وتم الاتفاق بينه

(٥٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٦١ (لما بلغته بيعة أبي العباس كتب اليه بالسمع والطاعة
فأفوه) . وقارن الرقيق ، ص ١٣٣ (حيث يكتب بالإشارة الى أن عبد الرحمن كتب الى السفاح
بسمه وطاعته ، ثم يهتم بأن خير طاعته وصل الى الخليفة العباسي الأول مع ورود نبا فتح
السند ، وأن السفاح تشام من لغوم خبير فتوح المغرب والمشرق دفعة واحدة ، حسبا كان
لديه من العلم . وكان الرواية التي تحدد وفاة السفاح بعد ذلك في ١٨ من ذي الحجة تروي
الربط بين تلك الأحداث فعلا .

(٥٧) انظر الرقيق ، ص ١٣٠ ، وقارن ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١١١ ، والترجمة ،

ج ١ ص ٢١٩ .

(٥٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٦١ ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٥٩) ابن خياط ، ج ٢ ص ٤١٧ (ولو أن هذه الأحداث مسجلة في سنة ١٢٩ هـ) .

وبين أهلها على الصلح نظير دفع الجزية (١٠) .

محاولة الخلافة العباسية استرجاع ولاية المغرب :

وبطبيعة الحال كان عبد الرحمن بن حبيب يقوم بهذه النوع لحسابه الخاص . فرغم اعترافه بالخليفة العباسي ، فان هذا الاعتراف لم يكن يتجاوز الشكل النظري الى الحقيقة العملية التي تتمثل في تقديم الاموال السنوية الى الخليفة واشراكه فيما يحصل عليه من المغنم ، حسب ما يقرره القاتون ، وهذا ما سيظهر دون مداواة أو موازنة منذ خلافة المنصور . ففي ذلك الوقت :
وحيثما كان ابن حبيب يوسع دائرة نشاطه ، بدأت الخلافة العباسية - بعد أن شعرت بشيء من الاستقرار - توجه أنظارها نحو الغرب ، في محاولة لأدخاله في حظيرتها . ففي سنة ١٣٦ هـ / ٥٢ - ٧٥٤ م ويجه الخليفة أبو العباس جيشا الى مصر ليخرج بقيادة أبي عون عبد الملك ، والى مصر (١٣٣ - ١٣٦ هـ / ٧٥٠ - ٧٥٣ م) ، ان المغرب في شهر جمادى الآخرة / ديسمبر ٧٥٣ م . وكانت الخطة أن يسبق القوات العباسية تنظيم حركة دعابة كبيرة يقوم بها أعوان العباسيين من بنى معاوية بن حديج ، وبنى موسى بن نصير ، لعرفتهم بالمغرب ، ولما لهم فيه من أتباع وأنصار . أما عن العملية العسكرية . فتقرر أن تكون مشتركة من القوات البرية والبحرية . وعهد بتنظيم الحملة البحرية الى المثنى بن زياد الخنعمي الذي وصل الى الاسكندرية في شوال / ابريل من تلك السنة لتجهيز المراكب . ونظرا لوفاة الخليفة أبي العباس لم يقدر لتلك الحملة أن تتم ، اذ رجع الدعابة بعد أن كانوا قد وصلوا الى مدينة سرت ، كما عاد أبو عون بالجيش ، وكان قد وصل الى برقة . أما عن الأسطول فالظاهر أنه لم يكن قد تجهز لخروج بعد (٦١) . ولا شك في أن الأحوال المضطربة في مركز الخلافة ، وانتهى تمثلت في نورة عم الخليفة عبد الله بن علي في الشام ، لانت لها آثارها على إيقاف حملة المغرب .

(٦٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ٦٥ . ابن الأثير أحداث سنة ١٣٦ هـ وعن صوح حيا الرحمن في حطبة مع والده سنة ١٣٢ هـ . انظر فيما سبق . ص ٢٨٨ وهـ ١٣٣ . وعن صوح عبد الرحمن فرصته وسرداه . ص ٢٥٩ وهـ ٣٧٤ . وانظر فيما بعد الفصل الخاص بصقلية الاعلبيّة .

(٦١) عبد الحكيم ص ١٠٢ - ١٠٣ . والمدون . تدرج الاسكندرية الاسلامة الى العصر الفاطمي في تدرج الاسكندرية . ص ١٠٠ . ص ١٠١ . محافظة الاسكندرية سنة ١٩٦٣ . ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

القطيعة مع الخلافة العباسية واستقلال عبد الرحمن :

علاقة ابن حبيب باللاجئين من الأمويين :

والذي يهمننا هنا هو أن حملة أبي عون تعنى أن العلاقة فترت بين أبي العباس السفاح وبين عبد الرحمن بن حبيب ، وذلك قبيل سنة ١٣٥ هـ / ٥٤٢ م . وستسوء تلك العلاقة إلى حد القطيعة بعد خلافة المنصور (سنة ١٣٧ هـ / ٥٤٤ م) . ومع أنه يفهم الروايات أن سبب القطيعة هو اكتفاء ابن حبيب بإعلان الولاء الشكلى للخليفة العباسى ، وامتناعه عن إرسال الأموال السنوية إليه ، فقد كانت هناك أسباب أخرى تبعث على شك العباسيين في إخلاص عبد الرحمن منذ البداية ، ونظن أنها التي دفعت أبا العباس السفاح إلى تسيير الجيوش من مصر إلى المغرب . فبعد انهزام مروان في الشام ، ومطاردة العباسيين للأمراء الأمويين ، وتقتيلهم بالقدر والحديعة ، فر عدد كبير من الناجين منهم نحو المغرب . ومع أن مؤرخى المغرب يفسرون ذلك بأن الأمويين كانوا يسمعون في الرواية أن مستراحهم بالمغرب ، فنزع أكثرهم إلى إفريقية (٦٢) ، فالحقيقة أنه لم يكن للأمويين ، بل وللعرب فيما بعد ، من ملجأ سوى بلاد المغرب ، بعد أن أوصدت أمامهم أبواب المشرق ، من حيث أقبل أعداؤهم يطلبون دماءهم .

وهكذا فر جزى واسماعيل ابنا زبان بن عبد العزيز بن مروان (٦٣) ، وعبد الملك بن عمر بن مروان إلى إفريقية ، كما لجأ إليها السفيناني الثائر ، وأبناء الوليد بن يزيد اعاصى ، وموسى وحبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد (٦٤) . وابتقى عبد الرحمن بن حبيب الأمراء الأمويين استقبالا طيبا ، وأنزلهم في كنفه (٦٥) . والظاهر أنه عندما فعل ذلك لم يكن مدفوعا بشغور المخلص لأبناء الخلائف الشرعيين أو بشغور العطف على ما أصابهم من نكبة ، بل كان مدفوعا بمشاعره الأنانية . فلقد رأى فيهم عبد الرحمن وسيلة لإعطاء موقفه نوعا من الثبات أو الشرعية عن طريق التحالف معهم بالمصاهرة ، إذ

(٦٢) أخبار مجموعة ، ص ٥٠ .

(٦٣) الكندى ، القضاة والولاة ، ٩٧ .

(٦٤) أخبار مجموعة ، ص ٥٠ . لا نعرف أن كان المنصور بالسفياى الثائر هو « أبو محمد

ابن يزيد معاوية » الذى قتل بالمجاز لم غيره (انظر ابن الأثير ، سنة ١٣٢ ج ٥ ص ٢٠٦) .

(٦٥) أخبار مجموعة ، ص ٥٠ .

تزوج عبد الرحمن واخوته من نساءهم (٦٦) . فعندما وصل اسماعيل بن زيان
ابن عبد العزيز بن مروان الى أفريقية استولى عبد الرحمن على ما كان معه من
مال ، ثم انه غلبه على أخته فتزوجها (٦٧) . كذلك تزوج الياس أخو عبد
الرحمن من أميرة أموية ، فكان ذلك سببا في نزول ابني عمها ، ولدى الوليد
ابن يزيد (العاصي) وهما القاضي والمؤمن في كنف عبد الرحمن (٦٨) .

أما أشهر الأمراء الأمويين الذين لجأوا الى أفريقية فهو عبد الرحمن بن
معاوية بن هشام المعروف بالداخل (٦٩) ، انذى أحيا الدولة الأموية من جديد
في الأندلس . فقد نجى عبد الرحمن من مذبحة أبي فطرس (١٢٢ هـ /
٧٥٠ م) ، وفر وبصحبه مولاة بدر وسالم مولى أخته أم الأصبغ ، وهو
يريد المغرب . فسار عبر فلسطين الى مصر ، ومنها الى برقة ثم طرابلس ،
وأخيرا وصل الى أفريقية فنزل بعض الوقت مع غيره من الأمراء الأمويين لدى
ابن حبيب .

والذي يفهم من النصوص أنه بينما كان ابن حبيب يطمح في أن يتقوى
بأمراء بني أمية ، كان هؤلاء يدبرون له أمرا . فأبنا الوليد بن يزيد عندما
كانا يختليان ، كان الواحد منهما يقول للآخر : « أيقظ عبد الرحمن أنه يبقى
أميرا معنا ، ونحن أولاد الخليفة (٧٠) » . وعرف عبد الرحمن ما يضمرة له

(٦٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٦١ . ابن الأثير ، سنة ١٢٦ ، وقارن الرقيق ، ص ١٣٠ .

(٦٧) أخبار مجبوعة ، ص ٥٥ .

(٦٨) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٦١ . الذي يلخص من الرقيق وغيره بفهم ومقدرة .
وتشير هنا الى ان ما اخذ به الكعبى . وهو يحقق الرقيق ، من أن ابنة عم القاضي والمؤمن :
كانت « تحب الياس بن حبيب » (الرقيق ، ص ١٣١ والهشامش ٢) ، بدلا من : كانت
« عند الياس بن حبيب : كعسا في ابن عذاري ، غير صحيح . ونص الرقيق الذى حققه
يؤيد ذلك في الصفحة التالية (ص ١٢٢) . حسد : « وكانت ابنة عبيد الياس » .
والحقيقة ان رواية الرقيق التى ينقلها النويرى (ص ٨٨ ب والسرجه ج ١ ص ٣٦٨) تحوى
معلومات اضافية طريفة تقول ان عبد الرحمن بن حبيب أرسل القاضي والمؤمن مع مولى ليما بدار
شبية بن حسد وان كان يسلم عبيداهما ليعلم كلامهما . وقارن ابن الأثير ، سنة ١٢٦ ، حيث
القرابة : العاصي وعبد المؤمن . بدلا من : العاصي والمؤمن . وتاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢
ص ٤٢٦ (حيث القرابة : « موسى العاصي » . وحيد تعدبه لعمه من أفريقية سنة
١٢٤ هـ) .

(٦٩) انظر خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٤٤١ . أخبار مجبوعة ، ص ٥٥ .

(٧٠) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٦١ . وقارن الرقيق ، ص ١٣١ (حيث انصت : « اعرض
عبد الرحمن الرقيق » . ينص على ولاية بعض أولاد الخليفة) .

الاميران الامويان ، وحاول هذان الفرار ، ولكنه أدركتهما وقتلتهما (٧١) . وكاد عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) يروح ضحية انتقام الفهري ، لولا ان انذره بعض اصحابه في الوقت المناسب ، فخرج من افريقية مع غيره من بني عمومته ، وسار بعيدا عن سلطان ابن حبيب ، الى المغرب الأوسط ، حيث بقي بعض الوقت في المنطقة التي ستبني فيها مدينة تاهرت . بعد ذلك بقليل (٧٢) . واستمر الأمير المرواني يتجول في بلاد المغرب لبضع سنوات قبل أن يدخل الأندلس في سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م . فمن إقليم تاهرت سار الى بلاد قبيلة مكناسة ، في موضع يقال له باري (٧٣) ، وذلك قبل أن ينتهي المطاف الى سواحل مدينة سبتة ، حيث نزل في موضع يعرف بسيرة غير بعيد من مدينة نكور . لدى أخواله من قبيلة نفزة (٧٤) .

الوحشة بين المنصور وابن حبيب :

في تلك الظروف فصم عبد الرحمن بن حبيب ما كان بينه وبين الامويين بعد أن استشعر خطرهم عليه ، واعترف بالعباسيين ، ولكن هؤلاء الآخرين ما كانوا ليجهلوا طموح ابن حبيب ووصوليته ، وما كانوا لينسوا له تحالفه

(٧١) ابن عسار ، ج ١ ص ٦٢ ، وقارن الرقيق ، ص ١٢٢ (حيث يسطر تفصيلات عن حرب الاميرين مع مولاها في طريق مجاعة وكيف أعيدا الى القيروان في الوقت الذي خرج منه الرحمن الى تونس ، وأمر خليفته على القيروان ، وهو عمر بن قافع بضرب عنقهما . هذا ويضيف الرقيق ، ص ١٢٢ - ١٣٣ ، رواية يصعب قبولها من الناحية الزمنية ، فضلا عن طابعها الأسطوري ، تلخص في ان مقاتل الامويين على يد عبد الرحمن كانت على أيام مروان بن محمد - أي قبل سنة ١٣٢ هـ . أما عن النافع اليها فهو خوفه مما كان يعرفه من أنه قتل على يد آخرين - مثل القاضي والمؤمن - أو مثل أخويه الياس وعبد الوارث . كما كتب اليه مروان . هذا كما تضيف الرواية أن امرأة عبد الرحمن اللخمية ، وهي أخت موسى بن علي بن رباح قالت له : « لا تقتل أحدا فانك لن تقدر أن تقتل من يقتل من يقتلك » . ومثل هذه الرواية قيلت أيضا بصدد « الأمير الفهري في محاولة التخلص من « الداخل » .

(٧٢) انظر دوزي ، ج ١ ، ص ١٩٥ الذي يقول انه نزل لدى الرستمي في تاهرت . والمعروف أن تاهرت بنيت قريبا بعد سنة ١٦١ ، ورغم ذلك فالظاهر أن عبد الرحمن استقر بعض الوقت في المنطقة التي ستبني فيها تاهرت . انظر بروفسال ، تاريخ اسبانيا الإسلامية ، ص ٦٩ .

(٧٣) أخبار مجموعة ، ص ٥٥ .

(٧٤) نفس المصدر . وانظر ابن الأثير سنة ١٣٩ - وقارن ابن خياط (ج ٢ ص ٢٤١)

الذي يجعل وصول عبد الرحمن بن معاوية الى المغرب في سنة ١٣٦ هـ .

المفصوم مع أعدائهم الأمويين . فيمجرد خلافة المنصور سنة ١٢٧ هـ - ورغم توقف العمليات العسكرية التي كان مزعما القيام بها في المغرب سنة ١٢٦ هـ - نراه يعمل على أن يثبت ابن حبيب نواياه الحقيقية تجاه الخلافة العباسية .

وكان يكفي أن يرسل ابن حبيب الأموال السنوية الى المنصور لكي يتبت صحة ولائه وطاعته ، وهذا ما لم يفعل . فالنصوص تقول انه : « لما صار الأمر الى أبي جعفر المنصور كتب الى عبد الرحمن يدعو الى الطاعة فأجابه ، ودعا له ، ووجه اليه بهدية كان فيها بزاة وكلاب ، وكتب اليه : ان افريقية اليوم اسلامية كلها ، وقد انقطع السبى منها . فغضب أبو جعفر ، وكتب اليه يتوعده » (٧٥) . وهذا النص يبين أن عبد الرحمن بن حبيب كان يود أن يتتفى من الطاعة بمظهرها الشكلى . أما عن الأموال فهو يعتذر بأن الجسلاذ أصبحت اسلامية وليس فيها مغنم ولا سبى ، مما يكون للخلافة فيه حظ ، وكأنه ليس للخلافة حقوق مالية الا فى دار الحرب .

القطيعة والاستقلال :

وبطبيعة الحال لم يكن المنصور ليرضى بذلك الخضوع النظرى ، فدفع الأموال السنوية الى بيت مال الخلافة هو الرابطة المادية الوحيدة - فى أغلب الأحيان - التي تربط بين أمراء الأقاليم والحكومة المركزية ، وعلى ذلك حق للمنصور أن يتهدد ابن حبيب ويتوعده . وهنا وجد عبد الرحمن الاجدوى فى استخدام المدارة والحيلة ، وأعلن عن موقفه بصراحة ، فقطع ما كان بينه وبين المنصور . وأراد أن يعطى موقفه الجريء - موقف الانفصال عن الخلافة التي تمثل حكومة الاسلام الواحدة ، التي ما كان يمكن أن نتجزأ فى ذلك الوقت - نوعا من الشرعية ، فجمع الناس للصلاة ، وبين لهم أسباب القطيعة ، فقال : « انى ظننت أن هذا الخائن (المنصور) يدعو الى الحق ويقوم به ، حتى تبين لى خلاف ما بايعته عليه من اقامة العدل ، وانى الآن قد خلعت كما خلعت نعلى هذا ، وقذفته من رجله » (٧٦) . وبذلك قطعت الخطبة للخليفة العباسى -

(٧٥) ابن عذارى - ج ١ ص ٦٧ . وقارن اصل الرواية فى الرقيق ، ص ١٢٢ ، ومضى

النويرى المخطوط ، ص ٨٨ أ . وانظر ابن الأثير سنة ١٢٦ هـ .

(٧٦) انظر ابن عذارى - ج ١ ص ٦٧ ، وقارن اصل الرواية فى الرقيق ، ص ١٢٢

- ١٢٤ (حيث يوجد بعض الخلاف الخفيف مثل الجائر بدلا من الخائن ، ونعلى هذين بدلا من =

وهذا ما لم يجرؤ عبد الرحمن الداخل عليه في الأندلس إلا بعد عام ، كانت
الخطبة خلاله لعدوه المنصور . وتحت الحاح شديد من أقاربه الأمويين (٧٧) .
وأصبح عبد الرحمن بن حبيب ذلك بنزع شعار الدولة العباسية ، وهو اللون
الأسود ، لون الثياب الرسمية والرايات ، فأمر بتمزيقها واحراقها وهو
يقول : « هذا لباس أهل النار في النار » (٧٨) ، وأمر كاتبه خالد بن ربيعة
أن يكتب كتابا يخلع المنصور ، ويقرأ على المناير في سائر بلاد المغرب (٧٩) .
حدث ذلك في أول حكم المنصور أي في سنة ١٢٧ هـ / ٧٥٤ م (٨٠) ، أي في
نفس الوقت الذي كان يدخل فيه عبد الرحمن بن معاوية الأندلس .

وهكذا بدأت انتصدمات الأولى في الدولة العربية ، بانقطاع المغرب
الأقصى عن الخلافة اثر ثورات الصفرية ، ثم انفصال الأندلس على يد عبد
الرحمن الداخل ، واستقلال ابن حبيب بأفريقية . ولم تقف الخلافة مكتوفة
الأيدي بل انها ستحاول استعادة المغرب ، ولكن سلطاتها لن يذهب الى أبعد
من أفريقية . وإلى أن تستعيد الخلافة هذه البلاد ، نجح عبد الرحمن بن حبيب
في تكوين ما يمكن أن يشبه بأسرة ملكية في أفريقية ، ولكن هذه الأسرة لن
تثبت أن تضيع بعد سنوات قليلة ، ما بين أطماع أفرادها في الإمارة ، وثورات
البربر من صفرية وإباضية ، وتدبير الخلافة في سبيل إعادة الوحدة إلى
الامبراطورية التي زعزعتها الفتنة .

= نيل هذا ، وقفهما وهو على المنبر بدلا من وقفه من رجله) وفي النويري ، ص ٨٨ ،
وابن الأثير ، سنة ١٢٦ هـ .

(٧٧) أنظر بروقتسال ، توزيع أسبابا الإسلامية . بالفرنسية ، ص ٩٤ .
(٧٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٧ ولكنه مع أن القطعة الأخيرة ترد منسوبة إلى الرقيق ،
فإننا لا نجد في القطعة التي نشرها الكمي . أما عن القطعة التي أحرقها فليسجلها المحقق
مع كلمة « سواد » (أنظر الرقيق ، ص ١٢٤) . والظاهر أن صحة الكلمة ، هي : « سواد » ،
كما سجلها ابن الأثير (سنة ١٢٦) . أما رواية ابن القطان التي يذكرها ابن عذارى أيضا ،
فتقول إن عبد الرحمن بن حبيب كان يظهر الطاعة للمنصور ، ويدعو له ، إلا أنه لم يلبس
السواد . أما ابن الأثير ، سنة ١٢٦ . فيقول إن المنصور أرسل إلى عبد الرحمن « خلع سواد »
أول خلافة فلبسها ، وهي أول سواد دخل أفريقية .

(٧٩) النويري ، المخطوط . ص ٨٨ ب ، وقارن الرقيق ، ص ١٢٤ .

(٨٠) ابن عذارى (عن محمد بن سعد) ، ج ١ ص ٦٧ .

٢ - الصراع بين بني حبيب : مقتل عبد الرحمن ، وإمارة أخيه الياس :

لم يكن ابن حبيب في الإمارة بعد إعلان استقلاله عن المنصور إلا شهرا إذ المفهوم أنه قتل في أواخر نفس سنة ١٣٧ هـ / ٧٥٥ م بيدي أخيه ومساعدته الأيمن الياس بن حبيب . ورغم ما يفهم من أن السبب الرئيسي لمقتل عبد الرحمن كان التنافس بين أخيه الياس وابنه حبيب على شغل منصب الرجل الثاني في المملكة الناشئة ، فإن النصوص تورد في ثنايا الأحداث أسبابا أخرى ، منها ضعف مركز ابن حبيب بعد أن فقد منده الشرعي بقطع علاقته بالخلافة ، ومنها قصة مؤامرة حريم . ونعتقد فعلا أن هذه الأسباب هي التي أودت سريعا - بتضافرها جميعا - بابن حبيب .

كان عبد الرحمن بن حبيب يستخدم إخوته وأبناءه كصالح وقواد يعاونوه في إدارة أمور البلاد وإقرار الأمن فيها . وكان لأخيه الياس مركز خاص ، إذ كان قائد قواته ومساعدته الأيمن في مناهضة الخصوم . والظاهر أن الياس كان يرى ، بحكم مركزه هذا ، وبحكم السن - بصفته أكثر أفراد الأسرة بعد الأمير - قبل ذلك ، أنه أول المرشحين لولاية العهد . وهذا لم يكن رأي عبد الرحمن الذي كان يرغب في إقامة حكم ملكي تاما ، يتبنى على مبدأ الوراثة من الأب إلى الابن ، فولى ابنه حبيبا عهده ، وعمل على أن يقوى مركزه في نظر الناس فكان ينسب إليه الانتصارات العسكرية ، وذلك على حساب أخيه الياس (٨١) .

وكان من الطبيعي أن يثير انكار الجميل أشياء في نفس الياس ضد عبد الرحمن ، وعرف خصوم عبد الرحمن - من الشخصيين والسياسيين - ذلك فعملوا على إثارة الياس ، وزيادة حقد علي أخيه . وأخريب في الأمر هو أن شيعة الأمويين وشيعة العباسيين عملوا سويا - دون قصد من غير شك - على القضاء على ابن حبيب . فزوجة الياس ، الأميرة الأموية ، التي كانت تكن حقا دفتينا لعبد الرحمن لافتاتة علي ابني عمها ولدى الوليد بن يزيد وقتلها . انتهزت الفرصة ، وحرضت زوجها الياس على عبد الرحمن ، وقالت : قتل أختانك وأنت صاحب حربته وصاحب سيفه ، وجعل العهد من بعده لحبيب

(٨١) انظر الرقيق ، ص ١٣٤ . وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٦٧ ، الخويري ، المخطوط ، ص ٨٩ والشوحبة ملحق من خلدون ج ١ ص ٣٦٨ .

ولده ، فهذا تهاون بك ، (٨٢) . ونجحت امرأة الياس في اثارته حتى قرر
اخلاص من عبد الرحمن ، وشاور في ذلك أخاه الآخر عبد الوارث فوافقه .
وانسح نطاق المؤامرة بانضمام جماعة من عرب القيروان اليها (٨٣) . وتم
الاتفاق بين المتآمرين على أن يخلف الياس أخاه عبد الرحمن في امارة افريقية
على أن تعود الدعوة عباسية ، فيعلن طاعته للخليفة المنصور (٨٤) . والظاهر
أن عبد الرحمن استشعر بما كان يحيكه أخوه الياس فقرر أن يبعده عن
العاصمة ، كما ينص على ذلك ابن الأثير ، فعهد اليه بولاية مدينة تونس (٨٥) .

وكانت فرصة مواتية سهلت تنفيذ المؤامرة . فعندما عهد عبد الرحمن
الى الياس بولاية تونس ألت به وعكة أو مرض خفيف ألزمه الفراش . ولما
كان على الياس قبل الخروج الى ولايته أن يودع أخاه الأمير ، فإنه قرر انتهاز
تلك الفرصة لقتله . ودخل الياس وبصحبته أخوه عبد الوارث على عبد الرحمن
الذي كان في غلالة ورداء ، وابن صغير له في حجره . وكان الموقف رهيبا
بالنسبة لالياس ، فرغم أنه القائد الذي طالما خاض غمار المعارك وغشى المذابح ،
فأنه تردد طويلا قبل أن يستجيب لتحريض أخيه عبد الوارث الذي كان
يفمز له ، ويقدم على اغتيال أخيه الأكبر ، وعميد الأسرة ، صاحب التجارب
العديدة والأعمال المجيدة . وأخيرا قام الياس ليودع عبد الرحمن ، فأكب
عنه ووضع السكين بين كتفيه حتى وصل الى صدره ، ثم رد يده على السيف
فضربه (٨٦) . وذهل الياس من هول ما فعل ، وكاد أن يفسد الحطة والآ

(٨٢) ابن عذارى . ج ٢ ص ٦٢ (النويرى ، المخطوط ، ص ٨٨ ب والترجمة في ملحق
ابن خلدون ج ١ ص ٣٦٨) .

(٨٣) أنظر الرقيق ، ص ١٣٥ (حيث يفهم من الرواية أن سهرا لقاضى افريقية واختلبرها
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم كان له ضلع ما فى المؤامرة) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٢ .
٦٧ . وقارن أصل الرواية فى الرقيق ، ص ١٣٤ ، النويرى ، المخطوط ، ص ٨٩ أ (جماعة
من أهل القيروان والعرب وغيرهم) ، وابن الأثير ، سنة ١٢٦ الذى يجعل نطح الخطبة العباسية
اساس نورة الياس .

(٨٤) أنظر الرقيق ، ص ١٣٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٢ (النويرى ، ص ٨٩ أ والترجمة
فى ملحق ابن خلدون ، ج ١ ص ٣٦٩) .

(٨٥) أنظر ابن الأثير ، أحطت سنة ١٢٦ .

(٨٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٨ ، وقارن أصل الرواية فى الرقيق ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .
النويرى ص ٨٩ أ والترجمة ج ١ ص ٣٦٩) . وتلاحظ هنا أن كلمتى « غلالة ورداء » مكتوبتان
فى شكل « غلالة وردية » ، ولقد ترجمتها تساند بنفس هذا المعنى أى وردية اللون . وقارن
ابن الأثير ، سنة ١٢٦ .

يستفيد من الجريمة ، اذ خرج هاربا دهنسا ، . حولا أن يردده أصحابه ليحز رأس تيب. الرحمن ، ويعلم النيب على امل. ، ثم يستولى على دار الامارة (٨٧) .
وعنده علم حبيب بن عبد الرحمن - الذي كان يقيم في دار الامارة - بما فعله عمه بوالده ، هرب من القيروان من باب تونس ، وسار الى عمه عمران ابن حبيب الذي كان يلي تونس (٨٨) . وهكذا بدأت مملكة الفهريين تتصلبت في آخر سنة ١٣٧ هـ / ٧٥٥ م بعد عشر سنوات فقط من اقامتها ، بسبب النزاع بين أفراد الأسرة والصراع في الامارة (٨٩) .

الياس بن حبيب وانصراف مع حبيب بن عبد الرحمن :

اعلنت اذن اماره الياس الذي أعلن طاعته للمنصور ، وبعث بها الى العراق في عمية القاضي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (٩٠) . ولكن الامارة ما كانت تخلص له دون موافقة ولي العهد الاصيل ، حبيب بن عبد الرحمن الذي كان يحشد موالى والده ومواليه وعبيدهما من كل ناحية تونس (٩١) .
واسرع الياس يحاول القضاء على حبيب قبل أن يتفاقم امره ، وخرج اليه حبيب ومعه عمران ، ولكنه بدلا من القتال دارت مفاوضات انتهت الى اتفاقية صلح قصد بها ارضاء جميع الأطراف المتخاصمة من أفراد الأسرة . فلقد تم الاتفاق على تقسيم الولاية الافريقية فتكون تونس وما في اعمالها من صغفورة والجزيرة (جزيرة شريك أو باشو) لعمران ، وتكون قفصة وما في اعمالها من بلاد قسطنطية (الجريد) ونفزاوة لحبيب بن عبد الرحمن ، ويكون للياس الى جانب الامارة سمائر افريقية والمغرب (٩٢) . والظاهر أن الياس عندما قبل أن يشاركه أخوه وابن أخيه في المملكة ، كان يضم القدر وعدم تنفيذ الاتفاق . فلقد سار مع أخيه عمران الى مدينة تونس ، وهناك قبض عليه وسيره الى الأندلس مع بعض أفراد الأسرة مثل عمر بن أبي عبيدة ، والأسود بن موسى

(٨٧) انظر الرقيق ، ص ١٣٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٨ (النويرى ، ص ٨٩) .
(٨٨) انظر الرقيق ، ص ١٣٦ (حيث الاشارة الى معاونة عمرو بن عثمان القرشي لحبيب على الهرب من القيروان) . ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٨ (النويرى ، ص ٨٩) . الترجمة ج ١ ص ٣٦٩ .
(٨٩) هذا ولو أن ابن خياط (ج ٢ ص ٤٤٤) يجعل مقتل عبد الرحمن في سنة ١٣٨ هـ .
(٩٠) انظر ابن الأثير ، سنة ١٣٦ ، وعن ابن أنعم انظر فيما سبق ، ص ٢٨٠ وهـ ١٠٤ .
(٩١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٨ (النويرى ، ص ٨٩) .
(٩٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٨ ، وقارن الرقيق ، ص ١٣٧ ، (النويرى ، ص ٨٩) .
والترجمة ، ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧٠) ، ابن الأثير ، سنة ١٣٦ .

ابن عبد الرحمن بن عقبة ، وعلى بن فطن (٩٣) ، حيث قريبتهم يوسف الفهرى ،
وعهد بولاية تونس الى محمد بن المغيرة قبل أن ينصرف الى القيروان (٩٤) .

وكان طبيعيا أيضا أن يشوب علاقة الياس بولى العهد السابق نوع من
العداء المزوج بالاشفاق والحذر ، الذى انتهى بأن تم نوع من الاتفاق على خروج
حبيب هو الآخر الى الأندلس ورغم اختلاف النصوص فيما اذا كان هذا الأمر
تم بتدبير من جانب حبيب نفسه أم من جانب عمه الياس فلا بأس من نوافق
ما كان يدبره كل منهما . والمهم أنه ما أن ركب حبيب البحر مع عمه عبد
انوارث وتدد من مواليه ، وما أن سارت المركب بعض الوقت حتى أرسى حبيب
فى طبرقة غير بعيد من بنزرت (٩٥) . وكتب الى عمه الياس بأنه فعل ذلك
مضطرا عندما ثارت بمركبه الريح . وتوجس الياس خيفة مما يضره حبيب
فكتب الى واليه على طبرقة ، وهو سليمان بن زياد الرعينى ، يعذره من حبيب ،
فمنح الوالى نزول « المنفيين » الى البر . وحدث ما كان يتوقعه الياس اذ توافد
على طبرقة ، أنصار عبد الرحمن بن حبيب من الموالى وغيرهم ، وطرقوا سليمان
ليلا ، وهو فى معسكره يحارس حبيبا ، فأسروه وشدوا وثاقه ، وركبوا الى
حبيب فأخرجوه الى البر (٩٦) .

وسار حبيب وأنصاره من طبرقة جنوبا نحو الأربس ، على يوم من القيروان
وتمكن من الاستيلاء عليها . وعندما علم الياس بذلك استخلف على القيروان
محمد بن خالد القرشى ، وخرج لملاقاته ، ووقعت بين الطرفين مناوشات خفيفة
توقفت عندما أقبل المساء . وقام حبيب باستخدام حيلة ، كانت معروفة فى
حروب ذلك الوقت ، للاستيلاء على العاصمة دون قتال : فأوقد النيران فى

(٩٣) النويرى ، ص ٨٩ ب والترجمة ج ١ ص ٢٧٠ . وقارن الرقيق ، ص ١٢٧ (حيث
اسم عمر بن أبى عبيدة : « عمرو بن ناعم بن أبى عبيدة » بينما لا نجد ذكرا لابن قطن) ، وقارن
ابن الأثير سنة ١٢٦ ، الذى يقول عن الياس انه قتل أخاه عمران ثم بحث بطاعته الى المنصور .
(٩٤) ابن عشارى ، ج ١ ص ٦٨ (النويرى ، المخطوط ، ص ٨٩ ب) ، وقارن الرقيق
ص ١٢٧ (حيث اسم يوسف الفهرى : « يوسف بن عبد الرحمن بن عقبة » ، ومحمد ابن المغيرة
القرشى) .

(٩٥) عن طبرقة أنظر البكرى (ص ٥٨) الذى يجعلها على مسيرة يوم قربى بنزرت .
(٩٦) ابن عشارى ، ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ (حيث يقول أن حبيب بن عبد الرحمن هو الذى
دبر أمر خروجه من الأندلس) ، وقارن الرقيق ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، والنويرى ، ص ٨٩
والتريجة ، ج ١ ص ٣٧٠ - حيث الرأى المخالف الذى يقول إن الياس هو الذى زين لحبيب
الخروج الى الأندلس . وقارن ابن الأثير ، سنة ١٢٦ - الذى لا يذكر تلك التفاصيل .

مصنكره ، ليظن، الياس أنه مقيم ، ثم سرى فأصبح بجلولاء، ثم نفذ الى القيروان فاستولى عليها (٩٧) ، بعد أن هزم ابن خالد ، وكسر باب السجن وأخرج أخاه سلام بن عبد الرحمن ، ومن كان معه من « صنائع » أبيه ومواليه (٩٨) . وأسرع الياس نى اثر حبيب ، ولكن الوقت كان يسير فى غير صالحه ، فبينما كان أصحابه يفتشون من حوله ، كان حبيب يزداد قوة (٩٩) . وأمام القيروان خرج حبيب فى جمح عظيم للقاء الياس ، ثم انه أراد أن يفسد الأمر على عمه ويستفيد من شبابه فدعاه الى حقن دماء أصحابهما ، فهم مادتهم وأصل قوتهم: وأن يحكما السيف بين شخصيهما فقط ، وذلك بالبراز . ووافق عمه على ذلك ، وبدأ النزال بين الياس وحبيب ، وبذل كل منهما جهده حتى تكسرت قناتهما ، ثم تضاربا بالسيوف ، « وعجب الناس من صبرهما » . وانتهى الصراع الرهيب بفوز حبيب الذى تمكن من اسقاط عمه وحز رأسه (١٠٠) .

ودخل حبيب القيروان فى موكب نصر غريب ، راياته رأس عمه الياس ورؤس أتباعه مرفوعة على الرماح ، وفيهم عم أبيه محمد بن ابي عبيدة بن عقبة ، ورأس محمد بن المغيرة بن عبد الرحمن القرشى ، وغيرهما من وجوه العرب . وعندما جاء محمد بن عمرو بن مصعب القرشى ، زوج عمه أبيه ، مهتئا أمر به فقتل هو الآخر (١٠١) ، وهكذا خنص الأمر لحبيب بسرعة اذ لم تدم امامة الياس بن حبيب الا الى ما يقرب من عام . فقد كان مقتله فى رجب

(٩٧) ابن عشارى . ج ١ ص ٦٩ . ولا بأس من الإشارة هنا الى أنه قريب هذا الوقت أراد عبد الرحمن بن معاوية الداخل أن يستخيم مثل هذه الحيلة مع والى الأندلس يوسف الفهرى قريب الياس وحبيب ، ولو أن الفهرى تنبه فى آخر لحظة لذلك التدبير (انظر أخبار مجموعة ، ص ٨٦ ، ليفى بروفنسال . تاريخ اسبانيا الاسلامية ، بالفرنسية ، ص ٧٣) .

(٩٨) انظر الرقيق . ص ١٢٨ .

(٩٩) انظر الرقيق . ص ١٢٨ (حيث يقول أن قائدى الياس اللذين كانا على ميمنته وعلى يسارته هما : عمرو بن عثمان الفهرى وأبو شريك الجزوى ، جنلاء واعتزلا القتال وضربا عمه) .

(١٠٠) انظر الرقيق . ص ١٢٨ - ١٣٩ (حيث تفصيلات طريفة عن المباراة وما حلل فيها من الكلام والضرب بين العم وابن أخيه) ، وقارن ابن عشارى ، ج ١ ص ٦٩ ، والنويرى ، ص ٨٩ ب ، ٩٠ أ ، الترجمة ، ج ١ ص ٣٧١ ، ابن الأثير ، سنة ١٢٦ .

(١٠١) انظر الرقيق ، ص ١٣٩ (النويرى ، ص ٩٠ : حيث لقب محمد بن عمرو بن مصعب هو « الفزارى » بدلا من « القرشى ») ، وانظر ابن عشارى ، ج ١ ص ٦٩ (الذى اغفل ذكر ضرب عمق محمد بن عمرو بن مصعب) .

من سنة ١٢٨ هـ / ديسمبر ٧٥٥ - يناير ٧٥٦ م (١٠٢) .

حبيب بن عبد الرحمن ونهاية أسرة الفهرين بأفريقية على ابنى الخوارج :

ثار حبيب بن عبد الرحمن لمقتل والده ، وخلص له الأمر ، ولكن استمرار النزاع بين أفراد الأسرة انتهى بها الى الضياع . فبعد مقتل الياس تمكن أخوه وحليفه عبد الوارث من الاغلات بمن بقي معه من المهزمين من أصحاب الياس ، وجأ الى قبيلة من بربر الخوارج الصفرية هي وزمجمومة ، بطن من بطون قبيلة نفزة ، حيث رحب بهم زعيمها عاصم بن جميل (١٠٢) . وكتب حبيب الى عاصم يطلب منه تسليم عمه عبد الوارث وأصحابه . وهدده (١٠٤) وكان رد عاصم بن جميل هو التحالف مع يزيد بن سحجوم (سكوم) أمير قبيلة ولهامة . وبفضل اعلان الولاء والطاعة الى الخليفة الشرعى أبى جعفر المنصور انضمت كل قبائل نفزاوة الى الحلف ، وقررت الخروج لاستخلاص القيروان (١٠٥) . وسار حبيب نحو نفزاوة للقاء عاصم بعد أن استخلف على القيروان القاضى أبا كريب جميل بن كريب المعافى ، ولكن القتال انتهى بانتهاز حبيب نحو فزيس ، والاعتصام بها (١٠٦) . وزحف عاصم وبصحبته أخوه مكرم نحو قابس ولكنه

(١٠٢) أنظر الرقيق ، ص ١٢٩ ثم ص ١٤١ (حيث ينص على أن ولاية الياس كانت ٦ سنة) أشهر ، ابن عذارى - ج ١ ص ٦٩ ، الذى يقول ان ولاية الياس كانت علما ونصف عام (وقارن النويرى ص ١٩٠ ، الترجمة ، ج ١ ص ٢٨١ والصفحة التالية ، حيث يقول ان ولاية الياس دامت عشرة أشهر فقط) .

(١٠٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٩ - ٧٠ (النويرى ، ص ٩٠ أ والترجمة ج ١ ص ٣٧١) ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١١ ، الترجمة ج ١ ص ٢١٩ ، وابن الأثير ، سنة ١٢٦ ، الذى يقول عن عاصم انه « كان ادعى النبوة والكهانة فبدل الدين وزاد فى الصلاة واسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من الأذان » . وأنظر الرقيق ، ص ١٢٩ - ١٤٠ (حيث النص مشهور فيما بين مقتل الياس ، والتجاء عبد الوارث الى وزمجمومة) .

(١٠٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٠ (النويرى ، ص ١٩٠) ، وقارن الرقيق ، ص ١٤٠ .
(١٠٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١١ (القرامطة هنا « ولهامة » بدلا من « ولهامة ») ، الترجمة ، ج ١ ص ٢١٩ ، وقارن الرقيق ، ص ١٤٠ (ج استنسخ عنه استقامة النص بسبب ما سقط منه) .

(١٠٦) ابن عذارى - ج ١ ص ٧٠ (قارن النويرى ، ص ٩٠ ، ٩٠ ب ، الترجمة ، ج ١ ص ٣٧١) - ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١١ ، الترجمة - ج ١ ص ٢١٩ ، وعن القاضى أبى كريب أنظر المالكي ، رقم الترجمة ٧١ ، ج ١ ص ١٠٧ ، وقارن الرقيق ، ص ١٤٠ ، ابن حياط ، ج ٢ ص ٤٦٤ ، حيث اسم القاضى « حميد بن حريث المعافى » .

(م ٢٢ - تلويح الغرب العربى)

تركها وراء ظهره وسافر إلى القيروان مباشرة (١٠٧) .

وكان لتظاهر البربر بالدعوة إلى الخليفة المنصور أثره في انقسام أهل القيروان ، فعندما اقترب عاصم من عاصمة إفريقية كتب إليه وإلى أشسياه ورفجومة بعض أعيان القيروانيين يرغبتهم في الدعاء للخليفة أبي جعفر ، وهم يظنون أن ذلك مناجاة لهم من انتقام البربر (١٠٨) . وهذا ما يفسر كيف انهزم القيروانيون بمجرد خروج بعض سائر عاصم إليهم ، فتفرقوا ورجعوا إلى القيروان ، وتركوا قاضيهم ، أبو كريب في نحو ألف رجل من أهل الدين مستسلمين للموت ، فقاتلوا حتى قتل أبو كريب وأكثر أصحابه ، (١٠٩) ، وذلك في موضع عرف فيما بعد بـ « بوادي أبي كريب » في ناحية جبل من القيروان . في سنة ١٢٩ هـ / ٧٥٦ م (١١٠) .

وبذلك دخلت قبيلة ورفجومة وحلفائها من نفاوة القيروان . وينص الكتاب على أن الصفريه أساءوا السيرة « فاستحلوا المحارم ، وارتكبوا الكبائر ونزل عاصم بمصلي روح » (١١١) . ثم ترك عاصم بن جميل القيروان . بعد أن

(١٠٧) ابن عذارى . ج ١ ص ٧٠ (النويري . ص ٩٠ ب . الترجمة . ج ١ ص ٣٧٢) ، وقارن ابن حلمون (ج ٦ ص ١١١ . الترجمة . ج ١ ص ٢١٩) الذي يجعل استيلاء عاصم على القيروان عقب هزيمة حبيب مباشرة بمعنى أن الغناء كان قرب القيروان . والحقيقة أن حبيبا هو الذي خرج إلى نفاوة . كما فهذا من رواية ابن عذارى والنويري - وهذا هو السبب في التجهان أن قاسم القريبة .

(١٠٨) ابن عذارى . ج ١ ص ٧٠ . وقارن رواية الرقيق (ص ١٤٠) التي ينقلها النويري (ص ٩٠ ب . الترجمة . ج ١ ص ٣٧١ - ٣٧٢) والتي تقول إن بعض أهل القيروان خرجوا من صفوف البربر وشدوا الناس ودعوا أهل المدينة إلى الانضمام إلى جانب عاصم .

(١٠٩) ابن عذارى . ج ١ ص ٧٠ (النويري . ص ٩٠ ب) . وقارن أصل الرواية في الرويحي حيث كلمة « مستسلمين » إلى الموت . بدلا من « مستسلمين للموت » .

(١١٠) نظر المالكي . ج ١ ص ١٧٠ ، ١١٠ . وفي المالكي رواية أخرى (ص ١٠٢) بعد مقتل أبي كريب في سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، وهو ما يسجله أيضا ابن خياف (ج ١ ص ٤٦٤) ولكن هذا التاريخ الأخير هو التاريخ الذي قتل فيه حبيب بن عبد الرحمن .

(١١١) ابن عذارى . ج ٢ ص ٧٠ ، وقارن الرقيق ، ص ١٤١ (الذي ينقله النويري . ص ٩٠ ب) حيث النص على نزول عاصم بمصلي « في الموضع الذي يسمى مصلي روح » ، مما قد يعني أنه لم ينزل في موضع مخصص للصلاة وهو الأمر المقبول إذ كان المصلي هو مكان صلاة العيد - خارج المدينة - وعن مصلي العيد أنظر فيما بعد ، ص ٩٨ ص ٣٧٢ . وعن مصلي روح من حاتم فإنه لم يعرف بهذا الاسم إلا بعد ولاية روح في سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧ م ، وكان ما شاء الله من الربيع من أبواب القيروان - أنظر فيما بعد ، ص ٣٩٢ . وانظر ابن خلطون ، ج ٢ ص ١٦٢ والترجمة ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، وابن الأثير ، سنة ١٢٦ .

استخلف عليها عبد الملك بن أبي الجعد اليفرنى ، وسار نحو حبيب
ابن عبد الرحمن بقابس . ولم يستطع حبيب الوقوف أمام الصفرية فانهزم الى
جبل أوراس عسى أن يعصمه الجبل العتيد من مطاردة عاصم التي لا تعرف
الهوة . ونى أوراس حقق حبيب أول انتصاراته على الصفرية ، وتمكن من
قتل عاصم وعدد كبير من أصحابه (١١٢) . ورأى حبيب أن يتبع انتصاره هذا
بانتزاع القيروان من بين يدي عبد الملك بن أبي الجعد ، ولكنه انهزم ، وتسلل
فى المعرم سنة ١٤٠ هـ / مايو - يونية ٧٥٧ م ، بعد ولاية دامت حوالى سنة
ونصف سنة (١١٣) . وبذلك انتهت أسرة الفهريين أبناء حبيب بن أبي عبيدة
ابن عقية بن نافع . وخلصت القيروان للصفرية الذين استعروا فى الفساد
بعد مقتل زعيمهم عاصم بن جميل كما يقول الكتاب ، « فربطوا دوابهم فى
المسجد الجامع ، وقتلوا كل من كان من قریش ، وعذبوا أهلها ، وسامت
ورفجومة أهل القيروان سوء العذاب ، وندم السذین استدعوعم أشد
ندامة » (١١٤) .

-
- (١١٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٠ وقانون الرقيق ، ص ١٤١ . (النويرى ، ص ٩٠ ب
- يسمى عبد الملك « ابن أبي جعدة ») . ابن الأثير . سنة ١٢٦ .
(١١٣) انظر الرقيق ، ص ١٤١ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٠ . وقانون ابن خلدون (ج ٦
ص ١١٢ . الترجمة ج ١ ص ٢١٩) الذى يقول ان ابن أبي الجعد قتل حبيبا أثناء انهزاه
فى جبل أوراس . وقانون ابن خياط (ج ٢ ص ٤٦٤ - ٤٦٥) بحيث النص على أنه بعد قتل
عاصم بن جميل دخل إفريقية أى القيروان عبد الرحمن بن خالد بن عمران بن أيوب البهمى .
قتله ابن أبي الجعد الذى نسبته الرواية « مكرز بن جميل بن عبد الملك بن أبي الجعد » .
وذلك فى سنة ١٤١ هـ .
(١١٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٠ (حيث القراءة : وأسامت ورفجومة لأهل القيروان سوء
العذاب ») . وقانون أصل الرواية فى الرقيق ، ص ١٤١ . ابن خلدون ج ٦ ص ١١٢ والترجمة
ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

الفصل الثاني

العصر الذهبي للخوارج

المغرب ما بين الصفيرية والاباضية

بانتزاع القيروان حقق صفيرية نفزاوة سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ما كان يهدف اليه اخوانهم صفيرية طنجة والمغرب الأقصى في سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م ، كما أن هؤلاء الأخيرين أضافوا الى ذلك نجاحا آخر في نفس الوقت إذ قاموا بتأسيس مركز صفري جديد لهم ، هو مدينة سجلماسة التي بنوها في سنة ١٤١ - ١٤٢ هـ (١) ، وبذلك انقطع المغرب - لفترة ما - عن الخلافة تماما ، وخلص للخوارج - وكان من الممكن أن تنجح الحركة الخارجية في المغرب ، ونحقق حلمها في اقامة الحكومة الجمهورية المثالية التي تستمد سلطاتها حقيقة من الشعب الذي يتساوى جميع أفراده من المؤمنين في كل الحقوق والواجبات ، والتي يمكن لأي فرد فيه أن يصل الى مركز الامامة (أي رئاسة الجماعة) دون أية تفرقة عنصرية طالما يتمتع بالأهلية .

كان يمكن أن يتم نهم ذلك لولا انقسامهم على أنفسهم الى فرق متنازعة متناحرة فيما بينها ، وتلك كانت آفة الخوارج الذين أضغف من حركاتهم القوية العنيفة حاجتها الى قيادة رشيدة توحيدها ، وتلم شسملها وتجبر شروخها - فكما انقسم الخوارج في المشرق الى شيعهم الصديفة المعروفة ، انقسموا أيضا في المغرب - ولو أن انقسامهم هنا كان الى فرقتين فقط : الصفيرية ، وأول ظهورهم كان في المغرب الأقصى ، ثم الاباضية ، وكان ظهورهم بعد ذلك يثليل في طرابلس - وظهور الاباضية في طرابلس هو في حقيقة الأمر انشقاق في جماعة الخوارج بالمغرب ، وذلك أن الاباضية عدلوا

١، أنظر في بعد الفصل الخامس بناء سجلماسة .

في مبادئ المذهب ، فقالوا الى الاعتدال والتسامح مما قريبهم الى اهل السنة
- كما اشرفنا (٢) .

وعلى ذلك لم يكن من الغريب أن يسخط اباضية طرابلس لما سمعوه
من سوء سيرة الصفرية ، وما قاموا به من أعمال العنف والتعصب بالقيروان ،
وأن يأخذوا على عاتقهم استخلاص العاصمة من بني ورفجومة وحلفائها . وهكذا
تجمع اباضية طرابلس من قبائل هوازة وزناتة في موضع يقال له صياد غربي
طرابلس (٣) ، وولوا على أنفسهم ابا الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري (٤)
وهو واحد من خمسة من أئمة الاباضية ، حملة العلم ، الذي ينسب اليهم نشر
المذهب في المغرب (٥) .

خرج أبو الخطاب بأصحابه الى مدينة طرابلس وطرد منها اهل عمرو
ابن عثمان القرشي واستولى عليها (٦) . وقوى أبو الخطاب بعد أن استولى على

(٢) انظر فيما سبق ، ص ٣١٨ و ٢٨ ، وما بعدها .

(٣) انظر السامعي ، سير مشايخ جيب نعوسة ، ص ١٢٥ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧١ . وقارن الكندي (ص ١٠٩) . ابن خلدون (ج ٦
ص ١١٢ ، الترجمة ج ١ ص ٢٢٠ حيث القراة ابن الشيخ خطأ بدلا من ابن السمع) . انظر
السامعي . السير ، ص ١٢٧ (حيث يقول ان امرأة استفطت في القيروان فعد الله في صوتها
حتى سمعها أبو الخطاب . أما اصل هذه الرواية في الرقيق (ص ١٤١ - ١٤٢) . وكما
ينقلها النويري (المخطوط . ص ٩١) والترجمة ج ١ ص ٣٧٣) فيقول ان رجلا من الاباضية
دخل القيروان فلما رأى : ناسا من الوردجوميين قد أخذوا امرأة وكابروها على نفسها ، وهو
ينظر والناس ينظرون . ترك حاجته التي أتى فيها ، وخرج حتى أتى ابا الخطاب عبد الأعلى
(الماز) بن السمع المعافري . فأعلمه التي رأى . وكذلك ابن الأثير ، سنة ١٢٦) .

(٥) انظر السامعي . السير . ص ١٢٣ - الذي يذكر رواية عن عبد الوهاب بن عبد
الرحمن بن رستم : ان سلمة بن سعيد أول من دعا للمذهب الاباضي في المغرب ، حرض
تلاميذه الأربعة الأوائل . وهم : عبد الرحمن بن رستم ، وعاصم السدراتي ، واسماعيل بن تدار
الغدامي ، وداود القيل النغزاري . على الذهاب الى البصرة لأخذ تعاليم القصب من فقيهه في
ذلك الوقت ، وهو أبو عبيدة سلم بن أبي كريمة التميمي (حول بني تميم) . وفي البصرة
انضم الى الأربعة أبو الخطاب بن عبد الأعلى بن السمع المعافري ، ومكث الخمسة عدة سنين
بالبصرة يدرسون المذهب خفية من أمراء البصرة في سرية على قمة سلسلة تنفردهم يربونها اذا
دخل عليهم أحد . ثم انهم عادوا الى افريقية بعد أن أشار عليهم أبو عبيدة أن يؤمروا عليهم
ابا الخطاب فان ابن قتلوه . وانظر الزاوي . تاريخ الفتح العربي في ليبيا . ص ١٠٥ - ١٠٦ .
(٦) انظر الرقيق ، ص ١٤٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٧١ (النويري ، ص ٩١) .
الترجمة ، ج ١ ص ٣٧٣) وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٢ . الترجمة ج ٢ ص ٢٢ =

أقليم طرابلس كله ، فجمع كل قبائل زناتة وهوارة هناك . وسار نحو
القيروان . ولا نعرف ان كان الجذب ذلك العام من الأسباب التي أدت الى
خروج تلك الجماعات اليدوية العقبرة الى بلاد القيروان ، وذلك أن الشماخي
ينسب بفعل أبي الخطاب ، ويقول انه خرج رغم أن العام كان عام جذب (٧) .
وفي الطريق استولى أبو الخطاب على فايس (٨) ، قبل أن يتم اللقاء قرب القيروان
بينه وبين ابن أبي الجعد . وانتهى القتال بانتصار الإباضية انتصارا هائلا على
الصفورية ، ومقتل ابن أبي الجعد وكثير من أصحابه ، وذلك في شهر صفر
سنة ١٤١ هـ / يونية - يولية ٧٥٨ م أي بعد تغلب ورفجومة على القيروان بسنة
وشهرين (٩) . ودخل أبو الخطاب القيروان بعد أن ثار من ورفجومة ، وبعد أن
أمر الأمور في المدينة ولّى عليها صاحبه عبد الرحمن بن رستم - الذي
سيؤسس فيما بعد امارة الإباضية المشهورة في تاهرت - وعاد هو الى بلاده
طرابلس (١٠) .

موقف الخليفة المنصور من خوارج افرقية :

تخلصت القيروان اذن من الصفورية ، ووقعت بين أيدي الإباضية ، ورغم
أن هؤلاء استغنوا فكرة الدعوة لأبي جعفر المنصور لصالحهم ضد ورفجومة
وحلفائها ، إلا أنهم لم يكونوا مستعدين حقيقة للخضوع للخلافة العباسية ،
والظاهر أن مشاغل المشرق (من ثورة عبد الله بن علي والنخعي من أبي مسلم)
استغرفت كل هم الخليفة المنصور فـمـ يرد بسرعة على عصيان عبد الرحمن

= وقارن أيضا الشماخي (السير ، ص ١٢٦) الذي يقول ان أب الخطاب أخذ طرابلس عن جهة
عسك من أمها اذ أدخل اليها رحاله في الحواشي على هيئة الرفقة .

(٧) الشماخي ، السير ، ص ١٢٧ .

(٨) نفس المصدر ص ١٢٨ .

(٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧١ (انظر النويري ، ص ٩١ . الترجمة ج ١ ص ٢٧٢)
وصدق ابن خلدون (ج ٢ ص ٤٦٥ - ٤٦٥) : حيث اسم ابن أبي الجعد مكرز بن أبي
حميل ، ابن عبد الملك (انظر فيما سبق ، ص ١١٣) .

(١٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧١ ، النويري ، ص ٩١ (يصف ابن رستم بالقاضي)
والترجمة ج ١ ص ٧٣ . ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٢ (عبد الرحمن بن رستم) والترجمة
ج ١ ص ٢٢ . ابن الأثير ، ١٣٦ ، والشماخي ، السير ، ص ١٣٠ . وعن استقرار عبد الرحمن
بن رستم في القيروان كنائب لأبي الخطاب وظهوره يظهر الأمير حيث حرب النقود بإسمه في
عاصمة « افريقيا » فيما بين سنة ١٤٢ هـ وسنة ١٤٤ ، انظر حسن حسني عبد الوهاب ،
الورقات ، قسم ١ ص ٤٢٥ .

ابن حبيب ، كما أنه لم يمد أعوان العباسيين في أفريقية ، ولم يستجب لاستغاثة فقهاء القيروان وعلمائها - الذين ساروا إليه وعلى رأسهم عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم قاضي أفريقية، ونافع بن عبد الرحمن السلمي ، وأبو البهلوان ابن عبيدة ، وأبو العرياض - من ورفجومة ، وما قامت به من الافساد (١١) . وعندما استعدت الخلافة للتدخل في المغرب في سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ - ٧٦٠ م كان مركز الخطورة قد انتقل أكثر فأكثر نحو المشرق فكان عليها أن تواجه أبا الخطاب ومن معه من الإباضية في طرابلس .

وبدأ التدخل عندما ولي مصر القائد العباسي المشهور محمد بن الأشعث الذي سير قواته الموجودة في برقة بقيادة العوام بن عبد العزيز البجلي ، ولكن العوام لم يستطع الوقوف أمام مالك بن سحران الهواري الذي بعثه أبو الخطاب فانهزم في أرض سرت (١٢) . وسير ابن الأشعث في سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ - ٧٦٠ م أحد قواده ، وهو أبو الأحوص بن الأحوص العجلي ، على رأس القوات العباسية نحو المغرب من جديد ، فخرج أبو الخطاب للقائه . ونجح في قطع طريقه عند موضع على شاطئ البحر يعرف بمغمداس في منتصف المسافة بين قصور حسان وسرت (١٣) . ودارت معركة حامية انتهت بانهزام « المسودة » ومقتل كثير منهم ، واضطر أبو الأحوص إلى العودة إلى قواعده في مصر ، بينما انصرف أبو الخطاب مظفرا غانما إلى طرابلس (١٤) .

(١١) المالكي ، رياض النفوس ، الترجمة ٦٧ ، ج ١ ص ١٠٢ ، النويري ، ص ٩١ ب ، والترجمة ج ١ ص ٣٧٤ . أما عن القاضي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم فله قام بمهمة مماثلة عندما سار إلى المصور يحمل طاعة الياس بن حبيب (ابن الأثير ، سنة ١٢٦) ، وأنظر فيما سبق ، ص ٢٢٤ وهـ ٩٠ .

(١٢) السماخي ، السير ، ص ١٣٠ .

(١٣) البكري ، ص ٧ ، السماخي ، ص ١٣٠ . وأنظر ابن عذاري (ج ١ ص ٧١) الذي يسمي الموضع مقداس . وقارن الكندي حيث فضل المحقق قراءة ابن عذاري « بمقداس » على « بمغمداس » رغم أن الموجود في الأصل هو بمغمداس وهي أقرب إلى بمغمداس (الكندي ، ص ١٠٩ وهامش ٤) . ومع أن الجغرافيين لا يذكرون مقداس فإن الزاوي يظن أن المقصود هو مقداس غربي تاورغة وهو قصر قديم بين سونجين ورمزم على طريق سرت . القحط العزبي في ليبيا ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، وأنظر فيما سبق ص ٩٣ وهامش ١٢٤ (حيث خلط البعض بينه بمغمداس ومغمداس) .

(١٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٢ ، الكندي ص ١٠٩ ، ابن الأثير ، سنة ١٢٦ .

ولاية محمد بن الأشعث :

ووصلت أنباء الهزيمة الى المنصور فكان رد فعله سريعا اذ عهد بافريقية الى ابن الأشعث وأرسل اليه الجيوش ، وأمره بالمسير بسرعة . وجمع محمد ابن الأشعث قواته وعسكر ببسما في الجزيرة في أوائل شهرى ذى الحجة سنة ١٤٢ هـ / أواخر مارس ٧٦٠ م . وبعد أداء صلاة عيد الأضحى سار على رأس الجيش عابرا النيل في الطريق الى الإسكندرية ، بعد أن استخلف على القسطنطينية محمد بن معاوية بن بجير بن زيسان (١٥) . وخسرج ابن الأشعث في ٤٠ (أربعين) ألف رجل منهم ٣٠ (ثلاثون) ألفا من جند خراسان ، و ١٠ (عشرة) آلاف من جند الشام عليهم ٢٨ (ثمانية وعشرون) قائدا منهم الأغلب بن سالم التميمي والمعارب بن هلال الفارسي ، والمخارق بن غفار الطائي يلونه في القيادة (١٦) . وانظأهر أنه تربث في الطريق ، وأخذ يستقصى أخبار أبي الخطاب الذي استعد بدوره فطلب المعونة من ابن رستم بالقيران وحشد حشودا عظيمة يقول ابن عذارى انها بلغت ٢٠٠ (مائتى) ألف رجل ، وذلك أن اللقاء بينه وبين الإباضية تم يتم الا في أوائل سنة ١٤٤ هـ / ابريل - مايو ٧٦١ م (١٧) .

ومن حسن حظ ابن الأشعث أن الوثام لم يستمر طويلا بين الإباضية ، اذ لم تلبث الحزازات العصبية أن قسمتهم . فلقد قام النزاع بين زناتة وهوارة ، واتهم الزناتية أبا الخطاب بأنه يحابي أبناء عصبية الهواريين ، وفارقه عدد كبير منهم (١٨) . وعندما وصلت هذه الأنباء المشجعة الى محمد بن الأشعث

(١٥) الكندي ، ص ١٠٩ .

(١٦) النويرى ، المخطوط ، ص ٩١ ب والترجمة ، ج ١ ص ٣٧٤ : تولى المعارب قبيل وصول ابن الأشعث الى افريقية) . وقارن ابن الأثير . سنة ١٢٦ (سار في ٥٠ ألفا) ، أما عن الرقيق الذي ينقل منه النويرى ، روايته مخرومة في هذا الموضع (انظر ص ١٤٢) . وقارن ابن الأثير . الحلة السيرة . ج ١ ص ١٩ (حيث عدد الفواد ١٢٨ قائدا . أما عن عدد أهل الشام فهو ١٠ آلاف أو ألفان فقط) .

(١٧) ابن عذارى . ج ١ ص ٧١ ، ٧٢ (النويرى ، ص ٩١ . الترجمة ج ١ ص ٣٧٤) . وقارن ابن خياط (ج ٢ ص ٤٦٤ - ٤٦٥) : حيث يجعل مقتل أبي الخطاب في سنة ١٤٣ هـ . ويصف السامى (السير ، ص ١٣١) أصحاب أبي الخطاب فيقول ان جواسيس ابن الأشعث قالوا له عن أبي الخطاب ورجاله : رأينا رهبانا بالليل . أسودا بالشهار ، يمتنون الجهاد بقاتكم كما يمتنى المرض لقاء الطبيب وانظر ابن الأثير ، سنة ١٢٦ .

(١٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧١ ، ٧٢ (النويرى ، ص ٩٢ . الترجمة ج ١ ص ٣٧٥) .

أسرع يطوى المراحل سرا نحو أبي الخطاب الذي فوجيء به في حيز طرابلس (عند سرت) . وتم اللقاء بينهما في أرض سرت في موضع بتاورغة يعرف عند النويري ، الذي ينقل عن الرقيق ، بورداسه حيث سبق ابن الأشعث ، حسب الرواية الإباضية ، إلى الماء (١٩) . وبعد معركة دامية ثبت فيها عسكر الخلافة انهزم البربر ، وقتل أبو الخطاب وعدد غفير من أصحابه ، وتناثر عقد المنهزمين الذين تتبعتهم قوات الخلافة إلى فبس (٢٠) .

وظن ابن الأشعث أن ثورة الإباضية قد انتهت بمقتل أبي الخطاب ، ولكن الأمر تطلب موقعة ثانية - تماما كما حدث لحنظلة بن صفوان في وقعتي الأصنام والقرن - إذ لم تلبث زنانة أن قامت عليه في ١٦ (ستة عشر) ألف رجل عليهم أبو هريرة الزفاتي ، فهزموهم ابن الأشعث في ربيع الأول من نفس السنة (١٤٤ هـ / يونية - يولية ٧٦١ م) (٢١) .

وبعث ابن الأشعث بأنباء النصر مع رأس ابن الخطاب إلى الحليفة (٢٢) ثم

= ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٢ (يلاحظ اضطراب النص هنا) والترجمة ج ١ ص ٢٢٠ . وانظر الشماخي (السير ، ص ١٣٠) الذي يرجع مسير قوات المصور إلى إفريقية بسبب الخلاف بين الإباضية - فهو يقول إن أحدهم ، وهو جميل السدراتي - الذي أدبه أبو الخطاب في القيروان عند حرب ورفجومة بسبب حروجه على نظام الجماعة الذي لا يسمح بالنهب والسلب (ص ١٢٩) - خرج إلى المصور ، وحرصه على إرسال الجيوش معه إلى القيروان . هنا ولو أنه يفسر انصراف أصحاب أبي الخطاب تفسيراً آخر فيقول : تفرق أصحاب أبي الخطاب لأن الوقت كان وقت زرع .

(١٩) انظر النويري ، المخطوط ، ص ٩٢ الذي يقول إن ابن الأشعث ضبط أفواه السكك حتى انقطع خبره عن أبي الخطاب الذي رجع عندئذ إلى طرابلس ، الشماخي ، سير مشايخ جبل نفوسة ، ص ١٣٢ .

(٢٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧١ ، ٧٢ ، وفارن النويري ص ٩٢ ، والترجمة ج ١ ص ٣٧٥ الذي يرجع هزيمة البربر إلى خدعة قام بها ابن الأشعث إذ ادّاع أنه سيعود إلى مصر حسب طلب الخليفة ، ورجع فعلا بضعة أميال ثم فدحا أبا الخطاب في ودراسة . قارن الرقيق ص ١٤٢ ، حيث القراءة « ودراسة » . هذا . كما تبانج رواية النويري (الرقيق) فتقول إن عدد القتلى من رجال أبي الخطاب بلغ ٤٠ (أربعين) ألف رجل . بينما يحدد الشماخي (السير ص ١٣٢) بما يتراوح ما بين ١٢ ألف (اثني عشر) ألفاً و ١٤ (أربعة عشر) ألفاً .

(٢١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٢ (قارن النويري ، ص ٩٢ ، الترجمة ج ١ ص ٣٧٥ الذي يجعل ذلك تاريخاً لقتل أبي الخطاب كما فعل البكري ، ص ٦٨) ، ابن الأثير ، حنة ١٢٦ .

(٢٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٣ - حيث يقول إنه وجد برأس أبي الخطاب إلى بغداد . والمتصور أن المصور . مبقداً ثم يبدأ بتأوه . الاثنى السنة التالية (١٤٥ هـ) .

دخول مدينة طرابلس ، وعهد بولايتها الى المخارق بن غفار الطائي (٢٣) . وعندما وصلت انباء الكارثة التي حلت بالاباضية الى القيروان تركها نائب أبي الخطاب وهو عبد الرحمن بن رستم ، وسار نحو المغرب الى حيث سيبنى مدينة تاهرت الجديدة التي أصبحت عاصمة الاباضية في المغرب الاوسط الى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب في نهاية القرن الثالث الهجري (٩ م) (٢٤) . وبعد فرار ابن رستم أخذ أهل القيروان عاملة لديهم ، وأوثقوه في الحديد ، واختاروا عمرو بن عثمان القرشي وألبيا عليهم الى أن وصل ابن الأشعث ودخل القيروان في جمادى الأولى سنة ١٤٤ / أغسطس ٧٦٦ م (٢٥) وبذلك استعادة الخلافة بلاد افريقية ، ولكن الى القيروان فقط ، ومع بقاء المذهب الخارجي متغلغلا بين قبائل البربر من طرابلس الى تلمسان (بلاد برغواطة) في المغرب الأقصى شمالا ، ومن صحراوات فزان الى صحراوات سجلماسة جنوبا ، بمعنى أن بلاد القيروان أصبحت أشبه ما تكون بجزيرة وسط بحر من الأعداء السياسيين والمذهبيين . ولقد عرف ابن الأشعث ذلك ، ورأى أن أول ما ينبغي عمله هو تحصين العاصمة حتى تتمكن من مواجهة خصومها المحيطين بها . فبدأ ببناء سور القيروان في شهر ذي القعدة من سنة ١٤٤ هـ / فبراير ٧٦٢ م ، واستغرق البناء كل سنة ١٤٥ هـ / ٦٢ - ٧٦٣ م . وتم في رجب من سنة ١٤٦ هـ / سبتمبر - أكتوبر ٧٦٣ م (٢٦) ، أي في نفس الوقت الذي كان الخليفة المنصور مشغولا ببناء بغداد .

ولقد ساعد ابن الأشعث على انجاز عمله العمراني هذا أن سنة ١٤٥ هـ كانت سنة خصب ، كما مكنته ذلك من القضاء على بقايا المخالفين من الخوارج .

(٢٣) النويري ، ص ٩٢ ب والترجمة ج ١ ص ٣٧٦ .
(٢٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٣ (النويري ، ص ٩٢ ا - القراءة « صهرت » بدلا من « تيجرت » ، وقارن ابن خلدون ج ٦ ص ١٤٤ . والترجمة ج ١ ص ٢٢٠ ، البكري ، ص ٦٨ ، وثارن الساسي (السير ، ص ١٢٢ - ١٢٣) حيث تقول الرواية الاباضية - على عكس ذلك - دون ذكر السند - أن عبد الرحمن بن رستم كان في المعركة مع أبي الخطاب ، وأنه دخل القيروان مستغفيا حيث قبض عليه عبد الرحمن بن حبيب ولكن أحد القيروانيين شجع له فأطلقه . والظاهر أن الرواية المقبية تريد أن تعطي لترجمة ابن رستم ، بصفته أحد حملة العلم ، لونا قصصيا فيه مسحة من كرامات الاولياء .

(٢٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٢ (النويري ، المخطوط ، ص ٩٢ ا - عمر بن عثمان القرشي) .

(٢٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٢ - ٧٣ ، النويري ، ص ٩١ ب ، الترجمة ، ج ١ ص ٣٧٦ التي يعتمد الأمر ببناء السور في أول شهر جمادى الأولى / أغسطس ٧٦٢ م .

خفى نفس السنة أرسل حملة بقيادة اسماعيل بن عكرمة الخزاعي الى زويلة وودان ، ونجحت الحملة في الاستيلاء على المدينتين ، وقضت على الإباضية بهما ، وقتلت زعيمهم يزويلة ، وهو عبد الله بن حيان الإباضي (١٧) . ونجح ابن الأشعث في إخضاع كل خصومه من البربر في حدود ولايته حتى قال ابن عذارى في أخبار سنة ١٤٥ هـ : « وسكن ابن الأشعث أحوال أهل إفريقية في هذه السنة ، فلم تكن بها حركة له » ، وذلك رغم اشارته الى « حركة » زويلة وودان (٢٨) . وهكذا لا نجد أحداثا هامة - من تلك التي اعتدناها منذ مدة - في السنتين التاليتين ، الى أن ينهار محمد ابن الأشعث فجأة في سنة ١٤٨ هـ .

اضطراب العسكر الخلافي :

انهيار ابن الأشعث ، وولاية الأغلب بن سالم التميمي :

وكان انهيار ابن الأشعث نتيجة لآفة جديدة بدأت تدب في إفريقية ، فهو لم يسقط نتيجة لثورات البربر والخوارج بل بسبب عدم انتظام الجند الخراساني . ففي سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م ثار عليه أحد قواد الجند المصري ، واسمه عيسى بن موسى بن عجلان مع عدد من رؤساء الجند ، وحاصروه مدة في القيروان ، وأرغموه على الخروج واعتزال الولاية وتركها لعيسى بن موسى الخراساني في ربيع الأول/مايو (٢٩) . واستمر تغلب عيسى على القيروان لمدة ٣ (ثلاثة) أشهر « من غير عهد من المنصور ، ولا رضى عنه ، ولا تراضى من العامة » ، فكانت فرصة لغيره من العرب والجند للتغلب على بعض أطراف من البلاد (٣٠) . وأظهر أن أبناء عصيان العسكر خرجت من القيروان قبيل

(٢٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٣ . وقارن النويري ، ص ٩٢ ب ، الترجمة ج ١ ص ٣٧٦ . وابن الأثير (سنة ١٢٦) الذي يسميه عبد الله بن سنان .

(٢٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٣ .

(٢٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٣ ، ٧٤ . وأنظر ابن خياط ، ج ٢ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ ، والسماحي الذي يورد رواية الرقيق (ص ١٣٥) ، ولو انه خلط قبل ذلك ما بين ابن الأشعث وعمر بن حفص .

(٣٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٣ . وقارن النويري (ص ٩٢ ب ، الترجمة ج ١ ص ٣٧٧) الذي يقول انه لم يبايع عيسى سوى رؤساء المضرية بمعنى أن العسكر الخراساني كان مضربا شريفا من مصر . وهذا يشير الى أن ابن الأثير سنة ١٢٦ ، يسبق ثورة عيسى هذه بثورة قام بها سنة ١٤٧ هـ أحد الجند واسمه هانم بن السامح بضمونة وسلازكه فيما =

خروج ابن الأشعث وأن الخليفة المنصور قرر حسم الأمر بتولية أحمد قواد جيش أفريقية (٣١) ، وتوسم في الأغلب بن سالم التميمي والى طينة (الزاب) - الذي سينجح بنوه في إقامة أسرة مالكة في البلاد فيما بعد - الكفافة والمقدرة على ضبط الأمور ، فيعت إليه بعهد في آخر شهر جمادى الآخرة من نفس السنة/أغسطس ٧٦٥ م . وبعد ذلك وصلت الأغلب تعليمات الخليفة و يأمره بالعدل في الرعية ، وحسن السيرة في الجند ، وتحصين مدينة القيروان وخذلها ، وترتيب حراسها ومن يترك فيها اذا رحل الى عدوه ، وغير ذلك من أمور ، (٣٢) . ونجح الأغلب في السيطرة على العسكر ، وملك ناصية الأمور فاستقامت له ، حتى أنه لم يكن في السنة التالية (٧٦٦/١٤٩) حركة ، (٣٣)

بداية أبو قرّة المغيل الصفري :

ولم يقدر للأغلب أن يمكث في ولاية القيروان الا سنة وثمانية أشهر فقط انتهت بمقتله أثناء صراعه ضد الجند الخلفي الخارج على النظام والطاعة ، ونتيجة لاضطراب الخوارج . ففي سنة ١٥٠ هـ /٧٦٧ م ثارت الخوارج الصفرية من قبيلة بني يفرن ، احدي قبائل زناتة ، ومعها بربر قبيلة مزيله وذلك في المغرب الأوسط بقيادة أبي قرّة اليفرنى الذي جعلوه اماما واتجهوا نحو القيروان (٣٤) . واستعد الأغلب لحرب انصقرية ، وخرج من القيروان في معظم قواته وقواده ، بعد أن ترك أحدهم وهو سالم بن سواده التميمي نائبا عنه ، واتخذ طريق الزاب (٣٥) . وعندما اقترب الأغلب من موضع أبي قرّة حرب هذا الأخير وتفرق أصحابه ، مما جعل الأغلب يقرر الذهاب الى عقر دار قبائل

= قواد المخزية . ولقد انهزم حاشم الى تاهرت ثم عاد بالبربر الى تهودة ومنها سار الى طرابلس حيث قتله نائب المنصور .

(٣١) أنظر النويرى ، (ص ٩٢ ب ، الترجمة ج ١ ص ٢٧٦) الذي يقول ان سبب الثورة هو سماع الجند بان ابن الأشعث استدعاء المنصور فرفض السير اليه .

(٣٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٤ ، وقارن النويرى ، ص ٩٢ ب ، الترجمة ج ١ ص ٢٧٧ ، وابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٢ ، الترجمة ج ١ ص ٢٢١ . وابن الأثير . سنة ١٤٨ .

(٣٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٤ .

(٣٤) نفس المصدر ، وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١١٢ ، الترجمة ج ١ ص ٢٢٢) الذي يجعل ذلك في سنة ١٤٨ هـ /٧٦٥ م ، وفي ذلك خلط بين ثورة الجند على ابن الأشعث ونورتهم على الأغلب ، ابن الأثير ، سنة ١٤٨ ، أنظر الحلة السبويه ، ج ١ ص ٦٩ (حيث يصف أبا قرّة بالبربري) .

(٣٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٤ (النويرى ، ص ٩٣ أ ، الترجمة ج ١ ص ٢٢٧) .

زفانة ومهاجرتها في قاعدتها تلمسان ، وكذلك في طنجة . وهنا ظهر عدم انتظام الجيش من جديد اذ كره الجنود المسير معه ، وأخذوا يتسلطون عنه الى القيروان ، حتى لم يبق معه منهم الا عدد قليل (٣٦) .

ثورة الحسن بن حرب الكندي ومقتل الأغلبي (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) :

والظاهر أن الأمر كان مديرا من قبل بمعرفة والي تونس ، الحسن بن حرب الكندي ، وأنه تمت اتصالات بين هذا الأخير وبين القواد اذ لحق به عدد كبير منهم ، مثل : بسطام بن الهذيل ، والفضل بن محمد ، وادتهز المتآمرون خلو القيروان من العسكر فساروا اليها وغلبوا سالم بن سواده على أمره ، وأخذ الحسن بن حرب ووضع في الحبس (٣٧) . وعندما بلغ الأغلبي الخبر رجع سريعا بمن بقي معه من الجنود ، وكتب الى الحسن يرغبه في اطاعة ويرهبه من العصيان ، فكان رد الحسن عليه هو الاختيار بين قبول الأمر أو تحكيم السيف (٣٨) .

ويفهم من روايتي صاحب كتاب العيون والحدايق وابن عذاري أن الأغلبي انهزم أمام الحسن في ربيع الأول / ابريل واضطر الى الالتجاء الى قابس ثم طرابلس ، وأنه كتب الى الخليفة يستشير في الأمر (٣٩) . ولما ورد اليه كتاب

(٣٦) نفس المصدر السابق ، وقارن ابن خلدون (ج ١ ص ١١٢ ، الترجمة ج ١ ص ٢٢١) الذي يسمي الأغلبي بـ « ابن سود (سواده) » والحقيقة ان ابن سواده هو نائب الأغلبي في القيروان .

(٣٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٧ (النويري ، ص ٩٣ ، الترجمة ج ١ ص ٢٧٧) .
(٣٨) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٤ (النويري ، ص ٩٣ ، الترجمة ج ١ ص ٢٧٧)
حيث يذكر أن الحسن ذيل رده بأبيات يقول فيها :

الا قولوا لأغلبي غير مر	مغلغلة عن الحسن بن حرب
بأن البني مرتعة وخيم	عليك وقرية لك شر قرب
فان لم تنثنى لتنسال سلمي	وعفوى فادن من طعني وضربي

وهناك اختلاف في نص البيتين الأول والثالث كما ورد في ابن عذاري وفي النويري . ففي النويري يبدأ البيت الأول بـ « الا قولوا » بدلا من « الا قولوا » . وفي ابن عذاري « غير مر » بدلا من « غير مر » . أما عن البيت الثالث فهو في النويري « وان لم تنثنى لينال سلمي والا فادن من طعني وضربي » ، وقارن العدة السراء ج ١ ص ٧٠ (حيث اختلاف كبير في البيتين الأولين) .

(٣٩) العيون والحدايق ، ج ٢ ص ١٨٧١ ، ٢٦١ - ٢٦٢ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٤ - ٧٥ .

للمنصور وليس فيه أمر بعزله أو باستعمال غيره بل فيه دعوة إلى الحسن بن حرب بالطاعة ، ولما رفض الحسن أن يستجيب لنداء الخليفة سار إليه الأغلب في شهر رجب أي بعد أربعة أشهر من سيطرته على إفريقية ، وأرغمه على الانسحاب إلى تونس . عمته الأول ، ودخل الأغلب القيروان ، واستمر الحسن في عصبانيته وحشد جموعا كبيرة سار بها إلى القيروان من جديد ، وخرج الأغلب إليه وقد حشد كل ما أمكنه حشده حتى أهل بيته وخاصته ، وانتهى القتال المرير دون نتيجة حاسمة ، إذ فر الحسن بينما أصيب الأغلب بسهم طائش ومات متأثرا بجراحه في شعبان من تلك السنة (١٥٠ هـ) سبتمبر ٧٦٧م (٤) . بعد أن استخلف على إفريقية المخارق بن غفار الطائي الذي تمت لهبيعة أهل القيروان في الشهر التالي (رمضان / أكتوبر) ، وفرر المخارق الذي اعترف بالمنصور بولايته (٤١) النازحوت الأغلب فأرسل قوة من فرسان القيروان إلى تونس ، فهرب الحسن بن حرب إلى بلاد كتامة (شرق الجزائر الحالية) حيث أقام شهرين ثم انه عاد إلى تونس ليلقي حتفه على أيدي رجال حامينها (٤٢) . بموضع يعرف بسوق الأحد . كما يقول البلاذري (٤٣) .

(٤٠) ابن عساق . ج ١ ص ٧٤ - ٧٥ . وادون النويري (١٢ ب ، الترجمة ج ١ ص ٣٧٨) الذي يعطى تفصيلات عن سير المعركة وكيف انكسرت ميمنة الحسن . وكيف توغل الأعداء في القصب وهو يضرب أقدمه إلى أن أصيب بسهم . ابن الأثير . سنة ١٤٨ هـ . وقارن الحلة السمرية . ج ١ ص ٧٠ ؛ حيث الاستسادة إلى خروج الأغلب من باب اصريم ، من أبواب القيروان . وحيث الإشارة إلى تفصيلات القتال التي يذكرها النويري ، والتي ينقلها من الرفيق . كما ظهر . من : حصل الأغلب على ميمنة الحصر ثم على أسيرة والقلب ، وهو يشهد أشعار الحماسة . كما هو الحال في قصص الاخباريين العديدين . وفي موت الأغلب الذي عرف بالسبي والتقى حله السعراء في مراتبهم ، يقول الترددية انه عندما بلغ المنصور موته . فر . . . ان سبى المغرب قد قطع . فان دبع الله توبيع دولتنا والا فلا هرب . . . ومن الواضح من هذا المثال وتلك المراسم كتب من أعمال الكتب والشعراء الذين حملوا الامرة الاعلانية فيما بعد . . . وادون العيون والحدائق (ج ٣ ص ٢٦٢) حيث وفاة الأغلب في شهر رمضان . (٤١) غير توبيع حصة بن حياطة . ج ٢ ص ٤٦٠ . العيون والحدائق . ج ٣ ص ٢٦٢ . (٤٢) ابن عساق . ج ١ ص ٧٧ . وادون النويري (الذي يذكر موت الحسن بعد اصابه الأغلب - صر القصب من اساقق . وابن حنبل . ج ٦ ص ١١٢ والترجمة . ج ١ ص ٢٢١) وادون هانس ١ ص الترجمة ص ٣٧٩) الذي يذكر الترددية . و نظر ابن الأثير . سنة ١٤٨ ؛ الذي يقول ان الأغلب سبي السبي وهو ما سعى عليه البلاذري . ص ٢٣٣) وانحطت أسيرة . ترجمه الحسن الكندي . ج ١ ص ٧٢ . حسب الإشارة إلى هزيمة الحسن إلى تونس حسب ابن حنبل . ص ٣٧٩ . (٤٣) غير النويري . ص ٣٧٩ .

الفصل الثالث

المهلبيون في إفريقية

عمر بن حفص بن قبيصة واستمرار الصراع ضد الخوارج :

عندما علم المنصور بمقتل الأغلِب بن سالم في إفريقية اختار رجلاً في مستوى الأحداث الخطيرة في المغرب ، هو أبو جعفر عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة (أخي المهلب) ، من أسرة المهلب بن أبي صفرة التي اشتهرت بحروبها ضد خوارج المشرق من الأزارقة . عرف عمر بن حفص بأنه بطل شجاع حتى لقب بهزارمرد (أي ألف رجل بالفارسية) (١) ، وعلى ذلك سيره المنصور إلى المغرب على رأس ٥٠٠ فارس . والظاهر أن ما عرف به عمر بن حفص من الشجاعة والحكمة إلى جانب اسم أسرته اللامع كان كافياً لأن يفرض نفسه على الجميع ، إذ دخل القيروان في صفر سنة ١٥١ هـ / مارس ٧٦٨ وتسلم الإمارة من المخارق دون حدث ، واستقامت له الأمور أكثر من ثلاث سنوات إلى أن اضطرب الخوارج من جديد (٢) .

الثورة الخارجية تم إفريقية والمغرب :

وبدأت أولى شرارات الاضطراب في بلاد الزاب ، وخرج عمر إلى هناك لإقرار الأمور بعد أن استخلف على القيروان قريبه حبيب بن حبيب بن يزيد ابن المهلب ، فكان خروجه نذيراً باشتعال الثورة الخارجية في جميع المغرب ، وكان إفريقية أصبحت منطقة ضغط منخفض - كما يقول الجغرافيون - فأنجذبت إليها رياح الفتنة من كل مكان - ففي المغرب الأوسط قامت زفانة في منطقة قلمسان وعلى رأسها أبو قررة الصفري (المغيلي اليفرنى) في ٤٠

(١) ابن الأثير أحداث سنة ١٥١ (إنما نسب لبيت المهلب لشهرته) ، النويرى ، ص ٩٤ والترجمة ، ج ١ ص ٣٧٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٢ والترجمة ج ١ ص ٢٢١ .
(٢) ابن عسكاري ، ج ١ ص ٧٥ ، ٧٧ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ١٥١ ، ج ٥ ص ٢٨٣ .

(أربعين) ألف رجل (٣) . وفي منطقة تاهرت قامت لمائة ولواعة وبطون من
فزازة وعلى رأسهم عبد الرحمن بن رستم الإباضي في ١٥ (خمسة عشر)
ألف رجل (٤) . وإذا كان هؤلاء بعيدين عن سلطان والى إفريقية وليس من
الغريب أن ينوروا ، فإن غيرهم من بربر الاقاليم الخاضعة للقيروان شاركوا
في الثورة العارمة ، كما حدث في طرابلس حيث قام الإباضية بأكبر الثورات
بزعامه ابي حاتم (أو ابي قادم) يعقوب بن حبيب بن عدين بن يطوفت (٥) ،
الذي آتت اليه الإمامة في تلك السنة بعد ابي الخطاب (٦) . والى جانب هؤلاء
قام أيضا عاصم السدراي الإباضي ، وأحد الثفر الخمسة من حملة العلم (٧) ،
في بلاد القيروان في حوالي ٦ (ستة) آلاف رجل ، كما قام المسور بن هانيء
الزقاني في ١٠ (عشرة) آلاف من الإباضية ، وعبد الملك بن سكرديد
الصنهاجي الصفري في الفين ، وجريز بن مسعود في أصحابه من قبيلة
مديونة ، سوى جماعات أخرى أهمل الرقيق ذكرها (٨) .

والمراجع التي بين أيدينا لا تبين ترتيب الأحداث بل تجعلها اجمالا ،
وذلك الكتاب العثر في ذلك ، فأحداث مثل تلك الفترة لابد وأن تكون متشابكة
متداخلة بشكل يجعل من الصعب تنظيم مفرداتها . والمفهوم أنه بعد خروج
عمر بن حفص الى الزايب بدأت ثورة الخوارج في إفريقية . ونظن أن عاصم
السدراي - الذي سماه أهل القيروان في قناه فيما بعد ، كما يقول

(٣) ابن عذاري . ج ١ ص ٧٥ .

(٤) نفس المصدر . ابن الأثير . أحداث سنة ١٥١ ، ج ٥ ص ٢٨٢ ، وانظر ابن خلدون
(ج ٦ ص ١١٢ . الترجمة . ج ١ ص ٢٢٠) انتهى يقول ان ابن رستم كان في ٦ (ستة)
آلاف قتيل .

(٥) انظر ابن خلدون (ج ٦ ص ١١٢ . الترجمة ج ١ ص ٢٢٠) . الذي يجعله من قبيلة
مقبلة . كما يجعله من الأثير (سنة ١٥١) . والمويرقي (ص ٩٤ . والترجمة ج ١ ص
٣٧٩ . ص ١٢٥ . كما يسميه الساجي (١٣٣) أيضا بأبي حاتم الملوذي النجسي .
٦. هناك تفصيلات طريقة في كتب الإباضية عن طريقة الدعوة وكيفية اجتماع الإباضية
سرد لاحد احد تطور الطريقة بعد الإباضية دون غيرهم /
من أمصار قوة في حوض ليبيا اجتماعها وتطورها من أمراء صالحة اسمها
مسلح ابي روجيب وهو من من بشر البيا ، شنقوا الولاية لأبي
حاتم سنة ١٥٥ هـ بشر بن مسعود حبل نفوس وقاويل بن عذاري الذي يجعل
مرا ج ١ ص ١٥٣ . (ج ١ ص ١٧٠) .

(٨) انظر الساجي ص ١٢٨ . وانظر فيما سبق ، ص ٣٤١ و٣٤٢ .

(٩) ابن عذاري . ج ١ ص ٧٥ . المويرقي . ص ٩٤ ابن خلدون . ج ٦ ص
١١٢ . الترجمة ج ١ ص ٢٢٠ . أو انظر المويرقي في هذا الموضع
ص ١٢٥ .

الإباضية(٩) - كان من أوائل رافعي راية العصيان . وقدك عبد الملك بن
سكرديد الصنهاجي ، اذ كانت صنهاجة تنور في ذلك الوقت في منطقة
باجة(١٠) . وخرج نائب عمر ، وهو حبيب بن حبيب بن يزيد المهلبى ، والتقى
بالثوار ولكنه انهزم وقتل(١١) . أما عن خوارج طرابلس بقيادة أبى حاتم
فانهم حققوا انتصارين كبيرين على فوات والى طرابلس ، الجنيد بن سسيار
الأزدى(١٢) . فقد سير اليهم الولى فرقة من الحيلة بقيادة خازم بن سليمان
انهزمت وعادت الى طرابلس ، ثم انهم هزموا الجنيد نفسه عندما سار اليهم
ومعه نجدة من ٤٠٠ (أربعمئة) فارس آتته من عمر بن حفص بقيادة خالد
ابن يزيد المهلبى ، فانهزم الاثنان ولجأ الى مدينة قابس . وعندما علم عمر بن
حفص بذلك سير جيشا على رأسه سليمان بن عباد المهلبى لنجدة الجنيد وخالد ،
ولكن سليمان لم يكن بأسعد حظا منهما اذ انهزم قرب قابس أمام أبى حاتم
واضطر الى العودة سريعا نحو القيروان يتبعه أبو حاتم(١٣) .

جهود مستميتة من جانب عمر بن حفص فى مواجهة الثوار :

واتر تلك الانتصارات الميدانية اندفع الخوارج من كل فج وحذب يبقون
القيروان ، حتى اجتمع منهم اثنا عشر عسكريا(١٤) . ورغم أن ذلك كان فرصة
نادرة لكى يوحد الخوارج جهودهم وليضموا صفوفهم ، فانظاير أنهم لم يفكروا
فى ذلك ، بل وربما كان عدم اتفاقهم هو السبب فى أنهم - بدلا من أن يأخذوا

(٩) انظر الشماخى ، ص ١٢٨ .

(١٠) انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١١ ، الترجمة ج ١ ص ٢١٩ (يقول ابن خلدون
هنا أن الفى اشترك فى ثورة باجة اسمه عبد الله بن سكرديد ، وربما كان آخا لعبد الملك
ابن سكرديد ان لم يكن هو نفسه بسبب امكان الخلط بين اسم عبد الله واسم عبد الملك
لتضاييهما كتابة) .

(١١) انظر ابن الأثير ، أحداث سنة ١٥١ ، وقارن النويرى . ص ٩٤ أ ، والترجمة
ج ١ ص ٣٧٩ .

(١٢) النويرى ، ص ٩٤ أ والترجمة ج ١ ص ٣٧٩ (حيث الاسم الجنيدى بن يسار
الأزدى) . وقارن الأثير ، أحداث سنة ١٥١ (حيث الاسم : الجنيد بن بشار الإسافى
الأسافى) .

(١٣) انظر النويرى . ص ٩٤ أ - ٩٤ ب ، الترجمة ، ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .
(١٤) ابن عسافى ، ج ١ ص ٧٥ ، ابن الأثير ، سنة ١٥١ ، النويرى ، ص ٩٤ ب .
الترجمة ج ١ ص ٣٧٩ . وقارن ابن خلدون ج ٦ ص ١١٢ ، الترجمة ج ١ ص ٢٢٢ (يقول
الكتاب أن هذه الجيوش اجتمعت عند طينة لحصار ابن حفص) .

(م ٢٣ - تاريخ المغرب العربى)

القيروان - فرزوا السير الى الزاب ليدخلوا اولاً من عدوهم المشرك عمر بن حفص . هذا ولو أنه من المقبول أيضاً أن يكون مسيرهم الى الزاب لاستقاذ اخوانهم هناك من انتقام عمر بن حفص . وهكذا اجتمع انصيرية والاباضية في أكثر من خمسين ألفاً حول طبنة - عاصمة الزاب - حيث اعتصم عمر بن حفص . ومع حوالي خمسة عشر ألف رجل (١٥) .

واستنماز عمر بن حفص فواده في كيفية مواجهة أعدائهم ، فأشاروا عليه بالبقاء في طبنة حفاظاً على حياته في تلك الفترة الحرجة ، واخراج بعضهم لناواة العدو إذا أراد . ولا شك في أنه كان مضطراً لتحسين طبنة في ذلك الوقت الدقيق . رغم ما يقوله بعض الكتاب من أنه خرج من القيروان الى الزاب لبناء مدينة طبنة بأمر المنصور (١٦) . وهناك قرر عمر استخدام الحيلة في تفرقة أعدائه ، ورأى أن يشتري انسحاب بعضهم بالمال ، ووقع اختياره على أبي قررة لأن أصحابه كانوا أكثرهم عدداً وأشدهم خطراً ، فبعث اليه بأربعين ألف درهم وكسي كثيرة مسج رجل من قبيلة مكناسة اسمه اسماعيل بن يعقوب (١٧) . وكان من الطبيعي أن يرفض أمام الصفرية تلك الرشوة السافرة ، ولكن المكناسي سار الى أخي أبي قررة أو الى ابنه الذي استهواه بريق الذهب وجمال الخلع ، فدبر الأمر دون علم أبي قررة الذي أصبح ليجد معظم أهل العسكر قد انصرفوا عنه ، فلم يجد بداً من اتباعهم ، وانصرف هو الآخر (١٨) .

(١٥) ابن عذاري . ج ١ ص ٧٥ .

(١٦) أنظر ابن الأثير . أحداث ١٥١ . وابن خلدون ج ٦ ص ١١٥ - حيث يفوز انه في حقل عمر بن حفص مدينة طبنة سنة ١٥١ هـ . ابن خلدون ج ٦ ص ١١٥ . كما كانوا سبيلاً له في ذلك الوقت وعظم شأنهم فيها وقت الحصار .

(١٧) ابن عذاري . ج ١ ص ٧٦ . وقارن التويري . ص ٩٤ ب . والترجمة ج ١ ص ٣٨٠ . وقارن ابن الأثير . أحداث سنة ١٥١ (٦٠ ألف درهم) .

(١٨) ابن عذاري . ج ١ ص ٧٦ . ٧٧ . وقارن التويري . ص ٩٤ ب . الترجمة ج ١ ص ٣٨٠ . وقارن ابن الأثير . أحداث سنة ١٥١ هـ . ابن خلدون . ج ٦ ص ١٠٣ . الترجمة ج ١ ص ٢٢٢ - حيث يقول النص أن ابن أبي قررة أو أخاه نال مكافأة قدرها ٤ آلاف درهم وبعض الخلع . ولا بأس أن تكون هذه الرواية منقولة من الرقيق (ص ١٤٢) حيث نجد النص معاً على أن الخلع المقدم هو ٤ اربعة) آلاف درهم فقط . ان لم يكن ذلك من تحريف النسخ .

أبو حاتم الإباضي يستولى على إفريقية ويحاصر القيروان :

وبعد انصراف الصعريه من بنى بقرن تشجع ابن حفص ووجه ١٥٠٠ (ألفا وخمسمائة) من رجائه بقيادة معمر بن عيسى السعدي نحو نهضة حيب التقت باباضية عبد الرحمن بن رستم الذي انهزم الى ناهرت (تيهرت) بعد أن ترك في أرض المهركة حوالي ٣٠٠ (ثلاثمائة) من رجائه (١٩) . وهنا رأى أبو حاتم أن يسير الى القيروان ليحصرها ويضيق الخناق عليها (٢٠) . ولما لم يبق من الحضور سوى أبي حاتم بن حبيب مع اباضية طرابلس قرر عمر بن حفص المسير اليهم بعد أن ترك في طينة المهننا بن المخارق بن غفر الطائي الذي تعرض لحصار أبي قرزة الصعري من جديد ، ولكنه نجح في هزيمته واستباح عسكره (٢١) . وعندما ترك أبو حاتم مواقعه في الأربس وخرج نحو عمر ، سار ابن حفص الى قرب تونس يتبعه أبو حاتم الى سمنجة . ومن هناك سار عمر الى موضع عرف باسم بير السلامة حيث التقى بأخيه لأمه جميل بن صخر ثم دخل القيروان واعتصم بها ، واستعد لحصار طويل الأمد ، فجمع بها الكثير من الطعام والحطب وآلات الحرب (٢٢) . وجرب ابن حفص حرب أبي حاتم

(١٩) انظر الرقيق . ص ١٤٣ (حيث لعب معمر حمو العبدى وليس السعدي) ، النويري . ص ١٩٥ . ابن عذارى . ج ١ ص ٧٦ (حيث تحدد الرواية عدد قتل تهودة بنى من المبالغة بثلاثة آلاف رجل) .

(٢٠) ابن الأثير . أحداث سنة ١٥١ ج ٥ ص ٢٨٤ . ونظر الرقيق (ص ١٤٣ - ١٤٤) حيث الإشارة الى شدة حصر القيروان لمدة ثمانية أشهر حتى لم يبق في بيت مالها درهم ولا في اهرانها شيء من طعام . حتى أكل الناس العواب . والكلاب . ولما بقى من هذا الوصف ينطق على حالته بعد حوذة عمر إليها . وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١١٢) الذي يفهم من روايته أن أبو حاتم كان يحاصر طينة وأن عمر حالته الى القيروان .

(٢١) ابن عذارى . ج ١ ص ٧٨ . ابن الأثير . أحداث سنة ١٥١ . النويري . ص ١٩٥ والفرجة ج ١ ص ٣٨١ . وقارن الرقيق ص ١٤٣ (حيث اسم حوذة بنى « حوذة » بدلاً من « حوذة » وحيث الإشارة الى مفاوضات بين المهدي وبين أبي قرزة من أجل انسحاب هذا الأخير . ولكنها تسلب لتصبح الصعريه في أحد ما كان في حوزة المحاصرين عنيمة) .

(٢٢) نظر النويري . ص ١٩٥ - ١٩٥ ب . الفرجة ج ١ ص ٣٨١ . وقارن ابن الأثير أحداث سنة ١٥١ (حبيب بن صخر بدلاً من حبيب بن صخر) . وقارن الرقيق (ص ١٤٤) الذي يظن أنه أصل رواية النويري حيث توجد تفصلات عديدة عن مسيرة عمر في ٧٠٠ (ستمائة) فارس بعد ما علمه من سوء حال القيروان في الحصر . ونزوله في الأربس مما دعا لتسريح ابن ترقق حصر القيروان ومتابعته الى تونس وسمنجة . وإذا كانت مراحل المطاردة الراتمة مسجلة فإن الرواية عن شدة حصر القيروان ترد هنا متقدمة عن موضعها الطبيعي بعد الحصار .

عندما أقبل نحو القيروان ، ولكنه انهزم واكتفى باعتصام بالمدينة والتحصين
قبالة باب أبي الربيع حيث كان قد اتخذ خندقاً (٢٣) .

ومع مرور الوقت كانت جموع الثوار تزداد كثرة بمن ينضم اليهم من
الطامعين في نهب القيروان حتى قيل : « ان عدة من حاصروا القيروان مائة
ألف وثلاثون ألفاً (٢٤) » . وطالب الحصار إلى ما يقرب من العام (٢٥) حتى نفذت
الخون من المدينة ، واشتد الغلاء والضيق بالمحاصرين ، فأكلوا دوابهم وكلابهم
وستائيرهم وماتوا جوعاً ، وانتهى للملح عندهم أوقية بدرهم (٢٦) . وإزاء
اضطراب الأحوال بساعت أخلاق عمر بن حفص ، كما ساءت أخلاق أنسكرك الذي
أخذ يشك في نواياه (٢٧) . ثم أتته من زوجته خليدة بنت المارك أنباء مسير

(٢٣) التويرى ، ص ٩٥ ب ، وقارن أصل الرواية في الرقيق ، ص ١٤٤ (حيث توجد
معلومات تفصيلية عن الحرب ، مثل : وصول أبي حاتم إلى بصرة للمروقتين ، وانكشاف عمر
إلى القنطاط قبل انجيازه إلى خندقه بباب أبي الربيع) .

(٢٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٦ ، ٧٧ ، وقارن التويرى ، ص ٩٥ ب ، والترجمة ج ١
ص ٢٨٢ ، والرقيق (ص ١٤٤) حيث توجد معلومات تفصيلية عن انزال أبي حاتم عساكره
قرب باب أبي الربيع ، وبين باب سالم وباب أسرم ، وبين باب نافع وباب عبد الله - مسج
الإشارة إلى مشاركة رئيس الجند العربي عمرو بن عثمان الفهري في ذلك الصكر الأخير ، مما
أخذ عليه فيما بعد . وما يلاحظ أن رواية الرقيق يد أن تحدد عسكر الثوار به ١٣٠ ألفاً
(ص ١٤٤) تعود فتبالغ في عدتهم حيث قومتهم بـ ٢٥٠ (ثلاثمائة وخمسين) ألفاً ، منهم
٨٥ (خمسة وثمانون) ألف فارس ، وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١١٢ ، والترجمة ج ١ ص
٢٢٢) الذي ينسى عندما يسجل تلك الرواية الأخيرة نقلاً عن الطبري (أحداث سنة ١٥٣) ،
وابن عذاري (ج ١ ص ٧٧) قواعد النقد التي أصر عليها في المقدمة ، وخاصة ما يتعلق بها
بالمبالغات في أعداد الجيوش وتقويم الثروات ، فيقول ان جيش الإباضية الذي حاصر القيروان
بلغ ٣٥٠ ألف رجل منهم ٢٥ ألف فارس ، كما في الرقيق تقريباً .

(٢٥) انظر ابن الأثير (أحداث سنة ١٥١) ، والتويرى (ص ٩٦ أ ، الترجمة ج ١ ص
٢٨١) اللذين ينقلان من الرقيق (ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥) ، حيث تحدد الرواية فترة
الحصار بشامية أشهر وتجعلها قبل عودة عمر بن حفص من الزاب إلى القيروان . أما عن مدة
حصار عمر بن القيروان فلا تجعل لها تعديداً ما دعانا إلى ترجيح أن تكون أخبار مجاعة القيروان
في الحصار أثناء وجود ابن حفص وليس قبلها (انظر فيما سبق ، ص ٣٣٥ هامش ٢٠ ، ٢٢ ،
رغم ما يشير إليه الرقيق ، (ص ١٤٥) منسوبا إلى عمر بن حفص من أن حيازة القيروان
تحصنت بعد مجيئه إليها من الزاب عما كانت عليه أثناء وجوده في طينة . وقارن
انتماضي ، ص ١٣٥ (حيث النص على أن مدة الحصار سنة) .

(٢٦) انظر الرقيق ، ص ١٤٥ ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٦ ، وقارن التويرى

ص ٩٥ ب .

(٢٧) انظر تفصيلات ذلك في الرقيق ، ص ١٤٥ - حيث تردد رجال عمر أكثر من مرة في =

الجيش الذي بعثته الخلافة بقيادة يزيد بن حاتم المهلبى فعز على « الألف رجل » (هزار مرد) أن يقال : « يزيد أخرجه من الحصار » ؛ حتى ولو كان يزيد هذا ابن عصبية بل قريبه وابن عمه ، وقرر عمر الخروج للقاء أعدائه وهو يقول لكتابه خراش بن عجلان : « انما هي رقدة ، وأبعث الى الجساب » - « وخرج ؛ فعجل يظن ويضرب حتى قتل » (٢٨) ، وذلك فى منتصف شهر ذى الحجة سنة ١٥٤ هـ / نوفمبر سنة ٧٧١ م (٢٩) .

استسلام القيروان :

ولم تسقط القيروان بعد مقتل عمر بن حفص اذ بايع العسكر أخاه لأمة جميل بن صخر (٣٠) ، ولكنه أمام الضيق وشدة الجسر اضطر الى عقد صلح مقبول مع أبى حاتم - وكان من شروط الصلح أن يخرج العسكر من القيروان دون أن يخلعوا المنصور ، وأن يحتفظوا بسلاحهم ، وكذلك بشعار النبوة الممثل فى الرايات والملابس السوداء (٣١) . وهكذا خرج معظم العسكر الى

= قبول ما عرضه عليهم ابن حفص من خروجه هو أو خروج أحد نائبيه : جميل بن صخر أو نخلوق ابن ثمار للاغارة على قرى نوار البربر ونداريم من أجل الحصول على الليرة - اذ « قتلوا : تخرج أنت وتقيم نحن ، لا تفعل » مما أثار غضب عمر الذى قال لهم : « والله لأوردنكم وتفسى حياض الموت » .

(٢٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٦ ، النويرى ، ص ٩٦ أ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ١٥١ ، وقارن أصل الرواية فى الرقيق (ص ١٤٥ - ١٤٦) : حيث ترد تفصيلات عن النقاش بين عمر وكتابه (خدش) بن هجلان فى هذا الشأن ، ومنها إشارة الى أنه قد يعنى أمنيته فى الوصول الى ولاية خراسان بدل إفريقية بعد الخروج من الحصر ، وكان رد عمر على ذلك : سمعت نسوة العتيك أن يزيدا أخرجنى من الحصار ! انما هي رقدة حتى أبعث الى الجساب . ارجع الى أمك واحفظ وصيتى » . وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٣ ، الترجمة ج ١ ص ٢٢٣ .

(٢٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٦ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ١٥١ ، النويرى ، ص ٩٦ أ ، وقارن الرقيق ص ١٤٦ (حيث التاريخ منتصف ذى القعدة / أكتوبر) .

(٣٠) النويرى ، ص ٩٦ أ - ٩٦ ب ، الترجمة ج ١ ص ٢٨٣ ، ابن خياط ، ج ٢ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ ، الرقيق ص ١٤٦ (جميل بن حبر) ، ابن الأثير ، أحداث سنة ١٥١ ج ٣ ص ٢٨٤ (حيد بن صخر) ، وقارن ابن عذارى ج ١ ص ٧٦ (جميل بن حفص) .

(٣١) انظر الرقيق ص ١٤٦ - ١٤٧ (حيث الإشارة الى دخول عمرو بن عثمان الفهرى - الى جانب الثوار - فى الصلح وتعهده بالوفاء وبالشرط) ، وقارن ابن الأثير أحداث سنة ١٥١ ، ج ٥ ص ٢٨٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٦ ، النويرى ، ص ٩٦ ب ، الترجمة ج ١ ص ٢٨٣ :

طينة (٣٢) . ودخل أبو حاتم القيروان وانتقم من المدينة التي أتمتته في الحصار فأحرق أبوابها ونسم سورها - حتى لا تعود حسب تفكيره الى مثل ذلك - كما انتقم من أهلها فأخرج أكثرهم ، انز عسكرهم ، الى الزاب (٣٣) . وبذلك ناز الإباضية يقتل أبي الخطاب . وحققوا حلم امامهم الاول سنة بن سعيد - الذي كان يود أن يظهر هذا الأمر يوما واحدا فما يبالي أن تضرب عنقه (٣٤) - فسادوا القيروان من جديد . وأصبحت لهم اليد العليا في كل افريقية (٣٥) .

يزيد بن حاتم ونهاية أبي حاتم الإباضي :

لم تكن شدة الثورة وعنفها لتجعل الخليفة المنصور يشغل عن ولايته المتطرفة غربا إذ أنه - على العكس من ذلك - تشبث بها ، وعرف كيف يخمد الثورة بالحديد والنار ، ويفرقها في الدم . فقد اختار لافريقية رجلا آخر من المقربين اليه من نفس الأسرة المهلبية التي عرفت بعاداتها للخوارج . هو يزيد ابن حاتم (بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة) الذي كان له من الشجاعة والجلود وبعد الصيت ما يفوق عمر بن حفص . كان يزيد واليسا على مصر فسيره المنصور الى المغرب في جيش كنيف بلغت عدته ٦٠ (سنين) ألف رجل ، نصفهم ٣٠ (ثلاثين ألفا) من جند خراسان ، والبقية من جند العراق والبصرة والكوفة وانشام . وشيخ المنصور الخيوش التي سيرها الى مصر في أواخر سنة ١٥٤ هـ / ٧٧١ م . كما يظن ، حتى بيت المقدس حيث صلى تضرعا . ولكنها لم تصل الى المغرب الا في مطلع سنة ١٥٥ هـ / ٧٧٢ م بعد مقتل عمر بن حفص (٣٦) .

(٣٢) الرقيق . ص ١٤٧ . ابن الأثير أحداث سنة ١٥١ . التوبري . ص ٩٦ ب . المرجع . ج ١ ص ٢٨٢ .

(٣٣) ابن عداري . ج ١ ص ٧٦ - ٧٧ .

(٣٤) انظر فيما سبق ص ٣١١ و ص ٣١ .

(٣٥) انظر تاريخ حنبلة بن حنظل . ج ٢ ص ٤٦٥ (حسب قول : وصارت افرقيه في يد أبي حاتم) .

(٣٦) انظر الرقيق (ص ١٥٩) . حيث التمس على ٣٠ ألف من خراسان و ٦٠ ألفا من أهل البصرة والكوفة والشمس (وورد الرواية في التوبري . ص ٩٧ ا . والتاريخ ج ١ ص ٢٨٤) مما يعني أن عدد الجيش حتما كانت ٩٠ (تسعين) ألفا . والحقيقة أن الردى عن قبل ذلك (ص ١٤٣) على قدم برة . بن حاتم عن امرئته بن ٦٠ (سنين) ألفا وهذا ما نص عليه صاحب النور والحداث . ج ٢ ص ٢٦٣ . وهو ما أخذ به ابن عداري (ج ١ ص ٧٨ . ٧٩) . ولذلك رجحت أن يكون العدد الكلي ٦٠ ألف منهم ٣٠ ألفا من الخراسانية وهو الأمر .

وعندما وصنت أنباء مسير يزيد بن حاتم إلى أبي حاتم الإباضي استعد
للقائه رغم ما كان قد أصابه من الضعف والوهن بانقسام أتباعه . فعندما خرج
أبو حاتم نحو طرابلس لقطع الطريق على جيش الخلافة . عهد بالقيروان إلى أحد
كبار أصحابه وهو عبد العزيز بن السمح المعافري (آخر أبي الخطاب) . فتأخر
بهذا الأخير حليف أبي حاتم السابق وهو عمرو بن عثمان الفهري ، الذي أخذته
أهزة لعرويته . بعد ما نزل بعمر بن حفص وجنوده ما نزل على أيدي الثوار من
البربر . ونجح في لم شمل عسكر القيروان السابق وطرد المعافري من المدينة
وقتل أصحابه (٣٧) . واضطر أبو حاتم إلى الرجوع إلى القيروان ، وقاتل أهلها
ودخلها بعد أن غادرها عمرو بن عثمان إلى تونس (٣٨) ، بينما سار جميل بن
صخر والجنيد بن سيار نحو المشرق (٣٩) . وتبع أبو حاتم خصمه عمرو بن
عثمان ، وسير مقدمته وعلى رأسها حريز بن مسعود المديوني في أثره . وعلق
المديوني بالفهري في موضع يعرف بـ « جيجل » ، من ناحية كتامة ودارت
بينهما معركة حامية الوطيس انتهت بمقتل حريز وكثير من أصحابه ، ثم
دخول عمرو مدينة تونس وبصحبته المخارق بن غفار الطائي (٤٠) .

وفي هذه الظروف الصعبة سار أبو حاتم ، وهو منهوك القوى ، للقاء
يزيد بن حاتم الذي كان قد وصل إلى سرت حيث انضم إليه جميل بن صخر

= الذي يسترعى الانتباه فعلا وقارن ابن الأثير (سنه ١٥١) الذي يجعل وصول يزيد سنة ١٥٤
رغم أنه يحدد وفاة عمر بن حفص بمنتصف ذي الحجة سنة ١٥٤ هـ . وعن يزيد أنظر ابن
خلكان ، طبعة معيني الدين ، ج ٥ ص ٣٦٥ . وأنظر الشماخي . السير ص ١٣٦ .
(٣٧) ابن عذاري . ج ١ ص ٧٧ . ابن حلدون . ج ٦ ص ١١٣ . الترجمة ج ١ ص
٢٢٢ . وقارن الرقيق . ص ١٤٧ - ١٤٨ ، النويري . ص ٩٦ ب . الترجمة ج ١ ص ٢٨٢ -
حيث تقول الرواية أن سبب قيام عمرو بن عثمان الفهري على الإباضية أن أبا حاتم أراد أن
يخل بشروط الاتفاقية الخاصة بالجند القيرواني فحاول نزع سلاحهم وإرسالهم إليه بطرابلس
وبضيف النويري أن الفهري قتل المعافري . هذا بينما نقل الآخرون عن الفهريين إلى جانب
الإباضية . مثل : عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري الذي نقل إلى جانب أبي حاتم
حتى لقي هزيمته كما سترى .

(٣٨) ابن عذاري . ج ١ ص ٧٧ . ابن الأثير أحداث سنة ١٥١ . وقارن الرقيق (ص
١٤٨) حيث الإشارة إلى أن عمرو بن عثمان قاتل أبا حاتم فتلا سديدا قبل انسحابه إلى
تونس ، « فقتل من البربر خلق كثير » .

(٣٩) النويري . ص ٩٦ ب . الترجمة ج ١ ص ٢٨٢ . وقارن الرقيق . ص ١٤٨ (حيث
اسم والد الجنيد : سيار بدلا من سيار) .

(٤٠) أنظر الرقيق . ص ١٤٨ . وقارن النويري . ص ٩٦ ب - ٩٧ أ والترجمة . ج ١

ص ٢٨٤ : حسب اسم الفهري عمر . واسم المديوني : حريز .

وأصحابه (٤١) . وهكذا كان يزيد يزداد قوة بمن انضم إليه من جند القيروان . وكذلك بمن انضم إليه من البربر المنشقين على أبي حاتم (٤٢) . وتم اللقاء قرب طرابلس (٤٣) ، على الطريق المؤدى الى جبل نفوسة ، بين أبي حاتم وبين مقدمة يزيد بن حاتم بقيادة سالم بن سودة التميمي (٤٤) . ورغم ما تقوله رواية الرقيق التي ينقلها النويري ، والتي يظن أنها اباضية الاصل ، من أن أبا حاتم نجح في دفع مقدمة الجيش الخلفي حتى ردها الى بقية المعسكر ، فالظاهر أن الأمر ليس كذلك إذ يذكر أن أبا حاتم ارند بعد ذلك الى جبل نفوسة حيث اعتصم بموقع منيع ، وهناك هاجمته قوات يزيد (٤٥) . والأقرب الى العقل أن يكون أبو حاتم انهزم في الموقعة الأولى فحاول الاعتصام بالجبل ، ولكن قوات يزيد تبعته الى هناك حيث أنزلت به هزيمة منكرة انتهت بمقتل أبي حاتم نفسه وكثير من أصحابه . وهذا ما تؤيده بقية الرواية التي تقول ان يزيدا ورجاله تتبعوا فلول المنهزمين في كل سهل وجبل وقتلوهم قتلا ذريعا وهم يقولون بالثارات عمر بن حفص (٤٦) . ويبالغ الكتاب - عن أصحاب

- (٤١) النويري ، ص ٩٧ والترجمة ج ١ ص ٣٨٤ ، الرقيق ، ص ١٤٨ ، ١٥٩ .
(٤٢) انظر الشماخي (ص ١٣٦) الذي يقول ان أهل مليلة آمدوا يزيدا فدعا عليهم أبو حاتم بالذلة حون البربر .
(٤٣) انظر ابن خلطون ، ج ٦ ص ١١٢ ، الترجمة ج ١ ص ٢٢٢ ، وقارن ابن الأثير (سنة ١٥١) الذي يقول ان اللقاء الأول كان قرب قابس .
(٤٤) النويري ، ص ٩٧ ، الترجمة ، ج ١ ص ٣٨٤ ، وقارن ابن الأثير ، أحداث سنة ١٥١ . الرقيق ، ص ١٥٩ .
(٤٥) انظر الرقيق ، ص ١٦٠ - حيث تقول الرواية : « وهال أبو حاتم أمر يزيد ، فطلب له عز المنازل وأوسعها ، فمسك فيها وخندق على عسكره » . وقارن النويري ص ٩٧ . الترجمة ج ١ ص ٣٨٤ - حيث القراء : « أوعر المنازل وأمنعها » بدلا من « عز المنازل وأوسعها » . وقارن ابن الأثير ، أحداث سنة ١٥١ . هذا ، وتوجه في الرقيق تفصيلات اسافية طريفة عن نزول الاباضية عن خيلهم لقتال رجالة ، وكيف ان يزيد بن حاتم حاول السجيل بهاجمه خصوصا لولا ان معه صاحبه المهلب بن الحنفية الذي أخذ بلجام فرسه ، وقال له « أنا أعلم بفنالك القوم منك » . ثم أن المهلب جعل يزيد بن حاتم يوجه ابنه عبد الله لهاجمة البربر أولا على ان يتجه يريد به ذلك اذا شاء (ص ١٦٠) .
(٤٦) انظر الرقيق ، ص ١٦٠ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ١٥١ . ج ٣ ص ٢٨٥ ، ابن عسار (ج ١ ص ٧٩) الذي يقول ان جند يزيد قتلوا من أدركوا منهم . وقارن الشماخي (ص ١٣٦) الذي يقول نقلا عن أبي زكريا انه وقت بينهما وقتان أولاها بمحمداس (على مسير يوم من سرت) حيث أحرر أبو حاتم انتصارا مبذرا ، الا انه يشك في أن يكون أبو زكريا قد حلف بين انتصار أبي الخطاب في محمداس وروعة أبي حاتم مع يزيد . وانظر الزاوي ، الفتح العربي في ليبيا ، الذي يقول ان مقتل أبي حاتم كان في جبل نفوسة في موضع يعرف بجندوبة (١٢٩) .

الميول المعادية للخوارج من غير شك - عندما يقوّنون انه قتل من أصحاب أبي حاتم ٣٠ (ثلاثون) ألف رجل بينما لم يفقد الجند الخلفى سوى ثلاثة رجال (٤٧) . أما عن تاريخ الواقعة فيحدد بيوم ٢٧ من ربيع الأول سنة ١٥٥هـ / ٨ مارس ٧٧٢ م (٤٨) . ولقد أصبح مكان المعركة حيث قتل أبو حاتم موضع تبجيل الاباضية واحترامهم ، حتى قالوا : « انه يستضىء كل ليلة نورا ، ويبصر ضيائه من مكان بعيد ساطعا في الهواء » (٤٩) .

القضاء على بقايا الثوار :

واستقر يزيد بن حاتم ، بعد أن استخلف على القيروان المخسارق بن غفار - في مكان الواقعة مدة شهر ، وهو يبعث رجاله يجربون المنطقة ويخضعون أهلها ، قبل أن يدخل طرابلس التي عهد بولايتها الى سعيد بن شداد ثم مسيره الى قابس التي وصلها في ٢٠ جمادى الأولى (أبريل) (٥٠) . وبعد شهر وصل يزيد الى القيروان ، ودخلها في ١٩ من جمادى الآخرة من تلك السنة (١٥٥ / ٢٧ مايو ٧٧٢ م) (٥١) . وبدأ يزيد بن حاتم يعمل على تهدئة الأمور ، واستمر في القضاء على البقايا الباقية من الثوار ، دون لين أو هوادة : في بلاد الزاب ، وفي جبال كتامة (شرق الجزائر) ، وفي طرابلس . ففي السنة التالية (١٥٦ / ٧٧٣) أرسل أحد قرابته . وهو العلاء بن سعيد المهلبى الى بلاد الزاب مددا لعامل طينة المخارق بن غفار الطائي (٥٢) وسار العلاء مع المخارق من طينة الى جبال كتامة حيث كان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن (الفهرى) ، حليف أبي حاتم الاباضى ، قد لجأ الى قلعة هناك تعرف بقلعة جيجل ، بعد هزيمة طرابلس وجبل نفوسة . وضرب المخارق الحصار على القلعة لمدة ٨

-
- (٤٧) أنظر الرقيق ، ص ١٦٠ ، النويرى ، ص ٩٧ ب الترجمة ج ١ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .
(٤٨) أنظر الرقيق ، ص ١٦٠ ، النويرى ، ص ٩٧ ب ، الترجمة ، ج ١ ص ٢٨٥ ، وفارن ابن الأثير ، أحداث سنة ١٥١ .
(٤٩) أنظر الشماخي (ص ١٣٧ - ١٣٨) الذى ينقل عن أبي زكريا ثم يتبعه بقوله : « وقد اشتهر عندنا من غير أن آراه أن النور ينزل على قبره ، وقيل لم ينزل حتى دفن الى حبه اعرابى فكف سواقه أعلم » .
(٥٠) ابن عفارى ، ج ١ ص ٧٩ ، النويرى ، ص ٩٧ ب الترجمة ج ١ ص ٢٨٥ . وأنظر الرقيق ، ص ١٦٠ - ١٦١ .
(٥١) ابن عفارى ، ج ١ ص ٧٩ .
(٥٢) نفس المصدر .

(تمانية) أسير ، وأخيرا سقطت بعد دفاع مجيد ، وقتل معظم من بقى مع عبد الرحمن بن حبيب الفهري لا يعرف الكتساب على وجه الدقة ماذا كان من أمره (٥٣) .

ونحن نرى أن عبد الرحمن بن حبيب الفهري هذا هو نرفس عبد الرحمن ابن حبيب الفهري المعروف عند الكتاب الصقليين «لطوله ووزقته وشقرته» (٥٤) . والظاهر أنه بعد أن فشل في استعادة افريقية ، التي كانت لآله باشتراكه مع الخوارج ، خرج في محاولة جديدة كتلك التي قام بها جده وسميه للاستيلاء على الأندلس بعد أن نزلها مع بسج بن بشر (٥٥) . وانظروا أن الفهري لم يتورع في سبيل تحقيق هدفه ، بعد أن أرسى في شرق الأندلس في سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٧ م أو ١٦٤ هـ / ٧٧٨ م كما يقول ابن الأثير ، عن الادعاء أنه جاء داعيا للخليفة العباسي المهدي ، كما فعل العلاء بن مغيث من قبل في الأندلس على أيلم المنصور . ولقد حاول الفهري أن ينضم الى والي سرقسطة الثائر ، سليمان ابن يقظان بن العربي ، الذي تأمر مع شلمان على غزو الأندلس ، ولكنه انتهى نهاية تيسة في سنة ١٦٢ هـ اذ قتل بيدي أحد البربر التي اشتراه عبد الرحمن الأموي (٥٦) .

وبعد كسرة عبد الرحمن الفهري في جبل عاد المخارق الى ولايته في طينة بينما رجع العلاء الى القيروان (٥٧) .

وفي السنة التالية لحلة كتامة أي في سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٤ م اضطربت

(٥٣) انظر ابن عذاري (ج ١ ص ٧٩) التي يقول ان عبد الرحمن بن حبيب هرب عندما سقطت القلعة (ابن الأثير . أحداث سنة ١٥٩ . ١٥٦) . وقارن ابن ختمون (ج ٦ ص ١١٣ . المرجع ج ١ ص ٢٢٢) التي يقول ان عبد الرحمن مات وجميع أصحابه من البربر . وقارن الرقيق . ص ١٦١ - حيث تشير الرواية الى أن المخارق كان يحاصر عبد الرحمن بن حبيب ابن عبد الرحمن الفهري في هبة جبل من أرض كتامة عندما أتاه العلاء بن يزيد المهدي معها ، وأن كلا من المخارق والعلاء دخل القلعة على عبد الرحمن من موضع غير الذي دخل منه الآخر .

(٥٤) ابن الأثير . أحداث سنة ١٦١ .

(٥٥) انظر فيما سبق . ص ٢٩٧ وهـ ١٩٥ . ص ٢١٢ وهـ ٢ . ٤ . ص ٢١٤ وهـ ٥ .

(٥٦) ابن الأثير . أحداث سنة ١٦١ . وعن أعمال الصفيي وحملة شلمان على الأندلس

انظر بروينسال . تاريخ اسناد الاسلامية . بالفرنسية . ص ٨٦ - ٨٧ .

(٥٧) الرقيق . ص ١٦١ .

بلاد الزاب حيث نارت قبائل ورفجومه بقيادة أبي زرهون (أيوب الهواري) .
وسير يزيد بن حاتم جيشا من القيروان الى الزاب بقيادة قريبه يزيد بن مجز
المهلبى ، ولكن القتال انتهى بانتصار ورفجومة ومقتل والى الزاب المغارق بن
غفار الطائى . وجعل يزيد لابنه المهلب بن يزيد ولاية الزاب وطبنة وجبل
كتامة ، وسيره على رأس حملة لتأديب ورفجومة . وبعث اليه العلاء بن سعيد
المهلبى معونة . وبعد قتال شديد هزم المهلبيون النوار وقتلوهم « أبرح قتل »
وطلبوهم بكل سهل وجبل ، حتى اتوا على آخرهم . ولم يصب من الجند أحد ،
كما تباليغ الرواية (٥٨) . ويذكر الرقيق أن يزيد بن حاتم عزل ابنه المهلب
عن طبنة وكتامة وعهد بولايتها الى ابن آخر ، هو محمد بن يزيد (٥٩) .

أما فى طرابلس فان بقايا فلول أبى حاتم تجمعوا بقيادة أبى يحيى
ابن فوناس الهواري فى بعض النواحي ، ولكنهم لم يستطيعوا الصمود أمام
قائد يزيد هناك ، وهو عبد الله بن اسسط الكندى ، الذى التقى بهم فى
موضع على شاطئ البحر ، وهزمهم هزيمة منكرة بعد معركة حامية الوطيس ،
وقتل منهم مقتلة عظيمة (٦٠) . ولا بأس فى أن يكون اضطراب طرابلس هنا ،
السبب فى أن عهد يزيد بن حاتم بولايتها ، بعد تهدة الزاب ، الى المغارق
ابن غفار الطائى ، كما ينص على ذلك الرقيق (٦١) . وهكذا تبسح المهلبيون

(٥٨) انظر الرقيق (ص ١٦١) الذى يتفكه كسل من ابن خلدون (ج ٦ ص ١١٢ ،
الترجمة ج ١ ص ٢٢٢ - حيد القراءة فى النص ، أبو زرهون ، والتصحيح من الترجمة) .
وابن الأثير (أحداث سنة ١٥١ - مع بعض الاختلاف الطفيف مثل عزل المغارق عن طبنة كما
فى الرقيق بدلا من مقتله) . والحقيقة ان نجد ذكرا لاضطراب بلاد الزاب أيام يزيد بن حاتم
مرتقيا : احدهما فى ابن خلدون فى سنة ١٥٧ هـ (ج ٦ ص ١١٢) والثانية فى ابن الأثير
فى سنة ١٦٥ هـ (أحداث سنة ١٥١) . وكان من الجائز أن يكون الأمر منطوقا باضطرابين
حدثا فضلا فى هذين التاريخين لولا أن الأحداث واحدة وأبطالها هم نفس الأشخاص ، مما يرجح
أن العادة واحدة كما فى الرقيق . وأن الخطأ وقع فى تحديد تاريخها . ولما كانت تاريخ
ابن خلدون مقبولا لأنه يعنى أن هذا الاضطراب كان من بقايا ثورة أبى حاتم ولأن الكتاب
يؤكدون صفاء الملاد واستقرار الأمور ليزيد بن حاتم ، ولما كانت التوصلات فى ابن الأثير أكثر
وضوحا وترقيبا منها ، فى ابن خلدون . رأيت التوفيق بين المؤرخين فرجحتا تأريخ ابن خلدون
وفضلتا معلومات ابن الأثير .

(٥٩) الرقيق ، ص ١٦٢ .

(٦٠) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١١ والترجمة ج ١ ص ٢٧٦ (يحيى بن فوناس) . وعائذ
ابن الأثير ، سنة ١٥٦ (الذى سمي الهواري « أبو يحيى بن فوناس ») . وابن عذاري .
ج ١ ص ٧٩ . (أبى يحيى فوناس) .

(٦١) الرقيق ، ص ١٦٢ .

العصاة وقضوا عليهم في كل مكان حتى « تهدنت افريقية ليزيد بن حاتم وضبطها » (٦٢) . وبذلك استقامت افريقية ليزيد بن حاتم - الذي ظل موضع ثقة الخلفاء - وسأدها السلام الى نهاية ولايته في سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧ م على أيام الرشيد ، فلا يذكر الكتاب في السنوات التالية ما اعتادوا ذكره من أحوال المعارك والحروب والفتن .

أعمال يزيد بن حاتم العمرانية - الحياة الأدبية والدينية في افريقية :

ترتب على استتباب الأمن والسلام في البلاد أن تهيأت الظروف ليزيد ابن حاتم للقيام بالأعمال الانشائية في البلاد ، ونشر العمران وأرخاء فيها . ولقد ساعد على ذلك طبيعة الرجل الفنى اتصف بالجد والكرم حتى أصبح مضرب الأمثال (٦٣) . وكان من الطبيعي أن تحظى مدينة القيروان بعناية يزيد ،

(٦٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٩ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ١٥١ ج ٥ ص ٢٨٥ - ويبالغ الكتاب في ذكر عدد الوقائع التي دارت بين العرب والبربر منذ قاتلهم عمر بن حفص الى انقضاء أمرهم فيقولون انها ٢٧٥ وبيعة (أنظر الرقيق ص ١٤٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٧ ، النويرى ، ص ١٩٧ ، الترجمة ج ١ ص ٢٨٤) .

(٦٣) يذكر الكتاب في ذلك قول ربيعة بن ثابت الأسدي (او الرقى) في يزيد الذى بالغ في احسانه اليه :

حلفت بينا غير فى مشنوية يسين امرى الى وليس بانم
لشتان ما بين اليزيدين فى التندى يزيد سليم والاغر بن حاتم
وقد لقيت الشطرة الأولى من البيت الثانى « لشتان ما بين اليزيدين فى التندى » صدق
فى فوس الناس حتى صارت مثلا (فى الجود) ، وحتى قيل حفا البيت فى اشكال أخرى
منها :

لشتان ما بين اليزيدين فى التندى اذا عهد فى الناس المكلم والمجد
أنظر الرقيق ص ١٤٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٨١ ، وقارن ابن خلكان ، ج ٥ ص ٢٢٦ ،
ابن الأبار الحلة السراء ، ج ١ ص ٧٤ . ويذكر الكتاب ليزيد ابن حاتم نفسه أشعارا فى
الكرم منها :

ما يالف الدرهم المضروب خرقتنا الا لعلنا يسيرا ثم يطلق
بسر سرا عليها وهى تلفظه انى امرؤ لم يحالف خرقتى الورق
(ابن عذارى ، ج ١ ص ٨١ ، وقارن الرقيق ، ص ١٤٩) حيث القراءة فى الشطرة الأولى
من البيت الثانى : « ثم بلفظها » بدلا من « وهى تلفظه » ، وفى الشطرة الثانية : « تحالف »
بدلا من « يحالف » ، النويرى ، ص ٩٧ ب ، الترجمة ج ١ ص ٢٨٥ ، ابن الأبار ، الحلة
السراء ، ج ١ ص ٧٦ (حيث القراءة كما فى ابن عذارى) - هذا ولا بأس من الإشارة الى أنه
بمناسبة حسن سيرة يزيد بن حاتم فى افريقية ، ووفود الشعراء عليه وغيرهم لطلب صلته =

واهتم بتنظيم نشاطها الاقتصادي بصفة خاصة ، فرتب الأسواق فيها ، كما ينسب اليه تجميع أصحاب كل صناعة في مكان خاص بهم (٦٤) . وأغلب الظن انه لو صح ذلك لكان الفضل ليزيد بن حاتم في ذلك التنظيم البديع الذي كانت تزهر به الأسواق في المدن العربية الى عهد قريب ، والذي جعل لكل موضع من السوق تخصصا في نوع معين من السلع أو الحرف ، وهو التنظيم الذي ظهر حديثا في شكل المخازن الكبرى (Grands Magasins) ذات الأقسام المتنوعة . وهكذا حق للرقيق الذي ينقله النويري عندما يشير الى الأعمال العمرانية التي قام بها يزيد في تحسين القيروان وزيادة قدرها أن ينص على أنه لو قيل ان يزيد بن حاتم هو الذي حضر القيروان (مصرها) لم يكن ذلك بعيدا من الحق (٦٥) .

وللاسف ان الكتاب لا يهتمون كثيرا بتسجيل الأعمال العمرانية اهتمامهم بتسجيل أنباء الحروب والمعارك - فمن الأعمال الجليلة التي يذكرها الكتاب بالفخر ليزيد بن حاتم تجديده لبناء المسجد الجامع بالقيروان في سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٤ م ، وهي السنة التي توفي في نهايتها المنصور ، وزعم ذلك يكتفى ابن عذاري ، كما فعل الرقيق ، بالقول « وكان في غاية الجود والحسن » دون أية تفصيلات (٦٦) .

وأما عن أعماله في ميادين الزراعة والرعي - وهي أهم موارد الثروة في البلاد في تلك الأيام - فلا يذكر الكتاب عنها الا ما يختص بالأمير وكرمه ، أو عنايته بأراضيه وزراعتها بأنواع المحاصيل الكبرى التي تعرف في أيامنا هذه

« واحسانه ، يمكن أن يكون قد حدث ليس بين ولاية يزيد على مصر وولايته على افريقية فهذا ما يظهر من روايات الرقيق التي سلسله اصطلاح ولاية « المغرب » . كما كان يستخدم في ديوان بغداد ، وكان يدخل في نطاقه ولاية مصر . فهذا ما يظهر في كلام الرقيق ، عندما يقول : « وكان أبو جعفر (المنصور) عالما بالمغرب خائفا عليه ، وكان لا يبعث اليه الا أهل ثقته .. » ، وما يضيفه الى ذلك من أن المنصور نسج يزيد بن حاتم ، عندما ولاء المغرب ، الى فلسطين . وذلك خلال النص على ولاية مصر (انظر الرقيق ، ص ١٥١ - ١٥٢ ، وقارن الحلة السيرة ، ص ١ و ٧٣ و ٢ حيث أشار حسين مؤنس الى خشية المنصور من ثورة يقوم بها العلويون في مصر) .

(٦٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٨ ، وقارن الرقيق ، ص ١٤٩ .

(٦٥) انظر الرقيق ، ص ١٤٩ ، النويري ، المخطوط ص ٩٧ ب ، وقارن الحلة السيرة

ص ١ و ٧٢ (حيث يكتفى ابن الأبار بذكر انه « وثب انقيروان ») .

(٦٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٩ ، وقارن الرقيق ، ص ١٤٩ ، النويري ، ص ٩٧ ب .

« باسمه صيبل المتذبذبة » . هذا ما يمكن أن يفهم من قول يزيد بن حاتم لبعض
وكلائه عندما زرع فولاً كثيراً في بعض رياضاته : « يا ابن اللعناء ! أتريد أن
أعيرك بجزيرة فيقال يزيد بن حاتم أفلاسي ! اعلمي يبيع الفول » . ويمكن أن
يفهم أيضاً من بقية النص أن يزيداً كان يعمد عن استغلال الناس ببيع مثل
تلك المحاصيل الرسمية بطريقة ، وذلك أنه أمر أن يباح للناس (٦٧) . ومن
ذلك أيضاً أنه خرج من الفيروان متنزهاً بموضع يعرف « بمنية الخيل » - حيث
حفر بئراً عذبة هناك - فرى قطعاً كبيرة من الغنم . فما سأل عنها وعرف
أنها لابنة اسحق ، زجره عيباً وأمر بذبحها . وأن يباح للناس فانتهبوها ،
واكلوها . « وقد دفع ابن حاتم بعينه هذا بعض المواضع من الفيروان . وذلك
أن جمود الغنم وضعت في كدية عرفت من ذلك الوقت « بكدية الجلود » (٦٨) .

ويذكر الكتاب قطعاً متذبذبة تبين اهتمام يزيد بن حاتم بتنظيم أمارته
الحكومية وتراتيبها ، من ذلك أنه عزل القاضي المشهور يزيد بن الطفيل لأنه
« كان إذا انصرف من مجلس قضائه يستودع ديوانه رجلاً صباغاً مقابل المسجد
الجامع » ، وما كلمه يزيد في ذلك قال : « أتى أحفظ ما في ديواني وهذا لا
يضرني » ، ولم يستجب إلى قول يزيد (٦٩) . وعلى عهد يزيد كانت دار ضرب
النقود نشطة في سك الدراهم الفضية والنفوس النحاسية التي كانت تحمل
اسمه . واستمر الحال على هذا السنون على عهد خلفائه من الميمنية ، مثل :
فصر بن حبيب والفضل بن روح (٧٠ م) .

(٦٧) انظر الرقيق ، ص ١٥٩ . ابن عسري ، ج ١ ص ٨١ - ٨٢ ، ودرن النويري
(المخطوط ، ص ٨٩) ، والرحمة ، شرح ابن حجر ، ج ١ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، الذي ينقل
نفس الرواية مع تعبير طفيف إذ يقول : « إن يزيد بن حاتم يح التراعه وأنه كان يذهب إلى
المكان لرياضة الطعام والشراب » .

(٦٨) ابن عسري ، ج ١ ص ٨٢ . ودرن الرقيق (ص ١٥٨) الذي يسله النويري
(المخطوط ، ص ٩٨) ، شرحه ، ج ١ ص ٢٨٦ ، الذي يعرض بتفصيلات عن أخبار يزيد
وأبيه - سئل .

(٦٩) المذكي ، زواجر النفوس المرحمة ٧٢ ج ١ ص ١١١ . ودرن الرقيق ، ص ١٦٨
وحيث يوجد بعض الاختلاف مثل : « زجر من التراب » ، بدلاً من « رجلاً صباغاً » .
أي محبوه وير أحفظ ما في ديواني وهذا لا يضرني » .
٦٩٠ م انظر حسن حسبي عند الوهاب ، الزواجر ، ص ١ ص ٢٢٦ - حسب الإشارة إلى
أخبار التي كمنه من خود الموانة هؤلاء ، في سوسوسرا قرب نربة سوسون (Steekben)
حدث بعد ذلك على أنه زجر من العرب من النفوس وهو معروف عن سوسوسرا أو - نكو
نيزوسوسون بعد أحواله من العرب - « زجر من النفوس » التي هي .

وبفضل كرم يزيد بن حاتم أصبحت دار الإمارة مجمع الشعراء الذين ساروا إلى بابها من كل مكان ، مثل : ربيعة بن ثابت الرقي ، صاحب « لستان ما بين اليزيديين في الندى » (٧٠) . وبفضل استنارته وتقواه أصبحت منتدى الأدباء والعلماء والقضاة ، والزهاد والصالحين . فمن وفد على يزيد من المشرق واستقر في كنفه : اسحق بن مكرم الأشعري ، المشهور بـ « أبي المنهال » الذي كان عالماً أديباً روية لأشعار العرب وأخبارها ، والذي خدم يزيد بن حاتم . ثقته به وعلمه بديانته « (٧١) » . وفي تدين يزيد وتقواه تكفى شهادة عقيه إفريقية سحنون بن سعيد إذ كان يقول : « كان يزيد بن حاتم يقول : والله الذي لا إله إلا هو ما هبت شيئاً قط هبتي رجلاً واحداً يزعم أنني ظلمته ، وأنا أعلم أن لا نصر إلا الله » (٧٢) . ومن كان يتردد على دار يزيد بأقروان وبأكل على مائدته يحيى الطيب ، وقاضي إفريقية أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (٧٣) . وكذلك العلماء والفقهاء والقضاة ، والزهاد والصالحون :

(٧٠) أنظر فيما سبق . ص ٣٦٤ هـ ٦٣ - وكذلك ما اسم المسهر اليميني الشاعر حينما وفد على يزيد بن حاتم بإفريقية
اليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نواصله
فلا نحن نخشى أن يخبى رجلاً لديك ولكن أنما البر عاجله
ويقول السعدي ، في كتاب الأنساب أن يزيد أمر جنده . وكان معه حسون ألف
مريز . فوضع كل منهم للشاعر درهمين من عطائه وزاد يزيد ذلك ١٠٠ (مائة) ألف
أخرى . هذا ولو أن ابن خلكان يختم ذلك فيقول : « وجدت البيت المذكورين مروان بن أبي
حصى والله أعلم (وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٦٨) »
ومن مدح يزيد ، وهو بالشرق ، محمد بن عبد الله بن مسلم . المعروف بابن المؤن . الذي
قال فيه :

يا واحد العرب الذي أدت له فطمان عيشة وساد نزارا
إن لا رجوا أن يلمتلك مائلاً لا أكابد بعدك الأسفار
أنظر ابن عدي ، ج ١ ص ٨١ . وفردن الرقيق . ص ١٥٥ (حيث تعديل طفيف في
البيت الثاني ، فقه : « لعبك » بدلاً من « بلمتلك » ، و « أعالج » بدلاً من : « أكابد ») .
هذا . كما يروى عن نفس الشاعر أنه قال في يزيد على نفس النسق :

يا واحد العرب الذي أصبح وليس له نظير
لو كان منك ثانياً من كان في الدنيا فقير
أنظر الرقيق . ص ١٥٦ .
(٧١) الرقيق . ص ١٥٧ .
(٧٢) الرقيق . ص ١٥٧ .

(٧٣) أنظر ابن عدي ، (ج ١ ص ٨٠) الذي يذكر في أحداث سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م
و « في القروان أن خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (وعنه أنظر فيما سبق . ص ٣٤٣ =

وبذلك أخذت القيروان تحتل مركز انصدارة بين مدن المغرب ، نيسى بصفتها العاصمة السياسية للبلاد فقط بل وبصفتها العاصمة الفكرية ومركز الاشعاع الديني والثقافي في البلاد .

فمنذ ذلك الوقت المبكر أخذت أفكار المدارس الاسلامية الناشئة في المشرق تعرف طريقها الى المغرب . وهم مثل ذلك هو دخول آراء مالك بن أنس الفقيه الى البلاد . فقد كان مالك في ذلك الوقت ينقى « محاضراته » في مسجد المدينة ، وكان من بين مستمعيه كثير من طلاب العسليم والحجاج المغاربة والأندلسيين الذين نقلوا ما سمعوه الى بلادهم ، الى جانب من هاجر من المشاركة الى المغرب ، فكان ذلك بداية لدخول المذهب المالكي الى المغرب . وتحوى كتب تراجم العلماء والصالحين أسماء كثير ممن استمع الى دروس مالك وأخذ عنه في ذلك الوقت ، والذين استمروا على صلاتهم بامام دار الهجرة يكتبون اليه بالمسائل ويبحث اليهم بأرائه . ومن أشهر هؤلاء أبو محمد بن عبد الله بن فروخ الفارسي (٧٤) ، الذي قال عنه مالك : « هذا فقيه أهل المغرب » (٧٥) ، والذي لقي أيضا أبا حنيفة النعمان ، « وذاكره وكتب عنه مسائل كثيرة غير مبنية » (٧٦) . ومع أن ابن فروخ أخذ كما نرى عن امام العراق ، وأنه « كان ربما مال الى قول أهل العراق اذا تبين له أن الصواب في قولهم » ، الا أن صلته بمالك كانت أوثق ، فقد « سمع منه وتفقه » وعليه اعتمد في الحديث والفقه ، وبصحبه اشتير (٧٧) . وكذلك الأمر بالنسبة لقاضي افريقية عبد الله بن غانم الذي قال عنه مالك « هذا قاضي بلده » (٧٨) ، والبهلول بن راشد

= وهـ ١١ ، وفيما بعد . ص ٣٦٩ - ٣٧٠) بعد ، أن أكل حوتقا وشرب لبنا على حانطة يزيد ، وكان قد جاوز تسعين سنة ، فهلك من ليلته » . وفاروق الرقيق ، ص ١٦٨ ، حيث الاشارة على ان آكلة السمك وشرب اللبن حدثت في حضور يحيى العليبي (يوحنا المتطبب) الذي قنبا بنهاية نعمة للقاضي عبد الرحمن الذي توفي في نفس الليلة اثر فالج الم به ، وله من المصدر أكثر من سبعين سنة ، وانظر المالكي ، ج ١ ص ١٠٢ ، والدباغ ، ج ١ ص ١١٧ . ولا تعرف ان كانت هذه الرواية هي أصل أسطورة الخوف من أكل السمك وشرب اللبن معا .

(٧٤) ولد بالأندلس سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣ م وتوفي ببصر سنة ١٧٦ هـ / ٧٩٢ م . انظر ترجمته في المالكي ج ١ ص ١١٣ وما بعدها . والدباغ ، ج ١ ص ١٧٨ .
(٧٥) المالكي ، ج ١ ص ١١٥ . الدباغ ، ج ١ ص ١٧٩ .
(٧٦) المالكي ، ج ١ ص ١١٦ . الدباغ ، ج ١ ص ١٧٩ .
(٧٧) نفس المصدر .

(٧٨) المالكي ، رياض النفوس ، ترجمة البهلول بن راشد ، ج ١ ص ١٣٣ ، وانظر ترجمة ابن فروخ ، ص ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، وانظر الدباغ ، ج ١ ص ٢١٥ .

(١٢٨ - ١٨٣ هـ) الذي قال عنه مالك « هذا عابد بلده » (٧٩) ، والذي كان يعظم قدر ابن فروخ و « يقلده في بعض ما ينزل به من أمور الديانة » (٨٠) .
ومع أن آراء مالك الفقهية هي التي استهوت أفئدة المغاربة ، فإن القيرواني عرفت أيضا آراء المعتزلة في تلك الفترة . رغم ما كانت تلاقه تلك الآراء من معارضة جمهرة العلماء . والظاهر أن الاعتزال دخل المغرب مع آراء أهل العراق من أصحاب أبي حنيفة حتى أن ابن فروخ - الذي نفي أبا حنيفة كما قلنا - زمي بالاعتزال ، وتطلب الأمر منه أن يجاهر بلعنة المعتزلة « قبل يوم الدين » ، وفي يوم الدين ، وبعد يوم الدين « (٨١) . ومع أن الاعتزال نفي معارضة عنيفة من أصحاب مالك - وهم متأثرون في ذلك بإرشادات امام دار الهجرة الذي كان يخشى ظهور « طريقة الجدل بافريقية » (٨٢) - حتى أن ابن غانم وابن فروخ والبهلول كانوا يرفضون الصلاة في جنازة المعتزلي (٨٣) ، فإن الاعتزال والجدل كان لهما أتباعهما . ولقد استهوت معرفة الاعتزال - في بعض الأحيان - بعض عمد السنة والمالكية ، فسرى عن البهلول بن راشد أنه سأل يوما بعض جلسائه « أحب أن تذكر لي ما تحتج به القدرية » ، ولكن الرجل رد عليه : « يا أبا عمران سألتني عما تحتج به القدرية ، وهو كلام الشياطين ، لأنه سلاح من سلاحهم فتزينة في قلوب العامة ، وفي مجلسك من لا يفهم ما أتكنم به من ذلك ، فلا آمن أن يحلو بقنبه منه شيء ، فيقول سمعت هذا الكلام في مجلس البهلول » . وقبل البهلول رأس الرجل وقال : « أحييتني أحياك الله » (٨٤) .

وأهمية هؤلاء العلماء والفقهاء والصالحين لا تقتصر على العمل على نشر السنة ، ومحااربة البدع ، وتعريف الناس بالحلال والحرام ، بل كان في وجودهم نوع من الرقابة على أعمال الناس وكذلك أعمال الحكام ، وذلك حسب مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فعبد الرحمن بن زياد بن أنعم كان ، وهو في القضاء ، لا يسمح ليزيد بن حاتم بفض اختام ما يصدره من كتب الأحكام

(٧٩) المالكي ، رياض النفوس ، ترجمة البهلول ، ص ١٢٢ . الدباغ ، ج ١ ص ١٩٨ .

(٨٠) المالكي ، ج ١ ص ١١٦ - ١١٧ (ترجمة ابن فروخ) .

(٨١) المالكي ، ج ١ ص ١٢٠ .

(٨٢) المالكي ، ج ١ ص ١١٤ .

(٨٣) المالكي ، ج ١ ص ١٢١ . الدباغ ، ج ١ ص ١٩٨ .

(٨٤) المالكي ، ج ١ ص ١٢٤ .

حتى أنه فصل العزل عندما ألح عليه يزيد في إعادة ختم كتاب حكم كان أصدره
لامرأة كانت تتردد على داره (٨٥) . والظاهر أن ذلك كان درساً فيمه يزيد
ابن حاتم أنه عزل خليعة ابن انعم في القضاء . وهو ابن الطفيل . عندما سمع
نفسه يحفظ كتبه في ذلك بعض الجزاين رغم أنها كانت مختومة (٨٦) .
ثم أصبح تقنيداً يسير عليه كبار القضاة فلا يسمحون للأمراء بفض اختتام
كتب أحكامهم (٨٧) . وابن فروخ رفض نولي القضاة رغم الحاح روح بن حاتم
أخي يزيد . وذلك اقتداءً بنصيحة أبي حنيفة الذي شبهه به من يولي القضاء
برجل يلقي به في البحر الواسع ، فنهايته - طالت أم قصرت - إلى الغرق
سواء أجاد السباحة أم لم يجدها (٨٨) . ويروى عن ابن فروخ أيضاً أنه كان
إذا أخذ الجند أعطياتهم غلق حانوته تلك الأيام حتى يذهب ما في أيديهم .
فإذا ذهب ما في أيديهم فتح حانوته مما يفهم منه أنه كان لا يعتقد في صحة
كسب العسكر (٨٩) . ورغم أن ابن فروخ كان لا يلى القضاء فإنه كان يقوم
بدور المحاسب بالنسبة لأبناء يزيد بن حاتم . فلقد رأى ذات يوم ، وهو يحيى
باب نافع من أحياء القيروان ابناً ليزيد اسمه اسحق . وهو يدرّب بعض كلاب
الصيد فأغراه بظبي فبشتد رمزقته . فما كان منه إلا أن خاطب ابن الأمير
دون أن يكتيه . قائلاً : « يا فتى ! انى رأيتك تفرى كلابك آنفاً ببهيمة ، وما
أحب ذلك » - فما كان من اسحق بن يزيد إلا أن قال له : « صدقت أبا محمد ،
جزاء الله خيراً » ، واتبع ذلك بقوله : « والله لا فعلت ذلك بعد يومى هذا أبداً »
- ويضيف الراوى أن ابن فروخ لم يزل مكيناً لدى اسحق بن يزيد معظماً
عنده (٩٠) وفي نصيح الأمير والرقابة على أعماله . تقول الرواية أن يزيد بن حاتم
أرسل إلى ابن فروخ يسأله عن دم البراغيث في الثوب هل تجوز به الصلاة !
فحدث ابن فروخ بالجواز . ولكنه أضاف بحضرة الرسول إضافة لاذعة إذ
قال : « يسألوننا عن دم البراغيث ولا يسألوننا عن دماء المسلمين التي
تسعدت » (٩١) .

٨٥ . الربيع . ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٨٦) انظر في سبق . ص ٣٦٦ وما ٦٩ .

(٨٧) انظر فيما بعد . ص ٣٧٤ وما ١٠٥ .

٨٨ . المالكي . ج ١ ص ١١٨ - ١١٩ - ١٢١ .

٨٩ . المالكي . ج ١ ص ١٢٣ . وانظر المدعي . ج ١ ص ٢٠٦ (ترجمه السبلوط) . ومن

احاديث الفقهاء والمصنفين في أرواق الإحناد حلال من دم حرام . « كذا السبلوط يقول أخذ الأجناس

الار في التي تجرى لهم حرام عليهم » .

٩٠ . انظر الربيع . ص ١٥٩ .

٩١ . انظر الربيع . ج ١ ص ١١٩ . المدعي . عدل الامم . ج ١ ص ١٨٢ .

المهلبيون بعد يزيد بن حاتم :

عرفت افریقیة فترة الهدوء والرخاء طوال ولاية يزيد بن حاتم التي استمرت أكثر من خمسة عشر عاما منذ خلافة المنصور ، وطوال عهدي النهدي والنهادي وبعض خلافة الرشيد الى رمضان سنة ١٧٠ هـ / فبراير ٧٨٨ م عندما توفي يزيد بن حاتم (٩٢) * وهذا يعني أن المهلبيين لبثوا أقدمهم منذ ولاية عمر بن حفص سنة ١٥١ هـ / ٧٦٨ م ، واكتسبوا رضا الخلفاء عنهم بفضل سياستهم الرشيدة التي جمعت بين الحزم والانزان ، وكونوا في افریقیة ما يشبه امارة أو ملكية تابعة للخلافة استمرت الى مقتل آخرهم الفضل بن زوح في سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م .

داود بن يزيد بن حاتم : عودة الاضطراب الى البلاد :

فعمدما مرض يزيد بن حاتم مرضه الذي مات فيه استخلف ابنه داود ابن يزيد ، الذي ظل وائيا لمدة تسعة أشهر ونصف شهر (٩٣) ، الى أن قدم عليه عمه زوح بن حاتم أميرا على المغرب بعهد من الرشيد * واشتغل داود خلال تلك الفترة بحرب الخوارج الذين وجدوا في وفاة يزيد فرصة لكي يزاولوا نشاطهم من جديد .

الاباضية في باجة :

وبدأ الاضطراب بين قبائل نزاوة الذين أقاموا أحدهم اماما ، وهو صالح بن نصير الاباضي ، وأعلنوا العصيان في جبال باجة ، وحاولوا بسط سلطانهم على المنطقه * وشهدت جبال باجة معارك حامية بين قوات القيروان وبين قوات البربر من الاباضية ، وتراوح النصر والهزيمة بين الطرفين * فلقد انتصر نصير بن صالح على قوات داود التي أرسلها بقيادة أخيه المهذب بن يزيد في باجة ، ولكنه انهزم في معركة ثانية أمام القوات التي سارت اليه

(٩٢) الرقيق : حث النص على انه توفي بدار الامارة في الموضع الذي كان يعرف بوجبة البحر أو بميه العجل (ص ١٦٢) ، ودون في ضربة باب سالم (ص ١٧٦) * ابن الأثير * سنة ١٥١ ، ج ٣ ص ٣٨٥ * ابن عذاري (ج ١ ص ٨٢) صجعت وفاة يزيد في رمضان سنة ١٧١ هـ . وابن الأثير تصحح *

(٩٣) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٨٢ ، ودون الرقيق ص ١٧٠ (حث النص على سعة شهر بدأ من تسعة) *

بقيادة سليمان بن الصمة بن يزيد الهنبي الذي تتبع الثوار وقتل منهم أكثر من عشرة آلاف ، ولم يخسر أحدا من رجاله كما يقول الرواة (٩٤) . ونجح صالح من جديد في حشد جمع من الإباضية بينهم عدد من زعماء البربر ممن لم يشتركوا معه في ثورته الأولى ، واجتمع بهم في شقبنارية من كورة الأربس . ولكن سليمان بن الصمة استطاع أن يهزمهم من جديد ثم انه رجس الى القيروان (٩٥) .

وبذلك تنتهي الثورة الإباضية دون نتيجة ملموسة ، وتنتهي نيابة داود بن يزيد بن حاتم في إفريقية التي دامت أكثر قليلا من نصف عام ، فلا يذكر الكتاب له بعد ذلك سوى أنه جعل شرطته خالد بن بشير ، كما أعاد ولاية الزاب الى المهلب بن يزيد (٩٦) . ويأتي روح بن حاتم الى القيروان ليعيد بعضا من سيرة أخيه يزيد فيقرر الأمور في البلاد بينما يرجع داود الى المشرق حيث يعطيه الرشيد ولاية مصر أول سنة ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م (٩٧) ، قبسل أن يولية السند حيث مات وهو أمير عليها (٩٨) . ولكنه مع قدوم روح عرفت

(٩٤) ابن عسار ، ج ١ ص ٨٢ ، حيث اسم الثائر الاباضى نصير بن صالح ، فعلمناه حسب وجد في ابن خلدون والنويرى اللذين ينقلان عن الرقيق ، وكذلك الامر بالنسبة لسليمان ابن الصمة وهو فيه سليمان بن يزيد) . وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١١٣ ، الترجمة . ج ١ ص ٢٢٤) الذي يخطئ في تحديد تاريخ تلك الوقائع بسنة ١٦١ هـ / ٧٧٨ م رغم أنه يذكر حثرتي عقب وفاة يزيد بن حاتم وهو يجعل قوات داود الأخيرة تحت قيادة ابن عمه سليمان ابن الصمة (النصحة) المولى . وقارن النويرى (ص ٩٨ ب ، الترجمة ج ١ ص ٢٨٧) الذي يجعل ثورة جبال بنجة غير ثورة صالح بن نصير الذي يلقبه بالنفزي التي ربما كانت تحريبا للشمري (الصفري) . كما في ابن خلدون . أما عن ابن الصمة (كما في الرقيق) ، فيقول انه سليمان بن الصمة بن يزيد بن حبيب بن المهلب ، وأنظر الرقيق ، ص ١٦٩ (حيث أصل نوابي كل من ابن خلدون والنويرى ، وان كانت للأسف مخرومة في أولها) .

(٩٥) أنظر الرقيق ، ص ١٦٩ . وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٣ ، الترجمة ، ج ١ ص ٢٢٤ . وعن شقبنارية أنظر فيما سبق ص ٢١٠ وهامش ١٧٥ .

(٩٦) الرقيق ، ص ١٦٩ .

(٩٧) الكندي . الولاة والقضاة . ص ١٢٣ .

(٩٨) الرقيق ، ص ١٧٠ ، ثم ص ١٧٥ - ١٧٦ : حيث تقول الرواية انه عندما بعث الرشيد يزيد بن حاتم الى إفريقية وروح الى السند ، قيل له : يا أمير المؤمنين ، لقد باعدت بين قريصا . ومن عجب أن الأخوين توفوا بالقيروان ، ودفنا في موضع واحد في مقبرة باب سالم . وتذكر الرواية أنه كان على قبرهما سارية مكتوبة فيها أسماءهما ، وقد ذهب ما كان على قبرهما من بناء ، لأن بنى الأغلب هدموه . ومنه الأعمدة التي كانت تحت مصلى المسجد . ونسب الرواية أن أكثر الناس كانوا يعرفون قبري يزيد وروح ويقفون عندهم ، لبعض من سلطان والقبرة .

بلاد المغرب دعوة انفصالية جديدة ، هي التي قام بها ادريس بن عبد الله الحسنى فى المغرب الأقصى ، اثر فشل ثورة العلويين فى الحجاز سنة ١٦٩ هـ / ٧٦٨ م ، التي انتهت باقامة دولة عنوية كما سنرى ، هي دولة الادارسة التي حكمت المغرب الأقصى وامتدت فروعها الى المغرب الأوسط والأندلس .

روح بن حاتم : عودة الى الاستقرار :

بعد فترة الاضطراب القصيرة أيام نيابة داود بن يزيد ، عادت الأحوال الى الاستقرار بوصول روح بن حاتم الى القيروان فى رجب سنة ١٧١ هـ / ديسمبر - يناير سنة ٧٨٧ - ٧٨٨ م على رأس ٥٠٠ (خمسمائة) فارس ، ويتبعه ابنه قبيصة على رأس ١٥٠٠ (ألف وخمسمائة) فارس (٩٩) . هذا ما يشير اليه الكتاب - كما فعلوا بالنسبة ليزيد بن حاتم - اذ يكتفون بذكر مناقب روح وصفاته ، وتسجيل نكته وقعت أيامه (١٠٠) ، فلا نجد ذلك الخليط المتشاك من الثورات والقلقل المعهودة - فالطرق كانت آمنة ، والسلام سائد بين البربر طالما كان روح حيا (١٠١) .

ويفهم من رواية الرقيق انه لما كان مركز الخطورة يكمن فى بلاد الزاب ، فان بعض مستشارى روح نصحه أن يملأها خيلا ورجلا (١٠٢) . واذا كان من الراجح أن يكون روح قد عمل بتلك النصيحة ، فمن الواضح أن حسن اختياره لمعاونيه من رجال الدولة كان من عوامل استقرار دولته . وفى ذلك تقول نفس الرواية انه ما أن وصل روح الى افريقية حتى أقر على ولاية طرابلس : العلاء بن سعيد ، واستعمل على تونس : الجنيد بن ميار ، ثم عزله واستعمل عليها اسحق بن يزيد بن حاتم . أما طينة عاصمة بلاد الزاب حيث مكمن الخطر فقد عزل عنها المهلب بن يزيد الذى كان قد عينه داود بن يزيد ،

(٩٩) أنظر الرقيق ، ص ١٧٣ (حيث يقول فى روح : « وكان شيخا حازما قد حلب الدهر أشطره ، وذهب أكثر عمره فى إمارة يديرها أو حرب يسرها ») .

(١٠٠) أنظر الرقيق ، ص ١٧١ - ١٨١ - حيث تمتلئ الرواية بقصص منتقبة عن روح ومن كان على اتصال به فى الشرق وفى المغرب ، ابتداء بالخليفة هارون الرشيد وانتهاء بجواريه وحظايات . وذلك فى موضوعات الحزم والكرم والنسجاعة والشرف والعصبية وغيرها .

(١٠١) أنظر الرقيق ، ص ١٧٣ ، الثوبرى ، ص ٩٩ ، الترجمة ، ج ١ ص ٣٨٧ . وقارن ابن الخليل ، أعمال الاعلام (قسم ٣ تحقيق أحمد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكنانى) ، ط ٠ الدار البيضاء ، ١٩٦٤ ، ص ١٠ .

(١٠٢) الرقيق ، ص ١٢٧ .

وعهد بولايتهم الى ابنه الفضل بن روح . أما عن ولاية برقة المتطرفة شرقا ، فقد عهد بها الى ابنه قبيصة عندما لحق به ، ويضيف النص الى ذلك انه عندما مات روح (أواخر سنة ١٧٤ هـ / أوائل ٧٩١ م) عزلت برقة التي كان على ولايتها قبيصة بن روح عن عمل افريقيه (١٠٣) ، بمعنى أنها ضمت الى ولاية مصر .

فكان أعمال روح الادارية هذه والتنظيمية هي التي أكدت ، على المستوى الداخلي ، هدوء اجلاد وأمن الطرق . أما على المستوى الخارجي فقد عمل روح على توطيد الأمن عن طريق الرغبة في مهادنة (موادعة) عبد الوهاب بن رستم الاباضي صاحب تاهرت (تيهرت) (١٠٤) .

وفيما يتعلق بالقضاء فقد عهد به روح الى فقيه من أهل تونس ، وهو : العلاء بن عقبة ، الذي كان على قدر كبير من الصلاح والورع واحترام الذات . حتى انه ترك منصبه دون علم روح عندما علم أن هذا الأخير سمح لنفسه بقبض كتاب حكم كان قد حكم به العلاء لرجل من أهل باجة ، واطلع عليه (١٠٥) . وعندما عرض روح القضاء على عبد الله بن فروخ باصرار رغم ضغط روح (١٠٦) . وأمام الاطاح والتهديد أشار ابن فروخ بتعيين عبد الله بن عمر بن غانم ، الذي كانت له معه صحبة ، فولاه روح القضاء . وبقي ابن غانم قاضيا لافريقية حوالي عشرين سنة (١٧١ هـ - ١٩١ هـ / ٧٨٨ م - ٨٠٨ م) حتى امارة ابراهيم بن الأغلب على افريقية (١٠٧) .

(١٠٣) أنظر الرقيق ، ص ١٧٣ (ر ص ١٨٣ . وانظر مس بعد ، ص ٢٧٦ وهـ ١١٥ عن امارة قبيصة) .

(١٠٤) أنظر الرقيق ، ص ١٧٣ . وفاروق ابن الحطيب ، أعمال الاعلام ، قسم ٣ ، ص ١٠ (حيث النص على دعة الاناضيين في موادعته الى أن توفي في ١١ رمضان ١٧٤ هـ) .
(١٠٥) الرقيق ، ص ١٧٤ .

(١٠٦) الرقيق ، ص ١٧٤ - وهي ذلك يروي أن ابن فروخ اهدى في الامتناع من نولي القضاء بأبي حنيفة الذي قال : ان القضاء كالبحر في سعته وان الذي يغفل وظيفه القاضي كمن يغني بنفسه في وسط البحر . مصيره القرى طال الزمان أم مصر . اسواء كان يحسن العوم . أو لا بأس بعومه . أو لا يحسن العوم . (الرقيق ، ص ١٧٩) . وانظر فيما سبق ، ص ٢٧٠ وهـ ٨٨ حيث الإشارة للمالكي .

(١٠٧) أنظر الرقيق ، ص ١٧٤ - ١٧٥ . ١٧٨ : حيث تذكر الرواية ان ولاية ابن عام للقضاء كانت في رجب سنة ١٧١ هـ أي في مصر التمه التي وصل منه روح الى القيروان . مما يعني أن العلاء بن عقبة اليوسى لم يمكث في القضاء الا أيام قليلة - اذا صح ذلك التاريخ . وفيما يتعلق بوفاته ابن عام تقول الرواية انه كان في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٧ م أو في سنة ١٩٦ هـ / ٨١٣ م - - - أنظر المالكي .

ورغم أن عبد الله بن فروخ رفض تقلد القضاء ، كما كان يرفض تقديم الاستشارة في الخصومات (١٠٨) . فان هذا لا يعنى اعتزاله المجتمع أو ابتعاده عن متابعة الرقابة على الأمراء . مما كان يدخل في مبدأ « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » . فالفقيه الورع الذي كن يأخذ برأى فقهاء العراق في تحليل النبيذ ، كان يجاهر بحق « الخروج على أهل الجور وانظلم » ، حتى قيل أنه لم يتردد في التصريح بذلك في مواجهة روح بن حاتم عندما سأله عن ذلك . وكان من الطبيعي أن يتفاضل عنه الأمير المهلبى - الذي حلب الدهر أشطره - عندما عرف أن الفقيه المثالى كان يسعى الى « الخروج » في عدد من الأفاضل عندهم عدة أهل بدر ، وكلهم أفضل منه (١٠٩) .

أما عن مناقب روح الأخرى - الى جانب تعظيمه لعلماء - فلقد اتصف بالصلافة وعدم الجزع ، كما عرف بإبلاغه والكوم (١١٠) . ولكنه كان يؤخذ عليه في ذلك الوقت كبر السن . فقد كان روح أسن من أخيه يزيد ، وكان كبر سنه يسبب ازعاجا للقواد وكيار الموظفين في إفريقية . فقد كان روح « عندما يطول جلوسه بالقيروان ربما خطر عليه النعاس من الضعف والشباخه » (١١١) ؛ ولما كان صاحب البريد مستولا عن اطلاع الخلافة على أحوال البلاد فانه وقائداً اسمه « أبو العنبر » كتب الى الرشيد يعبران عن مخاوفهم من ضعف روح ، وخشيتهما من اضطراب تغر إفريقية اذا ما شغرت الامارة بوفاة روح بفترة . ولقد أشار الاثنان على الرشيد بتعيين نصر بن حبيب كوال ثان لإفريقية تؤوز اليه الامارة اذا مات روح ، لما عرف عنه من رجاحة الحقل ، وخبرته بأموار الادارة ، ومحبه في قلوب الناس (١١٢) . ووافق الرشيد على اختيار نصر بن

(١٠٨) الرقيق . ص ١٧٥ .

(١٠٩) الرقيق . ص ١٨٠ - ١٨١ . وفي ذلك تحول الرواية أن روح بن حاتم علق على ذلك . فقال : « قد امتا أن يخرج عيضا أبدا لا يجد أحدا مثله . فكيف هذه العدة » .
(١١٠) يقال انه مات له ابن صغير فذهب بعضهم لعزائه فوجدوه ضاحكا فتوقف عن العزاء .
فقال روح :

« ان تقوم ما تفيض دموعنا على هالك ما وان قسم الظاهر
الرقيق . ص ١٧٧ (حيث « ان اذس » بدلا من « انا لوم » . ثم « ولو قسم الظهرا » .
بدلا من « وان قسم الظهر ») . وقارن ابن الخطيب . اعمال الاعلام (قسم ٣) . ص ١٠
« حيث يقال في كرمه وبلاغته انه يمض الى كتب له ٣٠ (ثلاثين) الفا . وكتب اليه : « لا استقبها
بـ تكرا . ولا ادتكبرها قسنا . ولا استمسك عليها ثناء . ولا أقطع عنك بها رجاء . »

(١١١) ابن عسارى . ج ١ ص ٨٥ .

(١١٢) ابن عسارى . ج ١ ص ٨٥ . وورن الرقيق . ص ١٨٢ . الخويرى . ص ٩٩ .

حبيب المهلبى - الذى كان يشغل منصب صاحب الشرطة ليزيد بن حاتم
بافريقية ، كما كان يشغل هذا المنصب بالفسطاط من قبل ، عندما كان يزيد
واليا لمصر - فكتب اليه بعهد افريقية سرا (١١٢) .

نصر بن حبيب المهلبى :

ورق ما كان يخشاه صاحب البريد والقائد أبو العنبر . فمات روح بن
حاتم فى ٢٢ من رمضان سنة ١٧٤ هـ / ١ فبراير ٧٩١ م (١١٤) ، وبأيع الناس
ابنه قبيصة - الذى كانت له ولاية برقة - بالامارة فى المسجد الجامع (١١٥) .
ومبايعة قبيصة بن روح يمكن أن يكون لها أكثر من معنى : فهى من جهة
تبين أن افريقية أصبحت اقطاعا للمهلبيين أو كادت ، وهى من جهة أخرى قد
تفسر عهد الرشيد لنصر بن حبيب بأنه محاولة من الخلافة وكبار موظفيها
للتحيلولة دون أن تصبح افريقية مملكة للمهلبيين يتوارثها الأبناء عن الآباء .
فما أن علم صاحب البريد وأبو العنبر بمبايعة قبيصة حتى سارعا بالمسير
الى نصر بن حبيب ، فأوصلا اليه عيد الرشيد ومسلما عليه بالامارة ، وركبا
معه الى المسجد فيمن معهما حتى أتيا قبيصة . وهو جالس على الفراش ،
فأقاماه وأقعدا نصر بن حبيب ، وأعلمنا الناس بأمره ، وقرىء الكتاب الواصل
من أمير المؤمنين هارون الى نصر بن حبيب على الناس ، فسمعوا وأطاعوا (١١٦)

وبدأ نصر حكمه بالاجراءات الادارية المعتادة ، من تثبيت الولاة القدامى،
وتعيين غيرهم من الجدد . ولما كانت ولاية الزاب قد شغرت عندما تركها الفضل
ابن روح بمجرد علمه بولاية نصر ، وسار الى الرشيد فى بغداد ، فقد رأى نصر

(١١٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٥ . وقارن الرقيق ، ص ١٨٢ . ونلاحظ أن ابن الأثير
(سنة ١٧٧) يسميه خطأ حبيب بن نصر المهلبى ثم يعود الى الصواب أى نصر بن حبيب .
(١١٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٥ ، وقارن الرقيق ، ص ١٨٢ (حيث يجعل ولاية نصر
ابن حبيب فى ٢٠ رمضان) النويرى ، ص ٦٩ أ والترجمة ج ١ ص ٣٨٨ التى يجعل وفاة روح
فى ١٩ من رمضان ، وابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، قسم ٣ ، ص ١٠ - ١١ (حيث وقفته فى ١١
رمضان ١٧٤ هـ) .

(١١٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٥ . وأنظر الرقيق ص ١٨٣ . النويرى ص ٩٩ أ والترجمة
ج ١ ص ٣٨٨ . وأنظر فيما سبق ، ص ٣٧٤ و ١٠٣ هـ (عن عزل ولاية برقة عن افريقية)
اعتبارا من سنة ١٧٤ هـ / ٧٩١ م .

(١١٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٥ . وأنظر أصل الرواية فى الرقيق ، ص ١٨٣ ،
النويرى . ص ٩٩ ب ، والترجمة ج ١ ص ٣٨٩ .

أن ينقل العلاء بن سعيد من طرابلس - بعد ولاية طالت الى ما يقرب من أحد عشر عاما - وأن يستعمله على الزاب . أما طرابلس فقد عهد بها الى النصر ابن سدوس المرادي (١١٧) .

واستمر نصر في ولاية افريقية الى المحرم من سنة ١٧٧ هـ / ابريل ٧٩٣ م ، عندما عهد الرشيد بالولاية الى الفضل بن روح . ويمكن أن تعتبر ولاية نصر بن حبيب التي دامت سنتين وثلاثة أشهر استمرارا لولاية روح ابن حاتم : اذ حسنت سيرة نصر وعدل في أحكامه ، وعرفت البلاد فترة من الهدوء والسلام على أيامه (١١٨) ، ولكنه كان أشبه بالهدوء السني يسبق العاصفة الملمرة .

آخر المهلبين في افريقية : الفضل بن روح :

سعى للولاية في بغداد ، واستقبال ملوكي في القيروان :

في الوقت الذي أعلن فيه عهد الرشيد بافريقية الى نصر بن حبيب ، وبينما كان قيصة بن روح يتأهب لأخذ البيعة من الخاس في مسجد القيروان ، كان أخو هذا الأخير وهو الفضل بن روح واليا على الزاب من قبل أبيه روح ابن حاتم . ولم يرتح الفضل لاقتضاء أخيه عن الامارة فخرج الى بغداد ، وظل يلاحق الرشيد الى أن كللت مساعيه بنوالة ولاية افريقية (١١٩) . وستثبت الأحداث أن سعى الفضل بن روح للحصول على الولاية كان في الحقيقة سعيا الى القضاء نهائيا على سلطان الميالية في المغرب . فعندما عهد الرشيد بافريقية الى الفضل ، « كتب بعزل نصر بن حبيب ، وأن يقوم بأمر الناس المهلب بن يزيد الى أن يقدم الفضل » ، الذي وصل الى القيروان في المحرم من سنة ١٧٧ هـ / ابريل - مايو ٧٩٣ م (١٢٠) .

ويرجع الفضل الى الرقيق في وصف الحفاوة الملوكية التي استقبل بها

(١١٧) الرقيق ، ص ١٨٣ .

(١١٨) ابن عشاري . ج ١ ص ٨٥ ، وأنظر الرقيق ، ص ١٨٣ .

(١١٩) الرقيق ، ص ١٨٣ - ١٨٤ . وأنظر النويري ، ص ٩٩ ب ، الترجمة ، ج ١

ص ٣٨٩ .

(١٢٠) أنظر ابن عشاري . ج ١ ص ٨٦ ، النويري ، ص ٩٩ ب ، الترجمة ج ١ ص ٣٨٩ .

ابن الأثير ، سنة ١٧٧ . ج ٢ ص ٥٤ ، ودارن الرقيق ، ص ١٨٤ .

اهل القيروان افضل بن روح - فلقد استبثروا به ، وسروا بفدومه ، ونصبوا
نه السرايات (القباب) على طول الطريق ، من مسجد أم الأمير ، وحتى دار
الإمارة في الحى المعروف برحبة التمر ، وبرز من بين المحتفان بالفضل أحد
أثرياء النجار من أهل الذمة . وهو قسطنط النصراني الذى تنسب فى إقامة
الزينات ، فكان من بين ما عمله باقة عظيمة من الرياحان نشر عليها ورقة عريضة
من أنبرى (طومار) كتب فيها مطلع سورة الفتح : « انا فتحنا لك فتحا مبينا ،
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » ، وزير من زجاج عنقه قرب مسجد
أبى فهر ، « وفيه ماء ، وفى الماء حيتان تعوم » مما أثار إعجاب الفضل
واستحسانه (١٢١) .

وبدأ الفضل بن روح ولايته بأن عزل عمال نصر بن حبيب ، كما يقول
الرقبيق ، باستثناء العلاء بن سعيد الذى أقره على ولاية الزاب ، التى كانت
موضع اهتمام الأمراء . ولكن مؤرخ القيروان لا يذكر عقب ذلك إلا أنه عين
قريبه أبا عيينه الشاعر بن محمد بن أبى عيينه بن المهلب على طرابلس ،
وكان أبو عيينه قد تقلد ولاية قفصة وقسطنطية ، عندما وفد من المشرق زائرا
لابن عمه يزيد بن حاتم (١٢٢) .

ورغم هذه البداية الطيبة التى افتتح بها أفضل حكمه فان ولايته تم
تتم إلا ما يقرب من سنة ونصف سنة ، اذ انتهى الأمر بمقتله فى شعبان سنة
١٧٨ هـ / نوفمبر ٧٩٤ م (١٢٣) .

(١٢١) انظر الرقبى . ص ١٨٤ - وتضيف الرواة ان ذلك (ص ١٨٥) أن الفضل
استجاب بعد ذلك لرجاء مسطاس بن ان بسج له ببناء كيسة . وان كان الرقبى يعلق
عنى ذلك بعوله . « فان يكن ذلك كما قيل - فقد أنى (الفصل) عظيما » . وقارن ابن الخطيب
تمال الاعلاء . قسم ٣ . ص ١١ .

(١٢٢) انظر الرقبى . ص ١٨٥ (حيث توجد معلومات طريفة عن حضور جيران أبى
عيسى إلى دار يحيى العدرسى لبرده . وكيف أن الرجل الذى سجن من قبل منصب الولى
به مكن لديه دينار ولا درهم بصدقة هدية لوفد المينشئ . كما كان منه إلا أن صحبهم كل ما كان
سجونه داره . من طعام وسراب وآتت وماع فافسموه فيما بينهم . هذا ، كما أنه حلق أحد
أهوانه على اسكتافى أثناء بصفى هدية . الى جانب قصة أخرى عن ولعه بالشعر وكرمه حتى
بلى . ان ذلك لم ير أبى ولا فضل مما هو بأبى المهلبين - ص ١٨٦) .
(١٢٣) ابن عذارى ج ١ ص ٨٨ .

اضطراب العسكر الخلفى فى تونس : ثورة ابن الجارود على رأس الخراسانية :

أما عن الظروف التى راح ضحيتها الفضل بن روح فهى اضطراب العسكر وعدم انتظام الجند فى مدينه تونس وأعمالها ، وكانت قد أخذت تنساقس القيروان ، حتى قيل أنها كانت قرينه القيروان لكثرة العرب والجند المقيمين فيها ، وحتى سماها الخليفة المنصور - هى الأخرى - بالقيروان (١٢٤) . فقد عهد الفضل بولاية تونس الى ابن أخيه المفيرة بن بشر بن روح الذى يوصف بأنه « كان غير ذى تجربه ولا سياسة لتجمهه » (١٢٥) . وهكذا ينص الكتاب على أنه استخف بالجند وسار بهم سيرة قبيلة ، وهو يثق أن عمه لا يعزله ، وأن هؤلاء لم يرضوا بتلك المعاملة ، وخصه أنهم كانوا ينكرون على الفضل استبداده برأيه ، وعدم اهتمامه باستشارتهم فيما يهمهم من أمور (١٢٦) . ولا بأس فى أن يكون من أسباب الوحشة بين الفضل وبين الجند هو ميل هؤلاء الى التوالى السابق نصر بن حبيب ، كما يقول ابن الأثير (١٢٧) ، مما دعا الفضل الى قطع ما كان يشتري به رضاء زعماء الجند من الهدايا والأموال التى عرفت به الأسلاف ، كما ورد فى خطاب ابن الجارود الى الفضل الذى سجله ابن الأبار فى الحلة السراء . وإذا كان من المقبول أن تكون كلمة « الأسلاف » هذه يقصد بها ما كان يجرى على أيام السلف من ولاية القيروان قبل الفضل ، كما يقترح حسين مؤنس (١٢٨) فمن الممكن أن يكون المقصود بكلمة الأسلاف هنا : الرواتب : التى تعطى للجند سلفا أى مقدما . والمهم أن الجند لم يرضوا بمعاملة المفيرة بن بشر ، وقرروا فى بعض اجتماعاتهم أن يكتبوا الى عمه الفضل فى القيروان « بما صنع فيهم ، ويقبح سيرته » (١٢٩) . وكان تباطؤ الفضل فى الرد عليهم سببا فى أن نظموا صفوفهم ، واختاروا - بتوجيه من أحد زعمائهم .

(١٢٤) أنظر الرقيق ، ص ١٨٦ .

(١٢٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٦ . وفاروق الرقيق ، ص ١٨٦ (حيث النص : « وكان عوا لا تجربه له بالأمور ») . التويرى ، ص ٩٩ ب . الترجمة ج ١ ص ٣٨٩ . ابن الأثير ، سنة ١٧٧ ، ج ٦ ص ٥٤ .

(١٢٦) أنظر الرقيق ، ص ١٨٦ . وفاروق ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٦ . التويرى ، ص ٩٩ ب . الترجمة ج ١ ص ٣٨٩ . ابن الأثير ، سنة ١٧٧ ، ج ٦ ص ٥٤ .

(١٢٧) ابن الأثير ، سنة ١٧٧ .

(١٢٨) أنظر الحلة السراء ، ج ١ ص ٧٧ . وعاصم ٢ : حث أئمة حسين مؤنس الى هذا المعنى الذى يمكن أن يقصد كلمة « الأسلاف » .

(١٢٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٦ . وفاروق الرقيق ، ص ١٨٦ . التويرى ، ص ٩٩ ب . الترجمة ج ١ ص ٣٨٩ . ابن الأثير ، سنة ١٧٧ .

وهو محمد بن الفارسي - رجلا من أهل هراة هو القائد عبد الله بن عبد ربه المعروف بـ « عبدوية » أو بابن الجارود رئيسا لهم ، وعهدوا اليه بالعمل على تحقيق مطالبهم ، فقبل بعد تردد وبعده أن أكسبوا له البيعة بالعهد والمواثيق (١٣٠) . وانتهى الأمر بإعلان الجند الثورة بقيادة ابن الجارود بمدينة تونس سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م ، فساروا الى المغيرة بدار الامارة وطردوه منها (١٣١) .

ورأى ابن الجارود ألا يكشف النقاب عن وجهه دفعة واحدة - فتظاهر بأن ما فعله لا يعنى الخروج على الطاعة ، وكتب الى الفضل بن روح يبرر عمله بفساد المغيرة ، ولكنه بين عما يضمره في قرارة نفسه عندما انهى كتابه قائلا: « فعجل لنا من نرضاه يقوم بأمرنا ، وإلا فنظرنا لأنفسنا » (١٣٢) . ورد الفضل على ابن الجارود بأن « الله يجرى قضاءه على ما أحب الناس أو كرهوا » ، وحذره من مخالفة الوالي الجديد الذي سيره الى تونس ، وهو عبد الله بن يزيد المهلبى (١٣٣) الذي كان يصحبه : النضر بن حفص ، والقائد أبو العنبر ، والجنيد بن سيار (١٣٤) . وهنا كشف ابن الجارود عن نواياه فحرض عسكر تونس على الوالي الجديد ، فخرجوا واعترضوا طريقه بموضع يعرف بالزيتون بالقرب من سبخة تونس . وجرى جدل عنيف بين جند تونس الحراساني ، وعلى رأسهم القائد منصور بن هميان وصاحبه وصاف ، وبين جند القيروان العربي انتهى بالحرب وانهزام عسكر الفضل ، ومقتل الوالي الجديد عبد الله ابن

(١٣٠) أنظر الرقيق . ص ١٨٧ (حيث تفصيلات ما دار من الحديث بين الجند ومحمد ابن الفارسي وبينهم وبين ابن الجارود) ، ابن خياط ج ٢ ص ٥١٠ . وما سبق من المصادر .

(١٣١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٨٦ (قالوا له : الحق بصاحبك أنت ومن معك) ، وقارن النويرى . ص ٩٩ ب ، الترجمة ، ج ١ ص ٣٩٠ ، وأنظر أصل الرواية في الرقيق ، ص ١٨٧ ؛ قائلوا . ترجى عنا وتلحق بصاحبك أنت ومن معك) .

(١٣٢) ابن عذاري . ج ١ ص ٨٦ : حيث الترامة « عجل لنا من نرضاه » . والأصح ما في ابن الأثير ، سنة ١٧٧ : « من نرضاه » ، وكذلك النويرى ، ص ١٠٠ أ ، والترجمة ج ١ ص ٣٩٠ ، وأنظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ٧٧ . وقارن الرقيق ص ١٨٨ : حيث الكتاب محروم ولكن تظهر فيه جملة : « قول علينا من نرضاه » .

(١٣٣) أنظر النويرى ، ص ١٠٠ أ ، الترجمة ج ١ ص ٣٩٠ . ورواية النويرى التي ينقلها من الرقيق (ص ١٨٨) تحتوي على تفصيلات أكثر من رواية ابن عذاري (ج ١ ص ٨٦ - ٨٧ . واسم والى تونس الجديد هنا عبد الله بن محمد) ، ابن الأثير ، سنة ١٧٧ .

(١٣٤) النويرى ، ص ١٠٠ أ ، الترجمة ج ١ ص ٣٩٠ ، وقارن الرقيق . ص ١٨٨ .

يزيد المهلبى ، وأسر كبار أصحابه (١٥٢) .

وهنا تقرر إعلان الخروج صراحة على الفضل بن روح ، وآل تدير أمور ابن الجارود الى محمد بن يزيد الفارسي الذي كان بمثابة الرأس المدبرة لفتنة تونس ، فأخذ يكاتب القواد ويدعوهم الى الانضمام الى جانب ابن الجارود ، ويعددهم بالترقى فى القيادات العليا والمناصب الكبيرة (١٣٦) . وكاتب ابن جارود بنفسه قواد مدينة باجة حيث كان بها جند من أهل خراسان فأجابه كثير منهم ، ومن غير أهل باجة من اخراسانية (١٣٧) . وعندما أخذ الفضل علما بحشود ابن الجارود كتب الى عماله يأمرهم بالقدوم عليه بمن معهم من العساكر ، واستثنى من ذلك كلا من والى الزات وطرابلس ، وهما : العلاء ابن سعيد ، وأبو عيينة المهلبى (١٣٨) - خشية على الثغرين المتطرفين بعيدا عن القيروان .

ما بين الجند اخراسانى والجند العربى :

ويفهم من رواية الرقيق أن أحوال معسكر الفضل بن روح كانت تسير من سيىء الى أسوأ ، حتى أنه عندما أراد شراء اخلاص الجند بالمال أتى هذا العمل بنتائج سلبية : فكان كثير منهم يأتون اليه فيأخذون أعطيائهم وينشرون سلاحهم ثم ينضمون الى رجال ابن الجارود . وعندما أتى اليه عدد من زعماء الجند من العرب ، ومنهم : سمعون وأبو المغيرة ، وأبو عميلة ، قام باعطاء كل منهم ٥٠٠ (خمسمائة) ، درهم ، كان لذلك العمل رد فعل سيىء فى نفوس جند القيروان من أبناء خراسان . فقد قال بعضهم لبعض : « ويحكم ، كيف ترضون بهذا أن يقوى الفضل أهل الشام على أبنائنا » وعلى هذا التسق

(١٣٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٧ ، وقارن الرقيق (ص ١٨٩ - ١٩٠) الذى ينقله النويرى (ص ١٠٠ أ ، الترجمة ج ١ ص ٣٩٠) : حيث تقول الرواية ان أتباع ابن الجارود هم الذين أشاروا عليه بالقبض على والى الجديد وأصحابه وحبسهم ، وانهم خرجوا - دون أمره - وأسروهم وقتلوا ابن يزيد . أما ابن عذارى فلا يشير الى مقتل هذا الأخير .

(١٣٦) أنظر الرقيق ، ص ٩٠ - ١٩١ ، وقارن أصل روايته فى النويرى ، ص ١٠٠ أ ، الترجمة ج ١ ص ٣٩٠ - ٣٩١ ، وابن الأثير ، سنة ١٧٧ ج ٦ ص ٥٤ (حيث يورد تفصيلات عن كيفية افساد ابن الفارسي للقواد عن طريق تسميتهم بالولاية لو نجحت الثورة وانقله سننهم بالثوار لو فشلت الفتنة) .

(١٣٧) أنظر الرقيق ، ص ١٩١ .

(١٣٨) الرقيق ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

أظهر عمال الغسل من الخراسانية عدم رغبتهم في القتال إلى جانبه (١٣٩) .

وهكذا أصبح الصراع في إفريقية على عهد الفضل بن روح وكأنه صراع فائس أو عصبي بين الخراسانية وعرب الشام . وكاننا عدنا إلى سيرة الصراع في الشرق البعيد على أواخر أيام الدولة الأموية عندما قام الخراسانية برفع لواء الثورة العباسية . فابن الجارود صدر ممثلاً بجند خراسان . والفضل قائداً لجند عرب الشام .

عسكر تونس يهدون القيروان :

وعندما وجد ابن الجارود أن الظروف مواتية سار نحو القيروان ، على طلائعه قواده من الخراسانية : قنح ووصاف وابن الدويدي . وعندئذ خرج إلى لقائه عبد الله بن يزيد بن حاتم الذي ولاء الفضل قيادة حرب الثوار ، وبصحبه قياد الجند العربي : شبيبة بن حسان على المقدمة ، وفلاح بن عبد الرحمن الكلاعي على الطلائع . وعلى بن هارون الأنصاري على المدينة ومعه سهيل بن حنّيب وعامر بن نافع ، وكان على الميسرة قائد لم تعرف إلا اسمه و عمر ، ومعه آخر ، هو شراحبيل الأزدي . ووقف الخصوم وجهاً لوجه في موضع يعرف بطساس غير بعيد من العاصمة (١٤٠) .

وانتهى هذا اللقاء الأول بانتهزام جند إفريقية الخراساني أمام جند العرب من أهل الشام . مما شكك ابن الجارود في صدق نوايا حلفائه ، ولكن محمد بن القارسي هدأ خاطره عندما أفهمه أن ما حدث لم يكن كسرة لقواته بل ارتداداً مقبولاً من جانب طلائعه أمام جمهرة قوات خصومه عسرب الشام (١٤١) . ونجح ابن الجارود فعلاً في تقويم الموقف خلال يومين فقط فيما بين يوم الجمعة التي انهزم فيه أصحابه ويوم الأحد التالي عندما عبأ جنده من جديد وزحف بهم نحو طساس ، حيث كان عبد الله بن يزيد معسكراً .

وفي معركة يوم الأحد هذه حمل الجند الناصر حمته صادفة على عسكر القيروان فانهزم تغلبه ولم يصبر مع عبد الله بن يزيد إلا القليل منهم . وبات جهود ابن يزيد في تقويم الموقف بالفشل . فرغم أنه التجأ إلى الخندق المحفور

(١٣٩) انظر الرقيق . ص ١٩٢ .

(١٤٠) الترمذ . ص ١٩٢ .

(١٤١) الترمذ . ص ١٩٣ .

أمام أسوار المدينة ، وأخذ العهد بانطاعة من عسكر القيروان من الخراسانية واهل الشام ، فان هؤلاء لم يبادروا بالعودة الى مواقعهم الجديدة على الخندق . وأمام هذا المأزق قدم بعض قواد ابن يزيد اليه النصيح بالعودة الى القيروان من حيث يمكنه معاودة القتال . وهكذا رجع ابن يزيد الى الفضل مهزوما بعد أن فقد عددا من كبار قواده مثل : هارون الأنصاري الذي بقي في أرض المعركة ، وأبي الأسود الحمصي الذي أخذ في بعض الطريق وقتل . وتبع جند عبيدوية من خراسانية وتونس المنهزمين من أهل القيروان التي أحاطوا بها الى وقت الغروب ، ثم انهم انصرفوا الى منية الخيل حيث أقاموا ليلتهم (١٤٢) .

وطلب الفضل النصيحة من بتي عمه المهلبين ومن كبار مسننصاربه ، ولكنهم لم يتفقوا على رأي . فبينما تصح لبعض بمغادرة القيروان والرحيل الى طرابلس ، رأى البعض أن الموقف ليس ميثوسا منه ونصح بالبقاء ومطاوله الحصار . وأمام انقسام الرأي كان من الطبيعي أن يزداد الحال اضطرابا على الفضل الذي التبس عليه الأمور ، فلم يصح له رأي . ففي صبيحة اليوم التالي حاول الفضل أن يحكم الدفاع عن العاصمة ، فبعث المهلب بن يزيد الى باب سالم ، وفرق عساكره على بقية أبواب المدينة ، وبقي هو في دار الإمارة ينتظر الفرج ، وحوله جماعة من أهل بيته ، مثل خالد بن يزيد وأخيه عبد الله ، ومن المقربين من أصحابه ، مثل : جنيد بن خدش (١٤٣) .

سقوط القيروان بمعاونة الخراسانية ومقتل الفضل :

ولكنه ما أن أقبل ابن الجارود في عسكره نحو القيروان حتى اتضح عقم هذه الاجراءات فعندما اقترب رجاله من الأسوار قام من كان بداخل المدينة من الجند الخراساني الذين عرفوا باسم « الأبناء » بسد باب سالم من الداخل وطردوا المدافعين عنه الى الخارج . ثم انهم فتحوا الباب بعد ذلك لرجال عبيدوية ، كما فتحوا باب أبي الربيع ، وبذلك سقطت القيروان بين أيدي جند تونس دون عناء (١٤٤) ، وكانت نمره نائمة حان قتلها وهم أصحابها .

وتوقف ابن الجارود بعض الوقت خارج المدينة ثم انه دخلها ، واستولى

(١٤٢) تاريخ . ص ١٩٤ .

(١٤٣) تاريخ . ص ١٩٤ .

(١٤٤) تاريخ . ص ١٩٥ - ١٩٥ .

على دار الامارة ، وأخرج منها الفضل وأصحابه بالأمان ، وسيرهم نحو قايس
في حراسة قائده ابي الهيثم مع جماعة من رجاله (١٥٥) ، وذلك في جمادى
الآخرة سنة ١٧٨ / أكتوبر ٧٩٤ م (١٤٦) .

وكانت مسألة اخلاء سبيل الفضل ونزكه يسير نحو المشرق موضوع
جدل بين قواد ابن الجارود - فلقد أشار البعض على هذا الأخير « ألا يسمح
للمفضّل بدخول طرابلس مثلاً يقوم الناس معه ويرجع الى القيروان » ، (١٤٧) .
والظاهر أن كفة هؤلاء رجحت آخر الأمر ، فقد خرج عدد من قواد ابن الجارود
في اثر الفضل - وطن بعض أصحاب الفضل أن اشوار جاءوا ليردوه الى
امارته بعد أن تابوا الى رشدهم . وعاد قواد ابن الجارود فعلا بالفضل الى
القيروان بعد أن خلوا عن الميليين وعلى رأسهم المهلب (بن يزيد) الا اثنين
منهم فقط ، هما محمد بن هشام والفضل بن يزيد ، ولكن ليلقوا بهم في
الإعتقال في دار الفضل - وتناظر أصحاب ابن الجارود في أمر الفضل من
جديد ، ورأى البعض أنه لا أمن ولا سلام طالما عاش الفضل - وحاول محمد بن
يزيد الفارسي انقاذ رأس الفضل دون جدوى ، فقد قتل في شعبان من سنة
١٧٨ هـ / نوفمبر ٧٩٤ م بعد سنة وخمسة أشهر من الولاية (١٤٨) .

هكذا عندما كان الفضل يسمى ندى الرشيد لتحصول على امارة افريقية
وعزل ابن عمه نصر ، كان في الحقيقة يسعى الى حتفه بظلمه بل والى حتف
أسرته جميعا . والظاهر أن انقسام أفراد الأبرّة على أنفسهم كان من أسباب
ضياعها إذ يذكر النويري أن ابن الجارود طرد من افريقية - بعد مقتل الفضل -

(١٥٥) ابن عسّار ، ج ١ ص ٨٧ - ويورد ابن عسّار تفصيلا عنهم منها أن أمر
المشير كـ - قد انتهى بالقتل التام . فعندما خرج الفضل مع بني عمه من أحد
أبواب القيروان الجنبية قال له البواب : « اخرجوا يا كلاب النار لا رحمكم الله . فقال الفضل
عنه ذلك : لا اله الا الله . ثم يبقى أحد الا صار علينا ، حتى من اعتقناه » ، وقارن النويري ،
ص ٩٠٠ ب ، والترجمة ج ١ ص ٢٩١ - التي يذكر أن الفضل فر من دار الامارة ، أما الرقيق
فلاسنف يوجد بروايته خرم كبير في هذا الموضع (انظر ص ١٩٥) .

(١٥٦) ابن الأثير - أحداث سنة ١٧٧ ، ج ٦ ص ٥٥ ، وانظر الحلة السيرة ، ج ١
ص ٧٨ - ٧٩ .

(١٥٧) ابن عسّار ، ج ١ ص ٨٨ . وانظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ٩٤ - ٩٥ (حيث
تقول الرواية ان نصر بن حبيب المهلب ، الوالي السابق ، هو الذي أشار برّد الفضل الى القيروان
بأنه حاف أن يحاول العمل على استرداد ولايته فينتقم ابن الجارود منه هو) .

(١٥٨) ابن عسّار ، ج ١ ص ٨٨ - وقارن الحلة السيرة ، ج ١ ص ٧٩ .

نصر بن حبيب (الوالي السابق) . وكذلك أبناء يزيد بن حاتم وهم الميسر
وخالد وعبد الله (١٤٩) . مما يفهم منه أنهم وقفوا موقف المتفرج أثناء أزمة
الفضل . وبذلك انتهت . دولة المهالبة . بافرينية بعد أن عاشت مدة ثلاث
وعشرين سنة (١٥٠) .

وكان زوان الاسرة التي نورت الامور حوتى ربع قسرون تدبرا بعودة
الاضطراب الى افرينية طوال سبعة أشهر ، الى حين وصول هرثمة بن أعين
واليا من قبل انرسيد . وانويرى الذي ينقل عن الرقيق يمدنا بنعميات
الاحداث المتضابكة عن تلك الفترة بينما يوجزها ابن عذارى ايجازا . فقد
أثار مقتل الفضل أشياء في نفوس بعض قواد الاقائيم ، فقرروا مقومة ابن
الجارود . بدأ بذلك والى الاريس (Laribus) شمدون القائد . وانضم اليه
القائد فلاح بن عبد الرحمن الكلاعى ، وكذلك المغيرة (ابن بشر والى تونس
السابق ؟) . وغيرهما . وبعد فترة وجيزة خرج والى مينة ، أبو عبد الله مالك
ابن المنذر الكلبي ، على رأس قواته الكثيرة من جند حمص العربى ، لمعاونتهم .
وتم الاتفاق على أن تكون لابن المنذر القيادة ، ثم اتهم ساروا لملاقاة ابن الجارود
بعد أن دعوا كثيرا من الناس الى الانضمام الى جانبهم . ونجح مالك فى لقاء
أول مع عبدوية من هزيمته واجلائه عن القيروان الى مدينة تونس . ودخل مالك
القيروان واحتلها لمدة ٢٠ (عشرين) يوما . وتكن رجاله الذين كانوا يسعون
الى سلب أهل القرى لم يبنوا أن انفضوا من حوله ، مما سمح لابن الجارود
بالعودة من تونس نحو القيروان حيث التقى بمالك مرة ثانية ، وانتهى الأمر
بمقتل مالك وانهزام أصحابه الى الاريس . وحاول ابن الجارود أن يستولى
على الاريس فوجه اليها واليا من قبله ، هو حماد بن حماد ، ولكن صاحبها
شمدون نجح فى مفاجاته وهزيمته (١٥١) . وهنا رأى شمدون أن يستعين على
عبدوية بوالى الزاب العلاء بن سعيد فكتب اليه يطلب منه الحضور . وجاء
العلاء الى الاريس ، وسار منها نحو القيروان بصحبته المقبرة وأبى عميلة
وشمدون وفلاح ومن معهم من قواد أهل الشام (١٥٢) . وكان ابن الجارود قد

(١٤٩) النويرى ، ص ١٠٠ ب . الترجمة ، ج ١ ص ٣٩١ .

(١٥٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٨ .

(١٥١) أضر الرقيق ، ص ١٩٥ (حيث النص مخروم من أوله) ، ابن الأثير سنة ١٧٧ .

وقالون النويرى ، ص ١٠٠ ب . الترجمة ج ١ ص ٣٩١ . وانظر انحلة السير ، ج ١ ص ٨٤
(عن مقتل مالك) .

(١٥٢) أضر الرقيق ، ص ١٩٦ ، النويرى ، ص ١٠٠ ب . الترجمة ج ١ ص ٣٩١ . وابن

الأثير (سنة ١٧٧) .

خرج في ذلك الوقت من القيروان بعد أن استخلف عليها المبرج بن عبد الملك ،
وذلك لبقاء يحيى بن موسى الذي قدم من طرابلس من قبل هرثمة بن أعين في
الحرم من سنة ١٧٩ هـ / أبريل ٧٩٥ م (١٥٣) .

محاولات من قبل الخلافة لإقراء الأمور في إفريقية :

ولاية هرثمة بن أعين :

عندما علم الرشيد بشورة ابن الجارود واضطراب إفريقية أرسل واحدا
من كبار القراء ، ممن عرفوا بحسن بلائهم في خدمة الدولة ، وكبر السن
وعظم المقام بين جند خراسان ، وهو يقطين بن موسى ليقر الأمور هناك ،
وأوصاه بالرزانة في اقناع ابن الجارود بالخروج من إفريقية . وعندما سيره
الرشيد بعث معه المهلب بن رافع ثم اتبعه بالمنصور بن زياد بصحبة هرثمة
ابن أعين الذي جعل إليه ولاية المغرب (١٥٤) ، ومعه يحيى بن موسى ، كما
يقول ابن الأثير (١٥٥) . وتوقف هرثمة ببرقة انتظارا لما تسفر عنه مساعيه
السلمية ، إذ سار يقطين بن موسى إلى القيروان لمفاوضة ابن الجارود في الخروج
من البلاد . واعترف ابن الجارود بعهد أمير المؤمنين لهرثمة بولايته إفريقية
التي يعتبرها نفرا ، وأعلن خضوعه وطاعته للخليفة ، ولكنه أشار إلى أن
هرثمة بعيد في برقة وأن العلاء بن سعيد وإلى الزاب على رأس البربر يهدد
القيروان - فلو أنه ترك البلاد (الثغر) لاستولى عليها البربر ولانتهى الأمر
بتخلصهم من العلاء نفسه ، ولو حدث ذلك فلن يستطيع عامل أمير المؤمنين
دخولها أبدا . واقترح ابن الجارود أن يسير للعلاء فان هلك صارت
بلاد القيروان إلى يقطين ، وان كسب المعركة انتظر وصول هرثمة ليسلمه
البلاد ، ثم يسير بعد ذلك إلى أمير المؤمنين (١٥٦) .

(١٥٣) ابن عذاري . ج ١ ص ٨٨ . وقارن النويري ، ص ١٠١ ب (الذي يسمى حظه
بـ الجارود بالقيروان عبد الملك بن عباس) ، الرقيق ، ص ١٩٧ .
(١٥٤) النويري ، ص ١٠١ أ ، الترجمة ، ج ١ ص ٣٩٢ ، وقارن الرقيق ، ص ١٩٧ .
(١٥٥) فلاحظ هنا أن ابن الأثير (سنة ١٧٧ ، ج ٦ ص ٥٥ - ٥٦) لا يفرق بين شخصين
يحيى بن موسى ويقطين بن موسى فيجملهما شخصية واحدة هي شخصية يحيى بن موسى .
سما التفرقة واضحة في ابن عذاري وخاصة في النويري الذي يجعل مسير يقطين إلى إفريقية
سابقة لمسير يحيى الذي صاحب هرثمة ثم سبقه إلى طرابلس والقيروان كما سنرى ، وهذا ما
كده رواية الرقيق (١٩٧) التي تعتبر أصلا لرواية النويري ، رغم ما فيها من غرور .
(١٥٦) انظر الرقيق ، ١٩٧ - ١٩٨ . وقارن النويري ، ص ١٠١ أ ، الترجمة ، ج ١ .

ويأس يقطين من ابن الجارود ، ورأى الاتصال بمحمد بن يزيد الفارسي - ساعده الأيمن - واعراه بابن الجارود ووعده بمنصب قيادي كبير (قائد انف) . وهدية سنوية واقطاعا في أي مكان يختاره . وبدأ محمد بن الفارسي في اغراء أعوان ابن الجارود من الحراسانية . فدعاهم إلى طاعة الخليفة ، كما نجح في لم شملات خصومه ممن كانوا محبوسين في السجن أو مستترين في الخفاء . وكان ممن انضم إلى جانب ابن الفارسي . من زعماء الجند : شيبه بن حسان . والجنيدي بن سيار ، والنضر بن حفص ، وغيرهم . وتم الاتفاق على أن يجتمع خصوم ابن الجارود هؤلاء مع ابن الفارسي بباب أبي الربيع بالقيروان . وهناك خطب فيهم ابن الفارسي ، فحرضهم على طاعة الخليفة ، وحذرهم من مقبة المعصية والانسياق وراء أهواء عبدويه . وطلب ابن الجارود المشورة من كبار قواده ، فأفهمه كل من : أبي العنبر والعباس النطيفي أن ابن الفارسي ما كان يمكنه التفكير في الثورة عليه بغير تدبير من رسول الخليفة يقطين بن موسى ، ونصحاه بالمبادرة إلى تصفية حسابه معه قبل أن يعظم خطره إذا ما انضم برجاله إلى الأعلى بن سعيد . ووعى ابن الجارود هذا الدرس فسار إلى باب أبي الربيع لقتال الخارجين عليه . وعندما توجه الجمعان وطلب ابن الجارود من ابن الفارسي أن يتكلم معه على انفراد كأنه يريد أن يعاتبه ، وكان في الحقيقة يدبر له أمرًا . فبينما شغل ابن الجارود صديق الأمس بالكلام فيما كان بينهما من الود والإخلاص ، كان قد رصد أحد فرسانه الذي يعرف بـ « طالب » لكي يفاجئ ابن الفارسي من الخلف بطعنة خنجر أصابت منه مقتلا . وحدث ما كان يتوقعه عبدويه . إذ أصاب الفرع أتباع محمد بن الفارسي ، ففروا لا يثوون على شيء . بعد أن تركوا قائدهم شيبه بن حسان صريحا في أرض المعركة (١٥٧) . وتكن المهم بعد ذلك هو أن ابن الجارود لم يستفد من انتصاره شيئا إذ انتهى الأمر بتأكيد انفصال المنسقين عنه من أصحابه .

بينما كانت تدور تلك الأحداث في افرقية وهرنمة في برفة . كان

= ص ٣٩٢ (حيث يعدل النويري كلمة « قفر » التي أراد بها ابن الجارود مدينة القيروان - كما ظهر من الرقعة أكثر من مرة - إلى كلمة « قلعة » - القيروان . وقارن ابن الأثير سنة ١٧٧ : ج ٣ ص ٥٥ - ٥٦ .

(١٥٧) انظر الرفيع . ص ١٩٨ - ٢٠٠ . وقارن النويري . ص ١٠١ - ١٠٢ .

الرحمة . ج ١ ص ٣٩٢ - ٣٩٣ (حيث اسم قاتل ابن الفارسي « أبو طالب ») ، ابن الأثير . سنة ١٧٧ .

يحيى بن موسى نائب هرة في طرابلس قد أكد سلطانه هناك اذ يقول الرقيق الذي ينقل عنه النويري انه وصل الى طرابلس . وانه ام صلاة الاضحى وخطب خطبة العيد . وهناك قدم عليه كثير من رؤساء الجند من أعوان ابن الجارود ومن خصومه ، فقويت شوكته ، وكتب بذلك الى هرة (١٥٨) . وفي هذه الظروف غير المواتية رأى ابن الجارود أن يوجهه أنظاره نحو يحيى بن موسى ، وأن يدعو الى القدوم لتسلم القيروان خشية العلاء بن سعيد الذي كان يسير بعنقائه نحوها (١٥٩) . وخرج يحيى بن موسى من طرابلس في المحرم سنة ١٧٩ هـ / ابريل ٧٩٥ م نحو القيروان ، وما أن بلغ قايس حتى انضم اليه جند القيروان وعلى رأسهم النضر بن حفص وعمرو بن معاوية ، كما خرج ابن الجارود للقاءه في صفر / ابريل - مايو ، بعد أن استخلف على القيروان المفرج بن عبد الملك ، كما ذكرنا (١٦٠) .

وكان خروج ابن الجارود من القيروان يعني أن المدينة أصبحت ثرة ناضجة يمكن أن تقتطفها أول يد تمتد اليها . وفعلا دخل يحيى بن موسى والعلاء بن سعيد في سباق نحو القيروان انتهى بوصول العلاء أولا ، فقتل بها عددا من أصحاب ابن الجارود . وبعث يحيى الى العلاء يطلب منه أن يثبت طاعته للخلافة بأن يصرف أصحابه . وصرف العلاء عسكريه الى بلادهم ، وسار هو مع ٣٠٠ (ثلاثمائة) من أصحابه المخلصين نحو طرابلس . وكان ابن الجارود قد وصل لتوه الى طرابلس فخرج عنها نحو المشرق وبصحبه يقطين بن موسى ، فالتقوا بهرة بن أعين الذي كان مقبلا نحو افریقیة ، هي مدينة اجدايية ، فسيره الى برقة حيث صحبه منصور بن زياد ويقطين بن موسى الى الخليفة هارون الرشيد (١٦١) . أما عن العلاء فانه كان قد كتب الى المنصور بن زياد وهرة بن أعين يبلغهما انه هو الذي أخرج عبد الله بن

(١٥٨) . انظر الرقيق . ص ٢٠١ (حيث يذكر من القواد : أبو العنبر التميمي ، والجند ابن سير الأزدي ، وجعفر بن محمد الرمي ، وشهاب بن حاجب التميمي ، وعبد الصمد العبدي . ثم حاليه بن بشير الأزدي الذي أقبل عليهم يستمجل مسيرة يحيى الى القيروان) .
(١٥٩) . انظر الرقيق ، ص ٢٠١ . النويري ، ص ١٠١ ب والترجمة ، ج ١ ص ٣٩٢ . وقارن ابن عداري ، ج ١ ص ٨٨ الذي يكتفي هنا بالايجاز الشديد ، وابن الأثير ، سنة ١٧٧ .
(١٦٠) . انظر فيما سبق ص ٢٨٦ وخامس ١٥٣ . ويلاحظ أن نص الرقيق (ص ٢٠١) يجعل النضر وعمرو شخصا واحدا عندما يضع كلمة « بن » مكان حرف « و » .
(١٦١) . انظر الرقيق ، ص ٢٠٢ . النويري ، ص ١٠٢ ، الترجمة ج ١ ص ٣٩٢ - ٣٩٤ . وقارن ابن عداري ، ج ١ ص ٨٨ ، ابن الأثير ، سنة ١٧٧ .

الجارود من افريقية ، فكافاه هرثمة بهدية سنوية (١٦٢) ، كما أن الخليفة الرشيد عندما سمع بحسن بلائه بعث اليه بمائة ألف درهم وخلع عليه . ومات العلاء في مصر بعد ذلك بقليل (١٦٣) .

أعمال هرثمة :

وبخروج ابن الجارود والعلاء بن سعيد من افريقية عاد الهدوء الى البلاد بعد أن اضطربت طوال سبعة أشهر منذ مقتل الفضل في شعبان ١٧٨ هـ ، وذلك أن هرثمة قدم للمقيروان في غرة ربيع الآخر سنة ١٧٩ هـ / يونية ٧٩٥ م (١٦٤) . ويفهم من الكتاب أن ولاية هرثمة التي استمرت حوالي عامين ونصف عام كانت أيام أمن وسلام في افريقية ، إذ يذكر أنه عندما وصل الى اقيروان « أنس الناس وسكنهم وأحسن اليهم (١٦٥) » .

والحقيقة انه لا توجد الا اشارات عابرة لبعض الاضطرابات التي وقعت في المغرب على أيام هرثمة . ومن ذلك ما يقوله ابن عذارى (١٦٦) من أن هرثمة نزل تيهرت حيث هزم (ابن الجارود) وأطاعته البربر . وربما كان ذلك اشارة الى عمليات عسكرية قام بها هرثمة ضد اباضية تاهرت الذين هادنهم روح بن حاتم (١٦٧) ، اذ المعروف أن ابن الجارود لم يبد مقاومة لقوات الخلافة كما أن ثورته كانت تمثل اضطراب العسكر الخلفي ولا تمثل ثورة البربر . أما عن هؤلاء الأخيرين فهناك ذكر في ابن الأثير (١٦٨) - بمناسبة تولية

-
- (١٦٢) النويري ، ص ١٠٣ ، الترجمة ج ١ ص ٢٩٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٨ .
(١٦٣) أنظر الرقيق ، ص ٢٠٢ ، النويري ص ١٠٢ ، الترجمة ج ١ ص ٢٩٤ ، ابن الأثير ، سنة ١٧٧ ، ج ٦ ص ٥٦ .
(١٦٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٩ ، النويري ، ص ١٠٢ ، الترجمة ج ١ ص ٢٩٤ ، ابن الأثير سنة ١٧٧ ، ابن الخفيف ، أعمال الاعلام ، قسم ٣ ص ١١ ، وأنظر الرقيق ، ص ٢٠١ - حيث النص على أن أيام عبد الله بن الجارود كانت سبعة أشهر (والحلة السراء ، ج ١ ص ٨٤) . أما عن أعمال هرثمة فهي تأتي في ص ٢٠٢ للمنفرد في غير موضعها بعد الكلام عن ولاية محمد بن مقاتل وكان يمكن للمحقق أن يضعها في موضعها في ص ٢٠٢ . وأنظر ص ٢٠٤ حيث وصول هرثمة في سنة ١٧٧ هـ بدلا من ١٧٩ هـ .
(١٦٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٩ ، النويري ، ص ١٠٢ ، الترجمة ج ١ ص ٢٩٤ ، وقارن الرقيق ، ص ٢٠٤ (حيث النص « وأمن الناس » بدلا من أنس الناس) .
(١٦٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٩ .
(١٦٧) النويري ، المخطوط ، ص ١٩٩ .
(١٦٨) ابن الأثير ، سنة ١٧٧ ، ج ٦ ص ٥٦ .

هرثمة لإبراهيم بن الأغلب بعض نواحي الزاب - لثورة قام بها عياض بن وهب الهواري ومعه كليب بن جميع الكلبي ، ولكن هرثمة سير الى التواز يحيى ابن موسى في جيش كبير فهزيمهم وقتل كثيرا منهم .

والى جانب ذلك ينسب الكتاب الى هرثمة أعمالا عمرانية قام بها ، مثل بناؤه في سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م للقصر الكبير المعروف بالمنستير ، بمصرفة زكريا بن قادم (١٦٩) . وهو الرباط المشهور بالقرب من سوسة الذي سيصبح أشهر ربط سواحل المغرب على الإطلاق (١٧٠) ، كما ينسب اليه بناء سور مدينة طرابلس من جهة البحر (١٧١) . وهذا يعني أن هرثمة اهتم بتحسين سواحل افريقية ضد العدو البحري ، وذلك أن بيزنطة كانت تهدد تلك السواحل من جزائر البحر وخاصة من جهة صقلية .

ورغم ذلك الهدوء الداخلي فان ولاية هرثمة لم تطل الا الى رمضان من سنة ١٨١ هـ / أكتوبر سنة ٧٩٧ م عندما ترك البلاد ، بعد أن طلب من الرشيد أن يعفيه من الولاية ، لما رآه من اختلاف أهل افريقية وسوء طاعتهم ، كما يقول الكتاب (١٧٢) .

ولاية محمد بن مقاتل العكي ، واستمرار اضطراب العسكر الخلافي :

وحسب السياسة التي أصبحت تقليدية عهد الرشيد الى أحد كبار رجال الدولة بولاية افريقية ، وهو محمد بن مقاتل بن حكيم العكي أخوه في الرضاة . ووصل محمد بن مقاتل الى افريقية في أول رمضان من سنة ١٨٤ هـ / ١٣ أكتوبر ٧٩٧ م (١٧٣) ، بمعنى أن هرثمة بقي في افريقية الى

(١٦٩) أنظر الرقيق ، ص ٢٠٥ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٨٩ . النويري ، ص ١٠٢ أ ، الترجمة ج ١ ص ٣٩٤ ، الكرى ، ص ٣٦ . ابن الأثير سنة ١٧٧ . ابن أبي دینار ، المؤنس ، ص ٤٧ (على يد زكريا بن قادم) .
- (١٧٠) عن صلة ربط المنستير أنظر اليكزي ، ص ٣٥ - ٣٦ . وقارن الامتصاص ، ص ١٢٠ وهامش ١ . رحلة التجاني ، ص ٣٠ - ٣٣ .
- (١٧١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٨٩ - النويري ، ص ١٠٢ أ . الترجمة ، ج ١ ص ٣٩٤ . ابن الأثير ، سنة ١٧٧ ، وقارن الرقيق ، ص ٢٠٤ ، ابن الخطيب ، الاعلام ، قسم ٣ ، ص ١١ .
(١٧٢) أنظر الرقيق ، ص ٢٠٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٨٩ ، النويري ، ص ١٠٢ أ ، الترجمة ، ج ١ ص ٣٩٤ .
(١٧٣) أنظر ابن الأثير ، سنة ١٨١ هـ (حيث التاريخ أول رمضان / ١٣ أكتوبر) .

حين وصوله . ولم تطل ولاية ابن مقاتل الا الى أقل من ثلاث سنوات . إذ انتهى الأمر باضطراب الجند الخلفي وكادت تتكرر مأساة الفضل بن روح من جديد . لولا تدخل القائد ابراهيم بن الأغلب الذي آلت اليه الإمارة في جمادى الآخرة من سنة ١٨٤ هـ .

ويمزى الكتاب أسباب الاضطراب الى سوء سيرة محمد بن مقاتل في الجند ، وتعنى عادة اقتطاع مخصصاتهم أو التباطؤ في صرف أرزاقهم ، وكذلك في الرعية . وبلغ من سوء تقديره أنه تطاول على « عابد زمانه وورع عصره » البهلول بن راشد فضربه ظلماً وحبسهُ ، فكان ذلك سبب موته (١٧٤) . وهكذا بدأ اختلال أمر الجند باعتزال القائد فلاح مع جند خراسان وجند الشبام الذين اتفقوا على تقديم مخلد بن مرة الأزدي ، ولكن ابن مقاتل استطاع أن يقضى على ذلك العصيان ، فهرب مخلد ولجأ الى أحد المساجد حيث أخسبه وقتل (١٧٥) . أما أخطر الثورات فهي التي قام بها واحد من الجند المعروفين بـ « الأبناء » أي أبناء أهل البلاد تمييزاً لهم عن الواقدين ، وهو تمام بن تميم التميمي (١٧٦) ، في مدينة تونس ، والتي تذكر بثورة ابن الجارود في نفس المدينة ، وهي التي انتهت ولاية ابن مقاتل ، ومهدت لقيام حكم الأغالبة في افريقية .

ثورة تمام بن تميم وطرد ابن مقاتل من القيروان :

بدأت الثورة في منتصف رمضان سنة ١٨٣ هـ / ٢٠ أكتوبر ٧٩٩ م

= وقارن الرقيق ، ص ٢٠٣ (الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٨٩) حيث التاريخ هو شهر رمضان (أكتوبر - نوفمبر) دون تحديد اليوم .

(١٧٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٩ ، وقارن الرقيق ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٤ . ابن الخطيب ، الاعلام ، قسم ٣ ، ص ١٢ . وعن البهلول بن راشد (ولد سنة ١٢٨ هـ وتوفي ١٨٣ هـ) أنظر المالكي ج ١ ص ١٤١-١٤٢ ، والديباغ ، معالم الايمان ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(١٧٥) أنظر النويري ، (١٠٢ ب) الذي يذكر القائد فلاح في شكل « العابد فلاح » . صفا يلفت النظر الى محنة البهلول بن راشد ، وقارن الترجمة (ابن خلطون ج ١ ص ٢٦٥) . أما عن مقتل مخلد فأنظر ابن الأثير ، سنة ١٨١ ، وقارن الرقيق ، ص ٢٠٥ (حيث لا يذكر نهاية الأزدي ويسميه مرة بن مخلد) .

(١٧٦) أنظر تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٥١٠ . وتمام هنا هو جد أبي العرب ابن تميم صاحب التوالميف ومن أشهرها طبقات افريقية ، أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٠ ، ابن الأثير ، سنة ١٨١ ، الرقيق ، ص ٢٠٥ . وأنظر فيما بعد عن مفهوم « الأبناء » (ج ٢ - ثورة خريش الكندي على ابراهيم بن الأغلب في تونس ثم عن ثورة الجند في طرابلس بعدها) .

عندما سار تمام مع جند تونس من الخراسانية والشاميين الى القيروان . وخرج محمد بن مقاتل لحرب انقائد اغاثر ، وتم اللقاء في الموضع المعروف بمنيه الحيل باقرب من القيروان . وانتهى القتال الشديد بانهزام ابن مقاتل الذي عاد في ٢٥ من رمضان سنة ١٨٣ هـ / ٢٠ أكتوبر ٧٩٩ م الى القيروان حيث تحصن في داره وترك دار الامارة (١٧٧) . وأتى تمام وعسكر أمام القيروان . خلف الوادي ، بإزاء باب أبي الربيع حيث مصلى روح بن حاتم . وفي صبيحة اليوم التالي فتحت له الأبواب دون قتال ، ودخل القيروان حيث أعطى العكس الأمان في دمه وأهله وماله على أن يغادر البلاد (١٧٨) . وبذلك أخرج تمام والى الخلافة محمد بن مقاتل من القيروان بعد سنتين من ولايته (١٧٩) ، وتغلب على البلاد دون عهد من الرشيد . وسار ابن مقاتل مشرقا نحو طرابلس والظاهر أن خروجه من القيروان كان موضع جدل بين فريق من الجنود الخراساني ، من معاونيه ، إذ لم يثبت أن حاول اللحاق به في طرابلس . كل من : عباس بن طرخون صاحب شرطته ، وأبو العنبر كاتبه من أجل تدارس الأمر معه . ولما كان ابن مقاتل قد رحل الى سرت ، خارج حيز افريقية ، حيث أقام ، فانهما قررا مكاتبته يطلبان منه العودة الى طرابلس ، فرجع اليها (١٨٠) . وبعد أن أقام بطرابلس بعض الوقت سار الى مدينة سرت (١٨١) .

تدخل ابراهيم بن الأغلب لمصلحة الوالي الشرعي :

ولم يقدر لتتمام أن يتمتع طويلا بتغلبه على القيروان ، إذ لم يثبت ابن

-
- (١٧٧) ابن عذارى . ج ١ ص ٩٠ . النويري . ص ١٠٢ ب . الترجمة ج ١ ص ٢٩٥ . الرقيق . ص ٢٠٥ .
- (١٧٨) ابن عذارى . ج ١ ص ٩٠ . النويري . ص ١٠٢ ب . والترجمة ج ١ ص ٢٩٥ . ابن الأثير . سنة ١٨١ ، وقارن الرقيق . ص ٢٠٥ - ٢٠٦ (الحنة السيرة ج ١ ص ٨٩) .
- (١٧٩) انظر ابن عذارى (ج ١ ص ٩٠) الذي يقول هنا : « فكانت ولايته الى أن أخرج تمام من القيروان سنتين وعشرة أشهر » . والحقيقة ان خروج ابن مقاتل هذا كان بعد سنتين فقط (من رمضان سنة ١٨١ هـ الى رمضان سنة ١٨٣ هـ) . أما ما يفصده ابن عذارى هنا فهو مغادرة ابن مقاتل لافريقية نهائيا بعد ذلك بعشرة أشهر كما سنرى .
- (١٨٠) انظر الرقيق . ص ٢٠٦ . ابن عذارى . ج ١ ص ٩٠ (حيث اسم صاحب الشرطة ابن طرخون التي عملناها الى طرخون . على أساس انه اللقب الشرفي المعروف بمعنى الأمير أو الملك مثل « طرخون ») . وقارن النويري ص ١٠٢ ب . والترجمة ج ١ ص ٢٩٥ (حيث يفهم من النص أن مقاتلا سار الى سرت بعد أن لحق به كاتبه وصاحب شرطته) .
- (١٨١) النويري . ص ١٠٢ ب . الترجمة ج ١ ص ٢٩٥ .

مقاتل أن يعود إلى القيروان بفضل تدخل والي الزاب إبراهيم بن الأغلب ، كان إبراهيم بن الأغلب في مرتبة بين القواد أعلى من مرتبة قريبه وابن عمه تمام بن تميم فسأه أن يتغلب هذا الأخير على البلاد ، وهو يقف منه موقف المتفرج رغم ما كان بينه وبين العكي من سوء تفاهم (١٨٢) . وخرج ابن الأغلب بعمرسان هل بيته وقرابته ، كما سار معه كبار القواد من خاصته ، مثل : عمرو بن معاوية ، وعمران بن مجالد ، وحمام بن أبي حماد ، وعلى طول الطريق من الزاب إلى القيروان كانت قوات إبراهيم تزداد عدداً بمن ينضم إليها من جنود أهل خراسان ومن عامة الناس . وما أن شعر تمام باقتراب مقدمة ابن الأغلب التي كان يقودها عمران بن مجالد ، حتى أخطى القيروان وعاد إلى بلدته تونس . ودخل ابن الأغلب العاصمة وعلى مقدمته عمران بن مجالد ، وسار إلى المسجد الجامع مباشرة ، وأعلن من أعلى المنبر أنه أتى لنصرة محمد ابن مقاتل وإلى أمير المؤمنين الشرعي ، ثم انه كتب إلى ابن مقاتل يخبره بما فعله ويطلب منه العودة إلى مركز ولايته (١٨٣) .

عودة ابن مقاتل في جو من السخط العام ، وهزيمة تمام على يدي ابن الأغلب:

وعاد ابن مقاتل فعلاً إلى القيروان ، ولكنه يفهم من الروايات أن عودته لم تقابل بارتياح ، لا في القيروان ولا في تونس . ففي القيروان ، نادته امرأة من طاقتها وقالت له : اشكر إبراهيم بن الأغلب فهو الذي زد عليك ملك إفريقية ، (١٨٤) . وفي تونس قال الناس : « استرحنا من العكي ، فرده إبراهيم علينا ! فالحوت خير لنا من الحياة في سلطان العكي » (١٨٥) . وهكذا

(١٨٢) هذا ما نصير عنه رواية الرقيق . عندما تسجل على لسان إبراهيم بن الأغلب أنه قال لأهله عندما طلب العكي معونته : « لقد كنا بهذا الرجل في واد وهو لنا في آخر ، أنا بالأمس أطلب العرض لأستعج به في قتاله ، وقد جاءني اليوم كتابه ، يسألني أن أقدم عليه حتى أمد له الأمان وأصلح أمر الناس . بعد استمعوا على الرضا بما حكمت بسبه وبين ابن العكي » (انظر الرقيق ص ٢١٦ - ٢١٧) .

(١٨٣) ابن عذارى . ج ١ ص ٩٠ . المويري . ص ١٠٣ . المرجعة ، ج ١ ص ٢٩٥ . ابن الأثير . سنة ١٨١ ج ٦ ص ٦٣ ، الرقيق ، ص ٢٠٦ . وانظر بعدها ص ٢١٦ - ٢١٩ . حيث يوجد معلومات تفصيلية عن محاولة إبراهيم الترويض بقرض من تجار الزاب ، ولكنهم دمروا أن يهزم من قلة رحلته . وكذلك كان الأمر بالنسبة لأهل بيته . وكيف زوده هؤلاء بأقال ويسمعي فارساً كانوا أصل قوته وعونه . والرواية متقنية على وجه العموم) .

(١٨٤) ابن عذارى . ج ١ ص ٩٠ . وقارن الرقيق ، ص ٢٠٧ .
(١٨٥) ابن عذارى . ج ١ ص ٩٠ . وانظر الرقيق ، ص ٢٠٧ (حيث مزيد من التفصيلات تم دار بين تمام والمغرب من قواده . مثل : عيسى بن الجلودي وعباس الصليفي . من الكلام ، وم فعيه من مكاتبة الناس ونجاحهم في ملء قلوب الناس حقداً على العكي ، وكراهية لحكمه) .

الاسم كثير من الناس الى تمام ، ودفعه ذلك الى التفكير في قتال ابن مقاتل وخرجه من جديد . ورأى تمام أن يجرب أولا الوقية بين ابن مقاتل وبين ابن الأغلبي ، ودفعه الى ذلك أنه كان يعتقد أن العكي حسود ، وأنه « لا يد أن يخالف ابراهيم بن الأغلبي » (١٨٦) فكتب تمام الى ابن مقاتل يقول ان ابراهيم لم يعمد الى ولايته ردا للجميل ، ولا طاعة للخلافة ، بل ليسله للقتل على يديه . وختم كتابه بانذاره بشن الحرب عليه كما فعل بالأمس ، وببيتين من الشعر يعبران عن مضمون خطابه (١٨٧) .

وعرض محمد بن مقاتل خطاب التيمى على ابن الأغلبي الذي أظهر سجيته من محتواه تم ان ابن مقاتل كتب الى تمام يسفه رأيه ، ويبين له خيانتة وخديعتة ويهدده بسوء المصير عندما يلقي ابراهيم بن الأغلبي . وختم ابن مقاتل - بدوره - رسالته ببيتين من الشعر كاتا بمثابة اعلان الحرب على تمام (١٨٨) . وبمجرد وصول هذا التحدى الى تونس سار تمام من المدينة على رأس جيش كثيف نحو القيروان ، وخرج ابراهيم بن الأغلبي للقائه وبصحبة عمران بن مجالد ، وعمرو بن معاوية ، يتبعهم ابن مقاتل فيمن كان لديه من الرجال . وتم اللقاء فيما بين منية الخيل وطساس في حيز القيروان ، وانتهت المعركة الحامية بمقتل عسدد كبير من أصحاب التيمى الذي انهزم الى تونس (١٨٩) . وأمر العكي أن يسير ابن الأغلبي الى تونس للقضاء على الشاثر نهائيا بينما عاد هو الى القيروان .

(١٨٦) نفس المصدر .

(١٨٧) نص البيتين هو :

يرد عليك الملك لا كمن لتقتلا

وما كان ابراهيم من فضيل طاعة

لما كنت منه يا ابن عمك لتقبلا

انظر ابن عذارى . ج ١ ص ٩٠ . وقارن الرقيق . ص ١٠٨ ، النويرى . ص ١٠٣ .

الشرح . ج ١ ص ٣٦٦ (حيث النظرة الثانية من البيت الاول « يرد عليك الضر الا لتقتلا » ،

رحلة السيرة . ج ١ ص ٨٩ .

(١٨٨) وانى لأرجو أن لقيت ابن أغلبي

طافى متى يستصحب الموت فى الرقى

عدا فى المناسيا أن تنسل وتقتلا

ويحى بصدر الرجح عمرا مؤتلا

انظر ابن عذارى . ج ١ ص ٩١ ، وقارن الرقيق . ص ٢٠٨ - ٢٠٩ (رحلة السيرة .

ج ١ ص ٩٠) . النويرى . ص ١٠٣ ب ، الترجمة . ج ١ ص ٣٦٦ (حيث النظرة الثانية

من البيت الاول : « غداة لكنايا أن قتل وتقتلا ») .

(١٨٩) الرقيق . ص ٢٠٩ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ : حيث توجد معلومات تفصيلية عن خطة

المعركة التي رسمها ابراهيم بن الأغلبي ، إذ حمل أحد رجاله ، وهو حمزة الحرون ، بقل

مكة فى القعدة لا يتحرك ، بينما أخذ هو يعطى تعليماته لقواد الجيئة والميمرة والقلب . =

وقعت تلك الأحداث قبيل نهاية العام (٢٨٣ هـ / نهاية ٧٩٩ م ونؤمل
٨٠٠ م) وذلك أنه عندما أقبل شهر المحرم من سنة ١٨٤ هـ / فبراير
٨٠٠ م ، كان إبراهيم بن الأغلّب يسير نحو تونس . وما أن عرف تمام
بإقباله عليه حتى كتب إليه يطلب الأمان (١٩٠) . وبذلك انتهت ثورة الجند
في تونس ، وعاد ابن الأغلّب الى القيروان في يوم الجمعة ٨ من المحرم /
فبراير ، وبصحبته التميمي الذي سير به وبعدد من قواد الجند الذين اتفقتوا
من الثورة صناعة لهم الى بغداد حيث ألقى بهم في السجن الأرضي المعروف
بالمطبق (١٩١) .

إبراهيم بن الأغلّب رجل الخلافة في المغرب :

وكان من الطبيعي أن يقدر الرشيد لإبراهيم بن الأغلّب حسن بلائه في
أقراز الأمور ، والعمل بإخلاص على حفظ هيبة الخلافة في إفريقية . ولم يكن

= وكانت الخطة تقضي بخضاع قوات تمام إذ أمر بالبده بهجوم محل على اليمينه ثم على اليسرة على
أن توجه الضربة القاضية بعد ذلك الى القلب ، يتبعها هجوم شامل على الجناحين (الحلة
السيراء ، ج ١ ص ٩٧ . وأنظر النويري ، ص ١٠٣ ب ، الترجمة ، ج ١ ص ٢٩٧ ، ابن عذاري
ج ١ ص ٩١) .

(١٩٠) الرقيق ، ص ٢١٠ ، نفس المصدر .

(١٩١) النويري ، ص ١٠٣ ب ، الترجمة ، ج ١ ص ٢٩٧ (ص ٠٠ بحث تمام بن علفة
وعيره من رجوه الجند الذين شأنهم الرثوب على الأمرء الى بغداد فحبسوا في المطبق) ، وقلاد
الرقيق ، ص ٢١٠ - ٢١١ : حيث « الطيق » بدلا من المطبق . وحيث مزيد من التصيلات عن
مسير اخي تمام الى بغداد حيث احتال لرؤية أخيه في المطبق ، ثم نجح في مقابلة الرشيد وهرقه
بأنهم من نسل قائد للمنصور . وتقول الرواية ان الرشيد أكرمه ووعدته بإطلاق سراح أخيه
تمام . ولكن إبراهيم بن الأغلّب دبر مقتل هذا الأخير بالسهم ، وهو في سجنه ببغداد . فكان
خطب الخليفة من نصيب قائد تمام ، وهما : عيسى بن الجلودي وعباس الصليفي . فقتله
ولى الأول الحرمين . والآخر ولاية أخرى . أما أخو تمام وهو سلطنة بن تميم فقد سار بسجل
من الرشيد الى إبراهيم بن الأغلّب الذي أحسن الى التميميين ورفع عنهم خراج ما كان لهم
من الضياع ، واستعان بهم في الأعمال (الحلة السيراء ، ج ١ ص ٩٣) . هذا ، ولو أن
الامر بختلط في ذواية الرقيق فيما بعد ، بعدد ولاية إبراهيم بن الأغلّب (أنظر ص ٢٢١ -
٢٢٢) إذ تشير الى أن ابن الأغلّب عهد بولاية طرابلس الى تمام ، سياسة ، قبل أن يظفر به
على بنى جعفر بن سعيد ، وجوين بن السماك ، ويبحث به مشدود الوثاق بسجدة من كان
ينوب على الولاية من الجند ، مثل : عباس الصليفي ، وأبي الليل ، وعيسى الحلبي وغيرهم .
وأنظر الحلة السيراء ، ج ١ ص ١٠٨ : حيث يشير الى مشاركة حزة السبال المعروف
بالحرون في حرب تمام وما قبل في ذلك من الشر .

من القريب اذن أن يعهد اليه بانولاية بدلا من ابن مقاتل ، وذلك حوالى منتصف شهر جمادى الآخرة من سنة ١٨٤ هـ / يولية ٨٠٠ م .

وكانت ولاية ابراهيم بن الأغلب بداية عهد جديد بالنسبة لافريقية اذ توارث أبناء ابراهيم حكم البلاد وأسسوا أسرة ملكية جديدة في المغرب تدين بالولاء للخلافة شكلا ، وتمتع بالاستقلال عن بغداد فعلا . فذلك ما يقم به التويرى لكلامه عن الأغالبة فيقول : « فلما قامت هذه الدولة كانت كالمستقلة بالأمر ، وانما كانت ملوكها تراعى أوامر الدعوة العباسية ، وتعرف لها حق الفضل والأمر ، وتظهر طاعة مشوبة بمعصية ، ولو أرادوا عزل واحد منهم والاستبدال به من غير البيت خالفوهم » .

وعلى ذلك كان الأمير الأغلبى يعهد بالامارة من بعده لابنه أو لأخيه تبعا لرغبته ، ودون اعتبار لما للشخص الموصى اليه من « الأهلية » ، كل ذلك وقواد الجيش لا يعارضون (١٩٢) .

بفارس

اسماء الأشخاص والقبائل والجماعات

ابن ابي ذريح ٤٤ - ٤٥ - ١٠٧
ابن ابي الفياض (احمد) ٥٧
ابن ابي المنهال ٣٦٧
ابن الابرار ٤٣ - ٥٥ - ٣٧٩
ابن الالوج ٣٦ - ٣٥ - ٣٧ - ٣٧
٤٨ - ٥٣ - ٨١ - ١٤٧ - ١٥٠
١٥١ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥
١٦٧ - ١٦٩ - ١٧٤ - ١٧٧ - ١٨٢
١٨٣ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٥ - ٢٠٣
٢٠٤ - ٢١٥ - ٢١٨ - ٢٢٢ - ٢٢٦
٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٨٤
٢٩٠ - ٢٩٣ - ٣٦٢ - ٣٧٩ - ٣٨٦
٣٨٩
ابن اسحق ١٧ - ١١
ابن انعم ٢٤
ابن بشكوال ٥٣
ابن تغرى بردى ٢٢
ابن العارود (عبد الله بن عبد ربه) ٣٧٩
٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤
٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩
٣٩١
ابن الجزائر ٢٥
ابنة جرير ١٥٤ - ١٥٧

(ا)

ابن ابي ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١
٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٩ - ٥٦ - ٩٥
١١٤ - ١٨٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠
٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٥٢
٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٨ - ٣٦١ - ٣٧١
٣٧٢
ابن ابي تاهرت ٤٨ - ٩٥ - ٣٨٩
ابن ابي طرابلس ٣٢٢ - ٣٤١ - ٣٥٥
ابن ابي القرب ٣٩
ابن ابي الوهبة ١٥
ابن ابي ٨١
ابن ابراهيم (سيدنا) ٨١ - ٨٢
ابن ابراهيم بن الاغلب ٣٧٤ - ٣٩٠ - ٣٩١
٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦
ابن ابراهيم بن النصراني ٣١١
ابن ابراهيم بن الوليد ٣١٠
ابن ابراهيم كافي ٤٠
ابن ابي حسان ٢٧
ابن ابي دينار ٥٧

١٦٧ - ١٦٨ - ١٧٠ - ١٧٨ - ١٨٠ -
 ١٨٢ - ١٨٦ - ١٩٠ - ١٩٣ - ١٩٤ -
 ١٩٥ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢١١ -
 ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ -
 ٢١٨ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٩ -
 ٢٢٩ - ٢٣٦ - ٢٣٩ - ٢٤٦ - ٢٤٨ -
 ٢٤٩ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٧٠ - ٢٧١ -
 ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٩٠ -
 ٢٩٣ - ٣٠١ - ٣٠٥ - ٣١٥ - ٣١٨ -
 ٣٢١ - ٣٢٣

ابن الطيل ٣٧٠

ابن عطاري ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ -
 ٣٢ - ٣٦ - ٣٩ - ٥٣ - ١٢٢ - ١٣٥ -
 ١٤٢ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٧٨ - ١٨٢ -
 ١٨٦ - ١٨٩ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ -
 ٢٠٠ - ٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢٠٧ - ٢٠٨ -
 ٢١٨ - ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٤٠ - ٢٤٢ -
 ٢٥٦ - ٢٧٠ - ٢٧٥ - ٢٧٨ - ٢٨٢ -
 ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩٣ - ٢٩٥ - ٢٩٦ -
 ٣٠٣ - ٣٤٤ - ٣٤٧ - ٣٤٩ - ٣٦٥ -
 ٣٨٥ - ٣٨٩

ابن عطف الأزدى ٣١٧ - ٣١٨

ابن غالبون ٥٦

ابن عاتم ٣٦٩

ابن الفرضى ٥٣

ابن فروخ ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠

ابن الفقيه اد

ابن الفيض ٢٨

ابن القاسم ٥٦

ابن قتيبة ٧٩ - ٨١ - ٢٤٠ - ٢٤٢ - ٢٤٧

ابن القطان (أبو الحسن عسلي بن محمد

ابن عبد الملك الكناسي) ٢٨

ابن حزم القرطبي ٥٥ - ٨٠ - ٨٧ - ٩٦ -
 ١١٦

ابن حماد ٥٠

ابن حمادة ٤٦ - ٥٠

ابن حوقل ٥١ - ٥٣

ابن حيان الضرري ٢٠٩

ابن خرداذبة ٥١

ابن خلنود ٢٥ - ٢٦ - ٣١ - ٣٢ - ٣٤ -

٣٥ - ٤٤ - ٤٨ - ٥٠ - ٥١ - ٥٣ -

٥٤ - ٧٢ - ٧٥ - ٧٩ - ٨١ - ٨٢ -

٨٣ - ٨٥ - ٨٧ - ٨٨ - ٩١ - ٩٣ -

٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ -

١٠٢ - ١٠٤ - ١٠٧ - ١١٣ - ١٢٩ -

١٦٦ - ٢٢٥ - ٢٨٥ - ٢٨٦

ابن خلكان ٥٤

ابن رسته ٥١

ابن رشيق ٢٨ - ٣٢ - ٥٤

ابن سبط ٢٢ - ١٦٣

ابن سعيد ٥٣ - ٥٤ - ٧١ - ٧٢ - ١٠١ -

١١٥

ابن سلام ٢٧

ابن شرف ٥٤

ابن الصغير ٢٧ - ٢٨ - ٤٢ - ٤٣

ابن عبد البر ٨٠ - ٨٢

ابن عبد الحكم ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤ -

٢٥ - ٣٣ - ٣٧ - ١٣١ - ١٣٣ - ١٣٤ -

١٣٥ - ١٣٧ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ -

١٤٣ - ١٤٥ - ١٥٠ - ١٥٢ - ١٥٤ -

١٥٥ - ١٦٠ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٦ -

أبو ذؤيب خويلد بن خالد الشاعر ١٥٨ - ١٥٦	ابن القوطية ٢٢
أبو زدهون (أبو الهوارى) ٢٦٢	ابن الكمامة ٢٠٦
أبو زكريا (يعنى بن أبى بكر الأبانى) ٣٨ - ٢٦ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٩	ابن الكلبي ٢٢ - ٧٩ - ٨١ - ٨٧
أبو جثلي بن عاصم بن حمير ٢٦٥	ابن كعبه ٢٠ - ٢٢ - ٢٤ - ١٣١
أبو سهل فرات بن محمد البدي ٢٤	ابن مقاتل (محمد بن مقاتل الصكفي) ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٦
أبو سعيد عبد الرحمن المعروف بالوكيل ٢٤	ابن التميم ٢١ - ٤٩
أبو صالح (مولى العسائر بن النعمان) ٢٤٠	أبو الأحوص عمر بن الأحوص الجعفي ٢٤٢
أبو العباس السفاح ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧	أبو الأعرور ٢٧٢
أبو عبد الرحمن الجعفي ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٦٥	أبو بكر ١٦٤
أبو عبد الله مالك بن النضر الكلبي ١٨٥	أبو الجهول بن عبيدة ٢٤٢
أبو عبيدة (بن عتبة بن نافع) ٢٤٣	أبو تميم الجيثاني ١٤١
أبو العرب تميم ٢٣ - ٢٤ - ٥٥ - ٢٠٩	أبو تمام بكر بن سوانة الجثامي ٢٦٥
أبو العرباض ٢٤٢	أبو التميم عبد الرحمن بن نافع ٢٦٥
أبو علي صالح بن الشيخ أبى صالح بن عبد الحكيم ٢٩	أبو جطر للتصور ٢٢٠ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٢
أبو عميلة ٢٨١	أبو حاتم (أو أبو قادم) يعقوب بن حبيب بن مدين بن يظوفت ٢٥٢
أبو عون عبد الملك ٢٢٦	أبو حسام يوسف الرستمي ٢٥٣ - ٢٥٥ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢
أبو الضير ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٨٠ - ٢٨٧ - ٢٩٢	أبو حصص ٢٥٥
أبو عيينة الأشعري بن محمد بن أبى عيينة ابن الهلب ٢٧٨ - ٢٨١	أبو حنيفة ٢٦٨ - ٢٦٩
أبو الفدا ٥١	أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المسالري (الأبانى) ٢٢٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩
أبو فطرس (مذبحة) ٢٢٨	أبو الخطاب الحسام بن ضراد الكلبي ٢٧٥ - ٢٠١ - ٢١٢ - ٢١٥
أبو قادم انظر أبو حاتم	
أبو القاسم قاسم بن عيسى بن ناجي التبوخي التبواني ٥٥	
أبو قررة الفيلبي ٢٠٥ - ٢٤٨ - ٢٥١ - ٢٥٤ - ٢٥٥	

- أبو كريب جميل بن كريب الطائري ٣٣٧ - الأريوسيون ١٢٠ - ١٢٣
٣٣٨ الأريوسية ١٢٠
أبو محمد العسني ٢٥ الزارقة ٢٩٧ - ٣١٨ - ٣٥١
أبو محمد عبد الله بن دروخ الفارس ٣٦٨ تزواجه وزواجه ٨٦
أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي ٢٤ الأزد ١٤٩
أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق ٤٥ الأسيان ١٩٧
أبو المغيرة ٣٨١ اسحق بن مكرم الأشعري ٣٦٧
أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي ٣٦٥ اسحق بن يزيد بن حاتم ٣٦٦ - ٣٧٣
أبو مسلم (الفراساني) ٣٤٢ الاسرائيليون ٨٣
أبو المهاجر دينار ٢٣ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ أسلم (قبيلة) ١٤٩
١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ٢٠٣ - ٢٠٥ اسماعيل بن أبي المهاجر ٣٣٠
٢٠٧ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣٥ - ٢٥٢ اسماعيل بن زياد بن عبد العزيز بن مروان
٢٦٣ ٢٢٨ - ٢٢٧
أبو هريرة الزناتي ٣٤٥ اسماعيل بن زياد النفوس ٣٣٢
أبو الهيثم ٣٨٤ اسماعيل بن عبيد الأنصاري (المعروف بتاجر
أبو يحيى بن قوناس الهوادي (أنظر أبو يحيى الله) ٣٦٥
قرباس ٣٦٣
أبو يزيد (صاحب الحمير) ٥٠
الأعباش (الأثيوبيون) ١-٨
أحمد بن إبراهيم التيسابوري ٣٩ - ٤٨
أحمد بن عبد الدايم الأنصاري ٥٦
الإدارة ٣٦ - ٤٤ - ٤٦ - ٩٧
واقتر دولة الإدارة
أداسة ٨٦ - ٨٧
أدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب (العسني والعلوي
والفاطمي) ٩٧ - ٣٧٣
الأدرسي ٢٣ - ٥٤ - ٧١ - ٧٩ - ١٠٧
١١٥

أهل الأندلس ٣١٢	الأعاجم ١٤٤
الأصهار ٢٩١	اعطاء ابن رافع الهذلي ٢٤٦
أهل الزوب ٣٠٤	الإغالية ٣٥ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٤ - ٤٦ - ٤٨
أهل الذقة ٣٠٩	٥٨ - ٣٩١ - ٣٩٦
أهل السنة ١٥ - ٢٧ - ٤٨ - ٥٩ - ٥٤	اغسطين (القديس) ٨٢ - ١١٩
٥٦ - ٣١٨ - ٣٤١ - ٣٦٩	الأغلب بن سالم التميمي ٣٤٤ - ٣٤٧ - ٣٤٨
أهل الشام ٢٩٤ - ٢٩٩ - ٢٩٧ - ٢٩٩	٣٥١ - ٣٥٠ - ٣٤٩
٣٠٠ - ٣١٢ - ٣١٤ - ٣١٦ - ٣٨٣	الأفارقة ١٠٦ - ١٦١ - ١٩١ - ٢٢٢
أهل القيروان ٣٠٧ - ٣١٦ - ٣٢٨ - ٣٢٩	الأفارق ١٠٦
٣٥٠ - ٣٥٢ - ٣٧٨	الافار ١٢٤
أهل الإصهار ٣٦٨	الافرنج ٢٠
أهل العراق ٣٠٠ - ٣٦٩	الافريش ٨٢
أهل النهروان ٢٩٧	الافج بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم
أورييون ٣٤ - ١٠٥ - ٢٢٦	٣٩
أوزبة (قبيلة) ٢٦ - ٨٦ - ٩٤ - ٩٧ - ٩٨	أكرم المصري ٣٢
١٩١ - ٢٠٣ - ٢٠٦ - ٢٢١ - ٢٤٢	الإكدر بن حمام اللخمي ١٧٠
أوزيفة ٨٦	آل ساسان ٢٥١
أوليفة ١٦٩	آل موسى بن نصير ٢٧٠
أيوب بن أبي يزيد (صاحب الحمار) ٢٤ -	الوفيرة (بحر اوليفة) ١٦٩
٨٠ - ٨١ - ٩٦ - ١٢٦	
(ب)	
الباروني ٤٣ - ٤٤	الباس بن حبيب ٣١٨ - ٣٢٨ - ٣٢٢ - ٣٢٣
البيتر ٨١ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٤ - ٩٠	٣٢٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧
٩١ - ٩٤ - ٩٦ - ٩٩ - ١١٧ - ٢٢٣	أم حكيم (زوجة طارق بن زياد) ٢٤٩
٢٢٤ - ٢٦٨	اماري ٥٣
بلد (مولى عبد الرحمن بن معاوية) ٢٢٨	الأمويون ٩٦ - ١٤٦ - ١٧٠ - ٢٦٢ - ٣١٠
بلد ١٠٠ - ٢١٧	٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١
بر ٨٠ - ٨١	٣٣٢
(م ٢٦ - تاريخ المغرب العربي)	الأموي ٦١
	الأنطلسيون ١٧ - ٢٦٨ - ٢٨١

اليونون ٨٥	بنو حبيب
البيروني ٥١	بنو رستم ٤٣
بولس (القديس) ١١٧	بنو زباج ٢٥٢
بون (اوبوني) ٨٥	بنو زهرة ١٤٨
البيزنطيون ٧٨ - ١٢٦ - ١٢٢ - ٢٨٠	بنو ذري الصنهاجيين ٢٥ - ٤٠
(ت)	بنو عامر ١٤٨
التابعون ٢٦٦	بنو عتي ١٤٨
تبيع بن امرأة كعب الأحمار ٢٠٩	بنو سلول ٢٧٨
التجاني ٥٣ - ٥٤ - ١٢٨ - ١٢٩ - ٢١٦	بنو سليم ١٤٩
تليد (مولى عبد العزيز بن عرواف) ٢١٤ -	بنو سهم ١٤٨
٢٢٩ - ٢٣٦ - ٢٤٠	بنو عبد العار ٢٦٩
تمام بن تميم التميمي ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ -	بنو عبد الواد ٢٢
٢٩٤ - ٢٩٥	بنو غانية (المرابطون) ١١٦
توغاش ٨٦	بنو كعب بن عمرو ١٤٩
تيزكي (اسم امرأة) ١١٦	بنو مخزوم ٢٦٣
ثيو دورا (الامبراطورة) ٢١٣	بنو مرين ٢٢
(ث)	بنو مزينة ١٤٩
ثابت بن وزعون ٢١٧	بنو معاوية بن حديج ٢٢٦
ثابت بن خيثم الأردني ٢٧٧ - ٢٠٤	بقرورة (وقعه) انظر بقرورة - بقرورة
ثعلبة بن سلمة العجلي ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٠٨ -	بنو موسى بن نصير ٢٢٦
٢١٢ - ٢١٤	بنو لو ٨٦
الثوبة ١١٨	بنو يعقوب ٨٦
(ج)	بنو هذيل ١٤٨
جاثو ٢٠٨	بنو هلال ٧٠ - ٢٢٢
جالون ٨٢	بنو يفرن ٩٤ - ٢٤٨ - ٢٥٥
	الجهلول بن راشد ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٦١

جناحة أنظر حياحيه . حنادية . حناديوس .
جناديوس أنظر حياحيه حناحه . حنادية
العند النظامي
جنريك ١٢٠
جنيك بن خالاش ٢٨٢
الجنيك بن سيار الأزدي ٢٥٢ - ٢٥٩ - ٢٧٢
٢٨٠ - ٢٨٧
جهينة ١٥٩
جوتيه ٨٣ - ٨٥ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١ - ٩٦
٢٢٤
جوليان
جوليان (مؤرخ) ٥٧
جوتيه ٥٧ - ٧٧

(ح)

حاحه (قبائل) ٢٠٢
الحارث بن يزيد الحضرمي ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢
الحارث بن الحكم ١٤٨ - ١٤٩
حاجيم ١٧
حياحية (أنظر حياحيه . حناديه أو حناديوس)
١٦٨ - ١٦٩
حبيب بن أبي عبيدة الفهري ٢٦٠ - ٢٨٠ -
٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ -
٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٨
٢٣٩
حبيب بن حبيب بن يزيد بن الكلب ٢٥١ -
٢٥٢
حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب ٢٢٢ - ٢٢٣ -
٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨

جيلة بن عمرو الأنصاري ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٤
جيون ١٢٠
جيلة ٩٨
جرادة ١١ - ٢٠٦ - ٢١٧ - ٢٢٠ - ٢٢٢ -
٢٢٨
الجرحاني ٨٠ - ٨١
جرجوريوس ١٢٤
جرجوريوس بن نيقسوس بن جريجوريوس
١٢٥
الجرمان ٧٩ - ١٠٩
الجرميون والجرميتيون ١٨٠
جرجر أنظر جريجوريوس بن نيقسوس بن
جرجوريوس ١٢٥ - ١٥٢ - ١٥٣ -
١٥٤ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٨
جراد بن مسعود الديوني ٢٥٢
جزائريون ٨٨
الجزائري ٤٦
جزول دكرولة ٨٦
جزى بن زبان عبد العزيز بن مروان ٢٢٧
جستبان ا بوسطانيوس (٧٩ - ١٢٢ - ١٢٣ -
١٢٤
جعفر بن محمد البجلي ٣٩
جعفر الصادق ٤٨
جعفر العجيب ٤٨
جليجر ١٠٢
جمال الدين التيال ٤٩
جميل بن صخر (أنظر حياحيه بن صخر)
٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩

٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ -
٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣٢٤ -
٣٤٥

الحنفية ١٥

حيان بن ابر جيلة القرش ٢٦٥

(خ)

خازم بن سليمان ٣٥٣

خالد بن ابي حبيب النهري ٢٨٩ - ٢٩٠ -
٢٩١

خالد بن ابي حبيب القرش ٢٨٩ - ٢٧٠

خالد بن ابي عمران ٢٦٩

خالد بن بشر ٣٧٢

خالد بن ثابت الثقفي ١٧٠

خالد بن حميد (داوية) ٢٠

خالد بن حبيب السعدي الزياتي ٢٩١ - ٢٩٥ -
٢٩٦ - ٢٩٨ - ٣٠٤

خالد بن ربيعة ٣٣١

خالد بن الوليد ٢٣٦ - ٢٥٤

خالد بن يزيد القيس ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٣

خالد بن يزيد بن حاتم ٢٨٢ - ٢٨٥

خالد بن يزيد الهلبي ٣٥٣

خراش بن عجلان ٣٥٦

الخشني دد

الخلافة ٣٧ - ١٦١ - ١٧٨ - ١٨٧ - ٢١٤ -

٢٥٦ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٩٥ - ٣١٣ -

٣١٤ - ٣١٥ - ٣٣٠ - ٣٣٢ - ٣٤٠ -

٣٤٣ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٥٩ - ٣٧١ -

٣٨٩ - ٣٩٦

الخلافة الأموية ٢٧٥ - ٣١٧

حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد ٣٢٧

حبيب بن ميمون ٣٠١

العجاج بن يوسف الثقفي ٢٦٧ - ٢٨٥

العمر بن عبد الرحمن الثقفي ٢٦٠

حريز ٢٦٨ - ٣٥٩

حسان بن النعمان الغساني ٦٥ - ١٤٠ - ٢١١

٢١٥ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ -

٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ -

٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ -

٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٥ -

٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٤٠ - ٢٤٥ - ٢٨٠

حسن ابراهيم ١٦٣

الحسن بن حرب الكندي ٣٤٩ - ٣٥٠

حسن حسني عبد الوهاب ٢٣٠

الحسن بن زولاق ٤٩

حسن مؤنس ٥٥ - ٥٧ - ٣١٨ - ١٣٦ -

١٤١ - ١٤٣ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٦٥ -

١٧٦ - ١٧٨ - ٣٧٩

الحنائش (محمد بن عثمان) ٥٧

الحنسيون (دولة) ٣٢ - ٥٧

الحكم المستنصر ٢٨ - ٣٠

حمادة السعدي ٢٨٥ - ٢٩٣

حميد بن عبد الله المكي ٣٢١

حمير دد

حميريون ٨٢ - ٨٥

حميرية ٨٢ - ٨٥

حنس بن عبد الله الصنعاني ١٧٠ - ٢٠٦ -

٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٥١ - ٢٥٥

حنظلة بن صفوان ٢٧٠ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤

دوى ٢٧	الخلافة العباسية ٤٩ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٤٢
الدولة الادريسية ٢٧٢	الخلفاء الراشدون ٢٦١
الدولة الاموية ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٠ - ٢٢٨	الخليفة العباسي ٢٢٦
الدولة البيزنطية ١٦٨	اخلف بن عبد الاعلى بن ابي الخطاب المعافري
دولة الخلافة	خليفة بنت المعارك ٢٥٦
الدرجيني (العباس احمد) ٤٠ - ٤١ - ٤٣ -	خليفة بن خياط ٢٢ - ١٦٦ - ١٧٧ - ١٨٢
٤٩	١٩٠ - ٢٢٦ - ٢٤١ - ٢٤٦ - ٢٧٢
الدولة العباسية ٢٢١ - ٢٩٦	٢٧٧ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٩٠
الدولة المرية ١٤٥ - ١٤٦ - ٢٦٢ - ٢١٠	٣٠١ - ٣٠٤ - ٣١٨ - ٣٢٥
٣٢١	الخوارج ١٥ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٧ - ٤٢ - ٤٣
الدولة الفاطمية ٢٤٦	٥٥ - ٥٦ - ١٠٩ - ١١٤ - ١١٥ - ١٢٦
دونات ١١٨ - ١١٩	٢٦١ - ٢٨١ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧
الدوناني ١٢٤ - ١٢٦	٢٨٨ - ٢٩٠ - ٢٩٨ - ٣٠٠ - ٣١٠
الدونانية ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٥	٣١٢ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٢ - ٣٢٧
ديل ١٤٣ - ١٥٢ - ١٥٣	٣٤٠ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٥١
(د)	٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٨ - ٣٦١ - ٣٦٢
ديعة بن ثابت الرقي ٣٦٧	٣٧١
الربيع (امين الخليفة يزيد بن عبد الملك)	خوارج ٢٧ - ٤٠ - ٤١٤ - ٢٨٨ - ٢٦٦
٤٧٠	٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣٥٣
رجار (لجار) ٥٢	(د)
رجاجة (قبيلة) ١١٤ - ٢٠٢	دانيال (النبي) ١١٥
رستم بن بهرام الفارسي ١٥٤	داود (النبي) ٨١
الرستميون ٣٦ - ٢٧ - ٤٠ - ٤٢ - ٤٣	داود بن يزيد بن حاتم ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣
٤٦ - ٤٩ - ٣١٩	الدباغ ٥٥ - ٢٢٦
الرستمية ٢٧ - ٢٨ - ٤٢	دسيوس (امبراطور) ١١٧
الرسول (صلعم) ١٧ - ١٢٦ - ١٤٦ - ١٥٦	مقلديانوس ١١٨
١٥٨ - ١٦٤ - ١٧٠ - ١٨٥ - ٢٢٩	دكالة ٩٨
	دهيا وانظر الكاحنة
	الدواداري ٤٨

(ذ)

الزواوي ١٥٢
 الزبير بن بكار ٢٧
 الزبير بن العوام ١٣٨ - ٢٠٦
 الزبيريون ١٥٧
 زرعة بن ابي عمرو ٢٤٢
 زقانة ٨٦ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ١١٢ - ٣٠٠
 ٢٢١ - ٣٢٥ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٤
 ٢٤٥ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥١

الزلفعة ١٢٧

زنجية ٨٥
 زهلة
 زهير بن ميس البلوي ٢٦ - ١٧٩ - ١٩٤
 ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩
 ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤
 ٢١٥ - ٢٣٦ - ٢٣٨

زواوة ٨٧ - ٩٦ - ٩٩

زيد بن الاصغر ٢٨٧ - ٣١٩
 زيد بن النابتة التميمي ٣٦٠
 زيد بن حصين ٢٩٧
 زيد بن عمرو الكلبى ٣٠٩

(س)

سلوة (ابنة ملك الاندلس القوطي) ١٥٨
 سالم (مول لم الاصمغ) ٣٢٨
 سالم بن سوادة التميمي ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٦٠
 سالم ابو يوسف الهولوي ٢٩١ - ٢٩٩
 ساسمان بن ثواق ٣٢٥

الرشيد ٣٦٥ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٥ - ٣٧٦
 ٣٧٧ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٩
 ٣٩٠ - ٣٩٢ - ٣٩٥

الرفيق (ابراهيم بن القاسم) ٢٥ - ٢٦
 ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٥
 ٣٦ - ٤٠ - ٥٠ - ٥٢ - ٥٤ - ١٦٦
 ١٦٩ - ١٧٨ - ١٩٥ - ٢٠٨ - ٢١٨
 ٢٢٣ - ٢٢٦ - ٢٣٥ - ٢٤٠ - ٢٧٨
 ٢٨٣ - ٢٩٠ - ٢٩٥ - ٣٠٥ - ٣٠٨
 ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٤٥ - ٣٥٢
 ٣٦٠ - ٣٦٣ - ٣٦٥ - ٣٧٣ - ٣٧٨
 ٣٨١ - ٣٨٥ - ٣٨٨

دوبرت بروكسفيج ١٩٣

روح بن حاتم ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣
 ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٨٩ - ٣٩٢

الروم ٢٣ - ٦٨ - ٨٠ - ٨٣ - ٩٧ - ١٠٦
 ١٠٩ - ١١٠ - ١٢٢ - ١٢٦ - ١٣٨
 ١٣٩ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٤٧
 ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٩
 ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥ - ١٦٧ - ١٦٨
 ١٦٩ - ١٧٢ - ١٨٤ - ١٩١ - ١٩٥
 ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١
 ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٨
 ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣
 ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨
 ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٧
 ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٥
 ٢٤٠ - ٢٤٧ - ٢٧٢ - ٢٧٦ - ٢٨٠
 ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣

الرومان ٦٨ - ٧٨ - ٧٩ - ١٠٥ - ١٠٧
 ١٠٩ - ١١٨ - ١٢٢

دوفغ بن ثابت الأتصاري ١٧٣

دونه بسبه ١٠٥ - ١١٣

(ش)

شاذان ٢٠٢
الشاميون ٢٨٥ - ٢٩٢
شيبه بن حسان ٢٨٢ - ٢٨٧
شراان ٣٦٢
شريك العيسى ١٥٩
شريك بن سمي (الفطيمي) ١٤٩ - ١٧٧
شعب بن عثمان ٣٠٧ - ٣٢٢
شعيرة ١٩٠
الشماخي ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٣٤٢
شملون القائد ٣٨٥
الشهرستاني ٥٥
الشيعة ١٥ - ٤٩ - ٥٥ - ٥٦ - ١١٥ - ٣٦١
الشيعة الزيدية ١٥
الشيعة (المذهب) ١١٥

(ص)

صالح بن طريف ٩٨
صالح بن نصر الاباضي ٣٧١
صقلورة (كومية) ٨٦ - ٩٩
الصفرة ٣٧ - ١٠٦ - ٢٨٧ - ٢٩٠ - ٢٩١ -
٢٩٢ - ٢٩٧ - ٢٩٩ - ٣٠٥ - ٣٠٧ -
٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٩ - ٣٢١ - ٣٣٧ -
٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ -
٣٤٨ - ٣٥٤ - ٣٥٥
صفوان بن ابي مالك ٣٠١ - ٣٠٢
الصقر بن ايوب الفزاري ٣٢٥
صنهاجة ٨٦ - ١٥ - ٩٦ - ٩٨ - ١١٢
١١٦ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٣١٧ - ٣٥٢

سحنون بن سعيد ٢٧ - ٢٦٧
سدانة ٨٦ - ٩٢ - ٩٩
سرجيوس ١٢٥
سعيد بن بصره الضماني ٣٠١ - ٣٠٢
سعيد بن شداد ٣٦١
سعيد بن عمير ٢٢ - ٢٤٨
سلام بن عبد الرحمن ٣٣٦
السلوي ٥٧
سلمة بن سعيد ٣١٦ - ٣٥٨
سليمان بن ابي المهاجر ٢٩٨
سليمان بن زياد الرعيني ٣٣٥
سليمان بن عباد المهلب ٣٥٣
سليمان بن عبد الملك ٢٥٢ - ٢٥٤ - ٢٥٦ -
٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٤
سليمان بن بشار ١٦٩
سليمان بن يقطين بن العربي ٣٦٢
سليمان بن يزيد ٣٧٢
السمج بن مالك الغولاني ٣٦٤ - ٣٧١
سملون ٣٨١
سمعان (سمعان) ٨٦
سمل بن حاجب ٣٨٢
سوزن زكار ٣٣
السويل ٨٠
سولومون ١٢٣
السيوطي ٢٣
سبيريان (قديس) ١١٧
سسليان (اسقف قرطاجنة) ١١٨

- عبد الأعلى (زرقور) ٣٠٤
 عبد الأعلى بن جريح الأفرقي ١٠٦ - ٢٨٨ -
 ٢٨٩ - ٢٩٠
 عبد الأعلى بن عقبة ٣٠١
 عبد الجبار بن نيس المرادي ٣٢٠ - ٣٢١ -
 ٣٢٢
 عبد الحميد بن قوسيا ٣٠٢
 عبد الرحمن بن أبي بكر ١٤٨
 عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عيينة ٢٩٨ -
 ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ -
 ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ -
 ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ -
 ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ -
 ٣٤٢ - ٣٤٣
 عبد الرحمن بن حبيب الفهري ٣١٣
 عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن ٣٦١ -
 ٣٦٢
 عبد الرحمن الماخذل ٢٩٣ - ٣٢٨ - ٣٢٩ -
 ٣٣١ - ٣٣٢
 عبد الرحمن بن رستم ٢٨ - ٣٩ - ٣٢٠ -
 ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ -
 ٣٤٩
 عبد الرحمن بن زياد بن الأخرم ٢٩٩
 عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ١٢٣ - ٢٨٠ -
 ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ -
 ٢٧٤ - ٢٧٥
 عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ١٤٨
 عبد الرحمن بن عقبة الغفاري ٢٩٥ - ٣٠١ -
 ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤
 عبد الرحمن بن مالك الشيباني ٣٠٧
 عبد الرحمن بن المقرئ العبدي ٢٩٠ - ٢٩٢
 عبد العزيز بن السمجع الماعري ٣٥٩

صنهاجة الصحراء ٨٩

الصنهاجيون (دولة) ٥٠ - ٥٧ - ٩٦

صودة ٢٠٢

الصوي ٧٩ - ٨٠ - ٨٢

(ض)

الضبي ٣

ضمرة (ضرسة) ٨٦ - ١٤٩

(ط)

طارق بن زياد ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٨ -

٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤

الطبري ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ -

٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩

طريف بن ملوك ٢٨٦ - ٢٨٨

طوق بن جابان الفارسي ٢٦٦

الطوارق ٩٨ - ١٠٤ - ١١٠ - ١١٦

(ع)

العابد فلاح (أنظر الفلاح)

عاصم بن جميل ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩

عاصم السدراتي الأباقي ٣٥٢

عاصم بن عمر ١٤٨

عاصم بن نافع ٣٨٢

العباس بن كرحون ٣٩٢

العباسيون ٦١ - ٣١٠ - ٣١٧ - ٣٢٤ - ٣٣٥

٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠

العباس بن باضعة الكلبي ٢٧٣

العباس بن عبد المطلب ١٤٨

عبد الله بن علي ٢٢٦ - ٢٤٢
 عبد الله بن عمر ١٤٨ - ١٧٠
 عبد الله بن غانم ٣٦٨ - ٣٧٤
 عبد الله بن قنن ٢٧٧ - ٢٨١ - ٢٩٦ - ٣٠٠
 عبد الله بن قيس ١٧٢
 عبد الله بن عبد الملك ٢٢٦ - ٢٤٠
 عبد الله بن مسعود التميمي ٣١٨ - ٣٢٠ - ٣٢١
 عبد الله بن موسى بن نصير ٢٤١ - ٢٤٦ - ٢٤٧
 ٢٤٨ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٦ - ٢٧٠
 عبد الله بن نافع ١٥٠ - ١٦٢ - ١٦٥ - ١٧٠
 ١٧٧
 عبد الله بن يزيد بن حاتم ٢٨٢ - ٢٨٣
 ٢٨٥
 عبد الله بن يزيد الهلبي ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢
 ٢٨٢
 عبد الواحد بن يزيد الهواري (الهلبي)
 ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧
 ٣٠٨
 عبد الوارث بن حبيب ٣٢٢ - ٣٣٥ - ٣٣٧
 عبد الوارث بن عبد الرحمن بن وسم ٣٧٤
 عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن وسم ٣٧٤
 العبري
 عبيد الله الهلبي ٣٦ - ٤٠
 عبيدة بن عبد الرحمن السلمي ٢٧٢ - ٢٧٤
 ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨
 عثمان بن أبي عبيدة ٢٨٠
 عثمان بن صالح ٢٠ - ٢١ - ٢٧ - ١٤٢
 ١٤٣

عبد العزيز بن شاذل ٤٩
 عبد العزيز بن مروان ٢١١ - ٢١٤ - ٢٢٩
 ٢٣٢ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٩
 عبد العزيز بن موسى بن نصير ٢٥٦ - ٢٥٩
 ٢٦٠ - ٢٧٠
 عبد الملك بن أبي الجعد ٣٢٦ - ٣٤٢
 عبد الملك بن مسعود ٣٥٢ - ٣٥٣
 عبد الملك بن عمر بن مروان ٣٢٧
 عبد الملك بن مروان ١٦٦ - ١٧٢ - ١٧٣
 ٢٠٨ - ٢١٤ - ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٢٦
 ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٩ - ٢٥٤ - ٢١٩
 عبد الملك بن مسعدة ٢٠
 عبد الملك بن موسى بن نصير ٢٥٦ - ٢٧٠
 عبد الله بن أبي التميمي ٣١٨ - ٣٦٩
 عبد الله بن الحجاج ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨١
 ٢٨٢ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٢ - ٢٩٣
 عبد الله بن حيان الاباضي ٢٤٧
 عبد الله بن الزبير بن العوام ١٤٨ - ١٤٩
 ١٥١ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٧٠ - ١٧٢
 ٢٠٨ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢٨٥
 عبد الله بن زياد الأنصاري ٢٧٧
 عبد الله بن سعد بن أبي السرح ٦٧ - ١٠٠
 ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩
 ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٦
 ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١
 ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦
 ١٦٨ - ١٧٠ - ١٧٤ - ١٧٦ - ١٧٧
 ١٨٢
 عبد الله بن مسعود ٣١٧
 عبد الله بن مسعود الكندي ٣٦٣

عرب القيروان ٢٠٩ - ٢٢٢	عثمان بن عفان ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨
عروة بن الزبير ١٥٧	١٥٠ - ١٥٧ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٤
عروة بن الوليد الصنفي ٢١٧ - ٢١٨	١٦٥ - ١٦٨ - ٢٦٢ - ٢٨٥
عريب بن سعد ١٦٢	عثمان بن عتبة ٢٤٢
عتبة بن مبروع ٢١٢	الشماني ١٦٥
عتبة بن الحجاج السلوي ٢٨٢ - ٢٨٨	الجم ٢٢ - ٢٠٦
عتبة بن عامر الجهني ١٤٢ - ١٤٤ - ١٥٠	عجيسة ٨٦ - ٩٦
١٦١ - ١٨٢	السناني ٨١ - ٩٩
عتبة بن قدامة التميمي (انظر عتبة بن قدامة)	العرب ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٢ - ٦٢ - ٦٦
٢٧٥ - ٢٧٩	٦٨ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠
عتبة بن نافع النهدي ٢٢ - ٢٦ - ٧٠ - ٩٧	٨٢ - ٨٣ - ٨٥ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١
١٢١ - ١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٢	٩٤ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٥ - ١٠٦
١٥٠ - ١٥١ - ١٦٢ - ١٧٠ - ١٧٤	١٠٧ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٢ - ١٢٦
١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩	١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣
١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤	١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤١
١٨٥ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١	١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨
١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦	١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٦
١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢	١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٤ - ١٦٥
٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧	١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠
٢٠٨ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٨ - ٢٢٠	١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٩ - ١٨٠
٢٣١ - ٢٣٥ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣	١٨١ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٧ - ١٩٠
٢٤٤ - ٢٤٩ - ٢٦٠ - ٢٦٣ - ٢٦٤	١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٩
٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٩	٢٠٠ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٩
عكاشة بن أيوب الخزاعي الزناتي ٢٠٠ - ٢٠١	٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٤ - ٢١٦
٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦	٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢
٢٠٧ - ٢٠٨	٢٢٤ - ٢٢٦ - ٢٢٨ - ٢٣٠ - ٢٣١
العلاء بن سعيد الكهلي ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣	٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٨ - ٢٤٩
٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٨١ - ٢٨٦ - ٢٨٧	٢٥٠ - ٢٥٠ - ٢٦٠ - ٢٦٦ - ٢٧٦ - ٢٧٨
٢٨٨ - ٢٨٩	٢٧٩ - ٢٨٥ - ٢٨٧ - ٢٨٩ - ٢٩١
العلاء بن عتبة ٢٧٤	٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠٨
العلاء بن ميثم ٣٦٢	٣٠٩ - ٣١٧ - ٣٢٧ - ٣٤٧ - ٣٦٧
علي بن أبي طالب ١٦٤ - ١٦٥ - ٢٨٥	٣٧٩ - ٣٨١
	علي يحيى معمر ٤٤
	عرب الجزيرة ٨٥
	عرب افرقية ٢١٥

عمر بن عثمان ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٥٩	علي بن فضل ٢٣٥
عمر بن معاوية ٢٨٨ - ٢٩٢ - ٢٩٤	علي بن هارون الأنصاري ٢٨٢
العمرى ٢٥	المطويون ٤٩ - ٢٧٢
عنبسة بن سعيد الكلبي ٢٧٢	عماليق ٨٢ - ٨٥
العوام بن عبد العزيز البجلي ٢٤٢	عمر بن أبي عبيدة ٢٢٤
عياض بن أخيل ٢٤٦	عمر بن حفص بن قبيصة ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣
الميثاني ٥٤ - ٦٥ - ٧٤ - ٩٩ - ١٠١	٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨
عياض بن عتبة بن نافع النهري ٢٤٢	٢٥٩ - ٢٧١
عياض بن وهب الهواري ٢٦٠	عمر بن الخطاب ١٢٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥
عياض اليحصبي (القاسمي) ٤٥	١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠
عيسى بن محمد بن سليمان بن أبي الهساجر ٢٢	عمر بن سوية ٢٢٢
عيسى بن موسى بن عجلان ٢٤٧	عمر بن عبد العزيز ١٢٢ - ٢٢٠ - ٢٥٦
عيسى بن يزيد الأسود ١٠٦	٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٦
عيسى بن عبد الله الطويل ٢٥٣	٢٧٠ - ٢٨٦ - ٣٠٣
(غ)	عمر بن عبد الله المرادي ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٨
غمران	عمر بن علي القرشي ١٧٩ - ١٩٤ - ٢٠٦
الفساستة ٢١٤	عمر بن غانم ٢٠٥
عجلان ١٤٩	عمران بن حبيب ٢٢٤
عمارة ٨٦ - ٩٧ - ١١٤ - ٢٨٨	عمران بن معاذ ٢٩٢ - ٢٩٤
غبيضة (الملك القوي) ١٦٨	عمر بن أبي الربيع سليمان ٢٨٠
(ف)	عمر بن أوس ٢٤٧
فان (قبيلة)	عمر بن حاتم ٢٠٧
الفاطمية ٢٤ - ٤٦ - ٤٨ - ٤٩ - ١٣٥	عمر بن فاتك ٢٧٢
	عمر بن العاص ٢٢ - ٦٧ - ١٣١ - ١٣٢
	١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩
	١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥
	١٤٦ - ١٤٧ - ١٥٠ - ١٥٥ - ١٦٦
	١٦٧ - ١٦٨ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨٧
	٢٢٨ - ٢٣٠ - ٢٥٤ - ٢٥٥
	عمر بن عثمان القرشي ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٤١
	٢٤٦

قبط (القبط) ٨٢ - ٨٥ - ١٥٧ - ١٦٤ -
٢٣٢ - ٢٣٤

قبط بن حاتم ٨٢

قبيصة بن روح بن حاتم ٢٧٢ - ٢٧٤ - ٢٧٦ -
٢٧٧

قبيل

قتيبة بن مسلم ٢٥٤

قثم بن عوانه ٢٧٢ - ٢٨١

القحطانية ٧٨ - ٨١

القرطاجنيون (اليونيون) ١٥

قرشي ١٤٤ - ٢٣٦

قرشية ٨٢ - ٨٥

القرشيون ٢٦٩ - ٢٩١

قروه بن شريك ١٥٩

قسطنط التصرائي ٢٧٨

قسطنطين ١١٨

قسطنطين الثالث ١٢٥

قسطنطين الرابع ١٢٥

قسطنطين بن هرقل ١٦٣

قسطنطين الثاني ١٨٢

قسطنطين بوجونا ١٨٢

قضاة ٩٩

القوط ١٢٠ - ٢٤٩

قيس بن عباد الانصاري ٦٥

القيسية ٨١ - ٢٥٤ - ٢٩٢

القيروانيون ٢٤ - ٢٧ - ٢٦ - ١٨٤ - ٢٠٧ -

٢٠٨ - ٢٣٨

الفاطميون ٢٢ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٣٠ -
٤٦ - ٤٧ - ٥٠ - ٥٥ - ٩٦

بنو عبيد ٤٦ - ٥٠ - ٥٧

فانيان ٢٤

الفرس ٨٢ - ١٢٤ - ١٢٦ - ١٨١

الفرنج ٨٠ - ٨٩ - ١٠٩

الفرنسيون ٩٥ - ٩٦ - ١١٢

فزارة ١٤٩

الفضل بن روح ٢٦٦ - ٢٧١ - ٢٧٤ - ٢٧٦

٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ -

٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٩ - ٢٩١

الفضل بن محمد ٢٤٩

الفضل بن يزيد ٢٨٤

فلاح بن عبد الرحمن الكلابي ٢٨٢ - ٢٨٥ -

٢٩١

الفاطميون ٨٢

الفاطميون ١٨٩ - ٢٣٤ - ٢٣٧

فوكلس (فوكلس) ١٢٤ - ١٢٦

الفيثيون ١٠٦ - ١١١ - ١١٦ - ٢٥٠

(ق)

القاسم بن عبيد الله ٢٧٩

القاضي بن الوليد بن يزيد العاصي ٢٢٨

القاضي النعمان ٣٤ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٦ - ٤٧ -

٤٨ - ٤٩

القبائل (عامة) ٣٢

القبائل البربرية ٣٢

القبائل العربية ٣٢

(ل)

اللائين ٢٠
لغم (قبيلة) ٢٣٨
لتريق ١٦٨ - ٢٤٠
لقابة (قبيلة) ٩٥ - ٢٥١
لثوة ٨٨ - ٩٨
لقطة ٨٦ - ١١٦
وانظر بلاد لعله
لوا (لواتة) ٨٦ - ١٧٧ - ٢٣٠ - ٢٦٤
لواتة ٩٣ - ١٢٢ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ -
١٧٧ - ٢٣٠ - ٢٦٤ - ٢٥١
اللواتيون ١٣٢ - ١٢٣ - ٢٣٠
لوبيون (لبيون) ٩٣
اللبث بن سعد ٢٠ - ٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ -
١٢٧ - ١٥٠ - ١٦٥ - ٢٩٠ -
٣٠٩

(م)

مادغيسي ٨١
مالك بن انس ٣٦٨ - ٣٦٩
مالك بن سحران النهدي ٢٥٣
مالك بن ثرجس ٨٠ - ٨٢
الماكي ٥٥ - ١٥٨ - ١٦١ - ١٦٧ - ١٨٩ -
١٩٠ - ١٩١ - ١٩٤ - ٢٠٩ - ٢١١ -
٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٣٣ - ٣٠٣
الماكية ١٥ - ٣٦١
المامون ٦١
المانوية ١١٧ - ١١٩

(ك)

الكامون ١٢٣ - ١٢٥
الكامونيكية ١١٩ - ١٢٠
الكاحنة ١٠٠ - ١٠٩ - ١١٥ - ٢١٧ -
٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ -
٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣١ -
٢٦٨
وامر مكة انبرير ومنكة اورانس
كتامة (وزواوه) ٤٦ - ٨٦ - ٩٥ - ٩٦ -
١١٥ - ٣٥٩ - ٣٦٢
كريب بن ابرهة بن الصياح ١٧٠
كرواوة (انظر كرواوة)
كسيمة ٢٦ - ٩٧ - ١٩١ - ٢٠٣ - ٢٠٤ -
٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ -
٢١٠ - ٢١١ - ٢١٩ - ٢٢١ - ٢٣٠ -
٢٥٢
كثوم بن عياض القسيري ٢٩٢ - ٢٩٤ -
٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ -
٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣٠٣
كليب بن جميع الكبير ٣٩٠
كمامون (ملك كتامة) ٢٤٢
الكتامر ٢٢ - ١٧٧
كندان بن حام بن نوح ٨٣
كتانية ١٢ - ١٥
الكتانبيون ١٠ - ٨٢
كحلان بن مر لواء ١١
كولان ٢١ - ١٩٣
كومية ١٩ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٩

محمد بن يزيد الفارسي ٣٦٢ - ٣٨١ - ٣٨٤
٣٨٧

محمد بن يزيد القرشي ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ -
٢٦٢ - ٢٦٧ - ٢٦٩

محمد يوسف طيبي ٤٤

محمد بن يوسف الوراق ٢٥ - ٢٨ - ٣٠ -
٣٤ - ٤٠ - ٤٥ - ٥٢ - ٨٠

محمود عكي ٢٨

المخارق بن عمار الطائي ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥٠ -
٣٥١ - ٣٥٩ - ٣٦١ - ٣٦٣

مخلد بن مرة الأزدى ٣٩١

المكائلي ٢٧ - ٢٤

مذلق (بنو)

المذليين ١٢٨ - ١٢٦

مديونة ٨٦ - ٩٤ - ٣٥٢

مذحج (بنو) ٢١٢

مكرايطون ٩٨ - ١١٦ - ١٥٠ - ١٨٤

مراكنيون ٨٨

مروان بن الحكم بن العاصي ١٤٨ - ٢٠٨

مروان بن موسى بن نصير ٢٤١ - ٢٤٣ -
٢٤٤

مروان بن محمد ٣١٥ - ٣١٩ - ٣٢٥ - ٣٢٧

مريم ١٢٢

مزاته ٨٦ - ١٧٧ - ١٨٢

المستعربون ١٣

المستعرب بن لحجاب القرشي ٢٧٤ - ٢٧٦ -
٢٧٧ - ٢٨٠ - ٢٠٤

المسعودي ٢٢ - ٢٤ - ٥١ - ٥٢ - ٨٠ - ٨١
١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٢٤

المتي بن زياد الفخمي ٢٢٦

مجاهد بن مسلم الهولدي ٢٢١

المجوسي ١١٢

مجهول ٢٢

المعاريب بن هلال الفارسي ٢٤٤

محمد بن الخليل بن عبد الوهاب ٣٩

محمد بن أبي بكر ١٦٤ - ١٦٥ - ٢٧٢

محمد بن أبي بكر ٢٦٥ - ٢٧٠

محمد بن أبي حذيفة ١٦٤

محمد بن أبي عبيدة بن عقبة ٣٣٦

محمد بن الأشعث ٣٤٢ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ -
٣٤٧ - ٣٤٨

محمد بن الأوس الأضاري ٢٠٥ - ٢٦٧ -
٢٧١ - ٢٦٩

محمد الخامس ٢٨

محمد بن تومرت ١١٠ - ١٩٤

محمد بن حمادة اليربوعي ٤٥

محمد بن خالد القرشي ٣٣٥

محمد بن زبيدة الله بن الأخطب ٢٤

محمد بن عمرو بن عقبة ٣٠٧

محمد بن الفارس ٢٨٠ - ٢٨٢

محمد بن مرقوق ٢٢١

محمد بن معاوية بن بجير بن ريسان ٣٤٤

محمد بن المقرة ٣٣٥

محمد بن المقرة بن عبد الرحمن القرشي ٣٣٦

محمد بن هشام ٣٨٤

١٤١ - ١٩٢ - ٢٣٥ - ٢٣٩ - ٢٨٥
معاوية بن حديج السكوني ٦٧ - ١٥١ - ١١٢
١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩
١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤
١٧٥ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨٠ - ١٨٢
١٨٤ - ٢٦٣ - ٢٩٢ - ٣٠٦
معاوية بن صفوان ٣٠٦ - ٣٠٩ - ٣٢١
معاوية بن هشام ٢٩٣
عبد بن العباس بن عبد المطلب ١٦٧
مفراوة ٨٦ - ٩٤ - ٩٩
مجر (مجر)
المز (الخليفة الفاطمي) ٤٧ - ٤٨ - ٤٩
مغيث الرومي (مولى توليد بن عبد الملك)
٢٩٢ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٨
المغيرة بن أبي بردة القرظي ٢٦٩
المغيرة بن بشر بن روح ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨٥
المغيرة بن زياد ٢٨٠
مصرام بن حنم ٨٢
المصريون ٢٥ - ٢٥ - ٨٥ - ١٢٢
عبد بن العباس بن عبد المطلب ١٤٨
المعتزة ٣٦٩
معر بن عيسى السطلي ٣٥٥
المغاربة ١٦ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٧ - ٤
٣٥ - ١٨ - ١٠٩ - ١٢٩ - ١٩٧ - ١٥٠
٢١٧ - ٢٥٠ - ٢٦٦ - ٢٨٤ - ٢٦٨
٣٦٩
مضيلة ٨٦ - ٣٠٨
مفيس الرومي ٣٥١

مسلمة بن سودة القرظي ٢٤٥ - ٣٠٠
مسند بن مخلد الانصاري ١٧٥ - ١٨٢
١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٢
المسعودي ١٧ - ١٤٧ - ١٥٦ - ١٦٤ - ١٦٨
١٨٠ - ١٩٦ - ٢٠٣ - ٢٠٧ - ٢٠٨
٢٠٤ - ٢١٣ - ٢٢٠ - ٢٢٧ - ٢٣٣
٢٣٤ - ٢٤٠ - ٢٦٢ - ٢٦٤ - ٢٦٦
٢٧٢ - ٢٨١ - ٢٨٤ - ٢٠٣ - ٢١٦
٣١٤
المسوفة ٣١٧ - ٢٤٣
وآثر العباسيون
المسود بن مغرمة بن نوفل ١٥٨
المسود بن هانيء الزناتي ٣٥٢
مسوفة ١١ - ٦٨
المسجدة ٣٠ - ٢٢ - ١٠٦ - ١١٧ - ١١٨
١٢٥ - ١٢٦ - ١١٦
المسبح ١٣٣
المسارقة ١٦ - ٢٦ - ٣٢ - ٣٦٨
مصبوبة (او الصامية) ٨٦ - ٩٥ - ٩٦
٢٧ - ١١٢ - ٢٠٠ - ٢٤٣ - ٢٤٥
وآثر الصامية
المصريون ١٠
مضربة ١٢ - ١٥
مظفرة (او مسفرة) ٨٦ - ٩٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧
٢٩٨
المطلب بن أسد ١٤٨
مظلمة ١٠ - ٨٦ - ٩٤
معاوية بن أبي سفيان ١٣٧ - ١٥٦ - ١٥٠
١٦٠ - ١٦٥ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٤
١١٥ - ١٧٦ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٨

المهلب بن عبد الملك (أنظر عبد الملك بن عباس) ٢٨٨ - ٢٨٦
 القنسي ٥١
 القريزي ٢١ - ٢٢ - ٤٦ - ٤٨ - ٤٩ - ٦٥
 القوقس ١٣٠ - ١٣١ - ١٤٣
 مكرم بن جميل ٢٢٧
 مكسيموس ١٢٥
 مكناسة ٩٥ - ٢٨٨ - ٢٥٤
 وانظر بلاد مكناسة
 المثنون ٦٠ - ٩٨ - ١٠٤ - ١١٦
 ملزوذة ٨٦
 ملكة البربر ٢١٧
 (أنظر الكاهنة)
 ملكة اوراس ٢٢٥
 ملوك الطوائف ٢١٧
 منيلة ٨٦
 المنجي النجبي ٢٦
 المنصور بن زياد ٢٨٨ - ٢٨٦
 المنصور العباسي ٢٤ - ٣١٠ - ٣٢٧ - ٣٣٠
 ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٤٢
 ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٥٠ - ٣٥٤
 ٣٥٨ - ٣٦٢ - ٣٦٥ - ٣٧١ - ٣٧٩
 منصور بن عريان ٢٨٠
 المهاجرون
 المهدي (الخليفة العباسي) ٣٦٢ - ٣٧١
 المهدي (الخليفة الفاطمي) ٤٧ - ٤٩
 مهرة (قبيلة) ١٤٩
 المهلب بن أبي صفرة ٣٥١ - ٣٥٨
 المهلب بن رافع ٢٨٦
 المهلب بن يزيد ٢٣٦ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣
 ٢٧٨ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥
 المهلبيون ٣٥١ - ٣٦٣ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٨٣
 المهنا بن المغارق بن غفار الطائي ٣٥٥
 الموالي ١٨٩ - ٢٠٧ - ٢٥٤ - ٢٩٤
 موالي موسى بن نصير
 الموحدون ٥٣ - ٨٩ - ٩٧ - ٩٨ - ١٩٤
 المورطانيون ٨٢ - ٨٨
 موريس (موريتس) ١٢٤
 موريس ١٣٠
 موسى بن أبي خالد ٢٩٢
 موسى بن عبد الملك بن عمر بن الوليد ٢٢٧
 موسى بن عقبة ٢٤٣
 موسى بن نصير ١٢٩ - ٢٠٦ - ٢٣٠ - ٢٣٥
 ٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١
 ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦
 ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١
 ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦
 ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٣ - ٢٦٧
 ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٨٠ - ٢٨٦ - ٢٨٩
 ٢٩٢ - ٣٠٤
 الموثيل (الذهب) ١٢٥
 المولون ١٠٦
 المؤمن بن الوليد بن يزيد العاصي ٢٢٨
 موهب بن حنيفة المعافري ٢٦٥
 ميلعان ١٤٩

المهلب بن عبد الملك (أنظر عبد الملك بن عباس) ٢٨٨ - ٢٨٦
 القنسي ٥١
 القريزي ٢١ - ٢٢ - ٤٦ - ٤٨ - ٤٩ - ٦٥
 القوقس ١٣٠ - ١٣١ - ١٤٣
 مكرم بن جميل ٢٢٧
 مكسيموس ١٢٥
 مكناسة ٩٥ - ٢٨٨ - ٢٥٤
 وانظر بلاد مكناسة
 المثنون ٦٠ - ٩٨ - ١٠٤ - ١١٦
 ملزوذة ٨٦
 ملكة البربر ٢١٧
 (أنظر الكاهنة)
 ملكة اوراس ٢٢٥
 ملوك الطوائف ٢١٧
 منيلة ٨٦
 المنجي النجبي ٢٦
 المنصور بن زياد ٢٨٨ - ٢٨٦
 المنصور العباسي ٢٤ - ٣١٠ - ٣٢٧ - ٣٣٠
 ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٤٢
 ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٥٠ - ٣٥٤
 ٣٥٨ - ٣٦٢ - ٣٦٥ - ٣٧١ - ٣٧٩
 منصور بن عريان ٢٨٠
 المهاجرون
 المهدي (الخليفة العباسي) ٣٦٢ - ٣٧١
 المهدي (الخليفة الفاطمي) ٤٧ - ٤٩
 مهرة (قبيلة) ١٤٩

التكار والتكارية ١٥	ميسرة ١٠٦ - ١٨٤ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨
قفور ١٧١ - ١٧٢	٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١
نوميديون ٨٨	(ن)
التويري ٢٦ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٠٥ - ٢٤٥	نافع (مولى آل الزبير) ٢٢
٢٦٠ - ٢٦٥ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٨	نافع بن عبد الرحمن السلمي ٢٤٢
٢٨٦	نافع بن عبد القيس الكهري ١٢٥ - ١٢٦
نيقتاس ١٢٤	١٥٠ - ١٧٠ - ١٧٦
(ه)	النبي (صلى الله عليه وسلم) ١١٢ - ١١٤
الهادي (الخليفة) ٢٧١	١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٧ - ٢٨٥
هارون الأنصاري ٢٨٢	النبوة ١٧
هارون الرشيد ٢٨٨	المنطورية ١٢٢
هارون القرنى ٢٩٢ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٨	الأنصاري ١٩٦ - ٢٤٨
الهاشميون ١٤٨	نصر بن حبيب المهلبى (أنظر حبيب بن نصر
هانى بن بكور الضريس ٨١	المهلبى) ٢٦٦ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧
هانى بن مسعود الكومي ٨١	٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٤
هراغة ٩٧	النصر بن سدوس المرادي ٢٧٧
هرثمة بن أعين ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨	نصير (والد موسى بن نصير) ٢٢١
٢٨٩ - ٢٩٠	نصير بن راشد الأنصاري ٢٢١
هرقل ١٢٤ - ١٢٥ - ١٥٢	نصير بن صالح الأبلهى (أنظر صالح بن نصير
هرقل بن هرقل ٢٤	النفري والسفري) ٢٧١
هزارمرد ٢٥٦	النصر بن حصص ٢٨٠ - ٢٨٧ - ٢٨٨
(أنظر عمر حصص)	النصر بن حصص
هسكورة ٨٦ - ٩٧ - ٢٠١	نفاثر بن قرط الكلبى ٢٧٢
(وأنظر بلاد هسكورة)	النعمان بن حمير بن سبأ ٨٢
هشام بن عبد الملك ١٧٤ - ١٧٨ - ٢٧١	نقراوة ، نقراوة ، نفرة ٨٦ - ٩٢ - ٢٤٦
٢٧٢ - ٢٧٥ - ٢٧٨ - ٢٨٤ - ٢٩٢	٢٠٩ - ٢٢٩ - ٢٣٤ - ٢٣٧ - ٢٣٨
٢٩٢ - ٢٩٣ - ٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣٠٣	٢٤٠ - ٢٥٢ - ٢٧١
	نفوسة ٨٦

(ي)

- يعقوب بن ايوب ٢٠
يعقوب بن الحكم ١٧٠
يعقوب بن عبد الله بن بكر ٢٠ - ٢٢
يعقوب بن موسى ٢٨٥ - ٢٨٨ - ٢٩٠
يزديان (ولد الكاهنة) ٢٣٠
يزيد بن أبي مسلم ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨
٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧٢ - ٢٨٥ - ٢٨٦
يزيد بن أبي حبيب ٢٢
يزيد بن حاتم المهلبى ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠
٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦
٣٦٧ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢
٣٧٣ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٨ - ٣٨٥
يزيد بن خالد ٢٢٠
يزيد بن سجوم (سكوم) ٣٣٧
يزيد بن صفوان الكافرى ٣٢١
يزيد بن الطفيل ٣٦٦
يزيد بن عبد الملك ٢٢٦ - ٢٧١
يزيد بن مجز المهلبى ٣٦٣
يزيد بن مسروق ٢٤٧ - ٢٧٢
يزيد بن مسلم الكندى ٢٧٦
يزيد بن معاوية ١٧٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ٢٠٨
يزدجرد الثالث ١٤٦
اليعاقبة ١٢٢ - ١٢٥
يعقوب بن عبد الحق المرينى ٨٢
العقوبى ٥١ - ١٢٥
عقوب (والد الكاهنة) ٢٣١

هنسلم بن عمرو ١٥٤

- هلال بن ثروان اللواتى ٢١٥ - ٢٢٠
الهلالية (بنو هلال) ٢٧ - ٦١
هواره ٨٦ - ٨٧ - ٩٤ - ٩٩ - ١٧٧ - ٢٠٨
٢٢١ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٤
الهورن ١٢٤

(و)

- الوافى ١٨ - ١٩ - ٢١ - ٢٢ - ٢٧ - ٣٤
١٣١ - ١٣٥ - ١٤٢ - ١٥١ - ١٨٥
١٩٣
ورصطف ٨٦
ورغة (قبيلة) وأنظر بلاد ورغة
ورعجومة ٨٦ - ٩٣ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩
٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٦٢
الوسيانى ٤٠ - ٤١ - ٤٢
ولغو بن ورعجوم ٢٤٦
ولهاصة ٨٦ - ٢٣٧
وليام مارسية ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ١١١
الوليد بن يزيد العاصى ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٣٣
الوليد بن عبد الملك ١٥٩ - ٢٣٠ - ٢٣٨
٢٤٠ - ٢٤٢ - ٣٥١ - ٣٥٣ - ٣٥٤
٢٥٥ - ٢٩٣ - ٣١٥ - ٣١٥
الوندال ٧٩ - ١٠٩ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٣٣
٢٥٠
الوهبية ٤٢
ويسى (Huici)

يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ٢٢٥ - ٢٢٤

يوسف بن هشام ٢٧

يوسف الوراق ٢٥ - ٢٨

يوليان (يليان) جوليان ١١٩ - ١٢٧ - ٢٠٤

٢٢٤ - ٢٢٤ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠

يقلين بن موسى ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨

اليمنية (قبائل) ٩٩ - ٢٧٥

اليهود ١٠٦ - ١٠٧ - ١٢٣

يوحنا (البطريرق) ٢٢٧

يوسف بن عبد البر التمرى ٢٩

أسماء البلدان والمواضع وغيرها

	(أ)
٢٦٢ - ٢٦٢ - ٢٦٤ - ٢٦٦ - ٢٦٨ - ٢٧٨	الابرة (وادي) ٢٥٥
٢٨٢ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٧ - ٢٨٩	ابو صير ١٥٠
أسوان ١٣٠	اللاجر ١٦
آسيا ١١١	اجطية ٦٤ - ١٢٧ - ٢١٩ - ٢٨٨
آسيا الصغرى ١٦٣ - ٢٠٩	آراجون ٢٥٥
اشبيلية ٢٥٦	الأربس ٣٢٥ - ٣٧٢ - ٣٨٥
الاشراف (وقعة) ٢٩٠ - ٢٠٩	الأرومن ٢٩٣
الاشراف (غزوة) ٢٩١	ارشجول ٩٤
اشب	ارواد ١٤٦
اصبهان (واصفهان) ٦٧	الزموور ٧١
الأصنام ٢٦ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩	اسبانيا ١٠٧ - ١٠٩ - ١٢٠ - ٢٧٢
٢٤٥	الاستبصار (صاحب كتاب) ٢٤ - ٢٥
اصيلا	٤٤ - ٤٥ - ٤٩ - ٥٣ - ٧١ - ١٠٧
اطرابلس ٢٢٠	١١٠
اطلس العليا ١٠٠	الاسكندرية ١٨ - ٥٤ - ٦٤ - ٦٥ - ٧٢
اطلس الكبرى	١٢٤ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٧
اطلس الوسطى ١٠٠ - ٢٠٠	١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٥ - ١٦٠ - ١٦٣
الغدير ١٠٠	١٦٩ - ١٧٢ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣٦ - ٢٤٤
العمان ١١٣ - ٢٠١	الاسلام ١٦ - ١٧ - ٣٤ - ٤٣ - ٤٧ - ٥٢
العمان حيلة ٢٣١	٧٨ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٠ - ١١٤
الخرقة ١٨ - ١٩ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٥ - ٢٦	١١٥ - ١١٦ - ١٤٢ - ١٤٦ - ١٧٤
٢٨ - ٣٠ - ٣٥ - ٤٩ - ٥٥ - ٥٦	١٧٥ - ١٧٦ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٣
٦٥ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧١ - ٧٢	١٨٤ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٤ - ٢٠٢
٨٣ - ٩٣ - ١٠٠ - ١٠٦ - ١٠٩	٢٢٥ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٤٣ - ٢٤٤
	٢٤٥ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٣٥٤ - ٣٦١

الاقليم الجنوبي الصحراوي ١٢١	١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦
الاستين (انظر اعشكين) ١٢٠	١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١
اقليبية ١٥٩	١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦
الاقليم الصحراوي ٧٣ - ٧٨	١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١
اقليم النل ١٠٢	١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦
املس ٢١٢	١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١
الانطلس ١٦ - ١٩ - ٢٢ - ٢٧ - ٣٣ - ٣٤	١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦
٢٥ - ٤٥ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٦٣	١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١
٨٩ - ٩٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٦٢ - ١٦٨	١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦
١٨٩ - ١٩٤ - ٢٠٦ - ٢١٢ - ٢٢٢ - ٢٢٩	١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١
٢٤٦ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٦	١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦
٢٥٣ - ٢٥٥ - ٢٦٠ - ٢٦٤ - ٢٧١ - ٢٧٦	١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١
٢٧٣ - ٢٨٢ - ٢٨٦ - ٢٨٨ - ٢٩٢ - ٢٩٣	١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦
٢٩٣ - ٣٠٠ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣٢٤ - ٣٢٥	١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١
٣٢٩ - ٣٣١ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨	١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦
انطلس (بركة) ٦٢ - ٦٦ - ٦٨ - ١٢١	١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١
اوجلة ١٠٨	٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦
مدينة اولية ٢٨١	٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١
اونغست ٢٨٢	٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦
اوراس (انظر جبل اوراس) ٩٤ - ١٠٧	٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١
اوربا ٢٥٠	٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦
ايرية (شبه جزيرة) ٢٥٠	٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١
ايجيتي ١٠٤	٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦
ايطاليا ٥٣	٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١
ايلة ١٣٠	٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦
(ب)	٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١
باب ابي الربيع ٣٥٦ - ٣٨٣ - ٣٨٧ - ٣٩٢	٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦
باب سالم ٢١٠ - ٢٨٢	٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١
	٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦
	٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١
	٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦
	٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١
	٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦
	٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١
	٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦
	٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١
	٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦
	٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١
	٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦
	٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١
	٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦
	٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١
	٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦
	٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١
	٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦
	٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١
	٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦
	٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١
	٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦
	٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١
	٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦
	٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١
	٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦
	٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١
	٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦
	٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١
	٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦
	٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١
	٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦
	٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١
	٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦
	٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١
	٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦
	٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١
	٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦
	٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١
	٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦
	٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١
	٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦
	٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١
	٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦
	٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١
	٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦
	٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١
	٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦
	٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١
	٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦
	٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١
	٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦
	٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١
	٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦
	٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١
	٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦
	٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١
	٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦
	٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١
	٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦
	٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١
	٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦
	٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١
	٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦
	٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١
	٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦
	٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١
	٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦
	٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١
	٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦
	٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١
	٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦
	٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١
	٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦
	٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١
	٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦
	٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١
	٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦
	٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١
	٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦
	٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١
	٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦
	٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١
	٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦
	٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١
	٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦
	٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١
	٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦
	٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١
	٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦
	٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١
	٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦
	٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١
	٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦
	٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١
	٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦
	٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١
	٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦
	٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١
	٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦
	٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١
	٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦
	٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١
	٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦
	٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١
	٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦
	٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١
	٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦
	٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١
	٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦
	٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١
	٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦
	٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١
	٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦
	٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١
	٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦
	٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١
	٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦
	٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١
	٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦
	٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١
	٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦
	٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١
	٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦
	٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١
	٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦
	٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١
	٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦
	٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١
	٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦
	٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١
	٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦
	٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١
	٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦
	٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١
	٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦
	٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١
	٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦
	٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١
	٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦
	٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١
	٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦
	٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١
	٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦
	٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١
	٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦
	٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١
	٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦
	٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١

افريقية الرومانية ٦٨

افريقيا الشمالية ٦٨ - ٧٨ - ٨٥

اقاليم افريقية الشمالية العربية ٧٠

افريقية البيزنطية ١٣٠

افريكا ٦٨

الاقليم البحري ٧٣

٢١٢ - ٢١٤ - ٢١٩ - ٢٢٣ - ٢٢٧
 ٢٢٣ - ٢٢٦ - ٢٤٠ - ٢٤٤ - ٢٢٨
 ٢٤٢ - ٢٧٤ - ٢٧٦ - ٢٨٦ - ٢٨٧
 ٢٨٨

برقة الحمراء ٦٥

بسكرة ٧٥ - ٧٧ - ٩٧ - ٢٠٤

البصرة ٤٣ - ١٨٤ - ١٨٦

البصرة (بصرة المقرب الأصغر) ٣٠ - ١٦٥

٢٣٩ - ٢٥٨ - ٢٦٦

بغداد ١٨٧ - ٢٤٦ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٩٦

بقلوة (وقعة) ٢٩٨ - ٣٠٩

البلاء (وادي) ٢١٨

بلاد الأندلس ٢٥٦

بلاد البرابر ٦٧

بلاد التل ٧٥

بلاد النمر (جزائر النمر) ٧٥

البلاد التونسية ٩٣ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٨١

بلاد الجريد ٧٥ - ٧٧ - ٩٤ - ١٥٩ - ١٨١

١٩٥ - ١٩٦ - ٢٢٤ - ٢٢٤

بلاد الجزائر ٦٨ - ١٠٣ - ١١٩

بلاد الجزائر الوسطى ٩٣

بلاد دكالة ٢٠٢

بلاد درعة ٢٤٨

بلاد الروم ٢٣٤ - ٢٧٦

بلاد الربف ٧٠ - ١٠٠

بلاد الزاب ٩٧ - ١٩٦ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤

٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٧٣

بلاد الطوارق ١١٢

باب (حصن) سعادون

بابليون (حصن بابليون) ١٢٦ - ١٢٧

١٧٢ - ١٢٨

باجه ٢١٦ - ٢٠٥ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢٥٣

٢٧١ - ٢٧٤ - ٢٨١

(أنظر جبال باجة ٢٧١)

بلدس ٢٠٤

بادي ٢٢٩

بانسو (جزيرة)

باغاية ٢٢٠

باغاية (حصن) ٢١٨

بغاية ٥٠ - ٧٥ - ٩٦ - ١٢٢ - ١٩٥

١٩٦

بحر الروم ٧٢ - ٧١

بحر الزقاق ٧٢ - ٢٤٨

البحر المتوسط ٥٣ - ٧٠ - ٩٧ - ١١١

البحر المحيط ٦٩ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٧

٩٥ - ١٠٠ - ١١٢ - ٢٠١

المحيط الأطلسي

نهر بجرده (مجرده) ٧٢

بحيرة تونس ٢٢٣

بلد (غزوة) ٢٠٩

برغوة ٢٨٨

برقة ٦١ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧

٦٨ - ٦٩ - ٧٣ - ٧٧ - ٩٣ - ١٠١

١٠٥ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣

١٢٥ - ١٣١ - ١٣٧ - ١٥٠ - ١٥١

١٧٠٠ - ١٧٣٠ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨

٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١١ - ٢١٢

(ت)

تادلا ٢٠٠	بلاد صنهاجة ٢٠٠
تارودنت ٧٥ - ١٠٠	بلاد غمارة ٧٠
تازا ٦٩ - ٧١ - ٧٣ - ٩٤ - ٩٥ - ١٠٠	بلاد قران ١٨٠
تجر ٢٠٢	بلاد فسطاطية ١٨٢ - ٢٢٤
تجر ١٧	بلاد القيروان ٧٠ - ٢٢٥ - ٢٨٦
تلمسان ٢٠٠ - ٢٨٦ - ٢٤٦	بلاد (أرض) كرامة ٢٥٠
تاهرت (تيهرت) ٢٠ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٤٠ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٨ - ٥٦ - ٧٣	بلاد كنعان ٨٣ - ٨٥
٩٤ - ١٩٧ - ٢٩٠ - ٣٤٢	البلاد الليبية ٦١ - ١٤٢
٢٤٦ - ٣٥١ - ٣٧٤ - ٣٨٩	البلاد المراكشية ٧٠
تاورغا (تاورغة - تاورغى) ٢١٩ - ٢٤٥	بلاد مصوغة (أو الصاعدة) ٢٤٢ - ٢٤٤
تجسا ١٢٢	بلاد القرب ٥٥ - ٦٨ - ٧٢ - ٨٧ - ٩١
ترشيش ٢٢٢ - ٢٢٣	١٠١ - ١٢٩ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٦
التركستان ١٤٦	٢٠٦ - ٢٥٦ - ٢٦٦ - ٢٨٢ - ٣١٠
تغلت وتغلت ٧٣ - ٧٤ - ١٠٤ - ٢٠٠	٣١٤ - ٣٢٩ - ٣٩٣
٢٤٨	بلاد مكناسة ٧١ - ٣٢٩
تلمسان ٢٢ - ٦٩ - ٧٥ - ٨٦ - ٩٤ - ٩٥	بلاد خزاعة ٢٢٤ - ٣٣٤
٩٧ - ١٩٥ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٩٠	بلاد التوية (الأساود) ١٦٢
٢٩٢ - ٣٢٥ - ٣٤٩ - ٣٥١	بلاد هسكورة ٢٠٢
توجداد ١٢٢	بلاد وأرض حوارة ١٧٩
تمنطيت (تمنطيت) ٩٥	بنزرت ١٧٨ - ٢١٦ - ٣٣٥
تمس ١١٢ - ١٢٢	بنطابلس ٦٣ - ٦٨ - ١٣١
توتة ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢١٣ - ٢٩١	البيهسة ١٨ - ١٣٥
توات ٧٤ - ٩٥ - ١١٢	بوزنطيا (بيزنطة) ١٦٥ - ٣٩٠
تونس ٣٠ - ٣٢ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٧ - ٦٥	بوتة (انظر عنابة) ٨٣ - ١٢٠ - ٢١٦
٦٧ - ٧٢ - ٧٥ - ١١١ - ١٢٢ - ١٥٩	بيت القيس ٣٥٨
١٨٤ - ١٩٠ - ٢١٦ - ٢٣٧ - ٢٣١	بحر الصلاة ٣٥٥
٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٧	بئر الكرامة ٢٢٦

جبال كتاعة ٣٦١ - ٣٦٣
 جبل مطاطة ٩٤
 جبال الصاعقة ٩٨
 جبل نفوسة ٦٦ - ٦٧ - ٩٣ - ١٠٠ - ١١١
 ١١٤ - ١٤١ - ١٤٢ - ٣٦٠
 جبل ونشريس ٧١
 جراوة (مدينة) ٧١
 جربة (جزيرة) ١١١ - ١٧٣
 الجرف ١٤٩
 جربة ١٨٠
 الجزائر ٤٠ - ٥٥ - ٦١ - ٦٧ - ٧٠ - ٧٤
 ٧٥ - ٩٥ - ٩٦ - ١٠٠ - ١٠١ - ١١١
 ١١٢ - ١١٤ - ١٢٢ - ٢١٦ - ٢٥٠ - ٣٦١
 جزائر بني مزغنة ٦٨
 جزر (جزائر البحر) ١١٠ - ٢٠٩ - ٢١٦ - ٢٢٢ - ٣٩٠
 جزيرة العرب ٧٨ - ١٢٩
 الجزيرة (جزيرة شريك - يثو) ١٥٩ - ٣٢٤ - ١٩٠
 الجزيرة الخضراء ٢٨٦ - ٣١٣
 جزيرة طريف (طريف) ٢٨٦
 جزيرة قوسرة ١٥٩
 جزيرة مينورقة ٢٤٦ - ٢٤٨
 جزيرة ميورقة ١١٦ - ٢٤٦ - ٢٤٨
 جلولا ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ٣٠٨ - ٣٣٦
 الجم (حصن) ١٥٩ - ١٨٤ - ٢٢٥
 انظر الأجم

٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٦٩ - ٢٧٢ - ٢٧٩
 ٢٨٠ - ٣٠٤ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥
 ٣٢٢ - ٣٣٤ - ٣٢٥ - ٣٤٩ - ٣٥٠
 ٣٥٩ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٩ - ٣٨٠
 ٣٨١ - ٣٨٣ - ٣٨٥ - ٣٩١ - ٣٩٢
 ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥

تيس ٢٢٢

وانظر تونس

(ج)

جبال وجبل

جبال (وجبل) اطلس ٦٦ - ٧٠

اطلس العليا ٢٠٠

جبال اوراس ٩٣ - ٩٤ - ٩٨ - ١١٤ - ١١٥
 ١٢٢ - ١٩٥ - ٢٠٦ - ٢١٧ - ٢١٨
 ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢١٧ - ٣٢٩

جبال باجة ٣٠٥

جبال البربر (اوراس) ٣١٧

جبل برقة ٦٥ - ١٠٠ - ١٠٣ - ٢١٢

(الجبل الأخضر) ١٠٠

جبال تونس الغربية ١٠٣

جبال قسن ٦٦ - ٧٠ - ٩٧ - ١١٣ - ١١٤
 جبال دن الشرقية (الأطلس الوسطى) ٩٦ - ١٠٠ - ٩٧

جبال اطلس العليا ٩٧ - ١٠٠ - ١٠٧ - ١١٢

جبل راشد ٧٥ - ٩٤

جبال الريف ٩٧ - ١١٤

انظر جبال عمارة

جبل عين مديونة ٩٤

درنة ١٢١ - ٢١٢ - ٢١٣	الجمعة (نهر) ٢٠٢
دغوغا ٢٢٢	جنيسة ٩٧
(انظر دغوغا)	الجيزة ١٨٧ - ٢٤٤
دكرور ١٩٠ - ١٩٣	جبل (جبل) ٢٥٩
(انظر تكرور)	(ح)
دمشق ٣٣ - ٦١ - ١٨٩ - ١٩١ - ٢٠٨ -	جبل (قلعة) ٣٦١
٢١٢ - ٢٢٥ - ٢٤٠ - ٢٥٣ - ٢٦٣ -	العبيل ٣٣٨
٢٧٣ - ٢٧٧ - ٢٨٧ - ٢٩٣ - ٣٠٠ -	الحجاز ١٣٧ - ١٤٥ - ١٧٠ - ٢٨٥ - ٢٨٣
٣١٠ - ٣٢٤ -	العروب البونية ٨٣
دمقات ١٠٧	الحرّة (وقعة) ٢٨٥
(د)	الحمامة (حساب) ٧٤
ذات الحمام (الحمام) ١٦٠	الحمامة الكبيرة ٧٤
ذو السوارى (والسوارى) ١٤٦ - ١٦٢ -	حصن ٢٩٣ - ٢٨٥
١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٧ - ١٦٨ -	(خ)
(د)	خاوار ١٨٠
رادس ٢٣٣ - ٢٤٦	خراسان ٦١ - ٢٦٣ - ٢٨٥ - ٣٤٤ - ٣٥٨ -
رادس (مرسى) ٢٣٣	٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٦ - ٢٩١ - ٢٩٣ -
الرباط (رباط الفتح) ٧١ - ٩٨ - ٢٤٩ -	الخليج الفارسي ٢٨٥
رودس ١٤٦	(د)
روما ٣٠ - ٥٢ - ٥٣ - ٧٨ - ٧٦ - ١٠٩ -	دار الاطيرة ١٨٦ - ١٨٧ - ٢٧٨ - ٢٨٠ -
١١١ - ١١٧ - ١٢٥ -	٢٨٢ - ٢٨٤ - ٢٩٢ -
الريف ١٠٣ - ١١٢	دار الصناعة ٢٢٣ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٨٠ -
وانظر عمارة وجبال عمارة	دبلو ١٠٧
ريو دي اورو ١٠٥	درعة ٢٠٠ - ٢٤١
(ز)	درب ٧١
الزاب (إقليم وارض) ٧٥ - ٩٤ - ١٩٥ -	
٢٤٨ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٤ - ٣٥٨ -	

سرت ٦٤ - ١٠٦ - ١٣٧ - ١٧٩ - ١٨١ - ١٨١
 ٢٢٢ - ٢٢٦ - ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٢٥٩ - ٢٥٩
 ٢٩٢
 سرفانية ٢٤٦ - ٢٤٨ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٥ - ٢٧٥
 ٢٧٧ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨١
 سرقسطة ٢٦٢
 سرقوسة ٢٤٦ - ٢٧٦
 سيف ٧٣ - ١٢٢
 سفاقص ١٧١ - ٢٢٥ - ٢٦٧
 سلا ٧١ - ٢٤٨ - ٢٤٩
 سلقطة ٢٢٥
 السلوم ١٢١
 سفانم ٧١
 السنغال ٦١ - ٢٤٩
 سواره ١١٢
 السودان (بلاد) ٥٣ - ٥٤ - ٦١ - ٦٦ - ٦٦
 ٧٤ - ٧٥ - ٨٥ - ٩٨ - ١٠٤ - ١٠٧ - ١٠٧
 ١٠٨ - ١١٠ - ١٧٧ - ١٨٠ - ٢٤٩ - ٢٤٩
 السوس ٧٠ - ٧٢ - ١١٢ - ٢٠٠
 السوس الأدنى ٧٠ - ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٨١ - ٢٨١
 ٢٨٩
 السوس الأعلى ٧٠ - ٧٢ - ٧٥ - ١٠٠ - ١٠٠
 ١١٢ - ١٩٣ - ٢٤٣ - ٢٨٢
 سوس طنجة (أنظر السوس الأدنى) ١٩٥ - ١٩٥
 ٢٠٠ - ٢٨٨
 سوسة ١٢١ - ١٥٩ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٣
 ١٧٤ - ١٧٨ - ١٩٥ - ٢٢٥ - ٢٤٦ - ٢٤٦
 ٢١٧ - ٢٩٠
 سوق القيروان ٢٨٧

٢٧٢ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٨١ - ٢٨٥ - ٢٨٥
 ٢٨٦ - ٢٩٠ - ٢٩٣ - ٢٩٣
 زغوان (قلعة) ٢٤٢ - ٢٤٢
 الزقاق ١٩٩
 بحر الزقاق
 زوارة ١٦٣
 أنظر زوارة
 زويلة ٦٦ - ٧٣ - ٩٣ - ١٠٨ - ١٢٣ - ١٢٦ - ١٢٦
 ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨١ - ٢٤٧ - ٢٤٧
 نهر (نهر) ٧١
 الزيتون (موضع) ٢٨٠
 (س)
 ساحل الجزائر ١٩٩
 سالونيك ١٢٤
 السبقة ٢٢٢
 سبقة تونس ٢٨٠
 سبقة الريانة ٢٢٢
 سبية ٢٩٤
 سبتة ٣٠ - ١٢٢ - ٢٤٥ - ٢٤٨ - ٢٩٩ - ٢٩٩
 ٢١٣ - ٢٢٩
 سبطة ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٨
 ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٧٠ - ١٧٢ - ١٧٢
 ١٧٣ - ١٨٤ - ٢١٤
 سجلماسة ٣٠ - ٢٩ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٤ - ٥٤
 ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٩٥ - ١٠٤ - ١٠٨ - ١٠٨
 ١٠٩ - ٢٠٠ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٢٤٥
 سجلماسة (نهر) ٧١
 سجوما (سجوما) ٢٤٢

القرب ٦١ - ٧٢ - ١٣١ - ١٣٧ - ١٥٠ -
١٦٢ - ١٦٤ - ١٨٤ - ١٩٧ - ٢٠٠ -
٢٢٦
غزاة ٢٢
عمارة ٢٨٨

(ف)

فارس ٩٤ - ١٢٩ - ١٤٦ - ١٧١
فاس ٢٢ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٧٣ - ٧٥ -
٩٤ - ٩٥ - ٩٧ - ١١٣ - ٢٠٠ - ٢٤٨
٢٩٥
فحص أبي صالح ٢٢٢
فحص تونس ١٩٠

فزان ٦١ - ٦٣ - ٦٦ - ٦٧ - ٧٣ - ٧٧ -
١١٤ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٣ - ١٤١ -
١٤٢ - ١٨٠ - ١٨٣

الفسطاط ١٩ - ٢٠ - ١٣٦ - ١٤٥ - ١٤٧ -
١٤٩ - ١٥٠ - ١٨٢ - ١٨٤ - ١٨٦ -
١٨٧ - ٢٢٦ - ٢٥٢ - ٢٤٤ - ٢٧٦

فلسطين ٨١ - ١٠٧ - ٢٥٢ - ٢٥٢ - ٢٩٢ -
اليوم ١٨ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٧٦

(ق)

قابس ٩٣ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٧٨ - ٢١٩ -
٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ -
٢١٢ - ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢٧ - ٢٢٩ -
٢٤٥ - ٢٤٩ - ٢٥٢ - ٢٦١ - ٢٨٤ -
٢٨٨

القادسية (موقعة) ١٥٤ - ١٦٦

القاهرة ٢٢ - ٤٦

القبائل الصغرى ٩٦ - ١٠٠

٢٥٢ - ٢٥٢ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٣ -
٢٧٢ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٨١ - ٢٨٢ -
٢٨٤ - ٢٨٦ - ٢٨٨ - ٢٩٠ - ٢٩٢

طرابلس الغرب ٥٦ - ٧٥

طرابلس (إقليم) ١١١

طساس ٢٨٢ - ٢٩٤

طيطلة ١٠٧

طنجة ٢٢٢

طنجة ٦٨ - ٧٢ - ١٥٢ - ١٩٧ - ١٩٩ -
٢٠٠ - ٢٠٢ - ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٨ -
٢٤٩ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٦ - ٢٧٠ -
٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ -
٢٩١ - ٢٩٥ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠٢ -
٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٩ - ٣٤٠ - ٣٤٩

(ع)

العبدلة (غزوة) ١٤٩

العباسية ٢٨٢

العراق ٢٤ - ٦١ - ٦٢ - ١٦٥ - ١٨٤ -
٢٠٨ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٣٣٤ - ٣٥٨ -
٣٧٥

العريش ١٣٠

عسقلان ١٦٥

العقبة الصغرى ٦٤ - ٦٥

العقبة الكبرى ٦٤

عقوبة ١٥٣ - ١٥٦ - ١٥٨

(غ)

غانة ٩٨

غامس ١٠٨ - ١٧٧

١٧٢ - ١٧٨ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٧
 ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥
 ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧
 ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١٢ - ٢١٤
 ٢١٦ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩
 ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٤٠ - ٢٤١
 ٢٤٥ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥٢
 ٢٥٣ - ٢٥٦ - ٢٥٩ - ٢٧٢ - ٢٧٤
 ٢٧٧ - ٢٨٢ - ٢٨٧ - ٢٩٢ - ٢٩٤
 ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢
 ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٨
 ٣٠٩ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧
 ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٤ - ٣٢٥
 ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨
 ٣٢٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣
 ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩
 ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤
 ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩
 ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤
 ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١
 ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٥ - ٣٧٧ - ٣٧٨
 ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤
 ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩
 ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥

بصرية ١٢٢

(ك)

كورسيكا ٢٧١ - ٢٧٢

الكوفة ٤٢ - ١٨٤ - ١٨٦ - ٢٥٨

(ل)

لبلة ٩٣ - ١٣٧

لثلاث نظر أوجيبانوس

لثبونة ٨٠

لنونة ٢٨٢

القبائل الكبرى ٩٦ - ١٠٠

كيرص ١٤٦

القرآن ٢٦٦

قرطاجنة ٣٠ - ٥٢ - ٦٨ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٥

١٠٩ - ١١٨ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٥

١٣٠ - ١٤٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٦٧

١٩٠ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨

٢٢٩ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٥٠

قرطاجنة الجديدة ١٨٤

قرطبة ٣٠ - ٥٢ - ٨٠

القرن ٢٦ - ٣٠٥ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣٤٥

القرن (جيل) ١٧١ - ١٨٢

(انظر مطور)

انقسطنطينية ٢٣ - ٧٩ - ٩٦ - ١٢٠ - ١٢٢

١٢٣ - ١٢٤ - ١٧٠ - ٢٠٨ - ٢٥٦

قسطنطية (بلاد الجريد) ٧٥ - ٧٧ - ١٨٢

١٨٣ - ٢٢٤ - ٢٧٨

قسطنطية ٩٣ - ١٠٠ - ١١٤

نصر الماء ٢٥٢

نصور حسان ٦٥ - ٩٢ - ٢١٩ - ٢٤٢

قصة ٧٥ - ١٥٩ - ١٨٢ - ١٨٣ - ٢٢٤

٢٧٨ - ٢٢٤

انقلعة ٥٠

قلعة بنر ٢٤٥

قلعة بني حماد ٩٦

قنوبية ١٥٣ - ١٧٠ - ٢٠٩

انظر قونية

قنبرين ٢٩٢

القروان ٢٣ - ٢٦ - ٢٧ - ٤٨ - ٥٤ - ٥٥

٧٣ - ٧٤ - ١٤١ - ١٥٨ - ١٧١

صراثة ٦٥
 مصوفة ٢٨٢
 المسيلة ٩٦
 المشرق ١٧ - ٢١ - ٢٧ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٩
 - ٤٠ - ٤٤ - ٤٩ - ٥١ - ٦١ - ٦٢
 - ٦٥ - ٦٥ - ١٠٥ - ١٠٩ - ١٦٤ - ١٦٥
 - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٤ - ١٩٧ - ٢٠٦
 - ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢٣٥
 - ٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١
 - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٤ - ٢٦٧ - ٢٧١
 - ٢٧٧ - ٢٨٣ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٩٦
 - ٢٩٧ - ٣١٠ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦
 - ٣٢٧ - ٣٤٠ - ٣٤٣ - ٣٥١ - ٣٥٩
 - ٣٦٨ - ٣٧٢ - ٣٧٨ - ٣٨٢ - ٣٨٤
 ٣٨٨

المشرق الاسلامي ٥٧

المشرق العربي ١١١ - ١٦٨

المشرق الفارسي ٦٢

عصر ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣
 - ٢٢ - ٤٠ - ٥٠ - ٥٣ - ٦١ - ٦٢
 - ٦٢ - ٦٤ - ٦٥ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٨
 - ٨٢ - ٨٨ - ٩٣ - ١٠١ - ١٠٥ - ١٠٨
 - ١١١ - ١١٧ - ١١٨ - ١٢٤ - ١٢٥
 - ١٢٩ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٥ - ١٣٧
 - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٩ - ١٥٠
 - ١٥١ - ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢
 - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٩ - ١٧٠
 - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨
 - ١٨٢ - ١٨٤ - ١٨٨ - ١٩٠ - ١٩٢
 - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١٥ - ٢٢٢
 - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤٦
 - ٢٦٣ - ٢٧٠ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٩٣
 - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٣٠٩ - ٣٢٦
 - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٣٣ - ٣٥٨ - ٣٧٢
 ٣٧٤ - ٣٧٦ - ٣٨٩

المطبق (سجن) ٣٩٥

لغة انظر ارض لغة ١١٦
 لوية (ليبيا) ٦٤ - ١٣٥ - ٢٠٧ - ٢١٩
 ليبيا ١١١ - ١٣٠
 وانظر لوية ١٣٥

(م)

ما وراء النهر ٢٥٤

مجانة (مدينة) ٣٠٥

المحيط الاطلسي ٧٢

المدينة ٥٣ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٨
 - ١٧٠ - ٢٥٣ - ٢٨٥ - ٢٩١ - ٢٩٢
 ٢٨٣ - ٢٩٤

المذهب الفارسي ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦

المذهب المالكي ٣٦٨

مراقية ٢٠٧ - ٢١٩

مراكش ٦١ - ٦٩ - ٧١ - ٨٠ - ٩٧ - ١٠١
 - ١٠٣ - ١٠٥ - ١٢٢ - ١٢٤ - ٢٠١
 ٢٠٢

مرسى مطروح ٦٤ - ١٣١ - ١٦٠

مرعاجنة ١٥٩

المرية ٨٠

مسجد ابي شهر ٢٧٨

مسجد الامير ٢٧٨

المسجد الجامع ١٨٦ - ١٨٧ - ٢٨٠ - ٣٠١
 ٢٢٩ - ٢٧٦ - ٢٩٣

مسجد الزيتونة ٢٨٠

مسجد القيروان ١٨٦ - ٢٢٩ - ٣٦٥ - ٣٧٧

مسجد وليل

٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦
 ٩٧ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٣ - ١٠٧
 ١١٢ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢١ - ١٢٧
 ٢٠٠ - ٢٠٣ - ٢٠٦ - ٢٣١ - ٢٤٠
 ٢٤١ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٨١ - ٢٨٤
 ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٣١ - ٢٤٠ - ٢٤٦

٢٧٣

المغرب الأندلسي ٦٣

المغرب الأوسط ٥٦ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣
 ٩٤ - ٩٥ - ١٠٠ - ١٢٠ - ١٢٢
 ١٩٤ - ١٩٥ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤
 ٢٠٦ - ٢٣١ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢
 ٢٤٤ - ٢٤٩ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٦

٣٥١ - ٣٧٣

المغربان ٦٩

المغرب العربي ١٨ - ٢١ - ٦٣ - ١٠٥ - ١١١

١١٦

مغصلاس ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ٢٤٣

مضيلة ٩٤

المقازة ١٨١

مقبرة التسهلاء ٢٠٢

مكناسة (مدينة) ٢٤٨ - ٢٨٨

مكة ٥٣

مليانة ٧١

موس ٢٠٩ - ٢١٠

الملكة الساسانية ١٢٩

الملكة الطرابلية ٥٧

المنستير ١٩٥ - ٢٩٠

النصورية ٤٧

منية العجب ٢٦٦ - ٢٨٣ - ٢٩٢ - ٢٩٤

المغرب ١٦ - ١٧ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢

٢٣ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩

٣٠ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦

٣٧ - ٤٠ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥

٤٨ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤

٥٥ - ٥٦ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٧

٦٨ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٥ - ٧٧ - ٧٨

٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٦

٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٦ - ٩٩

١٠٠ - ١٠١ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧

١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٦

١١٣ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٢١

١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٩ - ١٣١

١٣٠ - ١٣٣ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٩ - ١٤١

١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٥٢ - ١٥٦

١٥٧ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧

١٦٧ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٨ - ١٨٣ - ١٨٤

١٨٤ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩١ - ١٩٢

١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٦ - ٢٠٠ - ٢٠٢ - ٢٠٣

٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٨ - ٢١١ - ٢١٣ - ٢١٤

٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٧ - ٢١٩ - ٢٢٢ - ٢٢٣

٢٢٣ - ٢٢٦ - ٢٢٨ - ٢٣٠ - ٢٣٤ - ٢٣٥

٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤٣ - ٢٤٤

٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٨ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٦

٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦

٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٧

٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣

٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٩ - ٢٩٢ - ٢٩٣

٢٩٣ - ٢٩٤ - ٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤

٣١٢ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢٣ - ٣٢٤

٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣

٣٤٠ - ٣٤٣ - ٣٤٦ - ٣٥١ - ٣٥٨ - ٣٥٩

٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧١ - ٣٧٧ - ٣٨١ - ٣٨٢

٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧

المغرب الأدنى ٦٩

المغرب الإفريقي ٦٣

المغرب الأقصى ٢٣ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٦ - ٢٩

واحات مصر ٦٤ - ٧٥ - ١٠١	مورطانية ١٢٠
وادي (او نهر) ابي كريب ٢٢٨	ميلة ١٩١ - ٢٨٥
وادي ام الربيع ٧١ - ٩٨ - ١٠٢ - ٢٠٢	ندرومة ٩٥
وادي ايكون (ايكون) ٧٤	(ن)
وادي بورجرج (ابو الرقراق) ٧١	نفزة
وادي تنسيفت ٧١ - ٩٨ - ٢٠٢	نقراوة ٧٤ - ٧٥ - ٧٧
وادي جبر ٧٤	نقطة ٧٥
وادي درعة ٧٢ - ٧٥ - ١٠٤ - ٢٠٠ - ٢٤٢	نقوسة (جبل) ٣٩ - ٤١ - ٤٢
وادي ريغ ٧٥ - ١١٢	نقيس (انظر جبل نقيس) ٢٢١
وادي الساورة ٧٤	نكور ٢٠ - ٢٢٩
وادي سبو (بفسورة) ٢٩٣ - ٢٩٥ - ٣٠٩	النوبة (الاسلود) ١٢٥ - ١٣٦
وادي سوس ٧٠ - ٩٨ - ١١٢	نول (انظر بلاد نول) ٧٢
وادي سوف ٧٥	نوميديا ١١١ - ١٢٠
وادي شلف ٧١ - ٩٤ - ١٩٣ - ٢٩٠ - ٢٩٢	التيجر (بلد) ٦١
٢٩٤ - ٢٩٥ - ٣٠٩	التيجر (نهر) ١٠٤
وادي الطاري ٢١٨ - ٢١٩	نيسابور ٨٠
وادي العرب ٩٨	(ه)
نهر ملوية ٧١ - ٢١٠	الهكار (الهجار والحجار) ١٠٤ - ١١٢
وادي ملوية ٦٩ - ٩٥ - ١٠٢ - ٢٤٢	(و)
وادي نقيس ٢٠١ - ٢٠٢	الواحات ٥٣ - ٧٢ - ٧٤ - ١٠٠ - ١٠١ -
وادي النيل ٨٥ - ١٢٢ - ٢٤٤	١٠٢ - ١٠٤ - ١٠٨ - ١٣٥ - ١٧٨ -
وارجلا (ورجلة ورقلة وارجلا وارجلا وارجل)	١٨١
٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٩٢ - ١١٢	واحات برقة ٧٧
وجلة ٩٤ - ٩٥	واحات سيوه ١٠١
ودان ٦٥ - ٦٦ - ٧٧ - ١١٣ - ١١٤ - ١٤٢	واحات صحراوات المغرب الكبرى ٦٤
١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٣ - ٣٤٧	واحات الصحراء ١١٢
ورداسة ٣٤٥	وادي فاس ٧٠

(ج.د.)	٦٨ ذكوان
٥٢ يفرن	٢٠٠ وليل
البرهول (وقعة) ١٦٦	٣٠ وهران
اليمين ٤٣ - ٤٨ - ٧٨ - ٨٢	١٩٣
اليوتقن ٦٤ - ١٠٨	

رقم الايداع ٦٩٧٨/٥٢٥٨
الترقيم الدول ٩ - ٢٠ - ٧٣ - ٩٧٧

<https://albordj.blogspot.com>

02/02

الكتب التاريخية

تاريخ المغرب العربي

تاريخ دول الأغالبة والرستمين وبني مزارو والأدارة
حتى قيام الفاطميين

دكتور
سعد زغلول عبد الحميد



المنشور في
مطبعة دار الفكر
بيروت - لبنان

0,282

١٧٤
٥٤٤
ع ب د
ت
٧٤٤

تاريخ المغرب العربي

الجزء الثاني

تاريخ دول الاغالبة والرسّامين وبني مدرار والادارة
حق قيام الفاطميين

دكتور

سعد غلّول عبد الحميد

أستاذ التاريخ والادارة بجامعة بورتو سايف
أستاذ بكلية الآداب جامعة الكويت



General Organization Of the Alexandria
Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

المعهد القومي لكتابة الاسكندرية
رقم الكتاب: ١٠٩٤٤
رقم التصنيف: ١٠٩٤٤
رقم الإيداع: ١٠٩٤٤

الناشر: دار المعارف

جلال حزي

١٧٤
٥/١١/٥٤
ع ب د
ت
٧٠٤

تاريخ المغرب العربي

الجزء الثاني

تاريخ دول الأغالبة والرسّامين وبنو مذار والادارسة
حتى قيام الفاطميين

دكتور

سعد غلّول عبد الحميد

أستاذ التاريخ والادراس بجامعة الكويت سابقا
أستاذ بكلية الدراسات الجامعية بالكويت



General Organization of the Alexandria
Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

المركز القومي لكتبة الاسكندرية
رقم الكتاب: ١٥٦٤
سنة النشر: ١٩٦٤
رقم التسجيل: ١٥٩٤٤

الناشر: مؤسسة "إفان"

جبلان حوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب
قرآن كريم آية يوسف
١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب
قرآن كريم آية يوسف
١١١

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من كتابنا : « تاريخ المغرب العربي » من الفصح الى قيام الدولة الفاطمية ، وهو يتناول الفترة الخاصة بدول الأغالبة ، والرستميين ، والمدائيين ، والادارسة حتى قيام الدولة الفاطمية ، وعلان خلافة المهدي عبيد الله .

وهنا أود ان أضيف هامشا الى موضوع المصادر . ففي الفترة التي كنا تقدم فيها الكتاب الى المطبعة ، وقعت الدكتوراة نبيلة حسن ، مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، الى كشف هام من مصادر تاريخ الأندلس . فلقد تعرفت على الجزء من كتاب « المقتبس » لاس حيان مما يعالج تاريخ الأندلس من سنة ١٨٠ هـ الى سنة ٢٢٢ هـ ، وذلك بين المخطوطات المصورة بسكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

ولقد اطلعنا على المخطوط النسخ وترودنا منه ببعض النصوص الخاصة بالعلاقة بين دول المغرب (الصوفا) ، في تلك الفترة ، وبين الأندلس . وكنا قد اكتفينا بالإشارة الى بعضها مما يوحد بالفرنسية في كتاب الأستاذ ليفي بروفنسال في « تاريخ أسبانيا الاسلامية » .

ومع تهنتتي للدكتور نبيلة حسن بكشفها الهام ، أوجز ان تتم منه العائدة ، ليتيسر لها اخراج المخطوطة الثمينة محققة مدروسة في وقت قريب . وبهذه المناسبة أحب ان اكرر ما سبق ان سجلته من الشكر في المقدمة (ج ١ ص ١٠ - ١١) لكل من عاونني في اخراج هذا الكتاب ، من : الدكتور نبيلة حسن ، والدكتور محمد عبدالعال احمد ، الى الأستاذين محمد عبد العزيز ويوسف شكري ، وكذلك الناشر السكندري الأستاذ جلال حزي .

والأمل ان يوفقنا الله في اخراج الجزء الثالث من الكتاب ، في : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب : من الأئمة وخلفائهم في المغرب ، الى الهجرة الهلالية - انه نعم المولى ونعم النصير .

سعد زغلول عبد الحميد

الكويت في ١٩٧٩/٣/٨

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من كتابنا « تاريخ المغرب العربي » من الفتح الى قيام الدولة الفاطمية ، وهو يتناول الفترة الخاصة بدول الأغالمة ، والرستميين ، والمدائريين ، والأدارسة حتى قيام الدولة الفاطمية ، وإعلان خلافة المهدي عبيد الله .

وهنا أود أن أضيف هامشاً الى موضوع المصادر . ففي الفترة التي كنا نقدم فيها الكتاب الى المطبعة ، وقت الدكتور نيلة حسن ، مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، الى كشف هام في مصادر تاريخ الأندلس . لقد تعرفت على الجزء من كتاب « المقنيس » لابن حيان مما يعالج تاريخ الأندلس من سنة ١٨٠ هـ الى سنة ٢٢٢ هـ ، وذلك بين المخطوطات المصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

ولقد أطلعنا على المخطوط النسخ وترودنا منه ببعض النصوص الخاصة بالعلقة بين دول المغرب (الصوفاة) ، في تلك الفترة ، وبين الأندلس . وكنا قد اكتفينا بالإشارة الى بعضها مما يوحد بالفرنسية في كتاب الأستاذ ليفي برونسال في « تاريخ اسبانيا الاسلامية » .

ومع تهنئتي للدكتور بييلة حسن بكشفها الهام ، أرجو أن تتم منه العائلة ، فيتيسر لها اخراج المخطوطة الثمينة محققة مدروسة في وقت قريب . وبهذه المناسبة أحب أن أكرر ما سبق أن سجلته من الشكر في المقدمة (ج ١ ص ١٠ - ١١) لكل من عاونني في اخراج هذا الكتاب ، من : الدكتور نيلة حسن ، والدكتور محمد عبدالعال أحمد ، الى الأستاذين محمد عبد العزيز ويوسف شكري ، وكذلك الناشر السكندري الأستاذ جلال حزي .

والأمل أن يوفقنا الله في اخراج الجزء الثالث من الكتاب ، في : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب : من الأئمة وخلفائهم في المغرب ، الى الهجرة الهلالية - انه نعم المولى ونعم النصير .

سعد زغلول عبد الحميد

الكويت في ١٩٧٩/٣/٨

محتويات الجزء الثاني

المقدمة

محتويات ص ١

تعداد نثر الى ربع دور ص ٢٣

الفصل الأول

قيام الأغالمة في القيروان . ص ٢٥

ابراهيم بن الأعلب ص ٢٧ - مناسبه (القصر القديم) عاصمة
حديثة لا مرمق ص ٣١

القران ابن الأعلب للامور في الفريقية : بوره حريس الكندي في تونس ،
ص ٣٤ - ثورة الحسد في طرابلس ص ٣٦ - ثورة عمران بن يحيى
الوزير . ص ٣٦

ولاية ابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأعلب . ص ٤٠ - سقوط
تفاهم بين أفراد الأسرة ، ومحاولة اصلاح مالي ، ص ٤١ - معارضة الفقهاء
للاصلاح المالي ، ص ٤١ .

زيادة الله بن ابراهيم بن الأعلب : سياسة قوية . كوامها العنف
والقبوة ، ص ٤٢ - ثورة ابن الصقليه ، وعصيان عمرو القيسي ، ص ٤٤ -
ردود العمل لسياسة العنف بوجه الطنبلي ص ٤٦ - يوم دار الصناعة :
الغدير يحنن القروان في تونس ، ص ٤٧ - بورة منصوره الطنبلي تستشهي ،
ص ٤٩ - « ملوك الطوائف » مافريقية ص ٥٠ - صف من الرجال تزيد
التبدان صلانه زيادة الله بطاير الطندي على أبواب القيروان ، ص ٥٢ -
ما بين الانتص . في القيروان والهرسة في سببه ص ٥٢ - علاقة غريبة

محتويات الجزء الثاني

المقدمة

محتويات ص ١

تعداد حرب الی .بع دور ص ٢٣

الفصل الأول

قيام الأغالمة فی القبروان . ص ٢٥

ابراهيم بن الأغلبي ص ٢٧ - حناسة (القصر القديم) عاصمة

حدوده لامرنا ص ٣١

القران ابن الأغلبي للأمور فی إفريقية : بورة حريس الكندي في تونس ،

ص ٢٥ - ثورة الحسد في طرابلس ص ٢٦ - ثورة عمران بن مجاهد

و الواليز . ص ٣٦

ولاية ابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلبي . ص ٤٠ - سقوط

تفاهم بين أفراد الأسرة ، ومحاولة اصلاح مالي ، ص ٤١ - ممارسة الفقهاء

للاصلاح المالي . ص ٤١ .

زيادة كماله بن ابراهيم بن الأغلبي : سياسة قوية . قوامها : العنف

والقبسوة ، ص ٤٣ - ثورة ابن الصقليه ، وعصيان عمرو القيسي ، ص ٤٤ -

ردود الفعل . لسياسة لعنف بوزة الطنبلي . ص ٤٦ - يوم دار الصناعات :

الغلبه بجند القروان في تونس ، ص ٤٧ - بورة منصوره الطنبلي تستشهي .

ص ٤٩ - ملك الطوائف ، ماقرية ص ٥٠ - صنف من الرجال تزيينه

التبداند صلاحه ريادة الله بطاوع الطنسي على ابو - القبروان ، ص ٥٢ -

ها من الانتص . في القبروان والهرسة في سبينة ص ٥٣ - علاقة غريبة

بخلافة وسط دوامة الاضطراب ، ص ٥٤ - انتقال الصراع الى الجنوب
التونسي ، حيث عامر بن نافع ، ص ٥٥ - ظروف موالية لزيادة الله : الصراع
بين منصور الطنبلي ، وهامر بن نافع في تونس ، ص ٥٦ - عامر يفسد
بمنصور ، ص ٥٧ - نهاية منصور الطنبلي : الحكم عليه بالاعدام ، ص ٥٨ -
نتائج مقتل الطنبلي في صفوف الجند المتمرد ، منافسون جدد لعامر بن نافع ،
ص ٥٩ - تحسن الموقف بالنسبة لزيادة الله : قرار فتح صقلية ، ووفاء
عامر بن نافع ، ص ٦٠ - نهاية الفتنة ، ص ٦٠ - اضطرابات حليفة بين
الجند ، وخاصة في تونس ، ص ٦١ - العفو عن المتمردين ، ص ٦٢ - تقويم
زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلبي : شخصية مزدوجة ، رقة تغلفها الغلظة ،
ص ٦٣ - زيادة الله شاعرا ، ص ٦٤ - ما بين نسقه وورعه ، ص ٦٥ -
أبو محرز قاضيا ، ص ٦٦ - ما بين أبي محرز وأسد بن الفرات ، ص ٦٧ -
أسد بن الفرات ، ص ٦٩ - أحمد بن أبي محرز ، ص ٧٠ - أعمال زيادة الله
العمراوية : رباط سوسة ، ص ٧١ - قنطرة باب أبي الربيع ، ص ٧٢ -
مسجد القيروان الجامع ، ص ٧٣ -

**أبو عقاب الأغلبي بن ابراهيم بن الأغلبي ، المعروف بنزور : الأمن على
عهد الأغلبي ، ص ٧٥ - خزر ، ص ٧٦ - العودة الى ضريبة العشر ، ص ٧٦ -
ضبط الجند والعمال ، ص ٧٧ - منح النبيذ ، ص ٧٧ -**

**أبو العباس محمد بن الأغلبي بن ابراهيم بن الأغلبي : معالم العهد ،
ص ٧٨ - ملك محدود المواهب ، حسن الطالع ، ص ٧٩ - انقلاب يدبره أخوه
أحمد ، ص ٧٩ - استيلاء أحمد بالسلطة ، ص ٨٠ - محمد يستعيد سلطانه ،
ص ٨١ - من نتائج الصراع بين الأخوين : اضطراب بلاد الزاب ، ص ٨٢ -
اضطراب تونس : ثورة القويح ، ص ٨٤ - استكمال العمل في رباط سوسة ،
وبناء « النفاسية » قرب تاهرت ، ص ٨٥ - ازدهار المالكية على أيام محمد
بن الأغلبي ، ص ٨٦ -**

**الإمام سحنون : شبابه وتكوينه العلمي ، ص ٨٦ - سحنون ناسكا ،
على بلحج أهل المدينة ، ص ٨٨ - ولاية سحنون القضاء ، ص ٩٠ - تنظيماته
القضائية : درجات القضاء ، ص ٩٠ - أعوان القاضي ، ص ٩١ - القضاء
والامر بالمعروف ، ص ٩٢ - الحسبة في الأسواق والقضاء على الكلاب الضالة ،
ص ٩٣ - سلطانه في الأندلس ، ص ٩٣ - توسيع نطاق الحسبة ، ص ٩٣ -
الأشراف على الجامع ، ص ٩٣ - مجلس القضاء والاجراءات القضائية ،
ص ٩٤ - العساة في تطبيق القانون ، ص ٩٤ - الأمر يعين قاضيا ثانيا**

١٨ - حنا بن سفيان لوفاة
حنان ، ص ٩٨ .

أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلّب بن إبراهيم بن الأغلّب ،
ص ٩٩ - اضطراب منطقة طرابلس ، ص ١٠٠ - أعمال الأمير الشاب
الدرعة ، ص ١٠٠ - أعمال العمرانية . مواجل الماء ، توسيع جامع القيروان ،
د. جامع سوسة . ص ١٠١ - وفاة محدودة ، ص ١٠٣ .

أبو محمد زيادة الله بن محمد بن الأغلّب بن إبراهيم بن الأغلّب :
شك زرين يحكم بلدة ستة وأحدة . ص ١٠٤ .

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلّب (أبو الفرائيق) ، ص ١٠٤ -
شك في مقتل العسر . مقبل على الحيماء ، حرم بالصعيد ، ص ١٠٥ -
مع مناهج ص ١٠٦ - أعمال عمرانية على أيام أبي الفرائيق ، ص ١٠٧ .
محمد بن سحنون : أهم أعماله ، والحياة الدينية على عهد الأمير أبي الفرائيق ،
ص ١٠٧ - الصراع بين المالكية والحنفية : محنة محمد بن سحنون ، ص
١٠٨ - أفكاره السياسية الدينية ، ص ١٠٩ - موقفه من الأرواح - النزاع
بين السحرية والمدوسية . ص ١٠٩ - الخصومة مع القاضي وصاحب
الصلاة ، ص ١١ - وفاة أبي الفرائيق نهاية تسعة للشعب اللاحق وسط
أقطاب الدين والنسك ، ص ١١٢ .

أبو اسحق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلّب بن إبراهيم بن الأغلّب ،
ولايته ، تنحية أبي عقاب ابن أبي الفرائيق ، ص ١١٣ - عهد الاستبداد
والاصلاح : ذروة العصر الأعلى ، أمير نموذج للملك الأغلبية ، ص ١١٤ -
بناء نقاصة جديدة بقيادة ، ص ١١٦ - الهدم الصقالية في القصر القديم
يختجون على تخيير العاصمة وإبراهيم يرد عليهم بالعنف ، ص ١١٩ -
استخدام الجند من السودان ، ص ١١٩ - متاعب خارجية في طرابلس :
مواجهة غير متوقعة بين الأغلبية والطولونيين . ص ١٢٠ - مسير العباس بن
أحمد بن طولون إلى برقة ، ص ١٢٠ - العباس يتصل بالقبائل في طرابلس
والترقية ، ص ١٢٢ - إبراهيم يبحث قائده ابن قرحب نحو طرابلس ، ص
١٢٣ - اللقاء بين الأغلبية والطولونيين في وادي ورداسة ، ص ١٢٣ -
الطولوسون يدخلون لبدنة ويحاصرون طرابلس ، وقبسام اباضية نفوسه
حدهم ، ص ١٢٣ - انسحاب حير منتظم للقوات الطولونية أمام اباضية ،
ص ١٢٤ - الأموال المصرية تسد فراغا في خزانة إبراهيم ، ص ١٢٥ - المجاعة

والاضطرابات الداخلية . ص ١٢٦ - وزداجة في باجة ، ص ١٢٦ - هواره
(ما بين العسيان والطاعة) ، ص ١٢٧ - لوانة في باجة ، ص ١٢٧ .

الذي لم يمتد خمس سنوات تنتهي باصلاح مالي ، ص ١٢٨ - درهم
الفضة وحده التعامل الصغرى ، وثورة صغار التجار في القيروان . ص ١٢٨ .
استقرار الاصلاح النقدي ، ص ١٢٩ .

تبدل في مزاج ابراهيم بن احمد نحو القسوة العموية ، واثار ذلك على
مجرىات الامور . وتصفية رجال الدولة والمقربين بطريقة سوداوية :
القاضي ، ص ١٢٩ - الكاتب ، ص ١٣٠ - الحاجب ، ص ١٣١ - عامل
الحراج ، ص ١٣١ - الطيب الخطير : خبير السموم ، ص ١٣١ - الفتى
الحاجب ، ص ١٣٢ - فتیان الصقالبة ، وعلم النجوم ، ص ١٣٢ . استخدام
السودان ، ص ١٣٣ - مذبحه غرب بيزنطة - للمسار الأول في نفس الدولة
الاغلبية ، ص ١٣٤ - انتقاص البلاد على ابراهيم بن احمد ، ص ١٣٦ -
الاضطراب يعم كل المملكة ، ص ١٣٦ - مبدأ قرقر تسد - القمل على التفرقة
بين المخالفين ، ص ١٣٧ - ابراهيم يقضى على الثوار واحسنه بعد الآخر .
الجزيرة ، ص ١٣٧ - قمودة ، ص ١٣٨ - تونس ، ص ١٣٨ - تونس مرة
أخرى ، ص ١٣٨ - اتخاذ مدينة تونس مقرا لابراهيم ، ص ١٣٩ - ابراهيم
ابن احمد يشدد قبضته على البلاد : العهد الى ابنائه بولاية الأقاليم ، ص
١٣٩ - هل أدت النقلة الى تونس اغراضها ؟ : العودة الى رقادة ، ص ١٤٠ -
الأحوال ثلثر جالانفجار في اقليم طرابلس والحلوة محتج على سياسة ابراهيم
العتيقة في تونس ، ص ١٤٠ - قبائل بعوسه الاصابية في اقليم طرابلس
تقف ضد ابراهيم ، ص ١٤١ - ابراهيم يسير بعوسه لقتال بعوسه . وقعه
مانو ، ص ١٤١ - قتال عظيم ، وانتقام بروع . ص ١٤٢ - قتل والي طرابلس .
محمد بن زيادة الله ، واشساعة الرعب في الاقليم ، ص ١٤٣ - اضطراب
العسكر . ص ١٤٣ - نوع من الرقابة الشعبية : شيخ صالح يأمر ابراهيم
بالمرووف ، ص ١٤٤ - هل حققت دعوة الشيخ الصالح فرضها ؟ ، ص ١٤٤ -
تحذير جديد من الخلافة : مقدمة للاعتزال . ص ١٤٥ - نجاح أبي عبد الله
الشمسي واعتزال ابراهيم بن احمد ، ص ١٤٦ - نوبة ابراهيم ، ص ١٤٧ -
الاعتزال والمهد لأبي العباس . ص ١٤٨ .

وفاة ابراهيم بن احمد في ايطاليا ، ص ١٤٨ - شخصية ابراهيم
وتقويم عهده ، ص ١٤٨ - ما بين الجائر الظالم والمصلح العادل . ص ١٤٩ -
في أعماله العمرانية : تأمين الطرق وبناء المعارس ، ص ١٤٩ - ما بين الامور

العامة وشؤون الأمير الخاصة ، ص ١٥٠ - مستقبل مصلح : أثر الإصلاحات
المستقبلية ، ص ١٥١ - عنف في مسجبل حبيبة الدولة ، ص ١٥١ - أسرار
التصور ، وأثرها على نفسية الأمير ، ص ١٥٢ - والدته إبراهيم : شخصية
عامة تتبع في ظل الأمير ، ص ١٥٢ - الوالدة تمثل في الشجاعة ، والأمير
ينصف المتهاملين معها ، ص ١٥٢ - دعوة المتظلمين إلى مجلس الأمير ، ص
١٥٢ - مآسي الحرير ومسئولية الوالدة وغيرها من النساء ، ص ١٥٣ - تقييم
أخير حطية عمر ، ص ١٥٤ - تمزق بين الخير والشر ، ص ١٥٥ .

أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأتلب بن إبراهيم
ابن الأتلب : نائب الملك ، الفارس العالم ، ص ١٥٦ - إعادة النظر في أعمال
الوالد الشاك ، ص ١٥٦ - أبو العباس أميراً ، ص ١٥٧ - أبو العباس يتسكك
بذره ، ص ١٥٨ - وشاية بولي العهد : زيادة الله ، تنتهي بحبسه ، ص ١٥٨
- مقتل أبي العباس بأيدي فتيانه ، ص ١٥٩ .

آخر الأتلب ، أبو مضر زيادة الله بن أبي العباس محمد بن إبراهيم
ابن أحمد بن محمد بن الأتلب ابن إبراهيم بن الأتلب : ولاية ثمنها شراء
الفراد ، والفتنة بالأعمام ، وقتل الأخوة والفتيان ، ص ١٦٠ - نتائج فاشلة
لتقدمات تعدية ، ص ١٦٢ - أحكام نظام التولية وترتيب الدواوين ، ص ١٦٢ -
الصراع ضد أبي عبد الله الشيعي : محاولات جادة بدون طائل ، ص ١٦٣ -
التطلع نحو الخلافة شرقاً ، والحسنين في الغرب ، ص ١٦٥ - تصبئة الرأي
المأم في الفريقية ضد الشيعي ، ص ١٦٥ - هدية إلى الخليفة ، ص ١٦٦ -
نقل العاصمة إلى رقادة ، وعبث وقت الجهد ، ص ١٦٧ - الأعداد الجدي لحرب
الداعي ، ص ١٦٨ - موقعة خاسرة قرب قسنطينة ، ص ١٦٨ - نتائج الهزيمة :
متمويات متدنية في الجيش الأغلب ، ص ١٦٩ - تخبط زيادة الله في اختيار
الرجال ، ص ١٦٩ - الأربس - على أبواب القيروان - ففرا ، ومقرراً مؤقتاً ،
للأمير وحاشيته ، ص ١٧٠ - ما بين الجد والهزل في مركز القيادة ، ص ١٧١
- استيلاء الداعي على بلزمة وطبنة ، ص ١٧١ - حرب الدعاية تسير جنباً إلى
جنب مع القتال : أبو عبد الله يلقى نظام الضرائب الأغلب ، ويمان المودة إلى
السنة في طبنة ، ص ١٧٢ - زيادة الله يحاول اكتساب أهل قسنطينة
(تورد) برفع الظلم عنهم ، فيسبى إلى عماله ، ص ١٧٣ - محاولات لاستعادة
الزاب : ابن حبشي يخرج بقواته إلى طبنة ، ص ١٧٣ - مروان الملقب بسيد
البلزمة ، ص ١٧٤ .

بداية التنبؤ : تحصين رقادة والانصراف إلى اللهور ، ص ١٧٤ - التنبؤ

من الرحيل إلى مصر ، ص ١٧٦ - ماتم القيروان يكاد ينقلب عرسا - زيارة
سفير القسطنطينية ، ص ١٧٧ - عودة زيادة الله إلى تونس ، ص ١٧٧ -
جولة كبرى لابن عبد الله ييخاخ فيها ما بين سجانة وقسوة ، ص ١٧٨ -
الاستيلاء على قسطنطينية ، جولايا - الفريسيه - من ١٧٨ - رد فعل اليم في العاصمة
من ١٧٩ - الجولة الأخيرة - سقوط الأروص ، ص ١٧٩ - زيادة - السيد العنة
للرحيل ، ص ١٨٠ - قرار ماساوي ، ص ١٨١ - عمليات النهب تبدأ بالوزير ،
ص ١٨٢ - نهب رقادة ، ص ١٨٢ - ليراهيم بن أبي الأغلب يقوم بحملة
قاسمة لتقلد الإمارة في رقادة ، ص ١٨٢ .

الفصل الثاني

صقلية الأغلبية . واستقرار العرب في جنوب إيطاليا ، ص ١٨٧

تهييد : العرب وصقلية قبل الفتح الأغلبى ، ص ١٨٩ - حملات تونس
الاولى على الجزيرة ، ص ١٩٠ - اى محاولة للاستقرار في الجزيرة ، ص ١٩٤
- الروم يحصنون الجزيرة . ص ١٩٥ - الأغلبة يتصرفون على صقلية وغيرها
من الجزر . ص ١٩٦ .

صقلية . كما عرفها الكتاب العرب : البلاد والسكان

١ - البلاد : الاسم ، صقلية . ص ١٩٧ - الموقع . ص ١٩٨ - الشكل :
الساحل الشرقى . ص ١٩٩ - الشاطئ الجنوبي ، ص ٢٠١ - الشاطئ
الشمالي ، ص ٢٠١ - الوصف جزيرة الخصب والعمران ، ص ٢٠٤ - ابناء
الأندلس ، ص ٢٠٥ - الثروة المعدنية . ص ٢٠٥ - جبل النار ، ص ٢٠٦ -
المخز الحثاف والسحب ص ٢٠٦ - اكبريت ، ص ٢٠٦ - النفط ،
ص ٢٠٧ .
٢ - السكان ، ص ٢٠٧ - روم اريقية يعمرن صقلية ، ص ٢٠٨ .

فتح الأغلبية لصقلية

- للقمان : صقلية ، كتاب أهل النهج ، ص ٢١٠ - الصقليون يتعضون
الصالح ، ص ٢١١ - صراعات داخلية في الجزيرة تمهد للفتح ، ص ٢١٢ -
حقيقة عرض فيسي ، واحتمالات النجاح والفشل ، ودور أسد بن الفرات ،
ص ٢١٣ - رأى المشجاة يتصر : تحت بين الفترات ١٩١١ ، ص ٢١٥ - الاجتهاد

في بناء السور للحملة ، دار صناعة في مقبرة سوسية ، ص ٢١٥ - تخروج
أسد من القيروان ، ص ٢١٦ - حجم الحملة ومداستها ، ص ٢١٧ - اقتلاع
الحملة إلى مازر ، ص ٢١٨ - ملزق قاعدة العمليان ، ص ٢١٨ - اللقاء مع حاكم
الجزيرة في مرج بلاطه ، ص ٢١٦ - التوصل نحو سرقوسة ، ص ٢٢٠ -
حصار سرقوسة ، ص ٢٢١ - القحط والوباء ، ص ٢٢٢ - استيلاء الضيف
على سرقوسة ، ص ٢٢٢ - وفاة ابن الفرات في الوباء مع وصول أسطول
من القسطنطينية ، ص ٢٢٣ - اختيار محمد بن أبي الجوارى قائدا ، ص
٢٢٤ - الوباء ، والروم أمام العرب : العودة إلى مازر والتفكير في الرجوع ،
ص ٢٢٤ - نيمس يستمر في معاونة العرب ، فينتاله الروم في قصر يانة ،
ص ٢٢٥ - هزيمة الأرمن البيزنطيين في حيز قصر يانة ، ص ٢٢٥ - وفاة ابن
أبي الجوارى ، وولاية زهير بن نرغوث ، وهزيمة مؤلة أمام الأرمن ، ص ٢٢٦ -
حصار العرب في ميناء ، ص ٢٢٦ - حرب الاستتال : العرب يخربون قاعدتهم
في جرجنت ، وينضمون إلى اخوانهم في مازر ، ص ٢٢٧ .

البحريون الأندلسيون ، وغزو صقلية ، ص ٢٢٨ - الصلابة مع غزو
كريت ، ص ٢٢٩ - حملة الغزاة الأندلسيين ، ص ٢٣٠ - النزول قرب مازر ،
أعمال الأندلسيين تحت قيادة فرغلوش ، فك الحصار عن ميناء ، وهدمها ،
ص ٢٣١ - أخذ بلرم ، ووفاة القائد فرغلوش في الوباء ، ص ٢٣٢ - الخلاف
مع الأندلسيين ، وعودتهم إلى بلادهم ، ص ٢٣٣ .

ولاية أبي فهر محمد بن عبد الله التميمي لصقلية ، ص ٢٣٣ - ما بين
صقلية وتونس ، ص ٢٣٤ - غارات على قصر يانة ، ص ٢٣٤ - غارات على
طبرمين ، وغدر الجند بقائدهم محمد بن سالم ، ص ٢٣٥ - غارات قسطنطينية
سرقوسة بقيادة الفضل بن يعقوب ، ص ٢٣٥ - من المواهب الحربية التي
أظهرها كل من العرب والروم ، ص ٢٣٥ .

ولاية أبي الأغلظ إبراهيم بن عبد الله ، أعمال حربية في الطريق إلى
الجزيرة ، ص ٢٣٦ - توسيع النشاط الحربي إلى مسينا ، ص ٢٣٧ - إلى
قطانية ، ص ٢٣٧ - إلى قصر يانة ، وهزيمة السرية ، وأسر قائدها محمد بن سالم
ابن عبد الوهاب ، ص ٢٣٧ - إخضاع قصر يانة ، ص ٢٣٨ - الحرب البحرية
ووفاة زبلة الله ، ص ٢٣٨ - خلاصة ما تم في صقلية على عهد زيادة الله
الأول ، ص ٢٤٠ .

الفتوح في عهد أبي عقاب الأغلبي بن إبراهيم بن الأغلبي : حملة من إفريقية - وتوسع في حقل الجزيرة ، وفق جنوب إيطاليا ، ص ٢٤٠ -
 الفتح في كلابريا بجنوب إيطاليا - ص ٢٤١ - العرب يوطرون أقطانهم في وسط الجزيرة - ص ٢٤١ - محاولة فتح بازي - ص ٢٤٢ - فتح نابولي وميسينا - ص ٢٤٢ - امتداد العرب - واختيار مقاومة الروم - الإلحاح على مدينة لستيني - ص ٢٤٢ - أخذ لستيني - ص ٢٤٤ - الاستيلاء على طارنت في لبارديا ، ص ٢٤٥ - أخذ أرة - ص ٢٤٥ - وهدمها ، ص ٢٤٥ - وفاة أبي الأغلبي إبراهيم بن عبد الله ، ص ٢٤٦ - .

ولاية العباس بن الفضل بمعرفة الملك : قيادة قوة حازمة ، ص ٢٤٦ - الإلحاح على قصرية و اجتياح أساحل الشرقى ، ص ٢٤٧ - الاستيلاء على الحصن الجديد ، ص ٢٤٨ - فتح قصرية ، ص ٢٤٩ - رد الفعل لدى الروم : حملة بحرية إلى الجزيرة تنتهي بالفشل ، ص ٢٥١ - انتفاضات لثروم ، ص ٢٥٢ - اعمار قصرية ، و وفاة العباس بن الفضل ، ص ٢٥٣ - تقييم أعمال العباس ، ص ٢٤٧ - .

امر قوى في مستوى العباس بن الفضل وابنه عبد الله : خفاجة بن سفيان وابنه محمد . فترة سنيي احمد بن يعقوب . وعبد الله بن العباس ، ص ٢٥٤ - اختيار خفاجة بن سفيان ، ص ٢٥٥ - التوسع في إقليم سرقوسة والركن الجنوبي الشرقي : فتح تونس ، ص ٢٥٥ - خصائص الفتح في الجزيرة ، ص ٢٥٦ - صلح طبرمين ، مقاضيات طرفية تشترك فيها النساء ، ص ٢٥٧ - صلح أرغوص - والعيران ، ص ٢٥٧ - إلحاح مستمر على إقليم سرقوسة ، وقطانيا ، ص ٢٥٨ - محاولة لم يقدر لها النجاح لأحد صبرمين ، ص ٢٥٩ - الصفح على سرقوسة - ص ٢٦٠ - مقتل خفاجة بين وجه من عشكره ، ص ٢٦٠ - .

اختيار محمد بن خفاجة للولاية : ولاية صبره ضد مستين ، تم خلالها فتح مالطة ، ص ٢٦١ - فتح سرقوسة - خفاجة محمد بن خفاجة ، ص ٢٦٢ - باري ولاية حربية مستقلة : خروج الفتح بين سالتم في إيطاليا على أبي الغرائيق ، ص ٢٦٣ - فتح سرقوسة : اختيارها سيرا و بحرأ ، ص ٢٦٦ - هدم للمدينة ، ص ٢٦٧ - مقتل جعفر بن محمد في مؤامرة اغلبية ، ص ٢٦٨ - .

الحسن بن رباح : محاولات ضد طبرمين ، وصراع غير موفق . حسيد الأسطول البيزنطي ، ص ٢٦٨ - الحسن بن العباس : قيادة غير موفقة ، ص ٢٦٩ - .

محمد بن الفضل ، عودة الى عهد القوة : غزو انايم قطايا وطبرمين ،
ص ٢٧٠ - اقتحام القلعة الجديدة « مدينة الملك » ، ص ٢٧٠ - الحسين بن
احمد واليا ، ص ٢٧١ .

سوادة بن محمد بن خلفجة : قيادة حازمة تبعا لتقاليد الأسرة ، غارات
على قطايا وطبرمين ، ص ٢٧١ - عناد الأسطول البيزنطي ، والعمل على
انهاء الوجود العربي في ايطاليا ، ص ٢٧٢ - ثورة أمق بلزم على سوادة ،
ص ٢٧٢ .

ولاية حبشي : احمد بن عمر بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلبي ،
ص ٢٧٣ - سوادة بن محمد ، ص ٢٧٤ - محمد بن الفضل ، وصلح آقن
مع الروم ، ص ٢٧٤ - الفتنة بين العرب والبربر ، ص ٢٧٥ .

ابو العباس بن ابراهيم بن احمد : أبو العباس ، ول المهدي ، وأليسا
والفتنة على أشدها ، ص ٢٧٦ ، عصيان أهل العاصمة ، ص ٢٧٦ - هزيمة
الثوار في طرابنش ، ص ٢٧٧ - هزيمة ثانية للعصاة على أبواب بلرم ،
ص ٢٧٨ - اللجوء الى بلاد الروم ، ص ٢٧٨ - أبو العباس في طبرمين
وقطايا ، ص ٢٧٩ - حصار دمنش . واحد زيور ، ص ٢٧٩ - استدعاء أبي
العباس الى افرقية ص ٢٨٠ - ابراهيم بن أحمد مجاهدا في صقلية ،
ص ٢٨٠ - الاستيلاء على طبرمين ، ص ٢٨١ - صدق سقوط طبرمين في
القسطنطينية ، ص ٢٨٢ - ابراهيم بن أحمد وفكرة الحج عن طريق
القسطنطينية . ص ٢٨٢ - فتوح ابراهيم بن أحمد بمد طبرمين ، ص ٢٨٣ -
حصار كسنته ، ومرض ابراهيم ، ص ٢٨٣ .

زيادة الله بن أبي العباس واليا ، ص ٢٨٤ - عزل زيادة الله ، ص
٢٨٤ - محمد بن السرقوسي واليا لصقلية ، ص ٢٨٥ .

احمد بن الحسين بن وياح واليا ، ص ٢٨٥ - الصقليون يختلون طاعة
الأغالبة ويعترفون بأبي عبد الله الشيمي ، ص ٢٨٥ .

الحسن بن احمد بن أبي خنزير ، أول وال فاطمة ، ص ٢٨٦ .

الفصل الثالث

الدولة الرستمية ، ص ٢٨٧

قيام الرستميين في تاهرت ، ص ٢٨١ - قيروان جسد يد في المغرب .
الأوسط : بناء تاهرت الرستمية أو تاهرت الجديدة ، ص ٢٩٥ .

امامة عبد الرحمن بن رستم ، وتطور الأفكار الخارجية ، ص ٢٩٩ - أعمال
عبد الرحمن بن رستم ، ص ٣٠٢ - تنظيم دولة (امامة) تاهرت على عهد
عبد الرحمن بن رستم ، ص ٣٠٥ - دولة للمشاركة والمساواة ، ص ٣٠٧ -
التنظيم للنالي ، ص ٣٠٧ - تنظيم دولة رعاة ، ص ٣٠٨ - معاوية الامام ،
ص ٣٠٨ - أموال الصدقة ، ص ٣٠٩ - رواتب الامام واعوانه ، ص ٣٠٩ -
ازدهار تاهرت على عهد عبد الرحمن بن رستم : انعاسة الاباضية سوق
علية ، ص ٣١٠ .

امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، ص ٣١١ - ابن قندين ،
زعيم بني يفرن ، يطالب بجلوس للشيبوري ، ص ٣١٣ - امامة قوية على عهد
عبد الوهاب ، ص ٣١٣ .

الفترة بين اباضية القرب : الاشفاق الاول . النكار (أو التكارية) ،
ص ٣١٥ - دور سدراته ومزاةة في الخلاف ، ص ٣١٦ - نجح المعارضين
والمطالبة بحاكمية عبد الوهاب ، ص ٣١٨ - تسميات جديدة للنكار ، ص
٣٢١ - علاقة المعارضين بأهل تاهرت الذين عرفوا بالوهبية ، ص ٣٢١ -
تأزم الموقف بين الفريقين ، ص ٣٢٢ - مؤامرة قصصية لاغتيال الامام ،
ص ٣٢٢ - بلاه ول العهد أفلح ، ومقتل ابن قندين ، ص ٣٢٣ - خلاف شعيب
في سعيه طرابلس ، ص ٣٢٣ - اعتزال للخالفين الذين عرفوا بالواصلية ،
وتحول الامامة الى ملكية في خلافة ، ص ٣٢٤ - الصراع ضد النكار والواصلية ،
ص ٣٢٥ - النكار ، ص ٣٢٥ - الواصلية ، ص ٣٢٥ - الامتانة بنفوسه
في الصراع ضد الواصلية ، ص ٣٢٦ - حتمالجرة حربية تتجهن بهزيمة
الواصلية ، ص ٣٢٨ .

مقدمات الاشفاق الثاني ، اضطراب منقصة طرابلس ، ص ٣٢٩ -
الحرب مع حوارة ، ص ٣٣٠ - عبد الوهاب في جبل نفوسة وحصار طرابلس ،

ص ٢٢١ - أزمة عدم الثقة بين عبد الوهاب واتباعه ص ٢٢٢ - الخلفية
الاشفاق الثامن ، ص ٢٢٣ - السمع بن أبي الخطاب - ولاية طرابلس .
ص ٢٢٢ - خلف بن السمع ، وولاية طرابلس ، ص ٢٢٣ - عبد الوهاب
لا يوافق على ولاية خلف ، ص ٢٢٤ - خلف يرفض الاعتزال ، ص ٢٢٤ -
استفتاء علماء المشرق والاحتجاج بالإستقلال ، ص ٢٢٥ - أبو عبيدة
عبد الحميد الجاسق والبا لجبل نفوسة ، والنزاع بين الإباضية وطرابلس ولباضية
نفوسة . ص ٢٢٥ - معارضة خلف لولاية عبد الحميد ، ص ٢٢٧ .

عهد أفلق بن عبد الوهاب : صفات الامام الجديد ، الشجاعة والعلم ،
ص ٢٢٧ - تاهرت على عهد أفلق بن عبد الوهاب ص ٢٢٩ - رفضه للثيابة ، عن
اسم النبي كان يسأرون من الأمر . ص ٢٢٩ - اختيارهم لمحكم الهواري
مناصب . ص ٢٢٩ - يدوي بين مرهين . لا يبرق بين المتخاصمين ، ص ٢٤٠ .

توطد أركان المملكة وزيادة ازدهار تاهرت ، ص ٢٤٠ - قصور تاهرت ،
ص ٢٤١ - بوادي تاهرت وعناصر السكان ، ص ٢٤١ - تنظيم تاهرت على
عهد أفلق ، ص ٢٤١ .

جبل نفوسة وحيز طرابلس : خلف بن السمع يجعل لواء المعارضة ،
ص ٢٤٢ - الحرب بين خلف وأبي عبيدة عبد الحميد ، ص ٢٤٣ - معركة تعادل
عزوة بدر ، ص ٢٤٤ - المناظرة قبل القتال ، ص ٢٤٤ - المباحلة بعد
المناظرة ، ص ٢٤٥ - معركة أجتاون ، وهزيمة خلف ، ص ٢٤٦ - خلف
يهجر خصومه ، ص ٢٤٧ .

الثغائية ، والافتراق الثالث في الإباضية على عهد الامام الفلق :
تسمية الثغائية ، ص ٢٤٧ - ثقات : فرج بن نصر النفوس ، تكوينه العلمي ،
ص ٢٤٨ - ديوان جابر بن زيد ، ص ٢٤٩ - أسباب دينية للخلاف ، ص
٢٤٩ - أسباب سياسية للخلاف ، ص ٢٥٠ - ولاية قنطرة : منافسة بين
ثقات وسعد بن وسيم ، ص ٢٥٠ - ثقات يعطى في الامام ويشير خلافات
فقهاء ، ما بين التقليد والتحديث ، ص ٢٥١ - ازدهار المملكة على عهد أفلق ،
وسياسة حرق تسد ، ص ٢٥٢ - اعتقال ولي العهد أبي القنطرة محمد
في بغداد الى وفاة المتوكل ، ص ٢٥٤ .

أبو بكر بن الفلق (امام تاهرت الرابع) ، اختياره : ما بين الرضى
والكراهية ، ص ٢٥٥ - غلبة محمد بن عرفة على أبي بكر ، ص ٢٥٦ - عودة

أبي اليعتقان محمد بن أئح : تآثره بالنظم اليعنآدآة ، ص ٢٥٦ - اعترافه بالامر الواقع ، وعلمة أخيه أبي بكر ، ص ٢٥٧ - أبو اليعتقان نائبا للامام في الحكم أو وزيرا ، ص ٢٥٧ - الصراع بين محمد بن عسرة وبين أبي اليعتقان ، ص ٢٥٨ - الرستميون : يترصون بأبن عرفة ، ويحرضون الامام على التخلص منه ، ص ٢٥٨ - أضناه مقتل ابن عرفة ، ص ٢٥٩ - أطراف الصراع : العجم ، والعرب ، وقنوسة ، ص ٢٥٩ - شريط الأحداث ، ص ٢٦٠ - العجم يسلمون لأنفسهم ، ص ٢٦٠ - يوم حربة : وتحالف قنوسة مع العجم ، ص ٢٦١ .

انتهاء الحيلاد : اشتقاق الأسرة الرستمية . العرب في صف أبي بكر والمجم وقنوسة في صف أبي اليعتقان ، ص ٢٦١ - تفوق العرب على العجم وقنوسة ، وعرب الحصون ، ص ٢٦٢ - تفرق الأخوة المتناصرين في البلاد ، خروج أبي بكر من تاهرت ، ونزول أبي اليعتقان في كنف لواتة ، ص ٢٦٢ - نشاط أبي اليعتقان في شراء الأعوان ، والاعداد لغزو تاهرت على محمد بن مسالة ، ص ٢٦٢ .

أبو اليعتقان معلما ، بعد حرب السبع سنوات وخراب تاهرت ، ص ٢٦٤ - شروط الصلح ، ص ٢٦٤ - الأثر للشرقي في بلاط أبي اليعتقان ، ص ٢٦٤ - تاهرت تنفض عن نفسها غبار الحرب . ص ٢٦٥ - امامة أبي اليعتقان محمد بن أئح في تاهرت ، ص ٢٦٥ .

دولة قنوسية في تاهرت : ترتيب الدولة ، وقدم قنوسة ، ص ٢٦٢ - أهمية الحسبة ، ص ٢٦٦ - قضاء لا يفرق بين الأمير والرعية ، ص ٢٦٧ - امام يزيد سيرة الراشدين من أئمة الرستميين ، ص ٢٦٧ - مجلس أبي اليعتقان ، في الجامع ، ص ٢٦٨ - تاهرت تعود مركزا علميا مزدهرا : ازدهار علم الكلام ، ص ٢٦٨ - أبو عبيدة الأعرج : نموذج للعالم الأمر بالمعروف ، ص ٢٦٩ - ممدى خارجي : افتتاح قنوسة بأبي اليعتقان ، ص ٢٧٠ - نهاية ناسك : وفاة أبي اليعتقان ، ص ٢٧١ .

امام من طراز جديد : يعقوب ، وللعمامة وإهل الحرفنة أبو حاتم يوسف ابن محمد أبي يعققان امام تاهرت الخامس ، ص ٢٧١ - تواتيب بطيئة تناسب شعبية الأمير ، واجتماعات غير ابلانسية في علاقاته مع الآخرين ، ص ٢٧٢ - انهيار حطب المتناقضات ، ص ٢٧٢ - ثقافة الفناء وتاهرت ، ص ٢٧٢ - أبو حاتم ينجأ الى حبي لواتة ، ص ٢٧٤ - مطاولة استعانة ممدون بالقوة ،

ص ٣٧٤ - الانقسام في صفوف الرستميين يعقوب بن افلح أميراً منافساً
لأبي حاتم ، ص ٣٧٥ - فشل الأسرة الرستمية وانشقاقها : الصراع بين
المطالين بالامامة ، ص ٣٧٦ - فشل أبي حاتم في دخول تاهرت ، ص ٣٧٦ -
تكريس الانقسام بين الرستميين ، تقييم يعقوب بن افلح : قديس يميز في
سيرته سيرة الائمة الأول ، ص ٣٧٧ - اضطرابات تهلك الحرث والنسل
لا ينيها الا توسط زعيم مراتي في اقرار الهدنة ، ص ٣٧٧ - التحكيم ،
ص ٣٧٨ .

عودة ابي حاتم يوسف الى تاهرت أميراً دون منافس بعصبيته الشعبية
من غير الرستمية ، ص ٣٧٨ - اعادة تنظيم الحكومة في تاهرت زحكم حازم
يقضى على أوكار امساد ، ص ٣٧٩ - ازدهار مجالس الغنم والمناظرة ، ص
٣٨٠ - مناظرات الموزح ابي الصغير ، ص ٣٨٠ - احوال جبل نفوسة على
عهد ابي حاتم يوسف : أبو منصور الياس بن منصور واليا ، ص ٣٨٢ -
عمروس بن فتح النفوس قاضيا ، ص ٣٨٣ - الياس وعمروس رجلا الجبل ،
ص ٣٨٤ - مطاردة حفيد خلف بن السمح ، ص ٣٨٤ - الوساطة ، وشروط
الصلح ، ص ٣٨٥ - فشل الوساطة ، وهزيمة زواغة ، ص ٣٨٥ - دخول
الحلمية في جربة ، وغدر زواغة بأمرهم ، ص ٣٨٦ - أبو منصور يسجن
حفيد خلف في الجبل ، ص ٣٨٦ - وقعة مانو واضمحلال جبل نفوسة كقوة
مساندة لامامة تاهرت ، ص ٣٨٧ - في أسباب الموقعة . ص ٣٨٨ - مكان
الموقعة ، ص ٣٨٩ - المعركة وتعشى القتل في نفوسة . ص ٣٩٠ - قائمة
الحسائر الاباضية ، ص ٣٩٠ - مقتل القاضي عمروس بن فتح ، ص ٣٩١ -
الإستقام من قنطرة ثم من اباضية بمرارة ، ص ٣٩٢ - عزل افلح بن العباس
من ولاية الجبل ، والسنوات الأخيرة للامامة الرستمية بعد وقعة مانو ،
ص ٣٩٣ .

ابناء الامام ابي حاتم يعرضون أبا عبد الله الشيعي : يقظان بن محمد
ابن يقظان آخر الائمة الرستميين في تاهرت . ص ٣٩٤ - مجتمع فير متناقض
في تاهرت ، ص ٣٩٥ - الشيعة يدخلون تاهرت ويقتلون يقظان ، ص
٣٩٦ - تخريب تاهرت وأخذ ذرائرها ، ص ٣٩٦ - خروج بقايا الرستميين
الى وارجلان ، ص ٣٩٧ - يعقوب بن افلح في وارجلان . ص ٣٩٧ - وارجلان
وروية تاهرت الرستمية في المغرب الأوسط يعقوب بن افلح يجدد سيرة
الائمة الأوائل ، ص ٣٩٨ - الافراق الكرابسج في الاباضية بوارجلان :
أبو سليمان بن يعقوب مرجع الاباضية في وارجلان ، ص ٤٠٠ - ميل ابي
سليمان بن يعقوب الى التشدد في نساه . والنزاع مع شيخ وارجلان

الكبير أبي صالح جنون ، ص ٤٠٠ - المباحلة بين الرعيبي ، ص ٤٠١ -
مسألة الخلاف بين السلمانية والرهبية في وارحلان ، ص ٤٠١ - الاعتراف
الخامس في الاباضية بقطرارة ، ص ٤٠٢ - حدود امامة دعوت .
ص ٤٠٤ -

الفصل الرابع

امامة بني واسول الصفرية في سجلماسة ، ص ٤٠٧

موضع سجلماسة ، ص ٤٠٩ - بناء المدينة ، ص ٤٠٩ - سحامة
الأولى وتطورها العمراني ، ص ٤١١ - مسداز بن اليسح : مرحلة أولى .
الاضطراب في سجلماسة عقبه فترة ازدهار ، ص ٤١٥ - الصراع على
السلطنة في سجلماسة بين ولدي مدرار ، ميمون وابن بقية ، ص ٤١٦ -
استبداد ابن الرستمية ، وعودة الأمر الى مدرار ، ص ٤١٦ - ابن بقية أميرا .
ص ٤١٦ -

الفصل الخامس

الدولة الإدريسية ، ص ٤١٩

١ - قيام الأديسة في المغرب الأقصى وبناء مدينة فاس : أمسول
خارجية للدولة العلوية ، ص ٤٢١ - دخول ادريس المغرب ، ما بين المجاز
ومصر والمغرب ، ص ٤٢٣ - النزول في ويلي ، ص ٤٢٨ - بيعة ادريس .
ص ٤٣٠ - العمل الايجابي ، ص ٤٣٠ - الصراع ضد بني طريف ملوك
برغواطة في تامسنا ، ص ٤٣٠ - فتح تامسنا ، ص ٤٣٤ - فتح سسان
وبناء جامعها ، ص ٤٣٤ - وفاة ادريس الأول ، ص ٤٣٥ .

٢ - ادريس الثاني (ابن ادريس) - مولده وطفولته ، ص ٤٣٧ -
امامته ، ص ٤٣٩ - فيروان آخر بالمغرب الأقصى . بناء مدينة فاس ، نشر
العروبة في المغرب الأقصى ، ص ٤٤١ - اختيار موضع فاس ، ص ٤٤٤ -
البناء : عدوة الأندلس ، ص ٤٤٧ - عدوة القرويين ، ص ٤٤٧ - الأسوار
والأبواب ، ص ٤٤٨ - حطط المدينة ، ص ٤٤٩ - ما بين العدوتين وفاس

ص ٤٥٠ - أهمية بناء مدينة فاس : تأكيد سلطان الإدارة في المغرب ،
ص ٤٥٤ - وفاة إدريس الأصغر وبداية سمات تصدع الدولة الإدريسية ،
ص ٤٥٥ .

٣ - محمد بن إدريس بن إدريس ، ص ٥٧ ٤ - خلاف عيسى في سلا
وتامسنا وعصيان القاسم في طنجة : هزيمة عيسى وتجريده من أملاكه ،
ص ٤٥٩ - تأديب القاسم واعتزاله الولاية ، ص ٤٦٠ - عمر يضم إلى أملاكه
أقاليم سلا وتامسنا وطنجة ص ٤٦١ .

٤ - علي بن محمد بن إدريس ص ٤٦١ .

٥ - يحيى بن محمد بن إدريس ، ص ٤٦٣ - بناء جامع القرويين ، ص
٤٦٤ - صاحبة المناء فاطمة القيروانية ٤٦٤ - المال الحلال الصرف ، ص
٤٦٥ - مواد البناء الحلال الصرفة ، ص ٤٦٦ - حجم الجامع الأول وأقسامه ،
ص ٤٦٧ - انزياد في الجامع على عهد رنانة ص ٤٦٧

٦ - يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس : نظرة فاحصة في المصادق ،
ص ٤٦٨ - تقسيم المملكة ص ٤٦٨ - نجابة يحيى بن يحيى في مغامرة
سنتيه في بعض حياضات فاس ص ٤٦٩ - تحرك أهل فاس ما بين الثورة
والإمير المعروف ص ٤٧٠ - عبد الرحمن بن أبي سهل يتخلف على فاس ،
ص ٤٧١

انتقال الملك إلى بيت عمر بن إدريس :

٧ - علي بن عمر بن إدريس لعاما ص ٤٧١ - الأندلس واللسكر
الخارجي عبد الرزاق الفهري الصفري . واستمرار هبوب رياح الخارجية من
الأندلس إلى المغرب ، ص ٤٧٢ - دعوة عبد الرزاق في جبال فاس ، ص ٤٧٣ -
دار هجرة أو ثغر أندلس في بلاد الإدارة : وشقة الجديدة ، ص ٤٧٣ - دار
هجرة أو ثغر أندلس في بلاد الإدارة : وشقة الجديدة ، ص ٤٧٣ - الزحف
من وشقة على فاس ، ص ٤٧٤ - الصفريه يدخلون عدوة الأندلس ، وعدوة
القرويين تستنجد بيحيى العوام ، ص ٤٧٤ .

٨ - يحيى العوام بن القاسم بن إدريس : استعادة عدوة الأندلس ،
والقضا، على ثورة مديونة وعبد الرزاق ، ص ٤٧٥ - بيعة أهل عدوة الأندلس،
وتركيبهم المصري ، ص ٤٧٥ - أسرة أميرة أندلسية ، مهلبية الأصل ،
لعده ، زاندلس ، ص ٤٧٦ .

عودة الامانة الى بني عمر بن ادريس . ودخول فاس في طاعة
الفاطميين :

٩ - يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس ، ص ٤٧٧ - تقييم يحيى
الربيع ، ص ٤٧٨ - وصول الفاطميين الى المغرب الأقصى ، ص ٤٧٨ .

الفصل السادس

الخريطة السياسية الحضارية لبلاد المغرب

في اواخر القرن ال ٣ هـ / ٩ م ص ٤٨

أ - الوقع السياسي ، ص ٤٨٣ - (١) دولة الأغالبة ، ص ٤٨٤ -
(٢) دولة الرستيين ، ص ٤٨٨ - (٣) دولة المسدرايين ، ص ٤٩١ -
(٤) دولة الأدارسة ، ص ٤٩١ - خلاصة الموقف السياسي ، ص ٤٩٣ .

ب - الوقع الحضاري ، ص ٤٩٤ - 'مريقية الأغلبية ، ازدهار الزراعة ،
ص ٤٩٥ - رقى الصناعة والتعدين ، ص ٤٩٦ - تقدم النسيج . ص ٤٩٦ -
الازدهار الاقتصادي ، ص ٤٩٧ - تاهرت الرستية . العناية بالزراعة .
ص ٤٩٨ - الاهتمام بالتجارة ، ص ٤٩٩ - حراسة القوافل ، ص ٥٠٠ -
العمران خارج تاهرت . ص ٥٠٠ - عمران حبسل نفوسة ، ص ٥٠١ -
سجل ماسة الدرارية ، ص ٥٠٢ - فاس الادريسية ، ص ٥٠٢ - شمال فاس .
وبلاد الريف ، ص ٥٠٣ - تلمسان وأحرارها - بلاد بني محمد بن سليمان .
ص ٥٠٤ - ما بن بني محمد بن سليمان والاباضية ، ص ٥٠٤ - ما بين
بني محمد بن سليمان وزناتة ، ص ٥٠٥ - الادراسة في وادي درعة والسوس
الأقصى ، ص ٥٠٥ - خلاصة الموقف العمراني ص ٥٠٥ .

الازدهار الثقافي والحياة الروحية : الاطلس المادي ، ص ٥٠٧ - في
افريقية ، متحف جامع القروان ، ص ٥٠٧ - في تاهرت ، خصائص دائية
حياة البساطة وانكاساتها في المجمع ، ص ٥٠٩ - امتداد حضاري اعمى
ص ٥٠٩ - في فاس . حضارة وسط بين القروان وتاهرت ص ٥١١ -
جامع القرويين الادريسي ، ص ٥١١ - جامع القرويين الرناني وتسمية العدة
بابسه ، ص ٥١٢ - فاس الادريسية ، ص ٥١٣ - تلمسان العلوية وعبرها
من حواضر الأدارسة ص ٥١٣ - المحتوى المسوي ص ٥١٤

الحياة الدينية : في افريقية ، ص ٥١٤ - ما بن المالكية والاعتزال ،
ص ٥١٥ - ما بين العلم والاجتهاد ، ص ٥١٥ - القيروان مهدا ثانيا للمالكية ،
ص ٥١٥ - مالكية القيروان . دعوات المذهب في كل المغرب ، ص ٥١٦ -
في لاس ارمهار المذهب المالكي في الدولة الريدية ، ص ٥١٧ - ، في
تلمرت ، ص ٥١٩ - الأئمة قادة لدعوة في العلم والعمل ، ص ٥٢٠ -
عشايح المذهب معلوم للشعب ، ص ٥٢١ - أصول المذهب للإباضي وتطوره :
الوهبية الإباضية والخوارج ومسمياتهم ، ص ٥٢١ - أصول الوهبية المذهبية ،
ص ٥٢٢ - أفكارهم السياسية ، ص ٥٢٣ - أعمال المشايخ من قواعد
المذهب . المثل الأخلاقية ، ص ٥٢٤ - تحليل العلم وتقدسيه ، علون الدين ،
ص ٥٢٥ - علوم النجوم والحساب ، ص ٥٢٦ - الخلاصة ، ص ٥٢٦ .

الفصل السابع

قيام الدولة الفاطمية

وإعادة الوحدة إلى بلاد المغرب تحت إيات آل البيت من الحسينين ، ص ٥٢٩

نهاية الدول المستقلة الأولى وقيام الدولة الفاطمية : صراع الأغلبية من
« من المقاه » المطاولة » ، ص ٥٣١ - نجاح الدعوة الفاطمية في أرض كتامة :
حدود التشيع في المغرب ، ص ٥٣٣ - بداية الدعاية الشيعية في كتف
عبد الرحمن بن زياد بن أمية ، في افريقية ، ص ٥٣٣ - بداية الدعاية
الشيعية في المغرب الأقصى ، ص ٥٣٤ - الدعاية الشيعية في تحوم افريقية
والمغرب الأوسط ، ص ٥٣٥ .

الفاطيون ، نسبهم وثنى عن مذهبهم : التسمية ، ص ٥٣٦ - أصول
التشيع ، ص ٥٣٧ - التشيع الفاطمي الاسماعيلي ، ص ٥٣٩ - العلاقة
القرامطة ، ص ٥٤٠ - الكتمان وظهور الادعاء ، ص ٥٤١ - الجدول حول
صحة النسب ، ص ٥٤٢ .

تنظيم الدعاية الفاطمية ، وبداية ابن عبد الله الشيعي ، ص ٥٤٤ -
المتنظيم السري الاثنى عشري ، ص ٥٤٥ - الدعوة في المغرب تبدأ من اليمن ،
ص ٥٤٦ - اللقاء مع حاج كتامة في مكة ، ص ٥٤٧ .

الرحلة إلى المغرب ، ص ٥٤٨ - بدء العمل الإيجاسي ، ص ٥٥٠ -
سحصة الرعم الكتامي ، ص ٥٥١ - تنظيم الدعوة في كتامة دعوة سرية ،

وان كان ههنا الأمر بالمعروف ، ص ٥٥٣ - الاخوان والمشاركة ، ص ٥٥٣ -
الخلاف بين قبائل كتامة ص ٥٥٣ - تحريض ولاية الأغالبة ، ص ٥٥٤ -
تمدين تازروت واتخاذها « دار هجرة » ، ص ٥٥٥ - مقام الحرب هي مادة
تصير دار الهجرة هي تازروت ، ص ٥٥٦ .

تنظيم اهل الدعوة : طبقات المؤمنين ، ص ٥٥٧ - تنظيم الحيوث
وشعاراتها ، ص ٥٥٨ - احصاء القبائل ص ٥٥٨ .

الصراع مع الأغالبة ، ص ٥٥٩ - أخذ ميعة لأول مرة ص ٥٥٩ -
استعادة ميعة وتخريب تازروت ، ص ٥٦٠ - ايكجان بسعيد مركزها كدار
هجرة ص ٥٦١ - عود الى اعداد المؤمنين - معنويا - وعناية بجهاز الاحبار
ص ٥٦١ - الانتصار على محمد الاحوب (ابو حوال) ص ٥٦٢ - الاستيلاء
على ميه وسطيح ص ٥٦٢ - الدفاع عن منطقة القبائل والانتصر . عن
ابن حنن قرب مسطينة ص ٥٦٣ - مقام هائله كن مهندق نفسه
منها وهو في سجلماسة ص ٥٦٥ - فتح بلاد الرب ضه ص ٥٦٥ -
فتح سيمه ، ص ٥٦٦ - حريمة الجند الأغلبى في دار ملور ص ٥٦٧ - فتح
بيجس ص ٥٦٧ - حرب الدعايه عند ابي عبد الله وسنها ص ٥٦٨ -
ظاهرة اشرؤج الى الأربس ص ٥٦٩ - فتح تاغانه ص ٥٦٩ - عمسات
جس بنقن مخلوذة أحد مجاهه ، ص ٥٧٠ - احد نصر الامرئبي وسعاس
وقالته ، ص ٥٧١ - الاجتياح الأخير . ومحاولات الأغالبة في الصمير - ص
٥٧٣ - انتصار محدود للأعالة ، ص ٥٧٤ - موقف تردد وحده من حرب
اهل الاقيم بين الجانبين المتصارعين ص ٥٧٤ - الاستيلاء على اميم مسفيليه
من بلاد الجريد ، ص ٥٧٥ - أحد - بورر ، وقصة ، ص ٥٧٦ - محاولة
أخيرة لانسات الوجود من جانب الأغالبة ، ص ٥٧٧ - الانتصار العاصى لأبي
عبد الله في الأربس ، ص ٥٧٧ - خطة المعركة ، ص ٥٧٨ - حرب الكماث
تقرر مصير المعركة ، ص ٥٧٨ - العودة الى رقادة وبهاية الدولة الأغلبية
ص ٥٧٩ .

قيام الدولة الفاطمية في غيبة الامام ، ص ٥٨١ - العمل على استنفذ
أموال الأغالبة والمعتقلين في افرقية من اهل الدعوة ، ص ٥٨١ - الترتيب
الادارية ، ص ٥٨٢ - الاصلاحات الدينية ، ص ٥٨٢ - شعارات الدولة ،
ص ٥٨٣ - استحضار الامام من سجلماسة ، ص ٥٨٤ - وصول المهدي ان
سجلماسة ، ص ٥٨٥ - قضية تحديد التاريخ : الخروج من الشام ، ص
٥٨٥ - الرحلة العجيبه ، ص ٥٨٧ - برقة ص ٥٨٩ . طرابلس ص ٥٩٠ -

- ١٩ -

توزر ، ص ٥٩٠ - وارجلان ، ص ٥٩٠ - سجلامة ، ص ٥٩١ - السير الى
سجلامة ، ص ٥٩٤ - القضاء على دولة تاهرت الرسمية ، ص ٥٩٤ -
القضاء على امامة سجلامة المدارية ، ص ٥٩٥ - عيد الله المهدى اميرا
للمؤمنين ، ص ٥٩٨ .

الكشاف بالاعلام والامان ، ص ٦٠١ .

الاشكال واقترايط

- شكل (١) جزيرة صقلية ، توزيع المدن تبعا لرواية الادريسي ص ٢٠٠
شكل (٢) صقلية بين افريقية وقلورية - كما رسمها الادريسي ص ٢٠٣
شكل (٣) صقلية وجنوب ايطاليا - كما رسمها الادريسي ص ٢٣٩
شكل (٤) صقلية وجنوب ايطاليا ص ٢٤٢
شكل (٥) المغرب الأوسط ص ٢٩٢
شكل (٦) اقليم تاهرت ص ٢٩٤
شكل (٧) المغرب الأقصى ص ٤٢٧
شكل (٨) موقع فاس وتخطيط المدينة ص ٤٤٣
شكل (٩) بلاد افريقية ص ٥٨٩

تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى قيام الدولة الفاطمية

الجزء الثاني

- ١ - دولة الأغالبة في إفريقيا : من ابراهيم الأول الى زيادة الله الثالث
(١٨٤ هـ / ٨٠٠ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)
- ٢ - صقلية الاغلبية : من الفتح الى نهاية الاغالبة (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م -
٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)
- ٣ - امامة الرستمين في تاهرت وجبل نفوسة (١٦١ / ٧٧٧ م - ٢٩٦ هـ /
٩٠٨ م)
- ٤ - امامة بني واسول المروريين الصقلية في سجلماسة (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م -
٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م)
- ٥ - مملكة الأندلس في فاس والمغرب الأوسط (١٧٢ هـ / ٧٨٩ م - ٣٠٥ هـ /
٩١٧ م)
- ٦ - خريطة المغرب السياسية الحضارية اواخر القرن الـ ٣ هـ / ٩ م
- ٧ - قيام الدولة الفاطمية وتوحيد المغرب تحت راية المهدي : « خليفة الله .
امير المؤمنين . (٢٨٠ هـ / ٧٩٧ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

انقسام المغرب إلى أربع دول

قيام دولة الأغالبة انقسم المغرب بين ثلاث دول كبرى : أقدمها دولة الرستمين الخوارج في المغرب الأوسط ، وأوسطها دولة العلويين الأدارسة في المغرب الأقصى ، وأحدثها دولة الأغالبة السنية في إفريقية والمغرب الأدنى بصرف النظر عن دولة سجلماسة الصحراوية وهي الرابعة . وكان ذلك بداية عهد جديد بالنسبة للمغرب العربي . فعكس ما كان يظن من أن قيام ثلاث دول تمتنق مذاهب سياسية دينية متعادلة قد يزيد في اضطراب المغرب ، عرفت البلاد نوعا من الاستقرار بفضل ذلك الوضع الجديد ، ترتب عليه زيادة انتشار الإسلام في البلاد ، وأدى إلى ما يمكن أن يسمى بعصر النهضة .

فرغم ما في التفتت من عوامل الضعف ، ورغم ما في التقسيم من أسباب الخلاف والفرقة فإن الوضع الجديد عمل على أن يكون لكل من الأقاليم الثلاثة شخصيته الذاتية وطابعه المميز ، وأوجد نوعا من اللامركزية في القيام بالعمل الحضاري الذي كان هدف العروبة والإسلام . فلقد أسهم كل من الأقاليم بتصديه في هذا العمل ، وقام به جنبا إلى جنب مع الآخرين - من غير قصد - خير قيام . ولقد ساعد على ذلك - رغم ما بين هذه القوى الثلاث من المنافسة - أنها لم تعمد أوجها من الشبه فيما بينها : من ذلك أنها مشرقية الأصل ، ولهذا الأمر أهمية كبرى . فرغم استقلالها السياسي عن الخلافة ، فإنها ظلت مرتبطة بالشرق عن طريق تيار من الهجرة المستمرة ، التي كان يحمل من المشرق إلى المغرب نخبا ممتازة من أقارب الأسر الحاكمة ومن بنى جلدتها ، ومن أعوانها وممتنقي أفكارها السياسية والمذهبية . هذه الهجرة كانت تؤكد الاتصال بين المغرب المتطرف وبين مركز الخلافة وبلاد العرب ، تماما كما كان الحال بين المشرق العباسي وبلاد الأندلس الأموية - رغم ما بين الأستين من العداء المرير .

الفصل الأول

قيام الاغالبة في القيروان

من ابراهيم الاول الى زيادة الله الثالث

(١١٤هـ/٤٨٠م - ٢٩٦هـ/٩٠٨م)

ابراهيم بن الاغلب .

مؤسس الدولة الاغلبية هو ابراهيم بن الاغلب بن سالم بن عقالة بن خفاجة التميمي : ووالده الاغلب الذي كان من الجند العربي الحراساني الذي وفد مع القرويت مرو الروذ ، بمعنى أنه كان من الجند العربي الحراساني الذي وفد مع القرويت المباسية الى مصر . واصبح من جندها (١) . ودخل الاغلب افريقية في قوات مجيد بن الاشعث سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م ، وعهد اليه استنصار بولاية افريقية في اواخر سنة ١٤٨ هـ / اواخر ٧٦٥ م واول ٧٦٦ م ، ومات بضرية سهم في سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م ، ولهذا عرف بـ « الشهيد » (٢) . وكان ابراهيم حين مات والده ابن عشر سنين (٣) . ولا نعرف ما اذا كان في القيروان في ذلك الوقت أم في مصر ، لذي يذكر الكتاب أنه قضى صبابة في الدرس والتحصيل بالفسطاط ، وأنه كان يحضر مجالس فقيه مصر الأشهر الليث بن سعد . وقد أعجب الليث بجهد ابراهيم واجتهاده ، وبما تميز به من الصفات حتى قال يوماً عنه : « ليكون لهذا الفتى شأن » (٤) . وعندما بلغ مبلغ الشباب دخل في جند مصر ، وكان عليه أن يسير الى المغرب مثل والده ،

(١) البلاذري ، ط : لندن ، ص ٢٢٢ -

(٢) نفس البلاذري ، انظر فيما سبق ج ١ ص ٢٤٧ وما بعدها (وعن لقب الشهيد ، ص ٢٢

ص ٢٣٠ -

(٣) توفي ابن الاغلب سنة ١٦٦ - وعمره ٥٦ سنة مكما سنوي ، وهذا يعني انه ولد حوالي سنة ١١٠ هـ / ٧٢٧ م .

(٤) ابن خلدون ، ج ١ ص ٩٢ (يقول النص ان ابراهيم سُمع من الليث واعفاه لزوجته

ثم جلاجل) . وقارن الرقيق ، ص ٢١٢ - ٢١٣ (حيث النص : « ليكون لهذا الفتى شأن ») في جانب تفصيلات عن اختلاله الى الليث لطلب العلم . واهدائه جلاجل عند خروجه الى المغرب) .

فشد رحاله الى الرقية تاركاً أهله بمصر (٥) .

أما عن تاريخ وصول ابراهيم بن الأغلب الى المغرب ، وبداية خدمته العسكرية هناك ، فهناك من الأمور الغامضة - وإذا كان الرقيق يورد رواية تقول انه سار مباشرة من مصر وبصحبه زوجته الى اقليم الزاب أثناء ولاية النعمان بن روح ، أي فيما بين سنتي ١٧٧ هـ - ١٧٩ هـ ، وأنه نفي من الرقية ما يورده الرقيق نفسه بعدها ، من : انه خلف أهله بمصر فتنشد مسيره الى المغرب (٦) . هذا ، الى جانب أننا لا نجد ذكراً لابراهيم بن الأغلب في أحداث بلاد الزاب التي شارك فيها الفضل بن روح ، وهو الأمر المستغرب بالنسبة لضابط من أميان جند مصر ، له عراقة ابراهيم - لو انه كان وقتئذ في الزاب .

ومن الأمور المستغربة أيضاً أن يكون ابن الأغلب ، وهو يستقبل الأرمين من عمره ، في ولاية هرثة بن أعين حوالي سنة ١٧٩ هـ ، قائداً لجيعة صغيرة من الجند تقوم بأعمال الشغب . لهذا ما يفهم من رواية أحمد ابن ناقد ، مولى بني الأغلب التي ينقلها البلاذري ، والتي تقول ان ابراهيم كان من وجوه جند مصر وأنه أشار وبصحبه ١٢ (اثنا عشر) رجلاً على بيت المال بالقيروان ، فأخذوا مقدار أرزاقهم لم يزيدوا عليها شيئاً ، ثم انهم هربوا الى الزاب . وتمكن ابراهيم من السيطرة على من كان هناك من الجند ، كما اكتسب ود أهل الناحية ، وبذلك تقلب على الزاب ، وآلت اليه الرياسة هناك . وبفضل مناوراته الذكية ، من : ملاطفة هرثة ، واحداثة الهدايا ، واعتدائه عما بدر منه بحسن نية ، وتمسكه بالطاعة ، نجح في الحصول منه - رسمياً - على ولاية الزاب (٧) .

(٥) انظر ابن عسكروني الذي يذكر بيتهم من الشعر لابراهيم في زوجته وقد تركها بمصر :
ما صرت ميلاً ولا جلولت مرحلة الا وذكورك يعني قائداً معتقياً
ولا ذكورك الا بيتاً مرتقبياً بزعمي الهجوم كان الموت معتقياً
وقد ورد الرقيق (ص ٢١٢) الذي يذكر البيتين ، رواية محمد بن الوكيل ، مع اختلاف
في الشذرة الثانية من البيت الأول حيث « يلقى » بدلاً من « يلقى » ، وفي الشذرة الأولى من
البيت الثاني : « كنت » بدلاً من « بت » ، وفي الشذرة الثانية : « الليث » بدلاً من « الموت » .
برازيل ، ١٤١٠ الهجرية ، ج ١ ، ص ٤٩ .
(٦) الرقيق ، ص ٢١٣ .
(٧) البلاذري ، ص ٢٢٢ .

والحقيقة انه زعم ما يمكن ان يشوب هاتين الروايتين التين ايرادهما
كل من البلاذري والرتيق من الشوائب ، لانه يمكن ان تكمن اجداهما
الأخرى ، من : حيث دخول ابراهيم بن الأغلب الى المغرب في عهد الفصل بن
روح ، ووصوله الى ولاية الزاب بفضل شجاعته وحسن تدبيره - ان تم نقل
وصوليته - على عهد هرثة الذي كان يحسن الظن فيه .

وهكذا لا نجد ابراهيم بن الأغلب في النصوص الأخرى الا قائدا من
كبار القواد ، له ولاية الزاب الهامة من قبل الخليفة هارون الرشيد نفسه ،
وذلك على عهد ابن مقاتل العكي (٨) . ولا بأس ان يكون ذلك قد حدث اثر
تدخله في مصلحة ابن مقاتل ، كما رأينا (٩) .

والذي يقم من النصوص ان ولاية ابراهيم لم تتم بسهولة ، وانها
تحققت بعد صراع مرير بين الوالي السابق محمد بن مقاتل العكي ، الذي
كان يستند الى حسن علاقته بجعفر بن يحيى البرمكي ، وبين ابراهيم الذي
عمل على اكتساب تأييد رجال الخلافة في افريقية . فهناك رواية تقول انه
عندما أعاد ابن الأغلب الى الولاية محمد بن مقاتل ، كتب صاحب البريد
بافريقية وهو يحيى بن زياد الى هارون الرشيد بحسن بلاه ابن الأغلب في
سبيل الخلافة - وتروا الرشيد تقرير صاحب البريد على أخصائه ، كما
استشار هرثة بن أعين والى افريقية السابق ، فاكثر له اخلاص ابراهيم
للخلافة وعرفه بحب الناس له ، فكان ذلك سببا في ان عين الرشيد بن الأغلب
واليا للبلاد (١٠) ، وذلك في ٢٠ من المحرم سنة ١٨٤ هـ / ٢٠ فبراير
سنة ٨٠٠م (١١) . وهناك رواية أخرى لابن الأثير تقول ان ابن الأغلب كان
قد كتب الى الخليفة - بناء على رغبة أهل البلاد - يطلب منه ولاية افريقية .
وانه عرض على الرشيد الاستغناء عن المعونة السنوية التي كانت تقدمها
مصر الى افريقية ومقدارها ١٠٠ (مائة) ألف دينار ، وانه تعهد على العكس

(٨) الرتيق . ص ٢١٢ . ابن عداري . ج ١ ص ٩٢ . الحلة السيرة ج ١ ص ٩٢ .

(٩) انظر لياً سبي . ج ١٠ ص ٢٩٢ وما بعدها .

(١٠) ابن الأثير . أحداث سنة ١٨١ ج ٦ ص ٦٣ . التبريزي . ١٠٤ ب (الترجمة) .
ابن خلدون . ج (ص ٣٦٨) ، وغازن أصل الرواية هي الرتيق . ص ٢٢٠ . ٢٢٤ : حيث
اسم صاحب البريد . ابن زياد مرة ، وابن العسل . وعن ولاية ابراهيم ، قال الرشيد . « لرجو
ان اكون له ديتنا (الرتيق) بحبرها » .

(١١) انظر الميون والحداث . ج ٢ ص ٢٠٢ .

من ذلك بدفع ٤٠ (أربعمائة) الف دينار سنويا الى بيت مال الخلافة (١٢) .
ويمكن التوفيق بين الروايتين اذا اعتبرنا ان اتصال ابن الأغلّب بالرشيّد كان
هو ضرب عمال الخلافة مثل صاحب البريد .

والظاهر ان ابن مقاتل عرف الاتصالات التي كان يقوم بها ابن الأغلّب
من خلف ظهره ، وانه حاول القيام بعمل منسأد يضمن له الاستمرار في
الولاية برغم ما كان يظهره له ابن الأغلّب من الرعاية والعطف . فعندما وصل
تقليد الرشيّد لابن الأغلّب أسرع حسفا الى ابن مقاتل يطلب منه الا يتعجل
بالخروج من القيروان ، ويسمح له بالبقاء طالما شاء الى ان يتم جهاز الرحيل .
ولكن ابن مقاتل خرج بعد أيام الى طرابلس ، وهناك لقي مبعوثا أتى من بغداد
هو حماد السعدي ، يحمل رسالتين الى القيروان ، فاعتنم الفرصة وزيّف
رسالة تالفة تضي بخلع إبراهيم بن الأغلّب وتقليده هو الولاية من حديد .
وأنتج ابن مقاتل ذلك برسالة أخرى من لدنه يعلن فيها قرب ومسئوله الى
القيروان ، ويأمر ابن الأغلّب بالرجوع الى الزاب ، ويدعو أحد أعوانه وهو
سهل بن حاجب الى اقيام بأمر الولاية نيابة عنه والى حين حضوره (١٣) .
والغلب انظر ان ابن مقاتل كان يأمل خلال فترة انتظاره في طرابلس ان يحسن
جعفر البرمكي من تسوية الأمر مع الخليفة ، وهي الامية التي لم تتحقق .

فعندما علم الناس بذلك اضطربوا ، وطلبوا الى ابن الأغلّب ان يحتفظ
بالولاية ، وان يكتب الى الخليفة يعلمه بالتردد ابن مقاتل واختلافه . ورغم أن
ابن الأغلّب وافقهم على صحة تزيف ابن مقاتل اعتمادا على علاقته القوية
بجعفر بن يحيى البرمكي ، فانه جرح رجاله وعاد بهم الى ولايته الأولى
بالزاب (١٤) ، وذلك في ١٩ ربيع الآخر / ١٨٨ مائة . وتردد سهل بن جعفر واليا
بالنيابة ورجلا آخر يعرف بأبي عزيز كصاحب للشرطة (١٥) .

(١٢) ابن الأثير . أحداث سنة ١٨١ . ج ٦ ص ٦٢ - ٦٣ (ابن خلدون . ج ٤ ص ١٦٦) -
(١٣) انظر القيرون والحماق . ج ٣ ص ٣٠٢ . النويري . ص ١٠٤ ب (الترجمة .
ابن خلدون . ج ١ ص ٣٦٨ - ٣٦٩) . وقارن الرقيق . ص ٢٢٠ . العلة السرية . ج ١
ص ٩٤ .
(١٤) انظر البيوت والحماق . ج ٢ ص ٣٠٤ . النويري . ص ١٠٤ ب (الترجمة .
ابن خلدون . ج ١ ص ٣٦٩) . وقارن الرقيق . ص ٢٢٠ .
(١٥) انظر القيرون والحماق . ج ٣ ص ٣٠٢ (حيث التمس على ابن إبراهيم ساز في مدينة
هولاء) .

ولما وصلت أسماء العكي إلى أرشيد عصب ، وكتب إليه يؤيبه علي سور -
صبيحه ويطلب إليه العودة سريعا « غير محمود الفعال » ، فعاد ابن مقاتل إلى
المشرق - وفي نفس الوقت كتب الرشيد رسالة ثانية بتولية إبراهيم
ابن الأغلب ، سار بها الرسول إلى الزاب ، فعاد إبراهيم من جديد إلى القبرون
في ١٢ من جمادى الآخرة سنة ١٨٤ هـ / ٩ يولية سنة ٨٠٠ م ، وتسلم
حكم من سهل بن حاجب الذي بقي في السيادة أكثر من شهرين (١٦) .

ومع انه من الجائر الشك في صحة الرواية الخاصة بمؤامرة العكي ،
لطائها القصصى أولا ، ولأنها ثانيا لم ترد الا في الرقيق الذي ينقله اليرى
ما يحتمل ان الرواية تكرر هنا خطأ عودة ابن مقاتل إلى القبرون بعد طرده
على يدى التميمي (١٧) ، فاننا نعتقد أن المقصود بها هو اظهار محبة إبراهيم
ابن الأغلب في قلوب الناس ، وان اختياره لحكم البلاد كان استجابة لرغبة
سعد امريقية . كما بهم من رواية ابن الأثير (١٨) ، وهذا أمر لم يكن معروفا
الإ فيما ندر - وهو يعنى ان إبراهيم بن الأغلب نجح في اكتساب محبة أهل
امريقيه ما نجح في كسب رضا اخلافة عندما عرض الاستغناء عن
الموئبة الآتية من مصر ، بل ودفع مبلغ سنوى من المال إلى الخليفة - وهذا الأمر
الاخير يعنى أن ابن الأغلب بين للخلافة أن بلاد امريقية يسكن أن تنتعش وتقدم
اقتصاديا - مثل ولايات الخلافة الفنية - اذا ما تهيأت لها الادارة الرشيدة .

العباسية (القصر القديم) عاصمة جديدة لافريقية :

بدا إبراهيم بن الأغلب ولايته بعمل يعتبر في حقيقته سمة من سمات
الدول الجديدة ، أو شعارا من شعارات كبلز الحكام : ذلك هو بتساه مدينة
ملكية أو عاصمة جديدة . بدأ هذا العمل في نفس السنة التي ولي فيها أى
في سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م حسب رواية البكرى وابن الأثير (١٩) ، أو في السنة
التي تليها (١٨٥ هـ / ٨٠١ م) كما يقول ابن عذارى (٢٠) . ونعتقد أن

(١٦) اليرى ، ص ١٠٥ . وقارن الرقيق ، ص ٢٢٠ . والميسون والمدائق ، ج ٢
ص ٣٠٢ .

(١٧) انظر فيما سبق ، ص ٣٩٣ - ٣٤٩ .

(١٨) انظر فيما سبق ، ص ٣٠ وهـ ١٤ .

(١٩) البكرى ، ص ٢٨ . ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ . وابن ابن ديتار ،

المؤنس ، ص ٤٧ .

(٢٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٢ .

الروايتين صحيحتين وإنّ الساء بدأ في السنة الأولى وتم في السنة الثانية .
ولا شك في أن ابن الأغلب تعين في دروس الماضي . وإنه أحسد العبرة من
اضطرابات القبروان ، التي كانت تموج بأهلها وعسكرها ، فرأى أن يتعد
عنها قليلا . ووقع اختياره على قطعة من الأرض على ثلاثة أميال في الجنوب
الشرقي من القبروان ، وكانت لجماعة من بني طائوت فاشترأها منهم (٢١) .
وبعد أن تم البناء أطلق ابن الأغلب على مدينته الجديدة اسم الماسية (٢٢) .
تيمنا باسم الأسرة الحلالية ، ولتكون قرينة للمهاشمية أول عاصمة عباسية
قبل بغداد (٢٣) . هذا ولو أنها عرفت أيضا باسم القصر القسديم (٢٤)
ولا تعرف ان كانت هذه التسمية الأخيرة قد ظهرت منذ بناء المدينة .
ظهرت في وقت متأخر عن ذلك . وفي الحالة الأولى تكون الماسية قد بنيت
في موضع قلعة قديمة كانت في أرض بني طائوت . وفي الحالة الثانية تكون
التسمية قد أطلقت على الماسية بعد ان قامت قصور حديثة بجوارها كما
سيحدث بعد بناء قصور وقادة على أيام ابراهيم الثاني بن محمد (بن محمد
ابن الأغلب بن ابراهيم بن الأعمش) وهو عاش في الثلاثين سنة ٢٦٣ هـ
٨٧٧ م (٢٥) .

ويرجع غنم للبركي الذي يمدد تفصيلات لا بأس بها عن طبيعته
بناء الماسية . وسكن القبول فيها احتوت - عموما - على قصر الأمير وما ملحق
به من الدواوين ودار سك النقود ومساكن حاشيته وانسجد الجامع . أما عن
صومعة هذا الجامع (أي مسدته) فيصعبها بجرامى الأندلسي بانه و لم يبس
أحكم منها . ولا أحسن منقرا . ولقد كانت الصومعة مستديرة الشكل
- كما هو الحال بالنسبة لماذن للمراق - مبنية بالأجر والعمد في مسجج
طبقات (٢٦) . وتأتي بعد ذلك معسكرات الحرس . ويحيط بكل هذا الأسوار

-
- (٢١) ابن هادي . ج ١ ص ٩٢ . وقارن الرقيق ص ٢٢٢ . والبركي . ص ٢٨ (على
٢ أميال قبل القبروان) .
(٢٢) ابن الأثير . أحداث سنة ١٨١ ج ٦ ص ٦٢ .
(٢٣) من هاشمية العراق أنظر الألابدي . طبعة لندن ١٨٦٦ . ٢٨٧
(٢٤) الرقيق . ص ٢٢٢ . ابن هادي . ج ١ ص ٩٢ . وقارن ابن أبي ديار (ص ٤٧)
الذي يسميها بالقصر فقط .
(٢٥) انظر نيسابند (بناء وقادة - عهد ابراهيم بن أحمد) ص ١١٦ .
(٢٦) انظر البركي . ص ٢٨ . وقارن الرقيق . ص ٢٢٢ (حيث هناك اشارات الى القصر
والمنتزه حوله . والمسجد الذي بناء فيه) . وقارن السويدي . ص ١٠٥ . التي حمة . في ملحق
ابن خلدون (ج ١ ص ٤٠٠) .

القوية المحصنة لمساكنها . ثم ان ابراهيم بن الأغلط أحاط الأسوار بخندق
قيسا بعد ، عندما ثار به قائمه عمران- بن مجالد (بعد سنة ١٩٣ هـ /
٨٠٨ م) (٢٧) . وينص البكري على انه كان لتلك الأسوار خمسة أبواب ،
اثنان منها في الجانب القبلي ، وهما : باب الرخمة ، وباب الحديد ، واثنان
في الجانب الشرقي ، وهما : باب غلبون وباب الريح ، وباب واحد من الجانب
الغربي ، هو باب السماعة ، مقابل المقبرة الكبيرة خسارج الأسوار . وفي
وسط المدينة كانت توجد رخبة كبيرة واسعة عرفت باسم « الميدان » ، ربما
كانت تستخدم لعرض الفرسان (٢٨) .

وهكذا اتسعت العباسية وأخذت تنافس القرون بحماماتها الكثيرة ،
وفنادقها ، وأسواقها الجملة ، ومواجه الماء العظيمة التي كانت تدير القرون ،
أوقات التحط ، عندما تفرغ صهاريجها العديدة من الماء (٢٩) .

وموضع القصر القديم معروف حاليا ، وان كان في شكل تلة صغير أو
كديلة : طوله حوالي ٥٠ مترا وعرضه حوالي ٣٠ مترا . ولقد أظهرت الحفائر
الحديثة على طول الواجهة الشمالية الغربية وجود قاعات متجاورة ، وسراديب
وحفر دائرية تحت الأرض . وقاعدة البناء والجدران من اللبن ، أما الأجر
فكان يستخدم في انشاء القباب وأسقف الدور العلوي من البناء . وهذا
الجزء المكتشف يدل ببساطته على أنه كان مخصصا للمخازن ومسكن الخدم .
أما المباني الفاخرة فقد نبتت من أجل إقامة مباني جديدة (٣٠) .

وفي الوقت الذي بدأ فيه ابراهيم بن الأغلط البناء كان يعمل في الخفاء
على تحقيق هدفه من انشاء العباسية ، وهو العمل على التحرر من تسلط
العسكر المشاغب والتمكن من مدافعهم اذا تطلب الأمر ، وذلك بالاعتصام
بقلعته الجديدة . ولكي يحقق هدفه هذا في هدوء اعتنى بالجند وأخذ يداريهم
حتى يضمن طاعتهم ، وكان يتحمل في سبيل ذلك سوء أخلاقهم وشراسة
طباعهم ، بينما أخذ في شراء السودان بحجة استخدامهم في الصناعة
تخفيفا على الناس من أعبائها ومشقاتها . ثم انه بدأ الخطوة الثانية في سننيل

(٢٧) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ - ج ٦ ص ٦٣ . وابن ابن مجالد انظر فيما بعد
ص ٣٦ وما بعدها .

(٢٨) انظر البكري ، ص ٢٨ .

(٢٩) البكري ، ص ٢٨ .

(٣٠) ج ٥ ماركسيه كتاب الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ج ١ ص ٤٦ - ٤٧ .

استخدام السودان في عسكره فاشنرى آخريين ، وحصصهم لمن سلاح الجند ، وأرحم هؤلاء ان في ذلك أكراما لهم (٣١) . وهو في الحقيقة كان يدرب السودان على استخدام السلاح ، كما كان يجرّد الجند معه . فصدما تم بناء العباسية أخذ ينقل اليها السلاح والعدد (٣٢) ، ثم انه انقل ايضا في جنح الليل بأهله وحرمة وعبيده (٣٣) . ولقد أسكن عبيده هؤلاء - وهم الذين أصبحوا حرسه الخاص الذي يضع فيه نقتله - حوله . كما أسكن معه أيضا أهل الثقة من جنده (٣٤) . وبذلك أصبحت العباسية مقرا لإبراهيم ، ومعمكرا لقواته ، مثلها في ذلك مثل كل المدن العربية الحديثة التي بنيت من قبل : كالكوفا والبيصرة ثم واسط بالعراق ، والفسطاط بم العسكر في مصر ، وفي المغرب مثل : القيروان وتاهرت وسجلماسة وفاس (٣٥) .

اقرار إبراهيم بن الأغلب للأموال في افريقية :

ثورة خريش الكندي في تونس :

حدث ما كان يحشاه إبراهيم بن الأغلب من عسكر افريقية ، وكاتب العباسية عند حسن ظنه بها ، فقامت بدورها في المحافظة على كيان المملكة الناشئة خير قيام . ففي سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ تعرض ابن الأغلب لثورة خطيرة في تونس قادها وال المدينة العربي وزعيم « الأبناء » خريش بن عبد الرحمن ابن خريش الكندي ، صهر الحسن بن حرب الكندي (٣٦) . ولا يذكر الكتاب

-
- (٣١) أنظر الرقيق . ص ٢٢٢ . وقارن النويري . ص ١٠٥ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ص ٤٠ .
- (٣٢) ابن عساري . ج ١ ص ٩٢ .
- (٣٣) أنظر الرقيق . ص ٢٢٢ . وقارن النويري . ص ١٠٥ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ص ٤٠ .
- (٣٤) ابن عساري . ج ١ ص ٩٣ . النويري . ص ١٠٥ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ص ٤٠ . وقارن الرقيق . ص ٢٢٢ .
- (٣٥) عن تاهرت وسجلماسة وفاس أنظر الفصول الخاصة بها فيما بعد .
- (٣٦) أنظر الحلة السيرة لابن الأثير . ترجمة رقم ٣٢ . ج ١ ص ١٠١ . وص ٢ : حيث يشير حسين مؤنس الى أن الاسم في شكل خريش واضح تمام الوضوح على عكس ما هو موجود في النويري وابن خلدون في شكل « حمديس » . كما أشار الى الترائن التي ترجع لعلا اسم خريش مثل اكتفاء ابن عساري بذكر لقب الرجل وهو الكندي . ثم أبيات الشعر (ص ١٤٠) التي يرد فيها الاسم في شكل خريش . مما يؤكد صحته إذ لا يستقيم مع اسم حمديس . والظاهر أن المبتول من تعريف اسم خريش الى حمديس هو الرقيب الذي نزل عنه النويري -

شيئا عن سبب هذه الثورة إذ يكتبون بأن الكندي نزع السواد - شعار
العباسيين - مما يعني أنها ثورة متاهضة لخلافة أو لجندها في افريقية ،
ولأبأس أن تكون اشارته الى علي بن أبي طالب (٢٧) قضي أن نشورة لونا
شيعيا ، ونجح في اجتذاب كثير من الأتباع من العرب والبربر (٢٨) . وسير
ابراهيم بن الأغلب قائده عمران بن مجالد لقتال الثائر ، وتم اللقاء عند
سبخة تونس ، وانتهى بكارثة بالنسبة للشوار ، فرغم انهزامهم أخذتهم
سيوف الجند الأغلبى : فبقي منهم عشرة آلاف رجل مصرجين بلعائهم في أرض
المركة ، منهم الكندي نفسه (٢٩) ودخل عمران تونس وانتقم من أنصار
خريش فقتلهم ، وأقر الأمور في المدينة (٣٠) .

= وابن خلدون (انظر الرقيق ، ص ٢٢٤) - وما يستمرى الانتباه أن الرقيق يصف خريشا
الكندي بأنه من « أبناء العرب » ، ومؤرخ القيروان يستخدم كلمة « الأبناء » كثيرا عند كلامه
عن عساكر تلك الفترة وسرورها . ومع أن ابن الأبار يكاد يشرح معنى « الأبناء » عندما يقول
أن الكندي لم يكن من الجند بل من أجه العرب الذين كانوا بالفريقية قبل المسودة (العباسيين) ،
فإن الذي قلناه من روايات الرقيق أن كلمة « الأبناء » كانت تعني وقتله : « أبناء الحسد
الذين ولدوا في الفريقية سواء كانوا من العرب بالبلدين ، أي عرب الترح الأولى ، كما يقول
ابن الأبار ، أو من الوالدين بعد ذلك ، من أهل الشام أو الخراسانية . وانظر فيما سبق ،
ج ١ ص ٢٦١ و ١٧٦ (هي ثورة تملأ بن تميم باله من الأبناء) .
وعن تاريخ ثورة الكندي ، انظر الرقيق ، ص ٢٢٥ ، (حيث سنة ١٨٦ هـ) ، ابن الأثير ،
لمحات سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ ، التويرى ، ص ١٠٥ ب والترجمة (ابن خلدون) ج ١
ص ٤٠١ ، وقارن ابن عشاري (ج ١ ص ٩٢) الذي يضمها ضمن أحداث سنة ١٨٥ هـ ، ولو
أنه يتبع ذلك يقول : أنه كانت لابن الأغلب مع الكندي وقائع واقعت محاربة المأمون للأمن بعد
موت الرشيد أي بعد سنة ١٩٢ هـ . ونستدل أن ابن عشاري يخلط هنا بين ثورة الكندي هذه
وثورة عمران بن حمال أيضا بعد (انظر الصفحة التالية) .

(٢٧) العلة السواء ، ج ١ ص ١٠٢ .

(٢٨) ابن الأثير : أحداث سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ ، التويرى ، ص ١٠٥ ب والترجمة

(ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ، ص ٤٠٠ ، وانظر الرقيق ، ص ٢٢٤ .

(٢٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ (يسى قائد ابراهيم هنا « عمران بن حماله » .

- وهو في الرقيق ، ص ٢٢٤ وما قبلها ، من حيث ينقل ابن الأثير « عمران بن حماله ») . أما

في حوله القتال ، وعدد القتلى لم يلقه التويرى في تونس حسبنا وبصلة ابن الأغلب - الرشيد (

فانظر الرقيق ص ٢٢٥ ، التويرى ص ١٠٥ ب والترجمة (في ابن خلدون ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٦ .

(٣٠) ابن الأثير - أحداث سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ ، التويرى ، ص ١٠٥ ب والترجمة

لا في ابن خلدون ص ١٠٤ - ١٠٥ ، وفي مقال أصحاب خريش من رواية الرقيق ص ٢٢٥ (

فل أنهم كانوا يصيحون : « بطلنا بطلنا ، فلا والله لا نقتل لكم - طاعة بعد اليوم » .

عما يرجح أن يكون للثورة طابع طائفي شيعي معاد للعباسيين ، ومن مشاركة حوزة بين السبيل :

ثورة الجند في طرابلس :

ولقد سميت مدينة طرابلس - القريبة من مواطن الاباضية في جبل نفوسة وأرض هواة ورنانة - كثيرا من المتاعب لابس الاعتب - فقد كان الطرابلسيون يشكون من الولاة وكان ابراهيم يستجيب لهم فيعزل من لا يرضون عنه . وفي سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م ثار أهل طرابلس بواليهم سفيان ابن المضاء (الذي ولي المدينة للمرة الرابعة) وأجأوه الى المسجد الجامع ثم انهم سمحوا له بالخروج بالأمان ، ولما لم يمض على ولايته شهر واحد - والظاهر أن جند طرابلس وليس أهلها هم الذين قاموا بتلك الثورة اد أن الجند هم الذين جعلوا أمر المدينة الى ابراهيم بن سفيان التميمي بدلا من ابن المضاء - ويعول ابن الأثير ، الذي ينعدو بذكر تلك الاحداث : ان الخلاف وقع بعد ذلك بين «الأبناء» بطرابلس وبين قوم من بني أبي كنانة وصى يوسف حتى فسدت طرابلس . والظاهر أن المقصود بالأبناء : هم أبناء الجند الذين ولدوا في افريقية ، ولم ينخرطوا في سنك العسكرية ، سواء كانوا من العرب البلديين أو من الوافدين على البلاد بعد ذلك ، من : أهل الشام أو من أهل خراسان ، كما سبقت الإشارة (٤١) . فعندما بلغت ابراهيم أبناء تلك الفتنة استدعى الأبناء وحصومهم الى القيروان في ذي الحجة من نفس السنة / نوفمبر ٨٠٥ م ، وهناك سألوه العفو فأجابهم وعادوا الى بلدهم (٤٢) .

ثورة عمران بن مجاله - « الوزير » :

أما أخطر الثورات التي تعرض لها ابن الأغلب فهي التي قام بها قائده ووزيره عمران بن مجاله الربيعي - قاهر خريش الكندي - بالاشتراك مع عامر بن المعمر بن سنان التيمي صاحب الشرطة ووالي قسطنطينة السابق ، وعمر بن معارية القيسي ، أحد فرسان قيس وسادتها في الاسلام ، وذلك سنة ١٩٤ هـ / ٨١٠ م على ما يظن (٤٣) . والظاهر أن عمران شعر بقوته بعد

= المعروف بالحرون ، قائد ابراهيم وسديقه وواليه على طينة ، فحرب خريش وما قاله فيها من الشتم ، انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤١) انظر ص ٣٤ و٣٦ .

(٤٢) ابن الأثير ، سنة ١٨٩ . ج ٧ ص ٧٧ .

(٤٣) ابن الأثير ، إجماعات سنة ١٩٤ ، ج ٦ ص ٩٥ (حيث يذكر مسح عمران : خريش ابن التولسي ، وأغلب الظن أن المقصود بذلك ثورة خريش الكندي السابقة) . وانظر الحلة السيرة ، ترجمة ٣٥ ، ج ١ ص ١٠٤ ، و ترجمة ٣٦ ص ١٠٦ (عن عامر) و ترجمة ٣٩ ص ١١٠ (عن عمرو) .

الخدمات الكبيرة التي أداها لابن الأغلِب ، وأنه كان يطمح في أن يكون له مَرَّ ممتاز بالنسبة للأمير . والتوريزي الذي ينقل عن الرقيق ، يعلل فتور العيالة بين ابن الأغلِب وابن مجالد بأسباب شخصية ، وذلك منذ بناء القصر القديم : فقد خرج ابراهيم يوماً الى مهمل روح ومعه عمران الذي أخذ يجاذبه أطراف الحديث و ابراهيم لا يستمع إليه إذ كان منصرفاً كلية الى التفكير في سكنى قلته الجديدة (القصر القديم) (٤٤) وربما كان الأقرب الى الصحة أن عمران أحس بما يشككه المقر الجديد لابراهيم من التباعد أو الانفصال بين الجيش وبين الأمير ، الذي لن يصبح واقعاً تحت رحمة قواده . هذا ، كما يمكن التفكير في أن ابن الأغلِب أخذ يحمل شئون الجند وخاصة ما يتعلق منها بدفع الرواتب ، وذلك بعد أن استغنى عن الاموال التي كانت تأتيه من الخلافة ، كما سنرى بعد قليل .

وهكذا بدأ عمران يتغير وأخذ يتأمر على بن الأغلِب ، وانتهى الأمر بأن أعلن الثورة ، واجتذب كثيراً من الأنصار منهم أهل القيروان التي نجح في الاستيلاء عليها في ١٠ من رجب ١٩٤ هـ / ١٩ ابريل سنة ٨١٠ م ، وبلغ الأمر الى درجة أنه غلب على معظم بلاد افريقية (٤٥) . وحاول عمران اكساب ثورته نوعاً من الشرعية باجتذاب فقيه « افريقية المشهور أسد بن الفرات الى جانبه ، وحاول أن يكرهه على ذلك ، ولكن ابن الفرات هدمه بإعلان رأيه في الفتنة غلابة ، وهو : « ان القاتل والمقتول في النار ، فتركه (٤٦) .

ولم يكن لابراهيم بن الأغلِب من ملاذ الا في العباسية ، فخذق حولها واعتصم بأسوارها (٤٧) . واستمرت الثورة طوال عام راحت البلاد خلاله نهياً للاضطراب والفوضى . فكانت خيل ابراهيم تغير حتى حواطل القيروان وقتل من يصادفها في الطريق ، وكانت خيسل عمران تغير على بلاد ابراهيم (٤٨) .

-
- (٤٤) التوريزي ، ص ١٠٦ . والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ، ص ٤٠١ .
 (٤٥) ابن الأثير ، لمحات سنة ١٨٩ ، ج ٦٣ وسنة ١٩٤ ، ج ٦ ص ٩٥ ، التوريزي - ص ١٠٦ او الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .
 (٤٦) ابن الأثير ، سنة ١٩٤ ، ج ٦ ص ٩٥ ، واطر ترتيب الملاح ، للأبني عباس ، بيروت ١٦٦٥ ، ص ٤٧٨ . تراجم الظبية ، ص ٦٨ . العلة السيرة ، ج ٢ ص ١٠٥ .
 (٤٧) ابن الأثير ، لمحات سنة ١٨٩ ، ج ٦ ص ٦٢ .
 (٤٨) التوريزي ، ص ١٠٦ او الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .

واخيرا بي المرح عملا في الاموال التي ارسلها الرشيد الى ابن الاغلب
لدمع مرتبات الجند(٤٩) . ولا شك لي ان ابن الاغلب كان في أشد الحاجة الى
القبول ، اذ انه بمجرد ان علم بمسيرتها اليه أسرع وحصل ابنه عبد الله
يسلمها في طرابلس(٥٠) . ، حشيه أن تقسح بين أيدي حصومه في بلاد
القيروان . وكان ثوبا وصول المال أثر السحر في قلوب الجند الثائر الذين
فكروا في تسليم عمران . وعندما سار ابراهيم بالخييل والرجال والعبيد نحو
أسوار القيروان ، ونادى مناديه يدعو كل من اسمه في ديوان أمير المؤمنين
الى الحضور لتسلم عظامه ، لم يامن عمران البقاء مع رجااه ، فترك القيروان
ليلا وسار الى بلاد الزاب ، وبصحبه عمرو بن معاوية وعامر بن المعمر(٥١) .
وأسرع ابراهيم الى القيروان فدخلها ، واشتم من المدينة فعلق ابوابها وتلم
اسوارها(٥٢) حتى لا تعود الى الثورة .

• وهكذا أكنت العباسية حسن ظن ابن الاغلب بها ، فقد حققت له الظفر
على خصومه وثبتت اقدام اسرته في البلاد . وبناء على ذلك ، وبعد أن شعر
بالاطمئنان ، أخذ في زيادة عمرانها . فاقطع آله ومواليه الاقطاعات في داخل
اسوارها ، وبذلك اصبحت الضاحية الملية عاصمة لبلاد بدلا من القيروان
ففيها استقبل ابراهيم رسل الخليفة هارون الرشيد ، كما استقبل رسل
شلمان الذين اتوا يبحثون عن رفات القديس سبريان ، وفيها عقد سنة
١٨٩ هـ / ٨٠٥ م الهدنة مع بطريق صقلية قسطنطين لمدة عشر سنوات وتم
الاتفاق على فداء الاسرى(٥٣) .

أما عن عمران فانه ظملى في الرباب الى وفاة ابراهيم سنة ١٩٦ هـ /
٨١٣ م وولاية ابنه عبد الله الذي اعطاه الأمان ، واسكنه معه في القصر

-
- (٤٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ ، ج ٦ ص ٦٣ ، النويري ، ص ١٠٦ أو الترجمة
(ابن خلدون) ج ١٠٦ ص ٤٠٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٦ .
(٥٠) النويري ، ص ١٠٦ أو الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .
(٥١) النويري ، ص ١٠٦ أو الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ (حيث عامر بن
المعمر بدلا من عامر بن المعمر وهي قراءة الحلة السبويه (ج ١ ص ١٠٥) ، وفردان ابن الأثير .
كشفت سنة ١٨١ ، ج ٦ ص ٦٣ .
(٥٢) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ ، ج ٦ ص ٦٣ ، النويري ، ص ١٠٦ ب الترجمة
(ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .
(٥٣) حسن حسني عبد الوهاب ، الوثائق ، قسم ١ ص ٣٥٧ .

القديم ، ولكنه تخلص منه بعد قليل عندما علم بتآمره ، كما يقال (٥٤) : وهكذا حكم إبراهيم بن الأغلّب الفريقي مدة ١٢ (اثنتي عشرة) سنة ، فتمح أهل الشربها ، وضبط أهلها (٥٥) ، فلم تعرف الفريقية - كما يقول الرقيق - واليا عدل ، ولا أحسن سياسة ، ولا أرفق بالرعيضة ولا أضبط للأمر منه (٥٦) .

ولقد ثبت ابن الأغلّب أقدامه في افريقية وبدأ يتطلع الى المغرب الأقصى حيث ادريس بن ادريس العلوي ، ونجح في استمالة واحد من أكبر أعوانه هو يهلول بن عبد الواحد زعيم مطفرة حتى اضطر ادريس الى استمطائه وسؤاله الكف عنه (٥٧) . وتأكد مركز ابن الأغلّب في البلاد حتى أنه بعد وفاة الرشيد سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م ترك الأمين افريقية له ، فأقره في ولايتها .

وتوفي إبراهيم بن الأغلّب في أواخر شوال سنة ١٩٦ هـ / أوائل يولييه ٨١٢ م ، وله من العمر ٥٦ (ست وخمسون) سنة ، بعد ولاية استمرت أكثر من ١٢ سنة ، بدأت بعهد الرشيد اليه بافريقية سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م ، واستمرت بعد ذلك باقرار الخليفة المأمون له في سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م .

(٥٤) وفي ذلك يقف : أن القليبي يحيى بن سلام صاحب التفسير عتب لذلك لأنه كان وسيطاً في أحد الأمرين لعمري . فلما قتله عبد الله ، قال : « لا أسكن بلداً أخرفه المجد على يدي » ، ثم انه خرج الى مصر حيث مات - انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٠٥ .
(٥٥) ابن عساق ، ج ١ ص ٩٢ . الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٠٥ .
(٥٦) التويري ، ص ١٠٦ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٣ ، وانظر الرقيق ، ص ٢١٢ .

(٥٧) ابن الأثير ، سنة ١٨١ ، ج ٦ ص ٦٣ (التويري ، ص ١٠٥ ب) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ ، ج ٦ ص ١١٩ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١١١ ص ١٠٩ حيث ترجمة إبراهيم ابن محمد النسيبي التي أنقله ابن الأغلّب وسولا الى الخليفة الرشيد ، بعثت صحبة يرسل يهلول بن عبد الواحد الميغري ، وقلوب الرقيق ، ص ٢٢٥ : حيث الاشارة الى انه بعد أن استقامت الأمور لإبراهيم بن الأغلّب وبلغه استعجال ملك ادريس بن ادريس ، دعا كعبار مستشاريه وهم : صاحب البريد يحيى بن زياد ، والقاضي عبد الله بن عمر بن غانم ، وابن عوامه الكلبي ، وشاورهم في أمر ادريس ، فاشاوروا عليه . بأن يذهب طالبا وادعه وأن يرضى لنفسه وله بالسلامة . أما ما يقال من انه شارك في التخلص من ادريس الأول بن عبد الله ومن حولوا راشد بسنة ، فالغلّب الظن أنه موضوع للرفع من شأن عميد الأسرة الأغلبية - بالنسبة لبلاده بغداد - فتظهر في ذلك ما يأتي في دولة الإدارة - وانظر ابن الططيط : أعمال الأعلام ، قسم ٢ ، ص ١٢ (حيث انصهر على ان ادريس بن عبد الله كتب اليه يستكفيه عن قسطنطين ، ويذكره في بعض النسخ من الرسول (ص) ، فاجابه عن كتابه وادعه ، ولم تجر بينهما حرب الا ما ذكره ابن عساق في التبريق به عند ذكر الإدارة ٤٠٠٠ .

ولاية أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلّب (١٩٦ - ٢٠١ هـ /
١١٢ - ٨١٧ م) :

بإقرار المأمون لولاية إبراهيم بن الأغلّب بعد وفاة الرشيد بطوس
(٢ جمادى الآخرة ١٩٣ هـ / ١٤ إبريل ٨٠٩ م) نبتت الأسرة الأغلّبية أقدامها
فى أفريقية . ومنذ ذلك الحين صارت أفريقية ملكية وراثية فى الإغالبية من
بنى إبراهيم بن الأغلّب ، السذى حلفه ابنه عبد الله السذى عرف
بـ « الجميل » (٥٨) .

وكان أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلّب فى طرابلس التى
ولاه أبوه أياها للسرة الثانية اثر اضطراب أحوالها نتيجة لاضطراب الجند
الأغلّبي من جهة ، وتهديد الحوارج من بربر هواراة من أتباع عبس الزهاب
ابن عبد الرحمن بن رستم لاحتيتها من جهة أخرى . وكان إبراهيم بن الأغلّب
اضطر إلى إعادة ابنه عبد الله إلى طرابلس مرة ثانية ، بعد أن كان عهد بولايتها
إلى سفیان بن المضاء الذى ظهر عجزه فى مقاومة البربر ، فهزهم عبد الله
واستقر فى المدينة ، وجدد تحصيناتها قبني سورها (٥٩) . وهكذا أثبت
عبد الله جدارته كرجل دولة ، وكانت وصية إبراهيم عند وفاته أن تكون
الإمارة بعده له . وبينما كان عبد الله فى طرابلس قام أخوه زيادة بالله بأخذ
البيعة من رؤساء الجند ، وأرسل يحطه بالأمر (٦٠) . فاضطر إلى عقد ائصلح
مع أباضية عبد الوهاب بن رستم ، اعترف لهم فيه بالسيادة على طسواهر
المدينة (٦١) . ورجع أبو العباس إلى القيروان فى صفر من اسنة التسالية
١٩٧ هـ / أكتوبر ٨١٢ م ، وتسلم السلطة ، وأخطر الخلافة لى بغداد بالأمر ،
فانته الموافقة على ولايته على أفريقية ، فى السنة التى بعدها ١٩٨ هـ / ٨١٣ م ،
من الخليفة المأمون الذى كان قد تخلص من أخيه الأمين (٦٢) .

(٥٨) الحلة السراء ، ج ١ ص ١٦٣ .

(٥٩) ابن الأثير ، سنة ١٩٦ ، ج ٦ ص ٢٧٠ .

(٦٠) ابن الأثير ، سنة ١٩٦ ، ج ٦ ص ٢٧٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٥ .

(٦١) هنا ما يقم من روايات ابن خلدون : (ج ٤ ص ١٩٧ - حيث الترام : فصالحهم
على أن يكون البلد والبحر لعبد الله زعمالسا لعبد الوهاب) ، (ج ٦ ص ١٢١ - حيث
الترام : فصالح عبد الوهاب على أن تكون الصبانية) الأقاليم الساحلية) لهم (أى للأغالبية)
واقصر إلى مقوسة (مقوسة) ولحق عبد الله بالقيروان) ، والنظر الصمانى ، ص ١٦٦ .
والنظر فيما بعد ، ص ٢٢٢ - ٢٢٢ (حيث رواية ابن الصديق التى عكس على أن الامام عبد الوهاب
سأمر طرابلس) .

(٦٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٥ .

سوء تفاهم بين أفراد الأسرة ، ومطالبة اصلاح مالي :

استمرت ولاية ابي العباس عيد الله لمدة خمس سنوات وشهرين ، لا يذكر له الكتاب أثناءها الا عمليتين : أحدهما خاص بمسألة اسيادته الى أخيه زيادة الله ، الذي كان قد أخذ له البيعة عند وفاة والدهما ابراهيم ، وأدار شئون المملكة الى حين عودته من طرابلس ، بعد حوالي أربعة أشهر . ونظراً ان هذه المسألة متعلقة بالمساسيات بين أفراد الأسرة الأعلوية (٦٣) . وثانيهما خاص باصلاح نظام الضرائب ، وكان يهدف منه الى تثبيت مال الخراج البسنوي بأن جعله ضريبة مالية ثابتة ، حتى لا يخضع دخل الخزانة الى أهواء سنوات الحصب وسنوات الجذب ، مما يضمن له صرف رواتب المسكر ، الذين كانوا يسببون للدولة الكثير من المتاعب ، بطريقة منتظمة . فقد كانت الضريبة المتأداة هي العشر من الحب الذي تنتجه الأرض ، فحصل عبد الله الصربية ثمانية دنانير على كل زوج تحرث من البقر (٦٤) .

معارضة الفقهاء للإصلاح المالي :

واعتبر التقليديون من المالكية هذا الإصلاح المالي خروجاً على السنة ، ووجهاً من وجوه الظلم الشيعية التي تعرف عندهم ، في مجال الضرائب ، بالمخارم ، مما كان سبباً في سخط الناس ، وعلانهم التضمر من تلك الضريبة المبتدعة ، ومطالبتهم بالقائها والعودة الى نظام العشر المعتاد .

(٦٣) وفي ذلك قول الروايات ان عيد الله حصل في امارته على أخيه زيادة الله حساناً شديداً ، وكان يتقصه ، ويامر بدماءه باطلاق الاستتيم بسبه ، وزيادة الله مع ذلك يطور له التنظيم والتبجيل والصنع الجميل ، ولا يظهر له تقهراً - انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٥ . نهاية الأرب ، المخطوط ، ص ١٠٧ أ ، العلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٨ . وهذا ما يذكرنا بما كان يعمل الهادي بأبيه الرشيد ، عندما كان ولياً لهده ، وكان الهادي يطبع في أن يكون ابنه موسى القلام الصغير ولياً لهده بدلاً من الرشيد - انظر ابن الأثير ، سنة ١٧٠ هـ .

(٦٤) إختلاف الكتاب في تقدير ضريبة العشر المالية التي ثبتها أبو العباس بن ابراهيم ، فقدوماً ابن عذاري بـ ٨ (ثمانية) دنانير للفتين من الأرض ، أصحب أم لم يصب : أي ان سملت الأرض أم لم يعمل (ج ١ ص ٩٥) . أما ابن الأثير فيقدرها بمائة عشر ديناراً على الفدان في كل سنة (سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٢٢٦) . ولما كان الفتين ميلاً يكاد يساوي الأردب أو يزيد قليلاً - بالنسبة للحب - فلا تعرف كيف كان يقدر بالنسبة لمساحة الأرض اذا كانت ذروية ابن عذاري سليمة . ولما كان الفدان من مقاييس مساحة الأرض الزراعية في مصر ولما كان يبلغ الى ١٨ ديناراً بقروضة حلب - حسب رواية ابن الأثير ، فتقدر ضريبة باعطاء نقد أخذنا برواية نهاية الأرب - وهي لتريق أصلاً - التي جعلت يفايس ذلك الضريبة ليس مساحة الأرض نفسها ، بل للمساحة التي يمكن لزواج من الهجر حرثها (- النويري ، المخطوط ص ١٠٧ أ) . وهذا أمر مقبول بالنسبة للأرض الذروية - يبلغ الخطر .

وكن !فتقاء والعباد من مشايخ البلاد دورهم في الاحتجاج على هذا
الاحراء المالى الجديد ، وذلك أن الرواية تقول ان جماعة من الصالحين من
حريرة شربك أتوا الى القيروان . وعلى رأسهم صالح الريفية وقتند . حفص
ابن حميد ، حيث سمح لهم بمقابلة الأمير الأعلى الذى كان مقيما في القصر
التقديم ، فرعظوه في أمر الدين ومصالح المسلمين(٦٥) ، كما شكوا اليه بقفل
تلك الضريبة(٦٦) . وتقول الرواية ان الأمير المعجب بحاله استخف بجماعة
الصالحين واستهان بهم ، فلم يستمع الى نصيحهم . وبذلك عاد حفص بن حميد
واخوانه نحو القيروان ، في غرة ذي الحجة من سنة ٢٠١ هـ / ٩ يولية ٨١٧ م ،
غير راضين عن لقاء أبي العباس . وفي وادي الفصارين ، على طريق العاصمة ،
قال لهم حفص : « قد يسسا من المخلوق ، فلا ينأس من الخلق » فاسألوا
المولى وتضرعوا اليه في روال ظلمه عن المسلمين ، فان سح في الدعاء ، فقد
أذن في الإجابة(٦٧) .

وتروضات الجماعة وساروا الى مصلى روح حيث دعوا الله بعد الصلاة :
أن يكف عن المسلمين جور أبي العباس ، وأن يريحهم من أيامه . ولم يكن
من انفرج أن تستجاب دعوة العباد الصالحين ، فأصيب الأمير الجميل الذى
كان معتبرا من أجمل أهل زمانه ، بقرحة تحت أذنه لم يستطع أن يقاسوم
ضرها الا خمسة أيام فقط ، كما عبرت لون بشرته البيضاء حتى انه عندما
مات ، متأثرا بها في اليوم السادس ، وكشفت عنه ثيابه للفسل ، كان كأنه
عبد أسود . واعتبر الناس أن ذلك كان عقابا من الله للأمير الظالم ، وان
السواد الذى حل بجسمه الجميل كان نتيجة طبيعية لسوء فعالة(٦٨) .

(٦٥) ابن عسارى ، ج ١ ص ٩٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٧ .

(٦٦) انظر النويرى ، حياة الأرب ، حيث يقول ان حفص بن حميد كلم الأمير أبا العباس ،
فكان ليما قال له : ايها الأمير اتق الله في شياك ودرسم جسمالك ، وانطق على بدنك من
النار . ترمى كل زوج تحرت ثمانية دنانير ؟ فأنزل ذلك عن وعيك ، وخذ قيمه بكتاب الله وسنة
نبيه سلمه فان الدنيا زائلة عنك ، كما زالت عن هيرك (المخطوط ، ص ١٠٧) . وقارن
مخطوط دار الكتب ، ص ٢٩ حيث الجملة الأخيرة زائدة فيه . ويضيف ابن الأثير ان من بين
ما وجهته جماعة الصالحين الى الأمير الأعلى ، قول الله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم . والله أراد الله بقوم سوء فلا مرد له . وما لهم من دولة من وال » (سنة
٢٠١٥ هـ ، ج ٦ ص ٣٢٩) وانظر سورة الرعد : ١١ .

(٦٧) ابن عسارى ، ج ١ ص ٩٦ ، النويرى ، المخطوط ، ص ١٠٧ ، ابن الأثير ،

ص ٣١ ، ج ٦ ص ٣٢٩ .

(٦٨) ابن عسارى ، ج ١ ص ٩٦ ، النويرى ، المخطوط ، ص ١٠٧ ، وقارن ابن الأثير ،

ج ٦ ص ٣٢٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٧ .

زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلِب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ / ٨١٧ - ٨٢٧ م) :

سِيَّاسة قوية : قَوَّامها المَنف والقِسوة :

توفى أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلِب في ٦ من ذي الحجة سنة ٢٠١ هـ / ٢٤ يونيو ٨١٧ م ، بعد ولاية لم تزد عن خمس سنوات الا بشهرين ، وبويع أخوه زيادة الله - الذي كان أول من سمي « زيادة الله » - في الاسلام ، كما كان ابراهيم بن المهدي أول من سمي « هبة الله » (٦٩) - بالامارة بعد ١٦ يوما ، وذلك في يوم ٢٢ من ذي الحجة / ١٠ يولييه . ولما كان زيادة الله قد نفي معاملة سيئة من أخيه المتوفى ، مما اعتبرناه صدى لتتوع من النزاع الصامت بين أفراد الأسرة الأغلِبية ، كان من الطبيعي أن يلتقى المقربون من الأمير عبد الله ما يسمى في المصطلح السياسي « المعاملة بالمثل » . ظهر ذلك في خوف أخى زيادة الله ، وهو الأغلِب بن ابراهيم وكان شقيقا لعبد الله من نفس الأم ، من انتقام زيادة الله وخروجه مستأذنا للصح سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٨ م ، ومى صحبته ابنا أخيه الأمير الراحل ، وهما : أبو فهد محمد ، وأبو الأغلِب ابراهيم اللذان كانا صغيرين ، وهو يزعم عدم العودة الى افريقية ، اذ استقر مع ولدى أخيه في مصر بعد أداء الفريضة (٧٠) . والظاهر أن زيادة لله استعظم ذلك فكتب الى أخيه يستعطفه ويستميله ، فعاد مع ابني عبد الله الى اقبروان ، حيث صغار الأغلِب مكرما من زيادة الله ، مقربا منه ، كما يقول النويري (٧١) .

(٦٩) النويري ، المخطوط ، ص ١٠٧ ب ، الحلة السمرية ، ج ١ ص ١٦٣ ر ص ١٦٦ (حيث الإشارة الى أن أمه هي « جلاجل » ، بلوية الليث بن سعد - التي سبقت الإشارة اليها في ص ٤ ص ٢٧) .

(٧٠) ابن عسارى ، ج ١ ص ٦٧ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٧ - حيث يقول أن الأغلِب خرج مع أمناه أخيه الثلاثة ، وهم : أبو العباس محمد ، وأبو محمد يور (فهد) ، وابراهيم أبو الأغلِب .

(٧١) للنويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١١٢ أ - حيث تقول الرواية ان زيادة الله : « آكرمه وحسن اليه ، وجعل أمور دولته بيده » ، مما يمكن أن يفهم منه أن الأغلِب كان يشغل منصب الوزير لدى أخيه زيادة الله ، وهذا ما نص عليه رواية ابن خلدون (ط بيروت ، ج ٤ ص ٤) التي تبرر استعصام زيادة لله بهما واجبه من العروب - وهذا ما لا تقروه رواية ابن عسارى التي اشلتنا بها ، والتي تزيدنا رواية أخرى لابن خلدون (ج ٥ ص ١٩٧) يصف فيها حل أمه الوزير هو ابن عم زيادة لله وقائله « الحبون » . فابن عسارى (ج ١ ص ٦٧) يذكر قصة خروج الأغلِب ، ولدى أخيه عبد الله ثم عودتهم الى افريقية ، ولكنه يضيف الى ذلك أن وزير زيادة لله كان ابن عمه الحليون . والحليون الوزير رحيل هو الأغلِب بندهم ، والفرس الأغلِب ابن سالم الذي عرف هو وبوه يبنى عبد الله ، وكان من قواد زيادة الله في حروب الطليبي ، =

وحزن لا تعرف كيف يقرر ابن الأثير : أن زيادة الله « بقي أميراً رضى
البال وادعا ، والدنيا عنده آمنة » (٧٢) ، إلا إذا كان يقصد بذلك طول مدة
حكمه ، وأن الأغلبية حققوا في عهده عملاً عظيماً بفتح صقلية على يدى قاضى
افريقية الشبير أسد بن الفرات . ولما كان أسد قد ولى القضاء سنة ٢٠٣ هـ /
٨١٩ م ، الى جانب القاضى أبى محرز (محمد بن عبد الله بن قيس الكناسى)
حتى أصبح لافريقية قاضيان لأول مرة وهو الأمر الذى لم يعهد من قبل (٧٢) ،
فان وصوله الى قيادة الجند يعنى ازدهار العلم ، والمكانة السامية التى كانت
للعلماء فى ذلك العصر - وفى ذلك يقال ان زيادة الله نفسه كان أنصح أهل
بيته لساناً وأكثرهم أدباً (٧٤) .

والحقيقة أن الحوليات التاريخية الافريقية تسجل عدداً من الاضطرابات
الداخلية ، من جانب الجند ومن جانب العامة ، وتنص على أنه لم يبق بين يدي
زيادة الله فى بعض الأحيان الا العاصمة القيروان ، وبعض الأقاليم القليلة .
وفى ذلك يقال أن أسباب الاضطراب كانت ترجع الى سياسة الأمير العنيفة :
اذ استبد بالناس واستخف بالجند ، وخاف على نفسه منهم فحصن القصر
التقديم واحتسى به .

ثورة ابن الصقلية ، وعصيان عمرو القيسى :

فى سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م ، أى بعد ست سنوات من ملكه ، كان سوء
سيرته فى الجند سبباً فى ثورة قام بها قائد من قوادهم ، اسمه : زياد بن
سهل ، ويعرف بابن الصقلية ، الذى خرج فى موضع يعرف بفحص أبى صالح
غير بعيد من باجة التى ضرب عليها الحصار . ولكن ثورة ابن الصقلية انتهت
بسهولة على يدى قائد زيادة الله ، سالم بن سواده الذى فك حصار باجة ،
وقتل كثيراً من أصحاب القائد الثائر ، وغنم أموالهم (٧٥) . ومع أن الكتاب

كما يأتى (ص ٤٦ ، وانظر الحلة السيرة - ج ١ ص ١٨٩) . ولا بأس فى أن يكون الأمر
قد اختلط على الرقيق . الذى يقاتله التويرى (وابن خلدون) ، عندما قال ان الأتلي صارت
اليه أمور دولة أخيه زيادة الله ، فقلن أنه غلبون وهو اسم شهرة الوزير - حسب الطريقة
المغربية الاندلسية - فى تحويل اسم الأتلي الى غلبون .

(٧٢) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٢٢٩ .

(٧٣) نفس المصدر .

(٧٤) الحلة السيرة - ج ١ ص ١٦٢ ، ابن الخليل ، أعمال الأعلام - قسم ٣ ص ١٢ .

(٧٥) ابن خلدون - ج ١ ص ٢٧٠ ، ابن الأثير ، ص ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٢٢٩ ، ابن

خلدون ، طبعه ، ج ٢ ص ١٢٧ .

يسرون سوء سيرة زيادة الله في الجند واستخفاف بهم بسبب عدم انتظامهم ،
ويوثقهم على الأبراء قبله ، فإن رواية ابن عذارى تنص على أن عنقه مسح
الجند ، واغلاظه بهم ، وسفكه لدمائهم - خاصة عندما كان يسكر - كانت
السبب في قيام العامة بالثورة ، في نفس السنة (٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م) (٧٦) .

ومع أنه لم تكن لثورة العامة هذه أصداء ملموسة ، فإن ابن عذارى ربط
بينها وبين ثورة الزعيم القيسي عمرو بن معاوية ، صاحب عمران بن مجالد
في ثورة سنة ١٩٤ هـ / ٨١٠ م . كان عمرو واليا لزيادة الله على منطقة
القصرين ، فأعلن العصيان في سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م ، وغلب على الناحية ،
وغشى ولديه : حبابا وسجمان في الفتنة ، رغم نصح أكبرهما له ، وهو
حباب ، وتخوفه إياه من عواقب الفتنة . فلقد قال حباب لوالده : « انك
دخلت في أمر عظيم ، وعرضت نفسك للإهلاك ، ولست من رجال هذا الأمر ،
ولا ينفعك عند ولا عدة ٠٠٠ » ، فكانت نتيجة تلك النصيحة الخيالية أن
تعرض حباب للتنكيل من والده ، الذي ضربه مائتي سوط ، كما تقول
الرواية ، وتنادى عمرو القيسي في الحلاف (٧٧) .

ولم تطل ثورة القصرين إذ سرعان ما قبل القيسي وولده الاستسلام
على الأمان عندما سار اليهم بالقوات الاعلبيية موسى بن هارون ، مولى ابراهيم
ابن الأغلب (٧٨) ، وجاء بهم الى زيادة الله الذي أمر بحبسهم في بيت وزيره
وابن عمه الأغلب بن عبد الله المشهور بظليون الى أن يرى فيهم رأيه . وسرعان
ما راح الثلاثة ضحية القيل والقال من جانب المقرين من الأمير ، من كانوا
يسرون أحداث السياسة بناء على التحزبات العرقية والعصبيات القبلية .
فقد واجت شائعات تقول ان الأمير لم يقتص من عمرو بن معاوية لأنه قيسي ،
ولأن العصبيية القيسية قوية في مصر حتى أن زيادة الله خشى أن يشبوا بعمه
(الوالي) بمصر اذا نزل مكروه بقائده المخالف ، مما أثار زيادة الله فتخلص
من السجناء ، الذين نزلوا على الأمان ، بطريقة شنيعة (٧٩) .

(٧٦) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٦ ، وقارن النويرى ، المخطوط ، ص ١٠٧ ب .
(٧٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٧ - ٩٨ ، النويرى ، ص ١٠٨ ، وانظر الحلة السنية ،
ج ١ ص ١١٠ (حيث اسم ابن عمرو الثاني : « سكان » وليس سجستان) .
(٧٨) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٨ .
(٧٩) انظر ابن عذارى (ج ١ ص ٩٨) الذي يشير الى أن أبا عمار المصنف هو الذي
اخبر زيادة الله بذلك ، لما كان من الأمير الا أن طلب من وزيره وابن عمه ظليون أن يقتل
المعوسين الثلاثة أي سجنواهم حيث لا يقتل عمرو بن معاوية يبيعهم ثم يقتل أولاده .

ردود الفعل لسياسة العنف :

ثورة الطنبلي :

ولما كان العنف لا يولد الا العنف ، كما هو معروف ، لم يكن من اذخريب أن تؤدي تلك القسوة التي لا تعرف الانسانية أو الرحمة الى ثورة كبرى كادت تؤدي بالدولة الأعلى الفتية . وكان قائد تلك الثورة واحدا من كبار رؤساء الجند الأعلى ، هو منصور بن نصر الطنبلي ، الذي شق عصا الطاعة على زيادة الله في السنة التالية ، سنة ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م .

وكان منصور الطنبلي من ولد دريد بن الصمة ، ولقب « الطنبلي » ، الذي حمله نسبة الى قصر كان له في منطقة المحمدية قرب مدينة تونس (٨٠) . كان منصور واليا على مدينة طرابلس عندما وصلته أنباء الفاجعة التي حلت بصور بن معاوية القيسي وابنيه حياج وسجمان ، فتأثر لأبناء عصبته ، ودعا بني تميم في طرابلس الى الوقوف الى جانبهم للأخذ بشأركم بني عمومتهم القيسية (٨١) . وعندئذ كتب صاحب الخبر ، أي صاحب البريد ، الى زيادة الله بما يزعمه منصور الطنبلي من إثارة بني تميم ضد الأمير الأعلى الذي عزل منصورا في التو واللحظة ، وأمره بالقدوم عليه في القيروان حيث وضعه

« سياب وهم طلبه أن تكون معارضة لوالده شيئا له لدى الأمير الذي شك في أن يصبح حياج مخلصا له . أما ابن الأسر ، وهو سجمان ، فإنه فضل الموت على الحياة عندما شاهد رأس والده وأبيه فوق الترس الذي قسم إليه ، ليراهما » وتضيف الرواية . ان تلك المساعدة المتساوية مشهورة لا يقل قسوة وحرارة ، إذ تقول : ان زيادة الله جلس يشرب والرؤوس الثلاثة أمامه على الترس . ومن الأهل بن عبد الله بن الإلهب وبني من بني عبد الله الذين شاركوا في حروب الطنبلي انظر ص ٤٣ و ٧١ - لما عن أحسوال هر في تلك الفترة فكانت بطرية أيضا اضطراب . فالصراع على أئمة بين الأندلسيين التخلين على نهر الاسكندرية وبين عبد العزيز الجروي المتقلب على نهر تيس ثم أماله من بعد مقتله سنة ٢٠٥ هـ . وكان السرى بن الحكم الذي تقلب على السطاط يقف موقف المتفرج من هذا الصراع حتى وفاته سنة ٢٠٥ هـ ، حيث خلفه ابنه أبو النصر . أما الخلافة التي خلصت للامون منذ ١٩٨ هـ ، فقد وقعت موقف الترتب المنتظر من المتصارعين بصرف النظر عن موقفهم منها الى أن أرسلت عبد الله بن طاهر الى مصر سنة ٢١٠ هـ . انظر للمؤلف ، تاريخ الاسكندرية من التبع . . . في كتاب تاريخ الاسكندرية ، ط الاسكندرية ، ١٩٦٥ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٦ .

(٨٠) الحلة السرية ، ج ٢ ص ٢٨٢ ، النويري ، المخطوط ، ص ١٠٨ ، ابن الأثير ، من ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٢٣٠ .
(٨١) انظر النويري ، المخطوط ، ص ١٠٨ (حيث قال منصور : « يا بني تميم لو أن لي بكرة ، أو آوى الى دكن هديد ») ، وقارن الحلة السرية ، ج ٢ ص ٨٢٢ .

تحت رعايته . ولما كان منصور الطنبلي على علاقة طيبة بالوزير غلبون (الأغلبي بن عبد الله بن الأغلبي) (٨٢) ، فان هذا الأخير أصلح ما بين منصور وبين زيادة الله الذي صلح بعد قليل عن الطنبلي ، وسمح له بالعودة الى موطنه في منطقة تونس حيث نزل بقصره المعروف هناك بـ « طنبلة » في اقليم الحمديّة .

وفي الحمديّة لم يركن منصور الى الهدوء بل اخذ يرأسل قواد الجند ، و « يذكر لهم ما يلقون من زيادة الله ، وما فعل بصرو بن معاوية وابنيه ، ويخوفهم أن يفعل بهم وبأولادهم ما فعله بصرو » (٨٣) . وعندما تيقن زيادة الله مما يضمه الطنبلي استعرض جنده ، وانتخب منهم خمسمائة فارس سيرهم جريد بقيادة قائده محمد بن حمزة نحو تونس لمفاجأة منصور ، والتبض عليه ، ثم العودة به موثقا الى القيروان (٨٤) .

يوم دمار الصناعة : الغدر بجند القيروان في تونس :

وعندما وصل محمد بن حمزة الى تونس لم يكن منصور الطنبلي هناك ، بل كان في قصره طنبلة بالحمديّة . وهنا دخل ابن حمزة الى دار الصناعة في تونس ، ورأى أن يستحتم المدارة في اقناع منصور بالعودة معه الى القيروان ، فأرسل اليه قاضي تونس ، وهو شجرة بن عيسى ، على رأس وفد من ٤٠ (أربعين) رجلا من مشايخ أهل تونس ينساضونه الطاعة ، ويعرفونه بما في ذلك من الحظ في دينه وديناه ، ويدعونه الى الرجوع معهم الى تونس حيث محمد بن حمزة (٨٥) .

ورأى منصور الطنبلي بدوره أن يحتال على قائد زيادة الله ، فأعرب للقااضي شجرة بن عيسى وعن معه من المشايخ أنه لم يخلع يده من الطاعة ،

(٨٢) ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ ، ج ٦ ص ٢٢٦ .

(٨٣) التبريزي ، المغطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٨ ب .

(٨٤) التبريزي ، المغطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٨ ب ، وقارن الحلة السرياء ، ج ٢ ص ٢٨٢ -

٢٨٢ (حيث الضعيف ٣٠٠ فارس فقط) - ومحمد بن حمزة حلفاء منصور ابن حمزة بن السبيل المعروف بالعرين ، الذي كان من كبار قواد ابراهيم بن الأغلبي (انظر الحلة السرياء ، ج ١ ص ١٨٦ ، وعن والده العرون ، ص ١٠٧ - ١٠٨ . وفيما سبق ، ص ٢٥ - ٢٥ - ٤٨ - حقيقه في ج ١ ص ٢٦٤ (حيث شارك العرون في حرب تلمس بن نعيم) .

(٨٥) التبريزي ، المغطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٨ ب ، وانظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٩ ، ابن

الأثير سنة ٢٠١ ص ٦ ج ٢٣٠ .

ولا أحدث حدثا ، ووعدهم بأن يسير معهم الى محمد بن حمزة في تونس ،
ومن هناك الى الأمير في القيروان ، ولكن على أن يقيموا معه تلك الليلة حتى
يقوم بحق الصيافة ازاء عسكر ابن حمزة .

وفعلا أسرع الطنبزى فأرسل هدية الى عسكر القيروان في تونس ،
مكونة من عدد من البقر والغنم وأحمال من الشبيبة ، كما لم ينس أن يرسل
اليهم العلف ندوابهم ، وأرسل مع الهدية كتابا الى محمد بن حمزة يخبره أنه
قادم في الغداة مع القاضى شجرة . وأطمأن محمد بن حمزة الى مقالة منصور
واقام هو ورجاله لأنفسهم وليمة عظيمة ، أكلوا فيها حتى الشبع من خوم
البقر والغنم ، وشربوا من الخمر حتى الثمالة - وهكذا ، بينما كان عسكر
القيروان في مدينة تونس متكبين على الطعام والخراب في ذلك المساء ، كان
الطنبذى يقبض على القاضى ومن معه ، ويحبسهم في قصره ، ويستخدم دوابهم
في حمل المزيد من رجاله وأشباعه ، ويزحف خفية بهم الى تونس ، وعندما
اقترب الطنبذى من دار الصناعة في هدوء الليل ، أمر بطوله فضربت ،
وعندئذ كبر أصحابه تكبيره رجل واحد وهم ينقضون على ابن حمزة ومن معه .

وانقلبت دار صناعة السفن في تلك الليلة الموافقة لـ ٢٥ من صفر سنة
٢٠٩ هـ/ ٢٦ يولية ٨٢٤ م ، من حانة عظيمة الى ميدان قتال : بين الجند من
اصحاب ابن حمزة ومن انضم اليهم بالحجارة من عامة تونس ، وبين اصحاب
منصور الطنبذى . وانتهت المعركة بمقتل معظم السكارى من رجال جنسد
القيروان ، فلم ينج منهم الا من ألقى بنفسه في البحر ، وسبح بعيدا عن دار
الصناعة (٨٦) .

واقطهر أن الطنبذى أراد أن يعطى ثورته شكل عمل انتقامي أو أخذنا
بالتأثر لمقتل عمرو بن معاوية والى القصرين وابنيه حباب وسجمان ، إذ انه
قتل والى تونس : اسماعيل بن سفيان بن سالم ، وهو من بيت الأغالبة ، كما
قتل ابنه محمدا . هذا ، ولو أن الرواية تقول انه نعل ذلك تحت ضغط
أصحابه الذين طلبوا اليه أن يؤمن لهم ألا يستميله السلطان بدياه وماله ،
وإن عليه أن يخضب يديه بدم أصحاب زيادة الله إذا أراد أن ينقوا فيه .

(٨٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٩ ، التورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٨ ب ، ٢٠٩ .

ابن الأثير ، سنة ٢٠٩ ، ج ٦ ص ٣٣٠ ، الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٢٨٢ .

ويبقوا الى جانبه(٨٧) .

وعندما وصل الخبر الى زيادة الله ، وجه عسكريا كبيرا من أشدها رجاله بقيادة ابن عمه الوزير غلبون (الأغب بن عبد الله بن الأغب) ، وشيخهم منعسه بعد أن طلب منهم ألا يتراخوا في قتال الحصاة ، بل انه هدد من ينهزم منهم بالقتل(٨٨) . والظاهر أن تهديد زيادة الله لرجائه أتى بنتيجة عكسية . اذ تقول الرواية التي ينقلها النويري عن الرقيق : « فكان ذلك مما سمعت به ، مرس القوم حتى هموا بالوثوب على غلبون » ولم ينضمهم من ذلك الا تصيحة بعض كبار قوادهم ، وهو جعفر بن معبد ، الذي قال لهم : « لا تحملكم اسافة زيادة الله فيكم أن تغدروا بمن أحسن اليكم ، وفك رقابكم » . وتفسر الرواية ذلك بأن غلبون كان يعتنى بأمر القواد عند زيادة الله(٨٩) .

ثورة منصور الطنبلي تستشرى :

وهكذا خرج غلبون في العاشر من ربيع الأول من ٢٠٩ هـ / ٨ يولية ٨٢٤ م (٩) ، على رأس جيش كثيف يحوي صناديد الصكر ووجوه الرجال ، ولكنهم لم يكونوا خالصي النية ، بل كانوا يضمرون انقذر ، كما تقول رواية النويري : فعندما وصلوا الى سبخة تونس كاتبوا رجال منصور ، ووعدهم بالانضمام امامهم وقت اللقاء(٩٠) . هذا ، ولو أن رواية ابن عذارى تنص على أن عسكر القيروان فعل ما في طاقته ، وأنهم اقتتلوا ورجال منصور الطنبلي مليا ، وأن الهزيمة التي لحقت ، في ٢٠ ربيع الأول / ١٨ يولية ، بمرجال زيادة الله كانت نتيجة حملة عظيمة نظمها الطنبلي ، ولم يستطع غلبون ورجاله الصمود أمامها(٩١) .

(٨٧) ابن عسدي ، ج ١ ص ٩٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ ، ج ٦ ص ٢٢١ ، وقارن النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ، ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٧ ، الحلة السرياء ، ج ٢ ص ٢٨٣ .

(٨٨) ابن عسدي ، ج ١ ص ٩٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ ، ج ٦ ص ٢٢١ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ، وقارن الحلة السرياء ، ج ١ ص ١٨١ (عن بني عبد الله بن الأغب ومشاركتهم في حرب الطنبلي) ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٨ .

(٨٩) نهاية الأدب ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ ، ج ١ ص ٩٩ .

(٩٠) ابن عسدي ، ج ١ ص ٩٩ .

(٩١) النويري ، نهاية الأدب ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ .

(٩٢) ابن عسدي ، ج ١ ص ١٠٠ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٠١ ، ج ٦ ص ٢٢١ (الذي يحدد الهزيمة بالعاشر من ربيع الأول ، وهو تاريخ المسيرة عند ابن عسدي الذي يحدد الهزيمة بعشر بطنين من ربيع الأول ، وهو ما أخذنا به) .

وخشية أن ينفذ زيادة الله ما كان قد توعدهم به من القتل ، انفس قواد غلبون من حوله بعد أن وعدوه بالعودة إلى القيروان إذا أخذ لهم الأمان من زيادة الله - انشاء الله - وبينما عاد غلبون إلى القيروان ، وهو يعتذر لزيادة الله عن الهزيمة ، ويخلف أن رجاله تصحوا واجتهدوا ، وأن الهزيمة كانت قضاء من عند الله لا يرد (٩٢) ، كان بعض القواد قد انصرفوا إلى أطراف البلاد ، يتغلبون عليها ، حتى « اضطربت أفريقية ، فصارت نارا تتقد ، كما يقول نص المويري (٩٤) . كما انضم آخرون إلى عسكري منصور الطنبلي ، « وأعطوه أئمة أمورهم ، وولوه على أنفسهم » (٩٥) .

« ملوك الطوائف » بإفريقية :

وإزاء اختلال الأمور وتفاقم حركات التمرد ، وإمام نصائح ابن عمه وزيره غلبون ، رأى زيادة الله أن يحاول استعادة ثقة قواده الثوار ، فكتب إليهم ما كانوا قد طلبوه من الأمان ، فبعثه إليهم في الصكوك - ولكنهم لم يتفقوا بأمانه ، وظلوا على ما كانوا عليه من شق عضا الطاعة (٩٦) . وهكذا خرجت كثير من المدن عن حكم زيادة الله ، واستبد بها القواد الذين دخلوا في طاعة الطنبلي ، مثل : باجة ، والمزيرة ، ووسطفورة ، وبنزرت ، والأريس ، وغيرها (٩٧) . مما يمكن أن يشبه بحكم ملوك الطوائف .

وبذلك قويت جموع الطنبلي من توافد عليه من كل جهة ومكان ، حتى أنه فكر في غزو القيروان بجيش جعل قيادته إلى بعض قواده ، وهو عامر بن تافع الذي نجح في إلحاق الهزيمة بالجيش السنّي سيده زيادة الله إليهم ، وعقد لواء لابن عمه محمد بن عبد الله بن الأغلب ، أخى الوزير غلبون . وانظّهر أن هزيمة الجيش الأغلبى أمام قوات عامر بن تافع كانت شائعة ، إذ انجلت للمركة عن سقوط عدد كبير من كبار قواد الأغالية ، مثل : محمد بن غلبون ، وعبد الله بن الأغلب ، ومحمد بن حمزة الزاوي .

(٩٢) ابن عسّارى . ج ١ ص ١٠٠ .

(٩٤) نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ ، وقارن ابن عسّارى ، ج ١ ص ١٠٠ .

(٩٥) انظر ابن عسّارى ، ج ١ ص ١٠٠ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٢ .

(وصا يتقلان من مصدر واحد ربّما كانا للرفيق) ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ هـ ، ج ١ ص ٣٣١ .

(٩٦) ابن عسّارى ، ج ١ ص ١٠٠ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ .

(٩٧) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٣٣١ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ .

وعيرهم ، كما قتلت الرجال عن آحرهم ، حسب مسألة رواية السويري (٩٨) .
والظاهر أن هذا النصر الكبير شجع منصور الطنبي ، وقوى قلبه على
محاولة أخذ القيروان ، وانهاء حكم زيادة الله . ولا بأس أن يكون عساكر
الأغلبية الذين انضموا إلى الطنبي . كانوا يحثون هذا الأخير على الذهاب إلى
القيروان حيث كانت عيالاتهم وذرياتهم . ذلك رغم ما تقوله رواية الرقيق
- على ما نظن - من أن هذا الأمر حدث بعد انهزام عسكر الطنبي أمام قوات
زيادة الله نحو تونس ، كما يأتي (٩٩) . وهذا لا يمنع أن يكون ذلك قد حدث
في المرتين جميعا .

والمهم أن الطنبي حشد رجاله في تونس ، وخرج منها نحو القيروان
حيث وصل في ٥ من جمادى الأولى سنة ٢٠٩ هـ / ٢ سبتمبر ٨٢٤ . وتقول
الرواية : ان القاضيين أبا محرز وأسد بن القرات خرجا إلى منصور حيث
جرى بينهم حديث كان القاضيان يهدفان من وراءه إلى اقناع منصور بحقن
الدماء ، والعودة إلى الطاعة ، بينما كان الطنبي يسعى إلى ضم قاضيي القيروان
إلى جانبه ، ولكن المحادثات لم تنته إلى اتفاق ما (١٠٠) . وانتهى الأمر بأن
عسكر منصور قرب القيروان حيث حفر خندقا حول معسكره (١٠١) ، بينما
زحف زيادة الله على رأس قواته من القصر القديم (العباسية) حيث اتخذ
موقعا له بين القيروان والقصر ، وحفر هو الآخر خندقا حول معسكره (١٠٢) .

(٩٨) نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ب ، وقارن ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٨ ،
حيث يؤخذ على الرواية الاضطراب الزمني من حيث عدم تسلسل الأحداث تسلسلا منطقيا .
ومن عامر بن نافع الذي ينتسب إلى قبيلة مدسج ، والذي خدم أقاربه العباسيين الأوائل ، وكان
منهم عامر بن اسماعيل بن عامر بن نافع قاتل مروان بن محمد ، وابنه يحيى بن عامر الذي
حجم المأمون ووقف ضده عندما رفض مبايعة علي الرضا بولاية المهدي حتى دفع حياته ثمنا
لذلك - انظر الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٨٢ و هـ ٣ لحسين مؤسس .

(٩٩) انظر فيما بعد ص ٥٦ .

(١٠٠) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٠ ، وقارن مدارك القاضي عياض ، ص ٤٧٩ ،
وتراجم أغلبية (تحقيق محمد الطالبي ، تونس ١٩٦٨) ، ص ٦٩ (حيث تقول الرواية أن
الطنبي عندما قال للقاضيين : أخرا معا ، أما تعلقان أن هذا ظلم المسلمين : قال أبو محرز
وقد خالف منه - نعم ، واليهود والنصارى - أما أسد فقال له : قد كنتم إخوانا له وأنتم وهو
على مثل حاله الحال) ، وانظر المالكي ، ج ١ ص ١٧٦ .

(١٠١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٠ .

(١٠٢) السويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ب (حيث يقول ان زيادة الله نزل بين
المنطاد والقصر) ، وقارن ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٨ (حيث النصر على حصار زيادة الله
في العباسية) .

وبذلك تحولت الحرب بين منصور وزيادة الله الى حرب حنادق بدلا من حرب الميادين المكشوفة . واستمرت الحرب سجالا بين الجانبين : يوم لهذا ويوم لتلك . وخلال تلك المناوشات انضم أهل القروان الى جانب الطنبلي ضد أميرهم ، فكانت مكافأتهم على ذلك أن عمر منصور سور القروان - الذي كان خربه ابراهيم بن الأغلب - حتى تستطيع الصود في المقاومة . واستمر الحال على هذا المنوال طوال أربعين يوما (١٠٢) ، ثم يبق بين يدي زيادة الله فيها ، من الرقية كلها الا : الساحل ، ومدينة قايس ، وقزبرة ، وطرابلس التي تسكت بطاعته (١٠٤) . وهكذا ملك منصور معظم بلاد زيادة الله وبلغ به الأمر الى حد أن ضرب النكبة باسمه (١٠٥) ، رمز الامارة والسيادة .

صنف من الرجال تزيد الشدائد صلاية :

زيادة الله يطاول الطنبلي على أبواب القروان :

والظاهر أن زيادة الله كان من ذلك النوع من الرجال الذين لا تزيدهم الشدائد الا صلاية واصرازا . فبينما كان الجند من المتسردين ، ومن انضموا الى صفوف منصور الطنبلي يكتبون الى زيادة الله : « أن ارحل حيث شئت عن افرقية ، ولك الأمان في نفسك ومالك ، وما ضمه قصرك » (١٠٦) . كان هو لا يياس بل يعد العدة لمراصلة الكفاح .

ما بين الانتصار في القروان والهزيمة في سبيبة :

فلقد جمع حشدا عظيما من أصحابه ، عباهم تعبئة جيئدة في هيئة القتال . من : قلب وميمنة وميسرة ، ومن فرسان ورجالة ، وزحف بهم نحو

(١٠٧) ابن علكي . ج ١ ص ١٠٠ . ابن الأثير . سنة ٢٠١ . ج ٦ ص ٢٢١ .
(١٠٤) انظر ابن الأثير . سنة ٢٠١ . ابن علكي . ج ١ ص ١٠١ . النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٠ (حيث لم يبق بين يدي زيادة الله الا الساحل وقايس) . ابن خلدون . ج ٤ ص ١٢٨ .
(١٠٥) ابن علكي . ج ١ ص ١٠١ . وانظر حسن حسني عميد القروان . البرقيات . ج ١ ص ٤٢٠ (حيث الامارة الى ومسول هزم حفنة من قرد الطنبلي ، يومئذ ياته حقل الأغلب تملأ ، ثم انه بدل بكلمة « قلب » رمز الامانة كلمة « عدل » . وفيه اسم « منصور ابن نصر » . والتاريخ ٢٢٠ ص ٨٢٥ م) .
(١٠٦) النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٠ . ابن علكي . ج ١ ص ١٠١ . ابن الأثير . سنة ٢٠١ (حيث ذكر عقب هزيمة منصور الآية) . ابن خلدون ج ٤ ص ١٢٨ .

منصور ، وهم خلا ، كثير . وارتاع الطنبذى عندما رأى قوات زيادة الله واستهول جمعهم ، إذ كان يظن أن الضعف والوهن هو صفة زيادة الله للميرة . ورغم ذلك فقد تقدم الطنبذى الى لقاء المسكر الأغلبى ، وانتهى القتال الشديد بانهزام منصور الى قصره بتونس ، بينما لاذ رجاله بالفرار فى كل وجه ، بعد أن بقى الكثير منهم مجتدلين فى أرض المعركة ، وذلك فى منتصف جمادى الآخرة سنة ٢٠٩ هـ / ١٢ أكتوبر ٨٢٤ م (١٠٧) .

وقرر زيادة الله الانتقام من أهل القيروان الذين انضموا الى عسدهم - والذين كانوا قد فعلوا مثل ذلك على عهد والده ابراهيم ، عندما خُسر ج عليه عمران بن مجالد - بل وشجعه قواده على ذلك لولا تدخل أهل الورع والدين . فاكتمى من ذلك بهنم مسور القيروان ، الذى ساعد الطنبذى فى ترميمه ، حتى سواه بالأرض بعد أن نزع أبوابه (١٠٨) ، إلا أنه لم يعرض لعيال الجند من التمردين أو ذراريهم ، ممن كانوا قد تركوهم فى القيروان .

وكانت هزيمة قوات الطنبذى أمام القيروان حاسمة من حيث أنها قررت فشل مخطط منصور فى الاستيلاء على إفريقية ، بعد أن دب الانشقاق بين صفوف أتباعه ، مثل : عبد السلام بن المبرج ، وعامر بن نافع الذى كان قد عاد الى بلدته سيبية . ولقد أراد زيادة الله أن يستغل الفرصة ، فيبدأ بالقضاء على أقوى أعوان منصور من المنشقين ، وهو عامر بن نافع ، فأعد جيشاً كبيراً سير على رأسه ابن عمه محمد بن عبد الله بن الأغلب ، يعاونه بعض أفراد الأسرة الأغلبية ، وعدد من كبار القواد . وتم اللقاء قرب سيبية بين الجند الأغلبى وبين رجال عامر بن نافع فى ٢٠ محرم سنة ٢١٠ هـ / ٤ مايو ٨٢٥ م ، وانتهى بهزيمة نكراء جيش زيادة الله ، إذ قتل قائده : محمد ابن عبد الله بن الأغلب ، بينما تمادت هزيمة الرجال حتى القيروان (١٠٩) .

(١٠٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ . ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ .

(١٠٨) انظر ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٣٣٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ : الذى يقول أن زيادة الله عفا عن أهل القيروان . والنويرى فى المطرف ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ب . حيث تقول الرواية أن زيادة الله قال لاصحابه : « انى عاصمت الله ان ظفرت ان اعلى وأصعب . فعلاً عنهم » .

(١٠٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٦ . وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ هـ ، ج ٦ ص ٣٣٢ . (حيث يقول ان محمد بن عبد الله بن الأغلب لم يقتل بل عاد منهزماً بمن معه الى القيروان) .

وكان من الطبيعي أن تتجر الكسرة المؤلمة الهم والغم حتى نفس زيادة الله (١١٠) .
وأن تشجع متصورا الطنبيزي على العودة مرة ثانية من تونس الى القيروان ،
امام الحاح الجند الذين كانوا يرغبون في نقل عيالاتهم من القيروان .

وتقول الرواية أن زيادة الله أخذ في جمع الرجال ، ولم ييخل في سبيل
ذلك في بذل المال ، بينما كان الطنبيزي يزحف نحو القيروان حيث ضرب
الحصار على زيادة الله في قصره بأعباسية لمدة ١٦ (ستة عشر) يوما ، ولكن
دون قتال . وفي هذه الأثناء استعاد الجند من انشوار نساهم وأولادهم من
القيروان ثم ان الطنبيزي عاد بمساركة الى تونس (١١١) .

علاقة غربية بالخلافة وسط دوامة الاضطراب :

ووسط دوامة الاضطراب هذه نجد الخلافة التي بدأت أمورها تستقر
في المشرق بعد ثبات موقف المأمون في بغداد ، واستقرار الأمور في الشام
ثم في مصر التي كان قد سار إليها عبد الله بن طاهر بن الحسين ، تبعث الى
زيادة الله رسلا طالبية منه تأكيد طاعته ليس للخلافة فقط ، بل ولعبد الله
بن طاهر التي آلت اليه ادارة القسم الغربي من بلاد الخلافة ، وذلك بالجمع
على منابره للطاهري .

ولا قدرى أن كان رجال ديوان بغداد أرادوا انتهاز فرصة المصائب
التي كانت تحيط بزيادة الله لكي يصلوا منه على تأكيد الطاعة للخلافة
وتجديد البيعة للمأمون ، أم أن الخلافة كانت تقصد بذلك تقديم تأييدها
المعنوي للأمر الأعلى في صراعه مع الثوار من قواد عسكره - فالمعروف أن
زيادة وقف الى جانب المأمون أثناء ادعاء ابراهيم بن المهدي الخلافة عقب مقتل
الأمين ، وهو الأمر الذي حسده له المأمون في كتابه وشكر له فعله (١١٢) .

ولا يأس أن يكون زيادة الله قد فهم مقصد الخلافة على هذين الوجهين

(١١٠) انظر الحلة السرية ، ج ١ ص ١٦٦ : حيث الإشارة الى ما أثارته مزمنة سببية
من العرف في نفس زيادة الله بـ الشاعر - حتى أنه انشد ، بعد أن دخلت عليه أمه بـ لاجل
تصيره وتسهول عليه الأمر ، أبياتا منها :

أمنت سببية كل قوم يأسل وعن العبيد جليبا أبطالا

لذا ذكرت مصايبا بسببية فأبكي جلاجيليا فيأبصر اميولا

(١١١) ابن عسرى ، ج ١ ص ١٠١ . ابن الأثير سنة ٢٠١ ج ٦ ص ٣٣٢ .

(١١٢) الحلة السرية ، ج ١ ص ١٦٦ . ابن الخطيب ، مصال الاعلام ، قسم ٢ ، ص ١٦ .

جميعاً . فهو اذ يعرب عن طاعته للحسلفة ، يحرص في نفس انوقت على استقلاله . ويرفض ، بعنف ، الدعاء لابن طاهر ، واصفا اياه بـ « عبد خزاعة » ، كما يعبر - عن طريق هديته من الدنانير الادريسية - عن وقوفه بالمرصاد لاعداء الخلافة العباسية من العلويين في المغرب . ولكنه بعد سورة القضب يعمل على استرضاء الخلافة في خطاب ثان اتبعه خطابه الأول (١١٣) .

حدث ذلك حوالي سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م ، وقتما كان ابن طاهر في مصر ، أي قريب الوقت الذي كان زيادة الله يعاني من حصر خصومه له قرب القيروان وابعاسية ، وحينما كان الامير الأغلبى لا يجد له خلاصاً من همومه الا باغراقها في البحر .

انتقال الصراع الى الجنوب التونسي ، حيث علمر بن نافع :

وحلال ذلك الحصار تخرج موقف زيادة الله مرة أخرى ، وخاصة عندما عاود فواد الجند من التمردين الحاحهم عليه في الخروج من افريقية بالامان على نفسه وماله ، حتى أنه بدأ يشاور اقاربه وأخصامه في الأمر . وكان ممن استشارهم قائده سفيان بن سواده الذي أفهمه أن الأمر لم يكن بالدرجة التي يتصورها من السوء ، وطلب اليه أن يمكنه من النظر في ديوان الجيش . وعندما قدم له زيادة الله سجل العسكر انتقى سفيان بن سواده مائتي فارس ، ممن بثق بهم ، فأغدق عليهم بالمال ليعدوا أنفسهم خير اعداد ، وخرج بهم إلى اقليم نفزاوة (١١٤) . وكان هدف ابن سواده الا يحارب فقط بفرسانه الذين اختارهم من صناديد الأبطال ، بل أن يكونوا سواة لجيش يستنفره من البربر والعرب لمواجهة عامر بن نافع الذي كان يزعم قصد ذلك الاقليم . ووصل ابن سواده على رأس فرسانه الى نفزاوة التي كان على ولايتها القائد عبد الصمد بن جناح الباهلي (١١٥) ، ودعا أهل الاقليم من البربر فأجابوه ، واحتج اليه خلق كثير من زنانة وغيرهم من القبائل .

ونجح سفيان بن سواده في فتح الاقليم بلدا بلدا حتى وصل الى حدود

(١١٣) الحلة السمرية ج ١ ص ١٦٦ . وانظر فيما بعد . ص ٦٤ .
(١١٤) النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٠ . ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ ج ٦ ص ٣٣٢ . وقارن ابن عسدي . ج ١ ص ١٠١ (حيث يجعل عدد من كتلتهم سواده مائة فارس فقط) . انظر الحلة السمرية . ج ١ ص ١٨٣ .
(١١٥) النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٠ .

قسطيلية حيث كان عامر بن نافع قد وصل فعلا(١١٦) .

وفي قسطيلية حشد عامر بن نافع العبيد من السودان ، حتى جمع منهم ألف أسود من العامين في فلاة الأرض ، وذلك أن سلاحهم الذي حملوه كان يتكون من الفؤوس والمساحي ، وضمهم إلى رجاله . ومن قسطيلية اتجه عامر نحو نفاوة حيث اتخذ مدينة تقيوس مركزا لقيادته(١١٧) . وعندئذ خرج سفيان بن سودة بقواته إلى لقاء عامر ، وانتهى القتال الدامي بهزيمة الجند المتمردين أصحاب عامر ، وقتل أعداد كبيرة منهم . وانسحب عامر إلى قسطيلية حيث اندفع في جباية أموالها دون رافة بأهلها ، طوال ثلاثة أيام بلياليها قبل أن يخرج بأحمال المال بعد أن ترك بيئا من يضبطها من رجاله(١١٨) .

ورغم ما يقوله بن عذارى من أن عامر بن نافع خرج من قسطيلية يريد القيروان ، فالواضح من النصوص أنه خرج منها متباديا في الهزيمة نحو تونس حيث بقية الجند المتمرد مع منصور الطنبلي . وذلك أنه ما أن خرج من قسطيلية حتى استصرخ أهلها ابن سودة الذي سار اليهم برجاله ، فملك الاقليم وولى عليه أعوانه لضبطه وقرار الأمن والنظام فيه(١١٩) ، ثم انه بمجرد استقراره في اقليم تونس ، مهد الفتنة ، قام الصراع بينه وبين منصور الطنبلي .

ظروف هوائية لزيادة الله :

الصراع بين منصور الطنبلي ، وعامر بن نافع في تونس :

كان من الطبيعي أن يقوم الصراع بين الطنبلي ، وبين قائد ابن نافع الذي كان يعتبر نفسه ندا لرئيسه ، ولا يقبل أن يعامله منصور معاملة التابع . وكانت تلك المحاسنة تظهر ، عادة ، وهما في مجالس الشراب

(١١٦) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ج ٦ ص ٣٣٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٨ حيث النص على أن قتال نافع في نفاوة تم استيلاء سفيان على قسطيلية كان في سنة ٢٠٦ هـ . أي عقب هزيمة منصور الطنبلي مباشرة .

(١١٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٦ .

(١١٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٣٣٣ .

(١١٩) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ج ٦ ص ٣٣٣ .

حيث تأجدها بشرة السكر (١٢٠) . وائر توعده منصور لعامر ذات مرة
رأى هذا الأخير أن يبدّ هو بالتخلص من منصور ، فاستنك الجند إلى جانبه ،
وأسرع من تونس ، لمقاجة منصور وهو في قصره بالمحدية ، وضرب عليه
الحصار الذي طال حتى فني ما كان في الحصن من الماء . وجرى اسفراء بين
الحاسين وانتهى الأمر إلى أن عرض منصور أن يسمح له بالخروج على الأمان
في بعض السنين إلى المشرق ، وأجابه عامر إلى ذلك (١٢١) .

عامر يفقد بمنصور :

ولكن الطنبذي عندما تأمل في الأمر مع أصحابه استمع إلى نصيحة
من أشار عليه بالألا يخصع لضيم عامر بن نافع ، وأنه يمكنه الالتجاء إلى مدينة
الأريس حيث له كثير من الأعران . وفقد منصور تلك النصيحة فخرج من
قصر طنبذة مسنخيتاً أثناء الليل إلى الأريس ، وتحصن بها . وعندما عرف
عامر في صباح اليوم التالي بتلك الحديمة سار في أثر منصور إلى الأريس ،
وضرب عليه الحصار . ومع طول الحصر ضح أهل المدينة ، وكلموا منصوراً
في الخروج من مدبنتهم ، وطلب منهم أن يمهلوه بعض الرقت حتى ينظر في
أمر خلاصه (١٢٢) .

وأرسل منصور إلى بعض كبار قواد ابن نافع . وهو عبد السلام
ابن المبرج الينسكري ، بطلب الاجتماع به . وعندما حضر عبد السلام كلمه
الطنبذي من أعلى السور ، فعدد له أياديه البيضاء على الجند ، وطلب منه
لوساطة لكي يحصل من عامر على الأمان وعاهده على أن يسير إلى المشرق .
ونجح عبد السلام بن المبرج في الحصول على الأمان لمنصور على أن يخرج في
صحبة بعض فرسان عامر إلى تونس حيث يأخذ أهله وحاشيته ، ويسير بهم
إلى المشرق (١٢٣) ، في بعض السفن (١٢٤) .

والحقيقة أن عامر بن نافع عندما أسعف الطنبذي بالأمان كان يدبر

(١٢٠) ابن عشاري ، ج ١ ص ١٠١ ، وانظر الحلة السواء ، ج ٢ ص ٢٨٤ .
(١٢١) ابن عشاري ، ج ١ ص ١٠١ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ، ابن
اللاثير ، سنة ٢١١ هـ ج ٦ ص ٤٠٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٨ .
(١٢٢) ابن عشاري ، ج ١ ص ١٠٢ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ، ابن
اللاثير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ .
(١٢٣) ابن اللاثير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ ، ابن عشاري ، ج ١ ص ١٠٢ ، الحلة
السواء ، ج ٢ ص ٢٨٥ .
(١٢٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ، ب .

القدر به ، حتى لا تتكرر منه خديعته السابقة في المحمدية . وذلك أن عامرا أمر صاحب خيله الذي صحب منصورا في السفينة من تونس بأن يعرج به على جزيرة جربة ، وهناك كان عليه أن يأمر بحبسه لدى الوالي ، وهو ابنه حمديس بن عامر (١٢٥) . وتم لعامر ما أراد ، فحبس منصور الطنبلي وأخوه حمدون (١٢٦) في جربة .

وعندما علم القائد عبد السلام بن المبرج الذي توسط في الأمان ، وهو بباجة ، بقدر عامر ، ثارت ثائرتة ، هو وأصحابه ، وقبضوا على هاشم أخي عامر ، وكان واليا على باجة ، وهددوا ناقما بقتل أخيه هاشم ان لم يطلق سراح منصور . ورفض عامر التهديد ، بل وهدد بدوره عبد السلام وأصحابه من الجند بسوء العاقبة ان قتلوا تهديدهم . وانتهى الأمر بأن أفرج عبد السلام عن هاشم بن نافع بينما أرسل عامر الى ابنه حمديس في جربة يطلب منه أن يضرب عنق كل من منصور وأخيه حمدون (١٢٧) .

نهاية منصور الطنبلي

الحكم عليه بالإعدام :

وأخبر حمديس بن عامر الطنبلي وأخاه حمدون ، في ساحة الإعدام حيث قرئ عليهما ، كما يحدث في المحاكمات الحديثة ، كتاب عامر بتنفيد العقوبة المفلى فيهما ، وهي الموت بالسيف دون مراجعة ، أي استئناف .

وكانت نهاية تعسة بالنسبة لبطل الأمس الذي كان يتنازع أمير إفريقية ملكه ويضرب عليه الحصار ، ويطلب إليه أن يخرج من البلاد ، إذ أقره عندما سمع منصور بالمحكم العظيم ، طلب - بشجاعة تليق بمثله - دواة وقرطاسا ليكتب وصيته ، ولكن خائنه شجاعته إذ لم يستطع الكتابة ، واكتفى بأن قال شفويا ، على كل حال : « فاز المقتول بخير الدنيا والآخرة » (١٢٨) . وهذا ما يذكرنا برد أسد بن القرات على تهديد عمران بن مجالد ، إبان تورط

(١٢٥) انظر التورى ، المخطوط ، ج ٢٤ ص ١١٠ ب (حيث قرنه بئلا من جربة)
ابن الأثير سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ (حيث يقول ان وال جربة كان أخا لعامر وليه
ابن له) ، ابن خلدوى ، ج ١ ص ١٠٢ .
(١٢٦) ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ .
(١٢٧) ابن خلدوى ، ج ١ ص ١٠٢ ، التورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب .
(١٢٨) ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ ، وذلك الحلة السيرة ، ج ٢ ص ١٤٤
أ حيث النص الأخير : « فاز المقتول .. » ، وليس « فاز المقتول .. » .

عنى ابراهيم بن الأعلب ، اياه ان لم يحرح معه ، بأنه ان لم يكف عمران عنه ،
ليسادين في حق تلك الثورة ، ان : « القاتل والمقتول في النار » (١٢٩) .

نتائج مقتل الطنبلي في صفوف الجند المتهم :

« افسون جند عامر بن نافع :

وهكذا انتهى منصور الطنبلي الى القتل بيدي أكبر أعوانه عامر بن
نافع ، الذي ظن أن الأمور استقامت له في تونس ، بعد أن تخلص من قائده
ومنافسه الكبير ، وان ظن له منافس جديد هو الآخر ، في شخص قائده
المرتور : عبد السلام بن المبرج الذي استقل تافلم باجة .

ويعلم من النصوص التي أوردها كل من النويري وابن الأبار أنه كان
من السهل على ريادة الله التنبؤ بمشمل حزب عامر اثر ذلك . فعندما علم
بنتهاية منصور ، كتب الى عامر بن نافع يدعوهم الى الطاعة ، « ويحذره عاقبة
منصور الطنبلي قتيبه » ، ويبدل له الأمان ومن معه ، ويعد « بأنه معيده
الى ما كان عليه مع ييه ابراهيم بن الأعلب وأخيه عبد الله بن ابراهيم » .
ورد عليه نافع برسالة بليغة ، وهو يعدد له مساوي أفعاله ، ويقول في آخر
كتابه : « ما بيني وبينك هودة حتى تضع الحرب أوزارها ، ويحكم الله بيننا ،
وهو خير الحاكمين » (١٣٠) .

وفعلا لم يمر مقتل منصور الطنبلي وأخيه حمدون دون ودود فعل عنيفة
بين الجند الأغلبي المتمرد ، وخاصة بين المضربة منهم ، الذين وجدوا على عامر
فناقروه وحاربوه ، وانضموا الى حانب عبد السلام بن المبرج الذي رفع راية
الأخذ بالثار للمقتول المظلوم . وانتهت المنازعة بخروج بن المبرج من باجة
حيث كان قد أستقر ، نحو تونس لطلب عامر ، وانتهى اقتتال بظفر عبد السلام
وانهزام عامر الى جربة حيث كان ابنه حمديس (١٣١) .

(١٢٩) انظر فيما سبق ، ص ٣٧ و ٤٦ .

(١٣٠) النويري ، المخطوط ، ج ٢٦ ص ١١٠ ب ، « العلة السيرة » ، ج ٢ ص ٣٨٤ - ٣٨٥
(حيث نص ارضالة في أولها وآخرها) .

(١٣١) انظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب (حيث قرره بدلا من تجرية) .
برقارن ابن الأثير ، سنة ٢١٦ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٦ ، الذي لا يذكر تلك الحرب ويكتفى بالإشارة
إلى طاه عامر بتونس) - ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٣ (الذي لا يشير الى تلك الأحداث) .

تحسن الموقف بالنسبة لزيادة الله :

قرار فتح صقلية ، و وفاة عامر بن نافع :

وبذلك تفرق شمل الجند الأعلى المتحد مما حسن موقف زيادة الله ، حتى أنه اتخذ قراره الحظير بفتح صقلية في سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، أي أثناء تلك الثورة العارمة . وفي السنة التالية (٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) اعتل عامر علكه التي مات فيها (١٣٢) . وقيل أن يموت عامر بن نافع على فراشه ، حسب رواية ابن عسرى (١٣٣) ، استدعى أولاده ، كما تصف رواية النويري ، وقال لهم : « يا بني ما رأيت في الخلف خيرا ، فإذا أنا مت ودفتسرتني ، فلا تصرجوا على شيء حتى تلحقوا بزيادة الله فهو من أهل بيت عفو ، وأرجو أن يسر بكم وبقبلكم أحسن قبول » (١٣٤) .

ولقد نفذ أبناء عامر وصية والدهم بعد وفاته ، فأثروا زيادة الله طائعين مستعنين ، كما جعل الجند يتسللون اليه ويستأمنون ، وهو يؤمنهم ويحسن اليهم (١٣٥) .

نهاية الفتنة :

وهكذا حق لزيادة الله أن يقول عندما بلغه نبأ وفاة عامر بن نافع : « الآن وضعت الحرب أوزارها » . وإذا كان النويري قد أخذ هذا التصريح ينصه الحرفي فجعل القضاء على عبد السلام بن المبرج لا يتطلب وقتا طويلا ولا مجهودا كبيرا من العسكر الأعلى الذي ضيق عليه الحصار في باجة ، حتى انتهى الأمر بموته عطشا (١٣٦) . فمن الواضح أن الأمر لم يكن كذلك . فإين الأبار يملق على تصريح زيادة الله عن نهاية الحرب بنهاية عامر ، بقوله : « فكان كذلك : لم يزل أمر الجند مديرا حتى انقضت الحرب وطفئت النائرة ،

(١٣٢) ابن عسرى . ج ١ ص ١٠٢ . وقارن ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ج ٦ ص ٤٠٥ (التي يحدد موت عامر بن نافع بسنة ٢١٤ هـ / ٨٢٦ م - وهو ما يتخذ به ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٦٨ -

(١٣٣) البيهقي . ج ١ ص ١٠٣ -

(١٣٤) النويري ، للخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب . ١١١ أ ، وانظر الحلة السهرية . ج ٢ ص ٢٨٥ -

(١٣٥) النويري ، للخطوط ، ص ١١١ أ -

(١٣٦) النويري ، للخطوط ، ص ١١١ أ -

وصفت له البريقية (١٢٧) ، مما يعني ان القصاص على ديول الفتنة تطلب بعض الوقت ، وأنه لا بأس أن يكون التخلص من عبد السلام قد حدث في سنة ٢١٨ هـ / ٨٢٢ - ٨٢٣ م ، كما تنص بعض الروايات .

والحقيقة انه توجد اشارات في ابن الأثير ، وابن خلدون تشير إلى مقتل عبد السلام بن المفرج في سنة ٢١٨ هـ / ٨٢٢ - ٨٢٣ م ، اثر اشتراكه في ثورة جزيرة شريك التي قام بها فضل بن أبي العنبر ، كما يأتي . وهذا يعني ، كما يصر ابن خلدون ، ان عبد السلام بن المفرج استقر في بأجة لمدة خمس سنوات تالية على وفاة عامر بن نافع (١٢٨) ، وهو الأمر المقبول ، سواء كان ذلك بتقليد من الأمير زيادة الله أم بالتغلب على الاقليم (١٢٩) .

والهمم انه بوفاة عامر انتهت تلك الفتنة التي طالت الى أكثر من ١٣ (ثلاثة عشر) عاما ، واستقامت الأسور لريادة الله ، ابتداء من سنة ٢١٢ - ٢١٤ هـ / ٨٢٨ - ٨٢٩ م . ولا بأس في أن يكون زيادة الله قد بدأ حركة التبدئة منذ سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، عندما وجه أنظاره نحو غزو صقلية ، حيث كان يمكنه أن يوجه نشاط جنده المتمرد الى الجهاد بدلا من إثارة الفتنة في البلاد (١٤٠) .

اضطرابات خفيفة بين الجنود ، وخاصة في تونس :

وهذا لم يمنع بطبيعة الحال من قيام بعض الفتن في البلاد ، مما استطاع زيادة الله أن يقضى عليه بسهولة . ففي حوليات ابن عذاري ، مثلا : ذكر لفتنة وقعت سنة ٢١٦ هـ / ٨٢١ م باقريقية بين رئيسين من رؤساء الجنود ، هما : مطيع السلمي ، واسماعيل بن الصمصامة ، انتهت بهزيمة مطيع وقتله ، وفرار أصحابه (١٤١) . وفي سنة ٢١٨ هـ / ٨٢٣ م عادت متعلقة تونس الى

(١٢٧) العلة السرية ، ج ٢ ص ٢٨٥ .

(١٢٨) ابن الأثير ، سنة ٢١٨ هـ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١١٨ .

(١٢٩) وهذا يجب أن تشير اليه تلك الرواية الا ما يصر عليه ابن خلدون . بينما - من أن غزو صقلية كان في سنة ٢١٩ هـ / ٨٢٤ م القالية ، ولا من سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، وكان هناك نوعا من العلاقة بين الجدتين ، مما يسمح بالنظر في رواية التوربي التي بدأت بها ، والتي تكاد تربط بين وفاة كل من عامر بن نافع وعبد السلام حول سنة ٢١٢ هـ - ٢١٤ هـ .

(١٤٠) انظر الصول الخامسة بطبع صقلية ، ص ٢١٠ وما بعدها .

(١٤١) البيان ج ١ - ص ١٠٤ .

الاضطراب من جديد ، عندما قار بجزيرة شريك قائده من قواد الجند اسمه فضل بن أبي العنبر ، ونجح في هزيمة العسكر الذي وجههم اليه زيادة الله ، فتغلب على المنطقة ، وأعلن الاستقلال بها (١٤٢) . ولقد استجاب عبد السلام ابن المرقع لطلب المعونة من قبل الفضل ، فخرج من باجة الى جزيرة شريك ولكن الرجلين لم يستطيعا مواجهة القوات الاغلبية ، وانتهى الامر بمقتل عبد السلام بن المرقع ، كما سبق ، بينما انهزم الفضل الى تونس وامتنع بها . وسير زيادة الله جيشا كثيفا الى تونس بقيادة ابن عمه ، والى صقلية ، أبي فهر محمد بن عبد الله بن الأغب ، ففر الفضل من تونس ، كما نجح في الإفلات كثير من عسكره . واقترح العسكر الأميري المدينة ، وقتلوا كثيرا من أهلها ، وهرب آخرون (١٤٣) . وانظروا ان الفقهاء كان لهم دورهم في تلك الثورة ، عن طريق قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذ يذكر ابن عذاري - بهذه المناسبة - قتل عباس بن الوليد الفقيه الصالح (١٤٤) .

العفو عن المتوردين :

وفي السنة التالية (٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) أعلن زيادة الله العفو عن كل من شارك في تلك الثورة ، وأفلت من تونس . فاستجاب له أهل المنطقة ، وركن الاقليم الى الهدوء والسكينة (١٤٥) .

وكان من بين من امتأمن عبد الرحمن وعلي ابنا أبي سلمة، وأبو المزاف، وكانوا شعراء فصحاء ، فمدحه عبد الرحمن بقصيدة ارتاح لها الأمير . وعندما قام شاعر الأمير : يعقوب بن يحيى ، يحرضه على ينسى سلمة وأبي المزاف ، بأبيات يقول فيها :

تسمع أيضا الملك المعان	قوافي في معانيها البيان
يتم أمان من خضب العسوالي	وليس لشاعر أبدا أمان
لأن قوافي الأثمار تبقى	على الأيام ما بقي الزمان
وقد يرجى بجرح السيف يره	ولا يره لما جرح اللسان

- (١٤٢) ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ص ١٠٥ ، ابن الأثير ، سنة ٢١٨ هـ (حيث يحدد مكان الرقعة بمدينة اليهود بالجزيرة ، ويذكر مقتل عبد السلام) ، ابن خلدون ، ط بيروت . ج ٤ ص ٤٢٣ سميت الاسم قتل بن أبي العنبر ، ج ٢ .
 (١٤٣) نفس المصدر .
 (١٤٤) نفس المصدر - حيث يذكر ابن الأثير ان الفقيه عباس بن الوليد لم يكن مشاركا في الثورة الا بعد ان انضم العسكر الاغلبى داره .
 (١٤٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٥ ، وايضا ابن خلدون ، ط بيروت ، ج ٤ ص ٤٢٤ .

لم نلتفت إليه زيادة الله وأمضى لهم أمامهم .

ولما سأل أبا العزاف : لماذا لم يستأمن قبل هذا الوقت ؟ قال الرجل :
« أيها الأمير ! كنت مع قوم حمقى ، يولون كل يوم واليا ويعزلون آخر ،
مرجوت أن يكون لي معهم دولة » - مضحك زيادة الله ، وقال : « قد عفوت
عني » (١٤٦) .

تقوم زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلبي :

شخصية مزدوجة : رقة تغلفها الغلظة :

رغم ما يقوله الكتاب من أن زيادة الله كان قاسيا مستيدا بأجند سفاكا
لدماتهم ، وخاصة عندما يسكر ، وهم يريدون بتلك الاضافة الثانية سيئة
أخرى يضعونها الى الأزل ، فالظاهر أن قسوته لم تكن الا مستارا يخفى
وراه شخصية رقيقة . وهذا ما عبرت عنه الرواية التي بنقلها ابن عذاري ،
عندما قيل ان منصورا الطنيزي استهول ما رآه عندما خرج زيادة الله إليه
في الجيش الكثيف ، اد لم يعرف فيه الا الضعف والوهن (١٤٧) .

وتظهر رقة زيادة الله من تلك الحكايات الطريفة التي تروى أنعالا له ،
تدل على عفوه وصفحه وحلمه - فهو يتأثر كثيرا لما فعلته والسيدة السيدة
« جلال » ، عندما طبخت الفول ببصارا وأرسلته الى أخت عامر بن نافع
بعد هزيمته حتى تبر بقسما وهي تريد أن تسخر منها : لأن أخت عامر كانت
قد أتسمت لتجعلن « جلال » تطبخ لها الفول ببصارا بمعنى أنها كانت
تتوقع انتصار- أخيها ، واذلال أم زيادة الله - وهو الأمر الذي كان يستعظمه
العرب . وما كان من زيادة الله الا أن قال لوالدته : « قد ساءني ما فعلت
يا أم . ان الاستطالة مع القدرة لؤم ودناءة ، وقد كان أولى بك أن تفعل غير
هذا » - وتنهت أم زيادة الله الى المعاني النبيلة التي كان يقصدها زيادة الله
بذلك الدرس ، فقالت له : « نعم سأفعل ما يرضيك ويحسن الأحودثة عنا ،
ويعتني إليها (أي الى أخت نافع) بكسوة وصلة والطف . ورفقت بها حتى
قبلت ذلك ، وطابت نفسها » (١٤٨) .

(١٤٦) ابن عسارى ج ١ ص ١٠٥ .

(١٤٧) أنظر فيما سبق ، ص ٥٣ .

(١٤٨) التويرى ، نهلية الأرب ، المعطوط ، ج ٢٢ ص ١١ ب - ١١٢ أ . وعن السيدة

جلال ، أنظر فيما سبق ص ٢٧ .

وهو عندما يعفو عن ثوار قوتس الشعراء من آل أبي سلمة وشريكهم في الفتنة أبي العزاف ، يقبل اعتذار الأخير اللطيف ، رغم ما فيه من المرازة - ثم هو لا يستمع الى ضعيقة شاعره الذي كان يحسدكم لأنهم مناصرون له في الشعر ، من غير شك (١٤٩) .

زيادة الله شاعرا :

وهذا ما يؤكد رقة الأمير الذي كان شاعرا ، وكان يحمي الشعير والشعراء بمعنى أنه كان حاميا للغة العربية التي كان أحد العارفين بها . وفي ذلك تقول رواية النويري المأخوذة عن الرقيق : « انه » كان من أفصح أهل بيته لسانا وأكثرهم بياناً ، وكان يعرب كلامه ولا يلحن من غير تشاؤق ولا تقصير » (١٥٠) . وإلى جانب ذلك كان زيادة الله يقول الشعر الحسن الجيد ، ولو أن النويري لم ينتحب من أشعاره إلا أبيات كان قد ذيل بها خطايا وجهه الى الخليفة المأمون ، ردا على طلب للخليفة استاء له أمير القيروان ، وكان ذلك وهو في حالة سكر ، وهي :

أنا النار في أحجارها مستكنة فان كنت ممن يقدح الزند فأقدح
أنا الليث يحمي غيله يزئيره فان كنت كليا حان موتك فانبح
أنا البحر في أمواجه وعساياه فان كنت ممن يسبح البحر فاسبح (١٥١)

وعندما تنبه الأمير الرقيق الحاشية من سكره ، استهول ما فعله فبعث في طلب الرسول ، ولكن دون جدوى - وحينئذ كتب كتابا لطيفا ثانيا يليق بمقام الخليفة المأمون . وكان رد خليفة بغداد ، الذي كان أديبا محيا للفلسفة ، على الخطاب الثاني ، وأجاب فيه كل ما طلبه الأمير القيرواني المخرم بالحمر والشعر (١٥٢) .

(١٤٩) انظر فيما سبق ، ص ٦٢ .

(١٥٠) النويري . المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١١١ ب . وقدر الحلة السرياء ، ج ١ ص ١٦٣ (١٥١) نفس النهاية والخطبة . وما يستحق التنبيه ان ابن الأثير ينص على ان زيادة الله كتب هذا الشعر وهو غضبان من طلب الخلافة اليه ان يعفو له الخطبة لعد الله بن طاهر بن الحسين (انظر فيما سبق ، ص ٥٤) . ولقد أخذنا قراءه الحلة لليث الثامن من الشعر . وهو يوجد في نهاية الادب على الوجه التالي .

أنا الليث يحمي عليه غيله يزئيره فان كنت كلما خان يومك فانبح

(١٥٢) انظر النويري . المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١١ ب . الخطبة السرياء ، ج ١ ص ١٦٣ ، ١٦٥ - حيث يذكر ابن الأثير له شعرا في الحرب والعزل عن حريمته في وقعة سببية .

ها بين فسقه وورعه :

وهكذا اذا ظهر زيادة لله يظهر المتزقي بين القسوة والرقية ، فقد كان ايضا ذا شخصية منقسمة على نفسها ، ما بين الفسق - اذا اعتبرنا ان فرامه يائس نوع من الفسق ، وهو ما يمكن ان يكون والا يكون حسب واقع العصر - والتدين . وفي مشاعره الدينية تقول الرواية انه كان يقول لحاصته : اني لأرجو رحمة الله ، وما اراني الا افوز بها اذا قدمت عليه يوم القيامة ، وقد عملت أربعة أشياء :

بنت المسجد الجامع بالقيروان ، وأنفقت عليه ٨٦ (ستة وثمانين) ألف دينار ، وبنت قنطرة باب أبي الربيع ، وقصر المرابطين بسوسة ، ووليت القضاء أحمد بن أبي محرز (١٥٢) .

وهكذا تظهر أعمال الزرع والتقوى ، في نظر أهل ذلك العصر ، في أربعة أشياء ، هي :

١ - بناء المساجد ، وهي بيوت لله التي لا يصرها الا من آمن بالله واليوم الآخر .

٢ - بناء القناطر لجلب الماء من الجبل الجيد ، وهذا من الأشياء ذات المنفعة العامة للناس ، مثل شق القنوات والأنهار للسقيا والزرع ، وبناء الجسور والقناطر لعبورها . وكل ذلك من الامور التي يحض عليها الدين ، الذي يهدف الى صلاح الناس في دنياهم ايضا قبل آخرهم .

٣ - بناء الحصون والربط من أجل اقامة المجاهدين من العباد ، فالجهاد وثيق الصلة بالدين ، حتى أنه اعتبر سادس قواعد الاسلام . والجهاد والدين

= (انظر فيما سبق ، ص ٥٢ و ٥٠) ، وحيث يذكر له نموذجين آخرين من الشعر أحدهما في النسب ، ومنه :

فانت تلك انطياقي بواخرين	ياقظ لا تقطن بالهجر انقاس
مجرى كاس ارغام واقاس	سدوة طرفك عن طرفي اذا التها

والآخر في وصف حفاة ، ومنه :

تيم بانفاس الحبيب كشم	ولاينة توبه اسفرار بلا جسم
قلوب نظره يربود اليفاء مذكوم	بجمع تخشوي ليهبيا - حوقاشق

(١٥٢) انظر النويري ، المتكلم ، ج ٢٢ ، ص ١١٢ . ولان بن علي - ج ١ ص

١٠٢ ، واللكم ج ١ ص ٣٨ ، والبكري ، ص ٢٥ .

سارا في افريقية ، منذ أيام الأغالية ، متلازمين بمصل العلماء العناد من أهل البلاد ، اذ يدي اعتبروا الجهاد عبادة . والمثل لهم أسد بن العرات قاضي افريقية على أيام زيادة الله ، وقائد حملة صقلية .

٤ - اسناد القضاء الى ذري العضل من الفقهاء والعلماء ، والقضاء كان الخطوة الثانية بعد الامارة ، والقاضي هو الحكم الذي يمثل العدل . والعدل أساس الملك ، كما قال الحكماء منذ أقدم العصور .

ابو محرز قاضيا :

إذا كان زيادة الله قد اعتبر أن تولية القضاء لأحمد بن أبي محرز - الذي عرف بشدة تقواه - من أعمال البر العظيمة التي يأمل أن يجزيه الله عنها خيرا ، فإنه يحق له أن يعتبر أن تولية والد أحمد ، وهو محمد بن عبد الله بن قيس الكناني ، الذي عرف بكنيته أبي محرز ، منصب القضاء في القيروان من أعمال البر أيضا . ولقد ولي أبو محرز القضاء في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٦ م ، على ما يرجع ، وذلك عقب وفاة القاضي ابن غانم (عبد الله بن عمر الرعيصي) الذي كان قد ولي القضاء برضاء الخليفة الرشيد منذ ولاية روح بن حاتم (في رجب سنة ١٧١ هـ / يناير ٧٨٨ م) وطوال عشرين سنة حتى أيام إبراهيم بن الأغلب (١٥٤) .

وأبو محرز معروف بين فقهاء القيروان بأنه كان من الكوفيين ، أي ممن يأخذون بذهب أهل العراق من أصحاب أبي حنيفة الذين يعتمدون القياس والرأى في استنباط الأحكام ، على عكس جمهرة فقهاء القيروان على أيامه ، ممن كانوا مالكية من أهل الحديث ، الذين يأخذون بسنن أهل المدينة التي نشرها في المغرب تلاميذ امام دار الهجرة ، الذين شدوا الرحال الى مصر والحجاز ، وتلقوا العلم على مالك بن أنس نفسه .

(١٥٤) تصح الرواية على أن ابن غانم توفي في ربيع الآخر سنة ١٩٠ هـ / فبراير - مارس ٨٠٦ م على أيام إبراهيم بن الأغلب الذي حزق لوفاته وبكى عليه . هو وحاله أبو عقاب . ولقد رجحنا أن تكون ولاية أبي محرز في السنة ، وذلك أنه عندهم رواية أخرى تصحيف الى ذلك احتمال أن تكون وفاة ابن غانم سنة ١٩٦ هـ / ٨١٢ م . وهي سنة وفاة إبراهيم بن الأغلب - السنة - نظر الرقيت . ص ٢٢٨ ، المدرك للقاضي عياض ، ص ٣٢٥ . بتراجم أغلبية الفقه المثلثين ، ص ٢٠ (في لولاة ابن غانم) في تاريخنا ، عن ولاية أبي محرز بمسند ابن غانم ، و نظر فيما سبق ، ج ١٠ ، ص ٣٧٤ و ١٠٧ -

ومن هؤلاء كان أئمة ذلك العصر ، مثل : علي بن زياد التونسي ، الذي يعتبر أول من أدخل موطأ مالك الفريسية (١٥٥) ، وعابد القيروان البهلولي ابن راشد ، الذي قال فيه مالك : « هذا عابد بلده » (١٥٦) ، وعبد الله بن فروخ العارسي ، الذي كان يكتب مالكا (١٥٧) ، وأسيد بن الفرات الذي يسح الموطأ عن مالك وغيره (١٥٨) ، والذي أدخل كتب الإسديّة الى مصر وأفريقية ، وفيها لجوية مالك - عن طريق ابن القاسم المصري - على آلاف المسائل التي أجاب عنها تلاميذ أبي حنيفة (١٥٩) فكانت في الفقه المقارن ، كما نقول الآن .

عابدين أبي محرز وأسيد بن الفرات :

والى جانب ترجمة أبي محرز ، الذي اعتز زيادة الله بتولية ابنه أحمد القضاء ، بين تراجم المالكية في لفريقية ، فإن أخباره توجد متناثرة في تراجم فقهاء ذلك العصر وأمرائه ، وخاصة في ترجمة أسيد بن الفرات الذي ولاه زيادة الله القضاء الى جانب أبي محرز في سنة ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م ، فكانت أول سابقة في تولية القضاء لرجلين معا (١٦٠) .

والحقيقة أنه إذا كان أسيد أكثر علما وفقها من أبي محرز ، فقد كان يترجم محرز . أشهد من أسيد رأيا وصوابا (١٦١) ، كما كان أبو محرز أكثر احسانا للمعربة ، مقلا في كلامه (١٦٢) . وهكذا كان أبو محرز ، قيل أن يلى القضاء ، يستفتى في القيروان ، هو وأسيد بن الفرات ، وزكرياء بن محمد بن الحكم اللخمي ، ومن في طبقتهم من الفقهاء والعلماء (١٦٣) .

والمعروف عن أبي محرز أنه كان رقيقا لينا في أحكامه ، يميل الى الأناة

- (١٥٥) المدارك ، ص ٢٢٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٢١ .
 (١٥٦) المدارك ، ص ٢٢٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٢٨ . وأنظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٩١ و ١٧٤ .
 (١٥٧) المدارك ، ص ٢٤٠ ، تراجم أغلبية ، ص ٤١ - وأنظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٧٤ و ١٠٦ .
 (١٥٨) المدارك ، ص ٤٦٥ ، تراجم أغلبية ، ص ٥٣ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ١٧٤ .
 (١٥٩) المدارك ، ص ٤٦٩ ، وما بعدها ، تراجم أغلبية ، ص ٥٩ - ٥٩ .
 (١٦٠) المدارك ، ص ٤٧٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٥ (تراجم الرواية ولاية أسيد ما بين سنة ٢٠٢ هـ وسنة ٢٠٤ هـ) ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ١٨٥ .
 (١٦١) المدارك ، ص ٤٧٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٥ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ١٨٩ .
 (١٦٢) المدارك ، ص ٤٧٩ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٩ .
 (١٦٣) المدارك ، ص ٤٩١ ، تراجم أغلبية ، ص ٨٤ .

والتروى في فتاواه ، يأخذ طريق التساهل والعفو . ولقد ظهر تساهله في
ميله الى التسامح مع الجند المتمردين على زيادة الله في ثورة الطنبيذ الخطيرة .
وذلك انه بينما كان فقيه ، مثل : عبد الله بن أبي حسان اليحصبي يريد
الوقوف بصلافة ضد الثوار بعد هزيمتهم ، لانهم كانوا قد اغاروا على منازلهم
وانتهبوا ، واضطروه الى الاستخفاف ، فيقول : لزيادة الله ، السذى نصحه
العلماء بالعفو ورغبوه فيه : ان العفو مفسدة ، ولن يلدغ المؤمن من جحر
مرتين ، كان ابو محرز يقول : العفو اقرب للتقوى (١٦٤) . وهو لذلك يتصدى
لابن أبي حسان اليحصبي ، ويقول له : أمن أجسل شويهاك أو رميكاتك
تستحل دماء المسلمين (١٦٥) .

ومثل هذا كان رأى ابي محرز فيمن يرمى بتهمة الزندقة - التي صارت
جريمة سياسية في كثير من الأحيان - مهما كان حال صاحبها : أن يستتاب .
وهو يوبخ العقبة ابا زكريا بن الحكم عندما يقول : ان رأى أهل العلم أنه
يقتل اذا كان مظهرا للاسلام ، وأن كان هو نفسه لا يأخذ بهذا الرأى ، ويرمي
بالحمق لأن كلامه هذا يجرى الامير - وهو زيادة الله الذى كان حاضرا مجلس
الفتوى - على سفك الدماء (١٦٦) . وهو هنا يمثل فقهاء الفريضة ، في ذلك
العصر ، ممن كانوا لا يهابون السلاطين ، ولا يخشون في الله لومة لائم . فهو
يقف الى جانب اسد بن الفرات ضد الرجل ، الذى أراد أن يمتلق زيادة الله ،
فقال له : انه رأى في المنام كأن جبريل وقف بين يديه ومعهم نور - رغم
سعادة الامير بتلك الرؤيا الكاذبة (١٦٧) . وكان ابو محرز يميل الى التأمين
ايضا قبل تقض الهدنة مع الروم عندما اتوا يطالبونها قبل حملة صقلية ،
ولو ان زيادة الله أخذ برأى ابن الفرات في شرعية خرق الهدنة (١٦٨) .

- (١٦٤) المدارك ، ص ٤٨٢ ، تراجم أغلبية ، ص ٧٤ (حيث تقول الرواية أن اليحصبي
كان من الرأى في الجند حتى انه نظم في ذلك شعرا يقول فيه :
أباح طفم الحند جبلا حريشا وشقوا عسا الاسلام من كل جانب
وعاتوا وثاروا في البلاد سفاهة وثنوا بان الله غير مساك
وما عجب بخص الأعاجم ضلة مرارا ولحطان الكرام المناسب
ولكن من قوم الينس ا اعتزازهم فبغضا فهم فيا لاحدى العجائب
وقارن المالكي ، ج ١ ص ٢٠٢ (حيث أبيات الشعر مختلفة بشكل بين) . وعن اليحصبي
مؤرخا ، انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤ .
(١٦٥) المدارك ، ص ٤٨٢ ، تراجم أغلبية ، ص ٧٤ - ٧٥ .
(١٦٦) المدارك ، ص ٤٧٥ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٤ ، ولإبن المالكي ، ج ١ ص ١٩١ .
(١٦٧) للمدارك ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٨ .
(١٦٨) المدارك ، ص ٤٧٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٦ . وانظر فيما بعد من فتح صقلية ص ٢١٢ .

وإذا كان أبو محرز ممن يقول بعدم تحريم النبيذ ، فإنه كان يقول بذلك عن قناعة ، حسب رأى أهل العراق ، ولم يكن يقوله تنقلاً للامير الذي كان مضرماً بالشراب ، والذي كان يعقد المناظرات في أمر شراب النبيذ بين أبي محرز ، للذي كان يحله ، وبين أسد ، الذي كان يراه حراماً (١٦٩) .

أسد بن الفرات :

وهكذا فإذا حق لزيادة الله أن يتخذ توليته القضاء لـاحد بن أبي محرز شبيهاً له يوم الحساب ، فقد كان من حقه أيضاً - الذي تقرره له - أن يعترف بتوليته القضاء. قبل ذلك لوالده أحمد ثم تولية أسد بن الفرات أيضاً الى جانب أبي محرز (١٧٠) فأسد بن الفرات السني تفقه على مالك بن انس ، وتعلم في العراق على تلاميذ أبي حنيفة ، كان يواجه زيادة الله بتحريم الخمر ، كما كان يقف ضد مقالة المعتزلة بخلق القرآن (١٧١) . وكان كثير عهتهم ، مثل أبي محرز ، من أصحاب المذهب الحنفي الذي أصبح على أيام الخليفة المأمون المذهب الرسمي للخلافة ، في : بغداد وفي البسلاط التابعة لها كصخر والفريجية - وفوق هذا وذلك كان أسد بن الفرات أحسنه التشجيع على علمه وفقهه (١٧٢) - فأسد بن الفرات ربط في شخصه بين العلم والتدين والجهاد ، وهي الأمور التي شغف بها زيادة الله .

ولقد كانت وفاة أسد بن الفرات - التي استعظمها أبو محرز ، حتى قال : « اليوم مات العلم » (١٧٣) - في صقلية سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م (١٧٤) ، وتبعه أبو محرز في السنة التالية (٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) (١٧٥) .

-
- (١٦٩) المدارك ، ص ٤٧٥ . ص ٤٨٤ . تراجم الغلبية ، ص ٦٥ ، ٧٥ . وقارن قطب السمرود للرفيق ، ص ٤٨٦ - ٤٨٩ (حيث نظم الرواية أسد بن الفرات الى جانب أبي محرز في تحليل النبيذ ، وهو الأمر الذي لم يذكر أبداً عن أسد) .
- (١٧٠) انظر المالكي ، ج ١ ص ١٨٥ (حيث النص على أن الوزير علي بن أحمد هو الذي سمي في ولاية أسد ، وكان يود عزل أبي محرز) - وانظر الصفحة ٦٧ ، وص ١٦٠ .
- (١٧١) المدارك ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ . تراجم الغلبية ، ص ٦٢ - ٦٣ . وقارن للمذكر ، ج ١ ص ١٨١ ، ١٨٢ .
- (١٧٢) المدارك ، ص ٤٧٣ . تراجم الغلبية ، ص ٦٦ . المالكي ، ج ٢ ص ١٨١ - وهذا ما تشير إليه عند الكلام عن فتح صقلية
- (١٧٣) المدارك ، ص ٤٧٥ (رواية عمران بن أبي محرز) ، تراجم الغلبية ، ص ٦٤ .
- (١٧٤) ابن عسار ، ج ١ ص ١٠٤ .
- (١٧٥) ابن عسار ، ج ١ ص ١٠٤ .

أحمد بن أبي معرز :

ولا ندرى من اذى ولى القضاء ، بعد أبي معرز ، وذلك أن الحوليات لا تذكر لنا تولية أحمد بن أبي معرز لقضاء افرريقية ، التي اعتز بها زياد الله الا في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٤ م ، ثم تفاجئنا بوفاته في السنة التالية (٢٢١ هـ / ٨٣٥ م) كقاض لصقلية ، بعد ولاية لم تدم الا حوالى تسعة أشهر فقط ، جمع فيها بين قضاء افرريقية وقضاء صقلية على ما يظن (١٧٦) .

.. والمهم أن أحمد بن أبي معرز الذي عرف بأنه لا يخشى من الله لومة لائم ، كان من التقوى والورع بحيث أنه كان عازفا عن تقليد القضاء الذي لم يقبل ولايته الا مكرها (١٧٧) . ولهذا قالت بعض الروايات انه لم يحكم بحكم حتى مات (١٧٨) . رغم ما تنص عليه روايات أخرى من أنه تحرى غاية العذل في اجراءاته القضائية : فلم يقبل وكالة اقارب الامير أو حشمه أو من يلوذ به . هذا ، الى جانب اشارات أخرى الى انصافه والى وقوفه بصلاية أمام الوزير علي بن حميد عندما أراد مساندة بعض المتخاصمين ، واجبساره الوزير على البراءة من محسوبه ، وذلك في حضرة زيادة الله ، وأمام الملأ من الناس ، مما كان له رجة عظيمة بالقروان (١٧٩) .

والذي يستأثر بعناية الكتاب في وفاة ابن أبي معرز . الذي كان كثير البكاء غزير الدمعة ، أنه أوصى أحماء عمران بن أبي معرز أن يكتفم موته حتى يكفنه ، ويصلى عليه خوفا أن يكفنه زيادة الله ويصلى عليه . ونفذ عمران الوصية ، ولم يدر فتیان زيادة الله بالامر الا بعد أن حمل نعش القضاى الورع - الذي أراد أن يهرب ميتا من زيادة الله بعد أن عجز عن الهروب منه حيا - خارج داره . وهنا اكتفى خلف الفتى بيزن الكثير من المسك الذي كان أحضره على جثمان القاضي ، ورجع الى القصر بما كان معه من الاكفان . وهكذا

(١٧٦) انظر بن عطاري ، ج ١ ص ١٠٦ ، المالكي ، ج ١ ص ٣٠٥ . هنا ولو ان رواية أبي العرب (ط - تونس ، ص ١٦٧) تقول انه ولى بعد وفاة والده أبي معرز ، مما يعني أن خطة القضاء طلت شاعرة لحوال - تسنوات منذ وفاة أبي معرز ، وهو الامر المستبعد . رغم ما تنقله رواية المالكي (ج ١ ص ٣٠٦) من أن الناس كانوا مستنعمين من ولاية القضاء عندما أجبير زيادة الله أحمد بن أبي معرز على قبولها .

(١٧٧) المالكي . ج ١ ص ٣٠٥ .

(١٧٨) أبو العرب ، ط - تونس . ص ١٦٧ . المالكي ، ج ١ ص ٣٠٥ .

(١٧٩) المالكي . ج ١ ص ٣٠٦ - ٣٠٨ .

يمكن زيادة الله من النحاق بالجنائز الا عند المصلى خارج المدينة ، حيث فصل عليه وخضر دفنه . وثقول الرواية انه بعد أن عزى الأمير عتران القاضي أحمد ، قال : يا أهل القيروان لو أراد الله لكم خيرا ، لا يخرج ، أبي محرز من بين أظهركم (١٨٠) .

وهكذا حق لزيادة الله أن يعتز بقاضيه أحمد - بن أبي محرز - ، وتؤكد بقراءة شهادة سنجون فيما بعد ، فقد كان إذا تكلم فيمن تقدمه من ضاة ، فذكر له أحمد بن أبي محرز ، لم يتكلم فيه الا بخير للفصله (١٨١) .

مال زيادة الله العمرانية :

رباط سوسة :

والحقيقة انه على عكس ما قد يتوهمه الناظر السريع من حياة زيادة الله ، أنها كانت حياة رجل متمزق بين العنف والبحث عن اللذة ، حتى أن قاضيه ان يخاف أن يكفنه بأقواب من عنده أو أن يصل على جنازته ، نجد أن المتأمل في حياته يكتشف خلف ستار هذا المظهر الخداع رجلا قد وهب نفسه لأعمال جبر ، وعلى رأسها الجهاد . ففي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م بدأ ببناء واحد من أكبر حصون المرابطين من العباد المجاهدين في سوسة ، وهسو رباط سوسة مشهور ، الذي أصبح بعد سنوات قليلة قاعدة لأكبر عملية غزو بحرية قام بها العرب ليما وراء البحار ، وهي فتح صقلية وإيطاليا ، كما صار صنوا رباط المنستير الذي أصبح أكبر رباطات السواحل المغربية : حتى اعتبر نتية من عتبات الجنة ، وحتى أصبحت الإقامة فيه لمدة يوم وليلة أعظم جرا من الحج أو الانقطاع الى الصلاة والصوم : وبذلك مزج علماء افريقية لأغلبية بين العلم والتدين والجهاد ، بطريقة لم تعرف في غير افريقية من بلاد الاسلام .

ورباط سوسة (١٨٢) ، كما وصلنا ، أشبه بحصن مربع الشكل ، طول ضلعه حوالي ٤٠ مترا ، تدعم جدرانها الأربعة ثمانية أبراج : ٤ (أربعة) منها

(١٨٠) ابن طبري ، ج ١ ص ٦٠٦ ، وقارن التلوي ، ج ١ ص ٣٠٩ . حيث النص على أن سراج هو ابن القاضي أحمد وليس أخاه .
(١٨١) أبو العرب ، ط ١ - تونس ، ص ١٦٧ .
(١٨٢) انظر البكري ، ص ٣٥ (حيث يصفه بأنه محرس عظيم كالدولة « سوسوالمشهور »)
يقطن في طرف قصر محرس الرباط ، وهو مأوى للاجئين والفقراء الذين دخلوا ضمنه كان يحميهم « القصب » وهو ببونى الدبقة محصل بدار الصناعة . يسفح الجبل الذي هو في سنده) .

في رواديبه ، و ٤ (أربعة) في وسط كل من حوائطه الأربعة . والأبراج مستديرة الشكل عدا اثنتين منها فلها شكل مربع ، وأحدهما يقع في الركن الجنوبي الشرقي حيث توجد في أعلاه منارة مربعة الشكل ، يظن أنها أقيمت من أجل إرسال الاشارات الضوئية التي كان يتبادلها جسد المحارس ، والثاني في وسط الجدار الجنوبي حيث الباب الوحيد للرباط . وكانت تطلو برج هذا الباب قبة ذات شرفات (جوسق) ، ربما كانت تستخدم كمئذنة للجامع الذي يقع في الدور العلوي من هذا الجانب من الرباط .

أما الفناء المربع في داخل الحصن ، فهو أشبه بصحن الجامع الكبير ، وتحيط بجوانبه وراء الأروقة غرف العباد وصوامعهم . الموزعة في الدور الأرضي على جوانب المحيطان الأربعة ، بينما هي موزعة في الدور العلوي في ثلاثة اتجاهات فقط . اذ الحقيقة أن المسجد ، الذي يتكون من أحد سر رواقا رأسيا على حائط القبلة ، وبلاطتين عرصيتين ، يشغل الجزء العلوي المواجه للحائط الجنوبي للرباط ، وهو حائط القبلة (١٨٣) .

قنطرة باب أبي الربيع :

والى جانب مجهودات زيادة الله في بناء رباط سوسة للعباد المجاهدين ، بنى قنطرة باب أبي الربيع في القيروان ، التي كانت ساقية عظيمة تحمل الماء من الجبل القريب عبر الوادي ، على ارتفاع شاهق يفضل حناياها أو أقواسها الكبيرة ، مما كان له أثره في العبارة الإسلامية في المريقية وسائر بلاد المغرب والأندلس . وذلك أنه كانت توجد في المريقية نماذج لهذا النوع من السواقي المحمولة على القناطر منذ أيام الرومان ، كما كان الحال كذلك في الأندلس ، مثل . قناطر ماردة التي بقيت لنا أجزاء منها (١٨٤) .

(١٨٣) أنظر ج . مارييه ، مختصر الفن الاسلامي . ج ١ ص ٤٧ - ٤٩ ، شكل ٢٠ ص ٤٨ (تمثيل يجمع رباط سوسة) . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير (ج ٢) ص ٢٤٦ وما بعدها .

(١٨٤) من قناطر باب تونس المزودة قرب القيروان أنظر ج . مارييه ، مختصر الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ج ١ ص ٥٣ . وهي قناطر ماردة أنظر ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ حيث الاشارة الى احتمال قائمها على الأقواس المزودة في حاصب قرطبة . وعن معارضة هذا الرأي أنظر أحمد مكي و المنسل لمبايعة القاهرة ومبارستها ، ص ١٣ - ١٤ . راجعت يقرؤ المؤلف إن . أقواس حاصب قرطبة المزودة عمل عربي مبتكر لا علاقة له بقناطر ماردة وأنظر شكل ١ ص ١٥ .

وهكذا نكفّر صلاة الله مهتما بأعمار البلاد ، مجتهدا في تحقيق أسباب
ولاية العلية لشعبه ، رغم ما واجهه من المصاعب ، وما هاناه من التجارب
التي تشلت فيها أربانه من الفتن . وحسن رعاية ريادة الله لمصالح شعبه
باعتبار من مياديه الإسلام الأساسية التي تنص على مسئولية كل راع عن
رعيته ، وذلك أن الرعية هي أصل رخاء الدولة ، إذ : « المال رزق جمعه
الرعية - كما قال فلاسفة السياسة - والرعية عبيد يعتمدهم العدل (١٨٥) » .

مسجد القريوان الجامع :

وكان بناء المسجد الجامع في القريوان - الذي اختطه عقبه لأول مرة -
سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، ثم جده حسان سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م ، ووسعه بشر
أبي صفوان سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٥ م ، وبنى منارته ثم جده بعله يزيد بن حاتم
سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٤ م ليتزوج أعمال زيادة الله ، وليصبح أترا باقيا إلى اليوم .
من آثار الأغلبية (١٨٦) .

وفي شهر جمادى الآخرة من سنة ٢٢٦ هـ / ماية - يونيو ٨٢٦ م (١٨٧) ،
قام بزيادة الله فأمر بهم بناء المسجد العتيق - حاشا للمراب ، بحرابه عقبه -
بعد أن لم يعد مناسباً ، من حيث السعة أو من حيث الفخامة ، بمدينة
القريوان التي أصبحت أعظم عواصم المغرب . كما لم يعد مناسباً بالملكة
للأغلبية التي وطئت أقدامها في الأريحية وأصبح بلاطها مناسباً لبلاط الخلافة .
ففي بعدد - وأعاد زيادة الله البناء بالصحرا والأجر والرخام ، تاركاً حرابه
عمية لتقديم بعد أن كساه كله بالرخام المغرم المنقوش بالكتابة وبغيرها من
الحرش ، من أسفله إلى أعلاه (١٨٨) .

ولم يبخل زيادة الله في النفقة عليه ، مما بلغ ٨٦ (ستة وثمانين)

-
- (١٨٥) كتاب السياسة في تغيير الرعية . في الأصول اليونانية للنظريات السياسية في
الإسلام ، تحقيق عبد الرحمن طوى ، القاهرة ١٩٥٤ ، فصل العدل ، ص ١٢٧ .
- (١٨٦) من الأسس النظرية العامة تلك التعديلات التي طرأت على الجامع منذ بناء
عقبه ، ما كانت تتم - بين المصينين المبرزين المنزلة والسلطانية - هنا ما يلهم
من نرسه العقبة عبد الله بن أبي حسان البصري (البصري) الذي كان مقرباً من زيادة الله .
فوقها قام زيادة الله بإصلاحاته في جامع القريوان مازحه قليلاً : « عاد المسجد حطراً » .
ويشرح سلبب المصنف ذلك بأن عقبه قرشي وريادة الله تسمى لها تقريوان . هنا ، كما قال
له زيادة الله مرة أخرى : « صونا ألكم من الجامع » ، المصنف ، ص ٤٨٤ .
- (١٨٧) التبريزي ، على ترجمة ابن سلعون ، ج ٩ ، ص ٤١٤ .
- (١٨٨) الخطبة السابع عشر ، ص ١٦٢ ، وأولاده وصف البكري (المصنفين الأهم في كامل
وكتبتنا عن بناء الجامع » ، ص ٣٤ .

الف دينار - وثقلب الظن أنه هو الذي جلب له الأساطين الجميلة المربعة
بالبياض والسواد المشديدين (١٨٩) من المعابد القديمة والكنائس من نخاع
امريقية ، ومنها السارستان المبروان اللتان توجدان قبالة المحراب - واللتان
وصفتا بأنه لا مثيل لهما في المسالم (١٩٠) ، وإنه سب حلما إلى حسان
أين النعمان (١٩١) -

ومسجد القبروان الجامع الحالي الذي اتفق على أمه بقي لنا كما توكه
زيادة الله - بصرف الشطر عن بعض التوسعات في بيت الصلاة ، مما يمكن
أن يكون قد تخذت في فترات تالية لمهد زيادة الله - يشغل مساحة مستطيل
طوله حوالي ١٣٥ مترا ، وعرضه ٨٠ مترا ، ويحوى كلا من بيت الصلاة
المفطي ، والصحن المكشوف ، وبيت الصلاة يحوى ١٧ (سبعة عشر) رواقا.
حولية تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب للشرقي ، والرواق الأوسط منها ،
أكثر اتساعا وأعلى ارتفاعا ، وتقوم على طرفيه اشمالى والجنوبى قبتان .
والخط المستقيم بين القبتين يمثل اتجاه القبلة بالنسبة لأهل القبروان .
ببلاطة المحراب العريضة تحمل على طرفيها قبتين هي الأخرى . أما الصحن
فهو متمسك جدا ، وتحيط به من جهاته الأربعة أروقة مردوجة ، باستثناء
الجهة الشمالية حيث تقطع المذابة تلك الأورقة .

أما المذابة فهي عبارة عن ثلاثة أبراج مربعة الشكل ، الواحد منها فوق
الأخر - والثالث منها ، وهو العلوى ، تعلية قبة مصلعة بديعة . ويلاحظ
أن أضلاع البرج الأول ، الذي يظن أنه بنى في خلافة هشام بن عبد الملك ،
لميست رأسية ، بل هي تنحرف نحو الداخل في اتجاه القبة - وعرض هذا
البرج الرئيسى ، ١٥ مترا ، وارتفاعه ١٩ مترا . أما ارتفاع المنارة
يأدوراها الثلاثة فيبلغ حوالي ٢٥ مترا (١٩٢) .

والمنارة بكتلتها المصنوعة ، وقامتيا العريضة ، وهي قائمة في طرف
الصحن المدثر بفلاحة الأورقة تضفى على المكان زينة ذات جلال أخاذ . وبيت

(١٨٩) مجلة الصحراء ، ج ١ ص ١٦٣ ، وقاربه اليكوى ، ص ٤٤ .

(١٩٠) مجلة الصحراء ، ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(١٩١) اليكوى ، ص ٢٤ ، وقاربه الإستجد ، ص ٤٨٤ (حيث يصفها بالخرابوان .

وإن كان اليكوى يذكر السواد الأخضر الذي اشتراه يزيد بن سالم بمال جليل - ص ٢٢) -

وله (١٩٢) القزوينى - ص ٢٢ ، مختصر الفن الإسلامى (بالفرنسية) ، ج ٢ ص ٢٧ -

٢٧) حيث القاربات مع معلومات اليكوى ، ص ٢٢ ، وقاربه أسد اليكوى ، الفصل لمسجد القاهرة -

ومطوسها ، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ، للسيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٤٢٢ وما بعدها .

الصلاة ، كما يقول جورج مارسية ، بغاية أعمده التي لا تعد ولا تحصى ، وبأورقته التي يأتيها الضوء هادئا من خلال الأبواب ، تحدث في النفس شعورا قويا ساحرا(١١٣) .

وهكذا حق لزيادة الله الأول بن ابراهيم بن الأغلب أن يموت راضيا ، ورجيا ثوب ربه ، في يوم الثلاثاء ١ رجب سنة ٢٢٢ هـ / ١١ يونية ٨٢٨ م ، وله من العمر (واحد وخمسون) سنة ، بعد ولاية حاملة بجلائل الأعمال والخطوب ، استمرت لأكثر من ٢١ سنة(١١٤) . وخلفه في ملك افرريقية أخوه الأغلب أبو عقال .

أبو عقال الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب المعروف ببخر : (٢٢٣ - ٢٢٦ هـ / ٨٢٨ - ٨٤٧ م) :

الامن على عهد الأغلب :

آل ملك افرريقية بعد وفاة زيادة الله الأول آلى أخيه الأغلب ، الذي كان في الخمسين من عمره ، والذي كانت قد آلت اليه أمور دولة زيادة الله منذ عودته من مصر ، كما تقول رواية التويري ، وان لم تشر بعد ذلك الى أي نشاط له(١١٥) .

ولم يستمر حكم الأغلب أبي عقال الا أقل من ثلاث سنوات تمتعت بالبلاد خلالها بفترة من الامن والاستقرار ، كما يقول الكتاب ، اذا استثنينا تلك الحملة التي وجهها في سنة ٢٢٤ هـ / ٨٢٨ م بقيادة قائده عيسى بن ريعان والأزدى ، ضد قبائل لواتة وزواغة ومكناسة ، من الحوارج في إقليم الجريد . ولقد انتهت الحملة بقتل تلك القبائل قتلا ذريعا ، حتى قيل أن عيسى انبأهم بجن آخرهم ، فيما بين مدينتي قفصة وقسطيلية (توزر) (١١٦) ، قيل أن

(١١٣) أنظر جورج مارسية ، مختصر الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ج ١ ص ٢٧ .

(١١٤) التويري ، المخطوط ، ج ٢٤ ص ١١٢ ، ترجمة ابن خلدون ، ج ٦ ص ٤٩٢ .

ابن الخطيب ، اسمايل الاعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٠ . وقارن الحلة . السها ، ج ٢ ص ١٦٤ . (١١٥) انظر فيما سبق ، ص ٤٣ وما ٧١ - حيث الاشارة الى انه جعل أمور دولته الى

الأغلب . لما فن علم الاشارة الى نشاط الأغلب مبهينين أن يفسر بين الأغلب كان له يد من عليه الصلوات بالمسكوت عنه . لا يلا كان الأمر قد التبس ، لبعض الكتاب فخطوا بين الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب وبين الذين معه التويري الأغلب بن عبد الله بن مريم المشهور بطنبون .

(١١٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٠٦ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٨٨ الى الذي يفسر على

انهم حوارج) .

يعود بمقتنهم وأسلاهم ، كما يقول ابن الأثير (١٩٧) .

والحقيقة أن رواية كل من ابن الأثير ، وابن عذارى ، وابن خلدون ، والنويري ، عن عهد أبي عقاب ، تكاد تكون نفس الرواية على شيء من الاحتصار أو الإسهاب ، في بعض الفقرات ، مما يوحي بأنها منقولة عن أرقيقه القيرواني ، وإن كان ابن عذارى يذكر في أحداث حملة سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م . ابن القطان صاحب كتاب نظم الجمان (الذي وصلتنا قطعة منه في تلويح المرعدين) -

خزرد :

عرف أبو عقاب الإغلب بلقب خزرد ، مع أنه من المعروف أن تحريفه ، اسم الأعلب على الطريقة المغربية الأندلسية هو « غلبون » ، كما هو الحال . بالنسبة لوزير ريادة الله وابن عمه الإغلب بن عبد الله بن الأعلب ، ونعني لا نعرف الظروف التي أعطى فيها الإغلب لقب خزرد الذي يعطيه الكتاب بإياه (١٩٨) ، وهو من الأسماء المغربية المشهورة عند الزنانيين ، والتي تعرف عندهم في شكل « خزرون » ، مما يحتمل معه أن يكون الاسم قد أعطى له معجاة للزنانية ، ولا بأس أن يكون أعطى له للشفرة بينه وبين ابن عمه الوزير غلبون .

العودة إلى ضريبة العشر :

وخلال فترة حكمه القصيرة استتب الأمن بين الناس واستقرت أمور الجند بفضل الاجراءات التي اتخذها الإغلب ، والتي يشير إليها الكتاب سريعا عندما يقولون انه غير أحداثا كثيرة كانت قبله (١٩٩) . وابن الأثير يعسر تلك الأحداث التي غيرها بأنها كانت من المظالم (٢٠٠) ، مما يعني أنها كانت تتعلق بالضرائب الثابتة التي قررها الأمير عبد الله بدلا من العشر الذي كان يمثل

(١٩٧) ابن الأثير سنة ٢٢٢ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٢ - والعصر ما لا يذكر الا انه سير صرية في سنة ٢٢٤ هـ .

(١٩٨) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٧ . النويري - المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ، الترجمة ج ١ ص ٤٤٤ ، وكان ابن الأثير سنة ٢٢٢ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٢ حيث الكسبة أبو عقاب بدلا من أبي عقال وهو من تحريف الكساج - أما اسم خزرد فلا يذكر .

(١٩٩) ابن عذارى ، ج ٦ ص ٢٠٧ - النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ - ب .

الترجمة ج ١ ص ٤٤٤ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٨ .

(٢٠٠) ابن الأثير سنة ٢٢٤ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٢ .

الضريبة القانونية المعروفة بخراج الأرض ، والتي كانت تدفع عينا ، حسبما تحمله الأرض من الفلات (٢٠٢) .

ضبط الجند والعمال :

أما عن الجند فتقول الرواية انه أحسن اليهم بمعنى أنه أجزل لهم العطاء ودفعه اليهم في مواعيد المقررة ، فكان ذلك سببا في قطع شخبهم ، كما تشير الرواية أيضا الى أن انقطاع الحروب في أيامه كانت من أسباب امتهم .

أما عن عماله ونوابه في الأقاليم فقد كف أيديهم عن التناول على أموال الناس ، وعا كانوا يرتكبونه من المظالم عن طريق زيادة رواتبهم ، ودفعها لهم في أوقاتها المقررة أيضا (٢٠٢) .

حجج النبيذ :

والى جانب ذلك قام أبو عقاب الأغبلي بإجراء كان فيه إرضاء لمشايع القيروان وعلماؤها وعبادها ، كما كان له أثره الطيب في قلوب الناس ، وذلك أنه منع عمل النبيذ والخمر في القيروان (٢٠٢) ، بل وعاقب أيضا على بيعه وشربه (٢٠٤) ، بعد أن كان بعض فقهاء الحنفية يبيحونه، وبعد أن كان زيادة لله يعقد المناظرات في تحليل النبيذ وتحريمه (٢٠٥) .

وهكذا انتهت ولاية الأغبلي الذي توفي في يوم الخميس ٢٢ ربيع الآخر سنة ٢٢٦ هـ / فبراير ٨٤١ م زاضيا ، مرضيا عنه من الكتاب الذين شبهوه بجده وسميه الأغبلي ، ليس من حيث الاسم قطع ، بل ومن حيث الخلق بواخلق كذلك (٢٠٦) . وخلفه ابنه أبو العباس محمد .

(٢٠١) انظر حجتنا سبق ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٢٠٢) انظر ابن عسار - ج ١ ص ١٠٧ ، ابن الأثير ، سنة ٢٢٢ ، ج ٦ ص ٤٩٢ ، النويري ، المغرط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب ، الترجمة ج ٤٤ ص ٤١٤ ، العلة السرية ، ج ٨ ص ١٦٨ .

(٢٠٣) ابن الأثير ، سنة ٢٢٢ ، ج ٦ ص ٤٩٢ ، النويري ، المغرط ، ج ٢٢ ص ١١٣ ب ، الترجمة ، ج ٤٤ ص ٤١٤ ، العلة السرية ، ج ٨ ص ١٦٨ .

(٢٠٤) ابن عسار ، ج ١ ص ١٠٧ .

(٢٠٥) انظر حجتنا سبق ، ص ٦٤ .

(٢٠٦) النويري ، المغرط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ، الترجمة ، ج ٤٤ ص ٤١٤ .

أبو العباس محمد بن الأغلّب بن إبراهيم بن الأغلّب (٢٢٦ هـ - ٢٤٢ هـ /
٨٤١ - ٨٥٦ م) :

معالم العهد :

خلف الأغلّب في إمارة اتربية ابنه أبو العباس محمد الذي بقى في
الملك مدة زادت على ١٥ (خمس عشرة) سنة ، كانت أهم أحداثها الداخلية
مشاركة أخيه أحمد له في الأمور ، ثم قيامه بانقلاب عليه استمر أكثر من
سنة ، استعاد بعدها محمد سلطانه - وهي الأمور التي تدخل في النزاع
بين أفراد الأسرة المالكة من أجل الحكم .

أما عن أحوال البلاد فكانت هادئة مطمئنة ، لم يعكر صفوها الا بفضّ
الاضطرابات التي قام بها قواد الجند في المناطق النائية دائما ، وهي -
الزباب ، وتونس - وكان ذلك كرد فعل طبيعي لازمة الحكم التي ثارت بين
الأخوين - وعلى المستوى الديني والاداري كان عهد أبي العباس محمد بن
الأغلّب ، هو عصر عظماء العلماء العباد ، مثل : أبي محمد عبد الله بن أبي
حسان اليحصبي (توفي سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤٢ م) والبهلول بن عمر بن صالح
(توفي سنة ٢٢١ هـ / ٨٤٦ م) ، والامام مسحتون بن سعيد (الذي ولي
القضاء سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م ، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) . أما عن
السياسة الخارجية على عهد محمد بن الأغلّب ، فقد تمثلت في استمرار الفتوح
في صقلية ، وهو الأمر الذي خصصنا له فصولا تالية .

وأهم مصادرنا الأساسية هنا هو ابن عذاري الذي يهتم أكثر ما يهتم
بالفتوح في صقلية . أما ابن الأثير فروايته مبتورة بشكل غير عادي ، إذ
لا يذكر الا خبر بناء مدينة أو حصن في المغرب الأوسط قرب تاهرت ، قبل
ذكر تاريخ وفاة الأمير بشكل تفصيلي ، وذكر أيام حكمه بالسنوات والأشهر
والأيام ، مما يرجح أنه لخص مصدره ، وهو الرقيق ، تلخيصا مقتضيا ، الا
إذا كانت النسخة التي وصلتنا من ابن الأثير ناقصة . وهذا يظهر من مقارنة
رواية ابن الأثير برواية النويري ، الذي ينقل هنا من الرقيق مباشرة .
ورواية النويري مليئة بالتعصبات العجيبة فيما يتعلق بالصراع بين الأميرين
الأخوين ، وهو الأمر الذي لا نجد له أثرا في ابن الأثير . وهذا ما جعلنا
نشكك في أن تكون النسخة التي بين أيدينا من كتاب الكامل قد وصلتنا
كاملة . وهذا لا يمنع من أن يكون صاحب الكامل قد انتخب من الروايات
ما زاد أمثابا ، وهو عمل لذلك :

ملك محمود الواهب ، حسن الطالع :

وأول ما يوصف به أبو العباس محمد بن الأغلِب ، الذي كان في الواحدة والعشرين من عمره عندما تولى الملك ، هو قلة العلم - فهو ضعيف في العربية ، ولا يعرف التفرقة بين المذاهب الكبرى - كالحنفية والمالكية ، بل هو لا يعرف موضوعها أصلاً (٢٠٧) ، ولكنه كان مع ذلك مظهرًا في جرأة على من نأواه (٢٠٨) .

وفي السنوات الأولى من إمارته نصت البلاد بالهدوء والسكينة ، إذ أنه اشرك أخاه أبا جعفر أحمد بن الأغلِب في الحكم ، فقلده كثيرا من الأعمال التي صار يديرها له كاتبه نصر بن حمزة الجروي . وعهد محمد الأمير بالوزارة وتسيير دفة أمور المملكة إلى الأخوين : أبي عبد الله محمد بن علي بن حميد ، وأبي حميد أحمد بن علي بن حميد . والظاهر أنه بينما كان الأمير محمد حنكيا على الشراب والاشتغال بالتهو والملاذ ، استبد ابنه علي بن حميد بالأمور دونه من آثار حمد أخيه أحمد . ومن الواضح أنه كان لحسد أفراد بطانة أحمد لبني حميد ، مثل : نصر بن حمزة الكاتب ، أثره في توجيهه نحو الاستبداد بالسلطة دون أخيه الأمير (٢٠٩) .

انقلاب يديره أخوه أحمد :

وهكذا اتفق أبو جعفر أحمد بن الأغلِب مع عمه من أعوانه وأهل بطانته على مفاجأة قصر الأمير محمد في مدينة القصر القديم ، وذلك وقت الظهيرة من أحد أيام الصيف في سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٤ م ، عندما يكون باب

(٢٠٧) انظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب - الذي يرميه بأنه كان من أهل الساس - أما رواية ابن عسدي ، (المأخوذة من حرب وغيره) ، ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، فهي تخص علي أنه كان يكتب كلمة الطيب بالصاد ، فسب ، وليس بالظاء - وهو الأمر المقبول الذي يحدث عند بعض المتكلمين في أيامنا هذه . ولكن الرواية تخرج من حد النقد إلى حسد التشيع . عندما تقول إن الأمير الشاب احتل من ذلك بأن في كتابها قولان : حسبنا يقولنا كل من أبي حنيفة ومالك بن أنس ، مما آثار غضب الحنطيين . وقارن الحلة السرياء ، ج ١ ص ١٦٦ : حيث تصد الرواية على أنه كان كوسجا . وجهه وجهه خبيث وآيس فيه إلا شمران يسيره . عطيا لا يولد له ، موصوفا بعلم وجود ، وقارن ابن الخطيب ، أمثال الأعلام ، لم ٢ ، ص ١٠ .

(٢٠٨) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب ، الترجمة رقم ١ ص ٤١٥ .

(٢٠٩) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب ، الترجمة ج ١ ص ٤١٥ .

التصحر خاليا من الحرس والبوابين - ونجح المتآمرون من رجال أحمد في اقتحام أبواب القصر ، وبعد أن أغلقوها حلّهم محموا على الزبير أبي عبد الله محمد بن علي بن حميد ، وقتلوه بأمر أحمد - وفي هذه الأثناء نجح الأمير محمد في اللجوء إلى قصر (قبة) عمه زيادة الله ، حيث لحق به أبو حميد أحمد بن علي بن حميد ، بينما هرب رجاله إلى مقاومة المعيرين - ولكن القتال لم يلبث أن توقف عندما أعلن رجال أحمد أنهم لم يخلعوا طاعة الأمير محمد ، وأنهم قاموا بسلامهم هذا من أجل تحريره فقط من استبداد بنى حميد الذين استأثروا ، دون الأمير ودون جنده ، بالأموال (٢١٠) .

وهنا أسقط في يد الأمير محمد ، فاضطر إلى النزول إلى مجلس العامة. حيث أذن لأخيه أحمد ورجاله بالدخول عليه ، فدخلوا وهم في سلاحهم - ودارت بين الأخوين معاتبة مناسبة ، انتهت باعتذار أحمد ، واعلانه أن غرضه كان إفساح مكيدة ابنى علي بن حميد ، اللذين كانا يسعيان في الاستيلاء على السلطة - ولم يجد محمد بدا من مداراة أخيه ، والاضضاء عن فعلته ، وانتهى المجلس بإعلان المصالحة بين الآخرين ، وتعهدهما بالا يقد الواحد منهما بالآخر - وكان من شروط الصلح أن يسلم محمد إلى أخيه أحمد ، أبا حميد بن علي شريطة ألا يقتله أو يصيبه منه مكروه ، وهو الشرط الذي لم يوف به أحمد ، إذ عذب أبا حميد وصادر أمواله ، ثم دبر قتله وهو في طريق نفيه إلى مصر ، على يدى بعض المقربين إليه ، وهو أبو نصر الفتي ، أحمد موالى إبراهيم بن الأغلب (٢١١) .

استيلاء أحمد بالسلطة :

وبذلك انتهى الأمر باعتكاف الأمير محمد بمنزله منصرفا إلى اللهو والشراب ، بينما استبد أخوه أحمد بالأمور ، فعظم قدره واشتد سلطانه ،

(٢١٠) التبريزي ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب - ١١٣ ا ، الترجمة ، ج ٩ ص ٤١٥ ، ابن عساري ، ج ١ ص ١٠٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، رقم ٣ ص ٢٦ -
(٢١١) التبريزي ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٣ ا - ١١٣ ب - حيث تقول الرواية أن اخا الأمير أحمد أمر ال أبي نصر الفتي أن يسير بأمر حميد على طريق طرابلس نحو مصر ، وأن يخلقه عندما يصل إلى قلصالة - وهذا ما فعله الفتي إذ خلق أسيره حتى مات ، وحمله على قصره إلى قلصالة ، وأُختر من قده أنه لا أثر فيه ولا يتبرح ، وقال : أنه سقط عن الدابة فمات - وقارن الترجمة ، ج ١ ص ٤١٦ .

واسمحوت على كل دواوين الدولة ، فعزل حجاب محمد واتحد لنفسه حجابا
حدادا ، كما اُخذ حرسا من الصيد والموالي لمنع عدد أفرادهم ٥٠٠ (حسمائة)
رجل يقفون ببابه . ثم انه رفع كتابه نصر بن حمزة الجروزي الى مرتبة
الوزير ، وهكذا صار الأمر كله له ، ولم يبق لمحمد من الامارة الا مجرد
الاسم (٢١٢) .

محمد يستعيد سلطانه :

ولكنه لم يقدر لاحد من الاعلى أن يستمتع طويلا بالاستيادته بحكم
افريقية ، ففي السنة التالية (٢٣٢ هـ / ٨٤٥ م) دارت عليه الدائرة ، وجاءت
الأمور الى ولى الأمر الشرعي . فكما كان التحاسد بين رجال حاشية كل من
الأخوين سببا لهما من الحلاف ، كان التحاسد أيضا بين رجال
حاشية أحمد هو السبب المباشر للانقلاب المضاد الذي أعاد الأمور الى نصابها
المشروع . فقد كان استيثار أحمد لكتابه نصر بن حمزة الجروزي ، سببا لى
اثارة الحقد في قلب واحد من أقرب المقربين اليه ، وهو داود بن حمزة
الوادري ، الذي كان يرى انه أولى بالتقديم من الجروزي ، على أساس انه
كان المدير الحقيقي للانقلاب .

وعن هذا الطريق فسدت نية الوادري ، وأخذ يعمل ضد أحمد ويراسل
أخاه الأمير محمد . وكان غدر أحمد بمثابة هزة نفسية عميقة زلزلت كيان
الأمير محمد الى الأعماق ، فترك النهو والهزل ، وأخذ في تدبير الحيلة
لاسترجاع سلطانه المفقود . ومهد محمد للأمر بأن أخذ يبحث الى أعيان
قربته من الأسرة الأغلبية وقواد جنده وعبيده ، يسألهم معونته ضد أخيه ،
ويعددهم الوعود الجميلة ، ويمنيههم أحسن الأمانى . وكان ممن نجح محمد
في استمالته الى جانبه ، قريبه القائد أحمد بن سفيان بن سواده التميمي
الذي كان أخوه خواجه في حبس أحمد ، والذي أحسن التدبير في نصرته .
وذلك الهمس حول أحمد : ان أخاه الأمير يدير الاطاحة به ، ولكنه كان واثقا
من أنه أتقن تدبير الأمور بحيث لم يبق مجال لأخيه للكيد له . وكان محمد
الأمير في الوقت الذي يعبك فيه مكيدته يتظاهر أمام رسل أخيه بالإنهياك

(٢١٢) التنوير . المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب والترجمة ج ١ ص ٤١٧ . ولقد
لحق على ج ١ ص ١٠٩ - حيث يقول النص . وقيل أحمد هل ما شاء ، ويستعمل من إلهامه
وعلى من أسب ، وأصل الرجال . واستورد نصر بن حمزة ، وانظر ابن الخطيب . أصل
الأملا م . قسم ٢ ص ٤٦

في الشراب (٢١٢) -

وفي اليوم إنذى قرر محمد توجيه ضربته الى استيلاء أخيه به ، أرسل الى أحمد بن سليمان بن سواده إشارة البدء - فحصل ابن سواده يرسل أتباعه من العبيد والموالي الى مدينة القصر القديم ، عليهم الأكسية ويحملون جرار الماء ، كأنهم يقومون بالخدمة ، الى أن اجتمع منهم قبل الزوال في دار ابن سواده ثلاثمائة رجل ، أعطاهم السلاح - هنا ، كما كانت جماعة أخرى من أنصار محمد قد واعدوه بالنزول في قصر الله عند الغروب ، وأن تكون إشارة البدء بتفتيح الهجوم هي : أن يتسما الطبل ويروا الشمع مشتعل في أعلى قبة قصر محمد -

- والظاهر أن أحدا كان قد اطمأن تماما الى فشل أخيه ، وعلى اجكام تدبيره للأمور ، حتى أنه جئاً هو الآخر ينصرف الى اللهو والشراب ، بل أنه كان قد دخل الحمام في اليوم الذي اختير للقيام بالانقلاب المضاد - ولما كان دخول الحمام في ذلك الوقت يتطلب الكثير من الوقت ، كسلا كان يتطلب الراحة بعد الخروج منه ، فإن ذلك يعني أن اصحاب محمد كلفوا على حراية بما يفعله أحمد في ذلك الوقت ، وأنهم أحسنوا اختيار ساعة التنفيذ - وتقول الرواية ان عيون أحمد أي جواسيسه عرفوه بما يدبر له ، بل وأخبروه أن المتآمرين سيجتمعون عند قصر الماء - ولكن يظهر أن جواسيسه عجم يعرفوا ساعة الصفر ، كما تقول الآن ، إذ أنه أرسل خيلا الى قصر الماء وقت الظهيرة ، فلم يجدوا أحدا ، مما دعاه الى تكذيب تلك الأخبار وعلم الاكثريات لها -

أما عن ساعة الصفر التي اختارها محمد ، فكانت ساعة الغروب - لما أن قربت صلاة المغرب حتى وجه خادما له الى حرس أخيه الموجودين بجبابه يدعوهم الى مأدبة يترجم بها الأمير - وعندما اجتمعوا قدم لهم الطعام والشراب ، فلما عمل فيهم الشراب احتال على أخذ سيوفهم بجبراً أنه يجلبها لهم - ومع اذان المغرب ، وهو وقت اغلاق ابواب القصر ، أتاهم رجاله وعلى رأسهم عمار بن عون الفزسي ، فقتلوهم عن آخرهم - ثم أمر محمد بالطبول

(٢١٢) القوي ، المغارب ، ج ٢٢ ص ١١٣ - الترجمة ج ١ ص ١١٧ : الصلاة المشرفة ج ١ ص ١٨٢ ، ولقد أمر الخليل ، لقتال الأبطال ، قسم ٤ من ١٢٣ - ١٢٤ ابن خلدون ج ٢ ص ٢٠ (حيث الرواية كالتصديق كلها ما كتبه في استخراج ابن العباس محمد لسلطانه على سنة ٤٢ (٧) -)

مصربت ، وبالشموخ منى أعلى القمة فأوقدت ، وأقبل أصحابه من جهة قصر
الماء ومن كل ناحية ، وخرج أحمد بن سفيان بن سواده بمن كان في داره
من العبيد والموالي ، فجعل يتتبع رجال أحمد أينما وجدهم ، واستمرت عملية
المطاردة الرائعة طوال الليل --

ومع بزوغ فجر اليوم التالي بعث أحمد بن سفيان الى القيروان يستنصر
بأهلها ، فأقبلوا في جموع عظيمة ، وهم يتادون بطاعة محمد . وهنا انهزم
أصحاب أحمد هزيمة نهائية ، وهرب هو الى داره . وفكر أحمد في الاستعانة
بقريبه خفاجة بن سفيان بن سواده التميمي ، الذي كان في حبسه منذ
سبعة أشهر ، ففكاه من السجن ، وطلب منه القوت دون أن يترك له الوقت
لمعاتبته . وبشهادة فرسان ذلك العصر طلب خفاجة فرسا وسلاحا ، وخرج
لتوّه بنظر فيما يسكن أن يقدمه لناكر الجميل التي استغاث به . ولكن أهل
القيروان أقنموه بالأحدوي من ذلك ، فعاد الى أحمد بن الأغلب وطلب منه
الاستسلام لأخيه على الأمان قبل أن يهلك . ونجح خفاجة في كسب الأمان
له من محمد فعلا .

وابتجأ بالنصر أشدق الأمير محمد على أهل القيروان الذين رجحوا
كفته ، بالخلع حتى أتى على كل ما كان في خزائنه وخزائن حرمة ، ووصلهم
بالأموال حتى نعد كل ما كان لديه . أما عن أخيه أحمد فإنه فناه الى مصر .
ومن هناك سار الى العراق حيث مات (٢١٤) .

من نتائج الصراع بين الأخوين :

اضطراب بلاد الزاب :

وهكذا انقضى الاضطراب الذي ترتب على النزاع بين أفراد الأسرة
الأغلبية من أجل العرش ، واستقرت الأمور للأمير محمد بن الأغلب من
جديد ، ولم تبق الا بعض ذبول هذا الاضطراب في الأقاليم . ففي إقليم
الزاب انتهز سالم بن غلبون ، الذي كان واليا على الاقليم من قبل محمد ،
فرصة الصراع بين الأخوين وشق عصا الطاعة . وبعد أن استتبعت الأمور
لمحمد ظل سالم على عصيانه ، ما جعل الأمير محمد يعزله عن ولايته في تلك
السنة (٢٢٢ هـ / ٨٤٥ م) .

(٢١٤) الخوري ، المطرود - ج ٢٢ ص ١١٤ ب ، ١١٥ . الترجمة - ج ١ ص ٤١٨ .
امير طندى - ج ١ ص ١٠٩ . وانظر الحلة السوداء - ج ١ ص ١٨٢ ، وقول ابن الطهيبي -
اعمال الاعلام - قسم ٢ ص ٢٢ .

بعد القيروان القويح وهو ينهزم فقبضوا عليه وضربوا عنقه ، وحمل رأسه إلى الأمير محمد الذي كان قاتل القويح مكافأة سنية ، وخلق عليه .

ولم تستسلم مدينة تونس إلى خفاجة إلا بعد أن دخلها بالسيوف يوم السبت ١٠ من ربيع الأول/ ٢١ أكتوبر ، فاستباحها وسبى نساءها ، وعاد إلى القيروان حيث كساه محمد بن الأغلبي (٢١٧) ، فكانه كان عائدا من بعض غزواته في أرض المدو .

استكمال العمل في رباط سوسة ، وبناء « العباسية » قرب تاهرت :

أما عن أهم الأعمال العمرانية التي تنسب إلى الأمير محمد بن الأغلبي ، فبناؤه للقصير الذي كان بسوسة في سنة ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م ، كما تقول رواية النويري (٢١٨) . والظاهر أن الأمر كان يتعلق باستكمال العمل الذي كان قد بدأه زيادة الله في الرباط أو بناء الأستوار .

وإلى جانب الحرب في صقلية ، نظن أن العلاقات بين الأغلبيين والرستميين كانت قد توترت إلى حد الأعمال الحربية أو التهديد باستخدام القوة . ذلك ما يفهم من الرواية التي تقول إن الأمير محمد قام بإنشاء مدينة جديدة قرب تاهرت سماها « العباسية » (٢١٩) ، وهو الاسم الذي أعطاه جده إبراهيم بن الأغلبي لمدينة القصر القديم . ومن الواضح أن بناء مدينة أغلبية في قلب المملكة الرستمية يعني اتخاذها قاعدة عسكرية أمامية يمكن منها تهديد الدولة الأيباضية ، وهذا ما لم يغيب عن الرستميين الذين دبروا تخريب « العباسية » الجديدة ، فدمروها بالنيران (٢٢٠) . وكانت مناسبة استغلها الرستميون للتقرب من الأمويين في الأندلس ، حتى أن الأمير عبد الرحمن الأوسط بن هشام بعث إلى الامام أفلح بن عبد الوهاب بمائة ألف درهم ، كأنها مشاركة منه في « المجهود الحربي » ، كما يقال الآن ، فسد خصمهم المشترك ، مثل بغداد في أفريقية .

—————

(٢١٧) ابن عسار ، ج ١ ص ١١٠ . وانظر ابن الأثير سنة ٢٢٤ . ج ٧ ص ٢٤٤ .
 (٢١٨) النويري ، ج ٢٢ ص ١٦٥ .
 (٢١٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٢٤ هـ . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ (حيث يجعل بناء المدينة في سنة ٢٢٧ هـ/ ٨٤١ م) .
 (٢٢٠) ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠١ . وهو الأمر الذي لا شك في أن قوتلج تاهرت على عهد الامام أفلح (١٩٨ - ٢٤٧ هـ) . انظر لنا بعد ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

زدهار المالكية على أيام محمد بن الأتغلب :

والى جانب عناية الأمير محمد برباطات المباد - رغم ما ينسب إليه من الجهل أو قلة العلم - فقد كان من حسن حظه أنه عاصر خلال حكمه عددا من كبار أئمة المالكية من أهل إفريقية - مثل : عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (توفي ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م) الذى كان يحضر مناظرات أبي معمرز وأسد بن الفرات - أيام زبادة الله (٢٢١) ، كما شهد حكمه السنوات الأخيرة للبيلول بن عمر بن صالح الفقيه (توفي سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) الذى سجع من مالك وطبقته (٢٢٢) .

وبعد ذلك يكفيه فخرا أنه ، بعد أن تخلص من استياد أخيه أحمد ، عهد في سنة ٢٢٣ هـ / ٨٤٧ م بقضاء القيروان الى امام المالكية ، فى إفريقية والمنزب وفقهيهم ، وهو : سحنون بن سعيد التنوشي ، بعد أن عزل القاضي أنفى عبد الله بن أبي الجواد ، ضهر أسد بن الفرات (زوج ابنته) الذى كان سحنون يكرهه بسبب قوله يخلق القرآن ، ويسميه بفرعون هذه الأمة وجبارها ، وظالمها (٢٢٣) .

الامام سحنون (١٦٠ هـ / ٧٧٧ م - ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) :

شبابه وتكوينه العلمى :

وسحنون أصله من عرب الشام ، قدم أبوه سعيد الى إفريقية فى چند حصص (٢٢٤) . ولقد أخذ سحنون العلم فى شبابه فى تونس على كبار فقهاءها من تلامذة الامام مالك ، مثل : أبي خارطة عنسبة الغافقى (توفي فى ربيع ٢ سنة ٢١٠ هـ / يوليه - أغسطس ٨٢٥ م) (٢٢٥) وانهلول بن راشد التميمى ، عابد إفريقية ووقتها الذى قبيل ان شهرته وصلت الى مسرقند - (توفي

(٢٢١) ابن طبرى ، ج ١ ص ١٠٨ ، المعاد ، ص ٤٨٤ ، كطب السرد للرياق ص ٤٨٦ .

(٢٢٢) ابن طبرى ، ج ١ ص ١٠٨ .

(٢٢٣) ابن طبرى ، ج ١ ص ١٠٩ ، تراجم الخلية ، ص ١٨ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٠٠ ، حيث يعجل ولاج سحنون سنة ٢٢٤ هـ) .

(٢٢٤) المعاد ، ص ٥٨٥ - ٥٨٦ ، تراجم الخلية ، ص ٨٦ - ٨٧ ، رحمه الخلية

عبد السلام لما سجنوا إليه ، فهو ليس طائر شديد الجوع سبي به كسائر فى البساتين .

(٢٢٥) المعاد ، ص ٨٦ وما بعدها ، تراجم الخلية ، ص ٧٨ ، ٨٢ .

سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م (٢٢٦) . وعلى بن زياد النوسي العيصي ، أول من أدخل
موطأ مالك في إفريقيا وجامع سفيان (توفي ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) (٢٢٧) ،
وغيرهم .

وإذا كان الشك يحوم حول لقاء سحنون لمالك بن أنس ، إذ قيل انه
سار الى مصر والحجاز في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م أي بعد وفاة مالك (١٧٩ هـ /
٧٩٥ م) ، ثم تدارك الكتاب ذلك فيما بعد بقالوا بن في سنة ١٧٨ هـ /
٧٩٤ م أي في آخر أيام مالك (٢٢٨) ، فالهتّم أنه أحد من أصحاب مالك في
مصر من العلماء . ومن أشهر من أخذ عنهم في مصر ابن القاسم ، وابن
وهب ، وأشهب ، وطليب بن كامل ، وعبد الله بن عبد الحكم وغيرهم . وبعد
ذلك سار الى الحجاز حيث أخذ عن المدنيين من تلامذة امام دار الهجرة ، قبل
أن يعود الى الريفية في سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦ م (٢٢٩) .

وتقد يرح سحنون في فقه مالك بن أنس حتى قيل انه كان افقه من
اصحاب مالك كلهم ، وأن ابن القاسم ، وهو امام المالكية في مصر ، طسب
اليه أن يقيم عسده بطلب العلم (٢٣٠) ، وإن العلم كان في صدر سحنون
كسورة من القرآن محفوظة عن ظهر قلب (٢٣١) . والى سحنون يرجع الفضل
في نشر المذهب المالكي في افريقية - بفضل كتابه المعروف بالمدونة ، الذي
صحح به كتب أسد بن الفرات المعروفة بالاسدبة (٢٣٢) ، فحلقتها وشرحها

(٢٢٦) المدارك ، ص ٢٣٠ وما بعدها . تراجم أهلية ، ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٠ ب والطرف
فيما سبق ، ج ١ ص ٣٩١ وهـ ١٧٤ .

(٢٢٧) المدارك ، ص ٢٢٦ . تراجم أهلية ، ص ٢١ ، ٢٥ .

(٢٢٨) انظر المدارك ، ص ٥٨٥ (حيث يضمه القاضي فياص رغم ذلك الى طبقة من اصحاب

اليه فقه مالك ولم يروا أن يسموا منه . وقارن تراجم أهلية ، ص ٨٧ .

(٢٢٩) المدارك ، ص ٥٨٧ . تراجم أهلية ، ص ٨٨ . وتاريخ هجراته الى الريفية سنة

١٩١ هـ / ٨٠٦ م حيث كان يسبح منه أهل اجنادية . وهو في الطريق الى البلاد التونسية .

وهي نفس السنة التي توفي فيها ابن القاسم ، فدل على أن سحنون لم كفيًا له فرصة لقائه

مالك بن أنس الذي توفي في سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م - خاصة وأن معرجي سحنون يقولون

انه سائر الى المشرق وعمره ٢٥ سنة . وعاد وعمره ٣٠ سنة . بمعنى أن رحلته استغرقت

حوالي ٥ سنوات فقط . وهذا يعمل على رحلته الشرقية في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م القرب الى

الصحراء من سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م المتوقعة حتى تكون قبيل وفاة مالك . وهذا ما يقول به

أبو العراب لثلا (ط - تونس ص ١٨٥) ثم المالكي (ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥٢) .

(٢٣٠) المدارك ، ص ٥٨٩ - ٥٩٠ . تراجم أهلية ، ص ٩٠ .

(٢٣١) المالكي ج ٣ ص ٢٥٣ . المدارك ، ص ٥٩٠ . تراجم أهلية ، ص ٦٣ .

(٢٣٢) المدارك ، ص ٤٦٩ . تراجم أهلية ، ص ٥٩ .

وبوبها وبظنها - وفي ذلك يقال ان أسد بن القرظ نفسه نصح بالاخذ عن
سحنون ، بعد ان خرج هو الى غزو صقلية (٣٣٢) . كل ذلك رغم ان المذهب
كان قد غسر البلاد قبله بفضل الرواد المالكية الأوائل . وفي ذلك يقول
مترجمو سحنون : انه لما قدم بذلك المذهب صار زمانه كأنه مبتدأ قد أمحى
ما قبله ، وأن أصحابه كانوا سرج أهل القيروان (٣٣٤) .

سحنون ناسكا : على مذهب أهل المدينة :

والى جانب العلم والفقه عرف سحنون بالورع الصادق ، والزهادة فى
الدنيا ، والصرامة فى الحق ، لا يخاف فى الله لومة لائم (٣٣٥) ، ولذلك قيل
فيه انه راهب هذه الأمة ، وأنه كان أعيب فى القلوب من الملوك (٣٣٦) . ولم
يصل سحنون على بشر مذهب مالك فقط ، بل إنه أخذ بمذهب أهل المدينة
فى كل شيء حتى فى العيش ، فكان مقتصدًا فيه : على قدر ذات اليد (٣٣٧) .
وكان قصده الأول من ذلك هو الا يحتاج الى السلاطين أو رجال الدولة (٣٣٨) .
على أساس شكه فى أن أموال السلاطين تأتي من أبواب حلال .

وهذا ما دعا الفقهاء الى تسمية كثير من الضرائب التى كانت تفرضها
الدولة بالمظالم وبالغرام ، لأنها كانت تجمع على غير وجهها الشرعى ، كما
رأينا فى الإصلاح الذى قام به الامير عبيد الله بن ابراهيم فى مال العشر
عندما حدده بـ ٨ (ثمانية) دنانير على كل زوج تحرن من البقر ، سواء
انتجت الأرض أم لم تنتج ، وهو الأمر الذى كانت العودة عنه كأنها عودة الى
العدالة والخير (٣٣٩) .

-
- (٣٣٣) للدارك . ص ٤٧٢ . ٥٩٢ (يقول انه خرج الى العراق) ، تراجم أغلبية ص ٩٥ .
(٣٣٤) للدارك . ص ٥٩١ . ٦١٢ . تراجم أغلبية . ص ٩٢ . ٩٤ . ١٢٠ .
(٣٣٥) أبو العرب (ط . تونس) . ص ١٨٤ . للذكر . ج ١ ص ٢٤٩ . للدارك .
ص ٥٩٢ . تراجم أغلبية . ص ٩٤ .
(٣٣٦) للدارك . ص ٥٩٢ . تراجم أغلبية . ص ٩٤ .
(٣٣٧) للذكر . ج ١ ص ٦٦٢ . للدارك . ص ٥٩٣ . تراجم أغلبية . ص ٩٦ .
(٣٣٨) للدارك . ص ٥٩٤ - ٥٩٥ . وانظر تراجم أغلبية . ص ٩٨ : حيث كان يشتري
كل يوم ربع دنانير ليعا لم تركه القتل بالصلح . ص ١٢٦ - حيث لا يشرب من الخواجل
(مصالح الله فى عزائنا) التى يبيها السيلان بجرها . وان لبق ذلك للناس على أساس
انها حجارة جميعا للسلاطين . وأجرى لهم فيها الله . وكان للدارك ص ٦١٨ - ٦١٩ .
(٣٣٩) انظر فيما سبق . ص ٤١ - ٤٢ . ٧٧ . ٧٨ .

وفى هذا الباب كان سحنون يرى أن ترك الحرام أفضل من جميع عبادات الله (٢٤٠) . ولهذا كان سحنون يحض على العمل وكسب المره رزقه بعرق جبينه ، وكان يقول اعطوا الاجير حقه قبل أن يجف عرقه (٢٤١) . وكان سحنون قدوة في ذلك ، يضرب لطلابه وأهمل عصره المثل في شرف العمل . فكان يخرج لملاحة أرضه وقت مرض خادمه ، وعلى كتفه للمحراث ، وبين يديه روح البقر . وعندما يقوم احد طلابه مقامه حتى لا يحرم أصحابه من طلب العلم يبقيه الى مائدته ، وان كانت الوجبة مكونة من خبز شعير وزيت قديم ، قبل أن يسمعه العلم الذي فاته : وحده (٢٤٢) .

وهكذا كان سحنون قدوة في الجِدِّ والنشاط في العمل الجثمانى ، كما كان مثالا في الرهد والتقصف . ولم يكن رده عن فقر ، بل عن تضحية وإيثار للغير . فقد كان من طبقة الزهاد الذين وطدوا قاعدة : ان الجود هو أصل الوجود . وفى ذلك يقال انه كان يتصدق بالثلاثين دينار دفعة واحدة ، وهو المبلغ الذى توجب فيه الصدقة (٢٤٣) . وكان يصرف بطائق الصدقة للمحتاجين ، كما تصرف صكوك المصارف فى أيامنا هذه ، بكل ثمن الزيتون الذى باعه ، وهو ٣٠٠ (ثلاثمائة) دينار (٢٤٤) . أما عن غلة أرض سحنون من الزيتون ، التى بلغت ٥٠٠ (خمسمائة) دينار فى السنة ، فكان يبدها جميعا فى أعمال البر والصدقة ، فما كانت تنقضى السنة الا والديون عليه (٢٤٥) . وهكذا لم يكن من الغريب على سحنون ، صاحب هذه الامثولات أن يرفض بوليته العشاء طوال عام بأكمله (٢٤٦) . ولم يكن من الغريب على الأمير محمد بن الأغلب أن يتمسك بذلك العالم الراهب ، الذى يرفض مال

-
- (٢٤٠) انظر تراجم الغلبية . ص ١٢٨ - حيث نرا قصة اللبس ، وتركه دائق ما حرم الله أفضل من ٧٠ (سبعين) ألف حبة ١٠٠٠ وأفضل من ستمين ألف لرس فى سبيل الله . ومن سبعين ألف بدنة يهديها الى بيت الله العتيق ، وأفضل من عتق سبعين ألف رقبة مؤمنة من ولد اسماعيل . وقارن المالكي . ج ١ ص ٢٥٩ .
- (٢٤١) المدارك . ص ٥٩٩ . تراجم الغلبية . ص ١٠٣ .
- (٢٤٢) المالكي . ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ . المدارك . ص ٥٩٤ . تراجم الغلبية . ص ٩٧ .
- (٢٤٣) المالكي . ج ١ ص ٢٦١ . المدارك . ص ٦١٩ . تراجم الغلبية . ص ١٢٧ .
- (٢٤٤) المدارك . ص ٦٢١ . تراجم الغلبية . ص ١٢٧ . ص ١٣٠ .
- (٢٤٥) المدارك . ص ٦١٩ . تراجم الغلبية . ص ١٢٨ .
- (٢٤٦) المالكي ج ١ ص ٢٧٣ .

الأمره ، ويأكل خبز الشعير بالملح والرميت ثم يصدق بأمواله .

وفي زهد سجنون تقول الروايات أيضا انه كان يركب بلجام حديد دون فضة (٢٤٧) ، ويلبس الفرو والحشن من الثياب (٢٤٨) ، والبرس الأسود في المطر والبرد (٢٤٩) . وكان طلبه الحنم في مجلسه يعمدون أمام باب داره على الأرض الا من يحضر الحصيد منهم (٢٥٠) - وكان سجنون يمر قتي الاسواق يسلم على الناس (٢٥١) ، ويرى ان عداوة الناس هي رأس الايمان (٢٥٢) .

مكذا حتى الأمير أن يتشبهت به لولاية القضاء ، وان يبلغ تشبته الى حد ابرغاه على ذلك ، تمت التهديد والوعد والوعيد (٢٥٣) .

ولاية سجنون القضاء :

وهنا لا يعني أن امام افريقية وراهب المغرب ، الذي قال لابنته عندما قبل تولية القضاء : « اليوم ذبح أبوك بغير سكني » (٢٥٤) ، قد قبل الوظيفة للمروقة ، وهو مغلوب على أمره . وذلك أنه لم يقبل القضاء الا بعد ان أعطاه الأمير كل ما طلب ، وأطلق يده في كل ما رغب فيه ، وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ أحكامه على أهل الأمير وقرابته وأعيانه ، بل ان الأمير نفسه طلب اليه أن يجري الحق على شخصه أيضا (٢٥٥) .

تعليماته القضائية :

دوران القضاء :

والحقيقة أن ولاية سجنون للقضاء لم تعتبر رفعا للولاء الحق ، وإيذانا بسيادة القانون والعدل في افريقية فقط ، بل انها كانت أيضا بداية لتنظيمات

-
- (٢٤٧) المدرك ذ ص ٥٩٤ . تراجم الخليفة ، ص ٩٦ . المذكر ، ج ١ ص ٣٦٤ .
 - (٢٤٨) المذكر ، ج ١ ص ٣٦٤ . تراجم الخليفة ص ٨٩ . ١٦٦ .
 - (٢٤٩) المذكر ، ج ١ ص ٣٦٤ . المدرك ، ص ٥٩٤ . تراجم الخليفة ، ص ٩٦ .
 - (٢٥٠) المدرك ، ص ٥٩٤ . تراجم الخليفة ، ص ٩٧ .
 - (٢٥١) المدرك ، ص ٥٩٥ . تراجم الخليفة ، ص ٩٨ .
 - (٢٥٢) تراجم الخليفة ، ص ١٢٠ .
 - (٢٥٣) المذكر ، ج ١ ص ٢٧٣ . المدرك ، ص ٥٩٦ . تراجم الخليفة ، ص ٩٩ .
 - (٢٥٤) المذكر ، ج ١ ص ٢٧٣ . المدرك ، ص ٥٩٧ . تراجم الخليفة ، ص ١٠٠ .
 - (٢٥٥) المذكر ، ج ١ ص ٢٧٣ . المدرك ، ص ٥٩٦ . تراجم الخليفة ، ص ١٠٠ .

قضائية لم تعرفها البلاد قبل قضاء سحنون . فالى سحنون يرجع الفضل في
تقسيم سلطات القضاء الى ثلاثة فروع ، هي :

١ - القضاء العادي : وهو ما يرجع الى القاضي أصلا ، ومنه يتفرع :

٢ - القضاة العالي : الخاص برجال الدولة وقرابة الأمير ، وهو المسى
بـ « المظالم » .

٣ - القضاء العاجل (أو المستعجل) : وهو الخاص بالفصل في
القضايا السريعة ، مثل المخالفات أو الجرائم التي ترتكب في الأوثان ، والتي
كانت تتطلب الحكم السريع في موضع الحادثة نفسها ، مما قد لا يتمكن منه
القاضي الذي كان يجلس على المسجد الجامع أو في داره ، وهو الذي سسى
بالمسبية سو كان الحكم فيه من اختصاص أحد أعوان القاضي ، وهو المحتسب .

اعوان القاضي :

فقبل أن يجلس سحنون للقضاء أمضى أياما يبحث فيها عن الأعوان
المناسبين الذين يمكن أن يساعده في القضاء . وبدأ باتخاذ الفقيه الحنفي
سليمان بن عمران ، الذي كان هو نفسه قد رشحه للقضاء (٢٥٦) ، كاتباً
يكتب له في قضاة (٢٥٧) . وذلك قبل أن يصينه معاونا له في إقليم بجاية
وباجة والأربس (٢٥٨) .

والى جانب الكاتب الذي كان يدون سجل الأحكام ، ويحفظ بقوائم
الشهود المعدول ، اتخذ سحنون له الأمناء الذين يعاونونه في التعرف على
أحوال المتقاضين والشهود ، والذين كان يعهد اليهم بحفظ الودائع - التي
كانت قبلة ، تحفظ في بيوت القضاة - كما اتخذ الأمناء في البوادي أيضاً ، فكان
يكتب اليهم بما يريد . وكان القضاة قبله يكتبون الصالحين من أهل البادية
فيما يريدونه من الأمور (٢٥٩) .

(٢٥٦) انظر المدارك ، ص ٥٩٥ - ٥٩٦ ، تراجم الخطبة ، ص ٩٩ -

(٢٥٧) انظر المدارك ، ص ٥٩٨ ، تراجم الخطبة ، ص ١٠٢ .

(٢٥٨) المدارك ، ص ٥٩٨ ، تراجم الخطبة ، ص ١٠٢ ، ولقارن المالكي ، ج ١ ص ٢٧٥ .

من ولاية ابن عمران الملقب بمرورته للقضاء بعد سحنون ، انظر فيما تقدم ، ص ١٠١ ، ومن
تراجع مع محمد بن سحنون . انظر فيما بعد ، ص ١٠٨ وما بعدها .

(٢٥٩) انظر المدارك ، ص ٥٩٦ . ٦٠٠ . تراجم الخطبة ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ولقارن

المالكي ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

ولما كان مسحتون قد اشترط على محمد بن الأغلِب ألا يأخذ لنفسه راتياً ولا مكالمة من مال الدولة على قضائه ، وذلك انسجاماً مع المبدأ الذي كان يراه في عدم شرعية مال السلطان ، فإنه اشترط أن تكون رواتب مُساعديه ، من : الكتاب والأعيان والقضاة سواء كانوا في القيروان أو في الأقاليم ، من مال الجزية المفروضة على أهل النمة (٢٦٠) مما يعني أنه كان يرى أن ضريبة أهل الكتاب هي الضريبة الشرعية الوحيدة التي لم يدخلها الفسح في ذلك الحين .

القضاء والأمر بالمعروف :

وكان من الطبيعي بالنسبة لرجل سيرته تلك أن يقيم من نفسه أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر . وهو لم يكن يفعل ذلك في مجلس القضاء قطباً : عندما كان يؤدب الخصم إذا طعن على الشاهد (٢٦١) ، أو عندما كان يؤدب الناس على الإيمان التي لا تجوز ، كما في إيمان الطلاق والعتاق وما شابهها (٢٦٢) ، بل كان ينهى عن المنكر في الجنائز (٢٦٣) ، من : شق الجيوب ، ولطم الحدود ، وحنو التراب على الرؤوس ، وما شابه ذلك .

الحسبة في الأسواق ، والقضاء على الكلاب الفضالة :

هنا ، وفي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كان مسحتون أول من نظر في انتظام سير الأمور في الأسواق من القضاء ، وكان النظر في الأسواق قبله ، من اختصاص الأمراء . فكان يسير في الأسواق يسلم على الناس ، وينظر فيما يصلح من المعاش ، وما يقش من السلع . وكان يؤدب في أسواق على الفسح ، وينهى من الأسواق من يستحق ذلك من التجار . وهو لك ، أول من أمر بتغيير المنكر في الأسواق من القضاء ، وأول من نظر بهم في الحسبة (٢٦٤) . وعن هذا الطريق وسع مسحتون اختصاص قاضي القيروان ، وأدخل في نطاقه الحسبة .

-
- (٢٦٠) مذكر ، ج ١ ص ٢٧٥ ، المذكر ، ص ٥٦٦ ، تراجم الخليفة ، ص ١٠٢ .
(٢٦١) المذكر ، ص ٥٦٦ ، تراجم الخليفة ، ص ١٠٢ .
(٢٦٢) مذكر ، ص ٥٧٦ ، تراجم الخليفة ، ص ١٠٤ .
(٢٦٣) مذكر ، ص ٥٧٦ ، تراجم الخليفة ، ص ١٠٢ .
(٢٦٤) آثار المذكر ، ج ١ ص ٢٦٦ ، المذكر ، ص ٦٠٠ ، تراجم الخليفة ، ص ١٠٤ .

سلطانه في الأندلس :

وفي هذا الإطار امتد سلطان سحنون حتى الأندلس إذ تقول الرواية :
انه كان يكتب الى محمد بن زياد ، قاضي قرطبة ، يأمره بالسد والمعاقبة لمن
فالس ، وتكرار الأدب والضرب عليه حتى يؤدي أو يموت (٢٦٥) .

توسيع نطاق الحسبة :

ووسع سحنون نطاق الحسبة خارج الاسواى حتى شمل مدينة القيروان
بأكملها . فلقد تتبع الفساق والفيجار من الرجال والنساء . وفي ذلك يروى
انه أدب المرأة ممن كن يعرضن على العسق ، ثم انه نقلهيا بين قسوم
صالحين (٢٦٦) . وتفرق ذلك فانه ، حرصا منه على سلامة أهل المدينة وأمنهم ،
قرر التخلص من الكلاب الضالة . التي كانت تؤذي الناس من غير شك ،
وكتب الى أعوانه يأمرهم بقتلها ، كما بث وراءها الأعوان بالحرا ب يتكون
بها (٢٦٧) .

وهما اعتبره سحنون أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر تفرق حلقات
العلم والمناظرة التي كان يعقدها ، في المسجد الجامع بالقيروان ، علمساء :
اصفوية ، والاباضية ، والمعتزلة ، ممن كان يعتبرهم من أهل الزيع والبدع .
فكان أول من فعل ذلك من قضاة القيروان . وأكثر من هذا ، فانه منح اصحاب
هذه المذاهب من أن يكونوا أئمة في المساجد ، أو معلمين للصبيان ، أو
مؤدبين في المكاتب . وكان ينزل العقاب الصارم بمن يخالف أمره منهم ،
يشنع بهم ويطوف بهم في المدينة . كما أنه دفع بالكثيرين منهم الى التوبة
عما كانوا يعتقدون فيه ، وكان يجعلهم يمشون ذلك من أعلى منبر الجامع (٢٦٨) .

الإشراف على الجامع :

وفي نطاق الإشراف على جامع القيروان أخذ سحنون لنفسه حق تعيين
امام الصلاة ، وكان ذلك من حق الأمراء ولم يكن من اختصاص القاضي (٢٦٩) .

(٢٦٥) المدارك ص ٦٦ . تراجم الخليفة . ص ٢٩٩ .
(٢٦٦) انظر المدارك . ج ١ ص ٢٧٧ . المدارك ص ٦٠٦ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ .
(٢٦٧) انظر المدارك . ج ١ ص ٢٧٩ . المدارك . ص ٦٠٧ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ .
(٢٦٨) انظر المدارك . ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ . المدارك . ص ٦٠٠ . تراجم الخليفة .

مجلس القضاة والإجراءات القضائية :

وهكذا أصبح سحنون مسيطرًا على أسبواب القبروان ، وعلى مسجد المدينة الجامع ، حيث اتخذ له بيتا بناه فيه للحكم بين المتقاضين ، بعد أن وجد أنه ليس من المناسب الجلوس وسط حشود الناس في الجامع ، وهم يلفظون ويكثرون من الكلام (٢٧٠) . وهذا يعني أن سحنون اجتهد في تنظيم القضاء فكانه اتخذ له بناء خاصا ، أشبه بمحكمة ، ملحقا بالمسجد الجامع .

ويخل في باب تنظيم التقاضي ما كان يفعله من إعطائه الرقاع أو الطوايع لغوى الدعاوى (٢٧١) ، الرجودين خارج بيت القضاء هذا ، حتى يدخل كل منهم في دوره عند النداء عليه ، إذ كان لا يسمح بدخول بيت القضاء إلا للخصين ، ومن مهملًا من الشهود . وكان يستثنى من شرط الدخول في دوره : المضطر أو اللهوف (٢٧٢) . وكان سحنون يسمح بتنفيذ العقوبات الخفيفة في الجامع : كالضرب بالدرّة ، وما خف من الأدب كالصفع على أكتاف . أما إذا أقام المدود من الجلد والضرب بالسوط ، فكان تنفيذ خارج الجامع (٢٧٣) .

المسئلة في تطبيق القانون :

ومن الأحكام القاسية التي أخذت على سحنون - الذي عرف بأنه كان رقيق القلب غزير اللمعة ، ولكنه في نفس الوقت شديدا في الحق ، لا يخلف في اللومة لائم (٢٧٤) - ما أنزله من العتاب بعريمه وخصمه : قاضي القبروان السابق ابن أبي الجواد - حقيقة أن ابن أبي الجواد أتهم في وديعة ٥٠٠ (خمسمائة) دينار من قبل بعض الناس ، ولكن تقي ابن أبي الجواد للتهمة ، وهو ما هو معروف من أنه القاضي السابق ، ورفض سحنون ما عرضته زوجة ابن أبي الجواد ، وهي أسماء بنت أسد بن القرات ، من دفع المال المطلوب هبة لزوجها ، أمر له منزله . فسحنون فسر ذلك الرفض في شكل قوالب قانونية

-
- (٢٧٠) انظر الذكر . ج ١ ص ٢٧٧ . المعرف . ص ٦٠٠ - ٦٠١ . تراجم الخطبة . ص ١٠٥ (حيث تصيب الرواية أن الجعفر في ذلك البيت سادسة للكتابة . فلا ريب القضاء حرالي في حقه . ولا ريب على أي ملكي بناء وبكم فيه) .
- (٢٧١) انظر الذكر . ج ١ ص ٢٧٧ . المعرف . ص ٦٠١ . تراجم الخطبة . ص ١٠٥ .
- (٢٧٢) الذكر . ج ١ ص ٢٧٧ . المعرف . ص ٦٠١ . تراجم . ص ١٠٥ .
- (٢٧٣) نفس المصدر .
- (٢٧٤) انظر المعرف . ص ٥٨٨ . تراجم الخطبة . ص ٨٩ .

خاصة بأسلوب العرض دون الجوهر ، مما كان موصوعا لجدد التفقهاء فيما بعد (٢٧٥) ، كما أصر على إخراج الرجل المهيب في طريق القيروان الكبسيرة المعروف بالسماط ، وضربه بالسياط أمام عامة الناس أكثر من مرة في كل يوم حسرة ، حتى انتهى الأمر بمرض الرجل وموته (٢٧٦) .

كل ذلك يدل على أن الأمر لم يكن متعلقا فقط بالقصاص من ابن أبي الجواد من أجل الوديعة ، بل يرتفع أنه كانت في نفس سحنون أشياء قبل ابن أبي الجواد ، يعود تاريخها إلى الوقت الذي تعرض فيه سحنون للامتحان يخلسق القرآن ، حيث وقف ابن أبي الجواد موقفا عناديا من سحنون - ولولا الوزير علي بن حبيبة لما قدر لسحنون أن ينجو من عقوبة صارمة ، من الزامه بالإقامة الجبرية في منزله ، ومنعه من التدريس ، والأمر بأخذ ثياب من يدخل عليه ، مما اعتدته هيئته المحكمة . « قتل الحياة » (٢٧٧) .

ولكنه إذا اعتبرنا أن تشدد سحنون وقسوته مع ابن أبي الجواد يعتبر إحدى هفوات الإمام المرموق ، فما لا شك فيه أنه كان لا يخاف في الله لومة لائم ، وأنه كان يقف بصرامة ضد أقارب الأمير محمد وأعرافه ، ويأخذ منهم الحقوق لأصحابها ، ويطبق عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مثلهم في ذلك مثل غيرهم من أبناء الشعب . هذا ، كما كان يطبق مبدأ الرقابة هذه على الأمير نفسه .

تجلى ذلك عندما قام عمرو بن سليم المعروف بالقويح أو القويح في منطقة تونس سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م (٢٧٨) ، ورفض سحنون ما طلبه محمد ابن الأغلب من الفتوى بضرورة قتال الخارجي ، واعتبار ذلك نوعا من الجهاد . وفي ذلك تقول الرواية أنه رد على الأمير قائلا : « عسك من ذلك على هذا . متى كانت القضاة تشاورها الملوك في صلاح سلطانها » (٢٧٩) .

(٢٧٥) انظر الماكري ، ص ٢٧٨ . ٢٨١ . الحادق . ص ٦٠٥ . تراجم الخليفة . ص ١١١ (تقول الرواية أن سحنون لم يتقبل حنة زوجة ابن أبي الجواد ، لأن مالكها لا يلزم لبول الهبة . ولو قالت : انما قضى عنه ما طلب منه . لما رد ذلك سحنون وإنه اعلم . . . » ، وذلك أن الهبة لا تكون الا للمسلم الذي ليست له به أموال .

(٢٧٦) الماكري ، ج ١ ص ٢٧٨ . للمعاريك ص ٦٠١ - ٦٠٢ . ٦٠٥ . تراجم الخليفة ص ١٠٦ - ١٠٧ . ١١٠ . ١١١ . وانظر ابن عذارى . ج ١ ص ١١٠ .

(٢٧٧) انظر للمعاريك ، ص ٦٠٩ - ٦١٢ . تراجم الخليفة . ص ١٦ . وقارن الماكري . ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢٧٨) انظر لياستق ، ص ٨٤ .

(٢٧٩) انظر الماكري . ج ١ ص ٢٨٠ . الحادق . ص ٦٠٤ - ٦٠٥ .

وتجلى ذلك أيضا اثر قضاء خطيبة بن سفيان بن سوادة على ثورة القويص ، ودخول جند الأمير محمد من السودان ، وبغض قواد جنده بسبي تونس من النساء المراتر الى القيروان . فعندما سمع مسجونون بذلك ، وكان حديث عهد بالقضاء ، أمر طلبته بانتصدي لحاتم الأسود ، فتي الأمير محمد ، واستخلص النساء التونسيات من أسرهم . وعندما شكوا الأسود الى الأمير محمد ظل مسجونين صامدا ، بل انه أمر بسجن الفتى الأسود (٢٨٠) . وتضيف الرواية الى ذلك أنه عندما بعث الأمير محمد اليه يقول : ان السبي له شخصيا ، بوزاره رفضي مسجون لأن النساء لسن من الإماء ، بعث اليه الأمير من يبلغه أن وقوفه أمام رغبة الأمير عبث ، تارت نائرة القاضي الكبير وأقسم بالله ثلاثا ، في حضرة رسول الأمير ، ان العايت هو محمد بن الأغلب ، وأنه لن يتسامح في الأمر ، ولو فصل رأسه عن جسده .

ومع أنه كتب كتابا بمناسبة للأمير ، تحت الملاح ابنه محمد بن مسجون الذي جعله يغير ويبدل كثيرا من عباراته (٢٨١) ، فإن الأمير محمد بن الأغلب نظر في الخطاب وضرب به الأرض ، وهو يقول : « ما أدري أهو علينا أم نحن عليه ! » ورغم تأثر الأمير الذي أسود وجهه ورفض أن يستقبل أحدا الى ما بعد العصر ، فإنه عاد يقول : « ما أظن هذا الرجل يريد بنا الا خيرا ، ونحن لا نعلم » (٢٨٢) .

وكانت وقفة مسجون الصلبة هذه ضد سبي النساء التعميمات من أهل تونس سببا في أن أصدر الأمير محمد أوامره بذلك أسر التونسيات من كل بلاد . كما كتب مسجون الى أعوانه من المحتسين يطلب منهم قفتيش قوافل

(٢٨٠) ويرى لنا المالك والثاني يمانى تلك القصة أكثر من مرة مع تغير شخصيات أبطالها . فالحامد السمر في القصة الثانية يأتى في شكل قائد من قواد ابن الأغلب اسمه حضور الذي يتزوج مسجون منه السبي بنفسه . ثم يكون في القصة الثالثة يعنى قواد ابن الأغلب الإثريه ما يظهر مسجون منه الى الكتابة الى فتواته السوقية في البراض الذين حضروا في حوال كلف رجل ، منهم مائة منهم قصر القائد . وانخرجوا النساء الحرائر . وعندما استج الأمير محمد مسجون بالاستقالة عن القضاء - أظن للملك ج ١ ص ٢٧٦ . ٢٨٢ . الماروك . ص ٦٠٦ - ٦٠٧ . تراجم ص ١١١ - ١١٢ . (٢٨١) وكان ما كتب مسجون في كتابه للأمير محمد : « وما قوم ما لي أدعوكم الى الجهاد وكلمتني الى الله . كلمتني لاخر بقوله « - الآية (الماروك) ص ٢٠٤ . تراجم الغلبية . ص ١١٢ . وكان للملك ج ١ ص ٢٨٠ . (٢٨٢) الماروك ج ١ ص ٢٨٠ . الماروك . ص ٦٠٤ .

النجار بحثا عنهن . فكان المحتسب يعترض القافلة ويكتشف براقع النساء ،
حين قالت انها من سبي تونس سيرت الى سحنون الذي أطلق عمدة
منهن (٢٨٣) .

الأهـ . يعين قاضيا ثانيا الى جانب سحنون .

والظاهر أنه أمام تشعث سحنون بعبادته وتشدده في تطبيق القانون ،
وهـ له في أحد الحقوق من قرابة الأمير ورجال الحاشية ، رأى محمد بن الأغلب
أن خير وسيلة للاندلاع من قبضة قاضيه - وكان يجعله رغم عنه - هو أن يعين
قاضيا ثانيا الى جانبه ، تماما ، كما فعل عمه زيادة الله عندما عين أسعد
ابن الفرات قاضيا الى جانب أبي معرز .

وهكذا ، ودون علم سحنون ، عين محمد بن الأغلب شريكا له في
القضاء ، يعرفه الكتاب باسم الطيبي ، نسبة الى مدينة طينة عاصمة الزاب .
وفوجيء سحنون بارتفاع الحصوم عن يابه الى مناقسه الجديد ، وزاد تأثره
عندما سأل الأمير عن الأمر فأنكر معرفته به أصلا ، مما اعتبره سحنون نوعا
من الاستهزاء به .

ولم يجد سحنون سبيلا الى الاحتجاج على ذلك الا بالاعتكاف في داره
لفترة من الوقت ، كان الطيبي يحكم أثناءها في الجامع ، والى جانبه كان يحكم
أيضا حبيب صاحب المظالم ونائب سحنون أو مساونه .

ثم انه عندما رأى سحنون أن يعود الى مجلس القضاء في الجامع من
جديد ، خرج الطيبي الى داره حيث كان يحكم فيما يمرض عليه من القضايا .
ولم يستمر الحال على هذا المنوال الا حوالي أربعين يوما توفي بعدها سحنون ،
ودفن بمقبرة باب نافع من القيروان (٢٨٤) ، وذلك في شهر رجب من سنة
٢٤٠ هـ / أغسطس ٨٥٤ م (٢٨٥) ، وله من العمر حوالي ثمانين عاما ، بعد
حياة حافلة بالعلم والعبادة ، والكرم والشجاعة ، والعفة والزهد .

(٢٨٣) للمبارك ، ص ٦٠٤ ، تراجم ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ٢٨٠ .
(٢٨٤) للمبارك ، ص ٦٠٨ - ٦٠٩ ، تراجم الغلبية ، ص ٦٦٤ - ١١٥ .
(٢٨٥) وتقول الرواية أن الأمير محمد بن الأغلب أرسل اليه بكتن وحنوط ، لاحتال
ابنه محمد حتى كفن في قبره . أنظر المالكي ، ج ١ ص ٢٨٨ (وعن يوم وفاته قيل يوم ٣
رجب أو ٧ من نفس الشهر) . وقارن للمبارك ، ص ٦٢٤ ، تراجم الغلبية ، ص ١٣٣ ،
ابن عذاري ، ج ١ ص ١١١ .

تروان سحنون :

ويعرف الطر عما تركه سحنون من الألم في نفوس خصومه من الحمية- الذين كان يكرهم ويكفرونه ، حتى أنهم امتنعوا عن صلاة الجنازة عليه (٢٨٦) ، كما كان يفعل هو أيضا بالنسبة لهم ، فلقد ترك سحنون بصماته واصحة في كل افريقية والمغرب والأندلس وصقلية ، بصفته صاحب المدونة في وقته مالك بن أنس ، وواضع الأسس المتينة للمذهب المالكي في تلك الأيلاذ . وفي انقضاء يسبب الى سحنون كل التنظيمات القضائية التي أشرنا اليها (٢٨٧) . وفي ميدان العبادة والجهاد كان سحنون عالما وحده : فالمعباد في مجالسه كانوا أكثر من طلبه العلم (٢٨٨) ، كما كان السماع منه يعادل - بالنسبة لأصحابه وتلاميذهم - « ماء الحياة » (٢٨٩) .

أما تلاميذه الذين زادوا على سبعمائة فقيه وشيخ ، فكانوا المصاييح النيرة في كل بلدة (٢٩٠) ، وأقواله وفتاويه وأعماله صارت القدوة الحسنة في كل البلاد (٢٩١) . ودعوته الى الربط بين الأمر بالمعروف والعبادة والجهاد طلت أصدأؤها تدوي في رباطات الساحل الافريقي ، وخاصة في المنستير - حيث كان يقيم مع المرابطين بصحبة اخوانه ، مثل : ابن رشيد ، وابن الصمادحي ، وابن نصيم (٢٩٢) - على مدى الأجيال التالية ، وخاصة بعد أن ظل سؤدد العلم قائما في بيته ، بفضل ابنه محمد الذي ذاعت شهرته هو الآخر .

هدايا شعبي لوفاة سحنون :

وهكذا لم يكن من الغريب أن ترتج القيروان لموته ، وأن يبكي مشائخ الأندلس ، وألا يتمكنوا من ضبط عسواطعهم فيحرقون تعاليمه ، ويضربون خدودهم كالنساء (٢٩٣) . وهو الأمر الذي كان ينهى عنه في الجنائز ، ويؤدبه

-
- (٢٨٦) المالكي ، ج ١ ص ٢٨٨ ، المدارك ، ص ٦٢٤ ، تراجم اهللية ، ص ١٣٣ .
(٢٨٧) أطر فيما سبق ، ص ٩٠ وما بعدها .
(٢٨٨) المدارك ، ص ٦١٣ ، تراجم اهللية ، ص ١١٩ .
(٢٨٩) تراجم اهللية ، ص ١٣٦ .
(٢٩٠) المدارك ، ص ٦١٣ ، تراجم اهللية ، ص ١٢٠ .
(٢٩١) المدارك ، ص ٦١٤ وما بعدها ، تراجم اهللية ، ص ١٢٠ وما بعدها .
(٢٩٢) المدارك ، ص ٦١٣ (حيث الرباط فن قصر زياد) ، ص ٦١٦ (المنستير) .
وقارن تراجم اهللية ، ص ١٢٤ .
(٢٩٣) المالكي ، ج ١ ص ٢٨٨ ، المدارك ، ص ٦٢٤ ، تراجم اهللية ، ص ١٣٤ .

عنه الأدب الخفيف ولم يكن من العريب أن يرنبه إرائون شرا وشعرا (٢٩٤)،
وأن براه الراؤون في نومهم في موكب النسي والصحابة سائرا خلف مالك
ابن س (٢٩٥) - امامه وأستاذه -

وهكذا فإذا كان زيادة الله الخلق في أن يعتر بأنه ولي القصة لأن أبي
محرور . فمن باب أولى أن يعتر محمد بن الأغلب . الذي توفي في ٢ من المحرم
سنة ٢٤٢ هـ / ١١ ماية ٨٥٦ م . أي بعد حوالي سنة ونصف سنة من وفاة
سبحون فإنه عهد نقضاء امرئ القيس إلى سبحون . وأنه وفي له بشروطه لمدة
ممنع سنوات ، وهو الأمر الذي يستحق أن يكون شعيما للأسيبر الأعلى
الغشاب . الذي قضى وعمره ٣٦ سنة . أي وهو في عموان الشاب . تاركاً
الملك لابن أخيه أبي إبراهيم أحمد . كما يصح على ذلك ابن عذاري . لأنه كان
عقما لا يوجد له (٢٩٦) .

أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب : ٢٤٢-٢٤٩ هـ /
٨٥٦ - ٨٦٣ م .

خلف أبو إبراهيم أحمد ابن عمه في إمارة امرئية . وله من العمر
عشرين سنة . ومع ذلك لم يطل حكمه الا إلى أقل من تمامي سنوات . مصت
حادثة سادته لم يعكر صفوها الا اضطراب منطقة طرابلس لبعض الوقت .
أما عن الجهاد في صقلية فقد كان مظفرا اذ سقطت على أيامه قصريانة
(كاسروحيوفاني) . وهي من مدن الجزيرة الهامة . وكان الخليفة - ضحية
من معاصها (٢٩٧) . وهكذا سمحت الظروف للأمير الشاب أن يقضى سنوات
حكمه العصر سيبيا في أعماق الحير والعمران .

-
- (٢٩٤) ثلاثي . ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ . لغاريك . ص ٦٣٦ . تراجم الخليفة . ص ١٣٦ .
(٢٩٥) لغاريك . ص ٦٢٤ - ٦٢٥ . تراجم الخليفة . ص ١٣٤ . وقانون ثلاثي . ص ٢٨٩ .
(٢٩٦) انظر ابن عذاري . ج ١ ص ١٠٨ . ابن الأثير . الحلة السيرة . ج ١ ص ١٦٩ .
جوانتر بن الخطيب . أعمال الأعلام . قسم ٣ . ص ٢٢ . أما عما يقوله ابن الأثير (سنة ٢٤٢ هـ
وأي حلهون . ج ٢ ص ٢١) . من أن أبو إبراهيم أحمد كان ابناً لعمه الخوفى (وليس ابناً
للأثية) فليد ما شرحه رواية الحلة السيرة التي قالت ان الأمير أما العباس محمد كان له أخ
اسمه محمد أبو عبد الله . وأنه كان والياً لطرابلس وتوفي بها سنة ٢٢٣ هـ . ٥ ومن
قولك أمرتني يعني الأغلب الخليفة بعد أبي العباس هذا . وذلك ما دعا عدداً من الكتاب من قدامي
ومحدثي إلى الخطأ سنة من أتى من الأعلام به ذلك إلى أبي العباس محمد وليس إلى أخيه
أبي عبد الله . كما يشير إلى ذلك حسين مؤسس الحلة السيرة عامي ١٦٩ - ولو أنه يسب
خطأ ابن عذاري وهو غير صحيح .
(٢٩٧) انظر فيما سب من فتح صقلية . ص ٢٠٩ - ٢٥١ .

والأمير أحمد أبو إبراهيم كان ، كما ذكره الكتاب : « حسن السيرة ، كريم الأخلاق والأفعال ، من أجود الناس وأسمحهم ، وارفقهم بالرعية ، مع : دين واجتباب للنظم ، على حداثة سنه وقلة عمره » (٢٩٨) .

اضطراب منطقة طرابلس :

أما عن اضطراب منطقة طرابلس التي كان على ولايتها عبد الله بن محمد ابن الأغلب ، فالظاهر أن مشربها كانوا من قبائل البربر الاباضية في تلك النواحي ، من هواراة أو لواتة (٢٩٩) ، على ما نطق . وتذكر روايتنا ابن الأثير والنويري أنهم امتنعوا على السوالي ، ولم يؤدوا ما كان عليهم من العشور والصدقات ، وأن الروابي عبد الله بن محمد اخا الأمير قام بقتالهم بمن معه من الجند أكثر من مرة ، ولكنهم هزموه حتى الجلوله الى لبسة التي حصنها . ثم انه رأى أن الأمر يتطلب مجهودا أكبر من طاقته فأرسل الى الأمير أبي إبراهيم أحمد يطلب منه المعونة فسار اليه الكثير من المساكين مع أخيه زيادة الله .

ودارت حروب شديدة بين قوات القيروان وبين الثوار من البربر ، انتهت بقتل الكثيرين منهم ، والانتقام من الأسرى الذين قتلوا ، كما أحرق ما كان في معسكرهم من الأمتعة والمتاد . وبذلك أذعن ثوار طرابلس من القبائل المغربية ، وأعطوا الرهائن لابن الأغلب ، وأدوا ما كان عليهم من الأموال (٣٠٠) .

أعمال الأمير الشاب الوعدة :

وفيما عسدا تلك الحرب المحلية في إقليم طرابلس التي احتفظ لها ابن الأثير والنويري ببعض أسدائها ، والتتوح المظفرة في صقلية ، وما قيل من أنه بنى بأرض الرقبة عشرة آلاف حصن بالجسارة والكلس وأبواب الحديد ، وأنه اشترى المبيد واتخضم جندا (٣٠١) ، انصرف الأمير الشاب ،

(٢٩٨) النويري ، المغلوب ، ج ٢٢ ص ١١٥ ب ١١٦ . ابن خلدون ، ج ٩ ص ١١٢ .
(٢٩٩) ابن الأثير ، سنة ٢٤٥ ، ج ٧ ص ١١ (حيث الكلمة مخرقة في شكل « لوان ») .
(٣٠٠) نهاية الأرب ، المغلوب ، ج ٢٢ ص ١١٦ ب . الكامل ، سنة ٢٤٥ ، ج ٧ ص ١١ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠١) .
(٣٠١) ابن الأثير ، سنة ٢٤٦ ، ج ٦ ص ١١٦ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠١) .

الذي ولد في عصر سحنون ، الى أعمال البر والخير . وكانت أولى أعماله هي
العهد بقضاء القيروان الى أبي الربيع سليمان بن عمران بن أبي هاشم الملقب
بخروقة -

وسليمان بن عمران كان منافسا لسحنون عند ولايته القضاء ، كما
وأينا ، ثم ان سحنون اتخذه كاتباً ، قبل أن يوليه قضاء الأقاليم ، في : بجاية
وبجاية والأربس (٣٠٢) . وهكذا ، وتلى هذا الجو السحنوني - اذا جاز التعبير -
كان الأمير أبو ابراهيم أحمد يركب في ليالي شعبان ورمضان من القصر
القديم ، على بعد ثلاثة أميال من القيروان ، وبين يديه الشموع الموقدة ،
ويشئ حتى يدخل مدينة عقبة من باب أبي الربيع ، وبين يديه دواب تحمل
أكياس الدراهم ، وهو يأمر باعطاء الضمفاء والمساكين منها ، حتى يصل الى
المسجد الجامع ، والناس حوله يدعون له خير الدعاء (٣٠٣) . هذا ، كما كان
يقصد دور العلماء والصالحين فيأمر بقرع أبوابهم ، فاذا خرجوا اليه أمر
باعطائهم من ذلك المال (٣٠٤) .

أعمال أبي ابراهيم أحمد العمرانية :

مواجل الماء • توسيع جامع القيروان • بناء جامع سوسة •

والى جانب أعمال البر تلك ، وجه الأمير أبو ابراهيم أحمد نشاطه الى
أعمال العمران ذات المنافع العامة ، مما يرتفق به الناس ، من : بناء صهاريج
الماء التي عرفت في افريقية بـ « المواجل » ومفردها « ماجل » ، وتجديد
المساجد وبنائها وتهيئة الاموال اللازمة لذلك ، خاصة منذ سنة ٢٤٥ هـ /
٨٥٩ م (٣٠٥) .

فلقد زاد أبو ابراهيم أحمد في مسجد القيروان ، الذي بناه عمه
زيادة الله زيادات هامة ، هي : البهو ، والمقصود به البلاطة المستعرضة في
مؤخر بيت الصلاة من جهة الصحن ، وما يحيط بالصحن من المجنبيات ثم

(٣٠٢) أنظر أيضا سبق ، ص ٩١ (عمران القاضي) .

(٣٠٣) ابن خلدون ، ج ١ ص ١١٢ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ .

(٣٠٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ .

(٣٠٥) أنظر ابن خلدون ، ج ١ ص ١١٢ (حيث الإشارة الى أنه قبل ذلك تكلمة يعرف

منه على سكر . فكانها كانت كقارعة تلك الفترة) . ابن الخليل ، أعمال الأعمشال ، قسم ٣

ص ٢٣ .

القبة (٣٠٦) فوق منتصف البهو لتقابل القبة الواقعة فوق المحراب . وبواسطة القبتين كان يمكن لأهل القيروان تحديد اتجاه القبلة ، وهو الخط للمستقيم الواصل بين قبة البهو وقبة المحراب ، وكان تمام العمل في الجامع في سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م .

ولقد أعاد أبو ابراهيم أحمد بناء المسجد الجامع بمدينة تونس والذي أنشاه حسان بن النعمان ، وجدده بن الجحباب ، وهو مسجد الزيتونة . ولقد عثر على نقش كوفي في قبة المحراب نصه الآتي : « بسم الله الرحمن الرحيم . مما أمر بعمله الامام المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي . طلب ثواب الله واجتاه مرضاته . على يد نصير مسولاه . سنة خمسين ومائتين . يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله . صنعته فتح » . وهكذا ، يحمل النص اسم الخليفة المستعين بالله ، كما يحمل اسم الفتى الخادم الذي أشرف على تنفيذ العمل من الناحيتين الادارية والمالية ، وكذا اسم المهندس البناء ، وهو : فتح . أما اسم الأمير الأغلب الحاكم ، فلا يوجد في النقش وهو الأمر المستغرب (٣٠٧) . وان كان من الممكن تفسير ذلك بأنه نوع من الأدب من جانب الأمير الأغلب الذي رأى أن يقلم اسم الخليفة دون ذكر اسمه - خاصة وأن أبا ابراهيم كان قد توفي في سنة ٢٤٩ هـ ، وخلفه أخوه أبو محمد زيادة الله (الأوسط) الذي كان له هذا القرار ، على ما نظن .

ومن المتفق عليه أن جامع الزيتونة بتونس ، كما وصل إلينا ، حافظ على عناصره الرئيسية منذ بناء أبو ابراهيم - مثله في ذلك مثل جامع القيروان منذ أعاد زيادة الله بناءه . والمسجد الحالي يتكون من الصحن الذي تحيط به الأبنية ، ومن بيت الصلاة الذي يحتوي على تسعة أروقة رأسية على حائط القبلة من الشمال الى الجنوب . والرواق الأوسط منها وكذلك يلاط المحراب المستعرض أكثر اتساعا وأعلى ارتفاعا من بقية الأروقة والبلاطات العرضية . وعند التقائهما توجد قبة المحراب التي بنيت سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م والتي تحمل نقش الخليفة المستعين . وفي مقابل تلك القبة توجد قبة باب البهو ، كما هو الحال في القيروان حيث يحدد الخط للمستقيم بين القبتين اتجاها القبلة (٣٠٨) .

(٣٠٦) النوري . المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٥ هـ .

(٣٠٧) أنظر ج . مارسيه . مختصر الفن الاسلامي . ج ١ ص ١٣ .

(٣٠٨) أنظر ج . مارسيه . مختصر الفن الاسلامي . ج ١ ص ١٣ .

كذلك كانت سوسنة ، مدينة الرباطات والعباد ، موضع رعاية أبي
إبراهيم أحمد . فقد حصنها وبنى سورها في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م (٣٠٩) .

وفي سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م كان البدء في حفر الماغل الكبير جل باب
تونس بمدينة القيروان . واستمر العمل فيه - من بناء الجدران والسدائم
الداخلية والخارجية ، وتبليط الأرض - الى أن تم مع زيادات الجامع في سنة
٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م . ولما كانت القيروان قد تعرضت لسيل عظيم في شتاء سنة
٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، كان من نتائجه كسر قنطرة أبي الربيع التي تحمل الماء الى
الماغل الذي كان يقرب باب أبي الربيع ، فان الأمير ابا إبراهيم أمر باصلاح
القنطرة (٣١٠) وتجديد الماغل (٣١١) .

وكانت آخر أعمال أبي إبراهيم أحمد هو حفر وبناء الماغل الكبير
بالمدينة الملكية ، وهي القصر القديم . وذلك أنه بانتهاء ذلك الماغل ، وقبل
بداية فصل الأمطار ، اعتل أبو إبراهيم عنته التي مات فيها ، فكان يسأل
وهو طريح الفراش ان كان الماء قد دخل الماغل . وعجبا أتى الماء وعرف ذلك
سر به سرورا عظيما ، وأمر خدمه « أن يأتوه بكأس مملوءة منه ، فشربها ،
وقال : الحمد لله الذي لم امت حتى كمل أمره ، ثم مات اثر ذلك » (٣١٢) .

وفاة محمودة :

وهكذا ، توفي أبو إبراهيم أحمد بعد أن ترك بصماته قوية على كل من
مدينتي تونس والقيروان ، وحق لأهل القيروان الذين زودهم بالماء الكثير أن
يترحموا عليه ، وكذلك كل من دخل المدينة (٣١٣) . وكانت وفاة أحمد في
يوم ١٣ من ذى القعدة سنة ٢٤٩ هـ / ٢٨ ديسمبر سنة ٨٦٣ م ، وله من العمر
٢٨ سنة ، بعد ولاية ٧ (سبعم) سنتين و ١٠ (عشرة) أشهر و ١٥ (خمسة)

(٣٠٩) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٥ ب ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، قسم ٢

ص ٢٣

(٣١٠) ابن عسار ، ج ١ ص ١١٣ .

(٣١١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٥ ب - حيث تقول الرواية انه بنى الماغل .

(٣١٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٥٥ ب ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، قسم ٢

ص ٢٤ .

(٣١٣) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٥٥ ب .

- عشر (يوما ٣١٤) . وحمله من الامارة اخوه أبو محمد زيادة لله (الثاني) .
أبو محمد زيادة لله بن محمد بن الأغلبي بن إبراهيم بن الأغلبي : ٢٤٩ -
٢٥٠ هـ / ٨٦٣ - ٨٦٤ م :

شباب رزين يحكم لمة ستة واحدة :

لم تطل اماره زيادة لله الثاني هذا الامة ستة واحدة وأسبوع واحد .
وهكذا لم تكن له أخبار توثق ، كما يلاحظ ابن عذارى (٣١٥) . وبناء على ذلك
فمنح لا نعرف عنه الا أنه ولي في نفس اليوم الذي توفي فيه أخوه أبو إبراهيم .
وهو الثلاثاء ١٢ من ذي القعدة ٢٤٩ هـ / ٢٨ ديسمبر ٨٦٣ م ، وأنه كتب الى
خفاجة بن سفيان في صقلية بامضاء ولايته ، وخلع عليه .

وفيما عدا ذلك يقول الكتاب أن زيادة لله الثاني كان عاقلاً حليماً حسن
السيرة ، جميل الأفعال ، ذا رأي ونجدة ، وجود وشجاعة (٣١٦) . أما عن
وفاته ، فكانت ليلة السبت ١٩ من ذي القعدة سنة ٢٥٠ هـ / ٢٣ ديسمبر
٨٦٤ م (٣١٧) . وقد خلفه ابن أخيه : أبو عبد الله محمد بن الأمير الأسبق
أبي إبراهيم أحمد .

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلبي بن إبراهيم بن الأغلبي :
أبو الفراتيقي ٢٥٠ - ٢٦١ هـ / ٨٦٤ - ٨٧٥ م :

جلس أبو الفراتيقي محمد على سرير الملك في نفس اليوم الذي توفي
فيه عمه زيادة لله ، ولما كان والده أبو إبراهيم أحمد ، الأمير الأسبق ، قد

(٣١٤) التويري . ص ١٥٥ ب (عمره ٢٦ سنة) ابن طحاوي . ج ١ ص ١١٣ . ابن الأثير
سنة ٢٢٦ . ج ٦ ص ٥١٩ - ٥٢٠ . ابن خلدون . ج ٤ ص ٢٠١ . ابن الخطيب . أعمال الأعلام .
قسم ٣ ص ٢٤ .

(٣١٥) ابن طحاوي . ج ١ ص ١١٤ . وقابله ابن الخطيب . أعمال الأعلام . قسم ٣ ص ٢٥
(حيث ولايته ستة و٧ أشهر بدلاً من ٧ أيام) .

(٣١٦) انظر ابن عذارى . ج ١ ص ١١٤ . والتويري . المخطوط . ٢ . ج ٢٢ ص ١١٦ .
وهما يشتركان في النص ، وقارن ابن الخطيب ، أعمال الأعلام . قسم ٣ ص ٢٤ - ٢٥ (حيث
يشير الى ذلك ان الثاني سليمان بن عمران كان يقول : « ما ولي لي الأغلبي اعقل من
زيادة لله الأسير » .

(٣١٧) نفس المصدر . ابن الأثير . سنة ٢٢٦ هـ . ج ٦ ص ٥٢٠ . ابن الخطيب . قسم ٣
ص ٢٥ (ليلة ٢٠ من ذي القعدة) .

توفي منذ عام وعمره ٢٨ سنة ، فالمفهوم اذن أن أبا الغرائيق كان بعد غسل
تحتات الشباب ، عند ولايته ، مقبلا على الرابعة عشرة من عمره (٣١٨) .

شابه في مقتبل العمر ، مقبل على الحياة ، مغرم بالصيد :

ويصف الكتاب الأمير الشاب بأنه كان غاية في الجود مسرفا في العطاء ،
مع حسن سيرة الرعية ورفق بهم (٣١٩) . وهم يضيفون الى ذلك انه غلبت
عليه اللذات والشراب والطرب والاشتغال بالصيد ، وانه لم يزل كذلك طول
مدته (٣٢٠) . وبسبب هوايته للصيد لقب بـ « أبو الغرائيق » لانه كان يهوى
صيد ذلك النوع من الطيور ، حتى أنه بنى قصرا في موضع السهلين ، يخرج
اليه لصيدها ، أنفق فيه ثلاثين ألف من الذهب (٣٢١) ، وهو المبلغ
العظيم بالنسبة لقيمة العملة في ذلك العصر .

هذا ، ويقول ابن الأثير أن أبا الغرائيق بنى حصونا ومعارض غسل
ساحل البحر بالمغرب على مسيرة ١٥ (خمسة عشر) يوما من برقة الى جهة
المغرب (٣٢٢) .

انتصارات في صقلية ، واضطرابات في الزاب :

وإذا كان كل من ابن عذارى والنويرى يشير الى أن ولايته كانت
ملينة بالحروب ، فإن عذارى يقصد بذلك حروب صقلية المظفرة بقيادة خناجة
(ابن سفيان بن سواده) وان تخللتها بعض الانتكاسات . أما النويرى فهو
يشير الى اضطراب بلاد الزاب التي يصفها بالثغر (٣٢٣) - جريا على عادة
قدامى كتاب الفتوح والمغازى .

ووصف بلاد الزاب الجنوبية الغربية بالشعر ، بمعنى أنها جبهة قتال ،

(٣١٨) انظر النويرى ، المنطوق ، ج ٢٢ ص ١١٦ ب ، الذي يقول انه توفي بعد ملكه
عشر سنين وخمسة أشهر ، وله من العمر ٢٤ سنة .
(٣١٩) النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٧ ا ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ ، ابن العليبي ، الإقليم
ج ٢ ص ٢٥ .
(٣٢٠) النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٧ ا ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ .
(٣٢١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ ، النويرى ، المنطوق ، ج ٢٢ ص ١١٦ ا ، وانظر
الحلة السجاء ، ج ١ ص ١٧١ .
(٣٢٢) ابن الأثير ، سنة ٢٢٦ هـ ، ج ٦ ص ٥٢٠ (بن خلدون ، ج ٢ ص ٢٠٥) .
(٣٢٣) النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٦ ب .

يصر بأن الاقليم كان متاخما لامامة الرستمين الاباضية في الخريف الأوسط .
 أو بوجه آخرى كانت بلاد الزاب داخلة في منطقة نفوذ قبائل الزير - التن .
 تعترف بامامة تاهرت الرستمية . والمهم هو أن أبا الفرائين أرسل الى بلاد
 الزاب جيشا عظيما معه بقيادته الى قائده أبي حفاجة محمد بن اسماعيل الذي
 سار في المنطقة وقبائل الزير تبعد امامه الى أن وصل الى مدينة تهودة .
 حيث ضريح سيدي عقبة . ثم الى مدينة يسكرة حيث أعلن أهل تلك المناطق
 الخضوع له . ومن يسكرة سار محمد بن اسماعيل الى طينة . قاعدة بلاد
 الزاب . حيث لحق به القائد حى بن مالك البلسوى ، من فرسان مدينة
 بلزمة .

ومن طسة قرر محمد بن اسماعيل (أبو حفاجة) السير الى مدينة
 « أبة » ونزلها بكل عساكره ، وألقى في قلوب أهلها الخوف والهلج . وصحح
 أن رؤساء القبائل أو سامعين طائعين ، وعبروا عن تلك الطاعة بتقديم
 الرهائن ، ودفع ما كان عليهم من الحراج والعشور والضرائب . فان محمد
 ابن اسماعيل لم يقبل منهم لأن زعيم بني كلمان من قبائل هواة - وهو مهذب
 ابن صولات لم يات به بنفسه .

وقرر أبو حفاجة محمد بن اسماعيل السير الى بن صولات وكسر
 شوكتهم . وتحززت قبائل هواة من أبي حفاجة ، وهي تحلول مداراته طلبية
 معه الأمان ، بإذلة له كل ما يطلب ، فلم يقبل منهم إلا الخضوع تحت سلطان
 السيف . ولكنه عندما نشب القتال بين الجند الأغلبي وبين بني كلمان في
 قلب أرض هواة ، انتهت الواقعة بكارثة بالنسبة لجيش القيروان . والظاهر
 أن عسكر بلزمة وعلى رأسه حى بن مالك البلوى كان مشغولا عن اتصاله أي
 بحفاجة . على زعم أنه كان على دراية بالبلاد . وعلى هذا الأساس ، عمل
 ما نظن ، تنسيب الهزيمة الساحقة التي انتهت بمقتل أبي حفاجة وجبيلة
 من كبار قواده وكثير من جنده والتي تبادت حتم أسوار طينة الى اليلوى
 وأهل بلزمة (٤٧٤هـ) .

فتح مالطة :

ولا يخفى من وقع هذه الهزيمة التكرار في رواية التويرى ، التي لم
 تذكر رد فعل الأمير الأغلبي ، إلا ما تسجله من فتح جزيرة مالطة . عتلى أيام

أبي الفرائدي . مما يوحى أن هزيمة الجند الأغلبى فى الزاب كانت قبيل سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م . على أواخر أيام أبي الفرائدي . ويرجع ذلك ما تنص عليه رواية ابن الخطيب من أن فتح مالطة وأسر منكمها كان فى جمادى الأولى من سنة ٢٦١ هـ / فبراير - مارس ٨٧٥ م (٣٢٥) . ولكنه لما كانت مالطة قد فتحت على أيام أبي الفرائدي ، فى سنة ٢٥٥ هـ (٢٣٦) فإن ذلك يضى أن الروم كانوا قد استعادوها من المسلمين ، وأن غزو الجزيرة الشاسنى فى سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م كان الفتح انهنائى .

أعمال عميرية على أيام أبي الفرائدي :

وهكذا ، فال جانب ثورة الزاب ، وذكر فتح مالطة ، وحروب صقلية ، لا تجد فى حوليات ابريقية على أيام أبي الفرائدي ذكرها الا لبناء محمد ابن حمدون الأندلسى العافرى للجامع الشريف المنسوب اليه بالقيروان . والذى سخا فى بانه بالأجر والجر ، وبذل فى كسوته بالرحام ، كما سخا له الصهاريج أو جباب الماء تحت الأرض ، وذلك فى سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م (٣٢٧) .

محمد بن سحنون (٢٠٢ - ٢٥٦ هـ / ٨١٧ - ٨٧٠ م) :

أهم أعماله ، والحياة الدينية على عهد الأمير أبي الفرائدي :

أما سنة ٢٥٦ هـ / ٦٩ - ٨٧٠ م ، فهى سنة وفاة محمد بن سحنون الذى خلف والده فى الفقه والعلم (٣٢٨) ، ولو أنه لم يل القضاء ، فكانت وفاته بعد ١٦ عاماً من وفاة والده ، قاضى القيروان الدائع الصيت . فلقد جدد محمد سيرة والده سحنون ، فعرف بالفقه والجدل والحديث ، والنسب عن مذهب أهل الحجاز (٣٢٩) . وعرف محمد بن سحنون بأنه كثير الكتب - غزير التأليف ، له نحو مائتى كتاب فى فنون العلم (٣٣٠) . ومن توافيه :

(٣٢٥) أعمال الأعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٦ .

(٣٢٦) انظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠١ . وانظر ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣

ص ٢٦ - حيث إشارة المحققين فى الهامش رقم ١ الى أن استيلاء المسلمين على مالطة كان فى سنة ٢٥١ هـ / ٨٧٠ م .

(٣٢٧) ابن عسارى ، ج ٣ ص ١١٤ .

(٣٢٨) ابن عسارى ، ج ١١ ص ١١٥ .

(٣٢٩) تراجم اهلوية ، ص ١٧٣ .

(٣٣٠) التللى ، ج ٢ ص ٢٤٥ . تراجم اهلوية ، ص ١٧٢ .

المسند في الحديث ، والجامع في الفقه ، وكتاب الطهارة ، وكتاب تحرير
المسكر ، وكتاب آداب المتناظرين ، وتفسير الموطأ ، وكتاب الحجية على
القدرية ، كما ألف كتاب التاريخ في ستة أجزاء ، وغير ذلك من الكتب (٣٣١) .

والى جانب العلم يجدد محمد بن سحنون سيرة والده في الجود والكرم ،
فهر : جواد بماله ، لا يبخل بالمعطاء حتى على خصومه (٣٣٢) ، وهو يكتب
الرقاع للناس ، كما كان يكتب والده البطائق ، الى الصرافين بالمعشرين دينار
بواكثر (٣٣٣) .

هَذَا ، كما أنه كان يتردد على رباطات الساحل ، كما كان يفعل والده
سحنون حتى أن وفاته كانت بالساحل (٣٣٤) - وإن كان قد خلف والده في
حبه للناس (٣٣٥) .

الصراع بين المالكية والحنفية :

معنة محمد بن سحنون :

وعلى الجملة فقد كان محمد بن سحنون مقبلاً عند النوازل ، وتجنباً عند
العامّة (٣٣٦) ، رغم أنه لم يل القضاء ، بل رغم سوء علاقته بالإمير ويرجاله ،
من : القاضي سليمان بن عمران (المعروف بخروقه) ، وصاحب المسئلة
ابن أبي الحواجب .

والظاهر أن ذلك كان بسبب وقوفه ضد الحنفية ، ومقالة المعتزلة بخلق
القرآن التي كان يقاومها المالكية . والظاهر أن الدولة الأغلبية ، وهي تتبع
تعليمات الخلافة العباسية في بغداد ، حورت في موقفها من معارضتها
للمالكية ، وجعلته موقفاً سياسياً بدلاً من اتجاه ديني .

-
- (٣٣١) انظر تراجم الحنفية ، ص ١٧٣ ، وقلوب المالكي ، ج ٦ ص ١٤٤٥ - ٣٤٦ .
(٣٣٢) انظر تراجم الحنفية ، ص ١٧٨ .
(٣٣٣) انظر تراجم الحنفية ، ص ١٨٢ .
(٣٣٤) تراجم الحنفية ، ص ١٨٦ .
(٣٣٥) تراجم الحنفية ، ص ١٨٤ - ١٨٧ .
(٣٣٦) تراجم الحنفية ، ص ١٧٨ .

لكاره السياسية الدينية :

محمد بن سحنون عندما امتحن على عهد الأمير محمد لم يكن امتحانه ، كما كان الحال بالنسبة لوالده ، من رايه في خلق القرآن ، بل كان سؤاله : ما يقول في يزيد بن معاوية ؟ ، فكان السؤال يمتنى أن كان الممتحن يقف الى جانب الأمويين ، فيكون بالتالي ضد العباسيين . ولقد رد محمد بن سحنون على السؤال ، موجها الكلام الى الأمير محمد ، قائلا : أصلح الله الأمير . لا أقول ما قالت الإباضية ، ولا ما قالت المرجئة . وعندما سئل عما قالتا ؟ قال : قالت الإباضية ان من أذنب ذنبا فهو من أهل النار . وقالت المرجئة : لا تضر الذنوب مع التوحيد . أتى يزيد عظيمسا جسيما ، ويفعل الله في خلقه ما أحب (٣٣٧) .

موقفه من الإرجاء : النزاع بين السحنونية والعبدوسية :

ومع أن ابن سحنون يقول انه لا يوافق على مقالة المرجئة ، فإن رده هذا يعبر عن فكرة المرجئة الرئيسية التي تترك الحكم على كفر الناس وإيمانهم الى الله . فالمعروف أنه كان لمحمد بن سحنون موقف محدد في مسألة الايمان ، إذ كان لا يستثنى فيها ، ويقول : « أنا مؤمن عند الله » ، حتى أن خصومه في المرقية ، مثل : ابن عبدوس وأصحابه ، وكذلك أهل مصر والشرق ، كانوا ينكرون ذلك عليه ، وعلى من يقوله ، وينسبون قائله الى الإرجاء (٣٣٨) .

ولقد صار من يقولون بقول محمد بن سحنون هذا في الايمان فرقة عرفت في المغرب باسم « السحنونية » ، وكان أتباعها يسمون خصومهم من العبدوسية ، الذين يخالفونهم في هذا الرأي ، بـ « الشكوكية » (٣٣٩) .

(٣٣٧) تراجم الغلبية ، ص ١٨٦ .

(٣٣٨) أظن تراجم الغلبية ، ص ١٨٤ - ١٨٥ . وابن عبدوس هو محمد بن إبراهيم ابن عمنون (توفي سنة ٢٦٠ هـ) ، من كبار اصحاب سحنون وأئمة وقته . والذي قيل فيه أنه كان أشبه الناس بأشلائ سحنون في كلامه ، وبعادته في منبته وعظمته والذي قيل فيه أنه كان صحيح الكتاب ، حسن الطييد ، عالما بما اشغلب فيه أهل المدينة . وما اجتمعوا عليه . وفي إجماعه وتسكده وعبادته ، قيل : انه كان مستجاب الدعاء (تراجم ، ص ٨٩ - ١٩٠) . ولقد ترجمه ابن عمنون في رياض اللاتين ، ترجمة رقم ١٢٨ ج ١ ص ٣٦٠ وما بعدها . (٣٣٩) تراجم الغلبية ، ص ١٨٥ . اللاتين ، ج ١ ص ٣٦٢ . ومن حقايقه موقف ابن عمنون الزاهد في مسألة الايمان هذه قيل ان الذي صح عنه أنه كان يقول : أدين بالله مؤمنا عند الله في وقتي هذا . ولا أدري ما يحدث لي به . كما قال عن زهير! الله يشك في نفسه ، =

الخصومة مع القاضي وصاحب الصلاة :

والحقيقة أن العلاقة بين محمد بن سحنون المالكى وبين قاضى القبروان سليمان بن عمران الحنفى كانت سيئة حتى اضطر ابن سحنون الى أن يستتر ويتوارى أمام مطاردة القاضى . وعندما حاف على نفسه اضطر الى أن يستحجر بالأمير محمد الذى أمته (٣٤٠) .

ولقد كانت علاقة ابن سحنون سيئة أيضاً بصاحب الصلاة فى القبروان ، لى أمام المسجد الجامع الذى كان من أعوان القاضى ، وهو ابن أبى الحواجب ، الذى كان كثير الاذية لمحمد بن سحنون (٣٤١) . وعندما ضاق ابن سحنون بأعمال صاحب الصلاة انتهى لا تليق بمثل من هو فى منصبه ، سعى لدى الوريث أحمد بن محمد الحضرمى فى عزل ابن أبى الحواجب عن الصلاة ، وتعيين عبد الله بن أحمد بن طالب التميمى ، قريب أبى المرانيق ، بدلا منه .

ودبر ابن سحنون ذلك التغيير بطريقة فاجأت كلا من سليمان بن عمران وابن أبى الحواجب ، وذلك قبيل صعود هذا الأخير على درجات المنبر . وظهر كيد ابن سحنون ونكايته للقاضى ومعاونه صاحب الصلاة فى الخطبة التى خطبها ابن طالب ، والتى أصر فيها على أفكار أهل السنة التى تقرر حتمية التصير الانسانى ، والتى تأخذ بظاهر البصوح دون تفسير باطنى أو تأويل . فابن طالب قال فى خطبته : « والحمد لله الذى عذب على ما لو شاء منه

« ويقول : لا أدرى وأرجو أن أكون مؤمنا ان شاء الله - قال : والله ما قلت قط . فلا حزمى الله من حكى هذا عنى خيرا ، ما شككت قط ابن مؤمن عند الله .

وفى ذلك يرى القاضى عياشى أن المسألة لا تنمى الخلاف فى الألفاظ لا فى الحقيقة . فمن التفت الى ضيق الحال والغلبة وما سبق به القدر ، قال بالاستثناء ومن التفت الى حال نفسه وصحة معتقده فى وقته ، لم يقل له : ولو أنه يضيف الى ذلك ذكر ما نشأ من الخلاف بين فكرى المسلمين بعد ثلاثمائة سنة من مسألة الايمان هذه . وهل المؤمن مؤمن عند الله لم لا

(٣٤٠) تراجم الخلية ، ص ١٧٩ .

(٣٤١) أنظر تراجم الخلية ص ١٧٩ . ولم ذلك نشر الرواية الى أن ابن أبى الحواجب كان يؤذى ابن سحنون بطريقة صياغة حسابه اد كان يميل على اذمه وهو بين اصحابه ويسه ماكدع السباب . ولكن ابن سحنون كان يتناسك ويرد عليه كيه بأن يقول له : « سم سنطقى لك حاجتك انشاء الله ، وقارن للمالكى ج ١ ص ٣٥٣ (حيث الرجل الذى كان يسمى ابن سحنون مجهول الاسم)

عصم ! والحمد لله الذي على عرشه استوى ، وعلى ملكه احتوى ، وهو في الآخر يرى (٣٤٢) .

وهكذا ، فكما كان ابن سحنون سببا في صعود نجم سليمان بن عمران اذ تقول الرواية انه الذي سمي لنى والده سحنون حتى استخدمه في قضاء القضاء ثم عينه قاضيا في باجة وغيرها (٣٤٣) ، كان ابن سحنون هو السبب في افول نجمه . والحقيقة ان تعيين ابن طالب في اقامة الصلاة كان « أولي تكبة سليمان » ، اذ لم ترل امور عبد الله بن أحمد بن طالب تنمو الى ان صرف الأمير محمد أبو الغرائيق سليمان بن عمران عن قضاء افريقية ، وولى قريبه ابن طالب مكانه ، وان كان ذلك قد حدث في السنة التالية لوفاة محمد ابن سحنون (أى سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م) (٣٤٤) . هذا ، وان كان سليمان ابن عمران سيعود الى قضاء افريقية مرة أخرى في سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م ، عندما يعزل الأمير محمد أبو الغرائيق قريبه التميمي ابن طالب (٣٤٥) .

وفي السنة التالية لعزل ابن طالب وولاية سليمان بن عمران الثانية للقضاء القيروان ، وهي سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م ، كانت المجاعة الكبرى التي عمت المشرق والمغرب ، والتي أدت الى انتشار الوباء والطاعون ، كما تذكر حوليات ابن عذاري (٣٤٦) . وفيها كانت وفاة الفقيه الزاهد محمد بن ابراهيم ابن عبدوس وأشهر تلاميذ سحنون ، ومنافس محمد بن سحنون في العلم

(٣٤٢) تراجم اهلنية ، ص ١٨٠ .

(٣٤٣) تراجم اهلنية ، ص ١٧٨ ، وانظر فيما سبق ، ص ١٠١ وهـ ٢٠٢ .

(٣٤٤) انظر تراجم ، ص ١٨١ . ابن عذاري ، ج ١ ص ١١٥ . وفي ابن طالب قيل انه

كان شديد الأفظام لابن عبدوس ، عارفا بظفه ، وعليه كان يحد في أحكامه . وفي موقف ابن طالب من ابن سحنون وابن عبدوس ، قيل : كان وجه ابن طالب الى ابن سحنون ، وقلبه الى ابن عبدوس (تراجم ، ص ١٩٢) . والحقيقة انه رغم ان ابن عبدوس - مثل ابن سحنون - كان من تلاميذ سحنون الا انه كان يهتم فح لقلبه بالمعنى والرأى والاستنباط أكثر من اهتمامه ببلالستاد وحرقة الرجال ، وهو الموضوع الشكل الذي كان يهتم به ابن سحنون كثيرا (تراجم ، ص ١٩١) .

(٣٤٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١١٦ - هذا وسيعود عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي

الى القضاء مرة ثانية سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م ، بعد عزل سليمان بن عمران للمرة الثانية . على عهد ابراهيم بن أحمد بن محمد كسبا ياني . وسنكون وفاة سليمان في سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٢ م (ابن عذاري ج ١ ص ١١٩) . اما عن ابن طالب فسيعزل للمرة الثانية سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م . ويموت مسووما بجديك الأمير (ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٢١ ، وانظر فيما بعد ص ١٢٤ - ١٢٠) .

(٣٤٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١١٦ .

والعفة ، والذي كان قد مفرد عنه في النسك والرهدة حتى قيل انه صلى الصبح بوجه العمة ثلاثين سنة . بصعيا وهو طالب يدرس رصفها وهو متكئ على الصادة (٣٤٧) . وكان ابن عبدوس متواصعا في مجلس العلم ، راثلا من صدر فراشه . حتى لا يعرف انه صاحب المجلس (٣٤٨) . كما كان يتحشم في صلاته حتى يسقط الرجز من يمينه حلقه مفشيا عليه (٣٤٩) . وكان سحون قد استكتف ابن عبدوس في جنة من استكتبهم في القساء بعدد اله يكشف الشهود فانكر انبياء مما يحرق في الديوان ، فاعتزل الكتابة حتى قيل انه هرب الى سوسة (٣٥٠) . وعلى الحملة ، فقد قيل فيه أخيرا ، وليس هذا بعريب ، انه كان مسحاب الدعاء (٣٥١) .

وبناء على ما تقدم فاذا كانت علاقة محمد بن سحنون ، وهو الذي لم يكن له شيء من نسك ابن عبدوس وعبادته ، لم تكن دائما على ما يرام بالأمير محمد أبي الفرائيق ، فانه يكون من المقبول جدا ألا تكون علاقة الأمير ، الذي وهب حياته في أواخر سنوات حكمه للهو والطرب والصيد (٣٥٢) ، على ما يرام مع الزاهد الكبير ابن عبدوس .

وفاة أبي الفرائيق :

نهاية تسمية للنساب الالهي وسط أقطاب التدين والنسك :

وهكذا تقول الرواية أن ابن عبدوس دعا على أبي الفرائيق ، واستجيبت دعوة الرجل الصالح ، فوقع الأمير الذي كان اللهو والشراب قد أنهك فوه بربسة المرض . وكان مرضه من الشدة بحيث أقعده لفترة طويلة طسريح الفراش ، حتى انه لقب في أواخر أيامه بـ « الميت » ، كما كان يشفع عليه بالموت في كثير من الأيام (٣٥٣) .

(٢٤٧) تراجم أعلبية ، ص ١٩٣ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ٣٦٠ - ٣٦١ (حيث الصر على أن السنة ٢٨ سنة) .

(٢٤٨) المالكي ، ج ١ ص ٣٦١ ، تراجم أعلبية ، ص ١٩٣ .

(٢٤٩) تراجم أعلبية ، ص ١٩٤ .

(٢٥٠) تراجم أعلبية ص ١٩٤ .

(٢٥١) تراجم أعلبية ، ص ١٩٠ .

(٢٥٢) وفي ذلك تقول الرواية أنه غلب عليه الشراب حتى أنه سكر مرة ، وهو بمدينة الترابطين سوسة . وركب البحر حتى صار الى جزيرة قوصرة ، ثم انه احترف وهو شاقف سد أن لصب منه السكر . اطر الويري ، ج ٢٢ ص ١١٧ .

(٢٥٣) الويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ - ١١٦ ب ، تراجم أعلبية ، ص ١٩٠ .

ملك كانت نهاية أبي الغرائيق الذي أنهك ، خلال حكمه الذي استمر حوالي عشر سنوات ونصف السنة ، والذي عاصر خلافة كل من : المستعين والمعز والمهتدي والمعتمد من خلفاء بغداد ، في العبث والشراب . كما أنه يدد أموال الدولة قبل أن يموت في ٦ من جمادى الأولى سنة ٢٦١ هـ / ١٦ فبراير ٨٧٥ م ، وهو في الرابعة والعشرين من عمره ، حتى لم يجد اخوته ، ومنهم ابراهيم الذي خلفه ، في بيت المال شيئاً يذكر (٣٥٤) .

أبو اسحق ابراهيم بن احمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب :
٢٦١ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٥ - ٩٠٢ م :

ولايته : تنحية أبي عقال بن أبي الغرائيق :

كان أبو الغرائيق محمد قد عهد لابنه الطفل أبي عقال بالملك من بعده ، على أن يكون ابراهيم : عمه ، الذي كان والياً على القيروان ، وصياً عليه أو نائباً لملكه ، كما يقال ، الى أن يبلغ الأمير الطفل سن الرشد . ولكي يتأكد ، وهو في فراش المرض ، ويموت مرتاح البال الى أن ابراهيم أخاه سيغيب لابنه الطفل ، جعل ابراهيم يحلف خمسين يمينا في جامع عقبة المباركة بالقيروان بأن يفي لولي العهد الصغير وآلا ينازعه في ملكه ، وذلك في حضرة شياخ الأسرة من بني الأغلب ، وأمام قضاة القيروان وفقائها من أهل الحل والعقد (٣٥٥) . ولكنه ما أن توفي أبو الغرائيق حتى قام أهل القيروان الى واليهم ابراهيم ، الذي عرفوه حسن السيرة ، وطلبوا اليه أنه يتولى الامارة .

وقبما يتعلق بالحلت في الأيمان التي حلفها ، فقد حللوهما عن طريق : أنهم كارهون لامارة الطفل ، وأنهم المستولون عن منعه من الامارة ، إذ أنه ليس له بيعة في أعناقهم . ومع كل ذلك فلقد طمانوه بأنه لن ينازع ولي العهد الطفل ولن يدخل قصره ، بل أنه سيحكم من داره هو : الموجودة في المدينة الملكية المعروفة بالقصر القديم .

= والذي يفهم من الرواية ان مرض أبي الغرائيق هو الذي ثبت انه ابن عيوس مستجاب الدعوة .
(٣٥٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ ، ابن العديم افعال الاعلام ، قسم ٢ ص ٢٦ .
(٣٥٥) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ ، ج ٧ ص ٢٨٤ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٦ ، بن خلدون ، ج ٢ ص ٢٠٣ .

وهكذا وافق إبراهيم على أن يلي عرش افريقية ، وسار مع أهل ا
الى القصر القديم . ولكن الأمر تطلب محاربة الحرس الأميري هناك حتى
إبراهيم داره . وفيها بايعه مشايخ أهل القيروان ثم وجوه أهل افريقية
بايعه جماعة بني الأغلب (٣٥٦) .

عهد الاستبداد ، ذروة العصر الأغلبى :

أمير نموذج لملوك الأغالبة :

وهكذا آلت امارة الدولة الأغلبية الى إبراهيم بن أحمد الذي حكم
من ٢٨ (ثمانية وعشرين) عاما ونصف ، وهي أطول عهود كل ملوك
في افريقية . ولقد وصلتنا رواية الرقيق التفصيلية عن عهد الأمير ابر
وهي الرواية التي ينقلها النويرى بحذافيرها فى نهاية الأرب ، وتكون
رواية ابن عذارى ومن نقل عنه . ومنها يتضح لنا أن عهد إبراهيم
يمثل طبيعة الحكم الأغلبى على وجه العموم ، بما فيه من حسنات وسي

فإبراهيم بن أحمد له حسناته الكثيرة من كف الظلم ونشر ال
وله سيئاته التي لا تغمر من أعمال العنف التي يصل الى سفك الد
الأسباب ، وربما لغير سبب ، والتي لم يسلم منها خدام الأمير وقر
وأهله ، من : بنى عمومته وأخوته وحتى أبنائه وبناته . أما عن سياسة
العامة : والحرب فى صقلية تزداد ظفرا من سنة الى أخرى وفيها يتم
سرقوسة وطبرمين . والأعمال العمرانية ، من : بناء المدن والمحارس
سيرا حثينا ، كما هو الحال فى عصور الازدهار ، ولا يسرقل م
الاضطرابات المعتادة فى أقاليم : طرابلس ، وتونس ، وبلاد الزا
نجح الأمير فى قمعها ، وإن كان بشيء من العنف والقسوة .

ولا بأس من أن تكون نظرة ابن الأثير الاجمالية لعهد الأمير ا
ابن أحمد - رغم أن مؤرخنا الكبير كان يعرف رواية الرقيق - هو
جعلته يركز على حسناته ، دون مساوئ أعماله . فإبراهيم بن أحمد
خطر ابن الأثير ، كان عادلا حازما فى أموره : أمن البلاد ، وقتل أهل
والفساد . وكان يجلس للعدل فى جامع القيروان ، يوم الخميس والاد

(٣٥٦) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ - ١١٧ ب . بن عذارى ، ج ٦ ص
ابن الخطيب ، أصل الأعلام ، قسم ٢ ، ص ٢٧ .

كل أم سوع ، بسمع شكوى المصوم ، ويصير عليهم ، وينصف بينهم(٣٥٧) -
أما عن مسأويه أفعاله التي ذكرها الرقيق ، فانها لم تلق أدنا عناية-
من ابن الأثير فأسقطها من روايته ، على أنها ظالمة أو غير واقعية - حسبما رأى-
المؤرخ الكبير ، كما نظن - ولو أن افتراضنا هذا لا يمنع من أن تكون المعلومات-
المشينة قد سقطت من نساخ ابن الأثير - فهي ، كما يروها النويري مقسمة-
الى نوعين وضعهما تحت عنواني :

١ - ومن مسأويه أفعاله .

٢ - ومن قبيح أفعاله .

ومن ذلك : « أنه أسرف في سفك دماء أصحابه وحجابه ، حتى يقال-
أنه افتقد متديلا كان يسمح به قمه من شرب النبيذ ، وكان قد سقطت من يد
بعض جواريه فأصابه خادم ققتله ، وقتل بسببه ثلاثمائة خادم » . ويعلق
على ذلك الربروي ، فيقول : « وهذا غاية في الجور ونهاية في الظلم » (٣٥٨) .
أما ابن خلدون الذي أخذ برواية ابن الأثير التي تتنى على إبراهيم فالظاهر
أنه عاد يلتبس له العذر بالمرض العقلي بعد أن أورد رواية الرقيق ، فقال :
« أنه أصابه آخر عمره مالم يخوليا أسرف بسببها في القتل ٠٠٠ (٣٥٩) » .

(٣٥٧) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ . ج ٧ ص ٢٨٤ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢) ،
وقارن رواية الرقيق في النويري ، المخطوط ج ٢٢ ص ١٢٢ ب - ١٢٣ أ . حيث يقول انه
كان نصف الملوك للرعية لا يرد عنه مظالم يأتيه ، وكان يجلس بعد صلاة الجمعة ، وينادي
مناديه : من له مظلمة ! فربما لم ياله أحد لكف بعض الناس من بعض . هذا ، وكان يجمع
أصحاب الأقدار والأغنياء من الظلم ، ويصل على انصاف الرعية « فهم مادة الملك » ، ويبالغ
في حقبة أهل بيته وولده اذا ظلموا . وهو ينصف المتكلمين حتى من والدته ، كما سئرى .
(٣٥٨) نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ ب - ١٢٤ أ - ١٢٤ ب . وكضيف
الرواية الى ذلك أنه قتل ابنة أبا الألب لظن ظنه به ، وقتل ثمانية من اخوته ، وأنه قتل
بناته اللاتي وبتن أمه خفية منه - وفي قبيح أفعاله يذكر له كلفه بالأحداث ، وأنه كان له
في بعض قصوره منهم نيف وستون حدادا ، وأنه قتلهم لأمر سادته منهم ، بل ويبلغ الحد الى
طرحهم في النار أو اطلاق بيت الحمام الساخن عليهم . وأنه كان يقتل بأفواج أخسرى من
السائب ، مثل : الحقق لو البنا - على من يريد قتله حتى يموت جوعا وعطشا ، وفي ذلك مما
أضرب ابن الأثير عن الإشارة اليه . وانظر ابن الخطيب ، أسبال الأعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٦ وما
بعدها . حيث يضيف ابن الخطيب تعليقا له ، يقول فيه : « اللهم لا ترحمه » . وشاهد عليه
سخطك وهلاكك الذي لا يقبفه رشاك ولا تمنحه رحمتك » .

(٣٥٩) ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٤ .

أما ابن عذارى فقد قسم سيرة إبراهيم إلى فترة طيبة استمرت لسبع سنين ، كان فيها حسن السيرة ، تبعتها فترة تغيرت فيها أحواله إلى قرارٍ نهاية حكمه عندما مال إلى الزهد والتبسك ، وترك الملك لابنه أبي العباس مؤذراً نفسه للجهاد في صقلية (٣٦١) .

والمهم أنه بعد أن استقر إبراهيم في داره في القصر القديم ، في مواجى قصر ابن أخيه الطفل أبي عقاب ، بدأ حكمه بداية طيبة ، فولى حجابته لمحرم ابن قرهه ، وأمر بانقاذ الكتب إلى العمال والنجباء بحسن السيرة في أعمالهم وحشده على ضرورة الرفق بالرعية (٣٦١) .

بناء عاصمة جديدة : رقادة :

وأهم ما يميز عهد إبراهيم بن أحمد هو ما قام به من السير على سنت كبار الحكام من منشئى الدول ، وذلك باتخاذ عاصمة جديدة ، غير القصر القديم ، وهي المدينة التي كان قد بناها إبراهيم بن الأغلب مؤسس الأسر وسماها بـ « العباسية » . ففي سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م بدأ إبراهيم بن أحمد في بناء مدينة رقادة ، على ٤ (أربعة) أميال من القيروان ، والتي أصبحت إحدى ضواحي مدينة عقبة ، مثلها في ذلك مثل القصر القديم .

أما عن التسمية « رقادة » ، فقد قيل أنها نسبة إلى الرقاد أى النوم وذلك لطيب مناخ المنطقة التي أختيرت للبناء (٣٦٢) . وخططت المدينة بحرية

(٣٦٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٣٦١) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ب ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣

ص ٢٩ ، وآثار ابن الأثير . سنة ٣٦١ هـ ، ج ٧ ص ٢٨٤ .

(٣٦٢) وفي ذلك قيل إن الأمير إبراهيم شرح يتجول خارج القيروان إلى أن وصل منطقة رقادة ، فوجدها جيدة المناخ معتدلة الهواء ، طيبة التربة ، حتى غالته النعاس فيها وكان يشكو من الأرق - لذلك سميت رقادة . هذا ، كما قيل إن من دخلها لم يزل ضاحكاً خلفها بالسرور لنفسه الأسباب . انظر النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ب ، ٣ الاستبصار ، ص ١١٦ والهامش ١ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٧ . وقارن اليكوى ص ٢٧ والرحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٢ (حيث القصة التي تقول إن الأمير كان قد أصيب بالأمراض استحق الطيب ، بعد أن فشل في علاجه ، بالراحة . فلما وصل إلى المكان نام فيه موضع المدينة رقادة) .

هذا ولو أن اليكوى يذكر رواية أخرى (ص ٢٨) تقول إن الموضع سمي « رقادة » نسبة إلى رقاد حيث قتل قتال ورفيعة الدين فطلبوا على القيروان وذلك عندما خرج إليهم

كان دورها ١٤ (أربعة عشر) آف ذراع (٣٦٣) - وبنيت بها القصور العجيبة
ومسجد جامع (٣٦٤) . وكان أول القصور التي بنيت فيها هو القصر المعروف
بالمفتح ، الذي تم بناؤه في العام التالي (٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م) ، فانتقل اليه
ابراهيم بن أحمد من القصر القديم (٣٦٥) . وبذلك صارت رقادة المصاصة
الجديدة ، وأصبحت رمزا لدولة ابراهيم الثاني -

واستمرت أعمال ابراهيم في اعمار رقادة من اجراء المياه اليها ،
واغتراس صنوف التمار الطيبة والرياحين ، وبناء القصور داخل أسوار
المدينة ، مثل : قصر « بغداد » وقصر « المختار » ، حتى صارت رقادة ، قبل
نهاية عهده ، أكبر من القبروان (٣٦٦) . وهكذا ، لم تزل دار ملك بني الأغلب
الى أن هرب عنها زيادة الله أمام ابي عبد الله الشيعي (٣٦٧) .

والى زيادة الله الأخير ينسب انشاء الصهريج الكبير والقصر المواجه له ،
الذين كان من مفاخر رقادة . وكان طول الصهريج ٥٠٠ ذراع وعرضه ٤٠٠
ذراع حتى سمي بالبحر - أما عن القصر العظيم الذي بنى في مواجهته على
أربع طبقات ، وسمي بـ « العروس » (كما عرف بقصر البحر) ، فقد أنفق
فيه ٢٣٢ ألف دينار (٣٦٨) ، وكان مضرب المثل في المخامة والأبهة (٣٦٩) .

١٠ في الخطاب عيد الأمل امام الاياضية من طرابلس . وقتلهم ، في ذلك الموضع - الذي كان
اذ ذاك منية - قتلا ذريعا ، فسيت . رقادة -

(٣٦٣) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ب -

(٣٦٤) الحلة السيرة ج ١ ص ١٧٢ -

(٣٦٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢ ص ١١٧ ب (حيث تقول الرواية انه انتقل الى رقادة

في سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٧ -

(٣٦٦) الحلة السيرة ج ١ ص ١٧٦ ، وانظر البكري الذي يحدد دورها بأكثر من ٢٤

الف ذراع ، في حوالي ١٢ كيلو متر (ص ٢٧) - وفي عمران رقادة يقول حسن حسني

عبد الوهلي انه كان يوجد في « قصر الصحن » حل مسألة من المدينة « بيت الحكمة » - وأنه

في جانب المستشفى « النسخة » كان لرقادة « دار الطراز » - « حطبا مثل النواصم الكبيرة »

كما وجد في ظاهرها ميدان واسع هو « للمصبة » التي كانت تجري فيه الخيل ، ويغسله الجنود

لأيام العرض - وفي جانب الميدان كان على الميدان (انظر الوثائق ، قسم ١ ص ٣٦٤ ،

٣٦٧ ، ٣٧٢) -

(٣٦٧) الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٢ -

(٣٦٨) الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٦ -

(٣٦٩) انظر ليبيا بعد ، ص ١٧٥ -

وفي فخامة قصر العروس هذا ، قيل ان عبيد الله المهدي كان يقول انه واحد من ثلاثة أشياء بافريقية لم ير مثلها في الشرق (٣٧٠) .

وتشير الرواية الى أنه عندما انتقل ابراهيم بن أحمد من القصر القديم الى رقادة ، منع بيع التبيد بمدينة القيروان ، وأباحه في رقادة (٣٧١) . وبذلك لم تعد رقادة دار الأمير ومسكنه فقط ، بل صارت متنزها له وموضع فرجه حيث كان يأتيه الندماء والمداحون والشعراء (٣٧٢) .

وتوجد بقايا رقادة حالياً على بعد ٥ (خمسة) كيلومترات من بقايا القصر القديم ، أي على بعد ٩ كم جنوبي القيروان . ويوجد هناك حوض عظيم مربع الشكل ، له جدران ضخمة ودعامات شبيهة بدعامات مواجل القيروان ، وأغلب الظن أنه الماجل التي كان يعرف بالبحر والذي أعطى لقصر العروس اسم « قصر البحر » أما عن القصر نفسه فلم تبق الا بقايا جدران قليلة منه ، وأرضية بعض القاعات المكسوة بالسيفساء المكونة من مكعبات حجرية صغيرة الحجم ، زخرفتها في شكل ضفائر حلزونية . ويشير ج . مارسيه الى أنه يمكن أن يوجد لهذه السيفساء شبيه في بقايا آثار كنائس امريقية في القرنين ٣ ، ٤ م . وهذا يعني أن صانع السيفساء الأغلبية صانع محلي ، وأن الفن كان وطنياً موروثاً من اعديم (٣٧٣) .

(٣٧٠) الحلة السبويه ، ج ١ ص ١٧٦ - ويسكت النص عن ذكر العبيديين الأحرير . أما البكري (ص ٢٦) فيذكر اثنين فقط . ماجل القيروان وهذا القصر .
(٣٧١) انظر البكري ، ص ٢٧ - حيث الاشارة الى شعر بعض الظرفاء بهذه المناسبة .
ونبه يقول .

يا سيد المساس وابن سيدهم ومن اليه القلسوب منسادة
ما حرم الشرب في مدينتنا وهو خلال بارض رقادة

وقارن الاستبصار ، ص ١١٦ ، الحلة السبويه ، ج ١ ص ١٧٣ .

(٣٧٢) انظر الحلة السبويه ، ج ١ ص ١٧٣ - حيث الاشارة الى انتجاع الشاعر بكر ابن حماد الشاعرني الأمير ابراهيم وعلقه اياه ، والأمير مصطفي في الجنان مع الحوازي . وفي سداق رقادة وغروبها التي الترت واكل من ثمرها ابراهيم ، تقول الرواية ان القاضى عبد الله ابن طالب عندما صحب الأمير الى تلك الجنان ، طلب منه ان يشكر الله على أنه غرسه واكل منه ثم طلب منه ان يذبح من الثمر صدقة أهل المنية (مستشفى القيروان) ، ثم طلب منه ان يعزل الجائرين من عماله وأن يعمل في الرعية . انظر حس حسني عبد الوهاب ، الوردقات .
القسم ١ ص ٣٦٤ (عن رياض الفرس للملكي) .

(٣٧٣) انظر ج . مارسيه ، مختصر الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ص ٤٢ - ٤٤ .

وكان أول الأتباء السعيدة التي تلقاها الأمير إبراهيم الثاني في قصره الجديد هو بيا سقوط مدينة سرقوسة بين أيدي القوات الأغلبية في صقلية في نفس تلك السنة (٣٧٤) ، وستظل أخبار صقلية تشغل الجزء الأكبر من حوليات إبراهيم بن أحمد .

الحلم الصقلية في القصر القديم يحتجون على تغيير العاصمة : وإبراهيم يرد عليهم بالعنف :

ولكن انتقال إبراهيم إلى رقادة لم يتم دون ردود فعل عنيفة لدى موالى الأغلبية ، من : الصقلية والخدم في المدينة الملكية القديمة ، ممن ساءم خروج الحكم من القصر القديم الذي نشأوا فيه . والظاهر أن إبراهيم يأدر إلى قائد هذا التسلل منهم ، وهو فتى يقال له مطروح (ابن أم بادر) فقتله ، ما دعا إلى انتدس في القصر القديم بين الموالى من الجند الأغلبى الصقلية ، فشقوا عصا الطاعة ، وقطعوا طريق السائلة ، فيما بين رقادة والقبروان . ومع أن إبراهيم ترك نسوية هذه المسألة إلى أهل القبروان الذين دافعوا عن مصالحهم ، فخرجوا إلى لقاء موالى القصر القديم في أعسداد لا تحصى حتى ردهم وأجبروهم على طلب الأمان ، فان الأمير كان يضرر للمخالفين أمرا عظيما .

فصدا حان وقت دثع الأرزاق إلى الجند والخدم ، جلس إبراهيم في قصره الجديد المعروف بقصر الفتح في رقادة ، وحصر جميع العبيد والمسوالى من القصر القديم ، فكان كلما تقدم رجل منهم نزع منه سيفه وقبض عليه ، حتى تم توقيفهم كلهم . وتقول الرواية أن إبراهيم شتتهم ومزقهم شر ممزق ، فأمر بقتل بعضهم ضربا بالسياط وصلبهم ، كما أمر بحبس عدد منهم في سجن القبروان حتى الموت ، ونفى عددا منهم إلى صقلية (٣٧٥) .

استخدام الجند من السودان :

وكان التخلص من الخدم الصقلية سببا في أن اتجه إبراهيم إلى الاستماضة عنهم بالعبيد من السودان ، فاشترى منهم أعدادا كثيرة ، وأحسن تدريبهم على الجندي ، وكساهم الكساء الديدع ، وصنار يعتمد عليهم في الحروب ، فظهر منهم شجاعة وجلد وقوة (٣٧٦) .

(٣٧٤) النويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٨ أ ، أصل الأعلام ، قسم ٣ . ص ٢٨ .

(٣٧٥) النويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٨ أ .

(٣٧٦) النويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٨ أ ، وانظر فيما بعد . ص ١٢٢ وهـ ٤٢٦ .

متاعب خارجية في طرابلس :

مواجهة غير متوقعة بين الأغلبية والتولونيين :

والظاهر أن مذبحة الموالى الصقلية كانت أولى المتاعب التي حلها إبراهيم ابن أحمد بالعبع والقسوة . وأنها كانت أول بشرية بتغير احواله الذي أشار إليه الكتاب . أما المتاعب الحقيقية فقد أحدث تهب رياحا عليه اعتزازا من السنة التالية ، وهي سنة ٢٦٥ هـ / ٧٨ - ٨٧٩ م . وذلك عندما فكر العباس ابن أحمد بن طولون في أن يستعمل عن والده بامارة يقطعها لنفسه في برقة التي كانت تابعة لمصر وقتئذ ، ويضيف إليها ما أمكنه اضافته من طرابلس والأقاليم الشرقية من المملكة الأغلبية . وفي الوقت الذي استقر فيه العباس في برقة أتى القحط العظيم الذي آثم بأفريقية سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م ، مما أدى الى الخلاء المرط ، فعكر صمو إبراهيم ، حين كان أشد ما يكون حاجة الى الصفاء .

والظاهر أن العباس بن أحمد بن طولون وجه أنظاره نحو الغرب إذ كان يظن أن الأمور غير مستقرة في برقة ، التي كانت أعلنت العصيان على الحكم الطولوني منذ حوالي أربع سنوات . وفي سنة ٢٦٦ هـ / ٧٤ - ٨٧٥ م ثار أهل برقة ، وأخرجوا أميرهم المصري محمد بن العرج الفرغاني . وعندما سير إليهم أحمد بن طولون فلامه المعروف بلؤلؤ ، على رأس قواته ، ناصحا إياه ألا يكون العنق إلا آخر وسيلة يلجأ إليها ، لم تنجح سياسة اللين . واضطر لؤلؤ الى حصر المدينة ، وضربها بالمجانيق قبل أن تعود الى أنس الطاعة . مما دعا لؤلؤا الى الانتقام من زعماء الثورة ، وطبق على بعضهم قابوس المفسدين في الأرض ، وعاد ببعضهم الى مصر حيث شمر بهم ، بينما حلق بن طولون على قائده الظفر ، وطوق رقبتة بطوقين من الذهب (٣٧٧) .

هسيح العباس بن أحمد بن طولون الى برقة :

فالتى يهمننا الآن - دون البحث في أسباب الحركة الدفينة - أن العباس ابن أحمد بن طولون انتهن فرصة غياب والده في الشام ، وقام بانقلاب ساعده

(٣٧٧) ابن الأثير . سنة ٢٦٦ هـ ، ج ٧ ص ٢٨٣ . أما من سلخ برقة عن أفريقية وشمها الى مصر سنة ١٧٤ هـ / ٧٩١ م . فانظر فيما سبق . ج ١ ص ٢٧٤ - وهذا ما هاجب عن ابن خلدون الذي يقول ان الطولوني ملك برقة من يد محمد بن قهراب قائد الأغلب (ج ٤ ص ٢٠٢) .

فيه عدد من كبار القواد (٣٧٨) ، فاستولى على ما كان في بيت المال في مصر .
ما قدر بثماسة حبل من دماير الذهب ، وقوم مليون ومائتي ألف دينار .
ويعصى العباس على وزير والده ، وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد الكاتب ،
وساقه معه مقيدا في اتجاه برقة (٣٧٩) ، التي وصل إليها في ثمانمائة
فارس ، وعشرة آلاف راجل من السودان ، منهم خمسة آلاف جعل (٣٨٠) ،
م شهر ربيع الأول سنة ٢٦٥ هـ / نوفمبر ٨٧٨ م (٣٨١) .

ولما كان ابن عذارى يجعل وصول العباس الى برقة في ربيع الآخر من
سنة ٢٦٧ هـ / نوفمبر ٨٨٠ م ، وذلك في اطار روايته لفتنة ولد ابن طولون
حين اراد التقلب على افريقية ، يكون من المقبول أن تكون أحداث الفتنة قد
امتدت على طول الستينين أو بعضهما (٣٨٢) . فالواضح أن الذي يقصده
ابن عذارى ليس وصول ولد بن طولون الى برقة ، بل يده الصليات العسكرية
ضد الأغالبة في ولاية طرابلس ، مما يعني أن خروج العباس نحو طرابلس
تم بعد أكثر من سنة من وصوله الى برقة . والواضح من النصوح أنه خلال

(٣٧٨) ابن الأثير . سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٢٢٤ . وأخر ابن تقي برقي ، النجوم ،
سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٤٠ ص ٤٠ . ولريد من التصيلات أنظر الكندي ، الولاة والقضاة ، ط ١ ، ج ١ ،
بيروت ١٩٠٨ . (لحدا حسنة ٢٦٥ هـ) ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣٧٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٨ .

(٣٨٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٨ .

(٣٨١) ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٢٢٤ . اللويري ، المخطوط ، ج ٢٢
ص ١١٨ ، ابن تقي برقي ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٣ ص ٤٠ . وقارن الكندي ، الولاة والقضاة ،
ص ٢٢١ (حيث تقول الرواية أن خروج العباس الى الجزيرة كان في ٨ شعبان سنة ٢٦٥ هـ ،
ولأن عودة أحمد بن طولون من الشام الى القسطنطينية كان في شهر رمضان التالي من نفس السنة -
وهو الأمر الذي يستحق إعادة النظر ، خاصة وأن خروج أحمد بن طولون الى الشام كان في
شعبان من سنة ٢٦٤ هـ (ص ٢١٩) .

(٣٨٢) والذي يراه هو أن ابن عذارى (ج ١ ص ١١٨) يجعل الأحداث جسيما ويجعلها
تدور في نفس سنة ٢٦٧ هـ . من : خروج ولد بن طولون من مصر واستقراره في برقة ، وخروجه
الى طرابلس على عييل ، قبل أن يعود والده من الشام ، وقبل أن يستعد إبراهيم بن أحمد
للمغاربة . وهو الأمر الذي وإن بدأ غير طبيعي ، فهو لا يختلف كثيرا عن رواية كسل من
ابن الأثير والتهريزي وابن تقي برقي الذين يجعلون الأحداث تدور أيضا كلها في سنة ٢٦٥ هـ /
٨٧٨ م . ولم أن ابن الأثير يعرف أن عملية العباس انتهت تماما في سنة ٢٦٨ هـ / ٨٨٢ م
(الكامل سنة ٢٦٥ هـ ج ٧ ص ٢٢٥ وأنظر ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٠٣) الذي يجعل خروج
العباس في سنة ٢٦٥ هـ والمركة في سنة ١٦٧ هـ) . وهكذا يكون التوفيق بين الروايتين
لمرا متساويا .

تلك المعترة كان أحمد بن طولون قد عاد من الشام الى مصر ، وأرسل الى ابنه اعباس يدعوه ، بل ويستعطفه من أجل العودة الى بلده . ولكن حشية من كان مع العباس من القواد من العقاب (٢٨٢) اذا عادوا ، جعلوه لا يستجيب الى طلب والده ، بل وجعئوه يتمادي في تطلعه ، أكثر فأكثر نحو العرب . اما من أجل تكوين اشارة معقولة بضم طرابلس الغنية الى برقة ، واما من أجل أنبعد عن يد والده القوى ، الذي قد لا تكون برقة بميدة عن مناله (٢٨٤) ، كما حدث في تجربة برقة سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م .

العباس يتصل بالقبائل في طرابلس وافرريقية :

هكذا يكون العباس قد استقر في برقة لمدة عام وأكثر ، وهو ينظر في خير وسيلة لدخول طرابلس ، بل وافرريقية أيضا . فأخذ يكتب رؤساء القبائل هناك من البربر ، حسبما تقول رواية ابن الأثير (٢٨٥) . ولا كان هؤلاء يقفون موقف المعارضة من الدولة الاغلبية لأن كسيرا منهم كانوا من الاباضية ، فقد استجاب له بعضهم ، وامتنع بعضهم منه . وتقول رواية ابن الأثير ، أكثر من ذلك ، ان العباس الطولوني أراد أن يفرز بابراهيم ابن أحمد ، فكتب اليه يقول : « ان أمير المؤمنين قد قلدي أمر افرريقية وأعمالها » (٢٨٦) ، وهو الأمر المستغرب (٢٨٧) .

(٢٨٢) ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ . وانظر الكندي ، الولاة واقطاعها ، ص ٢٢٠ .

(٢٨٤) ابن عسارى ، ج ١ ص ١١٨ ، وانظر الكندي ، الولاة ، ص ٢٢٢ (حيث نزل ان العباس رأى أن الفريسي أمع له من برقة) .

(٢٨٥) ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ - وهو الأمر الذي تنكره رواية ابن عسارى (ص ١١٨) عندما تقول ان العباس لم يقبل نصيحة ابي عبد الله أحمد بن محمد الكاتب ، ر والده ، بأن يؤخر التقدم الى طرابلس حتى يصاح البربر .

(٢٨٦) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ ، وقارن الكندي ، ص ٢٢٢ (حيث نزل الرواية ان العباس كتب الى ابراهيم بن أحمد : « ان كتاب المتشدد ورد عليه بتقليده افرريقية يأمره بالدعاء له بها ، وبغيره انه سائر اليه » .

(٢٨٧) فالعروف ان الخليفة العباسي المتشدد لم يهدد ابراهيم بن أحمد بالخلع الا فيما بعد بسنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م ، كما صغرى فيما بعد . مما يدور الى الظن انه ربما كان في الأمر خلط من بعض الكتاب ، الا اذا كان العباس بن أحمد بن طولون كان على هواية بسوء سيرة ابراهيم بن أحمد في ذلك الوقت المبكر ، او بغلاطات بين المراد الأسرة الاغلبية تربت على التدرج بابن اخيه ابي عقال ، او بسبب فتكك الخوارج من السلفية ، كما رأينا .

ابراهيم يبعث قائده ابن قرهب نحو طرابلس :

ولهم أن استجابة عدد من زعماء البربر في أقاليم افريقية الشرقية شجع العباس على المسير نحو لبة شرق طرابلس . وعندما وصل الى ابراهيم ابن أحمد خبير مسيرة العباس هذه أسرع بإخراج قائده أحمد بن قرهب - أحمى الحاجب محمد بن قرهب - في ١٦٠٠ (ألف وستمائة) فارس خيلا مجردة لا رجل فيها ، كما تقول رواية ابن عذارى ، وأمره بالأسراع ليلا نحو طرابلس التي دخلها فلما قبل وصول العباس الى لبة (٣٨٨) . وفي طرابلس عمل ابن قرهب على حشد ما أمكنه حشده من جند طرابلس ، ومن بربر المنطقة المجاورين ، وأسرع نحو لبة فدخلها قبل أن تصلها مقدمة القوات الطولونية (٣٨٩) .

اللقاء بين الأغالية والطولونيين في وادي ورداسة :

وخرج بن قرهب بفرسانه من لبة متجها نحو الشرق حيث بدت له ملاحع العباس بن أحمد بن طولون على بعد ١٥ (خمسة عشر) ميلا من لبة ، في موضع يعرف عند الرقيق بوادي ورداسة (٣٩٠) . ومع أن العباس لم يزحف نحو لبة الا ب ٨٠٠ (ثمانمائة) فارس فقط ، يتبعهم ٥٠٠٠ (خمسة آلاف) راجل ، من السودان ، فان الخدعة التي قام بها عندما جعل نصف سودانة الآخرين ، وهم ٥ (خمسة) آلاف رجل يركبون الجمال ، وهم يحملون البنود التي صنعها في برقة . ويزحرون وراء القطعة الرئيسية من الجيش ، نجحت في تحقيق ما كان يهدف اليه .

فقد فرغ ابن قرهب بعد مناوشة يسيرة ، وانهزم نحو طرابلس ، وهو يظن أن من بدأ بقتالهم لم يكونوا الا مقدمه الجيش المصري الرهيب (٣٩١) .

الطولونيون يدخلون لبة ويحاصرون طرابلس ، وقيام أباضية نفوسة ضدهم :

وبذلك استمر العباس في مسيرته نحو الريقية ، وفتح حصن لبة أبوابه له دون قتال في جمادى الأولى سنة ٢٦٦ هـ / ديسمبر ٨٧٩ - يناير

(٣٨٨) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٨ .

(٣٨٩) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٨ .

(٣٩٠) النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٨ . ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٨ .

(٣٩١) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٨ .

٨٨٠ م ركنى رجاله أساءوا معاملة أهل لبداء أسوأ المعاملة وبهجومهم (٣٩٢) .
 روى لبداء تتبع العباس المهريين من جند ابن قريش إلى طرابلس ، فسرلها
 وضرب عليها الحصار ، وصب حولها الحانيق ، وبدأ يصيق عليها الحنّاق
 لمدة فربت من شهر ونصف سهر . وكان أسودان من رجاله يغيرون في هذه
 الأساء على أهل البوادي في أطراف المدينة ويسيطرون معاملتهم ، حتى قيل أنهم
 اعتدوا على الحرم وهكوا السننر ، مما أثار بربر نعوسة الاباضية ، القاطنين
 في منطقة الجبل المعروف بهذا الاسم جنوبي مدينة طرابلس ، وكان رعيمهم
 وقتئذ هو أبو منصور الياس بن منصور القوسي (٣٩٣) .

هذا ولا بأس في أن يكون من أسباب الصدام بين الأمير الطولوني
 والرعيم العوسي ، هو عدم اذعان هذا الأخير لما طلبه منه العباس من الدخول
 في طاعته ، والقنوم عليه ، مع تهديده بوطه بلده بالحيل والرجال ان لم
 يفعل . فهذا ما تقوله الرواية التي ينقلها الباروني عن ابن سعيد في تاريخه
 « الدر المنكون » (٣٩٤) . والمهم أنه رغم أن اباضية جبسل نعوسة كانوا
 لا يعترفون بسلطان الملكة الأغلبية ، اذ كانوا مستقلين بجبلهم ، وهم في
 نفس الوقت يعترفون بامامة الرستميين في تاهرت ، مثلهم في ذلك مثل بربر
 اقليم الزاب الدائم الثورة على الأغلبية ، فقد غضب الياس بن منصور لما نزل
 بجيرانه أهل طرابلس الذين استغاثوا به ، وقام محتسبا ، كما يقول ابن
 عذارى ، في سبيل الله على رأس ١٢ (اثنى عشر) ألف رجل من النفوسيين ،
 زحف بهم نحو العباس (٣٩٥) .

انسحاب غير منظم للقوات الطولونية أمام الاباضية :

وهكذا ، بينما الحرب محتدمة حول تحصينات طرابلس بين الجنود
 الطولوني والجنود الأغلبى ، اذ بالعباس بن أحمد بن طولون يعاجأ بالاباضية
 من بربر نفوسة ، يفودهم الياس بن منصور . وكان من الطبيعي أن يسقط

(٣٩٢) ابن الأثير . سنة ٣٦٥ . هـ . ج ٧ ص ٣٢٤ . النويرى . المخطوط . ج ١٢
 ص ١١٨ أ . وانظر الكندي . ص ٢٢٢ (حيث النص على التاريخ المذكور) .
 (٣٩٣) انظر ابن عذارى . ج ١ ص ١١٩ . الذي يسمى النفوس بأبي منصور فقط
 واس الأثير . سنة ٣٦٥ هـ . ج ٧ ص ٣٢٤ . والكندي . ص ٢٢٢ .
 (٣٩٤) انظر الأزماد الرياضية . قسم ٢ . ص ٢٥٧ . ص ٢٥٨ - حيث رد أبي منصور
 المنيف على العباس الذي يعتبر بمثابة اعلان للحرب على الأمير الطولوني .
 (٣٩٥) البيان . ج ١ ص ١١٩ .

في يده لاد وقع بين سندان أسوار طرابلس وبين مطرقة محتسب نفوسة (٣٩٦) -
واستمر لهيب الحرب ، والعباس يحاول أن يشق طريق العودة الى برقة -
حتى اضطر أن يحارب يده ، بينما كان رجاله يتساقطون حوله - وبذلك
انقلب الانسحاب الى هزيمة قبيحة كاد العباس أن يؤسر فيها ، لولا أن خلاصه
بعض مواليه من السودان (٣٩٧) -

الإموال المصرية تسد فراغا في خزانة ابراهيم :

في هذه الظروف الصعبة خلع العباس بفلول قواته بصعوبة الى برقة -
ولكن بعد أن تركوا ما كان في معسكرهم من الأموال والمتاد نهبا لأهل
طرابلس وحدهم - وذلك أن اياضية نفوسة تورعوا عن أخذ شيء منه (٣٩٨) -

وفي تلك الأثناء كان ابراهيم بن أحمد يحاول حشد جند افريقية في
تقروان ، ولما كانت خزائنه خاوية ، فانه اضطر الى أن يضرب حتى نساؤه
دناير وديراهم ، وزعها على العسكر - وعندما خرج على رأس قواته يريد نجدة
رجال في طرابلس ، آتاه خبر هزيمة ولد ابن طولون ، وهو على الطريق في
نابس ، من ابن قرهب نفسه الذي أراد أن يبشره بالفتح (٣٩٩) ، وما أخذ من

(٣٩٦) انظر ابن عسارى ، ج ١ ص ١١٩ - الذي يقول ان العباس عندما سأل وزير والده
ابراهيم الله الكاتب : ما الرأي ؟ قال له : بيرقة خلقت - وهو يقصد بذلك تصيحة ابي عبد الله
الكاتب له بأن يؤخر التقدم الى طرابلس حتى يصانع البربر ، وهي التصيحة التي لم يقبلها
ولد ابن طولون اذ كان يقطن في استطير شراء زهاء البربر ما كان منه من الأموال (وانظر
أيضا ص ١١٨) -

(٣٩٧) ابن الأثير ، سنة ٣٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٢٢٤ ، وانظر الكندي ، ص ٢٢٣ (حيث
الاشارة الى ما قاله العباس في تلك المناسبة من أشعار الحسانة ، ومنها :
لو كنت شاعرة كسرى بلبسة اذ بانسيف اصرب والهسائمك تبتسار
لما لصاينت مني ما تنساروه هني الأحاديث والائيساد والخبر
ولو أن الكندي يتبع ذلك بقوله : وقتل يومئذ ستاديه مسكوه ووجوه أصحابه وصانته -
ربيت أمواله وسلاحه ، ورجع هاديا الى برقة في غير واخلاق) -

(٣٩٨) ابن عسارى ، ج ١ ص ١١٩ - أما عن المناس ، فقد بعثم والده لابنائه هريعت
وتضايح ما كان معه من الأموال ، فلما علم بتجاهله أرسل اليه جيشا قاتله في برقة ، وأسر
بند صافق شقيقة ، ثم عاد به الى والده الذي انتقم من اللواد الذين كُتفوا معه ، كما حسبه
هو بعد أن ضربه بالقرع ، في بطنه قصوره (انظر ابن الأثير ، سنة ٣٦٥ هـ) - وذلك في
سنة ٣٦٨ هـ / ٨٨١ م - ولزيد من التفصيلات انظر الكندي ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ (حيث النص
على قطع يدى العباس ورجليه) -

(٣٩٩) النويري ، الكملوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ -

بالأحوال . وهما لم يكن لإبراهيم من هم إلا البحث عن الأموال المصرية التي انتهى رجاله ، حتى « كان الرجل من أهل المعسكر يبيع مناقيل أس طولج سرا بما أمكنه ، خوفا من أن تؤخذ منه » (٤٠١) .

والظاهر أن قلة الأموال في خزانة إبراهيم ، مما اضطره إلى استخدام حلي سائنه التي كانت تعتبر وقتئذ أشبه باحتياطي الأمير - كما نقول الآن - لم تكن نتيجة لتبديد أبي الفرائق الأموال ، كما يريد ابن عذارى ، فالأمير المتهم كان قد توفي منذ أكثر من خمس سنوات طولج ، استطاع خلالها أخوه إبراهيم جمع الأموال وبناء القصور في رقادة . والحقيقة أن قلة الأموال لا يفسرها إلا القحط العظيم الذي يسجله ابن عذارى نفسه في حولياته . في سنة ٢٦٦ هـ / ٧٩ - ٨٨٠ م السابقة ، والذي عاد قاسيا في السنة التالية ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م ، حتى بلغ قفير القمح الذي يعادل مقدار أردب وربيع بالمصرى ، كما يقول المويرى ، ثمانية دنانير ، حتى هلك الناس وأكلوا بعضهم بعضا (٤٠١) .

المجاعة والاضطرابات الداخلية سنة ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م :
وأغلب الظن أن المجاعة التي ألمت بالبلاد في سنة ٢٦٨ هـ كانت سببا في كوارث أخرى ، كان على أهل كثير من المناطق تحمل عبئها أيضا . فالظاهر أن الشدة جعلت قبائل إقليم الراب يستمعون عن دفع ما عليهم من الأموال . ورغم المساعدة التي قدمها اخوانهم اياضية نفوسة في العام السابق للجنود الأغلبى في طرابلس ضد عسكر ولد ابن طولون - والتي ربما كانت سببا فيما قلعه إبراهيم لرؤسائهم من الاحسان عندما قدموا عليه في القيروان - فقد فتك بهم إبراهيم بن أحمد فتكا ذريعا ، ولم يستثن أطفالهم من القتل ، حتى كانوا يحملون على العجل إلى الحفر ويلقون فيها (٤٠٢) .

وؤداجة في باجة :

وتقول الروايات ان قبائل وؤداجة في إقليم باجة غضبت (في نفس السنة) ، ومنعوا ما كانوا يدفعونه للأمير من الأموال (الصدقات) ، وعندما قاتلهم الوالى ، وهو الحسن بن سفيان من أجل ذلك ، هزموه هزيمة متكرة ،

(٤٠٠) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١١٩ .

(٤٠١) المويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٨ - ١١٨ ب ١ .

(٤٠٢) ابن الأثير سنة ٢٦٨ هـ ج ٧ ص ٢٧٠ . ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٩ .

اد رده حتى أبواب باجة نفسها . وهما أرسل ابراهيم بن أسد اليهم قائده
عاجب محمد بن قرهب بالجيش . واعتصم ابن قرهب ببعض الجبال المشرفة
على منطقة وزداجة واسمه المشار ، حتى اتخذ له معسكرا حصينا ، كان
يرسل منه الخيل صباحا ومساء ضد الورداجيين ، الى أن انتهى الأمر بأن
اتلتوا طاعتهم ، ودفعوا اليه برهائهم (٤٠٢) .

هواره (ما بين العصيان والطاعة) :

وقامت قبائل هواره هي الأخرى بالعصيان فعانت في البلاد وقطعت
السبل ، فسير اليهم ابراهيم حاجبه ابن قرهب الذي بدأ باستخدام السياسة
معهم ، فعرض عليهم الرجوع الى الطاعة في نظير الأمان ، ولكم أبو . وعندئذ
هاجمهم ، فلما انهزموا استباح ديارهم : فنهب العسكر منازلهم وأحرقوها
بالنار ، قبل أن يعودوا الى القيروان . وعندئذ عادت هواره تطلب الأمان .
وركبت الى الطاعة (٤٠٤) .

لواتة في باجة :

وفي نفس سنة ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م عادت المنطقة المجاورة لباجة الى
الاضطراب بفضل قبائل لواتة التي احتشدت بأجمعها ، وحاصرت مدينة
قرنة لعدة أيام قبل أن يدخلوها وينهبوا ما فيها . ومن هناك مضوا الى منطقة
باجة نفسها وقصر الافريقي ، وهم بنشرون الفزع والعضى . وعندما أخرج
اليهم الأمير ابراهيم حاجبه محمد بن قرهب ، جانيه الظفر هذه المرة . فلقد
انهزم الجند القيرواني أمام اللواتيين بل ان ابن قرهب نفسه كبا به فرسه
حتى لحقه خصومه وقتلوه ، دون أن يحاول تخليصه من كان معه من أصحابه
الذين ظفروا من الهزيمة بالهرب ، وذلك في شهر ذى الحجة سنة ٢٦٨ هـ /
يوليه - يوليه ٨٨٢ م .

وعز على ابراهيم ما نزل بابن قرهب ، وعزم على النار له فأمر بعشده
جيش عظيم من الجند والأنصار والموال ، وسيرهم في السنة التالية (٢٦٩ هـ /
٨٢ - ٨٨٢ م) تحت قيادة ابنه أبي العباس عبد الله . وعندما رأيت قبائل
لواتة أنه لا قبيل لها بذلك الجيش الكبير انهزموا أمامهم في اتجاه باجة ، ولكنه

(٤٠٢) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٦٨ ب .

(٤٠٤) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ ب .

لحق ببعضهم هناك ، وقتلهم قتلا دريما ، فيما تنست الناجون منهم في
كلم ناحية (٤٩) .

بالسلام لمدة خمس سنوات تنتهي باصلاح حال :

ومنذ سنة ٢٦٩ هـ / ٨٢ - ٨٨٣ م استقرت الأمور في المملكة لابراهيم
فلا سجد ذكرا الا لحروب صقلية المظفرة او وفاة عالم او زاهد او قاض ، او
وصل رجل من رجال الدولة او نكبة تعول به ، وذلك لمدة خمس سنوات او
اكثر (٤٠٦) . ففي سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨ - ٨٨٩ م ، عندما قرر ابراهيم بن أحمد
القيام باصلاح مالي لقي معارضة قوية من أهل القيروان ، كما حدث على أيام
عبد الله بن ابراهيم بن الأعلب ، انتهت باضطراب وقتال بينهم وبين الأمير .

درهم الفضة وحدة التعامل الصفري ، وثورة صغار التجار في القيروان :

فلقد قرر ابراهيم بن أحمد الغاء قطع النقود الصغيرة التي اعتاد التعامل
بها أهل القيروان ، وقرر التعامل بدلا منها بالدرهم الصحاح من الفضة (٤٠٧) .
وكان من الطبيعي أن يحدث ذلك التغيير بعض المتاعب في التعامل في
الأسواق ، فأنكرت العامة في القيروان ذلك الاجراء وأغلقتوا حوانيتهم ،
واجتمعوا سويا في تظاهرة كبيرة سارت الى رقادة ، حيث شغبت ضد الأمير
الذي أمر الحرس بتطويقهم ثم حبسهم في الجامع . وعندما علم أهل القيروان
بذلك تجمعوا خارج باب المدينة ، وأظهروا معارضتهم لابراهيم الذي وجه
اليهم وزيره أبا عبد الله بن أبي اسحق ، فتلقوه بالسباب وبالجملة . وعندئذ
ركب ابراهيم بن أحمد بنفسه الى القيروان ، وبصحبته حاحبه الجديد نصر
ابن المصصامة في جماعة من اجند ، فاعترضه القيروانيون ، وناصبوه القتال
على قدر ما تسمح به طاقتهم .

(٤٠٥) التبريزي ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ - ١١٩ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤

ص ٢٠٣ .

(٤٠٦) أنظر ابن عسدي ، ج ١ ص ١٢٠ وما بعدها (حوايات ٢٦٩ - ٢٨٤ هـ) .

(٤٠٧) أغلب الظن ان المصدر بقطع النقود الصغيرة هنا ليس بالفلوس النحاسية او ما

شابهها بل اجزاء الدرهم الفضية نفسها - لا كما كان التعامل في النقود حينئذ يتم بالوزن عن

طريق الصيرفة ، فكثيرا ما كانت قطع دراهم الفضة الى اجزاء صغيرة - ربما لندرة الفلوس -

من اقسام الثلاثة وأرباع . لتسهيل عمليات الشراء الصغيرة حتى شاع هذا الفرع . وتطلب

للأمر ذلك الاصلاح . انظر حسن حسني عبد الوهاب ، الوثائق ، قسم ١ ص ٤٢٢ .

وعلى عكس ما عرف عن إبراهيم من حدة المزاج في مثل هذه الظروف، فإنه قرر أن يعامل القبروائين بالسياسة واللين، فلتقديم آل المصلح (مصلح العيدين خارج المدينة)، حيث جلس وأمر جنده بالكف عن قتال العامة من أهل القيروان، وعندما استقر به المجلس، وهذا الناس، خرج إليه الفقيه الراشد أبو حفص أحمد بن حنبل بن حنبل، ودار بينهما حديث طويل حول موضوع التورود الجديدة، وما تضرر به العامة وضعفاء الناس، والمهم أن تدخل فقيه القيروان وزاهدنا انتهى بتهدئة الأحوال، إذ دخل الوزير ابن اسحق معناه إلى المدينة، واخترقا سباط القيروان، وهو شارعها الكبير، فكانت تلك الجربة سببا في سكن أهل القيروان، وبذلك رجع إبراهيم بن أحمد إلى رقادة، وأطلق أصل السوق الذين كانوا محبوسين في الجامع.

استقرار الإصلاح النقدي :

وبذلك تم لإبراهيم إصلاحه المالي فانقطعت النقود والقطع الصيفية من الريفية إلى وقت صاحب الرواية التي ينقلها ابن عذارى (٤٠٨) وضرب إبراهيم ابن أحمد دنانير ودرهم سماها العشرية، لأنها كانت على النظام العشري المعمول به أيامنا هذه، إذ كان في كل دينار من الذهب عشرة دراهم من الفضة (٤٠٩) - وإذا كان ذلك يعني أن الدرهم أصبح قطعة النقود الصغرى، فإنه يعني مستوى مرتعا للمعيشة في الريفية على أيام بني الأغلب ابتداء من عهد إبراهيم، ولو أننا نظن أن الدرهم كان تسما هو الآخر إلى عشرة عود.

تبدل في مزاج إبراهيم بن أحمد نحو القسوة العموية، وأثر ذلك على مجريات الأمور :

تصفية رجال الدولة والمقربين بطريقة « سوداوية » :

القاضي :

ولكنه إذا كان الأمير إبراهيم قد ظهر بمظهر المتزن إزاء معارضة القبروائين لإصلاحه النقدي، فإنه كان قاسيا بغير ضيق ولا وازع عندما عزل

(٤٠٨) ابن عذارى، ج ١ ص ١٢٠ - ١٢١ - حيث يهتم ابن عذارى بالتورود القبروين اهتمامه والإصلاح النقدي فيسرى الحركة : « ثورة الدرام على إبراهيم بن أحمد » .
(٤٠٩) ابن عذارى، ج ١ ص ١٢١ .

قريبة قاضي القيروان عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي ، الذي رأيناه من
 قبيل صديقا لحملة بن سحنون (٤١٠) ، وحجسه ثم دس له اسم في الطعام ومات
 ابن طالب عقب آكله مباشرة ، وذلك في شهر رجب من نفس سنة ٢٧٥ ص/
 ٩ نوفمبر ٨٨٥ م (٤١١) ولقد استقصى إبراهيم بعده محمد بن عسود
 ابن أبي ثور ، الذي كان حده طحانا ، كما يقول ابن عذارى ، وكان يكتب
 اسمه : محمد بن محمد بن عيني (٤١٢) .

الكاتب :

ولقد زاد عبء إبراهيم بن أحمد ، وبانت غلظة قلبه عندما حبس في
 السنة التالية (٢٧٦ هـ/ ٨٨٦ م) كاتبه محمد بن حيسون المعروف بابن
 البريدي ، والذي عرف بأنه كان شاعرا مجيدا . ولقد كتب ابن البريدي الى
 إبراهيم من السجن خطابا صيغ أديبا رقيقة يستعطفه بها ، فيها يقول :
 هبني أسأت فأبى العفو والكرم اد قاذني نحوك الادعان والندم
 يا خير من مدت الأيدي اليه أما ترثي لصب بهاء عندك القلم
 بالفتى السخط فاصفح صفح مقتدر إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

وغضب الأمير الذي كان لا ينكر الشعر ، بل كان يحسن الظم أيضا
 والنقد ، لأن كاتبه الشاعر اتهم كتب اليه : « هبني أسأت » ، وكان
 المفروض فيه أن يعرف أنه أساء فعلا وليس احتمالا . وعلق الأمير الجدير في
 لشر ونقده ، بقوله : أما انه لو قال :

وبحن الكاتبون وقد أسأتنا فهبنا للكرام الكاتبيننا

لعفوت عنه ، ثم أمر - ويضيف ابن عذارى - قبحه الله ! - به ، فحمل
 تابوت حتى مات (٤١٣) .

(٤١٠) انظر فيما سبق ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٤١١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ .

(٤١٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ .

(٤١٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ . وقارن ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣

ص ٢٠ - ٢٢ . حيث اسم الكاتب الشاعر « أحمد القديني » ، وحيث نص الرسالة التي بعث
 بها الى الأمير إبراهيم ، وكذلك أبيات الشعر الثلاثة ، وإن كانت مختلفة بعض الاختلاف .
 فالشطرة الثانية من البيت الأول تبدأ بـ « وقد » بدلا من « إذ » ، والشطرة الثانية من البيت
 الثاني ترد في شكل : « ترثي لمن قد يكاه عندك القلم » . كما تقول الرواية إن الأمير غلظ
 على الشطرة الثانية من البيت الثالث ، فقال : « إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا » .

الحاجب

وزادت قسوة إبراهيم بن أحمد وغنظة قلبه في العقوبة الشنيعة التي أمرها في العزم التالي (٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م) بحاجبه نصر بن الصمصامة ، إذ أمره بـ ٥٠٠ (خمسمائة) سوط ، قلم ينطق - الرجل السندان - بكلمة ، ولا تحرك من موضعه . ثم انه أمر بعد ذلك بضرب عنقه ، فتقبل الحاجب المخلص الحكم راضيا ، حتى قالت الرواية انه قال لمن حوله : لا تظنوا اني أجزع من الموت ، بل انه وعدمه أنه يفتح يده ويملقها ثلاث مرّات بعد ضربه . ويريد الرواية أن تضي على الرجل المستسلم لعظم سيده هالة من هالات القديسين أو أصحاب الخوارق ، تتناسب مع ما نزل به من العذاب ، فنقول : انه عمل ما وعلاه (٤١٤) . ولم يكنف إبراهيم بذلك بل انه قتل أيضا أخوة ابن الصمصامة وقرابته (٤١٥) .

عامل الخراج :

وفي السنة التالية (٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) أكتى عهد فيها إبراهيم بن أحمد بولاية المظالم الى أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، عرض ديوان الخراج على سوادة الصرائي شريطة أن يدخل في الاسلام . ولما جرى التردد انتمس الحظ على القول انه ما كان له أن يدع دينه من أجل رياسة بناتها ، أمر به فقطع نصعين ، كما تقول الرواية ، ثم صلب (٤١٦) .

الطبيب الخطير : خبير السموم :

والظاهر أن أخلاق إبراهيم بن أحمد أخذت تزداد سوءا مسح ما كان يعرض له خلال حكمه الطويل من المتاعب ، ففي سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م التالية ، تقول رواية ابن عذاري : انه قتل كثيرا من أهل الريفية بطرا وشهوة ، أي بدون جريرة ارتكبوها . وكان ممن راح ضحية الأمير ، الذي أصبغ سوداوى المزاج : اسحق بن عمران المتطبب ، المعروف بـ « سيم ساعة » ، لأنه كان خبيرا في تحضير السموم القاتلة - والذي كان ولا شك يزود الأمير بها ، كذلك السم الذي دس لابن طالب القاضي بعد عزله وسجنه ، فتضى

(٤١٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٣ : وتضيف الرواية أن إبراهيم خبير بالملك فتى من قلب الرجل ، وراى منطرا عجيبا إذ كان القلب قائما في الكبد ، ولله خسرات نابتة كثيرة .
(٤١٥) التويرى ، المحفوظ ، ج ٢٢ ص ١١٩ .
(٤١٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٢ :

هل الرجل من قوره في رجب سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م (٤١٧) .

والظاهر أن ابراهيم تملكه نوع من الخوف من ذلك الرجل التي يستطيع تدمير مثل هذا السم النافع الذي يجلب الخوف لساعته ، فأمر به تقتل وصلب (٤١٨) . وفكرة التشهير بالطبيب المخوف عن طريق الصليب تعني أن الرجل كان مكروها من عامة الشعب ، ان لم يكن في الامر روة من ترات الأمير القريب الأطوار .

الفتى الحاجب :

وفي نفس هذا العام راح الحاجب الجديد لابراهيم ، وهو فتح الفتى ، ضحية انزال عقوبة الصرب به بالسياط حتى الموت (٤١٩) . وذلك بعد أقل من سنتين من قتل الحاجب السابق ابن الصمصامة . ثم انه ولي حجابته الحسن بن نافذ ، وأضاف اليه عدة ولايات ، كما يقول النويري (٤٢٠) ، ومنها امارة صقلية - وهو الأمر الذي لا يعرفه - ومن حجاب ابراهيم . أحمد ابن محمد بن حمزة الحروري الذي كان مقدما عند الأمير ، ولو أننا لا نعرف تاريخ ذلك (٤٢١) .

فتيان الصقالية ، وعلم النجوم :

والحقيقة أن مقتل فتح الحاجب لم يكن الا مقدمة لما قسام به ابراهيم ابن أحمد ، في نفس السنة ، من التخلص من جميع فتياه الصقالية . وهي ذلك تقول الرواية انه كان كثير الاصحاء الى قول المجيب والكهنة (٤٢٢) - وهو الأمر الذي شاع في بلاط الخناء والأمراء ، منذ ترحلت السياسة اليونانية ندية الى العربية ، وكانت نحوى بصوحنا عنا يلزم الملك في سياسته من م النجوم . وكان المنجمون قد قالوا ان ابراهيم يقتله رجل ناصح

(٤١٧) عن ابن طائب وصدره في السج ، انظر فيما سبق ، ص ١٣٠ .

(٤١٨) ابن عسار ، ج ١ ص ١٢٢ . وقارن الحلة السراء ، ج ١ ص ١٧٣ - حيث ينقل البركري (انظر ص ٢٧ وقارن الاستصار ، ص ١١٦) ان اسحق الطيب هذا ، هو اللقب سب اليه بطريق اسحق ، والاطريفل دواء مركب فيه بعض الهلجيات ، وتراد به الأناوية حسب الحاجة . انظر ص ١ في المصنف الصلحة لصاحب مؤسس .

(٤١٩) ابن عسار ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٤٢٠) النويري ، ج ٢٢ ص ١١٩ .

(٤٢١) انظر الحلة السراء ، ج ١ ص ١٨٧ .

(٤٢٢) ابن عسار ، ج ١ ص ١٢٢ .

العقل ، وأنه يمكن أن يكون فتى من خدامه .

وعى هذا الطريق تملك ابراهيم نوع من الخوف المرضى من فتياته ، فكان اذا رأى احدا منهم فيه حركة ونشاط وحدة ، وهو يتنقل سيقا ، قال : هذا هو صاحبى ! فيقتله . وتضيق الرواية الى ذلك أنه لما قتل من فتياته ساعة وقع بقلبه أنه قد استفسد اليهم ، فضمه الحذر منهم الى قتلهم . فقتلهم في هذا العام (٤٢٢) .

استخدام السودان :

وبدلا من الفتيان الصقالبة ، احاط ابراهيم بن أحمد نفسه بحاشية من الفتيان السودان (٤٢٤) . وكان ابراهيم قد بدأ يهتم بشراء العبيد السودان ، ولا يأس في أن يكون ذلك تقليدا لما رآه من جند العباس بن أحمد بن طولون ، الذى كان يتكون في معظمه من الرجالة السودان - رغم استخدامهم لدى الأغلبية منذ أيام ابراهيم الأول . وتقول رواية النويرى ان عدد السودان الذين اشتراهم بلغ مائة ألف رجل ، أحسن تدريبهم وكساحم ، والزهم بياهم ، وأنه جعل عليهم قائدين منهم ، هما : ميمون ورأشد (٤٢٥) ، فكان كلا من الرجلين كانت له قيادة خمسين ألفا . وأغلب الظن أن الرواية تبالغ كثيرا في هذا العدد الذى يمكن انقاصه الى العشر . فهذا ما ترجحه رواية تالية تقول ان عدد تيسانه من الحرس السودانى كانوا ٥ (خمسة) آلاف أسود (٤٢٦) . وهكذا فائنا نشك فيما يقوله ابن عذارى ، من : أن ابراهيم عاد وعرض له من السودان ما عرض من العتبان الصقالبة ، ففعلهم اجمعين (٤٢٧) .

(٤٢٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٣ . وانظر النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٩ أ : حيث تقول الرواية « ان سبب قتلهم هو ما بلغه من أن جماعة من الخدام الصقالبة يريدون قتله ، وقتل أمه فقتلهم من آخرهم . وقتل بناته بعد ذلك . والاشارة الى محاولة قتل أمه هنا تعنى ان السيدة والدة الأمير لم تكن تكتفى بحياة الحرير بل كان لها دورها في الحياة العامة .

(٤٢٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٣ .

(٤٢٥) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٣ ص ١١٩ أ .

(٤٢٦) النظر فيما بعد ، ص ١٣٦ وما ٤٤٠ .

(٤٢٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٣ .

هدبة عرب بلزمة :

المسار الأول في نص الدولة الأغلبية :

أما ما اعتبره الكتاب بمثابة بداية النهاية بالنسبة للدولة الأغلبية ، فهو ما قام به إبراهيم بن أحمد في سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٢ م من الإيقاع برجال قلعة بلزمة جنوب غرب باغاية ، من أهل الزاب ، الذي كانوا من أبناء العرب والجنود الداخلين الى الفريقية منذ الفتح ، وكان معظمهم من القيسية ، أي من أقرباء عصبية الأغلبية : بني تميم (٤٢٨) .

فلقد كانت منطقة الزاب من المناطق غير الخاضعة تماما للأغلبية ، كما رأينا ، بسبب وجودها على طرف الصحراء ، بعيدا عن متناول حكومة القيروان ، وبسبب وجود قبائل البربر من الإباضية الذين كانوا يميلون الى اعادة تاهرت الرستمية . وفي هذه الظروف لم يكن من الغريب أن تمتنع قبائل العرب في الاقليم ، هي الأخرى ، بنوع من الاستقلال عن أمراء الأغلبية حتى أنهم كانوا يستطيعون اجارة خصوم الأمير ، كما فعل بنو مالك (٤٢٩) . ولقد حاول إبراهيم بن أحمد في سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م ، وهو التاريخ الذي يقدمه النويري لقتلهم والذي نرى أنه يتسر بداية للأحداث التي أدت الى الهدبة ، أن يحصمهم لسلطانة فسار اليهم في قواته وناوشهم بالحرب ، ولكنه عندما تيقن من استحالة التغلب عليهم أظهر العفو عنهم ورجع .

والظاهر أن إبراهيم أراد استخدام الهدبة بدلا من الحرب ، فأخذ بلاطهم ويقربهم من نفسه حتى استحباب زعمائهم الى ما دعاهم اليه من

(٤٢٨) أطر ابن عسدي ح ١ ص ١٢٢ - الذي أمدنا بتاريخه ، وهو سنة ٢٨٠ هـ / م ، النويري ، المخطوط ج ٢٢ ص ١٦٦ أ - الذي يصرح ذلك مع أحداث سنة ٢٧٨ هـ / م ، وقارن القاضي النعمان ، في رسالة النتائج الدعوة ، تحقيق وداد القاضي ، بيروت ، ص ٨٨ - حيث يقول ان حادثة بلزمة كانت قبل أي عهد الله الشيعي بزمان طويل . ان أبو عهد الله قد وصل الى بلاد كتامة في سنة ٢٨٠ هـ (أي في تاريخ ابن عسدي) فانه لانه لا يكون قبل أي عهد الله بزمان طويل ، حتى لو أخذنا بتاريخ النويري لسنة ٢٧٨ هـ ، نرى انه كان بداية للأحداث ، أي لتسرد بلزمة . وربما كان القاضي النعمان يقصد أن دقة كانت قبل ظهور سطر الداعي على الأغلبية ، أي بعد سنة ٢٨٧ هـ ، كما سنرى .

(٤٢٩) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٨٨ - حيث يحصل سبب غضب إبراهيم ابن أحمد على المزمين ، هو هروب رجل من عبيسه وانتهجه الى بني مالك ببلزمة مستعجرا بهم من ابراهيم فاساوه .

القديم عليه في رقادة . وقدم وفد أهل بلزمة وأهل الزاب (٤٢٠) ، وكانوا في بداية الأمر حوالي ٧٠٠ (سبعمائة) رجل من أبطالهم (٤٢١) ، زادوا مع مرور الوقت حتى أصبحوا نحو من ١٠٠٠ (ألف) رجل (٤٢٢) - ولا ندرى أن كان إبراهيم اعتبر هؤلاء كرهائن لديه أم أن ذلك كان نوعا من الاتفاق فيه وبين عرب أهل الزاب . لذا تقول الرواية انه أنزلهم معه في رقادة في دار عظيمة تصفها رواية النويري بأنها كانت كالفندق ، بينما يقول ابن عذاري انه بناها خصيصا لهم وانها كانت تشتمل على عدد من الدور ترجع كلها الى باب واحد (٤٢٣) .

وعندما شعر ابراهيم أن القوم سكنوا واطمأنوا ، بعدما اجراء عليهم من الرزق الواسع والخلع السنوية ، جمع ثقات رجاله لاخذ أرزاقهم ثم أمرهم بصاحبة ابنه عبد الله (ابي العباس) للقضاء على اليلزميين المنهكين في الاستتاع بمباحج الحياة ، في فندقهم الكبير . وذات صباح ياكز أصحاب بالحدريين جند ابراهيم من السودان ، ولكنه - رغم المفاجأة - لم يستسلم الغرب الأشداء ، بل امتنعوا وداقموا عن أنفسهم من الصباح الى وقت العصر - وكانت النهاية المحتملة مقتلهم جميعا ، عن آخرهم (٤٢٤) . والظاهر انه يحق للكتاب القول أن ذلك كان سبب انقطاع دولة بني الأغلب ، إذ كان أمسل بلزمة القيسية ، وهم من العرب الخنص البلديين الذين استقروا في افريقية منذ وقت فتحها يذلون ، وهم في موقعهم الاستراتيجي من بلاد الزاب على السفح الشمالي لاوراس ، قبائل كتامة ، ويتخذونهم حولا وعبيدا ، ويفرضون عليهم العشور والصدقات . فكان الذي صنع ابراهيم بن أحمد مما أنقذ كتامة من تلك الذلة ، وأوجد لهم السبيل الى القيام مع الشيمي (٤٢٥) .

(٤٢٠) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . افتتاح الدعوة ، ص ٨٨ .

(٤٢١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٤٢٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . افتتاح الدعوة ، ص ٨٨ .

(٤٢٣) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٣ . النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . ولان نتائج الدعوة ، ص ٨٨ - حيث يقول انه أنزلهم برقادة في مكان ادار عليه سووا ، وجعل عليه بابا يارب فندق اليلزميين .

(٤٢٤) انظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٢ .

ولان افتتاح الدعوة ، ص ٨٨ حيث يقول ان السيد اصحابوا باليلزميين ليا .

(٤٢٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٢ . وانظر

لتتاح الدعوة (ص ٨٩) - حيث يقول ان شاعرا شيبيا من أهل كلفة ، هو محمد بن عثمان كان في حياية بني مالك اليلزميين ، وكان يتحدث في اضطاع الدولة الاغلبية ، وفي اليلزميين ، =

انتفاض البلاد على ابراهيم بن احمد :

والحقيقة أن الكتاب يعطون صورة قائمة لاحوال افريقية عنت تلك المذبحة الحسيية ، في سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م ، وهو تاريخ ابن عذارى الذي أخذنا به (٤٣٦) ، اد برى البلاد وكأنها تحولت الى دولة طوائف ثانية تخصص فيها كل مدينة الى قائد من القواد أو جماعة من الناس ، فمعظم البلاد منتزعة على سلطان ابراهيم بن احمد في تلك السنة ، مما يعني أن مقدمات ذلك ترجع الى سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م ، وهو التاريخ الذي يحدده الثويرى ، مع بداية مسألة أهل بلزمة (٤٣٧) - فكان الأوضاع عادت الى ما كانت عليه أيام زيادة الله الأول (٤٣٨) .

الاضطراب يعم كل المملكة :

فلقد خرجت على ابراهيم كل ، من : تونس ، والجزيرة ، والأربس ، وصفقورة ، وباجة ، وقمودة ، في شهر رجب من سنة ٢٧٨ هـ / أكتوبر ٨٩١ م ، ولم يحتج أهل هذه الكور سكان واحد ، بل قدموا على أنفسهم رجالا من الهند وغيرهم ، كما حدث على عهد زيادة الله الأول ، فأقام كل رئيس منهم مكانه . وتصر الرواية هذا الخلاف بجور السلطان ابراهيم الذي أخذ عبيدهم وخيلهم ، مما ترتب عليه : أن صارت افريقية عليه تارا موقدة ، ولم يبق بيده من الأعمال الا الساحل الشرقي الى طرابلس (٤٣٩) . وأمام هذا الموقف الصعب اضطر ابراهيم الى أن يخندق على نفسه في رقادة ، فحفر حولها حفرا ، ونصب عليه أبواب الحديد ، وجمع حوله ثقافته من الجند ، واستعان بالحرس من فتياه السودا دون غيرهم ، فحعلهم يحيطون به .

= راجع ابراهيم شعر قال به

جل المصاب لكذ كان الذى ذكره
من الف أروع كلاله قد تظفوا
حرمه حيفك كاسا أنت شاربهها
لدولة القائم المبدى قد ارت

(٤٣٦) أنظر فيما سبق ، ص ١٢٢ هـ ٤٢٨ .

(٤٣٧) أنظر فيما سبق ، ص ١٢٥ .

(٤٣٨) أنظر فيما سبق ، ص ٥٠ وما بعدها (حيث ما سبها) ملك الطوائف ،

الافريقية .

(٤٣٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ . الثويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ .

وكانوا خمسة آلاف أسود (٤٤٠) *

هدا : فرق تسد :

الدمج على التفرقة بين المخالفين :

والظاهر أن الحال استمر على هذا المنوال طوال سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م
التالية ، وإبراهيم يستشير ثقاته وأهل المعرفة في الحروب من أهل إفريقية
اجريين ، ومن ذلك ما تقوله رواية الرقيق التي ينقلها النويري ، من أن
إبراهيم بن أحمد أصغر شيخا من بني عامر بن نافع - وعامر هذا الذي
يسبب إليه الشيخ هو صاحب منصور الطيبي ، وكانت له صولة وجولة
في أعقاب ثورة منصور على أيام زيادة الله الأول (٤٤١) - وشاوره في الأمر .
وكانت نصيحة الشيخ الثمينة ، هي : أن الثوار لو عاجلوا إبراهيم قبل أن
تختلف كلمتهم فهناك شرف من أن يهزموه . أما إذا صير عليهم إلى أن
يختلفوا فسيكفونهم ما يريد (٤٤٢) . فكان الشيخ العامري كان يأمر
إبراهيم بتطبيق ذلك المبدأ الذي تجتهد روما في استخدامه قديما ضد
خصومها ، والذي أصبح أصلا من أصول السياسة الدولية ، وهو مبدأ :
« فرق تسد » *

وتضيق الرواية أن إبراهيم بن أحمد تنبه إلى خطورة نصيحة الشيخ ،
فامر ابنه أبا العباس بحجسه عنده ، لئلا يتكلم بهذا الرأي فيصل إلى
خصومه . وهكذا ، كانت مكافأة العامري على نصيحته الغالية ، هي : الحبس
بني مصر إلى العهد إلى أن تم لإبراهيم الظفر بخصومه (٤٤٣) *

إبراهيم يقضي على الثوار واحد بعد الآخر :

الجزيرة :

وهكذا مع مطلع سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م أخذ إبراهيم ينفرد بأهل كل
منطقة نائفة على حدة ، وبدأ بمنطقة الجزيرة ، جزيرة شريك ، وصفطورة ،

(٤٤٠) أنظر ابن عساري ، ج ١ ص ٢٢٢ ، النويري ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب . وابن حديد
ج ٤ ص ٢٠٣ ، حيث النص على أن إبراهيم بن أحمد « استركب العبد السودان واستكثر
مهم ببلدوا ثلاثة آلاف » .

(٤٤١) أنظر فيما سبق ، ص ٥٥ وما بعدها .

(٤٤٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب .

(٤٤٣) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب .

حيث وجه عسكره الذي انتقم من أهلها فقتل منهم خلقا كثيرا ، وأتى برئيسهم المعروف يابن أبي أحد أسيرا ، فأمر به إبراهيم فقتل وصلب - وكان هذا النجاح سبب طفره ، كما يقول النويري(٤٤٤) .

قمودة :

وعندما تحرك أهل قمودة وجه إليهم إبراهيم فتاه الحبش ميمون ، على رأس السودان ، لقاتلهم حتى انهزموا ، وقتل جماعة منهم(٤٤٥) .

تونس :

وأخيرا أتى دور تونس التي وجه إليها عسكرا عظيما ، على رأسه فتاه ميمون الحادم وساجه الحسن بن نالذ - وانتهى القتال الشديد بانهزام أهل تونس الذين قتلوا قتلا ذريعا ، ثم دخول مدينة تونس نفسها بالسيف في يوم ٣٠ من ذي الحجة سنة ٢٨٠ هـ / ٢ مارس ٨٩٤ م ، حيث انتهب ما فيها من الأموال ، كما استبيحت الذرية(٤٤٦) .

ووصل خبر دخول تونس سريعا الى الأمير ابراهيم على جناح طائر ، ومعه حبر تسيير ١٢٠٠ (ألف ومائتي) أسير من أكابر القوم إليه - وهنا بعث إبراهيم الى قائده ميمون يأمره بالا يقطع رأس أي قتيل ، وطلب إليه أن يوجه القتل محمولين على العجل الى القيروان ، حيث شق موكبهم الجنائزي الحزين الطريق الكبير من المدينة ، وهو السباط(٤٤٧) ، ليكون ذلك عبرة لمن يعتبر .

تونس مرة أخرى :

والظاهر أن اضطرابات تونس تطلبت حملة ثانية ، في مطلع سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م ، قلم بها ميمون ضد جماعاة من بني تميم ، عصبية

(٤٤٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب .

(٤٤٥) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٤ ، وقارن النويري ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب -

ويجب انقول ان ابراهيم ارسل الى قنوة صالحا الخادم

(٤٤٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٤ . النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب - ١٢٠ ا -

حيث ترويع دخوله في شهر رمضان .

(٤٤٧) النويري ، المخطوط - ج ٢٢ ص ١١٩ ب - ١٢٠ ا ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٤ .

وقارن ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٠٣) الذي يلاحظ ان ذلك لم يزل من سبيل اذ يقول : « وغير

سنة ثمانين : (٢٨٧ هـ) كثير الخويج وفرق السكار اليمم لاستقلوا » .

الأغلبية ، وغيرهم . ونفذ ميمون الأسود أوامر ابراهيم بعد انقراضها فقتل جماعة من بني تميم ، وصلبهم على باب المدينة . وعاد أكسادم المظفر من تونس وبصحبه أكابر أهلها يقدمون الطاعة للإمبر والولاء . وأستقبل ابراهيم نساء السودانى بما يليق بما حققه من النصر والمظفر ، فكساه الخنز والوشى والديباج ، وطلوقه - على طريقة الخنفاء وأمره المشرق بـ بطوق من الذهب حول عنقه ، رحله على فرس ، وأعادته من غده الى تونس(٤٤٨) ، كغائب له هناك .

اتخاذ مدينة تونس مقرا لابراهيم :

والحقيقة أن ابراهيم بن أحمد عندما أعاد ميمونا الى تونس فى اليوم التالى لتكريه على ظفروه ، كان قد قرر أن يجعل مدينة تونس واقليمها يشعرا بالهكومة الأغلبية ، وبوطاة الأمير عن قرب ، إذ أمر فتاه الحبشى بأن يبني له ، على وجه السرعة ، قصورا لسكناه ، ومسكن لتزول حرسه وحاشيته(٤٤٩) .

والظاهر أن اعداد المساكن الأميرية فى مدينة تونس لم يستغرق وقتا طويلا ، مما يرجح أنها اشترت شراء أو اخذت أخذا ولم تبين ، وذلك أن ابراهيم بن أحمد خرج من القيروان ، فى طريقه الى منازل الجديدة يوم ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٢٨١ هـ / ٢١ اغسطس ٨٩٤ م ، بأهل بيته وجميع عواده ، ووصل الى تونس انتى استوطنها ، فى ٦ رجب / ١١ سبتمبر(٤٥٠) -

ابراهيم بن أحمد يشدد قبضته على البلاد :

المعهد الى أبنائه بولاية الأقاليم :

ولكى يزيد ابراهيم بن أحمد فى توطيد الأمن والاستقرار فى البلاد ،

(٤٤٨) ابن عسلى ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٤٤٩) النظر التويرى ، المحفوظ ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ، وانظر خلوص ابن خلدون (ج ٢

ص ٢٠٣) -

(٤٥٠) انظر التويرى ، المحفوظ ، ج ٢٢ ص ١٢٠ - حيث تاريخ الخروج ٢٤ من

جمادى الأولى ، ولكننا جعلناه جمادى الثانی حتى يتفق مع تاريخ ابن عسلى (ج ١ ص ١٢٩) الخاص بالاستيطان فى تونس . وهو ٦ رجب . بمعنى أن الرحلة استغرقت نحو من عشرة أيام ، وهو الأمر المتصور .

قرّر في السنة التالية ، وهي سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م ، أن يعهد بولاية اقليم افريقية الى ابنائه ، حسبما يقوله رواية ابن عذارى القنصبة ، التي لا تمدنا بتفصيلات الموضوع ، مما كان يمكن أن يكون مفيدا للدراسة (٤٥١).

هل أدت النقلة الى تونس أغراضها ؟ :

العودة الى رقادة :

والحقيقة أنه اذا كان ابراهيم بن أحمد قد أراد من وجسوده بمدينة تونس أن تشمر المعلقة الدائبة الاضطراب بوطاة حكومته ، وتركن الى الهدوء والسكينة ، والظاهر أن تونس المتطرفة بعيدا ، على شاطئ البحر وعن قلب البلاد ، لم تكن مهيأة بمد للدور الذي كانت تقوم به قرطاجنة قبل الاسلام . فمركز الثقل في افريقية كان في الدواخل ، على كل حال ، حيث تجمعات القبائل الكبيرة من العرب والبربر . وكانت منطلق القيروان حتى ذلك الوقت حيز مركز يسكن السيطرة منه على أطراف البلاد . هذا ، اذا تركنا جانبا جو الصحراء الصحي الجاف ، في القيروان ، والقصر القديم ، ورقادة - الى جانب القصور الملكية الفاخرة ، وموآجل الماء العظيمة ، التي كانت لا تحرم المقيم هناك من منظر البحر الساكن ، ونسيمه الرطب .

وهكذا لم يكن من الغريب ألا يقيم ابراهيم بن أحمد في تونس - التي ستظل عاصمة ثانية للمملكة - الا أقل من سنة ونصف سنة . وذلك أنه بقرار العودة الى رقادة في مطلع سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م ، فغادر تونس في ١٠ من المحرم / ٢٩ فبراير . هذا ولا يمنع ذلك من أن يكون سبب عودة ابراهيم ابن أحمد الى رقادة هو اضطراب الأحوال في اقليم طرابلس - كما سنرى - بسبب تهديد قبائل يوسنة الاباضية . أما ما تقوله رواية النويري من أنه كان يريد محاربة ابن طولون في مصر (٤٥٢) ، فهو أمر بعيد الاحتمال ، وأن كان من حق ابراهيم أن يتمنى الثأر لما فعله العباس بن أحمد بن طولون من التهجم على بلاده .

الأحوال تلتد بالانفجار في اقليم طرابلس ، والحسلافة تعتج على سياسة.

ابراهيم العنيفة في تونس :

والهم هو إن ابراهيم كان قد أخرج ابنه أبا منصور أحمد الى

(٤٥١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٤٥٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٤ ص ١٢٠ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣ .

طرابلس (٤٥٣) ، ليكون واليا عليها حسبما قرره في العام السابق (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) ، وذلك بدلا من محمد بن زيادة الله ، ابن عمته ، الذي كان معروفا بالادب والظرف ، والذي كانت له بعض المؤلفات من الكتب . واذا كان من الممكن أن يكون ابن محمد بن زيادة الله في حكم طرابلس من أسباب عزله ، فقد كان هناك سبب أقوى من كل الأسباب لسخط ابراهيم عليه ، وهو أنه كان مرشحا لتولي الإمارة في ذلك الوقت . فمنعنا ارسنل الخليفة المتضد الى ابراهيم يصفه على طلبه ونسوه فعله بأهل تونس ، كان من بين ما كتبه له : « ان انتهيت عن اخلاقتك هذه ، والا فسلم العسل الذي بيدك لابن عمك محمد بن زيادة الله » (٤٥٤) .

قبائل نفوسة الإباضية في القليم طرابلس تلقف ضد ابراهيم :

هذا ، ومع ان النصوص القروانية لا تشير الى السبب الذي من أجله وقعت قبائل نفوسة ضد ابراهيم بن أحمد في طرابلس ، فلا بأس من أن تكون أعمال الظلم والفسوة التي لحقت قبائل الريفية من اميرهم المنيف ، ومنهم قبائل الإباضية ، مثل : هواة وأهل الزاب ، هي التي جعلت إباضية نفوسة وطرابلس يهبون محتسبين ضد الأمير الأغلب ، تماما ، كما فعلوا مع الطولوني عندما تجرأ سوادنة على كشف الستور وهتك الحرم في طرابلس (٤٥٥) .

هذا ، واذا كانت الرواية الإباضية تخطئه عندما تقول أن الخليفة الغياثي هو الذي سير ابراهيم بن أحمد من المشرق للقضاء على امامة الرستميين ، في تاهرت (٤٥٦) ، فلا بأس أن يكون وقوف ابراهيم ضد الإباضية بأوامر من الخلافة . ولا بأس أيضا في أن يكون ابراهيم قد سار لحرب نفوسة ترضية للخليفة المتضد الذي كان يهدده بالمزل بالأمس القريب .

أبراهيم يسير بنفسه لقتال نفوسة :

وقعة مانو (٤٥٧) :

وعلى كل حال ، فقد خرج ابراهيم بن أحمد من رقادة التي لم يمكن

(٤٥٣) التويري ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٤٥٤) ابن عدي ، ج ١ ص ١٢٩ . وقول السهري ، ج ١ ص ١٨٩ .

(٤٥٥) الفز فيا سبق ، من حلة الغياث بن أحمد بن طولون ، ص ١٢٤ وهو ٣٩٣ .

(٤٥٦) انظر ابن زكريا ، المخطوط ، ص ٢٢ - ٢٠ . ولما بعد في تاريخ الرستميين .

ص ٢٨٧ -

(٤٥٧) عن الوقعة انظر في تاريخ الرستميين ، فيما بعد ، ص ٢٨٧ .

فيها الا شهرا وبعض شهر ، في ٢٤ من صيف سنة ٢٨٣ هـ / ١٠ أبريل ٨٩٦ م ، بمساركه متتبعا خطى ابيه احمد الذي كان قد سبقه الى هناك من تونس . وكان ابراهيم في منتصف الطريق بين قابس و طرابلس ، في موضع يعرف عند كتاب الاباضية بـ « ماو » عندما اعترضته قبائل نفوسة في منتصف ربيع الأول / ٣ مايه ، في جمع عظيم يقدر بحوالي ٢٠ (عشرين) ألف رجل ، لا فارس معهم ، ومسعوه الجواز (٤٥٨) .

قتال عظيم ، وانتقام هروع :

ولم يكن أميرنا - الذي عرفناه حاد المزاج ، سريع الغضب ، لا يعرف الحدود عندما يطلق الصان لنأره وانتقامه - ممن يتردد في مواجهة مثل هذا التحدي . وادا عرفنا ان اباضية نفوسة الخوارج كانوا يقومون ، في مثل قيامهم هذا ، احتسابا لوحه الله ، من أجل تغيير المنكر واحقاق الحق ، أدركنا بنوع القتال العظيم الذي وقع بين الطرفين . ولقد بدأت المعركة الشديدة بتفوق مؤقت للخوارج ، الذين عرفوا بشدة اندفاعهم عند بدء القتال ، حتى قتل ميمون الخادم - حامل الطوق الذهبي - وجماعة ممن معه من فتيان السودان . ثم ابرمت نفوسة ، وتمادى انبراهيم الى طرابلس ، وابراهيم يتبعهم بالقتل الذريع ، حتى شاطئ البحر الذي احمر ماؤه من دماهم ، كما تقول رواية الثوري (٤٥٩) .

وتنسب هذه الرواية الى ابراهيم بن احمد ، وهو الخير بمثل حلمه للذابح ، أنه قال : لو كان هذا القتل لله لكان اسرافا . ولكنه عندما علم من بعض رجاله ان من مذهبهم تكفير على ابن ابي طالب ، ولما تأكد له من مشايخهم صدق رأيهم هذا ، بل انهم يكفرون من لم يكفره ، انتقم ممن وقعوا في الاسر منهم انتقاما رهيبا . فتقول الرواية : انه كان يقدر اضلاع الرجل منهم من تحت منكبيه ، ويطعنه بالحربة ويحنيب قلبه ، وأنه جعل ذلك بيديه ب ٥٠٠ (خمسمائة) رجل دفعة واحدة (٤٦٠) .

وتقول رواية ابن عذارى التي تجعل تلك الحادثة وقعة ثانية ، في نفوسة ، في السنة التالية (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) : ان ابراهيم أمر أن تنظم

(٤٥٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٩ ، الثوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ .
(٤٥٩) الثوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ . وانظر خلاصيل الخوارج من وجهة النظر المغيبة-الاباضية فيما بعد . ص ٣٩٠ . حيث يقال ان الاباضية فقدوا ١٢ (اثني عشر) ألف قتيل ، منهم ٤٠٠ (اربعمائة) عالم قلبه . ومن طوق صيرون الذميين . انظر فيما سبقه ، ص ١٢٩ .

(٤٦٠) الثوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ نو .

قرب هؤلاء الرجال في حبال ، وأن تنصب على باب توسس (٤٦١) .

قتل والي طرابلس : محمد بن زيادة الله ، وإشاعة الرعب في الإقليم :

ومن محررة نفوسة سار إبراهيم إلى طرابلس حيث ارتفع بان عيشة الأديب الطريف ، محمد بن زيادة الله ، صاحب التوايف ، الذي سبق أن رشده الخليفة ليل عرش إفريقية بدلا منه : وكان إبراهيم كثير الحسد له ، من حبه ، على علمه وأدبه - كما تقول الرواية - فقتله وصلبه (٢٤٦) .

والظاهر أن إبراهيم بن أحمد أراد أن ينقن أعداءه في منطقة طرابلس ذرعا لا ينسوه ، فتقول رواية ابن عذارى انه نهض من طرابلس إلى تاروغا ، شرقها ، حيث قتل بها خمسة عشر رجلا ، وأمر بطبخ رؤسهم ، وهو يظهر أنه يريد أكلها ، هو ومن معه من رجاله (٤٦٣) - وهي القصة الأسطورية التي نجد لها شبيها في فتح الأندلس على يدي موسى بن نصير ، والتي يقصد بها بث الرعب في قلوب الخصوم .

اضطراب العسكر :

ولقد أتى هذا العمل الشاذ بنتيجة عكسية ، كما تقول الرواية ، إذ ارتاع أهل العسكر منه ، وقالوا : قد خولط ، فانفض الناس عنه . هذا ، ولو أن الأقرب إلى المنطق هو ما تقوله رواية النويري ، من أن كثيرًا من أصحابه ضجوا من مسيرته الطويلة حتى تاروغا ، ففروا عائدين إلى إفريقية ، ولم يبق معه الا أقل من النصف منهم ، وأبه لما رأى ذلك عاد إلى رقادة (٤٦٤) .
رئيف رواية ابن عذارى أن إبراهيم بن أحمد مرضت عقوبة مالية على كل من

(٤٦١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٠ . ولا كانت الرواية لا تنص على إن المصود بباب تونس هو باب القيروان ، المعروف بهذا الاسم ، مما قد يعني باب تونس المدينة ، حيث كان يعيش إبراهيم منذ فترة صغيرة ، فإن علم التحصين هذا قد يوصى بوجود نوع من الربط بين قيام الإفريقيين ضد إبراهيم بن أحمد في طرابلس ، وبين ما قام به من تونس من أعمال العنف والقسوة التي بلغت حد النهب واستباحة الأعراس .

(٤٦٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٩ .
والحلة السوداء ، ج ١ ص ١٨٠ - حيث الإشارة إلى رواية تقول إن الخليفة كان يقاتل بينه وبين أسلاف إبراهيم وحسن أخلاق عامله على طرابلس محمد بن زيادة الله ، ثم ذكر رواية أخرى التي تنص على أن الخليفة رشح محمد بن زيادة الله للإمارة بدلا من إبراهيم .

(٤٦٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٤٦٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب .

انفض عنه ، مقدارها ثلاثين ديناراً ، وأن هذه العرامة سُميت « شرم
الهارين » (٤٦٥) .

نوع من الرقابة الشعبية :

شيخ صالح يأمر ابراهيم بالمعروف :

ولا نعرف ان كانت تلك العرامة التي فرضها ابراهيم على العازين من
عسكره ، أم العظائم القصصية التي أنزلها بأعدائه في طرابلس ، هي التي
دفعت الشيخ الصالح أبا الأحوص المكعوف الى أن يأمره بالمعروف وينهاه عن
المكر ، في كتاب خطى أملاءه على بعض أهل سوسة ، بلده ، وبعثه اليه -
وكان في بعض فقرات الكتاب : « يا فاسق ! يا جائر ! يا خائن ! قد حدثت
عن شرائع الاسلام ، وعن قريب تعانق مقعدك من جهنم ، وسترد فتعلم » -
وتنص الرواية على أن ابراهيم عذر الشيخ المكعوف : لدينه وفضله ، ولكنه
هدده بقتل عدد من أهل سوسة ان لم يبعث اليه بمن كتب له الكتاب . وكان
رد الشيخ الصالح هو دعوة ابراهيم من جديد الى التوبة ، والرجوع عن
الجور . والمهم في الرواية بعد ذلك : ان الله حفظ أبا الأحوص من انتقام
ابراهيم ، فمات الرجل الصالح في نفس السنة ، وهي سنة ٢٨٤ هـ /
٨٩٧ م (٤٦٦) .

هل حققت دعوة الشيخ الصالح غرضها ؟ :

ومع أن الويرى فيما ينقله عن الرفيق يمهى أعمال ابراهيم بن أحمد
بأحداث طرابلس ونعوسة ، في سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، ليختتم بعد ذلك
هداه باعتزاله الملك وزهده ، بعد ثلاث سنوات ، أي في سنة ٢٨٧ هـ /
٩٠٠ م ، فإن ابن عذاري يشير الى عدد من الأحداث التي وقعت في افريقية
لال تلك الفترة . مثل : سحقه من جديد ، في سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م ، على
أمة من فتيانه وقتلهم (٤٦٧) ، ووقمة أوقعها أحد أبنائه ببعض القبائل
بنى بلعيط ببسكرة ، وقراره للامور هناك (٤٦٨) ، ثم حملة أخرى قام

(٤٦٩) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٠ -

(٤٦٦) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٠ -

(٤٦٧) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣١ -

(٤٦٨) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣١ - سميت بقول الرواية لأن بطلها للوقمة هو (نساء

أبو الساس) الذي كان في صلابة وتنتد . وأهلب الظن أنه أبو عبد الله .

بأن ابنه أبو عبد الله في الزاب ، في سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠٦ م (٤٦٩) . وذلك قبل أن تاتى توبة ابراهيم في سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م .

تحليل جديد من الخلاف : مقامة للاعتزال :

رواية المويرى تبدأ باعتزال ابراهيم وزهده متقدما سنتين عن مواعده ، وذلك بالبده بالمقدمات التي تتعلق باستمرار تدخل الخلافه لغير شئون الفريقيه ، نتيجة لسوء سياسة ابراهيم مع رعيته ، وهو الأمر الذي يبدأ بتهديد المعتضد لابراهيم ، كما رأينا ، بالعزل في سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ (٤٧٠) .

في سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م قدم من بغداد على الأمير ابراهيم رسول الخليفة المعتضد بالله . ومن الواضح أن ابراهيم بن أحمد كان مقيما في مدينة تونس ، وذلك أنه خرج لاستقبال رسول الخليفة في السبخة قرب تونس ، حيث ضرب له سراق (قارة) أسود اللون ، أي بشعار الخلافه .

وخلا رسول الخليفة بابراهيم ، وكان بينهما محاوره شفهيه ، إذ لم يأت المبعوث الخلفي بكتاب محرر ، وذلك أن الخليفة كان قد أرسل مبعوثه بسرعة وعلى غضب ، بعد أن أتت شكاوى أهل تونس تنرى على ديوان الخلافه في بغداد . وكان من بين شكاوى أهل تونس ما قرروه من أن أميرهم ابراهيم عندما سبى بناتهم ونساءهم ، أهدى منهن الى الخليفة نفسه ، وهو الأمر الذي أثار سخط المعتضد على واليه الجري الذي لا يكتفى بنفس يديه في شكر ، بل يورط الخليفة بنفس يديه هو الآخر فيه .

وتنص الرواية على أن الخليفة أمر رسوله بأن يطلب من ابراهيم بن أحمد اعتزال الحكم ، وتولية ابنه أبي العباس على الفريقيه ، ثم المسير مع الرسول الى بغداد للقاء الخليفة (٤٧١) .

ورغم ما تقوله رواية النويرى من أن ابراهيم كره المسير الى بغداد بصحبة الرسول ، وأنه قسر الاعتزال ، وأظهر الزهد ، وأنه ولي ابنه-

(٤٦٥) آيين طبرى ، ج ١ ص ١٢٦ .

(٤٧٠) انظر كما سبق ، ص ١٤١ وما بعدها .

(٤٧١) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٢ ص ٣٠٤ .

أيا العباس - وكل ذلك كرد فعل مباشر للقاء بمبعوث الخلافة (٤٧٢) - فالمعروف أن ذلك تطلب بعض الوقت ، ربما بسبب وجود أبي العباس في صقلية - ومع أن ابن عذارى يصح توبة ابراهيم بن أحمد في سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م ، وهي نفس السنة التي بدأت بخروجه إلى صقلية ، فالأقرب إلى الواقع أن تكون توبة ابراهيم بن أحمد في أواخر سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠٢ م ، بعد أن تأمل في موقف متباين أهل افرريقية منه ، مثل : أبي الأحوص الصالح السدي ويعطه بالخشن من الكلام ، وخشيته من موقف الخلافة العدائي منه - وأخيراً ربما كان الدافع الحقيقي إلى توبته واستقامته ، هو نجاح دعوة أبي عبد الله الشيعي في بلاد كتامة .

نجاح أبي عبد الله الشيعي واعتزال ابراهيم بن أحمد :
وإذا كان من المقبول أن يكون من أسباب توبة ابراهيم عن أعمال الظلم ، هو النجاح الذي حققته الدعوة الفاطمية في كتامة ، على يد أبي عبد الله الشيعي ، فإنه ليس من المقبول أن يكون ذلك هو السبب في اعتزاله الحكم ، كما تكرر الرواية الفاطمية المنقبة في أكثر من موضع (٤٧٣) .

والذي لا شك فيه أن أميرنا ، الذي عرف بحدة المزاج ، ما كان يرضى بأن يكون اعتزاله نوعاً من الانسحاب من ميدان القتال ، وتركه للدعوى الفاطمية ، الذي كان بعد ، في نهاية أمره . وهذا ما تعترف به الروايات الفاطمية ، فحينما ، عندما تقول إنه لم يرغب في قتال الداعي لأنه - هو نفسه كان يتشيع -

وإذا كان أبو عبد الله الداعي قد دخل إلى بلاد كتامة سنة ٢٨٠ هـ ٨٩٣ م ، على عهد ابراهيم بن أحمد ، مما جعل ابن عذارى يتخذ هذه السنة بداية لقيام الدولة الشيعية (٤٧٤) . وأن أمره كان قد عظم قسماً - في اقليمه - وقتما اعتزل ابراهيم سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م ، فقد كان

(٤٧٢) الورى . المخطوط . ج ٢٢ ص ٣٢١ .

(٤٧٣) انظر انتاج الدعوة للامام الممان ص ٨١ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٢١ - والحديث ان الممان يقول ان ابراهيم بن أحمد كان لا يرغب في قتال أبي عبد الله الممان لعله من قبالة صاحب المولا التي كويل الأغالبة ، بل وكثيف إلى ذلك ان ابراهيم كان يتشيع من أهل بيته ، وقارن ابن حنبلون ، ج ٤ ص ٢٤٠ - ٢٠٥ - وانظر في الدعوة الفاطمية لها بعد ، ص ٥٣٦ وج ١١ .

(٤٧٤) البيان لابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٤ .

فوات ابراهيم في ميله وسطيح تستطيع ان ترده ، ومن معاً من كثافة
بعيدا عن أسوار كل من المدينتين (٤٧٥) -

والحقيقة انه جللا كان ابراهيم في الحكم ، لم تتخذ الدعوة الفاطمية
بعادا خطيرة - أضف الى ذلك أن توبة ابراهيم واعتزاله لم يكن تخليا عن
مسئوليته كحاكم ، وخاصة كحارب : فهو قد ترك قتال الثوار في افرقية
ليقاتل « الكفار » في أوروبا . ولكل ذلك نرى أن تحويل ابراهيم للقوات
الإغلبية الى صقلية ، في الوقت الذي كان يعظم أمر أبي عبد الله الشيعي
كما ينص على ذلك الكتاب (٤٧٦) ، كان من الاسباب التي خفت الوطأة
عن الداعي ، وبالتالي كانت من أسباب المساعدة على صعوده ، ثم نجاحه .
وكل ذلك عن غير قصد من ابراهيم بن أحمد ، الذي فضل أن يهب نفسه
للجهاد -

توبة ابراهيم :

وهكذا يدل استقرأ الأحداث على أن جانب الخير عند ابراهيم بن أحمد
بدأ يتغلب على جانب الشر ، منذ سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م ، أي بعد ذلك البقاء
العاصف مع رسول خليفة بغداد - في السنة السابقة -

للقدر أطهر ابراهيم التسوية ، ورفض الملك ، وليس الحشن من
السياب (٤٧٧) - وأراد أن يرضى العامة ويستميل قلوب الخاصة بفعله (٤٧٨) ،
نأمر بأخراج من في سجنونه (٤٧٩) ، ورد المظالم ، وأسقط القبالات
(المكوس) ، وأخذ العشر طعاما - بدلا من الضريبة المالية الثابتة ، التي
اعتبرناها اصلاحا - وترك لأهمل الضياع خراج سنة ، وسماها سنة
العدل (٤٨٠) ، وبينما كان ينتظر عودة ابنه أبي العباس ، وكان قد هبت اليه
بالرجوع من صقلية ليسلمه الملك (٤٨١) ، تطرف ابراهيم بن أحمد في عمل

-
- (٤٧٥) انظر فيما بعد ، الفصل الخامس بالدعوة الفاطمية ، ص ٥٦٠ وما بعدها .
(٤٧٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، ابن عسار ، ج ١ ص ١٢٦ ، ابن خلدون ، ص ٢٠٥
(حيث الصن على أن ابراهيم كان « قد أسر لابنة أبي العباس في شأن الصبي ربهام
من محاربه وإن يخلق به الى صقلية ان ظهر عليه) .
(٤٧٧) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ أ -
(٤٧٨) ابن عسار ، ج ١ ص ١٢٦ .
(٤٧٩) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ أ -
(٤٨٠) ابن عسار ، ج ١ ص ١٢٦ .
(٤٨١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ أ -

البر والورع ، فأعتق مماليكه ، وأعطى فقهاء القبروان ووجوه أهلها أموالاً عظيمة ليفرقوها في الضمفاء والمساكين . ويعلق صاحب الرواية - وهو مصدر الرقيق في أغلب الظن - على ذلك فيقول : إن تلك الأموال استؤكلت وأعطيت من لا يستحقها ، وأنفقت في اللذات ، وصرفت في الشهوات (٤٨٢) .

الاعتزال والعهد لأبي العباس :

وعندما وصل أبو العباس ، ولي العهد ، من صقلية ، في أواخر سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م (٤٨٣) ، سلمه أبوه الملك في ٢٢ ربيع الأول سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ مارس م (٤٨٤) ، وبدأ هو في الاستعداد للخروج إلى صقلية مجاهداً .

وفاة إبراهيم بن أحمد في إيطاليا :

وتقول الرواية إن إبراهيم بن أحمد فكر في أول الأمر في الحج عن طريق مصر ، ولكنه خشى أن تنور الحرب بينه وبين بنى طولون ، فتسفك الدماء بينهما . وبناء على ذلك فانه قرر الجهاد في صقلية ، مما يعني أن الجهاد - في نظر رجال ذلك العصر - كان لا يقل عن الحج ، إن لم يزد عليه . وهكذا فقد أخذ طريقه من رقادة إلى سوسة ، أرض الرباط وبيناه صقلية العسكري . وفي جنوب إيطاليا يتولى الأمير إبراهيم بن أحمد يوم ١٦ من ذي القعدة سنة ٢٨٩ هـ / ٢٢ أكتوبر ، ٩٠٢ ، بعد أن قام بأعمال مجيدة لم يكن أقلها استيلاؤه على مدينة طبرمين في صقلية (٤٨٥) .

شخصية إبراهيم وتقويم عهده :

هكذا توفي إبراهيم بن أحمد وله من العمر حوالي ٥٤ سنة ، بعد حكم دام أكثر من ٢٨ (ثمانية وعشرين) سنة (٤٨٦) .

(٤٨٢) ابن عسار ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٤٨٣) انظر ابن عسار ، ج ١ ص ١٢٢ . الذي يضمها في شهر ربيع الأول ، وذلك الأحداث التي يذكرها تحت سنة ٢٨٧ هـ ، وهي التي حدث فيها اللقاء بين رسول الخليفة راهيم .

(٤٨٤) انظر الرحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٤ . حيث النص على أن إبراهيم بن أحمد كتب نأيا ولاء فيه عهد ، وصحب إليه خاتمه روزنامة .

(٤٨٥) انظر فيما بعد في فتوح صقلية ، ص ٢٨١ وما بعدها .

(٤٨٦) الدروري ، المغرط ، ج ٢٤ ص ١٢٢ ب - موكده يوم الأضحي سنة ٢٢٥ هـ /

٢٥ يونية ٨٥٠ م ، وكان عمره ٥٢ سنة . و ١١ شهرا وأياما . أما ولايته فكانت ٢٨ سنة =

ما بين الجائر والصلح العادل :

ولقد حفل ملكه الطويل ، بالجهاد في صقلية ، والعتن الداخلية ، وأعمال العمران العظيمة ، والإصلاحات الإدارية والمالية الرشيدة - كما ملأه ، على المستوى الشخصي ، بأعمال الخير والشر على السواء - حتى اختلفت الآراء في تقييمه ، كما يحدث بالنسبة لكبار الرجال - فإبراهيم ، في نظر النقباء والصلابين : جائر ظالم - وهو عند ابن الأثير : خير صلح عادل ، وعند الرقيق - الذي ينقله ابن عذاري وأنويري - . وسط بين الخير والشر ، له سطحاته الحمودة والمرذولة في كلا الجانبين .

وأخيراً انه لم يكن من الغريب أن تنقل أحداث الحكم الذي طال الى أكثر من ٢٨ سنة ، وهو الأمر غير المعتاد بين أمراء الأغالبة ، كإهل إبراهيم ابن أحمد ، حيا وميتا - ولكن الذي لا ينبغي أن يغيب عن ذهن الدارسين ، هو ما يجب من التفرقة بين أمور الحكم العامة ، وشؤون الأمير الخاصة - ولو أن الأمور العامة كانت تختلط بشؤون الأمير الخاصة في ذلك النوع من الحكم الذي كان سائدا في تلك العصور ، والذي يصنف حاليا في طبقة الحكم الفردي ، كما يقال - والذي نراه : هو أن ابن الأثير نظر الى عهد إبراهيم ابن أحمد من وجهة النظر العامة .

وإبراهيم من هذا الوجه : مجسد ، مجتهد من يوم ولايته التي بدأها بحرب أهل القصر القديم ، الى يوم وفاته بميدان الجهاد في صقلية وإيطاليا - والرجل ، وإن عرف بحدة المزاج ، فقد كان راجع العقل تواقا الى القيام بجيليل الأعمال ، في ميادين السياسة والعمران .

في أعماله العمرانية : تأمين الطرق وبناء المحارس :

وهكذا ، فإذا كانت رواية الرقيق تشهد له خلال السنوات السبع الأولى من عهده (٤٨٧) غني شهادة جيدة لإبراهيم ، ترجع شهادة ابن الأثير الذي يضيف الى عدله وحزمه في أموره ، وعقله ، وحبه للخير والاجساد ،

١٦٠٠ شهر ١٢٠ يوما - ولان ابن علقمى ج ١ ص ١٢٢ ، الذي يجعل مولده يوم الانجى من سنة ٢٢٧ - ٨٤٨ م - لتكون وفاته وعمره ٥٢٠ سنة . . .
(٤٨٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٢ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٣ ب .
واظن فيما سبق ، ص ١١٤ .

وحسن سيرته ، وفطنته ، أنه قتل أهل البنى والمساد ، « وكان القوا والتجار يسرون في الطرق آمين » (٤٨٨) .

وإذا كانت رواية ابن الأثير تبالح عندنا بقول انه : « بني الحصد والمحارس على سواحل البحر ، حتى كان يوقد النار من سبته فيصل الخبير الاسكندرية في الليلة الواحدة » ، مما يعني أن نموذ ابراهيم السياسي متدا بين طنجة والاسكندرية ، فهذا الامر غير صحيح . وإذا كان ذلك في أن النضام بين المسالح والرباطات البحرية على طول سواحل البحر المتوسط من الاسكندرية الى جبل طارق كان أمرا واقعا ، فهو الأمر المحتم أما ما هو حقيقي ، فهو ما تؤكد الرواية من أن العرب كانوا يستخلمون في ذلك الوقت المبكر من القرن ال ٣ هـ / ٩ م ، الاشارات الضوئية المحاطب بين المحارس البحرية ليلا ، وهي الطريقة المعروفة حاليا بـ « اشارات مورس » ، التي تستخدمها السفن في التخاطب فيما بينها - اليوم .

ما بين الامور العامة وشئون الأمير الخاصة :

أما ما تقوله رواية الرقيق من أن التغير طرأ على أحوال ابراهيم بن أحمد - مسد تعرضت بلاده الى غارة العباس بن أحمد بن طولون ، وأنه لما كفى مؤ حرص على جمع الاموال ثم اشتد أمره ، فأخذ في قتل أصحابه وكفاته وحجا ثم قتل ابنه وبنااته ، وأتى بأمور لم يأت غيره بمثلها (٤٨٩) ، فإن هذه الرواية تحلط بين الامور العامة وشئون الأمير الخاصة .

(٤٨٨) أنظر ابن الأثير سنة ٢٦٦ هـ ، ج ٧ ص ٢٨٦ - حيث تستبره عطلة الأمير ابرا ابن أحمد العظيمة التي اظهر خلالها « المملات » - وذلك في قصة امرأة عجوز كاسية تمردت قصر الأمير وتمزق عند أهل القصر بالصلاح . وكيف انها استجابت لنزوة طرأت للوزير عن اثنين زوجة تاجر من أهل الفيوان ، فاحتالت المجرور حتى وصلت الى بيت الزوجة العظيمة وكلمات احسانها بالاستيلاء على حليها - وتروى القصة كيف استجاب الأمير لشكوى التاجر وكشف حيلة المرأة ، وانقم منها بقتلها ، ثم كيف آفه دبر التخلص من الوزير بعد ذلك والحقيقة أن اهتمام ابن الأثير بتلك القصة ، وإن كان يخرج عن نطاق التاريخ العام ، ا ويبين حروما من التاريخ الخاص بالأمير ابراهيم ، مما يمكن أن يلقي بالاشوا على حليقة ما يحاك حول الرجل من الامرات - والتي وإن ظهرت صغيرة فإنها تعطي إدود قسلة المعنىة من الشارقة .

(٤٨٩) التويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٢ ب -

فحرص ابراهيم بن أحمد على جمع الأموال ليس من الأمور التي تؤخذ
عليه ، وان جرت العادة بأن يضح الناس ، من العامة والخاصة ، من جباية
الفرائب التي سماها الفقهاء في كثير من الأحيان يد « المفسارم » ،
و يد « المظالم » .

مستبد مصلح : أثر الإصلاحات المالية :

والحقيقة أن الدولة الأغلبية كانت منذ نشأتها في حاجة الى الأموال
للانفاق على الجيوش ، وبناء المدن الملكية ، والمساجد الكبرى ، والمنشآت ذات
المنافع العامة ، من : المسالح والمحارس والرّبط ، وصهاريج الماء والقناطر ،
وغيرها . ومن أجل تنظيم ميزانية متوازنة لا تخضع لتقلبات الطقس والجو ،
أو لزاج زعماء القبائل ، كانت محاولات الأغلبية في تقرير ضرائب ثابتة
لنخراج ، تدفع نقدا ولا تؤخذ عينا من ناتج المحصول حسب النسبة المثوية
المقررة ، التي كانت تزيد وتقل تبعا لزيادة المحصول ولقضاءه . وهذا
الأمر كان يعتبر من جانب الفقهاء خروجاً على الشرع ، وكان عامة الناس
يستجيبون ، بطبيعة الحال ، الى مقالة الفقهاء ، ويعتبرون ذلك نوعاً من الجور
والظلم .

وفي هذا الإطار التنظيمي ، قام الأمير ابراهيم بإصلاحاته النقدية التي
استهدفت اقرار النظام العشري - وهو النظام السائد الآن - ولا اعتبار لما
ترتب على ذلك من الأصداء في أسواق القيروان ، وبين أهل العاصمة . ولقد
تبين تفهم ابراهيم بن أحمد لأحوال العامة في رده اللين على مقاومة أهل
القيروان لذلك الإصلاح النقدي حتى مر في هدوءه (٤٩٠) . وتوضح حسن
سياسة ابراهيم اذاه الشعب وعامة الرعية مما يقال من أنه كان يعرف أن
الرعية هم مادة الملك ، فإن أباح ظلمهم لم يحصل اليه نفعهم ، ولحقه
الضرر (٤٩١) .

عنف في سبيل هيبة الدولة :

أما عن عنفه مع المخالفين لأوامره ، من : كبار رجال الدولة ، ومن
الدم وأهل الحاشية ، أو وقوفه بصلابته وشدة ضد الخارجين على دولته ، من :

(٤٩٠) انظر فيما سبق . من ١٢٦٦ وما ٤٠٩ .
(٤٩١) التلويح ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٣ .

القواد أو زعيه القبائل ، فلا يفسره الا حرصه على أن تكون كلمته ، أي كلمة الدولة ، هي الأولى والأخيرة . فلقد علمته التجارب أن ذوى الأقدار والأموال اذا أحسوا من أنفسهم قوة ، ولم يجمعوا ، لم يؤمن شرهم وبطرحهم . وأنه اذا كف الملك عنهم وأمنوا ، دعاهم ذلك الى منازعته واعمال الحيلة عليه (٤٩٢) .

وفي اطار هذا المبدأ السياسى ، الذى يعنى أن سلامة الدولة - أي سلامة الأمير - فوق كل اعتبار ، يمكن أن تفسر ذلك الجموح الذى ظهر منه فى قمع الثورات والقضاء على المتسببين فيها دون رحمة أو شفقة ، وكذلك تلك الشطحات التى ظهرت منه فى حق ابنه أبى الأغلب ، أو أخوته الثمانية الذين لم يتردد على سمك دمائهم ، وان كان بشئ من الغلظة التى لا تتفق مع ما لرابطة القرابة والدم من الحرمة (٤٩٣) . ومثل هذا يمكن أن يقال عن بعض ما أوقعه بفتيانه وحرمة وقرابته ، من القتل والتعذيب والتنكيل .

أسرار القصور ، واثرها على نفسية الأمير :

هذا عن بعض ما كان يحدث تحت شعار أمن الدولة وسلامة هيبتها . أما عن البعض الآخر ، فان استقراء النصوص يمكن أن يدل على مسائل حساسة مما كان يمس أعماق خصوصيات ما كان يجرى بين فتيان البلاط ، وفى أجنحة الحریم فى قصور الأمير .

والدة ابراهيم : شخصية عارمة تقبح فى ظل الأمير :

فكثير من قصص العنف التى كان يطلها ابراهيم بن أحمد ، كانت فى الحقيقة من قصص الحریم ، وكان يطلها الحقيقى شخصية أخرى ، كان لها مقامها الكبير فى قلب الأمير ، وهى : « السيدة الوالدة » أمه .

الوالدة تعمل فى التجارة ، والأمير ينصف المتعاملين معها :

ويظهر من النصوص أن السيدة والدة ابراهيم كانت ذات شخصية عارمة . ، وان نفوذها لم يكن يحده نطاق الحریم ، بل كان يتعداه الى خارج حوائط القصر وورقادة ، فى : معاملات تجارية مع أصحاب القوافل وكيسار

(٤٩٢) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ - من ١٢٢٣ - ١٢٢٣ هـ .

(٤٩٣) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٢٤ . ابن عسارى ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

التجار . هذا ما يصحح من قصة الرجلين القرويين اللذين أتيا إبراهيم
ابن أحمد ، وهو بنقصورة المسجد الجامع في القروان ينظر الى المظالم «
لمنلما أدناهما من نفسه ، وسألها من حالها ، قالا له : كنسا شريكين
، للسيدة ، - يعنيان أمه - في جمال وغيرها ، فاحتسبت لئسا ٦٠٠
(ستمائة) دينار . ولم يظهر الأمير الحاد المزاج - عادة - آية علامة من علامات
الاستغراب ، بل أرسل خادما يسأل والدته عن الأمر . ورجع الخادم يخبره
على لسانها : نعم ان الأمر ، كما ذكرنا : « الا أن بينى وبينهما حسابا ، وإنما
احتسبت هذا المال حتى أحاسبهما : فان بقى عليهما شيء ، والا فدعيت
مالهما اليهما » .

ولا ندرى ان كان الأمير قد أعجب بوالدته التي تحسن ادارة الأموال ،
وتدقق في حساب شركائها من التجار أم لا ، وذلك أن رد فعله المباشر
كان قسما ، وجهه الى والدته الصعبة في معاملاتها ، ينص فيه على أنها ان
لم توجه بالمال الى أصحابه ، فانه سيجعلها تقف في الترو واللبظة مسح
خصيها بين يدي صاحب المظالم : عيسى بن مسكين . ولكنه بعد أن وجهت
« الوالدة » بالمال اليه ، فدفعه الى الرجلين ، لم ينس أن يقول لهما : « أما
أنا فقد أنصفتكما فيما ادعيتما ، فاذهبا ، واقتطعا حسابها ، والا فاتنسا
أعلم » (٤٩٤) .

وأغلب الظن أن الرجلين عادا الى السيدة الوالدة يطلبان منها السماح
فيما فعلاه من شكواها الى ابنها الأمير ، وحصولهما على مالهما ، مع التمهيد
بمراجعة الحساب في الوقت الذي تشاؤه السيدة .

دعوة المتظلمين الى مجلس الأمير :

وفي إطار هذه الصورة من العدل والانصاف ، كان إبراهيم يجلس
ولده ورجاله يأمرؤن عبيدهم ورجالهم بالطواف في يوم الخميس في الأزقة
والفنادق يسألون ان كان هناك شك أو متظلم ، من : عبد أو وكيل . « فاذا
وجدوا أحدا أتوا به الى دار ولد الأمير أو قرايته فينصفه » (٤٩٥) .
مأسى الحرير ومسئولية الوالدة وغيرها من النساء :

وان من كانت هذه سيرته في العدل في الرعية ، وهي السيرة التي

(٤٩٤) انظر الويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ .

(٤٩٥) الويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ ب .

يتوه بها ابن الأثير كثيرا ، كان من الغريب أن يقتل بناه الستة عشر جارية :
اللاتي ربهن ، السيدة ، أمه حفية عنه ، خشية ، عليهن حتى بلغن مبلغ
الشباب (٤٩٦) ، ثم الوصيفتين المهنيتين الموسيقيتين اللتين قدمتهما له
والدقة - عندما دخل عليها في بعض الأيام ، فأحضرت له الطعام فأكل وشرب
وانبسط لثأنتسن بهما (٤٩٧) -

فمثل قصص الحرير هذه ، مما شاركت فيه الالدة ، قد لا نستطيع
الحكم فيها لإبراهيم بن أحمد أو عليه ، طالما خفيت علينا أسرار تلك القصور
المجبية ، التي كان يتردد عليها العجائز من النساء اللاتي يتظاهرن
بالفضيلة والصلاح ، ولا يترددن في المشاركة في مغامرات نسائية ، يساهم
فيها الوزير ، ويكون القصد منها غواية بعض الجميلات من نساء تجار
القيروان ، مما كان يسيط إبراهيم بنفسه اللثام عنه ، ويجزى المشاركين
فها بأقصى العقوبة - مما لمت انتباه ابن الأثير (٤٩٨) .

مثل هذه القصة الحساسة التي كانت تحاك أطرافها في قصر الأمير ،
إلى جانب قصص فتیان واحداث كانت تدور في القصور ، ولحسة نسيجها

وسداته أمور انحرافات مما يدور في المجتمعات المحللة (٤٩٩) ، وخاصة
عندما يتجمع الرجال وحدهم ، كما كان حال العتيان والخدم ، وكما كان حال
النساء وحدهن في مجتمع الجوازي والحاديات أو في أجنحة الحرير - فمثل
هذه الأمور الحساسة هي التي يمكن أن تفسر ردود فعل غير انسانية ، مما
كان يقوم به إبراهيم بن أحمد ، مثل : البناء على المذنبين حتى الموت جسوعا
وعطشا ، أو غلق أبواب البيوت الساخنة في الحمامات عليهم إلى أن يموتوا
خنقا (٥٠٠) . وغير ذلك مما قيل انه لم يفعله أحد قبله .

لقيم أخير : خطيئة عصر :

والحقيقة أن الخطيئة لم تكن خطيئة إبراهيم بن أحمد ، بل كانت خطيئة

١٣٣ - ١٣٣ .
١٣٣ (٤٩٦) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ ب - ١٢٤ ا . ابن عذاري ، ج ١ ص

(٤٩٧) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٤ ب -

(٤٩٨) انظر نيسا سق ، ص ١٥٠ - ٤٨٨ .

(٤٩٩) انظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٤ ا .

(٥٠٠) انظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٤ ا .

هصر أو مجتمع بأسره . ونخص منه مجتمع القصور . وسواء في القصر القديم الذي بناه إبراهيم الأول ، أو في قصور رقادة التي بناها إبراهيمنا الثاني . فهذا المجتمع الذي كان غارقا في النهو والشراب وحياة الحريم ، لم يكن وحده . فقد كان شديد الصلة بمجتمع القيروان المجاور حيث مسجد عقبة الجامع ، وحيث العلماء والفقهاء والميادين والزهاد والنسائك ، من كانوا قدوة في حيمن السيرة ، وجميل الأخلاق . وكان لاجتماع أهل الدين والتسبك هذا أثره على مجتمع القصور اللاهي : حيث كان يوجسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

تمزق بين الخير والشر :

هكذا كان الأمير مزقاً بين الحياة المترفة ، إن لم نقل الفاسدة ، التي كان يحياها ، وبين ما كان يستمع إليه . من الدعاء إلى التقوى وعمل الخير . وكان تمزق الأمير هذا يظهر واضحا ، عندما يجد نفسه مضطرا إلى المعاقبة على مفاسد من نوع التي كان يسمح لنفسه بارتكابها ، فكانت تأتي السلطات المستغربة في القسوة غير المعتادة . ولا بأس في ذلك ، فأخلاقيات ذلك العصر - بل وربما كل العصور - كانت تسمح للأمير بما لا يسمح هو به لغيره من الناس ، ولو كان - في بعض الأحيان - أقرب الناس إليه ، وتلك هي الانانية أو هي الأنا أولا ، وربما ، وأخيرا أيضا .

وهكذا يكفي إبراهيم بن أحمد أن شهد له الكتاب خلال سنوات حكمه السبعة الأولى - وهي تساوى عهدا من عهود الكثيرين من أسلافه . وإذا كانوا قد رموه بالجور والظلم بعد ذلك ، فوزره تراكم النوازل مع مرور سنوات حكمه الطويل . ثم إن كفة الميزان رجحت إلى جانبه في آخر الأمر : عندما تآب وأتاب وقام بخير الأعمال ، ثم تزهد ولبس الحشن من الثياب ، ووهب نفسه بعد ذلك للجهاد ، في مطلع سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م .

وكان إبراهيم قد سلم زمام الأمور في رقادة إلى ابنه أبي العباس بمجرد وصوله من صقلية ، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة ٢٨٨ هـ / مارس ٩٠١ م ، وأخذ هو يعد نفسه للمسير إلى صقلية . وهكذا بدأ أبو العباس عهده كمنائب للملك ، أو وصي على العرش .

أبو-العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلّب بن إبراهيم
ابن الأغلبيّة: ٢٨٩ - ٢٩٠ هـ / ٩٠١ - ٩٠٣ م :

نائب الملك : الفارّس العالم :

يمكن اعتبار عهد أبي العباس الذي لم يطل إلا إلى حوالي سنة ونصف
السنة ، استمراراً لعهد والده إبراهيم . فقد كان أبو العباس عبد الله -أحب
أبناء إبراهيم إلى نفسه ، وكان أبوه يبنيته للملك من بعده . فقد رأينا أبا
العباس يقود الحملات العسكرية في مختلف الأقاليم ، قبل أن يعهد إليه
والده بالقيادة في صقلية .

وفي أخلاق أبي العباس الذي كان أحد الفرسان ، شجاعاً بطالاً عالماً
بالحرب ، حسن النظر في الجدل ، وأستاذه في ذلك عبد الله بن الأشج (٥٠١) ،
تقول رواية الرقيق : انه كان على حواف شديد من أبيه لسوء أخلاقه ،
فكان يظهر له من الطاعة والتذلل أمراً عظيماً ، فكان إبراهيم يكرمه ، ويفضله
على سائر أولاده (٥٠٢) .

عادة النظر في أعمال الوالد الناسك :

وفي حلال العترة التي كان أبو العباس نائباً للملك فيها ، وبعد خروج
والده إلى صقلية في أوائل سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م ، طالب بإعادة الأموال التي
كان أخرجها أبوه إلى الفقهاء ووجوه الناس ليفرقوها في المساكين ، والتي
كانت قد استؤكلت في معظمها ، وأعطيت لمن لا يستحقها ، وانعقت في
اللذات ، وصرفت في الشهوات (٥٠٣) وكان يقول لمشايخ افریقیة : اغتتمتم
الفرصة في المال لمرض الأمير أبي ، ومنيبى عنه ، فرجح معظم المسائل
وعلا (٥٠٤) .

(٥٠٢) النويري ، المخطوط ، ح ٢٢ ص ١٢٥ ب ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ج ٧
ص ٥٢٠ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٤ .
(٥٠٣) أنظر النويري ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب ، ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، الحلة السيرة ،
ج ١ ص ١٧٤ ، ابن الطبطب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ص ٣٦ - حيث النص على أن إبراهيم
ولاه عهده وصير إليه حاتم ووزراءه ، وكتب له بذلك كتاباً مشهوراً .
(٥٠٣) أنظر فيما سبق ، ص ١٤٨ وهـ ٤٨٢ .
(٥٠٤) ابن عسّار ، ج ١ ص ١٣٢ .

وهكذا عادت السنة قسماً إلى سنة بطور ، بعد أن كانت سميت سنة القتل - عندما رقع إبراهيم خراج الضياع عن أصحابها (٥٠٥) - وقد أمر أبو العباس بتغييرات فن ولأيات الأقاليم ، فعزل من أحب وكفى على الفور من أحب (٥٠٦) . فلقده عهد أبو العباس بولاية قضائه القيوان إلى محمد ابن الأسود الصديقي ، وجعل إليه الأحكام والنظر في المال وجباة الأموال ، فكانت الصديقي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وعن قضائه يقال إنه كان قويا فيه ، شديدا على رجال السلطان ، رفيقا بالضعفاء والمظلومين . ولما لم يكن الرجل واسع العلم ، فإنه كان يشاور العلماء ، فلم يقطع حكما إلا برأي ابن عبيدوق القاضي ، ولكن الصديقي لما كان ممن يظهرون القبول بغلق القرآن ، فإنه كان مكروها من العامة (٥٠٧) .

وفي خلال السنة هذه بدأت قوات أبي عبد الله الشيعي تظهر في بلاد الزاب وما حوالها ، حتى أنه نجح في أخذ مدينة ميعة ، مما جعل أبا العباس يسير إليه أخاه أبا عبد الله المشهور بالأحول وبأبي حوال (٥٠٨) ، الذي استعاد ميعة ، وأنزل هزيمة مريرة بالداعي ، كادت تتحول إلى كارثة . هذا ، ولو أن الأحول سوف يهزم في السنة التالية ، ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م ، أمام قوات أبي عبد الله الداعي ، وهو ما سنعالجه بشيء من التفصيل في الفصل الخاص بالدعوة العاطمية (٥٠٩) .

أبو العباس أميراً :

ومع دخول سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م ، وقبل أن يصل إلى أبي العباس خبير وفاة والده في صقلية ، وكانت في ١٦ من ذي القعدة من العام السابق ٢٨٩ هـ / ٢٢ أكتوبر ٩٠٢ م ولا بأس أن يكون قد وصله خبر مرضه الشديد

(٥٠٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ - ويضيف ابن عذارى أنها سميت أيضاً بسنة النجوم نظراً لتساقط النجوم في شهر ذي القعدة وقارن افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٩٢ - (من سنة النجوم ٢)

(٥٠٦) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٢٢ .

(٥٠٧) التزويري ، المخطوط ٢ ج ٢٢ ص ١٢٥ - ١٢٥ هـ .

(٥٠٨) لأنه كما ذكره ميعة لما أطال النظر ، كما خص رواية ابن الأثير (سنة ٢٩٦ هـ) ، وقارن ابن كلثوم ، ج ٤ ص ٣٠٥ . والأثرية تنص على أن الذي حرق أبا العباس من أربيل . في حوال القتال الشيعي من فتح بين يحيى أمير ضلالتهم من كمينة الذي كان قد لجأ إلى الأثرية الأثري بعد قتال مرير مع الداعي - وأنظر فيما بعد ، ص ٥٦٠ .

(٥٠٩) أنظر فيما بعد ، ص ٥٥٩ - ٥٦١ ، في ٥٦٣ روما ، يديها .

... كتب الى العمال ليأخذوا له البيعة ، على أن أباه فوض اليه الأمر ، وتحمل له عين الملك ، واشتغل بالعبادة (٥١٠) . وكتب الى العمال كتاباً يقرأ على العامة ، يدهم فيه الاحسان ، والعدل ، والرفق ، والجهاد (٥١١) .

أبو العباس يتنسك بدوره :

وعندما وصل أبا العباس سناً وفاة والده من صغيرة ، تغيرت احواله . وفي ذلك تقول الروايات : انه أظير التقشف ، ولبس الصوف ، وأظهر العدل والاحسان والامصاف والجلوس على الأرض ، وجالس أهل العلم وشاورهم . ولم يسكن أبو العباس قصر أبيه في تونس ، ولكنه اشترى داراً مبنية بانطوب مسكنها ، وكان لا يركب الا الى الجامع (٥١٢) .

والظاهر أن الشاب الذي كان يخشى أباه خشية عظيمة ، والذي كان يظهر له من الطاعة والتذلل أمراً عظيماً ، أصيب بصدمة نفسية ، كما يقال ، عندما عرف نبأ وفاة والده ومثله لأعلى ، مما يدل على أن خشيته لوأله وتذلل له لم يكن عن خوف ورهبة ، كما قال الرقيق ، بل عن حب عتيق ، وتقدير في موقع القلب عظيم . وفي ذلك دارت هبهات القوم تقول . ان أهل النجوم أمروا أبا العباس بذلك ، أو انه الملت به وسوسة (٥١٣) .

وشاية بولي العهد : زيادة الله ، تسهي بحبسه :

وسى الى علم أبي العباس ، عن طريق بعض الوشاة ، أن به زيادة الله الذي كان في صحبة حده عندما توفي من صقلية ، والذي آلت اليه قيادة

(٥١٠) ابن عسار ، ج ١ ص ١٢٢ . وقارن افتتاح الدعوة (ص ٩٢) حيث وفاة إبراهيم بن أبي القاسم .

(٥١١) ابن الأثير في سنة ٢٨٩ ج ٢ ص ٧ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٥) .
(٥١٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ، ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ ج ٥ . وانظر افتتاح الدعوة (ص ١٤١) حيث يقول القاضي النعمان أن أبا العباس : « عند تلقيهم وتواضع لهم ، وجلس في المسجد الجامع لظلاماتهم على حبير ، ونصب دفة بين يديه . جداً كما ينسب النعمان . لي أبي العباس انه أراد أن يسترضي العامة من المالكية . فنزل قاميه الحمى محمد الصديقي الذي كان يقول يخلق القرآن واستنقى بدلا منه حساس ابن مروان الهمداني ، الذي كان مالكياً . والحقيقة ان ذلك تم على عهد زيادة الله ، كما يأتي (وانظر افتتاح الدعوة ، ص ١٤٦ - ١٤٧) .

(٥١٣) ابن عسار ، ج ١ ص ١٢٤ .

المسكر هناك ، يتوى الخروج عليه ، واعتقد أبو العباس في الوثنية ، وأرسل
إلى أخته يستحثه على القدوم عليه بجنس ، فلما قدم عليه زيادة الله في ٢٠
من جمادى الآخرة سنة ٢٩٠ هـ / ٢٠/ مايو ٩٠٣ م قبض عليه ، وأخذ ما كان
معه من المال والتمتاد ، وجبته في بيت داخل - دارنة ، هسو وبعض
رجالها (٥١٤) .

مقتل أبي العباس بأيدي فتيانه :

وكان أبو العباس عندما فعل ما فعله من حبس ابنه زيادة الله كمن
سعى إلى حتفه بطلقه ، فبعد شهرين وأيام من سجن زيادة الله ، وذلك في
يوم الأربعاء ٢٩ شعبان / ٢٨ يولية ، دخل أبو العباس إلى الحمام ، ثم أنه
خرج للراحة في دار خالية ، والظاهر أن الرجل الذي عرف بأنه كان شجاعا
بطلا ، عالما بالحرب (٥١٥) ، كان يعيش في حالة شك وخوف من حوله ،
أن لم تكن به وسوسة ، كما قال بعض الناس . - وذلك أنه استلقى على سرير
خزيران ، وقد وضع سيفه تحت رأسه ، ولم بعد أن أخرج كل من كان في
الدار باستثناء فتيين من فتيانه الصقالية ، كان يثق فيهما . وبينما تقول
رواية النويري أن زيادة الله هو الذي أغرى عددا من خدم ، الده لينتالوه (٥١٦) ،
فلا بأس من الأخذ برواية ابن عذارى التي تقول أنه عندما نام أبو العباس ،
تأمر الفتيان على قتله ، لتكون فرصة لهما يساعدان فيها زيادة الله على
الملك ، ويفوزان بالحفرة عنده . وبعد أن نفذ الجريمة ، مضيا إلى حيث كان
زيادة الله محبوسا ، وأعلماه بمقتل والده . ولكن يتأكد من أن ليس في الأمر
مكيدة القيا إليه بالرأس ، ثم أتيا إليه بحداد كسر قيديه (٥١٧) .

وهكذا انتهى عهد أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بأغتياله .

-
- (٥١٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٤ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ، ١ ، وأشير
إلى الأثر ، سنة ٢٨٩ ، ج ٧ ص ٥٢١ ، الذي ينص على أن أثير سبب حبسه لانه زيادة الله
ما بلنه قنه ، وهو في سلفية ، من اعتكاه على اللهب وانما شرب الخمر (ابن خلون ،
ج ٤ ص ٢٠٥) .
- (٥١٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب ، وفي النسخ التي كاله عن حروبه في
سلفية انظر فيما بعد (من سلفية ، ص ٢٨٠) .
- (٥١٦) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب ، ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، ج ٧
ص ٥٢١ ، المعلة المنيرة ، ج ١ ص ١٧٥ ، ابن خلون ، ج ٤ ص ٢٠٥ .
- (٥١٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٤ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ، ١ ، وأشير
إلى الخليل ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٧ .

في قصره بمدينة تونس ، في آخر شعبان من سنة ٢٩٠ هـ / ٢٨ يولي
٩٠٣ م (٥١٨) ، بعد اماره لم تطل الى أكثر من سنة ونصف سنة ، منذ عهد
اليه أبوه بالأمر ، وما لا يزيد على نصف سنة منذ استقل بالامارة بعد وفاة
والده ، قضاه بتونس . وألت الولاية الى ابنه زيادة الله الذي خرج من
السجن الى سرير الملك لكي يختم قائمة ملوك الأغالبة .

آخر الاغالبة : زيادة الله الثالث :

أبو مضر زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن
الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : ٢٩٠ - ٢٩٦ هـ / ٩٠٣ م :

ولاية ثمنها شراء القواد ، والغدر بالأعمام ، وقتل الاخوة والفتيان :

لم تتم ولاية زيادة الله الثالث بعد مقتل والده دون تدبير ، فقد كان
هناك أعمامه ممن يمكن أن يشبوا عليه ، ويسبقوه الى الامارة . وهكذا لم يعس
ريادة الله نبأ مقتل والده بل كتبه ، وأرسل الى بعض اصحابه ممن كانوا معه
في حبس والده ، مثل : عبد الله بن الصائغ ، وأبي مسلم منصور بن اسماعيل ،
ومن غيرهم نمثل عبد الله بن أبي طالب ، وسألهم المشورة .

وأشارت عليه الجماعة بأن يرسل الى أعمامه يدعوهم ، ووجوه الرجال
وانقواد ، على لسان أبيه الى القدوم عليه في دار الامارة . ويقول روايه ابن
عدارى ، التي ينقلها عن عريب بن سعد ، أنه عندما وصل أعمامه ووجوه
القوم ، دفع اليهم الصلوات ، وأخذ عليهم البيعة . ثم انه أمر أن ينسأى
بتونس (٥١٩) بقدوم من كان يبا من الجند على باب الأمير . فلما ركبوا
بأسلحتهم أمر زيادة الله بإدخالهم واحدا واحدا ، فكان الرجل منهم يبائع ،
ويعطى خمسين مثقالا اذا كان من وجوه المسكر ، أما الرجال فانه أيقسام
على يابه (٥٢٠) . ثم انه أمر في نفس ذلك اليوم بكتاب كتأب بيعته ، وبعث
به فقريه على منبر المسجد الجامع بتونس . وبذلك تمت له بيعة الخاصة
في آخر يوم من أيام شعبان / ٢٩٠ يولييه ، ثم انه أخذت له البيعة على العامة

(٥١٨) القاضي للبيان . افتتاح الدعوة ، ص ١٤٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الإجماع ، ص

٣٧ ص ٣٧

(٥١٩) ابن عثارة ، ج ١ ص ١٣٥ ، ولقد ابن الخطيب ، أصيال الإسلام ، ص ٣٣٠

ص ٣٢٠ - ٣٨١

(٥٢٠) ابن عثارة ، ج ١ ص ١٣٥ -

من أهل تونس، في نفس اليوم ، وكتب الى العمال بالبلاد بأن يأخذوا له البيعة على من قبلهم(٥٢١) . وبذلك تمت بيعة الخاصة والعامة .

ولما قرب وقت العشاء أمر بالتداه في الجند أن يوردوا صباح اليوم التالي لأخذ إعطياتهم . وبينما سمح لمن بايعه من أهل تونس ، وأعيان أجنادها بالانصراف ، فانه مظل عمومته في الانصراف عنه الى أن رحل الليل . وعندئذ نفذ ما كان أشار به عليه أصحابه ، فقبض عليهم وكبلهم وأدخلهم في مركب من نوع الشيني ، ووكل بهم بعض ثقافته ليمضوا بهم الى جزيرة الكرات ، على بعد ١٢ (اثني عشر) ميلا من مدينة تونس . وهناك ضربت رقابهم في الليلة الثالثة من شهر رمضان المعظم .

أما عن الجند الذين كانوا يترددون على باب كل يوم فانه مطلقهم ، حتى : « بردت قلوبهم وملوا الاختلاف الى داره »(٥٢٢) .

واستمرت سلسلة القتل والذبح التي بدأ بها زيادة الله الثالث ملكه ، فأمر بقتل الثقتين الصقليين اللذين قتل والده ، وأنزل بهما عقوبة للفاسدين في الأرض ، فأمر بقطع أيديهما وأرجلها ، ثم صلبهما على كل من باب القيروان وباب الجزيرة ، من أبواب تونس(٥٢٣) .

هذا وتنص الرواية على أنه لم يستثن من مذبحه أصامه أبا الأغلب : عه الزاهد الساكن بسوسة ، فقتله هو الآخر . وما يشتر عجب الكتاب ما فعله زيادة الله بأخيه أبي عبد الله الأحول (أبي حوال) ، الذي كان يقاتل أبا عبد الله الشيمي في الزاب ، فقد أرسل اليه فتاة « فتوح » الرومي في « (خمسين) فارسا يطلب منه القدوم عليه ولا يتخلف . فلما أقبل

(٥٢١) ابن عسرى ، ج ١ ص ١٢٥ .

(٥٢٢) ابن عسرى - ج ١ ص ١٢٥ . وقارن: الفوري (المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٢٥ ب - الذي يقول انه «رسل من اخوته وبني عمه ٢٦ (تسعة وعشرين) رجلا الى جزيرة في البحر يقال لها جزيرة الكرات فقتلوا في شهر رمضان من هذه السنة ، وأنظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ج ٨ ص ٢١ : حيث يقول على الجسلة انه قتل من قدر عليه من أصامه وأخوته وقارن القاضي النعمان ، الفتاح المعرة ، ص ١٤٦ -

(٥٢٣) ابن عسرى ، ج ١ ص ١٢٥ - ١٣٦ . وقارن: الفوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص

١٦٤ ب ، الفتاح المعرة ص ١٢٥ . ابن الخليل ، أصال الأعلام ، قسم ٢ ص ٤٨ .

الأحول عن طريق بلزمة - الى زيادة الله أمر به فقتل ساعة وصوله (٥٢٤) .
فكان ذلك أعظم متع عند الشيعي ، كما تقول رواية النويري (٥٢٥) . هذا ،
كما قتل ابن القياد ، اذ اتهمه بأنه هو الذي أثار على أبيه بتأديسه
وحبسه (٥٢٦) .

نتائج فاشلة لمقدمات عصية :

وهكذا ، اذا كانت النتائج عادة ما تكون منسجمة مع المقدمات ،
فالمفروض أن تكون نهاية عهد يبدأ باراقة الدماء بهذا الشكل غير الواعي ،
هو الفرق في الدماء أيضا ، وإن كان ذلك على يدى الداعي : ممثل الفاطميين
الذى أصبح زعيم قبائل كتامة .

والمهم أن أهم ما يبرز من الأحداث التي تسجلها حوليات الفريقية على
عهد زيادة الله الثالث الذي لم يطل الا الى أقل من ست سنوات ، هو
انتصارات الشيعي المتوالية على قوات الأغلبة ، وما يقع خلالها من عزل
قاضي أو تولية عامل أو وفاة فقيه . وذلك الى جانب المحاولات اليائسة في
سبيل وقف المد الفاطمي ، من : الاتصال بالخلافة ، أو تعرض الفقهاء أو
عامة الشعب على الفاطميين الشيعة ، ثم نقل مركز الدولة الى مكانه الطبيعي
في القيروان وقرقانة .

وينتهي الأمر بإياس الأمير الذي لم ينقعه انقسامه في اللهو والشراب ،
ولم يجده له ملجأ الا الهرب الى مصر ، تاركا بلاده وقصوده الى الشيعي
مودعا بغضب الشعب وبسخطه على الأسرة التي لم تستطع أن تصون النعمة
أو أن تدافع عن حماها .

احكام نظام الدولة وترتيب الدواوين :

والمهم أن زيادة الله الأخير بدأ تنظيم دولته ، التي كلفته حياة وال
المشترات من اخوته وبنى عمومته وأهل بيته ، بأن عهد لس . ا
الأولين ، وهذا : عبد الله بن الصانع ، وأبو مسلم منصور بن اسماعيل

(٥٢٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٦ ، الفتاح المعرة ، ص ٤٦ . ابن خلدون ، ج
٢٠٦ -

(٥٢٥) النويري ، ج ٢٢ ص ١٢٦ . وقارن ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ - ج ٨ ص ١١

(٥٢٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٦ .

ياهم دوايين الدولة . فكان من نصيب ابن الصائغ الوزارة والبريد ، ومن نصيب أبي مسلم ديوان الحراج (٥٢٧) . والظاهر أنه ولى الحراج بدلاً من العامل السابق ، هذيل النبطي ، الذي قتل في السنة التالية (٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) ربما بعد محاسبته على ما كان بين يديه من الأموال (٥٢٨) .

ولكى يكتسب زيادة الله تأييد الشعب ، ويرضى فقهاء المالكية عزل قاضي القيروان الحنفي الذي كان ، رغم عنيه وعضلة ، مكروها من الناس بسبب قوله يخلق القرآن ، وولى قضاء العاصمة الى حماس بن مروان بن سناك الهذلي ، الذي عرف بالورع وبعلمه بلعب مالك وأصحابه . وكانت فرصة استغلها زيادة الله فكتب كتاباً الى القيروان قريه على الناس . وفيه : اني عزلت عنكم الجافي الجلف المتبذع المتصف ، ووليت القضاء حماس بن مروان : لرافته ، ورحمته ، وطهارته ، وعلمه بالكتاب والسنة (٥٢٩) . وحقق حماس ما كان يأمله الناس فيه ، فعدل في أحكامه ، ولم يكن يهاب أحداً في ولايته ونظره (٥٣٠) .

ولكى يؤكد زيادة الله سلطانه قام في السنة الثانية من حكمه (٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) بتعيين ابنه محمد ولياً لهده ، وكانت مناسبة لأخذ البيعة له من جديد مع البيعة لولي العهد (٥٣١) .

أما عن وظيفة عامل القيروان ، فبعد أن عين فيها : علي بن أبي الفوارس في نفس سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ، عاد وعزله بأحمد بن مسرور المشهور بأخال (٥٣٢) .

الصراع ضد أبي عبد الله الشيعي : محاولات جادة بدون طائل :

وفيما يتعلق بالحرب ضد أبي عبد الله الشيعي ، فقد عهد زيادة الله

(٥٢٧) ابن عساري . ج ١ ص ١٣٦ . التبري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١٢٥ ب .

(٥٢٨) أنظر ابن عساري . ج ١ ص ١٣٦ .

(٥٢٩) التبري : المخطوط . ج ٢٤ ص ١٢٠ ب . ابن عساري . ج ١ ص ١٣٦ . ديوان
الفتح المعول . ص ١٤٦ - ١٤٧ . حيث ينسب ذلك الى أبي العباس والى زيادة الله تعتماً
بكتابه .

(٥٣٠) ابن عساري . ج ١ ص ١٣٦ .

(٥٣١) ابن عساري . ج ١ ص ١٣٦ .

(٥٣٢) ابن عساري . ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

بقيادتها - بعد قتل أخيه الأحول (أو أبي حوال) - الى قريبه ابراهيم بن أبي الأغب ، كما كرس لها المزيد من عنايته ، ولكن دون جدوى . وذلك أن أبا عبد الله ، الذي كان قد انتهى من ادخال معظم قبائل كتامة في الدعوة ، وجعلهم في شسكل جيوش نظامية حسنة التدريب ، ملتزمة بالطاعة ، أخذ يتطلع الى المدن الأعلىية غير البعيدة من بلاد كتامة ، وهو الأمر الذي فصله القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة ، بطريقة منه .

فقد أثبت المؤلف الفقيه ، في تلك الرسالة ، أنه مؤرخ من النوع الموهوب ، المطلع على بواطن الأمور - وهذا ما يفسر كيف أن الرسالة للنقبية ، أصلاً ، أصبحت المصدر الرئيسي الذي أخذ عنه كبار المؤرخين ، من المشاركة والمغاربة ، مثل : ابن الأثير ، الذي يكاد يكتفي بتلخيصها ، وابن عذاري الذي يعتمد عليها الى حد كبير ، وإن كان يضيف إليها اضافات هامة من مصادر لم تصل الى أيدينا بعد ، مما يأخذ بوجوه النظر المقابلة لرأي النعمان .

وبناء على ذلك فقد استخدمنا « افتتاح الدعوة » في الفصول التي خصصناها ، فيما بعد ، لقيام أبي عبد الله بالدعوة في بلاد كتامة والصراع مع الأعلىية . والذي يؤخذ على رواية القاضي النعمان أنها قد التزمت بحدود الدعوة الفاطمية ، لا تخرج عنها الى ما يحيط بها من أحوال الأغالبة ، والأوضاع الداخلية في إفريقية الا الى حد محدود . ولذلك فقد اقتضى المنهج أن نعرض للموضوع خلال سياق عرضنا لأحوال الأغالبة هنا ، كما يعرضها ابن عذاري ، مكتفين بالإشارة الى « افتتاح الدعوة » . وإذا كان عيب هذا المنهج أن الحقيقة التاريخية تظهر فيه وكأنها ذات وجهين ، وهذا ما لا نماري فيه - والحقائق نسبية على كل حال - فإن من محاسنه ظهور الأحكام منسجمة مع مقدماتها ، في كل من وجهي الواقع التاريخي . ويتبقى على المؤرخ استخلاص النتائج النهائية عند المقارنة بين كل من الوجهين .

والمهم أنه في السنة الثانية من ملك زيادة الله (٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) نجح الداعي أبو عبد الله في الاستيلاء على كل من مدينتي ميله وسطيف ، مما أثار الدهر في نفس الأمير الأغلبي (٥٣٣) .

التطلع نحو الخلافة شرقا ، والحسينيين في الغرب :

والظاهر أن زيادة الله أخذ يطلع الخلافة في بغداد على مجزئات الأمور في امرقبة عسى أن يخرج تلك الحرب من نطاقها المحلي ، بتدخل الخلافة التي يمكن أن تهيئ لها مساعدات من خارج الفريقية . فهذا ما يمكن فهمه مما فعله زيادة الله عندما سير ، في نفس السنة ، الحسن بن حاتم رسولا من قبله إلى الخليفة المقتدر ، يهديا وطرف (٥٣٤) ، إلا إذا كان يهدف من اتصاله بالخلافة أمرا ثانيا ، كزيادة تأكيد ملكه باقرار الخلافة له ولو بطريقة معنوية ، وهو الأمر الوارد أيضا ، ولكن في ثنايا الموضوع الأكبر ، المتمثل في الخطر الكتاني .

والذي جانب ذلك حاول زيادة الله أن يوثق صلته بالحسينيين ، وأقرب الأذلة في المغرب الأوسط ، حتى يساعده في مساومة الكتانية ، فآقر الحسن بن أبي العيش على رئاسة قبائل جراوة ، وذلك بعد وفاة والده أبي العيش (٥٣٥) . ولم تعرف قبيل ذلك أن الحسينيين كانوا يدينون بالطاعة للأغالبة .

تعبئة الرأي العام في الفريقية ضد الشيعي :

ويؤيد فكرة أن مسألة الشيعي وخطر كتامة أصبحت الشغل الشاغل لزيادة الله ، ما قام به الأمير من دعوة فقهاء الفريقية إلى حيث كان يقيم في تونس . ووصل عدد كبير من فقهاء الفريقية إلى تونس ، واجتمعوا في بيت الوزير عبد الله بن الصائغ ، ولكن بصفته صاحب الشرطة أو رئيس الاستخبارات ، كما تقول الآن . وأنباء تباحثهم في أمر الشيعي أخبرهم ابن الصائغ ، على لسان الأمير : ان « هذا الصنعاني (نسبة إلى صنعاء) الخارج علينا مع كتامة ، يلتمس أبا بكر وعمر -رضها- ويرجع إلى أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ارتدوا بعده ، ويسمى أصحابه : « المؤمنين » . ومن يخالفه في مذهبه : « الكافرين » ، ويبيع دم من خالفه في رأيه » (٥٣٦) .

وكان من الطبيعي أن يكون رد الفقهاء على مثل هذا الخبر : الطهار

(٥٣٤) ابن عدي ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٥٣٥) ابن عدي ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٥٣٦) ابن عدي ، ج ١ ص ١٢٧ .

اللعنة على الشيعي والبراءة منه ، وتحريض الناس على قتاله ، والفتوى
بجماهدته (٥٣٧) ، فكانه من الكافرين ، في نظرهم ، هو الآخر .

هدية الى الخليفة :

والظاهر ان زيادة الله كان يأمل خيرا في خلافة بغداد ، بدون ان يقدر
ما كانت تسير اليه من الضعف والوهن في ذلك الوقت . فالكتفي ولي في
سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م والقيرامطة ، اخوة الفاطميين ، يشيرون الاضطراب في
الشام ، بل وفي العراق ايضا . والمقتدر الذي ولي في سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م
انتهى به الامر أولا الى الخلع سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، قبل ان يقتل على يدي
وكيس الطرس التركي ، وان كان فيما بعد سنة ٣٤٠ هـ / ٩٣٢ م : فبعد
اجتماع العقهاء . ارسل زيادة الله هدية عظيمة الى الخليفة المكتفي ، فيها ٢٠٠
(مائة) خادم ، وخيل ، وبز كبير وطيب ، ومن اللبؤذ المغربية (كماش
صوفى غليظ) ١٢٠٠ (الف ومائتان) . وكان بضمن الهدية عشرة آلاف
درهم ، في كسل درهم عشرة دراهم (٥٣٨) ، وعشرة آلاف دينار سكت
خصيصا للخليفة ، اذ كان وزن الدينار منها عشرة مثاقيل ، اى عشرة
دنانير .

والذى قد يهنا أكثر من ذلك هو انه كتب في كل مثقال من تلك
المثاقيل بيتين من الشعر ، يقولان :

ياسائرا نحو الخليفة قل له ان قد كفاك الله امرك كله
بزيادة الله بن عبد الله سيف الله من دون الخليفة سله (٥٣٩)

فكانه يريد ان يقول للخليفة انه يقاتل الشيعي باسمه ، وتعين
راياته السنوداه . ونحن نظن انه ، وهو يقول انه يكفي الخليفة العباسي حربا
هذه في الجبهة الافريقية ، انما كان يبغى تأييد الخليفة المعتوى ، على الأقل ، اذ
لم يكن المادى - وهو التأييد الذى لا يكون الا من مصر القربية - وهذا ما لم
تفكر فيه الخلافة - نظريا فقط - الا بعد هرب زيادة الله الى مصر ، بل وبما
اخروجه من مصر ، وهو في طريقه الى بغداد (٥٤٠) .

(٥٣٧) ابن عسدي ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٥٣٨) انظر الحلة السبويه ، ج ١ ص ١٧٨ . والرواية منسوبة الى الصولي في « كفا

الرزاه » .

(٥٣٩) الحلة السبويه ، ج ١ ص ١٦٦ . ابن عسدي ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٥٤٠) انظر فيما بعد ، ص ١٨٤ .

نقل العاصمة الى رقادة : وعيبت وقت الجند :

أما أهم ما قام به زيادة الله ، من الناحية العملية ، في مواجهة الخطر
الكتامي ، فهو اعادته لمركز الدولة من تونس المتطرفة الى القيروان و رقادة ،
ليكون قريبا من مركز الأحداث ، أي جبهة القتال في الزاب ، وإن كانت
رواية الرتيق التي ينقلها التويرى تظهر أكثر تشاؤما : إذ تنسر الثقلة من
تونس الى رقادة بأخوف من أن يسير إليها الشيعي ويأخذها في غفلة من
الأفبر(٥٤١) .

ففي مطلع سنة ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤ م وصل وزير المال ، صاحب الحسراج ،
أبو مسلم منصور بن اسماعيل بن يونس الى رقادة لاصلاح التصور الملكية
بها ، ورفح ما كان قد وهي من المدينة(٥٤٢) ، كما جدد سورها(٥٤٣) .

والظاهر أن الأمر لم يقف عند الأعمال العمرانية الضرورية للسكنى
أو للدفاع عن المدينة ، إذ أنشأ أبو مسلم مركبا على الماجل الكبير المعروف
بالبحر ، وسماه بـ « الزلاج »(٥٤٤) . وفي شهر ربيع الآخر من السنة/
فبراير ٩٠٥ م ، قدم زيادة الله من تونس الى رقادة ، ونزل في قصره المواجه
للصهريج الكبير(٥٤٥) ، الذي كان يعرف بقصر « العروس » ، كما عرف
بقصر البحر ، والذي نسب امشأوه اليه ، ربما بهذه المناسبة(٥٤٦) - حتى
يستتج بالاقامة فوق ماء الماجل في ذلك الزلاج .

وهكذا لم تمنع جدية الموقف الحرج من انصراف الأمير الى التمتع
بسباحج الحياة - ولو أن ذلك لم يمنح الأمير من رقابة عماله ، وكان أول
فرائس مجيئه الى منطقة العاصمة ، هو : والي القيروان أحمد بن مسرور
المشهور بالحال ، الذي وإن لم يعزل من منصبه ، فإنه أدب فطرب ، وطوف
به بمدينة القيروان مخشبا على بقل باكاف(٥٤٧) .

(٥٤١) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٨ ب .

(٥٤٢) ابن ططاي ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٥٤٣) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب - حيث لا نزلها زيادة الله عبر سورها .

(٥٤٤) ابن ططاي ، ج ١ ص ١٢٨ - حيث تذكر الرواية القيروان بدلا من رقادة .

(٥٤٥) ابن ططاي ، ج ١ ص ١٢٨ .

(٥٤٦) الطغر تيبا سبق ، ص ١١٧ .

(٥٤٧) ابن ططاي ، ج ١ ص ١٢٨ .

الإعداد الجيى حرب الداهى :

وهكذا كان زيادة الله يجتهد فعلا فى مواجهة الخطر الذى يهدد دولته ، وكانت عودته الى القبروان علامة جيدة على صحة عزمه . فبدأ بحشد أبطال الرجال من أحرار العرب واللواتى من الجنده ، كما أخذ فى جمع السلاح والآلات الحرب . ولا شك فى أن أخبار اعدادات زيادة الله هذه ، وحشد جيش يبلغ ٤٠ (أربعين) ألف رجل(٥٤٨) ، كانت تصل أولا بأول الى أبى عبيد الله الشيعى الذى ارتاع . كما تقول رواية ابن عذارى ، وأخذ فى حشد كتابته(٥٤٩) .

موقعة حاصرة قرب قسنطينة :

ولقد التقى الجيش الكبير الذى أعده زيادة لله تحت قيادة ابراهيم ابن حيشى ، فى سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ، بحشود كتامة التى قادها الداهى ، غير بعيد من مدينة قسنطينة(٥٥٠) . وانتهت الملحمة العظيمة ، التى تطامن فيها القوم بالرماح حتى كعظمت ، وبالسيف حتى تكسرت ، بانهزام ابراهيم وجنوده الأغلبى . وتقول الرواية ان ابراهيم ورجاله لم يتنجوا الا بفضل ما تركوه من المغنم التى انشغلت بها كتامة ، من : الأموال والسلاح والسروج والمخيل حتى اغتنى أصحاب الشيعى من أول مغنمهم هذه : فلبسوا أثواب الحرير ، وتقلدوا السيوف المحلاة(٥٥١) .

وكان للإمام العاطمى عبيد الله المهدي ، السنى كان مستخفيا فى سجلماسة ، قرب وادى درعة من صحراء المغرب الأقصى الجنوبية ، حيث بنى مدارج من الحوارج الصغرى ، صبيبة من تلك المغنم ، من : الحرير

(٥٤٨) ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ ج ٨ ص ١٥ .

(٥٤٩) ابن عذارى . ج ١ ص ١٢٨ - حيث يشير أيضا الى رسالة أوضاع الداهى الشيعى الذى لم يكن له عيوان للجنده النظامى . بل كان : « يكتب الى رؤساء القبائل . فيحشدون من عليهم طاعة له ووفية فيه » . وكان الداهى يكتبهم ليم : « الموعد . يوم كذا من موضع كذا » . بينما يصرخ صراخ بين يديه . « حرام على من تخلف » . ويهدد الكيفية لم يكن يخطبهم - كما كتب لجنده - اجتمع له عليهم بما لا يحصى - ككرة . وعن تنظيم : أبى عبد الله لأهله على اظن أيضا بعدة من : الدخوة القطنية . ص ٥٥٣ . يوما بعدما .

(٥٥٠) أنظر التتاج الدرمة . ص ١٥٧ . ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ ص ١٥ .
وفى الدرمة القطنية . فيها بعد . ص ٥٦٤ وهـ ٢٩٢ : حيث تختلف الروايات فى اسم المكان فى ما بين : كبروة . وكبروة . وكبروة .

(٥٥١) ابن عذارى . ج ١ ص ١٢٨ .

والدناخير التي لا يوجد لها مثيل في ذلك البلد (٥٥٢) .

نتائج الهزيمة: معنويات متدنية في الجيش الأغلبي :

أما عن نتائج المعركة - التي وقعت في تلك السنة (٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) التي ولد فيها واحد من أشهر مؤرخي المغرب ، هبوس مجيد ابن يوسف الوراق القيرواني (٥٥٣) - فتنخست في ازدياد قوة الشيعي من ناحية ، ووقوع الوهن على أهل افريقية ، ودخول الجوزع في قلوبهم ، من ناحية أخرى (٥٥٤) . والحقيقة انه منذ تلك الوقعة أصبح الصراع بين الأغلبية وبين الشيعي ومن معه من كتامة ، عبارة عن سنسلة من الوزائم المتسالية. لمجند الأغلبي ، لا يعرف زيادة الله لها من علاج . وفي هذا المجال لم تعد يجدى حتى كتب الخليفة الواردة من بغداد ، والتي كان يبحث فيها الخليفة أهل افريقية على نصرته زيادة الله ومحاربة الشيعي ، والتي كانت تقرا في المساجد على الناس ، كما حدث بالنسبة لكتاب الخليفة المكتفي بالله الذي ورد الى القيروان في السنة التالية ، وهي سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م (٥٥٥) .

تخيط زيادة الله في اختيار الرجال :

ويتضح من تفاصيل الأحداث أن الامور اضطربت على زيادة الله الأخير حتى ضاقت به السبل ، ولم يجد من يلجأ اليه من الرجال ، في سبيل انقاذ ما يمكن انقاذه ، الا أولئك الذين كان قد أساء اليهم بالأمس القريب ، ممن كان لقلوبهم يملأ قلوبهم عليه .

فبعد هزيمة جند ابراهيم بن حبشى ، التي خسر فيها الجيش كل عتادة وأتمتته جهز زيادة الله في سنة ٢٩٣/٩٠٦ م التالية ، جيشا سيره الى الأربسي - القريبة - لمحاربة الشيعي ، وكان ثقة على رأس ذلك الجيش ، همسا :

(٥٥٢) ابن عسدي ، ج ١ ص ١٢٦ ، وقارن النتائج الدعوة ، ص ١٥٨ - حيث توجد تفصيلات والية من المعركة ، لخصنا في الدعوة الفاطمية ، فيما بعد ، ص ٥٦٥ - ٥٦٦ .
 (٥٥٣) ابن عسدي ، ج ١ ص ١٢٦ .
 (٥٥٤) ابن عسدي ، ج ١ ص ١٢٦ .
 (٥٥٥) ابن عسدي ، ج ١ ص ١٤٠ ، وقارن النتائج الدعوة ، ص ١٧٢ ، ١٧٨ ، وأظفر في الدعوة الفاطمية فيما بعد .

هدنج بن زكريا ، وأحمد بن مسرور الحال - وأحمد بن مسرور - الذي كان يشغل منصب والي القيروان ، رأيناهم يربطوا إلى خشبة ، في الستة السابقة ، وهو يطوف به في سباط القيروان بعد أن ضرب بأمر زيادة لله . أما زميله هدنج فكان زيادة لله قد نازعه في منية كانت له تصرف به « الجليدية » ، وانتهى النزاع بأن حكم القاضي - حماس بن مروان - ضد هدنج ، مما جعله يحقد على الأمير .

وهكذا خرج الرجلان بأمر زيادة لله من أجل « جهاد الشيعي » ، يوم الاثنين ١٠ جمادى الثانية/ ٨ ابريل ، وهما يضمران الحلاف . فقد رجعا بالمسكر إلى القيروان بعد ثلاثة أيام ، يوم الخميس ١٣ من نفس الشهر/ ١١ ابريل (٥٥٦) ، وهي المدة التي لا تسمح الا بالذهاب إلى الأربس والعودة عنها فقط : وإذا كان القائدان ومن معهما من الجنود قد رضوا لأنفسهم بالجبن والخنوع ، فإن ذلك حالهم يرضى به غسوغاء القيروان الذين خرجوا إليهم يدافعونهم ، ويدفعونهم دفعا إلى القيام بواجبهم ، حتى انتهى الأمر بأن كبا بمدنج فرسه ، فقتل من ساعته ، كما قتل معه واحد من وجوه عسكريه ، هو : ابن يبر ، ووصلب الاثنان في التو واللحظة على باب رقادة من أبواب القيروان (٥٥٧) -

الأربس - على أبواب القيروان - نفرا ، ومقرا مؤقتا للأمير وحشيته :

وبذلك أصبحت مدينة الأربس - على مسيرة يوم أو يومين من القيروان - وكأنها نقر إفريقية في مواجهة الشيعي ، بينما القتاله ما زال ، يعد ، بعيدا في الزاب ، حيث بأغاية وطبنة ، وإن كانتا على وشك السقوط . واضطرت زيادة لله إلى الخروج إلى الأربس ، التي صارت مركز القيادة ، حيث اجتمع الكثير من المسكر ، طمعا في العطاء وليس رغبة في القتال - ونرى ذلك تقول الرواية ان الأمير كان يعطى هناك الأموال جزافا بالصحافة فكان يعطى للرجل على الصفحة دنانير في كسائه ، ثم يحمل على فرس ، ولكنه كان يخرج لا يرى يمعا أبدا (٥٥٨) .

(٥٥٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٦ .

(٥٥٧) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٢٦ - ١٤٠ .

(٥٥٨) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٤٠ .

ما بين الجدل والهزل في مركز القيادة :

ولمى الأربيس خلط زيادة الله الجدل بالهزل مرتين معاً . فبدلاً من أن تكون مجالسه ، في القاعدة العسكرية ، متناسبة مع واقع الحال ، سمع لنفسه بمقد مجالس المناظرة . وقد لا يكون في الأمر غرابة ، لأول وهلة ، فالرواية تقول : انه عندما قدم عليه أبو يعقوب اسحق بن سليمان الأسرائيلي للتطبيب من المشرق ، بصحبة أبي الحسن بن حاتم ، رسوله الى الخلافة في سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ، عقد مجلساً للمناظرة في علوم الأرائل . وكان موضوع المناظرة ، الذي كان على المسالم القبرواني ابن حنيش المعروف بانيوناني ، مناقشته مع انطبيب الاسرائيلي الوافد من العراق ، هو : موضوع املاقة بين المدروحة والحلاوة ، من وجهة النظر الفلسفية المحضة . ولكنسه عندما بدأت المناقشة العلمية العميقة تتحد ، اتضح ان أميرنا اللامعي لا يحسن الاستماع الى مثل هذا الجدل الرافقي . فقد تملكه الضحك الشديد آنساء الجدل ، مما يحل على الظن أنه لم يكن يعقد مثل هذا المجلس الا من أجل الراحة . وهذا ما شهد به اسحق المتطبيب ، اذ قال عن مجلس زيادة الله هذا : انه قليل الوقار ، كثير اللهو (٥٥٩) .

ولهم ان زيادة الله نجح في توجيه المساكين الى باغية ، أما طيبة عاصمة الزاب فشحنها بالرجال والعتاد ، وقدم عليها حاجبه : أبا المقارع الحسن بن أحمد بن نافذ ، يماونه شبيب بن أبي شداد القسوي ، وخلافة العيسى ، وهم من المعروفين ، من أهل البسالة والنجسة ، وأمرهم بشرب الفارات من طيبة على أرض كتامة (٥٦٠) .

استيلاء المدعي على بلزمة وطيبة :

ومع أن رواية ابن عسكاري تقول ان الحسب دارت سجالاً بينه للفرطين (٥٦١) ، فان تكملة الرواية - التي قطعت بها بعض الأحاديث المعارضة (٥٦٢) . لا تدل على صحة هذا القول . ففي نفس هذه السنة

(٥٥٩) انظر تفصيلات الموضوع في ابن عسكاري ، ج ١ ص ١٤١ .

(٥٦٠) ابن عسكاري ، ج ١ ص ١٤٠ - حيث القراء : ابن ناهد بدلاً من ابن نالذ ، وشعيب بدلاً من عيب . ولقد اخذنا برؤية الصحاح المصورة - انظر فيما بعد ، ص ٥٦٥ .

(٥٦١) ابن عسكاري ، ج ١ ص ١٤٠ .

(٥٦٢) في أصل توليفة نفسه بركة الى محمد بن عبد الله المعروف بابن بيبان . ولم يتم عمله بحدود . وما كان فيه من اللطافة . ولكن لأنه كان معسوب الوزير صاحب التوريق هذا قصة

(٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م) تغلب أبو عبد الله الداعي على مدينة بلزمة ، ثم على عاصمة الزاب ، طبنة ، التي دخلها بالأمان ، في آخر ذي الحجة (٢١ أكتوبر ٩٠٦ م) . ولما كان بطبنة أبو المقارع الحسن بن أحمد صاحب زيادة الله ووالي المدينة تبع صاحبيه شيب القمودي ، وخفاجه العيسى (٥٦٣) ، فان ذلك يعني أن أهل البسالة والنجدة لم يغنوا شيئا . وحسب للكتاب أن يعتبروا القضاء على القيسية من العرب في بلزمة ، الذين كانوا يذلون كلمة ، وذلك على عهد ابراهيم بن أحمد ، بمثابة أول حليل طرا على دولة الأغالبة (٥٦٤) .

حرب العناية تسمع جنباً الى جنب مع القتال :

أبو عبد الله يلقى نظام الضرائب الأغلبى ، ويعلم العودة الى السنة في طبنة :

والظاهر أن أبا عبد الله الشيعي كان قد اكتسب قلوب الناس في الزاب ، بفضل دعايته الذكية ، مما يميلق بالسعوة الى الرجوع بالاسلام الى فقائه الأول على عهد الرسول . فهو - في طبنة - يرفض أموال جبائية العشور التي تقدم اليه ، حسب انتظام الضرائب الثالث ، على أساس أنها من المقارم ، ويقول : « انما العشر جبوب ، وهذا عيني » ، ويأمر بان يرد على كل رجل ما أخذ منه ، ويقول : « سنة العشور معروفة » (٥٦٥) . وهو يقول لمن آناه يمال الخراج . هذا مال لا خير فيه ، ولا قبالة ، ولا خراج على المسلمين في أموالهم - ثم يأمر ثقات أهل طبنة برده على أهله (٥٦٦) .

وهكذا سر به أهل طبنة ، ورجوا أن يستعمل فيهم الكتاب والسنة .

خابن الصايغ ليس الا (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٠) أو تقدم أمير يقرب اسحق بن سليمان الاسرائيل للطبنة على زيادة الله في الارنس وعند مجلس المناظرة المذكور .

(٥٦٣) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٠ ، وقارن النتائج الدعوة التي يلخصه ابن الاثير (سنة ٢٩٦ هـ) حيث الرواية التفصيلية التي لا يعيبها الا أنها غير مؤرخة . وهي تجسّل الغالبية ، فيما بينه ، من ٥٦٥ - ٥٦٦ .

(٥٦٤) انظر فيما سبق ، من ١٣٦ وهـ ٤٢٥ .

(٥٦٥) ابن علقمة ، ج ١ ص ١٤١ - وهو « يناقش في المال الآتي من جباية اليهود

(٥٦٥) ابن علقمة ، ج ١ ص ٤١ وهو « يناقش في المال الآتي من جباية اليهود والنصارى ، لأن سنة الرسول كانت نفس ما يؤخذ من الآء دوحنا . ومن المتوسط ٢٤ دوحنا . ومن القطر ١٢ دوحنا . ولا يقبله الا من ان يترك انه أشد حسب الفرق التي كان يتخلف سر - رده ، ويقول : هذا مال طيب . ويأمر أحد الأملاء بتفريقه على أصحابه .

(٥٦٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٢ .

بعن هذا الطريق ، انتشر قعله في جميع نواحي افريقية ، فتأقت أنفس
الناس اليه ، وكاتبوه ، ودخلوا في طاعته ، ، مما زاد في غم زيادة الله (٥٦٧) .

**زيادة الله يحاول اكتساب أهل قسطنطينية (تووز) برفع الظلم عنهم ، فيسيء
الى عماله :**

في هذه الظروف الصعبة لم يكن من القريب أن يستجيب زيادة الله
في مطلع سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م ، وهو في الأريس ، الى تظلم أهل قسطنطينية
من قاضيهم محمد بن مفرج المعروف بابن الشاعر ، فيكتب الي عامله هناك
بعزله وتخشيبه ورفع له الي يابه . وتقول الرواية أن كتاب زيادة الله وصل
الى قسطنطينية والعامل غالب في بعض مصالحه ، فلما تبسأد بعض القوم
الذين رذعوا عليه الى مجلس القضاء الذي كان فيه ، فسبوه وهموا بالبسط
اليه ، فأمر غلمانهم بأخذهم وضربهم ، وقيدهم وحبسهم ، ولكنه لمسا قدم
العامل ، وعرف ما في الكتاب ، ، أوثقته حديدا ، وخشبه ، ووجهه الى
زيادة الله ، فضربه بالعدة ، وحبسه ، وذلك للنصف من المحرم (٥ نوفمبر) .

ولا بأس في أن يكون زيادة الله قد أراد ألا يتقرب بهذا العمل من أهل
قسطنطينية فقط ، بل انه كان قد أتى به على أنه عمل من أعمال الخير والقربى
من الله ، عسى أن يجعل له فيه مخرجا من محنته .

محاولات لاستعادة الزاب :

ابن حبشي يخرج بقواته الى طينة :

وذلك أنه في اليوم الذي كان يضرب ابن الشاعر قاضي قسطنطينية ، وهو
حخشب ، في الأريس ، أي في ١٥ محرم سنة ٢٩٤ هـ / ٥ نوفمبر ٩٠٦ م ،
خرج ابراهيم ابن حبشي بمساركة للاقاة أبي عبيد الله الشيعي بمدينة
طينة (٥٦٨) ، وانقلب الظن أن الأمر كان مجرد صدفة . ومع أن الرواية لا
تدري بما حدث لتلك المسكرة ، هذه المسرة ، فمن المعروف أنه لم يكن
باسم حظا من المرات السابقة ، ان لم يكن قد ذهب للقائد الشيعي على
الإطلاق .

(٥٦٧) ابن عسلى ، ج ١ ص ١٩٢ .

(٥٦٨) ابن عسلى ، ج ١ ص ١٥٢ .

هرون الطيني يسير الى بلزمة :

هذا عن رواية ابن عذارى ، أما رواية القاضي النعمان ، فيفهم منها أن ريادة الله وجه جيشا آخر الى بلزمة ، وان قيادة الجيش الذي بلغت عدته ١٢ (اثني عشر) ألف رجل كانت الى هرون الطيني ، أخي زيادة الله الطيني ، والى باغاية . وكان مصير تلك الحملة هو الهزيمة . ومقتل قائدها هرون (٥٦٩) ، كما كان من نتائجها سقوط مدينة تيجس (٥٧٠) .

ومما يرجح وقوع كل من حملتي ابراهيم بن حيشي ، وهرون الطيني في نفس الوقت ، أي في أوائل سنة ٢٩٤ هـ / أوأخر سنة ٩٠٦ م ، هو اتفاق كل من ابن عذارى والقاضي النعمان في نتيجة الحملتين . فبينما يقول ابن عذارى أن زيادة الله انصرف من الأربس في تلك السنة الى رقادة ، بعد أن استخلف على الجيش بالأربس قريبه ابراهيم بن أحمد بن أبي عقاب ، وأنه بدأ بناء سور مدينة رقادة ، بالطوب والطوايى ، (٥٧١) ، يزيد النعمان تلك الرواية ابصاحا ، فيقول انه بعد مقتل هرون اغتم ريادة الله كثيرا ، وقرر الخروج بنفسه الى لقاء الداعي ، ولكنه بعد أن احتل مع أهل القيروان بالخروج الى الأربس ، عاد واستمع الى نصيح الناصحين له بلا يفعل ذلك : فهزيمته ، لو وقعت ، لئ تكون كمثل هزيمة قواده ، فرجس الى قصره برقادة (٥٧٢) .

بداية النهاية : تحصين رقادة والانصراف الى اللهو :

وكان تجديد سور رقادة يعنى بداية النهاية ، اذ يبدأ الكتاب في القول ان زيادة الله انصرف منذ ذلك الحين الى دفن همومه في العيب واللهو . فالتزم التنزه على البحر ، وهم يقصدون الجلوس وسط الماجل الكبير ، المعروف بالبحر ، في المركب المعروف بالزلاج . كما التزم اتباع اللذات ومنادمة الميارين والشطار والزمامرة والضراطين . وهم يقولون انه كان

(٥٦٩) المتاح الدورة ، ص ١٦٤ - ١٦٦ ، وقارن ابن الخطيب ، الاعلام ، قسم ٣ ، ص ٤٠ (حيث الاسم هارون بن الطيني ٢) -
 (٥٧٠) المتاح الدورة ، ص ١٦٧ - ١٦٩ ، وانظر فيما بعد في العناية اللطيفة ، ص ٥٦٧ (٥٧١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٢ -
 (٥٧٢) المتاح الدورة ، ص ١٧٨ - ١٨١ ، وانظر فيما بعد ، في العناية اللطيفة ص ٥٦٩ وما بعدها .

إذا نكر في غلبة عدوه على أكثر مواضع عمله ، يقول لندمائه : « أملاً واسقني من القرن يكفيني » (٥٧٣) .

إلى غير ذلك من الأخبار التي تدخل في أحسن خصوصيات التصور ، مما لا يليق ذكره فضلاً عن عمله . وهذا ما يفسر كيف أن مثل هذا النظام المبني على المظاهر الخداعة ، ما كان يمكنه بأي حال من الأحوال ، أن يقف أمام دعوة كتامة : دعوة العودة إلى مجتمع الإسلام في ثقائه الأول (٥٧٤) . وفي هذا المقام يذكر الكتاب أنه كان إذا أظهر زيادة الله القم بأمر الشيعي أخذوا له في اتسلي ، فكان ما غنته جارية له ذات يوم ، هذان البيتان من الشعر ، اللذان كان لهما صدى عميق في نفسه .

اصبر ندمر سأل منـك فكأنما مضت الدهور
فسرح ، وحسزن مسرة لا الحزن دام ولا السرور (٥٧٥)

ووسط الأنبياء المضحكة المبكية ، يستعفي قاضي القروان الورع حماس ابن مروان ، ويقبل استعفاؤه ، ويولي عوضاً عنه والي رقادة : المغفل الجاهل . محمد بن عبد الله بن جيمال ، محسوب الوزير صاحب الأخبار عبد الله بن الصانع ، ويظل في منصبه إلى أن يهرب زيادة الله (٥٧٦) .

(٥٧٣) ابن عسارى ج ١ ص ٥٤٢ وفاروق الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٨٢ - حيث يشرح القاضي النعمان أن هسهه الكلمات كانت بيتاً من الشعر يفتى في دور في مجلس شرب زيادة الله . وأن أحد ندمائه ألمه سد سعوط بالفاية . هذا بالإضافة إلى ما يروونه عن كلفة سقى النعمان ، وما كان من وجدته عليه . وما كانت تقوم به بعض الجواند من إصلاح ذات البين بينهما ، وما قالته من الشعر مثل :

يا أيها الملك الميسون طائره
وقفاً لأن يد المشوق لوق يده
كم ذا التجلد والإشياء خالفة
أعيد كلكي إن تسطر على كبدك

ابن عسارى ، ج ١ ص ١٤٢ . وفاروق الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٧ - حيث يحسب أن الأبي بكر تلك الرواية إلى أبي بكر محمد بن محمد الصول في كتابه « الأخبار المشهورة » ، ولهذا يقول أن النعمان الفحل كان يدعى خطايا ، وأن زيادة الله كشف اسمه في السكة ، وأنه عندما سقط عليه قيده بقيه من ذهب ، وأن ذلك الشعر الذي غنته الجارية كان من نظم الوزير صاحب البريد والشروط : عبد الله الصانع . وانظر فيما بعد ، ص ٥٧٠ وهـ ١٤٠ .

(٥٧٦) انظر فيما بعد ، في قيام الدعوة القائلية . عن دعوة أبي عبد الله التي جعلت من الدين أساساً لتنظيم الجماعة (جماعة المؤمنين) ، ص ٥٥٣ .

(٥٧٥) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٤٣ .

(٥٧٦) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٤٢ .

التفكير في الرحيل الى مصر سنة ٢٩٤ هـ / ٦ - ٩٠٧ م :

وجاء سقوط باغاية بالامان في شهر شعبان سنة ٢٩٤ هـ / ماية ٩٠٧ م (٥٧٧) ، بعد أن كاتبه أهلها (٥٧٨) ، يعلن نهاية الهياية . فعندما طلب زيادة الله المشورة من وزيره وصديقه القديم . عبد الله بن الصائغ ، الذي كان يعرفه دقة الموقف بصعته صاحب البريد ، كما كان يعرف ضعف أميره ، صحه بالرحيل الى مصر سرا ، على أن يستخلف على افريقية قائدا يجعل اليه امر العساكر ، ويترك له الأموال . وراقت الفكرة للأمير الذي كان يهرب من الغم الى اللهو والمبث ، وأمر بشراء خمسمائة جمل لرحيته ، ولكنه طهر له خطأ هذا الرأي وخشى قيام الناس عليه . وتوراتهم به ، فتوقف عن تنفيذه (٥٧٩) .

ويفهم من الرواية أن الذي بين له خطأ فكرة الهرب هو قائد جيوشه وابن عمه ابراهيم بن حبشى بن عمر ، الذي تعرض له وأدخله أجسل قصوره في رقادة ، وهو قصر البحر المشرف على المناجل العظيم وجعله يتسع فيما كان فيه من الزخارف والصور ، وأفهمه أن مل هذا المنزل لا يسبغى أن يهجر أو يترك للأعداء . وضرب له المثل بما فعله جده الذي ظل مقيما بالقمصر القديم الذي لا يقارن أبدا بقصره البديع ، وصبر فيه على الحصار أعواما كثيرة ، وقد أبغضه جل أهل بنده . وقام عليه رؤس حده . فبلى مقيما فيه ، وضابطا له حتى أظهره الله عليهم . ومكده منهم « (١٠) » .

وامان زيادة الله أكثر عندما قال له ابراهيم بن حبشى انه أكثر مالا من جده ، وأن أهل البلاد معه ، بينما عدوه الشيعي شيخ مجهول غريب عن كتابة ، وأنه في حصن منيع ، وأن النصر معه بحول الله . وهكذا أجسل زيادة الله مشروع الهرب فصار يرسل الرجال والأموال الى الأربس ، التي أصبحت أقصى تغوره ، « فكانت خيل أبي عبد الله الشيعي تغير على الأربس من باغاية ، وخيل زيادة الله تغير على باغاية من الأربس » (٥٨١) .

(٥٧٧) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٤٣ .

(٥٧٨) انظر المحتاج الدعوة ، ص ١٨١ - ١٨٢ . وقليخيص ابن الأثير سنة ٢٩٦ . ج ٨

ص ١٥ - حيث يظهر أن سقوط باغاية كان في سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م .

(٥٧٩) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٤٣ .

(٥٨٠) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٤٤ . وعن اضطراب البلاد على أيام ابراهيم الثاني من

الحسد . انظر فيما سبق . ص ١٧٦ وهـ ٤٢٨ .

(٥٨١) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٤٤ .

ماتم القبروان يكاد ينقلب عرسا :

زيارة سفير القسطنطينية :

وبينما كانت رقادة تتخذ وضع التاهب لكل طاريء أو حدث ، وبينما أهل القبروان يتوجسون خيفة ، وينشرون العنفس حول مدينتهم ، ويميشون في الأخيبة المضروبة حولها ، كان على ذلك المنظر الذي يكاد يشبه ماتم أن ينقلب الى حفل عرس أو فرح .

في ذلك الوقت عاد حبيشى وابن أبي حجر وابن عباس ، وهم : رسل ريادة الله الى بلد الروم . ومعهم رسول صاحب القسطنطينية (٥٨٢) . وكان على ريادة الله أن يحتفل بالسفير ، الاحتفال اللائق بملك : أفريقية والمغرب ، رم وراء البحار من صغليه وقلوريه (كلايريا) ، وغيرها من النواضع في إيطاليا وسواحل المبرج . وهكذا استقبل رسول قيصر الروم بما يليق به هو الآخر من الحماود . فكسى واقيم له حفل كبير في الملعب القديم القريب من رقادة . وحشد ريادة الله الناس والعساكر للمباهاة بهم ، فكان جمعا عظيما (٥٨٣) .

عودة زيادة الله الى مدينة تونس في أول سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م :

وهكذا عاشت كل من رقادة والقبروان ما بين الخوف والرجاء ، وظلت الاستعدادات لحراسه العاصمة على قدم وساق ، فجدد زياد الله الحشد ، وكان يرغب الناس في الانضمام الى الجندية بالأموال (٥٨٤) . ولكنك إذا كانت أحداث سنة ٢٩٤ هـ / ٦ - ٩٠٧ م الخاصة بتحصين القبروان ورقادة تنتهي بأن يعين زيادة الله في شهر شعبان (مايو ٩٠٧ م) ابن قروم في حجابته (٥٨٥) ، فإن أحداث سنة ٢٩٥ هـ / ٧ - ٩٠٨ م تبدأ بخروج زيادة الله في شهر المحرم (أكتوبر ٩٠٧ م) الى مدينة تونس ، ليحاول ترويق أمور فيها ، كما تقول الرواية (٥٨٦) . وهو الأمر الذي يسنى الكف عن مواجهة الأخطار المحددة بالقبروان .

(٥٨٢) ابن عسارى . ج ١ ص ١٤٤ .

(٥٨٣) ابن عسارى . ج ١ ص ١٤٤ .

(٥٨٤) ابن عسارى . ج ١ ص ١٤٤ .

(٥٨٥) ابن عسارى . ج ١ ص ١٤٤ .

(٥٨٦) ابن عسارى . ج ١ ص ١٤٤ .

جولة كبرى لابي عبد الله يجتاح فيها ما بين مجانة وقمودة :

وإذا كانت رواية ابن عذارى تكفي بالإشارة إلى الجفاف الذي حل بسطقة القيروان ، حتى قام القاضي محمد بن جيمال لصلاة الاستسقاء في يوم الاثنين ٦ ربيع الأول (١٤ يناير ٩٠٨ م) ، ثم عزل ابن أبي الرليد عن الصلاة وتعيين ابن يزيد كصاحب الصلاة مكانه في منتصف ربيع الآخر (٢٢ يناير) . وذكر أهم وفيات علماء البلاد وفقهائها في نفس السنة (٥٨٧) ، فإن رواية النعمان التي يلخصها بن الأثير تسجل للداعي انتصارات متوالية خلال سنة ٢٩٥ هـ / ٧ - ٩٠٨ م . من ذلك . افتتاحه لمدينة مجانة عنوة وقتل عاملها ، وملك مدن . قصر الافريقي ، ونيماش ، وقائمة . وقاتي بعد ذلك المسيرة المظفرة إلى مسكيانة ، وتيسا ، ومديرة (حيدرة) ومرماجه (قرب الحدود التونسية الجزائرية الحالية) . ومجانة والفصيرين (من اعلم قمودة الذي تعتبر القيروان على تحومه ، حتى ظن ابراهيم بن ابي الأغلب أن الداعي قرر السير إلى رقادة نفسها) .

والغريب في الأمر أنه بعد تلك السيرة المظفرة ، أو الترهة العسكرية كما يقال ، رجع أبو عبد الله الشيمي ، عبر قسطنطينية . إلى ناغادة . ومنها عاد إلى قاعدته . دار الهجرة ، في ابكجان (٥٨٨) .

الاستيلاء على قسطنطينية ، وبلاد الجريد :

وتأتي سنة ٢٩٦ هـ / ٨ - ٩٠٩ م لتكون آخر السنين في عمر الدولة الأغلبية فيها وصلت حيل الشيمي من جديد إلى قسطنطينية حيث انهرم أبو مسلم منصور بن اسماعيل صاحب الخراج السابق ، ومعاونه شيب ابن أبي الصارم ، وانسحبوا إلى مدينة توزر ، حيث تبعتهم الحيل الكتامية إلى هناك ، وهي تحرق القرى وتفسد ما تمر به من الزروع والنعيم . واتبع الداعي الاستيلاء على توزر بالاستيلاء على قلعة ، عاصمة بلاد الجريد (٥٨٩) . وكانت تلك مفاجأة فاحشا بهما الشيمي الجند الأغلبين ، بعد شهرين كان قد أوقف خلالهما أصحابه عن الفارات حتى ظن الأغلبية أنه مريض ، بل حتى

(٥٨٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٥٨٨) انظر الفتاح المصطفى ، ص ١٩٢ - ١٩٦ . ولغازن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ،

ج ٨ ص ١٥ - ريفيا بعد ، ص ٥٧٢ -

(٥٨٩) انظر ريفيا بعد ، ص ٥٧٥ .

قالوا : انه قد سمعت (٥٩٠) ، وقد ظنوا أن الفرج قد جاءهم من حيث لم يحتسبوا .

رد فعل اليم في العاصمة :

ولقد كان لعودة نشاط فرسان أبي عبد الله الشيعي ، بعد ذلك السكوت ، أثرا عميقا في قلب زيادة الله الذي هاله الأمر وراعاه ، بل ونفى صوب أهل الحاضرة التي ارتجت ، واضطربت أحوال الجند ، وخيم اليأس على الناس الذين خافوا على ذراريهم وأهلهم من السبي والاسترقاق . أما عن معاوني زيادة الله الرئيسيين ، وهما : الوزير ابن الصائغ ، وصاحب أشراف أبو مسلم ، فقد فسدت الحال بينهما عندما ألقى ابن الصائغ سبب سعاد الدولة على أبي مسلم .

ومع أن الرواية تشير إلى خدمة أبي مسلم أيام إبراهيم بن أحمد (٥٩١) ، عندما كان ابن الصائغ كاتباً له ، حيث يمكن أن يكون القصد من تلك الإشارة هو مذنبه عرب بلزمة ، في سنة ٢٨٠ هـ / ٩٣ - ٨٩٤ م ، التي قيل أنها كانت سبب انقطاع الدولة الأغلبية ، فمن الواضح أن ابن الصائغ كان يقصد سعاد الدولة بسبب انهزام أبي مسلم الأخير في قسطنطينية . فلقد انتهى الأمر بأن كتب زيادة الله إلى قائده شبيب بن أبي الصارم معسارون أبي مسلم بثور ، يأمره بضرب عنق هذا الأخير . وتقبل الشيخ الحكم ، وهو يتحسر على أن يكون هذا جزاءه بعد خدمته وبلاده (٥٩٢) .

الجولة الأخيرة : سقوط الأربس :

وأخيراً جاء سقوط الأربس في ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ هـ / ١٨ مارس ٩٠٩ م ، يعلن نفي الدولة الأغلبية بعد أن انهزم إبراهيم بن أحمد - ابن أبي الأغلب في عساكر إفريقية وجمهور أجنادها الذين بلغوا ٤٠ (أربعين) ألف رجل ، ودخل الشيعي المدينة بالسيف غنوة (٥٩٣) .

(٥٩٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٥ . وانظر فيما بعد ، ص ٥٧٦ .

(٥٩١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٥ .

(٥٩٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٦ - وربما كان أبو مسلم يأسف على تصبحة زيادة الله بقتل صهره وأخوته ، عندما قال لصبيب لو أنه لم يصحبه بذلك وشغلته يوم ، ما دار عليه من ليله ما دار .

(٥٩٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٦ . الكورني ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ .

السيرة ، ج ١ ص ١٧٥ . ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ج ٨ ص ١٧٠ - حيث ينسب عن الصنبر .

وانتهت هزيمة الجيش الأغلبى الكبير بمذبحة كبرى في مسجد الأري
الجامع حيث فزع الناس وقلول بعسكر ، وهم يركبون بعضهم بعضا .
شك أن رواية ابن عذارى ، تبلغ في عدد من قتلهم كثامة بأمر أبي عبد
الشمسى في الجامع ، اذ تقول : دانه قتل داخل المسجد ثلاثين ألف رجل
وكان قتلهم من بعد صلاة العصر الى آخر الليل ، وأن الدماء كانت تـ
من أبواب المسجد ، كما يسيل الماء من وابل القيت (٥٩٤) . ومن المقبول
يكون عدد القتل ثلاثة آلاف ، كما يقول ابن الأثير (٥٩٥) .

ولم يبق عسكر الشمسى في الأريس : فعندما أصبح الصباح ، وقد فر
أصحاب أبي عبد الله من القتل والتهب والسبي ، نادى بالرحيل عائدا
اتجاه قاعدته في مدينة باغاية .

وتفسر الرواية الأغلبية ذلك بأنه خشى أن يحاشد عليه امر
اقرية (٥٩٦) ، وهو الأمر الذى لم يعمل زيادة الله الذى يأس نهائيا
مواصلة النضال . وحق للأمير أن ييأس طالما أن معنويات رجاله كانت
انحطت الى درجة أنهم فروا في معركة الأريس مجرد أن صائحا صاح بين
بوجود كمين للشمسى ، في الوقت الذى كانوا أكثر من ند لكتاميين (٥٩٧)
وهنا ما قد يفسر كيف أن ابا عبد الله ترك الأريس عائدا نحو باغاية - ه
المره - خشية عودة الجند الأغلبى ، وان كانت طريقته في الحرب دائمتا
الضرب بعنف ثم فك الالتحام .

زيادة الله يعد العدة للرحيل :

والمهم أن زيادة الله استغل في يده عندما بلغه نيا الهزيمة يوم سقوط
الأريس ، وتأكدت له نهاية ملكه . ومع أنه كان قد قرر الرحيل وأخـ

- النعمان في الفتح الدعوة . ان حشد أبي عبد الله بلغوا ٢٠٠ (مائتى) ألف فارس .
أصحاب زيادة الله كانوا لا يحصون عددا . وانظر فيما بعد في قيام الدعوة الفاطمية .
٥٧٧ وما بعدها .

(٥٩٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٦ .

(٥٩٥) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ٤٥ .

(٥٩٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٧ . وقارن رواية القاضي النعمان في الف
الدعوة . حيث تلميحات المعركة ، ولربما يقول ان الناصر انسحب في طريق قمونة وقسط
(ص ٢٠١ - ٢٠٥) - وانظر فيما بعد ، الدعوة الفاطمية ، ص ٥٧٩ وما بعدها .

(٥٩٧) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ٤٥ - حيث يلخص الفتح الدعوة .

يستمد له ، فقد رأى أنه من حسن السياسة أن يفعل ذلك خفية من أهل القبروان . وهداه تفكيره السليم إلى أن يعلن أن الأبناء آمنه بالنصر ، وأن يرسل إلى السجنون أمرا بضرب إعيانك خصومه من المحبوسين ، على أي يطاق برؤسهم في القبروان وفي القصر القديم (٥٩٨) .

والظاهر أن قصده من ذلك كان شغل أهل العاصمة بمواكب قتلاء ، بينما كان يجمع أئقاله وأمواله ، ويرسل إلى خاصة رجاله وأهل بيته يعرفهم الحال ، وينذرهم بالخروج معه (٥٩٩) .

أما الوزير صاحب البريد : عبد الله بن الصائغ ، فقد أراد أن يجرب عملية اتقاد أخيرة ، فكذب خبر انتصار الشيعة ، وأعلن على أبواب رقادة أن الأمير يعد حشدا جديدا ، وأنه سيكافئ الرجال مكافأة جزيلة : للفراس عشرون دينارا ، وللراجل عشرة دنانير (٦٠٠) ، وهو ما لا يقارن بما كان يعطى بالصحاف من قبل . وأشار الوزير على زيادة الله بالمقام ، وطمانه إلى اجتماع المسكر حوله ، وأن عليه أن يخرج المعطاء (٦٠١) .

وأنت النتيجة عكسية تماما بالنسبة لتلك المقدمات التي قام بها ابن الصائغ : فأهل القبروان بدر اليهم سوء الظن ، وعلوا أن الدائرة كانت على أصحاب زيادة الله وماجوا فيما بينهم ، وجعلت الخاصة وأهل الخدمة يفرون من رقادة (٦٠٢) . وأما رد فعل زيادة الله بعد أن ألح عليه الوزير كثيرا ، فكان اتهام بن الصائغ بالتآمر عليه ، ومواجهته بصدق ما كان يقال عنه من أنه كان يكاتب الشيعة (٦٠٣) ، وهو الأمر الذي نفاه بشنة أبو عبد الله ، فيما بعد (٦٠٤) .

فرار ماساوى :

وهكذا ، وفي هذا الجو الماساوى - جو انهيار نظام وقيام نظام ، حيث

-
- (٥٩٨) التورى : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٥٩٩) التورى : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٦٠٠) برزين طراى ، ج ١ ص ١٤٩ .
 - (٦٠١) التورى : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٦٠٢) برزين طراى ، ج ١ ص ١٤٧ .
 - (٦٠٣) التورى : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٦٠٤) التورى : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٨ ب .

يختلط الحابل بالنابل ، كما يقال ، وحيث ترتفع رؤوس وتنخفض هامات في دوامة التغيير العنيف - أخذ زيادة الله في شد الأموال والجواهر والسلاح ، وما خف من الأمتعة النفسية - وكذلك فعل رجسالة - ثم انه انتخب من عبده الصقالبة ألف خادم ، وجعل على وسط كل واحد منهم ألف دينار - وفي ليلة الاثنين ٢٥ جمادى الآخرة/ ١٩ مارس وهي الليلة التالية لورود النبا العظيم ، تواعد مع أصحابه على الرحيل ، وتقلد سيفه ، وقدم الأحمال تمر بين يديه ، وقد حمل من يمز عليه من جواريه وأمهات أولاده - وبدأت القافلة الملكية الحزينة مسيرتها وسط عويل الأعداد الكبيرة ممن كان قد تركهم في قصوره من الجوارى والحريم ، ونحيبهم (٦٠٥) .

واتخذ المركب الذي كان يهتدى في مسيرته ليلا بالمشاعل طسريق انشروق ومصر وتبعه الناس قوما بعد قوم - وكانت المحطة الأولى التي توقفت فيها هي مدينة طرابلس التي أقام فيها أكثر من أسبوعين (٦٠٦) .

عمليات النهب تبدأ بالوزير :

وخلال تلك الفترة تأكد لزيادة الله غدر وزيره ابن الصائغ ، الذي كان قد دبر الهرب بأهله وحشمه وأمواله ، مع بعض أحمال من المال اقتطعها لنفسه من بيت المال ، وذلك في مركب كان قد أعدها لذلك ، وكان قصده الالتجاء إلى صقلية - ولكن لسوء طالعها ألقت الرياح بالمركب إلى مساحل طرابلس ، حيث وقع فريسة سهلة بين يدي زيادة الله الذي انتقم منه .

(٦٠٥) النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١٢٧ أ - وانظر ابن عذارى . ج ١ ص ١٤٧ - ١٤٨ . ١٦٧ . حيث يقول : انه خرج حاربا على ميون أهله وحرمه وولده . ومن المناظر الرقيقة التي يشر إليها الكتاب ، ما قامت به اسدى جواريه - من تركهن . وقد أخذت عودا ووضعته على سدوما . وغنته لتحركه على حملها منه . فقلت :

لم أمس يوم الوداع موقلها وجفتها في دعوها غرق
وقولها والركاب سائرة كتركتها سيدي وتطلق
استودع الله طيبة جزعت للبيث والبيث فيه لي حرق

فسمت عينا زيادة الله عند سماعها - وتختلف التمهاتية : فتقول رواية ابن عذارى ان سوء الموقف وضيق الحال شغله عن حملها منه - بينما تقول رواية النويري انه أمر يحمل حمل مال من بعل وحملها عليه . وهو ما يأنس به ابن الخطيب (الامام . قسم ٣ ص ٤٤) . (٦٠٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٨ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٨ ب - حيث يقول انه أقام هناك ١٧ يوما .

بتحريض من كانوا معه ، فقتله (٦٠٧) -

نهب رقادة :

أما عن مدينة رقادة فقد نهبها الناس صبيحة خروج زيادة الله - ورغم ما تقوله رواية ابن عذارى ، من : أنهم أخذوا من بقايا أموال بني الأغلب ومنايعهم ، وصنوف الآبية من الذهب والفضة بنالا يخيظ به وصف ؛ فالظاهر أن ما كان قد بقي في قصور رقادة من المتاع لم يكن الا قليلا . وربما كانت رواية النويرى أدق ، إذ تقول : ان الناس بعد أن عرفوا بهروب زيادة الله وأسرعوا الى رقادة ، وانتهبوا ما فيها ، واحتلوا على قصور زيادة حتى صاروا الى البحث في المطامير ، وانتزاع حديد الأبواب ، وحمل الأسرة ، وتقل الماعون (٦٠٨) . وهذا لا يسع من أن تكون هذه المنهوبات القليلة القيسية سببا في نزاعات بين الناس ، وأن يرجع القوي منهم لياخذ من الضعيف ما سبقه اليه ، كما يقول ابن عذارى (٦٠٩) . وإذا كان النويرى يقول ان ذلك النهب استمر لسته أيام عندما ترامت خيل الشيمي ، فان ذلك يعنى أن النهب كان مستمرا ، بعد أن وصل ابراهيم بن أحمد بن أبي الأغلب المنهزم من الأربس الى القيروان ، عيّن كان قد بقي معه من القواد -

ابراهيم بن أبي الأغلب يقوم بمحاولة فاشلة لتقلد الامارة في رقادة :

نزل ابراهيم في قصر الامارة حيث اجتمع على بابهِ خلق كثير ، وبايعوه بالامارة ثم انه بحث يستدعي أعيان الناس ، من : الفقهاء والتجار والامة ، وانتقد في حضرتهم تصرفات زيادة الله الذى أسند أمر البلاد الى الخونة من الرجال ، وهو يقصد بذلك عبد الله بن الصائغ بطبيعة الحال . وحاول ابراهيم بذلك أن يبايعوه أميرا بدل ابن عمه الهارب إذ قال لهم : ان كتامة مفسدون في الأرض ، وطلب منهم الإخلاص له ، وامتداده بالرجسالة والمال ليدافع عن حريتهم ومهجم . ورغم أنه أخذ البيعة بالامارة في الجامع

(٦٠٧) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٧ - ١٢٨ ب . ابن عذارى ، ج ٦ ص ١٤٨ - ١٤٩ . حيث يقول ان ابن الصائغ اقتطع ثلاثين حلا من الليل ، لم يكمل حمل ستة عشر ألف مثقال . ولكن عامل سوسة ، وهو ابن اليماني ، وضع يده على الأموال ، وغزاهما في قصر الرباط بسوسة ، حتى صارت الى الفيلة .

(٦٠٨) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٧ - ١٢٧ ب . راقون ابن الخطيب ، الاطلم ، قسم ٣ ص ٤٤ .

(٦٠٩) ابن عذارى ، ج ٦ ص ١٤٨ .

بعد صلاة الظهر الا ان عامة الناس الذين كانوا قد سئموا الحرب وخشوا
سوء العاقبة ، فاروا به وطالبوا بالامن والسلام ليلدهم ، واخبروه انه اذا
كان قد هجز عن دفع كتامة رمه العساكر والسلاح والأموال ، فهو سيكون
الآن اعجز عن مدافعتهم ما كان عليه قبلا ، لانهم لم يعد لديهم أموال ،
وعندما لمح ابراهيم الى امكانية الاستفادة من أموال الاحباس (الأوقاف)
والموجائع ، صاحوا به واجتشد الغرغاء وصاح الجميع : لا طاعة لك علينا
ولا بيعة لك في اعناقنا فاخرج عنا ، وانتهى الامر بأن اضطرره هو ومن
معه الى ركوب خيلهم والنجاة بانفسهم عن طريق باب أبي الربيع ، والناس
يركضون وراهم ، ويرجمونهم بالحجارة ، ثم انهم لحقوا بزيادة الله (٦١٠) .

وهكذا ، وخلال وجود زيادة الله في طرابلس تفشخم موكبه بالفارين
من افريقية ، ممن خافوا على انفسهم وعلى اهلهم . ولو ان منهم من لم يستطع
إنفكاك من قدره ، فسمي الى حتفه يظلمه ، مثل عبد الله بن الصائغ الوزير .
وعندما لحق ابراهيم بن أبي الأغلب بزيادة الله ، ولما علم هذا الأخير بما كان
قد فكر فيه ابراهيم من عقد الولاية لنفسه في القيروان نعم عليه ، ولكنه
اكتفى بالاعراض عنه . وعندما عرف أن ابراهيم وصاحبه ابا المصعب بن زرارة
يقعان فيه وينالان منه ، قرر التخلص منهما لولا هروبهما الى الاسكندرية ،
واستجارتهما بعاملها الذي أرسلهما الى عامل مصر : موسى النوشري ، حيث
دسا لزيادة الله ، وحذرا من طمعه في مصر .

وهذا ما قد يفسر كيف أن النوشري لم يحسن استقبال زيادة ، الذي
لم يبق في مصر أكثر من ثمانية أيام ، خرج بعدها الى طريق بغداد ، بعد أن
تخلف كثير من أصحابه في مصر . ولما الرملة من أرض فلسطين هرب
كثير من أصحابه ، ورجاله حاشيته . وبعد اقامة سنة في الرقة ، تفرق
فيها من كان قد بقي له من رجاله ، وتشتت أمره ، وباع عليه قاضي الرقة
بعض خصيائه الصقالبة ، انكب على شرب الخمر وسماع الموسيقى والغناء
(الملامى) . وأخيرا وصلته الأوامر من ديوان الخلافة بالسودة الى مصر ،
وكانت الأوامر قد صدرت الى واليها بمعاونته ، وتمكينه من العودة الى بلاده ،
واسترجاع دولته ، وهو الأمر الذي لم يتحقق .

-وبهذا الأمير الشمس ما كان قد بقي من قواه في شرب الخمر والانهماك

(٦١٠) ابن عساق ، ج ١ ص ١٤٨ ، النويري ، المختصر ، ج ٢٢ ص ١٢٧ ، وقارن

ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ٤٥ - ٤٦ .

- ١٨٥ -

في اللذات ، تبذل أن ينهي أيامه في بيت المقدس (٦١١) . وبذلك انقضت
دولة الاغالبة ، بعد أن عاشت ١١١ سنة وثلاثة أشهر .

الفصل الثاني

صقلية الأغلبية

واستقرار المرّي في جنوب إيطاليا

من الفتح إلى نهاية الأغالبة

(٢١٤ هـ / ٨٢٧ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

تهيئـ :
العرب وصقلية قبل اللتح الأغلبي :

بعد تأسيس مدينة تونس سنة ٨٤ هـ/٧٠٣ م ، أصبحت ولاية افریقیة قوۃ بحریة بعد أن كانت قوۃ یریة فقط ، منذ انشاء القيروان بعيدا عن الساحل (سنة ٥٠ هـ/٦٧٠ م) خشیة الاسطول البيزنطی . وبفضل ائراکب الحریبة التي كانت تخرجها دار الصناعة فی تونس ، لم يعد عرب افریقیة ينتظرون مجيء الاسطول الرومی من صقلیة أو غیرها من سواحل امسلطنیة لكي يدافعوه ، بل أصبحت مراكبهم تجوب البحر المتوسط ، وهي تعرض مراكب الروم ، وتغیر علی سواحلهم فی جزر البحر بصیفة حصة . وهكذا ، قام اسطول تونس بفارات ناجحة علی : صقلیة وسردانیة . وكوزسیكا (قورشيقا) ، قبیل سنة ٩٠ هـ/٧٠٨ م ، كانت التمهید الحقیقی لیسية الفزو الكبرى فی شبه جزيرة ایبریا (١) .

ولقد كان لصقلیة بالذات دور هام فی الصراع البحری بین العرب والروم منذ وقت مبكر ، عندما لجأ إليها قسطنطین ، قیصر الروم ، منهزما فی سنة ٣٥ هـ/٦٥٥ م فی موقعة الصواری ، التي دارت بالقرب من الشواطئ النیبیة ، ثم عندما كان الاسطول البيزنطی یفیر علی سواحل المغرب ، كما حدث فی یرقة حيث فاجأ زهير بن قیس البلوی سنة ٦٩ هـ/٦٨٨ م ، وكما حدث عندما استرد الروم قرطاجنة سنة ٧٤ هـ/٦٩٣ م ، بعد أن فتحها

(١) انظر الفترات الخامسة بذلك فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤٦ وما یبعثها .

حسان بن النعمان (٢) .

وذلك لا يمنع من أن يكون العرب قد قاموا - قبل بناء القاعدة البحرية في تونس - بغارات أولية على الجزيرة في ذلك الوقت المبكر ، فالروايات تشير الى أن معاوية بن حديج أمر بفزو صقلية ، وأنه كان من بين المغانم التي جرى بها من هناك : أصنام من ذهب وفضة (٣) . وإذا صححت حملة معاوية ابن حديج هذه ، فمن المرجح أن تكون أثناء ولايته لأميرية ، حوالي سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م ، وبأسطول مصر .

حملات تونس الأولى على الجزيرة :

أما عن الحملات الحقيقية التي قام بها أسطول تونس على صقلية ، فإنها لم تبدأ إلا بعد ولاية موسى بن نصير للمغرب سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م . وكانت أولها تلك التي قام بها عياش بن أخيل ، وأغار فيها على مدينة سرقوسة . ولا بأس أن تكون قد ثبت سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، كما في رواية ابن عتيبة (٤) ، وإن كان خليفة بن خياط يسجل عارة على صقلية في نفس السنة ، قام بها المغيرة بن أبي بردة العبدي (٥) . ويشير ابن قتيبة الى حملة ثانية قام بها عبد الله بن موسى بن نصير على مدينة من مدن صقلية ، ومعه أشراف الرجال الذين بلغ عددهم ما بين ٩٠٠ (تسمائة) و ١٠٠٠ (ألف) رجل ، مما يعني أن عدد سفن الحملة كان حوالي ١٠ (عشر) سفن . أما عن الغنيمة فمقد بلغت حوالي مائة ألف دينار ، وذلك أن سهم الرجل بلغ مائة دينار ذهباً . أما عن تاريخ الحملة فتقول الرواية أنه سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م . ولكنه لما كانت ولاية موسى للمغرب في سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، فأغلب الظن أنه يجب تصحيح التاريخ الى سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، وقتما كان عبد الله بن موسى ،

(٢) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ٢١١ ، ٢٢٨ . ومن المعروف أن الاميراطور البيزنطي كوستانتز الثاني كان قد سار من القسطنطينية في سنة ٦٦٢ م الى صقلية لكي يجعل نصب عبيد ولايات الامبراطورية في الجزيرة رئيس جنوب إيطاليا حتى يمكنه الحفاظ على أرض اليونان الرئيسية من أن يحاصرها العرب ، وأنه بقي في صقلية الى وفاته في سنة ٦٦٨ (انظر عزيز أسد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، كلاً أدبيره ١٩٧٥ ، ص ٣) .

(٣) النويري ، المكتبة الصقلية ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ . وإن كان مما يشكك في تلك الرواية إنما سجل تاريخ الحملة هو سنة ٣٣ ، في حلالة معاوية ، وإن التسايل الشبهة لم تجد لها سوا نالفة الا في بلاد الهند البعيدة .

(٤) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤٦ وملاحظ ٣٦٤ حيث فزو سرقسية أيضا .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٢٩٣ .

صاحب الحمة ، نائما لوالده على افريقية(٦) .

ومع أنه من المعروف أن الحرب البرية والبحرية مع الروم في شرق البحر المتوسط كانت تدور في الشفور في شكل صوائف وشواتي سنوية منتظمة ، إلا إذا كانت هناك عدنة مع الروم أو كانت هناك أحداث داخلية تسع من تجهيز الصائفة أو الشاتية ، فالذي نلاحظه من حوليات الحرب البحرية مع الروم في وسط البحر ، وبالذات في صقلية ، أن الصوائف والشواتي كانت متباعدة . وإذا كان من الطبيعي أن يستقط بعض تلك الصوائف من القرائم التي يقدمها الكتاب ، وإذا كان من المقبول أن تسرى الهدية التي كانت تعقدها الحسلانة في المشرق على العمليات الحسرية في المغرب ، فس المرجح أن الاضطرابات التي عرفتيا بلاد المغرب على أواخر أيام اندولة الاموية ، وفي بداية عهد الدولة العباسية ، والتي قام بها ، على وجه الخصوص ، الحوارج من الصفرية ومن الإباضية ، كان لها أثرها في تباعد حملات العرب على صقلية .

ويرجع الفصل لتاريخ خليفة بن خياط الذي ينفرد بمعلومات تكاد تكون سنوية عن نشاط ولاية المغرب في جزر وسط البحر المتوسط خلال فترة ما بين سنة ١٠٢ هـ وسنة ١٢٢ هـ ، وذلك أنه يسجل فيها أكثر من ١٥ (خمس عشرة) غزوة بحرية ، انصبت جميعا على كل من جزيرتي صقلية وسردانية باستثناء غزوة سنة ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م التي أتى فيها ذكر قرسقة (كورسيكا) ، الى جانب سردانية(٧) ، وكانت بقيادة محمد بن أبي بكر مولى بني جعح ، وغزوة سنة ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م التي لم يحدد هدفها في البحر ، وكانت بقيادة عمرو بن فاتك(٨) ، وكذلك الغزوة الكبيرة التي قام بها المستنير بن الحسارث سنة ١١١ هـ / ٧٢٩ م في ١٨٠ (مائة وثمانين) مركبا ، والتي أبطأت في العودة حتى هجم الشتاء ففرقت المراكب ولم ينج منها الا ١٧ (سبعة عشر) مركبا(٩) .

(٦) انظر ابن عتيبة ، المكتبة الصقلية ، ص ١٦٤ ، ٢١١ . (حيث ينقل ابن الصبيل تلك الرواية) . ومن نهاية عهد الله لوالده بعد عودة موسى الى دمشق انظر لحيما سبق ، ج ١ ص ٢٥٢ و ص ٢٩٥ .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٨) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(٩) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٥٥ .

وتدل الدراسة الإحصائية لتلك الحملات ، حسب ترتيبها الزمني اعتباراً من حملة سنة ١٠٣ هـ / ٧٢١ م ، أنها تمت على عهد ثلاثة من كبار ولاية المغرب في العصر الأموي ، هم : بشر بن صفوان ، وعبيدة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن الحبحاب . فعلى عهد بشر بن صفوان كانت وجهة الحملات البحرية الأربعة إلى سردانية على وجه الخصوص ، وذلك في سنوات ١٠٣ هـ / ٧٢١ م بقيادة يزيد بن مسروق اليحصبي (١) ، ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م بقيادة عمرو بن فاتك الكلبى (١١) ، و ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م بقيادة محمد بن أبي بكر حول بني جمح (١٢) ، وأخيراً سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م بقيادة محمد بن أبي بكر مرة أخرى (١٣) .

وإذا كانت حوليات خليفة بن خياط تنص على أن كل هذه الحملات قد كللت بالنجاح ، فكانت تعود سالمة بالمغانم ، فانظروا ان حملة سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م الأخيرة كانت أنجحها . فبدأ ما يمكن أن نسميه من الرواية التي نجدها في كل من ابن الأثير والنويرى ، والتي تنسب قيادة الحملة إلى الولي بشر بن صفوان نفسه ، وتقول انه سار إلى صقلية فغنم شيئا كثيرا ثم رجع إلى القيروان حيث توفي بها في نفس السنة (١٤) . وهذا لا يسم من أن تكون سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م قد شهدت حملتين بحريتين دفعة واحدة : الأولى على سردانية بقيادة محمد بن أبي بكر ، والثانية على صقلية بقيادة بشر بن صفوان .

أما عن الحملات التي تمت على عهد عبيدة بن عبد الرحمن ، وهي ست ، فكانت وجهتها صقلية بصفة خاصة ، على الوجه التالي : في سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م قامت حملة صغيرة بقيادة عثمان بن أبي عبيدة على رأس ٧٠٠ (سبعمائة) فارس حاجمت مدينة سرقوسة ، ونجحت في هزيمة القوة البيزنطية التي تصدت لها وأسرت قائدها (بطريقهم) (١٥) ، وعن حملة

(١٠) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٢٦ .

(١١) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(١٢) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٤٩ .

(١٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٥٢ .

(١٤) ابن الأثير ، المكتبة الصقلية ، ص ٢١٨ . النويرى ، ج ٢ ص ٢٢٥ ، وعن

الحملات على عهد بشر بن صفوان ، انظر أيضا سبق ج ١ ص ٢٧٢ .

(١٥) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٢٥٢ - ٢٥٤ .

السنة التي بعدها ١١١ هـ / ٧٢٩ م فكانت حملة كبيرة بلغت عدة مراكبها ١٨٠ (مائة وثمانين) مركبا ، قادها المستنير بن الحارث ، وبطن من سياق الأحداث ابن وجهتها كانت سرقوسة التي ظل يحاصرها العرب الى أن هجم عليهم فصل الشتاء ، مما عرضهم الى كارثة مروعة ، وهم على طريق العودة اد عرقت معظم المراكب ، ولم ينج منها الا ١٧ (سبعة عشر) مركبا معط (١٦) .

وفي سنة ١١٢ هـ / ٧٣٠ م تكلت الحملة التي قادها ثابت بن حيشم الاردني بالنجاح : اذ هاجم الجزيرة ، وعاد سالما الى الفريقية بالسياب والمغانم (١٧) . وكذلك كان حظ الحملة التي قادها في سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م عبد الملك بن قيس (الحجازي) الى صقلية أيضا (١٨) ، وتلك التي قادها في نفس السنة عبد الله بن زياد الأصباري الى سردانية (١٩) . أما آخر الحملات التي تمت على عهد عبيدة بن عبد الرحمن فقد قادها في سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣ م بكر بن سويد الى صقلية ، وأغلب الظن أنها لم تحقق أغراضها بسبب استخدام الروم للقذائف النارية في مدافعهم للأسطول العربي (٢٠) .

أما عن الحملات البحرية التي تمت على عهد عبيد الله بن الحبحاب - فيما بين سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م وسنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م ، كما ترد في تاريخ خليفة ابن خياط ، فهي خمس : اثنتان منها سارتا الى سردانية ، وثلاث كانت وجهتها صقلية . ولقد سارت حملة سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م بقيادة عثمان بن أبي عبيدة الى صقلية ولكنها فوجئت وهي في طريق العودة باعتراض مسيرتها من قبل الأسطول البيزنطي . ورغم نجاح القائد العربي في التخلص من هذا مزق باحترق القافلة المعادية ، الا أن الروم نجحوا في الاحاطة بعدد من المراكب الحربية العربية ، وأسروا من كان فيها من المحاربين . وكان من بين

(١٦) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٥٥ .

(١٧) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٢٥٧ .

(١٨) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٢٥٦ - ٢٦٠ . حيث التزم عبد الله بن قيس والصحيح « عبد الملك » من عدنا ، وذلك ان عبد الملك بن قيس كان له شأن في أحداث الأندلس سنة ١٢٢ هـ عندما هاجم زورق جند الشام بقيادة بلج بن بشر ثم موافقته على ذلك بعد أن استنشرت ثورة البربر هناك . انظر فيما سبق : ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(١٩) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٢٦٠ .

(٢٠) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٦١ . وعن الحملات على عهد عبيدة انظر فيما سبق . ج ١ ص ٢٧٦ وما بعدها .

مشاهير الأسرى ، ولدا أمير البحر عثمان بن أبي عبيدة نفسه ، وهما : عمرو وسليمان ، الى جانب عميد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضي افرضية المشهور وراوئها فيما بعد ، ولن يطلق سراحهم الا في سنة ١٢١ هـ / ٧٣٩ م أو بعدها عندما تم تبادل الأسرى (الفداء) بين العرب والروم (٢١) .

وكانت قيادة حملة السنة التالية (١١٧ هـ / ٧٣٥ م) لأخي عثمان ، وهو : حبيب بن أبي عبيدة الذي سار الى سردانية حيث فاجأ بعض مدنها ، وأنحن في القتل والسبي (٢٢) . وفي سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦ م التالية كانت قيادة حملة صقلية الى قشم بن عوانة الكلبي الذي نزل على مدينة اوليه ٤ ، ولكن الحملة لم تستطع أن تحقق لغراضها بعد أن أحاط بها الروم ، ولا قدرى ان كان نوع من الاتحاق قد تم بين الطرفين المتحاربين يقضى بأن يسحب العرب بعد أن يخلى الروم عنهم أم أن ظروف القتال التي لم ترجح كفة أحد الطرفين هي التي قصت بهذه التسوية (٢٣) . وفي السنة التالية وهي ١١٩ هـ / ٧٣٧ م كان قشم بن عوانة سيء الحظ في حملته على سردانية اذ غرقت بعض سفنه وهي في طريق العودة وكانت مركبة القيادة بينها وفيها قشم نفسه الذي مات غريقا (٢٤) .

اول محاولة للاستقرار في الجزيرة :

اما عن حملة سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م فكانت بقيادة حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة بن نافع وبصحبته ابنه عبد الرحمن بن حبيب ، الذي صار أميراً لاثرية في سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م (٢٥) . ولقد حقق عبد الرحمن ، الذي أطلقه والده على رأس الحيلة ، نجاحا عظيما ، إذ لم يلق جمعا من جموع الروم في الجزيرة الا هزمه ، حتى وصل في جولته العاصفة الى مدينة سرقوسة الكبيرة والعاصمة الرومية وقتل للجزيرة ، فهرم حاميتها ، وضرب الحصار عليها حتى صالحوه على الجزية . وكان هذا النجاح سببا في أن قرر حبيب بن أبي عبيدة البقاء في الجزيرة الى أن يفتحها جميعا ، لولا ثورة البربر الخارجية التي

(٢١) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٦٢ ، وانظر ليا سبق ، ج ١ ص ٢٨٠ و ١٠٤٢ .

(٢٢) نفس المصدر ، ج ٣ ص ٣٦٢ .

(٢٣) نفس المصدر ، ج ٣ ص ٣٦٢ .

(٢٤) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٤٦ ، وعن الحملات على عهد عميد الله بن الحبحاب .

انظر ليا سبق ، ج ١ ص ٢٧٩ وما بعدها .

(٢٥) انظر ليا سبق ج ١ ، ص ٣١٣ وما بعدها .

اضطرت ابن الحجاج الوالي الى استدعائه الى الفريقية على عجل (٢٦) .

اما عن الحملة التالية فانت بعد ١٣ عاما أي في سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٤ م . وقام بها عبد الرحمن بن حبيب نفسه - بعد أن استقل نافرريقية ، ووسع مملكته غربا بالاستيلاء على تلمسان ، والذي كانت تراوده ذكريات نجاحاته اللامعة في الجزيرة من غير شك - ولقد عاد عبد الرحمن بالسبب من صقلية والفنسية ، بعد أن صالحه أهلها على الجزية من جديد . وفي طريق العودة خرج عبد الرحمن على سردانية التي صالحه أهلها أيضا على أن يدفعوا له الجزية (٢٧) .

الروم يحصنون الجزيرة :

ومنذ حملة سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م تلك ، تصمت الحوليات الاثريية عن ذكر الحملات الحربية فيما وراء البحر لمدة تزيد على أربعين عاما ، بسبب انقطاع الولاة في المغرب بالعس ، كما تقول رواية ابن الأثير . والظاهر أن غزو صقلية في سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م كان درسا قاسيا للروم ولاهسل الجزيرة ، تعلموا منه كيف يحمون بلدهم فلقد قام الروم باعمار الجزيرة من جميع جهاتها ، وجددوا ما كان فيها من الحصون والمعاقل (٢٨) .

وأكثر من هذا فقد بدأ الروم (على عهد قسطنطين الخامس) باتخاذ الاحتياطات العسكرية البحرية لما كان يمكن أن يفاجئهم به العرب ، لصاروا يخرجون في الصيف ، عندما تتحسن الأحوال الجوية ، في مراكبهم يطوفون حول الجزيرة ، فيما يعرف حاليا باسم « دوريات الحراسة » بل وزيادة على ذلك فرمبا صادفوا مراكب تجار المسلمين فاستولوا عليها (٢٩) . وعن هذا الطريق جمع أسطولهم بين الدفاع عن الجزيرة وقطع خطوط الملاحة العربية .

(٢٦) ابن الأثير . المكتبة الصقلية ، ص ٢١٩ . النويري . المختلط . ج ٢٢ ص ٢٢٥ ب ٥ .
وقالون خليفة بن حياط . ج ٢ ص ٣٦٩ . والمطر فيما سبق . ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢٧) ابن الأثير : المكتبة الصقلية ص ٢٢٠ . ابن علقمى : ج ١ ص ٦٥ . النويري ،
المختلط . ج ٢٢ ص ٢٢٥ ب - حيث السنة ١٢ هـ . وأخيرا القن أن كلمة « خمسة »
حفظت من النسخ (في سنة ١٣٥ هـ) .

(٢٨) وهكذا فقد كانت غارات العرب على الجزيرة مما في أن ينزل عليهم المعاقل
والحصون ولم يتركوا حلا الا حملوا عليه حيا - النويري . المكتبة الصقلية . ص ٤٢٦
« سنة ١٣٠ هـ »

(٢٩) ابن الأثير المكتبة ص ٢٢٢ . النويري . المختلط . ج ٢٢ ص ٢٢٥ ب - ٢٢٦ أ .

وفي سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م تعود الحوليات الى ذكر صقلية ، ولكن بشأن خروج الشامية بقيادة سنيان بن راشد الذي كان يصحب معه « السد » بطريق صقلية (٣) ، أي حاكمها - ومع أننا نعلم أن الأمر يتعلق هنا بالصوائف والشواصم في الجهة الشرقية المواجهة للروم في اقليم العواصم في شمال الشام وأرض الروم ، فمن المرجح أن يكون المقصود بالبند هو « البيد Elpidus » حاكم صقلية الذي ثار في سنة ٧٨٢ ضد الامبراطورة ايرين وأعلن نفسه امبراطورا ، ثم انه عندما ابرم هرب لاجئاً الى الرتيقية (٣١) .

الأغلبية يتعرفون على صقلية ، وغيرها من الجزر :

وفي سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م ، على عهد زيادة الله الأول ، حبر الأمير جيشاً في البحر في مراكب كثيرة الى سردانية . وتقول الرواية ان نجاح هذه الحملة لم يكن تاماً ، اذ عطبت بعض المراكب بعد أن عنمت الروم في الجريرة وقتلوا الكثيرين منهم ، مما دعا زيادة الله الى مكافأة من وصل من الرجال سالماً (٣٢) - ومع أن ابن الأثير يجعل غزو سردانية هذه في سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م كمقدمة لفتح زيادة الله لصقلية ، فاننا نجد في حوليات ابي عداري حملة أخرى لريادة الله قريبة الشبه من تلك الحملة . اذ يظهر من الرواية انها لم تكن موفقة تماماً ، وذلك أن رجالها « أصابوا ، واصيب منهم ، ثم قتلوا » ، دون اشارة الى الغنائم أو السبي (٣٣) .

وفي سنة ٤٠٤ هـ / ٨١٩ م سير زيادة الله قريبه ابا العباس محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم لغزو صقلية ، قبيل غزوها على يدي أسد بن الفرات (٣٤) ، وبذلك يكون قد قطع الهدنة التي عقدها قبلاً ست سنوات مع قائد الجزيرة البيزنطي (٣٥) .

وهكذا ، بفضل تلك الحملات ، وغيرها مما سقط من حوليات افرريقية والمغرب ، كان العرب قد تعرفوا على صقلية وغيرها من جزر البحر ، مثل :

(٣٠) ابن الأثير ، المكتبة ، ص ٢٢٠ .

(٣١) الطر هزب احمد . تاريخ صقلية الاسلامية . بالانجليزية ، ص ٥ .

(٣٢) ابن الأثير ، المكتبة ، ص ٢٢٦ .

(٣٣) ابن عداري ، ج ٩ ص ١٧ .

(٣٤) العلة السيرة ، ج ١ ص ١٨١ . المكتبة ، ص ٢٢٧ .

(٣٥) الطر فيما بينه ، ص ٢١٦ ، ص ٨٢ .

سردانية وكورسيكا . وإذا كانت هذه الجزر قد ظهرت في بعض الأحيان كقواعد للروم يمكن أن تهدد الملاحة التجارية العربية في البحر المتوسط ، كما يمكن أن تهدد أيضا سواحل المغرب ، فإياها كانت قد صارت بالسبب لعرب المغرب أرض المغام الكثيرة والسبب البديع .
وبناء على كل ذلك لم يكن من الغريب أن يعكز زيادة الله الأول في غزو صقلية بشكل نهائي في سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، رغم ما كان يصاحفه من التاهب الداخلي ، المتمثلة في الثورات والاضطرابات التي لا تعد ، في داخل مملكته . والظاهر أنه عندما قرر القيام بتلك المغامرة ، كان يزعم اصطلياذ عصفورين بججر واحد ، كما يقال . فمن جهة كان سيفتح بلادا جديدة ينتزعها من الروم ويضمها إلى مملكته أي إلى أرض الإسلام ، ومن جهة ثانية كان يمكنه أن يوجه حماس أهل إفريقية من المقاتلين نحو الجهاد في بلاد الروم ، فيتخلص مما كانوا يسببونه له من المتاعب ، ويحقق لبلاده بيا كان يصبوا إليه من الأمن والاستقرار . وقبل أن نتكلم في فتح الجزيرة يحسن أن نعريف بأحوالها قبيل الفتح ، فهذا إلى جانب ما ذكرناه من الفسارات الشهيدية ، يعتبر المدخل المعقول لدراسة الموضوع .

صقلية ، كما عرفها الكتاب العرب البلاد والسكان

١ - البلاد :

الاسم : صقلية :

فسر الكتاب العرب اسم الجزيرة « صقلية » حسب منهجهم القديم الذي ينسب البلاد والجماعات إلى أجداد حقيقيين أو أسطوريين ، تماما كما قالوا :
ان الفريقية نسبة إلى الملكة الفريقية أو الملك اليمنى القديم أفريقس (٣٦) ، وان أستيانا نسبة إلى قوم سكنوها في القديم هم الأسيان أو نسبة إلى الملك أشبان ، أو أن الأندلس نسبة إلى قبائل الجرمان المعروفة بـ « الوثدال » (٣٧) .
ففي ضوء هذه النظرية قالوا : ان صقلية سميت باسم الملك « شيقلو » ، كما سميت بإيطاليا باسم أخيه « إيطال » . وفي ذلك لم يتردد بعضهم في

(٣٦) انظر اخبار عبيد بن حريفة في كتاب التيجان لوصف بن مبه ، ص ٣٤٢ . ٤٠٧ .

٤٠٨ (نسبة إلى أفريقس بن أبرهة) .

(٣٧) البحري صفة جزيرة الأندلس ، ص ٣ .

القول أن جزيرة صقلية كان يسكنها في قديم الدهر أمه هملة ، ناكس
الناس . أو انه كان فيها جنس من السوخ بعين واحده في وسط جباههم ،
يسمون صقلونس (٣٨) ، وهي الأسطورة اليونانية الأصل على ما نظن ، اد
يجد لها شبيها في أوديسة هوميروس .

فكان اسم صقلية مشتق من اسم « صقلونس » أو « صيقلو » أو
« سيقلو » الذي يرى أنه نفس اسم « شيفلو » (٣٩) - هذا ، كما نجد اسم
صقلية بالسین في « سقلية » و « سكيلية » ، والصاد في « صقلية »
و « صيقلية » (٤٠) كما نجده مهموزا في شكل « اصقلية » أيضا ،
و « اسقلية » (٤١) .

الموقع :

وتشغل صقلية موقعا حفرانيا ممتازا بفضل وحودها بين ذراع شبه
جزيرة ايطاليا ، المتد من وسط أوروبا جنوبا في قلب البحر المتوسط ،
وبين ذراع القارة الإفريقية الشمالي الذي يمثل قلب ولاية إفريقية العربية
أو البلاد التونسية الحالية ، والذي يمتد شمالا في مقابل ايطاليا . وبفضل
هذا الموقع تكاد جزيرة صقلية تربط بين سواحل أوروبا وسواحل بلاد
المغرب ، وإن كانت الجزيرة أقرب إلى سواحل ايطاليا الجنوبية ، في إقليم
كلابريا الذي عرفه العرب باسم « قلورية » .

(٣٨) الكرى . حفرانية الأندلس وأوروبا ، تحقيق عبد الرحمن حجي ، ص ٢١٧
(والمحقق يقرأها في شكل حقلونس) .

(٣٩) يرى أن الثين في شيفلو كانت سينا في الأصل لأن الثين والسین كثيرا
ما تختلطان في اللغة العربية وتحل الواحدة منها محل الأخرى . أما عن الثين فالهلب الثين
أنها جيم ، كما تنطق في اللهجة المصرية ، ثم انها انقلبت إلى ثين ، كما في بعض اللهجات
العربية . ولا بأس في أن تكون الـ « حيم » في الكلمة حرف « قاف » أصلا . فكانت كلمة
« شيفلو » هي تحريف لكلمة « سيقلو » ، وهو الأمر المقبول .

(٤٠) انظر الكلمة الصقلية ، من كتاب الإمامة والسياسة لابن تينجة ، ج ١ ص ١٦٢
ص ٥٠ ، ص ١٦٤

(٤١) وذلك لأن حرف الصاد الأول كان ينطق ساكنا . في شكل « صقلية » ، وحسب
الأمر العربي على الكلمة العربية . فوسعت الهزة قبل الصاد ، وذلك . كما كانت لتكتب
طرابلس في شكل الطرابلس . أو كما ينطق اسم « محمد » في بعض اللهجات في شكل
« امحمد » .

مصيقت ميسيا ، بين شمال الجزيرة وبين كلابريا ، لا يتجاوز اتساعه
في الموضع الضيق منه ٣ (ثلاث) كيلو مترات ، حتى أن الواقف في ميسيني ،
على ساحل صقلية يرى من في ريو على ساحل إيطاليا (٤٢) . ولهذا عرف
مصيق ميسيا . له في ذلك مثل مصيقت جبل طارق ، باسم « المجاز » ، كما
عرف على وجه التحديد باسم « مجاز العارو » أي معار المنار ، نسبة إلى
ضوء نار البركان القريب ، الذي كان يستضاء به في السر على أكثر من
مائة فرسح ، في البر وفي البحر على السواء (٤٣) .

أما عن المسافة بين جنوبي صقلية وبين أقرب سواحل الريقية إليها ،
وذلك في شبه جزيرة شريك في شمال البلاد التونسية ، فإنها تصل إلى ١٢٠
(مائة وعشرين) كيلو متر (٤٤) . هذا وتوجد بين صقلية وسواحل البلاد
التونسية أعداد من الجزر الصغيرة ، من أشهرها جزيرة قوصرة أو قوصرا ،
بين ساجل مدينة المهديّة والركن الجنوبي الغربي لصقلية ، حيث مدينة
مازر ، وبينها وبين مازر مجرى واحد أي حوالي ٦٠ ميلا . وقوصرة هي
المعروفة حاليا باسم جزيرة « بنطلاية » (٤٥) .

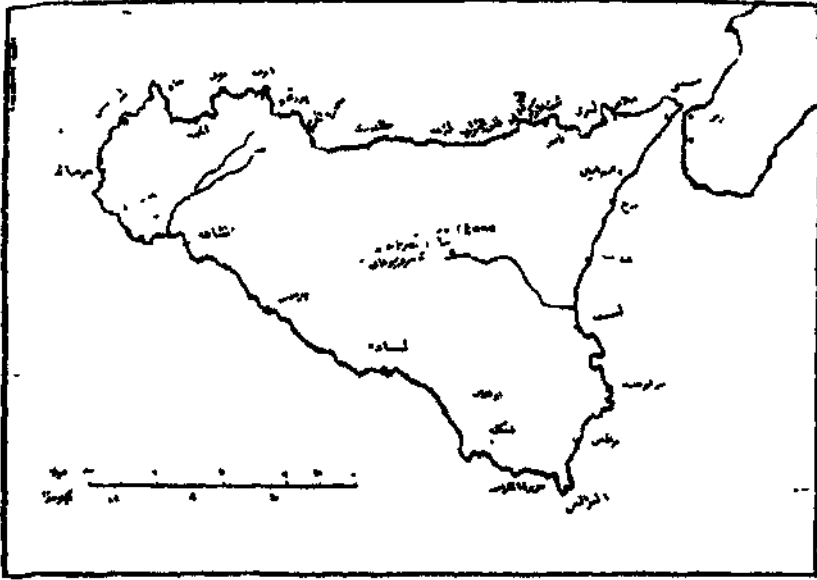
وهكذا كانت صقلية ، بفضل موقعها الأوسط بين إيطاليا والبلاد
التونسية ، وبفضل الجزر الصغيرة بينها وبين سواحل الريقية ، معبرا
طبيعيّا ما بين السواحل الأوربية والسواحل الأمازيقية ، على طول العصور
التاريخية .

الشكل :

الساحل الشرقي :

وصقلية جزيرة على شكل مثلث طولها مسيرة ٧ (سبعة) أيام وعرضه

-
- (٤٦) ياقوت حشم البلدان ، ط أوروبا ج ٤ ص ٥٣٥ (عن سيبس) . ابن حبير ،
الكتابة الصقلية ، ص ٧٨ .
(٤٧) القسرا ، التنبيه والاشراف ، المكتبة الصقلية ، ص ٢ . معجم البلدان ، ط أوروبا
ج ٣ ص ٤٠٦ . ابن حبير ، المكتبة الصقلية ، ص ٨٢ .
(٤٨) انظر أسد الغنى ، المسلمون في صقلية ، ص ٨ . وهي عند الكتاب العرب بمعدل
مجرىين (١٢٠ ميلا) أو يرمين بالريح الطيبة ، ياقوتج . معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٠٦ .
(٤٩) البكري ، صفا الأندلس وأوروبا ، ص ٢٢٦ وعاشق المشرق ، ياقوتج ، المعجم ،
ج ٤ ص ٣٠٠ .



شكل رقم (١)

جزيرة صقلية ، توزيع المدن تبعا لرواية الادريسي

مسيرة ٤ (أربعة) أيام (٤٦) . ومدينة مسينة (Messina) تشمل رأس الثلث الشمالي ، في مقابل مدينة ريو (Reggio) في كلابريا ، ومنها ينحدر الشاطئ الشرقي ، الذي يوصف بأنه ساحل صخري لا حلجان فيه الى مدينة قطانيا (Catania) (٤٧) التي عرفت أيضا بـ « قطاليا » ، كما عرفها الكتاب العرب باسم « مدينة القيسل » (٤٨) ، مارا بطبرمين (Tabrmina) على بعد مرحلة (٢٥ ميلا) ، ثم بـ « لياج » على مرحلة أخرى (٤٩) . وفي قطانيا يصبح الساحل رمليا ، وهو يستمر جنوبا ، الى

- (٤٦) ابن حوقل ، المكتبة الصقلية . ص ٤٠ . وانظر ياقوت . المحم . ج ٣ ص ٤٠٣ .
- والمكتبة ص ١١٤ - وهنا ينسب الإشارة الى أصل رواية ابن حوقل الذي يتخى الدقة أكثر . فيقول انها على شكل مثلث متساوي الساقين ، زاوية الحادة من طرف الجزيرة . انظر سيم ألفسان - ج ٣ ص ٤٠٩ (حيث ينقل رواية ابن حوقل الذي وصفه بالتاجر) .
- (٤٧) انظر أحمد الكندي ٦ المسالك في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا . ص ٩ .
- (٤٨) الادريسي ، المكتبة الصقلية ص ٣٤٥ .
- (٤٩) الادريسي . المكتبة الصقلية . ص ٣٣ - ٣٦ .

قلعة « لنتيسى » على بعد مرحلة ، الى مدينة سرقوسة (Siracusa) عاصمة
الجزيرة القديمة ، التي يعرفها الكتاب العرب بمدينه أرشميدس ، صاحب
نظرية كتافه الأجسام الطامية او الوزن النوعي(٥٠) .

ومن سرقوسة الى قلعة نوتس (Noto) مرحلة ، وهي على بعد ٨
(ثمانية) أميال من البحر ، وبين موطس والبحر حصن قسباري . ثم الى
طرف الجزيرة في هذا الساحل الشرقي ، حيث لا يوجد عمران ، وهو الطرف
التي يسمى « البوالص » ، مرحلة .

الشاطئ الجنوبي :

ومن البوالص يبدأ الشاطئ الجنوبي(٥١) حيث يمر بقلعة « شكلة » ،
على ٧ (سبعة) أميال (وشكله في الداخل على بعد ٣ أميال من البحر) ،
ثم قلعة أرغوص (Ragusa) على ١٣ ميلا (وهي أيضا في الداخل على بعد ٧٣
أميال من البحر) ، ثم حصن لنيادة على بعد مرحلة - وهي على بعد مرحلة
أيضا من جرجنت (Agrigento) (التي تبعد عن البحر ٣ أميال) .

ومن جرجنت الى « الشاقفة » مرحلة (والشاقفة أول عمل قلعة البلوط
على ٩ أميال من الشاقفة) ، ثم الى مازر (Mazara) مرحلتان . ومن مازر
١٨ ميلا الى « مرسى » أو « مرسى على » ، وهي مرسالا حاليا ، ثم الى طرابنش
(Trapani) . على بعد مرحلة خميفة(٥٢) . وفي مقابل طرابنش التي تنتهي
عند الساحل الجنوبي ، تقع جزر : الراهب ، واليابسة ، ومليطة(٥٣) .

الشاطئ الشمالي :

ومن طرابنش ، ذات المرسى الساكن الذي كان مشتمل للسفن ، يبدأ
الشاطئ الشمالي الصخري من الغرب الى الشرق في اتجاه العاصمة بلرم
(Palermo) ، مازا بجبل حامد على بعد ١٠ (عشرة) أميال ، ثم الحفة

(٥٠) الادريسي ، المكتبة الصقلية ، ص ٣٦ . وعن سرقوسة انظر ياقوت ، معجم البلدان
ج ٣ ص ٨١ . وعن وصف الساحل الشرقي انظر احمد القاسم ، المسلمون في صقلية ٢ ص ٦٩ .
(٥١) الادريسي ، المكتبة ، ص ٣٦ - ٣٧ .
(٥٢) المرحلة الخفيفة عند الادريسي تزيد على ٢٠ ميلا وتقل عن ٢٩ ميلا .
(٥٣) الادريسي - المكتبة الصقلية . ص ٢٨ - ٤١ . احمد القاسم ، المسلمون في صقلية
ص ٦٠ (عن وصف الساحل الجنوبي) .

(وهي قلعة حصينة على بعد ثلاثة أميال من البحر ، بها حامية حامية عذبة الماء معتدلة السخونة كان يستحم فيها الناس) التي تقع على مرحلة من طرابنش ، ثم قلعة « أولى » على بعد ١٠ (عشرة) أميال ، ثم بلدة برطنيق على بعد ١٢ ميلا (ومنطقتها هضبة برراعة القطن والخناء) ثم نسس على بعد ٨ أميال ، ثم بلدة قرينش (الغنية باللوز والتين الناشف والحروب) . ومن قرينش الى بلرم ١٢ ميلا(٥٤) .

ومن بلرم الى مسينا ، حيث يسير الساحل في اتجاه الشرق في شكل أفقي ، بعد الادريسي ١٠ (عشرة) مواضع ما بين حصن وبلدة لطيفة ، هي : حصن بورقاد على بعد ١٢ ميلا ، وصخرة الحرير (الداحنة في البحر) على بعد ١٢ ميلا ، وحصن جلفودي (الذي يشبه المدينه) على بعد مرحلة . وحصن طرزة (التابع على سفح جبل مسيح) على بعد مرحته وبلدة اللقوارت على بعد ١٢ ميلا ، وبلدة القارونية (التي تعترض اول اقليم نسس) على بعد ١٢ ميلا ، وبلدة شنت ماركو (التي اشتهرت بحريها وسمسحها ، ومصناعة المراكب من خشب جنلها) على بعد ١٠ (عشرة) أميال ، وحصن ناصو على بعد ١٠ (عشرة) أميال ، وبلدة بقطش على بعد ١٢ ميلا ، ثم بلدية ليرى على مسافة ٣ أميال ثم حصن ميلاص (الذي كان كبير الكتان الطيب ، وهي مياهه يصطاد التين الخليل) على بعد ١٢ ميلا .

وبعد ميلاص تأتي مسيني ، على بعد مرحلة في نهاية الشاطئ الشمالي ، وفي رأس الثلث . حيث يلتقي الشاطئ الشمالي بالشاطئ الشرقي في مقابل بلدة ريو في قلورية(٥٥) .

وهكذا يعدد الادريسي المواضع الرئيسية على كل من شواطئ صقلية التي تكون أضلاع شكلها الثلث . وطول الجهة الشرقية من الجزيرة التي تمتد من مسيني الى البواصر أو جزيرة الارنب ٢٠٠ (مائتي) ميل ، والجهة الجنوبية من طرف جزيرة الأرنب الى طرابنش طولها ٤٥٠ (أربعمائة وخمسون) ميلا ، وهذا الشاطئ هو أطول أضلاع الثلث ، أما الجهة الشمالية ، من طرابنش الى المجار أو العارو ، فطولها ٢٥٠ (مائتان وخمسون) ميلا(٥٦) . والادريسي يحصن دراسة تفصيلية لكل مراسي تلك

(٥٤) الادريسي ، المكتبة -، ص ٤١ - ٤٢ .

(٥٥) انظر الادريسي ، المكتبة الصقلية ، ص ٢٨ - ٣٣ .

(٥٦) الادريسي ، المكتبة الصقلية ، ص ٢٦ .



شكل رقم (٣)

مقلية بين الفرقة وقلوية - كما رسمتها الأندرس

الشواطئ، من كسرة وصغيرة ، ويحدد المسافات بينها ، بحيث يذكر لنا على الساحل الشرقي أكثر من ٤٠ (أربعين) مرسى تتراوح المسافات فيما بينها ، على الجبلية ، من ميل واحد الى ٢٥ ميلا . أما للمسافات بين معظمها فهي ما بين ٦ أميال و ١٢ ميلا (٥٧) . ويعدد من مراسي الساحل الجنوبي من مرسى البوالص الى طرابنش أكثر من ٢٧ مرسى (٥٨) . ومن مراسي الساحل الشمالي ما بين مسيني وطرابنش بعدد أكثر من أربعين مرسى (٥٩) .

أما عن مدن الداخل ناهما : علقمة (Alcamo) في الركن الغربي من الجزيرة ، وقصر يانة (Castro Giovanni) وهو الاسم المشتق من انا (Enna) اسمها القديم ، وقلعة آيس (Caltani Setta) ، وقلعة جيرونة (Caltagirone) التي تقع في جنوب منتصف المسافة ما بين قطانيا وجرجنت (٦٠) .

الوصف :

جزيرة الحصب والعران :

ويفضل موقع صقلية الجزرى في وسط البحر المتوسط ، في الاقليم المعتدل الرابع والخامس - حسب تقسيمات الجغرافيين العرب التي أخذوها عن بطليموس - ويفضل جبالها وكثرة مياهها ، كانت في نظر العرب صنوة الأندلس من حيث : غناها الزراعي والحيواني ، وكذلك المعدني . فهي عند المقدسي : « جزيرة واسعة جبلية ليس للمسلمين جزيرة أجل ، ولا أعمر ، ولا أكثر مدنا منها (٦١) » . وبها من الحصب والزروع والمواشي والرقيق ما يفضل عن سائر مدن الاسلام المتأخرة للبحر ، كما يقول الاصطخرى (٦٢) .

أما ابن حوقل الذي زار الجزيرة في سنة ٣٦٢ هـ / ٧٢ - ٩٧٢ م ، فيقول ان الغالب عليها الجبال والقلاع والحصون ، وأن جميع أرضها مسكونة

-
- (٥٧) الادريسي . المكتبة الصقلية ، ص ٦٨ - ٧٠ .
 - (٥٨) الادريسي . المكتبة الصقلية ، ص ٦٧ - ٦٩ .
 - (٥٩) الادريسي . المكتبة الصقلية ، ص ٦٦ - ٦٧ ، ٧٠ - ٧١ .
 - (٦٠) النظر على جميع أوروبا ، بيروت ١٩٥٧ . ص ٢ .
 - (٦١) الحسن القاسم ، ص ١٩٠٦ . ص ٢٢٢ .
 - (٦٢) الاصطخرى . المسالك . المكتبة الصقلية ، ص ٢ .

حرروعة (٦٣) . وهي في وصف البكري الأندلسي : كثيرة الزرع والضرع
والعواكه (٦٤) . والادريسي ، الذي رسم خريطةها مبينا مدينتها وقراها
وأبهارها ، مما أشرنا الى بعصه ، يصفها قائلا « ان جزيرة صقلية فريدة
الزمان فضلا ومحاسن ، ووحيدة البلدان طيبا ومساكن ، وقديما دخلها
المنجولون من ساير الأقطار ، والمترددون بين المدن والأحصار ، وكلهم أجمعوا
على تفضيلها ، وشرف مقدارها وأعجبوا بزاهر حسنها ، ونظروا بفضائل
ما بها ، وما جمعته من مفترق المحاسن ، وضسته الى خيرات سائر المواطن (٦٥) .

ابنة الأندلس :

أما ابن جبير ، الرحالة الأندلسي ، فقد قال في وصفه لصقلية : « وهي
كثيرة المدن والعمائر والضياع ، وتسميتها تطول ٠٠٠ ونحسب هذه الجزيرة
أكثر من أن يوصف ، وكفى بأنها ابنة الأندلس في سعة العيشة وكثرة
الحطب والرفاهة ، مشحونة بالأرزاق على اختلافها ، مملوءة بأنواع الفواكه
وأصانها . وجبالها كلها بساطين مثمرة بالتفاح والشاه بلوط ، والبندق ،
والاجاص ، وغيرها من العواكه (٦٦) .

ومما نقله ياقوت عن صقلية : « وهي كثيرة المواشي جدا ، من : الخيل
والبغال والحمير والبقر والغنم والحيوان الوحشي . وأن بها جميع الفواكه
على اختلاف أنواعها ، وأن كلالها لا ينقطع صيفا ولا شتاء ، وأرضها تنبت
الزعمران » . وهو يضيف : « وليس فيها سبج ولا حبة ولا عروب » (٦٧) ،
ما يميزها على سائر البلدان .

الثروة المعدنية :

والمهم أن صقلية كانت تتميز عن كثير من بلاد العرب بأنها كانت غنية
بمعدنها التي تمثلت ، غني : الكبريت والحديد والذهب والنحاس والرصاص
والزئبق والنوشادر والتفط وغيرها .

- (٦٣) ابن حوقل ، المسالك - المكتبة الصقلية ، ص ٤٠٠
(٦٤) البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢٦٤
(٦٥) الادريسي ، المكتبة الصقلية ، ص ٢٨٠
(٦٦) ابن جبير ، المكتبة الصقلية ، ص ٨٠
(٦٧) صبح البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٠٧ .

جبل النار :

وأول ما كان يثير انتباه الكتاب العرب ، كما أثار انتباه اليونان والرومان قبلهم ، هو بركان صقلية الشهير . الذي عرف عند العرب باسم « جبل النار » ، كما عرف باسم « الأطمه » أى عن النار التى تنبع من الأرض (٦٨) . وهو بركان أتنا المشهور الذى يصل ارتفاعه الى أكثر من ٣ (ثلاثة) آلاف متر . ورغم أنه كان بركانا هامدا إلا أنه كانت له ثورات وغضبات ما بين الحين والحين ، ولو أن المقدسى حدد الزمن ما بين الثورات والأخرى بعشر سنوات (٦٩) .

الحجر الخفاف والذهب :

وكان البركان يقذف الذهب الذى كان يتساقط مكونا الحجر الخفاف . الذى كان يطفو ما يقع منه فى البحر على سطح الماء ، وهو فى شكل حجر اسفنجي أسود اللون ، بينما الذى يسقط منه فى الر يكون أبيض وأصفر ووردي اللون ، فى « هيئة الشهد وأكواز النحل الصغيرة » . وكان الأسود من هذا الحجر يستخدم لحك الأرجل فى الحمام ، ولهذا سمي بحجر الرجل . كما كان يستخدم الأبيض منه مثلما تستخدم المحاة فتحك به الكتابة من الدفاتر والرقوق ، ومنه ما كان يعرف بـ « الفسك » ، وما كان يسمى بـ « القيسور » (٧٠) .

هذا ، كما كان الذهب يستخرج من بعض المناجم فى جبل البركان . ولهذا السبب عرف جبل النار أيضا بـ « حل الذهب » (٧١) .

الكبريت :

ومما عده الكتاب من عجائب صقلية أيضا معدن الكبريت الأصفر . الذى وصف بأنه لا مثيل له بموضع آخر . ومنجم الكبريت لم يكن بعيدا من جبل النار ، وكان له : « قطاعون عاملون يتساولون ذلك ، قد تمرطت

(٦٨) انظر المسعودى . مروج الذهب . المكتبة الصقلية . ص ١ . والتنبية والاشراف . المكتبة ص ٢ . ياقوت . معجم البلدان . ج ٢ ص ٤٠٧ . ج ٤ ص ٥٥٥ .
(٦٩) أحسن التقاسيم . ص ٣٤٦ .
(٧٠) المسعودى . مروج الذهب . المكتبة . ص ١ . والتنبية والاشراف . المكتبة . ص ٢ .
ولان تحفة الألباب ونسبة الإصحاب لأبي حامد (الدرناطري) . المكتبة . ص ٧٤ .
(٧١) التزويرى . عجائب المفارقات . ص ٢٣٩ .

شمعورهم ، وتصلت أطفارهم من حرة وييسة • وكانوا • يجدونه في بعض الأيام سائلا متسيعا ، فيتخفون له في الأرض مواضع يجتمع فيها • ، كما كانوا • يجدونه في غير ذلك الأوان قد تمجر فيتقطعونه بالمعاويل «(٧٢)»

وكان الكبريت يوجد أيضا في جنوب شرقي صقلية في : جرجنت وفي الشرق في : قطانيا ، وفي الشمال الشرقي ، حول بلرم •

النفط :

والنفط (البترول) كان معروفا في الجزيرة أيضا ، وكان يستخرج من بعض الآبار بالقرب من قلعة المينا • ، غير بعيسد من مرقوسة • وكان للنفط موسم معلوم من السنة يظهر فيه على سطح الماء في تلك الآبار ، وذلك في أواخر الشتاء وبداية الربيع خلال ثلاثة أشهر ، هي : شباط (فبراير) ، وآذار (مارس) ، ونيسان (إبريل) •

أما عن كيفية استخراجة : فكان للآبار درج ينزل عليه الرجل من العاملين في استخراج النفط ، وقد خمر رأسه ، أي غطاهما بقطعة من القماش كالحمار أو النقب • ، ويسد مسام أنفه ، وان تنفس في البئر هلك في ساعتة • ، وما أخرج من النفط • وضع في قصار (أي آنية فخار) فيملو الدهن منه ، وهو المستعمل «(٧٣)» •

ومن معادن صقلية المشهورة النوشادر الأبيض الذي كان يرفع الى بلاد الأندلس رغم وجوده هناك - وكذلك الى مصر • ولو أن أهل مصر استغفروا عنه بعد ذلك بتراب الحمامات ، كما يقول المقدسي «(٧٤)» •

٣ - السكان :

لما كانت صقلية ، بفضل موقعها الجغرافي ، في منتصف البحر المتوسط ، أشبه بمحبر بين أوروبا وإفريقية ، لم يكن من الغريب أن يطرا على تكوينها البشري الكثير من التغيير والتبديل ، تبعاً لمجريات الأحداث في حوض البحر

(٧٢) البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢١٥ ، وانظر دواية البكري ، كما نقلها طين السباط ، المكتبة الصقلية ، ص ٢١٠ •
- (٧٣) البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢١٦ •
(٧٤) الحسن الطاسيم ، ص ٢٢٦ - ٢٤٠ •

المتوسط ، وفي كل من الساحلين المشرفين على الجزيرة ، سواء في أوروبا ثم في أفريقيا ، حتى صارت قصة الجنس الأصلي لسكان صقلية ، وهم الصيقلو أو الصقليين أشبه بقصة أسطورية ، كما رأينا (٧٥) .

بعد القديم عرفت الجزيرة الفيسقيين ، واليونان ، واطرطاجيين ثم الرومان الإيطاليين ، وقبائل الفريج من : الجرمان والوندال ، قبل أن تدخّن في نطاق الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وهي بيرانطة او دولة الروم كما عرفها العرب ، وذلك عندما استرجعها بليزاريوس من أيدي الوندان ، هي وولاية المغرب حوالي سنة ٥٣٠ م (٧٦) .

ومع أنه مما لا شك فيه أن معنى كل بوج من العراة أو المهاجرين كان له أثره على التركيب البشري لسكان الجزيرة وعلى لغتهم ، فإن جمهرة السكان ظلت ذات طابع بشري ولغوي ومزاجي خاص بها ، يعرفها - على كل حال - عن جنس الغزاة ، سواء كانوا من العينيقيين أو اليونان أو القرطاجنيين أو الرومان والروم . ومثل هذا سيحدث على أيام العرب أيضا ، وإن كان إلى حد محدود ، بسبب التغييرات الأساسية التي طرأت على أهل كل البلدان التي دخلت في حوزة الدولة الإسلامية ، إذ صاروا عربا أولا وقبل كل شيء .

روم أفريقية يعمرن صقلية :

وفيما يتعلق بروم صقلية يقول ياقوت : إن الجزيرة كانت قليلة العمارة ، خاملة قبل الإسلام . فلما فتح المسلمون بلاد المغرب ، هرب أهل أفريقية إليها فقاموا بها يعمرونها ، فأحسنوا - حتى فنحت في أيام بني الأغلب (٧٧) .

وهذه الفقرة الأخيرة تدل على الصلة الوثيقة بين أفريقية وصقلية ، على عهد البيزنطيين قبيل دخول العرب إلى المغرب . وهي تبين أن الصيغة الرومية البيزنطية كانت الغالبة على أهل صقلية .

(٧٥) انظر فيما سبق ، ص ١٩٧ .

(٧٦) انظر احسان عباس ، العرب في صقلية ، ط ١ ، دار المسافر بصر ، ص ٢٥ ،

مارينو موريو ، المسلمون في صقلية ، ص ٣ - ٦ .

(٧٧) انظر شيخنا البلقان ، ج ٣ ص ٤٠٧ - ٤٠٨ وقريب من هنا ما يقوله المنشي ، في نسخة الدرر ومجانب البر والبحر ، عن صقلية ، وهو سيال أفريقية . فقلنا كانت في أيدي المسلمين كانت حاضرة من العلم ، كثيرة المستنسخة والأدباء والطلّاء // صناعة الأهل - المكتبة الصقلية ، ص ١٤٤ .

ولا شك أن فكرة صقلية الرومية هي التي جعلت العرب يجعلونها
بلد كبار مفكرى اليونان القدماء . فلزم هي بلد ارسطاطاليس الذي كان
معلقا في حنسة في هيكلاها (٧٨) " والفيلسوف فرقروريوس ، صاحب كتاب
اندخل الى كتب ارسطاطاليس المعروف باسم « اليباشوجى » ، هلك فيينا
في حبل النار (٧٩) ، وكان بها كذلك قبر جاليموس (٨٠) .

والرواية تبين أيضا أنه اذا كان روم افريقية قد غادروا البلاد وانتقلوا
الى صقلية يعمرونها ، فلم يكن من العسير على العرب بعد أن استقروا في
افريقية أن يتبعوهم الى هناك ، وأن يتابعوا ذلك العمران في رشتى المجالات .

(٧٨) مرآة الأطلاع - كلبكوش ، المكتبة ، ص ٤٧٧ ، كتاب جغرافية - جغرافيا ، المكتبة

ص ١٢ .

(٧٩) المسعودى ، التنبيه والاشراف ، المكتبة ، ص ٢ ، مروج الذهب ، المكتبة ص ١ -

(٨٠) من الكرى ، كما نقله ابن الصبأ ، المكتبة ، ص ٢٦٠ .

فتح الأغالبة لصقلية

المقدمة :

صقلية : دار أهل العهد :

كانت صقلية اذن ، بعد فتوح العرب للمغرب ، مركزا للأسسطلون البيزنطي ، يهدد منه سواحل المغرب العربية ومراكب التجسار العرب (٨١) ، كما كانت أيضا ملجأ لأعداء العرب من روم افريقية الذين تركوا البلاد ، واستقروا في الجزيرة ، وعملوا - وهم يكتون العداء للعرب - على زيادة اتعاشها الاتصاى الذى جعل منها توأمة الأندلس . وكان كل من هذين العاملين كافيا ، وحده ، لكى يفكر العرب جديا فى غزو الجزيرة عندما أصبحوا قوة بحرية تستطيع مناوأة الروم فى البحر . وهكذا بدأت الفسارات الاستطلاعية السابقة على صقلية وغيرها من جزر البحر ، مثل : سردينيا وكورسيكا ، وهى العارات التى كانت تنتهى فى كثير من الأحيان بالصلح ودفع الجزية للعرب . وبذلك لم تعد صقلية أرض العدو وبلاد المغانم والسبى فقط ، بل بلاد المعاهدين من أهل الذمة أيضا .

هذا ، ولو إن المصادر لا تندما بنفصيلات عما كان يتم بين الروم والعرب من المعاهدات ، مما يبنى أن أهل ذلك العصر لم يكونوا يستسيغون قيام السلام بين الروم ودولة الاسلام ، حتى كانت تلك المعاهدات تتم بما يحفظ سريتها ، من : الحياء والكتمان .

ذلك ما يتضح من دراسة الأسباب التى أدت الى غزو الأغالبة لصقلية ، على عهد الأمير زيادة الله الأول ، فى سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م . حقيقة أن اضطراب الجند الأغلبي ، وعدم الاستقرار الذى عرفته معظم ولايات افريقية يمكن أن يكون من الأسباب التى حدثت بالأمير الى توجيه نشاط جنده ورعاياه نحو الجهاد فيما وراء البحار فى صقلية ، بدلا من صرفه فى العتن والتقاتل

فيما بينهم . ولكن نكي يجمع المتح في صقلية ، كان الأمر يتطلب إبعادها عسكريا على مستوى مناسب للعملية الكبيرة ، كما كان يتطلب تغطية قانونية تسعح بِنقض معاهدة السلام التي كانت معقودة بين روم صقلية من جهة وبين الأغالبية من جهة أخرى ، منذ أيام أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الإغلب الأمير السابق (٨٢) .

الصقليون ينتفضون الصلح :

ومن الواضح أن معاهدة السلام تلك كانت تقضي بأن يعيد الروم في صقلية كل من كان لديهم من الأسرى : من الجند أو من أهل الريقية (٨٣) . وهو الأمر الذي قام حوله جدل في افريقية في أواخر سنة ٢١١ هـ أو أوائل سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) ، عندما حضر القائد البيزنطي فيمي (أو فيميوس Euphemius) الذي كان خارجا على امبراطور القسطنطينية مع بعض أنصاره ، والذي كان يريد أن يستعدي زيادة الله على الروم في صقلية ، أو كان يريد أن يطلب منه معونة عربية ليستعيد بها سلطانه في الجزيرة ، فأعلن أن الروم خرقوا الهدنة في صقلية . وأنهم يحتجزون أعدادا من أسرى المسلمين هناك (٨٤) .

(٨٢) انظر المالكي ، رياض النعمس ، ج ١ ص ٨٦ . والتحديد ان إبراهيم بن الإغلب كان قد عقد الصلح - في سبيل تأمين الملاحة العربية في البحر المتوسط - لمدة عشر سنوات مع القائد البيزنطي في صقلية ، وهو قسطنطين . ورغم تغير السياسة الأغلبيه التي حدثت في تقوية الامارة بحريا عن طريق الاهتمام الكبير بالاستول ما أثار انباء البيزنطيين في صقلية ، فان الأمر انتهى بصلح جديد لمدة عشر سنوات بين أبي العباس عبد الله الذي خلف والده ابراهيم بن الأغلب وبين جرجوري القائد البيزنطي في صقلية ، وذلك في سنة ٨١٢ ، كما تم تبادل الأسرى ، وتقرر تأمين سلامة التجار من الجانبين - انظر مزهد (أحمد) ، تاريخ صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ٥٠ -

(٨٣) انظر المالكي ، ج ١ ص ١٨٦ ، المكتبة ، ص ١٨٢ - حيث تقول الرواية على لسان سليمان بن عمران القاضي القيرواني بعد سجنه (انظر فيما سبق ج ١ ص ٧٤ و ٧٠ - الذي كان قد حضر مع شيوخ القيروان كتاب الهدنة ، الذي قرأه على جماعة الناس ، وكان فيه : « بان من دخل اليوم من المسلمين وأراد أن يردوه الى المسلمين كان ذلك عليهم » .

(٨٤) انظر المالكي ، ج ١ ص ١٨٦ ، المكتبة ، ص ١٨٢ - وهذه الرواية مقبولة أكثر من رواية اللخمي، عياض القضاة في المدارك (ص ٤٧٦ ، تراجم الخليفة ، ص ٦٦) التي تحصل الرسائل الذين حضروا الى القيروان . ومع ذلك طافية الروم . مما لا يتفق على نفس الرواية مع ذلك القاضي أبي حمزة لهم . ويؤيد رواية المالكي . كما نفس عليهم الروايات التي تقول ان فيمي ، بعد ان أخرجه جيجوش القيصر من صقلية ، سار فصح الى إفريقيا . ثم الى -

وجمع زيادة الله أهل الحل والمقد من مستشاريه ، ومن العلماء ، وعلى رأسهم قاضيا افريقية حينئذ ، وهما : أبو محرز وأسد بن الفرات ، لمناقشة أمر احلال روم صقلية بشروط الهدنة ، اذ احتجزوا بعض أسرى العرب ولم يطلقوهم حسب مقالة فيمي وأصحابه ، الذين كان بينهم واحد من المسلمين ، كما تقول رواية المالكي (٨٥) . ولا بأس أنه كان ترجمانا للروم ، اصطحابه معهم . والظاهر أن فيمي وأصحابه أرادوا أن يظهروا بمظهر أصحاب الأمر الشرعيين في صقلية ، وهذا ما لم يخف على أبي محرز القاضي ، الذي رأى التروى في أمر تقرير خرق الهدنة حتى تظهر البيئنة (٨٦) .

وكان أبو محرز يرى عدم الأخذ بمقالة فيمي وصحبه ، على أساس عدم جواز قبول شهادتهم على أنفسهم أو على خصومهم من أبناء جلدتهم . أما أسد ابن الفرات الذي كان قد جمع ، الى العلم والعفة ، الشجاعة - حتى أنه كان يعد من بين شجعان افريقية في ذلك الوقت - والذي كان يميل الى نقض الهدنة ، فإنه اعترض على تشكيك أبي محرز في شهادة فيمي وصحبه ، واعتبرهم رسل ملك الروم ، وقال في ذلك : « بالرسول هادناهم ، وبهم نجملهم ناقضين » . وأضاف الى ذلك الآية التي تقول : « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون » ، وأكد ما تدعو اليه الآية ، بقوله : « فنحن الأعلون » (٨٧) .

وعلى أساس فتوى أسد بن الفرات تلك تم نقض الهدنة مع الروم ، وبناء على ذلك قرر زيادة الله غزو حريرة صقلية ، وهو الأسر الذي كرمه علماء افريقية وقتئذ ، لأنه لم يصح عندهم أن الروم نقضوا العهد (٨٨) .

صراعات داخلية في الجزيرة تهيء للفتح :

وهكذا كان فتح صقلية ، مثل فتح الأندلس ، نتيجة مباشرة لصراعات داخلية بين زعماء البلاد ممن طلب بعضهم معونة العرب ، أو سهلوا عليهم

= القيروان - انظر ياقوت ، معجم البلدان ط . أوروبا . ج ٣ ص ٤٠٧ . البكري . ج ١ ص ٦٦ . الأندلس وأوروبا ، ص ٢١٩ .

(٨٥) المالكي ، المكتبة ، ص ١٨٤ ، وعن أسد وابن محرز انظر فيما سبق ، ص ٦٦ .

وما ينص على :

(٨٦) المالكي ، ج ٣ ص ١٨٦ ، المكتبة ، ص ١٨٢ ، تراجع القلبية ص ٦٦ .

(٨٧) انظر تراجم القلبية ، ص ٦٦ ، المنار ، ص ٤٧٧ ، المالكي ، ج ٢ ص ٢٨٧ .

المكتبة ، ص ٢٨٢ - ١٨٣ .

(٨٨) المالكي ، ج ٧ ص ١٨٧ ، المكتبة ، ص ١٨٣ .

أمر الاسبيلا على الجزيرة . وفي سنة ٢١١ هـ / ٢٦ - ٨٢٧ م . قام نزاع بين حاكم صقلية البيزنطي قسطنطين ، وبين فيسي قائد جيش الاسطون الذي صفه رواية ابن الأثير اشقولة عن الرقيق - التي حافظ عليها التويري بشكل جيد ، بينما انطلمست بعض معالمها عند ابن خلدون ، والتي يعتمد عليها ، على أساس أنها يونانية الأصل - بالحرم والشعاعة (٨٩) . وانتفى ذلك النزاع بأن هاجم فيسي بمراكبه سرقوسة العاصمة ، واستولى عليها بعد أن هزم قسطنطين الذي لجأ الى مدينة قنانيا القريبة ، على نفس الساحل الشرقي لجزيرة ، شمال سرقوسة ، حيث طاردهت قوات فيسي وأخذته وقتلته .

وبموت قسطنطين آل حكم صقلية الى فيسي الذي اتخذ اللقب الملكي ، بمعنى اعلان الاستقلال عن الامبراطورية ، وعهد بولايات الأقاليم الى اتباعه ، وكان منهم القائد الأرمي بلاطة ، ابن عم ميخائيل حاكم مدينة بلرم . ولم يلبث بلاطه أن طمع بدوره في ملك الجزيرة فتحالف مع ابن عمه ميخائيل ، ونجح الاثنان في هزيمة فيسي ، وانتزاع سرقوسة من بين يديه - وهنا لم يجد فيسي ملجأ الا افرقية حيث كان الأمير زيادة الله (٩٠) .

حقيقة عرض فيسي ، واحتمالات النجاح والفشل ، ودور أسد بن الفرات :

في هذه الظروف ، وبصرف النظر عن نقض الصلح أو عدمه ، عرض القائد فيسي على زيادة الله أن يعاونه على فتح صقلية . وسهل له أمر ذلك ، ووعده - على ما نفى - بأن يكون تابعا له في الجزيرة ، الا اذا كان في نية فيسي الخدر بعد أن يساعده العرب ، وهو الأمر الذي يظهر من خشية العرب من وجوده في صفوفهم ، عندما نزلوا في الجزيرة . والظاهر أن زيادة الله وعدا لا بأس به من مستشاريه ، وعلى رأسهم القاضي أسد بن الفرات ، أرادوا إبتزاز الفرصة . ودفع حدود الإسلام في قلب البحر المتوسط ، بل وإلى السواحل الأوروبية بضم صقلية . ولكنهم كانوا مترددين في حياي الكسب والحسارة في المخامرة البعيدة فيما وراء البحر ، وخاصة أن القصد ، هذه المرة ، لم

(٨٩) وعن أسبل ثورة فيسي تقول الرواية البيزنطية انه أحب بامية اسما بموئيزاه وفروجا ريم ازديها . وعندما بلغ ذلك سماع الامراطور ميخائيل بطاري أمر حاكم الجزيرة قسطنطين بتسالة فيسي وقطع الله (انظر عزيز اسد ، تاريخ صقلية الاسبيلية ، المجلد ١ ، ص ٦) .

(٩٠) ابن الأثير ، المكتبة الصقلية ، ج ٢٢٦ ، ص ٢٢٤ - التويري ، المخطوط - ص ٢٢٤

١٢٦٦ المكتبة ، ص ٢٢٧ . ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٩٦ . والمكتبة ، ص ٤٦٦ .

يكن عارة عادية من تلك الغارات التي كانوا يقومون بها على صقلية وغيرها من الجزر القريبة منها ، مثل : سرداوية وكورسيكا ، بل هو الاستقرار والاستيطان في الجزيرة .

ينضح ذلك من المناقشات التي دارت بين فقهاء افريقية الذين اختلفوا في الأمر ، ففكر بعضهم غزو الجزيرة ، على أساس أنه لم يصح عندهم أن الروم تقضوا المهدي (٩١) ، أو ما تصح به بعضهم ، عندما قالوا : نفروها ولا نسكنها ، ولا نتخذها وطنا . ويظهر ذلك بشكل أوضح فيما ينسب الى فقيه افريقية وامامها الشهير سحنون بن سعيد ، من أنه : سأل العارفين بالمسألة عن المسافة بين صقلية وبلاد الروم ، وعن المسافة بينها وبين افريقية . وانه عندما عرف أن الانسان يروح مرتين وثلاثة في النهار من ساحل صقلية الى ساحل بلاد الروم - والمقصود بذلك عبور مجاز ميسى الضيق - وان المسافة بين الجزيرة وبين افريقية : يوم وليلة ، أظهر عدم موافقته على الغزو ، على أساس ان امدادات الروم ستكون قريبة جدا من الجزيرة ، بينما سيكون العرب بعيدين عن قواعدهم . وهكذا قال سحنون : « لو كنت طائرا ما طرت عليها » (٩٢) .

توتب على ذلك أن انقسم الناس الى ثلاثة أطراف ، من محبذين للغزو ورابعين فيه ، وعلى رأسهم أسد بن الفرات . ومعارضين للمغامرة غير المضمونة ، وعلى رأسهم سحنون بن سعيد .

ثم جماعة الوسط ممن كانوا يودون الغزو ويخشون من القيام بالمغامرة . والمثل لهم زاهد افريقية وعابدها وقتئذ : عبد الرحيم بن عبد ربه الربيعي ، الذي كان يعرف بعبد الرحيم المستجاب ، والذي كان في أول أمره تاجرا في سوق البزازين بالقيروان . فقد كان عبد الرحيم مترددا ما بين الخروج للغزو أو البقاء لاصلاح وإعادة بناء رباط قصر زياد الذي كان يتردد عليه في الساحل ، فاقنعه سحنون بأن يبقى ويبني قصر زياد ليكون حبرسا

(٩١) انظر الصفحة السابقة .

(٩٢) النويري . المخطوط . ج ٢٤ ص ٢٢٦ ب ، المكتبة . ص ٤٢٧ - ٤٢٨ حيث تسمى الرواية صاحب الرأي المعارض باسم : « ابن قادم » الذي ربما كان واحدا من اصحاب سحنون . وعن ابن قادم الذي يظهر في صورة واحد من قواد أسد في صقلية وانه كان يحدد التسمية الى افريقية قائلا : « إن حياة رجل مسلم أحب لليل من اهل الشرك كلمه » . انظر المالكي . ج ١ ص ١٨٨ ثم ص ١٨٩ : حيث أحب أسد ابن قادم لغزبه بالسوط .

للمسلمين ، وعودا لهم يلجأون اليه ، ويرابطون فيه (١٣) .

رأى الشجعان ينتصر : أسد بن الفرات قائدا :

والهم أن رأى جماعة المتحمسين للجهاد هو انضى انتصر ، فقرر زيادة الله القيام بالفتوة ، وأصدر أمره الى القائد البيزنطي فيمى وأصحابه بالتوجه الى سوسة ، قاعدة الفتوح وأرض المحارس والرباط ، والإقامة فيها حتى يتم الاعداد للحملة ، ويستعد الاسطول (١٤) . ولم يكن من الغريب أن يستعد زيادة الله قيادة الحملة الى أسد بن الفرات ، الذى كان على فقهه وعلمه ، معدودا بين الشجعان ، والذى كان قد سبق له غزو سردانية بأمر زيادة الله ، وأشرف على فتحها ، كما تقول الرواية ، لولا حسد من كان معه من القواد (١٥) .

الاجتهاد فى بناء السفن للحملة :

دار صناعة فى عقبة سوسة :

ويظهر من سيرة أسد بن الفرات ، كما يمرضها كتاب تراجم علماء افريقية ، أنه كان يتعجل الاعداد للحملة والمسير الى الجهاد ، حتى قيل : انه كان يشعر بتثاقل زيادة الله فى ذلك ويشكو منه (١٦) . هذا ، ولو أننا نجد فى تراجم غير أسد من العلماء بعض التفصيلات الطريفة عما كان يقوم به زيادة الله من تجهيز الاسطول فى سوسة . ففى ترجمة يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسى ، دفين سوسة ، يتضح أنه لما أمر زيادة الله بإنشاء المراكب

(١٣) انظر المالكي ، ج ١ ص ٢٢٧ ، المكتبة ، ص ١٨٦ - وتقول الرواية أن سحنون بن سعيد صنع عند الرحيم بذلك لانه كان يعرف عنه انه يخاف البحر - وأن سعيد الرحيم عندما شاور أسد بن الفرات فى صحة سحنون له ، رد عليه قائلا : « الذى أشار عليك به حسو الميسراب » . وأن أسدا أنت موافقه على ذلك بأن سعي فى موافقة الأمير على أن يبنى عند الرحيم قصر زياد ، فأخرج له السجل الخامس بذلك . وتقول الرواية أن عبد الرحيم ألقى فى اسلح للبحر وإعادة ماله ١٨ (ثمانية عشر) ألف دينار . منها ١٣ (اثنى عشر) ألف دينار من ماله ، و ٦ (ستة) آلاف دينار من مال اخوانه ومحبيه .

(١٤) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٧ ص ٢٢٦ ب . المكتبة ، ص ٤٢٨ .

(١٥) تراجم الخليلية ، ص ٦٧ - وتقول الرواية أن حسد فضواته له - أثناء الفتوح بلغ مسامح الأمير الذى سأل عن أسماء المتحمسين فى الامر وأن أسدا رفض أن يستقيم .

(١٦) المالكي ، ج ١ ص ١٨٧ ، المكتبة ، ص ١٨٢ .

للحروج الى صنعليه . كان فتياته من السودان يشاركون في أعمال دوا
الصناعة التي ضاق بها المكان حتى أن الماسين في بناء السمر اضطروا ان
استخدموا مقرة سوسة ، وهدموا ما فيها من القيور ، حيث رقدوا وترك
انتي كان يحرى انشاؤها ، و الا قبر يحيى من عمر ، ما حسر احد على هدمه .
وعندما مثل بعض العاملين من العتيان السودان قال : « أنا مرى عليه بورا
عظما ، فهو الذي معنا من هدمه » (١٧) .

الذي معهم من ترجمة أسد بن الفسرات انه ، في الوقت الذي كان
بصجل الاعداد للحملة ، كان يفضل العشاء في وطيمة القضاء ففي ذلك
يقول الرواية انه قال لزيادة الله أصلح الله الأمير من بعد القضاء . والفتر
في حلال الله تعالى وحرامه ، تعزتي وبوليسى الامارة ، وكان رد الأمير
« امي لم أعزك عن القضاء ، بل وليك الامارة ، وهي شرف من القضاء .
وأبقيت لك اسم القضاء فأنت قاضي أمير » . وزعم ما تعوله الرواية من انه
« لم يجتمع الامارة والقضاء لاحد ببلد افریقیة الا لأسد » (١٨) ، فقد كان
ذلك أمرا طبيعيا بالنسبة لأسد ، إذ كان الجيش يحتاج دائما الى قاص ،
يسمى « قاضي المسكر » ، للنظر في أمور الحلال والحرام ، بين الجند ، وينظر
في مسألة توزيع المغانم وتحديد الخمس الخاص بالأمير . وهكذا ، بينما كان
الاعداد للحملة يجرى على قدم وساق ، والناس يتوادون على أسد يسألونه
عن اشروج معه ، وما يحسن أن يكون معهم من العدة والعتاد ، أصدر قيادة الله
سجلا بولاية أسد على صقلية أميرا وقاضيا (١٩) .

شروج أسد من القيروان :

وعندما جهر الأسطول في سوسة ، وتم الاعداد للحملة في القيروان ،
كان على أسد بن الفرات أن يخرج لركوب الأسطول في سوسة ، وذلك بعد
إقامة حفل عقد اللواء له في المسجد الجامع بالقيروان بعرفة الأمير ، حيث
يقرأ سجل الامارة ، أي قيادة الحملة ، ويصف مترجموا أسد بن الفرات حفل
خروجه من القيروان ، في الطريق الى سوسة ، وصفا رائعا : فقد خرج معوقا

(١٧) الألكس ، ج ١ ص ٤٠٠ ، للكتبة ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(١٨) الألكس ، ج ١ ص ١٨٤ ، للكتبة ، ص ١٨٢ تراجم . الخلة ص ٦٦ - .

(١٩) الألكس ، ج ١ ص ٣٢٧ ، للكتبة ، ص ١٨٦ ترجمة عبد الرحيم بن عبد ربه .

وتقول الرواية ان أسدا حمل الأمر يصدر أيضا سجلا من قصر بن زياد ، كما سبق .

بوجوه أهل العلم من المودعين وكبار أهل إربيه من عامة الناس ، ورجال
الحاشية ائدين خرجوا جميعا بأمر قيادة الله .

ونظر أسد الى الناس عن يمينه وعن شماله ، والبنود مشورة فوق
الرؤس ، وقد صهلت الخيل ، وضربت الطبول ، فأحده التآثر . ووقف القائد
الغني حطياً في الطبع الحاشد من المشيعين ، فقال : « والله يا معشر الناس
ما ولي في أب ولا جد قط ، ولا رأي أحد من بيتي مثل هذا قط ، وما رأيت ما
برون الا بالاقلام ، فاجهدوا أنفسكم واتصبا أبدانكم في طلب العلم وتدوينه ،
وكانروا عليه واصبروا على شدته فانكم تنالون به الدنيا والآخرة » (١٠٠) .
فكانت مناسبة استغلها القاضي القائد للحث على طلب العلم الى جانب الدعوة
الى الجهاد .

حجم الحملة ومعداتنا :

ولا نعرف متى خرج أسد من القيروان ولا كم من الوقت أمضى في
سوسة حيث كان يشرف على رجال الحملة الذين بلغ عددهم ٧٠٠ (سبعمائة)
لارس بحيلهم ، و ١٠ (عشرة) آلاف راجل . ولكن من المعروف أنهم كانوا
قد انتظموا في مراكبهم التي بنفت ١٠٠ (مائة) مركب ، قبل صباح السبت
الموافق للمتصف من شهر ربيع الأول من سنة ٢١٢ هـ / ١٤ يونية ٨٢٧ م ،
حينما أعطيت الإشارة للاستطول بالاقلاع ، وذلك في خلافة المأمون (١٠١) .

وهذا يعني أن حمولة المركب كانت حوالي ١٠٠ (مائة) رجل دون
التونية . وتقول رواية ابن عذاري ان رجال الحملة كانوا يتكونون من أشرف
افريقية ، من : العرب والجبسد والبربر والأندلسيين ، وأهل العلم
والبصائر (١٠٢) . وذلك يعني أن العرب الذين شاركوا في الحملة كانوا من
سلالة القرشيين وعرب الفتوح الأولى في افريقية الذين عرفوا بالبليدين ، الى
جانب التميميين من أقارب الأغالبة . أما الجند فالتقصود بهم عسكري الأمير وقتيانه
من الصقالية ومن السودان ، وأما بربر افريقية فلا بأس أن يكونوا جماعات
من هورة طرابلس ونغزوة ، ومن قسائل الزاب ويضمتهن كتابة . أما عن

(١٠٠) المالكي ج ١ ص ١٨٨ . المكتبة ، ص ١٨٤ . وقارن تراجم إفريقية ، ص ٦٧ .

(١٠٢) النويري . المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٦ - المكتبة ، ص ٤٢٨ ثم المخطوط ، ص

١١١ حيث تقول الرواية أن أسدا سلك في عشرة آلاف - وقارن المالكي ج ١ ص ١٨٧ .

(١٠٣) ابن عذاري ج ١ ص ١٠٢ -

الأندلسيين فالمقصود بهم ، كما نرى ، أولئك الذين كانوا قد استقروا في افريقية . ومنهم من كان من أهل العلم والبصائر ، الذين ساهموا في هذا الجهاد ، وهم غير الأندلسيين من الغزاة البحريين الذين سيأتي ذكرهم عساً قريب .

أما عن مراكب فيمي التي لا تشير إليها الرواية في تلك الرحلة ، فأغلب الظن أنها سارت بصحبة أسد ، كما تقول رواية النويري (١٠٣) .

انقلاع الحملة الى مازر (مزاره Mazara) :

وإذا كانت الرحلة في البحر في ربيع الصيف الموالية تستغرق يوماً وليلاً ، كما قيل لسحنون (١٠٤) ، وهي مسافة مجريين بمسافات أهل البحر وقتئذ ، أي حوالي ١٢٠ ميلاً ، فإن هذا لا يعني أن أسطولاً حربيًا مثقلاً بالرجال والعتاد كان يمكنه أن يصل في اليوم التالي إلى ساحل صقلية . فقد استغرقت الرحلة ٣ (ثلاثة) أيام ، يوصل الأسطول إلى ساحل مازر صباح يوم الثلاثاء ١٣ من ربيع الأول (١٦ يونيو) (١٠٥) .

أما عن اختيار ساحل مازر لنزول الحملة ، فكان يحقق للعرب ميزتين : أحدهما ، أن ساحلها يعتبر أقرب السواحل الصقلية إلى الأرض الأفريقية . وثانيتهما : أنها كانت بعيدة عن مركز النقل البيزنطي في الجزيرة ، وذلك على الساحل الشرقي حيث : سرقوسة وقطانيا وشمسين ، كما أن مدينة مازر نفسها كانت بعيدة في الداخل على بعد أميال من الساحل .

حازر قاعدة العمليات :

وهكذا ، أمر أسد بن الفرات بالحيل فأخرجت من المراكب في هدوء ، وتيممها الرجال ، واتخذ له في الموضع معسكراً ، وانتظر يتحسس مواضع قديمة في المكان لمدة ثلاثة أيام . وواضح من رواية النويري أن أصحاب

(١٠٣) النويري ، المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٦ . المكتبة . ص ٤٧٨ (حيث يقول إن الأسطول كان في « بحر مائة مركب سوى مراكب فيمي ») .

(١٠٤) انظر لها سبق . ص ٢١٣ .

(١٠٥) النويري ، المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٦ ب . المكتبة ص ٤٧٨ . وانظر تاريخ صقلية حسب تاريخ الروم ، المكتبة الصقلية ص ١٦٥ (حيث يجعل الوصول إلى مازر في منتصف يونيو) .

فيمسى لم ينزلوا في المعسكر العربي ، بل أقاموا بالقرب منه ، وذلك أن رجال
أسد عندما أخذوا في اليوم الثالث سرية من سرايا الروم ظهر لهم أنهم من
أصحاب فيسي فتروكهم(١٠٦) ، مما يعني أن المنطقة لم تكن محصنة ، وأنه
لم يكن بها حاميات من البيزنطيين .

وبذلك استولى أسد على مازر ، وبيت سرايا في المنطقة فغنم وتسي ،
حتى امتلا المعسكر بالسائمة الكثيرة والسبي والسلاح (كراعات) (١٠٧) .

اللقاء مع حاكم الجزيرة في « مروج بلاطه » (Pelato ؟) :

وعندما اطمأن أسد إلى سلامة موقعه قرر المسير إلى لقاء القائد الأرمني
بلاطه ، الذي كان قد سيطر على الجزيرة وطرد فيسي . فعبا رجاله وخرج بهم
من مازر متجها إلى حيث كان بلاطه في بعض قلاع مروج يعرف باسمه ،
فهو « مروج بلاطه » ، مسترشداً بفيسي ورجاله . وعندما برز بلاطه ، عبأ أسد
رجاله في هيئة القتال ، وطلب من فيسي ورجاله أن يقفوا بعيداً على الجياد .
وانتهى القتال غير المتكافئ في نظر الرواية التي تقول ، بكثير من المبالغة ،
أن بلاطه زحف في ١٥٠ (مائة وخمسين) ألفاً (١٠٨) بانتهزام بلاطه نحو
قصريانة (كاستروجيوفاني) ، وهي المدينة الكبيرة التي تعتبر عاصمة وسط
الجزيرة ، بعد أن فقد كثيراً من رجاله ، وترك الكثير من عده وعتاده غنيمة
بين أيدي رجال أسد .

وللرواية الحق في تضخيم الدور الذي قام به أسد بين الفرات أنفساء
القتال الكبير . فهو عندما طلب إلى أصحاب فيسي أن يمتزلوا رجاله ، أمرهم
بأن يجعلوا على رؤسهم سيما يعرفون بها لثلاثتهم واحد من العرب أنهم
من الأعداء ، فيصيبهم بمكره . وينسأ على ذلك فقد جعل أصحاب فيسي
الحشيش على رؤسهم(١٠٩) مما يعني أنهم كانوا محتبئين فيما يشبه الكمين
وأنهم استخدموا فروع الأشجار والحشيش على رؤسهم للتصويه .

(١٠٦) البويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٦ - المكتبة ، ص ٤٢٨ .

(١٠٧) آين هادري ، ج ١ ص ١٠٢ .

(١٠٨) المالكي ، ج ١ ص ١٨٨ ، المكتبة ، ص ١٨٤ . البويري ، المخطوط ، ج ٢٢

ص ١١١ . وتذكر هذه المبالغة بما قيل في فتح الأندلس أن جيش الخليل كان يزيد على
مائة ألف بينما كان جيش طارق حوالي عشرة آلاف .

(١٠٩) المالكي ، ج ١ ص ١٨٨ ، المكتبة ص ١٨٥ .

ووقف أسد يحمل لواء القيادة في قلب عسكره ، وهو يزمرم بأيات من القرآن الكريم ، وخاصة سورة « ياسين » . وعندما بدأ الروم حملتهم على رحاله الدين راعهم الأمر ، أقبل أسد يرفع من معنوياتهم ، ويهول لهم : « هؤلاء عجم الساحل ، هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم » ، واندفع باللواء تحت إبطه ، وحمل الناس معه . وبلغ من تشبث أسد باللواء تحت إبطه أنساء تموج الناس في المعركة الى درجة أن سال الدم من تحت إبطه على قساة اللواء ، وعلى طول دراعه (١١٠) .

ولم يستقر بلاطه كثيرا في قصر يانة اذ غلبه الخوف من العرب ، فخرج من قصر يانة نحو ميسيس من حيث عبر الى قلورية في حوض إيطاليا ، ربما من أجل العودة بمن كان يدين له بالطاعة في هذا الصقع من الرجال ، ولكنه قتل هناك (١١١) .

وبذلك تحققت أول مرحلة من مراحل غزو صقلية على يدي أسد ابن العرات الذي كتب الى ريادة الله بالفتح ، وكان على الامير الأغلبى أن يخطر بدهه الخليفة المأمون في بغداد بما تم في صقلية من الفتح باسم الخلافة (١١٢) .

التوسع نحو سرقوسة :

وبعد ذلك عاد أسد بن المرث في اتجاه معسكره مازر ، وهو يكتم أيام إبطه الجريح ، واستولى في طريق العودة على الحصون والقرى الواقعة على البحر ، مثل الفيحة التي كان بها كنيسة كبيرة . وبعد أن أصلح أسد من شأنه قرر المسير نحو الشرق الى سرقوسة حيث قوات السروم الرئيسية ، فترك مازر بعد أن استخلف عليها القائد أبا زكى الكناني . واتخذ طريق الساحل الجنوبي في اتجاه الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة حيث طرق البوالص أو أنف الأرنب ، كما يسمية الادريسي (١١٣) .

(١١٠) المالكي . ج ١ ص ١٨٨ . المكتبة . ص ١٨٥ . ويشرح المالكي عجم الساحل باسم الدس كانوا همروا من ساحل الفريجية عندما فتحها العرب . واطر برامح الغلبية . ص ١٧ (١١١) النويري المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٦ . ص ٢٢٧ . المكتبة . ص ٤٢٨ . واطر ابن الأثير . صفة ٢٠١ . ابن خلدون المكتبة . ص ٤٦٦ . (١١٢) اطر فيسا سيق . ص ٢١٨ . (١١٣) ٧١ - ٧٢ . المكتبة . ص ٣٧ . وهو ابنه اطر النويري المخطوط . ص ٢٢٧ .

وتقول الرواية انه التقى بالقرب من البندة المعروفة بكنيسة السنقين .
بعد من الروم بقيادة بعض بطارقة سرقوسة ، وبنم حذوه ومكروا به ،
عندما ظنوا منه الأمان نظير دفع الجزية ، وذلك أن هدفهم كان أخذ فسحة من
الوقت للاستعداد لمواصلة الحرب .

وتنص الرواية على أن أهل الجزيرة اجتمعوا الى قلعة الكريك في الجزيرة
المعروفة بنمس هذا الاسم ، على بعد ٣ أميال من البوالص ، حيث جمعوا ليها
كل أموال الجزيرة (١١٤) . أما عن أهل سرقوسة الذين ذلوا وألقوا سلاحهم ،
بأهم عادوا الى منارة العرب (١١٥) .

وهكذا بعد أن أقام أسد بن القرات في موضعه أياما تبين له أن أهل
سرقوسة « مكروا به حتى أصلحوا حصنهم ، وأدخلوا اليه جميع ما كان في
الزبيض وفي الكنسايس من الذهب والفضة والميرة ، فتقدم ولأصعبهم
التثال » (١١٦) .

حصار سرقوسة :

ومن تحت أسوار سرقوسة حيث استقر أسد في معسكره ، أخذ يبت
انسرايا في أنحاء المنطقة لتعود اليه بالمغانم العظيمة والسبي الكثير ، حتى
ضج أهل المنطقة ، واضطر المحاصرون في سرقوسة الى طلب الأمان من جديد .
وتقول الرواية أن أسدا كان يبيل الى أن يجيب الى ما طلبه أهل سرقوسة من
الأمان ، ولكنه لم يستطع أمام موارضة المتزمتين من أصحابه . فظل مقيما
في المنطقة ، وهو يناصب أهلها العداة ، ويواصل عليهم شن الغارات (١١٧)
في البر والبحر جميعا ، بينما كان زيادة الله يواصل امداده بالرجال
والعتاد (١١٨) .

(١١٤) البربري ، المخطوط ، ص ٢٢٧ . ولادن ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (ص ولاية
لهادة لشه ، ج ٦ ص ١٢٦) ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٩ .

(١١٥) نفس المصدر .

(١١٦) نفس المصدر .

(١١٧) ابن المالك ، ج ١ ص ١٨٩ ، المكتبة ، ص ١٨٥ . ولادن ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ .

(ولاية لهادة لشه ، ج ٦ ص ١٢٨) ، والبربري ، المخطوط ، ص ٢٢٧ .

(١١٨) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (ولاية زيادة الله ، ج ٦ ص ١٢٨) .

التحط والوباء :

والظاهر أن الذي كان قد دفع أسد بن الغرات الى الميل الى عقد الهدية التي طلبها أهل سرقوسة ، هو التحط والوباء الذي بدأ يحل بالجزيرة منذ السنة التالية لنزوله في مازر ، وهي سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م . فلهذا ما يفهم من رواية المالكي التي تشير الى ما نزل بالعسكر من الجوع الذي أضر بهم حتى أكلوا لحم أشيل ، وهو الأمر الذي تؤكد رواية ابن الأثير (١١٩) ، مما دعا بعض كبار القواد الى اقتراح الجلاء عن الجزيرة والعودة الى افريقية .

ورفض أسد بن الغرات بطبيعة الحال كسر الغزوة ، ولم يفقد الأمل في مقدرة الرجال على اجاز المهمة رغم ما كان يواجههم من الصعوبات . وقام جدل يسه وبين ذلك للقائد الذي سميهِ رواية المالكي بابن قادم ، والذي قال في معرض دفاعه عن فكرته: « حياة رجل مسلم أحب الينا من أهل الشرك كلهم » . وعندما وجد أسد أن عددا من رجاله يميل الى ترك الغزو والعودة الى الساحل الافريقي هددهم باحراق المراكب . وعندما تناول ابن قادم صبيه ، وقال له : « على أقل من هذا قتل الناس عنمان » ، لم يتردد القاضي الأمير في أن يؤديه بالسوط (١٢٠) ، تلمحا كما فعل موسى بن نصير بطارق بن زياد في قصة فتح الأندلس مع اعتبار عكس الأوضاع .

استمرار الضغط على سرقوسة :

والمهم أنه رغم انبواء والشننة ظل العزب يضغطون على دواحي سرقوسة ، ونجحوا في فتح عدد من القيران حولها ، وكانت سراياهم تعود من جولاتها بالمغانم والأسلاب (١٢١) التي تعينهم على مواصلة الصراع . بينما كان

(١١٩) المالكي ، ج ١ ص ١٨٩ ، المكتبة ، ص ١٨٥ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (ولاية زياد الله ، ج ٦ ص ١٢٨) .

(١٢٠) المالكي ، ج ١ ص ١٨٩ ، المكتبة ، ص ١٨٥ - والذي يستعرض الاجتهاد هو أن رواية النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٦ ، المكتبة ، ص ٤٢٧ ، التي سبقت الاشارة اليها ، والتي تصح على أن الامام سحنون كان من المواقيل لغزو صقلية منذ البداية (انظر فيما سبق ص ٢١٤) فخلط بين سحنون وبين ابن قادم . ولكنه يمكن القول انه وما كان ابن قادم من اصحاب سحنون . هذا كما يمكن الظن في ان تكون قصة فتح الأندلس - وما قبل من احراق طارق لمراكبه عقب العبور - وما قبل من أن موسى ضرب طارفا بالسوط عند طليطلة علاقة بتلك القصة الخاصة بفتح صقلية .

(١٢١) ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٢٢٣ .

الإمبراطور ميخائيل الثاني يرسل التجندات إلى الجزيرة ، ويعمل على إقناع
دوج البندقية « جيوستيانو بارتيسيباريو Gustiniano Partecipazio
بمساهمة أسطول له في مواجهة العرب (١٢٢) .

وهكذا تطلبت العمليات العسكرية أن يستقر أسد في معسكره الجديد
تحت أسوار سرقوسة ، وحسنه فأحاطه بخندق يمنع الروم من مدهاسته ،
وعندما علم العرب بسير بطريق (قائد) بلرم في عسكر كثيف اليهم ،
أقاموا لهم مصائد خارج الخندق . إذ حفروا حفرا كثيرة ، أتت بما كان يرجى .
نباها عندما سقط فيها عدد كبير من المهاجمين وقتلوا . وبذلك نجح العرب
في الدفاع عن قاعدتهم ، كما زادوا من ضغطهم على سرقوسة المحاصرة (١٢٣) .

ولادة أسد في الوياح مع وصول أسطول من القسطنطينية :

ولم يكد العرب يتنفسون الصعداء وسط تمب القحط والوياح والجوع
حتى خرجوا بإزدياد متاعبهم بوصول أسطول من القسطنطينية ميا بالرجال
والعماد . وكان وصول الأسطول الرومي في وقت ازدادت فيه شدة الوياح
الذي راح ضحيته الكثيرون ، وعلى رأسهم قائدهم وقاضيهم أسد بن
المرات (١٢٤) ، الذي توفي في شعبان من سنة ٢١٣ هـ / أكتوبر - نوفمبر
٨٢٢ م (١٢٥) ، ودفن تحت أسوار سرقوسة (١٢٦) .

(١٢٢) عزيز أسد . تاريخ سلطنة الإسلامية . ص ٨ .
(١٢٣) ابن الأثير . سنة ٢٠٦ هـ (زيادة الله) . المكتبة . ص ٢٢٢ . وأظن ابن خلدون .
ج ٤ ص ١٩٩ . المكتبة . ص ٦٧ هـ حيث النص على أن المسلمين حاصروا بلرم بدلا من خروج
عسكر بلرم إلى المسلمين .

(١٢٤) ابن الأثير سنة ٢٠١ هـ . المكتبة ص ٢٢٣ .
(١٢٥) الدويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٧ أ . وقارن تراجم الخليلية . ص ٧٠ حيث
يضيف إلى ذلك أنه قيل أول وفاة أسد كانت في سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م أو في سنة ٢١٧ هـ /
٨٢٢ م .

(١٢٦) ابن خلدون . المكتبة . ص ٢٦٧ هـ حيث يخلط النص بين سرقوسة وبلرم فيقول :
انه دلى في المدينة الأخيرة أما من السير (ج ٤ ص ١٩٩) فلهذا أنه دلى في سرقوسة خطأ .
وكان من نصيب تراجم الخليلية أن يدلن فيه علم أسد الذي كان يخصص على شياخ علمه برفاعة .
لله ذلك يرى في بعض الأحيان وهو يدق صدره . ويقول : « وأسركه ! » ان صت : الخليلية .
الذي من علم عظيم . - وأظن تراجم الخليلية . ص ٦٣ .

الاختيار الجند محمد بن أبي الجوارى قائده :

والصاهر أنه كان لوفاة أسد وقع سيء في نفوس عسكره لى ذلك الـ
الذى كان يفتك بهم الروباء ، حتى قيل أن رهائن الروم الذين كانوا لـ
انتهزوا الفرصة وهربوا (١٢٧) . ورغم أسا لا تعرف أن الأمير زيادة الله
قد عين قائدا ثانيا للحملة كما جرت العادة ، فإن رؤساء الجند اجتمعوا واخـ
واحد منهم ليخلف أسدا بن الامارة ، وهو محمد بن أبي الجوارى (١٢٨)

الروباء والروم انتم العرب :

العودة الى مازر والتفكير فى الرجوع :

وانما الخسائر التى كان ينزلها الروباء بالقوة العربية وتهديد الجـ
البيزنطية التى اتت فى الاسطول بحرا ، وفى البر أيضا عن طريق اـ
وكلايريا ، ترك العرب مسمكرهم تحت أسوار سرقوسة وعادوا نحو اـ
الى قاعدتهم مازر من حيث قرروا العودة الى افريقية ، فأخذوا فى اصـ
مراكبهم .

وتقول الرواية أنهم عندما ركبوا مراكبهم مغادرين مازر ، وجد
الاسطول البيزنطى يقف لهم بالمرصاد عند المرسى على بعد عدة أميال
المدينة ، ويسمعهم من المغادرة (١٢٩) . وهنا لم يعد أمام العرب من خـ
البقاء فى الجزيرة ، وأغلب الظن أنهم فصلوا الموت - اذا لم يكن منه
بحر السيوف على برد الفرق فى جبه الماء - والقتاهم أن الروم كانـ
دخلوا مازر بعد خروج العرب منها اذ تطلب الأمر استعادتها بقـ
استمر ثلاثة أيام (١٣٠) .

ورغم ما تقوله الرواية من أن العرب أحرقوا مراكبهم (١٣١) :

(١٢٧) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٢٨) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ (زيادة الله) ، المكتبة ، ص ٢٢٢ ، سيرى .
ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب . ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ (ج ٤ ص ١٩٩ - حيث أ
بن الجوارى) ، وقارن ابن خلدون ، ج ١ ص ١٠٤ حيث القراءات الجوارى .

ابن أبي الجوارى .
(١٢٩) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ (زيادة الله) ، التورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢
المكتبة ، ص ٤٦٩ . ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ .

(١٣٠) ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ .
(١٣١) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ (زيادة الله) ، التورى ، المخطوط ، ص ٢٢٧ ب . ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ .

الاستعجال في الحرب ، فأغلب الظن أنهم ما كانوا ليضحوا بسفنهم التي تعتبر وسيلة المواصلات الوحيدة بينهم وبين قواعد امتدادهم في افريقية ، وأنهم إذا كانوا قد أحرقوا بعض سفنهم فائما يكونون قد فعلوا ذلك ضمن اجراءات الوقاية التي اتخذوها لمقاومة الرباب . وانطلاقا من خاقدتهم في مازر بدأ العرب يوطنون اقدمهم في الاليم الشرقى بالاستيلاء على حصن مينار (Mineo) ، على بعد ٢٤ ميلا في اتجاه الجنوب الغربي من لنتيني الواقعة على اساحل شمال سرقوسة (١٣٢) ، بعد حصار استمر ثلاثة ايام ، وبمعاونة اصحاب فيمي حيث استغرت جماعة منهم (١٣٣) . وابتغوا ذلك بالاستيلاء على حصن جرجنت عنوة وسكنوه . - وجللك همدات نفوسهم ، واطمانوا الى طيب المقام (١٣٤) .

فيمي يستمر في معاونة العرب ، فيقتاله الروم في قصريانة :

والذي يفهم من قصة الفتح از التعاون كان وثيقا بين العرب وبين الطريق فيمي واصحابه ، على عكس ما قيل من أنه حرض اهل سرقوسة على المقاومة . وهكذا قاد فيمي العرب بعد ذلك نحو وسط الجزيرة الى قصريانة . وتقون الرواية ان القصريانيين غدروا بفيمي عندما فاضهم باسم العرب . فيمد أن خرجوا اليه وبذلوا له الطاعة ، ووعده بان يكونوا معه ومع المسلمين على كلمة واحدة ويخلصوا بطاعة الروم ، طلبوا منه مهلة يوم لترتيب امر الصلح مع العرب . ثم نهم اغتالوه عندما حضر اليهم في اليوم التالي (١٣٥) .

هزيمة الأرمين البيزنطيين في حيز قصريانة :

والغاصر أن هدف اهل قصريانة من خداعهم فيمي والعرب، كان اكتساب

(١٣٢) الادريسي ، المكتبة ، ص ٥٧ .

(١٣٣) ابن الاثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة لفظ) ، النوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ . وقانون تاريخ جزيرة صقلية من حيث دخلها المسلمون ، الفيديجيل سقوط مينار بين ايدي العرب في السنة الرابعة من توليهم الجزيرة (المكتبة ، سن ١١٦) ، ومي سنة ١٢٢٦ من تاريخ السالم .

(١٣٤) ابن الاثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٢ ، النوري ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، المكتبة ص ٤٦٧ (كركنت بدلا من جرجنت) ، ج ٤ ص ١٩٩ (حيث كركنت بدلا من كركنت-) .

(١٣٥) ابن الاثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٢ ، النوري ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ .

بعض الوقت حين وصول القوات البيزنطية التي كانت تتجه نحوهم للقضاء
العرب . وكانت القوات الرومية تتكون في معظمها من جنود من الأرمز بقيادة
البطريق تودط (Théodote) (١٣٦) . وتم اللقاء بين عرب إفريقية وأرمز
القسطنطينية في أحوار قصريانة ، وانتهى القتال بهزيمة عسكر تودط واستن
الكتيرين ، إذ لم يسلم منهم الا من لجأ الى المدينة الحصينة (١٣٧) ، بينما وقع
من قوادهم (بطارقتهم) سبعون أسيرا بين أيدي العرب (١٣٨) .

وفاة ابن أبي الجوزي ، وولاية زهير بن نرغوث ، وهزيمة مؤلة أمام الأرمز :

وعقب المعركة توفي القائد محمد بن أبي الجوزي في أول سنة ٢١٤ هـ /
مارس ٨٢٩ م ، وتم اختيار القائد زهير بن نرغوث خلفا له في القيادة (١٣٩) .

وواضح من الرواية أن موقعة قصريانة الأولى لم تكن من المعارك الفاصلة،
إذ لم يلبث تودط أن ظهر في الميدان مرة أخرى ، بعد أن نظم فلول قواته
الإرمنية ، ونجح في الثار لهزيمته . وكانت بداية دوران الدائرة على العرب
تندما خرجت سرية لهم من معسكرها في المنطقة بحثا عن المغانم - من أجل
القوت على ما يظهر - فخرج عليهم الروم ، فسادوا منهزمين إلى قاعدتهم .
وعندما خرجت القوة العربية في جمعها للاقاة الروم ، حشد هؤلاء كل قواهم
وجحوا في هزيمة العرب في موقعة دامية خسر فيها زهير بن نرغوث ألف
قتيل من رجاله ، واضطر إلى العودة مهزما نحو معسكره حيث اتخذ موقعا
دعائيا ، فاختدق حول قاعدته (١٤٠) .

حصر العرب في ميتاو :

وهكذا دارت الحرب سجالا بين العرب المحصورين في معسكرهم وبين
الروم . وازاء اشتداد الحصر فكر العرب في مفاجأة الروم صباحا على حين

(١٣٦) الخيري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب ، المكتبة ، ص ٤٣٠ .
(١٣٧) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ، ص ٢٢٢ .
(١٣٨) الخيري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ أ ، المكتبة ، ص ٤٣٠ (حيث القراءة تسعون
طريقا بدلا من سبعين) .
(١٣٩) الخيري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ أ ، المكتبة ، ص ٤٣٠ (حيث قراءة الاسم
- عمر بن نرغوث) ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ، ص ٤٢٢ (حيث القراءة
ابن نرغوث وفي الهامش - ابن نرغوث) .
(١٤٠) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٤ .

عرة ، وهو ما يعرف في المصطلح العسكري العربي بـ "البيات" ، ولكن الروم عرفوا - عن طريق جواسيسهم - بما يبنيه لهم المسلمون ، ففتحوا عن مسكرهم ، وكانت مفاجأة غير سارة للصرب عندما وجدوا الروم يقبلون عليهم من كل ناحية ، فانهمزوا الى حصنهم في ميناو ، بعد ان فقدوا الكثير من القتل (١٤١) .

وبذلك انقطعت الكتلة الرئيسية من القوات العربية في ميناو عن بقية اخوانهم اللوجردين في جرجنت ، وفي مازر ، واشتد عليهم الحصار وقتل عندهم الميرة والاقوات حتى اكلوا درابهم ، بل واضطروا الى اكل الكلاب (١٤٢) .

حرب الاستتال : العرب يغربون قاعدتهم في جرجنت (كركنت : Girgenti) وينضمون الى اخوانهم في مازر :

وتندما وصلت انباء ما يعانيه العرب في ميناو من شدة الحصار والضيق الى اخوانهم في جرجنت ، عبر هؤلاء عن ضيقهم لعجزهم عن مد يد المعونة اليهم بأن همموا مدينتهم ، وساروا الى مازر (١٤٣) ، مما يعني ايضا أنهم خافوا السقاء وحدهم ، وهم قلة ، من المقام في جرجنت ، وفضلوا الانضمام الى اخوانهم في مازر حتى يكونوا اقدر على مقاومة الروم اذا ما فكروا في الهجوم عليهم .

وهكذا أصبح المسلمون متجمعين في نقطتين فقط من الجزيرة : ١ - في ميناو المحاصرة ، قرب الشاطئ الشرقي فيما بين سرقوسة ولنتيني ، ٢ - وفي مازر قرب الركن الجنوبي الغربي . وظل المحاصرون في ميناو صامدين حتى اشرفوا على الهلاك ، عندما دخلت سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م (١٤٤) ، حينما اتاهم الفرنج من حيث لم يحتسبوا .

(١٤١) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ص ٢٢٤ .

(١٤٢) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ص ٢٢٤ ، التوريني ، المخطوط .

ج ٢٢ ص ٩٢٢٨ ، المكتبة ص ٤٣٠ ، ابن خلدون ، المكتبة ص ٤٦٧ .

(١٤٣) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ المكتبة ص ٢٢٤ . ابن خلدون ، المكتبة ص ٤٦٨ .

١ - ج ٤ ص ١٩٩ .

(١٤٤) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ص ٢٢٤ ، والشمس هنا يحدد التاريخ

ببداية سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م التي صحفناه الى مدخل سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م ، على أساس انه

وفاء ابن الجبري كانت في مطلع سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م - كما سبق .

البحريون الأندلسيون ، وغزو صقلية :

ففي بداية سنة ٢١٥ هـ / - ٨٢ م ، كانت صقلية هدفا لغارات تدرية من تلك التي كان يقوم بها الغرارة الأندلسيون من سكان الشواطئ الشريفة لابدلس على سواحل انروم والفرنج ، ليس في الحوض الغربي للبحر المتوسط فقط ، بل وفي الحوض الشرقي أيضا . والذي يفهم من الروايات أن هؤلاء الغرارة البحريين من أهل الأندلس لم يكونوا من الحند النظامي ، بل كانوا من متطوعة المجاهدين ، الذين اتخذوا الغزو البحري صناعة لهم ، وأن حكومة قرطبة-الإموية لم تكن تمنع فيما يعومون به من أعمال في غير بلاد المسلمين .

وهذا لا يمنع أنهم كانوا يقومون بذلك دون علم أمراء قرطبة ، بل وربما رغم عدم رضائهم عن ذلك . والمهم أنه لا صحة لما تشير اليه بعض الروايات من الربط بين ذلك النشاط البحري وبين بعض الثورات التي عرفتها بعض مدن الأندلس قرب ذلك الوقت ، وخاصة ثورة الربض الشهيرة في قرطبة ، على أيام الحكم بن هشام . فليس من المقبول أن يقال عن رواد البحار هؤلاء : أنهم كانوا من العامة أو من أهل الأسواق .

فمنذ أواخر القرن الثاني البحري (أوائل ائقرن ٩ م) كان الأندلسيون قد مدوا نشاطهم الى حرق شرق البحر المتوسط ، حتى انهم كانوا يقصدون ساحل الاسكندرية فيما بين الغارة والأخرى على سواحل الروم ، من أجل الميرة واصلاح شأنهم . ورغم أن ولاية مصر كانوا لا يسمحون لهم - كما تقول حوليات الكندي في قضاة مصر وولاتها - بالنزول الى شاطئ الاسكندرية ، بل كان على تجار الاسكندرية أن يخرجوا الى الأندلسيين فم الزوارق بما يحتاجون اليه للاصلاح من شئونهم أو شئون مراكبهم ، من طعام وعتاد وسلاح(١٤٥) ، فان اضطراب أحوال مصر ، نتيجة لاضطراب أحوال بغداد أثر فتنة الأمين والمأمون ، سمحت لهؤلاء الأندلسيين بالاستيلاء على الاسكندرية طوال ائنتى عشرة سنة (٢٠١ هـ - ٢١٢ هـ / ٨١٦ - ٨٢٧ م) استقلوا خلالها بالمدينة عن ولاية الفسطاط . وعندما استقرت الأمور للمأمون

(١٤٥) انظر الكندي ، القضاء والولاية ، ٢ ط - لندن ، س ١٥٨ وما بعدها . واد
للسؤلف ، الاسكندرية من الفتح الاسلامي الى بداية العصر المملوكي ، في كتاب الاسكندرية ،
اقدم البصائر ، مطب - ١٩٦٣ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، والمؤلف أيضا الأثر الغربي والاندلسي ا
المجتمع الإسكندري ، كتاب تاريخ المجتمع الإسكندري ، ط - حاسة الاسكندرية ١٩٧٥ .
٢٢٤ - ٢٢٧ .

أرسل قائده عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى مصر حيث نجح في إخراج
الاندلسيين من الإسكندرية إلى البحر ، شريطة ألا ينزلوا في أية أرض تابعة
للخلافة .

العلاقة مع غزو كريت :

وهكذا غادر الأندلسيون الإسكندرية في مراكبهم التي كانت تبلغ
أربعين مركبا ، تحمل حوالي أربعة أو خمسة آلاف رجل ، عندما نزلوا إلى
المدينة قبل عشرينات . واتجهوا بقيادة زعيمهم أبي حفص عمر البلوطي نحو
جزيرة كريت التي استولوا عليها ، في نفس الوقت الذي كان أسد بن الفرات
ينزل برجاله في جزيرة صقلية . وهذا يدعو إلى التأمل فيما إذا كانت هناك
شمة علاقة بين ترتيب غزو كل من صقلية وكريت على الروم ، بصرفه خلافة
بغداد .

حقيقة ان الاتفاقية التي تمت بين عبد الله بن طاهر واندلسيين
الإسكندرية لم تشترط على الغزاة الا عدم النزول في أرض تابعة للخلافة ،
والا يصحبوا معهم أي من المصريين أو العبيد أو المطلبين (١٤٦) ، ولكن هذا
لا يمنع من نزولهم في أرض الروم (١٤٧) . وأغلب الظن أنه لم يكن يخفى على
قائد المأمون أنهم سيطرقون ساحل جزيرة كريت القريبة . وإذا كانت رواية
فتح صقلية لا تشير إلى دور الخلافة في تلك العملية ، فهي تنص على أن الروم
كانوا قد خرقوا اتفاقية الهدنة بينهم وبين الأغالبية ، وليس من الغريب أن
الهدنة مع الروم ما كانت تتم بغير علم الخلافة في بغداد أو موافقتها الضمنية
على الأقل .

وإذا كانت النصوص تشير إلى أن زيادة الله قد كتب إلى الخليفة المأمون
بغير فتح أسد بن الفرات لصقلية ، فهذه الإشارة تعني أن الخلافة كانت على
علم بما يدبره الأغالبية ضد الروم . هذا ، وإذا كانت تفصيلات العمليات
الحربية تحت لواء أسد بن الفرات لا تشير إلى مشاركة الأندلسيين فعلا في
غزو صقلية ، كما تذكر الرواية التي يسجلها ابن عسكاري ، فإن مجرد
ذكر أن الأندلسيين كانوا يكونون جماعة لها كيانها الخاص في قوات أسد ،
وإن كانت غير صحيحة ، يمكن أن تفسر على أنها إشارة ضمنية إلى ترتيب

(١٤٦) نفس المصادر السابقة .

(١٤٧) انظر فيما سبق ، ص ٢١٨ .

عزرو كرس على أيدي الإسكندرانيين (١٤٨) في نفس الوقت الذي كان عرب البرقيسة يقومون بغزو صقلية ، وذلك بمعرفة الخيانة أو تحت إشرافها حتى تتم مفاجأة الروم في جبهتين دفعة واحدة وإن كانت مهاجمة صقلية قد أذهلت الإمبراطور من غير شك عن غزو كريت .

حملة الغزاة الأندلسيين :

وبذلك يكون الأندلسيون الذين شاركوا في غزو صقلية مسح أسد ابن المرثد أما من المستوطنين في البريقية أو من جماعات الغزاة من غير أندلسي الإسكندرية . وقياسا على ذلك يكون الغزاة الأندلسيون ، الذين نزلوا إلى صقلية في أوائل سنة ٦١٥ هـ / ٨٣٠ م ، أيضا من غير أهل كريت . وهذا يعني أن الكثيرين من أهل سواحل الأندلس الشرقية كانوا قد اتخذوا من الغزو في البحر صناعة لهم ، وأنهم كانوا يجيرون البحر المتوسط من أقصاه إلى أدناه ، مما يعني أنهم كانوا قد غلبوا على سواحل البحر جميعا ، منذ ذلك الوقت المبكر ، قيل أن كتم لهم تلك الغلبة على أيام عبد الرحمن الناصر إلى جانب الفاطميين (١٤٩) .

والحقيقة أن أعمال الأندلسيين في البحر المتوسط حينئذ تذكرنا بأعمال النورمانيين (أو الفينكيكج) في بحر الشمال وحتى سواحل الأندلس الغربية ، وكذلك سواحل المغرب - حيث عرفوا بالمجوس - بعد ذلك بقليل ، فكان غزاة البحر الأندلسيين هم نورمانيو العرب في ذلك الزمن .
ويفهم من الروايات العربية أن الأندلسيين وصلوا إلى صقلية على دفعتين

(١٤٨) ويمكن أن يؤيد حيلة استقلال عمل الأندلسيين عن إمبراطور الأندلس ما قام به إمبراطور بيزنطة تيوفيل بعد ذلك بحوالي عشر سنوات ، من الاتصال بالإمبراطور عبد الرحمن الثاني حيث أرسل إليه سفارة في سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م تحمل رسالة يحثه فيها على المطالبة بعرض أسرته في الشام وهجاء المباسين واتباعهم الأغالبة (أعداء الأيوبيين والبيزنطيين) ، ويمطالب بإعادة كريت من أيدي الأندلسيين الإسكندرانيين ، إذ كان رد الأمير الأندلسي الذي بحث به مع سفيره الشاهر يحيى الدزالي فيما يتعلق بكريت : أن الأندلسيين بها هم نوار ليسوا من دعيته ، وأبى يمكن للإمبراطور طردهم وعقابهم . أما عن الأغالبة فقد قال : أنه لا يستطيع انكار جهادهم في سبيل دفع راية الإسلام . انظر برونسال ، تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٢ . ويذكر ابن حبان أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم أشار إلى رده على حثوى إمبراطور القسطنطينية ، من لزول الأندلس إلى كريت ، وما يطلبه من معاقبتهم : « بأنهم ليسوا من بلدنا ولا برتبتنا حتى نغز عليهم ، ونكفكهم مؤذنتهم . وما أهدك عاجز من استخراجهم مما تفرقوا من بلدنا » (انظر القتيبي ، مخطوط كلية الآداب المنصور بمناسبة الإسكندرية ، ص ١٨٧) .

(١٤٩) انظر مقدمة ابن خلدون ، فصل قيادة الأساطيل ، ط . التجارية ، ص ٢٥٣ .

في ثلاثمائة مركب ، وإن الدفعة الأولى كانت بقيادة أسبغ بن وكيل الهواري المشهور بـ « فرغلوش » ، بينما كانت الدفعة الثانية بقيادة سليمان بن هانية العلم طوشي . وهذا لا يمنع من مجيء مدد من إفريقية بعد ذلك بقليل ، كما تقول بعض الروايات (١٥٠) .

التزول قرب مازو :

أعمال الأندلسيين تحت قيادة فرغلوش : فك الحصار عن ميناو ، وهلمها :

ولا توضح الروايات أين نزل الأندلسيون في صقلية ، ولكن يمكن القول أن الدفعة الثانية نزلت في الركن الغربي من الجزيرة بالقرب من مازو . وأن هذا هو السبب أيضاً فيما قيل من أن الدفعة الثانية كانت مدداً من الرقبة ، وهذا ما يفهم أيضاً من مسيرة الأندلسيين عندما تقدموا لنجدة المحاصرين في ميناو .

والمهم أن فرغلوش أنزل برجاله ومن تحت امرته من القواد ، وأخذوا يثبون سراياهم التي استولت على عدد من القلاع الرومية وعادت منها بالمغانم والسبي ، كما تنص على ذلك رواية ابن عذارى التي تمدنا ببعض المعلومات التفصيلية (١٥١) - والظاهر أن عرب مازو هم الذين اتصلوا أولاً بالفزة من الأندلسيين ، وطلبوا منهم اغارة اخوانهم الذين كانوا يكابدون متاعب الحصر وقلّة القوات في ميناو ، كما عرضوا عليهم ما كان يلزمهم من الخيول والدواب (١٥٢) .

ولم ييخل الفزة الشجعان بتقديم ما طلب إليهم من الخيول ، ولكن

(١٥٠) الدورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ، ودارن ابن الأثير ، مكتبة الصلابة ، ص ٢٢١ ، ورواية ابن الأثير التي تنطق مع رواية البكري القطعة الأوسال بشأن مدد الرضى رسل إلى الجزيرة (جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢٢١ حيث تقرا « صروس » بدلاً من فرغلوش) ، وكذلك مع رواية ابن خلدون (المكتبة ، ص ٤٦٨ ؛ ج ٤ ص ١٦٩) ، التي تجعل الدولة الثانية حكاماً للمجاهدين في صقلية أي من المرطبية أي من قبل زيادة الله . وهو الأمر الذي لا تشير إليه الروايات الأخرى . ولا بأس من أن يكون ابن الأثير أو من نقل عنه ، فهم من كتب للهواري - ولو أنه لا يذكر أسماء القادة - نسبة إلى قبيلة حوارة لقبيلة فيما بين طرابلس وفزازة أن أصبح كان يقود جيشاً الرقبة . أما رواية ابن عذارى فهي لا تذكر إلا الدفعة الأولى من الأندلسيين بقيادة فرغلوش (ج ١ ص ١٠٤) .

(١٥١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٤ ، الدورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ .

شريطه أن يَدَّ - القيادة إلى رئيسهم فرغلوش ، وهو الأمر الذي لم يكن أمام قائد الجند الأعلى رهبر بن مرعوت ، إلا قبوله . وهكذا اجتتاح فرغلوش رجاله الجريفة من مغربها إلى مشرقها ، وهو يستولى على القلاع ويرجع غاراته في كل اتجاه ، حتى أشرف على ميناو (١٥٣) . ولم يكن أمام البطريرق تودط ورجاله من الأرمن إلا الانسحاب نحو قصر يابنة (١٥٤) . وهكذا تم خلاص المحاصرين في ميناو ، في جمادى الآخرة من سنة ٢١٥ هـ / يولية ٨٣٠ م (١٥٥) ، وعبروا عن ضيقهم بالحصر وكراهيتهم للمكان الذي ترضوا فيه للأهوال ، بأن هدموا المدينة وأحرقوها (١٥٦) . ولا بأس من أن يكون احراقها بسبب ما كان قد ألم بهم من الوباء أثناء مقامهم فيها .

أخذ بلرم ، ووفاة القائد فرغلوش في الوباء :

وسار رجال ميناو مع الأندلسيين نحو بلدة « غلوالية » (Calloniana) القريبة وتغلبوا عليها (١٥٧) . وتابع الأندلسيون والمغاربة مسيرتهم نحو مدينة بلرم وضربوا عليها الحصار ، وضيقوا على من بها احتناق لمدة عام ، إلى أن طلب قائدها الأمان لنفسه وأهله وماله . وأجابته العرب إلى مطلبه ، فغادر المدينة نحو إلى « بلد الروم » ، ودخل العرب بلرم في رجب من سنة ٢١٦ هـ / أغسطس ٨٣١ م (١٥٨) .

وتقول رواية ابن الأثير أن المسلمين لم يجدوا في بلرم « إلا أقل من ثلاثة آلاف أسلح ، وكان فيه لما حصروه سبعون ألفاً وماتوا كلهم » (١٥٩) ،

(١٥٣) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٤) النويرى المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ . المكتبة ص ٤٣٠ ، وأما تاريخ صقلية من حين دخلها المسلمون منذ بدء العالم المكتبة ص ١١٦ (حيث يجعل مقتل تودط بعد أخذ ميناو) .

(١٥٥) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ . المكتبة ، ص ٤٢٠ .

(١٥٦) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٧) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٨) ابن الأثير ، سنة ٢٠٩ هـ ، المكتبة ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، تاريخ صقلية من حين دخلها المسلمون ، المكتبة ، ص ١٦٦ (الذى يجعل سقوط بلرم في السنة التالية لأخذ ميناو ومقتل تودط ، وقاد ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٦٩ ، المكتبة ، ص ٤٦٨) (الذى يقول ان فتح بلرم كان في سنة ٢١٧ هـ / ٨٢٢ م) ، وقاد النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ (حيث تقول الرواية أن حصار بلرم استمر إلى سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م حينما استسلمت المدينة للأمان في ولاية ، محمد بن عبد الله بن الأغلب) .

(١٥٩) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٥ .

بما يعني أن الرواء الذي كان قد ظهر في صقلية سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م لم يكن قد قطع بعد ، وأنه كان ما زال يفتك بأهل الجزيرة ، والظاهر أن المسلمين لم يسلموا بدورهم من فتك الرواء ، وذلك ما تشير إليه رواية أبي عذاري التي تقول أن جماعة من المسلمين اعتلوا وأخذهم الرواء ، وكان منهم فرغلوش وغيره من القواد (١٦٠) .

الخلاف مع الأندلسيين ، وعودتهم إلى بلادهم :

والظاهر أن غزاة البحر الأندلسيين استفاقوا على ما أنزله عليهم الرواء من الحسائر ، ليجدوا أنفسهم قد انغمسوا في أمر ليس من شئونهم ، بصفتهم : باحثين عن المعام والأسلاب ، وليسوا جندا نظاميا فاتحا ، يحتل البلاد ويستوطنها ، وبناء على ذلك لم يكن من الغريب أن يدب الخلاف بينهم وبين اخوانهم الأندلسيين . ورغم ما يقوله ابن الأثير من أن الوفاق تم بين الجانبين بعد الخلاف والنزاع (١٦١) ، فتمحن نميل إلى الاعتد برواية ابن عذاري التي تقول ان الأندلسيين قرروا العودة إلى بلادهم ، بعد وفاة قوادهم في الرواء وعسلى رأسهم فرغلوش ، وأنهم لقوا متاعب كثيرة أثناء رحلة العودة إلى قوادهم ، إذ « ركب العدو أترهم . فقتل منهم خلق كثير » ، وذلك قبل أن يأخذوا في اصلاح مراكبيهم ، قافلين إلى الأندلس (١٦٢) . وبذلك تنتهي قصة مشاركة الأندلسيين في فتح صقلية ، بعد الاستيلاء على بلرم التي اتخذها العرب عاصمة لهم بعد أن انسدت رقعة أراضيهم واستولوا على كل الاقليم الغربي من الجزيرة .

ولاية أبي فهر محمد بن عيد الله التميمي لصقلية سنة ٢١٦ هـ / ٨٢١ م :

وعم أننا لا ندري ماذا حدث لقائد جند صقلية الثالث ، وهو : زهير ابن نرغوث ، فأغلب الظن أنه راح ضحية الرواء مع فرغلوش ، وأنه خلفه في قيادة المسكر قائد آخر ، هو عثمان بن قرظب ، الذي لم يحظ بموالية زيادة الله . لهذا ما يفهم من رواية ابن عذاري التي تشير إلى أن الأمير وولاية الله اتخذ قرارا في أواخر سنة ٢١٦ هـ / ٨٢١ م ، بتولية قريبه أبي فهر محمد

(١٦٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٦١) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٥ .

(١٦٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ .

امر عبد الله التميمي على صقلية ، فوصلها في سنة ٢١٧ هـ/ ٨٣٢ م ، وان
عثمان بن قهرم حرب عنها(١٦٣) . ولا شك أن العهد بولاية صقلية الى أحد
خرافية الأمير الأغلبي يعني رعاية خاصة من حانته لاحوال الجزيرة . وان كان
للاستقلال شخصية الوالي يعنى بحكم الضرورة نوعا من استقلال ولايته .

ها بين صقلية وتونس :

والظاهر أن اضطراب منطقة تونس في السنة التسالية ، وهي سنة
٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م ، تطلب عودة أبي مهران محمد بن عبد الله من صقلية ، وانبعثه
في ابريقية الى سنة ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م ، بعد أن قضى على ثورة مدينة تونس .
وخلال وجود محمد بن عبد الله في ابريقية قامت القوة الأغلبيه في صقلية
بالغزاة على منطقة قصر يانة مرتين . في الربيع والصيف من سنة ٢١٩ هـ/
٨٣٤ م ، وهزموا الطامية الرومية في المربيع ، عندما خرجت للعائهم(١٦٤) ،
وعادوا الى بلرم بالمغانم والأسلاب(١٦٥) .

وأثناء رحلة العودة الى ولايته في صقلية تعرض محمد بن عبد الله
للتميمي في رمضان من سنة ٢٢٠ هـ/ سبتمبر ٨٣٥ م ، لتعاقب شديدة من
جانب البحر الذي ثار بمراكبه التي كانت تحمل الامدادات والرحاسل ،
فأعطل بعضها وحطم له بعضا آخر ، كما أن الروم اعترضوه في البحر
وأصابوا له حراقة من مراكبه . زعم بلاه فاند الأسفلون محمد بن أنسدي
الذي خرج في عدد من الحراقات ، وأحسد يطاردهم حتى حسال الليل بين
المريقي(١٦٦) .

غارات على قصر يانة (Castrogiovanni) :

ولم يبق محمد بن عبد الله التميمي طويلا في بلرم ، إذ خرج برجاله في

-
- (١٦٣) ابن عذارى . ج ١ ص ١٠٤ ، وانظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ .
المكتبة ، ص ٤٢١ - حيث يسمى أبا مهران محمد بن عبد الله بن الأغلبي ، وابن عذارى (ج ١
ص ١٠٥) الذي يسمى أيضا « ابن الأغلبي » وانظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٨١ : حيث
يخلص على أن محمد بن عبد الله بن الأغلبي هذا يعرف هو وأخوه الأغلبي من عبد الله ، وابنه
عبد الله بن محمد الذي ولي صقلية فيما بعد سنة ٢٥٩ هـ كما كانت له ولاية طرابلس والقنيطرة .
سني عبد الله : نسخة الى حطم عبد الله أبي ابراهيم بن الأغلبي الأمير الأول .
(١٦٤) ابن الأثير سنة ٢٠١ هـ . المكتبة ، ص ٢٢٥ .
(١٦٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٥ .
(١٦٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٦ .

ففس السنة (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) نحو قصر يانة في وسط الجزيرة ، ونجح في
هزيمة الروم الذين خرجوا إليه ، وعاد إلى بلرم محملاً بما غنمه في مسكر
الروم ، وبصحبة امرأة القائد (البطريق) وابنه أسيرين (١٦٧) .

غازات على طبرمين (Tabrmina) ، وغدر الجند بقائدهم محمد بن سالم :

وإذا كان ابن عذارى يقول بشكل عام انه كان في تلك السنة غزوات
كثيرة للمسلمين في صقلية (١٦٨) ، فان ابن الأثير يذكر أن محمد بن عبد الله
سيد جيشنا إلى ناحية طبرمين على شمال الشاطئ الشرقي للجزيرة ، جنوب
ميسيا ، بقيادة محمد بن سالم . ومع أن الحملة حققت أغراضها بعد أن عادت
بالمغانم الكثيرة ، إلا أنها انتهت نهاية تعسة ، عندما عدا بعض جنود محمد
ابن سالم عليه لقتلوه ، ولجأوا إلى الروم (١٦٩) ، مما يرجع أن الجريمة قد تمت
بتحريضهم .

وبذلك تكون تلك الحادثة فاتحة سلسلة من جرائم الغدر التي يقوم
بها العسكر ضد قوادهم ، كما سنرى ، وهو الأمر الذي لم تعرفه الجيوش
العربية ، في غير صقلية ، من قبل .

غازات على سرقوسة بقيادة الفضل بن يعقوب :

ولا شك أنه كان لذلك الحادث التمس صدى أليم في قلب الأمير زيادة
الله ، الذي بعث ، خلفاً لمحمد بن سالم ، أحد قواده المشاهير ، وهو : الفضل
ابن يعقوب ، الذي قاد سرية كبيرة عانت في نواحي سرقوسة ، وعادت بالمغانم
والأسلاب (١٧٠) .

من المواهب الخيرية التي أظهرها كل من العرب والروم :

وضيف ابن الأثير إلى ذلك موقعة هامة بين سرية إسلامية كبيرة وبين
القوة الرئيسية للروم في الجزيرة التي كان يقودها البطريرك حاكم صقلية ،
والتي أظهر فيها كل من الجانبين ما كان يتميز به من مواهب قتالية خاصة .
ففي أثناء عودة السرية الإسلامية ، وهي محملة بالمغانم ، قطع عليها البطريرك

(١٦٧) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ . المكتبة . ص ٢٢٥ .

(١٦٨) ابن عذارى . ج ١ ص ١٠٧ .

(١٦٩) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ . المكتبة . ص ٢٢٥ .

(١٧٠) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ . المكتبة . ص ٢٢٥ (ابن خلدون . ج ١ ص ١٩٩) .

الطريق ، فاضطرت الى التحصن من الروم في أرض وعرة كثيرة الشجر حتى عجز الروم عن ملاحظتهم ، فوقف بالطريق الى وقت العصر يتحدهم أن يخرجوا اليه . ولما طال انتظاره ذؤن تقدم العرب للقاءه ترك المكان ، وتفرق عنه كثير من أصحابه . وكانت قرصة انتهزها العرب للحملة عليه حتى هزموا من كان بقي معه من الرجال ، ونجحوا في الوصول اليه ، واصابته بعدة جراحات حتى سقط عن فرسه . ومع ذلك لم يتمكن العرب من قتله ، اذ أسرع اليه عدد من أبطال فرسانه ، واستنقذوه جريحا وحملوه معهم .

وخرج العرب من الواقعة - التي وصفت بانها وقعة عظيمة - بما كان في ايدي الروم من السلاح والمتاع والدواب(١٧١) -

ومع أن ابن الأثير - الذي تظهر روايته ملخصه عند ابن حلدون - يضع كل تلك الأحداث في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، فالظاهر أن بعض تلك الأحداث ، وبصمها معركة الطريق الأخيرة ، وقعت في سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م . وذلك أن الأحداث التالية ، التي نمت في ولاية أبي الأغلظ ابراهيم بن عبد الله الذي حل محل أخيه أبي فهد محمد ، يصعبها ابن عداري في أحداث سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م (١٧٢) ، مما يعني أن عهد ريادة الله بولايته لصقلية التي وصل اليها في رمضان ، كما يصح على ذلك ابن الأثير دون تحديد السنة ، كان في نفس سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ ، على ما ترى(١٧٣)

ولاية أبي الأغلظ ابراهيم بن عبد الله

أعمال جريية في الطريق الى الجزيرة :

وصول أبو الأغلظ ابراهيم بن عبد الله الى صقلية أميرا في منتصف رمضان (سنة ٢٢٢ هـ / ٢١ أغسطس ٨٢٧ م) ، وقد زوده زيادة الله بأسطول حربي كبير لتتقى به في الطريق بأسطول رومي فهزمه وغنم كثيرا من حراكبه . وأمر أبو الأغلظ بضرب رقاب كل من وجد فيها من الروم . ويقول ابن الأثير أن أبا الأغلظ سير أسطولا آخر الى قوصرة ، فاستولى على حراقة

(٢٧١) ابن الأثير . سنة ٢-١ هـ . المكتبة . ص ٢٢٥ - ٢٢٦ . وأثر ابن حلدون (الذي

يلخص نفس الرواية التي نطن أنها مباشرة من الرقيق) . المكتبة . ص ٤٦٨ .

(١٧٢) ابن عداري . ج ١ ص ١٠٦ .

(١٧٣) ابن الأثير . سنة ٢-١ هـ . المكتبة . ص ٢٢٦ .

للروم ، وجد فيها رجل متنصر من أهل أفريقية ، فأمر بضرب رقبتة أيضا
ومن معه (١٧١) .

توسيع النشاط الحربي الى مسينا :

ووضع أبو الأغب دائرة نشاطه نحو الشمال الغربي للتجزيرة ، فبعث
سراياه الى جبل التاز في منطقة اتنا وما فيها من الحصون ، وذلك بقيسادة
الفضل بن يعقوب ، فكان للعدو وأحرق الزروع ، وعاد سنًا بالغانم والأتلاب .
ولقد بلغت للغانم في بعض تلك الفزوات من الكثرة الى حد يبسع الرقيق
يابيضس الاثمان (١٧٥) . ويقول ابن الأثير أن أبا الأغب سير أيقسا أسطولاً الى
الجزائر - وربما كان المقصود بقا جزائر الابوليان (Eolian) - في منطقة
قلورية القربية من مسينا - فغنموا غنائم عظيمة ، وفتحوا مدناً ومساقل ،
وعادوا سالمين (١٧٦) .

الى قطنانية :

أما السرية التي وجهها الى قطنانية فلم يخالفها التوفيق ، اذ لقيها العدو وهي
محملة بالغانم - ونجح في الظهور عليها (١٧٧) .

الى قصر يانة : هزيمة السرية ، وأسر قائدها عبد السلام بن عبد الوهاب :

وكذلك لم توفق السرية التي وجهها الى قصر يانة ، والتي نرى أن قيادتها
كانت الى القائد عبد السلام بن عبد الوهاب ، كما في رواية ابن عماد بن
فقد خرج اليها الروم ، وانتهى القتال بانهزام المسلمين واصابة جرحاً

(١٧٤) ابن الأثير سنة ٢٠٢ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ . ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٩ .
المكتبة ، ص ٤٦٨ - الذي يضع تلك الأحداث في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٢٥ م ، وكذلك الأحداث
التالية التي يقسمها ابن عماد في سنة ٢٢٢ هـ / ٨٢٧ م - وليس ما اشتد عليه .
(١٧٥) ابن عماد ، ج ١ ص ١٠٦ (أحداث سنة ٢٢٢ هـ / ٨٢٧ م) حيث يجعل لوزة
الفضل بن يعقوب « مدلول » وفوره من المال - ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ المكتبة ص ٢٢٦ (حيث
أحداث سنة ٢٢٠ و ٢٢١ هـ) . ابن خلدون (ملخص من ابن الأثير ، ح ٢٥١ هـ ، المكتبة ،
ص ٤٦٨ .

(١٧٦) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ . ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ .
المكتبة ، ص ٤٦٨ .

(١٧٧) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ (حيث اسم المدينة في النص
عسقلانية ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٢٢٦ (حيث اسم المدينة قطنانية) لا ينجح في
حيث الاسم ؛ فطالبة) .

منهم (١٧٨) ، كما وقع قائد الحملة عبدالسلام في أسر الروم ، وبقي بين أيديهم إلى أن تم مداؤه بعد ذلك (١٧٩) .

اخضاع قصريانة :

ولا بأس من أن يكون القائد عبد السلام من عهد الوهاب قد سمع من أساره في نفس سنة ٢٢٢ هـ / ٨٢٧ م ، من فصل الشتاء ، عندما دخل المسلمون مدينة قصريانة قاعدة البريرة الوسطى ، فجاء بعد أن عنبر بعض المسلمين من رجال السرايا التي كانت تحوم حولها على ثغره من أسوار ريف المدينة ، فاستدعى المسكر الذي دخلها على حين غرة من أهلها ، واستولى على الريف ، ثم حاصر الحامية الرومية في الحصن . ولكن الأمر انتهى بالصلح على أن يدفع أهل قصريانة الجزية ، وعاد العرب إلى بنرم محملين بالمقسام والأسلاب (١٨٠) .

الحرب البحرية ووفاة زيادة الله :

وفيما بين معركتي قصريانة حقق العرب نجاحا على الروم في بعض المعارك البحرية التي انتهت بأن غموا إحدى عشرة قطعة من سفن الروم ، منها : ٩ (تسع) مراكب كبار برحائها ، واثنيتين من نوع الشلندي (المخصص لحمل العرسان والعتاد الثقيل) (١٨١) .

وفي نفس السنة ، وهي سنة ٢٢٢ هـ / ٨٢٧ م ، كان العرب يحاصرون مدينة جلفوذي (Cefalu) - على الشاطئ الشمالي ، على بعد ٥٠ ميلا شرقي بلرم (١٨٢) - منذ مدة ، ويضيقون عليها الحنّاق ، عندما وصلت قوات رومية كبيرة في البحر إلى المنطقة ، فاضطر العرب إلى فك الحصار ، والتفوا بالروم . وببعض كانت المعارك تدور بين الجانبين ، في منتصف سنة ٢٢٣ هـ / ٨٢٨ م ، أتت من إفريقية أنباء وفاة الأمير زيادة الله ، فكان ذلك سببا في وهن العرب لبعض الوقت ، ولسكنهم ما لبثوا أن تماسكوا ، وضبطوا أنفسهم ،

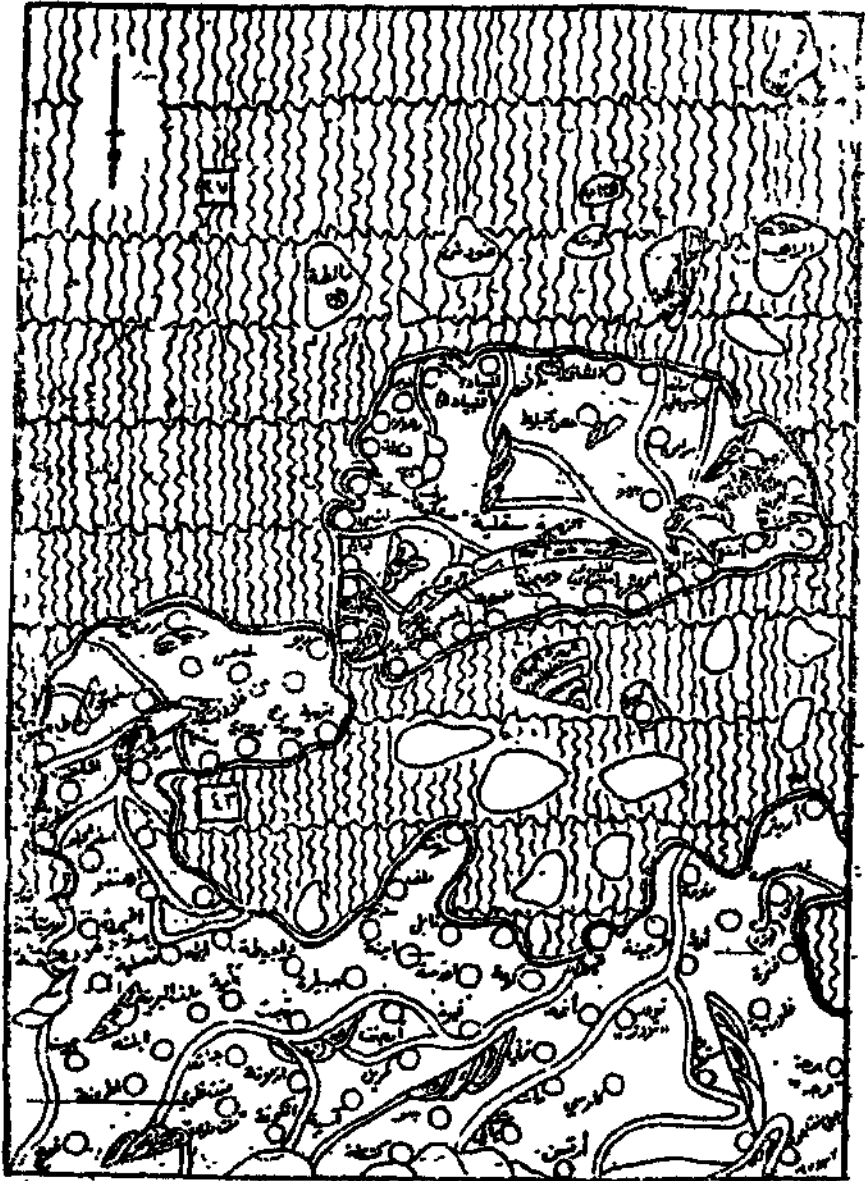
(١٧٨) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٨ ، ابن عسكاري ، ج ١٠ ، ص ١٠٦ .

(١٧٩) ابن عسكاري ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(١٨٠) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ ، وفان ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٤٦٩ .

(١٨١) ابن الأثير ، سنة ٣٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٩ ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ .

(١٨٢) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٨ .



شكل رقم (٣٦)
مقلية وجنوب إيطاليا كيميا رسمها الأبرص

ونشطوا كسابق العهد بهم ، كما تقول الرواية (١٨٣) -
خلاصة ما تم حتى صقلية على عهد زيادة الله الأول :

وهكذا يكون المجاهدون في صقلية قد أمصوا عشر سنوات من عهد
زيادة الله في الجزيرة ، وطردوا أقدامهم خلالها في الجزء الغربي منها ، ما بين
جرجنت على الساحل الجنوبي وبلرم على الساحل الشمالي . وكانوا قد مدوا
نفوذهم في وسط الجزيرة الى قصر يانة ، بينما سرحت سراياهم في كل مكان
من الجزيرة ، ما بين سرقوسة في الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي الى ميناء ،
قرب لنتيني ، ثم الى جبل النار حتى منطقة مسينا في أقصى ذلك الساحل
نحو الشمال .

الفتوح في عهد أبي عقاب الأغلبي بن إبراهيم بن الأغلبي :

حملة من افريقية ، وتوسع في داخل الجزيرة ، وفي جنوب إيطاليا :

وفي عهد أبي عقاب الأغلبي بن إبراهيم بن الأغلبي ، الذي لم يطل الا
الى أقل من ثلاث سنوات ، استمر نشاط العرب في استكمال الفتح في
الجزيرة ، بل وبدأوا في التوسع في جنوب إيطاليا . فتقول رواية ابن الأثير
أن الأمير الأغلبي سببر سرية في سنة ٢٢٤ هـ / ٨٢٩ م الى صقلية فغنمت
وسلمت (١٨٤) . وهذا يعني أن تلك السرية سارت في البحر من افريقية ،
وهو الأمر الذي يسترعى الانتباه ، إذ يعني أن قوات الأمير الرئيسية في
افريقية كانت تشارك في الأعمال الحربية في صقلية بأوامر مباشرة من الأمير -
وهذا ما سيظهر بشكل أكثر وضوحاً على أيام الفاطميين .

وفي سنة ٢٥٥ هـ / ٨٤٠ م استأنف للعرب ، أي دخل في عهدهم ، عدد
من حصون الجزيرة ، منها : جرجة (Geraci) ، وقلمة البلوط (Caltabellotta) ،
فيما بين جرجنت ومازر ، وابلاتنسو (Platani) ، وقلمة قارلون
(Corleone) ، ومريناو (Marineo) (١٨٥) .

(١٨٣) ابن الأثير ، حنة ٢٠٦ ص ، المكتبة ، ص ٢٢٧ . ابن خلدون ، ح ٤ ص ٢٠٠ .
المكتبة ، ص ٤٦٩ ، وعن وفاة زيادة الله أنظر فيما سبق ، ص ٢٥ .
(١٨٤) ابن الأثير ، سنة ٢٢٣ هـ ، ج ٦ ص ٤٦٦ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ .
(١٨٥) قارون الاثيري ، المكتبة ، ص ٤٤ . بحيث البرادة حرسه بدلا من حرجة . وقارون
بدلا من قارلون . وصيحا بدلا من مرناو . كما في البرادة الجيدة في نهاية الاثر للثوري .

الفتح في كلابريا (قلورية) بجنوب إيطاليا :

وفي نفس السنة (٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م) ، وسع العرب في صقلية نشاطهم اتي قلورية (كلابريا) في جنوب إيطاليا ، حيث سار الاسطول وفتحها ، كما تقول الرواية ، وهزم الاسطول البيزنطي الذي تعرض له هناك ، فانسحب عائدا الى القسطنطينية ، وكان فتحا عظيما (١٨٦) .

العرب يوطدون أقدامهم في وسط الجزيرة :

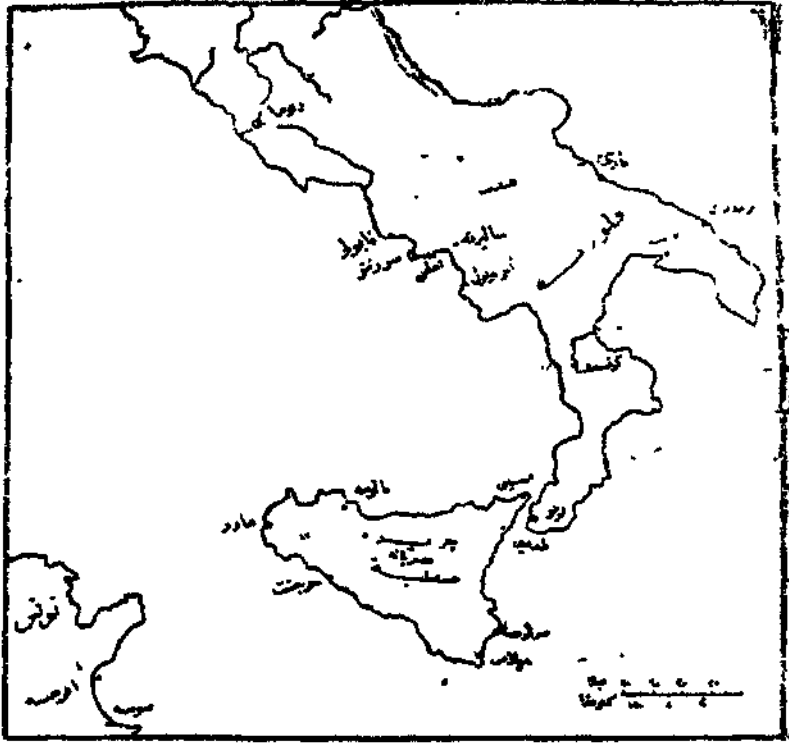
وفي السنة التالية (٢٢٦ هـ / ٨٤١ م) ، وهي السنة التي توفي فيها ابو عقاب الاعلم ، ظهرت سيطرة المسلمين على منطقة وسط الجزيرة ، عندما سبوا سراياهم الى منطقة قصرمانة ، ففعلت بها الأفاعيل ، من : انفساد الرزوع ، واحراق الدور ، وأخذ المغانم والسبي . ولم يعترضهم معترض ، فساروا الى حصن القيران السفلى كان يشتمل على أربعمائة ففتحوها جميعا (١٨٧) .

وبذلك يكون العرب قد ووطدوا أقدامهم في وسط الجزيرة على عهد أبي عقاب القصير ، كما مدوا نشاطهم العسكري الى كلابريا في جنوب إيطاليا ، وهو الامر الذي سيجذب انتباههم منذ ذلك الوقت ، مما يعني أن صقلية لم تعد - بالدرجة الأولى - أرض الرباط والجهاد ، بعد أن استولى العرب على كثير من أجزائها ، وانضموا معظم ما كان قد تبقى بين أيدي الروم من مدنها لميدهم .

محاولة فتح باري :

ففي سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤١ م غزا حياثة مولد أبي عقاب الأغلب منقلقة باري ، شمال برتديزي ، التي لم يكن أهلها من الروم ، ولكنه لم يقدر

١٨٦ (المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ب ، المكتبة ص ٤٢٦) ، ولقد ان الأبي - سنة ٢٢٣ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٤ للمكتبة ص ٢٢٨ ر حيث القراءات حسن البلوط بدلا من سرمدوقلة البلوط ، ونورون بدلا من قلعة قارويو ، وهو أبو مرناو بدلا من مريا) ، ولقد ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٤٦٩ (حيث يكتب يذكر كلسية عدة حصون) ، ولقد ابن خلدون ، تاريخ صقلية الإسلامية ، ص ١٢ .
 (١٨٦) ابن الأثير ، سنة ٢٢٢ هـ ، ج ٦ ص ٢٩٤ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٤٦٩ .
 (١٨٧) ابن الأثير ، سنة ٢٢٢ هـ ، ج ٦ ص ٢٩٤ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٨٦٩ م



شكل رقم (٤)
صقلية وجنوب إيطاليا

عليها (١٨٨) :- والنص هنا على أن أهل باري لم يكتفوا من الروم يعني أنهم كانوا من الإيطاليين المستقلين عن البيزنطيين .

فتح نابولي وميسينا :

وفي سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م . على عهد أبي العباس محمد بن الأشلب ، سار الفضل بن جعفر الهمداني في الأسطول ، ونزل في مرسى ميسينا وأحاط به . ورتب امتناع ميسيني عليه فانه أخذ بيت سراياه في كالابريا وإيطاليا حيث وصلت إلى مدينة نابل (نابولي) التي طلبت الأمان ، نظير دفع الجزية .

(١٨٨) ابن الأثير . سنة ٢٢٦ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٩ .

والذين منهم من الرواية أنه كان من شروط صلح نابون أن يسيرة بعض أهلها مع العرب لمعونتهم على اخذ مسيني فكان ملكة نابولي أصبحت جليما للأعاليبة في إيطاليا (٢١٩) ، وذلك حريا على سياسة الخلف التي مارسها العرب في موحهم والتي قضت بالتحالف مع أهل البلد المتوح من أجل المعاونة على فتح ما وراءه من البلاد . وعلا بينما كان أهل مسيني مشغولين بقتال جعفر استدار العرب وحلفائهم من أهل نابولي خلف الجبل (جبل النار) المطل على المدينة ، وصعدوا اليه ثم انهم نزلوا منه اليها ، فانهمز أهل مسيني وفتح العرب البلدة (١٩٠) ، كما فتحوا أيضا مسكان (١٩١) . وفتح مسيني سيطر العرب على المضيق وأصبح أسطولهم في موقف استراتيجي ممتاز بالبسيطة للأسطول البيزنطي وسط البحر المتوسط .

استيلاء العرب ، وانهايا مقاومة الروم :

الإخاح على مدينة لنتيني (Lentini) :

وأمام هدة المتوح العظيمة قويت قفوس العرب واستأسدوا ، بينما دلت الروم في صقلية ، حتى أنه عندما سار أبو الأغلب العباس بن الفضل في سرية ، في سنة ٢٢٩ هـ / ٤٣ - ٨٤٤ م التالية ، الى مدينة بثرية (Butera) اسمى القتال الكبير باهزام انروم هزيمة فاحشة ، اذ تركوا في أرض المعركة أكثر من عشرة آلاف رجل ، بينما لم يستشهد من المسلمين سوى ثلاثة نفر . ولا ينس عن مبالغة الرواية العربية التي تقول انه لم يكن بصقلية قبلها

(١٨٩) أطر أحمد المدي ، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، ص ٧١ - حيث الإشارة الى الأراض المظطرية في جنوب إيطاليا حيث كان النزاع قائما بين ملكة نابولي وحارتها ملكة بيلنتو (Benevento) اللومباردية . وان تحالف أهل نابولي مع العرب كان بهدف مقاومة الخطر الذي تهددهم من جانب أهل بيلنتو . وهكذا طمأن هذا الوقت استقر العرب للمفارة في قلب إيطاليا وكونوا ملكة مستقلة هي الأخرى عن صقلية الأغلبيية ، وهذا ما تشير اليه النصوص بشكل مجمل فيما بعد . أنظر فيما بعد ، من فتح بلدي وبنيية خلف الملكة العربية الإيطالية الى خلافة بنيانده من ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(١٩٠) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ . ج ٧ ص ٢ من المكتبة ، ص ٢٢٩ (حيث النص : وقابل الفضل في سنة ستين . بدلا من مدينة لنتيني . فهي القراءة الصحيحة للوجود في الهمش .) ، ولان دابلي خلدون من المكتبة ، ج ١ ص ٤٤٤ ، من ٤٧٠ (حيث يكتبي يذكر فتح بطنوس فيقول : ذكر صلح أهل نابولي)

(١٩١) نفس المصدر

حيثها ، بعض الشيء (١٩٢) .

واستمر الهدوء في صقلية في سنتي ٢٢٠ و ٢٢١ هـ (٨٤٤ - ٨٤٦ م) ، ولا بد أن يكون ذلك الهدوء بسبب غموض الأحوال في القيروان ، لا انقلاب الذي دبره أحمد بن الأغلب ضد أخيه الأمير محمد ، إذ لا يستعيد العرب نشاطهم في صقلية إلا في سنة ٢٢٢ هـ / ٤٦ - ٨٤٧ م ، بعد أن يستعيد محمد سلطانه من أخيه أحمد . أما عن السلم الذي كانت الامبراطورة تيودورا قد عقدته وقتئذ مع العباسيين في المشرق (١٩٣) ، فأغلب الظن أنه لم يكن يقيد نشاط الأغلبية أو البيزنطيين ضد بعضهم البعض .

أخذ لنتيني : -

ففي تلك السنة (٢٢٢ هـ / ٤٦ - ٨٤٧ م) سار الفضل بن جعفر على رأس قواته الى مدينة لنتيني على الساحل الشرقي لصقلية ، شمال سرقوسة ، وضرب عليها الحصار وراسل أهل لنتيني بطريق صقلية الرومي ، المقيم في سرقوسة ، وطلبوا منه النجدة ، فاتفق معهم على أن يحضر اليهم بزيارته على حين غرة من العرب الذين يقعون ، عندئذ ، بين شقي الرحا . وتم الاتفاق على أن تكون علامة وصولهم اليهم ، هي : ايقاد نار في بعض جبال المنطقة لمدة ثلاثة أيام ، ويكون وصولهم اليهم في اليوم الرابع . وعرف الفضل ، عن طريق جواسيسه تلك الإشارة ، ورد على أهل لنتيني كيدهم في نحرهم ، فاوقد هو النار في الجبل الموعود ، وأعد الكائن لاستقبال حامية لنتيني في اليوم الرابع من ايقاد النار .

وعندما خرج أهل لنتيني لاستقبال النجدة ، انهزم العرب الذين كانوا يحاصروهم نحو الكمين ، فلما جازوه وقعوا هم بين شقي الرحا ، ووضع السيف فيهم ، فلم ينج منهم الا القليل . وبذلك انتهت المعركة بأن سلم أهل لنتيني مدينتهم الى العرب في نظير الأمان ، في نفوسهم وأموالهم (١٩٤) .

(١٩٢) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٢ . المكتبة ، ص ٤٤٩ - حيث الترامنة شرية وموسرة . والتصحيح : بنبوة ، لأملدى .

(١٩٣) أبو عزيز أحمد ، تاريخ صقلية للإسلامية ، ص ١٣ .

(١٩٤) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٢ . المكتبة ، ص ٤٤٩ - ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٠ - ج ٤ ص ١٢٠ . حيث لنتيني بدون نقط . - تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ المالطيين الروم ، المكتبة ، ص ١٦٢ (حيث ينص على أخذ لطيفة في سنة ٦٣٥ ، وهو الأمر الصحيح إذا عرفنا أنها وقعت بعد حشرين سنة من نزول العرب في الجزيرة) . وذلك في سنة ٦٣٥ حسب نفس التاريخ (ص ١٦٥) .

الاستيلاء على طارنت في لبارديا :

وفي نفس السنة (٢٢٢ هـ / ٨٤٧ م) اجتاح العرب جنوب إيطاليا واستولوا على مدينة طارنت من إقليم لبارديا (انكبردة) ، وسكنوها (١٩٥) ، كما وصلوا في غازاتهم حتى مدينة روما نفسها (١٩٦) . وفي سنة ٢٢٣ هـ / ٨٤٧ - ٨٤٨ م التالية ، أتت عشر شلنديات للسرورم وأرست في مرسى الطين ، على بعد ١٠ (عشرة) أميال غرب يلرم (١٩٧) . وعندما خرجت للاغارة على العرب ضلت الطريق ، وغرق منها ٧ (سبع) شلنديات ، وهي في طريق العودة (١٩٨) .

أخذ أرغوس ، وهدمها :

وفي السنة التالية (٢٣٤ هـ / ٤٨ - ٨٤٩ م) أرغم العرب أهل مدينة أرغوس على بعد ١٢ ميلا من مدينة شكلة في الركن الجسوبي الشرقي من الجزيرة ، و ٥٠ ميلا من بشيرة (١٩٩) ، على طلب الصلح نظير تسليم مدينتهم التي هدمها العرب ، وأخذوا منها ما أمكنهم حمله (٢٠٠) . وهذا يعني أن فتوحات العرب في الجزيرة كانت أكبر مما يحتمله توزيع الجند عليها ، فكانوا يتخلصون منها بالهدم والتخريب .

أما في سنة ٢٣٥ هـ / ٤٩ - ٨٥٠ م ، فكانت منطلة قصريانة همدنا لغارات العرب الذين أفسدوها ، وشرروا الذعر بين أهلها ، قبل أن يعودوا بالمغانم والأسلاب (٢٠١) ، مما يعني أن أهل قصريانة كانوا قد أخذوا بالعهد ، وأن تلك الحملة كانت تاديبية لردعهم .

(١٩٥) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٢٣٠ ، وأنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٠ - الذي يجعل ذلك في السنة التالية ٢٢٣ هـ ، ولو انه لا يذكر اسم المدينة .

(١٩٦) أنظر موقدر هيدن ، الألمانية (بالفرنسية) ، ص ٢٧٨ .

(١٩٧) الادريس ، المكتبة ، ص ٦٦ -

(١٩٨) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ .

(١٩٩) الادريس ، المكتبة ، ص ٢٨ .

(٢٠٠) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٢٣٠ ، ابن خلدون

ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٠ .

(٢٠١) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٢٣٠ .

وفاة أبي الأغلّب ابراهيم بن عبد الله :

وبعد هذه الانتصارات اللامعة ، توفي والى صقلية أبو الأغلّب ابراهيم ، في ١٠ من شهر رجب سنة ٢٣٦ هـ / ١٠ يناير ٨٥١ م ، بعد ولاية استمرت أكثر من خمسة عشر عاماً ، منذ سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م (٢٠٢) . والحقيقة إنه رغبت ما قد يظهر من الخلط بين أبي الأغلّب ابراهيم بن عبد الله هذا ، وأخيه أبي فهر محمد بن عبد الله الذي كانت له الولاية من قبل (٢٠٣) ، مما يمكن أن يعهم منه أنه وبما حدث خطأ في الاسم ، وأن المقصود بالاسمين شخصية واحدة فقد رأينا ترجيح رواية ، ابن عذارى ، التي أنهت ولاية أبي فهر محمد سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م ، وختمت ولاية أبي الأغلّب ابراهيم في سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م . وبناء على ذلك فقد أخذنا رواية ابن الأثير ، ومن نقلها عنه من الكتاب ، وهي الخاصة بوفاة أبي فهر محمد ، أمير صقلية ، في سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م على أنها خاصة بأبي الأغلّب ابراهيم . وتشير تلك الرواية الى أنه كان لا يفرض بنفسه ، بل أقام في بلرم ، من حيث كان يسير الجيوش والسرايا مع نوابه ، فتفتح وتضم (٢٠٤) .

ولاية العباس بن الفضل بمعرفة الجند : قيادة قوية حازمة :

واجتمع قواد العسكر بعد وفاة أبي الأغلّب ابراهيم ، ونظروا فيمن تكون له القيادة بعده ، وتم اتفاقهم على أن تكون قيادتهم الى العباس بن الفضل ابن يعقوب ، وكتبوا بذلك الى أمير افريقية محمد بن الأغلّب الذي أقر العباس في ولاية صقلية ، وكتب اليه العهد بالجزيرة ، ولم ينتظر العباس الى أن يصله عهد العيرون له ، فبدأ يمارس سلطاته ، فكان يقود الجيوش بنفسه أو يبعث السرايا ، وهو مقيم في بلرم ، تشير وتعود اليه بالفسانم والأصلاب (٢٠٥) .

(٢٠٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١١ .

(٢٠٣) أنظر ليا سبق ، ص ٢٢٢ .

(٢٠٤) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ ، ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٣٠٠ - ٢٢١ ، أبو اللدا لمصر ، المكتبة ، ص ٤٠٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ (حيث الص ٤٠٤) وكان من قبل مرو (بدون لا) وبعث السرايا) ، المكتبة ، ص ٤٧١ ، التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ .

(٢٠٥) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٢٣ ، المكتبة ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ص ٤٧١ (حيث اسم العباس : العباس بن الفضل بن جعفر بن يعقوب ابن فزارة) ، التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ .

وعندما وصل كتاب لولاية إلى العباس بن الحسن (٢٠٦) ، بدأ يتسجّل نشاطه عظيم جعل من عهده فترة مميزة في تاريخ صقلية العربية ، وهذا ما خبر عنه ابن عدي ، إذ يقول : « فجاهد كثيرا ، وعزا طويلا - وكان له في الروم موافق آدلهم بها » (٢٠٧) - فقد خرج العباس بنفسه في سنة ٢٢٧ هـ / ٨٥١ م ، على رأس قواته التي جعل على مقدمتها عمه رباح (بن يعقوب) ، الذي وجهه نحو قلعة أبي نور ، بينما اتجه هو نحو قصر يانة (٢٠٨) ، التي كان قد اتخذها الروم عاصمة لهم بدلا من سرقوسة المعرضة للغارات البحرية . وذلك بعد استيلاء العرب على بلرم (٢٠٩) .

وآدى رباح المهمة فأغار على قلعة أبي نور ، وأسر وغنم ، ولحق بالعباس حيث قتل الأسرى ، وعانت القوة العربية في إقليم قصر يانة ، وهي تفسد وتحرق وتخرّب ، وتأسر وتسيى - ولما تمّ يخرج البطريق قائمها للقاء العرب عادوا إلى بلرم (٢١٠) .

الإحاطة على قصر يانة وسط الجزيرة ، واجتياح الساحل الشرقي :

وواضح من تتبع العمليات الحربية التي قام بها العباس بن الفضل ، أنه كان يرمي إلى تحقيق أهداف أبعث بكثير من أهداف سابقه من الولاة ، وأنه كان يطمح في إنهاء الوجود البيزنطي في الجزيرة ، وأنه كان قد قرر الاستيلاء على قصر يانة ، كهدف أول له .

ولكنه لما كان من الصعب اقتحام المدينة الحصينة في قمة جبلها المنيع ، فإنه رأى الإحاطة عليها بالقتال والتخريب حتى ينتهي أمرها بالارهاق ثم السقوط - فقد قام العباس بالغاارة على منطقتها في سنة ٢٢٨ هـ / ٨٥٢ م الثانية في عسكر عظيم ، فغنم وخرب وقتل ، وبعث برؤس القتلى إلى بلرم - ومن قصر يانة سار العباس ليوسع عملياته في نواحي الساحل الشرقي مبتدئا

(٢٠٦) ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧١ . أبو اللدا ، المختصر ، المكتبة ، ص ٤٠٥ .

(٢٠٧) ابن عدي ، ج ١ ص ١١١ .

(٢٠٨) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٢ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ (حيث اسم :

رباح بن سفر بدلا من ابن يعقوب) .

(٢٠٩) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ب .

(٢١٠) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٢ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ . ابن خلدون ، ج ٤

ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧١ . وقانون ابن عدي ، ج ١ ص ١١١ (الذي يقول بشكل عام أنه

لم يقاتل عليه ، وسيى سببا كثيرا ، وقادح بلاهم) .

من قطنانيا ، في اتجاه الجنوب ، نحو سرقوسة ونوطس ، ثم أرغوس في الطرف الجنوبي الشرقي للجزيرة ، ، فضم من جميع هذه البلاد وخرّب وأحرق ، ، قبل أن ينزل على بثيرة التي ضرب عليها الحصار لمدة خمسة أشهر - فكان أخذها في سنة ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م الثانية - ولم يرفعه عنها الا بعد أن صالح أهلها على خمسة آلاف من الماشية (٢١١) .

واستمر العباس يبلج بالصوائف على مدن الروم وحصونهم في الجزيرة خلال السنوات التالية ، كما يتضح من الحوليات الصقلية في ابن عذارى ، الذي يكتب بالإشارة الى أعمال الانسداد والتخريب والنكابة في الروم ، في سنوات ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م و ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م . وهو يشير الى اقامة الفضل في تلك السنة الأخيرة في بعض الجبال لمدة ثلاثة أشهر ، يصرب كل يوم حول قصر يانة ، فيقتل ويصيب ، وتضم سراياه في كل جهة . كما أنه سير اخاه على بن الفضل في البحر فأصاب وغنم ، وعاد بأعداد كبيرة من الماشية (٢١٢) .

أما في سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م ، وهي السنة التي توفي فيها الأمير الأغبني أبو العباس محمد بن الأغلب ، وولي ابنه أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب ، فقد استولى فيها العباس على عدد من حصون الروم (٢١٣) .

الاستيلاء على الحصن الجديد :

واستمر الحاج العباس على قصر يانة (عاصمة الروم) فخرج اليها في

(٢١١) ابن الأثير ، سنة ٢٣٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٢٤ المكتبة ، ص ٢٢١ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ . المكتبة ، ص ٤٧١ - الذي يلخص الرواية تلخيصا لهبه بالبهر ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١١ - الذي يكتب بالإشارة الى أعمال القتل وسب الرؤس الى بلرم وسف الزروع وسب السبايا في سنة ٢٢٨ هـ . ثم يجعل تلك الحملة ضمن أحداث سنة ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م . وقارن تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم عند الروم . المكتبة الصقلية ، ص ١٦٦ (حيث يجعل أحد بثيرة في سنة ٦٣٦٢ . أي بعد ٢٧ سنة من الفتح . وهو ما يكاد يتفق مع تاريخ ابن عشاري) .

(٢١٢) ابن عشاري ، ج ١ ص ١١١ - ١١٢ .

(٢١٣) ابن الأثير ، سنة ٢٣٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ص ٢٢١ - حيث القراءة ما بين خمسة وخمسة ، بينما أخذ ابن خلدون (المكتبة ، ص ٤٧١) عبارة الكلمة « حصون جنة » ، التي منحها اتقوى الى « حصون نجسة » ، لانه فضل نجسة على جنة في نص ابن الأثير . وقارن ابن عشاري ، ج ١ ص ١١٢ - حيث يقول ان العباس كان ينتقل من حصن الى حصن لفتح أكثرها ، وصالحه بعض أهلها .

سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م ، وهزم أهلها عندما خرجوا الى لقائه ، ثم انهتاج مسيرته من جديد الى سرقوسة وطبرمين حيث نشر النهب والتخريب والاحراق على طول الطريق . ونزل العباس على الحصن الجديد الذي كان قد بناه الروم في طبرمين ، جنوب مسينى على الساحل الشرقى رضيق الخناق على الحامية الرومية التى كانت به حتى أنهم فاضوه على أن يشتروا رحيله عنهم بخمسة عشر ألف دينار ، ولكنه لم يقبل منهم ذلك .

وأمام الحاح العباس على حصن طبرمين الجديد يقول ابن الأثير ان الروم عرضوا على العباس الاستسلام له فى نظير شروط مجحفة بهم ، تقضى بأن يسلموا له الحصن ومن فيه على أن يطلق المائتى نفس منهم فقط . ووافق العباس وملك الحصن ، وباع كل من وجده فيه ، بعد أن وفى لهم بشرطهم فأطلق المائتى شخص الذين عينوهم ، ثم انه هدم الحصن . ويظهر شكك ابن الأثير فى تلك الرواية عندما يتبعها بكلمتى والله أعلم (٢١٤) . ونحن نرى أنه ربما كان المقصود بشرط اطلاق المائتى نفس هو الا يأخذ منهم فدية ، بينما كان على الآخرين أن يفتدوا أنفسهم بالمال أو أن يسترقوا .

والى حاسب ذلك نجح العباسى فى ارغام أهل حصن « شلهودة ، (جلفودى) على مصالحته ، شريطة أن يخرجوا من الحصن (٢١٥) .

فتح قصر يانة :

وأخيرا صارت الظروف حواتية لمتح قصر يانة فى سنة ٢٤٤ هـ / ٥٨٠ م . فعندما حسنت الأحوال الجوية بعد فصل الشتاء ، سار العباس فى جيسوشه من بلرم قاصدا قصر يانة ، حيث نشر الرعب والحراب فى اقليمها . ثم انه اتجه نحو سرقوسة حيث كان قد سير أسطولا بحريا بقيادة أخيه على ، ليتم حصار المدينة من جهتى البر والبحر جسيما . والتقى أسطول على بن الفضل بأسطول رومى يتكون من أربعين شلنديا ، على رأسه قائد تسميه رواية التويرى بالاقريطشى أى الكريتسى (الكريتلى) (٢١٦) . وانتهى

(٢١٤) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ، ص ٢٢٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٢ - الذى يسمى المكان « قصر الحديد » (بدلا من القصر الجديد) ، ويقول ان العباس وافق على فدية الـ ١٥ ألف دينار .
(٢١٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٢ .
(٢١٦) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٩ ، المكتبة ، ص ٤٢٢ ، وقارن ابن عذارى .

القتيصال البحري العنيف بانتصار المسلمين وأسر عشر شلمنديات رومية
برجالها - ولكن الجيش البري ، وكذلك الأسطول عاماً الى قواعدهما في بلرم
بما أخذ من المقائم والسبي والاسلاب (٢١٧) .

والظاهر أنه أمام عدم تمكن العباس من تحقيق ما كان يرجوه من
الاستيلاء على قصرية خلال ما كان يقوم به من الصوائف ، فكر في معرفة
ما يمكن أن يقدر لذلك من النجاح خلال فصل الشتاء ، وقت البرد والثلج ،
على غير المعتاد .

وقام العباس فعلاً بتسيير شاتية الى قصرية ، نهب رجالها وخربوا
في الاقليم ، وعادوا الى بلرم ومعهم رجل من وجهاء الروم - وتقول الرواية
أن العباس أمر بقتل الرجل الذي انزعج للأمر ، وعرض أن يشتري حياته
نظير أن يدل العرب على عودة لقصرية ، يمكن لهم الدخول منها والاستيلاء
على المدينة ، والقوم آمنون غير محتسرين ، بسبب الشتاء والثلوج .

وانتخب العباس حوالى ألفي رجل من انجاد فرسانه وأبطالهم ، وسار
بهم في شهر كانون (ديسمبر - يناير) مع الرجل الى أن قرب من قصرية
حيث كمن معهم مستترا ، بينما سير عمه رباحا مع شجيمان هؤلاء الرجال ،
فساورا مستخفين في الليل ، ودليلهم الرومي مفيد بن يدي رباح (٢١٨) .
ودلهم الرجل على المكان الذي يمكنهم عن طريقه دخول المدينة ، وكان الموقع
الضعيف في تلك العصور ، هو حيث الثفرة في أسوار البلدة التي كان يخرج
منها ماء نهرها محملا بالأوساخ ، وكان في منطقة وعرة من الجبل . وهكذا

ج ١ ص ١١٢ - الذي استنتج من اسم « الاقريطس » ، وهو قائد الأسطول الرومي ان المعركة
دارت بين العرب والروم قرب سواحل كريت .

... (٢١٧) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ . ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ، ص ٢٢٢ (ابن خلدون .
ج ٤ ص ٢٠٢ حيث يوصل ذلك في سنة ٢٢٧ هـ وهي السنة التي خصصها ابن الأثير لكل
تلك الفتح ، المكتبة ، ص ٤٧١) - وقارن ابن طاري ج ١ ص ١١٢ - الذي يذكر أنه حدث
ذلك - هارب من المسلمين جولة ، قتل منهم ، وأخذت لهم عشرين مركبا . وهذا ما تشير
اليه رواية كتاب التاريخ حسب تاريخ العالم عند الروم - المكتبة الصقلية - ص ١٦٦ - إلا
تقول روايته أنه أخذت مركبا لعل (ابن الكفيل) في تلك السنة - والنظر ص ٢٥٢ .

(٢١٨) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ . ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ص ٢٢٢ . وقارن البويري ،
المطلوب ، ج ٢٢ ص ٢٢٩ . حيث تنص الرواية على أن رجال العباس كانوا الك فارسي
وسبغالة راجل وأنه جعل على كل عشرة منهم مقلدا .

نطلب الأمر استخدام السلاخيم لارتفاع ذلك الموضع من الجبل ، والوصول الى السور حيث النخرة أو الخوخة - وقبيل الفجر ، وأثناء استغراق الحراس في النوم ، تسنلت جماعة الاستطلاع الى داخل السور ، ووضعت السيف في حراس الأبواب وفتحوها ، لكي يأتي العباس ورجاله على عجل ، ويدخلوا للمدينة على حين غرة من أهلها مع آذان صلاة الصبح من يوم الخميس منتصف شوال/ ٢٥ يناير. ٨٥٩ م - وقتل العباس عن وجد في المدينة من المقاتلة ، وأخذ بنات البطارقة بطينين وأبناء الملوك ، وأصاب في المدينة من الكنوز والنخائر ما يعجز عنه الوصف (٢١٩) . وكان للخليفة المتوكل الذي أُخبر بهذا العصر الكبير ، نصيبه من السبب الجليل (٢٢٠) .

وتقول الرواية أن العباس بنى في قصر يانة مسجدا في الحال ونصب فيه منبرا ، وخطب فيه يوم الجمعة (٢٢١) ، وهو اليوم التالي : ولا بأس أن يكون العباس قد حول كاتدرائية المدينة الى مسجد جامع بعد أن زودها بمنبر أمكن استخدامه في يوم وليمة .

رد الفعل لدى الروم :

حملة بحرية الى الجزيرة تنتهي بالفشل :

وكان استيلاء العرب على قصر يانة ضربة شديدة للروم لم يكن من القبول أن يظفروا ساكنين - فلقد أرسل الكبير (ميخائيل الثالث) - في السنة التالية (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) ، حسيبا يقتضي تنسيق الأحداث - من القسطنطينية أسطولا في ثلاثمائة سفينة بحرية ، يحمل الجنود والمتاد ، في محاولة للتصدي للعرب واسترجاع المدينة الهامة . وعندما علم العباس برمسول تلك الحملة - التي كانت بقيادة قيسطنطين كوندوميتيس (Constantine Kondomytes) (٢٢٢) - الى سرلوسة ، خرج بنفسه

(٢١٩) ابن الأثير . سنة ٢٢٧ هـ . ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة . ص ٢٢٢ - ٢٢٣ . ابن خلدون . ج ٢ ص ٢٠٢ . المكتبة . ص ٤٧١ - ٤٧٤ . التبريزي . المعطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٩ . ابن الأثير . المكتبة . ص ٤٠٥ . تاريخ اللطيف في سبلية حسب تاريخ العالم عند الروم . المكتبة . ص ١٦٦ (سنة ٦٣٢٧ هـ بعد ٢٢ سنة من الحج) .
(٢٢٠) أنظر فوندد هيدن (بالفرنسية) . ص ٢١ (من ابن خلدون) .
(٢٢١) ابن الأثير . سنة ٢٢٧ هـ . ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة . ص ٤٧٣ . ابن خلدون . المكتبة . ص ٤٧٢ .
(٢٢٢) فوندد هيدن . تاريخ سبلية الاسلامية . ص ١٢ .

في رجاله وأساطيله ، والتقى بهم عند أحواز سرقوسة ، ونجح في هزيمتهم حتى ألجأهم الى مراكبهم ، كما أنه تمكن من الاستيلاء على ٣ (ثلث) من مراكبهم .

وتشير الرواية الى تفوق المسلمين على الروم في فن الحرب وقتلهم ، حتى قيل إنه في الوقت الذي كثر القتل في الروم لم يصب من العرب بالشباب - أي من بعيد - الا ثلاثة نفر (٢٢٣) ، وهو الأمر المستغرب فعلا .

انتفاضات للروم :

ولا بأس من أن يكون الروم قد استطاعوا الناز لتلك الهزيمة البحرية المعاجزة ، فهذا ما تشير اليه حوليات ابن عذارى ، بعد الانتصار الذي حققه على بن الفضل في البحر على الروم سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م ، اذ تقول : « ثم دارت على المسلمين جولة ، فقتل منهم ، وأخذت لهم عشرون مركبا » (٢٢٤) .

وهذا ما ترجحه الحوليات الصقلية في سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م ، عندما سجلت نكت عدد كبير من القلاع الصقلية ، وخروجها على طاعة المسلمين ، مثل : سطر ، وأبلا (Avola) ، وأبلاطنو (Platan) وقلعة عبد المؤمن ، وقعة البلوط ، وقلعة أبي تور (Caltavuturo) ، وغيرها من القلاع مما اضطر العباس الى الخروج اليهم في حملة تاديبية ، ألحق فيها الهزائم بعساكر الروم ، وحاصر قلعتي عبد المؤمن وأبلاطنو .

وفي أثناء الحصار باخته أنباء عن وصول قوات رومية الى الجزيرة فترك حصار القلعتين ، وسار الى لقاء الروم قرب قلعة جلفودي (Cefalu) شرق بلرم . وانتهى القتال بانهزام الروم الى سرقوسة ، وعودة العباس ابن الفضل الى بلرم (٢٢٥) .

(٢٢٣) ابن الأثير . سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ، ص ٢٢٣ : حيث النس على الاستيلاء على « ثلث مراكبهم » (أي مائة شلندي) وهو الأمر المستبعد . وقارن ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٢ ، ج ٤ ص ٢٠٢ : حيث النس . « وألق لهم الى بلادهم بعد أن غنم المسلمون من أسطولهم ثلاثة أو أكثر » .

(٢٢٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٣ ، والنظر فيما سبق ، ص ٢٥٠ ، ج ٢١٧ .
(٢٢٥) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٢ - حيث تصرف في الرواية وجعل مسير العباس الى سرقوسة لقتال الحملة الرومية ، وعودته الى قصريانة وليس الى المدينة « بارم » .

اعمار قصر يانة ، و وفاة العباس بن الفضل :

واهتم العباس بقصر يانة فعمرها وحصنها وشحنها بالمقاتلة . وفي السنة التالية (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) ، وبينما كان العباس يحول برجاله في منطقة سرفوسة ، يسكن في الروم ويضم أموالهم ، اعتل في يوصع غيران قرقنة (Caltagirone) غلته التي مات فيها بعد ثلاثة أيام - وذلك في ٣ جمادى الآخرة سنة ٢٤٧ هـ / ١٥ أغسطس ٨٦١ م ، ودفن هناك - غير بعيد من قبر أسد بن العرات - ولكن الروم نبشوا قبره وأحرقوه (٢٢٦) .

تقييم أعمال العباس :

وهكذا تيرت ولاية العباس بن الفضل التي استمرت إحدى عشرة سنة ، دارم فيها الجهاد صيفا وشتاء ، بتحقيق انجازات لم يسبقه الي مثلها من تقدمه من الولاة . فكان من أهم أعماله غزو أرض قلورية (كلابريا) وأنكبردة (لومبارديا) التي أسكنها المسلمين (٢٢٧) . وكان تتويج أعماله في صقلية بالاستيلاء على قصر يانة التي أصبحت من أهم مسدن العرب في الجزيرة . وهكذا حتى لابن عذارى أن يقول : انه « حاهد كثيرا ، وغزا طويلا ، وكان له في الروم مواقف أذلهم بيا » (٢٢٨) . وهكذا لم يكن من الغريب أن يصير الروم عن حقدهم على العباس أو عن خوفهم منه ميتا ، كما كان حيا ، ينشس قبره ، و « احراق شلوه » ، كما يقول ابن خلدون .

(٢٢٦) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٥ ، المكتبة ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٢ . وعن دس العباس بن « كالتاجيون » انظر عزيم تاريخ صقلية الاسامية ، ص ١٤ .

(٢٢٧) ابن الأثير سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٥ ، المكتبة ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٢ .

(٢٢٨) البيان ، ج ١ ص ١١١ .

قاهر قوى فى مستوى العباس بن الفضل وابنه عبد الله :

خفاجة بن سفيان (٢٤٨ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٢ م - ٨٦٩ م) وابنه محمد :

فترة إنتقالية :

أحمد بن يعقوب ، وعبد الله بن العباس (جمادى الآخرة ٢٤٧ هـ / جمادى الأولى ٢٤٨ هـ) :

عندما توفي العباس بن ميدان القتات ، اجتمع قادة العسكر ، كما كانت تجرى العادة فى مثل هذه الظروف ، وتناقشوا فيما بينهم فى قيادة الجيش ، وإمارة صقلية بالتناوب ، وببعضها نص ربيعة ابن الأثير على أن يبايعوه ولوا عليهم . ابنه عبد الله بن العباس ، وكتبوا بذلك الى الأمير الأعلى بن القيروان (٢٢٩) ، يصح ابن عذارى على أن الذى ولى بعد العباس هو عمه أحمد بن يعقوب ، وأن أهل صقلية انذبن ولوه : وكتبوا بذلك الى صاحب إفريقية أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأعلب ، فجاء كتابه باثباته (٢٣٠) .

والظاهر أن الأمرين جميعا صحيحين مع اختلاف الترتيب الزمني ، فهذا ما يظهر من رواية التويرى التى تقول ان الناس وئوا على أنفسهم أحمد بن يعقوب ، ثم ولوا عبد الله بن العباس ، وكتبوا الى أمير القيروان ، فى خمسة أشهر (٢٣١) . بلا ما كان الوالى التالى ، وهو خفاجة بن سفيان ، قد وصل من القيروان الى الجزيرة فى شهر جمادى الأولى من السنة التالية (٢٤٨ هـ / يولية ٨٦٢ م) ، فكان الفترة ما بين وفاة العباس ووصول خفاجة بلغت ١١ (احد عشر) شهرا ، ولى منها عبد الله بن العباس خمسة أشهر ، فتكون ولاية عمه أحمد بن يعقوب قبله - التى لا تعرف الظروف التى انتهت فيها ، وهل كانت بسبب وفاته أم بسبب عدم رضاه الجند عنه - قد استمرت لمدة ستة أشهر ، من جمادى الآخرة سنة ٢٤٧ هـ / اغسطس ٨٦١ م الى ذى الحجة من نفس السنة (فبراير ٨٦٢ م) ، وتكون ولاية عبد الله بن العباس - التى لا نجد لها فى حوليات ابن عذارى - قد بدأت من ذى الحجة وانتهت فى

-
- (٢٢٦) ابن الأثير ، سنة ٢٤٦ هـ ، ج ٧ ص ٤٠٠ - المكتبة ، ص ٢٢٤ . ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ . المكتبة ، ص ٤٧٢ .
(٢٣٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٢ .
(٢٣١) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٦ ب .

جمادى الأولى سنة ٢٤٨ هـ/ يولية ٨٦٢ م . وخص ابن الأثير على أنه خلال
الاشهر الخمسة التي ولي فيها عبد الله بن العباس ، سار على نفس سياسة
إبرو العوية التي ابناها والده ، والتي كان يشاركه في تنفيذها ، فأخرج
الحرابيا ، فضحت قازعا عدة ، منبا : قلعة جبل أبي مالك وقلعة الارمنيين ،
وسنة اشهرقة(٢٣٢) .

اختيار خفاجة بن سفيان :

أما مساذًا لم يترك الأمير أبو ابراهيم أحمد بن محمد القائد عبد الله .
ابن العباس في منصبه ، وهو الذي خبر أحوال الجهاد في صقلية وفي ايطاليا
طوال الاحدى عشرة سنة التي ولي فيها والده ، وكان فيها بمثابة الشريك له ،
بلا ندرى ان كان الأمر خاصا بمزاج أمير القيروان أم أنه كان قد حدث خلاف
بين أفراد أسرة عبد الله بن العباس بن الفضل ، شارك فيه الجند ، مما أدى
إلى عزلهم لعنه أحمد بن يعقوب وتوليته ، وهو الأمر الذي يجعل اختيار
أمير القيروان لقائد آخر من لدنه ، وهو خفاجة الذي كان له شأنه بين قواد
الريقية ، أمرا مقبولا .

ولهم أن خفاجة وصل الى الجزيرة في جمادى الأولى سنة ٢٤٨ هـ/
يوليه ٨٦٢ م ومعه ابنه محمد . وتسلم مقاليد الامور في بلرم ، وانتهج
سياسة عسكرية قوية ، تعتبر استمرارا لسياسة العباس بن الفضل .

التوسع في اقليم سرقوسة والركن الجنوبي الشرقي : فتح نوطس :

فلقد بدأ خفاجة نشاطه في التو واللحظة ، فسار ابنه محمدا على رأس
سرية قصدت منطقة سرقوسة ، حيث غنمت وخربت وأحرقت ، وظفرت بمن
تعرض لها من الروم . وقبل أن يعود الى بلرم عرج على أرغوص وضيق عليها
حتى طلب أهلها الأمان(٢٣٣) ، أي أنهم تعادوا الى الخضوع لدفع الجزية .

(٢٣٢) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤٠ .

(٢٣٣) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤٠ ، المكتبة ، ص ٢٣٥ - ولما كانت الحوليات
المسجلة تذكر أن العرب قد عادوا الى أرغوص مرة أخرى في سنة ٢٥٢ هـ/ ٨٦٦ م ، فإن
ابن الأثير يتساءل عما إذا كان قد حدث خلط بين التاريخين أم أن الأمر يتعلق بمزوتين
مختلفتين - بعد نكس أهل أرغوص - وهو الأمر الذي نراه مقبولا في حرب الصوائف المسجلة .
عنه - وهذا ما تؤكد رواية-تاريخ المسلمين في صقلية بحسب تاريخ العالم عند الروم (المكتبة .
ص ١٦٦) حيث أخذت أرغوص للمرة الأولى في سنة ٦٣٥٦ هـ ، وأخذت-فج المرة الثانية في
سنة ٦٣٧٥ - وإن كانت المسافة بين التجهين كبيرة تبلغ حوالي ١٩ سنة .

بوظل خفاجة - الذي أمره في ولاية صقلية الأمير زياده الله (الثاني) بن محمد
ابن الأغب ، وأرسل إليه بالخلع رمز الامارة ، عندما ولي امارة الاغالبة في
ذي القعدة سنة ٢٤٩ هـ / ديسمبر ٨٦٣ م ، عقب وفاة أخيه أحمد (٢٣٤) -
يلج بالصوائف على اقليم الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة حتى تمكن من
فتح مدينة برطس جنوب سرقوسة ، في المحرم من سنة ٢٥٠ هـ / مارس
٨٦٤ م ، وذلك بالاستعانة ببعض أهل المدينة الذي دل العرب على الموضع
الذي أمكهم الدخول منه ، وأخذ العرب في نوازل أموالا عظيمة - ومن
نوازل سارت القوات العربية عربا حيث فتحت شكنه (Scith) في جنوب
أرغوس ، بعد أن ضربوا عليها الحصار مدة (٢٣٥) .

وعندما توفي زياده الله الثاني في ذي القعدة من سنة ٢٥٠ هـ / ديسمبر
٨٦٤ م ، أي بعد سنة واحدة من الولاية ، أقر خفاجة في ولايته الأمير الجديد
محمد بن أحمد أبو الغرابيق .

خصائص الفتوح في الجزيرة حتى سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م :

والواضح من عرض أحداث هذه الحرب العجيبة التي كان يشنها العرب
على مدن الروم في صقلية منذ حوالي أربعين سنة ، أن صب الأمان من جانب
حصون الروم ومدنهم ، كان يعنى الصلح ، وكذلك كانت معنى كلمة «الفتح»
في معظم الأوقات ، الا اذا كان هناك نص صريح على امتلاك العرب للحصن
أو المدينة ، فضلا عن الإشارة الى اقامة العرب فيه . ما عدا حسم المدينة أو
الحصن أو احراق الواحد منهما أو الآخر . نهدا يعنى - انه سيعودون اليه
عما قريب ، لكي تعود الحواريات الصقلية لتندثر الحرب في نفس الموضع من
جديد .

وهكذا كانت منطقة سرقوسة هدفا لغارة شديدة في سنة ٢٥١ هـ /
٨٦٥ م التالية ، حيث نصب خفاجة للروم كمينا بقيادة ابنه محمد فنجح في
أن يقتل منهم ألف فارس ، حتى سميت سرية محمد هذه بـ « سرية ألف

(٢٣٤) ابن الأثير ، سنة ٢٤٩ هـ ج ٧ ص ٤٧ ، المكتبة ، ص ٢٣٨ ، ابن عذاري ، ج ٦
ص ١١٢ - ١١٤ .

(٢٣٥) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤٠ ، المكتبة ، ص ٢٣٥ ، وقانون تاريخ
المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم ، ص ١٦٦ (عن فتح الناطس سنة ٦٧٤) ،
ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٣ .

خامر ، ، كسا يقول ابن عسارى (٢٣٦) . وفى ضوء فكرة حرب الصوائف
هاتويلاً هذه ، يمكن لنا أن نفهم بلحاظ العرب بالحرب على نفس الإصح أكثر
من مرة . رغم الأمان أو الصلح أو الفتح .

صلح طبرمين :

مفاوضات طريفة تشترك فيها النساء :

وهذا ما حير ابن الأثير فى صوائف سنة ٣٥٢ هـ / ٨٦٦ م (٢٣٧) ، حيث
سار خفاجة الى سرقوسة ، ومنها اتجه الى أقصى الشمال الى منطقة جبل
النار ، حيث أتاه ورسل مدينة طبرمين يطلبون منه الأمان .

ونص ابن الأثير هنا بحرفى عبارة غريبة ، اذ يقول : « فأرسل (ابن
خفاجة) امرأته وولده فى ذلك ، فتم الأمر » (٢٣٨) ، مما يبنى أن مسألة
الأمان أو الصلح كانت تتطلب نوعاً من المفاوضات للتمارف عليها فى ذلك
الوقت . وفكرة إرسال خفاجة لابنه محمد ليفاوض أهل طبرمين نيابة عنه
محمولة ، فقد كان محمد بمثابة المساعد الأيمن له فى أعماله أو الشريك له فى
ولايته . وأما إرسال امرأته التى نطن أنها كانت أم محمد أيضاً ، فربما كانت
لبهاة الروم المسلمين كانوا يمتزون بنسائهم ، بل ويصحبونهم معهم فى
حروبهم ، كما رأينا فى أكثر من معركة .

وهذا يعنى أن العرب فى صقلية بدأوا يتأثرون بمبادئ الروم فى
الجزيرة ، ومنها ما يتعلق بتشريفهم للنساء واعتزازهم بهن . ولا توضح
الرواية الأسباب التى دعت أهل طبرمين للنداء أو نقض الصلح الذى أبرمته
محمد بن خفاجة والسيدة والدة مع أهل طبرمين ، وهو الأمر الذى جعل
خفاجة يرسل ابنه محمد من جديد الى طبرمين ولكن لحربها ، هذه المرة .
وتقول الرواية أن محمد بن خفاجة فتح طبرمين وسبى أهلها - والفتح ، كنا
قلنا ، لا يعنى هنا أكثر من الحرب أو املاء الصلح .

صلح أرغوص والقبزان :

وفى نفس هذه السنة طلب أهل أرغوص الأمان من جديد ، بمعنى أنهم

(٢٣٦) ابن عسارى ، ص ١٠٤ ج ١

(٢٣٧) انظر طريفاً سبق ، ص ٢٥٥ و ٢٢٣ .

(٢٣٨) ابن الأثير ، سنة ٣٥٢ هـ ج ٧ ص ٤٠ ، نسخة ، ص ٢٢٥ .

كانوا قد نكثوا صلح سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م (٢٣٩) . وهذا ما يصر قسوة شروط الأمار هذه المرة ، إذا اضطر أهل أرغوس الى أن يعرضوا على حماحة السماح لعدد معين من أهل الحصن (سقط من النص) - كما حدث في طبرمين أيام العباس ، حينما طلبوا اطلاق مائتي نفس عيسوم (٢٤٠) - يطلقون بأموالهم ودوابهم ، على أن يفتح الباقي . وهذا ما حدث فعلا إذ أخذ حماحة جميع ما في الحصن من مال ورقيق ودواب ، غير ذلك (٢٤١) .

وتشير الحوليات الصقلية في نفس السنة (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م) الى أن أهل الفيران - القرية من سرقوسة - هادنوا حماحة (نظير الجزية) ، وأنه انتصح حصونا كثيرة ، ثم انه مرض مرضا شديدا حتى انه عاد الى بلرم محمولا في محفة (محمل) (٢٤٢) .

الإحاح مستمر على أقاليم سرقوسة ، وقطانيا :

ولم يطل مرض حماحة في بلرم ، إذ أنه عاد في السنة التالية (٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م) الى أقاليم سرقوسة وقطانيا حيث خرب البلاد وأفسد المزروعات ، وبت سراياه في أرض غير المعاهدين من الروم ، فظفرت وعادت بالمفسانم الكثيرة (٢٤٣) . وظل الإحاح على منطقة سرقوسة في سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م التالية ، حيث بعث حماحة سراياه للاستكشاف قبل أن يسير اليها بنفسه ليمسد زروعها في ربيع الأول (مارس) . وكذلك سير في البحر ابنه محمدا في الحراقات عندما علم بوصول حملة من القسطنطينية ، فيها الكثير من الجنود . وكان الظفر في البحر وفي البر جميعا لحماحة ، إذ انهزم الروم أمام القوات العربية ، وقتل منهم آلاف كثيرة ، وأخذ لهم سلاح وخيل كثير ، عاد بها للمسلمون الى بلرم ، في أول شهر رجب (أواخر يونيه) (٢٤٤) .

(٢٣٩) أنظر فيما سبق ، ص ٢٥٥ وما ٢٢٢ .

(٢٤٠) أنظر فيما سبق ، ص ٢٤٩ .

(٢٤١) ابن الأثير سنة ٢٤٧ ص ٧ ج ٤٠ - المكتبة ، ص ٢٢٥ - ابن خلدون ، المكتبة .

ص ٤٧٣ ، ج ٤ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢٤٢) ابن عسكري ، ج ١ ص ١١٤ - ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ ص ٧ ج ٤٠ ص ٤٠ -

المكتبة ، ص ٢٢٥ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٣ ، ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٢٤٣) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ ص ٧ ج ٤٠ - المكتبة ، ص ٢٢٥ - ابن خلدون ،

المكتبة ، ص ٤٧٣ ، ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٢٤٤) ابن عسكري ، ج ١ ص ١١٥ .

• مجرد عوثة خفاجة الى بلرم سير ابنه محمدا عن رأس الاسطول لغزو مدينة عبطة . في ارض ايطاليا على ما يظهر ، فحاصر محمد المدينة في البحر ، وبث سراياه حولها في البر لمدة زادت على شهرين ، قبل أن يعود بمراكبه مشحونة بالمقاتل الى بلرم في شهر شوال (سبتمبر) (٢٤٥) .

محاولة لم يقد لها النجاح لاختط طبرمين :

وكانت مدينة طبرمين - التي توصف بأنها من أحسن مدن صقلية ، والتي لا تعرف ان كانت قد تقضت ثانية بعد فتحها على يدى محمد بن خفاجة ، بعد صلح سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م - هدفا لخفاجة في السنة التالية (٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) ، وذلك عندما عرض عليه بعض أهلها تسهيل مهمة دخول العرب إليها ، عن طريق غير مطروق ، كان يعرفه الرجل - ففي شهر صفر (يناير - فبراير) سير خفاجة ابنه محمدا مع جماعة من الفرسان وبصحبته ذلك الرجل الدليل الطبرميني . وعندما اقتربت الجماعة من طبرمين توقف محمد بأمر بعض عسكره أن يقدموا رجاله مع الدليل ، على أن يلحق بهم الى داخل المدينة عندما يفتحوا أبوابها . ودخلت المجموعة من المفاوير (الكوماندوس) للمدينة فعلا ، وامتلكت بابها وسورها . ولكنها بدلا من أن تعطى إشارة الهجوم النهائي لمحمد وبقية العسكر ، شرعت في السبي والفنيمة . وانظر أن محمد بن خفاجة كان هو الآخر مترددا أو غير واثق من نجاح العملية في وقتها المحدد ، فتأخر عن ذلك الوقت الذي كان قد ضربه لرجال تلك الطليعة ، حتى ظن هؤلاء أنه ربما كان العدو أوقع به وبرجاله .

وهكذا أوقفت الجماعة السبي ، كما تقول الرواية ، وخرجوا منهزمين - واغلب الظن أنهم فعلوا ذلك عندما هاجت المدينة وماجت بعد أن شعرت بما يحدث داخل أسوارها .

هذا ولا بأس في شرح ابن خلدون الذي قال: ان محمدا أبى من ناحية أخرى غير التي كان قد تم الاتفاق عليها ، وكان وصوله المفاجيء من تلك الناحية سببا في ذعر جماعة الطليعة الذين ظنوه ورجسالة مددا للروم . فنجفوا ، مما دعاه هو الآخر الى الجفول خلفهم .

(٢٤٥) ابن الأثير . سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤١ . المكتبة . ص ٢٢٦ . ابن خلدون .
المكتبة . ص ٤٧٢ .

والهم أن محمد بن خفاجة عندما وصل الى باب المدينة في رجاله التقى بأصحابه وقد خرحوا منها ، فلم يكن أمامه الا العودة وراهم (٢٤٦) . وهذا يؤيد فكرة تنه حامية المدينة وأهلها ، وأخدم بالأهبة للمقاومة . وهكذا لم تتحقق أمنية عزيزة على خفاجة كان يسكن أن يوازن بها ما قام به من أعمال بما قام به سلفه العباس بن الفضل ، عندما استولى على قصر يافة بطريقة مشابهة ، قبل ذلك الوقت بأحدى عشرة سنة .

الضغط على سرقوسة :

ولم يشبط هذا الفشل من عزيمة خفاجة الذي خرج من بلرم في الشهر التالي (ربيع الأول/فبراير مارس) على رأس قواته الى برسة ، بينما سير ابنه محمدا في عسكر كبير الى سرقوسة . ودار قتال شديد بين عسكر محمد وبين جيش رومي كبير ، انتهى لنصر صالح محمد الذي عاد مفلولا الى والده ، بعد أن فقد كثيرا من رجاله . وهنا خرج خفاجة بنفسه على رأس قواته نحو سرقوسة وضرب عليها الحصار ، وضيق على أهلها ، بينما كانت سراياها تفسد الاقليم وتهلك الزرع (٢٤٧) .

هقتل خفاجة بيد رجل من عسكره :

وعندما رأى خفاجة أن حملته التأديبية ضد سرقوسة حققت أغراضها ، رفع عنها الحصار وأمر بالعودة الى بلرم عن طريق وادي الطين . والظاهر أن خفاجة كان يخشى من مكيدة يقوم بها الروم ضده ، وهو في طريق العودة ، فقرر الرحيل من وادي الطين ، وهو مدليج ليلا . وأثناء المسيرة الليلية ، وقع ما كان يحذر خفاجة ، إذ اغتاله رجل من عسكره بطعنة قاتلة مات منها . وذلك في أول شهر رجب سنة ٢٥٥ هـ / ١٥ يونية ٨٦٩ م .

والقريب في الأمر أن القاتل نجح في الهرب ولجا الى سرقوسة (٢٤٨) ، مما يقتضى أن الأمر حدث ، في قالب الظن ، بتدبير من الروم .

- (٢٤٦) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، المكتبة ص ٢٢٦ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٢ (ج ٤ ص ٢٠٢ - حيث القراء طرميس بدلا من طبرمين) .
(٢٤٧) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٥ - الذي يقول ان سبب الهزيمة كان مقتل شجاع بن شجاع المسلمي . فالتكبروا للقتل .
(٢٤٨) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٢ ، أبو اللدا ، المكتبة ، ص ٤٠٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٥ .

اختيار محمد بن خفاجة للولاية :

ولاية قصيرة لمدة سنتين ، تم خلالها فتح مالطة :

وحمل خفاجة قتيلا الى بلزم حيث دفن ، واحتج قسواد المسكر في العاصمة ، واتفقوا على أن يعهدوا بالقيادة الى ابنه محمد ، وكتبوا بذلك الى الأمير أبي الفرائق محمد بن أحمد ، الذي وافق على اختيارهم ، وكتب الى محمد بن خفاجة عهده بالولاية على صقلية - وسبر اليه اللباس الرسمية ، المعروفة بالحلج ، وهي رمز الولاية(٢٤٩) .

ولم تستمر ولاية محمد بن خفاجة الا لمدة سنتين ، تم في الأولى منها الاغارة على اقليم سرقوسة بمعرفة عمه عبد الله بن سفيان ، الذي اهلك روعها في سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م (٢٥٠) ، وأخذ جزيرة مالطة بمعرفة أحمد ابن عمر بن عبد الله (٢٥١) . وفي السنة الثانية (٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) تشير الحوليات الى هزيمة الأسطول البيزنطي ، الذي حاول استرجاع الجزيرة ، وفك الحصار عن مالطة(٢٥٢) . ثم يأتي مقتل محمد بأيدى بعض خدعه الحصيان ، من الصقالبة ليضع نهاية نمرة لأعماله المجيدة في صقلية ، وذلك في نهاية اليوم الثالث من رجب سنة ٢٥٧ هـ / ٢٨ مايو ٨٧١ م . وكنم الحصيان قتله الى أن هربوا ليلا ، فلم يعرف قتله الا من الغد ، وعندئذ طلب الخدم ، وقتل الذين قتلوه منهم(٢٥٣) .

-
- (٢٤٩) ابن الأثير . سنة ٢٤٧ هـ . ج ٧ ص ٤١ . وسنة ٢٥٥ هـ . ج ٧ ص ٨٦ .
المكتبة ص ٢٢٧ . ابن حطون . ج ٤ ص ٢١٢ . المكتبة . ص ٤٧٣ . ابن عسوى . ج ١ ص ١١٥ . النويري المخطوط . ج ٢٤ ص ٢٢٩ ب .
(٢٥٠) ابن الأثير . سنة ٢٤٧ هـ . ج ٧ ص ٤١ . المكتبة . ص ٢٢٨ .
(٢٥١) النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٦ ب .
(٢٥٢) تاريخ المسلسل في صقلية حسب التوزيع العالم عند الروم ، المكتبة الصقلية . ص ١٦٦ . وقارن فيما سبق . ص ١٠٦ .
(٢٥٣) ابن الأثير . سنة ٢٤٧ هـ . ج ٧ ص ٤١ . وسنة ٢٥٧ هـ . ج ٧ ص ٩٩ .
المكتبة . ص ٢٣٧ . ٢٣٨ . النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٩ ب . ٢٣٠ . أبو الفدا .
المكتبة ص ٤٥ . ابن عسوى . ج ١ ص ١١٥ .

فترة قلقة :

خلفاء محمد بن خلفاء :

وتختلف الروايات عند كل من ابن الأثير ، وابن عساري ، والنويري ،
قيس بن خلف محمد بن خلفاء في ولاية صقلية ، ونرى أن رواية النويري التي
تنصف بالاتساق وانتظام الأحداث أولى بالتقديم على غيرها . فحسب
النويري ، اجتمع قواد العسكر وولوا على أنفسهم محمد بن أبي الحسين ،
وكتبوا إلى أبي الفرائق محمد بن أحمد في إفريقية بذلك (٢٥٤) . ولكن
الأمير الأغلب عهد بولاية صقلية إلى رباح بن يعقوب ، كما عهد بولاية الأرض
الكبيرة ، أي قلورية وانكبردة وما وراءها من إيطاليا ، إلى أخى رباح ، وهو
عبد الله بن يعقوب (٢٥٥) . وهذا يعني أن الممتلكات الأغلبية في إيطاليا كانت
قد أصبحت من الاتساع والأهمية بحيث تكون ولاية يسكن أن يكون لها
كيانها المستقل عن الولاية الأم في صقلية .

ولم تطل ولاية رباح بن يعقوب الذي توفي في المحرم سنة ٢٥٨ هـ /
نوفمبر - ديسمبر ٨٧١ م ، وكذلك مات أخوه عبد الله في إيطاليا ، بعده
في شهر صفر التالي من نفس السنة (يناير - فبراير) . وعندما اختار
قواد العسكر أبا العباس بن عبد الله بن يعقوب لامارتهم ، لم يلبث إلا أشهراً
ثم مات ، فعهدوا بقيادتهم إلى أخيه ، إلى أن وصلهم عهد الأمير أبي الفرائق
بالولاية إلى الحسين بن رباح . ولكنه لم يلبث أن عزله ، واستعمل عبد الله
ابن محمد بن عبد الله التميمي ، قريبه ، الذي كان أدبياً شاعراً ، طالباً
للحديث والفقه ، وذلك في شوال سنة ٢٥٩ هـ / أغسطس ٨٧٣ م (٢٥٦) .

(٢٥٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ .

(٢٥٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ ، وقارن رواية ابن عساري ، ج (ص

١١٥ - التي جعلت ولاية صقلية لأحمد بن يعقوب والأرض الكبيرة لأخيه عبد الله بن يعقوب -

أما ابن الأثير ، سنة ٢٥٧ هـ ، ج ٧ ص ٦٩ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ ، فيقول إن أبا الفرائق

(محمد بن أحمد) استعمل على صقلية أحمد بن يعقوب ابن الفضل بن سلمة الذي لم تطل

أيامه ، ومات في سنة ٢٥٨ هـ - ولا ذكر حوليات السلجوق في صقلية حسب تاريخ الروم

(المكتبة ، ص ١٦٦) إن المسألة لثورة كبيرة في سائر (صاليرنو) في إيطاليا الغربية

تلك الفترة ، وهي سنة ١٢٨٠ التي تعادل سنة ٨٦٣ م تقريبا .

(٢٥٦) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ ، (حيث أقر الاسم) ابن إبراهيم بن

الغلبان « ابن الأغلب بن سالم » كما يوضح ذلك ابن الأثير في الحلة السيرة ،

ج ١ ص ١٨١ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ ، الذي يعرف بأنه كان والياً على طرابلس ، ويذكر بعض

شعره بمناسبة عزله عن طرابلس .

وهذا يعنى بوالى أربعة أمراء على صقلية فى أقل من سنتين (٢٥٧) .

وحلال فترة السنتين تلك ، تشير الحوليات الى حملة قام بها المجاهدون فى صقلية ضد سرقوسة . سنة ٢٥٩ هـ / ٧٢ - ٨٧٢ م فى عهد الحسين ابن رباح ، انتهت بالصنع على أن يطلق أهل سرقوسة ٣٦٠ (ثلاثمائة وستين) من أسرى المسلمين الذين كانوا لديهم (٢٥٨) .

ومنذ سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م والى سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م ، حينما فتحت مدينة سرقوسة فى عهد الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد الذى خلف أخاه أبا الفرائيق محمد بن أحمد فى جمادى الأولى سنة ٢٦١ هـ / ١٧ فبراير ٨٧٥ م ، لا نجد ذكرا لأحداث ذات بال فى حوليات صقلية التى رباها حافلة بالصوائف والثمواتى فى البر والبحر على السواء ، مما يمكن أن يعسر بأن الجريرة كانت تمر بفترة مضطربة بعد مقتل خفاجة ثم ابنه محمد (٢٥٩) . والحقيقة انه لا يفسر فترة الاضطراب التى نراها حتمية وقتئذ الا قائمة النويرى التى تحتوى على سبمة ولاة تداولوا حكم صقلية وإيطاليا الجنوبية فيما بين سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م وسنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م (٢٦٠) .

بارى ولاية عربية مستقلة : خروج المفرج بن سالم فى إيطاليا على أبى الفرائيق :

والحقيقة أن العرب كانوا قد بدأوا يتطلعون نحو جنوب إيطاليا اعتبارا من سنة ٢٢٢ هـ / ٨٢٧ م عندما وسعوا نشاطهم الحربى الى مسينا وسيروا أسطولهم الى جزائر الايوليان المتاخمة لكلابريا (٢٦٠ م) . ولم تأت سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م حتى كان الأسطول الأغلبي يوطد أقدام العرب فى كلابريا

(٢٥٧) ونلاحظ أن النويرى (نفس المصدر) يذكر أن ذلك حدث قبل أن يل أبو مالك أحمد بن عمر بن عبد الله بن الأغلبي المعروف بحيسى ، الذى بلى مقلوبا عليها ٢٦ (مسينا وعشرين) سنة . وهو الأمر الذى لا يتفق مع واقع الأحداث . إذ نجد الولى سنة ٢٦١ هـ / ٧٤ - ٨٧٥ م هو جعفر بن محمد فى كل من ابن الأثير وابن عذارى .

(٢٥٨) انظر ابن عذارى . ج ١ ص ١١٦ . الذى يربط الولى الحسين بن أحمد بن مطلوب حسب روايته التى وحسنا عليها رواية النويرى . وقارن ابن الأثير . سنة ٢٥٥ هـ . ج ٧ ص ١٠٥ . المكتبة ص ٢٢٨ - حيث لا يذكر اسم الولى .

(٢٥٩) انظر أسد اللدى . صقلية الاسلامية . ص ٨٢ .

(٢٦٠) النويرى . المخطوط . ج ٢٢ . ص ٢٢٠ .

(٢٦٠) انظر فيما سبق . ص ١٨٩ .

(قلوبية) نفسها ، مما اعتبر في افريقية وقتئذ فتحا عظيما (٢٦١) ، ولا بأس في اعتبار سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م علامة مميزة في تاريخ الفتوح العربية من البحر المتوسط ، تماما كما هو الحال بالنسبة لسنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ حيث كان فتح كل من كريت وصقلية . في السنة التالية (٢٢٦ هـ / ٨٤١ م) بدأت أول محاولة عربية لغزو واحدة من عواصم جنوب إيطاليا ، هي مدينة باري الواقعة شمال برنديزي على ساحل البحر الادرياتي ، وان لم تكمل تلك المحاولة بالنجاح . وبعد ذلك بسنتين (في ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م) كان العرب يضغطون على اماره نابولي ، على المتوسط ، التي لم تعقد الصلح مع العرب فقط بل حالفتهم نكاية في اماره بنيفنتو اللومباردية - جارتها الداخلية - وقدمت لهم العون في عزو اقليم مسينا ، بل وربما سهلت لهم طريق سياحتهم نحو روما والماتيكا (٢٦٢) .

وفي سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م كان العرب يستولون على مدينة طارنت اللومباردية ويقيمون فيها (٢٦٣) ، ثم يتبعون ذلك بالاستيلاء على باري مما كان يقتضي فتح برنديزي على نفس الطريق . وهكذا ، فقل أن ينتصف القرن الثالث الهجري (منتصف القرن ٩ م) كانت كسل اراضى جنوب إيطاليا - من سيپونتو (Siponto) شرقا الى مستوى مصب نهر التيبير غربا - بين أيدي جماعات مختلفة من العرب والمسلمين (٢٦٤) .

والظاهر أن الموقع الجغرافي المتطرف للأقاليم الادرياتيية الإيطالية التي استقر فيها العرب ، بالنسبة الى صقلية و افريقية ، كان يسمح للمستولين المباشرين عن تلك الأقاليم بحرية العمل ، سواء على المستوى الحربى أو على المستوى السياسى أو الادارى . هكذا تنص رواية ابن الأثير على أن القوات الأغلبية لم تنجح في فتح مدينة باري سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤١ م وان الذى فتحها بعد ذلك هو « خلفون البربرى ، الذى تحقق له ذلك على عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م) . وبعد ذلك تذكر الرواية ، التي جمعت بتلخيص شديد أحداث الفتوح في إيطاليا بهذه المناسبة ، ان من يسمى الفرچ بن سالم الذى لا نعرفنا بهويته ، استطاع أن يفتح ٢٤ (أربعة

(٢٦١) انظر ليا سبق ، ص ١٦٢ .

(٢٦٢) انظر ليا سبق ، ص ١١٩٢ .

(٢٦٣) انظر ليا سبق ، ص ١٩٤ .

(٢٦٤) انظر عزير احمد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، المجلد ١٦ ، ص ١٩ .

وعشرين) حصنا استولى عليها (٢٦٥) في منطقة أبوليا (Apulia) (٢٦٦) وكان المخرج بن سالم يصل لحسابه الخاص مستقلا عن أمير القسروان .
٧ . بأس أن يكون ذلك صحيحا ، فالفرقة من الأندلسيين والمغاربة الذين كانوا يعملون لحسابهم الخاص في أوروبا التي يمكن أن يشملها اصطلاح « الأرض الكبيرة » ، كانوا يمثلون طلائع القوات النظامية ، في تلك الفترة التي انتابت جماعة المسلمين في الجناح الغربي من المتوسط موجة من الحماس من أجل الجهاد الذي لا ينتقص من قدره ما صاحبه من الرغبة في الغنائم الثمينة والحسب الجميل .

وهذا ما يفهم مما تذكره رواية ابن الأثير بعد ذلك ، من أن المخرج بن سالم كتب إلى والي مصر يطلبه خيره ، « وأنه لا يرى لنفسه ، ومن معه من المسلمين صلاة الا بأن يعتمد له الامام على ناصيته ، ويوليها ايماها ، ليخرج من حد المتضليلين » . وهذا النص يدل على أن المخرج كان يصل في إيطاليا لحسابه الخاص ، بمعنى أنه كان خارجا فعلا على سلطان الأمير الأغلبي ، وكان يطمح في أن يكون ولاءه مباشرة إلى خليفة بغداد ، عبر والي مصر أحمد ابن طولون . وما تضيفه الرواية من أن المخرج بن سالم ، الذي بنى مسجدا جامعيا في يارى ، انتهى بأن شغب عليه أصحابه وقتلوه ، وذلك قبل وفاة الأمير الأغلبي محمد بن أحمد أبي الفرائق ، وولاية ابراهيم بن أحمد (٢٦٦ هـ / ٨٧٥ م) ، يدل على أن المخرج قام بخروجه على الأغالبة في نفس تلك الفترة التي نعالجها (٢٦٧) . وهذا ولا بأس أن يكون سقوط يارى بين

(٢٦٥) ابن الأثير ، سنة ٢٢٦ (ط - بيروت ١٩٦٥ ، ج ٦ ص ٥٢٠ - ٥٢١) ، المكتبة .
ص ٢٢٩ . وإذا كانت النصوص العربية لم تقدم لنا التفاصيل الخاصة بفتح تلك الحصون فإن التحريات الغربية يمكن أن تساعد في سد هذا النقص . وهو ما توجهت إليه الدراسات الحديثة . ومن فروع الحرب في منطقة الأدياتي . كمناسحت في استريا (Istria) وجزيرة شرسو (Cherso) وسيبونتو (Siponto) وأبوليا (Apulia) وراجوسا (Ragusa) إلى جانب استعمارة الإمارات الإيطالية واللومباردية بالحرب في صراعها الداخلي . كما حدث في بينيفنتو (Benevento) وباري وكذلك علاقات العرب بحلفائهم أهل نابولي وشيخهم من أهل أمالفي (Amalfi) وجايتا (Gaeta) وشرينتو (Sorrento) وبنوك البسايوية منهم ، انظر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، بالانجليزية ، ص ١٨ - ٢١ .
(٢٦٦) انظر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، ص ١٩ (حيث الإشارة إلى أن عدد الحصون هو ٤٨ وليس ٢٤) .
(٢٦٧) ابن الأثير ، سنة ٢٢٦ (ط - بيروت ١٩٦٥ ، ج ٦ ص ٥٢٠ - ٥٢١) ، المكتبة .
ص ٢٢٩ . والحقيقة أن مسس العرب في إيطاليا للاعتراف بخلافة بغداد كان يمتد - إلى جانب التخلص من سواده الأغالبة - محاولة الاستمارة بالشرق الإسلامي لمواجهة ما كان يحدثهم في »

أبدي الفرنج سنة ٨٧١ م (٢٥٧ هـ) هو السبب في تلك الثورة التي راح ضحيتها المقرج بن سالم مما سمح للأمير أبي العراج بن يحيى عبد الله ابن يعقوب واليا على « الأرض الكبيرة » (سنة ٢٥٨ هـ) الى جانب أخيه رباح والي صقلية ، مما سبق ذكره .

فتح سرقوسة : حصارها برا وبحرا :

والهم أن الولاى على صقلية في سنة ٢٦٤ هـ / ٧٧ - ٨٧٨ م كان جعفر ابن محمد ، والذي تابع سياسة الإلحاح على سرقوسة بالصوائف والشواتى التي أصبحت تقليدية ، فغزا إقليمها في تلك السنة وأفسد زروعها ، ثم وشنح عملياته العسكرية بحيث شملت أرض قطانية وطيرمين ورمطة ، في شمال الساحل الشرقي للجزيرة . والظاهر أنه أمام سهولة تلك العمليات،

= ذلك الوقت من اضطار . فقد منتصف القرن ٩ م كان قد تم احياء البحرية البيزنطية بفضل مجهودات الأسرة المقدونية ، ونجح البيزنطيون في استعادة بعض املاكهم في جنوب إيطاليا . كما نجحت امارة نابولي بالتعاون مع عناصر من امالفي وجاينا وسورينتو في طرد اسرب من بعض مواقع جنوب خليج ساليرو الى جانب توقعهم في منطقة الادرياتي رغم تسلطهم لباري وبرنديزي . ومع ذلك فقد كانوا يستطيعون الرد على ما كان يهددهم من تلك الاحطار . ففي سنة ٨٤٦ م كانوا يستطيعون الاقتراب من روما ، ويقتصدون تحصينات النابا جريجورى الرابع . ويستولون على نفاثي كندراتية القديس بطرس . وهرية لوييس الثاني قبل أن يصبح إمبراطورا لفرنسا . ويصل معاينة العرب على موانئهم في الجنوب الايطال بفضل اوتكازهم على مخرج طارنت - باري ، تسكن المقرج بن سالم من احتلال ٢٤ حصنا في منطقة اپوليسا (Apulia) . اما هنا قام به الامبراطور الفرنسي لوييس الثاني - بالتعاون مع باسيل الاول البيزنطي - من أعمال حربية غير مؤثرة في اول الأمر (سنة ٨٦٦ م) فانها منعت . على كل حال ، سقوط المزيد من الاراضى الايطالية بين أيدي العرب . اما عن نجاح لوييس في فتح باري على العرب ، سنة ٨٧١ م (٢٥٧ هـ) فانقلب الظن انه كان السبب في الثورة ضد المقرج وعودة جنوب إيطاليا الى الحكم الاغلبى عندما وليها عبد الله بن يعقوب الذي حاصر ساليرنو ولكنه تحولى أثناء الحصار . وسد وفاة لوييس الثاني ضد العرب الى اهل الادرياتيك ، كما قامت سراياهم من طارنت بالسلطنة على امارة بيفنتو التي عقدت الصلح معهم خشية البيزنطيين الذين نجحوا في احتلال باري آخر الأمر . وهكذا فبعد سنة ٨٧٥ كما قال العرب - طارنت يقفون موقف الدفاع بينما كانت لهم اليد العليا في خليج نابولي مما جعل اسقف نابولي يطلب موافقتهم في سنة ٨٨٠ . وهو الأمر الذي جعل «لانا يوحنا الثامن» يحدد حدوده الغربال . انظر عزيز اسعد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، بالانجليزية . ص ١٨ - ٢١ . وقارن فيما يتعلق بامانة باري ، محمد الطالبي ، الاغلبية ، في كتاب تاريخ تونس في العصر الوسيط ، بالفرنسية ، ص ١٥٢ .

وجد أن الفرصة أصبحت مواتية ليقتطف ثمرة جهود خمسين سنة وأكثر ، بالاستيلاء على سرقوسة ، التي كانت تمثل حينئذ عاصمة الروم في الجزيرة . فلقد نزل جعفر برجاله حول المدينة وحصرها من جهة البر ، بينما سير أسطول يلزم ليحصرها من جهة البحر ، وأخذ يضيق الخناق عليها حتى نجح في الاستيلاء على بعض أرياضها .

ولما كان الحصار قد طال لعدة أشهر بلغت تسعا عند سقوط المدينة ، فقد كانت هناك نسحة من الوقت لكي يأتي أسطول من القسطنطينية (يهفهه الإمبراطور باسيلئوس بقيادة الأميرال اندريان) ، في محاولة يائسة لبك الحصار عن المدينة الرومية الهامة . ولكنه عندما وصل الأسطول البيزنطي لم يستطع الرقوف أمام أسطول صقلية العربي الذي حطبه . وبذلك تم تطويق المدينة تطويقاً تاماً (٢٦٨) .

ولم تستطع سرقوسة مواصلة الدفاع عندما انتهى الشهر التاسع من الحصر ، فدخلها المسلمون عنوة ، وقتل من أهلها أكثر من أربعة آلاف رجل ، وأصيب بئيبها من الخائف ما لم يصب بمدينة أخرى ، حتى أنه لم ينج من رجالها الا الشاذ الفد . كما تقول رواية ابن الأثير ، وذلك في ١٤ رمضان سنة ٢٦٤ هـ / ٢١ مايو ٨٧٨ م (٢٦٩) .

هدم المدينة :

بعد أن أقام العرب مدة شهرين في سرقوسة هدموها في منتصف ذي القعدة (٢٠ يوليو) - والظاهر أن العرب هدموها عندما وصل أسطول بيزنطي في محاولة جديدة لاقتاذ المدينة أو لاستعادتها - فظفروا به ، وأخذوا منه أربع قطع ، قتلوا من فيها - حتى يقطعوا الأمل على الروم في العودة إليها . وعاد العرب الى يلزم في آخر ذي القعدة (٣ أغسطس) (٢٧٠) .

(٢٦٨) ابن الأثير . سنة ٢٦٤ هـ ، ج ٧ ص ١٢٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ .
(٢٦٩) ابن الأثير . سنة ٢٦٤ هـ ، ج ٧ ص ١٢٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ . الثوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ . ابن ططوي ، ج ١ ص ١١٧ ، وأثر تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم عند الروم - المكتبة - ص ١٦٦ - وأخذت في ٢١ مايو ٦٢٨٦) .
(٢٧٠) ابن الأثير . سنة ٢٦٤ هـ ، ج ٧ ص ١٢٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ ، ولقد ابن ططوي ، ج ١ ص ١١٧ . ومن الجانب المسيحي فإن قصة سقوط سرقوسة البيزنطية وعلم حصولها وسلب أعيانها يرويها الراهب ثيوفوسيوس الذي كان بين الأمرين التبدوا آل يلزم . انظر محمد طابري ، الإغالية . في كتاب تاريخ تونس في العصر الوسيط . بالفرنسية ، ص ١٤٥ ، عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، بالانجليزية ، ص ١٥ .

«مقتل جعفر بن محمد في مؤامرة اغلبية :

وتم يكتب لجعفر بن محمد أن يستع طويلا بالنصر العظيم الذي حققه في سرقوسة ، وذلك أنه راح ضحية عذر علمانه الصقالة الذين استجابوا لإغراء كل من الأغلب بن محمد الأغلب الملقب بـ « خرج الرعونة » ، وأبي عقال للأغلب (بن محمد) بن أحمد ، ولي العهد السابق ، اللذين كانا محبوبين عنده بأمر من الأمير ابراهيم بن أحمد . ونجح « خرج الرعونة » في الاستيلاء على بلرم وضبطها بمعاونة أبي عقال ، ولكن أهل بلرم لم يطعنوا اليهما خوئبوا بهما وبين اتصل بهما ، فأخرجوهم من صقلية الى الفريسية . وآلت دلاية صقلية الى الحسن بن رياح(٢٧١) .

الحسن بن رياح :

محاولات ضد طبرمين ، وصراع غير موفق ضد الاسطول البيزنطي :

وبسقوط سرقوسة لم يبق من المدن الهامة في صقلية بين أيدي الروم سوى مدينة طبرمين التي بدأ العرب يتطلعون الى الاستيلاء عليها ، وان كان ذلك لن يتم الا بعد حوالي ٢٥ سنة . ففي سنة ٢٦٥ هـ / ٧٨ - ٨٧٩ م سار الحسن بن رياح على رأس الصائفة لغزو طبرمين ، حيث التقى بالروم . وكانت الحرب سجالا بين الفريقين ، فبعد أن دارت الدائرة على العرب عادوا واسترجعوا شجاعتهم المفقودة ، فكانت لهم الكرة على الروم فهزمهم وقتلوا قائدهم البطريق(٢٧٢) .

وتقول رواية ابن عذارى ، في سنة ٢٦٦ هـ / ٧٩ - ٨٨٠ م «لتالية ، لأن صاحب صقلية (الحسن بن رياح) أغزى البروم ، فالتقى في البحر بمراكبهم ، مما يعني أن الفلوة كانت في ايطاليا الجنوبية . والظاهر أن عدد المراكب الصقلية العربية كانت قليلة إذ لم تستطع الوقوف أمام الاسطول البيزنطي المكون من نحو ١٤٠ (مائة وأربعين) مركبا . فرغم أن المراكب العربية قاتلت قتالا شديدا الا أن الأمر انتهى بأن سلم البحارة العرب عددا من مراكبهم الى الروم الذين أخذوها . وفي الوقت الذي عاد المنهزمون الى بلرم ، فانتقموا يشن الغارات على من يجاورهم من الروم لعدة شهور ، وهم

٢٧١) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٧ .

٢٧٢) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٧ .

يفنمون ويفسدون أرضهم (٢٧٣) . كان الروم ينزلون جيشا بریا فی کلابریا
يقدر بحوالی ٣٥ ألف رجل لكي يحاصروا طارنت برا بينما كان الأسسطول
يحاصرها بحرا حتى اضطروها الى الاستسلام بعد مقاومة عنيدة فی أواخر
سنة ٨٨٠ م . وبذلك لم يبق للأغالبة فی ايطاليا نفسها الا ثلاثة مواقع
حصينة أهمها سبرينة (٢٧٤) .

الحسن بن العباس : قيادة غير مؤقفة :

وهكذا ظهر ضعف الحسن بن رباح ، فی ولاية صقلية وقيادة جيوشها
وأساطيلها . فعهد ابراهيم بن أحمد بالجزيرة فی سنة ٢٦٧ هـ / ٨٠ - ٨٨١ م
التالية ، الى الحسن بن العباس ، الذي بنت السرايا ضد الروم فی نواحي
صقلية ، كما خرج بنفسه الى نواحي قطانية وطبرمين ، فاقصد الزرع وقطع
الأشجار ، وكذلك فعل بتاحية و بقارة ، قبل أن يعود الى بلرم محملا
بالمغانم .

هذا وتشير الرواية الى أن الروم نجحوا بدورهم فی تسير سراياهم
ضد المسلمين ، فی أيام الحسن بن العباس ، وأنهم نجحوا فی اصابة كثير
منهم (٢٧٥) . والظاهر أن الروم فی الجزيرة كانوا قد انتهزوا فترة الاضطرابه
التي اشترنا اليها بعد مقتل خفاجة وابنه محمد فاستأسدوا . وذلك انهم فی
سنة ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م التالية ، نجحوا فی مواجهة سرية كان قد
سيرها الحسن بن العباس بقيادة رجل يعرف بأبي ثور ، ربما كان صاحب
القلمة المعروفة بهذا الاسم . وانزلوا بها هزيمة منكرة ، اذ تقول الرواية :
ان المسلمين أصيبوا كلهم غير سبعة نفر فقط (٢٧٦) .

-
- (٢٧٣) ابن عذاري . ج ١ ص ١١٧ . ابن الأثير . سنة ٢٦٦ هـ . ج ٧ ص ١٢٣ .
المكتبة ، ص ٢٤٣ . وانظر محمد طالبي . الاغالبة . فی تاريخ تونس فی العصر الوسيط .
ص ١٥٣ (حيث كانت قيادة الأسطول البيزنطي الى أمير البحر نزار (Nasar) السوي
الأصل وحيث تمديد موضع الحركة البحرية فی عرض البحر أمام ميلانو (Milazzo) .
(٢٧٤) انظر محمد طالبي . الاغالبة . فی كتاب تاريخ تونس فی العصر الوسيط . ص
١٥٣ (والمواقع الثلاثة التي بنيت للحرب فی ايطاليا بعد سقوط طارنت . هي : منتيبة
(Amantea) ، وسبرينة (Santa Severina) وتروديا (Tropea)) .
(٢٧٥) ابن الأثير . سنة ٢٦٧ هـ . ج ٧ ص ١٤٤ . المكتبة . ص ٢٤٤ . أبو القاسم
المكتبة . ص ٤٠٦ . أما ابن عذاري فيكتفي بالاستشارة الى ولاية الحسن فی سنة ٢٦٧ هـ
(ج ١ ص ١١٧) .
(٢٧٦) ابن الأثير . سنة ٢٦٨ هـ . ج ٧ ص ١٤٨ . المكتبة . المكتبة . ص ٢٤٤ .

محمد بن الفضل : عود الى عهد القوة :

غزو اقاليم قطنيا وطبرمين :

وهكذا كان من الطبيعي أن يعزل الحسن بن العباس ، بعد هذا العشل ، في نفس السنة (٢٦٨ هـ / ٨٨١ م) ، وأن يعهد الأمير ابراهيم بن أحمد بولاية جنقلية الى محمد بن الفضل (٢٧٧) ، الذي نجح في تقويم الموقف من مواجهة الروم ، وجمع ذكريات أعمال العباس بن الفضل ، وخفاجة بن سفيان - فقد بث محمد بن الفضل سرايا في كل النواحي التي يسكنها الروم ، وعاد بالالاح باليرب والامساح في منطقة الساحل الغربي الشمالي حيث قطنيا وطبرمين .

فلقد خرج بعد ولايته مباشرة في جيوش عظيمة ، واتجه نحو قطنيا حيث إهلك زيوعها . ووجه محمد بن الفضل مراكبه الى الشلديات التي كانت في ميفاء المدينة ، ونجح في تدهور كثير منها وقتل يحارتها . ومن قطنيا إتجه محمد بن الفضل شمالا الى اقليم طبرمين حيث أفسد زرعها ، وعندما خرجت قوات الروم ألحق بها هزيمة متكررة حتى قيل ان المعركة انجلت عن مقتل ثلاثة آلاف رجل من الروم ، وأنه أرسل رؤسهم الى بلرم ، اعلنا عما جفقه من الظفر .

اقتحام القلعة الجديدة : « مدينة الملك » :

وهاجم المسلمون ، في منطقة طبرمين ، القلعة الجديدة التي كان قد بناها الروم ، وسموها « مدينة الملك » ، ونجحوا في اقتحامها عنوة ، فقتلوا القتلة ، وعادوا الى بلرم محملين بمن سبوه من كان فيها من النساء والذاري (٢٧٨) . واستمر الحاج محمد بن الفضل في السنة التالية (٢٦٩ هـ / ٨٨٣ م) على نفس المنطقة فخرج في عساكره الى ناحية روطة ، وبلغ في سيرته الى قطنية حيث خرب نواحيها ، وقتل وسبي وغنم ، وعاد الى بلرم في شهر ذي الحجة (يونيو ٨٨٣ م) (٢٧٩) .

(٢٧٧) ابن الاثير . سنة ٣٦٨ هـ ، ج ٧ ص ١٤٨ . المكتبة ، ص ٢٤٤ . ابن طاريد . ج ١ ص ١١٩ .

(٢٧٨) ابن الاثير ، سنة ٢٦٨ هـ ، ج ٧ ص ١٤٨ . المكتبة . ص ٢٤٤ . تاريخ المسلمين في حقلية حسب تاريخ العالم عند الروم . المكتبة . ص ١٦٧ ، (حيث يذكر ان اسم القائد الرومي المهزوم في طبرمين هو برسامس : (Barsamius)) .

(٢٧٩) ابن الاثير ، سنة ٢٦٩ هـ ، ج ٧ ص ١٥٩ . المكتبة . ص ٢٤٤ .

الحسين بن أحمد واليا :

ولا يعرف كيف انتهت ولاية محمد بن الفضل ، وذلك أن الحوليات للصقلية لا تشتمح الى أية أحداث في سنة ٢٧٠ هـ / ٨٢ - ٨٨٤ م ، ثم تقابنا بعد سرد ما قامت به صائفة سنة ٢٧١ هـ / ٨٤ - ٨٨٥ م في منطقة رمطة ، من : التخريب ، وما عادت به من الفخيمة والسبي والأسر الكثير ، بوفاء أمير صقلية ، وهو الحسين بن أحمد (٢٨٠) ، مما يعنى وفاة محمد بن الفضل أو عزله في سنة ٢٧٠ هـ / ٨٢ - ٨٨٤ م ، وتولية الحسين بن أحمد الكندي ينسبى إذن أن تنسب له غزوة سنة ٢٧١ هـ / ٨٤ - ٨٨٥ م .

سواده بن محمد بن خطاجة :

قيادة حازمة تبعا لتقاليد الأسرة : غارات على قطنيا وطبرمين :

وهكذا صارت امارة صقلية في سنة ٨٤/٢٧١ - ٨٨٥ م الى سواده ابن محمد بن خطاجة (التميمي) ، الذي أعاد سيرة والده وجده العظيمين على الجزيرة . فقد خرج في نفس السنة في عسكر كبير الى مدينة قطنية حيث بث الخراب والنهر في أرجائها ، واتبع ذلك بالسير الى طبرمين والح على أهلها بالقتال وافساد الزروع ، حيث أرغم قائد الحامية الرومية ، وحاكم للمدينة المحل على طلب الهدنة . وانتهت المفاوضات بين سواده ورسول الروم الى تقرير الهدنة لمدة ثلاثة أشهر في نظير فداء ثلاثمائة أسير من المسلمين ، دفع بهم الروم الى سواده الذي رجع الى بلرم (٢٨١) .

ومع اقبال ربيع سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٦ م ، كانت هدنة الثلاثة أشهر قد انصرفت ، فأعاد سواده تسيير سراياه الى مواطن الروم في الجزيرة ، ففسد وتمود بالفنائم والسبي .

(٢٨٠) ابن الأثير . سنة ٢٧١ هـ ج ٧ ص ١٦٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٥ . ابن عسار ، ج ١ ص ١١٩ .
 (٢٨١) ابن الأثير ، سنة ٢٧١ هـ ج ٧ ص ١٦٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٥ . ويذكر تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم محمد الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ . أن الذي أتى بالهدنة - طسه البوليطي وأنه أخرج سبي سرغوسة . وعن ولاية سواده بعد وفاة الحسن بن أحمد - ابن عسار ج ١ ص ١١٩ .

عناد الأسطول البيزنطي والعمل على إنهاء الوجود العربي في إيطاليا :

والغريب في أمر الصراع بين العرب والروم في صقلية ان البيزنطيين لم يياسوا ، ولم يهتوا كثيرا من طول القتال ، ومما كان يرسل بهم من الهراثم . ففي نفس السنة وصل أسطول من القسطنطينية ، مشحون بالعساكر بقيادة قائد اسمه انجفور (تقفور أو نيقفوروس) الى بلاد العرب في ايطاليا ، وضرب الحصار على مدينة سيرينة (Santa Severina) ، وضيق على من بها من المسلمين حتى أنهم سلموها اياه على الأمان ، وعادوا الى أرض صقلية (٢٨٢) . واتسع تقفور ذلك يحصار مدينة منتتينة (Amantea) حتى أرغم أهلها على تسليمها ، هي الأخرى ، والعودة الى بلرم (٢٨٣) . وبذلك فقد العرب معظم فتوحاتهم في إيطاليا ، فكان ذلك نقديرا يسوء المصير لصقلية الثمريية نفسها رغم محاولات ابراهيم الثاني بن أحمد (٢٨٤) .

ومما يؤسف له ان الحوليات الصقلية في كتاب ابن الأثير ، وهي التي عليها المعمول الأول في دراسة تاريخ فتوح العرب في صقلية ، تنقطع بعد سرود أحداث سنة ٢٧٢ هـ / ٨٥ - ٨٨٦ م تلك ، فلا تظهر من جديد الا بعد ١٥ (خمسة عشر) عاما ، مع أحداث سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م . ولحسن الحظ فان حوليات ابن عسداري تعاون الى حد لا بأس به في سد تلك الشفرة ، بتكملة ما يمكن اكتماله من هذا الفراغ .

ثورة اهل بلرم على سوادة :

فابن عسداري يعرفنا في أحداث سنة ٢٧٣ هـ / ٨٦ - ٨٨٧ م ، بنهاية عمارة سوادة بن محمد بن خلفا على صقلية ، اذ وثب عليه اهل بلرم ،

(٢٨٢) ابن الأثير . سنة ٢٧٢ هـ . ج ٧ ص ١٦٩ . المكتبة ، ص ٢٤٥ . ابن عسداري . ج ١ ص ١٢٠ . اما عن القائد البيزنطي فهو تقفور لوكاس القديم الذي سليل حليمة الذي حمل نفس الاسم عرش بيزنطة فيما بعد . انظر محمد طالع ، الاغالية ، في تاريخ تونس في العصر الوسيك ، ص ١٥٤ .

(٢٨٣) ابن الأثير . سنة ٢٧٢ هـ . ج ٧ ص ١٦٩ . المكتبة ، ص ٢٤٥ .

(٢٨٤) والمطرفة ان البيزنطيين مساعدة سلطانهم من الصرب والكروات والمندوبيين كانوا قبل ذلك قد استعادوا طارنت (Tarente) قبل ذلك بحوالي ست سنوات (٨٨٠ م) . مما كلفهم بعض العجز عن مقاومتهم لكثير من الأسباب الداخلية والخارجية مما كانت تعاني منه دولة الاغالية (انظر محمد طالع ، من الاغالية ، في تاريخ تونس - العصر الوسيك . بالفرنسية ، ص ١٥٣ - ١٥٤) .

ومعظمهم من البربر وعلى أخيه وبعض رجاله - ربما بسبب ما أنزله الروم في العام السابق بأهل كل من سبرينة ومننتينه في إيطاليا - ووجههم مقيدن إلى أفريقية . » واجتمع وجوه أهل البلد على أن يرأسهم أبو العباس بن علي ، فولوه على أنفسهم (٢٨٥) .

- والظاهر أن الأمير إبراهيم بن أحمد لم ترقه أحداث صقلية ، ففكر في رجل قوي من بطانته ، يمكنه أن يضبط الأمور في الجزيرة ، ويقف بقوة أمام تهديدات الروم وانتقاضات أهل البلاد - ووقع اختياره على قريبه أبي مالك أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلبي المعروف بحبشي (٢٨٦) ، الذي عرف بأنه كان من أبطال الرجال وشحمان القواد .

ولاية حبشي : أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلبي :

ولاية حبشي (أحمد بن عمر) موضع خلاف بين الكتاب - لئبنا . يضعها ابن عذاري هنا في سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م ، نجد أن النويري يضعها سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٤ م على أن تستمر ٢٦ سنة أي إلى سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م ، في الوقت الذي نجد فيه توالي غيره من الولاة في حكم صقلية ، مما يجعلنا نظن أنه ربما كانت ولاية حبشي لصقلية ، وهو القائد الكبير ، شرفية ، وأنه ربما كان قد بقي بأفريقية ، وهو ينيب عنه في إمارة الجزيرة ، وقيادة عسكرها ، ففي العمليات العسكرية التي دارت في الجزيرة في سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٩ م لا تذكر رواية ابن عذاري اسم حبشي ، بل تقول إن أهل صقلية حققوا انتصارات عظيمة : فكانت لهم على الروم مسولة في البر والبحر جميعا ، في ساحل ريو ، قتل فيها من الروم أكثر من سبعة آلاف رجل . ولحق لهم نحو من خمسة آلاف ، وأخذت مراكب الروم في ميلاص ، وهرب أهل ريو .

وكان من نتيجة هذا الظفر العظيم أن أدخل الروم كثيرا من المدن والحصون التي تجاوز المسلمون . وظهرت سطوة أهل صقلية أيضا في إيطاليا (الأرض الكبيرة) التي تناهت عليها سرايا تغتم وتسبي ، وتعود

(٢٨٥) ابن عذاري . ج ١ ص ١٢٠ . وانظر تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ الروم . المكتبة ، ص ١٦٧ - حيث جرد الحوادث بعنوان : « الحرب الأولى بين الجند والبربر » . (٢٨٦) ابن عذاري . ج ١ ص ١٢٠ . وانظر النويري . ج ٢٢ ص ٢٢٠ - الذي يجعل ولاية حبشي لصقلية لمدة ٢٦ سنة ابتداء من ٢٦٦ هـ / ٨٧٥ م

ياحمالها الى بلرم (٢٨٧) .

والظاهر أن الانتصارات السهلة التي حققها الاغالبية في جنسوب
ايطاليا ، وخاصة في وقعة ميلاس (٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) ، جعلت الأمير ابراهيم
ابن أحمد يستهين ، هو وبطانته ، بتلك الحرب حتى أنه عهد إلى قريبه مجبر
ابن ابراهيم بن سفيان ، الذي كان ينادمه لحذقة الغناء ، بقيادة عسكر
مسيني وكلايريا (قلورية) . واثناء عبور القائد المفضي في أحد الشواني
الى الشاطيء الايطالي أسره الروم ، وحملوه الى القسطنطينية حيث مات في
السجن هناك (٢٨٨) .

سوادة بن محمد :

ولي نفس تلك السنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) كانت الصائفة الصقلية
الى طبرمين . وتذكر الرواية أن الغزوة كانت بقيادة سوادة بن محمد الذي
خرب الحصار على المدينة (٢٨٩) . وهو الأمر الذي اذا صح فإنه يعني أن الأمير
ابراهيم بن أحمد كان قد رد سوادة الى صقلية على أن يمسك تحت امره
حبشى أو أن يكون مثلاً له هناك .

محمد بن الفضل ، وصلح بين مع الروم :

وبعد ذلك بسنة ، أي في سنة ٢٧٨ هـ / ٩٠٦ م ، نجد أن محمد بن
الفضل يعود والياً لصقلية من جديد (٢٩٠) ، ولكن يظهر من النصوص بعد
ذلك أنه لم يصل الى صقلية الا في السنة التالية (٢٧٩ هـ / ٩٠٢ م) ،

(٢٨٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٠ . تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم عند
الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ (سنة ٦٣٩٧) .

(٢٨٨) انظر الحلة السواء ، ج ١ ص ١٨٥ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ - ومجبر هذا
هو الذي قال في أسره قصيدة طويلة بنت بها من مجبته عند الروم . وراحت في الرماية حتى
دواها - لرقتها - منقلم الناس . وفيها يقول :

ألا ليت شمري ما الذي فعل الدهر
ولي آخرها يقول :

لمل الذي نحر من الحب يوسفا
وتخلص ابراهيم من نار قومسه
يصبر أهل الأسر على طول أسره
عنه

(٢٨٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ .

(٢٩٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ .

حيث دخل حصرة يلرم في اليوم الثاني من شهر صفر/ ١٧ يناير ٩٠٢م (٢٩١) -
والظاهر أنه بسبب اضطراب الأحوال في اريقية على ابراهيم بن
أحمد خبت وطأة العرب على الروم في الجزيرة ، حتى اضطر الأمير الأغنيبي
إلى الموافقة على أن يعقد أهل صقنية ، في سنة ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥ م ، صلحاً
مع الروم لم تكن شروطه ، كما عهدنا ، في صالح المسلمين . فلقد تم الصلح
لمدة ٤٠ (أربعين) شهراً ، وإذا كان الروم قد وافقوا على فك أسر ألف رجل
من المسلمين ، فإن المسلمين في صقنية وافقوا على أن يقدموا رهائنهم إلى
الروم ، ضماناً للوفاء . « في كل ثلاثة أشهر ثلاثة من العرب ، وثلاثة من
البربر » (٢٩٢) .

الفتنة بين العرب والبربر :

ولا شك في أن الاضطرابات التي عرفت في اريقية في ذلك الوقت كانت
لها أصدأؤها في صقنية التي حاجت فيها الفتنة بين العرب والبربر ، في
سنة ٢٨٥ هـ/ ٨٩٨ م . وواضح من النصوص أن صاحب البريد كان يرأس
الأمير ابراهيم بن أحمد بأخبار الفتنة وأسماء المتسببين فيها . فقد أرسل
ابراهيم إلى المسئولين في الجزيرة الكتب يطلب منهم دعوة الناس إلى الرجوع
إلى الطاعة ، ويعطيهم الأمان أجمعين ، حاشى بعض زعماء الفتنة ، وهم :
أبو الحسن يريد وولده ، وزعيم هرمي آخر لا يعرف الا لقبه ، وهو :
الحضرمي .

وتم القبض على هؤلاء المطلوبين الذين سبوا إلى اريقية في نفس
السنة ، حيث انتحر منهم أبو الحسن بالسم ، مات لساعته في حضرة الأمير
ابراهيم بن أحمد . وأمر ابراهيم عقب ذلك بقتل ولدى أبي الحسن ، كما
أمر بقتل الحضرمي ضرباً بالمقارع بين يديه (٢٩٣) .

(٢٩١) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٢٩٢) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٢٩ . تاريخ المسلمين في صقنية حسب تاريخ العالم عند
الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ (حيث يجعل الهدنة بين المسلمين والروم في أيام (الوال) لهم
على سنة ٩٠٤ ، التي تتناول سنة ٧٠ من بدء التبع بالسنين الرومية) .

(٢٩٣) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٢٦ . تاريخ المسلمين في صقنية حسب تاريخ العالم
عند الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ (حيث توثق البربر على الجند وإسلامهم إلى الحضرمي ولولده
إلى أهل اريقية سنة ٣٤٠٦) .

أبو العباس بن إبراهيم بن أحمد :

أبو العباس ، ولي العهد ، واليا والفتنة على أشدها :

والذي يفهم من ابن الأثير أن والي صقلية خلال تلك الفترة المضطربة ، كان أحمد بن نصر الأغلبي المعروف بحبشي ، الذي رآه ولىيا في سنة ٢٧٢ هـ/ ٨٨٦ م ، حسب رواية ابن عذارى - مما دعانا إلى الظن أن ولايته كانت شرقية ، إن لم يكن قد عزل بعد فترة قصيرة ثم عاد أخيرا إلى ولايته - .
جاء الأمير إبراهيم بن أحمد استضعفه ، فعهد في سنة ٢٨٧ هـ/ ٩٠٠ م بولاية صقلية إلى ابنه رولى عهد أبي العباس ، الذي كان قائدا محترقا ، مارس الحروب وأطفا الفتن في أفريقية وغيرها .

ووصل أبو العباس إلى صقلية في غمرة شعبان (١ أغسطس) في أسطول مكون من ١٢٠ (مائة وعشرين) مركبا ، وأربعين حربية (٢٩٤) .
في وقت كانت الفتنة على أشدها - فقد كان جيش العاصمة يلرم ، حيث العرب ، يهاجم أهل جرجنت ، حيث البربر ، في بلدهم - ويتضح من فسار الأحداث أن الأمير الأغلبي أبا العباس كان على دراية بتلك الفتنة التي كانت تنتشر المسلمين في الجزيرة ، ولهذا نزل بأسطوله على مدينة طرابنش الرومية ، وحاصرها (٢٩٥) .

وكانت تلك سياسة حكيمه منه إذ أظهر أنه حضر من أجل الجهاد - الذي يمكن أن يحتج عليه المتقاتلون فيما بينهم من المسلمين - قبل أن يحضر من أجل اصلاح الأحوال في البلاد .

عصيان أهل العاصمة :

والهم أنه عندما علم قواد عسكر يلرم بوصول أبي العباس، عادوا من جرجنت

(٢٩٤) ابن الأثير - سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ . وطارق النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب (حيث نيل على ابن ولاية أبي العباس لصقلية كانت حتى سنة ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م ، وأنه سار إليها في يساهى الأشرة/ يربيه) ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٤ (حيث النص على انه وصل إليها في ١٦٠ (مائة وستين) مركبا) .
(٢٩٥) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ . وقلوب تاريخ المسلمين صقلية حسب تاريخ المسالم عهد الإسلام ، المكتبة ، ص ١٦٧ (حيث النص على أن أبا العباس رول في مازد في ٢٤ يوليو سنة ٢٤٠٨) ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٣ (حيث القراء - طراية بدلا من طراشش) .

الى العاصمة ، وأرسلوا جماعة من شيوخهم ، وعلى رأسهم قاضي المدينة ،
يطلبون اليه الطاعة ، ويمتلذون عما يدر منهم ، من قصد جرجنت وقتال
أهلها ، فاستبخ إليهم ثم انه سمح للقساوس بالعودة ، بينما احتجز جماعة
بالمشايخ لديه (٢٩٦) . ثم ان ولدا من أهل جرجنت وصل الى أبي العباس ،
وشكوا من البلرميين ، فأخبروه أنهم مخالفون عليه ، وأنهم الباسيون
مشايخهم خديعة ومكرا ، وأنهم لا إيمان لهم ، ولا عهد ، وسألوه أن يقتير
عندك كلامهم ، اذا شاء ، بأن يرسل في طلب بعض زعماء أهل بلرم من
حدودوا له أسماهم ، لعلمهم أنهم لن يلبوا طلبه (٢٩٧) .

وأرسل أبو العباس الى بلرم ثمانية من مشايخ أهل الرقبة يطلبون
حضور من سمام الجرجنتيون من زعمائهم الى حضرة الأمير ، فأبطل
البلرميون ، بل أنهم حبسوا المشايخ الأتريقيين ، مكافأة للعلة في
مشايخهم (٢٩٨) .

وهكذا أظهر أهل بلرم الخلاف على الأمير الأغلبين ، وحشدوا حشودهم
وفي منتصف شبان (١٦ أغسطس) كانوا يزحفون نحو طرابنش طربة ،
ومقدمهم مسعود الباجي وأصحابه من زعماء الفتنة ، وعلى رأسهم وجعل
يسمى ركموية ، كسبه الرواية ، بأنه : « أمير السفاه » .

ولم يكنف البلرميون يحييهم البري ، بل أرادوها حريا كنية - كما
تقول الآن - فسيروا الى طرابنش أسطولا في البحر مكونا من نحو ثلاثين
قطعة ، ولكنه لم يقدر له ان يتم مهمته اذ هاج البحر على الأسطول ، فطلب
أكثره وهاد الباقي الى بلرم .

هزيمة الثوار في طرابنش :

ووصل الجيش البلرمي الى طرابنش حيث التقى بقوات أبي العباس .

(٢٩٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ . ابن طبري ،
ج ١ ص ١٢١ .

(٢٩٧) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ . وأما ابن
خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٤ .

(٢٩٨) ابن طبري ، ج ١ ص ١٢٦ ، ولان ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ،
المكتبة ، ص ٢٤٦ - حيث يقول ان أهل الباسين احتل شيوع بلرم بعد ان علم بحبس ولده
بمشايخ أهل الرقبة . ويعني اذ زعماء بلرم لم يكونوا في جبهه بل كانوا مستبشرين لفتنة
كسبه بالفسير من بالرحمان او المتقلين .

ولم يكن اللقاه الأول حاسما ، رغم أنهم اقتتلوا أشد القتال ، فقتل من الفريقين جماعة وانفروا . أما اللقاء الثاني الذي وقع في يوم ٢٢ شعبان (٢٢ أغسطس) ، فاستمر من الصباح الى وقت العصر ، عندما انهزم جيش البلرميين ، بعد أن قتل منهم عدد كثير ، وتبعهم أبو العباس الى بلرم في البر والبحر (٢٩٩) .

هزيمة ثانية للعصاة علي أبواب بلرم :

ورغم الهزيمة فلم يستكن الثوار المجاهدون الذين اتخسوا الحرب صناعة وطنية لهم ، إذ أنه عندما انقرب أبو العباس عن بلرم نفسه عادوا الى قتاله ، بعد أن جيشوا أهل البلد ، في العاشر من رمضان / ٨ سبتمبر ٩٠٠ م . واستمر القتال من الصباح الباكر الى العصر عندما انهزم البلرميون ، ووقع السيف فيهم الى المغرب (٣٠٠) .

النجوى الى بلاد الروم :

وهكذا انتهت فتنة بلرم بدخول أبي العباس المدينة وسيفكزته عن أرباعها التي وزع عليها قواده في عشرين من رمضان (١٨ سبتمبر) . ولكنها كانت نهاية تامة بالنسبة للفزاة الصقليين من أهل العاصمة ، الذين انتهت أمولهم ، كما حرب كثير من رجالهم ونسائهم لاجئين لدى الروم . وكذلك حرب زعماء القبلة مثل : « ركمويه » واقرائه من رجال الحرب الى بلاد النصرانية كالألسطنطينية وغيرها (٣٠١) . والمتصوون بذلك أنهم لجأوا الى الأرض الكبيرة في إيطاليا ، عبر مضيق مسينا ، على ما ظنن ، حيث كانت هناك مجالات واسعة لنشاطاتهم الحربية ، مع العرب أو الروم ، أو مع غيرهم من الفرنج .

(٢٩٩) ابن الأثير . سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ص ٢٤٦ ، ولقد ابن عسكري ج ١ ص ١٢٣ .
(٣٠٠) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، والظاهر ، تاريخ المسلمين في صقلية ، المكتبة ، ص ١٦٧ - حيث النص على أن (أبا العباس ، دخل بلرم بعد موقعة كبيرة في ٨ سبتمبر سنة ٢٤٠٩ .
(٣٠١) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ولقد ابن عسكري ج ١ ص ١٢١ ، الفهرست ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٦ .

أبو العباس في طبرمين وقطانيا :

وبعد أن ملك أبو العباس المدينة ، وعمل على إقرار الأمور فيها : فأمن أهلها ، واكتفى بأخذ جماعة من أعيانها وجههم إلى والده في القريظة ، بدأ ولايته العملية بالمسير إلى طبرمين التي كانت تروى إليها أخبار المجاهدين منذ مدة طويلة ، فقطع كرومها ، وشن الحرب على الروم فيها .

ومن طبرمين سار أبو العباس جنوباً إلى قطانيا ، وضرب عليها الحصار ، ولكنه لما لم ينل منها غرضاً ، رجع إلى المدينة ، أي يلزم ، حيث قضى فصل الشتاء (٣٠٢) .

حصار دمنش ، وإخلاء ريو :

وعندما تحسنت الأحوال الجوية وطاب الزمان في مطلع صيف سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م ، تجهز أبو العباس للغزو قصر الأسطول وسيره في أول ربيع الآخر (٢٥ مارس) ، ليحيط بحل مدينة دمنش ، التي تحصنها عليها المجانيق وأخذ يضرب أسوارها بالحجارة - والظاهر أنه لم يرد إلى يدها قواه على أسوار دمنش ، فانصرف عنها بعد أيام إلى مسيني ، من حيث عبر المجرى ، الحربية ، إلى مدينة ريو المقابلة ، حيث كان قد اجتمع فيها جيش رومي كبير -

وعندما نزل عسكر أبي العباس إلى البر الإيطالي في شهر رجب (يونيو) ، لقبهم الروم على باب المدينة ، ولكن العسكر الأجنبي تمكن من هزيمتهم هزيمة تامة ، ودخل المدينة عنوة ، وحصل فيها على مغانم عظيمة . وإلى جانب ما غنمه أبو العباس في ريو من أعمال الذهب والفضة ، فإنه شحن مراكبه بالمديق والامتعة ، وعاد راجعاً إلى مسيني . ورواية ابن الأثير هنا لا تذكر ، ماذا كان من أمر ريو ، وإن كانت قد بليت فيها حامية إسلامية ، مما يرجح أنه تم الصلح بين أهلها وبين العرب ، ولم تقح العنوة - وهذا ما يمكن أن يلهم من رواية ابن عذارى التي تذكر أيضاً أنه استعانت له حصون ، وأعطوه الجزية (٣٠٣) .

(٣٠٢) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ - المكتبة ، ص ٢٤٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٦ .
(٣٠٣) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٧ ، ولقد ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٦ ، والتوروي ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب . تاريخ المسلمين في سقلية ، ص ١٦٧ ، حيث النص على أخذ ريو في ١٠ من شهر يوليو سنة ٢٨٠٩ .

وفي مسيئرى التقى أبو العباس بأسطول رومى كان قد وصل لتوه من القسطنطينية ، فهاجمه وأخذ منه ثلاثين مركبا . وبعد أن هدم سور مسيئرى رجع الى المدينة بلمر ، ليقضى فصل الشتاء (٣٠٤) .

استعداد أبى العباس الى افريقية :

وهكذا تنتهى ولاية أبى العباس بن ابراهيم بن أحمد لصقلية التى استمرت حوالى سنتين ، ملاها بأعمال البطولة والفتوة ، ومزج فيها أعمال السيف بأعمال القلم . وفي ذلك أنشد أبو العباس فى دواء شربه بصقلية : فقال :

شربت الدواء عسل غسرية	بعيدا عن الأهل والمنزل
وكننت اذا ما شربت الدواء	تطليت بالمسك والمنديل
فقد صار شربى بحار الدماء	ونقع المعجاجة والقسطل (٣٠٥)

وبذلك قطع أبو العباس دابر الفتنة ، وأقر الامور فى الجزيرة ، وأعاد للجهاد فى صقلية وإيطاليا ، أيام عزه وامجاده . وكان والسند ابراهيم بن أحمد ، الذى أظهر التوبة والنسك فى أواخر أيامه ، قد قرر أن يصب ما تبقى من عمره للجهاد فى صقلية ، قريبا لله وزلفى ، وكتب اليه يأمره بالخوذة سريعا الى افريقية . واستجاب أبو العباس لأمر والده ، وترك المسكر مع ولديه أبى حضر (زيادة لله) وأبى معد ، ورجع الى افريقية « جريدا » ، فى خمسين قطع من المراكب المعروفة بالشوانى . وعند وصوله استخلفه أبوه ابراهيم ابن أحمد كنائب له على البلاد ، بينما تجهز هو الى الجهاد ، فأخرج ما كان قد أذخره من المال والسلاح ، وهو يظهر العزم على أن يتبع الجهاد بالحج (٣٠٦) .

ابراهيم بن أحمد مجاهدا فى صقلية :

وسار ابراهيم بن أحمد من القيروان الى سوسة ، أرض الرباط وقاعدة العمليات العسكرية فى صقلية وإيطاليا ، فدخلها وعليه فرو مرقع فى ذى الزهاد ، وذلك فى مطلع سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ - ٩٠٢ م (٣٠٧) ، وكان قد تم تجهيز الأسطول الذى لم يدخر وسعا فى سبيل اعداده .

(٣٠٤) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٧ .

(٣٠٥) انظر الحلقة السيرة ، ج ١ ص ١٧٥ .

(٣٠٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٨ . سنة ٢٦٦ هـ

ج ٧ ص ١١٢ ، المكتبة ، ص ٢٤٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٢ ، وانظر فيما سبق ، ص

١٤٤ - ١٤٦ .

(٣٠٧) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٢ ، المكتبة ، ص ٢٤٠ .

وعندما اطمان الأمير الى أن كل شيء متعلق بإعداد الحملة وتجهيزها على ما يرام ، سار من سومرة في الأسطول الى صقلية حيث نزل في أواخر شهر رجب سنة ٢٨٩ هـ (أوائل يولييه) على مدينة نرطنوا (Neritimum) وملكنها . وفي صقلية ظهر ابراهيم بن أحمد العدل وأحسن الى الرعية - في سبيل تهيئة كل امكانات الصقليين للجهاد - وفي ذلك تقول الرواية انه فرق الخيل والسلاح على أصحابه وأمر بالمطاء ، فأعطى الفارس عشرين دينارا والراجل عشرة . ومن هناك سار في البحر الى طرابنش حيث أقام ١٧ (سبعة عشر) يوما يعطى الأرزاق لمن معه - ومن طرابنش رحل الى يلرم فوصلها في ٢٧ شعبان (٨ أغسطس) . وفي يلرم أقام ابراهيم بن أحمد أربعة عشر يوما ، أمر فيها برد المظالم ، وأعطى أهل المدينة (يلرم) ومن كان بها من الغزاة البحريين الأرزاق (٣٠٨) .

الاستيلاء على طبرمين :

وبعد أن أتم ابراهيم جهازه ، سار الى طبرمين التي كانت هدفا عزيزا على ولاية صقلية ، وقواد جيوشها ، منذ سنوات وسنوات . وعرف أهل طبرمين قصد الأمير الأغلبى ، فكافوا على أتم الاستعداد للقائه بمجرد وصوله أمام أسوار مدينتهم .

وأعد ابراهيم بن أحمد قواته في هيئة القتال ، وأخذ القراء في قراءة الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد ، فقرأ القارىء : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » ، ولكن الأمير أمره بأن يقرأ الآية التي تقول : وهذان خصمان اختصموا في ربهم - . وعندما انتهى القارىء دعا ابراهيم ربه ، وقال : « اللهم انى اختصم أنا والكفار اليك فى هذا اليوم » ، فكان هذا الدعاء بمثابة إشارة للبدء بشن الهجوم على قوات طبرمين الرومية . وكان الأمير ابراهيم نفسه أول المهاجمين : « فحمل ، ومعه أهل البصائر فهزم الكفار ، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا » .

ويلهم من الرواية أن هجوم القوات الأغلبية كان من العنف والشدة بحيث أنه لم يسمح للروم بالعودة الى المدينة والإعتصام بأسوارها . إذ عندما

(٣٠٨) التوريق : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ ب - ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧

ص ٢٠٦ ، المكتبة ، ص ٢٤١ .

كان الروم يتهزمون الى الداخل عبر الأبواب كان المسلمون يدخلون معهم المدينة عنوة ، وهكذا اندمجت جماعات من العسكر الرومي الى المراكب الموجودة في الميناء ، وهربوا فاجبن بانفسهم بينما التجات جماعات أخرى الى حصن المدينة واهتمسوا به . وهؤلاء احاط بهم الجند الأغبى ، وقاتلهم فاستنزلهم قهرا . وغنموا أموالهم ، وسبوا ذراريهم ، وذلك في يوم ٢٢ شعبان من نفس سنة ٢٨٩ هـ / ٢ أغسطس ٩٠٢ م . وبذلك فتحت طبرمين عنوة ، وأمر ابراهيم بن أحمد بقتل المقاتلة ، وبيع السبي والغنيمة (٣٠٩) .

صدى سقوط طبرمين في القسطنطينية :

وكان للتح عاصمة الاقليم الشمال الشرقي من صقلية رنة حزن شديد في القسطنطينية ، حيث أعلن الامبراطور الحداد ، كما كانت تقضى رسوم المملكة او كما رأى الملك رسمه في تلك المناسبة : « فبقى سبعة أيام لا يلبس التاج ، وقال : « لا يلبس التاج محزون » (٣١٠) .

ابراهيم بن احمد وفكرة الحج عن طريق القسطنطينية :

ولا شك أن الرواية العربية تبالغ عندما تقول ان الروم الذين حالهم الامر لردوا ارسال حملة كبيرة لفظ ما كان قد تبقى بأيديهم من الجزيرة ، ولكنهم خشوا أن يقصد ابراهيم بن أحمد ، بسد ذلك النصر الكبير ، القسطنطينية نفسها ، حتى أن الملك احتاط للأمر لترك في عاصمته قوات كبيرة قادرة على حمايتها (٣١١) . وأغلب الظن أن هذه الفكرة هي أصل الرواية التي قالت ان ابراهيم بن أحمد ، عندما تنسك وترك المملكة كان يفكر في الذهاب الى الحج ، ولكنه عاد وقرر أن يجمع بين الحج والجهاد ، ورأى أن يكون

(٣٠٩) ابن الأثير ، سنة ٢٦٦ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤١ ، ولأردن الدوري ، المغرط ، ج ٢٢ ص ١٢١ ب ، التاج النبوة للفاخر النعمان ، ص ٩٢ ، تاريخ صقلية من قبل دخلها المسلمون حسب تاريخ العالم هذه الروم ، المكتبة ، ص ١٦٨ (حيث النصر على أخذ طبرمين في أول يوم من شهر أوسه سنة ٢٤١٦) ، وانظر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ١٧ - حيث الإشارة الى ما نص عليه بعض الكتاب البيزنطيين من الهتمام قوادحهم وبسببهم قائد البحر الأصبلي يوستاثيوس ارججرسوس (Eustathius Arggrus) بالتمسك الاجرامى ، بل بالخيانة والقدر ولم ان يوستاثيوس اميد الى منصبه مباشرة بمرعة الامراطور ليو الرابع .

(٣١٠) ابن الأثير ، سنة ٢٦٦ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤١ .

(٣١١) انظر ابن الأثير ، سنة ٢٦٦ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ .

حجة عن طريق صقلية ، مما يعني أن صقلية كانت محطة في الطريق الى
اندلسطينية والمشرق ، وهي الفكرة التي أثارت خيال الكتاب العرب ، وربما
رجال الحرب والسياسة أيضا ، منذ فتوح المغرب أو فتح الأندلس .

فتوح ابراهيم بن أحمد بعد طبرمين :

والهم أن ابراهيم بن أحمد ، بعد أن ملك طبرمين ، بث سراياه في مدن
صقلية وقلاعها التي كانت ما زالت بين أيدي الروم في المنطقة ، فوجد بعضها
قد تركها أهلها ، وجعلوا عنها ، مثل : ميقش ، التي هاجمها حينه زيادة لله
ابن أبي العباس ، ودمنش ، التي سبر إليها ولده أبا الأغلب ، بينما أذهن
بعضها ومرض الصلح على دلع الجزية ، ولكن القادة العرب لم يقبلوا الا تسليم
الحصون نفسها ، مثل : رمطة التي سار إليها ابنه أبو مضر ، والياج ، التي
سار إليها سعدون الحلوي (٣١٢) .

حصار كسنته (Cosenza) ، ومرض ابراهيم :

وسار ابراهيم بن أحمد الى مسيني ، حيث أقام بها يومين ، ثم انه أمر
عسكره بالتمدية الى قلورية (كلايريا) في يوم ٢٥ رمضان (٣ سبتمبر) .
وسار حتى قرب من مدينة كسنته . ورفض ابراهيم ما عرضه عليه أهل
كسنته من طلب الأمان ، وأمر عسكره بالتقدم الى المدينة ، بينما بقي هو في
الساقية ، إذ ألم به الضعف من المرض الذي مات فيه . وزلت العساكر في
الوادى ، وأحاطوا بالمدينة . وفي ٢٥ من شوال (٢ أكتوبر) فرق أبنائه
وحفده وكبار قواده على أبواب كسنته ، وأمر بالزحف عليها ، بينما بدأت
المجانيق تضرب الأسوار بجاراتها (٣١٣) .

وفي نفس هذا الوقت زاد بالأمير المرض ، وهو علة الدرب ، أو البطن ،
الذي اشتد عليه ، واضطره الى الانفراد بعيدا عن العسكر . وكان لغياب الأمير
أثره في هبوط معنويات الجنود الذين لم يجتهدوا في قتال كسنته ، كما تقول

(٣١٢) ابن الأثير ، سنة ٣٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ . النويري ،
المختصر ، ج ٢٢ ص ١٢٢ .
(٣١٣) النويري ، المختصر ، ج ٢٢ ص ١٢٤ ، ابن الأثير ، سنة ٣٦١ هـ ، ج ٧ ص
١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٤ (حيث الرأفة : كسنة بدلاً من
كسنته) .

رواية ابن الأثير . وزاد اشتداد المرض بإبراهيم حتى منعه النوم ، وأخيراً
عندما أصابه الفواق ، كان ذلك يعني اعلان وفاته التي وقعت في ليلة السبت
١٨ من ذي القعدة سنة ٢٨٩ هـ / ٢٥ أكتوبر ٩٠٢ م (٣١٤) .

زيادة الله بن أبي العباس واليا :

واجتمع قواد المسكر ، وبعد أن تشاوروا فيما بينهم ، قرروا أن تؤول
القيادة الى حفيد إبراهيم بن أحمد ، وهو أبو مضر زيادة الله بن العباس ، الذي
عرضها بدوره على عمه أبي الأكلب الذي لم يتقدم على زيادة الله ، لأنه كان
يخشى السلامة . وهنا عرض زيادة الله على أهل كسنته الأمان الذي كانوا قد
طلبوه ، وهم لا يملكون بوفاة الأمير ، فأجابوا .

وعندما عادت سرايا التي كانت قد سارت الى نواحي كسنته ، عاد
المسكر بأجمعه ، وهم يحملون تابوت إبراهيم بن أحمد الى بلرم ، ومنها
أرسل الى القيروان ليدفن هناك (٣١٥) .

عزل زيادة الله :

ولم تطل ولاية زيادة الله لصقلية الا الى أقل من ستة أشهر ، إذ استدعاه
والده أبو العباس الى الريقية بسبب : د اعتكائه غسل اللهب وادمانه شرب
الخمر ، كما تقول رواية ابن الأثير (٣١٦) ، ولو أننا نفضل رواية ابن عساقين
التي نصت على أنه : د وشى به اليه أنه يريد الانتزاع عليه ، ويرجع ذلك ما
تضيفه الرواية من أن زيادة الله عندما عاد الى الريقية في ٢٠ جنادى الآخيرة
من سنة ٢٩٠ هـ / ٢٢ مايو ٩٠٣ م ، أخذ أبوه ما كان معه من الأموال والمعدات
وحبسها داخل القصر ، كما حبس جماعة من أصحابه الذين كانوا معه (٣١٧) .

(٣١٤) ابن الأثير سنة ٢٦١ هـ . ج ٧ ص ١١٧ ، المكتبة . ص ٢٤٢ ، أبو العباس .
المكتبة . ص ٤٠٦ ، التويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١٢٢ (حيث ولا إبراهيم بن أحمد
في ١٢ من ذي القعدة / ١٩ أكتوبر) . وانظر التتاج الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٩٢ (حيث
وفات إبراهيم في ١٢ من ذي القعدة .

(٣١٥) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ - ١٢٤ م . حيث يقول ان إبراهيم دفن
في بلرم ، وانظر التتاج الدعوة ، ص ٩٢ . أما ابن الأثير (سنة ٢٨٩ هـ ج ٧ ص ١١٣)
المكتبة . ص ٢٤٢) الذي أخذها بروايته هنا فيصير على أنه دفن في القيروان ، وهو الأمر
الذي لم يثبت عن ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٠٤) .

(٣١٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ . ج ٧ ص ٢٠٩ ، المكتبة . ص ٢٤٩ .

(٣١٧) ابن عساقين ، ج ١ ص ١٣٤ ، وانظر فيما سبق . ص ١٥٩ .

محمد بن السرقوسي واليا لصقلية :

وعهد أبو العباس بولاية صقلية الى القائد محمد بن السرقوسي (٣١٨) ، الذي يتصح من اسمه انه صقل أصيل ، من أبناء جيل المجاهدين الأول في الجزيرة . وهذا الأمر له أهميته ، من حيث أنه يعني أنه ، بعد ثمانين سنة من غزو الجزيرة ، أصبح من الممكن أن تؤول ادارة شؤون صقلية ، من : جهاداً وغيره الى أبنائها ، بعد أن كان حكامها من رجال الأغالبة الوافدين من إفريقيا . ولا شك أنه كان في ذلك ترضسية للصقليين المعتزين بأنفسهم ، بصفتهم المجاهدين أولاً وقبل كل شيء ، دون غيرهم من أهل المملكة الأغبية ، والذين كانوا قد بدأوا يسبمون المتعصب لأمير القيروان منذ مدة ، كما رأينا ، وخاصة في ذلك الوقت الذي كان الشيعي يشكل خطراً داهماً على الأغالبة في إفريقيا .

تكان تولية السرقوسي كانت تعنى له الى حد ما - ترك جبهة صقلية لأهلها ، فهم أدرى بما فيها ، ولو لفترة من الوقت تسمح بتوجيه كل الجهود الى الشيعي ومن معه من كتامة . وذلك ما يرجعه سكوت حوليات ابن الأثير وغيره عن أحداث صقلية طوال عهد زيادة الله تقريباً ، باستثناء الإشارة ، في سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م ، الى عودة السفارة التي كان قد أرسلها الى بلد الروم ، ومعها رسول صاحب القسطنطينية ، والتي ربما كان هدفها التراب الهدنة بين الطرفين (٣١٩) .

أحمد بن أبي الحسين بن رباح واليا :

وفي السنة التالية (٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م) ، عزل زيادة الله والي صقلية : محمد بن السرقوسي ، واستعمل بدلاً منه أحمد بن أبي الحسين بن رباح ، وهو أيضاً سليل قواد الجزيرة وولاتها (٣٢٠) .

الصقليون يخضعون طاعة الأغالبة ويعترفون بأبي عبد الله الشيعي :

ولم يبق الوالي الجديد في منصبه الا حوالي سنة واحدة ، وذلك انه عندما

<

(٣١٨) ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٦ ، المكتبة ، ص ٢١٩ ، وانظر البربري - المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ أ - حيث الترامة الخاطئة : محمد بن أبي القواس .
(٣١٩) انظر ليسا سبق ، ص ١٧٧ .
(٣٢٠) البربري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ | - ٢٣٠ ب .

فاز الشيعة بأفريقية في السنة التالية (٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م) ، ونبأ أصل
صقلية عليه ، وإنتهبوا ماله وحبسوه ، وولوا على أنفسهم علي بن أبي الفوارس
في ١٠ من رجب سنة ٢٩٦ هـ / ١٥ ابريل ٩٠٩ م . وبمقتضى الصقليين بأحمد
ابن أبي الحسين بن رباح إلى أبي عبد الله الشيعة وكتبوا إليه أن يبقى على
« ابن أبي الفوارس » ، فأجابهم إلى ذلك ، وكتب إليه أن يفزوا بسرا
وبحر (٣٢١) .

وبذلك كان أحمد بن أبي الحسين بن رباح آخر ولاية الأغالب في صقلية،
وكان على بن أبي الفوارس أول من حكم الجزيرة باسم الفاطميين .

الحسن بن أحمد بن أبي خنيزر ، أول وائى فاطمى :

ولكنه عندما دخل المهدي رقادة ، تعود أخبار صقلية متواترة على طول
المجريات . ولقد بدأ ذلك بتميين الحسين بن أحمد بن أبي خنيزر واليا على
صقلية في أواخر سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، وهو ما سنعود إليه - انشاء الله -
عند دراسة العصر الفاطمى في أفريقية والمغرب .

الفصل الثالث

الدولة الرسمية

في تاهرت وجبل نفوسة
(١٦١/هـ ٧٧٧ م - ٢٩٦/هـ ٩٠٨ م)

قيام الرستميين في تاهرت :

رغم أن دولة الأغالية كانت مثلة الخلافة ، صاحبة الحق الشرعي في حكم بلاد المغرب من أقصاها إلى أقصاها ، إلا أن استقلالها كان نتيجة طبيعية للاوضاع السياسية في المغرب في ذلك الحين - فالرستميون كانوا قد اقتطعوا المغرب الأوسط بينما كان الإدارة في طريقهم إلى تثبيت أقدامهم في المغرب الأقصى بمعنى أن الرشيد عمل على إيجاد نوع من توازن القوى عندما هب عبد الأفریقیة إلى ابن الأغلبي - ومؤسس أسرة الرستميين هو عبد الرحمن بن رستم ابن بهرام الفارسي ، وكان بهرام جده من موالى عثمان بن عفان ، ولو أن الكتاب يجعلون له نسبا يرتفع به إلى ملوك الفرس القدماء (١) أما عن كيفية هجرته إلى الأفریقیة فتقول الرواية أن أباه رستم قدم من العراق إلى مكة وبصحبته زوجته وابنه عبد الرحمن ، لأداء فريضة الحج فمات ، فتزوجت امرأته برجل من أهل القيروان حمينا وابنها عبد الرحمن معه عند عودته إلى بلده (٢) . وترى عبد الرحمن بن رستم في القيروان وأخذ العلم عن فقهاها ومال إلى تعاليم الخوارج ، ووقع تحت تأثير سلامة بن سعيد الذي كان يدعو إلى مله

(١) يقال أن جده هو بهرام بن شه شمر بن سابور بن ناپكاه من سابور الذي اكتشف الملك الفارسي - انظر السكري ، ص ٦٧ وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢٦ ، الأندلسي ، طبقات الأمازيغية ، المخطوط ورقة ٩ (ط الجزائر ، ص ١٩) عن نسب عبد الرحمن ، ص ٢٠ - ١ (ط الجزائر ، ص ٤٢) عن نسب ميمون بن عبد الرحمن .

(٢) الأندلسي ، طبقات الأمازيغية ، المخطوط ، ورقة ٩ (ط الجزائر ص ١٩ - ٢٠) حيث تقول الرواية المشهورة الطابع أن رستم والد عبد الرحمن عندما سار إلى الحج كان يقصد الذهاب إلى المغرب عن طريق مكة حيث أنه كان يخبرها بجم النجوم وأنه كان يعرف أن طريقه سئل بلاد المغرب ، وانظر الشماشي ، سمع عنه جبل القوسية ، ص ١٤٢ -

الأباضية (٢) - ولما بلغ مبلغ الشباب رحل الى البصرة حيث درس على ائمة المذهب هناك ، ومنهم أبو عبيدة مسلم بن أبي سريمة التميمي ، مع بعض اخوانه من المغاربة - وبذلك أصبح واحدا من خمسة هم « حملة العلم » ، كما ذكرنا من قبل (٤) .

وعندما عاد عبد الرحمن أدراجه الى المغرب جد في تحقيق أمنية شيخه سلامة بن سعيد الذي كان يقول : « وددت أن يظهر هذا الأمر يوما واحدا فما أبالي أن تضرب عنقي » (٥) ، فاشترك في ثورة طرابلس بقيادة أبي الخطاب ، وعندما استخلص هذا الأخير مدينة القيروان من صفارية ورفجومة عهد اليه يولايتها - وبقي عبد الرحمن بن رستم بالقيروان الى أن قدم محمد بن الأشعث بالقوات العباسية فخرج تلبية لنداء أبي الخطاب ، ولكنه عاد من قايس عندما رأى هزيمة الإباضية قبل أن يفر من القيروان خفية نحو المغرب الأوسط سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م (٦) . ورغم ما تقوله بعض الروايات من أن ابن رستم بنى مدينة تاهرت عقب فراره أي في سنة ١٤٤ هـ أو بعدها بقليل (٧) ، فالأقرب الى الصحة أن ابن رستم لم يفكر في ربط مصره وأتباعه بالمغرب الأوسط الا بعد أن فشلت محاولاته في العودة من جديد الى أفريقيا . ففي سنة ١٥١ هـ / ٧٦٨ م اشترك ابن رستم مع بقية الخوارج من أباضية و صفارية في حصار عمر بن حفص في طبنة ، وانتهى الأمر بالانهزام الى تاهرت (٨) . والظاهر أن المقصود بتاهرت هنا ليست المدينة بل أرض تاهرت أي اقليمها . فابن عذارى يحدد اختطاط تاهرت الرستمية في سنة ١٦١ هـ / ٧٧٧ - ٧٧٨ م (٩) ، وهو

-
- (٣) انظر الدرجيني (الطلقات ، المخطوط ، ورقة ٦ ، ط الحرائر ، ص ١١) السلي
يسجل رواية الاباضية التي ترجع الى الامام الثلج بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم
عن مده انتشار مذهبي الاباضية والصفارية ، والتي تقول ان اول من دعا الى مدين المذهبية
في قيروان الفريجة صا - سلامة بن سعيد وعكرمة مول ابن عباس اللدان قسماً من البصرة ،
وان سلامة كان يدعو الى مذهب الاباضية بينما كان عكرمة يدعو الى مذهب الصفارية .
(٤) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤١ وهامش ٥ .
(٥) الساماني ، ص ١٢٢ ، والدرجيني ، طلقات الاباضية ، ورقة ٦ (ط الجزائر ، ص
١١ - ١٢) حيث النص « وددت أن لو ظهر هذا الأمر يوما واحدا من اول النهار الى آخره
فلا أسف على الحياة بعده » ، وانظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢١٩ و ٢٠٠ .
(٦) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٢٥ .
(٧) انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢٢ والترجمة ، ج ١ ص ٢٤٢ ، النويري ، ص ٩٢ .
لواالترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٢٧٥ .
(٨) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .
(٩) البيان ، ط - كولان ، ص ١٩٦ .

الأمر الذي تؤيده روايات الأباضية عن إقامة ابن رستم فيها بين سنة ١٦٠ هـ و سنة ١٦٢ (١٠) ، أي بعد أكثر من خمس عشرة سنة من فراغ عبد الرحمن من العبروان وعشر سنوات من انهزامه في طيبة ، وذلك أمر منبوهل .

وهذا لا يعني أن تاهرت لم تكن موجودة قبل ذلك التاريخ ، فالمدينة قديمة مرجع الى العصر الروماني ثم البيزنطي (١١) . ولقد جاء ذكرها أيام الفتوح الأولى سنة ٦٤٢ هـ/ ٦٨١ - ٦٨٢ م في حملة عقبة بن نافع التي استشهد فيها (١٢) . فلكني يستقر ابن رستم واتباعه الذين جاؤا من بلاد إفريقية وطرابلس في المغرب الأوسط كان لابد لهم من تنظيم دعاية واسعة النطاق لنشر تعاليم المذهب الأباضي بين قبائل المنطقة ، ونداء هذه القبائل الى تأييد ابن رستم ، وهذا أمر طبيعي يتطلب تنفيذ حوالى خمسة عشر عاما . ولقد ساعد على نجاح دعوة ابن رستم أن المنطقة التي نزلها تعتبر امتدادا لبلاد الراب ، وأن كثيرا من قبائلها من لواته وهوارة وزواغة ومطاطة (١٣) أصلها من أقاليم المغرب الشرقية في طرابلس ونزارة وبلاد الجريد - مهد الدعوة الأباضية . ولقد سهل هذا الأمر مسير كثير من أباضية تلك الأقاليم الى ابن رستم حيث أقاموا بين بنى جلدتهم في المغرب الأوسط . (انظر شكل ٥ ص ٢٩٢) .

أما عن السبب في اختيار منطقة تاهرت مركزا للدعوة فيرجع أولا الى أنها منطقة داخلية منطوية على نفسها . فرغم أن تاهرت على رأس الطريق الموصل من منطقة التلول الى أسافل وادي شلف المؤدى الى البحر ، ورغم أنها محلقة في أعلى المنطقة الجبلية (تلول منداس) على ارتفاع ١٠٠٠ متر الا أنها تقع على السطح الجنوبي للجبل - جبل كروك - (الذي يرتفع الى ١٢٠٠ متر) (١٤) بمعنى أنها توجه أنظارها نحو الداخل ، وتدير ظهرها للبحر . وهذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتازا بالنسبة لجماعة يحيط بها الأعداء من كل جانب ، وترجو أن تعيش في أمان - في حاضرها على الأقل - بعد أن فشلت في الاحتفاظ بانتصاراتها في عواصم المغرب الشرقية .

(١٠) أبو ذكريا . كتاب السير وأشهر الأئمة . المطرود ، ص ١٢ - ١٠ . الدرجهي
طبقات الأباضية ، المطرود ، ص ١٩ - ١ (ط - الجزائر ، ص ٤٠ - ٤١) .

(١١) عن خرافات تاهرت الرومانية والبيزنطية انظر :

Gautier : Le passé de l'Afr du Nord, p. 322

(١٢) انظر فيما سبق . ج ١ ص ١٩٧ .

(١٣) انظر البكرقي ، ص ٦٧ (يكتب لواته بالهاء : لواتة -) .

(١٤) انظر ابن خلدون . ج ٦ ص ١٢١ . وانظر أيضا Gautier: op. cit., p. 328

وزغم وعورة المنطقة وقسوة طقسها وخاصة في فصل الشتاء حيث يكثر
الفيوم والأمطار ، وتسقط الثلوج وتشتد البرودة ، ويمزق الغيث ، مما كان
موضوعاً لنكت الظرفاء وشعر الشعراء (١٥) ، فإن المنطقة عرفت بثروتها الزراعية
وكثرة مراعيها الفنية على وجه الخصوص ، وهي مدينة بذلك لكثرة مياهها ،
سأهرت على نهر كبير يأتيها من ناحية الغرب يسمى مية (مياس) ولها
فهر آخر يعبرى من عيون تجتمع يسمى نانس ، ومنه تشرب أرضها وبساتينها ،
وبالقرب منها نهر سيرات ، وهو نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة
أزواوا ، وهي مدينة قديمة رومية (١٦) ، وينوء كل الجرافين بكثرة ذروعها
وبساتينها ، ولكنهم يؤكفون شهرتها كإقليم المراسم والإنتاج الحيواني ،
وفي ذلك يقول ابن حوقل عن تاهرت : « وهي أحد معادن اللواب والماشية
والغنم واليغال والبراذين الفراهية » (١٧) ، والحقيقة أن صفة الرعي هي الغالبة
على بلاد المغرب الأوسط ، « فهي كثيرة الغنم والزرع ، كثيرة الغنم والماشية ،
طيبة المراسم ، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب
لحومها » (١٨) وعلى أساس طبيعة المنطقة يفسر جوتيه (استناداً إلى ابن خلدون)
طبيعة الإمارة الرستمية : فهي مملكة بتيرية أي بدوية (١٩) ، على عكس الممالك

(١٥) من ذلك ما يقال من أن أحد أهل تاهرت سئل كم عدد شهور الشتاء عندكم ؟
فأجاب ثلاثة عشر شهراً (ابن حوقل ، ج ١ ص ١٦٨) ، كما يقال إن بعض التاهرتيين ذهب
إلى مكة لكفاه فريضة الحج فلما رأى تولد الشمس بكفة ظن اليها وقال : « أحرى ما شئت
فوافقه الله بتاهرت لذليقة » ، وفي بردها قال أبو بكر بن حماد (توفي سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ -
٩٠٩ م)

ما أصعب البرد وربضه	والظرف الشمس يسأهرت
تيسر من الغيم إذا ما بدت	كانها تفر من كعب
فمن في بحر بلا لجة	تجري بنا الريح على السمك
تفسح بالشمس إذا أحرقت	كفرحة النسي بالسبب

(انظر المكرى ، ٦٧ ، كتاب الاستبصار ، ص ١٧٨ ، الدرر الجني ، طبقات الأمازيغية ،
المخطوط ، ص ١٩ ، ب (ط الجزائر ، ص ٤٢ - ٤٣) ، وعن ابن حماد انظر مراكمة الخيل ،
تاريخ الجزائر ، ج ٢ ص ٣٦) .

(١٦) انظر كتاب الاستبصار ، ص ١٧٨ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٢ ، ولقد
كانت كثرة مياه تاهرت سبباً في تفتت الشعراء بها ، فقال بعضهم :

بشيء الله تاهرت لناً وسوية
بسلمتها لهما يطيب في الحليل

(ابن حوقل ، ج ١ ص ١٦٨)

(١٧) ابن حوقل ، طبعة بيروت ، ص ٨٤ .

(١٨) كتاب الاستبصار ، ص ١٧٩ .

Gautier, Le Passé de l'Afr du Nord, p. 326-330. (١٩)

وانظر شكل ٦ ص ٢٩٤ .



شكل رقم (١٧)

الأمم والأمم: طريق وحشي الرعاة في الشتاء والريف
 المصلحة المائية - ١٩١١

انظر جويته من ١٩٣٣ ، وبناركة البلي (الترميم)

الحضرية في القيروان وفي فاس -

قيروان جديد في المغرب الأوسط : بناء تاهرت الرسمية او تاهرت الجديدة :

نجحت العناية التي قام بها عبد الرحمن بن رستم وأتباعه فانصبت اليه قبائل المغرب الأوسط التي استجابت للدعوة الأباضية ، كما انضم اليه كثير من الخوارج الصفرية ، بل ومن جماعة تسمى بالواصلية السذنين يعتبرهم البكرى من الأباضية (٢٠) - رغم أن المعروف عن الواصلية أنهم من المعتزلة وهو الأمر الذي تقره الروايات الأباضية - فأيو زكريا يعرف الواصلية بأنهم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زقاته (٢١) ، والدرجيني الذي يسميهم بالواصلية يعرفهم أيضا باسم المعتزلة (٢٢) . والظاهر أن الفرتين تحالفتا نتيجة لأخذهما بموقف الوسط بالنسبة لمرتكبي الكبائر (موقف المنزلة بين المعتزتين) ، وأنه لهذا السبب اعتبر معتزلة المغرب من الأباضية أو اعتبرت بعض جماعات الأباضية من المعتزلة ، واعترف الجميع بإمامته (٢٣) ، وعلى رأسهم أبو حاتم الذي خلف أبا الخطاب في طرابلس . فأبو حاتم - في نظر أئمة الأباضية - كان أمام دفاع (٢٤) ولم يكن أمام ظهور كآبي الخطاب ، وعلى ذلك كان « يرسل مازاد على ما يحتاج إليه مما جمع من الزكاة لعبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى الأمور وولاية الظهور » (٢٥) والحقيقة إن اجتماع هذه الفرق المتنافرة في دعوة واحدة يمكن أن يفهم منه أن المسألة لم تكن مسألة إصلاح ديني يسعى إليه البعض أو الآخرون ، بل مسألة سياسية هدفها مدافعة حكم مثالي الخلافة والاستقلال عن الدولة : بمعنى أن الدين لم يكن إلا ستارا لاغفاء حسدا

(٢٠) انظر البكري ، ص ٧٢ .

(٢١) كتاب السير واختيار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٩ - ١ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص

٢٦ - أ (ط - الجزائر ، ص ٥٧) .

(٢٢) طبقات الأباضية ، المخطوط ، ص ٢٦ - ١ ، ط - الجزائر ، ص ٥٧ (الواصلية) ،

ص ٢٧ - ب ، ط - الجزائر ، ص ٦٠ (المعتزلة) .

(٢٣) انظر البكري (ص ٦٧) الذي يقول « كان مجمع الواصلية قريبا من كاهنت

وإن عندهم نحو ٣٠ الفا في بيوت كبيوت العرب يحلون بها » ، بمعنى أنهم يندو طوامن .

وانظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ - وعن الأباضية وعلاقتهم بالفرق الإبتدائية انظر ليما سبق .

ج ١ ص ٢٤٤ ، ٣٦٨ ، وانظر مبارك بن محمد المليل ، تاريخ الجزائر طبعه قسنطينة سنة

١٢٥٠ هـ ، ج ٢ ص ٧ - ٩ ، ١٢ .

(٢٤) الدرجيني ، طبقات الأباضية ، المخطوط ، بورق ١٧ (ط - الجزائر ، ص ٢٧) .

(٢٥) الدرجيني ، طبقات الأباضية ، المخطوط ، ص ١٧ - ١ (ط - الجزائر ، ص

٢٦ - ٢٧) ، وانظر الشماخي ، السير ، ص ١٢٨ .

الهدف أو لاعتناء موقف الانفصال نوعا من الشرعية .

وبعد أن بويغ عبد الرحمن بن رستم بالإمامة في سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ - ٧٧٧ م ، وهو التاريخ الذي رجحته كتب الأباضية ابتداء من أبي زكريا ومن نقل عنه (٢٦) ، كان من الطبيعي أن يتخذ مقرا له يكون مركزا للدولة الناشئة . ووقع الاختيار على منطقة تاهرت للأسباب التي ييناها . من « استراتيجية » المكان الجبلي ، وتوفر العصية البثرية ، وعنى الموقع بالماء والمراعى . هذا ولا بأس من أن يكون ابن رستم قد ارتاد المكان من قبل ، وأنه استحسنه بعد أن أقام فيه عقب فراره من القيروان ، كما يقول الكتاب .

ويصفى كتاب أهل المذهب من الأباضية على فرار عبد الرحمن بن رستم الى جبل تاهرت ، وعلى بناء المدينة ، لونا قصصيا متيرا كذلك الذي سببه من سبقهم من الكتاب الذين أرخوا لبناء الاسكندرية والفسطاط والقيروان وكذلك القاهرة الى هذه المدن عند بنائها . فابن رستم قبل أن يفر من القيروان وقسح بين يدي عبد الرحمن بن حبيب (الفهرى) ولكن أحد القيروانيين شفع له فأطلقه ابن حبيب (٢٧) . وخرج الامام معه ابنه عبد الوهاب وغلالم له ، وفي الطريق مات مرسه في قسطنطينية من بلاد الجريد فمضى على رحليه حتى ضعف عن المشى ، فكان ابنه وغلالمه يحملانه (٢٨) . وبعد جهده جعيد وصل الى جبل سوفجج(٢٩) حيث اعتصم قتل أن يلحق شيوخ أهل الدعوة من طرابلس ،

(٢٦) انظر السير لأبي زكريا ، المخطوط . ص ١٢ - ١ الذي يسجل هنا أن ابن رستم بويغ سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ - ٧٧٧ م ، ثم يعود ليتول وتقول انه بويغ في سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٨ - ٧٧٩ م . وانظر الدررسي ، طبقات الامامية ، المخطوط . ص ١٩ - ١ والمطبوع . ص ٤٠ - ٤١ ، الشاسي . السير ص ١٣٩ . ولقد احدها بالرواية الأولى نظرا لان احتطاط تاهرت تم في سنة ١٦١ هـ ، كما يحدد ذلك ابن عذاري (انظر فيما سبق ص ٢٩١) .

(٢٧) الدررسي ، طبقات الاباضية ، المخطوط . ص ١٦ - ب (ط - الجزائر . ص ٣٥) ؛ الذي يقول في ابن رستم كان يكره عبد الرحمن بن حبيب ، وأنه وصفه ذات مرة « بأنه شيطان عليه بشر ابن آدم » لظنهما عليه ابن حبيب . وانظر الشاسي . ص ١٢٢ . وعن فرار ابن رستم من القيروان انظر فيما سبق . ج ١ ص ٢٤٢ وكذلك ص ٢٤٥ . وعن مشاركة الفهرى في ثورة الخوارج انظر فيما سبق . ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٥ .

(٢٨) الدررسي ، الطبقات ، المخطوط . ص ١٦ - ب ، ١٧ - أ وتقول الرواية أنهم دخلوا الفرس حتى لا يقتصدوا أثره فسمي الموضع بقبر الفرس (وانظر ط - الجزائر . ص ٣٥ - ٣٦) .

(٢٩) الشاسي . ص ١٢٢ . ولا يعرف ان كان التصود بهذا الحبل هو جبل تاهرت الذي يسميه صاحب كتاب الاستبصار (ص ١٨٧) « قرقل » ، وابن خلدون (ج ٦ ص ١٢١) « كزول » (جزول) أم غيره . وانظر الدررسي ، الطبقات ، ص ١٧ - أ (ط - الجزائر . ص ٢٦) ، الذي يسمي الجبل المتبحر « رادي ابيج » .

الذين بلغوا ستين شيخا وأكثر ، مع أعرانهم من غير شك (٢٠) . وحسب هذه الرواية تبع ابن الأشعث الامام الى الجبل وضرب عليه الحصار كما احتاط للأجر فحندق حول معسكره خشية هجوم مفاجئ . يقوم به ابن رستم ، وفي خلال ذلك دحوم الجبل بأهله ، ومات من أصحاب عبد الرحمن بشر كثير فاقس منه ابن الأشعث وعاد الى القيروان ، كما يقول التسامى (٢١) ، ولو أنه من المقبول أيضا أن يكون الجدرى الذى أصاب الجبل قد وقع ايضا في معسكر ابن الأشعث والحق به خسائر كبيرة مما جعل ابن الأشعث يتشاور مع قواده ويقرر الرحيل ، كما يقول الدرجميني (٢٢) .

أما عن بناء المدينة فله قصة عجيبة أشبه بقصة عقبة وبناء القيروان . فبعد أن اتفق رؤوساه العابدين وكبار الراهدين وجماعة المؤمنين على بناء مدينة ، أرسلوا الرواد من أهل المعرفة في اختيار الجهات ليختاروا المكان الذى يصلح لبناء مدينة تكون حرزا للمسلمين وحسنا لهم ، فطافوا أطراف البلاد واستحسروا موضع تيهرت . وكانت تيهرت غياضا (٢٣) وأشجارا ملتفة يسكنها أنواع السباع والوحوش . وهكذا ، وكما فعل عقبة بن نافع أسام شمره القيروان ، فعل عباد الأباضية ، فأرسلوا مناديا فنادى بأعلا صوته ساعها ووحوشها وهوامها أن أخرجوا وارتحلوا ، فأتوا يريدون عمارتها ونازلين بها ، وأجلوها ثلاثة أيام . ويذكر أبو زكريا الذى ينقله الدرجميني والتسامى « وذكروا أنهم رأوا بها وحوشا تحمل أولادها في أفواها يبنى سباعا - والله أعلم » (٢٤) . ثم انهم عمدوا الى تنظيف المكان مما كان فيه من الأعشاب والشجيرات فأطلقوا فيها النيران . وهو الأمر المقبول الذى رأينا أنه ربما كان سببا معقولا لهروب السباع والهوام ، مما اعتبره البعض كرامة لعقبة بن نافع بالنسبة لبناء القيروان ، وبذلك أصبح لتاهرت - فى نظر

(٢٠) الدرجميني ، الطليقات ، المخطوط ، ص ١٧ - أ (المطبوع ، ص ٢٦) .

(٢١) التسامى ، ص ١٣٣ .

(٢٢) طليقات الأباضية ، المخطوط ، ص ١٧ - أ (المطبوع ، ص ٢٦) .

(٢٣) البكري ، ص ٦٨ (غيبة أشبه) ، ابن علقمة ، ج ١ ص ١٩٦ (غيبة) ، وانظر الدرجميني ، الطليقات ، ص ١٩ - أ ، المطبوع ، ص ٤١ (ريان لا عبارة بقسا لا السباع) ، الهوام ، ص ٣٠ - أ ، المطبوع ، ص ٤٤ (غيبة أشبه) ، وانظر التسامى ، السج ، ص ١٣٧ (غياض) .

(٢٤) انظر أبو زكريا ، كتاب السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٣ - ب ، الدرجميني

الطليقات ، المخطوط ، ص ١٩ - أ (المطبوع ، ص ٤١) ، التسامى ، السج ، ص ١٣٦ .

للأباضية كرامينا ، مثلها في ذلك مثل القيروان بالنسبة لأهل السنة (٣٥) .
هذا عن القصة أو الأسطورة الشعبية التي ظهرت في وقت متأخر والتي
تحمل في ثناياها بعض الحقائق من غير شك . أما أقدم نص قارىضى عن
بناء تاهرت فنجدته في البكري الذي يقول - نقلا عن محمد بن يوسف - انه
يعد اتفاق الجماعة للأباضية على إمامة عبد الرحمن بن رستم وبتيان مدينة
تجمعهم ، نزلوا موضع تاهرت وهو غيضة (٣٦) على خمسة أميال غربى
المدينة (٣٧) . واختار ابن رستم موقعا مريعا لأشعراء فيه ، ولهذا شبهه
البربر بالدف لتربيعه وسموه تاقدمت (٣٨) . ورغم أن الموضع كان لقوم
مستضعفين من مراسة وصنهاجة ، فإن عبد الرحمن بن رستم فأوضحهم في
بيمه ، ولما رفضوا اتفق معهم على أن يبيحوا للجماعة البناء على أن يكون لهم
الحق في جباية خارج الأسواق (٣٩) .

وكما هي العادة في بناء المدن الإسلامية بدء بتخطيط المسجد الجامع ،
وقطع الخشب اللازم للبناء من شجر الثمراء . أما عن تخطيط الجامع فيذكر
البكري أنه ظل على حاله الى أيامه أو الى أيام محمد بن يوسف الذى ينقل
هو عنه (٤٠) مكرنا من أربعة بلاطات (٤١) .

- (٣٥) انظر أبو زكريا ، السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٢ - ب ، وقارن الدررجاتي ،
طبقات الأمامية ، المخطوط ، ص ١٩ - أ حيث تصنيف الرواية الى ذلك أن أصول الأشجار
«الوية التي لم تات عليها اليرقان عولجت بان وضع الخث والصل في أصولها فانتت الخنازير
ليلا وحمرت أصولها حتى قلعتها مما يعنى أن الشفلة كانت معروفة بطنانيرها الروشية
وقارن المطبوع ، ص ٤١ (حيث كلمة حيس بدل من خث) - اما عن قصة بساء القيروان
المسماة ، انظر فيما سبق ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- (٣٦) البكري ، ص ٦٨ ، وانظر الدررجاتي ، الطبقات ، المخطوط ، ص ٣٠ - أ
(المطبوع ، ص ٤٣) حيث ينقل نص البكري .
- (٣٧) البكري ، ص ٦٧ (تاهرت القديمة شرقى الحديثة على خمسة أميال منها) . وانظر
الدررجاتي ، الطبقات ، المخطوط ، ص ٢٠ - أ (المطبوع ، ص ٤٣) .
- (٣٨) البكري ، ص ٦٨ ، قارن الدررجاتي ، المخطوط ، ص ٢٠ - أ ، حيث كلمة الدف
بالبربرية = « بالمراسة » ، وقارن المطبوع ، ص ٤٤ ، والشامسي (ص ١٣٩) الذى ينقل
هنا ما سبق أن قيل من أنهم أحرقوا الأشجار في الموضع .
- (٣٩) انظر البكري ، ص ٦٨ الذى ينقله الدررجاتي ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ،
ص ٤٤) ، والشامسي ص ١٤٥ .
- (٤٠) البكري يكتب حوالي سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م - أما من محمد بن يوسف فهو متولى
سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م - انظر مقدمة *Le Slave* لكتاب البكري ص ١٦ .
- (٤١) البكري ، ص ٦٨ ، الدررجاتي ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٤) ،
ابن عذاري ، ج ١ ص ١٩٦ .

وزعم ما يقوله البكري من أنهم اختطوا وبنوا - حول المسجد كما جرت
المادة - وزعم ما يقوله أبو زكريا ومن نقل عنه من كتاب الأباضية مشسل
الدرجيني والشماخي من أنهم اختطوا دورا وقصورا وبيوتا ، فالمعروف أن
تأهت الجديدة - مثلها مثل قيروان عقبة - لم تكن تعني في أول أمرها أكثر
من معسكر للجماعة الأباضية . ولقد ظلت صفة المسكر هذه لاصفة بالمدينة
مدة طويلة ، وذلك ما يسجله البكري ، عندما يقول : « وسمى الموضع معسكر
عبد الرحمن بن رستم الى اليوم » (٤٢) ، وهي التسمية التي ينقلها الدرجيني
ثم يضيف بعدها ما ينقله من أبي زكريا من أن تأهت سميت بـ « المسكر
المبارك » (٤٢) .

امامة عبد الرحمن بن رستم ، وتطور الأفكار الخارجية :

والظاهر انه بعد أن تم بناء تأهت الجديدة لتكون « حوزا وحصنا
للاسلام » أخذت وفود القبائل تأتي من الأقاليم المجاورة لبيعة الامام . فهذا
ما ينص عليه كتاب الأباضية الأوائل عندما يجعلون مبايعة ابن رستم بعد
بناء تأهت والرواية الأباضية تقول : أنهم نظروا فيمن يصلح للولاية من
رؤساء القبائل فوجدوا في كل قبيلة رأسا أو رأسين فيمكن أن يكونوا من بين
المرشحين ، وأخيرا اتفق رأيهم على عبد الرحمن للأسباب التي لخصها الشماخي
في قوله : لفضله ، وكونه من حملة العلم ، وكونه عامل أبي ؟ لخطاب على
الغريفة ، ولأنه لا قبيلة له تمتعه اذا تغير عن طريق المدل (٤٤) . والواضح

(٤٢) البكري . ص ٦٨ . أما ما يذكره البكري عن اسوار المدينة وأبوابها التي يذكر
منها باب الصفا وباب المنازل وباب الادللس وباب المطامن وقصبتها المسماة بالمصومة ، فذلك
من وصف لاهت بعد أن تمدت وعظمت وأما الناس من كل مكان . كما وصفها ابن الصبح
(أخبار الأئمة ص ١١ ، ص ١٣) في أواخر القرن الثالث الهجري/٩ م . وهو مصدر البكري
ومن نقل عنه مثل الدرجيني ، المخطوط ، ص ١٩ - ب (المخطوط ، ص ٤٢) .

(٤٣) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ . الدرجيني ، المخطوط ص ٢٠ - ب .
٢١ - أ (المخطوط ، ص ٤٤) .

(٤٤) الشماخي . ص ١٣٦ - ١٤٠ . وانظر ابن الصبح ، ص ٩ ، الذي يجعل سبب
طلبهم اختيار الامام خشيتهم من « وجود كثير من رؤساء القبائل الذين يمكن أن يطهروا فن
الولاية لزيدى ذلك الى الفتنة » وانظر الدرجيني ، طبقات الأباضية ، المخطوط ص ١٩ - ب «

إن هذه الرواية لا يقصد بها تحديد وقت اختيار عبد الرحمن بين رسمت للامامة. بعد بناء المدينة الجديدة فذلك ما لم يقل به أحد من قبله إذ كانت له الرئاسة في الاباضية القيروان منذ أيام أبي الخطاب ، بل حتى قيل انه عرضت عليه الامامة قبل تولية ابن الخطاب فأعرض عنها (٤٥) ، ثم أصبحت امامته على الجميع بعد وفاة هذا الأخير ، وذلك ما يقوله فقهاء الاباضية كما أشرنا (٤٦) ، وبناء على ذلك يعتقد أن هذه الرواية تمنى مبايعة رؤساء القبائل الرجائيين أنها تبين ظروف انتخاب عبد الرحمن التي أراد فقهاء الاباضية أن يجعلوا منها مبادئ أساسية لانتخاب الامام ، فلقد توفرت في الامام الأول شروط أربعة ذوات طبيعة مختلفة : أولها أخلاقي ، وثانيها علمي ، وكل من قالها «وإنها سياسي» . أما عن البرنامج الذي تمت على أساسه البيعة ، فكان العسل بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الراشدين ، وعلى هذا الشرط قبل عبد الرحمن أمافاتهم (٤٧) ، واشترط عليهم هو الآخر « الطاعة في الحق » (٤٨) .

ولا ينس من أن يكون ذلك الترتيب الخاص باختيار الامام صحيحا . فالمبدأ أن الأولان من المبادئ المطلوب توفرها في اختيار الامام أو الخليفة كما اتفق على ذلك الفقهاء : « فالفضل » في هذا النص أو حميد الأوصاف عند الدرجيني أيضا هو ما يوازي « العدالة » التي تمنى الكمال الاخلاقي ، من حيث سلامة الاعتقاد وسلامة الجوارح ونزاهة التصرفات الشخصية (٤٩) ، وأما كونه من حلة العلم ، فالعلم شرط أساسي ليس بالنسبة للمرشح لتولي الامامة أو الخلافة فحسب بل هو ضروري أيضا بالنسبة لطبقة أهل الاختيار ، أي أصحاب الحق في انتخاب الامام أو الخليفة . هذا ولو أن العلم بالنسبة للطبقة الثانية هو العلم الذي يوصل إلى اختيار الأصلح ، أما بالنسبة للاقتام فهو

« المطبوع ، ص ٤٣ » للذي ينسب ال ما سبق : لدينه ، وعلمه ، وسابقته ، ومكاته .
جوسيد أوصافه .

(٤٥) أبو ذكريا ، المخطوط ، ص ١٢ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٦٩ - ب
« المطبوع ، ص ٤٢ » .

(٤٦) انظر فيما سبق ، ص ٢٩٥ وحاشي ٢٤ .

(٤٧) أبو ذكريا ، كتاب السير وأخبار الأنسة ، المخطوط ، ص ٦٣ - ب ، وقارن الدرجيني ، طبقات الاباضية ، المخطوط ، ص ١٦ - ب (المطبوع ، ص ٤٢) .

(٤٨) ابن الصغير أخبار الأنسة ، ص ٩ .

(٤٩) انظر الماوردي ، الاحتكام السطانية ، طبعة القاهرة ١٩٢٧ م / ١٩٦٩ م ، فخصص في حقه الامامة ، ص ٤ ، ابن خلدون ، مقدمة ، الفصل ٢٦ في اختلاف الامة في حكم منصفه للخلافة والامامة ، ص ٦٨٨ -

العلم الذي يوصل الى مصلحة الجماعة في الدنيا ومعادتها في الآخرة (٥٠) .
 أما الشرط الثالث وهو « كونه عامل أبي الخطاب على إفريقية » ، أو أنه
 كان قاضيا له وناظرا (٥١) ، فيمثل فكرة التعيين أو الوصية التي تحولت الى
 مبدأ الوراثة ، وهذا يعني تحول الجماعة الإباضية عن مبدأ الاختيار . فعند
 أهل السنة قبل مبدأ التعيين أو الوصية على أنه حقيقة تاريخية : بعد أن عهد
 النبي لأبي بكر بإمامة الصلاة ، وبعد أن أوصى أبو بكر بخلافة عمر ، وبعد
 أن حدد عمر أهل الخلافة في ستة نفر ثم أتى معاوية وجعل العهد لابنه يزيد ،
 وبعد الأمويين طبق العباسيون أيضا مبدأ الوراثة . حدث كل ذلك مع الاحتفاظ
 بالشكليات من حيث تطبيق مبدأ الاختيار المثل في البيعة . ولقد انتهى الأمر
 باشتراط صفة الفرشية في المرشح للخلافة (٥٢) .

والمعروف أن الخوارج لم يوافقوا على مبدأ التعيين أو الوراثة ، وأنهم
 طالبوا بتطبيق مبدأ الشورى أى الانتخاب ، وألا تقتصر طبقة المرشحين على
 طائفة من الطوائف ، بل يكون الترشيح مفتوحا أمام الجميع دون أية تفرقة
 عنصرية حتى أجازوا إمامة العبد الأسود طالما يتمتع بالأهلية (٥٣) . وهذا يعني
 أن الأصل السياسي عند الخوارج هو تطبيق مبدأ الجمهورية التي تكون السلطة
 العليا فيها للشعب جميعا دون تمييز . أما المبدأ الرابع ، وهو « أنه لا قبيلة
 له تسنح إذا تغير عن طريق العدل ، فهو شرط سياسي يتنافى مع نظرية العصية
 التي تقوم عليها الدولة ، كما لاحظ ابن خلدون في انهيار وقيام الدول
 الإسلامية (٥٤) » . ومبدأ عدم استناد الإمام الى قبيلة أو عصبية يهدف الى دفع
 ما يمكن أن تتعرض له الجماعة الإباضية من الاستبداد ، كما يطبع الى تحقيق
 الامامة ، أو الحكومة الثنائية ، التي يكون العدل عصبيتها . وهذا الأمر يمثل
 مرحلة من مراحل تطور الأفكار الخارجية ، إذ سيقول بعض مفكرى الخوارج

(٥٠) مفلورى ، نفس الفصل ، ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ٢٥ (فى معنى الخلافة
 والامامة) .

(٥١) ابن الصير ، ص ٩ .

(٥٢) مفلورى ، نفس الفصل ، ابن خلدون ، الفصل ٣٦ (اختلال الأمة فى حكم منصب
 الامامة والخلافة) .

(٥٣) انظر ابن خلدون ، فصل اختلال الأمة فى حكم منصب الخلافة وشرطه . ص

١٩٤ ، الشهورستاني ، الملل والنحل ، ص ٨٧ .

(٥٤) ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ١٨ (فى أن الغاية التي تجرى اليها العصبية هي

العدل) ص ١٣٩ .

انه اذا تحقق العدل بين أفراد الجماعة فلن تكون هناك حاجة الى الامامة اى الى
الحكومة (٥٥) .

ومن الواضح أن اصحاب هذه الافكار كانوا نظريين أكثر مما يجب .
ف عندما اقام الأباضية امامتهم في تاهرت لم يستطيعوا تطبيق نظرية الانتخاب
الجمهورية في اختيار الامام ، فأصبحت امامتهم وراثية في بني رستم - مثلهم
في ذلك مثل العباسيين في المشرق والامويين في الأندلس - وهذا يعنى أنهم
لم يتمكنوا من التخلص من تأثير مبدأ الرواية الذى أصبح تاريخياً تقليدياً عند
أهل السنة أو أنهم لم يستطيعوا التخلص من أفكارهم الأولى عندما كانوا شيعة
بطالبون بان تكون الامامة وراثية في آل البيت .

حقيقة ان الجماعة الاباضية في تاهرت بدأت في الانقسام على نفسها
منذ أن خلف عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم والده في الامامة سنة ١٦٨ هـ
(٧٨٤ - ٧٨٥ م) ، عندما أنكر البعض أن يرث عبد الوهاب والده في الرئاسة .
ولهذا السبب أطلق عليهم اسم النكار أو النكارية ، بينما تمسكت الغالبية
بصحة امامة عبد الوهاب على أساس اختيار الأفضل (٥٦) ، وربما كان ذلك
صحيحاً . ولكننا سنصحح امام أسرة من الأئمة الأفاضل تورت الحكم لابنائها
الأفاضل - دون غيرهم من الناس - وربما كان ذلك شبيهاً بما عرف عند
الشيعة رغم أنه لا ينبغى على مبدأ الوصية .

اعمال عبد الرحمن بن رستم :

والحقيقة ان عبد الرحمن بن رستم كان عند حسن ظن الجماعة فيه ،
فقد أحسن السيرة وجلس في مسجده للأرملة والضعيف فلم ينقم عليه أحد
في حكومة ، ولم يكن في أيامه اختلاف (٥٧) . وفي هذا المقام يؤكد كتاب

(٥٥) الشورستاني ، الملل والنحل ، طبة ليزج ص ٦٧ . الخوارزمي ، الفصل الأول في
عقد الامامة ، ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ٢٦ (ويشير الخوارزمي وابن خلدون هنا الى ان
بعض فرق الخوارج في هذا الرأي مع الاسم لقبه المعتزلة) . وانظر أحمد بن أبي حنيفة ،
الاصناف أهل الزمان بأخبار حلوة تونس وعهد الامان تونس ١٩٦٣ ، ج ١ ص ٦ .
(٥٦) عن رسائل عبد الوهاب بن رستم انظر فيما بعد ص ٢١٥ .
(٥٧) ابن الصبح ، الصبح والخبير الاثمة ، ص ١٠ . وانظر أبو زكريا ، الصبح واخبار
اللائمة ، المغطوط ، ص ١٢ ب ، المرجعي ، الطقات المغطوط ص ١٩ - ب (المغطوط
ص ٤٢) .

الإباضية فصل عبد الرحمن وعدائته التي كانت سبباً في الاعتراف به ليس
كإمام لجماعة الإباضية في تاهرت والمغرب فقط بل وكذلك لإباضية المشرق ،
وذلك في الوقت الذي كان أبو عبيدة حياً في البصرة ، وكان لعنان أمامها
ذُ (اليها) الإباضي ، الذي يسمى عبد الوارث (٥٨) .

فَعِنْدَمَا وَصَلَتْ أَخْبَارُ عَدَلِ ابْنِ رَسْتَمِ إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ - مَرْكَزِ الْمَنْعَبِ
فِي الْعِرَاقِ - قَالَ أَهْلُ الدَّعْوَةِ : « ظَهَرَ فِي الْمَغْرِبِ أَمَامٌ مَلَأَهُ عَدْلًا وَسُوفَ يَلْتَكِ
الْمَشْرِقَ (٥٩) » ، وَجَمَعُوا ثَلَاثَةَ أَحْمَالٍ مِنْ لَمَالٍ سَبَرُوها إِلَى الْمَغْرِبِ مَعَ بَعْضِ
الرِّسْلِ ، وَطَلَبُوا مِنْهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا فِي أَمْرِهِ فَإِنْ كَانَ حَالُهُ عَلَى مَا يَلْفَهُمْ أَحْلَوْهُ
بِالْمَالِ (٦٠) . وَعِنْدَمَا وَصَلَ الرِّسْلُ إِلَى تَاهَرْتِ ، نَزَلُوا خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، فِي بَعْضِ
الْمَصْلِيَّاتِ هُنَاكَ ، حَيْثُ تَرَكَوا أَحْمَالَ الْمَالِ ثُمَّ دَخَلُوا الْمَدِينَةَ مِنْ بَابِهَا الْمَعْرُوفِ
بِبَابِ الصَّفَا ، كَمَا يَقُولُ ابْنُ الصَّقِيرِ ، وَهَمَّ يَسْأَلُونَ عَنْ دَارِ الْإِمَارَةِ (٦١) .

وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى الدَّارِ وَجَدُوا صَاحِبَهَا فِي أَعْلَى بَيْتٍ يَمَلُكُ يَبْدُ السَّقْفِ
وَعَبْدٌ لَهُ يَمْعَنُ الطَّيْنَ فِي أَسْفَلِ الدَّارِ وَيَنَاولُهُ إِيَادَهُ . وَعِنْدَمَا سَأَلُوا الْغُلَامَ إِنْ
يَسْتَأْذِنُ لَهُمْ عَلَى سَيِّدِهِ ، طَلَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى غُلَامِهِ أَنْ يَهْلِمَهُمْ بَعْضَ الْوَقْتِ
حَتَّى يَنْزِلَ وَيُغْسِلَ جَسَدَهُ مِنَ الطَّيْنِ (٦٢) .

وَعِنْدَمَا دَخَلَ الْبَصْرِيُّونَ عَلَى الْإِمَامِ وَجَدُوهُ جَالِسًا عَلَى حَصْبٍ فَوْقَهُ جِلْدٌ ،
وَلَا شَيْءَ فِي بَيْتِهِ سِوَى رِسَالَتِهِ الَّتِي يَنْسَامُ عَلَيْهَا وَسَيْفِهِ وَرُمَحِهِ وَفَرَسِهِ
الْمَرْبُوطِ خَارِجَ الْبَيْتِ (٦٣) . وَعِنْدَمَا أَمَرَ الْغُلَامُ بِأَنْ يُقَسِّمَ لَهُمْ الطَّعَامَ أَتَتْ
الْمَائِدَةُ وَعَلَيْهَا قُرْصٌ خُبْزٍ وَسَمْسٌ وَشَيْءٌ مِنْ مَلْحٍ . فَهَشِمَتْ الْقُرْصَ ، وَلَتَتْ

(٥٨) أَبُو زَكْرِيَا ، الْمَطْرُوبُ ، ص ١٤ - ١ ، وَانظُرِ الدَّرَجِيئِي ، الْمَطْرُوبُ ، ص ٢٠ - ب
(حَيْثُ النَّصُّ : وَأَبُو عَبِيدَةَ حَسْبُ وَتَوَلَّى فِي إِمَارَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . وَقَارَنُ الْمَطْرُوبُ ، ص ٤٥ -
حَيْثُ النَّصُّ : وَأَبُو عَبِيدَةَ حَسْبُ إِذْ ذَٰلِكَ وَفِي إِمَارَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) .
(٥٩) ابْنُ الصَّقِيرِ ، ص ١٠ .
(٦٠) ابْنُ الصَّقِيرِ ، ص ١٠ ، أَبُو زَكْرِيَا الْمَطْرُوبُ ، ص ١٤ - ١ ، الدَّرَجِيئِي ، الْمَطْرُوبُ ،
ص ٢٠ - ب (الْمَطْرُوبُ ، ص ٤٥) .
(٦١) ابْنُ الصَّقِيرِ ، ص ١١ (يَقُولُ عَنْ الْحَسَلِ إِيَّاهُ الَّذِي كَانَ بِهِ قَبْرٌ مَسَالَةً « حَسَالَةٌ ») .
(٦٢) ابْنُ الصَّقِيرِ ، ص ١١ ، أَبُو زَكْرِيَا ، الْمَطْرُوبُ ، ص ١٤ - ١ ، الدَّرَجِيئِي ، الْمَطْرُوبُ ،
ص ٢٠ - ب (الْمَطْرُوبُ ، ص ٤٥) .
(٦٣) ابْنُ الصَّقِيرِ ، ص ١١ .

• بالسمن وأكل الجميع (٦٤) •

وهكذا لم يختلف الامام الشعبي في حقيقته عن تلك الصورة التي صورتها أخباره لهم في المشرق ، فاجتمع رأيهم على أنهم رضوا عنه ، « فقال بعضهم لبعض يكفينا من السؤال عنه ما رأينا منه : من اصلاحه لداره بنفسه ومطعمه وملبسه وحلية بيته فما نرى الا أن تدفع اليه المال ولا نشاور أحدا فيه (٦٥) ، ونادى عبد الرحمن الناس الى الصلاة الجامعة ، وشاور أصحاب الرأي وزعماء القبائل فيما يفعل بالمال فأشاروا عليه أن يفرقه في وجوهه المشروعة ، على أن يكون الثلث لشراء الكراع ، والثلث لشراء السلاح ، والثلث لباقي الفقراء وذوي الحاجات (٦٦) ، وتم ذلك بمحضر الرسل (٦٧) . ولقد ترتب على ذلك أن قويت جماعة الاباضية في تاهرت وانتمش ففراؤها وحسنت أحوالهم .

وبذلك تحقق الأمن لتاهرت وأصبح يخافها من كان يحيط بها من القبائل . وعندئذ أخذ التاهرتيون يشرعون في العمارة والبناء ، وأحياء الأرض الموات وغرس البساتين ، بفضل أعمال الري ، من : شق القنوات وإجراء الانهار واتخاذ الارحاء عليها لطحن الغلال .

وهكذا فمتدما قرر اباضية المشرق أن يساندوا إمام أهل الدعوة الذي تحقق ظهوره في المغرب ، على أساس أنه الخليفة الحقيقي للائمة الأوائل ، مثل : أبي بلال مرداس وأبي حمزة الشاري ، كما تقول رواية ابن الصغير ، فبعتوا اليه من جديد عشرة أحمال من المال ، رفض عبد الرحمن بن رستم قبول المسال وطلب رده الى أهله ، رغم الحاج الرسل وتامل بعض وجوه أصحابه . ولقد فعل ذلك الامام عندما سأل عن أحوال اخوانه بالمشرق وعرف

(٦٤) ابن الصغير ، ص ١١ . وقارن بالدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٥) .

(٦٥) ابن الصغير ، ص ١١ . وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - أ . الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٥) .

(٦٦) ابن الصغير ، ص ١٢ . وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - أ . الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٥) . حيث النص « ولي الاسلام » بدلا من « وغيره » (السلاح) .

(٦٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - أ . الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٥) .

أهم • مستترون غير فاهرين • وأنوم • مستضعفون غير قاسرين • وأن • جماعتهم .
مثل ما بجماعة الناس من الفناء والعقره (٦٨) •

وهذا النص الأخير يبي أن عهد الرحمن بن رستم لم يكن ليكنفي من
النامية النظرية على الأقل - بما تحقق من استئلال • أهل • في تاهرت
بأعمالها ، بل كان يرمى إلى تحرير الجماعة الاباضية في المشرق من الحكم
العباسي ، وهذا لا يمنع فكرة طموح الجماعة الاباضية في نشرها في كل
دولة الخلافة • وذلك ما يشير إليه كتاب الاباضية عندما يقولون عنها في كل
• فتعجب أهل المشرق من زعمه في الدنيا ورأوا أن إمامته فرض عليهم ، واعترف
كل أباضي بإمامته ، وواصلوه بكتبهم ورسايلهم (٦٩) ، طوال مدة إمامته التي
استمرت ثماني سنوات ١٦٠ - ١٦٨ هـ / ٧٧٦ - ٧٨٤ م (٧٠) •

٣٠٥ : زيادة (الامه) تاهرت على عهد عبد الرحمن بن رستم :

وهكذا نجحت الجماعة الاباضية في المغرب الأوسط في إقامة دولة
مستقلة لها ، وأصبحت تاهرت العاصمة لها حكومتها المستقلة عن دول المغرب
المعاصرة ، وعن دولة الزايفة في المشرق • فلقد حمل عبد الرحمن بن رستم
لقب الامام أي رئيس الجماعة جريا على تقاليد الخوارج ، وهو اللقب الخلافي
ذو الصبغة الدينية بصفة ان الامام هو الذي يؤم جماعة المؤمنين في الصلاة
مما ترتب عليه أن ابن رستم حمل أيضا لقب أمير المؤمنين ، كما برى ذلك عند
كتاب الاباضية (٧١) • ورغم أن لقب أمير المؤمنين كان اللقب الخلافي للميز -

(٦٨) ابن الصير ، ص ١٣ - ١٤ • وقادون أبو زكريا ، المدخل ، ص ١٤ - ١٥ •
الدرجيسي ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب • ٢١ - أ (الملبوع ، ص ٤٥) ، السخري ، ص ١٤٠
(لأن أهل بلاده يتصنون بالمدل ، وأصحاب المسال في حاجة إلى أن يدركوا به من الله به
الملك) •
(٦٩) ابن الصير ، ص ١٥ • أبو زكريا ، المدخل ، ص ١٤ - ١٥ • (الدرجيسي ، المخطوط ،
ص ٢١ - أ (الملبوع ، ص ٤٥) •

(٧٠) المعروف أن عبد الرحمن بن رستم توفي سنة ١٦٨ هـ • وكل أساس أنه توفي
بالامامة سنة ١٦٠ هـ ، كما سبق من ٢٩١ وانظر ، مسكوي ، نسخة ابن السكيت -
(بالفرنسية) ص ٦) ، وهو التاريخ الذي رجحناه على سنة ١٦٢ هـ ، تكوّن إمامته ثمانين
سنوات •

(٧١) انظر الدرجيسي ، المخطوط ، ص ١٧ - ب : حيث يقول أن وال نظابلسن - فتمنعها
خرج إلى جماعة أبي حاتم وطلب منهم المساعدة لأمير المؤمنين والقوة وهم يتصرفون إمامهم
(والملبوع ، ص ٢٧) •

على اعتبار أن الامام هو أمير المؤمنين فإن ابن رستم لم يحتمل لقب الخليفة رغم اعتراف أهل الدعوة بأمامته في المشرق ورغم طموحه في أن يظهر وأهناك أيضا ، كما ظهر في المغرب . وإذا كان الرستميون قد حملوا لقب « الخليفة » ، فلا بأس أن يكون ذلك قد حدث بعد أن استفحلت الدولة على عهد عبد الوهاب ابن عبد الرحمن (٧٢) .

ورغم أن عبد الرحمن بن رستم قام بمهمة الامامة حسبا قضت اليمة . من : سلوك سبيل العدل من جهته والتزام الجماعة بطاعته في الحق من جانبهم . ورغم الاجماع على أنه : لم يبدل في سيرته ولم يغير وأن الجماعة لم كتمترض عليه في أمر ولم تخالفه في حكومة ، فلقد مارس ابن رستم سلطاته ممارسة ديمقراطية ، كما تقول الآن ، أي حسب أصول الشورى المتعارف عليها عند جماعة المسلمين الأوائل ، على عهد الرسول والراشدين وآثار الصالحين ؛ حقيقة انه كان يمارس وظيفة امام الصلاة والقاضي بين الناس في مسجد تاهرت ، كما كان مستعدا لقيادة المجاهدين من أهل الدعوة في كل وقت اذ كان سيفه ورمحه في متناول يديه بينما كان فرسه مربوطا الى عضادة بابيه ، فان ذلك لا يعنى أنه كان يحكم الجماعة حكما استبداديا ، وان كان صالحا . فقد كان يجتمع بالناس في مسجد المدينة عقب كل صلاة ، كما كان يشاور وجوه أهل الدعوة عقب انصراف عامة الناس في كل مناسبة . وهذا ما تنص عليه الروايات الخاصة باستقبال رسل أهل البصرة عندما ساروا اليه بأحمال المال ، في المرتين جميعا ، وان كانت نفس الروايات تشير الى أن أعيان الجماعة - من مستشارية - وان كانوا قد قدموا له المشورة في المرة الأولى ، فانهم تركوا له اتخاذ القرار النهائي في المرة الثانية عندما رفض أخذ أي شيء من المال ، وأمر برده الى أهله . وهكذا ظهر زهد الامام - الذي لم تتبدل أحواله رغم تغير أحوال أهل بلده الى ما هو أحسن - وعفائه ، وضرب لأهل بلده ولاخوانه من أهل البصرة المثل في المحافظة على سنن السلف الصالح ، وهي التي كانت تقضى بعلم خروج صدقة أهل بلد من البلدان الى أهل بلد غيره طالما كان فيهم المستحقون لها من الضعفاء والمساكين (٧٢) .

(٧٢) هنا ما قد يفهم من رواية ابن سعدون (ج ٦ ص ١٢٦) الذي يقول عن عهد الوهاب ٤٢ ول بعد أن جعل والده عبد الرحمن وأهله على ابنه سيونا بد وكان رأس الإيادية والصفرية والواصلية وانصرف الى نفوسة (نفوسة) والصفرية والواصلية . وكان يسلم عليه بالحلافة .
جوايز ليبيا بعد ، ص ٣١٤ و٣١٢ و٣١٣ .
(٧٢) انظر آثار تاليريدي ، الأحكام ، الباب ١١ في ولاية الصنفاء ط ١٩٠٩ م ص ١٠٤ .
« ولا يجوز أن تنقل زكاة بلد الى غيره الا عند علم أهل البلد فيه » .

وفي إطار هذا الحرص على تطبيق كتاب والسنة وأثار الصالحين حاول فقهاء الإباضية فيما بعد الاجتهاد في تفسير كيفية قبول عبد الرحمن بن رستم لما قدمه أهل البصرة من المال في أول مرة ، ورفضه أخذ ماحملوه إليه منه في المرة الثانية . وفي اجتهادهم هذا قالوا انه ربما عرف الامام أنه كان في احوال المال الثانية أموال أتت عن غير طريق الصدقة ، مما يمكن أن يشكك في سلامة مصدرها ، بمعنى أن ذلك كان سبب رفضها (٧٤) . بينما الرواية صريحة فيما تنسبه إلى الامام من أنه قبل الاموال في أول مرة لأن أهل تاهرت كانوا في حاجة إليها للدفاع عن انفسهم بينما كانت احوالهم قد تحسنت واستغنوا عندما أتت دفعة الاموال الثانية ، فكان غيرهم من ضعفاء اخوانهم أولى بها منهم ، وهذا ما رفع من شأن الرجل وزاد في تعظيم معاصريه له .

دولة المشاركة والمساواة :

وعن طريق العدالة في توزيع الأحوال والأرزاق حققت امامة تاهرت الرستمية على عهد عبد الرحمن ما كان يصبو اليه الكثيرون من المساواة في الحقوق والواجبات ، وخاصة ما يتعلق منها بالأموال وهي المشكلة التي فجرت الفتنة الكبرى بمقتل الحليفة عثمان بن عفان الذي يقف منه الخوارج وبضمنهم الإباضية موقفا عدائيا مرا (٧٥) .

التنظيم المالي :

وفي جمع الأموال وانفاقها يقول ابن الصقير عن عهد عبد الرحمن بن رستم : « والسيرة واحدة ، وقضاته مختارة ، وبيوت أمواله منتلثة ، وأصحاب شرطته والطائرون به قائمون فيقبضون اعشارهم في ملال كل (شهر) من أهل الشاة والبعير ٠٠٠ لا يظلمون ولا يظلمون ٠٠ فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام إلى الفقراء وبيعت الشاة والبعير ٠ فاذا صارت أموالا دفع منها إلى المسال يقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر في باقي سائر المال فاذا عرف ميلفه أمر بإحصاء من في البلد وقيماً حول البلد تم أمر بإحصاء الفقراء والمساكين ، فاذا علم عددهم أمر بإحصاء ما في الأهرام من الطعام تم أمر بجسيع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه اكسية صوقا وجبايا صوقا وفراء وزيئا تم دفع في كل أهل بيت بقدر ذلك ٠ ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبية ٠ ثم ينظر إلى

(٧٤) انظر الدررسي ، المعطوط . ص ٢١ - ١ ، الطبع ، ص ٤٦ .

(٧٥) الورس : المعطوط . ص ٤٢ ب .

ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين ، وما أشبه ذلك فيقطع لنفسه
وحشمه وقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم في سنتهم ،
ثم أن فضل صرفه في مصالح المسلمين (٧٦) -

تنظيم دولة رعاة :

من هذا النص الفريد في الموضوع ، والذي يعتبر أقدم النصوص التي
وصلتنا عن الامامة الرستمية في تاهرت ، يتضح لنا أن تنظيم امامة تاهرت
كان تنظيم دولة بدوية تعيش على الرعى أولا وقبل كل شيء ، فاهم مورد
لخزينة مال الامام عبد الرحمن هو ضريبة الأعشار ، من الشاة والبعر التي
كانت تجبي في أول كل شهر قمرى - ولما كان من المفهوم أن ضريبة الأعشار
التي تمنى العشر تمثل الزكاة أو الصدقة ، وهي الواجب المالى الوحيد الذى
يقع على عاتق المسلمين ، فالمفروض أن الضريبة المقررة كانت ربع العشر -
فى مجتمع تاهرت للتمسك بالسنة الأولى - لا تتجاوزها باى حال من الأحوال ،
وأن تسميتها بالعشر كان نوعا من التخفيف لكلمتى ربع العشر ، على ما نظن .
وكلمتى « لا يظلمون ويظلمون » تمنى التمسك بشكل لا يقبل الجدل فى تحديد
قدر الضريبة دون زيادة أو نقصان - والمفهوم أيضا من ثنايا النص أن الضريبة
لم تكن تجبى على قطعان الماشية وحدها ، بل كانت تجبى على ناتج الأرض من
الحب ، من : القمح والشعير ، الذى يعرف بالطعام ، والذى كان يصرفه عينا
بمجرد جمعه على الفقراء - وذلك أن أرزاق العمال (من جامعى الصدقات) كانت
تصرف لهم نقدا بعد بيع غنم العشر وحماله - وكانت الأوراق تصرف لهؤلاء
العمال تبعا لنوع الوظيفة التي يقوم بها كل منهم -

معاونتو الامام :

ولما جرم من ترتيب الموظفين الرئيسيين ، من عمال الامام وأعوانه ، أنهم
يتوالون على الوجه الآتى : القضاة ويمثلون الطبقة الأولى ، ويتلوهم أصحاب
الشرطة الذين يمثلون نواب القاضى ، من المحتسبين المشرفين على الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر فى الأسواق وعلى القبائل ، ويمدهم تأتي طبقة العمال من جباة
الاموال المعروفين بالطائفتين أو الطوائف - والتسمية مشتقة من طبيعة الوظيفة
التي تتمثل فى الطواف على القبائل والمدائن ومجمعات أهل الدعوة لحياة
الصدقة أو العشر -

أموال الصدقة :

وبعد توزيع الطعام ورواتب عمال الصدقة السنوية من الزكاة كان على أعوان الإمام أن يحصلوا ما تبقى في الأهرام من الطعام (الحبوب) وما تبقى من أموال الصدقة . وكانت هذه البواقي من نصيب أهل الدعوة في تاهرت وليما حولها من الضواحي والظواهر ، وكان للفقراء والمساكين نصيبهم الوافي فيها مرة أخرى ، فكان على العمال أن يحصلوا الجميع . وعندما يتم ذلك الإحصاء السكاني الدقيق كان الإمام يأمر بشراء لللابس اللازمة لفصل الشتاء ، من : الأكسية الصوف والجيايب الصوف وكذلك ملابس الغرو ، ويوزع كل ذلك على أهل كل بيت حسب حاجته وحسبما تسمح به الأموال . والنص على أن عيد الرحمن بن رستم كان « يؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه » يعني أن القاطنين في حيز تاهرت من غير أهل المذهب كان لهم نصيبهم في ذلك التوزيع الجماعي السنوي .

وهكذا كانت توزع أموال الزكاة أو الصدقة على المستحقين من الفقراء والمساكين ، وكان المشرفون على الجباية من الطائفتين لهم أجرهم من نفس المال الذي جمعوه . أما كسوة الشتاء والزيت اللازم للطعام أو لآنارة المشاعل والقناديل فكان يصرف لجميع أهل البلد من فاقص الأموال في الأهرام وفي الخزائن .

رواتب الامام وأعوانه :

أما الإمام وأعوانه من الحشم والقضاة وأصحاب الشرطة وسائر معاونيه فكانت أرزاقهم السنوية تقطع من مال الجزية وخراج الأرضين وما أشبهه . ويلهم من ذلك أنه كان من بين رعايا تاهرت أهل ذمة ، من : اليهود ، على وجه الخصوص ، والنصارى . ولا بأس من أن نضيف ، إلى ما كان يجمع منهم ، المال الذي كان يجبي من غير أهل المذهب من السنة أو من الصفرية أو الشيعة . وهو الأمر الذي نكتفي بالإشارة إليه .

وبعد ذلك كان إذا فضل من المال فضل حرفة الإمام في « مصالح المسلمين » ، في المرافق العامة : كالمساجد والمصليات ودور العلم والضيافة والجماعات ، وكذلك فيما تقوى به الجماعة من أمور الدفاع كشراء الكراخ والسبلح والخيول ، أو تحصين العاصمة وتوسيع أسوارها ، أو غير ذلك مما يصلح به شأن الجماعة .

ازدهار تاهرت على عهد عبد الرحمن بن رستم : العاصمة الإباضية سوق عالية :

وهكذا عاشت الجماعة الإباضية في تاهرت في ظل امامة عبد الرحمن ابن رستم في نظام مثالي يحقق العدالة والمساواة بين جميع أهل الدعوة . فالامام كان القدوة العلية لرعيته في الزهد والعفاف والتفاني في مصلحة الجماعة ، وعلى الجملة في حسن السيرة واقامة الحق والعدل - ولقد ظهرت العدالة في شكلها الملموس في احكام الامام المنصفة بين المتخاصمين ، واكثر من ذلك في المسألة الشائكة الخاصة بتوزيع الأموال . ولكنه لما كانت امامة تاهرت دولة رعوية ، كما رأينا ، فان ناتج دخلها الوطني ما كان يمكن أن يهيء حياة الرخاء التي يتحدث عنها ابن الصغير والتي لا تكفي بالنص على انتعاش فقرائها بل ترسم لمدينة تاهرت صورة زاهية بفضل دورها وقصورها وبساتينها وطواحينها وكثرة خيراتها - وكل ذلك على عهد الامام عبد الرحمن الذي لم يتجاوز نمائية أحوالهم ، كما قلنا .

والحقيقة أن ابن الصغير المالكي الذي عاش في تاهرت على أواخر أيام الرستميين والذي يقر بأنه لم يعرف ما سببه من الإباضية ولن يزيد أو ينقص - يشرح أسباب انتعاش التاهرتيين وازدهار المدينة بفضل أنها أصبحت تسلة الرفاق من التجار الذين أتوا من كل الامصار - ففي خلال سنوات قليلة لم يعد يزل تاهرت أحد من الغرباء الا استوطن معهم ، وابتنى بين أظهرهم ، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة امامه ، وعدله في رعيته ، وأمانه على نفسه وماله . وبصرف النظر عما يقوله ابن الصغير من أن ما طرأ على المدينة قد حدث خلال السنوات القليلة التي ولي أمرها عبد الرحمن بن رستم ، فمن المقبول أنه مع مرور الوقت ، وعلى عهد خلفاء عبد الرحمن ، صارت تاهرت مدينة عالمية ، كما تقول الآن : « حتى لا ترى دارا الا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري ، وهذه لفلان القروي . وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين » (٧٧) ، مما يعني أن رواد تاهرت الأوائل كانوا من أهل العراق الحديدي حيث مركز الدعوة الأول ، ومن قيروان افريقية حيث نشأ أقطاب الدعوة الأرائل وجاهدوا في سبيل إقامة المذهب .

وتنص رواية ابن السفر هذه على أن تاهرت دانت بتحضرها هذا الى ازدهار تجاراتها بعد أن أصبحت سوقا دولية « فاستعملت السبل الى بلد

السودان ، والى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة ، ضروب الامتعة ،
 فاقاموا على ذلك (سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر) والعمارة زائفة والناس
 والتجار من كل الاقطار تاجرون (٧٨) . ويفسر الشماشي ذلك فيقول ان التجار
 ساروا الى تاهرت بتجانسهم وأموالهم من مصر وأفريقية والمغرب (٧٩) . ولا ندرى
 ان كان الاندلسيون الذين كان لهم نشاطهم في بدء الحركة الخارجية في المغرب
 قد ساهموا في ازدهار مدينة تاهرت في ذلك الوقت ؟ وذلك ان البكري يذكر
 انه كان من بين أبواب تاهرت الأربعة الأولى باب يسمى باب الاندلس (٨٠)
 مما يعني وجود طائفة من الاندلسيين في المدينة حتى نسب اليهم ذلك الباب ؛
 وإذا صححت رواية ابن الصغير من أن باب الصفا الذي يذكره البكري كان
 من أبواب المدينة على عهد عبد الرحمن بن رستم فلا بأس من أن يكون باب
 الاندلس هو الآخر من أبواب المدينة الأولى ، وهذا يعني أن الاندلسيين ساهموا
 في بناء المدينة ، وفي إقامة مجتمع تاهرت الأول (٨١) . وهو الأمر الذي
 يؤكد عدد من كبار المشايخ من أصحاب عبد الرحمن من الاندلسيين . كما
 سنرى حالا .

والهم من كل ذلك أن تاهرت بدأت ترقى وتزدهر منذ أيام عبد الرحمن ،
 وإن التجارة - وخاصة تجارة بلاد السودان حيث الذهب - كانت من الأسباب
 الرئيسية التي احتذبت الباحثين عن الربح من المشرق والمغرب والاندلس .
 ولا شك أن طبيعة التنظيم الأباضي الذي لا يقبل جباية الضرائب على المتاجر ،
 على اعتبار أنها من المغارم ، كان من الأسباب الإضافية التي شجعت التجار
 على ارتياد تاهرت ، إلى جانب ما ساد المدينة من الأمن واجتماع الكلمة وحسن
 سيره الامام عبد الرحمن الذي تولى في سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م ، تاركاً لكبار
 أصحابه اختيار خلف له على سنة السلف من الراشدين .

امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : (١٦٨ هـ - ١٩٨ هـ / ٧٨٤ -
 ٨١٤ م)

هكذا نجح عبد الرحمن بن رستم في توطيد اركان الامامة الاباضية

(٧٨) ابن الصغير ، ص ١٢ - ١٣ .
 (٧٩) السير ، ص ١٥٨ .
 (٨٠) الكرى ، ص ٦٨ .
 (٨١) ابن الصغير ، ص ١١ (عن باب الصفا) ، وانظر في بناء المدينة ، فياصبيق ،
 ص ٢٩٣ وما ١٨ .

في تاهرت ، بفضل عدلته وحسن سيرته الى أن توفي سنة ١٦٨ هـ / ٨٤ - ٧٨٥ م ، وأصبح الشموذج الصحيح للامام الاباضي ، ولم يكن من الغريب أن يستفيد ابنه عبد الوهاب من سمعته الطيبة ، وأن يفوز على منافسيه ويتولى الامامة . وابن الصغير الذي يمثل أقدم وثيقة وصلتنا عن اباضية تاهرت يقول فعلا أنه لما مات عبد الرحمن بن رستم قامت الاباضية وعقدت الامامة لابنه عبد الوهاب (٨٢) ، و من المتأخرين من الاباضية أرادوا للامام عبد الرحمن أن يسير على نهج عمر بن الخطاب . فعندما مرض عبد الرحمن مرضه الذي مات فيه ، جعل الأمر شورى في ستة نفر من كبار أصحابه وسابعهم ابنه عند الوهاب (٨٢) ، وهم : مسعود الأندلسي ، أبو قدامة يزيد بن قندين اليفرنى ، عمران بن مروان الأندلسي ، أبو الموفق سعدوس بن عطية ، شكر ابن صالح الكتامي ، مصعب بن سلمان ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم . كما انتهى أمر السبعة هنا بعد جدل ومناجاة طالت الى شهر عند أبي زكريا وزادت الى شهرين عند الدرجيني بعده ، وانتهت ازاء حفظ الطاعة ، الى المفاضلة بين اثنتين هما : مسعود الأندلسي ، وعبد الوهاب بن رستم . وكادت كفة مسعود ترجح - كما تقول الرواية الاباضية - ولكنه عندما علم بميل الجماعة الى سايسته اختفى زهدا في الولاية (٨٤) ، ولو أنه ظهر وكان أول المبايعين عندما تم الأمر لعبد الوهاب . والظاهر أنه الى جانب ما اقصفت به عبد الوهاب من العلم والشجاعة والتقوى واللين (٨٥) ، كان للعصية دورها في اختياره : اذ أن الزهيم اليفرنى أبو قدامة يزيد بن قندين لما أيقن أنه لن يصل الى الامامة مال الى عبد الوهاب لصلة الرحم لأن أمه يفرنية من بنى يفرن مثله ، وأنه رجاً من وراء ذلك أن يؤثرهم في الأمر (٨٦) .

(٨٢) ابن الصغير ، ص ١٦

(٨٣) الظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ ، ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ - أ (المطبوع ، ص ٤٦) ، وقاوي الساسي ، ص ١٤٥ . أما ما يورده الكرى ص ٦٧ : ٦٨ ، وكذلك ابن عذارى ، (ج ١ ص ١٦٧) من أسنة الرستمي ، فهو مختضب ، كما أنه مختلط في سطر الأحيان . فبينما يجعل الكرى تاهرت لميون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بمعنى تقديم عبد الوهاب على عبد الرحمن ، يجعل ابن عذارى الامامة عند عبد الرحمن لابنه عند الوارت وليس عبد الوهاب .

(٨٤) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ - أ

(المطبوع ، ص ٤٦) ، الساسي ، ص ١٤٤ .

(٨٥) الساسي ، ص ١٤٤ .

(٨٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ - ب

(المطبوع ، ص ٤٧) ، الساسي ، ص ١٤٥ .

ابن فندين ، زعيم بني يفرن ، يطالب بمجلس للشورى :

والهم من كل ذلك أن عبد الوهاب استفاد من رشيد والده الضخم ، في : الزهد والعدالة وحسن السيرة ، ونجح في أنتزاع ائمة الإباضية من كبار منافسيه ، من رؤساء القبائل وشيوخ المذهب ، بعد جدل استمر حوالي الشهر أو أكثر . وكان من الطيبى أن يطالب هؤلاء الشيوخ بأن يكون لهم رأى في ائمة شؤون الدولة ، كما كان قد عودهم الامام عبد الرحمن ، بصفتهم أهل الشورى أو أهل الحل والعقد ، كما هو الحال عند السنة ، وأن يكون على رأس المطالبين بذلك يزيد بن فندين زعيم بني يفرن ، وهى القبيلة المغربية (البربرية) القوية التى صاهرها عبد الرحمن ، فكانوا سنداً له ، وخاصة بعد أن صاروا أخوال عبد الوهاب ، والظاهر أن ابن فندين نادى بائمة مجلس استشارى من الزعماء يعاون الامام في الحكم وذلك أثناء مداوات مجمع المشايخ الذين تفاقلوا عن مطلبه ، ولو أن مسعودا الأندلسى كان ضد تقييد الامام بشرط من الشروط (٨٧) .

ائمة قوية على عهد عبد الوهاب :

وسارت الأمور على ما يرام على عهد الامام الرسمى الثانى عبد الوهاب ، فقويت ائمة تاهرت حتى قال ابن الصغير : انه « اجتمع له (عبد الوهاب) من أمر الاباضية وغيرهم مالم يجتمع للاباضية قبله ، ودان له مالم يدن لغيره ، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لاحد قبله » (٨٨) . ويضيف صاحب أخبار الأئمة الرستميين مما حكاه له مشايخ الاباضية : « أنه بلغت سمته (قوته) الى أن حاصر مدينة طرابلس وملك المغرب بأسره الى مدينة يقال لها تلمسان ، فلم يزل كذلك وعلى ذلك ، وأمور الناس مجتمعة ... الى

(٨٧) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ب ، ص ١٥ - ا : حيث يقول ان ابن فندين اشترط الا يقضى عبد الوهاب أمرا دون جماعة معلومة ، وان مسعودا الأندلسى رفض هذا الشرط . وقارن الدرجهين (المخطوط ، ص ٢١ - ب والمطبوع ، ص ٤٧) الذى يقول ان يزيد بن فندين رفض البيعة ما لم يستجب لشرطه وأن الامام عبد الوهاب هون من أمر ما يخته سبباً ما بهما من السبب ، وان مسعودا الأندلسى قال : لا تعلم لى الامانة شرط غير السبل بالكتاب والسنة وآثار الصالحين ، وان جماعة المتعصبين وافقوا وتركوا الشرط .
ومذلك تمت البيعة وحصل عبد الوهاب الى دار الإمارة .

(٨٨) أخبار الأئمة ص ١٦ .

ان حدثت الفرقة « (٨٩) » -

وحصار عبدة الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم لمديه طرابلس ، الذي انتهى بعد وفاة ابراهيم بن الأعلب سنة ١٩٦هـ / ٨١٢ م بالاتفاق بين ولي العهد الاغلبى عبد الله بن ابراهيم الذي حلف والده وبين امام تاهرت على أن تظل المدينة واقاليمها الساحلية تحت حكم الاغالبة ، وأن تصير الاقاليم الظاهرية الأخرى الى حكم عبد الوهاب معروف لنا (٩٠) - والقصد من الاشارة اليه عند كتاب الاباضية هو النص على أن الملكة الرستمية كانت تمتد غربا الى طرابلس ، وفي اطار هذا المعنى يريد ابن الصغير ، بإشارته الى ملك المغرب بأسره الى تلمسان ، النص على أن امامة تاهرت نشرت سلطاتها على كل المغرب الأوسط الذي تعتبر مدينة تلمسان حده الغربي حيث تبدأ ورامها حدود المغرب الأقصى . ورغم أن اشارته « الى مدينة يقال لها تلمسان » تعني انه لم تكن لديه فكرة واضحة عن عاصمة المغرب الأوسط الغربية التي ستكون كما سرى ، مجال صراع بين الرستميين وبين الأدارسة الذي سيستولون عليها (٩١) ، فانهم أن انتشار سلطان عبد الوهاب من طرابلس الى تلمسان هو الذي دعا ابن حلدون الى القول أنه « كان يسلم عليه بالخلافة » (٩٢) ، الأمر الذي يسميه ابن الصغير : الانتقال من حال « الامامة الى حال الملك » (٩٣) .

وهكذا تستمر امامة عبد الوهاب من سنة ١٦٨ هـ حينما بويج والي سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢ م حينما انهي حصاره لطرابلس بمعاونة هوازة وزناته ونفوسه ، أي لمدة حوالي ثلاثين عاما ، لا مدنا خلالها حوليات أفريقية والمغرب التاريخية بمعلومات عن النشاطات السياسية والعسكرية للدولة الرستمية . أما كتاب الأباضية : من أبي زكريا ومن نقل عنه مثل الدرجيني والوسيانى وأخيرا الشماخي - ودون استثناء ابن الصغير المالكي رغم اشاراته التاريخية - فانهم لا يمدوننا بغير المعلومات ذات الطبيعة المنقبة الا فيما يتعلق بالانقسامات

-
- (٨٩) ابن الصغير - ص ١٧ . ودار أبو زكريا . المطبوع . ص ١٥ - ١ : الذي لا يتبع الا الى مجتمع تاهرت ، فيقول : « ولم يبق عليه أمره أحد من سكرته ولا في حصونه حتى يحم من فديين وأصحبه » وهو النص الذي تكلم الدرسي عنه المطبوع ، ص ٢١ - (المطبوع . ص ٢٧) -
 (٩٠) انظر فيما سبق ص ٤٠ -
 (٩١) انظر فيما بعد ص ٤٤٤ -
 (٩٢) انظر فيما سبق ، ص ٢٠٦ وما ٧٢ -
 (٩٣) انظر فيما بعد ، ص ٢٢٦ وما ١٢١ -

المنهنية التي عرفتها جماعة أهل الدعوة . وفي هذه اندائرة الضيقة بكتنى ابن الصغير ، كما أشرنا ، بتلخيص الأعمال السياسية الخارجية لعبد الوهاب : حصار طرابلس وبسط سلطانه الى تلمسان ثم يشير الى افتراق الاباضية بعد ذلك ، أى بعد سنة ١٩٧ هـ / ٨١٣ م . أما أبو زكريا فيلخص فترة الثلاثين سنة السابقة على الانقسام من عهد عبد الوهاب بقوله : « ولم ينعم عليه فى أمره أحد فى حكومة ولا خصومة حتى نجم ابن فندين وأصحابه » (١٤) .

الفئة بين الاباضية المغرب :

الانشقاق الأول : التكار (أو التكاوية) :

كان من الطبيعي وقد ثبت عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم طوال هذه الفترة الطويلة وتؤكد سلطانه شرقا فى جبل نفوسة وأحوال طرابلس وغربا حتى أحواز تلمسان أن يزداد استنثاره بالأمور مع تضخم ملكه . وكان من الطبيعي أيضا ألا يرضى المعارضون لمبدأ استناد الامام بالسلطة ، وعلى رأسهم يزيد بن فندين - صاحب هذا الشرط - وأن ينازعوا عبد الوهاب فى أن يكون له السلطان المطلق . ومن هنا ارتفعت أصواتهم تطالبه بالقطع أمرا دون مشورة . وكان رد عبد الوهاب ومسانديه منذ البداية ، مثل ابن مسعود الأندلسي - كما رأينا - : أنه لا شرط للامامة إلا الحكم بالكتاب والسنة وآثار الصالحين قبله . ولم يقف الاختلاف الفقهي الدستوري - فى الدولة التي اتسعت وازدادت رفاهيتها وانتشر العلم بين أبنائها - عند المطالبة بالمشاركة فى ادارة شئون البلاد وعدم الاستبداد بالأمور ، بل انه اتسع عندما أثار المعارضون مسألة نظرية جديدة سبق لأهل المشرق ، من المعركين ، الكلام فيها ، وهى : مسألة شرط العلم عند الامام ، وهل يجوز أن يبقى الامام فى السلطة اذا ما ظهر بين أفراد الجماعة من هو أعلم منه ؟ وعن هذا الطريق شككوا فى صحة استمرار عبد الوهاب فى الامامة (١٥) . والحقيقة انه اذا كان الامام الأول عبد الرحمن بن رستم قد عرف بأنه امام دفاع أى رجل حرب يجلس ، كما رأينا ، وسيفه ورمحه قرب يده وفرسه غير بعيد من بابه ، وأنه لم يكن له كتاب معروف من تأليفه ، كما يقول ابن الصغير ، فإن عبد الوهاب كان له كتاب معروف بمسائل نفوسة الجبل ، لأن نفوسة كتبت اليه مسائل

(١٤) أنظر فيما سبق ، ص ٢١٤ وما ٨٩ .

(١٥) التلخيص ، ص ١٤٦ .

اشكلت عليها ، وهذا الكتاب اطلع عليه ابن الصغير بنفسه (٩٦) .

دور سدراته ومزاةة في الخلاف :

هذا عن النظر الى مسألة المعارضة من الناحية النظرية الصرفة التي اعطاما ايها المتأخرون من الاباضية . اما عن واقع الحال ، كما يظهر عند ابن الصغير المالكي التاهرتي الذي حافظ على ماسعه من ابناء بلدته من الاباضية ، فيدل على أن المسألة كانت سياسة وانه شارك فيها قبائل الاباضية المغربية (البربرية) من سائر بوادي المغرب الأوسط . فقد جرت العادة على أن ترحل قبائل مزاةة وسدراتة في فصل الربيع من بواديهم الجنوبية نحو تاهرت وأحوازها طلبا للنجعة لشيانهم وبصرهم ، وبينما كانت قطمان الماشية ترعى الكلا في حراسة الرعاة من ابناء القبائل ومن العبيد كان رؤسائهم ووجوههم يترددون على المدينة حيث يكرمهم مشايخها ويحسون اليهم . ويشير ابن الصغير الى أنه في « سنة الفرقة » كان الربيع طيبا ، وأن المزاتيين والسدراتيين انتجسوا أكمل انتجاع انتجموه قتل (٩٧) ، مما يمتنى طول المدة التي قضوها حول تاهرت في ذلك الموسم . والظاهر أن طول مدة النجعة كانت كافية لتجاذب أطراف الحديث بين المعارضين من التاهرتيين : من يكتفى ابن الصغير بالإشارة اليهم دون تسميتهم بينما يجعلهم ابو ذكريا ومن نقل عنه ، على وجه التحديد : يزيد بن فندين وأصحابه ، وهم الذين كانت قلوبهم قد تغيرت على الامام عبد الوهاب ، فعادوا يطالبون بشرط مشاركة الجماعة المطلومة في ادارة الأمور ، وأخذوا يشيعون أن الامام حاجي عليهم بعض الناس فعهد اليهم بالولايات دونهم . وتضيف الرواية أن دعوة المعارضة التي قالت تارة : نحن ولينا ، وتارة : كيف يلينا وقينا اعلم منه ، وتارة : انما كانت ولايته على شرط ، لقيت آذانا صاغية من طوائف من العباس من تصفهم بالجهال والطفام حتى إنتشر الخلاف (٩٨) .

في هذا الجو المكفهر استمع الضيوف من المزاتيين والسدراتيين الى ما أسره اليهم مضيفوهم من المعارضين الذين قالوا لهم ، حسب رواية ابن الصغير : « أن الأمور قد تغيرت ، والأحوال قد تبدلت : قاضينا جائر ،

(٩٦) أخبار الأئمة الفرستيين ، ص ١٧ .

(٩٧) أخبار الأئمة ، ص ١٧ .

(٩٨) أبو ذكريا ، المخطوط ، حتى ١٥ - ١ الدرعيي ، المخطوط ، ص ٢٢ - ١

(المطلع ، ص ٢٨) .

صاحب بيت مالنا خاتن ، وصاحب شرطتنا فاسن ، وأمامنا لا يفيرن من ذلك شينا . وقد جاء الله بكم ، فادخلوا الى هذا الامام واسألوه عن قاصيه ، صاحب بيت مالنا وصاحب شرطتنا ، وأن يولي علينا حيارنا ، فأجابوهم (١٩) .

ورغم ما يقوله كتاب الإباضية من أن سياسة الامام عبد الوهاب فيما يتعلق باستخدام العمال والاعوان تتلخص في : رغبته في أهل الخير ، واستعمال أهل العلم والبصيرة والدين ، وخاصة ممن ليست لهم رغبة في الولاية (١) ، فان رواية ابن الصغير ، فيما يتعلق بالحوار الذي دار بين المرأتين والسدرائين وبين الامام عبد الوهاب بهذا الصدد ، مقبولة - حسب تقاليد أهل ذلك العصر - ان لم نقل معقولة . فوجوه زناة عندما فاتحوا عبد الوهاب في أمر عماله الذين أثاروا المعارضين ، أجابهم قائلاً : « جزاكم الله من وفد حيرا ، فقد تم من الإسلام ما يفتقده من كان مثلكم . الأمر اليكم . قدموا من رأيتم وأخروا من رأيتم » ، فدعوا له واثروا عليه .

وعندما انصرف المرأتين أخبر الامام وجوه رجاله بما حدث من كلام المرأتين وجوابه عليهم ، فلم يوافقوه على ما فعل : على أساس أن ذلك يسئ إليه ، كما يسئ الى اخوانه ورجالهم . وافتوا نظرة الى أن رضوخه لمطالب المرأتين سيجرئهم عليه وعلى أولاده فيما بعد ، وأن الأمر قد يصل في سلسلة مطالبهم التي قد تتوالى الى حد مطالبتهم بخلعه ، عندما يقولون له : « ان المسلمين في ابتداء أمرك لم يجتمعوا عليك فانخلع واردد اليهم أمرهم ، فان اجتمعوا عليك جملة ، فزت بخطك وكان ذلك زيادة لك في شرك (١.١) » .

وانتهت المداوات بين الامام وبين مستشاريه الى تعديل وعده للمرأتين بأن يطلب اليهم استشارة اخوانهم في المسألة ، كما سيستشير هو الآخر اخوانه ، وأنه يجب أن يكون حلع من يخلعونه وتقديم من يقدمونه في حضور الجميع ، على أن يستدعى عبد الوهاب وجوه رجاله هؤلاء اذا ما وافق المرأتين على ذلك .

(١٩) ابن الصغير ص ١٨ .

(١٠٠) أبو زكريا ، المخطوط . ص ١٥ - ١٠ ، الدرر جيني ، المخطوط . ص ٦٢ - ٦١ .

(١٠١) المخطوط . ص ٤٨ . الشماخي ص ١٤٨ .

(١٠٢) ابن الصغير ص ١٨ - ١٦ .

وعندما حضر الزائليون لستدعي عبد الوهاب مستشاريه الدين شكروهم على حسن صنيعهم ، ولكنهم لفتوا نظرهم الى المبدأ الثابتي الذي يعنى بانه : « لا يجب عزل قاض ولا صاحب بيت مال الا بجرحة يظهر عليه ، ولا يجب عزل القضاة بيى البغاة وسعى السماة » . ورغم أن جماعة مشايخ البدو المراتية أخذت بهذا للطلق الذي لم تمتد عليه ، فانهم قالوا : « ما هكذا كان عقدا مع الامام بالأمس ، ما هذا الا رأى حدث أو أمر أبرم » (١٠٢) . وكان من الطبيعي أن يعتبروا ذلك اخلايا بالوعد من جانب عبد الوهاب ، وأن يجرجوا من مجلسه قاضيين . ويدلك يكون الاختلاف فد واد بين جماعة الاباضية ، إذ انضمت قبائل مزاقة وسدراتة الى جانب المعارضين من أصحاب ابن فندين .

تجمع المعارضين والمطالية بمحاكمة عيد الوهاب :

وتجمع المعارضون لعبد الوهاب من أهل تاهرت وخاصة من اليفرنيين أنصار ابن فندين ، ومن القبائل الوافة الى بوادي العاصمة الاباضية ، في موضع جبلي في ظاهر المدينة عرف عند الاباضية بـ « كدية النكار » (١٠٢) ، نسبة الى النكار أو السكارية ، وهو الاسم الذي أعطى للمخالفين على عبد الوهاب لأنهم أنكروا امامه ، كما ساهم خصومهم أيضا بالنكات لكنتم بيعة الامام (١٠٤) - وتم نوع من الحلف بين النكار على انهم لا يدخلون القرب (أي تاهرت) « أو يعرف ما سألوا عمره ، ويحاكموا عبد الوهاب ومس معه » (١٠٥) . وكان من الطبيعي ، أن تبدأ المناوشات الحربية بين النكار وبين عيد الوهاب وأنصاره من أهل تاهرت ، طالما ان المفاوضات بين الجانبين انتهت الى عدم الاتفاق .

ورغم ما يقوله ابن الصغير من أن عيد الوهاب قضى على خصومه بسهولة يمدان أعدوهم وأنذرهم (١٠٦) ، فان ابا زكريا ومن نقل عنه من كتاب الاباضية لا يريدون للامام أن يكون متسرعا في قتال خصومه ، اخوة الأمس ، قبل أن

(١٠٢) ابن الصغير ، ص ١٩ .

(١٠٣) ابن الصغير ، ص ١٩ .

(١٠٤) الشاشي ، ص ١٤٨ ، ابن الصغير ، ص ٧٩ .

(١٠٥) ابن الصغير ، ص ١٩ - ٢٠ والقراءة في النص لا يدخلوا العرب بل من العرب

لكني تمنى أن مساهم كانت في شرهما .

(١٠٦) أخبار الأئمة الرستخيين ، ص ٢٠ .

يستنفد كل الأساليب القانونية المتعارف عليها ، وليس الاعتذار والاعتذار فقط .

فلقد عرض عبد الوهاب على خصومه أصحاب ابن فدين أن يضعوا أوزار الحرب حتى يستشيروا اخوانهم في المشرق فيما أثير من مسألتى : شرط الحكم بمشورة جماعة معلومة ، وجواز امامة من يوجد أعلم منه . وفي هذه المرة لم يكن الاخوة الذين طلبت مشورتهم في البصرة ، كما كان الحال قبل ذلك ، بل في مصر وفي مكة : مما يعنى أن مركز النقل الخارجي الاباضي ، من الناحية النظرية أو الايديولوجية ، كما يقال الآن ، كان قد انتقل من العراق الى مصر والحجاز ، وهو الأمر الذي يسترعى الانتباه ، اذ يعنى انحسار المدارس الفكرية الخارجية من مركز الخلافة ، جنوبا نحو الجزيرة العربية ، وغربا نحو مصر .

وتم الاتفاق على ارسال رسولين لقياء في مصر : شعيب بن المرف وشيعته ومتهم شخص يعرف بأبي المتوكل (١٠٢) ، وفي مكة التقيا بأبي عمر والربيع بن حبيب وأبي غسان مخلد بن المرعد الفسائي (١٠٨) . ولقد أجاب زعماء أهل الدعوة في مكة ببطلان الشرط وجواز امامة العالم اذا وجد من هو أعلم منه ، وأن الامامة لا تبطل الا بحدث في الاسلام بعد الاعتذار والاعتذار من جانب الجماعة ، والاصرار والاستكبار من امامهم (١٠٩) ، أما شعيب بن المرف

(١٠٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٥ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب (المخطوط ، ص ٤٩ - حيث : شعيب بن المرفوف بدلا من بن المرف) .
(١٠٨) أبو زكريا ، ص ١٥ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب (المخطوط ، ص ٤٩) .

(١٠٩) انظر أبو زكريا ، السير واخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٥ - ب ، ص ١٦ - أ حيث يورد نص كتاب أهل المشرق على الوجه التالي : « سم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، يا اخواننا قد بلغنا ما كان قبلكم ولهمنا ما كتبتموا (كاتبتموا) به من أمر الشرط ، وليس من سيرة المسلمين أن يحملوا الشرط في الامامة : فن لا يقضى أمرنا دون جماعة معلومة ، فالامامة صحيحة والشرط باطل ، فلو صنع بالامامة شرط لما قام شرع ولا القيم له حد . ولما طلعت العمود وطلعت الاسكام وضاع الحق - والجماعة يقتلوا اتفاقا على أن الامام ان قسم اليه سائق فلا يصيب ان يقيم عليه الحد ليقطع يده حتى تحضر الجماعة ، ولا يجاهد الامام صوا ولا يتها من فساد الا بضرورة الجماعة المعلومة فالامامة صحيحة والشرط باطل . وما ذكرتم من قولية رجل وفي جماعة المسلمين من هو أعلم منه لذلك جائز (جائز) اذا كان في الكفاية والفضل منزلة حسنة ، وقد روى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وزيد بن ثابت رضي الله عنه . وروى بن أبي طالب رضي الله عنه . ومعاذ بن جبل رضي الله عنه . وأحمد بن حنبل رضي الله عنه . وهذا ما ليس =

رواس الجماعة في مصر ، فإنه قرر المسير الى تاهرت (١١٠) للنظر في امسالة
على مسرح الاحداث ، كما يتال ، أو ينظر شاهد العيان .

والحقيقة انه لا بأس في أن يكون أهل الدعوة في مصر قد دأبوا أن
رأى المعارضين للامام عبد الوهاب . فهذا ما يمكن أن يذهب من رواية أبي
ذكرى التي تقول ان شعيبا عزم على للسير الى تاهرت فخرج في نفر من
أصحابه بغير مشورة من مشايخ مصر طمعا في الامارة . وقد كان بها جماعة
المسلمين : مشايخ ذوو فضل وعلم وورع ، وقد نهوا بعضهم عن الخروج ان
تاهرت ، فقالوا له : تقدم الى بلد اختلف أهلها ولم يشتغل (بكلامهم)
واستعمل هو وأصحابه طمعا في الامارة ، فمضوا مستعجلين حتى أنصوا
رواسليم فصاروا يسوقونها سوقا ، وحكي عنهم أنهم وصلوا من مصر الى
تاهرت في عشرين يوما (١١١) . ورغم ما تقوله الرواية من أن شعيب دخل

« فيه خلاف لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . أعرصكم زيد وأقصاكم علي وأعلم أمتي
بالآل والحرام مهاد بن حنبل ، وقول صلى الله عليه وسلم : مهاد بن جيل سيد العلماء ،
هو ابن سيحتر هذا يوم القيامة (القبلة) تمام العلماء بنتمه . » ويضيف أبو ذكرى بعد ذلك
اسم رداوي الأيوبي باتيات ولاية عبد الوهاب وذكروا ان الامامة لا تبطل الا بحدث في الاسلام .
وقال الدررسي (المخطوط ، ص ٢٢ ب ، والمطبوع ، ص ٤٩ - ٥٠) ان الذي ينقل الخبر
ويضيف بعد البسلة والتصلية والسدية (فقد اصل بنا ما وقع قبلكم وما كتبتم فيه . فاما
ما ذكرتموه من أمر للشريف . . . أن يجعلوا في الامامة شرطا أن لا يقطع الامام . . . الامانة
صحيحة . . . في الامامة الشرط . . . ولطقت الحدود والأحكام . . . بعد اتفاقهم . . . فلا يمكن
أن يقيم عليه الحق فيقطع . . . أو زنا أحد علم يرحم أو يعهد حتى تحضر الجماعة . . .
يحايد . . . ولا يهوى عن حكر الا بحصر الجماعة فيكونوا كلهم اذا اماما وكلهم للامام بعد
ابطال الامامة وتتمه غير الاستقامة ، وروى الامامة به في السؤال عن هذا في . واما ما
ذكرتم من تولية . . . جائز اذا كان مستكفلا لشرط الامامة ، وكان من أهل الفضل والدين
والعمال والسياسة والمرلة الرسمية ، فقد ولي أبو بكر . . . وأظن الصماخي ، ص ١٤٨ .
وقالون للمودعي ، باب عقد الامامة ، ص ٥ (قال كمن لأهل الاختيار واحد هو أفضل الجماعة
ليأبوه على الامامة وجدت بعده من هو أفضل منه أتعلقت بيمينهم امامة الأول ، ولم يجز
المدول عنه الى من هو أفضل منه) . ويشمل هذا قال الزيدية من فرق الشيعة المتمزلة ،
شريطة أن يكون الأئمة من اولاد فاطمة بطبيعة الحال (أنظر الشهورستاني - الملل والنحل ،
ص ١١٥) . وقارن ابن خلكان (مطبوع الدين ، ج ٢ ص ٢٢٥) الذي يقول ان الامام زيد
« من علي بن الحسين » كان يجوز امامة المفضول مع قيام الأفضل للمصلحة . »
(١١٠) أبو ذكرى ، المخطوط ، ص ٦٥ ب ، الدررسي ، المخطوط ، ص ٢٢ - ٢٣
(المطبوع ، ص ٥٠) .
(١١١) السير وأشيا الأئمة ، المخطوط ، ص ١٦ - ١٧ (انشاء الايل يسمى أهلها من كثرة
السير - أنظر لسان العرب ، الملل نسا ، ج ٢٠ ص ٢٠٢ - ٢٠٤) .

على الامام عبد الوهاب وما كان يمكنه الا أن يفعل ذلك ، وأنه أقتناه بنفسه فتوى أهل مكة التي وصلت فيما بعد بضعة امامته ، إلا أن ظلمهم هو أنه اقبض على جانب يريد من فئتين وأصحابه ، فكان يناجيهم ويؤازرهم .

تسميات جديدة للتكفير :

وعن هذا الطريق اكتسب التكفير تسميات جديدة عند خصومهم اتباع عبد الوهاب ، منها : التجوية ، والشعبيية الذين عرفوا بالشعبية والملحاة ، والنكائة (١١٢) .

علاقة المعارضين بأهل تاهرت الذين عرفوا بالوهبية :

ومع أن المعارضين لعبد الوهاب من التكايرية كانوا يعيشون خارج تاهرت إلا أنهم كانوا يدخلون المدينة جماعات حيث احتفظوا بمساكنهم القديمة ، مما أثار حشية أعوان الامم الذين طلبوا منه أن يمنعهم من ذلك . وتشير رواية أبي ركريا إلى أن عبد الوهاب عندما كلمهم في الخروج نهائيا من المدينة لم يهتموا كثير بكلامه إذ قالوا له : « هذه مدينتنا وتلك منازلنا » . وسألوه عما إذا كانوا قد اقتصروا جرما يستحقون عليه الخروج . ومع ان الامام تركهم سحرون المدينة ويخرجون منها . فالظاهر أن العلاقات سادت بين التكايرية وبين تاهرات عند الوهاب الذين صاروا يعرفون عند الكتاب باسم الوهبيه نسبة إليه (١١٢) .

(١١٢) انظر أبو ركريا والمخطوط . ١٦ . ١ - ١٦ - ب) حيث يشرح الحجة ، لانهم صاروا يجتمعون ويتناجون . أما الشعبية فهي هي الص في شكل « الشعبية لانها لم هي الاسلام السلب » . والظاهر أن هذا تحريف مقصود من جانب الوهبية لتبريح خصومهم بتسيهم الى الشعب ، بينما المفهوم من سياق الرواية أن المقصود هو شعيب المصري والنسبة اليه الشعبية . وأما الملحاة : فلانهم « الحدوا في أسماء الله لقره تعالى : الذين يلحدون في أسمائه سجون ما كانوا يعملون » والمقصود بذلك هي مسألة تقي الصلوات عند المنزلة . أما النكائة : « فلنكنتم بيعة الامام يفرح حدث » . وانظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب . ٢٣ - ا (المطبوع ، ص ٥٠ - ٥١) .

ملاحظا بأس من الاشارة الى أن الدرجيني يشير فيما بعد (المطبوع ، ص ١٦٦) إلى أن «التكايرية من الخصوم الوهبية قبلوا صفة « التكفير » على أنها تشمل للخروج جيبا لا يمس نسبة ان التكفير حكم الحكيم يصفون . فكان هذه النسبة تعادل اصطلاح « الشعبية » الذين كانوا : لاسمك الاقرب .

(١١٢) انظر ابن الصديق (ص ١٦) الذي يصرح على الفرق الابدية على وجه الوهبية على : تكفير . ووهبية . ولكننا يشير الى انه لا يعرف اسم الوهبية . بينما يعرف باسم « الوهبي » .

تأزم الموقف بين الفريقين :

وانتهى الأمر الى تأزم الموقف بين الجماعتين عندما اعتاد النكار على دخول تاهرت وهم يحملون السلاح ، فحمل أهل المدينة بدورهم السلاح بأمر عبد الوهاب خشية الغدر . ولقد تحقق غدر النكار في مغامرة قصصية قاموا بها ، كما يقول أبو زكريا ، لتتخلص من الامام .

مؤامرة قصصية لاغتيال الامام :

فقد تظاهر النكار بأنهم يتنازعون على صندوق (تابوت) وضعوا فيه رجلا معه سيفه وحملوه الى دار عبد الوهاب حيث وضعوه الى أن يحكم بينهم ، وكان هدفهم أن يخرج الرجل لاغتيال الامام ليلا . وفشلت المؤامرة بسبب سهر الامام من أجل الصلاة والقراءة والدرس من جهة ، ثم بسبب فطنته وحرصه . حيث وضع زقامنوخا في فراشه ، وجلس يترقب العائن الى أن خرج من تابتوته وضرب الزق ، فقلعه الامام بسيفه نصفين ، وأعاد قتيلا الى التابوت (١١٤) . وهكذا انضحت نية الغدر لدى النكارية ، وأمر عبد الوهاب أن يكون أهل تاهرت على أهبة الاستعداد دائما بسلاحهم . وأسهب خصوم الامام ، من : ابن فندين وأصحابه ومنهم شعيب المصري ، خروج الامام من تاهرت في بعض حاجاته واستغلوا أهل المدينة وحاولوا الدخول عليهم على حين غرة ، « فقامت الصيحة في المدينة من كل مكان » (١١٥) .

احدهما هي اليريدية اتباع عبد الله بن يزيد والأخرى هي المبرية اتباع عيسى بن عمر ثم أسد بن العسي ، وأن من يسمى بالرومية يسيلون الى هدين المدعيين ، مما يعني تطورا او تغييرات جديدة بين اتباع عبد الوهاب الذين لم يعودوا يعرفون باسم الرومية على أيام ابن الصمير ، على أواخر الرومانيين . حيث كانوا يسبون في ذلك الوقت أيضا باسم العسكرية الذي كان يعرف به معظم قبائل نفوسة في تاهرت . هذا ، كما أن ابن حوقل أن تسمية الوهبة في جبل طوسة نسبة الى عبد الله بن وهب الراسبي أول أئمة الحرورية في العراق ، ويقول انه وصل مع عبد الله بن امامي الى الجبل وماتا فيه (ط - بيروت ، ص ٩٣) . (١١٤) أنظر أبو زكريا ، المحفوظ ، ص ١٧ - ١٧ ، ١ - ب (وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٢ - ٥٣) . حيث كان الترتيب أن يؤذن القتال بعد أن يقتل الامام ليأتي أصحابه الى دار الامارة . فلما لم يسمعوا الأذان أتوا صباها وصلوا تابوتهم ووجدوا صاحبهم فيه قتيلا ، فخرجوا من المدينة خوفا من صيغهم من المسلمين ، وقارن الشماخي (ص ١٤٩) . حيث يقول ان أصحاب الامام هم الذين مروا بالشميرين وروصوا الرق المفلوح . (١١٥) أنظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٧ - ب حيث تقول الرواية أن السبب في تعجل ابن فندين وشعيب بالقيام تلك المحاولة أنهم كانوا يخشون وصول فتوى أهل المشرق في ذلك الحلال خشية مبادئتهما ، وهو ما سيحدث بعد قليل (وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٤) .

بلاء ولى العهد الفلج ، ومقتل ابن فندين :

وترجع رواية أبى زكريا فضل أنقاذ تاهرت مما كان يدبره لها خصومها إلى شجاعة ولى العهد الفلج بن عبد الوهاب الذى عاجلته الحادثة وهو يتزين مخرج بأحد شتى رأسه مضفرا والآخر دون تضفير ، ووقف وحده يدافع عن باب المدينة حتى انسلخت رجله إلى العرقوب وحتى تحطمت ذرقته ، فاقتلع الياب الضخم يتقى به ضربات الأعداء . وكان من بين ضحايا الفلج يزيد بن فندين الذى لم تمنح البيضتان اللتان كانتا على رأسه من « أبو يضر به الفلج على أم رأسه ضربة ، ففقدته والبيضتين والرأس ، وتشبب السيف فى عمود باب المدينة ، وحس الفلج بن عبد الوهاب فى يده الشدة فظن ذلك كله رأسه فقال له : ما أقوا رأسك يا بربرى يامشوم » (١١٦) .

خلاف شعيب فى حيز طرابلس :

وبمقتل يزيد بن فندين انهزم أصحابه بعد أن تركوا من قتلهم ١٢ (اثنى عشر) ألفا كانت دماؤهم تجرى كالسيل ، كما تبألف الرواية ، على باب المدينة . وزعم أن الامام عبد الوهاب أمر عندما رجع بجمع القتل ، وصلى عليهم ودفنهم . « طمعا فى العافية لعامة المسلمين من بقية أصحاب ابن فندين » ، فان شعيبا الذى فر إلى حيز طرابلس ، ربما فى المنطقة الواقعة بين المدينة وجبل نفوسة ، وظل يظهر الخلاف للامام يعلن البراءة منه ، وينشر دعايته المناهضة لامام تاهرت بين الحجاج الوافدين من المشرق (١١٧) . فكان وأصحابه يقولون : « قتل المسلمين » (١١٨) . ولم تشر دعاية شعيب ضد عبد الوهاب ، إذ عندما وصلت أنباء تلك الفتنة إلى أهل الدعوة بالحجاز من جماعة المسلمين ، وعلى رأسهم الربيع بن حبيب ، « برءوا من شعيب ويزيد بن فندين وأصحابه الذين قتلوا معه ، ومن كان على سبيلهم إلا من تاب » . وكان الربيع بن حبيب يقول فى مجالسه : عبد الوهاب أماننا وتقينا وأمَام المسلمين أجمعين » (١١٩) .

(١١٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٧ - ب ، ١٨ - أ ، الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٢ .
(١١٧) انظر أبو زكريا ، ص ١٨ - أ ، ٢٨ - أ (الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٥) .
أما ابن الصنبر (ص ١٩) فإنه يقول ان الامام عبد الوهاب هو الذى تخرج اليهم وصرعهم فى
لج البحر .
(١١٨) الششاشي ، ص ١٥١ .
(١١٩) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٨ - أ : حيث قيل للربيع كيف قُتِلَ قبرا من
شعيب من غير حدث ، فقال ولى حدث أعظم من برأته من عبد الوهاب أمير المؤمنين (الدرجيني ،
المطبوع ، ص ٥٥) .

اعتزال المخالفين الذين عرفوا بالواصلية ، وتحويل الامامة الى ملكية ابي خلافة :

وبذلك تمت القطيعة تماما بين تاهرت وبين حصومها من اصحاب ابن فندين الذين بقيت في نفوسهم حزازات وصمائن فتسحوا بناجيهم بالقرب من تاهرت التي لم يعودوا يدخلونها ، ووظن ان ذلك هو السبب في تسميهم ايضا بالمعتزلة (١٢٠) لاعتزالهم أهل تاهرت ، وأن ذلك هو السبب في تسميهم فيما بعد بالواصلية ، ولو ان كتاب الاباضية يفرقون بين النكار وبين الواصلية من الخارجين على امامة تاهرت ، كما سنرى . هذا ، كما يمكن التفكير في ان يكون المقصود بالاعتزال والواصلية هنا نوعا من الفكر الشيعي الزيدي الذي كان قد امتزج بالاعتزال عن طريق تلمذة الامام زيد لواصل بن عطاء حتى قيل انه صار « وجميع اصحابه معتزلة في المذهب والاعتقاد » (١٢١) وهذا ما قد يعتبر من مقدمات قيام الدولة الادريسية (١٢٢) وحق لابن الصغير ان يقول : انه بعد انتصار عبد الوهاب هذا على خصومه اشتد أمره ، « وانتقل من حال الامامة الى حال الملك » (١٢٣) ، أي من حال الدولة الدينية الى حال الدولة السياسية - نشيها ما حدث في دولة الخلافة أيام معاوية (١٢٤) .

ومع ان ابن الصغير يبدأ تاريخه لمرحلة « الملك » في تاهرت بالافتراق الثامن الذي عرفته الاباضية على عهد عبد الوهاب ايضا ، ويجعل سبب الافتراق هو الخلاف مع قبائل هواة ، فالأخرب الى المنطق فن تكون تلك المرحلة بعد الانتهاء من الصراع مع الواصلية في أحوار تاهرت ، كما يفصل ذلك أبو زكريا ومن نقل عنه . وذلك ان هواة كانت تسكن في حيز طرابلس

-
- (١٢٠) انظر أبو زكريا (ص ١٨ - ١) الذي يورد فيكرر انهم تسحوا بالبويرة او الكعبة التي سميت كدية النكار ، الشاسي ، ص ١٥٤ (حيث يسميهم معتزلة) .
- (١٢١) انظر ابن خلكان (من الامام زيد القنوي سنة ١٢٣ هـ) ، ج ١ ص ٣٣٥ .
- (١٢٢) انظر فيما سبق ، ص ٣١٩ وهـ ١٠٨ ، هذا ، ولو انه من الغريب ان ينكرس تقسيم البربر عند نسابتهم ، مع مرور الوقت ، الى معتزلة واباضية وسنية . بل وان تقسيم غالبية رباته في اواخر القرن الخامس الهجري/ ١١ م الى المعتزلة باستثناء بعضهم . مثل ابي يرزال وبنو واسين الاناصية . وكذلك بنو معاوية وبنو يفرس السنية - انظر ابن حزم جبهة إنساب العرب ، ص ٤٦٣ ، حيث يسمي ابن حزم تلك الرواية التي معاوية ابي محمد بويكني الرزالي ، الساسك الاباضي ، الذي كان عالما بالنسابهم) .
- (١٢٣) احبار الائمة الرستينين ، ص ٢٠ .
- (١٢٤) انظر فيما سبق ، ص ٢٠٦ وهـ ٧٢ .

حيث كان الصراع الذي أدى الى الانشقاق الثاني بين الاباضية (١٢٥) .

الصراع ضد النكار والواصلية :

وحسب رواية أبي زكريا ينقسم الصراع بين عبد الوهاب وبين خصومه الى مرحلتين الأولى ضد النكار والثانية ضد الواصلية ، وهو الأمر الذي يتضمن في ثناياه أن يكون هناك فرق زمني معقول بين الصراعين .

النكار :

وكان سبب الصراع ضد النكار هو اغتيال « ولي العهد » ميمون بن عبد الوهاب الذي قتل غدرا بليل، ومثل به قمزق لحمه اربا خارج تاهرت (١٢٦) . ومع أن عبد الوهاب دفن ابنه دون أن يدري من قتله ، فإنه لم يلبث أن تيقن أن النكار هم الذين قتلوه ، وذلك عندما مر ابن ميمون بهم ، وهو يسمى في بعض حاجاته ، فصاحوا به : « يا ابن المهذور دمه » . وهنا قرر عبد الوهاب الانتقام من قاتلي ولده فجهز جيشا أنفذه اليهم ، ولكن يتم الثأر جعل قيادته الى واحد من أبناء القتييل . وعلى بعد أيام من تاهرت التقى جيش عبد الوهاب بخصومه ، وهزمهم هزيمة منكرة حتى قيل انه عد من اسمه هارون ، وهو أقل الأسماء شيوعا بين القتييل ، فكانوا ٣٠٠ (ثلثمائة هارون) قتيلا (١٢٧) .

الواصلية :

أما عن الصراع ضد الواصلية فأتى بعد ما نزل بالنكار من الوهن والضعف ، مما يضي أن جماعة الواصلية تختلف عن جماعة النكار ، وهو الأمر الذي يشير اليه أبو زكريا عندما يعرف الواصلية بأنهم « قوم من المرير

(١٢٥) انظر ابن الصمير . ص ٢٠ . حيث يحفل رواية ولواته في حيز تاهرت . وهو الأمر الذي لا يتفق مع واقع الحال وان كان الأمر لا يسع من وجود عشائر مهاجرة عن طرابلس الى تاهرت .

(١٢٦) انظر أبو زكريا . المخطوط . ص ١٨ - ب ، الدرجيني ، المطبوع . ص ٥٦) . الذي يقول ان الامام حزر عندما رآه وقال . « أي بني احسنت فيك ثلاثة اشكال للامة في قولهم : وقيل لمن مرت الخيل بكساء . ويح لم اصيب بليل . وقال القسائل : اذا مسست ابن السلطان فاحسه مسا عنيقا . وهي ولاية ميمون المهدي . انظر ابن خلدون . ج ٦ ص ١٢١ . وانظر فيبا سبق . ص ٢٠٦ و ٧٢ .

(١٢٧) أبو زكريا . المخطوط . ص ١٨ - ب (الدرجيني . المطبوع . ص ٥٦) .

أكثرهم قبائل زناتة» (١٢٨) • ويضيف الدرجيني الى ذلك أنهم كانوا يمشون قريبا من تاهرت ، وأكثرهم أهل البادية (١٢٩) وأن عددهم كان - على أيام هيمون - نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الاعراب يحملونها (١٣٠) ، مما يمتنى أن الحصومة حملت هذه المرة طابعا عرقيا شعوريا وليس مذهبيا ، كما في حالة الكفار • ويعطى أبو زكريا لخصومه الواصلية لونا سياسيا عندما يشير الى أنهم تحركوا « حين أحسوا ببعض الفرفة في الاباضية ، وأرادوا أن ينتهزوا بعض الفرصة » (١٣١) • وواضح من النص أن زعماء الواصلية هؤلاء كانوا يحسنون الجدل في المسائل التي كانت موضع خلاف بين أهل المذهب ، مما جعل الكتاب ينسبونهم فعلا الى الممتزلة بعد أن كان اعتزالهم سياسيا بمعنى الانحياز عن محتسح تاهرت والابتعاد عنه • فهذا ما تشير اليه الرواية التي تقول : ان ابن سيدهم كان فارسا مغوارا صعب المئال ، وأنه كان فيهم أيضا رجل مناظر يجيد فنون الكلام ، وكثيرا ما ناظر الامام : وكان شديد المعارضة حديد المعارضة ، مما يفهم منه ان عبد الوهاب لم يكن له طاقة به في هذا الفن (١٣٢) •

الاستعانة بنفوسة في الصراع ضد الواصلية :

وهكذا نفهم من قصة الفارس الواصلي المغرار وصاحبه المناظر الشديد المراس ان جماعة الواصلية كانت قد قويت من الناحيتين العسكرية والمذهبية، وأن الأمر كان سينتهي بالصراع بينهم وبين امام تاهرت عندما اشتدت ممارستهم له • وتقول رواية أبي زكريا ان عبد الوهاب أنذرهم وأعذرهم قبل أن يلتاقهم في عدة معارك • ويفهم من الرواية التي تنص على أن الامام استنجد في آخر الأمر بقبائل جبل نفوسة أنه لقي منهم شدة • فقد طلب من نفوسة ، « أن يبعثوا له جيشا نجيبا يكون فيهم رجل عالم بفنون الرد على المحالفين ، ورجل عالم بفنون التفسير ، ورجل شجاع بطل يبارز الفتي الممتزلي الموصوف

(١٢٨) السمر واخبار الأئمة . المخطوط . ص ١٩ - ١ (الدرجيني . المخطوط . ص ٢٦ ، أ ، المطبوع . ص ٥٧) •

(١٢٩) الطقات . المخطوط . ص ٢٦ - ١ (المطبوع . ص ٥٧) •

(١٣٠) الطقات المخطوط . ص ٢٠ - ١ : المطبوع . ص ٤٢ • وانظر ابن حلقون ، ج ٦ ص ١٢١ •

(١٣١) أبو زكريا ، المخطوط . ص ١٩ - ١٠ •

(١٣٢) أبو زكريا ، المخطوط . ص ١٩ - ١ ، الدرجيني . المخطوط . ص ٢٦ - ١ (المطبوع . ص ٥٧) •

بالشجاعة» (١٢٣) . واختار عامل عبد الوهاب علي جبل نفوسة أربعة رجال أرسلهم الى عبد الوهاب ، وهم : مهدي الويفوي الخبير بفن المناظرة ، ومحمد بن يانيس العابد الزاهد العالم بتفسير القرآن ، وأيوب بن العباس الفارس الذي لا يشق له غبار . أما الرابع فاختلف في أمره أما محمد أبو محمد أو أبو الحسن الأيدلاني (١٢٤) .

ومع أن الامام الذي كان ينتظر عسكريا كثيفا من نفوسة ، حتى انه وعد من يبشره بوصولهم من عبيده بالحرية ، عجب من غير شك لوصول الرجال الأربعة وحدهم ، فان هؤلاء لم يلبثوا ان اكتسبوا ثقته في أنهم أكفأه للقيام بالمهمة التي كان يرجوها من نفوسة . فبعد أن أنزلهم في دار الضيافة وأجرى عليهم ما يلزمهم الى أن استراحوا ، ناقشهم في أمر مواجهة الواسلية في المناظرة والحرب . فعرف مهديا بأسلوب القتى الواسلي المتحلل للمناظرة ، وفهم مهدي كيف كان المعتزلي يزوغ عن الحجة ويحيد عن الجواب ، وكيف كان يلبس على الامام ويسرق منه السؤال (١٢٥) . أما عن أيوب بن العباس فقد أذهل القوم بقوته الأسطورية حتى أنه عندما أراد اختيار فارس من دار الدواب في تاهرت لم تعجبه جميع الافراس التي كانت تكاد تقع بين يديه ، عندما كان يجذبها (يجندها) محاولا اختبار قوتها . حتى انتهى به الأمر

-
- (١٢٣) أبو زكريا ، المخطوط . ص ١٩ - أ الدرجمي ، المخطوط ص ٢٦ - أ (المطبوع . ص ٥٧) . الثمالي ، ص ١٥٤ .
- (١٢٤) أبو زكريا ، ص ١٩ - أ الدرجمي ، ص ٢٦ - أ (المطبوع . ص ٥٧ - ٥٨) . وتقول الرواية ان الأربعة عندما خرجوا في هيئة السفر الى تاهرت امر محمد بن يانيس على ان يكون حادما لهم ، فكان يجهز طعامهم ويملف حيلهم ثم يقضي بقية ليلة قائما يصل . وأنه تصادى في ذلك رغم اعتراضهم عليه والناهم في أن يرفق بنفسه ، حتى انه عندما أشبرهم انه لن يصل الا ركعتين لم يقنع بهما الا مع طلوع الفجر . لانه قرأ نصفا من القرآن صح كل من الركعتين . وبلغ أمر ابن يانيس من الاحتهاد من الصلاة ليلا حتى في الأيام الباردة المشفرة الى ان قالوا له « ان كان لا يصل الجنة الا من كان مثلك يا بن يانيس سيصيبك فيها الوحشة » (وقارن الدرجمي ، ص ٢٦ - ب ، ٢٧ - أ ، المطبوع ، ص ٥٨ - ٥٩) .
- (١٢٥) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب وتصنيف الرواية منا ان مهديا كان يترك أصحابه ويخرج لمناظرة المخالفين وأنه أعاد منهم الى اللقب تسمي عالما . أما عن صلوات مهدي الذي أكل غداء وملأه ليلا وهو صهي لم يطع فكانت ثلاث . لذا قدم اليه أي طعام كفى منه حاجته ولا يزال ، والثانية اذا أخذ فجرة من الليل اكتفى بها ولا يزال . والثالثة انه كان لا يخاف محالما على نفسه ان يلقه في الحجة . وقارن الدرجمي ، المخطوط ص ٢٧ - أ .
- ٢٧ - ب ، المطبوع . ص ٥٩ - ٦٠) .

الى علاج فرسه الذي كان قد أصابه الحفا ، وذلك بالرمل المحصى الذي كان على الفرس أن يطأه بحوافره لمدة ثلاثة أيام (١٣١) .

مناظرة حربية تنتهي بهزيمة الواصلية :

وهكذا عندما استمد الامام عبد الوهاب ، ضرب الموعد لخصومه الواصلية بعد ثلاثة أيام حيث خرج بعسكره ومعه جماعة نفوسه الأربعة . وتم اللقاء العجيب بين الأخوة المنشقين ، ودعا عبد الوهاب الواصلية الى المعن وأعددهم ، ولكنهم طلبوا المناظرة . وهنا صف كل من الطرفين صفوه ، وكان على المتناظرين أن يتباريا بين الصفيين ، ومع كل منهما وجود أصحابه . وخرج الفتى المناظر من المعتزلة، وخرج اليه مهدي الذي قدمه محمد بن يانيس . وأحس الفتى المعتزلي بشبح الهزيمة أمام مهدي فعرض عليه أن يستتر كل منهما على صاحبه اذا تمت له الفلبة . ومع أن مهديا وافق على ذلك الا انه قال لأصحابه أن علامة انتصاره على المعتزلي أن يتزرع شاشيته على رأسه، ويضعها تحت ركبته .

وهكذا بدأ الجدل الفقهي بسيطا معهما من الحاضرين ، فلم يفلح منهم أحد على صاحبه ، ثم أنهما دخلا في فنون العلم ، فخفى ذلك عن حضرهما ، دون الامام بطبيعة الحال . ولو أن الجدل بين العملاقين العالمين لم يلبث أن صار غير مفهوم من الجميع ، فكانه « الصفق بين الحجرين » . وعلى حين فجأة نزع مهدي شاشيته من على رأسه ، فكان ذلك علامة انتصاره، فعلا التكبير والتهليل في صفوف الوهبية (١٣٢) .

وكان على المباراة أن تبدأ بعد المناظرة ، فخرج الفارس المعتزلي المعروف بالشجاعة وخرج أيوب بن العباس للقاءه . ولم تكن الا حولة بالخيول أو بعض جولة حتى حمل أيوب على خصمه فقتله بسيفه القصير ذي الحد الواحد أو سلكه في رمحه ، فكانت تلك اشارة بيده المعركة الحامية الوطيس . وكان بطلا تلك الملحمة : أفلح بن الامام الذي صار يضرب في ناحية ، وأيوب

(١٣١) أبو زكريا . المخطوط ص ٢١ - ٢ . وقارن الدرجيني . المخطوط ص ٢٧ - ب المطبوع . ص ٦٠ - ٦١) .
(١٣٢) أبو زكريا المخطوط ٢١ - ب هذا . يسا احتج الفتى المعتزلي على مهدي وقال له عدسي يا مهدي وقارن الدرجيني المخطوط . ص ٢٧ - ب . المطبوع . ص ٦١ (حيث القلتسوة على رأس مهدي فعلا من الشاشية) .

ابن العباس الذي كان يضرب في الناحية الاخرى . وانتهت المعركة الدامية .
عزيمة الواسلية بعد أن بقي معظمهم مجتدلين في ميدان القتال (١٢٨) .
وذلك يكون الامام عبدالوهاب قد كسر شوكة خصومه المذهبيين في
احواز تاهرت ، وعن هذا الطريق تصح مقالة ابن الصغير من أنه « انتقل من
حال الامامة الى حال الملك » .

مقدمات الاشتقاق الثاني :

اضطراب منطقة طرابلس :

وتبدأ حال الملك السياسية بالافتراق الثاني بين الاباضية ، وذلك
في الجناح الشرقي من الامامة ، في منطقة طرابلس حيث يبدأ الصراع مع
قبائل هواره ، كما يقول ابن الصغير ، وهو الأمر الذي تؤيده رواية أبي زكريا
التي تنهد للاشتقاق بحصار مدينة طرابلس التي كانت تابعة للاغالبية . واذا
كانت الرواية الاباضية تقول ان عبد الوهاب عندما اتخذ طريق المشرق كان
يقصد الحج ، فانه مما يشكك فيها أنها تشبه الرواية الاغلبية الخاصة بالأمير
ابراهيم بن أحمد ، عندما ترك الامارة وسار للجهاد في صقلية (١٢٩) فقيل
انه كان يقصد الحج . فعندما وصل الامام الى جبل نفوسة رفض أهل الجبل
أنه يتبركوه يواصل طريقه خشية المسودة « فتتعطل أمور المسلمين وحدود
الله » . وما يؤيد الشك في أمر الحج أن اقامة الامام عبد الوهاب في جبل
نفوسة (في بني زمر) التي طالمت الى سبع سنوات ، لا يكفي لتفسير طوله
أمدها انه كان ينتظر وصول الفتوى من علماء المذهب في مكة - وهم : أبو عمرو

(١٢٨) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٢ - أ : حيث يقول ان عدد من قتلهم أفلح زاد
.ولمدا لفظ من عدد من قتلهم أيوب - كما ان أيوبا ضرب بسيفه سودا وهو يظنه رجلا فصار
السود صعب . وترى الرواية الامانية ان الواسلية ارادوا القدر أيوب بمد يومئذ فدعوه
مسار إليهم فلم يصح التصحيح له مالا يفعل . وهي من الواسلية ظهر أيوب بمطر الرجل
،المعارق ، كما يقال الآن . فهو يأكل قصة الثريد والشاة التي عليها حتى عظامها ، ويشرب
.وطلب اللبن كله ثم يقضي ليله مكتبا يقرأ القرآن ، ويصل الصبح يوشو المشاء الأخرى .
وعند طلوع الشمس يلاعب قتيان الحى على الخيل ، وعندما جاول البيض النهار الفرصة لقتل
على أيوب بالرمح كان يصيبه القتل مع سبعة من أصحابه ، ولم يتوقف أيوب عن القتل إلا
عندما صارت له ساء الحى بروجونه الكف . وفي طريق عودته الى تاهرت يقطع أرجل سبع
ولبؤة وينادي من يربته أكل باللحم من أهل الوادي من البربر ، فأكل من يأكل الكروه (وقارن
الدرجيس ، المطبوع ، ص ٦٢ - حيث : شكه بالرمح واحتمله كالجرادة يلا حن سلكه في
الرمح) .

(١٢٩) انظر فيما سبق ، ص ١٤٩ .

والربيع بن حبيب - وابن عباد - بأنه يمكنه بعث مال ليحجج به من يتوب عنه ، وبأنه « ليس عليه حج لأن أمان الطرق من الشروط التي يجب بها الحج على من استطاعه » ، (١٤٠) ، والحقيقة أن خصوم الامام عبد الوهاب في منطقة طرابلس كانوا يسببون له المتاعب ، منذ أن لجأ الى هناك شعيب المصرى حليف يزيد بن فندين بعد مقتل هذا الأخير ، كما رأينا (١٤١) .

الحرب مع هواراة :

ومع أن رواية ابن الصغير عن الافتراء الثاني لا تتعلق بهذا الانشقاق مباشرة فإنها تصلح كمقدمة منطقية له رغم ما يكسبها من الأخطاء مثل إقامة هواراه ولواته في حيز تاهرت - فالذي يفهم منها أن مصاهرة كادت تتم بين بعضى مقبلى قبائل هواراه من بنى مسالة الذين يعرفون بالأوس ، وبين بعض زعماء قبائل لواته ، عندما خطب الأول ابنة الثاني التي عرفت بحسنتها وجمالها ، وأن بعض المقربين من الامام عبد الوهاب حذره من مغبة تلك المصاهرة أو ذلك الحلف ، مما دعا عبد الوهاب الى خطبة الصبية الهوارية الجميلة لنفسه - وكان من الطبيعي أن يفضض مقدم الأوس ، وخاصة عندما مشيت السماعة بين الفريقين ، مما أدى الى الحرب واثارة هواراة على أعوان عبد الوهاب ، قرب نهر يقال له نهر أبي سعد الله .

والذى يفهم من الرواية أيضا أن المسألة كان يمكن أن تنتهى عند هذا الحد ، لولا ما قيل من أن هواراة أخلت بمبادئ المذهب ، عندما سمح بمص رجالاتها بأخذ خاتم من أصبح قتيل في تلك المعركة رغم أنه لم يسلب : فلم يتزعوا له ثوبا ولا أخذوا له فرسا ولا سرحا ولا لحاما . ادلسا عرف الامام أن هواراة قد استحلوا الاموال أهدى لقتالهم ، فخرج اليهم في ألف فرس أبلق وحشود من العسكر لا يعلم عددها الا الله ، وكانت نفوسة تمثل جزءا كبيرا منهم ، مما يؤيد أن اللقاء كان غير بعيد من جبل نفوسة ، ان لم يكن قد وقح في الجبل نفسه .

وتم اللقاء بين الامام وبين بنى أوس وهواراة ومن معهم من القبائل على مجرى نهر جاف يقال له اسلان ، وانتهى القتال العظيم ، الذى ثبت فيسلة

(١٤٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٢ - ١ ، ٢٢ - ب ، وقارن الدجيني ، المطبوع ، ص ٦٥ - ٦٦ (حيث الاشارة الى الاخوان في المشرق ، والمقدم في ذلك العصر : أبو الربيع جبيب ، وابن عباد المصرى) ، الشمسى ، ص ١٥٩ .
(١٤١) انظر فيه ، سابق ، ص ٣٢٣ .

الناس : « لا يولى بعضهم لمعض الدبر حتى سال الوادى ذلك اليوم دما ، ،
بانتهزام الهواريين ، ولكن بعد أن هلك خلق كثير ، وإن « كان القتل في
هوازه أفضح وأشع ، « وأثبت أفلح بن عبد الوهاب من حميد بطولة نادرة
في المعركة ، فكان يجول في ميدان القتال ذات اليمين وذات اليسار وفي
القلب ، مما لفت نظر عبد الوهاب الذي كان جالسا في محمل وإلى جانبه
رجل من نعوسة ، وهو يدير المعركة بحماس أثار الغزع في قلب عديسة
المعوسى . ولو أن الرواية تعود لتقول أن عبد الوهاب هو الذى فضح
القوم بكتيبته .

وهكذا انتهت الواقعة بأهرام حوارة الى حل بججان (ابكجان ؟) ،
وبترشيح أفلح بن عبد الوهاب لولاه عهد امامة تاهرت بعد والده « فاقطع
لثيه المنقطع ودارت اليه الحوائج والمعطاء من تحت يديه . . . » (١٤٢) .

عيد الوهاب في جبل نفوسة وحصار طرابلس :

والظاهر أن توتر الأحوال في منطقة طرابلس هي التي جعلت الامام
عيد الوهاب يقيم في جبل نعوسة ، وهو أحد مواطن الدعوة الرئيسية ، تلك
الاقامة التي طالت الى سبع سنوات كما تقول الرواية . وعندما استقرت
الأمور في الاقليم رفا عبد الوهاب بانظاره نحو مدينة طرابلس العاصمة نفسها ،
على أمل انتزاعها من الأغالة . ولا نعرف ان كان يمكن الربط بين أحداث
بلاد الراب حيث قام الصراع بين الأغالبة وبين القبائل الاباضية هناك ، وبين
محاولة عبد الوهاب للاستيلاء على طرابلس أم لا . والمهم أن عيد الوهاب سار
لحصار المدينة ، كما يقول أبو زكريا ، ومعه أهل الاقليم المتأخة لها وأهل
جبل نفوسة وعامة من بجبالهم . وأنه دار مع أهل المدينة ومن معهم من الجند
الأغلبى قتال شديد ، « استشهد » فيه عابد جبل نفوسة وزاهدنا مهدي (١٤٢)
الذى قال فيه ابن خالته ، عندما تخصصا في حضرة عبد الوهاب انه اشتغل
بآخرفته حتى أضر بدنياء .

وهذه الشهادة هي التي أقرها الامام أثناء اقامته تلك بجبل نفوسة ،
عندما لحا في يوم مطر وقر الى دار مهدي فلم يجد فيه شيئا مما أشعره فعلا

(١٤٢) ابن الصخر ، ص ٢٠ - ٢٣ .

(١٤٣) أبو زكريا ، ص ٢٣ - ب (الذى كان وجهه يمس أو ينسب وهو قتل عندما

يسع حرم المؤمن أو حزم المسودة) .

بالضرب ، بينما وجد في دار ابن مهدي المتروفة ما كان يلزمه من الثياب (الطيفة) ، والعرش والطعام ، فصلا عن النار التي بعثت الدفء في اوصال الجماعة ، وهذا ما جعل الامام يرجع في حكمه ، ويقيم الحجة لابن حالة مهدي (١٤٤) . وهذا يصح تطور في افكار الاباضية نحو التحريف من النزمت في مسائل الزهد ، والتسامح التدريجي في مسائل الدنيا وما يتعلق بها من المعاملات ، حتى انتهى الأمر بأن أصبح « الرخص » سنة من سمات وفهمهم .

أزمة عدم ثقة بين عبد الوهاب وآتباعه :

والغريب في الأمر أن ابن الصغير لا يذكر شيئاً عن حصار عبد الوهاب لطرابلس ، بينما لا يعرف أبو زكريا الاتماقية السياسية التي انتهت بها حرب طرابلس مع الأغالبة في سنة ١٩٦ هـ / ٨١٢ م ، وذلك باعتراف عبد الله ابن ابراهيم بن الاغلب بالسيادة للاباضية على الأقاليم السداخلية من طرابلس (١٤٥) ، وان كان ما يقوله بشأن تلك الحرب يمكن أن يكون إضافة الى ما تسجله الحوليات الافريقية . فأبو زكريا يشير الى أنه حدث نوع من عدم الثقة بين الامام عبد الوهاب وآتباعه بلغ حد أنه ، عندما كان يتناجى معهم عن حرب الأغالبة (كيد العدو) كان يهرج سرهم رغم ما اتخذته من الاحتياطات التي انتهت بتقليل عدد من كان يتناجى معهم ، حتى ارتاب في الأمر هو ووزيره ابن عمران الذي لم يعد يتناجى مع أحد سواه . وحتى قال عبد الوهاب انه لا يستطيع أن يحاصر طرابلس برجل واحد ، فعاد أدراجه الى حاسل نفوسه ، « وقد آيس (يأس) من فتح المدينة » ، رغم حلمه واحتماله وصبره . وفي الجبل أقام عبد الوهاب لبعض الوقت وهو ينشر العلم بين أهله ويحكم بين المتخاصمين من أهل المذهب (١٤٦) .

والذي يفهم من الروايات الاباضية أن الامام عبد الوهاب كان يقيم في جبل نفوسة في منطقة بني زمور حيث عرف الجبل هناك باسمهم ، وحيث كان للامام مصلى في قرية ثلاث (١٤٧) . واثناء مقام الامام عبد الوهاب هناك

(١٤٤) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ١ .

(١٤٥) النظر فيما سبق ، ص ٤٠ ومائتين ٦٦ .

(١٤٦) أبو زكريا ، ص ٢٣ - ٥ .

(١٤٧) وكان في المكان الذي يصل فيه ملاطه بكرة عليها ويبلغ ارتفاعها الى ارتفاع اسم وهو جالس . وكانت على امام أبو زكريا « تلغ للواقف الى الصدر » ، مما يعني ظم بامة عبد الوهاب . السج وأحيان الأمانة ، المحطوط ، ص ٢٢ - ب . لما نرى زعود في نسخة في شكل دمر - وقارن التسلسل : السج ، ص ١٥٩ .

استعمل رجلا على المنطقة يقال له مدرار (١٤٨) .

الغلفية : الانشقاق الثاني :

وبسبب الولاية على حيز طرابلس ، وهل يجب أن يستمع الامام الى رغبة أهل المنطقة في اختيار واليهم ، لم أنه صاحب الحق المطلق في تولية من يشاء وحجب ولاية من يشاء ، مما يذكر بمسألة الشرط التي كان يطالب بها يزيد بن فنديس ، كان الانشقاق الثاني أو الاقتراع بين اباضية الرستمين .

السمح بن أبي الخطاب : وولاية طرابلس :

فعلماً قرر عبد الوهاب العودة الى تاهرت طلب اليه أهل حيز طرابلس ان يولي عليهم ابا عبد الأعلى السمع بن أبي الخطاب عبد الأعلى . وتظهر رواية ابي زكريا نق عبد الوهاب لم يكن راضياً عن ذلك ، ولكن على أساس ان السمع وزيره ، وأحب الناس اليه وأنصحهم له ، وأنه لكل ذلك لا يجب مفارقتة . وأمّام الحاج الناس وافق عبد الوهاب على تولية السمع على حيز طرابلس الذي نظن أنه يعنى المنطقة الواقعة بين المدينة وبين جبل نفوسة ، على أساس أنه آثرهم على نفسه (١٤٩) . وأحسن السمع السيرة في رعيته وفرق أعوانه في أرجاء البلاد ، وهو مقر بامامة عبد الوهاب ، ناصح له الى ان مرض مرضه الذي مات فيه . واجتمع أعيان أهل الاقليم يطلبون اليه الوصية ، فأوصاهم ، كما يقول أبو زكريا ، بتقوى الله واتباع أمر الامام عبد الوهاب وطاعته ، ما دام مستقيماً على الحق الذي عليه سلفكم وجهاد من خالفكم .

خلف بن السمع ، وولاية طرابلس :

ولكنه عندما توفي السمع كان لموته صدى عظيم في نفوس الناس الذين أحبوه وعظموه حتى أنهم اتمرروا بأمر العامة من الناس ، ممن ليس له بصيرة ، بأمر الدين ولا علم بأمر المسلمين ، : فولوا على أنفسهم ابنه ، وهو : خلف ابن السمع (١٥٠) . ونحن لا ندري ان كان خلف هو اسمه الحقيقي أم أنه اسم تجرّيع أطلقه عليه الكتاب من خصومه ، كما سيطلقون عليه لقب الخبيث

(١٤٨) أبو زكريا ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(١٤٩) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ب وقارن الدرر ، المطبع ، ص ٦٧ ، انشقاق

ص ١٦٢ .

(١٥٠) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ب .

ابن انطبيب (١٥١) ، تماما كما فعل أهل السنة بمحمد بن أبي بكر الذي اتهم في مقتل عثمان ، وكما فعل كتاب الامويين بانان بن عثمان عندما اتهم في قتله ابن الزبير .

ورغم اعتراض علماء المذهب مثل : أبي المنيب اسماعيل بن دراز الغداسي ، وأبو الحسن أيوب عامل الامام علي جيل نفوسة ، على هذا الاجراء ولعنتهم الاينظار الى أنه لا يجوز أن يسبقوا امامهم الى شيء من أمورهم ، رد الراعيون في تولية خلف بأنه اذا لم يرض الامام عنه عزلوه . وبعد أن أعلنوا ولايه حلف عليهم كبروا بذلك الى الامام .

عبد الوهاب لا يوافق علي ولاية خلف :

وكان رد عبد الوهاب الذي يحمل في كتابه لقب أمير المؤمنين (١٥٢) على أهل حيز طرابلس ان من ولي خلفا بغير رضاه امامه فقد أخطأ سيرة المسلمين . وان من أبي توليته فقد أصاب ، ثم انه أقر كل العمال الذين استعملهم السمع الا خلف بن السمح الى أن يأتيه أمره ، كما أمرهم بالتوبة من هذا العمل . وتمسك أنصار خلف به وراجعوا عبد الوهاب فيما كتب به اليهم ، وطلبوا اليه أن يستجيب لرغبتهم في تولية خلف . ورفض الامام ذلك مستندا الى أنه لا يسهه ذلك فيما بينه وبين ربه ، وطلب اليهم من جديد أن يتوبوا ، كما أرسل كتابا خاصا الى خلف يعرفه فيه بأنه حرام علي من يقدم اليه صدقات ماله أن يفعل ذلك ، وأنه حرام عليه أن يأخذها ، وأمره بأن يعزل أمور المسلمين .

خلف يرفض الاعتزال :

ولم يكن من الغريب أن يرفض خلف ، وهو حفيد الامام الأول أبي الخطاب الاعتزال ، وأن يعتز ويأبى ويستكبر ، في الوقت الذي تصادى الجهال في توليته ، بينما تركه المسلمون في غيه وزيفه ، كما يقول أبو زكريا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (١٥٢) .

(١٥١) أبو زكريا ، ص ٢٥ - ب (الدرر السنية ، المخطوط ، ص ٢١ - ب ، المطبوع ، ص ٧٠) .

(١٥٢) أبو زكريا ص ٢٤ - ب .

(١٥٣) السيد وأنبار الأمانة ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب . وتقول الرواية ان الامام عبد الوهاب كتب كتابين الى خاصة حيز طرابلس أحدهما فيه عزل خلف والثاني فيه تعيينه =

استفتاء علماء المشرق والاحتجاج بالاستقلال :

وكما جرت العادة من قبل ، بعث المخالفون لعبد الوهاب كتابا إلى غشايخ المنصب في المشرق وكان رأسهم في ذلك الوقت هو أبو سفيان محبوب ابن الرحيل (١٥٤) .

ورغم أن ابن الرحيل كتب اليهم يخطئ من لم يوافق عبد الوهاب ويحضهم على طاعة الامام ، فانهم صرفوا النظر عن جوابه الذي لم يصادف هواهم ، وأعلنوا أن عبد الوهاب ليس امامهم ، واعتلوا بأنهم يسكنون في إقليم منقطع عن بلاده ، مما يسمح لهم بأن يكون لهم امامهم الخاص ، وهو خلف بن السمح . وعلى هذه المسألة وعد أبو زكريا بأن يرد في كتاب خاص يكرسه لافتراق الاباضية ، ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك على ما نفيته من الدرجيني (١٥٥) . وكان ذلك يعني اعلان استقلال اباضية حيز طرابلس الذي كان تابعا لجبل نفوسة عن امامة تاهرت ، وقبل ذلك عن ولاية جبل نفوسة ، وعلان امامة خلف .

أبو عبيدة عبد الحميد الجنائوي واليا لجبل نفوسة : والتزاع بين اباضية طرابلس واباضية نفوسة :

توفي عامل جبل نفوسة أبو الحسن أيوب الذي كان مناهضا لخلف ابن السمح ، وأرسل أهل الدعوة في الجبل آل عبد الوهاب يطلبون تولية عامل جديد عليهم ، حسبما كانت تقضى تقاليد الجماعة والمحافظة على

= واليا إذا قل كتاب المراد الأول ولم تكن له رغبة في الأمور ، وان خلفا رفض كتاب العزل فتراكه الخاصة من أهل طرابلس في حية الى أن يحكم الله بينه وبين الامام (وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ٦٦) .

(١٥٤) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ ، ١ - ٢٥ - ب حيث يتبره تابعا لطبقة الربيع ابن حبيب ، وابن هسان بن صلف بن المراد ، وابن المهاجر ، وابن أيوب والي .

(١٥٥) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب : حيث يقول أنهم لموا ذلك من غير حجة وانه لم يكن بينهم مسائل الا الاقرار بامامة عبد الوهاب - رضي الله عنه - وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ - ب ، ٢٧ - ب (المطبوع ، ص ٤٧ - ٤٨) :

حيث يذكر أن الشيخ استعيل من صالح سأل الشيخ أبا روح بن يوسف عن الكتاب الذي وعد به الشيخ أبو زكريا ، فرد عليه بأن الذي قام به عنه هو الشيخ أبو صابر عبد الكافي وهو الكتاب المرجل . وعن اعلان امامة خلف ، قارن الشماخي . ص ١٨١ حيث يقول : واعتلوا بأن حورة طرابلس منقطعة عن حورة تيهرت وبعدة منها .

الشكليات . وقد أرسل الامام بدوره الى قادة أهل الدعوة يطلب اليهم ترشيح من يرضون عنه من أفاضلهم وأولادهم بإدارة أمور المسلمين ، ووقع الاختيار على أبي عبيدة عبد الحميد الجنائري ، وهو رجل من ناحية ايجاز وعرف بالصلاح والتقوى والعفاف والزهد في طلب الدنيا وتولى المناصب .

وهكذا عندما عرضوا الولاية على أبي عبيدة ، قال : « أنا ضعيف لست أقدر على القيام بأمر المسلمين » . وكان زهد أبي عبيدة في الولاية سببا في تشبث الامام عبد الوهاب - الذي كان يميل الى من ليست لهم رغبة في الولاية ، وهو الرأي المعروف عند كثير من الفقهاء المسلمين وقتئذ - به . وفي ذلك يقول أبو زكريا : ان الامام عبد الوهاب حلف لهم بالعريية والبربرية ، وبالحضرية ، وبالخشية : انه لا يقلد أمور المسلمين الا رجلا يقول « أنا ضعيف » (١٥٦) .

وإذا صح هذا الأمر فان مجتمع الاباضية في تاهرت يكون مؤلفا في ذلك الوقت من العرب والبربر والسودان ، من أهل البادية ومن أهل الحضر أيضا . وهكذا لا يكون « الضعف » في الفكر السياسي الاباضي مانعا من تقلد الولاية . ففي رأى عبد الوهاب ان الشخص المرشح لتقلد مصالح المسلمين يمكن أن يكون ضعيفا من ثلاثة أوجه : ضعف البدن ، أو قلة العلم ، أو الفقر في المال ، مما يعنى بطريقة عكسية ، أن شروط الولاية هي : صحة البدن وكثرة العلم ووفرة المال . وفيما يتعلق بأبي عبيدة عبد الحميد قال الامام : انه ان كان ضعيف البدن قواه الله بالنحول في أمور المسلمين ، وان كان ضعيفا في العلم فعليه بالاستعانة بأبي زكريا يصلتن التوكيتي أوحد أهل الجبل في العلم والفضل ، وفيما يتعلق بالفقر ، لو كان ، فيمكنه الاستغناء ببيت مال المسلمين (١٥٧) .

وهكذا ولي أبو عبيدة عبد الحميد على جبل نفوسة وأحسن السيرة (١٥٨)

١٥٦) أبو زكريا ، ص ٢٦ - ١ ، الدرر الجيني ، ص ٢٦ - ب (المطبوع ، ص ٧٦) ، وقارن الشاشي ، ص ١٨٢ .

١٥٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٦ - ٢ ، وقارن الدرر الجيني ، المخطوط ، ص ٢٧ - ٢ - المطبوع ، ص ٧٦ ، الذي يقول عن ضعف البدن ان « الحق » يعجزه ، ويسس أيما زكريا بالدلوي .

١٥٨) أبو زكريا ، ص ٢٦ - ١ : حيث تأخذ الرواية طابعا قصصيا فتقول انه لم يقلل الا بعد أن استشار عسوزا صرورة بالصلاح والورع والتقوى ، ويعد ان حدهه بتفسيخ عقلمه في جهنم اذا لم يقل . وقارن الدرر الجيني ، ص ٢٦ - ب (المطبوع ، ص ٧٦) .

بعض من كان حوله من علماء الجبل وفضلائه وزهاده ، مثل أبي زكريا الذي قيل فيه « الجبل هو أبو زكريا ، وأبو زكريا هو الجبل » ، وأبي مرداس المأبد الزاهد الذي اشتغل بأمر آخرته حتى أصبح أمر دنياه ، وأبي العباس (١٥٩) .

معارضة خلف لولاية عبد الحميد :

وعندما علم صف بن التميمي بتولية أبي عبيدة عبد الحميد أخذته العزة بالاثم واستكبر ، كما يقول أبو زكريا ، وعمل على أن يفرض أمر ولايته الواقع « فندس الفارات واللصوص على أهل الدعوة » - دعوة المسلمين من رعية أبي عبيدة (١٦٠) . وروى أبو عبيدة على استنزازات أفلح يطلب الكف عن اذية المسلمين ، والاكتفاء بكون الخلافة نظريا أو تركه على مستواه القانوني . ولكنه أمام أصرار خلف على أعماله العدائية أرسل يطلب الاذن من تاهرت بمناجزته . وكان رد الامام عبد الوهاب أن يستخدم أبو عبيدة المداراة والملاطفة مع خلف والا يعاربه الا حرب دفاع عن النفس والمال . وهكذا كانت أوضاع امامة تاهرت وعلاقتها بجبل نفوسه وحين طرابلس عندما توفي الامام عبد الوهاب في سنة (١٩٨ هـ) .

عهد أفلح بن عبد الوهاب (بن عبد الرحمن بن رستم) (١٩٨ - ٢٤٧ هـ / ٧٨٤ - ٨٦١ م) :

صفات الامام الجديد : الشجاعة والعلم :

كان من الطبيعي أن تؤول الخلافة ، كما يقول ابن الصغبر ، الى أفلح بن عبد الوهاب ، بعد وفاة والده الذي كان قد رشحه للامارة . فلقد كان أفلح مؤهلا لولاية امامة تاهرت ، لما عرف عنه من الشجاعة التي أظهرها في أكثر من لقاء مع الخصوم ، والعلم الذي نبغ فيه وهو بعد شاب يافع ، حتى قيل : « انه تعد بين يديه أربع حلق يتعلمون عنده فنون العلم قبل أن يبلس العلم » (١٦١) .

(١٥٩) أبو زكريا ، ص ٢٦ - ١ ، ٢٦ - ب أما عن تاهرت ، كما قال أهل الشرق فلم يكن يعد ليها الا الامام عبد الوهاب ووزيره مزور بن عمران .
(١٦٠) أبو زكريا ، ص ٢٦ - ب (المرجع ، المخطوط ، ص ٣٠ - ب ، المطبوع ، ص ٧١) .
(١٦١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ١ ، (المرجع ، المخطوط ، ص ٣٤ - ٩) (المطبوع ، ص ٧٧) . وقال بجانب علوم الدين قيل ٤٩ وكذلك افقه بلقا لن حساب القبار والجماعة سلفا عظيما حتى انه كان يعرف عددا ما سيلبغ في السوق من البقر في اليوم التالي .

وهكذا وجد رؤساء الجماعة الإباضية بتاهرت في ولي عهد الامام عبد الوهاب أهم صغين لارمتين للامام ، وهما الشجاعة اللامة للامام في وقت الخوف من الاعداء الذين تدانوا من تاهرت طمعا في الاستيلاء عليها (١١٢) ، وما يتبعها من العرم والحرم (١١٣) ، ثم العلم اللازم لمساجرة الخصوم المذهبيين بعد أن أخذت الانتشاقات تدب بين أبناء أهل الدعوة ، مما تطلب مناجزتهم بالمناظرات قبل السيوف . وهكذا حدا فقهاء الإباضية حذوا مشرعي أهل السنة الذين يشترطون في اختيار الامام : العلم وقت السلم والشجاعة وقت الحرب (١١٤) ، وان كان الإباضية يصرون على خصلة التواضع وضرورة المشورة فيمن يلى أمور الجماعة ، من الامام الى اعوانه (١١٥) .

والمعلومات الخاصة بامامة أفلح ابن عبد الوهاب تنقسم ، كما يبدو لنا على المصادر الاناصية الى قسمين : أحدهما خاص بأحداث تاهرت ، وهذه توجد في كتاب ابن الصغير ومن نقل عنه ، والآخر خاص بأحوال جبل نفوسة وحين طرد ائلس ، وتلك توجد في كتاب أبي زكريا ومن أخذ عنه . ولكنه مما يؤسف له أن عهد أفلح الذي طال الى حوالي ٥٠ سنة أو يزيد (١١٦) ، كان من المفروض أن تعج بالأخبار التاريخية الهامة ، لا يظهر لنا في كتب أهل المذهب الا في شكل السيرة المنقبية المعتادة ، دون تواريخ الوقائع أو علامات مميزة تبيى العلاقات الرسمية بين الأحداث المتوالية بطريقة عفوية من غير ضابط وقنى أو رابط .

= بل وان كان يعرف أنه متدبج بقرة صفراء في طئها جبل له حرة في جيبته . وان أخته كانت تستطيع أن تصحح له ذلك فتعرفه ان ما توهمه حرة في جيبه العجل الذي لم يولد بعد ، انما هو طرف ذئبه الأبيض الذي انقلب على جيبته .

(١١٦) الدرجهيني ، ص ٣٢ - ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، وانظر الشماشي ، السير ، ص ١٩٢ .

(١١٣) ابن الصغير ، ص ٣٣ .

(١١٤) انظر الماوردي ، الفصل الحامس بعقد الامامة .

(١١٥) انظر الشماشي (ص ١٩٢) الذي ينقل عن ابن الصغير روايت لا نجدتها في حليمة هرتلينسكي عن كلية امتحان نفوسة لالمخ وكبوت تواضعه لهم . لقد كان يحفل لهم الصبايح يستضيئون به وهم ياكلون ليلا ، وعندما أعطوه لئمة من الطعام جعل الصبايح على ركبته فأخذها بيديه معار كالمطبخ .

(١١٦) انظر ابن الصغير ، أخبار الأئمة ص ٢٦ (٥٠ سنة) ، وقارن أبو زكريا .

المطبوع ، ص ٣١ - ب (٦٠ سنة - الدرجهيني ، المطبوع ، ص ٨٢) .

تاهرت على عهد أفلق :

ويلخص ابن الصغير عهد أفلق الطويل فيقول انه تميز بسياسة الأخذ بالعرفم والحرم فطار صيته واستقرت أمور دولته ودان له الجميع : من أهل السند ، ومن الخارجين عليهم من الشراة الذين لم يطعنوا عليه في شيء من أجزائه ، ولا في صدقاته ولا في أعشاره (١٦٧) ، فكانت النتيجة الشيعية لذلك هي : ازدهار تاهرت ، ذلك الازدهار الذي نسيه نفس الكتاب إلى عهد المدينة الأول أيام عبد الرحمن بن رستم .

رضاء « الشراة » عن أفلق الذي كان يشاورهم في الأمر :

أما عن رضاء الإباضية الذين يسميهم ابن الصغير بالشراة عن امامة أفلق ، فقد أتى نتيجة سياسته المتزنة التي لم تنكر عليهم المشاركة بالرأى في تدبير أمورهم . فلقد بدأ « الشراة » بامتحانه عندما توفي قاض من قضاة والده عبد الوهاب ، فسألوه أن يولى عليهم قاضيا يستحق القضاء ، فطلب اليهم أن يلقوا على من يريدون من بين خيارهم وأنه سيعينه ، وبماضده في القيام بأمره .

اختيارهم لمحكم الهوارى قاضيا :

ولم يجد « الشراة » بينهم من يستحق القضاء ، بل وقع اختيارهم على أحد مشاهير أهل الورع والدين ، وهو محكم الهوارى الساكن بعيدا بجبل أوراس (١٦٨) . وعندما أخبروا الامام أفلق بذلك لفت نظرهم الى أن الرجل « نشأ في بادية ، ولا يعرف لذي القدر قدره ، ولا لذي الشرف شرفه » . وامام تمسك الجماعة برأىهم وافق أفلق ، وخاصة أن أخاه أبا العباس كان من أشد المحبذين لولاية محكم .

وظهرت مشاركة الجماعة في تدبير أمورهم عندما « خرجت الرسل بكتاب من أفلق وكتاب من « الشراة » الى محكم ، في داخل كل كتاب منهما ، بعد اثبات بسم الله العظيم : » أما بعد فقد نزل بالمسلمين أمر لا غنى بهم عن حضورك ، وهم منتظرون لقدمك ولا يسمك التخلف فيما بينك وبين الله عن اللجوق بهم والاجتماع معهم ليجتمع رأيك ورأيهم على ما فيه صلاح

(١٦٧) ابن الصغير ، اخبار الأئمة ، ص ٢٣ .

(١٦٨) ابن الصغير ، ص ٢٣ .

المسلمين» (١٦٩) *

يدوى بين مرفهين ، لا يفرق بين للتخاصمين :

وأخذ محكم كساء وعصاه ، وركب دابته متجها نحو اليلدة (تاهرت) حيث نزل في المسجد الجامع . وأتى القوم اليه وسألوه أن يقبل القضاء والا كان مستولا عما يحدث من الفتن وازاقة الدماء ، بل أنهم ابتغوا ذلك بالتهديده بأنهم سيجيرونه على تقلد المنصب ، وأن الأولى به أن يقبل حتى يكون جزاءه للشكر منهم . وأمام الحاحهم قبل الرجل البديوي الخشن ولاية القضاء بعد أن حذرهم ، من : « ان الحق مر أمر من الدواء ، ولا يشرب الدواء إلا كرها » . وبعد أن عرفهم بأنهم مرفهون أبناء نعم ، وان غيره ربما كان أحب اليهم منه (١٧٠) . وهكذا الزل القوم محكما الهوارى في دار القضاء ، واشتروا له خادما سفيرة ، وأجروا عليه من بيت المال قوته (١٧١) .

وسار محكم في قضائه السيرة التي أملوها منه فلم يفرق في أحكامه بين غني وفقير أو شريف ووضيع . فعندما تنازع أبو العباس ، وهو أخو أفلح الذى كان عن الراعبين في تولية محكم ، مع أحد أصهار الامام بسبب قطعة من الأرض ورفعا أمرهما الى أفلح ، أمرهما الامام بالمسير الى محكم الهوارى . وعندما رأى محكم أن أبا العباس يسمح لنفسه بطلب الماء ، وهو في مجلس القضاء في سقيفة داره بينما خصمه واقف بالبأب ، غضب لذلك وأمر بأن يقدم الماء الى الخصم حتى يساوى بينهما مما أثار حفيظة أبا العباس . وعندما اشتكى أبو العباس من معاملة محكم قال له الامام أفلح ان الحق كان في جانب محكم وإنه لو فعل غير ذلك لكان مدهانا ، مما زاد في إعجاب الاباضية بأمامهم الذى لا يعرف الهوادة في الحق ولا يخشى فيه لومة لائم (١٧٢) .

توطد أركان للملكة وزيادة ازدهار تاهرت :

وهكذا توطدت أركان الامامة الرستمية وازدهرت تاهرت على عهد أفلح الذى ظال ملكه حتى نشأ له السنون وبنون البنين ، وشمخ في ملكه ، وابتنى التصور واتخذ بابا من حديد ، وبنى الجفان ، وأطعم فيها أسمام

(١٦٩) ابن الصغير ، ص ٢٤ .

(١٧٠) ابن الصغير ، ص ٢٤ .

(١٧١) ابن الصغير ، ص ٢٥ .

(١٧٢) ابن الصغير ، ص ٢٥ - ٢٦ .

الحفان (١٧٣) وفي ازدهار تاهرت على أيام افلح يضيف ابن الصغير :
« وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرفاق (التجار)
والرفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات » (١٧٤) .

قصور تاهرت :

هذا ، كما تنافس الناس في الينيان داخل العاصمة وخارجها ، فبنوا
القصور وعمروا الضياع وأجروا خلالها الاتهار . ومن أشهر المباني التي أقيمت
في أرياض تاهرت قصر عبد الواحد الذي كان مشهورا على أيام ابن الصغير ،
وكذلك القصران اللذان عرفا باسم بانياهما : إبان وحمويه . وكان سكان
هذين القصرين على قدر طيب من الرفاهية وسهولة الحياة بفضل عناية
صاحبيهما بهما ، كما سمع ابن الصغير من بعض شهود العيان . فعندما كان
إبان وحمويه يذهبان لزيارة القصرين ، كان أهلها يستقبلونهما في شرفات
منازلهم ، وعليهم الثياب الملونة ، من : أحمر وأصفر ، كأنهم البدر على
الجدران (١٧٥) .

بوادى تاهرت وعناصر السكان :

وبفضل سياسة أفلح الرشيدة ورجال دولته المجتهدين انتشرت القبائل
حول تاهرت ، وعمرت العماثر ، وكثرت الاموال بأيديهم ، في الحسنواضر
والبوادى .

ويفهم من رواية ابن الصغير ان عناصر سكان اقليم تاهرت النشطة
كانوا من الفرس الذين ابتنوا القصور ، ومن نفوسة الذين ابتنوا العدو ،
ومن الجند القادمين من أفريقية الذين ابتنوا المدينة التي كانت عامرة عندما
كان ابن الصغير يدون مذكراته هذه (١٧٦) .

تنظيم تاهرت على عهد افلح :

والظاهر أن الفرس كانت لهم ، على عهد افلح ، مكانة ممتازة في تاهرت
حتى أن بعض الكتاب سمي امامة تاهرت الاباضية بالدولة الفارسية . وفي

(١٧٣) ابن الصغير ، ص ٢٦ .

(١٧٤) ابن الصغير ، ص ٢٦ .

(١٧٥) ابن الصغير ، ص ٢٦ .

(١٧٦) ابن الصغير ، ص ٢٦ - ٢٧ .

ذلك يروي ابن الصغير ، مما سمعه ، أنه كان للمجم (الفرس) مقدم يقال له « ابن وردة » ، وأنه كان قد ابثنى سوقا عرف باسمه ، « فكان صاحب شرطة أفلح إذا تخلل المدينة لانتقادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هيبه » (١٧٧) . أما عن النفوسيين فلم تكن بلادهم تمثل فقط مركز الثقل الشرقي من الامامة الرستمية فيما وراء بلاد الأعالية ، بل كانوا هم أنفسهم يمثلون عصب الدولة في تاهرت نفسها : « فكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال ، وانكار المنكر في الأمور ، والاحتساب على الفساد » (١٧٨) . أما الاجتاد من بطانة السلطان فكانوا من اهل امريقية ، كما سبقت الإشارة ، وكان قوادهم ، كما يتضح من الرواية ، من اولاد أفلح وحشمه (١٧٩) .

هكذا ازدهرت أحوال تاهرت على عهد أفلح بن عبد الوهاب واتخذت شكل العاصمة المالية بفضل تنوع سكانها من الفرس والنفوسيين والأفارقة . ولقد عم الرخاء القبائل المنتشرة حول المدينة ، بفضل ما اكتسبوه من الأموال وما اقتنوه من العبيد والخيول الى أن نالهم من الكبر ما نال أهل المدينة : « حتى خاف أفلح أن تجتمع الأيدي عليه فتزيل ملكه » (١٨٠) وهكذا رأى أفلح في أواخر سنوات امامته أن يتبع بين القبائل سياسة « فرق تسد » ، وهذا ما ستمود اليه بعد استعراض الاحوال في بلاد نفوسة .

جبل نفوسة وحيز طرابلس :

خلف بن السمح يحمل لواء المعارضة -

على عكس ابن الصغير الذي أنفرد بقصة تاهرت على أيام أفلح ، خصص أبو زكريا ومن نقل عنه ، مثل : الدرجيني كل روايته على عهد أفلح لأحوال جبل نفوسة وحيز طرابلس ، حيث كان خلف بن السمح يحمل لواء المعارضة ضد أفلح وواليه أبي عبيدة عبد الحميد الجناري بعد أن رفض التعاضد السلمي الذي اقترحه عليه هذا الأخير أيام الامام عبد الوهاب ، على أساس أن يتفرد

(١٧٧) انظر ابن الصغير ، ص ٢٧ . الذي يضيف ان ابن وردة كان من وحمه المجم وأنه كانت قد بقيت منهم بقية على أيامه في مدينة مجانة .
(١٧٨) ابن الصغير ، ص ٢٧ .
(١٧٩) ابن الصغير ، ص ٢٧ .
(١٨٠) ابن الصغير ، ص ٢٧ .

كل منهما بناحيه (١٨١) . فقد رفض خلف الاعتراف بالامام افلح ، واحاز
بمن انضم اليه من الرجال الى موضع يعرف بـ « تيمتى » ، (١٨٢) ، وما يليها من
المشرق ، وهو رابع راية العصيان ، غير مقر بامامة افلح ولادان بطاعته .

الحرب بين خلف و ابي عبيدة عبد الحميد :

ومن تيمتى (تمتى) اخذ خلف يشن الغارات على رعايا الامام المقيمين
فى حيز ابي عبيدة عبد الحميد ، ويستبيح اموالهم ويخرب ديارهم ويقتل
رجالهم دون تمييز ، كما يقول كتاب الاباضية ، حتى انه قتل خطأ فى بعض
الاحيان بعض اولئك الذين كانوا قد دائوا له بالطاعة ، وهو يحسب أنهم
من رعية ابي عبيدة عبد الحميد (١٨٢) . وهكذا عظمت شوكة خلف الذى
استخدم الترغيب ايضا الى جانب التهيب ، فاستمال الرجال بطاياه من
الاقطاعات والاموال ، وصارت اليه الخيل والى اهل بيته ومواليه وماليكه ،
وساعده على ذلك ان ما كان تحت حوزته من الارض كان خصيبا بينما كانت
ارض ابي عبيدة جربة (١٨٤) .

وكتب عبد الحميد الى الامام افلح يستشيريه فى امر الخبيث بن العليب ،
كما تقول رواية الدرجيني ، ويستأذنه فى الدفاع ، ولكن الامام كتب اليه
بمثل ما كان قد كتب به والده من استخدام اللين والمدارة (١٨٥) . واستمر
خلف فى اعمال العدوانية ضد رعية عبد الحميد فبعث بسرية من اربصانة رجل
نهبت قرية تعرف بـ « تسمات درف » فاحذ رجاله ما قدروا عليه من اموالها ،
وفكروا ما قدروا عليه من الجمال بعد ان كان قد اخذ اكثر الخيل ، كما قتلوا
عددا من اهل القرية . واصابوا عشرة انفس من اصحاب ابي عبيدة
عبد الحميد (١٨٦) . وتقول الرواية الاباضية ان عبد الحميد الذى كان واقفا

(١٨١) انظر فيما سبق ، ص ٣٣٧ .

(١٨٢) انظر ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ب حيث الكلمة تمتى ، وقارن الدرجيني
الذى اخذنا نكتاته ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، التساخي ، ص ١٨٣ .

(١٨٣) انظر ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ب ، الدرجيني المخطوط ، ص ٣٢ - ب
(المطبوع ، ص ٧٢) ، التساخي ، ص ١٨٣ .

(١٨٤) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٧ - ا ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب
ص ٣٢ - ا (المطبوع ، ص ٧٢ - ٧٣) .

(١٨٥) الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، وما سبق ، ص ٣٣٧ .

(١٨٦) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٧ - ا ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٣ - ا

(حيث يسمى القرية ايدوف) والمطبوع ، ص ٧٢ (حيث تسمى القرية ويدوفه . وحيث
وقتلوا ما قدروا عليه من الرجال بدلا وتكروا الجمال) .

على رأس عسكره يبعد من الجبل كان قد منع أصحابه - بناء على تعليمات
الإمام أفلح - من التعرض لرجال حلف (١٨٧) ، ولكنه لما استبان له نصيبهم
أمر رجاله (المسلمين) بمنايذتهم ، فهرموهم وقتلوا منهم كثيرا ، ولكن
عبد الحميد منع عسكره من اتباعهم . وبذلك عاد كل من حلف وعبد الحميد
الى موضعه : الأول الى تيمتى والثانى الى موطنه وكذلك أصحابه (١٨٨) .

معركة تعادل غزوة بفر :

وعاد عبد الحميد الى مداواة خلف فأرسل اليه يطلب منه السلام على
أن يكون كل منهما فى حيزه ، ولكن خلفا أبى من ذلك واستمر فى شن الغارات
على أهل طاعة أبى عبيدة واعداد العدة لاستئصالهم . وهكذا عندما اجتمع
الى خلف عدد كبير من الرجال خرج لملاقاة عبد الحميد فى معركة ناصلة .
ودلك بعد سنة من لقاء « قسما درف » . ومع أن عبد الحميد خرج الى هذا
اللقاء فى عدد قليل من أصحابه « عددهم هو عدد أصحاب بدر » أى ٣١٣ رجلا
أو سبعمائة بينما كان خلف فى ٤ (أربعة) آلاف فارس ، فانه كان مطمئنا
الى أن رجاله كانوا من أهل البصائر الذين يموتون على ما أبصروا ، وهذا
مالم يشاطره اياه خلف (١٨٩) .

المناظرة قبل القتال :

وذلك أنه قبل القتال بدأت مناظرة بين الفريقين حاول كل منهما فيها
أن يشت صحة موقفه ، فلقد أرسل خلف الى أبى عبيدة رسولين طلبا منه
خلع الإمام أفلح وثبات ولايته هو ، وكانت الحجة فى ذلك أن حيز جبل
قفوسة منقطع عن تاهرت . ويعرض أبو زكريا الأسانيد التى ارتكز عليها
اتباع الإمام أفلح فى تفنيد حجج خلف واتباعه على الوجه الآتى : فقد بدأ
أبو عبيدة عبد الحميد بأن سأل رسول خلف عما اذا كان الإمام عبد الوهاب
ثم ابنه أفلح قد أحدهما أمرا يحل به خلع ولايتهما ؟ واحتج لذلك بطاعة

(١٨٧) الدرر ج١ ، المخطوط . ص ٣٣ - ١ (المطبوع ، ص ٧٢) ، التمامى ، ص ١٨٢ .

(١٨٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - ١ ، الدرر ج١ ، المخطوط ، ص ٣٣ - ١ (المطبوع ،

ص ٧٣) .

(١٨٩) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - ب . حيث يسجل أن رجال ابن عبيدة

كانوا ٣١٣ رجلا وأن رجال خلف كانوا اربعمى ألفا (وقارن التمامى ، السرد ص ١٨٦) .

بينما يقول الدرر ج١ ان رجال عبد الحميد دسا بلغ سبعمائة رجلا وان رجال خلف كانوا ٤

آلاف فارس وهو ما رجسته فآخذنا به (المخطوط ، ص ٣٢ ب ، المطبوع ، ص ٧٤) .

السمح اي والله حلف لعبد الوهاب . وعندما اعتل رسل خلف بالحوروات
واقطاعها رد عليهم من جديد بطاعة السمع لعبد الوهاب رغم اختلاف
الحوزات .

وعندما اجاب رسولا خلف بالخوف من اراقة الدماء ان لم يطع عبد الحميد
خلفا ، سألها : أيهما أعظم ، اراقة الدماء أو ترك القيام بدين الله ؟ ولما قالا
له ان اراقة الدماء أعظم احتج عليهما بأعمال السلب الصالح من رؤساء
الخوارج ، وقال لهما : لو صح ذلك لافترق أصحاب النهر (النهروان)
وغيرهم ، وذعنوا لطاعة الظلمة المسودة ، وأصحاب النخيلة ، وأبو بلال
وأصحابه ، وعبد الله بن يحيى ، وأبو حمزة وأصحابهما ، من روادهم في
المشرق ، ثم أبو الخطاب ومن تبعه من المسلمين ، وأبو حاتم ومن تبعه من
رؤسائهم في المغرب . فكل أولئك لم يتركوا القيام بحق الله مخافة اهراق
الدماء ، بل انهم حينذاك الجهاد في سبيل الله وفضلوه . وأضاف عبد الحميد
الى ذلك أنه اذا كانت اراقة الدماء أعظم من القيام بدين الله تعالى ، فعلى ما
يقتلون الناس ؟ (١٩٠) .

المباهلة بعد المناظرة :

وانتهت المناظرة في يوم خميس دون الاتفاق ، وكان على السيف ان
يقرر لمن يكون الحكم . فهكذا طلب أبو عبيدة عبد الحميد من الرسولين ان
يرجعا الى صاحبهما ، وأن يكون الابتهاال الى الله مرجعا ثانيًا لهم قبل الالتجاء
الى الحرب . وكان الابتهاال ، كما قال لهما عبد الحميد ، يقتضى من الخصمين -
خلف وعبد الحميد - الصيام يوم الجمعة ثم الطلوع مع أحد كبار أهل الثقة
وهو أبو المنيب اسماعيل بن دراز الغداسي ، فكانه الحكم ، على شعب
الجبيل : « فنبتهل ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، وأن يفتح بيننا وبينكم ،
وهو خير الفاتحين » (١٩١) .

وأغلب الظن أن المباهلة المقترحة لم تتم إذ تشير الرواية مباشرة الى
استعداد خلف للقاء أبي عبيدة وأمره لرجاله بالتهيؤ لهذا اللقاء ، وأن أبا عبيدة

(١٩٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - ب ، وقائى العرجيني المخطوط ، ص ٢٣ - ب
(المطبوع ، ص ٧٥) .
(١٩١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ب ، الدرريني ، المخطوط ، ص ٢٤ - أ
٥ المطبوع ، ص ٧٥) .

أمر رجاله عندما اقتربوا من حصونهم - بناء على نصيحة من أحد اصحاب خلف - بالتراجع إلى سفح الجبل ليكونوا في موقع استراتيجي جيد ، حيث يمكنهم أن ينالوا من عدوهم إذا كانت الجولة لهم ، وليصبحوا في مأمن منهم لو دارت الدائرة عليهم . وعندما تراجع أصحاب أبي عبيدة إلى سفح الجبل ظن خلف أنهم حبنوا وخافوا فأمر رجاله بالهجوم عليهم .

وهنا قام أبو عبيدة بالانهال إلى الله ، وبعد أن توشأ وصلى ركعتين - فدعا الله وابتهل إليه أن يقل شوكتهم (١٩٢) . وذلك قبل أن يرغب أصحابه في القتال ، ويدعو لمن يموت تائباً من العاملين الصالحين منهم (١٩٢) .

معركة أجناون ، وهزيمة خلف (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م) :

وهكذا تم اللقاء غير بعيد من أجناون بالجبل ، كما يقول الشماخي (١٩٤) . عشية الخميس ١٣ من رجب عام ٢٢١ هـ / ٤ يولية ٨٣٦ م ، وأصحاب أبي عبيدة يقاتلون للدفاع في سبيل الله - دفاع أهل البقي - وانهى القتال الشديد الذي أبلى فيه العباس بن أيوب بن العباس بلاء حسناً . فكان يكشف خيل خلف بينا وشمالا ، بانهزام أهل البقي من أصحاب خلف هزيمة منكرة ، بعد أن قتل منهم مقتله عظيمة . ورغم نفي الخلميين من النكار فقد أمر أبو عبيدة عبد الحميد رجاله بالاداء بتبعوا مدبرهم ولا يجهزوا على جريحهم ، وأحس السيرة فيهم (١٩٥) .

(١٩٢) أبو ذكريا المخطوط ، ص ٢١ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٤ - ٢٥ (المطبوع ، ص ٧٥) .

(١٩٣) الشماخي ، السير ، ص ١٠٠ : حيث يقول انه دعا بالجنة لمن مات تائباً ، الا من كان على فراش حرام أو قتل به . أو عصب مالا .

(١٩٤) السير ، ص ١٨٩ .

(١٩٥) أبو ذكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ب ، حيث تقول الرواية المنقبة أن العباس ابن أيوب ضرب رجلاً قطاراً وأنه ، فقال العباس للفرائس : « ال النار ، فقال له الرأس عجيباً وبس لهيب » . هذا ، كما تشير الرواية إلى أن الرجل من أصحاب أبي عبيدة كان يرمى بالزراق فيخرج من ظهر خصه ويركز خلفه . وقانون الدرجيني ، المخطوط ص ٢٤ - ٢٥ (المطبوع ، ص ٧٦) .

خلف يهجر خصومه :

وهكذا عاد خلف مهزوما الى موضعه في تيمتى ، ولكنه بدلا من أن يتعظ من درس الهزيمة تمادى في أعماله العدوانية ضد أتباع عبد الحميد وأفلح . فتقول رواية أبي زكريا أنه أخرج من إقليم تيمتى من كان هناك من نفوسه وغيرهم ممن لم يكونوا متعاطفين معه ، « وأجل لهم ثلاثة أيام ، فمن وجد بعد ذلك فمهدور دمه وماله » ، لم يفرق في ذلك بين اليتامى والمساكين والأرامل ومن ليس له ذنب ، ممن أخرجوا على كره منهم . وصار هؤلاء يتوافدون على أبي عبيدة ويعلنون التوبة ويرجعون عن خلف ، الذى ومن بعد ذلك « حتى مات في زيفه وغيه » ، وحتى ان ابنه اضطر الى الانحياز بأعوانه فيما بعد الى جزيرة جربة (١٩٦) . وبذلك انتهت قصة الافتراق الثانى ، وهو افتراق الخلفية ، فى امامة تاهرت الرستمية ، وتمكنت امامة أفلح الذى « القا بيده يمينا وشمالا ، وتمكن من امامته واطردت له الأمور واستقامت له الأحوال » . أما أبو عبيدة عبد الحميد فقد ظل ملازما للطاعة الى أن أدركته منيته ، فاستعمل الامام أفلح مكانه ، على نفوسة ، العباس بن أيوب بن الصباس الذى أحسن السيرة على سبيل أصحابه الى أن توفى (١٩٧) ، وكانت وفاته ايذانا بالانشقاق الثالث بين اباضية تاهرت .

الثغائية ، والافتراق الثالث فى الاباضية على عهد الامام أفلح :

تسمية الثغائية :

إذا كانت نفوسة وجبلها قد مثلت مركز الثقل فى امامة تاهرت الرستمية ، فإن مدينة قنطرة وحيزها كانت بمثابة مركز الثقل فى جبل نفوسة (١٩٨) . وبسبب التنافس على ولاية إقليم قنطرة كان الانشقاق الثالث بين الاباضية

(١٩٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ب ، ٢٩ - ا ، وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٤ - ا (المطبوع ، ص ٧٦) : الذى يذكر أن حفيد خلف هو الذى انحلز بأمران جده الى جربة حيث اتاموا بهدين عن المشاركة فى أمور الدولة الرستمية .
(١٩٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ا ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٤ - ا (المطبوع ، ص ٧٧) .

(١٩٨) انظر البارونى ، كتاب الأعلام الرياضية فى أمة وملوك الاباضية ، قسم ٢ ص ١٩٦ - ١٩٧ : حيث يقرر المؤلف أن قنطرة من المدينة المعروفة حاليا بـ « تيجي » وكانت ذات عمارة ولعبة وعمار متشعبة ، وهيون جارية فى ذلك العهد ، وان لم يبق فيها الآن الا قليل من التخييل وبعض العيون التى لا ينتفع بها .

على عهد الامام أفلح بن عبد الوهاب ، وهو الانشقاق الذي عرف أصحابه
بالتفائية نسبة الى نفاث ، وهو اسم الشهرة الذي عرف به قائد الحركة فرج
ابن نصر النفوسى (١٩٦) . ومع أن البارونى يسجل اسمه فى شكل نفاث
ويقول انه ربما كان من القرية المعروفة الآن بنعانة ، والتي ربما كان أهلها
المالكية من سلالته (٢٠٠) ، فالواضح من النصوص أن أصحاب الامام أفلح هم
الذين أطلقوا اسم نفاث على فرج : كلقب تجريحي ، كما فعلوا مع النكار ، وهو
الاسم الذى يكاد يعادل اسم الخوارج الذى أطلق على أسلافهم الأوائل . واذا
صح ذلك فأغلب الظن ان اسم نفاث مشتق من الفعل نفث نفثت ، والمقصود به
هو نفث سبوم الخلاف والفرقة .

نفاث : فرج بن نصر النفوسى : تكوينه العلمى :

وكان فرج بن نصر النفوسى ، الذى اشتهر بنفاث ، من علماء الإباضية
المشهورين بغزارة العلم والاجتهاد وصواب الراى . اعترف له بذلك خصومه
من شيوخ المذهب ، وسجلوا الحقائق والاساطير حول علمه ورجاحة عقله
وقوة فكره . فقالوا انه أخذ العلم عن الامام أفلح نفسه (٢٠١) الذى كان قد
ظهر ببوغه قبل أن يبلغ الحلم . ونصوا على أنه لم يكن يكتفى بالعلم النظرى
بل كان يسعى الى اثبات النظرية بالتجربة ، كما حدث عندما سأله امرأة عن
بيضة طاهرة طبخت فى قدر منجوس . « فدخل الدار فاحذ بيضة ونيلا ،
وطبخها ، ونزع القشر فوجد النيل قد سود القشرة وتغير داخل البيضة حتى
صار كلون النيل ، فعلم أن القشر لا يمنع النجس» (٢٠٢) .

هذا ، كما قيل انه سار الى المشرق ما بين الحجاز والعراق - لطلب العلم
على شيوخ المذهب هناك - وأنه دخل بغداد ، حاضرة الخلافة ، وبلغ به الأمر
الى حد أنه تحدى العلماء والفقهاء من بطانة أمير المؤمنين وناظرهم فى مجلسه ،
وأجاب على أسئلتهم ، « حتى عيوا فلم يقدروا له على شئ ، ، وحتى تعجب
السلطان من علمه مع سخالته ونسبه وقلة أدبه ، وقال نعم المسئل فى طرق

(١٩٦) أبو زكريا . ص ٢٦ - ب . الدرجيسى . ص ٢٤ - أ (المطبوع . ص ٧٧) .

(٢٠٠) الأذهار الرياضية . قسم ٢ ص ١٩٦ .

(٢٠١) أبو زكريا . ص ٢٩ - أ (الدرجيسى . المطبوع . ص ٧٨) .

(٢٠٢) أبو زكريا . المطبوع . ص ٣٠ - أ . وقارن الدرجيسى ص ٣٤ - ب (المطبوع)

• سو (٢.٢) .

ديوان جابر بن زيد :

وكانت فرصة انتهزها نقات لكي يسمح له الخليفة بنسخ ديوان جابر ابن زيد (٢٠٤) الذي كان محصورا في خزائن دار الخلافة لا ينتفع به أحد (٢.٥) .

اسباب دينية للخلاف :

وتشير الرواية الى أن نقاتا عندما وصل معه ديوان جابر الى طرابلس الغرب أخذ يضعف أهل مذهبه ، وساء ظنه بهم ، مما يؤكد أن رحلة المشرق قد كانت اكسبته من العلم ما لم يكن معروفا لدى أهل المذهب في المغرب ، وأن ذلك كان من الأسباب الرئيسية للخلاف بينه وبين الامام أفلح . أما ما تقوله رواية ابي زكريا من أن نقاتا خاف أن يصير ديوان جابر الى أهل دعسنة المسلمين ، فيزدادوا به علما ، وأنه فضل أن يدفن الديوان في بعض المواضع ،

(٢٠٣) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٠ - ٣١ ، ب . حيث تقول الرواية ان نقاتا كان حائسا في حابرت رضي لبعثاديين عندما سمح المادى ، فقال له صاحب العانوت : ان من اسباب لأمر المؤمنين مسائل طله سؤاله والا قطعت رأسه ، فأمر فسكات على التقسامم للاجابة ، وأنه عندما اسلمه الأعران على أمير المؤمنين الذي قرره وسأله عن أسواله وطلده ونسبه بدأ نقات كلامه قائلا : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من البربر ، والبربر ليس منهم أدب فأريد أن أتكلم في محاسنك بما يدى لي . وقارن الدرجيني ، ص ٣٦ - ٣٦ ، ا - ب (المطبوع ، ص ٨٠) .

(٢٠٤) عن حابر بن زيد الأزدي صاحب الديوان (٢١ هـ - ٩٦ هـ) الذي يعتبر من مؤسسى المذهب الاباضي وشيخ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، انظر على يحيى مسمر ، الاباضية في مركب التاريخ ، ج ١ ص ١٤٣ - ١٥١ .

(٢٠٥) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٠ - ٣١ ، ب . وتضيف الرواية ان وذا- الخليفة اعترضوا على السماح لنقات بنسخ ديوان جابر وخروجه من دار الخلافة ، واستدلوا بذلك على علم نقات وعقله وما سيصير اليه بعد أن ينسخ ديوان جابر ، وأنهم فكروا في حيلة تمنع من ذلك فعرضوا على نقات أن يستعمل الديوان لليلة واحدة عندما يريد . وواجه نقات المذوق بأن اختار أطول ليالي السنة . وبلد المال بسخاه لعدم كبر من الوراقين ، من : لساخ ومسلين وأبدم بالورق والحبر الكثير حتى نجسوا فعلا في نسخ ديوان جابر في تلك الليلة والا كتابا واحدا من الضرة كتب ، أبي عليه السلطان أن ينسخه ، ولكنه سمح له أن يقرأ مرة واحدة بين يديه ، كانت كالمية لان يحفظه نقات من ظهر قلب . وتضيف الرواية ان السلطان حاول أن يحتال على نقات-مضى لا يخرج بالديوان من بغداد عن طريق عمجينه بالاجابة لهم عند من المسائل ، ولكنهم لم يقدروا له على شيء ، ثم انه خرج على مكة قبل أن يأخذ طريق المغرب حتى يصلهم . وقارن الدرجيني ، ص ٣٦ - ب (المطبوع ، ص ٨١ - ٨٢) .

» وأنه لم يعرف موضعه الى يومنا هذا ، وهذا كله بغيا وحسدا (٢٠٦) ،
فالمقصود به تأكيد أن رحلة المشرق كانت بعد الافتراق ، وهو الامر الذي يجافي
المنطلق السليم الذي يرجع أن الانشقاق كان بعد رحلة نفاث الى المشرق حيث
تفقه في المذهب ، ورأى أن ينشر اجتهاداته التي أشرنا اليها .

أسباب سياسية للخلاف :

ومع أن أبا زكريا يصح حياة نفاث العلمية الحافلة هذه عقب خلافه مع
الامام أفلق ، الأمر الذي أدى الى ذلك الافتراق الثالث في الإباضية بالمملكة
الرسنية ، فالواضح أن أبا زكريا أراد بذلك - وهذا ما فعله أهل المذهب الذين
نقلوا عنه - أن يجعل أساس الانشقاق الثالث سياسياً ، وإن كان الافتراق
قد أصبح مذهبياً . فهو يجعل المناقشة على ولاية قنطرة والحاح نفاث في
الوصول الى منصب الوالي هي السبب في ذلك الانشقاق . وفي ذلك ينص أن
الامام أفلق كان قد استعمل علي قنطرة أبا يونس وسيم بن يونس
النفوسى الذى أصلح ما كان يدور في المنطقة الزراعية الغنية من افسناد
للمجموع (٢٠٧) ، كما انه اشتد في جمع الزكاة من مستحقى دفعها ، حيث أعلن
أنه « لافرار من الصدقة » (٢٠٨) .

ولاية قنطرة : منافسة بين نفاث وسعد بن وسيم :

وعندما توفي أبو يونس وسيم كان ابنه سعد يطلب العلم لدى الامام
أفلق وبصحبته فرح بن نصر وهو نفاث . وعندما نظر أفلق فيمن يستعمله على
قنطرة ، فأختبر الناس وميرهم ، « وجد سعد بن يونس لأمور المسلمين أصلح ،
ولأمور الدين أحسن ، ولحدود الله أصلب » . فكتب سجلاً باستعماله ، ودفع
السجل بعد ختمه الى سعد ونفاث ، ولم يبين لهما من العامل ، وأمرهما ألا
يفضيا السجل الا في قنطرة . وخلال الطريق « استخف الشره وسوء الخلق
وحب الرياسة » نفاثا ، « ففتش وراء الكتاب وقضى خاتمه وقرأة » . وأستاء

(٢٠٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٦ - ١ ، ٣٦ - ب ، وقارن الدرجيني ص ٣٧ - ١
المخطوط ، ص ٨٢) .

(٢٠٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ١ : حيث يصر على أن سبب خروج أبي يونس
الى قنطرة أن الخدم كن يخطئين من أجنة النابى فإذا جاء المطر في المواضع التي احتطبن
حينها فتتهدم الجسور من ذلك - وقارن الدرجيني ، ص ٣٤ - ب ، ٣٥ - ١ (المخطوط ،
ص ٧٧) .

(٢٠٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ١ .

نفاث لأن الامام أفلح فضل عليه سعد بن وسيم لولاية قنطرة : « فأضمر في قلبه الغش والمداورة » . وهكذا فرغم أن سعدا ولي قنطرة فاحسن السيرة ، وقام بحق الله ، وأقام له منبرا وجمعه ، بمعنى أنه كان يؤم صلاة الجمعة ويدعو للامام أفلح في الخطبة ، فإن نفاثا أظهر الطعن في الامام (٢٠٦) .

نفاث يطعن في الامام ويشرح خلافاً فقهية ، ما بين التقليد والتحديث :

والى هنا ورؤية أبي زكريا تسجل أن سبب خلاف نفاث سياسي دينوي . من أجل ولاية قنطرة . ولكنه يأتي بعد ذلك بأسباب أخرى ذات طبيعة فقهية مدمية ترجع أن الخلاف كان دينيا من حيث الشكل على الأقل ، أو أنه صار هكذا . من ذلك ما ينسب الى نفاث من أنه قال في الامام أفلح: « أضاع أمور المسلمين ، ويزيد في الخلفة ويلبس الطرطور ، ويخرج الى الصيد ، ويطلى بالأسبر » (٢١٠) . مما يعني أن نفاثا كان متمسكا بسنن أهل الدعوة القديمة ، وأنه كان ضد مظاهر التطور التي أخذ به الامام أفلح ، من التجديد في الزي وتقليد خلفاء بغداد وعالمهم في لبس القلائس ، والعناية باللبس والمظهر ، وانفاق بعض الوقت في الرياضة والقتنص . ثم تتسلسل الخلافات المنهية والفقهية في عدد من المسائل التي يظهر فيها اجتهاد نفاث ، والتي انكرت عليه حتى نسب بسبب بعضها الى الكفر .

فمن المسائل التي ابتدئها نفاث : زعمه أن خطبة الجمعة بدعة . ومن أخطرها فتواه بأن أبناء أخي الرجل من الأب والأم (أي الشقيق) أولى بوراثته من أخيه من الأب فقط . ويعلق أبو زكريا على هذه الفتوى ، فيقول : ان نفاثا راد بها ضللا ، وأن المشايخ قالوا : « لو لم يفت الا هذه المسئلة لكفريها » (٢١١) .

(٢٠٩) أبو زكريا ، ص ٢٩ - ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ - ١ - ٣٥ - ب (المطبوع - ص ٧٨) .

(٢١٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ - ب (المطبوع ، ص ٧٨) ، وانظر الماروي ، الأذهار الرياضية ، قسم ٢ ص ١٩٨ : حيث يشرح « ويزيد في الخلفة » بمعنى أنه عظيم العناية كبير الوجه طويل اللحية جدا ، كما يقرأ « ويصل بالأسبر » من الدرجيني ، بدلا من « ويطل بالأسبر » التي تشبهه : ويصيح شعره بالحنا .

(٢١١) أبو زكريا للمخطوط ، ص ٢٩ - ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ - ب (المطبوع ، ص ٧٩) ، ويذكر أبو زكريا بعد ذلك (ص ٣٠ - ب) ، بعض الروايات التي يدلل بها على خلال نفاث ، ليقول ان ابن أخته رآه في المنام يحمل الصبر على رأسه ، وقد وضع عليه سنور وهو فرق رأسه ، ويفسر ذلك ان الشيطان استولى عليه وهو يجمع العلم -

وحمكدا كانت شقة الخلاف للمذهبي تتسع بين نفاث وأعوانه في حبل
تفرسه وبين أصحاب الامام أفلح ، وعلى رأسهم سعد بن أبي يوسف وسيم
وال قطارية . واضطر سعد الى ترك مقر ولايته والحروج الى حبل نفوسة
حسب مقام نفاث مخالفة أن يضل الناس . وبني سعد دارا بجبال نفاث . الذي
كان بناء عظيما ، فاسرع نعلوته في البناء . ويقول أبو زكريا أن سعدا خشي
« ان يتوهم الناس أنه رضى عن نفاث فكان يقول له : انى جيتى نترك كفرك
يانفاث ، فيقول له نفاث : معاد الله من الكفر يا شيع » . وكان سعد يقول
لأخصائه فى ذلك : « ليس جزاء من يساعدنى الشتم انما تخوقت العنة
وجراؤه اللحم والخبز (٢١٢) -

ويضيف البارونى فى الازهار الرياضية فى أئمة وملوك الاناصية عددا
من مسائل الخلاف التى آثارها نفاث ، منها قوله ان الله هو الدرر الدائم
وانكاره استعمال الامام العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية ومطاب بيت
مال المسلمين من الرعايا . وقوله أن المضطر بالجور لا يمشى ببيع ماله اذا باعه
لاحل ذلك وعلى من شهد مصرته تصحيته . بقوله ان العقد لا يتحقق الا بيسر
تجاوز الحر الى غير ذلك من المسائل التى يتحل فيها الخلاف (٢١٣)

هذا كما يسجل البارونى ثلاث رسائل مسبوته الى الامام اصبح فى حق
نفاث وى الرد على بدعه ومسائله . والأولى منها موجهة الى والى ندره . وهو
عياى بن يوسف ، يدعوه فيه الى تنبيه رعيته الى ضلال نفاث ويحثو من ترده
على مجالس أهل الدعوة حتى يرجع الى سنة المسلمين . وذلك قبل الرد على
ضلالته (٢١٤) . والرسالة الثانية التى لا يعرف اسم من أرسلت اليه من
العمال ، وكان يشكو للامام من أعمال نفاث تشير الى ضلال نفاث وبدعه ومخالفة
شريعة السلف الصالح والائمة المرضيين ، وتدعو الى اقامة الحق عليه . وهجره
وأبعاده (أى البراءة منه) أن تمادى فى خلافه . ثم تنص الرسالة على أن من

كما يذكر أن ر : لواد الشول فى مذهبه فلهذا فى الطريق قسمه ، وهو يقول : « ضللت
واضللت بالفتاى » . ويقتم أبو زكريا بقوله ولما انه اضطر فى العلم سرلة عظيمة والفته
والدم... ولكنه أئسد ذلك كله بالحد وحسب الأمور بمعنى أن أسباب الخلاف المذهبى كانت
شخصية سياسية -

(٢١٢) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ب ، ٢٠ - ا ، وقارن الدرر بينى ، ص ٢٥ - ب

٢١ - ا : (اللطيف ، ص ١٥٠ م .

(٢١٣) البارونى ، الأوامر الرياضية ، قسم ٢ ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢١٤) البارونى ، الأوامر ، قسم ٢ ص ١٩٦ - ٢٠١ .

ينكر شيئا على عامل من العمال فعليه أن يكتب بذلك لى الامام ، كما تنص على منع الوثوب على العمال (٢١٥) أما الرسالة الثالثة فقد وجهها الامام أفلح الى نفاث نفسه يحذره فيها من ابتداء غير الحق ، ويدعوه الى العودة الى الرشيد ، ويكرر خلع كل من خالف سيرة المسلمين وتقيته وهجره وقصائه ، وكذلك البرامة منه ، مع اشارة خاصة الى من يزعم أن عمال الامام أساقفة ، وأنهم لاطاعة لهم في حال كتمانهم - وفي نهايتها يطلب من نفاث أن يعود الى حظيرة الجماعة ، وأن يترك المحالفة ، وما كان يطالب به من التصحيح ، الامر الذي يقتضى أن يعلن أفلح توبته حتى يرضى عنه (٢١٦) .

ورغم ما يقوله البارونى ، من : أن نفاثا قاب ورجع عن مسائله التى خالف فيها ، مستندا الى أنه لم يرو احد ايه ذكر الامام أفلح بسوء أو تكلف لاثارة فتنة أو سعى فى فساد ، وذلك بعد رجوعه من المشرق ، اذ استقامت الامور لأفلح (٢١٧) ، فالمعروف هو أن النفاثية ، مثلها مثل : النكارية والخلفية ، ظلت من اليسرى المتشقة على المجتمع الاباضى الى ما بعد نهاية امامة تاهرت الرستيمية . وفي ذلك يقول الدرجيني : انه : « لم يبق ببلادنا من يقول بقول نفاث ، ويتصرح به الا فريق من مطاوعة ، فمنهم بالحمة ، ومنهم بالجبل ، واليه ينسبون ، فيقال لهم النفاثية » (٢١٨) .

ازدهار المملكة على عهد افلح ، وسياسة « فرق تسد » :

هكذا تكون الامور قد استقرت كلامام أفلح - رغم انشقاق الخلفية ثم النفاثية خلال ملكه الذى دام الى أكثر من نصف قرن (الى حوالى ٢٤٧ هـ / ٨٦١م) حسب رواية كل من ابن الصغير وأبى زكريا . وخلال تلك المدة توطأت امور المملكة فى تاهرت ، وأغتنت القبائل حول تاهرت وتضرت ، وبدأ يظهر فيها الفساد والبطر ، مما جعل الامام يخشى على مملكته ، كما يقول ابن الصغير ، حتى انه بدأ يطبق مبدأ « فرق تسد » بين القبائل كى يلهيها بالصراع فيما بينها ، حتى يظل محتفظا لنفسه بموقف الحكم .

(٢١٥) البارونى ، ص ٢٠١ - ٢٠٤ -

(٢١٦) البارونى ، الأزهال الزيدانية ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ - ٢٥٥ .

(٢١٧) الأزهال الزيدانية ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ - ٢٥٥ .

(٢١٨) الدرجيني ، المعطوط ، ص ٢٧ - ٢٨ (المطبوع ، ص ٨٢ - حيث التواضع بالجملة

جدلا من الحمة) .

وفي ذلك يتعهد ابن الصغير بالقول ان الامام أفلح « أرسى بين لوانة وزناتة » من جهة ، « وما بين لوانة ومطاطة » من جهة أخرى ، كما أثار العرات بينه البيند وبين المعجم حتى تنافرت النفوس وقلمت الحروب ، « وصارت كل قبيلة ملاطفة لأفلح حوقاً من أن يعين صاحبيتها عليها (٢١٩) » .

اعتقال ولي العهد أبي اليقظان محمد في بغداد الى وفاة المتوكل :

وبفضل تلك السياسة التي أدت الى انفاق حماس القبائل العسكري فيما بيننا اطمأن أفلح الى ملكه حتى نهاية عهده ، « فاستلقى على ظهره أمنا ومد يديه ورجليه مطمئناً وعلم انه قد كفى أمرهم » ، ولم ينقص عليه عيشه الا افتقاده لابنه الأكبر وولي عهده الأمير أبي اليقظان محمد الذي كان قد سار الى المشرق لاداء فريضة الحج ، وربما للتعقنه أيضاً على شيوخ المذهب هناك . اذ تقول الرواية أن رسل بنى العباس الوافدين في قافلة الحج المغربية كشمعوه في مكة وأخبروا انه جاء لبث الدعاء في المشرق فحمل الى دار السلام ببغداد . وذلك على عهد الخليفة العباسي « المتوكل » (٢٢٢ - ٢٤٧ هـ) على ما يظن . وحبس أبو اليقظان في سجن المتوكل مكرماً مع ابن الخليفة كما يقول ابن الصغير ، وظل في الحبس الى مقتل المتوكل (سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) حيث أخرجته الخليفة الجديد زميله في السجن (٢٢٠) ، وهو المنصور بن المتوكل (الذي لم يمكث في الخلافة الا ستة أشهر فقط) الذي أحسن جائزته ، وأحرى عليه العطاء الى حين عودته الى تاهرت (٢٢١) . وكانت عودة أبي اليقظان الى تاهرت بعد وفاة والده أفلح الذي « اشتد حزنه عليه وطال غمه به فلم يزل مهوماً محزوناً الى أن وافته منيته (٢٢٢) » . وكانت امامة تاهرت قد آلت الى أخيه أبي

(٢١٩) ابن الصغير ، ص ٢٧ .

(٢٢٠) ابن الصغير ، ص ٢٧ - ٢٨ (حيث القراءة في النص انه سجن مع ابن الخليفة التي عدلتها الى ابن الخليفة) .

(٢٢١) انظر ابن الصغير ، ص ٢٨ - ٣٠ . حيث تقول الرواية انه عندما سح لابي اليقظان بالانصراف من بغداد طلب منه أهل الديوان أن يوصي من يقضى جاريته التي بلغت ١٢٠ درهماً يومياً ، لتلا يذهب رسبه من دعوات ديوان الخلافة ويعود ذكره . وعرض أبو اليقظان على خادمه النفوس أن يقيم في بغداد ويقضى جارية ال ١٢٠ درهماً يومياً ، ولكن الخادم رفض . وطلب اعطاهما الى الخياط الذي كان يجلس عنده ويشاوره في أمر أبي اليقظان وهو في السجن . ويضيف ابن الصغير قائلاً : وكان النفوس بعد ذلك بتاهرت الاكره لمر أو نزل به ضيق ، يقول لابي اليقظان : لم أقبل منك ، ولو قبلت لكان المشرون والمائة درهم أهد على ما أتيت به .

(٢٢٢) ابن الصغير ، ص ٣٠ .

بكر الذي كان مسيراً بين أبناء أفلح بعد أبي اليقطين محمد .

أبو بكر بن أفلح (امام تاهرت الرابع) : ٢٤٧ هـ = ٨٦١ م / ٢٦٠ هـ = ٨٧٣ م)
اختياره : ما بين الرضى والكراهية :

رغم ما يقوله ابن الصغير من أنه عندما وابت أفلحاً منيته - وانجتمعت
الاباضية قلم بصيبوا في أولاد أفلح ، إذ فقدوا أبنا اليقطين ، أرجع عندهم من
ولده أبي بكر (٢٢٢) . فالواضح من تكملة الرواية أن مسألة اجتماع الاباضية
للمشاورة في اختيار الامام كانت شكلية ، وان رعنا نفوسه كان ييدهم مقاليد
الأمور حقيقة ، وكأولاً يكون من يقع اختيارهم عليه من أبناء الامام الراحل -
هذا ما يفهم من نص ابن الصغير أيضاً الذي يقول انه عندما قدم الناس أبا بكر
إلى أفلح ، بعد وفاة والده ، كان عبد العزيز بن الأوز ينادى بأعلى صوته
الله سائلكم معاش نفوسه اذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ، ولم تجعلوا الأمر
للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو اتقى وارضى ، فلا يلتفتون الى كلامه
ولا يشتغلون بمآلته (٢٢٤) . ومن الممكن أن يكون المقصود بهذا الكلام هو
المطالبة بتطبيق مبدأ الاختيار بشكل عام ، كما يمكن أن يكون احتجاجاً خاصاً
بالنسبة لاختيار أبي بكر بعرفة نفوسه (٢٢٥) .

وقد يرحح فكرة أن أبا بكر بن أفلح لم يكن الامام المنشود ، ما يذكره ابن
الصغير من أنه ، لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من
آبائه ، أو ما نضيه من أنه ، كان سمحاً حواداً لى المريكة ويسامح أهل
المروءات ويشايخ على مروءتهم ويحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين ، (٢٢٦) .
وهو الأمر القبول بالنسبة للامامة الرستمية السائرة في طريق التطور والرقى
مما لا يجعل أمر المقارنة بين صفات الأئمة الأوائل وخلفائهم المتأخرين خير موازين
المفاضلة بينهم . هذا ، ولو أن ما وقع من الأحداث في امامة أبي بكر تعدل
فحلاً على بين الامام وتساوله في أمور السياسة والحكم .

(٢٢٢) ابن الصغير ، ص ٤٠ .

(٢٢٤) ابن الصغير ، ص ٤٦ .

(٢٢٥) وهذا ما أخذ به النابلسي في الأزمات الرباضية (قسم ٢ ص ٢٢٢) إلا أن
النابلسي قال : « ولا تم أمر النبوة لعلم الناس انهم يرضون للناس ذلك من أولادهم » (فتح باطل
لها ، وعابوا نفوسه باستقلالهم حفا الأمر واحصاهم به ثم سكتوا . ٢٠٠)

(٢٢٦) ابن الصغير ، ص ٤٦ .

غلبة محمد بن عرفة على أبي بكر :

وأول ما تشير إليه النصوص في هذا المقام هو غلبة صهره محمد بن عرفة على أمور الدولة - والذي يفهم من تلك النصوص أن محمد بن عرفة هداً كان يتمتع بصفات عظيمة جعلته في مصاف رجال تاهرت المرموقين ، منذ أيام الامام أفلح الذي أولده بهدية من قبله على ملك السودان فحاز رضاه ، وأعجب بهروسيته وحسن خصاله وجماله . والظاهر أن الجمال الباهر لم يكن وحده أهم تلك الصفات ، فقد كان ابن عرفة يتمتع أيضاً بالوسامة والجواد والسماحة الى جانب الهيبة والفروسية وحسن الأفعال . ولم يكن من الغريب على الامام أبي بكر ، الذي عرف بسماحته ولين عريكته أن يقدر للجمال والوسامة قدرهما ، فتزوج أخت ابن عرفة وكلف بها ، كما زوج هذا الأخير أخته هو في المقابل .

وأصبح محمد بن عرفة أقرب المقربين الى الامام أبي بكر حتى أصبح أشبه بما نسيه الآن بالمثل الشخصي للرئيس أو الملك . ولا شك أن رابطة النسب ساعدت على تقوية أواصر القربى بين أبي بكر وابن عرفة ، حتى كان الأخير يستطيع الدخول على الامام في أي وقت يشاء ، وفي أي مكان كان دون موعد سابق أو إذن ، حتى انتهى الأمر ، كما يقول ابن الصغير ، الى أن : « كانت الامارة بالاسم لابي بكر ، وبالحقيقة لمحمد بن عرفة (٢٢٧) » .

عودة أبي اليقظان محمد بن أفلح :

تأثره بالنظم البغدادية :

في هذه الظروف عاد الى تاهرت أبو اليقظان محمد بن أفلح عقب مقتل المتوكل (أي قبيل سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) ، وبعد أن عرّفته تجربة السجن في دار الخلافة ، وتقريب من ولى العهد المنتصر الذي آلت اليه الخلافة ، وصار على دراية بالنظم الادارية والمتمكرية المتقدمة في بغداد . من ذلك ما رأه من اجراء الرزق اليومي على أهل الوجاهة وأعيان الناس من ديوان الخلافة ، وامكان التوصية بهذا العطاء الجاري لمن يريد صاحب الشأن . ومن ذلك ترتيب الجيش في طبقات من الثقباء يتلو بعضهم بعضاً ، وكل رجل من الطبقة الاعلى

٢٢٧) - اشارة الائمة الرستمين ، ص ٣٦ ، ٣٢ - عريفي الى ذلك ان محمد بن عرفة « كان اذا ركب من حماره يريد انا نكرمشى بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن يساره اعم من الامم ، وشهدت بذلك الرستمية وفارت به » .

يرأسن عشرة رجال من الطبقة التي تليه حتى أن ألفوا العشرة الكبار يمكنهم جمع عشرة آلاف فارس خلال يوم واحد ، وهو الأمر الذي لم يكذب أبو اليقظان يصدقه لولا أن عاينه بنفسه في صحن قصر الخلافة (٣٢٨) .

اعترافه بالأمر الواقع ، وإمامة أخيه أبي بكر :

- وهكذا ، ورغم ما صرف به أبو اليقظان من أنه كان أكثر أبناء أئمة أهل البيت للإمامة ، ورغم التجارب التي حثته في المشرق وفي دار السلام ، حتى قيل أن القوم هناك أطلقوه لأنهم عرفوا أن ستكون له دولة في المغرب ، كما قيل أنه بلغ النهاية والغاية في العلوم وخاصة علم النجاة (٣٢٩) - فإنه عندما رجع إلى تاهرت وعرف بوفاته والده وولاية أخيه أبي بكر قيل الأمر الواقع ، فلم يغير شيئاً ولم ينكره ، ولا ادعى أمارته ولا نازع فيها أخاه ، بل أظهر القيام له والحجبة بين يديه (٣٣٠) .

أبو اليقظان نائباً للإمام في الحكم أو وزيراً :

ولما كان الإمام أبو بكر يحب اللذات ويميل إلى الشهوات ، كما يقول ابن الصغير فإنه « استعان بأخيه أبي اليقظان محمد في الحكم فعهد إليه بالنظر في أمور تاهرت وأحوازها - وأظهر أبو اليقظان ما كان يتمتع به من الكفاية في شئون الإدارة بالإضافة إلى ما اكتسبه من أدب المشرق ، والأخذ بالحزم فيما رآه من ولاية بني العباس وسيرهم (٣٣١) - وهكذا ، فبينما كان أبو بكر معتكفاً في دار الإمارة كان أبو اليقظان يجول في المدينة ، ويركب إلى أعلى مسجد فيها ، حيث يجلس للنظر في شئون الناس وحوله أعمال والقضاة وأصحاب الشرطة وينظر في ذلك نظراً شافياً ، ويجري الحق على الكبير والصغير حتى حمد له « الشراة » ذلك ، حبيب رواية ابن الصغير ، وحيد له أخوه فعله .
وفي آخر النهار كان يأتي باب أخيه أبي بكر ، « فإن وجده جالساً دخل عليه وأعلمه بما حدث في يومه من خبر وحكم » ، وإن لقيه مشتغلاً طلب من

(٣٢٨) ابن الصغير ، ص ٢٨ - ٣٠ .

(٣٢٩) الخطيب ، ص ٢١ ، وكن ذلك القول رواية أنه اعتاد على علماء الأندلس على ما جرت العادة إلى المغرب فدخل لهم قصبة ملان سلطان حتى لا يلزم حائلوا تسميه وحسبوا الوقت الذي يخرج فيه من بغداد ويبدو في تلك القصور أنه يتكلم بالحق ، لم يترددوا في ذلك .

(٣٣٠) ابن الصغير ، ص ٣٤ .

(٣٣١) ابن الخطيب ، ص ٣٣ .

حجابه أن يبلغه ما عليه المدينة من هدوء وسلام . ولم يزل أبو اليقظان مجتهداً في شغله ليلاً ونهاراً « حتى جلب قلوب الناس » (٢٢٢) .

الصراع بين محمد بن عرفة وبين أبي اليقظان :

وبذلك آلت أمور الامام أبي بكر آل فائبيه القومين : محمد بن عرفة صهره ، ومحمد أبي اليقظان أخيه الأكبر ، وكان من الطبيعي أن ينتهي الأمر بصراع خفي - في أول الأمر - بين الشخصيتين العارمتين ، قبل أن ينقلب الى نزاع علني تكون له آثاره السيئة في المملكة الرستمية . ويلقى ابن الصغير بتبعة انعجار الموقف المتأزم على صبر أبي بكر عندما يقول : ان محمد بن عرفة كان مشغولاً بما كان فيه من « دوى وصيت عال ، لا ينظر أبا اليقظان في حزبه ولا في طائفته ولا في الناحية التي هو بها ، ولا ينظر ببينة له أو اجلال أو حذر منه » . هذا ، وبينما كان أبو اليقظان وعمومته وأخوته لا يصلون الى أبي بكر الا بعد الاستئذان ، كان محمد بن عرفة لا يحجبه عن الوصول اليه حاجب .

الرستميون يتربصون بأبن عرفة ، ويعرضون الامام على التخلص منه :

وهكذا أخذ أبو اليقظان وقرابته يتربصون بمحمد بن عرفة ، ويتربصون له الفلتات الى أن نجحوا في اثاره أبي بكر عليه عندما خوفوه من سلطانه وما صار يتمتع به من هيبه بين الناس كادت تطمس هيبتهم للامام نفسه (٢٢٣) . وعندئذ أخذ أبو بكر يراقب صهره ، وما يتمتع به من حول وسلطة حتى تأكد له الأمر ، وهاله ما رأى من سلطان أبي عرفة فدير مقتله غدراً عندما دعاه الى خلوة في بعض متنزهاته ، وأغرى أحد خدمه بقتل الرجل طعناً بالرمح بين كتفيه ، وهو يتهاياً لرفع يديه بالتكبير لأداء صلاة المغرب (٢٢٤) .

(٢٢٢) ابن الصغير ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢٢٣) ابن الصغير ، ص ٢٢ - وتضيف الرواية هنا انه قيل ان الذي سمس لهو بحق ابن عرفة . ولكنكم في حقه فكان أبو اليقظان وسد . وانظر تلميحاً للدرجيني ص ٧ - ٨ (الطوبوع ، ص ٨٣) .

(٢٢٤) ابن الصغير ، ص ٢٤ - ٢٥ - هذا ويشير ابن الصغير بعد ذلك الى ان أبا بكر علم بعد فوات الأوان ان الحسد والبغى أدام الى ما أدام لا التمييز . ولكنه لذلك ما كان قد عزم عليه ، ومحمد بن عرفة في ذلك كله أسلم الناس صفواً وأكبرهم له حياءً .

أصله مقتل ابن عرفة :

ورغم احكام الجريمة ومحاولة طمس معالمها فقد نجح أهل محمد بن عرفة وأصحابه في كشف خباياها ، فمرفواً الموضع الذي قتل فيه والمكان الجبلى البعيد الذى القيت الجثة فيه . وكان للنبا أصداء محزنة يترى العامة والخاصة والنساء والصبيان فى تاهرت ممن كانوا يعرفون لمحمد بن عرفة أياديه البيضاء عليهم ، إذ لحق الناس من الجزع بالم يلحقهم فى قتيل قبله . وهكذا ، فيجرد أن نادي المنادى : « الا أن القتل المظلوم يأمركم بطلب تارة ودمه » حتى هاجت الفتنة بتاهرت (٢٣٥) . وكان يحرك الثورة رجلا يعرف بمحمود بن الوليد الذى انتهب الفرصة ، فصعد الى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة ، فضرب العليل قبادر الناس اليه ، وأمرهم بأخذ السلاح والزحف الى أبى بكر (٢٣٦) .

وعندما بلغت أبا بكر أنباء ثورة العامة ضده باذر باستنفاذ أعوانه ، من السحيين (٢٣٧) ولرستيين وغيرهم . وهكذا تجسج الثوار من العامة فى أعلى المدينة من ناحية الشرق بينما حشد أبو بكر أعوانه وشيعته فى جهة الغرب ، واستعد كل فريق للحرب بالدروع تقي الصدور والبيض فوق الرؤس ، وكان لكل جماعة راياتها المميزة ترفرف فوق رؤسها . وزحف أبو بكر رجاله نحو الثوار وتم اللقاء الذى شارك فيه معظم أهل تاهرت قرب أحد المساجد . وكانت ملحمة مروعة صبر الناس فيها حتى تطايرت أيدي المقاتلة وأرجلهم وانقلعت هاماتهم ، وعندما تعبوا من الضرب تماسكوا بالأيدي وتقاذفوا بالسباب (٢٣٨) .

أطراف الصراع : العجم ، والعرب ، ولفوسة :

ولما بلغ القتل والتعب غايته تطور الأمور بتدخل جماعة يسميها ابن الصقير بـ « العجم » ، والمقصود بهم الفرس من أعوان الرستيين الأوائل .

(٢٣٥) ابن الصقير ، ص ٢٥ - ٣٦ .

(٢٣٦) ابن الصقير ، ص ٣٦ .

(٢٣٧) التراث فى أمر الصقير ، ص ٣٦ . المسيحيين . وهو الأوس الذى يوجب فهمه فى مجتبع الأيضية بتاهرت والذى أدى اليه تسبب ذلك الموضع بـ « الكنيسة » عل ما نظن ، أما السحيين فهم تراهة الباروس (الرياض قسم ٢ ص ٢٣٦) الذى أخذوا بها من سبب ذلك .

أبى الخطيب السنج بن عبد الأعلى ، وهو الأمر القول .

(٢٣٨) ابن الصقير ، ص ٣٦ - ٣٧ .

ومن سى جلدتهم . كما يمكن أن يكون العرس أيضا من سلالة الجند الأغلبي الذي هجر أفريقية إلى تاهرت، وقد يكون الص على أنه في أثناء القتال بين العرب والعجم قبض العرب على مولى من موالى الأغلبي يقال له حلف الخادم (٢٣٩) قرينة على ذلك .

ومع أن المفهوم من رواية ابن الصغير أن العجم أو الفرس أرادوا استغلال الموقف لمصلحتهم الخاصة ، فلا بأس من أن يكون هؤلاء العجم، الذين لم يدخلوا في الصراع إلا بعد أن انهكت قوى الفريقين المتحاربين ، من المتعاطفين مع الأمير أبي اليقظان محمد وأعوانه ، إذ تقول الرواية : إن أبا اليقظان اعتزل الفريقين ، كما وعد نفوسة . التي بقيت معترلة عن الفريقين أيضا . ومن الواضح أن النفوسيين كانوا من أعوان أبي اليقظان ، هذا كما يشير النص إلى أن العرب ، وهو الاسم الذي صار يطلق على المتحاربين الأوائل من أنصار أبي بكر وخصومه من العامة ، كانوا لا يشقون في حياض أبي اليقظان ويقولون : إنه يعين عليهم في الباطن . وهذا ما أكدته الأحداث نيسا بعد عندما انضم النفوسيون إلى جانب العجم .

ومنذ تدخل العجم اندمج المتحاربون من عامة التاهرتيين وأعوان أبي بكر، الذي بقى في داره لا يأمر ولا ينهى وقد تشاءم الناس به ، جبهة واحدة تصبح جبهة العرب والجند من أنصار أبي بكر ، في مقابل جبهة العجم التي تعمل لمصلحتها الخاصة . وذلك قبل أن تظهر حبة ثالثة هي جبهة نفوسة : أنصار أبي اليقظان الصرحاء .

شريف الأحداث :

ولقد دارت أحداث الصراع على الوجه التالي ، حسب رواية ابن الصغير :

العجم يعملون لأنفسهم :

أراد العجم انتهاز فرصة تعب المتقاتلين من العامة وأعوان أبي بكر من الجند ، فظنوا أنه يمكنهم القضاء على العرب والجند ومواليهم واتباعهم وإخراجهم ، وبذلك يصفو لهم البلد والسلطان . وبدأ العجم في التمرکز في بعض أطراف تاهرت استعدادا للهجوم على الناحية المعروفة بموقف الدؤوب ،

ولكن لسوء حظهم فان اهل تلك الناحية كانوا يتوحسون منهم خيفة ، فاستعدوا لهم واخذوا حذرهم . فما أن وافاهم العجم حتى بدروا اليهم وقتلوهم قتالا شديدا . وكان غدر العجم بالجماعتين المتقاتلتين من الجند والعرب سببا في تلاحمهما : اذ تركوا قتال بعضهم وتمانقوا . ثم اجمعهم بأجمعهم قومة رحل واحد ضد العجم . فقتلوا كثيرا منهم ، كما أخذوا بعضى الأسرى (٢٤٠) .

يوم حربة : وتحالف نفوسة مع العجم :

واستمرت الحرب بين أنصار أبي بكر من الجند والعرب وبين العجم ، وكان العرب يضغطون على العجم ، ويخرجونهم من بعض ديارهم في حال انتصارهم . وظل الحال على هذا المنوال الى أن وقعت المعركة المعروفة بـ « يوم حربة » في جوار درب النفوسيين في تاهرت . ففي هذا اليوم استمع العرب الى نصيحة خليف الخادم ، وهو المولى الأغلبى الذى كان يحلذب في عداد العجم قبل أن يقع أسيرا في أيدي العرب فيعاون أنصار الامام أبي بكر بماله ونصائحه . بان لا يكتفوا باخراج العجم من ديارهم ، بل أن يلقنوا النار في كل ما يغلبون عليه منها (٢٤١) . وهكذا فعندما استولى الجند والعرب على موضع العجم المجاور لدرب النفوسيين ، اضرما النار فيه مما تسبب في الاضرار ببعض النفوسيين المقيمين هناك . وكان هذا الحادث سببا في تحالف نفوسة مع العجم ، بعد أن وقفوا موقف الحياد ، ولم يكن من الغريب أن يجذبوا الى جانبهم الامير ابا اليقظان ، وكان النفوسيون اخلص حلفائه .

انتهاء الحياد : انشقاق الأسرة الرستمية : العرب في صف ابي بكر والعجم ونفوسة في صف ابي اليقظان :

وهكذا شاركت جميع الأطراف في فتنة محمد بن عرفة ولم يعد هناك متحاربون ومحايدون ، اذ كون المتحاربون الأوائل بمن الجند والسامة من العرب جبهة مؤيدة للامام ابي بكر ، بينما انضم المحايدون من العجم ونفوسة وبعض الرستمية وكونوا جبهة مؤيدة للامير ابي اليقظان . وبذلك انشقت الأسرة الرستمية على نفسها ودارت الحرب الأهلية باسم افرائها .

وفي بداية الامر حقق العجم ونفوسة انتصارات قوية على الجند والعرب

(٢٤٠) ابن الصير . ص ٣٧ .

(٢٤١) ابن الصير . ص ٣٧ .

في عدد من الرقائع ، مثل وقعة قسرة الدمس ، و قنطرة سنيس حيث فرغ
صناديد العرب ، وانتهى الأمر بغلبة المعجم ، ونفوسه على أكثر تاهرت بعد أن
ردوا خصومهم الى أطرافها ، وبعد ذلك دارت الدائرة على المعجم ونفوسه منذ
حقق الجند والعرب انتصارهم الكبير في الوقعة المعروفة « بيوم الرد المعوج » ،
حيث : « ذكر أن نفوسة فروا بعضها على بعض » (٢٤٢) ، مما جعلهم يقررون
فيما بعد أن يشدوا أرحلهم فيما بينهم بالجبال ، حتى يشبثوا فلا يفروا من
أمكنهم ولو قطعت السيوف هاماتهم (٢٤٢) .

تفوق العرب على المعجم ونفوسة . وحرب الحصون :

واستمرت فتنة ابن عرفة « وأمور العرب والجند تقوى ، وأمور المعجم
ونفوسه تضعف » ، الى أن انتهى الأمر باحلالهم عن ديارهم التي أضرت فيها
الديران في أحوار تاهرت ، باستثناء موضع واحد في ناحية النهر الصغير
المعروف بعدوة نفوسة حيث بنوا لهم حصنا قويًا . وفي مقابل حصن عدوة
نفوسة بنى العرب والجند حصناً لهم بأموال قدمها لهم من كان في حيزهم من
التجار ، مثل : أبي محمد الصيرفي ، وابن الواسطي ، وغيرهما من رجوة
التجار أصحاب الأموال . ويشير ابن الصخر الى أنه لم يكن يفصل بين الحصنين
الا مقدار رمية سهم ، وأنه ، « ربما كان البناءون يتنون والنبيل تصيبهم فيجعلون
لهم ستاره ، حتى استدار الحصن وركبوا أبوابه وعلته أبرجته ، والحرب
لا تعتر ليلا ولا نهاراً ، وحملت فيما بينهم حمية العاهلية ، وجرت بينهم
الحرب سمعة ورياء » (٢٤٤) . ومن أبطال حصن عدوة نفوسة رجل من المعجم
يعرف بابن وردة كان مبارزاً من الطراز الممتاز حتى طسقت شهرته الآفاق (٢٤٥) .
وأغلب الظن أن ابن وردة هذا هو صاحب السوق في تاهرت الذي كان لا يدخله
عمال الامام من المحتسبين ، كما سبقت الاشارة (٢٤٦) .

تفرق الاخوة المتناحرين في البلاد :

خروج أبي بكر من تاهرت ، ونزول أبي اليقظان في كنف لواتة :

وانتهت فتنة ابن عرفة بتفرق المعجم ونفوسة والرستمييين في أقاصي

(٢٤٢) ابن الصير . ص ٢٨

(٢٤٣) ابن الصير . ص ٢٨ .

(٢٤٤) ابن الصير . ص ٢٨ - ٢٦ .

(٢٤٥) ابن الصير . ص ٢٦ .

(٢٤٦) أظن فيما سبق . ص ٣٤٢ .

البلاد ، على الوجه الآتي : نزلت المتجم بموضع يقال له « قنابيلت » ، وهو على بعد مرحلتين من مدينة تاهرت اما الرستمية ومن انضاف اليهم ، فقد لحقوا بالأمير أبي اليقظان محمد بالموضع الذي يقال له « اسكدال » ، وهو بقبلية تاهرت على مسيرة يوم وأزيد قليلا في مجمع الاباغنية . هذا ، ونزلت قفوسة بقلعة مائة تعرف الى اليوم بقلعة قفوسة . وعندما نزل محمد بن مسالة تاهرت خرج منها الامام أبو بكر مع من خرج « لا حيا ولا ميتا » ، كما يقول النص (٢٤٧) ، مما يعني انه لم يعرف ماله ؟

ولم تزل أمور الناس في تاهرت هادئة الى ان وقعت الوحشة بين قبائل حوارة وقبائل لواتة . وذلك ان قبائل لواتة كانت من بين سكان تاهرت عندما أتت حوارة وتسلطت على لواتة بمعونة أهل المدينة . وعندئذ رأت لواتة أن ترحل عن تاهرت فخلت عنها ، ونزلت بحصنها المعروف بحصن لواتة ، ومن هناك ارسلت الى أبي اليقظان تدعوه الى الإقامة معها ، فنزل في جوارهم على مسيرة أميال بموضع يقال له « تساونت » ، وهو الموضع الذي يخرج منه عيون نهر ميتة الذي يجري من قبلة تاهرت حيث تنصب عليه الأرحاء .

فشاة أبي اليقظان في شراء الأعوان : والاعداد لفزو تاهرت على محمد بن مسالة :

وواضح من رواية ابن الصغير أن الأمير أبي اليقظان محمد أخذ في استخدام بريق الذهب لجذب الأتصار ، بعد أن انتهت الفتنة التي شارك في تدبيرها نهاية لا ندرى في مصلحة من كانت . فأبو بكر ترك تاهرت الى حيث لا ندرى ، وأبو اليقظان نزل بالقرب من لواتة . ومن مقره في جنوب تاهرت أخذ أبو اليقظان يستخلم ما كان معه من الأموال التي قسم بها من بغداد ، إذ كان كثير من أهل تاهرت متعاطفين معه ولم يكن يلزمهم للحركة واتخاذ جانبه صراحة إلا التلويح لهم بالذهب والفضة ، وهذا ما حدث فعلا : إذ صارت الدعوة والإمامة كلها لأبي اليقظان ، (٢٤٨) . ولكن الأمير لم يصف تماما لإبي اليقظان إذ ظل محمد بن مسالة كثير من الأعوان التي تاهرت ، جوالوخه ولا يرون رأي أبي اليقظان لأسباب لم يطلعها ابن الصغير . وبذلك عادت الحرب من جديد على تاهرت إذ أعد أبو اليقظان المدة لفزو المدينة بعد أن أسقط

(٢٤٧) ابن الصغير ، ص ٣٩ .

(٢٤٨) ابن الصغير ، ص ٤٠ .

والدعوة لأبي بكر - الذي لا نعرف ميأذا صار إليه أمره - كما أنكروا أمر محمد بن مسالة ، ودعا لنفسه بالامارة والامامة (٢٤٩) .

أبو اليقظان اماما ، بعد حرب السبع سنوات وخراب تاهرت :

واستمرت الحرب بين أبي اليقظان والتاهرتيين طوال سبع سنوات قاست منها المدينة كثيرا من الأحوال حتى حربت وعادت عجورا تسمطاه بعد أن قدمت بهجتيا ونضارتها . ولما طالبت الحرب وامتنعت تاهرت على أبي اليقظان اتجه نحو نفوسة في حملهم وطلب منهم العون وتجديد البيعة (٢٥٠) .

شروط الصلح :

واستجابت نفوسة لمطلب أبي اليقظان فبعثوا إليه جموعا من رجالهم سار بهم لنزال تاهرت التي هاجسها من حجة العرب . وطلب النفوسيون انذار اخواتهم في تاهرت قبل قتالهم ، ودعوهم الى الرجوع الى الطاعة ، قيل أن ينزلوا معهم على حكم الله ، وهو حكم السيف . ووافق خصوم أبي اليقظان في تاهرت على الصلح شريطة أن يؤمنهم أبو اليقظان ، وأن يسوغهم ما أصابوا من دم أو مال فلا يتبع أحدا منهم . ووافق أبو اليقظان على هذا الشرط فتم عقد الصلح بين أهل تاهرت وعسكره ، وفي ذلك قالت نفوسة : « نحن انما جئنا لاصلاح بيضتنا ، وتأليف أمرنا وقوام ديننا ، ولم نأت بطلب علو في الأرض ولا فساد » (٢٥١) .

الآثر المشرقى في بلاط أبي اليقظان :

والظاهر أن رحلة أبي اليقظان الى المشرق واقامته في بغداد عاصمة الخلافة العباسية كان لها اثر عميق في نفوس الناس . يظهر ذلك في احاطة كتاب الإباضية للامام الجديد بهالة من الجلال والعظمة التي لم يتسبب لغيره التمتع بمثلها ، باستثناء فئات من نصر صاحب الانشقاق الثالث في الإباضية . فابن الصغير ينص على أن مراسم الصلح بين أبي اليقظان وأهل تاهرت تمت في السراوق العظيم الذي كان رأبو اليقظان قد أتى به من بغداد . والذي ضربه في ظاهر تاهرت فوق الموضع المشرف على المدينة ، الذي عرف بقلعة

(٢٤٩) ابن الصغير ، ص ٤٠ .

(٢٥٠) ابن الصغير ، ص ٤٠ .

(٢٥١) ابن الصغير ، ص ٤٠ - ٤١ .

نموسة . وكان هذا السراذق أول سراذق مضرب يراه أهل المنطقة ، إذ كانت لهم مضارب وقباب يقيمونها في مثل تلك المناسبة (٢٥٢) .

تاهرت تنفض عن نفسها غبار الحرب :-

وشام الصلح بدأت تاهرت تنفض عن نفسها غبار أيام الحرب والتخامة ، فقام أهل المدينة وهدموا بقايا دار أبي اليقظان التي كانت مزلة وكدية من الكدا ، فكتسروها في يومهم فاجتوها في أسرع الأيام . وبذلك تهيأ لأمن اليقظان النزول في المدينة حيث بدأ يمارس سلطانه ، كما نزلها الناس (٢٥٢) .

امامة أبي اليقظان محمد بن الخلع في تاهرت (٢٦٠ هـ - ٢٨١ هـ / ٨٧٣ م - ٨٩٤ م) :

مع امامة أبي اليقظان تأخذ رواية ابن الصغير شكل المذكرات اليومية الخاصة ، أو مطابيح أحاديث المعاصر شاهد العيان . فمؤرخنا عاش شايبا الأيام الأخيرة من امارة أبي اليقظان في تاهرت ، وسمحت له الظروف بحضور مجلسه مرتين على الأقل (٢٥٤) . وإذا كان ابن الصغير يسجل أن امامة أبي اليقظان دامت نحواً من ٤٠ (أربعين) سنة (٢٥٥) ، وأن وفاته كانت في سنة ٢٨١ هـ / ٩٤ - ٨٩٥ م (٢٥٦) ، يكون وصول أبي اليقظان الى الامامة في نحو سنة ٩٤٠ هـ / ٩٥٤ م ، وهو الأمر غير المقبول ، إذ المفروض أن وصوله من بغداد كان بعد سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م (٢٥٧) . وبناءً على ذلك ، فإذا أخذنا سنة ٢٨١ هـ / ٩٤ - ٨٩٥ م كتاريخ لوفاة أبي اليقظان - وهو الأمر المقبول - لا تطول امامة أبي اليقظان الى أكثر من ثلاثين سنة إذا أدخلنا في الحساب

(٢٥٢) ابن الصغير ، ص ٤١ .

(٢٥٣) ابن الصغير ، ص ٤١ وقارن ابن زكريا (المخطوط من ٢٦٠ - ٢٧٠) في الفهرستين

عن امامة أبي اليقظان . أنه اجتمع عليه عامة المسلمين لولوه على اطمين خوف اختلاف

(٢٥٤) ابن الصغير ، ص ٤٤ : حيث يقول : وقد لظت أنا بعض أيامه وحضر مجلسه

وقد جلس خلفي خارج المسجد الجامع وزيارته يوماً تأتي في فصل الجنائز .

(٢٥٥) ابن الصغير ، ص ٤٤ ، ابن زكريا ، ص ٢٦ - ب ، الدجيني ، ص ٢٧ - ٢٨

(المخطوط ، ص ٨٢) ، التلسني ، ص ٢٢٢ .

(٢٥٦) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

(٢٥٧) انظر فيما سبق ، ص ٢٥٤ .

تلك الفترة. التي استولى فيها على زمام الأمور إلى جانب ابن عرفة ، أو إلى وقت انفجار فتنة ابن عرفة وحرب المسبغ سنوات . أما إذا اعتبرنا امامة أبي اليقظان الحقيقية ، أي بعد الصلح مع أهل تاهرت ، فمن أوضح أنها لا تطول إلى أكثر من عشرين سنة ، وهذا ما حملنا نلتخذ سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م . كتاريخ امامة أبي اليقظان الخالصة - دون مزارع .

وأبو اليقظان الشيخ الذي كان يناصر التسعين من عمره عندما رآه ابن الصغير ، كان مربع القامة ، أبيض الرأس واللحية ، وكان إذا جلس حيمت هيئته على الحضور فلا ينطق أحد بين يديه إلا أن يكون صاحب علامة (٢٥٨) .

دولة نفوسية في تاهرت :

ترتيب الدولة ، وتقدم نفوسة :

وكان أول ما بدأ به أبو اليقظان عندما استقر في تاهرت . هو اقرار قواعد الدولة بانتخاب حير الأعوان والعمال . وكان أول شيء نظر فيه من أمور الناس في تاهرت . هو البحث في أصلح من يلي وطيمه القضاء . وبعد أن شاور جماعة من أعيان المدينة استقر رأيه على أن يكون أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ قاضياً . ثم انه ولي على بيت المال رجلاً من نفوسة . أما في امامة الصلاة وخطة الجمعة فقد قدم لها من ارتضاه هو نفسه (٢٥٩) ، مما يعني أن اختيار القاضي وصاحب بيت المال كان محددًا في نفوسة أو مشروطًا بموافقتها .

أهمية الحسبة :

وهذا ما يؤكد أن أبا اليقظان د أمر قوما من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، مما يعني ان النفوسيين كانوا أقرب أعوان الامام . ويشير ابن الصغير إلى بعض اختصاصات هؤلاء المحتسبين من نفوسة . كان يروون قصاباً ينفخ في شاة فيعاقبونه ، أو أن يروا دابة حملت فوق طاقتها فينزلقون حملها ، ويأمرون صاحبها بالتخفيف عنها ، أو أن يروا

(٢٥٨) ابن الصغير . ص ٤٤

(٢٥٩) ابن الصغير . ص ٤٦

قد راى الطريق فيأمرؤن من حول الموضع أن يكسسه وينظفه (٣١٠) .

وأى جانب هذه الأعمال الخاصة بأداب الأسواق والطريق العام ، يشير ابن الصخير الى بعض أعمالهم للذهبية ، ومنها : أنهم كانوا لا يمنون أحدا من الصلاة فى مساجدهم ، ولا يكشفون عن حالة ولو راوه راعا يديه ، ما خلا المسجد الجامع : ان راوا فيه من رفع يديه منعه وجزروه ، فان عماد خربوه . أما عن خطب الجمعة على منابرهم ، فيقول : إنها « خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ما خلا خطبة التحكيم » (٣١١) التى كانوا ينكرونها .

قضاء لا يفرق بين الأمير والرعية :

تلك كانت نظم الحكم فى تاهرت على عهد أبى اليعتقان ، وكانت أهم الخطوط هي خطة القضاء التى ظل يشغلها محمد بن عبد الله بن أبى الشيخ الذى عرف بحسن السيرة وبأنه لا تأخذه فى الله لومة لائم ، الى أن استمضى عندما نما اليه سوء سيرة الأمير أبى زكريا بن أبى اليعتقان ، فسار الى الامام ، « فرمى اليه خاتمة وقمطره ، فقال له : ول على قضائك من تريد » (٢٩٢) .

امام يعيد سيرة الراشدين من أئمة الرستمين :

- ولم تقتصر هذه الحادثة التعسة التى أدت الى استقالة القاضي الحازم من تقدير ابن الصخير لأبى اليعتقان - الذى لحق بعض أيامه وحضر مجلسه مرتين -

١-٣٦ (٣٦٠) ابن الصخير ، ص ٤١ .

٢- (٣٦١) ابن الصخير ، ص ٤٢ .

(٣٦٢) انظر ابن الصخير ، ص ٤٢ : حيث تشير الرواية الى جانب من الجانبين اللذين آهروا عن سرورهم عندما قال القاضي لهم : « والله لا وليت له نفسه ابدا » ان ابن الصخير استطاع ان يعرف حقيقة القضية من سليمان بن محمد بن عبد الله القاضي ويوجهه . ويتلخص الأمر فى ان امرأة دقت بلب القاضي ليلا (بعد العشاء الأثيرة) ومعها غلام مكمل يحمل لها سرجا ، واشيرت القاضي ان خدم الأمير أبى زكريا دخلوا عليها الساعة وأخذوا ابتها من بين يديها ، وان ابنتها شاك مخاطبتهم خشية القتل من قبل بعض عمالهم أو من خصوصهم . وعندما أفاق القاضي الذى سقط كالقلى عليه ، أمر مولاه سليمان بقتل سيف وحمل سراج بينما أخذ هو عصاه وسار الى - دار الزكاة حيث اشبهت الحياة - ان يكون الجملة قد لجأوا اليها . وهناك لاحظ القاضي ارتياح أهل : الأيو النبلسر وفتحها . ورغم انه لم يجد شيئا فان حكركة قذت حتماسا من ابن الأمير أبى زكريا وهو ضامه كان فى المدار آتاه النهار ، وانه وكب فرسه آتى الليل .

اذ يقول : انه « كان زاهدا ، ورعا ، ناسكا ، سكيئا (٢٦٢) » . اما ابو زكريا فيقول عن ابي اليقظان انه « بلغ في العدل والفضل غاية عظيمة » ، وان نفوسة كانت « لا تعدل بولايته الا ولاية جده عبد الرحمن » ، فقد كانت « نفوسة تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله : طائفة يصلون ، وطائفة يتراون القرآن ، وطائفة يتحدثون في فنون العلم (٢٦٤) » .

مجلس ابي اليقظان ، في الجامع :

وفي مجلس ابي اليقظان ينص ابن الصغير على انه « كان اذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من آدم مستقبل الباب البحري وله سارية تعرف به يجلس اليها ، ولم يكن غيره يجلس اليها » . وكان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس ، وكان عندهم من الورع بمكان - ويلى عيسى رجل من هواراة يقال له ابن الصغير لشابه في الفقه ، ولم يكن في ورع عيسى . وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس (٢٦٥) .

والى جانب العلماء من نفوسة وهواراة ، « كان اخص الناس به رجل من العرب يعرفون بمحمود بن بكر » (٢٦٦) . ولكنه على عكس ما سبق ان أشار اليه ابن الصغير من ان خطب الرستميين على عهد ابي اليقظان كانت خطب على بن ابي طالب ماخلا خطبة التحكيم (٢٦٧) ، فانه ينص هنا على ان محمود بن بكر « كان غالبا فيهم ، تذكر عنه البراعة من امير المؤمنين على بن ابي طالب » . وكان محمود هذا « مدارهم الذي يذب عن بيضتهم ، ويدافع عن دينهم ، ويرد على الفرق مقالاتهم ، ويؤلف الكتب في الرد على مخالفهم (٢٦٨) » .

تاهرت تعود مركزا علميا هرواقا : ازدهار علم الكلام :

والظاهر ان سوق العلم كانت قد نفقت في تاهرت بعد فترة الاضطراب التي عرفتها العاصمة الرستمية على عهد ابي بكر ، وفي السنوات الاولى

(٢٦٢) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٤) ابو زكريا : المطبوع ، ص ٢٦ - ب . الدرجيني ، ص ٢٧ - أ (المطبوع) .

ص ٤٨٢ .

(٢٦٥) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٦) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٧) الطبري ، ص ٢٦٧ ، وليا بعد ، ص ٢٨١ .

(٢٦٨) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

من عهد أبي اليقظان . فهذا ما يفهم من المناظرات التي كانت تقام بين الإباضية وخصومهم النكار الذين عرفوا بالمعتزليين ، والتي كانت تعقد بنهر مينة ، وكان يحضرها علماء الرستميين من مختلف القبائل ، وخاصة من هوارنة . ومن بين متكلمي الرستميين يذكر ابن الصغير رجلا يقال له عيد الله بن اللطفي ، وكان حيرا بصون المتعلق وعلم الكلام بدرجة آثارت إعجاب خصومه المتخصصين في هذا اللون من فنون الفلسفة (٢٦٩) الذي كان غريبا على الكثيرين من علماء المغرب في ذلك الحين (٢٧٠) .

أبو عبيدة الأعرج - نموذج للعالم الأمر بالمعروف :

وكان من علمائهم الذين رآهم ابن الصغير رجل يعرف بأبي عبيدة الأعرج ؛ كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم مسلمون له في الورع ، اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه ، وكان أبو عبيدة الأعرج معتزا بنفسه ، قليل الدخول على أبي اليقظان ، ولم يكن يجتمع وإياه سوى المسجد الجامع . وكانت عادة الفقهاء والقراء وغيرهم الخروج الى أبي اليقظان عندما يضرب سرادقه لحدث يريد فيضربون أبيتهم حول سرادقه خلا أبي عبيدة ، الذي لم يكن يدخل على أبي اليقظان الا من أجل أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، مثل : طلب اطلاق محبوس من جيرانه أخذه صاحب حرس الامام وسجنه لغير ذنب يستحق ذلك ، مما كان يثير إعجاب الناس من صدق وتواضع ، واطهاره على لسانه ما أسر في قلبه (٢٧١) .

. وكان أبو عبيدة الاعرج عالما بالفقه والكلام والروايات والنحو واللغة . وكان مع ديانتته حسن الادب والمروءة ، حتى ان ابن الصغير المالكي : كان يترك مكانه الذي كان يبيع فيه ويشترى في حي الرهادنة ليقرأ عليه في اللغة والنحو . ولو أنه لم يستفد كثيرا من العالم الذي كان كثير الشغل ، اذ كان الناس يأتونه كثيرا يطلبونه للشهادة أكثر من مرة في الجلسة الواحدة ، فيأخذ

(٢٦٩) انظر ابن الصغير ، ص ٤٤ - ٤٥ : حيث يروى نماذج من الأسئلة التي طرقت في مجلس المناظرة . مثل : هل تستطيع الانتقال من مكان ثابت فيه الى مكان لست فيه . وكان رد اللطفي لا . ومثل : هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه . وكان رد اللطفي لا . مثل : هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه . وكان رد اللطفي لا . مثل : هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه . (٢٧٠) وقارن مجلس زيادة الله الأغلبي في المناظرة بين الألبس الذي جردوا لتطهير البيضاية أو اسحق الاسرائيل ، فيما سبق ، ص ١٧٨ .

(٢٧١) ابن الصغير ، ص ٤٥ .

تعمته وعصاه ويسير معهم ، دون أن ينسى الاستئذان من طالبيه ، الذي كان قد
لغت نظره إلى أنه يترك مضالجه من أجل العلم (٢٧٢) . ويؤكد ابن الصغير :
أن المغرب كله « كان مفتونا بهذا الرجل حتى أن من كان من الاباضية بسجلماسة
يبحثون إليه بزكاتهم يصرفها حيث شاء » (٢٧٣) .

مهدي خارجي - الفتنان نفوسة بابي اليقظان :

ويختتم ابن الصغير كلامه في عهد أبي اليقظان بالحديث في مناقب
هذا الإمام فهو يعود إلى تأكيد أفتنان قبائل نفوسة الجبل بابي اليقظان ،
ويبالغ في ذلك إلى حد القول : أن نفوسة « أقامت في دينها ، وتحليلها وتخزينها ،
مثل ما أقامت النصارى عيسى بن مريم » ، وهو الأمر الذي لم يسجله مؤرخو
المرستيين من أهل المذهب . ويتبع ذلك بالقول : « وكان أكثرهم لا يحج
إلا باستئذانه ، وكانت المرأة تبعث بائنها أو ابنتها يأخذ لها الأذن منه . وكان
إذا ضرب سرادقه وأنته وفودهم لا ينامون الليل حول فسطاطه ، شأنهم التهليل
والتكبير من أول الليل حتى الفجر ، فإذا صلوا الفجر معه خرجوا بأنفسهم إلى
الأرض فناموا » (٢٧٤) .

وهكذا لم يكن من الغريب أن يكون النفوسيون عصب دولة أبي اليقظان ،
وأن يعيروه طاعة لم يطيعوا مثلها غيره من الأئمة ، حتى أنهم عندما كانوا يأتونه
ليقدم عليهم أميرا من أنفسهم ، كان يسمح باختيار من يريد ، ويأمر كاتبه
بتدوين السجل المعتاد ويطويه ويختمه (يطبمه) ، ويطلب منهم ألا يفتحوا
السجل إلا بالجبل ، دون أن يعلم أحدا من الناس من المقدم عليهم ، حتى من
كبار اخصائه النفوسيين المقيمين معه في قاهرت ، مثل : حمود بن بكر ،
وعيسى بن فرناس (٢٧٥) .

وحق لنفوسية أن تفتتن بالإمام الورد المتكشف الذي كان لا يسمح خاتمه
بأن يقدم علما لفرسه من بيت المال وقد جن الليل وعز الطلب ، فيقول له :

(٢٧٢) ابن الصغير ، ص ٤٦ -

(٢٧٣) ابن الصغير ، ص ٤٦ -

(٢٧٤) ابن الصغير ، ص ٤٦ - ٤٧ -

(٢٧٥) ابن الصغير ، ص ٤٧ : « حيث يقول أن محمد فقهاهم » وهو عهد المرزوق بن الأوز
الملك . ولم يسمه واقعه . كان مكثيرة اللسان « شفقت » كمن عز عن « شرف » ابن اليقظان لولاية
جبل نفوسة بالمراسة ، وذلك بما يدا على وجه الأمل . عندما ذكر له اسم الفتح بن العباس
(ابن يعقوب بن العباس) الذي وقع عليه الاختيار بين أسماء غيره من المرشحين .

• والله لإقام. محمد (أبو اليقظان) ولا أكل ولا شرب حتى تمضى وترد في.
بست المال ما أخذته منه. (٢٧١) :

نهاية ناسك : وفاة أبي اليقظان :

ولم يكن من الغريب إذن أن يموت الامام المتكشف في سنة ٢٨١ هـ /
٨٩٤ م ، بعد أكثر من عشرين سنة من الامامة ، فلا يوجد له من العين في
تركته الا سبعة عشر دينارا (٢٧٧) ، ولا بأس من أن تكون تلك الدنانير التي
لم تبتلع العشرين هي قيمة الكتبة التي وجدت عنده ، والتي كانت من تأليفه
في الرد على المخالفين ، كما يفهم من رواية أبي زكريا (٢٧٨) .

وخلف أبو اليقظان عددا من الأبناء الذكور ، منهم : يقظان ابنه الأكبر
الذي كنى باسمه ، ويوسف وهو الكنى بأبي حاتم ، وأبو خالد ، وعبد الوهاب ،
ووهب ، وغيرهم ممن يشير إليهم ابن الصغير دون أن يذكر اسمهم . وكانت
الامامة من بعده من نصيب أبي حاتم يوسف وهو ثاني أبنائه .

امام من عراز جديد : « ققيب » للعامه واهل الحرف :

أبو حاتم يوسف بن محمد أبي اليقظان امام تاهرت الخامس (٢٨١ هـ -
٢٩٤ هـ / ٨٩٤ - ٩٠٧ م) :

يرر ابن الصغير ولاية يوسف وتقدمه على أخيه الأكبر يقظان ، بأن هذا
الأخير كان قد خرج لاداء فريضة الحج عندما توفي والده (٢٧٩) ، مما يضي
أنه لم يكن من الممكن ترك الامامة شاغرة لحين عودة يقظان ، ولكن الروايات
المكتملة لذلك يمكن أن يفهم منها أن أباحاتم يوسف كان نشيطا طموحا
يرنو بإبصاره الى الامارة منذ حياة والده . وهكذا نجد رواية تقول : « لما مات
أبو اليقظان قامت العوام ، واهل الحرف يمين ، لفلفهم ، فقسبوا ابنه أباحاتم
بلا مشورة أحد من الناس لا من القبائل ولا من غيرهم » (٢٨٠) . بينما تقول .

(٢٧٦) ابن الصغير ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢٧٧) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

(٢٧٨) انظر أبو زكريا ، المغلوط ، ص ٢٦ - حيث يقول إن قسبها .

؛ تسعة عشر (ديناراً) .

(٢٧٩) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

(٢٨٠) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

أخرى : إن أبا حاتم كان فتى شاميا معتزا بنفسه ، يجمع الفتيان حوله فيطعمهم ويكسيهم ، وإن أمه « غزالة » التي كانت مسيطرة على أبي اليقظان كانت تدله ، حتى أنه انتهر فرصة غياب والده عن المصلى في يوم عيد وسبح للعوام بأن يحملوه على درقة وهم يتنادون بطاعته ، مما جعل أبو اليقظان يقول لأمه : أحذري يا غزالة فقد أصبح اليوم ابنك ياغياء (٢٨١) . فكان أبا حاتم كان يشترق إلى الإمارة ، ويعمل على الوصول إليها منذ صباه .

والظاهر إن أبا حاتم لم يكن شابا وصوليا ، بل كلفا رجلا مجتهدا حتى إن والده كان يهذ إليه بالثيابة عنه في الأمور العظيمة ، مثل : قيادة الجيوش . فعندما توفي أبو اليقظان لم يكن يقظان وحده غالبا في الحج ، بل كان أبو حاتم يوسف أيضا خارج تاهرت يقود جيشا من وجوه زانقة « ليحوزوا قوافل قد أقبلت من المشرق ، وفيها أموال لا تحصى ، قد خافوا من قبائل زنانة » (٢٨٢) . وبينما أبو حاتم في مهبة القوافل تلك ، إذ وافته رسل من تاهرت تفيده بوفاء أبيه وعقد الإمارة له . « وذلك إن إياه لما مات اجتمعت العوام والعربان دون القبائل فنادوا لا طاعة لأحد إلا لأبي حاتم » ، وكان أبو حاتم حينئذ على مسيرة يومين المدينة أو أكثر (٢٨٢) . ثم وأضح من النص إن إيجاده قبول في تاهرت بتظاهرة شعبية عظيمة ، إذ : « لما وصل إلى باب المدينة ازدحم الناس بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه وعن يساره ، فبايعوا ، فما وصل المسجد الجامع إلا وقت الظهر ، فاصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله وحملوه على الأيدي والأعناق حتى أوصلوه إلى داره ، ثم أرسلوا إلى القبائل فيايته » (٢٨٤) .

ترتيب جديدة تناسب شعبية الأمير ، واتجاهات غير إباضية في علاقاته مع الآخرين :

وظهرت شعبية أبي حاتم التي اكتسبها أيام فتوته عندما حاول أهل بيته ووجوه الرستمية « أن يجعلوا له حجابا وبهيبة ، نوأبت العوام من ذلك ، وأرادت الدنو إليه في كل الأوقات على ما كانت تعرف قبل اغتارته » (٢٨٥) . وهذا الأمر يكون مقبولا فلما إذا عرفنا أن عقد البيعة لأبي حاتم تم بمعرفة

(٢٨١) ابن الصير ، ص ٤٦ - ٥٠ .

(٢٨٢) ابن الصير ، ص ٥٠ .

(٢٨٣) ابن الصير ، ص ٥٠ .

(٢٨٤) ابن الصير ، ص ٥٠ .

(٢٨٥) ابن الصير ، ص ٥٠ .

رجلين من خاصيته من أهل الحرب والنجدة ، هما : محمد بن رباح ، ومحمد ابن حماد اللذان عرف عنهما من الجرلة ما بلغ حد ان اقترحا ذات يوم على أبي حاتم ، عندما شكيا لهما من والده الذي نازعه في بعض أشياء ، أن يغلي بينهما وبين والده فيقتلانه ويصير الامر إليه ، مما أثار الهلع في قلبه (٢٨٦) . وفي علاقاته القوية بغير أهل المذهب وبالعوام ، يقول ابن الصغير أن بعض مشايخ تاهرت من غير الإباضية كانوا قد استولوا عليه ، مثل الفقيهين الكوفيين : أبي مسعود وأبي ذنون ، وكنا على مذاهب الكوفيين في الفقه « علويين أو معتزلة ؟ » ، ومثل علوان بن علوان الذي لم يكن من أهل الفقه ، ولكن كانت له رئاسة في البلد ، ومحبة عند العوام . والقريب ان ابن الصغير المالكي هو الذي يشير الى أن تلك الجماعة كانت تهدف الى الكيد للإباضية ، ويطعمون به في القضاء على مذهبهم ، وأن يكن غدرًا . وهو الامر الذي لا نجد أصداً له عند كتابهم ، مع انه كان يمثل مرحلة تطور غريبة في تاريخ تاهرت الرستمية ، تندر باضمحلال المذهب الإباضي قبل ظهور الفاطميين .

انهيار حلق المتناقضات :

فالتجاء مذهب الكوفيين العراقي الى تاهرت ، كما يشير ابن الصغير ، بل وجود ابن الصغير نفسه وهو المالكي المذهب في عاصمة الرستمين ، ان جانب تدخل العامة في شئون الإمارة بتشجيع ابي حاتم ، كل ذلك يمثل قرائن مقبولة توضح أن المذهب الإباضي لم يعد كافيًا للاستجابة الى متطلبات مجتمع تاهرت ، وانه كان يتآكل داخلياً قبل أن يواجه المذهب الفاطمي آتياً من الخارج ، وانه لم يعد كافيًا وحده . كما كان الحال من قبل - لكي يشد اركان الدولة الرستمية - وهكذا تكون اشارة أبي حاتم بن أبي اليقظان قد حملت بذور ضعفها في ثنايا بدايتها . وذلك ان محمد بن رباح ومحمد بن حماد ، اللذين كانا من خاصية ابي حاتم ، كما عرفا بالحرب والنجدة والجرأة الزائدة ، بدأ يسيران السيرة ، ويهددان بعض مشايخ تاهرت ، مما أسار الأمير أبي حاتم فأمر بأخراجتهما من المدينة ..

ثلاثة القتلة بتاهرت :

ولما كان لمحمد بن حماد منزل عظيم على مسافة أميال من تاهرت يعرف بـ «الثلث» ، فيه أنواع الأشجار والمزارع والنخل ، وتجرى فيه الأنهار بين

التصور - قان الرجلين خرجا جميعا الى ذلك المنزل حيث عاشا . كما يقول ابن الصغير « عمي انعم عيش وارغده » (٢٨٧) . والظاهر أن الرجلين الفاتكين ساءهما ان يكون جزاءهما النفي من قبل أبي حاتم بعد ما قدماء اليه مسن الخدمات قبل ان يصل الى الامارة ، « فأخذوا في الاتصال باتباعهما ، في المدينة : يشكوان كيف يتغيان من المدينة بلا جناية » - ونجح تدبير الرجلين في العودة الى تاهرت « على رضا الراضى وسخط الساخط ، فما شعر أبو حاتم الا والتكبير عليهما في المدينة ، ففرغ لذلك وإرتاع ، وعلم أنها (تاهرت) ليست بهار قرار » (٢٨٨) .

أبو حاتم يلجأ الى حمى لواتة :

هكذا وجد أبو حاتم نفسه غريبا في عاصمة مملكته ، فجمع اهل بيته وشاورهم في الأمر ، وتم الاتفاق على أن يخرج الرستمية من تاهرت لكي يعتصموا في حصنهم الذي كانت به مواشيم وعبيدهم ، وهو حصن يعرف بنماليت ، وكان يقع في طرف أرض لواتة حيث كان يمكنهم جمع لواتة وغيرها من القبائل ، وحشد يدعوونه للخروج اليهم ، وعندما خرجت الرستمية من تاهرت تبعهم المعجم الساكنين بتاهرت فخرجوا الى حصنهم ، كما فعلت نفوسة ، بدورها ، مثل ذلك - ولم يلبث أبو حاتم في المدينة الا أياما قليلة بعد ذلك ، ثم انه خرج في نحو مائة رجل من وجوه أعوانه من السمحيين ومن حماة البلد ، وعلى رأسهم مقدما كل جماعة ، وهما بكرى ابن يبيدي وبكر بن عبد الواحد ، وكانا فارسي الغرب في ذلك الزمان (٢٨٩) .

محاولة استعادة تاهرت بالقوة :

وبذلك تمت القطيعة مرة أخرى بين تاهرت التي بقي فيها العامة ومشايخ البند في جمع عظيم وبين الرستميين ومن معهم من المعجم ونفوسة ولواتة وغيرها من القبائل ، واخذ كل من الطرفين يستعد للحرب المنتظرة - فلقد أسرع عامة تاهرت في بيان حصنهم وترميم ما تصدع منه ، بينما اجتمعت لواتة على أبي حاتم فأعطاهم الاموال وحملهم على الخيل . كما وقبت تحليه قبائل الصحراء ، لم يتخلف منهم الا اهل حصن تاهرت : لانهم كانوا من

(٢٨٧) ابن الصغير ، ص ٥١ .

(٢٨٨) ابن الصغير ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٢٨٩) ابن الصغير ، ص ٥٢ .

الصقرية - وعندما أتم أبو حاتم استعدادة قسم قواته ال ثلاثة جيوش هاجم بها تاهرت من ثلاثة مواضع - هي

١ - القبلة حيث تولى القيادة بنفسه ، ومعه لواتة والرستنية ومن شايعهم -

٢ - المشرق حيث تقدم المعجم ومعهم صنهاجه ومن شايعهم -

٣ - المغرب حيث احتشدت نفوسة مع طوائف من الناس -

وكانت نتيجة القتال الأولى على الجبهات الثلاث في غير صالح أهل تاهرت الذين فقدوا بعض القتلى في مواجهة لواتة في القبلة ، وفي مواجهة المعجم في المشرق ، بينما لم يصيب لهم أحد من جهة المغرب حيث نفوسة (٢٩٠) -

ورغم أنه من الواضح أن القتال الذي وصفه بالشدة لم يكن حاسماً فإن الأمور تطورت من جراء ذيوله في داخل تاهرت بشكل جعل أهل المدينة يفضلون الاتفاق مع أبي حاتم على مواصلتهم القتال الذي رأوه عقيماً لا يؤدي إلى الغرض منه - وذلك أن ابن رجل قتله المعجم في ناحية المشرق ثار برجل من المعجم من سكان المدينة فقتله غيلة أخذاً بثار والده - وعندما علم التاهرتيون بذلك بادروا إليه ليقتلوه به ، فولى هارباً فلم يقدروا عليه ، ولم يعرفوا له مكاناً - واثارت ثائرة أهل المدينة الذين اجتمعوا فقالوا : « نحن إنما قمنا لمحاربة هؤلاء القوم لتأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، وإذا كان يقتل بين ظهراننا رجل بغير حق ، فامضوا بنا إلى أبي حاتم لندخله يقتل هذا وأشباعه ، ويحكم فيمن بقي كيف يشاء » (٢٩١) -

الانقسام في صفوف الرستمين : يعقوب بن أفلح أميراً متافساً لأبي حاتم :

وهكذا فشل التاهرتيون ومشايخهم في إقامة الحكم المثالي الذي كانوا يحلمون به بعيداً عن تسلط الرستمين ، وأرسلوا بياً يستقر عليه رأيهم إلى أبي حاتم الذي اشترط عليهم ألا يدخل المدينة إلا بعد أن يدفعوا إليه بمشايخهم والمسئولين عن إثارة تلك الفتنة - ورغم أن هذا الشرط كان ميبساً في تجدد

(٢٩٠) ابن الصغير ، ص ٥٢ -

(٢٩١) ابن الصغير ، ص ٥٢ - ٥٣ -

القتال الا ان وجوه اهل تاهرت رأوا الا قبل لهم بمواصلة القتال ضد تحالف القبائل والاباضية الذين كلبوا عليهم ، ورموهم عن قوس واحد - ثم ان المشايخ رأوا ان خير وسيلة لدفع خصومهم هي ان يبغثوا لانفسهم عن رئيس من الرستيميين ، ينحل مذاهب الاباضية ، - ووقع اختيارهم فعلا على يعقوب ابن افلح ، وكان على غير اتفاق مع ابن اخيه ابي حاتم حتى انه رحل منذ ولايته عن تاهرت ، ونزل بزواغة ، فلم يدسخل للرستمية جمعا ، ولا اعان ابن اخيه برأى ولا يحز ذلك « (٢٩٢) .

فشل الاسرة الرستمية وانشقاقها : الصراع بين الطالبيين بالامامة :

ولما تم اجماع اهل المدينة على ولاية يعقوب بن افلح ارسلوا اليه ويدخلوه المدينة حيث عقدوا له الولاية ، وبذلك تحقق لهم ما كانوا ياملون فيه من شرح الوحدة الرستمية . فبمجرد اعلان امارة يعقوب بن افلح انكسرت شوكة الاباضية ، كما يقرر ابن الصغير ، « ودخل عليه جماعة منهم ورجعت اليه جماعة من لواتة ، وبقيت الحرب متماسكة بين يعقوب بن افلح وابن اخيه ابي حاتم » . وهكذا تكون الاسرة الرستمية قد انقسمت على نفسها في سبيل الحكم ، وكان ذلك يعنى استمرار الحرب وان كانت قد ضعفت عن ذي قبل وانكسرت حدتها (٢٩٣) .

فشل ابي حاتم في دخول تاهرت :

ولكنه ورغم ما اصاب ابا حاتم من الضعف فانه ظل متمتعا بولاء جمهور الاباضية : وكان يمكنه ان يتجاوز تاهرت القتال وأن يزحف عليها . وأمر يعقوب بن افلح باغلاق ابواب المدينة الا بابا واحدا ، وقف هو عليه بجمهور الناس للدفاع . ويصف ابن الصغير قتال الاخوة غير المرغوب فيه ، فيقول : ان الناس ظلوا يواجهون بعضهم بعضا الى ان حضرت صلاة الظهر . فاذن المؤذنون في مصالمتهم ذلك . وصلى الناس صلاتهم ثم أخذوا ينظرون الى بعضهم فيسقط في ايديهم وتحولت قياتهم على المحاربة ، وكفتموا على خدمتهم (٢٩٤) ، « وبناء على ذلك لم يكن من القريب ان يقتل ابي حاتم لان منته من العجب عندما ارادوا انتهاز الفرصة وبفاجأة المدينة من جهة المشرق

• (٢٩٢) ابن الصغير ، ص ٥٢ .

• (٢٩٣) ابن الصغير ، ص ٥٢ .

• (٢٩٤) ابن الصغير ، ص ٥٤ .

لعلهم يصيبوا غرة ، اذفتح من كان بناحية الباب الشرقي من المدينة الباب
وخرجوا اليهم نخلة واحدة ، واغموهم على الفرار منهزمين . وهنا انصرف
القائد وانودين الذي كان أكبر معاوني أبي حاتم بمساركه ، وبذلك ضعفت
الحرب ، وتطلع الناس الى السلم والعافية (٢٦٥) .

تكريس الانقسام بين الرستمين ، تقييم يعقوب بن الفلح : قديس يتر في
سيرته سيرة الأئمة الأول :

وهكذا يكون انقسام الرستمين قد تكرر ، ويكون يعقوب بن الفلح
قد حقق حسن ظن تاهرت ومشايخها فيه . ويصف ابن الصغير يعقوب بن
أفلح ليقول : انه كان بعيد الهمة تزبه النفس ، ماجس بيده ديناراً ولا درهماً ،
فكانه أعاد سيرة الامام الاول في ورعه وتقشفه . فقد « كان اذا أتى وكيله
بغلاته أمره بأن يجعلها تحت بردة له يجلس عليها ، واذا أراد اخراج شيء
منها دفعه بقضيب من يده » . « وكان يعقوب اذا سافر ونزل يقوم لم يأكل
لهم طعاماً ، وكانت له بقرات يأمر بحلبها بين يديه في اثناء جديد ، فاذا امتلا
شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثاً لا يأكل طعاماً ولا يشرب شرباً ولا يخرج
لبراز » .

ويستمر ابن الصغير في وصف مناقب يعقوب فكانه يضعه في مصاف
كبار الأولياء : فقد كان وضوءه طأخراً في الموضع الذي يكون فيه ، وكانت
له أخلاق في لباسه وركوبه يخرج عن طبع البشر . والى جانب ذلك فهو احد
الفرسان الشجعان ، « وكان له فرس اشقر لم يكن بالمغرب مثله ، لا قبله ولا
بعده » ، وكان يضرب به المثل الى الوقت الذي كان يكتب فيه ابن الصغير في
أواخر ايام الرستمين (٢٦٦) .

اضطرابات تهلك الحرث والنسل لا يتهيأ الا توسط زعيم عزالي في القواد
الهدنة :

والهم انه لا مناقب يعقوب بن الفلح ولا فروسيته تحقت ما كان يطمح
فيه الناس من الأمن والعافية بمجرد ان طال الحرب بينه وبين ابن تغية
« وقطعت السبل وفرق من أيدي الناس الحرفاء والنهال » ، الى ان قبض الله

(٢٦٥) ابن الصغير ، ص ٥٤ .

(٢٦٦) ابن الصغير ، ص ٥٤ .

لهم أيا يعقوب المزاني الذي نزل بجميع مزاته حول تاهرت ، وكان رأس القوم وملئهم ، فمشت اليه القبائل ، وقالوا : لو جعلت الهدنة بين هذين الفريقين الى مدة معلومة يأمر الناس اليها ، وانتهى مسمى الزعيم المزاني في الهدنة التي اشتهاها الفريقان الى النجاح .

التحكيم :

وتم الاتفاق على أن يختار كل من الطرفين المتحاربين ممثلا لعقد الهدنة: فقدم يعقوب بن أفلح لتمثيله الفقيه عبد الله بن الملعط ، الذي عرفناه مناظرا واستخا في فن الكلام والجدل ، بينما قدم أبو حاتم رجلين ، هما : منكود وابن أبي عياض اللواتيين .

وانتهى مؤتمر التحكيم الجديد بحكم أشبه بالحكم الشهير في تاريخ الاسلام الذي أنكره سلف الاباضية الأوائل ، والذي ظل الرستميون ينكرونه حتى هذا الحين ، اذ تم عقد الهدنة على : « ان يرفعوا ايدي كل من أبي حاتم ويعقوب عن النظر اربعة أشهر ، ويشي الناس الى الناس ، ويدخل بعضهم على بعض ، وتأمين الساحات » فتم العقد على ذلك وتطامع الناس العافية (٢٩٧) .

عودة أبي حاتم يوسف الى تاهرت امرا دون منافس ، بعصيته الشعبية من غير الرستمية :

واحسن أبو حاتم استقلال فترة الهدنة لصالحه فاستمال وجوه أهل تاهرت وشبابهم بالوجود الحسنه وبالمعطاء الجزيل ، وبذلك مال اصحاب الدنيا اليه ، ولم يبق لى جانب يعقوب الا الراغبين عن سفك الدماء واكل الاموال ، بينما ظل أبو يعقوب المزاني قائما بمساعيه الحميدة لاصلاح ذات البين (٢٩٨) ، وكان الطيفي بعد ان تطور مجتبع تاهرت الى ما تطور اليه من عدم التمسك بتقاليد الرستمين الأوائل أن ترجح كفة أبي حاتم وها نحن ان يفرى به من أمور الدنيا وعرض الحياة . ففي يوم عيد من اعياد تاهرت اقبل اخوان من بيجور أهل تاهرت ، هما أحمد ومحمد ابنا ديبوس ، واعلنا أن من يريد العافية من أهل المدينة ليعليه بالصعود الى بلخي المعروف باسم الكنيسة .

(٢٩٧) ابن الصير ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢٩٨) ابن الصير ، ص ٥٥ .

حيث كانا يسكنان . واستجاب الناس للدعوة ، عدا يعقوب بن افلح وبعض المشايخ ممن كانوا يكرهون ابا حاتم وعلى رأسهم شيخ اليلد ومقدمه ابن مسعود الذي حاول أن يثنى الرجلين عن غرضهما دون جدوى . وهكذا سار ابنا ديبوس تعدت جنح الليل يتبعهما كثير من الناس قاصدين قصر ابي حاتم في نهر ، بينما ركب يعقوب بن افلح وشيعته يخولهم وخرجوا من المدينة نحو زواغه حيث كان يعيش يعقوب . قبل دعوته الى تاهرت . وهكذا نتحت تاهرت أبوابها من جديد لأبي حاتم الذي دخلها في صباح اليوم التالي وحده ، وليس معه أحد من عشيرته ولا من رجاله ، وبادر اليه الناس جميعا (٢٩١) .

إعادة تنظيم الحكومة في تاهرت : حكم حازم يقضى على أوكار الفساد :

بمجرد دخول ابي حاتم العاصمة الرستمية جمع مشايخ البلد من الاباضية وغير الاباضية وشاورهم في ترتيب الحكم والادارة . من : القضاء وبيت المال والشرطة وغيرها . وطلب أهل العقد والحل منه أن يسير فيهم بسيرة والده محمد الذي كانوا لا يعدلون بولايته الا ولاية جده الأكبر عبد الرحمن بن رستم . ف فيما يتعلق بولاية القضاء أشادوا بقاضى والده وهو محمد بن عبد الله بن ابي الشيخ ، وطلبوا تعيين ابنه عبد الله الذي ليس دون والده في الورع والعلم ، فولى القضاء . وفي ادارة بيت المال ولى عبد الرحمن بن صواب النفوسى الذي اشاروا به . وفي الشرطة عرضوا عليه أحد رجلين ، وهما : زكار الذي عرف بجودة فكره وبالتفانى في الخدمة ، أو ابراهيم بن مسكين المعروف بصلابته ، في الحق ، فاستصوب ان يوليهما جميعا (٣٠٠) . وقام الرجلان بعملهما خير قيام ، ففضيا على أوكار الفساد الذي كان قد استشرى في المدينة نتيجة الحروب والضيق ، من : انتشار المنكر والبغث بالقلمان . فحملا الناس على عمل المعروف والابتعاد عن المنكر ، حملا ، ولم يتورعوا عن انزال العقوبة الصارمة بالمخالفين . من : الضرب والسجن والتقييد ، حتى قطعا كل ذلك في أضرخ من طرفة العين . كما يقول ابن الصفيير ، لم يفرقوا في ذلك بين العظيم والصغير . هذا . كما اهتموا أيضا بالقضاء على السراقى قطعاع الطريق حتى أمنت السبل وأطمأن المسافرون (٣٠١) .

وهكذا حسنت سيرة ابي حاتم في ولايته الثانية لتاهرت ، ولم ينقم

(٢٩١) ابن الصفيير ، ص ٥٥ .

(٣٠٠) ابن الصفيير ، ص ٥٦ .

(٣٠١) ابن الصفيير ، ص ٥٦ - ٥٧ .

عليه الناس شيئا ، لولا ما قدموه عليه من أخذ بعصر الناس بالمثبته وانزال عقوبة الضرب بالسوط على بعضهم على الظنة (٣٠٢) .

ازدهار مجالس العلم والمناظرة :

ونتيجة لثقل هذا الحكم العازم وما أدى إليه من انتشار الأمن والطمأنينة كان من الطبيعي أن ينصرف الناس إلى أمور دينهم بعد أن اطمأنوا إلى أمور دنياهم فعمرت المساجد ، واقامت الجمعة والخطبة في الجامع ، ولم ينكر الناس شيئا سوى ما انصرف إليه الفقهاء من المناقشات الفقهية - وهنئذ أمر طبيعي في أوقات الأمن والسلام - وما أقاموه فيما بينهم من المناظرات بين أعلام الفرق المختلفة ، مما كان ينسب بعض المنازعات ، كما هو معروف . ولكن الكلف بالجدل العلمي والمناظرات الفقهية أدى إلى أن أصبحت كل فرقة تسعى إلى المزيد من العلم عن طريق معرفة آراء مخالفيها ، وفي سبيل ذلك استخدم الجميع اللطف في المناقشة وإكرام للمخالفين سواء كانوا من الإباضية أو من غيرهم ، دونما حقد أو تعصب (٢٠٢) . وهو الأمر الذي لم يكن معمولاً من قبل .

مناظرات المؤرخ ابن الصغير :

وابن الصغير المالكي يشير إلى ما كان يقوم بينه وبين رجل يسمى سليمان ويكنى بابي الربيع من وجوه الإباضية من هواره ، وذلك في بعض مساجد الرهادنة حيث كان يقيم مؤرخنا ، من المناظرة في بعض المسائل المختلف عليها بين المالكية والحنفية (الحجازيين والعراقيين) وبين الإباضية . من ذلك ما يتمسك به أهل السنة من أن الرجل إذا زوج ابنته البكر ، وهي صغيرة ، وأدركت أن لا خيار لها في نفسها ، بينما يقولون إن الرجل إذا زوج أمته ، واعتقت فإن لها الخيار . وجئت بلفظ سليمان الهواري للإباضي نظر ابن الصغير إلى أنه لا فرق بين الأمة وبين الصغيرة (٢٠٤) .

مس (٣٠٢) ابن الصغير ، ص ٥٧ ، وقارن للشيباني ، ص ١٦٢ .

(٣٠٣) ابن الصغير ، ص ٥٧ .

(٣٠٤) ابن الصغير ، ص ٥٧ . وشرح ذلك : « لأن الأمة لم يكن لها حكم ، فو نفسها وإن كان الحكم لسببها ، فلما عفت وصار الحكم اليها جعلتم لها الخيار ، والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وإن الحكم لأبيها ، فلما أدركت صار الأمر اليها ، فلما عفت جعلتم لها ما اجزمت للأمة والمعتق واحد » . ويقول ابن الصغير إنه ناقض قوله المسألة مع كثيرين وأنه رد على ذلك بقوله : « أنا إنما اجزأتها كإباحة الصغار لأن النسوة سلمت فزوج عائشة بنت أبي بكر » .

ومن موضوع المناظرة وما يحدث فيها من اختلافات فقهية ولغوية ..
 ينتقل ابن الصغير الى موضوع الخطبة على منابر الاباضية ، لينص على أن
 خطبائهم ربما حرفوا اللفظ عن موضعه ليقوموا الأمر الذي يريدونه . وهو
 يمدد خطبائهم الذين حضر لهم ، وأولهم ابن أبي بريس ، وبعده : أحمد التيه ،
 وأبو العباس بن فتحون ، وعثمان بن الصغار ثم أحمد بن منصور (٢٠٥) .
 ويذكر أن الثاني منهم وهو أحمد التيه حاول في شرحه للكلمات القرآنية :
 « الرحمن على العرش استوى » ، أن يجمّل ذلك بابا من الحلول على
 العرش (٢٠٦) .

ويؤكد ابن الصغير أن كل من رآهم من خطبائهم على منابرهم لا يستعملون ،
 الاخطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، باستثناء خطبة التحكيم . وكان
 الخطيب اذا فرغ من خطبته الأولى وقام الى الخطبة الثانية بدأها بالتحكيم (٢٠٧)
 أي : « لا حكم الا لله » ، وهو نفس شعار جماعة الخوارج من الشراة القديم .
 عندما رفضوا حكم عمرو وأبي موسى - وهذا ما تشير اليه خطبة التحكيم التي
 ينقلها ، ابن الصغير ، ففيها : « فتبارك الله أحسن الخالقين ، تعالی أن تطلق
 في وصفه آراء المتكلمين أو أن تحكم في دينه أهواء المتقلدين ، بل جعل القرآن
 ماما للمتقين ، وهدي للمؤمنين .. وحكما بين المتخالفين » (٢٠٨) وكذلك
 يأتي بعد الحمد لله : « الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والاسلام ديننا ، والكعبة

« بنت سبع سنين ونرى بها وهي بنت تسع سنين » - ورفض الرجل ذلك وطلب منه إن يكلمه
 من القرآن أو من باب النظر . بعد أن أشار اليه أن الله أحل لرسوله من النساء ومن عدمن
 أكثر ما أحل لإمته . ويستمر الجدل فيذكر كاتبنا انه ذكر من القرآن الآية التي تقول :
 « واللاني يشن من الحيف من تساتكم (آل) .. واللاني لم يحضن » . فقال عجبا منك
 اما أسالك عن عقد الكاح وفسخه وانما تغيرني ثم عقدت المويسات وعلمة اللاني لم يحضن .
 وهنا افهم ابن الصغير مناظرة سليمان عندما شرح له كيف غاب عنه المراد من قوله « لا يحضن »
 بالطلاق ، والطلاق لا يكون من غير زوج - فسكت ولم يرد جوابا . هذا ولو ان شخصا آخر
 قال له : « واللاني لم يحضن » : المراد « التي لكم التي لم تحضن » . ومن « التي لكم التي لم تحضن »
 فكان رده : « هذا فلفظ في اللغة » .

(٢٠٥) ابن الصغير ، ص ٥٦ .

(٢٠٦) ابن الصغير ، ص ٥٦ .
 ابن الصغير بعد ذلك في خطبة التحكيم ، وفيها : « الذي لم يزل يضل أسفاله وأسفاله ، لا يستعمل
 عليه زمان ولا يحيط به مكان ، خلق الأماكن والأزمان ثم استوى الى السماء وهي مظلمة » .

(٢٠٧) ابن الصغير ، ص ٥٦ .

(٢٠٨) أخبار الأئمة ، ص ٦٠ .

قولتنا ، والقرآن ايماننا : لا حكم الا لله اتباعا لكلام الله وسنة نبيه عليه السلام ، وخلصنا لأهل البدع وأشهد أن من لم يحكم بما أنزل الله : فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون ، وفي الدعاء : قبيل الختيم يطلب الرحمة - بعد ذكر النبي وآله والصحابه والتابعين - للشراة ، كما يدعو بالصلاة على أبي بكر وعمر : وأخيرا الدعاء بالصالح للأمين يوسف بن محمد (أبو حاتم) (٢٠٩) .

والظاهر أن مجتمع تاهرت ظل في تطور مستمر ، وهو الأمر الذي يحدث للإباضية الذين ظهروا ، على عكس ما كان يظن ، بمظهر التساهل والتسامح حتى كثير من أمور الفقه والأحكام . فمنذما ولي الخطابة رجل من الإباضية ، يقال له : أحمد بن منصور ، وسمعه ابن الصغير وهو يشفي بخطبة التحكيم ، أثار ذلك انتباهه حتى أنه لفت نظر الخطيب إلى أن هذه لم تكن سنة أسلافه . ورد الخطيب على ملاحظة ابن الصغير بأن أحد زعماء الجماعة ، واسمه : عثمان بن أحمد بن يحيى هو الذي جملة عليها ، إذ كان الرجل مقدا عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما استحسن لهم ، فخطب الخطيب بها (خطبة التحكيم) لأنه استحسنها له (٢١٠) .

وبخطبة التحكيم تلك ينهى ابن الصغير كتابه في سير الرستمين على أيام الأمير أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان ، ولا بأس في أن يكون ذلك حوال سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٣ م ، إذ أن عدم وجود أي ذكر في الكتاب لموقمة « مانو » التي تحطم فيها إباضية نفوسة أمام القوات الأغلبية ، قبل ذلك بستوات ، لا تعنى بالضرورة أن تأليف ابن الصغير قد تم قبل تلك الوقعة (أي قبل ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م) . والحقيقة هي أن ابن الصغير لم يهتم إلا بأحوال تاهرت بلده ، أما جبل نفوسة الذي كان يمثل الدعامة الرئيسية للامارة الرستمية، فكان موضوعا بعيدا عن اهتمامه وإن كان له المعنيون به من مشاهير الكتاب النفوسيين .

أحوال جبل نفوسة على عهد أبي حاتم يوسف :

أبو منصور إلياس بن منصور وإثيا :

والنفوسيون ، وعلق رأسهم أبي زكريا ، لم يهتموا في تاريخهم لامامة

(٢٠٩) أخبار الأئمة ، ص ٦٢ .

(٢١٠) ابن الصغير ، ص ٥٩ . أما عن خطبة التحكيم فانظر ص ٥٩ - ٦٢ -

أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان الأياحوال جبيل نفوسة . قابو زكريا الذي يقول عن يوسف انه مكث في امامته ١٤ (أربعة عشرة) سنة ، يذكر : وانه أطردت له الأمور ولم ينقم عليه من رعيته أحد ، ويتبع ذلك بالحديث في سيرة أبي منصور الياس بن منصور والى جبل نفوسة على أيام أبي حاتم (٢١١) ، وهو واحد من أشهر الشخصيات النفوسية في تاريخ أمانة تاهرت الرستمية على وجه الصوم . فلقد ولي أبو منصور جبيل نفوسة على عهد كل من الفتح وأبي اليقظان ثم أبي حاتم يوسف (٢١٢) .

عمروس بن فتح النفوسى قاضيا :

وواضح من النصوص أنه رغم ما كان يتصف به أبو منصور الياس من الفضل ، حتى قيل إنه كان مستجاب الدعاء (٢١٢) ، فقد كان من أسباب شهرته وذيوع عينته بين كتاب الإباضية هو عهده بالقضاء الى عمروس بن فتح النفوسى ، الذي كان من الشخصيات العارمة التي عرفها جبل نفوسة بسبب : علمه وفضله وجزقه وفطنته وحضور حجته (٢١٤) . ففي علمه قيل انه كان عالما كبيرا له كتب في الأصول والفقه (الفروع) ، وانه كان قد عزم على تأليف كتاب جامع يعالج فيه مسائل الفقه على أساس القواعد التشريعية الثلاثة المعروفة ، وهي : الكتاب والسنة والرأى ، ولكن أجله لم يمهله لكي يتم مشروعه هذا (٢١٥) .

وفي شدة عمروس في الحق وعدم خوفه في الله لومة لائم ، يذكر أبو زكريا من مناقبه أنه كان يطا الرجل الذي يسك عن الاجابة على استئلته برجليه في حضرة الوالى أبي منصور الياس . وعندما لفت الياس نظره الى أنه عجل على الرجل ، لم يتردد في أن يبين له الحجة فيما فعل . بل أنه عرض استقالته من القضاء ان لم يقبل حكمه بالعقوبة العظمى ، وهي القتل ، لى ثلاثة : الطاعن في دين المسلمين أى المعارضين للهدى الاباضى . (من الإنكار

-
- (٢١١) المخطوط ، ص ٢٢ - ١ . وطارن الدرجينى الذى يجعلها (١٢) (التى عشرة) سنة فقط ، المخطوط ، ص ٢٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) .
(٢١٢) انظر الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) .
(٢١٣) أبو زكريا . ص ٢٢ - ١ . الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) .
(٢١٤) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ١ .
(٢١٥) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ١ . الدرجينى ، ص ٢٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) .

ومن نهج تهجم) ، والمائع الحق ، والدال على عورات المسلمين (أهمل
المذهب) (٢١٦) .

الياس وعمروس رجلا الجبل :

وهكذا أكملت مناقب كل من الرجلين سبحانه الآخر ، وعمل كل منهما على
الرفع من شأن صاحبه : عمروس بعلمه وفطنته وشدته في الحق ، والياس
بتقواه وورعه وشجاعته التي بلغت مبلغ الأسطورة ، مما ضمن لذريته
استمرار الولاية والحكم في جبل نفوسة . ففي الحروب كان أبو منصور اذا
خرج في العسكر ، ينطح العدو نطحة من غير صفوف ، مما يذكر بالحيلة
الخارجية ، التي صارت مضرب المثل . وفي الحرب كان يقود رجاله وهو
راكب بظلة ليكون قدوة للعامة من رجاله للشيات في المعركة ، وعدم التفكير
في الهزيمة أو الفرار (٢١٧) ، وهو الامر الذي بالغ فيه المتأخرون ، حتى جعلوه
كرامة من الكرامات . اذ ليست البظلة مما يركبه مقتحمو الحرب ، فقالوا
ان نبال الأعداء كانت تنحاد عنه ، رغم انه كان هدفا ثابتا قريب الدال ،
وهو فوق بظلته (٢١٨) .

مطاردة حميد خلف بن السمح :

ومن أهم الأعمال الحربية التي تذكر لأبي منصور الياس مطاردته بقايا
الخلفية بقيادة حميد خلف بن السمح في آخر ولاية الرستمين . وكان الخلفية
قد وهنوا بعد صراعهم مع أبي عبيدة عبد الحميد والى افلح على جسر
نفوسة ، ولكن فلولهم ظلوا متشبثين بأبن خلف ، أو حفيده ، الذي ظل
متمسكا بمذهب أبيه (٢١٩) . والرواية لا تشير الى أعمال عداوية قام بها الخلفية
ضد أبي منصور أو وعيته ، بل تقتفي بالقول أن والى جبل نفوسة الشهير
خرج على أيام أبي حاتم يوسف لطلب ولد خلف الذي لا تذكر لنا اسمه ،
وان هذا الأخير هرب لاحقا لدى قبائل زواهة ، خارج طرابلس في ساحل
جزيرة جربة . والتف الزواغيون حول زعيم الخلفية ، واجتمعوا على أن

(٢١٦) أبو ذكريا ، ص ٢٢ - ٢١ .

(٢١٧) أبو ذكريا ، ص ٢٢ - ٢١ .

(٢١٨) الدرجيني ، ص ٢٧ - ٢٦ (المطبوع - ص ٨٤) : حيث يقول أيضا انه كان قاصدا

مستجاب الدعاء في كرامات .

(٢١٩) انظر لها سبق ، ص ٢٤٧ -

يبتعوه من النفوسيين : اذ « كانوا على مذهب ابيه فسمعوا قوله واطاعوه
وقبلوا دعوته (٢٢٠) » .

الوساطة ، وشروط الصلح :

ومكذا وصل أبو منصور الى حيز زواغة ، ووجد اعدادا كبيرة منهم
محدقة بحفيد خلف . وقيل أن يبدأ القتال تدخل أحد زعماء بني يوراسن
(أو يهراسن) الذي يعرف بأبي سلامة لحقن السماء ، وعرض على زواغة
أن نقل واحدا من ثلاثه حلول ، وجدها كفيلا يواد الفتنة وهي في مهدها :

١ - ان يترك الزواغيون من الخلفية البرية ، وأن يهربوا الى داخل
حزيرة جربة حيث يسكنهم أن يجتمعوا باخوانهم في المذهب هناك وأن يمتنعوا
زعيمهم الخلفي ، وبذلك يكونون قد ابتعدوا عن حيز أبي منصور .

٢ - ن يرسلوا وفدا منهم الى الامام أبي حاتم يوسف يطلبون منه ان
يولي عليهم واليا منهم ، وبذلك يخرجون عن طاعة نفوسة . فكان الاستقلال
عن حكم النفوسيين كان مطلبيا من مطالب الزواغيين .

٣ - ان يدفع الزواغيون زعيمهم الخلفي الى أبي سلامة اليوراسني
فتنطلق به الى نفوسة ، وهو يضمن لهم أمنه وسلامته . وهو الحل الذي يعني
ان الزواغيين ربما كانوا قد تورطوا ، عن غير قصد ، مع حفيد خلف . وانه
سكنهم الودق مع النفوسيين اذا ضمنوا لهم الا يصبوا الخلفي بضرر ما .

قتل الوساطة ، وهزيمة زواغة :

وقشلت وساطة الزعيم اليوراسني عندما قام بعض الزواغيين فندد
بحسن نواياه ، وهو يقول : « أن اليوراسني يريد الوقيمة بزعيمهم الخلفي
الذي تسميه الرواية بـ « الخليفة » ، مما أثار أبا سلامة ، فأعرض حسن
الاستمرار في وساطته ، رغم نداء بعض العقلاء من الزواغيين ، فأنصرف
عن محفلهم (٢٢١) » .

(٢٢٠) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ١ ، وقارن الدرجيني ، ص ٢٧ - ب (الملبسوع ، ص

٨٤ - ٨٥) .

(٢٢١) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ب ، الدرجيني ، ص ٢٧ - ب .

وبذلك تحسم القتال بين الفريقين ، وانتهى بانتهام زواغة بعد قتال شديد امتدوا فيه كثيراً من رجالهم ، الذين لم يتمكنوا من الفرار ، بسبب وقوعهم في الحبال التي كانت ممدودة في المنطقة بين الأشجار الصغار المفروسة لمنع الوحش من الافساد فيها . ولم يسرف أبو منصور الياس في قتل زواغة اذ رجح عنهم ، وتمكن الباقون منهم من الدخول الى جزيرة جربة (٢٢٢) ، كما نصحهم أبو سلامة اليوراسني أول الأمر .

دخول الخلفية في جربة ، وغزو زواغة بأمرهم :

وفي جربة استجار حفيد خلف برجل من زواغة يسميه أبو زكريا بمقل من بني مزانت ، فادخله في قصر من قصور جربة يقال له غردانت (٢٢٢) . وهنا لجأ أبو منصور الذي وصل الى ساحل جربة الى وسيلة الاغواء بالمال ، فارسل رجلاً من يوراسن (يهراسن) الى الزواغي الذي آوى حفيد خلف بصرة فيها مائة دينار من الدراهم . وما ان شعر الزواغي بالدراهم تنصب من كم اليوراسني الى كفه ، حتى قال له : « لو آتيت الى اولادنا دفعناصم اليك (٢٢٤) » . وبناء على ذلك فلم يكن من الغريب عندما وصل أبو منصور الى ساحل جربة بعد يومين أو ثلاثة أيام ، اذ كان من عادته أن يوقف جيشه عند وقت كل صلاة ليصلي بهم ركعتين ، أن يقوم بمقل الرواعي ببرد جوار حفيد خلف ، اذ توجه اليه ، فقال له : « انزل ايها الأمير فعد طال ما أرملت نساء زواغة علي يديك » . وكان جواب الخلفي : « ليتكم لم تسموني أميراً يامشومات » ، وذلك باللفة البربرية التي كان لا يحسنها لأنه رجل عربي . وهنا دفعه الزواغيون الى أبي منصور الياس الذي سار به (٢٢٥) .

أبو منصور يسجن حفيد خلف في الجبل :

وهكذا استقرت الأمور ، في جزيرة جربة فلم تعرف بها فتنة تسبب

(٢٢٢) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ب ، الدرهمي ، ص ٢٧ - ب ، ٢٨ - ا (المطبوع ، ص ٨٥ - ٨٦) .
(٢٢٣) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ب ، وقارن الدرهمي ، ص ٢٧ - ب ، الذي يسمي قبيلة الرجل تلسنات ، ويسمى القصر غردان (المطبوع ، ص ٨٦) .
(٢٢٤) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ب ، وقارن الدرهمي ، المخطوط ، ص ٢٨ - ا (المطبوع - ص ٨٦) .
(٢٢٥) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب ، ٢٣ - ا ، الدرهمي ، المخطوط ص ٨٦ - ا (المطبوع ، ص ٨٦) .

عليها الخلفية أو قتال . أما رئيس الحركة ، حفيد خلف ، فقد صحبه أبو منصور الياس الى مقره قتي جبل نفوسة حيث سجنه . وكان الرجل مكرما في سجنه معززا لشرفه وعلمه وفقهه ، فقد كان مرجع القوم عندما تنزل بهم نازلة أو تعرض لهم قضية وعرة أو معضلة ، مما جعله يتساءل متعجبا : يسجنوني ويستلونني (٣٣٦) ؟

وينتهي أبو زكريا قصة الخلفي قائلا : « وذكر بعض أصحابنا أنه رجع الى مذهب أهل الحق وحسنت أحواله ، والله أعلم » (٣٣٧) ، وهو الأمر الذي لا يعدو أن يكون أمنية من أمنيات خصومه العزيزة .

أما أهم الأحداث التي عرفها جبل نفوسة على أيام الامام أبي حاتم يوسف حبي الكسرة الخطيرة التي لحقت بقوات نفوسة أمام القوات الأغلبيية بقيادة الأمير ابراهيم بن أحمد ، وذلك في وقعة مائو الشهيرة ، بعد وفاة أبي منصور الياس وولاية افلح بن العباس على نفوسة (٣٣٨) .

وقعة مائو سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م واضمحلال جبل نفوسة كقوة مساندة لامامه تاهرت (٣٣٩) :

وأول ما يسترعى الانتباه ، أن كتاب الاباضية متفقون على أن الهزيمة الكبيرة لنفوسة ، في حيز طرابلس ، كانت السبب المباشر لاضمحلال امامة تاهرت الرستمية واقراضها (٣٤٠) . فقبايل نفوسة كانت تؤيد « السلطنة » الرستمية ومذهبها الاباضي بشكل لا نظير له بين قبائل المغرب . ولهذا السبب قل الاباضية هناك . « قام هذا الدين بسيوف نفوسة ومال مزاتة » ، كما

(٣٣٦) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ ، وقادح الدرجيني (ص ٢٨ - ب المطبوع ، ص ٨٦ - ٨٧) الذي يضيف أنهم سألوه في قضية قطع رجل رجل فاختلقوا ، فقال : قطع الرجل دون العقب . وعندئذ قال مقاله جابر بن زيد لا استفتي في السجن . وخبره مشهور . وهذا يعني أن مقاله « يسجنوني ويستلونني » ص أصلا لجابر بن زيد الذي رأينا كيف أن نفاذا احتال ال أن كتب ديوانه في بنغازي ، ولو أن الرواية قالت ان نفاذا عاد ودفعه حتى لا يستطيع منه خصومه - انظر فيما سبق ، ص ٢٥٠ .

(٣٣٧) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ ، الدرجيني ، ص ٢٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) .

(٣٣٨) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ ، الدرجيني ، ص ٢٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) .

(٣٣٩) انظر فيما سبق ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٣٤٠) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ : حيث يجهل عنوان الحركة : « وقعة مائو واقراض

لامامة ، وهو العنوان الذي ينقله الدرجيني ، ص ٢٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) .

قالوا أن أحاد نفرسة انتشرت لدى المسودة (العباسيين) في المشرق على أنهم المناصرين والقائمون بدولة العرس الرستمية في بلاد طرابلس وتاهرت وغيرها ، وذلك بفضل المكاتبات التي كان يبعث بها إلى بغداد أهل كل من مدينتي القيروان وطرابلس (٣٣١) .

ومما يسترعى الانتباه أيضا ، ما أخذ به كتاب الإباضية من أن ذلك حدث على عهد الخليفة المتوكل العباسي الذي قتل في سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، مع أنهم يعرفون أن وقعة مامو كانت على أواخر أيام الرستمين سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م . وإذا لا حظنا أنهم عرفوا قبل ذلك أن أبا اليقظان بن افلح كان قد قبض عليه في مكة وسير به إلى بغداد ، حيث حبس على عهد المتوكل قبيل مقتله سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، فإنه يكون من المقبول أن القصد من ذكر عهد المتوكل هنا هو تحديد بداية اهتمام بغداد بأمور الرستمين في تاهرت وطرابلس ، وليس تحديد وقت الموقعة ، وإن ظهر التعبير بغير هذا المعنى ، كما في أبي زكريا الذي يظهر الأمير الأغلبى وكأنه يرحف نقواته من شرق طرابلس (في المغرب) ، فاصداً تاهرت بناء على أوامر بغداد (٣٣٢) .

في أسباب الموقعة :

ومع أنه لا بأس في أن تكون حلابة بغداد لها دورها في تحريض الأمير الأغلبى إبراهيم بن أحمد ضد إباضية طرابلس ، أو أن يكون الأغلبى أراد أن يكتسب رضا الخلافة عنه بعد سحقها عليه أثر أعمال العنف والقسوة التي قام بها ضد رعاياه ، في اقليمي تونس وطرابلس ، فلا بأس أيضا في أن تكون أعمال القهر التي قام بها ضد الإباضية من قبائل هوازة وغيرهم في اقاليم الزاب وطرابلس ، هي السبب في قيام نفوسة على الأغالبية في اقليم طرابلس ، كما سبقت الإشارة (٣٣٣) . وهكذا سار إبراهيم بن أحمد من رقادة في اثر ابنه أحمد نحو طرابلس حيث اعترضته قبائل نفوسة فيما بين قابس وطرابلس (٣٣٤) .

(٣٣١) أبو زكريا ، ص ٣٣ - أ ، الدرجيني ، ص ٣٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) .
(٣٣٢) السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ٣٣ - أ ، وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) . وعن سحن أبي اليقظان في بغداد انظر فيما سبق ، ص ٣٥٤ .
(٣٣٣) انظر فيما سبق - من الأغالبية - ص ١٤١ .
(٣٣٤) انظر فيما سبق ، ص ١٤٢ .

وإذا كانت الرواية الاباضية تقول ان الأمير الأغلبى طلب من النفوسيين أن يتركوا له مبراً على شاطئ البحر لا تزيد سمته عن مقدار نشر همامته ليجوز منه الى طرابلس (٢٢٥) ، فان من الممكن أن يكون الأمر متملقاً بواحد من احتمالين :

١ - إما أن تكون الرواية الاباضية تخلط هنا بين ما حدث قبل ذلك مع عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب عندما حاصرت الاباضية في طرابلس أيام الامام عبد الوهاب ، وانتهى الأمر بالصلح على أن يكون شاطئ البحر للأغلبية والدواخل لعبد الوهاب .

٢ - واما أن يكون هدف ابراهيم بن أحمد هو الاكتفاء بتهدئة الأحوال في طرابلس التابعة له ، دون رغبة في التدخل في شئون الاباضية فسي الدواخل .

مكان للوقفة :

والهم في الرواية أن الاباضية عزموا على ألا يسمحوا لابراهيم بالمرور بينما قرر هذا الأخير الجواز على ساحل البحر دون أن يتعرض اصحابه لنفوسة اذا تركوهم . ورأى العقلاء من الشيوخ مثل سعد بن أبي يونس ، الذي رأيناه عالماً كبيراً ووالياً لتنطراة التي كان من مشاهير أبنائها ، أن يتركوا الأغلبية يجوزون ، ولكن الكثرة الغالبة من الشيايب المتحس رفض ذلك ، بل وعير بعضهم سعداً بالجبن والخوف من القتل . وكان رد سعد بن أبي يونس مقالته المشهورة : « خفت أن تذبح البقرة فيتبعها عجلها » ، يعنى بالبقرة نفوسة وبالعجل قنطراة (٢٢٦) ، بلده . وهكذا اعترضت نفوسة قوات الأغلبية في موضع لا يذكر مؤرخو المغرب اسمه (٢٢٧) بينما يعرفه كتاب الاباضية باسم « مافو » ، وفيه يقول أبو زكريا : انه « قصر من قصور الأولين » على ساحل البحر .

(٢٢٥) انظر أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ : والرواية هنا تقول انه كان يريد الجواز من طرابلس الى تلمذت ، وقارن الدرجيني ، ص ٢٦ - ١ (المطبوع ، ص ٨٧ - ٨٨) .
(٢٢٦) أبو زكريا ، المطبوع ، ص ٢٢ - ب ، الدرجيني ، المطبوع ، ص ٢٩ - ١ (المطبوع ، ص ٨٨) .
(٢٢٧) انظر فيما سبق ، عن الأغلبية ، ص ١٤٦ وما بعدها والهوامش .

المعركة وتلشي القتل في نفوسة :

أما عن القتال الشديد بين الفريقين فيصفه بأنه « لم يسبق مثله في أرض المغرب » ، وبصرف النظر عن الطولات الشخصية التي أظهرها بعض الفرسان من الجانبين ، فقد استشرى القتل في الفريقين ، ولحق سموسة إلى جانب ذلك كبير من الجراح حتى أنهم هموا بالانهزام (٢٢٨) .

وهنا طرأت على بال أفلح بن العباس ، وإلى الجبل وفارس نفوسة . فكرة حث الناس على الثبات عن طريق تركيز البند أو الرماية ، شعسار الجيش ، في الأرض ، وهو الأمر الذي لم يفعله صاحب البند أي حامل الرماية إلا على مفض . ولكنه إذا كان غرس البند في الأرض قد جعل الناس يسرعون بالالتفاف حوله للدفاع عنه ، فقد جعلهم احتشادهم هذا هدفا سهلا للعسكر الأغلب الذي أوقع بهم وقتل منهم الكثيرين ، بينما فر أفلح ابن العباس عندما رأى سوء موقفه وتفشى القتل في أصحابه (٢٢٩) . ولا شك في أن فشل خطة الصمود حول البند المركز في الأرض ، وما تبعه من فرار أفلح بن العباس كان السبب في أن القيت تبعة مقتلة نفوسة وحلفائهم في مانو على عاتق هذا الأخير . ففي ذلك يقول أبو زكريا : « أفلح كان قد كره الخروج للقاء الفاسق وكذلك فعل بهم ما فعل ، فكانه كان من المعارضين لتحدى إبراهيم بن أحمد الأغلب ، مثله في ذلك مثل سعد بن أبي يونس ، وأنه انتقم منهم بتدبير مسألة البند الذي كساد الرجال جميعا يستأصلون حوله ، لولا أن قيض الله له رجلا من أهل البصائر ضربه بالسيف فاسقطه . فعند ما وقع البند « انهزم من بقي من المسلمين ، وأقلت من أقلت من أهل دعوتنا من أهل الجبل » ، كما يقول أبو زكريا (٢٤٠) .

قائمة الخسائر الإباضية :

وتدل قائمة الخسائر على أن هزيمة « مانو » كانت كارثة حقيقية بالنسبة لنفوسة وحلفائهم من قبائل أقليم طرابلس . فقد بلغت عدة القتلى

(٢٢٨) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ب . الدرجيني ، ص ٢٩ - أ (المطبوع ، ص ٨٨) .
 (٢٢٩) انظر أبو زكريا ، ص ٢٢ - ب ؛ حيث يقول ان الهزيمة وقعت حول البند بعد انهزام أفلح ، وقارن الدرجيني ، ص ٢٩ - ب (المطبوع ، ص ٨٨ - ٨٩) .
 (٢٤٠) السير ، وأخبار الائمة ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب وانظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٩ - ب (المطبوع ، ص ٨٩) .

١٢ (اثنى عشر) ألف رجل ، منهم : ٤ (أربعة) آلاف من نفوسة ، و ٨ (ثمانية) آلاف من كان معهم من البربر وغيرهم ، الى جانب ما سبق من نساءهم كلالتي كن خرجن معهم . وربما كان الاخطر من كل ذلك فقدان ٤٠٠ (أربعمائة) عالم فقيه ، أشهرهم عمرو بن فتح (٢٤١) الذي كان له قضاء جبل نفوسة منذ ولاية ابي منصور الياس (٢٤٢) .

واغلب الظن أن الرواية الاياضية لا تبالغ كثيرا عندما تقول ان الامم الاغلبية ابراهيم بن أحمد انتقم من مشايخ الأسرى انتقاماً مروها يصير عن الحق الذي لا حدود له والتشفي . فإلى مثل هذا تشير روايات مؤرخي المغرب التي عرضناها عن تلك الواقعة في تاريخ الأغالبة ، إذ تنص على القسوة اللاإنسانية التي مارسها الاغلب ، عندما كان يأمر يشق صدر الرجل ثم يطلعه بيده في موضع القلب مباشرة . أو ما قيل من أنه نظم قلوب العشرات منهم في الخيوط كأنها قلائد النصر أو عقود الظفر . ولا شك أن ما قيل من أن مشايخ الاياضية مؤذاة كانوا يجبرون من الامام علي بن أبي طالب لا يصح أن يكون ذريمة مقبولة تبيح كل ذلك (٢٤٢) .

مقتل القاضي عمرو بن فتح :

فأبو زكريا يذكر أن القاضي عمرو بن فتح كان مشاركا بشخصه في القتال ، وانه كان في مؤخرة المسكر ، على فرس سابق ، يعمي الناس ويذب عنهم ، وعسكر الأغالبة لا يدرون ماذا يصنعون معه . فلما أعياهم نصبوا له حبالا تمشي بها فرسه « السابق » فأخذوه أسيراً الى « الفاسق » . وطلب ابراهيم بن أحمد من عمرو أن يطلب العفو ، ولكن القاضي الشديد في أحكامه والذي كان لا يخاف في الله لومة لائم أبي من استجداء العفو ، « وطلب فقط الا يكشفوا عن سراويله » . وكانت العقوبة الشنيعة التي أنزلت به هي تقطيعه بالحديد من ابيهامه الى عضده حيث استشهد « (٢٤٤) » أما عن اخته العاملة الفقيهة مثله ، والتي أخذت مع نسوة نفوسة ، فانها « طلبت من النساء أن تستحلف كل واحدة منهن أن يتزوجها من يرثه بها سواء » (٢٤٥) .

- (٢٤١) أبو زكريا ، المطبوع ، ص ٢٤ - ١ . الدرر الجيني ، للمطبوع ، ص ٢٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٩) .
(٢٤٢) انظر فيما سبق ، ص ٢٨٢ .
(٢٤٣) انظر فيما سبق ، ص ١٤٢ .
(٢٤٤) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ١ . الدرر الجيني ، ص ٢٦ - ب (المطبوع ، ص ٨٩) .
(٢٤٥) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ١ .

وبذلك قصت الواقعة المشهورة على مشايخ الإباضية في جبل نفوسة فلم يبق من علمائهم إلا أبو القاسم البقظوري وعبد الله بن الحير ، اللذان بقيا ينتيان لاهل الجبل نوازلهم من تلك الواقعة ولولاها لعطلت (الفتوى) الى يوم القيامة (٢٤٦) .

الانتقام من قنطرة ثم من اباضية نفزاوة :

ولم يكتف ابراهيم بن أحمد بما أحقه بالنفوسيين في مانو من القتل والتنكيل ، بل انه اتجه نحو قنطرة ، حيث عرف من أعوانه انها المعقل الثاني في المنطقة من معاقل الإباضية ، فاجأ اهلهما في الصباح المبكر . ويقول أبو زكريا انه ، الى جانب قتله لاهل قنطرة ، « اختار من فقهاءهم وعلمائهم ثمانية عالما فشهدهم وثاقا » (٢٤٧) .

ومن قنطرة تابع الأغلبى مسيرته الدامية ضد الإباضية الى نفزاوة للقضاء على من بقى هناك من أهل الدعوة ، وكان أشهر مشايخهم في ذلك الوقت « رجلا عالما فقيها » . يقال له : أبو بكر يوسف النفوسى ، وعندما بعث ابراهيم بن أحمد رجاله للقضاء عليه أظهر الرجل كرامة بمنته من خصومه ، اذا استمهلهم الى أن صلى ركعتين اتبعهما بالدعاء ، « قبعت الله اليهم ريحا عاصفا مقلما فحال بينهم وبين الشيخ ، فأخذ ابنه يوسف - وكان الشيخ اذ ذاك قد كف بصره - ومضى الى تناوت ، من قبائل نفزاوة (٢٤٨) .

(٢٤٦) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ١ . وبصل ممثلة العلماء الفقهاء ، صاغ الإباضية حول موقعة مانو وشهادتها للأساطير ، كما فعلوا بكان الواقعة التي قتل فيها أبو حاتم الامام ، خليفة أبي الخطاب قبيل تأسيس الامامة الرستمية (انظر فيما سبق ص ٢٨٧) - ففى مقالته شهاده الإباضية في مانو ومقالته حصومهم ، يقول أبو زكريا : انه عندما جن الليل بعث الفراق المتحارين جاء رجل من المسكر الاغلبى ليحصل اخلاء اللتيل ، فاقا بشخص يطوف بين القتلى وينادى الإباضية صهم : كبروا يا اهل الجنة فيكيرون ، وينادى على المسودة منهم : ابجرا يا كلاب النار فينبحون ، وكان آخر الرجل ينجح معهم وهو قتيل على الدابة . انظر أبو زكريا ، ص ٢٤ - ١ ، ٣٤ - ب ، الدرجيني ، ص ٤٠ - ب (المطبوع ، ص ٩٠) .

(٢٤٧) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ب ، الدرجيني ، ص ٤٠ - ب (المطبوع ، ص ٩٠) .

حله ، ولا يأس من أن تكون وقعة قنطرة قد حدثت في السنة التالية ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، كما يمكن أن يفهم من رواية ابن عذارى - انظر فيما سبق ، عن الأغالبة ، ص ١٤٣ وهـ ٤٦١ .

(٢٤٨) انظر أبو زكريا ص ٢٤ ، ب (حيث اسم القرية . ماوه) ، وقرن الدرجيني ، ص ٤٠ - ب (المطبوع ، ص ٩١) : حيث يقول انه « مضى الى تناوت ، وهم أهل القرية المعروفة بشيطان من قرى فزاوة ، وجاء الله » .

ومن الزاب عاد ابراهيم بن احمد ، وبصحبته أسراء الثمانين من فقهاء
قنطرة ، الى القيروان حيث قتلهم بأجمعهم (٢٤٩) .

وهكذا حطم ابراهيم بن اغلب مقاومة الاباضية الرستميين في كل من
جبل نفوسة وقنطرة ، قبل أن يعود تمبا مرهقا الى القيروان . والحقيقة
لا تجاوز كثيرا ما يقوله كتاب الاباضية من أن وقعة مانو وما اتصل بها كان
سببا في الفناء الوهن والضعف في نفوسة مما أدى الى انقراض الدولة
الرستمية وانقطاع الدعوة الاباضية ، « وذلك لأن نفوسة كانوا عمدتها :
قامت بقيامهم وانقطعت لانقطاعهم (٢٥٠) » .

**عزل الفلح بن العباس من ولاية الجبل : والسنوات الأخيرة للامامة الرستمية
بعد وقعة مانو :**

بعد الهزيمة المنكرة عادت بقية نفوسة من مانو الى جبلهم ، وتحصنوا
فيه ، ثم انهم تتسارروا في عزل واليهم الفلح بن العباس الذي اعتبروه مستولا
عين للكارثة ، وقولية ابن بيم له بدلا منه ، واطار الإمام بذلك ليصدر سجل
الولاية . وتم اتفاق رهوس الجماعة على هذا الأمر ، لم يخالف في قراره
الا الشيخ أبو معروف الذي « أبا ذلك خشية الاختلاف » . وهكذا عزل الفلح
الذي حتى على هذا الفعل واستنكره الى حد أنه رام الخروج على جماعة
اصحابه ، والقيام بمخالفتهم (٢٥١) . وعندما بلغ الشيخ أبا معروف ما يضمرة
أفلح بين العباس ساراليه خفية ، « وقبح عليه الخلاف وسوء عواقبه ووعظه ،
فبركن اليه . ولم يهتم قوله لما تقدم منه أيضا من كراهية خلق الفلح ، « فأراد
الله به خيرا . كما يقول الدرجيني (٢٥٢) » .

(٢٤٩) أبو ذكريا ، ص ٣٤ - ب : حيث يلهم من النص أن الأمير الألباني قتل هؤلاء
الرجال كعقوبة جماعية لهم لأن أسلمهم ويسمى بآمن توب . كان سقوط القروان ما سجع له
يسجل سجله من لقيه والقرار ، ولو أن الرواية المنقبة تنص على أن الرجل استأذن انترافه في
المغرب فانهم أخذوا له . وقارن الدرجيني ، ص ٤٠ - ب . الذي يفسر الرجل القاطن
المغرب بآمن تبيت (الطبرج ، ص ٩١ : ابن تبيت) .
(٢٥٠) الدرجيني ، ص ٤٠ - ب (وقارن الطبرج ، ص ٩١ : حيث النص على انقراض
الدعوة بدلا من « انقراض الدولة وانقطاع الدعوة ») .
(٢٥١) الدرجيني ، ص ٤٠ - ب (الطبرج ، ص ٩٠) : وقول الرواية هنا انه عرض
الخلاف على أحد اصحابه ولكن هذا الأخير لم يستجب له . وانتم عن مساعده .
(٢٥٢) الطبقات ، المخطوط ، ص ٤٠ - ب (الطبرج ، ص ٩٠) ، أبو ذكريا ، المخطوط ،
ص ٣٤ - ب .

ويظهر عزل أفلح من ولاية جبل قفوسة وكأنه بدء النهاية بالنسبية للدولة الرستمية إذ يقول أبو زكريا : ان ابوالى الجديد ، ابن عمه ، لم يسكت فى الحكم الا حوالى ثلاثة اشهر ، ولم يتمكن خلالها من احسان السيرة ، فتركه الناس ورجعوا الى أفلح . وبذلك يكون بدء قصة قيام الدولة الفاطمية فى المغرب الأوسط وكيف تمها لها القضاء على دولة تاهرت الرستمية منسذ حوالى سنة ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م .

وهكذا تنتهى الدولة الرستمية عند ابن الصغير فى دوامة الاضطرابات التى عرفتها تاهرت والخلافات التى عرفها افراد الاسرة المالكة على عهد الامام ابى حاتم يوسف بن أفلح ، دون ذكر لموقعة مانو فى سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٦ م . اما أبو زكريا ومن نقل عنه من كتاب الاباضية فقد اعتبروا وقعة مانو ، كما رأينا ، وكأنها نقطة الختام بالنسبة لتاريخ الرستميين ، وبذلك ضاعت فى روايتهم معالم تاريخ الفترة الأخيرة من عهد امامة تاهرت الرستمية ، التى تقدر بأكثر من اثنتى عشرة سنة ، الى فتح تاهرت واستباحتها على يدى أبى عبد الله الشيعى سنة ٢٩٦ هـ / ٨ - ٩٠٩ م ، وقتل آخر أمرائها وهو يقطان بن محمد أبى يقطان بن أفلح .

ابناء الامام ابى حاتم يعرضون ابا عبد الله الشيعى :

يقطان بن محمد أبى يقطان آخر الائمة الرستميين فى تاهرت (٢٩٤ هـ - ٩٠٧ م / ٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م) :

يتضح من القطع المتناثرة فى اخبار السنوات الأخيرة لامامة تاهرت ، التى خصصها أبو زكريا لتاريخ بدء الدعوة الشيعية فى كتامة وقيام الدولة الفاطمية فى المغرب والتى رأى الدرجينى أن يختزلها ان الامام أبى حاتم يوسف واج ضحية مؤامرة قام بها افراد أسرته وشارك فيها بعض الفقهاء ، مثل : أبى الخطاب وسيم (ابن سنتين الزوافى) أحد حدة أبى الخطاب (الكبير) المافرى ، وذلك فى سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م (٢٥٢) . وانتهت بولاية ابن أخيه يقطان ابن اليقطان . فعندما سار أبو عبد الله الشيعى - الذى يعرف عند كتاب الاباضية بالايكجانى ، نسبة الى قلعة آيكجان التى اعتصم بها فى نظر مدينة

(٢٥٢) انظر أبو زكريا ، ص ٤٤ - ب : حيث يقول ان لولسة الجبل عاصمته عن ٤٦
• لزم الامر ليقطان ، والله اعلم من ذلك بأنه فعله احتساباً له . وانظر الباقون ، الايام
الرياضية ، قسم ٢ ص ٢٩٦ .

ميلة من بلاد كتامة (٢٥٤) من رقادة في طريقه الى سجلماسة لطلب الاسام
المهدى (٢٥٥) . حرحت اليه دوسر بنت يوسف مع واحد من اخوتها تشكو اليه
مقل ايها . وتطلب منه الانتقام من عمومتها بنى أبي يقظان الذي غدروا به .
مما يهم منه ان السيدة دوسر كانت المعرضة للشيعي على فتح تاهرت (٢٥٦) .
والواضح من الرواية انه ما ان قبل الشيعي على تاهرت حتى خرج اليه
وجوه اهلها يمثلون الطاعة ويطلبون الامان . اما زعماء الجماعات المعارضة
(المخالفين) ، من . المالكية والواصليّة والشيعية والصفرية ، فقد « نافقوه » ،
كما يقول أبو زكريا ، وشكوا اليه امارة الفرس ، وواعدوه العون من أنفسهم
على جميع الرستيين ، وامروا باستئصال شأفتهم وتوهين شوكتهم ، (٢٥٧) ،
مما يفهم منه ان المقصود بجماعة وجوه أهل تاهرت ، الذين طلبوا الامان ،
هم من أفراد الأسرة الرستية المالكة وأنصارهم . وهذا لا يمنع من أن يكون
أبناء عمومتهم من أولاد يوسف ، وعلى رأسهم دوسر ابنته ، قد انتهزوا
الفرصة لتحريض الشيعي عليهم ، مما كان يهيء لهم النجاة من انتقامه ، وفي
نفس الوقت تحقيق النار لقتل والدهم .

مجتمع غير متناسق في تاهرت :

وكل هذا يعني أن هاضمة الرستيين تاهرت كانت تعاني من الانشقاقات
المتوالية التي عرفتها جماعة الاباضية منذ وفاة عبد الرحمن الأول بن رستم ،
وانها كانت ثمرة ناضجة في انتظار من يأتي ليحطها . ولا أدل على الانقسام
الذي كان قد وقع بين الأسرة المالكة وبين شعب تاهرت ، مما تقوله النصوص

(٢٥٤) انظر الدرر الجيس ، المخطوط ، ص ٤١ - ب (المطبوع ، ص ٩٢) : حيث اسم
القلمة ايكجان بينما لقب أبي عبد الله الشيعي الكجاني ، وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص
٢٥ - ب ، الذي يسمى الشيعي بأبي محمد وسيم ويلقبه بالعجاني ، مما يطن انه من اخطاء
المساح أو تحريفاتهم .

(٢٥٥) انظر فيما يهده ، ص ٥٤٩ .

(٢٥٦) انظر أبو زكريا ، ص ٣٦ - ب . الذي ينص على ان دوسر اشيرته بقصة ايها ،
وما انتهك من حرمتها ، وان حرصها على الانتقام من قتلة ايها بلغ الى حد ان « اوعدهته من
نفسها اذا هو أخذ بطارحها ان تزوجه من نفسها » . ولو أنها اشعلت بالوحد بعد ذلك :
« لتثيت حرمت من العجاني (الابكجاني) مخالفة ان يتزوجها » ، والله اعلم بالصواب .
عليها . وقارن الدرر الجيس ص ٤٤ - ب : حيث اسم « دوسر » متسوخ في شكل « دوس » ،
وانظر المطبوع ، ص ٩٤ و ٩٥ - ب ، بحيث الإشارة الى أن صاحب الاعلام الرياضية بينت الاسم
في شكل « دوسر » .

(٢٥٧) أبو زكريا ، ص ٣٦ - ب .

الاباضية من أن الشيخ أبي الخطاب وسيم الذي كانت إليه الزعامة فسي
للمدينة والذي قام بدور رئيسي في توثيق يقظان ، كان يقرم اليتامى والأرامل
للظلمة ، ويستفتى نكاريا ، ويقدم في الصلاة خلفيا وفي الأذان نفاثيا (٢٥٨) ،
وإذا كان ذلك يعني نوعاً من المداهنة والمداراة من أجل التناهي السلمي
بين الجماعات المتنازعة مذهبياً ، كما يفهم من رد أبي الخطاب على منتقديه (٢٥٩) ،
فلا شك أن هذه الفيلسفة الاباضية كانت من الرقة بحيث لا تحصل أية
مقاومة ، وهذا ما يفسر استسلام المدينة بالأمان ، ودون مقاومة ..

الشيعة يدخلون تاهرت ويقتلون يقظان :

والمهم أن أعيان تاهرت خرجوا وعلى رأسهم يقظان لاستقبال أبي عبد الله
الإيكجاني - بناء على طلبه أو مبادرة من أنفسهم - ، وذلك على بعد أميال
من المدينة . وينص أبو زكريا على أنه بعد حوار قصير سأل فيه الشيعي
الأمير الرستمي عن اسمه ورد فيه بجفاء عليه ، قائلاً له : بل اسك حيران بدلاً
من يقظان ، قل أن يتبع ذلك بتعنيته على سوء السيرة وقتل أخيه أبي حاتم
يوسف ، إذ قال له : « وكيف قتلتم أميركم ، وسلبتم لأنفسكم ملككم ،
فاطفيتم نور الإسلام بغير سبب ، وألنيتم بأيديكم إلينا بغير قتال ؟ » وبعد
ذلك أمر بقتل يقظان وأبنائه الذين نفذ فيهم الحكم فقتلوا عن آخرهم (٢٦٠) ..

تغريب تاهرت وأخذ ذخائرها :

ومع أن الرواية تنص على أن أبا عبد الله الشيعي دخل تاهرت بالأمان
فإنها تشير إلى أنه عذر : فانتهد مدينة الأئمة وانتهد حرمتها ، وأحلا كثيراً
من أهلها ، وحمل أعزة أهلها أذلة (٢٦١) . ولم يكتف الشيعي بقتل يقظان
وأبنائه بل أنه أتبع ذلك بقتل « أهل بيت الإمامة من الرستميين ، وأهل
الملك ، وأهلك الحرث والنسل (٢٦٢) » .

وكان من الذخائر التي وقع عليها الشيعي في تاهرت صنوعة مملوئة .

٢٥٨) أبو زكريا ، ص ٤٤ - ب -

٢٥٩) أبو زكريا ، ص ٤٤ - ب -

٢٦٠) أبو زكريا ، ص ٣٦ - ب - الدرر ، ص ٤٢ - أ (المطبوع - ص ٩٤)

٢٦١) أبو زكريا ، ص ٣٧ - أ - الدرر ، المطبوع ، ص ٤٢ ب (المطبوع ،

ص ٩٤)

٢٦٢) الدرر ، ص ٤٢ - ب (المطبوع - ص ٩٤)

بالكتب الثمينه ، فأمر باخراج تلك الكتب من مكنها ، كما نورد الرواية ،
واخذ منها كل ما يصلح للملك والحساب (أى للإدارة المدنية) ، والتي بقيتها
فى الأثر (أى كتب للذهب) (٣١٢) .

خروج بقايا الرستميين الى وارجلان :

وإذا كانت رواية أبى زكريا نوردو انتقال الشيعى من تاهرت الى هرب
السيدة دوسر بنت يوسف التى لم تف بوعدها بالزواج منه ، بعد أن حقق
لها أميتها وثأر من بنى عمومتها قاتلى أبيها ، فلا بأس من أن يكون الشيعى
قد شملها بعفوه بعد أن وقفت الى جانبه . ولا بأس من أن يكون العفو قد
شمل أيضا يعقوب بن أفلع ، عم يوسف ويقظان الذى كان له حظ المناظرة
على الامامة ، من قبل (٣١٤) . وذلك أنه بينما تقول بعض روايات أبى زريا
أنه خرج من تاهرت متوجها الى وارجلان لما سمع باقبال الإيكجاني (٣١٥) ،
يذكر الدرجيني « أن يعقوب بن أفلع وابنة أخيه دوسر خرجا فى خفاء الى جهة
وارجلان حتى نزلاها (٣١٦) . فإذا كان الأمر كذلك يكون يعقوب قد وقف
الى جانب ابنة أخيه دوسر فى طلب الثأر لأبيها ، وحينئذ يصح ما نريد
استنباطه من أن يكون عفو الشيعى قد شمل كلا من دوسر ويعقوب ، وتكون
مسيرتهما الى وارجلان قد تمت بموافقته .

يعقوب بن أفلع فى وارجلان :

ولا يصف من هذا الافتراض ، الذى نراه منسجما مع واقع الحال ،
ما تشير اليه رواية تالية ، لآبى زكريا ، يقول فيها : أنه عندما سار الإيكجاني
متوجها الى تاهرت « خرج يعقوب بن أفلع فى خيل من أصحابه مع عيالهم
وأهاليهم ، « اذ الواضح أن الرواية المنقبة تهدف الى إحاطة يعقوب بهالة
من الهيبة والشجاعة غير المعادة : فعندما تبعت عساكر العدو القافلة التى
كانت تحوى الذرية والأهل الى جانب الرجال وقع عبء حمايتها على يعقوب

(٣١٢) انظر أبو زكريا ، ص ٧ - ٢ ، ١ ، وقارن الدرجيني ، ص ٤٢ - ب حيث يقول :
« ان صومعة الكتب هذه كانت مشتملة على ديوان تاهرت أى سجلات المدينة الرسمية ، كما
ذكر البرزابة (المتأخر من طبقة العلم) ، (المطبوع ، ص ٩٤ - ٩٥) .
(٣١٤) انظر ليما سقى ، ص ٣٧٦ .
(٣١٥) أبو زكريا ، ص ٢٧ - ١ .
(٣١٦) الدرجيني ، ص ٤٣ - ب (المطبوع ، ص ٩٤ - واسم الأجمة دوسر ، كما
حيث الإشارة) .

وحده ، إذ « كان له حصان عظيم فكان يقف للعدو حتى يسير أصحابه » .
« وكان فرسه (هذا) يضرب به الامثال في المغرب ، فإذا نظروا اليه وعرفوه .
وتفوا له من هيئته ٠٠٠ » وهكذا كان يعقوب يسير خلف قافلة أهله وأصحابه
الى أن يلحقهم العدو فيقتل وحده - والرجل سائر - ويقب العدو دمهنة
وعجبا - وهكذا دواليك على طول الطريق ، « حتى آيسوا منه ورجعوا عنه ،
هو وأصحابه » . ومضى يعقوب بعد أن تفسرق عنه معظم أصحابه الى
وارجلان (٣١٧) .

وهكذا يظهر من رواية تلك المطاردة الطريفة أنها مقببة أكثر منها
تاريخية ، مما يرجح دعوانا في أنه ربما كان من الأرجح أن يكون يعقوب
ابن أفلح قد خرج من تاهرت الى وارجلان بصحبة ابنة أخيه دوسر ، وأن ذلك
كان بموافقة أبي عبد الله الشيعي بعد أن وقفوا الى جانبه مع من وقف من
الكارية والواصلية والمائكية والخلفية وغيرهم . وتكون تاهرت الرستمية
قد سقطت بالأمان دون قتال بين أيدي الماطميين ، وبذلك تبذرت قسوى
الإباضية هناك في واحات الصحراء ، مثل : وارجلان التي صارت منذ ذلك
الوقت من أهم مراكز الإباضية في صحراء المغرب الأوسط (بلاد الجزائر
الحالية) ، بعد محاولة فاشلة للاستيلاء عليها من جانب عميد الله المهدي
في رحلة عودته من سجناسة الى رقادة . وستشهد وارجلان منذ ذلك
الحين مجتمعا إباضيا مزدهرا يعيد - نشي من الحياء - سيرة تاهرت الرستمية
على مستوياتها الاجتماعية والحضارية . وكان من أوائل الأحداث الهامة
التي عرفتها وارجلان الإباضية هو الانقسام المدهس الرابع الذي ينسب الى
أبي سليمان بن يعقوب بن أفلح .

وارجلان وريثة تاهرت الرستمية في المغرب الأوسط :

يعقوب بن أفلح يجند سيرة الأئمة الأوائل :

عندما وصل يعقوب بن أفلح - بعد سقوط تاهرت - الى وارجلان ،
كان حكم الواحة الصحراوية الكبيرة الى رجل يعرف باسم صالح بن جنون
ابن يبريان الذي خرج لاستقباله في جموع أهل وارجلان . وبسبب مركزه

(٣١٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٤١ - ب : حيث تقول النصوص ان يعقوب بن أفلح
مضى وأصحابه الى وارجلان ، وانه « نظر الى المالح في طريقه ذلك فقال لأصحابه : لا يجتنب
منكم ثلاثة الا كان عليهم الطلب فاضرقوا » ، وقارن الدرريني ، المخطوط ، ص ٤٧ - ٤٨
(المخطوط ، ص ١٠٤ - ١٠٥) .

للاجتماعي وشرفه وعلمه اقتضت أصول الآداب في ذلك العصر أن يعرض عليه أهل وارجلان - وبضمتهم أميرهم صالح بن جنود ، على ما تظن - أن يكون أميراً عليهم . وكان من الطبيعي ، أيضاً ، أن يرفض يعقوب هذا العرض الذي ، وإن كان كريماً ، لم يكن مناسباً للامام الأسبق الذي قال للناس وهو يمتنع : « لا يستتر الجمل بالغم » ، فذهبت تلك الجملة المبررة مثلاً (٢٦٨) .

واشتهر يعقوب في وارجلان بالعلم والتقوى وبأنه كان حافظاً للقرآن مجيداً له ، وفي ذلك قيل انه عندما سأله بعض الوريثين عما اذا كان يحفظ القرآن كله ! رد عليهم قائلاً : « معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى حال أحفظ وأعرف معناه ، فكيف بكتاب الله ؟ » ، بمعنى أنه : كان يعرف التوراة والانجيل الى جانب القرآن . أما عن ورعه وعبادته فكان مجتهداً في الليل . وفي ذلك يروى أنه قام ذات ليلة يصلي : « فخر عليه السقف » ولكن الله نجاه إذ لم تسقط خشبة السقف التي تقابل رأسه ، مما سمح بانتقائه من تحت الأقباض (٢٦٩) .

والى جانب العلم والورع ترك يعقوب بن أفلح كثيراً من الآثار ، وذلك بفضل بنيه خاصة . فقد كان له ابنان وابنتان أخوة أشقاء صحبهما معه من تاهرت ، ولكنه رغم بقاءه في وارجلان لمدة طويلة فإنه حبس ابنتيه عن التزويج ، مما يفهم منه أنه ربما لم ير في أهل وارجلان من هو كفه لهما . وهذا ما قد يرجحه تزويج يعقوب - في آخر الأمر - إحدى ابنتيه لرجل صالح ، هو : حمو بن اللؤلؤة ، والأخرى لرجل من أهل الدنيا ، اسمه : العز بن محمد . وتضيف الراوية انه كان عند حمو امرأة أخرى ، فلما عرفت بزواجه من ابنة يعقوب « خالطها لهم حتى ماتت (٢٧٠) » . ولا ندرى ان كان لهذا الحادث أثره في قبيلة المرأة المتوفاة وهو الامر المحتمل - أم لا .

(٢٦٨) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ٤١ . قارن الدرجيني ، ص ٤٧ - ٤٨ (المطبوع ، ص ١٠٥ : حيث نسم الشيخ الوريثاني « أبو صالح جنود بن سريان » الذي هو والد صالح) ، الليل ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

(٢٦٩) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ٤١ . وقارن الدرجيني ، ص ٤٧ - ٤٨ ، الذي ينص على أن يعقوب كان صاحب كرامات وإن تلك الحادثة كانت احداهما (المطبوع ، ص ١٠٥ - ١٠٦) . (٢٧٠) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ٤١ . وانظر الدرجيني ، ص ٤٧ - ٤٨ ، ص ٤٧ - ٤٨ ، حيث ينص على أن حمو بن اللؤلؤة ، « خالطها لهم حتى ماتت » ، حيث نسم الرجل من أهل الدنيا « حمو بن اللؤلؤة » ، والرجل من أهل الدين « العز بن محمد » .

الافتراق الرابع فى الإباضية بوارجلان : أبو سليمان بن يعقوب مرجع الإباضية فى وارجلان :

أما أهم آثار أبناء يعقوب بن أعلح فى وارجلان ، فهو الاشتقاق (الافتراق) الرابع فى الإباضية هناك ، وينسب إلى أبي سليمان بن يعقوب . والمعروف أن أبا سليمان كان مجتهداً للدرس ، مثلما كان والده مقرباً بالمعلم . وكان من أهم الكتب التى درسها فى شبابه أحد الدواوين التى كان يشك المتمسكون من أهل الدعوة فى أصالته ، حتى قالوا أن يعقوب والده أخذ على ابنه أبي سليمان ذلك ، وحذر منه أهل وارجلان فقال لهم : « لا تطمشوا إليه (أبي سليمان) فإنه درس من ديوان أحمد بن الحسن ، ، وهى العصة التى ينسبها إلا تأخذها على عواهنها . وبعد وفاة يعقوب بن أعلح الذى دفن فى المقبرة الأميرية فى وارجلان - وهى المقبرة التى بناها جنون بن يمران والد الأمير صالح ، والتي كانت حرائبها فى أيام أبي زكريا كالتربة ، والتي يقول الدرجيني أنها من المشاهد المروية - اجتمع أهل وارجلان على ابنه أبي سليمان واتخذوه مرجعاً لهم فى فتاواهم ونوازلهم . وكانوا يجرون عليه وتلامذته الضيافة إلى أن حدث الخلاف بينه وبين بعض كبار المشايخ ، مما أدى إلى الاشتقاق الرابع الجديد (٢٧١) .

ميل أبي سليمان بن يعقوب إلى التشدد فى فتاواه ، والتزاع مع شيخ وارجلان الكبير أبي صالح جنون :

والظاهر من فتاوى مشايخ الإباضية التى وصلت إلينا أنها كانت تميل إلى الرخص - على عكس ما كان يظن - وخاصة ما يتعلق منها بأمور الطعام والشراب ، فى الأقاليم شبه الصحراوية التى تمثل أوطان الإباضية ، وأن أبا سليمان بن يعقوب كان يميل إلى التشدد فى تلك الأمور . وفى هذا المجال كانت أول مسألة أثارها أبو سليمان هى تنجيس الفرس ، وهى المسألة التى عارضها الشيخ أبو صالح جنون ، والد الأمير وصاحب المقبرة التى دفن فيها يعقوب ، حتى أنه سمح لنفسه - وهو صائم - أن يفطر على العصب فيها فرث خوفاً من الفتنة فى وارجلان . واستمر الجدل والمناظرة بين أبي سليمان والشيخ جنون فى تلك المسألة حتى تحولت إلى مشاجرات ومنازعة ، ثم

(٢٧١) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ١ ، وقارن الترسيبي ، ص ٤٧ - ب (المطبوع ، ص ١٠٦)

(٢٧٢) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ب ، وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ١٠٧ .

انتهت الى المباهلة بين الرجلين ، أى . طلب حكم الله عن طريق الاستخارة (٢٧٢) .

المباهلة بين الزعيمين :

وكما كانت العادة فى المباهلة : اتفق الرجلان على أن يتباهلا يوم الجمعة ، وأخذ الشيخ جنون فى العبادة والابتغال الى الله أن يتصر أحب الفريقين اليه . ولما كان يوم الجمعة اقترعوا فى موضع بين الكدية العظيمة المعروفة هناك باسم كريمة ، وبين الموضع المعروف باسم تسرسرين . وانتهت المباهلة فى مصلحة الشيخ جنون ، كما يقول أبو زكريا ، إذ بعد أن تم الدعاء على الميطل فضح الله اباسليمان ، ، مما دعا الشيخ جنون الى اقامة مصلى - شكر الله - بتسرسرين ، كان موجودا على أيام أبي زكريا (٣٧٣) .

مسألة الخلاف بين السليمانية والوهبية فى وارجلان :

ورغم ما تقوله الرواية الاباضية من الانتصار على تحريف السليمانية ، فالظاهر أن تلك الممازعة انتهت بتكريس الانشقاق وخروج فرقة وابعة فى وارجلان خالفت أهل المذهب من الوهبية فى سبع مسائل تشددت فيها الى حد التحريم ، وهى :

١ - ثلاث تمتلق بالطعام ، من :

- ١ - تحريم الفريث
- ٢ - تحريم الجنين بعد ما ذبحت أمه (٢٧٤) .
- ٣ - تحريم المروق التى استبطنت الظهر بعد ما ذبحت الششاء .

ب - واثنتان تتعلقان بالطهارة ، من :

- ٤ - تحريم عرق الجنب .
- ٥ - تحريم عرق الحائض .

ج - وواحدة خاصة بالصوم ، وهى :

- ٦ - تحريم صوم يوم الشك .

<

(٢٧٢) أبو ذريرة . ص ٢١ - ب - ولؤلؤ الدويجى - المطبوع ، ص ١٠٧ .
(٢٧٤) وعن الإسنة التى تعرف بالسفال ، انظر لينا سبقي ، ج ١ ص ٢٨٢ و ج ١١٨ -

- د - والاخيرة خاصة بالزكاة : وهي :
- ٧ - تحريم الزكاة للقرابة (٢٧٥) .

ومكذا لم تنته خلافات الاباضية الفقهية بسقوط تاهرت ، بل انهم حملوها معهم في مهاجرهم الجديدة ، رغم عدم وجود الامامة الرسمية التي ظهرت الانشقاقات السابقة وكانها نوع من المعارضة لها ، باستثناء الاذراق الرابع الذي ظهر في وارجلان ، وكانه محاولة من يعقوب بن افلح وابنه ابي سليمان للم الشغل حولها . اما الانشقاق الخامس فقد قام في حيز جبل نفوسة في بلدة قنطرة .

الافتراق الخامس في الاباضية بقنطرة :

ظهر الانشقاق الخامس في الاباضية - مثله في ذلك مثل الانشقاق الرابع - كرد فعل للرخص والتساهل الذي ظهر في المجتمع الاباضي ، والذي كان نتيجة طبيعية للمعاناة التي كابدها المجتمع في المناطق الانزالية التي عاش فيها بعد سقوط تاهرت ، وخاصة من الناحية الاقتصادية ، بعد عصر الازهار الذي عرفه الاباضية على ايام الائمة الاوائل .

وصاحب الانشقاق الخامس رجل من اهل قنطرة اسمه عبد الله ، ويكنى بأبد الله ، واشتهر بلقب السكالك . وعرف والد ابد الله بالصالح

(٢٧٥) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ب حيث يقول ان تصيل الخلاف في هذه المسائل وارد في كتاب أحبار أبي الربيع سليمان بن روثون الطوسي - الذي لا سرو ، للأسف ، عن حبيبه شيئا ، ولو ان أبا زكريا يشير الى أن بعض معاصريه أدرك ديوان أبي الربيع سليمان - وكتبه بقية « تادويوت » - وفي سيرة أبي الربيع - الذي كان يفتى في مسائل الرخص كثيرا ، إذ يصف أبو زكريا (ص ٤٢ - ب) هل انه كان يرفع جيبه برقعة منجوسة بعد أن ينزع بعض أطرافها ، كما كان يسمح لنفسه بشرب كل ما كان من الماء في كوز قدمته له حيوز وهي تقول له اترك قليلا ، وذلك بناء على تفسيره للآية التي تقول : « قل متاع الدنيا قليل » ، مثله في ذلك مثل أبي الحطاب وسليم الزواهي . معاصر أبي الربيع - الذي كان لا يرى منازعة رجل ادعى عليه دينار وهو لا يعرفه - كما كان يفتى رجلا من الغنصاء بس يهراسن أن يعطى بالزكاة ال أع فقير له (ص ٤٤ - ب) - يصف كاتبنا على أنه كان معاصرا ودميلا لأبي يزيد مخلد بن كيداد السروف عند مؤرخي المغرب بصاحب الحمارة الذي قام بالثورة على القائم والمتصور الفاطميين (ص ٤٢ - أ) ، والذي تعتبر دعوته انحرافا جديدا عن منحى أهل الحق من الوهبية (ص ٤٣ - ب) وقارن الدرجميني ، المخطوط ص ٤٣ - ب والمطبوع ، ص ١٠٦ : حيث قرأنا لهم قرية أبين فذوقن « تادويوت ») ، وهو ما استمرود اليه عند كلامنا في الدولة الفاطمية .

والتقوى ، ووجه ابنه السكاك الى طلب العلم الذي نبيغ فيه ، فكانت له اجتهاداته الخاصة التي خالف فيها أهل المذهب ، والحقيقة أن المسائل السبعة التي خالف فيها مشايخ قنطرة تختلف كثيرا عن مسائل الانشقاق الرابع التي نادى بها أبو سليمان بن يعقوب ، مما جعل خصومه من الوهبيية الذين سموا أنفسهم بأهل العدل يقفون منه موقفا عدائيا شديدا ، حتى قالوا : انه عندما ولد أهد الله (عبد الله السكاك) في قنطرة ، بينما كان والده يؤدي فريضة الحج ، رأى هذا الأخير : « انه رأى فيما يرى النائم أنه توالد عنده شيطان » (٢٧٦) . والحقيقة أيضا أن مسائل السكاك الخاصة بالنجاسة والطهارة إذا كانت مقبولة فإن المسائل الأخرى الخاصة بأصول التشريع والصلاة تدل على تعصب غير مقبول ، يسمح بالوقوف منها موقف المعارضة الشديدة . ومسائل السكاك السبعة هي :

- ١ - إبطال السنة والرأى - ما يعنى أنه لا يقبل إلا القرآن كمصدر وحيد للتشريع .
- ٢ - صلاة الجماعة بدعة .
- ٣ - الأذان بدعة .
- ٤ - الصلاة لا تجوز إلا بالمفهوم من القرآن .
- ٥ - الاجنحة نجسة .
- ٦ - الصلاة لا تجوز بثوب فيه القمل .
- ٧ - إذا بالت الدواب في الأندر (التمسح أثناء الدرس) لا يطهر إلا بالفضل (٢٧٧) .

وهكذا يظهر تشدد السكاك ، في : أمور التشريع ، والعبادات ، ومسائل الطهارة والنجاسة في الثياب وفي الطعام ، بشكل يخالف ما اتفق عليه جمهور المشايخ ، سواء في تاهرت الرستمية ، أو في مراكز الإباضية المتفرقة في صحراوات المغرب ، أو في جبل نفوسة في العصور التالية ، كما يظهر في سير المشايخ وطبقاتهم .

وبهذه التعريف المتعصب بالافتراقين الرابع والخامس عقب سقوط تاهرت بين أيدي الفاطميين ، وبعد ذلك بفترة زمنية لا بأس بها ، تكون قد

(٢٧٦) أبو زكريا ، ص ٤٥ - ب ، وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ١١٨ .
(٢٧٧) نفس المصدر . ويلاحظ أن الدرجيني يضع بدل نجس الاجنحة نجس القول التي كتبت في الجنات في سناد بنى آدم ، وذلك لنجاسة ما ثبت عليه .

• انتبهنا من موضوع الدولة الرستمية في المغرب الاوسط ، فلا يبقى لنا قبل عرض تاريخ المغرب الأقصى حيث الدولة الادريسية الى حين قيام الدولة الفاطمية الا محاولة رسم خريطة لامامة تاهرت .

• حدود امارة تاهرت :

رغم ما رأيناه من أن امامة تاهرت كانت تمتد بعمدها الى طرابلس وجبل نفوسة ، فانه من الصعب رسم خريطة محددة لامارة الرستمين ، وذلك لأنها كانت مملكة بنوية او صحراوية تبسط سلطانها على قبائل البادية او الصحراء . فمع أن هذه القبائل اتخذت بعض المراكز في القرى الجبلية او الواحات الصحراوية الا أنها ظلت في حالة ميومة لا يستقر لها قرار ، فكانت تنتقل من مكان الى مكان حسب الظروف الطبيعية او السياسية . والمثل لذلك هو ما اشرنا اليه من انتقال (الكار) الى ظاهر تاهرت ثم الى حيز طرابلس ، وانتقال عبد الوهاب بن رستم الى جبل نفوسة وخروج أبي حاتم يوسف من تاهرت نفسها الى حصن لواته وأخيرا التجاه بمتوب بن الفتح الى وارجلان (٢٧٨) . وهذا يعني أن مسارج الرعي للقبائل التي ساندت الدعوة الخارجية في المغرب الأوسط ، والتي كانت تنتشر جنوبا في كل بلاد الزاب ، دخلت في نطاق الامامة الرستمية .

وإذا كانت الاقاليم الساحلية القريبة من تاهرت مثل أسافل وادي شلف قد خضعت للمغرب الأقصى حيث قام الأدارسة في فاس ، فان القبائل الخارجية امتدت في الصحراء غربا حتى فجيح (٢٧٩) وجنوبا بغرب حتى سجلماسة ، حيث أقامت جماعة الصفرية امامة لها هي الاخرى . أما من جهة الشرق فقد رأينا أن خوارج تاهرت أصلا من اقليم طرابلس ، مهدد الاباضية في المغرب (٢٨٠) . ولما كانت صحراوات طرابلس الجنوبية امتدادا طبيعيا لصحراوات الريقية والمغرب الاوسط ، حيث تلتقي الطرق الصحراوية في الاقاليم الثلاثة ، فان هذا يعني ان امارة تاهرت امتدت الى منطقة طرابلس وجبل نفوسة ، أو انها كانت متصلة بها بشكل من الاشكال (٢٨١) :

-
- (٢٧٨) انظر فيما سبق ، ص ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٧٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٢٧٩) انظر جوتييه ، ماضي شمال افريقية (بالفرنسية) ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
(٢٨٠) انظر فيما سبق ، ص ٢٩٠ وعد ٧ .
(٢٨١) انظر فيما سبق ، ص ٢٢٦ ، ٣٥١ وانظر فيما بعد ، ٤٠٦ .

وإذا كانت المصادر التي بين أيدينا لا تبين حدود الامامة الرستميّة والبلدان الداخلة في نطاقها ، فإنه يمكن القول ان كل اقليم من الاقاليم والقري التي كانت تدين بمذهب الخوارج وخاصة الاباضية - كانت داخلة في سلطان تاهرت . وفي هذا المجال تكون كتب الجغرافية والرحلة أهم مصادرنا ، ولو أن معظمها تم تأليفه بعد انتهاء تاهرت على أيدي الفاطميين وانتشار آباضيتها في واحات الصحراء ، مما يمكن أن يكون قد ترتب عليه ازدياد انتشار المذهب في الواحات الجنوبية ، بالشكل الذي يشير اليه الكتاب (٢٨٢) .

وإذا ما قبلنا هذا المنهج على علاقته يكون امتداد مملكة تاهرت ما بين جبل نفوسة شرقا وتاهرت غربا - فأهل جبل نفوسة كانوا اباضية متعصبين الى مذهبهم ، مفضلين اياه على سائر المذاهب (٢٨٢) ، وما زالوا على ذلك الى اليوم .

وهكذا كان تاريخ هذا الجبل طوال حياة امامة تاهرت جزءا من تاريخ تلك الامارة ، وهذا ما ينص عليه اليعقوبي (٢٨٤) . ولقد كان جبل نفوسة مركز اشعاع للمذهب الاباضي في كل الاقاليم المجاورة ، كما يتضح من كتب أهل الجبل التي وصلت الينا ، من : أمي زكريا والدرجيسي والوسيانى ومن نقل عنهم مثل الشماخي (٢٨٥) ومن أتى بعده من المحدثين كالبازوني ، فالمفهوم

(٢٨٢) انظر البكري . ص ٧٩ (من انتقال أهل تاهرت الى مدينة نكالا على مسيرة ٤ مراحل سنة ٢٢٨ هـ وتدينها على أيديهم) . وانظر ص ٢٩٨ وما بعدها .

(٢٨٢) الشماخي ، ص ٣٦٦ .

(٢٨٤) انظر البلدان ، ص ٢٤٦ (حيث يقول عن نفوسة وهم قوم عجم اللسان اباضية كلهم ، لهم رئيس يقال له الياس لا يخرجون عن امره ، ومنزلهم في جهال طرابلس في ضياع وقري ومزارع وعمارات كثيرة لا يؤدون خراجا الى سلطان ولا يطون طاعة الا الى رئيس لهم يتاهرت ، وهو رئيس الاباضية ، يقال له عند الوهاب بن عبد الرحمن بن دستم - فارسي) . وقانون ابن حوقل (ط بيروت) ، ص ٩٢ : حيث يقول ان جبل نفوسة كان دار حجرة الخوارج من قديم الايام . بل ويصعب على أن عبد الله بن اباض وقبيله عبد لله بن وهب الراسبي حالاً به . والله لم يدخل أهل هذا الجبل في عهد الاسلام اى سلطانه ولا سكنه في الخوارج مذ أول الاسلام . على مذ خروجهم على علي بن أبي طالب ووقظة النهروان .

(٢٨٥) وتكفي هنا بالنظر في الشماخي ، ص ٢٦ (عن تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحييل نفوسة واصلاح الاسواق : ٠٠٠ عاقبوا الكصاب على نفع الشاة . ومنحو الجبل ان يحمل على دابته فوق طاقتها ٠٠٠ . ص ٢٢٨ (رجع الفضل الى قاضي الجبل - صبروس بن فتح في نقل مدونة أبي غانم الغرسان ، وهي في ١٢ جزءا ، ولولاهما لبقى أه المذهب من غير ديوان المغرب يعتقدون عليه . وذلك بعد سقوط تاهرت واحراق كتبها) . ولو أنه ينقل بعض هذه المعلومات عن مؤرخ تاهرت مثل ابن الصغير (انظر فيما سبق

ص ٣٦٦) .

ان المنهب انتشر منه الى الصحراوات الجنوبية في فزان وودان (٢٨٦) ، وفي غرب نفوسة انتشر الخوارج في ارض فزاوة (٢٨٧) ، وفي الاقليم الساحلي انتشروا ما بين طرابلس وقابس ، وكانت اشهر مراكزهم الساحلية جزيرة جربة (٣٨٨) ، وانت واحات قسطنطينية وبلاد الجريد - في الاقاليم الجنوبية لافريقية من قواعد الخارجية الهامة (٢٨٦) ، وفي الغرب من افريقية كان جبل اوراس من اقوى معازل الخارجية (٣٦٠) .

وبعد ذلك تاتي بلاد الزاب - المؤدية الى ورجنة (وارجلان) - التي كانت تعتبر من أعمال مملكة تاهرت (٣٦١) ، أما من جهة المغرب الاقصى فلقد سيطر الخوارج على الصحراء حتى سجلماسة التي عرفت كمركز للصفرية - وعن طريق الواحات وسجلماسة ، وأودغست في جنوبها ، نقل الخوارج نشاطهم الى بلاد السودان في تادمكت (تادمكة) وغانة ثم مالي - فيما بعد - حيث نشروا الاسلام وجمعوا كثيرا من الثروات في العصور التالية للامامة (٣٦٢) .

-
- (٢٨٦) الشاشي ، ص ١٩٠ (حيث يخصص فصلا لتراجم اباضية أهل فزان) .
(٢٨٧) عن خوارج فزاوة انظر ابن حوقل ، طيبة بيروت ، ص ٩٣ .
(٢٨٨) الكرى ، ص ٨٥ ، الشاشي ، ص ١٦٦ ، وانظر ص ٤١٦ حيث يقول ان أهل حرمة حكار ، وعن عقيدتهم ، ص ٥٦٢ . وعن حرمة يقول ابن حلدون (ج ٦ ص ١٢٢) انهم من بطون قبائل لاية - حلفاء الرستينيين - وبهم سميت الجزيرة البحرية تجاه قابس .
(٢٨٩) ابن حوقل ، ص ٩٣ (يذكر وجود الخوارج في قصبة ونفطة والحمامة وسماطة ويشري) والشاشي ، ص ٣٤٧ (الحمامة) ، ص ٣٥٠ (الجريد) ، ص ٤٠٣ (توزر) ، وعن قسطنطينية (يكتبها عن شكل قسطنطينية) ص ٢٨٠ .
(٣٦٠) الكرى ، ص ١٤٤ (تسكنه قبائل مراة وشريسة وكلمم اباضية) :
(٣٦١) من مدن الزاب القريبة من اوراس بالفاية وكلمم اباضية على أيام البكري (البكري ، ص ١٤٤) ، وكذلك أهل طيبة وودس (ابن حوقل ، ص ٩٣) ، ودهودة - حيث كان يسكن في جوقيا هروارة ومكناسة وهم من الاباضية (البكري ، ص ٧٢) - ويسكرة (ابن حوقل ، ص ٩٣) ، وعن ورجلان وشوارجها انظر الشاشي ، ص ٣٥١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٣ ، ٤١٨ .
(٣٦٢) انظر الواسيني ، المخطوط ، ص ٢٦ - ١ (فاية وتادمكت) ، ص ٥٢ - ١ (طريق القبلة) ، ص ٨٢ - ب (تادمكت) الع - وقارن الشاشي حيث نجد خلال تراجم الشيوخ أمثلة لهذا النشاط ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ (عن نشاط الاباضية بسجلماسة) ص ٤٧٨ (عن دسلاهم الى اودغست) . ص ٣٦٢ عن تيشير ملك السودان ودخوله الاسلام) ، ص ٤٥٧ (عن نشاطهم في جميع التمر والدعوة الى الاسلام في لاية) ، وعن نشاطهم في جميع الاحوال في تادمكت ، ص ٤١١ .

الفصل الرابع

إمامة بنى وآسول الضُّفيرة في سجلماسة

(١٤٠ / ٥ ٧٥٧ - ٢٩٧ / ٥ ٩٠٩ م)

موضع سجلماسة :

تقع سجلماسة في شمال وادي درعة ، على طرف الصحراء جنوبا في آخر بلاد العمران ، وتليها المفازة الكبرى التي تؤدي الى غانة من بلاد السودان، وكان يسكن تلك المفازة قبائل اللثمين الصنهاجية من مسولة ولثونة (١) . ومنطقة سجلماسة تعرف الآن باسم تافللت (٢) . أما المدينة القديمة (الريساني حاليا) فلم يبق لها الا الذكر . والمعروف ان مدينة سجلماسة لم تكن قديمة، بل محدثة : مثلها مثل تاهرت ، وأن بناتها كانوا من الصفرية من قبيلة مكناسة . ولقد كانت قبيلة مكناسة من أهم قبائل البربر التي أيدت ثورة ميسرة في اقليم طنجة (٣) .

والحقيقة أنه يوجد طريق قديم هام ، سلكته الهجرات والقوات الفاتحة ، يربط شمالا بين مدينة فاس ومدينة مكناسة - التي مازالت تحمل اسم تلك القبيلة - وبين اقليم تافللت أي سجلماسة جنوبا (٤) .

بناء المدينة :

وينسب ابن عذاري بناء المدينة الى أبي القاسم سمنون بن واسول المكناسي،

-
- (١) كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ والهوامش .
 - (٢) انظر فيما سبق (تاملت) ، ج ١ ص ٧٣ .
 - (٣) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٨٦ ، واين خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ (الفصل الخاص بمكناسة ودولة بني ورسول) .
 - (٤) انظر جوتييه ، ماضي شمال افريقية (بالفرنسية) ، ص ٣١٧ (هذا الطريق يسمى طريق السلطان ، كما يقول جوتييه)

الذي كان صاحب ماشية كثيرة ، وكان ينتجع موضع سجلماسة (٥) .
والحقيقة أن ابن واسول هو مؤسس الأسرة التي ستسود سجلماسة الى قيام
الدولة الفاطمية ، نظرا لفناءه ، ولأنه كان يرتاد تلك المنطقة التي كانت سوقا
يجتمع فيه بربر تلك النواحي (٦) . أما عن باني المدينة الحقيقي أو مؤسس
الجماعة الخارجية في سجلماسة ، فهو - كما ينص البكري وابن خلدون وكما
يشير ابن عذارى أيضا - رجل سوداني الأصل من الموالي ، اسمه عيسى بن
يزيد الاسود (٧) . ويتفق صاحب الاستبصار وابن عذارى وابن خلدون على
أن جماعة من الصفرية يبلغ عددها ٤٠ (أربعين) رجلا اجتمعوا ، في سنة
١٤٠ هـ / ٧٥٨ م ، في موضع سجلماسة حيث تهادلوا في أمرهم ، وبعد
أن قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الاسود - الذي كان له شأن بين الخوارج -
شعروا في بناء سجلماسة (٨) .

والفهم ، بطبيعة الحال ، أن جماعة الصفرية هؤلاء من فلول اصحاب
ميسرة . واختيار رجل من السودان للامامة هنا يبين اتجاه الجماعة الصفرية
الى تطبيق مبدأ اللاعنصرية و (اللاعصبية) للامام ، وهو الشرط الذي اشترنا
اليه عند اختيار عبد الرحمن بن رستم (٩) . وذلك حتى يمكن التخلص من
الامام اذا ما حاد عن العدل ، وهذا ما ستعمله جماعة سجلماسة بامامها عيسى
ابن يزيد . ومع ان البكري يذكر ان بناء سجلماسة من الصفرية ، الا أنه
يجعل عيسى بن يزيد الاسود من اصحاب أبي الخطاب الاباضي ، وينسب

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٦ . وقارن ، ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠) السلي يسميه
سكو (سجو) بن واسول بن صلال بن أبي يزول .
(٦) الاستبصار ، ص ٢٠٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٦ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ .
(٧) البكري ، ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ، ج ١ ص ٢٦١ ،
ابن عذارى ج ١ ص ١٥٦ .

(٨) نفس المصادر السابقة - ولاحظ هنا أن صاحب الاستبصار (ص ٢٠٦) يخطئ
عندما ينسب بناء مسجد سجلماسة في سنة ١٤٠ هـ الى ملود بن عبد الله ، وينسب اليه انه
كان رجلا من أهل الحديث وأنه لقي عكرمة حول ابن عباس وسبح منه (عن عكرمة البربري
الامل والتولي سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٢ م - النظر لترجمة ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٠٣ ،
والظاهر انه يقصد والده سمعون بن واسل كما يصح على ذلك ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠
والترجمة ج ١ ص ٢٦١) . أما عن ملود لمسيكون له دوره في عمران المدينة كما سنلتوقف
فيها بعد .

(٩) أظن ليما سبق ، ص ٢٠٦ .

- عزل عيسى بن يزيد والتخلص منه الى مقالة قالها أبو الخطاب في حقه (١٠) . وهذا يعني أن قيادة جماعة سجلماسة كانت اباضية الأصل .

ومع أن البكري يحطه عندما يجعل مقالة ابي الخطاب سببا في عزل عيسى الذي وى ١٥ (خمسة عشر) عاما ، أى أنه عزل في سنة ١٥٥ هـ / ٧٧٢ م بعد أكثر من عشر سنوات من مقتل ابي الخطاب ، فإن ذلك لا يعني نفى أن عيسى كان من أصحاب ابي الخطاب . فمن الممكن أن يكون قائل المقالة التي أوردت بعيسى هو أبو حاتم خليفة ابي الخطاب (١١) ، وليس الأخير نفسه . هذا . كما يمكن التفكير في أن تكون المقالة لعبد الرحمن بن رستم الذي كان له زعامة الخوارج في المغرب في ذلك الوقت . ويمكن أن يزيد وجهة نظرنا هذه أن صغرية سجلماسة كانوا على علاقة وثيقة باباضية تاهرت مما جعل التفرقة صعبة بين الاباضية والصفيرية ، حتى أن ابن خلدون يقول عن سمفون (سسكو) بن واسول انه كان اباضيا صغريا (١٢) . وهذا الأمر مقبول ، فالحركة الخارجية كانت قد انتهت منذ سنة ١٢٣ هـ أو ١٢٤ هـ في المغرب الأقصى ، وتسلمت أقاليم المغرب الادنى قيادة الحركة بعد أن غيرت تعاليمها، وجعلتها اباضية أكثر اعتدالا تحت قيادة ابي الخطاب .

سجلماسة الأولى وتطورها العمراني :

والذي يهنا هنا هو أن سجلماسة في أول أمرها ، عندما كانت منزلا لسمفون بن واسول ، لم تكن بأكثر من مجمع للخوارج الصفيرية يضربون فيها خيامهم - (١٣) . وأخذ المنزل البدوي يتطور مع تطور الاجداث ، فبعد انتخاب عيسى بن يزيد الاسود اماما « شرعوا في البناء » (١٤) . ولكنه كان بناء ساذجا بطبيعة الحال ، يتفق مع بساطة الجماعة في ذلك الوقت : بمعنى أن سجلماسة لم تكن بأكثر من قرية صحراوية . وظلت المدينة ، بعد التخلص من عيسى بن يزيد ، على شكلها هذا على أيام ابي القاسم سمفون

- (١٠) انظر البكري ، ص ١٤٩ (قال أبو الخطاب يوما لأصحابه في مجلس عيسى : السوادان كلهم سراق حتى هنا . وأشار الى عيسى فأغفوه وندوه ولاقا الى شجرة في رأس جبل وتمركوه حتى قتله البهوض ، فسمى الحبل جبل عيسى الى اليوم) . ولارن ابن خلدون ج ٦ ص ١٣٠ وعن ابي الخطاب انظر فيما سبق ، ص ٤٠١ وما بعدها .
- (١١) من ابي حاتم انظر فيما سبق ، ص ٣٧١ وما بعدها .
- (١٢) العبر ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ، ص ٢٦٢ (هنا وان ابن خلدون يذكر بعد ذلك أن بعض الأئمة كان صغريا ويظنهم كان اباضيا) .
- (١٣) ابن هداري ، ج ١ ص ١٥٦ (وسكوا منه هناك في شمات) .
- (١٤) ابن هداري ، ج ١ ص ١٥٦ .

ابن واسول (١٥٥ - ١٦٨ هـ / ٧٧٢ - ٧٨٤ م) (١٥) ثم ابنه الياس بن ابي القاسم (١٦٨ - ١٧٤ هـ / ٧٨٤ - ٩٠ - ٧٩١ م) (١٦) :

وعلى أيام الرابع من أمراء سجلماسة ، وهو اليسع بن ابي القاسم ، الذي خلق أخاه الياس والذي عرف بأبي الوزير ، وطالت امارته الى ما يزيد على ثلث قرن (١٧٤ - ٢٠٨ هـ / ٨٩٠ - ٨٢٣ م) ، اتخذت سجلماسة شكل العاصمة . فلقد عرف اليسع بن سمفون بنشاطه وجده في سبيل تقوية الامارة الصفرية ، وتوسيع رقعتها ، حتى وصفه الكتاب بأنه كان جيسارا عتيدا (١٧) . اخضع اليسع قبائل البربر المحيطة بسجلماسة ممن لم تكن قد خضعت لهم وادخلها في طاعته ، فكان صاحب الفضل في نشر المذهب الصفرى (١٨) . وانتشر سلطان اليسع حتى وادي درعة ، وبفضل ما كان يأتيه من الأموال وخاصة ما كان مفروضا على مناجم درعة (خمس معادن درعة) ، ازداد العمران في سلجماسة . ويرجع الفضل الى اليسع - كما قلنا - في أن اتخذت المدينة شكل العاصمة اذ جعلها مقرا له ، وبني فيها القصور والدور ، وخزانات المياه (المصانع) ، وبذلك اتم بناؤها وتشبيدها ، كما يقول ابن خلدون (١٩) .

وكان من الطبيعي أن يحيطها - بعد ذلك - بسور قوى حتى يامن فيها من عدو يطرقة . ولما كانت المنشآت ذات المنافع العامة تعتبر من أعمال البر والتقوى ، رأى امام سجلماسة أن يكون السور، الذي يحمي المدينة والجماعة.

(١٥) انظر البكري ص ١٤٩ (يقول انه مات فجأة في صلاة العشاء بعد ١٣ سنة) ، ابن عسار ، ج ١ ص ١٥٦ (يقول فلم يزل واليا عليهم الى أن مات سنة ١٦٨ هـ) ، وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ج ١ ص ٢٦٢) الذي يقول انه حكم ١٢ سنة ومات فجأة سنة ١٦٧ هـ .

(١٦) انظر البكري (ص ١٥٠ الذي يقول ان الياس كان يلقب بأبي الوزير) ، وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ج ١ ص ٢٦٢) الذي يلقبه بالوزير ، والأصل يجعل وفاته سنة ١٩٤ هـ ، وهي في الترجمة سنة ١٧٤ هـ ، وقارن ابن عسار (ج ١ ص ١٥٦) الذي يقول ان حكمه سنتان فخلطويجعل خلمه بيدى أخيه اليسع في سنة ١٧٠ هـ ، ويظهر خطأ ابن عسار هنا عندما يجعل وفاة اليسع سنة ٢٠٨ هـ ، ويحسب سنى حكمه فيجعلها ٢٤ سنة (ص ١٥٧) . لذلك يكون هنا الرقم صحيحا ينبغي أن تكون ولاية الياس سنة ١٧٤ هـ .

(١٧) ابن عسار ، ج ١ ص ١٥٧ .
(١٨) ابن عسار ، ج ١ ص ١٥٧ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ (وكان صفرى ١٠٠٠) .
(١٩) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ - ١٣١ ، والترجمة ج ١ ص ٢٦٢ .

من عمله هو لا يشاركه فيه أحد (٢٠) . ويضيف صاحب الاستبصار الى ذلك . ان حملة الفتنة على السور بلغت ألف مد من الطعام (٢١) ولقد بنى السور بالحجارة من أسفله وبالطوب من أعلاه (٢٢) .

كما ويقول صاحب الاستبصار أنه كان لمدينة سجلماسة ١٢ (اثنا عشر) بابا ، ولكننا نظن أن ذلك كان على إمامه هو ، بعد أن عظمت المدينة من عهد المرابطين الذين وجهوا جهودهم نحو بلاد السودان التي كانت سجلماسة بابها . ولهذا السبب اعتبرها صاحب الاستبصار « من أعظم مسكني المغرب » (٢٣) .

أما عن تاريخ بناء السور فيحدده ابن خلدون بالسنة ال ٣٤ (الرابعة والثلاثين) من ولاية اليعسج (٢٤) ، أي في السنة الأخيرة من حكمه ، وهي سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ - ٨٢٤ م . وهذا يعني أحد شيئين : إما أن السور قد تم بناؤه خلال سنة واحدة (سنة ٢٠٨ هـ) ، وإما أن يكون اليعسج قد بدأ البناء وأكمه بعده ابنه مدرار (سنة ٢٠٨ - ٢٥٣ هـ / ٨٢٣ - ٨٦٧ م) الذي اتخذ اللقب الحلالبي المنتصر (٢٥) . وذلك ما يؤيده اللبس الذي وقع فيه السكري ، وتبعه فيه صاحب الاستبصار ، عندما نقل بعض الروايات التي تسبب بناء سجلماسة نفسه في سنة ١٤٠ هـ / ٥٧ - ٧٥٨ م الى مدرار بن اليعسج (٢٦) . ولما كان المعروف أن مدرار ملك ابتداء من سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م ، قامت تلك الرواية أن مدرار المقصود كان رجلا حدادا ، من ريفية قرطبة ، خرج من الأندلس عند وقعة الريض فنزل منزلا بفرب سجلماسة ، ووضع سجلماسة إذ ذلك سوق البربر بتلك النواحي ، فأنشأ مدرار خيمة وسكنها معي الناس حوله ، فكان ذلك أصل عمارتها ، وكان رجلا أسود وأولاده هجوا بذلك (٢٧) . وواضح من تلك الرواية ان المقصود بمدرار فيها هو

(٢٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٢١) الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٢٣) الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ج ١ ص ٣٦٢ .

(٢٥) من تجميعه بالمتنصر انظر البكري ، ص ١٥٠ . ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٧ .

ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ والترجمة ج ١ ص ٣٦٢ ، وقانون الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٦) البكري ، ص ١٤٩ . الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٧) الاستبصار ، ص ٢٠١ ، البكري ، ص ١٤٩ .

نعيسى بن يزيد الأسود أول امام لسجلماسة ، وهذا يعني أن تلك الرواية خاطئة ، كما ينص علي ذلك البكري نفسه (٢٨) .

ورغم خطأ تلك الرواية فالظاهر أنها تحوى شيئا من الحقيقة . ففي سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م أي قبيل الوقت الذي بدأ اليبسغ ينشئ فيه السور (سنة ٢٠٨ هـ) ، وقعت في قرطبة الفتنة المشهورة « بوقعة الربيض » والتي انتهت بأن خرب الحكم ابن هشام الحي الجنوبي الكبير من قرطبة ، المعروف بالربيض أي الضاحية ، وطرد أهله من الأندلس ، فسار كثير منهم الى المغرب ، كما اشتركت أعداد منهم مع الغزاة في مفاخرات كبرى عبر البحر انتهت بهم الى الاسكندرية ثم الى كريت (أريطس) (٣١) . والمعروف ان أولئك الربضيين الذين ساروا الى المغرب وصلوا في الوقت الذي كانت فيه تنشأ مدينة فاس ، وأنهم اشتركوا في أعمالها ، واتخذوا لهم حيا فيها سمي باسمهم فهو « عدوة الاندلسيين » (٢٠) .

وبناء على ذلك نرى انه ربما كانت مدرار الربيض أصلا من الصحبة ، ولا يستبعد أن يكون بعض هؤلاء الربضيين ، الذين أوغلوا في المغامرة حتى شرق البحر المتوسط قد اتخذوا طريق الهجرات القديم المؤدى من منطقة فاس الى سجلماسة (٣١) ، وأن اليبسغ بن ابي القاسم سمفون رحب بهم واستعان بهم في بناء السور سنة ٢٠٨ هـ ، ولكنه مات في نفس السنة قبل أن يتم السور ، فأكملوه على عهد ابنه مدرار المنتصر ، وعن هذا الطريق يمكن تفسير التصاق اسم مدرار بالربيضيين .

ونعتقد أن حركة العمران الكبيرة التي عرفتها سجلماسة أيام اليبسغ ، من بناء القصور والدور والمصانع ، والتي جعلت المدينة بحق عاصمة الجنوب ، تمت بمشاركة الأندلسيين من أهل قرطبة ، وذلك انه كانت قد وقعت عدة اضطرابات في ربيض قرطبة قبل ثورة سنة ٢٠٢ هـ . والحقيقة ان انتقال سجلماسة من قرية صحراوية الى عاصمة من عواصم المغرب لا بد له من تفسير مثل هذا ، مثل سجلماسة في ذلك مثل مدينة فاس .

(٢٨) البكري ، ص ١٤٩ .

(٢٩) أنظر ليلي بروفستال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية (بالفرنسية) ، طبعة ١٩٤٤

ص ١١٩ - ١٢١ ، وأنظر للمؤلف ، تاريخ الاسكندرية من الفتح العربي ال قيام الفاطميين ،

لغير كتاب تاريخ الاسكندرية منذ أقدم العصور ، الاسكندرية ١٩٦٢ ، ص ٣٦٧ ، ٣٧٥ .

(٣٠) أنظر لينا بيد في جهاد مدينة فاس ، ص ٤٤٢ .

(٣١) أنظر فيما سبق ص ٢٢٨ .

مدرار بن اليسع : مرحلة أولى (٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م - ٢٢٤ هـ / ٨٢٦ م)

الاضطراب في سجلماسة يعقبه فترة ازدهار :

والظاهر أن سجلماسة عرفت فترة من الاضطراب في السنة الاخيرة من حكم اليسع أو بعد وفاته في سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م بسبب التنافس على الملك بين الأمير السابق الياس وبين ابن أخيه ولي العهد مدرار بن اليسع .
بهذا ما يمكن أن يكون حلا للمشكلة التي يشهدها ابن عذارى في حولياته سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م عندما يقول انه بعد وفاة اليسع في تلك السنة : « قدم أهلها (سجلماسة) على أنفسهم أخاه الياس المنتصر بن أبي القاسم الذي كانوا خلعوه (٣٣) » ، وهو الأمر الذي يخالف ما يذكره في الفصل الخاص بالتحريف بسجلماسة عندما يذكر ان اليسع توفي سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م « ثم ولي ابنه مدرار بن اليسع ، وهو المنتصر بن سنفون المتقدم ذكره » (٣٣) .

والواضح من نعت النصوص التي وصلتنا ، هو أن سجلماسة واصلت عهد الرقي والازدهار على أيام مدرار بن اليسع ، الذي كان يزمو بمصاهرته لائمة تاهرت اد كان قد تزوج مند أيام والده باحدى الامرات الرستميات التي كان لها شأنها في سجلماسة حتى انها اعطت اسمها ، وهو اروا الى ابنها ميمون بن مدرار ، فاشتهر باسم ابن اروا وبابن الرستمية(٣٤) . ولما كانت النصوص تقول ان اروا هي ابنة عبد الرحمن بن رستم الذي توفي سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م فان ذلك يعني أن مدرار بن اليسع لم يكن في مقتبل العمر عندما ولي الامامة الصغرى سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م ، بل كان شيخا مسننا رهدا ما يؤيده الاضطراب الذي حدث في سجلماسة سنة ٢٢١ هـ / ٨٢٦ م اي بعد حوالي ١٣ (ثلاثة عشر) سنة من ولاية مدرار ، وذلك بسبب الصراع على السلطنة بين ولديه ميمون بن اروا الرستمية والآخر الذي عرف بابن بقية ، نسبة الى والدته هو الآخر ، كما نظن (٣٥) .

(٣٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٧ (في ذكر ولاية ريادة الله بن الاغلب الريقية ويظهر

اخباره) .

(٣٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٣٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٣٥) انظر بن عذارى ، أخبار سنة ٢٢١ ، ج ١ ص ١٠٦ ، والتحريف بسجلماسة .

ص ١٥٧ ، وقارن الكرى (ص ١٤٩) ، الذي ينقله ابن عذارى ، كما نظن ، حيث التمسنا

بقية بدل من بقية ، كما يقول ان اسم ابن بقية هو ميمون أيضا .

الصراع على السلطنة في سجلماسة بين ولدي مدرار ، ميمون وابن بقية :

والذي يفهم من الرواية هو أن مدرار بن اليسع ، وهو الامام ، كان يقف موقف المتفرج على ولديه اللذين ظلا يتقاتلان طوال ثلاثة اعوام ، من سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م الى سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م . وفي السنة الأخيرة وقف مدرار الى جانب ابنه ميمون بن الرستمية ، فمال اليه أهل سجلماسة وبذلك رجحت كفته ، ونجح في اخراج أخيه ابن بقية من سجلماسة .

استيلاء ابن الرستمية ، وعودة الأمر الى مدرار :

وما أن استقرت الأمور لميمون حتى رأى أن يستقل بالأمر تماما ، فأمر باخراج والده مدرار ووالدته أزوا الى بعض قرى سجلماسة التي لا يذكر النص اسمها ، والتي يمكن أن تكون بلدة درعة التي ساهمت بحفظ واقر في الاضطراب الذي عرفته سجلماسة حينئذ (٣٦) . إذ يتضح من النصوصي المتتضية أن ميمون بن مدرار لم يحسن السيرة أو أنه لم ينجح في اكتساب قلوب أهل سجلماسة لوقت طويل ، إذ لم يلبثوا أن ثاروا به وخلصوه من الامارة ، وبذلك تمهد الطريق من جديد امام والده مدرار ، بمعرفة أخيه : بن بقية ، لكي يعود الى الامامة (٣٧) .

ابن بقية لميرا : الى سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م :

والظاهر أن مدرارا ظل مواليا لابنه ميمون بن الرستمية الذي كان مقبلا في درعة ، وأنه أراد أن يتقوى به في سجلماسة فأرسل اليه يستدعيه هو وأخوانه من درعة . وهنا ثارت نائرة أهل العاصمة الذين توجهوا الى قصر مدرار وضيروا عليه الحصار الذي انتهى بخلعه وإعلان امامة ابنه « ابن بقية » الذي اشتهر بلقب « الأمير » (٣٨) . وعلى عهد ابن بقية الذي لا نعرف تحديدا زمنيا لبدايته توفي مدرار بن اليسع والده ، أي قبل سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م ، وهي سنة وفاة ميمون « الأمير » بن بقيه . وهو في الامامة (٣٩) .

(٣٦) انظر ابن طهاري ، الحوليات سنة ٢٢٤ هـ ، ج ١ ص ١٠٧ . والتعريف بسجلماسة

ص ١٥٧ . وقارن البكري ، ص ١٤٩ .

(٣٧) انظر ابن طهاري ، ج ١ ص ١٥٧ حيث يقول ان أهل سجلماسة بعد ان خلعوا

ميمون « ارباهوا خلق أخيه وتقدم أخيه بن بقية ، فابى أن يتأمر على أخيه ، فاعادوا اياه مدرارا

بيد خلعه ، وقارن البكري ص ١٤٩ .

(٣٨) البكري ، ص ١٤٩ .

(٣٩) ابن طهاري ، ج ١ (التعريف بسجلماسة) ص ١٥٧ ، وقارن البكري ، ص ١٤٩ .

وخلفه الأمير ، ابنه محمد بن ميمون الذي لا يذكر البكري عنه الا سنة وفاته ، وهي سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م حينما آلت الإمامة الى عمه اليسع بن مدرار المنتصر في صفر من نفس السنة / أغسطس - سبتمبر (٤٠) .

واليسع بن مدرار ، الذي ولى في صفر سنة ٢٧٠ هـ / أغسطس - سبتمبر ٨٨٣ م ، واتخذ لقب المنتصر وهو لقب والده مدرار وربما جده اليسع الأول أيضا ، هو آخر أئمة سجلماسة من للدراريين ، اذ يقى في الحكم ٢٧ (سبعا وعشرين) سنة ، أي الى سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م عندما دخل أبو عبد الله الشيعي - بعد استيلائه على رقادة وتاهرت - سجلماسة ، واستخلص عبيد الله المهدي في تلك السنة ثم ظفر باليسع فقتله ، وهو الامر الذي سنعود اليه بعد الفراغ من دولة الأدراسة في المقرب الأقصى (٤١) .

(٤٠) أنظر البكري ، ص ١٤٩ ، وقارن ابن طراري ، ج ١ (التحريف بسجلماسة) ، ص ١٥٧ - الذي يسقط في روايته إمامة محمد بن ميمون الأمير ، ويجعل اليسع الأخير ابنا لميمون بن مدرار (ابن الرستمية) بن اليسع بن مسعود بن مدلان الكفاي .
(٤١) أنظر فيما بعد ، في قيام الدولة اللطيفية ، ص ٥٩٤ ، ٥٩٥ وهـ ٢٢٧ .

الفصل الخامس

الدولة الإدارية

في قاس والمغرب الأوسط

﴿ ١٧٢ هـ / ٧٨٩ م - ٢٠٥ هـ / ٩١٧ م ﴾

قيام الإدارة في المغرب الأقصى وبناء مدينة فاس :

اصول خارجية للدولة العلوية :

بما كانت تقوم الإمارات الحاريسية في المغرب وسجلها ساعد المغرب الأقصى قيام إمارة علوية جديدة هي دولة الإدارة في فاس والاختلاف هنا لا يقتصر على اللون القبلي لكل من المالك الثالث بل يتخطاه الى طبيعة كل منها . فبينما كانت الأوليان مملكتين صحراويتين كانت مملكة الإدارة صغيرة مدنية صعبة ، وهذا ما جعل في عاصمتها فاس التي مازالت تحتفظ بلونها الحضاري الاصيل بعد أكثر من ألف عام ، بينما ضعفت تاهرت وهان أمرها ابتداء من القرن الرابع الهجري (١) ودالت دولة سجلماسة ، بعد ازدهار استمر الى القرن الثامن الهجري نتيجة للدور الهام الذي قامت به صحاروات المغرب الجنوبية ابتداء من عهد المرابطين ، وأصبح قلبها لا يعرف الا بتناكلت ، وحتى القيروان نفسها فقدت أهميتها بعد أن استعادت قرطاجنة ممثلة في تونس مركزها كعاصمة لأفريقية .

والذي يستحق الملاحظة لأول وهلة في قيام مملكة الإدارة العلوية (أي الشيعية من الناحية الشكلية على الأقل) هو الاسم الذي اتخذته قاعدة لها كان بالأمس القريب مهدا للحركة الخارجية ولا حاجة الى الإشارة الى

(١) انظر ابن حوقل طمسة هروت ص ٩٧ . وقلاذ البكري . ص ٧٦ حيث يذكر
" كان من بني من ههروا مدينة فكان وهو من اصال للسان . عندما عدنها على بن محمد
ابن صالح الهجري سنة ٢٣٨ هـ . امن لمسكر من اجل تاهرت الذين لوتعلوا اليها .

ما آل إليه أمر أخوة الأئمة - وقصد الخوارج والشيعية - من البدء الحري الذي بلغ حد التكفير والاتهام بالخروج عن الدين . أما كيف انقلب خوارج المغرب الأقصى من الضد الى الضد ، أى من مناصرين لميسرة الصغرى وأعوانه الى أتباع لادريس ، العاطى (٢) وحلمائه ، فلدلك أسباب تختلف فى طبيعتها وتباين فى كنهها ، وتتراوح ما بين السياسة والدين .

وأول هذه الأسباب بطبيعة الحال هو المشاركة فى الخروج على الدولة، إذ ظل كل من الفريقين - رغم انشقاقهما - معارضا للخلافة سواء أكانت أموية أم عباسية . فلقد وجدت هذه المعارضة هوى فى نفوس بربر المغرب الذين ضاقوا ذرعا بفساد الإدارة الأموية ، والذين كانوا يرسعون الى حكم يحق لهم المساواة بالمغرب ، ويجرى حسب مبادئ الإسلام (٣) وإذا لم يكن من الغريب أن يمشك بربر المغرب الأقصى بموقفهم هذا فزاء الخلافة العباسية ، فإن العجيب فى الأمر هو التفافهم حول امام علوى يمارس مبدأ إحتكار السلطة، ويمثل قانون الوراثة الملكى الذى يناقض مبدأ السورى والانتخاب الجمهورى، الذى صار الأصل السياسى لدى الخوارج . وهنا نجد أن الخوارج ينسكون بالشعار والشكل فقط دون المضمون . فهم عندما تسنح لهم الفرصة لتطبيق مبادئهم عمليا ينحرفون عن المبدأ الجمهورى فى كنعيب الامام ، ويمارسون مبدأ الوراثة الملكى ، وان كان مغلفا فى شكله الانتخابى المثل فى البيعة - وهذا ما فعله الأمويون تماما وما سار عليه العباسيون بعدهم . ففى قاهره أصبحت الأمامة الاباضية وراثية فى نبي رستم ، كما رأينا ، مما تسبب فى حركات الانشقاق التى ذكرناها (٤) .

وكان الأمر كذلك بالنسبة لامامة سبجلمامة الصغرى ، فقد تخلصت القبائل من الاتمام الأول السودانى الأصل ، والذى لم يكن له عصبية ، لكن يتوارث بنو واسول الامامة . وهنا يمكن التفكير فى أن الجماعات الخارجية لم تكن لتستطيع الخروج على الأصول التى أصبحت تقليدية تاريخية فى

(٢) انظر كتاب الصحصار (ص ٦٨٠) الذى يلقب ادريس فملا بالمعنى . وكذلك ابن أبى دينا (ص ٦٩) الذى يسمى الامارة - العوازم .

(٣) انظر فيما سبق ، ص ٣٠٦ .

(٤) انظر فيما سبق ، ص ٣٢٤ وما ١٢٦ - حيث نسبة المشفقين على امام قاهره يبرلون بالمعزلة وبالزواجية - كما دجها الى التفكير فى انه ربما كان يقصد بالمشفقين بعض الجماعات المغربية التى اعتنقت الانكار الزيدية الشيعية التى احتلقت تماما بالفسر المعزول . أو ان يكون المقصود بالاعتزال هو موافق الحياة بالنسبة للبيعة أو الانشقاق .

اختيار الخليفة وهو الامم ، كما يمكن التعمير ايضا - في ان شيعة الامس -
- تقصد حواجز اليوم - لم يمكنهم التملص من مبادئهم الاولى التي تجعل
الامامة تركة من نصيب العلويين من آل البيت ، فطبقوا مبدأ الوراثة ، وان
لم يكن في آل البيت - ولما سحقت الفرصة لتقديم احد العلويين ، سارع
قبائل المغرب الاقصى من خوارج وغيرهم في الالتفاف حوله ، وتطبيق نظام
الوراثة في ابناءه ، كما تقضى اصول الشيعة .

ولكنه ينبغي ان نسارع بالاشارة هنا الى انه رغم ان ادريس علوي ،
وان الدولة الادريسية كانت ملكية وراثية ، الا انها لم تكن دولة شيعية
بالمعنى المعروف - وهي ان كانت كذلك فتكون شيعية زيدية اى من النوع
المعتدل القريب من اهل السنة . ولهذا فهي في نظر الكتاب « الدونسة
الهاشمية » (٩) . وهذا امير طيبي فالدولة الادريسية ظهرت فجأة ، دوى
تمهيد او دهابة سابقه كذلك التي مهدت لقيام الدولة العباسية من قبل الدولة
الفاطمية من بعد - او حتى بالنسبة لامامة تاهرت - وبناء على ذلك فهي لم
تقم حسب مبادئ سيانسية او دينية معينة ، بل قامت على اكتاف رجل واحد
يمثل هيبة الاسره العلوية الفظيية ، كما يمثل مثالك آل البيت .

دخول ادريس المغرب - ما بين الحجاز ومصر والمغرب :

ومؤسس الاسرة هو ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن
علي بن ابي طالب (١) ، ام من سبب مسيره الى المغرب فهو اشتراكه في الثورة
التي قام بها الحسينور من مكة بقيادة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن
بن الحسن (السبط) ، والتي اسهت بانفسه بعد ان اوقع بهم العباسيون في
موضع فخ ، اثناء موسم الحج سنة ١٦٩ هـ / يونية ٧٨٦ م ، على ايام الخليفة

(٥) انظر ابن خلدون (ص ٨٢) - الا ما كتبتنا اليه ان مناصب كتاب الاستيعاب
يعلم ان ادريس الفاطمي بالفاطمين (انظر الصفحة ٤٤٤) وج ٤ بالمعنى شيعية لا بمحمل اكثر من
معناها الاول ، وهو الانتساب الى الفاطميين الزيدية - ولا يقتضى معناه زيدية من انهما سياسيا
معينا كما سيحدث على ايام الفاطميين - وعن الزيدية انظر فيما يدره ص ٤٢٩ .
- (٦) انظر بالبركي ص ٢١٨ ، ابن خلدون ، ص ١٠٠ ، ص ١٠٠ ، ولان ما بين الايام ٧
الحلة السيرة ، ج ١ ترسة رقم ١١ ص ٥٠ ، حيث ينقل عن التوكيل (ابن خلدون ص ٥٠)
ابن شنيعة ان عبد الرحمن بن سعيد الفقيه يقول ، ان عبد الله والد ادريس كان شيخ بلن حاشم
عز و هو ، وعن ادريس يقول ان تامة ملكة بنت عبد الملك من العارث المغزوبية - وان اخواه
عسى وسليمان معا .

البادي (٧) . فقد قتل الحسينيون في فخ قتلا ذريعا ولكن عددا منهم تمكن من الفرار ، ومن هؤلاء يحيى بن عن الله الذي هرب نحو المشرق الى بلاد الديلم ونجح في إثارة أهل البلاد هناك على الخلافة ، الى أن تخلص منه الرشيد بالسياسة على يدي الفضل بن يحيى البرمكي (٨) . أما أشهر الفارين من رقعة فخ فهو ادریس بن عبد الله الذي اتجه نحو المغرب - ويضفي كتاب الأدارة على بداية أمر ادریس لونا قصصيا طريفا ، تختلط فيه الحقيقة التاريخية بالرواية الشعبية ، ولمثل لذلك كتاب روض القرطاس الذي يجمع فيه ابن زرع هذه الروايات حنبا الى جنب ، وهتفه في ذلك اظهار مناقب أهل البيت .

خرج ادریس من الحجاز متخفيا بين قوافل الحاج السائرة نحو مصر ، وبصحبه أحد موالیه الذي يتصف بالشجاعة والعقل ، وهو راشد الذي يقال انه يربري الأصل ، وانه لهذا السبب اصطلح ادریس نحو المغرب ليثويه في قومه (٩) . والذي يفهم منا اتفق عليه الكتاب ان الفضل يرجع الى راشد هنا في وصول ادریس سالما الى المغرب الأقصى ، وكذلك في العناية له بين القبائل - وهذا أمر هام ليس بالنسبة لقيام دولة الادارة فقط ، بل بالنسبة لمعلم الدول المغربية التي اقتطعها من الخلافة امراء اتوا من المشرق مثل الدولة الأموية في الأندلس التي تدين بقيامها الى مجهودات بدر مولى

(٧) انظر الطبري ، أحداث سنة ١٦٩ . ابن الأثير ، أحداث سنة ١٦٩ ، ج ٦ ص ٢٦ . - ٢٨ ابن خلطون ، ج ٤ ص ٦ ، البكري ، ص ١١٨ ، الاستبصار ، ص ١٩٤ ابن الأبار ، الحلة السراء ج ١ ترجمة ١١ ص ٥٩ ، ابن عسكاري ، ج ١ ص ٨٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٨ (فجه بدلا من فخ) وص ١٢ (جه) وج ٦ ص ١٤٧ (حيث القراءة الصحيحة) بلج (والترجمة ج ٢- ص ٥٥٦ . هنا ويلاحظ أن الأمر يختلط هل بعض الكتاب فيجعلون اشتراك ادریس في ثورة محمد النفس الزكية في المدينة سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م أو يجعلون ثورة محمد النفس الزكية في سنة ١٦٩ هـ . انظر المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٠٨ ، روض القرطاس ، ٤ - ٥ ابن عسكاري ، ج ١ ص ٢١٠) .

(٨) انظر ابن الأثير ، أحداث سنة ١٧٦ هـ ج ٦ ص ٥٠ ، ابن الأبار ، الحلة السراء ج ١ ص ٥١٠ .

(٩) الاستبصار (رواية المؤلف) ، ص ١٩٤ ، وانظر البكري ص ١٢٢ ، والحلة السراء ج ١ ص ٥٣٠ . حيث نجد رواية للثوغل تقول ان سداشيدا كان مولى لأحد ادریس وهو عيسى بن عبد الله ، وكذلك ص ٩٨ في ترجمة ابراهيم بن الألفب .

عبد الرحمن بن معاوية (١٠)، والدولة الفاطمية التي تدين بتأييدها في أريفة
إلى جهود أبي عبد الله الشيعي مول عبيد الله المهدي (١١) .

والمظاهر إن الخلافة كانت نشطة في تتبع آثار الحسين ، إذ سرعان
ما عرف أمر ادريس والي مصر في ذلك الحين ، وهو علي بن سليمان العباسي (١٢) .
وتتفق معظم الروايات على أن الفضل في نجاة ادريس يرجع إلى صاحب البريد
بني مصر . وهو واضح مولى صالح بن الخليفة المنصور ، الذي يسميه ابن
خلدون بواضح أسكنين ، وكان شيعي المذهب (١٣) . وهذا لا يناقض رواية
الكندي التي تقول صراحة إن والي مصر العباسي علي بن سليمان هو الذي
سهل لادريس الخروج من مصر ، بعد أن دهم بيكانه ولقيه سرا فسأله بالله
وأرحم إلا ستر عليه فإنه خارج إلى المغرب (١٤) ؛ فلا بأس من صحة الروايتين
جميعا أي اتفاق صاحبي البريد الشيعي والوالي العباسي على ستر العلوي به
إذ تفسر رواية الكندي تستر العباسي على قريبه وعدوه العلوي بأنه -
أي الوالي - كان طالما هو الآخر في الخلافة . وإن ذلك كان سببا لهزله
للرشيد له (١٥) . وهذا ما تبينه رواية القرطاس التي تنص على أن علي بن
سليمان أمين الرجل الشيعي الذي كان قد أوى ادريس وراشد ، وطلب إليه أن

-
- (١٠) انظر كتاب أخبار مجرعة ، ص ٥٢ ، ٦٧ ، ٧٤ الخ .
(١١) انظر الاستيعاب ، ص ٢٠٢ والهاشم وما بعده ، انما الخلفاء باختيار الأئمة
الخلفاء ، ص ٧٤ وما بعدها . وانظر فيما بعد ، ص ٤٤١ وما بعدها .
(١٢) انظر الكندي ، ص ١٣١ - ١٣٢ (ولايته من شوال سنة ١٩٦ هـ / إبريل ٧٨٦ م ،
أيام المهدي . ربيع الأول - سنة ١٧١ هـ / أغسطس ٧٨٧ م أيام الرشيد) .
(١٣) انظر الكندي (الذي نقل روايته التوفل) ص ١٢١ . ابن الأثير ، أحداث سنة
١٦٩ هـ ج ٦ ص ٧٨ . ابن عساق ، ج ١ ص ٨٢ . ابن خلدون ، ج ٤ ص ٧ ، ١٢ والترجمة ج ٢
ص ٥٥٩ . الحلة السيرة لابن الأثير ، ج ١ ص ٥١ - ٥٢ ، وفان روض القرطاس (ص ٥)
الذي يسلوونه الكندي (ص ١١٨ - ١١٩) التي تفلرر بتضليلات طريفة له نفسها ؛ إن
ادريس وراشد كان يجرمان شرارر السطاط فاستلقت نظرهما دبر حسنة البند والوشرف .
صانر حديث بيها وبني صاحب الدار اللتين بان عرف اليا من شيمة الحسين . وطما
استوق منه راشد عرفة بادريس فاصبح ان الرجل من الشيعة لأحسن خوارهما . ولا بأس
من أن يكون الشيعي حر واضح صاحب البريد ، هذا ولا يذكر الكندي شيئا من أمر شغل
بواضح لوطيفة صاحب البريد ، ولكنه يذكر انه ولي مصر مدة - قطع ثلاثة أشهر - من سنة
١٣٤ هـ / ٧٨٩ - ٧٧٩ م (انظر الكندي ، ص ١٢٩) .
(١٤) الكندي في الرواة ، ص ١٣١ ، توفان الميزان ، ص ٢١٩ .
(١٥) الكندي ، الرواة ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

يخرجنا من عمه . ولو أنها تفسر ذلك بأن الزوان كان لا يحب اراثة دم إهليل
والبيت (١٦) .

حكدا دبرت مؤامرة على مستوى عال - كما يقال - لهرب ادريس نحو
الغرب . ويفهم من رواية اليكزي وابن عذارى أنه تقدر أن يخرج راشد من
مصر ويتخذ الطريق المأم مع قوافل الحاج والتجار (الرفقة) ، بينما يسير
ادريس مع واضح في «طريق غامضة» - نعتقد انها خاصة بالبريد - على أن
يكون نقاؤهم في برقة (١٧) . وفي برقة اطمأن واضح على سلامة ادريس
وراشد فودعها بعد ما أمدهما بما يلزمهما من مال ومحتاج ، والظاهر أنه تم
الاتفاق على أن يتخفى ادريس في زى تختش ، ويظهر مظهر غلام في خدمة
راشد (١٨) . وهنا تختلف الروايات في تحديد الطريق الذي اتخذه ادريس
وراشد . ونحن نسيل الى الاخذ بالرواية التي ينقلها اليكزي وصاحبه الاستبصار ،
والتي تقول انو راشد لم يدخل بلاد افريقية (خشية خصال الخلافة لدى
المهلبين) ، وأنه سار به الى بلاد البربر (١٩) (أي التي لا تخضع لامير القيروان) -
وبعد أن استراح ادريس بتلمسان عدة أيام خرج به راشد نحو الغرب ،
فعبرا وادى ملوية ودخلا بلاد السوس الأدنى ، حيث أقاما بعض الوقت في
طنجة التي كانت يومئذ أعظم مدن المغرب الأقصى (٢٠) ، وذلك قبل أن يستقر
في مدينة ويلي ، كما يتفق على ذلك معظم الكتاب (٢١) ، بعد رحلة استغرقت
حوالي سنتين (٢٢) .

(١٦) روض القرطاس ص ٦ .

(١٧) اليكزي ص ١١٩ ، روض القرطاس ص .

(١٨) اليكزي ص ١١٨ ، الاستبصار ص ١٩٤ .

(١٩) اليكزي ص ١١٩ ، الاستبصار ص ١٩٤ . أما روض القرطاس (ص ٦)

فيقول ان راشد دخل بادريس القيروان حيث أقام بها مدة ٥٧ سنة لذلك كان ليس ادريس

فيما خشية وصوله كالمعتمد له خوفا عليه في ذلك الوقت .

(٢٠) القرطاس ص ٦ .

(٢١) اليكزي ص ١١٨ ، الاستبصار ص ١٩٤ ، نعلنا ، اسيراه ، ج ١ ص ٥٤ .

ابن عذارى ص ١ ص ٨٣ (رواية) ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٧ (رواية) ، (رواية)

وصحتها « رواية » ، إنظر شكل ٧ ، ص ٤٢٧ .

(٢٢) أبيه القرطاس ص ٦ ، الذي يقول انه يزولا دليله كان في محرقودين الإله

سنة ١٧٢ م / ٢٠ أغسطس ٧٨٧ م ، وقارن اليفة الخيرة ج ١ ص ٥٤ ، حيث نجد

رواية أم بكر الزاوي التي تقول ان ادريس بن عبد الله دخل القروم سنة ١٧٢ م على شهر

رمضان ، الكرى ص ١١٨ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٧ (سنة ١٧٦ هـ) و ص ٧٢ (سنة

١٧٢) ج ٦ ص ١٤٧ ، وقارن ابن عذارى الذي يقول (ج ١ ص ٨٢) ان يبرون ادريس =



شكل (٧)
للمغرب الأقصى

التحول في ليل :

ورغم ما يقوله صاحب القرطاس من أنه لما لم يجد أدريس بطنجة مراته رجع مع موزه راشد حتى نزل مدينة ويلي ، فانا نعتقد أنه لم يضيع وبتة سدى فو . عاصمة المغرب الأقصى بل أخذ يستقص أخبار القائل . ويعرف ما هي عليه من الرأي ومن القوة الى أن احتدى الى قائل ويلي . وويلي مدينة قديمة (Volubilla) تقع على طرف جبل زهون (٢٢) ، بين فاس ومكناسة حاليا (٢٤) . وهي عاصمة تلك المنطقة الفنية بخصبها وكثرة مياهها وزروعها ، والتي كانت تسكنها قبائل أوربة البرنسية في ذلك الوقت (٢٥) . وأوربة هي التي رأيناها في المغرب الأوسط تعترض عقبة بن نافع بزعامة رئيسها كسيلة وتقتله قرب تهودة ، والظاهر ان القبيلة غيرت مواطنها بعد الحملات التاديبية التي قام بها العرب فهدما فسكنت السوس الأدنى ، فيما بين وادي ملوية ووادي ام الربيع (٢٦) .

ونزل ادريس في ويلي على زعيم أوربة وهو سحق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، الذي آكرمه وأحسن وفادته (٢٧) . وتصف بنفسه

١ - المغرب كان سنة ١٧٠ هـ / ٨٦ - ٨٨٧ م . ولكننا نعتقد انه يقصد بذلك خروجه من مصر الى المغرب ، إذ انه يجعل اجتماع القائل على ادريس في سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٧ م (ج ١ ص ٨٤) . (٢٢) أنظر الجوزي دهرية الأوس (بشر الفرديل ، الجزائر ١٩٢٢) ، ص ٩ - حيث يقول « وهذه البلدة قديمة البناء - من بنيان القبط ، وهي معروفة الآن بقصر مروهون من اولاد قتلو - كان لها سور عظيم قد بقي بعضه » . (٢٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٧ والترجمة ج ١ ص ٢٩٠ . وأنظر شكل ٧ ص ٤٢٧ . (٢٥) البكري ، ص ١١٨ ، الاستبصار ، ص ١٩٤ ، القرطاس ، ص ٦ . (٢٦) فتح السوس الأدنى (وحدة من وادي ملوية الى وادي ام الربيع) أنظر القرطاس ، ص ٦ . ومن سكنى أوربة المغرب الأقصى بعد هزيمتهم أمام زهير بن قيس أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٧ والترجمة ج ١ ص ٢٩٠ . (٢٧) الاستبصار ، ص ١٩٤ ، ابن خلدون (عن تاريخ أوربة) ج ٦ ص ١٤٧ والترجمة ج ١ ص ٢٩٠ ، وعن الأدارسة ، ج ٤ ص ٧ ، ١٢ ، والترجمة ج ٢ ص ٥٥٩ (والاسم في الترجمة أبو ليل اسحق ، ولا نعرف ان كان المترجم أصلا فعمل كلمة بوليل « بوليلة » أي بمدينة وليل كنية للزعيم الأوربي (Abou Laila = أبو لالا) . إذ الحقيقة ان البكري يكتبه فعلا بأبي ليل (ص ١٢٢) ، القرطاس ، ص ٦ - ٧ (يسميه عبدة الحميد الأوربي) .

المصوص الرعييم الأوربي بأنه كان معتزلي المذهب (٢٨) . ونحن لا نعرف ماذا يعنى بالاعتزال هنا اذ لا نعرف للاعتزال أصولا سياسية اللهم الا اعتزال الأوائل الفتنة ، وموقفهم منها موقف الحياد ، ثم مشاركة القدرية فى بعض الاضطرابات السياسية على اواخر أيام الأمويين فى عهد هشام والوليد بن يزيد ، وكذلك على أيام الأمتى عندما أناروا محنة خلق القرآن ، الى جانب أصول الاعتزال المنهية المعروفة من التوحيد والعدل والوعد والوهد بالأمر بالمعروف (٢٩) . ولو كانت هذه الأصول هى المقصودة ، لكان ذلك يعنى ان الحركات الفكرية التى ظهرت فى مركز الخلافة فى المشرق كان لها صلبها البعيد - ليس فى القيروان فقط ، كما سبقت الإشارة (٣٠) ، بل وفى قلب بلاد الأيرير التى يقول بعض الكتب ان كثيرا من قبائلها كانت - وحتى ذلك الوقت - على المجوسية واليهودية والنصرانية ، كما سنرى . وربما كان المقصود بالاعتزال هنا تلك الطائفة من الخوارج التى يسميها البكرى بالواصلية وينص على انها اباضية ، كما سماها كتاب الاباضية صراحة بالمتزلة (٣١) . اذ الحقيقة أنه يوجد نوع من القرابة أو التوافق بين أفكار المعتزلة وأفكار الخوارج (٣٢) .

وحسب الأصول الفنية التى يعرفها العامة لم يظهر راشد دعوة سيده على أول الأمر ، اذ تقول رواية الاستبصار ان ادريس وافق اسحق بن محمد على مذهب المعتزلى (٣٣) . وهذا ما يصبر لى نظرنا عن بداية التوافق بين الفكر الشيعى الزيدى وبين مبادئ الاعتزال التى اضعيف اليها رأى الزيدية على الامامة . ولما كان ذلك النوع من الاعتزال السياسى قد ظهر لدى الخوارج الاباضية ، فيمكن القول ان الاعتزال افتتجج بأحزاب المعارضة مع مطلع الدولة العباسية ، قبل ان يصحح مذهب بغداد الرسمى على أيام المأمون .

(٢٨) البكرى ، ص ١١٨ ، الاستبصار ، ص ١٢٤ ، الرطاس ، ص ٢ .
(٢٩) فى أصول الاعتزال ، انظر للمسعودى ومرجع الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ .
(٣٠) انظر فيما سبق ، ج ١ ، ص ٢٨٧ ، ٣١٨ - ٣١٩ ، ٣٦٩ .
(٣١) انظر فيما سبق ، ص ٤٢٢ ، ج ٤ .
(٣٢) انظر فيما سبق ، ص ٢٧٥ و ٢٦١ ، وانظر فيما سبق فى امامة كاهنوت ، ص ٢٨٩ ، عن الواصلية والعتزلة . وعن أصول الخوارج التى تتناول التوحيد والوعد والوهد وهى من أصول المعتزلة . انظر للمسعودى ، ج ٣ ، ص ١٤٦ . وعن آراء اباضية القرب فى مسألة الصلوات . وودعنى ترجمه الاشعرية لى عدم خلق القرآن ، وكذلك لى الوعد والوهد ، انظر ص ١٧٠ .
Allouche, Deux épîtres de théologie abadites, Hespéris, t. 22, 1936, fasc. I, p. 57.

(٣٣) البكرى ، ص ١١٨ ، الاستبصار ، ص ١٦٥ .

بيعة ادريس :

ومع مرور الوقت أظهر ادريس امره للرعيم الأربى وأعلن أحميته في الإمامة ، فواته دون تردد . وبطبيعة الحال كانت هذه فرصة مواتية لاسحق : فنزل أحد رعاء انعمين عليه كان يعلى من شأنه بين أفراد قبيلته . كما كان يحق له نوعاً من التفوق على رعاء العوائل الأخرى . وهكذا نزل ادريس في منزله ، وتولى اسحق خدمته بنفسه ، وذلك في أول ربيع الأول من سنة ١٧٢ هـ / ٢٠ أغسطس ٧٨٧ م . وجمع اسحق زعماء أوربة وعرفهم ناديس وبسبة فاستقبلوه بالترحاب وقالوا : « الحمد لله الذي أتى به وشرفنا بجواره ، فهو سيدنا ونحن عبيد نموت بين يديه » . وانتهى الأمر بأن بايعوا لادريس بالإمامة ، وذلك في منتصف رمضان سنة ١٧٢ هـ / ١٥ فبراير ٧٨٩ م (٢٤) ، فكان ذلك بداية الدعوة العلوية الأولى بالمغرب الأقصى . وتبع ذلك حركة دعوية بين قبائل الأقاليم المحيطة ، فدخلت في دعوة الامام ادريس قبائل زناتة وزواغة وزواوة ولماية وسدراتة ومسراة وعيانية وفرة ومكناسة ومغارة ، كما قصد اليه الناس من كل مكان (٢٥) .

العمل الايجابي :

بافضمام كل هذه القبائل الى الدعوة العلوية بدأت المرحلة الايجابية في تأسيس الدولة ادريسية ، وذلك حسب الأهداف التي أخذ الامام على عاتقه القيام بها والتي تتفق مع رسالة آل البيت ، وهي العمل على نشر الاسلام والجهاد في سبيل الله . أما عن مجال هذا العمل فكانت الأقاليم التي لم ترسخ أقدام الاسلام فيها بعد أو التي عرف أهلها بالزيغ وانحراف العقيدة .

الصراع ضد بني طريف ملوك برغواطة في تامسنا :

وحتى غلامام ومستشاريه أن يختاروا اقليم تامسنا - حيث قبائل برغواطة - للقيام بأول نشاط لهم . فلقد عرف اقليم تامسنا بميوله لإبصالية والحرمانه العقائدية منذ وقت مبكر ، ونسب هذا الانحراف

(٢٤) القرطاس - ص ٨٠ - ابن أبي حنيفة . الخراسي - ص ٩٩ (في رمضان سنة ١٧٢) .
ولادن ابن طرازي (ج ١ ص ٨٣) الذي يحدد السنة فقط (١٧٢ هـ / ٨٨٠ - ٧٨٩ م) .
(٢٥) القرطاس ص ٧ وقارن من حنود (ج ٤ ص ١٢٠ ج ٦ ص ١٤٧) الذي يذكر قبيلة مسراتة في شكوسراة بيد يذكرها القرطاس في شكل مزاول .

الى قبائل الاقليم فعرفها زندقة برغواطية ، ولقد كانت زندقة برغواطية
هذه ، مثل كثير من الحركات السياسية والدينية في المغرب ، وليدة الحركة
الخارجية الصفرية الاولى . فبعد القضاء على ثورة ميسرة تفرق اصحابه في
البلاد ، ولجا بعضهم ، ويسمى طريف - والظاهر انه طريف بن ملوك الذي
يبدأ بأولي غارة على ساحل الأندلس قبل طارق بن زياد ، والذي سميت
باسمه جزيرة طريف (طريف) (٢٦) - الى بلاد تامسنا التي كانت ملكا لقبائل
زنانة وزواغة (٢٧) ، وذلك على ساحل المحيط قيسا بين مصبي بورجرج (وادي
سلا) وأم الربيع ، وهناك تزعم بربر المنطقة الذين عرفوا من حينئذ باسم
برغواطية (٢٨) :

ويقول الكتاب نقلا عن الرواية البرغواطية التي ترجع الى زهور بن
حوسب بن هشام بن وازين رسول ملك برغواطية أبي منصور عيسى بن
أبي الأنصار عبد الله في سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م ان طريفا كان على دين
الاسلام ، ولكن ابنه وولي عهده ، صالح بن طريف (.ولد سنة ١١٠ هـ / ٧٢٩ م) ،
انحرف فتبأ فيهم وسمى نفسه « صالح المؤمنين » ، كما يقولون -
أكثر من هذا - انه شرع لهم ديانة جديدة . وأوصى صالح ابنه الياس بن

(٢٦) انظر البكري ص ١٣٥ (حيث النص هل ان طريفا كان من اصحاب ميسرة ،
واليه نسبت جزيرة طريف) ، ص ١٢٨ حيث يذكر في حجاب برغواطية بيتا يقول فيه
الشاعر :

ليس اليسوم . ردتكم ولكن ليسالي كتم متيسريسا .
ويعلق قائلا : وهذا البيت يصدق قول زهور البرغواطى ان طريفا كان من اصحاب
ميسرة ويشهد له . وقانون ابن خلدون ، ج ١ ص ٢٠٨ (يكتبه بآي صبيح) و ابن طراد ،
ج ١ ص ٢٢٤ ، الاستبصار ص ١٩٧ (الذي يجعل طريفا . يهودى الأصل من الأندلس) .
وانظر برونسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، بالفرنسية ، ص ١٣ .
- (٢٧) البكري ، ص ١٣٥ .

(٢٨) ورواية برغواطية ينقل البكري (ص ١٢٧ - ١٢٨) عن ابن الياس الخليلي
ابن حفص بن عمرو الكسبي ان صاحب المنطقة الحقيقي ناي اول من أطلقها ، وحسنه يونس
ابن سليمان بن صالح بن طريف ، « أصله من شونة ، من تلاميذ يوحنا البيريلا ، « والله
لهذا السبب ، نسي من ابيه يرمطى . ثم هجره الى ثفالهم ، لخالوايا « برغواطى » . ابن بطاوى ،
ج ١ ص ٢٢٤ ، وقانون الاستبصار ، الذي يقول (ص ١٩٧) ، ان زهور قام عليه في ذلك الوقت ،
كانوا قوما جيالا من زنانة ، كما يقول ان الذي دخل عليهم هو صالح بن طريف .
ومن الاجتهادات الحديثة في تفسير اسم برغواطية بمعنى « بربر » . بركاتي (Bacuates)
في عماد ناكوس (Bacchus) القدماء - انظر تفسير كلمة « ياكوش » في ص ٤٢٢ .

يظهر ديوانته هذه عند ما يشتد أمره ، بينما وحل هو إلى المشرق ، وقال انه سيورد بضمه النسي الذي يملأ الأرض عدلا بعد ان بلت جورا (٣٩) . وهذا أمر له اهميته اذ يبين كيف شارك الخوارج خصومهم الشيعة في فكرة ليدى المنتظر - وهي من انكار الشيعة الرئيسية - بعد ان شاركوهم عمليا في تطبيق فكرة الوراثة الملكية في نظام الحكم . ومن الناحية السياسية أمر صالح ابنه بموالاته أمير الأندلس بمعنى موالاته الأمويين ومناهضة أمراء المغرب (٤٠) . وظل بنو صالح بن طريف يتداولون اماره تامسنا ويسطون سلطانهم على قبائل برغواطه ، التي كانت تقدم لهم في منتصف القرن الرابع الهجري (١٠م) أكثر من ١٠ (عشرة) آلاف فارس (٤١) . وعلى غيرها من القبائل التي كانت متمسكة بالاسلام نقيًا خالصا ، والتي كانت تقدم لهم أكثر من ١٢ (اثني عشر) ألف فارس (٤٢) واستمر بنو طريف في انحرافهم وذلقتهم الى ان قامت عليهم قبائل بنو يفرن بقيادة الامير تميم اليفرنى فغلبهم على بلادهم بعد سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩ م ، ونسبهم حتى -جلا من بقي منهم- (٤٣) . ولكنه رغم ما يقوله البكري من ان تميم اليفرنى « استوطن ديارهم » ، وبذلك « انقطع أمرهم (٤٤) » ، فالمعروف ان انحراف برغواطه ظل

(٣٩) البكري . ص ١٣٤ (ص زبور) ، ص ١٢٥ (حيث يقول النص ان موت صالح كان سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م (سنة ١٠٠ بعد وفاة النبي) وانه حضر مع ابيه حروب حيرة وهو صغير . ان في سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م . ما جعلنا نرجح ان تكون سنة ١١٠ هـ سنة مولده . ص ١٣٦ حيث يوصف الياس الذي ملك ٥٠ سنة بالغير والمغال) . الاستبصار ، ص ١٩٨ . ابن عسدي . ج ١ ص ٢٢٤ . ولقون ابن خلدون (ج ٦ ص ٢٠٧) الذي يقول ان طيور صالح كان في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢ هـ . وانه ملك مدة ٤٧ سنة . (٤٠) انظر البكري . ص ١٣٥ . الاستبصار . ص ١٩٨ . ابن عسدي . ص ٢٢٤ . ابن خلدون ج ٦ ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .

(٤١) انظر الرواية في البكري (ص ١٤٠ - ١٤١) حيث تقول : « ان قبائل برغواطه الذين يدعون لهم ، وحل ملتهم : جريرة . وزواجة . والبرانس - وهو لقب لاسر . ومنجسة . وبنو ابي لرح ، وبنو واسر . ومظفرة . وبنو بورغ ، وبنو دهر . ومطاطة . وبنو ذكاسيت ، وعصم بنو يزيد بن عشيرة آل فارس » .

(٤٢) انظر البكري . ص ١٤١ . حيث تحذف الرواية ال برغواطه : حين يدعون لهم من المسلمين في ويضافون ال ملكتهم : (ذكاة الجبل . موبويليت . موباللة . وبنو وارنيليت . وبنو يفرن . وبنو غافيت . وبنو النصاب . بنو لورالورالورما . وبنو كوكبة . وبنو يسكره . واصافه . وبنو كابة . وبنو اوزميت . وبنو دارة . وبنو سيط . وبنو ضانة . وبنو زولة . وبنو حلتك . نحو ١٢ (اثنى عشر) الف فارس » .

(٤٣) البكري اثنى عشر . ص ١٤١ .

(٤٤) البكري . ص ١٤١ .

قالما الى ان غزاهم المرابطون ، واستشهد في بعض شرايتهم عبد الله بن ياسين سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م (٤٥) .

(٤٥) ابن خلّون ، ج ٦ ص ٢٠٩ . وابن يونس صالح بن طريف امرأه برغوانة . انظر نفس المصادر . بعد الياس بن صالح (ملك ٥٠ سنة) دى يونس بن الياس لمدة ٤٠ سنة أو أكثر (٤٤ سنة) . وينسب الى يونس اظهار الزندي وسي : فلقد سار الى المشرق مع زيد بن سنان الزناني صاحب الواصية . وغياث بن صالح ، وبرغوث بن سعيد الترادى ، جد بنى عبد الرزاق المروزي بنى وكيل الصلوية (البكرى ، ص ١٢٧) . ومناذ صاحب اللقمة المنادية ، قريبا من سجلماسة ، وغيرهم . ونقله يونس بن الدين مع ثلاثة منهم وحفظ كل ما صح . وطلب علم نجوم والكهانة (البكرى ، ص ١٢٧ ، ابن عطارى ، ج ١ ص ٢٢٥ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ٧١ - ٢٠٨) . وبعد موت علي بن الحسين بن محمد اليعقوبى بالمنكب والسوة لى . اضعاف خصومه ، سنة ٢٩٠ هـ (الذى يجعله البهني ابن يونس - الاستيعاب ، ص ١٦٨ - يهنا يجعله البهني من فرع آخر من الاسرة ليسبب ايا بغير بن عباد ابن اليسع بن صالح بن طريف (البكرى ، ص ١٢٦ ، ابن عطارى ، ج ١ ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٠٨) . ثم ملك أبو الامصار عبد الله بن ابي عتيق ، الذى عرف بالسلطان والظرف والوفاء بالعهد (صاحب الاستيعاب يسميه ابا جعفر حصن - ص ١٦٨) . عند تمام المائة الثالثة (سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) . وهام ملكه مدة ٤٣ سنة قضاهما فرجة . ثم أبو منصور عيسى بن ابي الامصار (سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٢ م) وهو السابع من اهل بيت صالح بن طريف ، وكان يظن وجهته حسب فكرة المهدي المنتظر من الشيعة على ايام هذا الأمير ، الذى واسل المستنصر بالله الاموى فى سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م ، وذلك جريا على السنة التى استعما جدهم صالح بن طريف (البكرى ، ص ١٢٧) .

ويروى الكتاب اشبالا قريبة من الحراف أبناء صالح بن طريف وقومهم برغوانة : من التنجى وتحريف اصول الاسلام ، وابتكار آيات من القرآن . ونعتقد ان نحو ذلك كثيرا من المبالغة من الكتاب الذين يخشون لغراضا ملهية وسياسية معادية لبني حطيف - وهذا لا يمنع صحة بعض تلك الانحرافات الخاصة بالصلاة والوضوء والمسوم والزكاة أو بعض الرخص الخاصة بالزواج والطعام واقامة الحدود ، وذلك تبعا للظروف البيئية المتغيرة ، من اجتماعية واقتصادية وفلسفية الى غيرها من المبادئ والتقاليد المتوارثة . ونعتقد ان الأصل فيما نسب اليهم من التحريف هو أنهم كانوا يؤدون شوائب الدين بالبربرية ، كما أنهم ترجموا القرآن الى لغتهم حلة . عن هذا ما يقال من أنهم كانوا يقولون « بنى ياكش » وتفسيره « الكتيه الله » - أى « حلقه أكبر » على ما نظن . كما كانوا يقولون « ايمسن ياكش » وتفسيره « بسم الله » و « ايمسن ياكش » وتفسيره « الواحد الله » . و « وهام ياكش » . معناه « لا نجد مثل الله » . ونظن انها ترجمة ل « لم يكن له كفوا أحد » . مما يعنى ان عليه الميزات من ترجمة سورة الاخلاص . انظر البكرى ، ص ١٢٨ - ١٤٤ . الاستيعاب : ص ١٩٩ . ابن عطارى ، ج ١ ص ١٢٤ . ومن ياكوش (ياكش) الذى كان يسلان (De Slane) ايه ياكوش (الكهنة) (Bacchus) . والذى يقول ياسين (Basset) ان معناه حرفة « البهني » ابن العطارى أو الوهاب ، وانظر ج - مارسى (G. Marcy) الذى حاول - على غير أساس - طبعه نحن وايضا - ان

يقولون « جيزوس » . ايمسج . يسوع . (De Slane) . G. Marcy, Le Dieu des Abadites et des Bargwata, Hispania, t. 22, 1936, fasc. I, p. 33 et suiv.

فتح تامسنا :

جمع ادريس جيشاً من زناتة وأوربة وصباحة وهوارة وسار بهم نحو مدينة شالة (شلة - شلا) ، وهي مدينة سلا القديمة ، قبالة مدينة الرباط (رباط الفتح) الحالية على الضفة الأخرى من مصب النهر ، ففتحها ثم جازى كل بلاد تامسنا فاجتمعها . وأتبع ادريس ذلك باخضاع إقليم تادلا . وفتح حصونه وقلاعها ، وأدخل أهل البلاد في الإسلام ، وكانت جماعات منهم على دين الصرائية واليهودية ، كما يفهم من رواية ابن أبي زرع (٤٦) . والظاهر إن ادريس قام بهذه الحملة بعد أن بايعته القبائل مباشرة . إذ أنه عاد إلى ويليلى في آخر شهر ذي الحجة من سنة ١٧٢ هـ / آخر ماية ٧٨٩ م (٤٧) . ولم يمكث ادريس في ويليلى الا ريثما يستريح رجاله ثم انه خرج لغزو بقايا المجرس والنصارى واليهود من البربر . فهدم الحصون وغرب المعقل ، وأدخل العصاة طوعاً وكرهاً في الإسلام . وتم له في هذه الغزوة الثانية انتحاض قبائل لندلاوة ومديونة وبهلولة وغياطة . كما أحضع أهل بلاد غلزال ، ورجع إلى ويليلى في منتصف جيمادى الثاني سنة ١٧٣ هـ / أكتوبر ٧٨٩ م (٤٨) .

فتح تلمسان وبناء جامعها :

ولم يسترح ادريس الا مقدار شهر واحد ، اذ خرج من ويليلى في منتصف رجب سنة ١٧٣ هـ / نوفمبر ٧٨٩ م متجهاً نحو تلمسان ، بالمغرب الأوسط مازا بمدينة سبتة التي وصلها في شهر شعبان التالي من نفس

(٤٦) انظر روى القرطاس ، ص ٧ . ونسند ان ابن ابي زرع يبالح عندما يقول ان اكثر هذه البلاد كان على دين النصرانية ودين اليهودية ، والاسلام بها قليل - وذلك بعد تساجعها من دخول موسى بن نصير الى المغرب الأقصى . وانظر البكري (ص ١١٨) الذى يشير فقط الى فتح لاقى في جيمادى الثاني سنة ١٧٤ هـ / أكتوبر ٧٩٠ م ، ويقول : وهو موضع من أعمال اليمن الباقية . والعقيقة له . اذا كان البكري (ص ١١٢) يصف بعض المواضع التى تسمى شمالكنيسة : على طول الطريق ما بين سنتة الى طاس . كما يبنى قايما ذكرينات لها . قديمة أو - كما نرى فى المثلثة - بالظاهر - ان رواية ابن زرع تريد ان تسجد الامام ادريس بخصم أسنالة (انظر قينا بندا لكذا ٥٢ ص ٤٣٥) . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ . والتريجة ج ٢ ص ٢٠ .

(٤٧) انظر قرطاس ، ص ٧ .

(٤٨) القرطاس ، ص ٨ - ١٠ . وقارن ابن خلدون (عن الأندلس) ج ٤ ص ١٤ . والتريجة ج ٢ ص ٢٠ . وابن خلدون (ج ١ ص ٨٤) الذى يضيف الى ذلك كرو ادريس فى تونس الأقصى وذكره مدينة تلمسة .

السنة/ديسمبر ٧٨٩م (٤٩) . وكانت بتلمسان قبيلتا غراوة وبنو يفرن،
برباتيان ، والسيادة للقبيلة الأولى وزعيمها محمد بن خرز بن صولات
ميرازي . وكانت حبيبة الامام العلوي كافية لخضوع محمد بن حزر دون قتال:
« اسرع بطلب الامان ويبيع لادريس هو ومن معه من قبائل زناتة بالامامة -
وبذلك دخل الامام تلمسان صيلحا ، وكان اهم عمل دام به هناك هو بناء مسجد
المدينة الجامع ، وصنع منبر جميل كان يحمل نقشا يحدد تاريخ انشائه ،
وهو : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به ادريس بن عبد الله بن حسن
ابن الحسن بن عبي بن ابي طالب رضي الله عنهم ، وذلك في شهر صيف
سنة ١٧٤ (يونية - يولية ٧٩٠م) (٥٠) » وهذا يعني ان ادريس اقام في
تلمسان الى سنة ١٧٤ هـ ثم انه عاد الى وليلى . والظاهر انه مر في طريق
حرده بمنطقة تازا التي وصلها في جمادى الآخرة من نفس السنة (١٧٤هـ/
اكتوبر ٧٩٠ م) حيث اطاعته القبائل هناك ، كما يقول ابن يداري الذي
يصيف انه كلمت له الامارة في هذه السنة (٥١) .

وفاة ادريس الاول :

ويفهم من رواية القرطاس ان توجيه ادريس لانظاره نحو المشرق من
وليلى - بفتح تلمسان - اثار ذعرا لدى الخلافة بالمشرق . فابن ابي زرع
يقول . انه اتصل بالرشيد ان ادريس قد استقام له امر المغرب وأنه عزم
على غزو افريقية ، وان الرشيد اهتم لذلك غما شديدا ، فارسل الى وزيره
يحيى ابن خالد البرمكي ، وقال له : « ان ادريس ملك تلمسان وهي باب
افريقية ، ومن ملك الباب اوشك ان يدخل الدار » (٥٢) . وفكر الخليفة لم
ان يرسل جيشا لمحاربة العلوي لولا بعد الشقة ، ولكن البرمكي اشار عليه
باستخدام الدهاء في التخلص من ادريس - كما تخلص من واضح الذي سهل
له الهرب فقتله (٥٣) . ووكّل الرشيد الى وزيره تدبير الامر ، فاشترى يحيى

(٤٩) الحلة السرية . ج ١ ص ١٠٠ .

(٥٠) روض القرطاس ص ٨ . ولان ابن خلدون . ج ٤ ص ١٣ والترجمة . ج ٢

ص ٥٦٠ .

(٥١) ابن يداري . ج ١ ص ٨٤ . وانظر الحلة السرية لابن الأبار ج ١ ص ١٠٠ .

ترجمة ابراهيم بن الألب . ج ١ ص ١١٨ .

(٥٢) القرطاس . ص ٨ .

(٥٣) البرمكي ص ١٢٢ . الحلة السرية لابن الأبار . ج ١ ص ٥٢ . ابن حبان .

ج ٢ ص ٨٢ .

٢ ابن خالد أحد شيعة العلويين وهو سليمان بن جرير الشماخ ، الذي كان يريدنا معصبا لآل أبي طالب ، وسيره الى المغرب . وتمكن الرجل من التقرب من ادرس وهو يربص به الى أن تهيأت له العرصة بغياب راشد ، فسمه تم هرب وأفلت من المطاردة فلم يصبه من سيف راشد سوى ضربة كسعت يده وأحرى شجعت رأسه ، ونجح في العودة الى بغداد (٥٤) .

ومن الجائز أن تكون قصة المختيال ادريس بهذا الشكل غير صحيحة ، كما يرى جوتييه (٥٥) . فالروايات لا تختلف فقط في الطريقة التي سم بها ادريس (٥٦) ، بل هناك روايات أخرى لا تنسب تدبير ذلك الى الرشيد يحيى بن خالد البرمكي فقط ، بل تشرك فيه ابراهيم بن الأملب بصفته والي إفريقية والمغرب (٥٧) . وبناء على ذلك فليس من الغريب أن يكون أخصار ادريس وشيعته قد أرادوا له أن يموت شهيداً بدلاً من حنق أذنه ، فمى ذلك استدرار لعطف الجماهير على الأسرة العلوية التي يهدر دم أفرادها غدرا في المغرب بعد أن أريق ظلما في المشرق . هذا ، كما يمكن أن يكون الأمر من نسج خيال كتاب العباسيين أنفسهم ، الذين حملوا من الرشيد - فيما يعد شخصية أسطورية تحيطها حالات من الغرائب والمخائب - والرشيد يستطيع ، وهو جالس في قصر الخلفاء على ضفاف دجلة ، للتخلص من

(٥٤) أنظر البكري ، ص ١٢٠ - ١٢١ (ثلاث صرعات ٢ ، الاستبصار ، ص ١٩٦ ، القرطاس ص ٢٠ ، وابن خلدون ج ٤ ص ١٣ والترجمة ح ٣ ص ٥٦١ .
(٥٥) جوتييه ، ملحق شمس إفريقية (بالفرنسية) ، ص ٣٠٠ .
(٥٦) تختلف الروايات في أمر الطريقة التي سم بها الشماخ الامام ادريس . فتقول رواية أنه دمع اليه قارورة فيها عذبة مسمومة : البكري ص ١٢٠ ، الاستبصار ص ١٩٥ ، القرطاس ، ص ٩ - ١٠) . وتقول رواية ثانية انه سمه في دلامة أو كنانة قطعا يسكن واعطاء النصف الذي يلى الجهة المسمومة من السكنين : البكري ، ص ١٢١ ، الاستبصار ص ١٩٥) . وتقول رواية ثالثة ان الشماخ اتحل العلب فلما شكها ادريس وجعا في أسنانه اعطاه ستونا مسموما (البكري ، ص ١٢١ ، ابن خلدون ج ١ ، ص ٨٣ ، ابن خلدون ج ٤ ص ٧ ، ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٠) . ويقتضى صاحب الحلة السيراء (ج ١ ص ٥٢) برواية اضافية يقول فيها انه سمه في سكة مشوية (وانظر كذلك ترجمة ابراهيم بن الأملب ج ١ ص ٩٨ - ٩٩ م١ .

(٥٧) يقول ابن خلدون ج ٤ ص ١٣ والترجمة ح ٢ ص ٥٦٠ م ان الشماخ حمل ثوبه من الخليفة الى ابن الأغلبي الذي جهره (وانظر ابن أبي دينار ، المائس ، ص ٩٩) . أما عن الرواية التي نقلها ابن الأغلبي في الحلة السيراء ج ٢ ص ٩٠ - ٩١ م - فترجمة ابراهيم

عدوه العلوي في أقصى المغرب ناهون الأسياب (٥٨) .

٢ - ادريس الثاني (بن ادريس) - مولده وطفولته :

وتتفق الروايات على أن ادريس بن عبد الله لم يحتله في سنة ١٧٥هـ / ٩٠ - ٧٩٢ م ، بمعنى أنه ولي ثلاثة أعوام . وتضمن عام (٥٩) ٦ لم يشتد بين ذلك الا صاحب روض القرطاس الذي جعل موت ادريس في أول شهر ربيع الثاني من سنة ١٧٧ هـ / ٢٦ يولية ٧٩٢ م (٦٠) ، بمعنى أنه ولي خمسة أعوام وسبعة أشهر ، هذا ولو أنه يورد التاريخ الأول بعد ذلك (٦١) ، ودفن ادريس

(ابن الألب) فنقول ان السماع بعد أن قام بسبته في سنة ادريس قدم على ابراهيم بن الألب وأخبره بما حصل . فكتب ابراهيم الى الرشيد بذلك ، فوكل السماع بريد مصر وأجازة . وذلك فوجع ابن الألب عملاً في الحلة السمرية (ج ١ ص ١٠٠) رواية بعض لغوي الكتاب عن كتبه الى هذا التضاد التاريخي ، فنص على أن ابراهيم بن الألب هو الذي دس بعض أصحابه - أثناء ولايته للراب - لاختياله ادريس ، فدخلوا ويسعوا الى ابراهيم برأسه . وتضيف تلك الرواية : ان ابراهيم أخبر ابن العكي (والي الرقبة حينئذ) بالأمر فنسب العكي ذلك الى نفسه وكتب الى الرشيد به لئلا ين أخته صاحب البريد بما قام به ابراهيم من ذلك سبباً في عزل العكي وتولية ابن الألب الرقبة . وليس من الغريب أن يكون الرشيد قد أخبر واليه على الرقبة بما كان يدبره لادريس ، وأن يطلب منه تقديم العون له ، وهذا ما يعنى عليه الطبري (أخبار سنة ١٦٩) ، وان كان يحصل كتب الرشيد الى ابراهيم بن الألب - والمعروف ان ابراهيم بن الألب لم يل الرقبة الا في سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م ، وأنه كان قبل ذلك والياً عن الزلب . لم والي الرقبة في الوقت الذي توفي فيه ادريس فكان نصر بن حبيب الطبري (من رمضان سنة ١٧٤ هـ / فبراير ٧٩١ م الى المحرم من سنة ١٧٧ هـ / أبريل ٧٩٢ م) .

(٥٨) وهذا ما يصر عنه بعض شعراء العباسيين في شعر نقله الطبري ، وفيه يقول :

أظن يا ادريس أنك قلت كيد الخليفة أو يهد لبراد ملك كان ملوت ويتبع أمره حتى يسمال : تطليح الأمداد

(الطبري ، أحداث سنة ١٦٩) . وانظر الجزائلي ، زهرة الأوس ، ص (١) - حيث يضيف كرامة للإمام ادريس إذ يقول : « وظهر جسده يكفنه في سنة ٧١٨ هـ ، وإذجم البنس عليه من سائر أقطار المغرب حتى غيب الفتنة بسبب ذلك . فبسط أمير المسلمين أبو سعيد ابن بطوطه يثر عبد الحق - لتبليغ الله أصالة - بطريقهم وتقسيم الثمن من أجل ذلك . كلاً . ودفنت عليه في أمر سلطاني يظن بذلك » .

(٥٩) انظر الكبرى ، ص ١٢١ ، الاستمصار ، ص ١٩٦ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١٠ ، ابن خلدون - ج ٤ ص ١٢ والترجمة ج ٢ ص ٥٦١ ، الحلة السمرية لابن الألب (ترجمة ابراهيم بن الألب ، ج ١ ص ١٠٠) : حيث يحصل ولادته في سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م ، وتضيف في قبيل ، سنة ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م .

(٦٠) روضي القرطاس ، ص ١٠ ، والذي يثبت النظر بأن صاحب هذه الرواية يحصل جوليد ادريس الثاني في سنة ١٧٧ هـ ، (انظر ص ٤٢٨ وما ٧٢ ، ص ٤٢٩ حيث يحصل عليه صليح ذلك) .

(٦١) روضي القرطاس ، ص ١٠ (رواية التوقلي وابن الألب)

ما يقرب من وليلى ، وشغرت الامامة بعده ، اذ انه لم يترك وريثا . ولم تستمر الامامة شاعرة الا لمدة اشهره ، اذ كان ادريس قد ترك جارية ليحيى الليثي . تسمى كثره ، حبلن . فيجمع راشد رؤساء القبائل واقفق معهم على ان ينتظروا ماذا يكون من امر الجارية ! فان وضعت ولدا كان وريث والده ، وان كان المولود جارية امروا على انفسهم من اردادوا (٦٤) . ويظن حوتيبه ان ذلك لم يكن الا مناورة من راشد او من رؤساء القبائل ، وانه كان من الطبيعي ان يكون المولود ذكرا ، ولو جاء جارية لكان من الممكن تدبير الامر - اى استبدال ولد بالجارية (٦٥) . وهو في ذلك يرى ان الليثي كانوا في حاجة الى امام له من الهبة (البركة) ما يملى احترام سلطابه على الجميع (٦٤) . ومع وجاهة هذه الهبة ، فنحن لا نستطيع ان نخوض في احتمالات قصصية جديدة لذي يكفنا مدخلى الروايات التاريخية من الاساطير التي تجعل الوصول الى الحقيقة من الصعوبة بمكان (٦٥) .

والمهم ان زعماء القبائل استمعوا الى رأى راشد الذي اخذ على عاتقه ادارة الامور ، فكان يصلى بالناس ويحكم بينهم (٦٦) . وبعد شهرين من وفاة ادريس وضعت كنزة غلاما سمى باسم والده تيمنا ، فهو ادريس بن ادريس (٦٧) . او هو ادريس الأصغر ، كما يسميه ابن خلدون (٦٨) . وظل راشد يشغل

(٦٤) القرطاس . ص ١٠ - ١١ . وقارن ابن خلدون . ج ٤ ص ١٣ (الذي يقول ان اوردة ناموا ادريس الأصغر . حلا ثم رقبها ثم فصلا الى ان شب ٤٠٠) .
(٦٥) جوتية . ماضي شمال الفريجية (بالفرنسية) . ص ٢٠٠ .
(٦٤) نفس المرجع .

(٦٥) والحقيقة ان توجد رواية يوردها البكري (ص ١٢٢) تثير موضوع العلاقة بين راشد وبين ادريس بن ادريس . وتبطلها نوعا من التنس ، مما جعل بعض شعوم الادارسة في الكثر بلقبون لعل ان ادريس ابن ادريس هو ابن راشد حقا . كما فعل محمد بن السهمري الذي قال شعرا يهجو به القاسم بن ادريس بن ادريس بالقبيلة .
لما رأينا للشمس مصابيا
أهتدنا لها ان جنتك راشد
(٦٦) نورهس القرطاس . ص ١١ . البكري . ص ٢٢٢ . الحلة السيرة . لابن الاثير . ج ١ ص ٥٣ . ٤٠٠ .

(٦٧) انظر البكري (ص ١٢٢) الذي يجعل مولده في ربيع الاخر سنة ١٧٥ هـ / ٧٨١ م . وقارن القرطاس (الذي يفسر سبب تسميته بادريس ، فيقول انه كان يشبه الناس بوالده . حتى قالوا . هذا هو ادريس سميت كاله لم يموت . ويجعل ابن ابي زرع مولده في قرية اسمها كنزة) ولا نعرف ان كان ذلك صحيحا ام ان الامر اشكل عليه فخلط بين اقسام جدته الوليد واسم القرية) في ٣ رجب سنة ١٧٧ هـ / اكتوبر ٧٩٢ م (ص ١١) .

منصب الرضى ويرعى الغلام ، فادبه أحسن الأدب وأقرأه القرآن ... فنحفظه
الصفير وهو ابن ثمانية أعوام - وعلمه السنة والفقه والنحو والحديث والشعر ،
وأمثال العرب وحكيها ونير ملوكها ، كما دربه على ركوب الخيل والرمي
بالسهام ومكايد الحروب (٦٩) .

أماهته :

وقدر لادريس أن يلي الإمامة وهو صبي صغير لم يبلغ من العمر إلا
أحدى عشرة سنة . ويتفق معظم الكتاب على أن تنصيب ادريس للثاني يتم
في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م (٧٠) ، رغم أنهم يقولون أنه ولد عقب وفاة ادريس
الأول في سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م . ولو صح ذلك لكان عمر ادريس الأصغر
حينئذ حوالي ثلاثة عشر عاما وليس أحد عشر : وهذا ما يظهر في رواية
البكري وابن عذاري التي حددت ولاية ادريس بن ادريس بسنة ٢٨٧ هـ /
٨٠٣ م ، وأضافت : وهو ابن احدى عشر سنة ، ثم أتبع ابن عذاري
ذلك بقوله : وقيل أكثر من ذلك ، (٧١) . ولهذا السبب نعتقد أن إجماع
الكتاب على أن ادريس الثاني ولي الإمامة وعمره احدى عشرة سنة هو الذي
جعل صاحب روض القرطاس يحدد وفاة ادريس الأول بسنة ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م (٧٢) ،
حتى يصح الحساب . أما عن مشكلة التوفيق بين ما يكاد يجمع عليه الكتاب
من أن ادريس الأصغر ولي الإمامة في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م ، وأنه كان له عن
العمر احدى عشرة سنة ، فنعتقد أنها مرتبطة بوفاته راشد مولى ادريس الأكبر ،
فمهما ما يقوله صاحب القرطاس - وينسبه إلى البكري ، من أن راشد لم يتم
حتى أخذ البيعة لادريس بالمغرب (٧٢) ، فإن معظم الكتاب - ومنهم البكري
فمنه (٧٤) - يتفقون على أن إمامة ادريس الأصغر تمت بعد وفاة راشد ،
وإن اختلفوا في تجديد قدي ذلك - فصاحب القرطاس يقول إن راشد اغتيل

- (٦٨) المير ، ج ٤ ص ١٣ (الترجمة ج ٣ ص ٥٦١) .
(٦٩) القرطاس ، ص ١١ ، وانظر البكري ، ص ١٢٢ (رواية التوفيق : علي بن محمد
بن سليمان بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - الذي يطلق عليه البكري بسن
إخبار الميريين - انظر البكري ، سنة ١٦٩ ، طب : ذخائر العرب ، ج ٨ ص ٢٠٠) .
(٧٠) ابن خلدون ج ٤ ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦١ ، القرطاس ، ص ١٣ ، وقيل
الاستبصار (ص ١٦٦) الذي يحدد بيعة ادريس بن ادريس بسنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م - ٨٠٨ م .
(٧١) البكري ، ص ١٢٢ (يوم الجمعة ٧ ربيع الأول سنة ١٨٧ هـ / ح ٥ ص ٢٨٤ م) .
ابن عذاري ج ١ ص ٢١٠ .
(٧٢) انظر ص ٤٢٧ ، وح ٦٠ .
(٧٣) انظر القرطاس ، ص ١٣ .
(٧٤) انظر البكري (ص ١٢٢) الذي جعل ولادة راشد سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م .

بتدبير إبراهيم بن الأغلب قبل مبايعة ادريس الثاني ، وهو يحدد تلك البيعة بعشرين يوماً بعد قتل راشد (في غرة ربيع الأول سنة ١٨٨ هـ / ١٧ فبراير ٨٠٤ م (٧٥) . أما عن رواية الاستبصار فتزيد الأمر تعقيداً ، إذ تجعل بيعة ادريس بعد وفاة راشد ولكن في سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ - ٨٠٨ م (٧٦) . أما ابن خلدون فيذكر - مثل غيره - ان بيعة ادريس بن ادريس كانت في سنة ١٨٨ هـ في مسجد ويلي ، وان الامام الصغير كان يبلغ من العمر إحدى عشرة سنة ، وأنه كان في رعاية ابي خالد بن يزيد بن الياس العبدى ، ولكنه يتبع ذلك بان ابن الأغلب اغتال راشد قبل ذلك بستين (٧٧) .

والحقيقة انه يمكن أن نجد معناه المشككة في رواية ابن خلدون هذه . فعلى أساسها يكون لادريس بن ادريس أحد عشر عاماً عند وفاة راشد (في سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م ، كما في البكري) ونعتقد انه كان من الطبيعي أن تبايه القبائل بعد وفاة مربيه ووصية . ولقد تمت تلك البيعة الأولى تحت اشراف ابي خالد بن الياس العبدى الذي آلت اليه الوصاية على ادريس الأصغر (٧٨) . ونعتقد أنه في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م ، وبعد أن تخطى ادريس الثالثة عشرة من عمره ، اعتبر راشداً غير قاصر . فبايعة القبائل على انه الامام الذي يستطيع ممارسة سلطانه دون وصاية . وهذا ما يقوله فعلاً ابن خلدون بعد روايته الأولى وان لم يحدد له تاريخاً (٧٩) . أما عن التاريخ المسمى يحدده الاستبصار وهو سنة ١٩٢ هـ . فنعتقد انه صحيح هو الآخر . وهو متعلق ببناء مدينة فاس ، كما سنرى ، فقد كان لابد من مبايعة الامام في عاصمة البلاد الجديدة ومستقر الامامة .

وبناء على ذلك يكون ادريس الأصغر قد بويح مرات ثلاثة : في سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م بعد تخطيه الحادية عشرة ، وكان تحت الوصاية - إذا جاز هنا استعمال هذه الكلمة - ، وفي سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م بعد أن تخطى الثالثة

(٧٥) القرطبي ، ص ١٢ : ورواية القرطبي هذه - التي نقلها عن عبد الملك الوران - تقول ان عزم راشد على مبايعة ادريس بن ادريس بالامامة كان السبب في أن دبّر إبراهيم بن الأغلب اغتياله .

(٧٦) الاستبصار ، ص ١٩٦ .

(٧٧) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ والترجمة ، ج ٢ ص ٥٦١ (يذكر اسمه : ابو خالد ابن يزيد) .

(٧٨) انظر البكري ، ص ١٢٢ ، الاستبصار ، ص ١٩٦ ، القرطبي ، ص ١٣ .

(٧٩) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦١ .

عشرة وأصبح راشدا تماما غير قاصر - وهي البيعة الكبرى - ، واخيرا في سنة ١٩٢ م / ٨٩٧ - ٨٠٨ م بعد بناء العاصمة فاس .

قبروان آخر بالمغرب الأقصى : بناء مدينة فاس :

نشر العروبة في المغرب الأقصى :

تعتبر مبايعة ادريس بن ادريس بالامامة سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م نقطة تحول هامة في تاريخ الدولة الادريسية الناشئة . فحتى ذلك الحين لم يكن للامام وفي الحقيقة ، بأكثر من لاجئه لدى قبائل البربر بالمغرب الأقصى - رغم التركيز الممتاز الذي كان له بين القبائل والسيطات الكبرى التي كان يمارسها . فالامام كان مدينا يركزه هذا الى هبة الأسرة العلوية وبيت النبوة والى ما تحلوه به من الصفات : من الصلاح وتملك الشبهات والفضل ، وإشارة العدل والاقبال على عمل الغير (٨٠) ، الى جانب نشاط راشد وحسن تديره ، لما عن موقف الامام الخاص - في البيعة الجديدة - فكان موقف المغرب الوحيد ، الذي استبدل بأودية مكة وحررات المدينة جبال طنجة ومدينة وليلة ، ويعرب الحجاز والجزيرة برب السوس والمغرب ، وبالأهل والأصدقاء اتباعا مخلصين - ولكنهم من لون جديد . حقيقة ان ادريس الأول أخذ يستقبل اعدادا من الوافدين - عليه من الحجاز ، من أهله وأنصاره : مثل أخيه سليمان - الذي استقل أبنائه بالمغرب الأوسط فيما بعد (٨١) - وابن عمه داود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٨٢) الا ان هؤلاء كانوا قلة قليلة لم تستطع أن تقهر من طبيعة الاحساس المغربية . والدليل على ذلك ان بعض هؤلاء الوافدين فضلوا العودة الى وحشة المشرق على البقاء في أمن المغرب ، مثل داود بن القاسم الذي رجع الى المشرق على أيام ادريس بن ادريس ، وان كانت ذريته قد بقيت في المغرب (٨٣) .

من هنا الوجه بدأ تغير جديد ، اعتبارا من مبايعة ادريس الثاني سنة ١٨٨ هـ ، وممارسة الامام الشاب لسلطانه ، لا أخذ يحيط نفسه بحاشية

(٨٠) انظر ابن عسكري ، ج ١ ص ٨٤ .
(٨١) انظر الكبرى ، ص ١٢٢ . ابن عسكري ، ج ١ ص ٩١ . ابن خلدون ، ج ٤ ص ٦٢٢ .
والترجمة ج ٢ ص ٥٦٠ ، القرطبي ، ص ٤ .
(٨٢) الكبرى ، ص ١٢٢ . ابن عسكري ، ج ٦ ص ٧١٠ .
(٨٣) الكبرى ، ص ١٢٣ . ابن عسكري ، ج ٦ ص ٧١٠ . وكلاهما القرطبي (ص ٦٢٢) .
ابن القاسم أيام ادريس الأصغر ، ص ١٢٣ .

عربية وحرس عربي ، على نيجو مالوف . وكان ذلك يعنى - فى نفس الوقت -
 العمل على نشر المروبة فى الدولة الناشئة الى جانب نصر الاسلام . ففى
 السنة التالية (١٨٩ هـ) وفد على ادريس الأصغر جماعات من عرب افريقية
 والاندلس : من القيسية والأزد - ومدينج وبنى يحصن والصدق وغيرهم ،
 من نحو الحسمافة رجل (٨٤) . فرحب بهم الامام الشاب . وجعلهم بطانته
 دون البربر ، فاعتز بهم لانه كان فريدا بين البربر وليس معه عربية (٨٥) .
 وبذلك بدأ التعريب - كما نقول - فاتخذ الامام وزيرا من الأزد وهو عمير بن
 مصعب الملقب بالملجم - وهو من سادات العرب وكان لأبيه مصعب مائى
 عظيمة بافريقية والاندلس ثم مشاهدته فى غزو الروم (٨٦) - . كما انه اتخذ
 قاضيا من القيسية - هو حافر بن مخيم بن سميد ، الذى كان فقيها صالحا
 صنع من مالك بن انس وسليان الثورى وروى عنهما ، ودخل الاندلس
 مجاهدا ثم جاز الى العدة (٨٧) . اما كاتبة فكان أبو الحسن عبد الله بن مالك
 الخزرجى الانصارى (٨٨) . وكان ولده العرب الأول هذا بديه سبتل من الهجرة
 العربية من الاندلس وافريقية نحو ادريس الثانى . ولقد ساعد على ذلك
 وقوع اضطرابات فى الاندلس وافريقية دفعت الكثيرين من عربها الى الهجرة ،
 مثل اضطرابات رضى قرطبة (٨٩) ، وثورات الجند العربى فى افريقية على
 ولاية بغداد (٩٠) . وهذا ما ينص عليه ابن أبى زرع عندما يقول : ولم تزل
 الوفود تقلم عليه من العرب والبربر من جميع الأفاق ، فكثر الناس وضاعت

(٨٤) القرطاس ، ص ١٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ والترجمة ، ج ٢ ص ٥٦١ ، زهرية
 الأس ، ص ١٢ .

(٨٥) نفس المصدر السابق .

(٨٦) القرطاس ، ص ١٤ ، ولان بن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ والترجمة ، ج ٢ ص ٥٦١ .
 (تيسى) الوتر مصعب بن زهير الأزدى ، يقول ان سبب تسميته بالملجم هو انه جرح فى
 اليد من ضرمة سيف و قالها خطاب .

(٨٧) القرطاس ، ص ١٤ (العدة بنى البر من حيث يختار البحر ، واطلب الكلمة
 على شاطئ بحر الزقاق بين الاندلس والمغرب ، فهما العدةتان : عدة الاندلس وعدة المغرب
 أو افريقية . والكلمة فى القرطاس هنا تعنى البر البربرى أو بلاد المغرب التى أصبحت مركز
 النقل على أيام الكلابى (قرن ١٤ هـ) . بعد أن استولى البصارى على معظم الأندلس فأصبح
 البر البربرى هو العدة دون البر الأخر) .

(٨٨) روض القرطاس ، ص ١٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ ، والترجمة ، ج ٢ ص ٥٦٢ .

(حيث الاسم أبو العيسى عبد الملك بن مالك الخزرجى) .

(٨٩) انظر فيما سبق من نداء سبيلنا ، ص ٤٠٩ .

(٩٠) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢١٧ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٠ وما بعدها .



شكل (٨) موقع فاس وتخطيط المدينة

بهم مدينة وليلى (٦١) -

وفي الوقت الذي كان فيه ادريس بن ادريس يؤثق صلته بالعرب
ويقر بهم من نفسه ، كان من الطبيعي ان تكثر علاقته بزعماء البربر اللذين

أخذوا يفقدون بعض ما كان لهم من سلطان سيدنا فشيئا - والمثل الصريح لذلك هو زعيم أوربة اسحق بن محمد الذي بد يصب بوالى امريسية العباسى ابراهيم بن الأغلب ، فكان جزاؤه للقتل بأمر الامام (٩٢) . وهو هذه الظروف الحاسمة التي بدأت فيها كفة العرب ترجح على كفة البربر ، لم يكن من الطيبي ان يظل الامام فى ولىلى - مدينة أوربة - التي أخلت تضيق بأعوان الامام الجدد ، وكان لابد له من اتخاذ حاضرة جديدة أكثر اتساعا وأكثر تمثيلا للاتجاه السياسى الجديد : الاتجاه العربى .

ويؤيد وجهة نظرنا هذه رأى جوتيبه (٩٢) الذى لا يوافق على فكرة ضيق ولىلى بأهلها ، اذ يقول ان خرائب ولىلى موجودة وان مكان المدينة لا يمنع من اتساعها . هذا ، ولو اننا لا نوافق على تفسيره لانتقال ادريس من ولىلى وبنائه لمدينة فاس ، بان سهولة انتقال القبيلة من مكان الى مكان هو الذى جعل نقل المدينة الى موضع جديد عملا سهلا بالنسبة لأهل المشرق ، أسهل من تجديد المدينة القديمة . والحقيقة ان جوتيبه ينظر هنا الى العوامل الجغرافية من طبيعية وبشرية فقط ، ويهمل الظروف السياسية التي كانت بمثابة المحرك بالنسبة لتلك الأحداث .

اختيار موضع فاس :

فى هذه الظروف أعلن الامام ادريس الاصغر ، فى سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م ، عزمه على الانتقال من ولىلى . واتخاذ مدمه يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته ، وركب فعلا لاختيار الموضع المناسب للعاصمة الجديدة (٩٤) . ووقع الاختيار على جبل يعرف بزالح ، وأعجب الامام بأرتفاعه وطيب تربته وأعتدال هوائه ، وقرر ان يختط مدينته فى السفح الشمالى لهذا الجبل . وشبرع فى البناء فعلا ، وم جزء من بناء السور ، ولكنه اضطر أن

(٩٢) انظر البكرى (ص ١٢٣) ، الذى يصر على أن انا خالد يزيد بن الياقنى الذى قام بأمر ادريس بعد وفاة راشد القتل انا ليل اسحق ، ويحدد ذلك بيوم السبت ٦ من ربيع الحجة سنة ١٩٢ هـ / ٢٢ أكتوبر ٨٠٨ م . ويشير إلى است هرايه إلى المشرق مع فهد وسليمان ابن عميد الرحمن . - أى فى نفس السنة التى بدأ فيها تأسيس مدينة فاس سنة ابن حلدون . ج ٤ ص ١٢ والترجمة ج ٢ ص ٥٦١ . وانظر فيما سبق (عن استجابة الزعيم الزناتى يهلول بن عبد الواحد لأفراء الرشيد وابن الأغلب) ، ص ٣٩ وهـ ٥٧ .

(٩٣) جوتيبه ، ماضى شمال إفريقيا ٠٠٠ (بالفرنسية) ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٩٤) روى القرطاس ، ص ١٤ - ١٥ .

اختيار الموقع لم يكن موفقا : فعندما نزلت السيول ذات ليلة على الجبل - هدمت ما كان قد بني من السور ، كما جرفت في طريقها ما كان حوله من حيام العرب ، قرأى أدريس أن يترك البناء في ذلك الموضع (١٥) . وبذلك دشلت أول محاولة لبناء العاصمة الجديدة - حسب روايات القرطاس - وستتمثل محاولة ثانية في العام التالي .

في المحرم من سنة ١٩١ هـ / نوفمبر ٨٠٦ م خرج لدريس في رحلة صيد لتغيير موضع مناسب ، ووصل إلى وادي سبو ، بالقرب من الينابيع الساخنة المعروفة بحمة خولان - التي تسمى حاليا باسم سيدي حرازم على بعد ١٥ كيلو متر شرق فاس (١٦) - وأعجب بالموضع لقربه من ماء النهر المنب من الحياصات الساخنة - وتقول الرواية انه بدأ في العمل ليلا فحفر الأساس وعمل الجير وقطع الخشب ، وابتدأ بالبناء . ولكنه عندما حل فصل الشتاء ورأى فيضان النهر خشي أن تتكرر تجربة العام السابق فيهلكه الناس ، فرجع يده عن البناء وعاد أدراجه إلى ويلي (١٧) .

وعندئذ رأى الامام ان يستد الأمر إلى وزيره عمير بن مصعب الذي خرج في نفس السنة (٨١١هـ) كما يفهم من رواية القرطاس ، نتجح في اختيار الموضع المناسب ، وذلك في فحص أسايس حيث الأرض نسيحة معتدلة بين جبلين ، والمياه كثيرة تخرج في هدوء من العيون التي تميز أحد روافد نهر سبو وهو وادي فاس ، وحولها الأشجار من الطرقاء والطخش والعرعار والكلكغ وغيره (١٨) . ولم يكن الموضع مهجورا بل كانت فيه مضارب لقبيلتين زقاتيتين هما : زواغة - وتعرف ببني الخير - (حول عدوة القروين) وبنو يزغتن (حول عدوة الاندلسيين) (١٩) . كل واحدة منهما على ضفة من

(١٥) انظر القرطاس (الذي ينقل رواية ابن غالب) ، ص ١٥ .
(١٦) انظر ليلى برونسال ، تاسيس مدينة فاس (بالترجيبة ، Islam d'Occident, La Fondation de Fès, Paris, 1948 ص ٦ ومايلي ، ١٤ ، والترجيبة العربية ، طبعة إدارة الثقافة ، الإثف كتاب ، ص ٤ هامش ٢ . وانظر لتورنو الذي يعلق بهامش برونسال في دراسته عن مدينة فاس :
R. Le Tourneau, Fès avant le Protectorat, Casablanca, 1941, p. 31 et suiv.

(١٧) القرطاس ص ١٥ .
(١٨) القرطاس ، ص ٢٥ - ٢٦ .
(١٩) القرطاس ، ص ١٦ - ١٧ حيث نجد قراءتي : بنو يزغتن وبنو يزغتن ، وانظر في ذلك المراجعة الأولى لهما أكثر استصلا في النص وكذلك فعل برونسال في تاسيس مدينة فاس (الأصل ، ص ٢٦ وإلهام ٤٧ ص ٤٠ والترجيبة ص ٤١ والهامش ٢) وذلك

ضفتن النهر- الصغير - وعاد- الوزيون- يخبر الامام بالموضع الممتاز الذي تتوفر فيه كل مزايا موضع- المدينة النموذجية- من الماء الجارى ، والمحراث الطيب ، والملحط القريب (١٠٠) - ووافق الامام واشترى الموضع بستة آلاف درهم- قال منها بنو يزغتن ٤٥٠٠ (الفى وخمسائة)- درهم وزواجة - ٣٥٠ ثلاثة- آلاف وخمسائة) درهم ، واشهد عليهم بذلك ، ويفهم من رواية القرطاسين ان شراء موضع بنى يزغتن تم أولا ، وكان محرر المقدم ابا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي ، كاتب الامام (وذلك فى سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦-٧-٨ م) - (١٠١) .

- وكان مجرى الامام الى مختارب القبيلتين خيرا بوبركة عليهما - اذ كانه - صالح بينهما بعد ان كانت بينهما نزاعات وحروب - وهنا نلاحظ ان الرواية تبالغ - من غير شك - عندما تذكر ان البربر فى ذلك الموضع كانوا على النصرانية واليهودية وعنى المجوسية ايضا ، وانه كان لبني يزغتن - (اصحاب موضع عنوة الاندلس) - بيت - فار هناك (١٠٢) . والرواية هنا يقصدون نسبة اعمال باهرة وخدمات جليلة الى بانى مدينة فاس (١٠٢) ، الذى ادخل فى الاسلام اشتاتا من اصحاب الديانات والعقائد المختلفة .

• اقرب هذا الاسم من اسم القبيلة المشهورة حاليا فى جنوب فاس ، وهى قبيلة بنى يزغنة ، لما ابن خلدون (ج ٤ ص ١٢ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢) فتجد القراءة فيه يوزن وبرغن . هنا بينما يرى الردييل فى ترجمته لزهرة الاس (النفس ص ١٤ والترجمة ص ٤٠) انه لم يكن من المعلوم لديه وجود قبيلة مراكشية باسم « برغن او برغن » - حسنا يوجد فى نص الجزائى - فانه يعيد قراءة الاسم فى شكل « بنى يزغني » الذى هو اسم قبيلة من جنوب فاس .

(١٠٠) القرطاس ، ص ١٣ - ١٧ .

(١٠١) القرطاس ، ص ١٦ (وزهرة الاس ، ص ١٤) .

- (٢-٢) - القرطاس ، ص ١٦ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢ ، دأبطر الكبرى (ص ١١٦) ، الذى يجهل اسم « ابراب ، فليس ، وهو ابيان الشرقى » . يجهل اسم باب الكنيسة .

(١٠٢) ، وفى مقام مولانا ادريس فى نفوس اهل المغرب ، يقول - استرجع ابن الهيثام - الصحاف اهل الزمان ماخبار ملوك تونس وعهد الامان - تونس ١٩٦٢ - ص ٤٦ : « والمغرب مسلم الكريمة اهل البسمة جيا ارض بيتا حتى انهم جميعا يتقنون انه سلطان المغرب حقيقة هو مولانا ادريس يفتنى با فيهم من الخير والسادة الاسلامية ، من عظيم الأثر والصلح والصالحين . » .

البناء : عدوة الأندلس :

وعلى أساس تلك الروايات التي جمعها ابن أبي رزق ، تكون مدينة
دمس قد بنيت على دفتين الأولى ابتداءً من سنة ١٩١ هـ / ٨٠٧ م . عندما
اشترى الامام موضع اليرحنتين ، وبني فيه الحرم من المدينة الذي سيعرف
بعدوة الأندلس ، على الضفة الشرقية لنهر فاس . في غرة ربيع الأول من
السنة التالية ١٩٢ هـ / ٤ يناير ٨٠٨ م (١.٤) . ووضح الامام حيجر الأساس
بنفسه ، بعد أن دعا لمدينته الجديدة بأن يجعلها الله دار علم وفقه يتلى بها
كتاب الله ، وتقام بها حدوده ، ولأهلها بأن يجعلهم الله مستمسين بالسنة
واجتماعه طالما بقيت المدينة (١.٥) . وجاهد بناء الأساس ثم دور الامام والمسجد
الجامع الذي عرف بجامع الأشياخ ، كما نصبت الخيام ، وأحيط كل ذلك
بسوار (جدر) من الخشب والقصب ، وذلك في الموضع من المدينة الذي
تurf بحرؤوة (كرواة) والذي مازال يحتفظ بهذا الاسم الى اليوم (١.٦) .
وبناء المدينة بهذا الشكل يدل على أنها كانت بسيطة أشبه ما تكون بقرية من
قري الحبال الفقيرة فعلا . كما يقول بروغنسال (١.٧) .

عدوة القرويين :

كما اجراء الثاني من المدينة بدأ ببنائه في غرة ربيع الآخر من السنة

- ١٠٠٤ القرطاس ص ٩ الكرى ص ١١٥ وص ١٢٣ بقوت صحح اللغات -
دمس ، من حلدون ج ٤ ص ٣
(١٠٥) القرطاس ص ١٩ - ٢ - من الأس ص ١٧
(١٠٦) القرطاس ص ١٦ من حلدون ج ٤ ص ١٢ كرواه ، وفي تصحيح اسم
حرواة يقول الحرثاني . رهيرة الأس ص ١٤ . الامام ادريس بعد أن ضرب الضيعة
ومهايه بالموضع . دور عنه حرواة من الحسب فسمى الموضع حرواة للمشهد . فعلا .
كما يعني ابن جرؤوة باللغة المحلية كانت تسمى اشياخ . وهو ما يعنى عليه الجزائلي بعد
ذلك . ص ١٩ ، ٣١ يقول ابن الامام حر بالسور المرووف بالحرواة . وانظر دواة بروغنسال
(من تأسيس مدينة فاس) الذي يقبل تفسير كلمة جدر (حح حدر) على أنها تصريف للأسم
البربري القينيلى أسادير وأنها تعنى المنطوق الجماعية ، أو المجلس ومنها اشتقت كلمة اجروا ،
التي أطلقت على بعض مخاليس القليم الريث والتي اشتق منها اسم جرواوا - موضع فاس
الأولى - الذي يعني المسكر (الأصل القرسي . ص ٢٢ وهامش ٤١ ، ٤٤ ، ص ٢٨ ، ٢٦ ،
والترجمة ص ٢٤ وهامش ١ وص ٢٥ وهامش ١)
(١٠٧) انظر بروغنسال ، تأسيس مدينة فاس ، الأصل الفرنسي ص ٢٢ ، والترجمة
العربية ، ص ٢٤ - ٢٢ .

ثالثية (١٩٣ م/ ٢٢ يناير ٨٠٩ م) (١٠٨) ، على الضفة الغربية المقابلة لنهر حاس في موضع رواغة ، وهو الحى الذى سيمرف بعدوة القرويين ، والذى يفهم من رواية القرطاس هو أنه على عكس عدوة الأندلس التى كانت أشبه بقرية زعوية ، اتخذ بناء عدوة القرويين هذه شكل المدينة فعلا ، فقد ترك الإمام الموضع الأول واتجه الى الضفة المقابلة لكثرة الميوس والأشجار ، ونزل فى موضع يعرف بالمقرمنة ، وبدأ ، كما هى العادة فى بناء المدن الجديدة ، بإقامة للمسجد الجامع الذى عرف فيما بعد بجامع الشرفاء (١٠٩) ، ثم بنى دار الإمارة التى عرفت بدار القيطون ، أى دار العسقاط ، لأن الإمام ضرب على موضعها قيطونه أى فسطاطه أو قيته أول ما نزل ، وإلى جانب المسجد بنى القيسارية ، وهى سوق المدينة المركزى كما أقيمت الأسواق والحوانيت حوالى الجامع من كل جانب (١١٠) .

وحول هذا المركز الذى يمثل المدينة الحكومية ، اتسعت المدينة الناشئة بسرعة ، بفضل تشجيع ادريس بن ادريس الذى أمر الناس بإنشاء واعماد الأرض ، فوجد بأن من أبتنى موضعاً واغترسه قبل تمام السور بالبناء كان هبة له ، ولقد ساعد على سرعة عمران المدينة كثرة الأشجار التى وفرت للناس كل ما يلزمهم من الخشب للبناء (١١١) ، كما ساعد على سرعة نموها جماعات الرافدين على الإمام من المشرق ومن الأندلس ، ومن القادمين من المشرق جماعة من العراقيين الذين أنزلهم بناحية عين علون (١١٢) ، وربما كان هؤلاء هم الثلاثمائة بيت من أهل القيروان ، الذين أسكنهم ادريس معه فأعطوا اسمهم لهذا الجزء من المدينة أى عدوة القرويين (١١٣) .

الأسوار والأبواب :

ويبدأ ابن زرع بتفصيلات مطولة عن أسوار المدينة وأبوابها ،

(١٠٨) القرطاس ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ (وفى سنة ٣ = ثلاث ، بعد ما = ١٩٣) ، البكرى ، ص ١١٥ (ياقوت ، المعجم ، فاس) .
(١٠٩) يصف البكرى (ص ١١٦) جامع القرويين الذى بناه ادريس بن ادريس على أنه يحتوى على ثلاث بلاطات طولها من الشرق الى المغرب ١٠٠ وله صحن كبير فيه زيتون وشجر بوله سقايف .

(١١٠) القرطاس ، ص ٢١ .

(١١١) نفس المصدر .

(١١٢) انظر نفس المصدر .

(١١٣) القرطاس ، ص ١٧ .

طبيجمل لمدوة القرويين ٦ ستة أبواب هي : باب أفريقية ، وباب سعنون ،
 وباب الفرس ، وباب الفصيل ، وباب الفرج وباب الحديد - ويحمل لمدوة
 الإندلس ٥ (خمسة) أبواب هي : باب الفوارة ، وباب مقابل باب الفرج ،
 وباب أبي سفيان ، وباب الكنيسة ، وباب مدوة الإندلس (١١٤) . والحقيقة
 أننا لا نعرف أن كانت هذه التفصيلات خاصة بفاس الأولى التي بناها إدريس
 ابن إدريس ، أم بفاس العاصمة المغربية الكبرى ، بعد أن اتسعت على مر
 العصور . ومع أنه ما لا شك فيه أن المدينة ازدادت لواعلى أيام الإمام
 فطحن نبيل لى الراى الأخير . ويرجع ذلك اختلاف أسماء الأبواب وعدادها
 عند البكرى وعند ابن أبي زرع ، كما يرجعه ما يذكره ابن أبي زرع نفسه عما
 أصاب هذه الأبواب من الهمم والتجديد وتغيير الأسماء على عهد أسراء
 فاس حتى أيامه (١١٥) .

مخطط المدينة :

ويعد الفراغ من بناء الأسوار قسم إدريس الأرض المحيطة بالمدينة ،
 مما يلى الابواب مباشرة على قبائل العرب والبربر . ويحدد ابن أبي زرع
 موضع قبائل العرب ، إذ نزلت القيسية بإزاء الأسوار الجنوبية لمدوة
 القرويين ، ما بين باب أفريقية وباب الحديد ، ونزل اليحصبيون على طاقم
 بإزاء الأسوار المقابلة من الجهة الأخرى ، بينما نزلت الأزد فيما بينهما على
 طول الأسوار الغربية (١١٦) . أما عن قبائل البربر من صنهاجة ولوائه
 حراشخان فلا يحدد مواضعها ، ويقول ان كل قبيلة منها نزلت بتأخيرتها (١١٧) .

(١١٤) القرطاس ، ص ٢٦ . وقارن البكرى (ص ١١٦) الذى يحمل لمدوة القرويين
 خمسة أبواب هي : باب الحصن الجديد (قيل) باب السلسلة (شرقى) ، باب التناظر
 (شرقى) ، باب سراج يحيى بن القاسم (جولى) ، باب سوق الأندلس (غربى) ، وباب
 البكرى لمدوة الأندلسيين ستة أبواب هي : باب الفرج (قيل) ، باب الكنيسة (شرقى) ،
 باب أبي خنوف (شرقى) ، باب حصن سعنون (جولى) ، باب العرش (غربى) ، باب
 سليمان (غربى) . وقارن لمرور (Le Tournan) الذى يحمل تخطيط ليهير (Gallard)
 عن المدينة فى أول أيامها فيضيف بابا سابعا لمدوة القرويين هو باب جيسة (Fas, p. 42)
 من المبرور أن هذا الباب يحمل اسم الزماني جيسة الذى بناه . وأنه تلم مع مرور الوقت
 من باب عجيب إلى باب جيسة (القرطاس ، ص ٢٤) .

(١١٥) القرطاس ، ص ٢٢ ، وانظر ص ٢٢ : حيث رواية ابن غالب التى تقدم على
 الأبواب فاس القديمة مع النص على أن بعضها مثل باب حصن سعنون غير بناء إدريس الثاني .
 (١١٦) انظر القرطاس ، ص ٢٦ .
 (١١٧) القرطاس ، ص ٢٦ .

والظاهر ان البربر كانوا قد نزلوا من قبل على الضفة الشرقية في عدوة الأندلسيين ، فامن ابن ذرع يذكر أن ادريس بن ادريس أنزل جميع أحواده وقواده ، وكذلك عدده وهتاده من الخيل والابل والبقر في عدوة الأندلس ، ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه ، وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقة . وعلى هذا الأساس يفسر صاحب القرطاس بقاء مدينة فاس في شكل مدينتين طيلة أيام ادريس وعلى أيام ولده وحتى ملك الزناتيين (١١٨) .

ما بين المدينتين وفاس :

والحقيقة ان بقاء فاس في شكل مدينتين تحمل كل منهما اسمها الخاص امر غريب يسترعى الملاحظة . ولقد تبه بروفنسال ، في دراسته عن تأسيس مدينة فاس ، الى أنه ينبغي توضيح فكرة المدينتين المتجاورتين اللتين اتحدتا نتيجة لعملية تمثيل تاريخية طويلة ، كما انه ينبغي التفرقة بين المعلومات الخاصة ، بكل منهما - وهما في دور النشأة - على حدة ، بدلا من مزجها أو خلطها جميعا بحجة ان العاصمة المغربية الكبيرة من بناء الامام ادريس الأصغر (١١٩) .

وبروفنسال يرى أن المدينة الأثرية أي عدوة الأندلسيين من بناء ادريس الأول في سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ - ٧٨٩ م ، وليست من بناء ادريس الثاني في سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م - وهو يستند في ذلك الى بعض الروايات الجارية ، من الكتب التي لا تعالج مدينة فاس أو تاريخ المغرب نفسه (١٢٠) ، ويرى أنه من السهل أن تكون كلمة « سيمين » قد حرفت الى « تسجين » (١٢١) ، والذي دفع بروفنسال الى تبني هذا الرأي هو وجود عملة مضروبة في فاس يظن

(١١٨) القرطاس ، ص ٢٢٢ .

(١١٩) انظر تأسيس مدينة فاس - الأصل الفرنسي ، ص ٩ - ١٠ والترجمة العربية ص

١٣ - ١٤ .

(١٢٠) انظر تأسيس مدينة فاس لبروفنسال الأصل الفرنسي ص ١٣ - ١٧ والترجمة

عربية ، ص ٢٠ - ٢١ - ٢٢ حيث يورد بروفنسال نصا للتؤرخ الأندلسي الرازي المغربي

٣٣٤ هـ / ٩٥٥ م ، نقل عن ابن الأثير في « الحلة السيرة » (انظر تحقيق مؤلف ، ص ١

٥٧) ، وفي هذا النص يجمع الرازي دخول ادريس الأول المغرب في سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م

، في موضع واثق ، ويستدل بالتأريخ القائل اليه ، وبناء مدينة فاس جنبا الى جنب .

(١٢١) نفس المصدر ، الأصل الفرنسي ص ١٩ والترجمة ص ٢٩ .

لأنها ترجع إل سنتي ١٨٥ و ١٩١ هـ أي قبل سنة ١٩٢ هـ ، وهو التأريخ
المقتواتر لبناء فاس (١٣٢) ، بينما تحمل النقود التي ضربها ادريس الثاني
اسم: مدينة « العلية » وليس اسم فاس (١٣٢) . وقد حمل ذلك يروفنسال
على القول بأن المدينة الثانية هي عدوة القرويين هي التي بناها ادريس
الثاني ، وأنها كانت تحمل في أول الأمر اسم « العلية » (١٢٤) . وبناء على
ذلك تكون « فاس » الحقيقية هي عدوة الأندلس وهي من بناء ادريس
الأول .

والحق ان رأى يروفنسال مقبول ، رغم انه ليس نهائيا ، فالمعروف
ان مدينة الادارسة (أي عاصمتهم) قبل سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م كانت وليلى ،
وان المدينة التي كانت في موضع فاس لم تكن باكثر من قرية فقيرة . ولو
صح أنه ضربت فيها السكة قبل سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م ، فهذا لا يعنى بالضرورة
ان ادريس الأول بناها ، وأنه اتخذها عاصمة ، إذ كان يمكن لبنائه فيها
مثل غيره من النوايا أن يضرب السكة . واذا كان وجود اسم فاس قبل
سنة ١٩٢ هـ يمكن أن يعنى ان الاسم سابق على بناء المدينة الجديدة ، لهذا
جا قوله احدى روايات القرطاس فعلا من أن الامام الأصغر قال : سموها
باسم المدينة البائدة التي كانت في الموضع ، غير أنه أمر بقلب الاسم الذي
كان « ساف » فأصبح « فاس » ، (١٢٥) .

والذى نريد أن نخرج به من هذا ، هو أنه على فرضي أن ادريس الأول
هو الذى بنى قرية فاس الأولى ، وهذا أمر صعب خلال فترة امامته القصيرة ،
لان ذلك لا يقلل من مهابة وعظمة العمل الذى قام به ادريس الثاني ، يانى
مدينة فاس الحقيقية ، مثله في ذلك المنصور العباسي يانى مدينة بغداد .
والإشارة هنا الى بغداد لها مفرزها البعيد ، إذ أن موضعها واسمها لا يرجع
اختيارها الى مزاج المنصور نفسه ، فقد كان الموضع عامرا به قرية قديمة
تحمل اسم بغداد .

(١٢٢) نفس المصدر ، الأصل الفرنسي ، ص ١١ والترجمة ص ١٥ . ١٧ .

(١٢٣) نفس المصدر ، الأصل الفرنسي ، ص ١١ والترجمة ص ١٧ (الجالية) .

(١٢٤) نفس المصدر ، ص ١٣ والترجمة ص ١٩ .

(١٢٥) هناك روايات أخرى عن أصل التسمية ولكنها تتطبع بالطابع الأسطوري . من
ذلك ما يقال عن أن الامام كان يميل بقلبه مع الصناع والفلسفة . كما
لصم وحشة كان يبعث ، به حشر الأسانيد . كما ذكر هذا القاس على السنة الثالثة .
سميت المدينة « فاس » لذلك ، ومنها الرواية التي تقول انه عندما بدأ حشر الاساس وجد في

ومع أن المنصور بنى مدينته على الضفة الغربية لنجلة ، فإن المدينة عندما امتدت عبر النهر إلى الضفة الشرقية التي أطلق عليها اسم الرصانة ، ظلت مدينة واحدة تحمل نفس الاسم ، رغم أن النقود المسكوكة فيها حملت اسم « دار السلام » ، وظلت تنسب إلى بابيها الحقيقي وهو المنصور ، رغم ازدياد العمران في الضفة الشرقية . وبناء على هذا القياس حق لكتساب المغرب أن ينسبوا فاس إلى بابيها الحقيقي ادريس بن ادريس ، فهي من ابتكاره ، لا يقلل من ذلك أن الموضع كان مسكونا ببعض قبائل البربر أو أن قرية باتسة كانت تحمل - على أيام ادريس الأول - اسم العاصمة السعيدة .

ووجه التجديد والابتكار ، من جانب ادريس الأصغر ، هو أنه أنشأ عاصمة عربية في بلاد البربر ، تماما كما فعل عقبة بن نافع في أفريقية ، فأصبحت فاس قروان المغرب الأقصى . ومن هذا الوجه كانت فاس العربية في عدوة القرويين ، حيث أنزل الإمام العرب معه ، كما رأينا ، ولكن الحي الآخر لم يلبث أن تعرب بدوره ، بعد ذلك بقليل ، عندما وصل أهل ضاحية الربيض من مدينة قرطبة بعد أن طردهم أمير الأندلس الحكم بن هشام حوالي سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م . فلقد وصل هؤلاء في نحو ثمانمائة بيت لزلوا في عدوة الأندلس ، وشرعوا بها في البناء يمينا وشمالا ، فسمى الجزء الشرقي بهم (١٢٦) ، وأغلب الظن أنهم عمروا هذا الحي على الطريقة الأندلسية . وتبالغ الروايات في المدينة واتساعها بسرعة ، وتريد أن تجعل منها مدينة عالمية عقب بنائها مباشرة : فلقد أطمعت الأشجار والكرم من سنتها ، وذلك ببركة الإمام (١٢٧) . وكثرت خيراتها فكان الطعام (الزرع) لا يباع بها ولا يشتري

= جهة القبلة فاس كبير طولها أربعة أشجار ، وسعت شبر وزنته ستون وطلا ، فسيت المدينة به - ومنها أن المدينة سميت باسم أول رجل مر بها واسمه فارس ، ولكنه لما كان الرجل ألفا فانه نطق اسمه عندما سئل عنه « فاس » . وآخر تلك الروايات أن المدينة سميت باسم جماعة من الفرس نزلوا بها أثناء بنائها وسقط عليهم جرف فماتوا ثم سبب الناس الاسم لقليل فاس بدلا من فرس (انظر القرطاس ، ص ٢٦ ، وقارن زهرة الأوس ، ص ١٨ - حيث يرفض الجزائي أن يكون قد عمل للإمام فاس من ذهب وفضة على أساس « أن الإمام رضي الله عنه لا يجهل أن استحصال الذهب محرم على الرجال ») .

(١٢٦) القرطاس ، ص ٢٧ (النص يقول « ثمانية بيت » ورأينا أن صحته ثمانمائة بيت ») ، ومن شهابي القرطاس - انظر فيما سبق ، ص ٤٤٧ : ويشير ابن حيان في حوادث سنة ١٩٦ هـ ، إلى أن الحكم بن هشام أمير الأندلس صالح حاكم الفرنجة الذي يسميه « قارله ابن خلفش » - ولو أنه يبرر ذلك بطريقة حكسية ، إذ ينص على أن الفرنجة - بدلا من المرابطين في قرطبة - سلموا الذين نزلوا فاس بطلب ظهور ادريس بن عبد الله الحسيني في أرجاء المدينة . انظر لكتيبات مخطوط كلية الآداب المنصور بجامعة الإسكندرية ، ص ٢٥ .

« (١٢٧) القرطاس ، ص ٢٦ »

أيام الامام وذريته ، فكان وسق الفصح بدرهمين ونصف ، ووسق الشعير بدرهم ، والكبش بدرهم ونصف ، أما الفاكهة فلم يكن لها سعر لرخصتها (١٢٨) .

∴ والمدينة لم تحو المسلمين من العرب أو البربر الذين دخلوا حديثا في الإسلام قط ، بل حوت اليهود أيضا . فيقول ابن أبي زرع انه اجتمع بالمدينة خلق كثير من اليهود الذين أنزلهم الامام يثاحية أصلا إلى باب حصن سعدون، وفرض عليهم الجزية التي بلغت ثلاثين ألف دينار سنويا (١٢٩) . وهذا يعني عددا كبيرا من اليهود يكونون حيا بأكمله ، وهذا ما لم تعرفه فاس - مثلها مثل كثير من المدن العربية - الا بعد مرور فترة الانقضاء ، وعندما أصبحت عاصمة كبيرة . والحقيقة ان هذه الرواية لا تتفق مع الرواية الأولى التي ذكرناها بمناسبة تأسيس المدينة ، والتي نسبت إلى الامام فخر آخخال جماعات البربر التي كانت تعتنق النصرانية واليهودية والمجوسية في الإسلام .

ونشير إلى أنه لا ينبغي المبالغة في عظم مدينة فاس الفنية على أيام ادريس بن ادريس . فمن الصحيح أن ادريس بن ادريس عاش عشرين سنة بعد ان وضع حجر الأساس لمدينته العربية (اذ توفي سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) ، وان تلك المدة كانت كافية لكي تتسع المدينة وتكبر ، ولكنها لم تكن كافية لكي تصبح على الصورة التي يصفها بها صاحب روض القرطاس ، الذي يكتب في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، في الوقت الذي كانت فاس انتهت إلى ما لم تبلغه مدينة في المغرب ، كما يقول هو نفسه (١٣٠) .

والحقيقة انه لن يمكن تنظيم المعلومات المتنوعة ، والتفصيلات المختلفة، التي يمزجها صاحب القرطاس مزجا ، الا اذا سمحت الظروف بمعرفة المصادر التي نقل عنها شيء من الدقة . ونحن اذا وافقنا على نسبة أمجاد مدينة فاس - العاصمة الكبرى - إلى بانيها ادريس الاصغر فانما نفعل ذلك لأنه مبتكرها ، وصاحب فكرتها . أما عن فاس على أيامه فلا نعتقد انها زادت كثيرا عن حدود مدينة ملكية ناشئة ، لم يزد عمرها على عشرين سنة في أواخر أيام الامام . ويرجع هذا الرأي ان بعض الروايات تؤكد أن وفاة ادريس بن ادريس لم تكن في مدينة فاس بل في مدينة ادريس الأكبر :

(١٢٨) روض القرطاس، ص ٢٦ .

(١٢٩) روض القرطاس، ص ٧-٦ .

(١٣٠) روض القرطاس ، ص ٢٨ .

وكيلني (١٢١) .

اهمية بناء مدينة فاس : تأكيد سلطان الادارسة في المغرب :

وهنا ينبغي الاشارة الى أن أهمية فاس لا تتلخص في بناء المدينة العجيبة نفسها ، بمساجدها وأرحائها وأسواقها وقصورها وغناها ، بل في العمل الحضاري الذي قامت به والذي يمثل رسالة الادارسة العلويين في بلاد المغرب الأقصى . والظاهر ان بناء المدينة استغرق ما بين ثلاث سنوات أو أربعة . فبعد أن أقام ادريس الثاني بها الى سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢ - ٨١٣ م ، تخرج في المحرم من نفس السنة لغزو بلاد المصامدة فأخضع قبائلهم ، ووصل في لغزهم حتى السوس الأقصى ، حيث أخضع مدينة نفيس - التي دخلها عقبة بن نافع سنة ٦٢ هـ - ثم عاد الى فاس (١٢٢) . وأقام ادريس ما يقرب من العام ، ثم انه عزم على تأكيد سلطانه في أقاليم المغرب الأوسط الغربية ، فخرج في أواخر سنة ١٩٨ هـ / يونيه - يوليه ٨١٤ م لغزو قبائل نفزة ، وجمع في أخضعهم ، ودخل مدينة تلمسان حيث أتاه محمد بن خزر الزناتي وبأيعه . وأقام ادريس في تلمسان مدة ثلاث سنوات واصل خلالها أعمال والده هناك : فأصلح أسوار المدينة ، ورسم جامعها الذي بناه والده ، وأقام فيه منبرا جديدا (١٢٢) . وعاد الامام الى فاس ، وقد اطمأن الى انتشار سلطانه من تلمسان الى نفيس .

(١٢١) انظر فيما بعد . ص ٤٥٦ وح ١٢٧ . عن أبواب السمويين ، انظر الجزائلي ، زهرة الأس ، ص ١٩ - ٢٠ : حيث يمتد في عمدة الأدلس ٧ (سبع) أبواب ، هي أبواب : القبلة ، ديروارة ، والمخنية ، والصبوبية ، والفصيل ، وأبو سفين ثم باب الكنيسة ، كما يمتد في عمدة الكرويين * (خمسة) أبواب ، هي أبواب : الفريجة ، الفصيل ، اللرج ، الحديد ثم باب القلعة .

(١٢٢) الكبرى ، ص ١٢٢ ، روض القرطاس ، ص ٢٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢ ، وقارن ابن عشاري ، ج ١ ص ٢١١ (الذي يبطل لغزو بلاد المصامدة بعد لغزوة نفزة) .

(١٢٣) انظر القرطاس (ص ٢٩) وتلخيصه في زهرة الأس ، ص ٢٢ (الذي ينقل رواية عبد الملك الوراق التي يقول : « دخلت مسجد تلمسان سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م ، فرأيت في =

والحقيقة أن إقامة ادريس مدة ثلاث سنوات في تلمسان ونواحيها كان القصد منها تأمين حدود دولته الشرقية ازاء خطر الخوارج بالمغرب الأوسط ، وكانت قبائل نفزة التي هزمتها - بمعاونة ابن عمه داود بن القاسم بن اسحق ابن عبد الله بن جعفر (١٢٤) - من أقوى عشائيات امامة تاهرت ، كما رأينا . وهذا ما يشير اليه ابن خلدون عندما يقول انه بعد أن أخضع البربر وزناتة ، قوى أمره ، وتمكن من القضاء على الخوارج منهم ، واقتطع المغربين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الأقصى الى شلف (١٢٥) . وهذا ما يصر عليه جوتييه ، عندما يقول : ان قضاء ادريس الثاني على الخوارج يعبر عن خوف أهل الحضارة والمدنية (رعية الدولة الادريسية) من تخريب الخوارج (الزناتية البدو) . وهذا يمثل النتيجة التي وصل اليها ، والتي تلتخص في أن الحركة الخارجية التي بدأت في المغرب الأقصى سنة ١٢٢ هـ ، على يد ميسرة ، انقلبت الى ضدها : الى حكومة نظامية ، هي الدولة الادريسية (١٢٦) .

وفاة ادريس الأصغر وبداية سمات تصدع الدولة الادريسية :

ويقول صاحب القرطاس ان ادريس لم يزل يقاس الى أن توفي في

= رأس مبرها لوما من بقية منبر قديم ، قد سر عليه هناك ، مكتوب له : « هنا ما لمسه به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي - رضي الله عنهم - في شهر المحرم سنة ١٩٩ هـ /المحيط ٨١٤ م .» وهذا على هذا التاريخ رأينا تعديل خروجه من قاس نحو تلمسان الى أواخر سنة ١٩٨ هـ /يونية ٨١٤ م . بدلا من سنة ١٩٩ هـ . كما يقول اليكزي (ص ١٢٣) وسأب القرتاس (ص ٢٩) ، وان دخلون (انظر قسط العرجة ج ٢ ص ٥٦٢) ان لا نجد هذا التاريخ في النص ولا اسم ابن خرد كذلك . وتلاحظ هنا ان ابن خلدون (ص ١٢) يذكر ان الامام أصغر الكبير ولم يصنع منبرا جديدا حسب رواية القرتاس . ولما يتعلق بتناول الوراق الى تلمسان في سنة ٢٥٥ هـ . نلاحظ ان الوراق هذا يكتب في أواخر القرن السادس الهجري . ولهذا السبب وجد هذا التاريخ في بعض النسخ للقرطاس سنة ٥٥٥ هـ /١١٦٠ م (انظر برونسال ، تأسيس قاس ، النص ص ٢٦ والهاش ٣٨) . ولقد وجدنا نحن ان تكون سنة ٢٥٥ هـ خامسة بالمؤرخ ابن غالب الذي نسخ الوراق كتابه (انظر التصريف بكتاب روض القرطاس في دراسة المصادر السابقة ، ج ١ ص ٤٤) م .

(١٢٤) انظر اليكزي (ص ١٢٣) ، حيث يقول ان داود بن القاسم خرج لقتال الخوارج مع ادريس بن ادريس فاجهه منه (أي من ادريس) ثلاث خصال : اجتماع قلبه ، وموتها ، وحركته وقلة قراره الذي يعني الزعم الى القتال وليس اليربوع .

(١٢٥) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٢١٢ . (حيث قرأه السوس) في شكل « السوس » .

(١٢٦) انظر جوتييه ، عاصي شمال افريقيا .. (بالفرنسية) ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م ، وهو ابن ست وثلاثين سنة ، وانه دفن بمسجده
(جامع الشرفاء) بإزاء الحائط الشرقي ، أو الحائط القبلي - هذا ولو أن
رواية البرنس - التي يوردها بعد ذلك - ربما كانت أقرب الى الحقيقة من
حيث التاريخ ، إذ تحدد وفاة ادريس الثاني بليلة ١٢ جادى الثاني من سنة
٢١٣ هـ / ٨٢٨ أغسطس ٨٢٨ م ، وسنه يومئذ ثمانية وثلاثون عاما ، وهذه
الرواية تتفق مع رواية البكرى التي لا تجعل وفاة ادريس في فاس بل بمدينة
وليلي ، في بلاد زرهون ، وتقول انه دفن الى جانب قبة ابيه هناك (١٣٧) .
وتحيط بوفاة ادريس الثاني الشاب ، مثله مثل والده ، قصة روائية تقول
انه تولى بسبب آكله عنب ، شرق أو غصص بحبة منها (١٣٨) ، أو انه مات
مسموما في حبة العنب تلك (١٣٩) . هذا ، كما يمكن أن يفهم انه كان للاغلبة
وبالتالى خلافة بغداد ، يد في هذا الأمر . يستشعر ذلك من الشعر الذى
ينسب قوله الى ابراهيم بن الاغلب والذى ينص على أن الاغلب هو الذى
دير اغتيال راشد ، الذى كان قد استفعل أمره وعلا حتى أنه هم بغزو
أفريقية ، وانه كان يتربص بادريس ليتخلص منه هو الآخر (١٤٠) . ولا
يمنع من ذلك ما تقوله بعض الروايات من أن ابراهيم بن الاغلب كان قد
ألب الزعيم المدغرى « البهلول بن عبد الواحد » على ادريس بن ادريس ،
وان هذا الأخير كتب الى بهلول يخطب وده ، ويدعوه الى الرجوع الى طاعته ،
ويحذره من مكر ابن الاغلب (١٤١) . وما تضيفه الرواية بعد ذلك عندما تقول

(١٣٧) البكرى ، ص ١٢٣ . والنص يقول ان ادريس بن ادريس تولى وعمره ٣٣ سنة ،
وحدا حلا من الفساح إذ ينهى أن يكون ٣٨ سنة بما انه ولد سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م وتولى
سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م . وقارن الحلة السيرة لابن الامار ، ج ١ ص ٥٤ ، حيث تطرق بس
الملاحظة .

(١٣٨) البكرى ، ص ١٢٣ ، القرطاس ، ص ٣٠ (زهرة الأس - ص ٢٣)
(١٣٩) الحلة السيرة ، ترجمة القاسم بن ادريس رقم ٤٩ ، ج ١ ص ١٣٦ .
(١٤٠) انظر الحلة السيرة لابن الامار ، ج ١ ص ٩٨ حيث يقول ابراهيم بن الاغلب .
الم ترمى لوديت بالكيد راشدا واني بأشرى لابن ادريس راصدا
تساوله عزمى عمل لاي داره يستخرمة في طين المسكاته
(١٤١) انظر الحلة السيرة لابن الامار ، ج ١ ص ٥٥ . حيث ينسب الى ادريس شعرا
في هذا الأمر ، يقول فيه :

كانك لم تسع بغير ابن الغلب وما قد رمى بالكيد كل بلاد
ومن دونك ما منك تفك خاليا ومنك ابراهيم شرف قصدا
وانظر في المصدر ، ترجمة بهلول من عهد الواجد المدغرى رقم ٤٠ ص ١١١ حيث
النص على انه بعد أن أقصد ابراهيم بن الاغلب بن بهلول وبين ساسه ادريس بن ادريس =

إن إدريس بن إدريس كتب إلى إبراهيم بن الأغلب يدعو إلى طاعته ، ويطلب
عنه الكف عن ناحيته ، ويذكره بقرابته من النبي (١٤٢) - أو أنه صالح ابن
الأغلب ، وسكن من غربة ، مما كان سببا في اشتداد ساعد الدولة الإدريسية
التي عجز الاعالبة عن مداومتها بعد ذلك (١٤٢) .

والغريب في أمر الدولة الإدريسية الفتية أنها لم تكذب تبلغ العقد الرابع
من عمرها حتى بدأت نصيبها عوارض الشيخوخة والاضمحلال . وكانت
العملة هي التفتت والتقسيم - آفة ذلك العصر - الذي ترتب على الصراع بين
أفراد الأسرة ، من أجل الطمع في عرش الملكة . فلقد حرص العلوي المحروم
من الأخوة ، الوحيد في أقصى المغرب ، على أن يترك - وله الحق في ذلك -
عددا كبيرا من الذرية ، فخلف ١٢ (التي عشر) ولدا ، ما بين راشد
وقاصر (١٤٤) .

٣- محمد بن إدريس بن إدريس :

وآلت الإمامة إلى أكبر ولد إدريس بن إدريس ، وهو محمد . وتتفق
الروايات على أن كثرة والده إدريس الأصغر وجدة محمد وأخوته ، كان لها

جرت مكاتبات بين الأغلب والمغربى . فكان ما كتبه الأسر إلى ابن الأغلب :
لن كنت تدعوني إلى الحق باسمي لتكتف عن قلبي صبر خلاف
لقدما هملك أنك باسمي لم قال بالصلح الغلاة كان
(١٤٢) الحلقة السرية . ج ١ ص ٥٥ . حيث تقول الرواية إن إدريس كتب في حسنة
لمسى شعرا جملة في أسفل الكتاب ، ومنه :
أذكر إبراهيم حنق محمد وعترته والحق خب عقول
وأدعوه للأمر الذي فيه رشده وما هو لولا رايه يجهول
فإن أمر الدنيا فإن أمامه لدارل يوم للكتاب طويل
(١٤٢) انظر ابن خلدون . ج ٤ ص ١٤ (حيث يضيف إلى ذلك أن الاعالبة لم
يستطيعوا الاعتذار لخلقاء بغداد عن هزم أمم الأدارسة إلا « بالنظر من إدريس والفتح في
مسبه إلى أبيه إدريس بما هو أوهى من شيوط المناكب ») .
(١٤٤) أبناء إدريس بن إدريس - كما يورد في الكتاب دون ترتيب متعدي . ص : محمد
والقاسم وهار ودلود وعيسى ويحيى وعبد الله وحسنة وأسد وعقل وإدريس وجميل . انظر
ابن عذاري (ج ١ ص ٢١١) الذي يكرر عيبه أنه بدلا من ذكر حمل . وقارن القرطاس
(ص ٣٠) . والظاهر أنه ينقل في رواية البكري (ص ١٢٤) الذي يذكر عيبه أنه بدلا
من حمل . وكذلك الآن في الحلقة السرية (ج ١ ص ١٢١) . وانظر (صحة الإس) (ص ٢٣)
التي لا يذكر عليا ويضيف « الحسن » و « الحسين » .

نفوذها في سبيل أمور الدولة ، أو أنها كانت أشبه ما تكونها بالوصية على محمد . فلهذا أشارت على حفيدها الإمام بأن يجعل أخوته على رأس أقاليم الدولة وولايتها المختلفة - ومع أن الكتاب يذكر صراحة أن هذا الأمر كان تقسيما لدولة ، أو توزيعها لها على أخوة محمد (١٤٥) ، إلا أن الهدى - سنة ١٠ كان - بطبيعة الحال - هو العمل على تقوية الأسرة ، بأن تكون الولايات والقيادات العسكرية بين أيدي أفرادها ، ولنا في قيام الدولة العباسية خير مثل لذلك ، عندما سعى أبو العباس السفاح كإر قواده ورجال دولته من الدعوة ، وعهد بولاياتهم إلى أخوته وعمومته وقرابته من بني العباس واستجلبهم محمد بن إدريس إلى بصيحة حديثه ، كما تقول الرواية ، فجعل البالغين من أخوته وهم ثمانية على رأس الولايات المحتلة ، وأبقى القصر الثلاثة في كفالة حديقهم ، معه في مدينة فاس . وكان بتقسيم البلاد على الأخواة كالتالي (١٤٦) .

- ١ - القاسم وله ولاية طنجة ، وتشمل سبته وتطواند وقلعة حجر النسر وبلاد مصمونة وما إلى ذلك من البلاد والقبائل (١٤٧) .
- ٢ - داود : وله بلاد هوازة وبلاد تسول وتارا ومكناسة وبيجال فياتة وتاملت (١٤٨) .
- ٣ - عيسى : وله مدينة شالة وسلا وأزمور وبلاد تلمسنا . وما إلى ذلك من القبائل (١٤٩) .

(١٤٥) انظر القزطاس ، ص ٣٠ (قسم المغرب بين أخوته) ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٤٦٣ (قسم البلاد بين أخوته) ، ابن خلدون ، ج ١ ص ٢١١ (فرق البلاد على أخوته) ، البكري ، ص ١٢٤ ، والاستبصار ، ص ١٦٦ (فرق البلاد على أخوته) . (١٤٦) انظر تاريخ الخلفاء للبرهان بن خلدون ، ص ١٤٦ ، واهتمنا إلى الاختلافات بينه وبينه وبين خلفائه وابن خلدون ، كما استعنا بهم في تعديل قائمة الولايات . في بعض المواضع .

(١٤٧) يزيد البكري (ص ١٢٤) ، والحلة للسيوطي ، ج ١ ص ٣٩ ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ١ ص ٤٦٣ ، على ذلك مدينة البصرة التي جعلها القزطاس في ولاية يحيى .

(١٤٨) لا يذكر القزطاس (ص ٣٠) تارا ، ويضيف ابن خلدون (ج ١ ص ٢١١) للميت ، وكذلك البكري ، ص ١٢٤ (تاملت) .

(١٤٩) قازن البكري ، ص ١٢٤ (وأزود زسلي) ، وابن خلدون (ج ١ ص ٢١١) الذي لا يذكر اسم البلاد التي كانت لعيسى .

- ٤ - يحيى : وله مدينة البصرة، وأصيلا ومدينة المرائش وأعمالها ،
 وبلد ورغة (١٥٠) .
- ٥ - عمر : وله مدينة تيجساس (تيكساس) وورغة ، وقبالسل
 صنهاجة الهبط وغمارة ، فيما بينهما (١٣١) .
- ٦ - أحمد : وله مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلا (١٥٢) .
- ٧ - عبد الله : وله مدينة أممات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس
 الأفضى وبلاد لمطة (١٥٢) .
- ٨ - حمزة : وله مدينة ولبلى وأعمالها ، ومدينة تلمسان وأعمالها (١٥٤) .

خلاف عيسى في سلا وتامسنا وعصيان القاسم في طنجة :

هزيمة عيسى وتجرده من أملاكه :

ولقد كانت النتيجة الطبيعية لمثل هذا التفتيت أن دب الخلاف بين
 الأخوة ، فمنهم من استجاب لأغراء الأطماع الأنانية ، فخرج على سلطان الأخ

(١٥٠) لا يذكر ابن خلدون (ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢) البصرة ضمن بلاد
 يحيى بل يضعها في بلاد القاسم .
 (١٥١) يذكر القرطاس تيجساس بدلا من تيجساس التي يسجلها في السامري
 (ص ٣٠) ، وهو لا يذكر مدينة ورغة ، أما ابن عذاري (ج ١ ص ٢١١) وكذلك البكري
 (ص ١٢٤) وابن الأبار في الحلة السبويه (ج ١ ص ١٢٢) فلا يذكر سوى صنهاجة الهبط
 وغمارة .

(١٥٢) لا يذكر ابن خلدون ولا ابن عذاري ولا البكري ولاية أحمد - وحدها ما يشكك
 في رواية للقرطاس ، خاصة وأن مدينة مكناسة مذكورة ، كما رأينا ، بين البلاد التي أعطيت
 للأمير داود - وللتوفيق بين الروايات المختلفة هذه لا بأس في أن يكون أحمد قد ولي مكناسة
 ، وقبرها من الأقاليم بعد أخيه داود وتمت امرته .
 (١٥٣) أنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢ ، وقارن القرطاس ،
 الذي يجعل بلاد مصورة مع القاسم ، كما نرى .

(١٥٤) أنظر القرطاس ، ص ٣٠ ، الذي يقول إن تلمسان فقط كانت له ، وابن خلدون
 (ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٣) الذي يقول انه كانت له مدينة ولبلى وأعمالها فقط ،
 كما في البكري (ص ١٢٤) . أما ابن عذاري فلا يجعل حمزة بين الولاة أي انه جعله بين
 القصر . وبالظن أن حمزة كانت له الولاية الشرقية فقط ؛ لأن تلمسان كانت انطايا لابن
 سليمان بن عبد الله وسليمان هذا كان أخا لإدريس الأول ، كما سبق أن أشرنا . (أنظر
 أيضا سبق ص ٤٤٧ و ٨٢) ، وحده ما يقول ابن خلدون (ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢
 ص ٥٦٤) .

الأكثر ، ومنهم من رأى التمسك بأهداب الطاعة ، وانتهى الأمر بسلسلة من المنازعات والحروب بين الأخوة . افتتح ذلك عيسى بالتحرد في سلا وتامسنا ، وهو أمر مقبول بالنسبة لتلك الأقاليم التي عرفت بانحاضاتها الانفصالية ، وحركاتها الاستقلالية التي تمثلت فيما عرف عند الكتاب باسم زندقة برغوطة تحت قيادة بنى طريف الذين كونوا مملكة لهم عاشت منذ ثورة ميسرة (قرن ٨/٨ م) ، وحتى قيام دولتي المرابطين والموحدين (قرن ٥ ، ٦ ، ١١/٨ ، ١٢ م) . وأمر الامام محمد أخاه القاسم ، صاحب طنجة ، بمحاربة عيسى بسبب مجاورة بلاده لبلاد عيسى ، لكنه امتنع . وفي ذلك تقول رواية الحلة السيرة ان القاسم كتب الى أخيه الامام محمد معتذرا عن توقفه عما أمره به ، في أبيات شعر يفهم منها أن القاسم كان زاهدا في أرض المغرب رغم ما كان له بها من مركز مرموق ، واثقا في العودة الى المشرق ، وهو الأمر الذي يسترعى الانتباه ، بعد أكثر من أربعين سنة من استقرار الادارة في المغرب (١٥٥) . واستجاب عمر ، صاحب بلاد غمارة ، لأمر إخيه الامام ، وجمع بربر غمارة - من ريف طنجة - وأوربة وصنهاجة ، كما أمده محمد بألف فارس من زناتة ، عندما اقترب من أحواز فاس ، فهزم عيسى وأخرجه من سلا وغيرها مما كان بيده من البلاد ، وذلك قبل وصول بلدد ، وضجها الى أملاكه بأمر محمد (١٥٦) .

ناديب القاسم واعتزاله الولاية :

ثم سار عمر - حسب أوامر الامام - لمحاربة القاسم ، ونجح في هزيمته بعد مواقع عديدة ، وانتهى أمر القاسم الى اعتزاله الحياة العامة ، وإيقاله على الزهد والتعبد - في رباط بناه لنفسه على ساحل البحر ، مما يلي مدينة أصيلا (١٥٧) .

(١٥٥) أنظر ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٢ حيث يقول القاسم في بيتين من الشعر :

سائرنا للراغب الغرب لينا وإن كنت في الغرب قتيلا وكندا

واسمو الى الشرق في عصمة يمز بها رتبنا من احبنا

(١٥٦) الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٢٢ .

(١٥٧) القرطاس ، ص ٣٠ ، الكرى ، ١٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢

ص ٥٦٤ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١١ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٢٣ ، (رباط القاسم

أصيلا بموضع يعرف بجامدوت ، حيث قام بتعبده فيه الى أن مات - القرطاس ص ٢٦ ، لم

ملك أصيلا عنه الى أن سار امرها الى حسن المعجم ثم ابن أبي العافية - الكرى ص ١١٢)

عمر يهزم الى املاكه اقاليم سلا وتامسنا وطنجة :

وهكذا ضم عمر بلاد اخويه القاسم وعيسى الى املاكه فأصبحت مملكتها تحتند من طنجة شمالا الى سلا وبلاد تامسنا وأزمور ، نحو الجنوب الغربي ، حيث مصب وادي أم الربيع ، كما امتدت شرقا من سيته الى منطقة قبائل غمارة نحو مليلة ، فكانت مملكة عمر امتدت على طول سواحل المغرب الأقصى الشمالية على البحر المتوسط وعلى معظم سواحل المعينة الشمالية الغربية . واستمر عمر في خدمة أخيه محمد الى أن مات في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، في بلاد صنهاجة في موضع يعرف بفتح الفارص ، شمال مدينة فاس في أرض غمارة ، وحمل الى مدينة فاس حيث دفن الى جانب أبيه ، وصلى عليه أخوه محمد الامام (١٥٨) . وسيكون لابناء عمر بن ادريس هذا شأن ، إذ أنهم سيرثون املاك والدهم بموافقة الامام ، فقد خلف على بن عمر والده (١٥٩) بمعنى تأكيد انقسام الدولة . وعلى بن عمر هو جد الحموديين من الادارسة الذين سينحلون الأندلس بعد سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ، عند انهيار الدولة الأموية (١٦٠) .

أما عن الامام محمد الذي تقول عنه رواية للرازي انه « أخذ الى اللهب والشراب والنساء » ، وان ذلك كان السبب في أن خلعه اخوته (١٦١) ، فلم يقدر له ان يعيش بعد أخيه عمر الا سبعة أشهر فقط ، إذ توفي بمدينة فاس ، ودفن بشرقي جامعها مع أبيه وأخيه ، وذلك في شهر ربيع الثاني من سنة ٢٢١ هـ / مارس سنة ٨٣٦ م ، بعد ٨ (ثمانية) أعوام من الحكم (١٦٢) ، وخلفه أبته على .

٤ - علي بن محمد بن ادريس (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م - ٢٣٤ هـ / ٨٤٩ م) :

اعتلى علي بن محمد عرش المملكة الادريسية بعد وفاة والده وبمهلج .

-
- (١٥٨) القرطاس ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ (حيث الموضع : « فتح القرص »)
 ابن ططاي ، ج ١ ص ٢٦٦ .
 (١٥٩) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ ، والتريجة ، ج ٢ ص ٥٦٤ .
 (١٦٠) القرطاس ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ ، ابن خلدون ، ج ١ ص ٢٦١ ،
 « ألكبرى » ص ١٢٥ ، الاستبصار ، ص ١٩٦ .
 (١٦١) الحلة السبابة ، ج ١ ص ١٢٢ . ولما ذكره الرواية تقول شك انه لم يقب
 حواله بل يهزم اخوه القاسم .
 (١٦٢) القرطاس ، ص ٢١ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ .

وبذلك صار اماما للحسنين في المغرب ، وهو بعد غلام لم يجاوز السنة التاسعة من عمره الا بعدة أشهر (١١٢) . والظاهر أن صفر سن الأمير ، مما يجعله من وجهة النظر القانونية غير مؤهل لولاية أمور المسلمين ، هي التي جعلت البكري يقتصب الكلام في عهده اقتضابا ، فيكتفي بالإشارة إلى ولايته ثم إلى وفاته (١١٤) ، بينما أسقط ابن عذارى عهده كلية فلم يذكر امامته (١١٥) .

أما المعلومات التي جمعها عنه صاحب روض القرطاس فتشير إلى أن أم علي هي رقية بنت اسماعيل بن عمير بن مصعب الأزدي ، وأن الأمير الصغير كان له من العمر عندما ولى ٩ (تسع سنوات) و ٤ (أربعة) أشهر فقط (١١٦) . وتقرير أن والدة الامام الجديد عربية خالصة من أزد اليمن يعني أن مسألة تعريف المغرب الأقصى والدولة الإدريسية ، وهو الأمر الذي كان من أهداف الإدريسيين الأولين ، كان يسير نحو تحقيق إفراضه بخطى حثيثة . ومن الناحية الأخرى فإن وصول الصبي الصغير إلى منصب الامامة ، دون وصاية راشد جديد أو أبي خالد ، تعني أن الامامة الإدريسية كانت قد مدت جذورها قوية في أرض فاس ، وانها كانت تستطيع الوقوف وحدها بعد نصف قرن من قيامها بين قبائل أودية ، رغم الصراعات التي قامت بين أمراء الأدارسة أنفسهم ، ورغم ما أخذ على الأمير محمد ، والد علي ، من الانصراف إلى الشراب واللهو ، وانشغاله بالنساء نتيجة لذلك .

وفي تقييم عهد الأمير علي بن محمد ، الذي توفي وهو في ريعان الشباب ، في الثانية والعشرين من عمره ، بعد ملك استمر ١٢ (ثلاثة عشر) عاما فقط ، نعتقد أنه لم يمارس ، حقيقة ، السلطان إلا في أخرياتهما ، لقول الرواية : انه « ظهر منه من الذكاء والتبخل والعصل ما يقتضيه شرفه ونسبه الصحيح » (١١٧) . وفي تفسير ذلك لا يتعدى الأمر الإشارة إلى أنه : « ساريسيرة

-
- (١١٢) انظر القرطاس . ص ٣٢ ، ولارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤ ، والاستقما (ط .
 الدار البيضاء) ، ج ١ ص ١٧٤ (حيث يقول انه لقب ببيدرة على لقب علي بن أبي طالب) .
 (١١٣) البكري ، ص ١٢٤ .
 (١١٤) ابن عذارى ج ١ ص ٢١١ : حيث يجعل الذي يلي بعد محمد بن إدريس هو ابنته
 حبي بن محمد أمر على ووريثه في الملك .
 (١١٥) القرطاس ، ص ٣٢ .
 (١١٦) القرطاس ، ص ٣٢ .

تأبى وجدته ، في : العدل والفضل ، والدين ، والحزم واقامة الحق ، وتأسيس البلاد ، وتمع الأعداء ، وضبط البلدة والثغور ، (١٦٨) . والمتصود بتأسيس البلاد هو عمرانها وزيادة تحضرها . أما عن ضبط البلدة فالمتصود بها مدينة فاس قاعدة الدولة ، وما كان اليها من الأعمال ، مما يقع تحت الحكم للباشير للامام . بينما يقصد بالثغور أقاليم الدولة الادريسية المحيطة بأعمال فاس مما كان يقع عه ادراتها ، وأقرار الامور فيها ، وحمايتها ، على من كان في حكمها من عمومة على وأبناء عمومته من أمراء الادارسة ، الذين اطلق عليهم اسم « الحسينيين » ، كما عرفوا أيضا « بالقرشيين » (١٦٩) .

وهكذا عرفت البلاد في عهد علي نوحا من الاستقرار لم تعرفه من قبل ، وتمتع الناس بالأمن والهدنة ، الى أن وافته منيته في شهر رجب من سنة ٢٣٤هـ / يناير ٨٤٩ م ، وولي أخوه يحيى بن محمد بعد ملك دام ١٣ (ثلاثة عشر) عاما (١٧٠) .

٥ - يحيى بن محمد بن ادريس (٢٣٤ هـ / ٨٤٩ م - بعد ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) :

رغم أهمية رواية البكري بالنسبة لتاريخ الدولة الادريسية ، فمن الواضح أن البكري يخطئ ، عندما يقول ان النبي خلف علي بن محمد ، في ملك فاس هو ابن أخيه يحيى بن يحيى بن محمد (١٧١) ، اذ المعروف أن النبي خلف عليا هو أخوه يحيى بن محمد ، وان ابن هذا الأخير ، وهو يحيى بن يحيى بن محمد ، خلف والده فكان سادس الادارسة ، وهذا ما يتضح من رواية القرطاس الذي يلخصه ابن خلدون (١٧٢) . أما ابن عذارى فانه الى جانب اسقاطه على ابن محمد ووضعه بدلا منه يحيى بن محمد ، فانه يضع أحداث ابن هذا الأخير وهو يحيى بن يحيى بن محمد ، في موضع والده ، فكانه اسقط أيضا عهد

(١٦٨) القرطاس ، ص ٣٢ .

(١٦٩) عن تسمية الادارسة بالقرشيين ، انظر البكري ، ص ١٢٢ .

(١٧٠) القرطاس ، ص ٣٢ . ولقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ الذي يلخص القرطاس طيبا يعلق بتاريخ الادارسة فيقول في عهد علي بن محمد : « قام بانزله الأوليه ، والحانية من المغرب ، وبأوردية ، وسائر البربر ، ومغناج الدولة وبما يورثه طلما خترعها ، للموا بامرهم واستنوا كماله وطاعته فكانت أيامه خير أيام » .

(١٧١) البكري ، ص ١٢٤ .

(١٧٢) القرطاس ، ص ٣٢ (العبر ، ج ٤ ص ١٥) .

يحيى بن محمد ، وهذا ما سنشير اليه في موضعه (١٧٣) .

وهكذا عهد علي بن محمد لأخيه يحيى بن محمد بن أدريس الذي صار الإمام الخامس . وفي عهده تقول رواية القرطاس انه صار بسيرة أخيه وأبيه وجده (١٧٤) . بمعنى انتهاز طريق العدل والفضل والدين وإقامة الحق ، الى جانب الحزم في ادارة البلاد وحماية الثغور . أما أكثر ما يستقطب اهتمام ابن أبي زرع في أيام يحيى بن محمد ، فهو ازدياد تحضر فاس ، وكثرة عمارتها ، وبناء ضواحيها الجديدة . فقد « قصد إليها الناس ، من : الأندلس ، وإفريقية ، وجميع بلاد المغرب ، فضامت بسكانها ، فبنى الناس الأرباض بخارجها » (١٧٥) . ولقد اهتم الأمير يحيى بتزويد عاصمته بالمباني ذات المنافع العامة ، وخاصة الحمامات التي زهت بها مدينة فاس ، وكذلك الفنادق التي أقيمت لخدمة الوافدين على المدينة من التجار وغيرهم (١٧٦) .

بناء جامع القرويين (٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م) :

أما أشهر المباني التي أقيمت في فاس على عهد الأمير يحيى بن محمد - ابن أدريس ، والتي ظلت مفخرة العاصمة الإدريسية حتى أيامنا هذه ، فهو جامع القرويين . والحقيقة أنه مع اتساع المدينة المزدوجة بعدوتيهما ، ونشأة الأرباض الجديدة حولها ، كان من الطبيعي أن يزداد اتساع كل من جامعيها العتيقين ، وهما جامع عدوة القرويين المعروف بجامع الشرفاء ، وجامع عدوة الأندلسيين المعروف بجامع الأشياخ . بل وان تظهر الحاجة الى بناء مساجد محلية جديدة تلبى حاجة المصلين الذين كانت أعدادهم تزداد مع ازدياد حجم المدينة وكثرة الوافدين على أحيائها من كل أنحاء المغرب ، ومن الأندلس . وهكذا تم بناء جامع القرويين في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م على عهد يحيى بن محمد ، ولكن على أنه جامع « محلي » صغير (١٧٧) .

صاحبة البناء : فاطمة القروائية :

وفي بناء الجامع يقول ابن زرع صاحب كتاب القرطاس ان موضعه ، حين بنيت مدينة فاس ، كان « فضاء » يمل بها أصناف الجبى ، وبهـ

(١٧٣) أنظر لها بعد ص ٤٦٨ (من يحيى بن يحيى) .

(١٧٤) القرطاس ، ص ٣٢ .

(١٧٥) القرطاس ، ص ٣٢ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ .

(١٧٦) القرطاس ، ص ٣٢ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ .

(١٧٧) نفس المصدر . وقارن زهرة الأس ، ص ٣٤ - ٣٥ .

أيضا أصناف من الشجر ، لرحل من هوازة عن والده ، وعندما أتى وقد
أهل القبروان الى الإمام ادريس بن ادريس ، يعيالهم وأولادهم ، أنزلهم حول ذلك
الموضع من عدوة القرويين (١٧٨) ، التي نسبت اليهم - ويسب بناء الجامع
الى سيده قبرابية من هؤلاء الوافدين ، توصف بالبركة والصلاح ، هي أم
القاسم فاطمة بنت محمد الفهرى القبرواني . وكانت السيدة فاطمة قد
استقرت في ذلك الموضع من عدوة القرويين بصحة زوجها وأخت كانت لها .
وواضح من النص أن العائلة القرشية الأصل كانت موسرة ، وأنها كانت
قد حصلت معها ثروتها من القبروان . فعندما توفي زوج السيدة فاطمة ، وكذلك
أختها « ورثت منهما مالا جسيما ، حللا طيبا ، ليس فيه شبهة ، لم يتغير
ببيع ولا شراء ، فأرادت أن تصرفه في وجوه البر وأعمال الخير ، فمزمت على
بناء مسجد ، (١٧٩) .

المال الحلال المشرق :

ونلاحظ أن اصرار النص هنا على أن المال الذي استخدم في بناءجامع
القرويين كان حللا طيبا ، لا تشوبه شائبة حتى من بيع أو شراء ، مما يسترعي
الانتباه فعلا . إذ الحقيقة أن أهل المغرب ، وكذلك الأندلس ، كانوا متشددين
في أمر سلامة الأموال التي تخصص لبناء المساجد عندهم ، بشكل لا نجد
له نظيرا في المشرق . وكانت أحسن الأموال التي تبني بها المساجد عندهم هي
أموال المغانم المأخوذة في الجهاد ، مما طهرته سيوف الشجعان وزكته دماء
الشهداء في ميادين القتال . وهذا ما سيحدث عندما شرع في توسيع نفس
الجامع ، عند ما غلب عبد الرحمن الناصر على بلاد العدوة (المغرب) ، فبعث
« بمال كثير من أخماس غنائم الروم » لهذا الغرض(١٨٠) .

(١٧٨) القرطاس ص ٢٢ - حيث يفرده ابن أبي زرع فصلا كاملا عن تاريخ جامع القرويين
منذ بنائه سنة ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م ، الى أيام تأليفه لكتابه سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م ، ينتهي الى
ص ٤٦ . وقرئ تلخيص ابن خلدون ، ط . بيروت ، ج ٤ ص ٢٩ - ٣٠ .
(١٧٩) القرطاس ، ص ٢٢ - ٢٣ - ويضيف صاحب القرطاس رواية أخرى . تقول ان
أمت السيدة فاطمة - التي عرفت أيضا بأم البهي - كانت تسمى مريم ، وأنه كان لها فضل
بناء « جامع الأندلس » ، هو الآخر ، « من مال حلال طيب موروث عن والدها وبشقيهما (نفس
الصفحة) . مما يجعلنا نظن أن تلك الرواية الأخرى . ما هي في حقيقة الأمر إلا تحوير
للرواية الأولى ، قصد بها تكريم جامع الأندلس أيضا . ولا نريد أن نقصر الى أنها ربما
شكلت في نسخة الرواية الأولى الخاصة بالسيدة فاطمة وجامع القرويين .
(١٨٠) القرطاس ، ص ٣٤ . وفي التجدد والتدقيق في طهارة الاموال اللائقة لاعمال
التجديد والزيادة في المسجد ، ما تذكره الرواية من رفض قاضي قاضي نس القويهي أبي عبد الله »

والهم ان السيدة قتلطة اشترت موضع الجامع بذلك المال الموروث خلافا
حليبا ، وشرعت في حفر الأساس والبناء في يوم السبت مستهل رمضان
المعظم سنة ٢٤٥ هـ / ٣ نوفمبر ٨٥٩ (١٨١) ، أي في السنة الثانية عشرة من
امامة يحيى بن محمد بن آدريس .

مواد البناء الحلال الصرفة :

وفي نطاق فكرة استخدام المال الحلال الطيب ، الذي لا تشويهه شائبة ،
ولا تناله شبهة ، تقول الرواية ان حجارة الكدان التي استخدمت في البناء ،
وكذلك الطابية (للملاط) آتت من نفس أرض الجامع ، حيث « حفرت
» (السيدة) في وسطه فصنعت كهوفا ، واقتطعت منها الكدان ، وأخرجت
منها التراب والحجر والرمل الأصفر الطيب ، فبنت به الجامع المذكور كله
حتى تم ، ولم تدخل فيه من تراب غيره « (١٨٢) . والأمر كذلك بالنسبة للماء
الذي استخدم في البناء فقد حفرت السيدة الصالحة في أرض الجامع بئرا ،
هي الموجودة حاليا في الصحن ، « فكان البناؤون يسقون منها الماء لبناء
الجامع المكرم . . . لم تصرف فيه سواء ، احتياطا منها ، وتحريا من الشبهة .
وظلت فاطمة القروية صائمة الى أن تم تشييد الجامع (١٨٢) .

حجم الجامع الأول واقسامه :

وبطبيعة الحال كان الجامع الذي بنته فاطمة القروية صغيرا ، اذ احتوى
على أربع بلاطات أي أروقة عرضية موازية لحائط القبلة وصحن صغير .
وذلك حسب رواية أبي القاسم بن جنون في تفسيره في تاريخ مدينة فاس (١٨٤) .
أما عن درج الجامع فيورد صاحب القرطاس رواية تقول ان طول حائط القبلة ،
وهو طول البلاطات ، ما بين الحائط الغربي والحائط الشرقي للجامع ، كان
يبلغ ١٥٠ (مائة وخمسين) شبرا ، وأن محراب الجامع كان في الموضع

محمد بن داود ما عرضه عليه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من أن تكون النفقة
من بيت المال ، اذ قال القاضي : « سأل الله أن يثنيها عنه من مالها الذي يجمع من أحبها
» (أولائها) بأيدي الوكلاء - القرطاس ، ص ٣٦ .

(١٨١) القرطاس ، ص ٣٢ (زهرة الآس ، ص ٣٥) .

(١٨٢) القرطاس ، ص ٣٣ (زهرة الآس ، ص ٣٥) .

(١٨٣) القرطاس ، ص ٣٣ .

(١٨٤) القرطاس ، ص ٣٣ .

الذي تظل عاياه الثريا ، على أيام المؤلف (١٨٥) ، في أوائل القرن الثامن الهجري (١٤١ م) ، بمعنى أنه كان في موضع منتصف بين الصلاة حينئذ - وتضيف نفس الرواية أن السيدة فاطمة بنت في الجامع صومعة غير مرتقعة ، أي مناسبة لحجم البناء ، وذلك في الموضع الذي كانت توجد فيه القبلة ، التي على رأس العنزة ، ، على عهد صاحب روض القرطاس (١٨٦) .

الزيادة في الجامع على عهد زفانة :

وبقى جامع فاطمة محليا الى أنه انقضى ملك الإدارة في فاس . وعندما آل حكم المدينة الى زفانة تحت رعاية الأمويين في الأندلس ، وضاق مسجد الشرفاء الجامع بالمصلين زيد في جامع القرويين زيادة كبيرة ونقلت إليه الخطبة ، بعد أن « صنعوا به منبرا من خشب الصنوبر ، وذلك في سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م (١٨٧) ، وهذا ما سنعود إليه في موضعه (من الجزء الثالث) ، انشاء الله .

وبعد بناء القرويين لا نجد ذكرا للأمير يحيى بن محمد الذي يمكن تلخيص عهده ، في حسن السيرة ، وانتشار الأمن والنسبة بين الناس ، مما أدى الى نهضة عمرانية طيبة شهدتها فاس التي زهت بمساحدها ، وفنادقها ، وحصاناتها . وكان للأمير نصيبه في هذه النهضة . وكذلك أرباب الدولة والمتيسرين من الناس . وعندما توفي يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس خلفه في الإمامة ابنه رسميه : يحيى بن يحيى في تاريخ لا تحدده لنا المصادر الأساسية .

(١٨٥) القرطاس ، ص ٣٣ (رهرة الاس . ص ٣٥) - وتلاحظ هنا ان الرواية امنت - بقياس بلاطات الجامع التي تماثل طول صفوف المصلين ، وأصلت ذراع عمق بيت الصلاة الذي يعادل مقياس عرض البلاطات الأربعة . مما كان يسمح بمعرفة عدد المصلين الذين كان يمكن للمسجد احتواؤهم في ذلك الوقت عن طريق حساب عدد صفوفهم .

(١٨٦) ابن أبي زرع ، ص ٣٣ .

(١٨٧) القرطاس ، ص ٣٣ - وقول نفس الرواية ان الزفانية زادوا أيضا في جامع الأندلس زيادة كبيرة . « حدودها ظاهرة باقية الى الآن ، وقرون ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥٠ (حيث المص على بناء الصرصة في سنة ٣٤٥ هـ ، بعد مائة سنة من اشتغال الجامع - وذلك حسبما هو منقوش في الحجارة في الركن الشرقي منها -) أما عن نقل الخطبة فتجد رواية أخرى تقول أن ذلك تم في سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ، على عهد حامد بن يحيى البغدادي ، عامل عميد الله - الشيعي على المغرب ، الذي نقل الخطبة أيضا من جامع الأشياخ مدونة الأندلس الى جامع الأندلس الذي نسبتها بعض الروايات الى السيدة مريم القروية أخت السيدة فاطمة - كعبية سجلت الإشارة ، هـ ١٧٩ ص ٤٦٥ -

٦ - يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس :

نظرة فاحصة في المصادر :

والحقيقة انه منا يسترعى الانتباه أننا لا نفتقد - منذ الآن - التوقيت الدقيق ، الخاص بولاية الأئمة وبوفاتهم ، وبتحديد عهد كل أمير بالسنوات والأشهر والأيام ، وهو الأمر الذي اهتم به المؤرخون كثيراً ، بل أننا نفتقد أية اشارة الى التوقيت أو التاريخ فيما يتعلق بوفاة يحيى بن محمد ثم بولاية ابنه يحيى بن يحيى ، وهو الأمير الادريسي السادس وكذلك من أتى بعدهم من الأمراء . وغياب التحديد التاريخي هذا يدعو ، في أغلب الظن ، الى الشك في صحة ترتيب أمراء الأدارسة الذين يلون علي بن محمد ، وهو الأمر الذي يؤديه اختلاف كل من البكري وابن عذارى وابن زرع فيمن أتى بعد علي بن محمد ، كما سبقت الاشارة - ونحن نظن أن الأمر اختلط على البكري عندما ذكر ولاية يحيى بن يحيى بن محمد بعد ولاية علي بن محمد ، بدلا من وضعها في موضعها الصحيح هنا ، ولهذا حاول تبرير هذا اللبس ، فقال : ان يحيى بن يحيى بن محمد الذي قصده هو ابن احى علي ابن محمد ، والصحيح انه أخوه يحيى بن محمد ، كما رأينا .

ولقد سرى اللبس الى ابن عذارى عندما أسقط عهد علي بن محمد ، ووضع مكانه أخاه يحيى بن محمد ، ولكن الأمر اختلط عليه ، مرة أخرى ، عندما سجل أحداث المملكة الادريسية في عهد يحيى بن يحيى بن محمد ، على أنها جرت في عهد والده يحيى بن محمد (١٨٨) ، وهذا ما يتضح من المقارنة مع البكري وصاحب روض القرطاس الذي يأخذ عنه ابن خلدون .

تقسيم المملكة :

والذي يسترعى انتباه كل من البكري وصاحب القرطاس هو النهاية القصصية التي ختم بها يحيى بن يحيى حياته السياسية في بعض حملات خاص . وهكذا لا نجد اشارات الى الحياة السياسية في عهد الأمير الا في ابن عذارى . فلن بداية اماره يحيى بن يحيى ، قسم المملكة الفاسية الى ثلاثة قسام ادارية عهد بها الى اعمامه وأخواله على الوجه التالي :

- ١ - القبلة من مدينة فاس الى اشمات ، وعهد بها الى حسين ، منهم .
- ٢ - المشرق من مدينة فاس الى مكاسة وهوارة وصرينته ، وولى عليا داود .
- ٣ - المغرب من مدينة فاس الى لهانة وكتامة ، وعهد بها الى القاسم (١٨٩) .
- ٤ - وبذلك تبقى المنطقة الرابعة الى الجوف اى الشمال من قصبة الديار الادريسية فاس ، وتظن انها كانت تابعة لادارة يحيى بن يحيى ، اى لحكم الحكومة المركزية مباشرة .

وتضيف رواية ابن عذارى الى ذلك ان يحيى بن يحيى : « تشاغل عما كان يعنى عليه من سياسة امره » ، وان اخوته انتهزوا الفرصة ، فسلخوا انفسهم واستأثروا بحكم ولاياتهم ، واستمالوا القبائل ، وقالوا لهم : انما نحن ابناء اب واحد » . وانتهى الامر فعلا باستقلالهم عن فاس ، اذ قدمهم البربر على انفسهم ، تقديماً كلياً ، كما تقول الرواية (١٩٠) .

نهاية يحيى بن يحيى فى مغامرة نسائية فى بعض حمامات فاس :

وواضح من النصوص ان حياة اللهو التى اخلت تعرفها فاس ، نقلا عن عاصمة الخلافة بغداد فى المشرق ، او عن طريق قرطبة عاصمة الأندلس ، استبدت بالامير يحيى بن يحيى ، فانصرف الى التمتع ببهاج الحياة ، من الانهماك فى الشراب ، والهيام بالنساء (١٩١) . والظاهر ان الحمامات فى فاس ، مثلها مثل الحمامات فى العواصم العربية الأخرى ، كانت قد أصبحت من المؤسسات الهامة فى حياة المدينة . فقد كانت تقوم بدور رئيسى فى نظافة أهل المدينة والمحافظة على صحتهم ، كما كان لها دورها كمراكز اجتماعية وثقافية يستفيد منها الجميع رجالا ونساء من مسلمين وأهل ذمة . وهكذا كانت هناك أوقات معينة تخصص فيها الحمامات لاستقبال النساء ، وكانت تلك فرصة يحاول فيها العاشقون من الشباب ، ممن تستهويهم المغامرات النسائية ، تحقيق بعض مآربهم الخبيثة ، وكان بعضهم لا يتورع

(١٨٩) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١١ .

(١٩٠) ابن عذارى ، ج ٣ ص ٢١١ .

(١٩١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢ . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ (رجعت

فاساء السيرة وكثر عنده فى الحرم) .

عن استخدام أساليب عربية من الترميز كالتخفى فى زى النساء مثلا - وهو الأمر المعروف .

والظاهر أن أميرنا يحيى بن يحيى بن محمد تشاعل عن سياسة دوله بالاستغراق فى اللهو والشراب والغرام بالنساء الى حد العيث فبعلا ، والخروج عن المألوف - فلقد أساء السيرة ، كما تقول رواية القرطاس ، وهام بفتاة من بنات اليهود ، اسمها حقة ، توصف بأنها كانت من أجمل نساء عصرها . وتهور يحيى فى هيامه بالفتاة حتى دخل عليها الحمام ، فى غفلة من المشرفين عليه . وفشلت المحاولة الحمقاء فى الوصول الى جمال اليهودية الفاتنة ، اذ استغاثت فبادر اليها الناس ، ولم يفلت الأمير العايب الا بشق الانفس ، بعد أن انكر الجميع هذا الفعل الغاضح ، وتغبر عليه أهل مدينة فاس (١٩٢) .

تعرك أهل فاس :

ها بين الثورة والأمر بالمعروف :

وكانت المفامرة النسائية المشتمومة سببا فى هلاك يحيى بن يحيى . فلقد استغل موجة السخط الشعبى فى فاس أحد زعماء العرب ، وهو عبد الرحمن بن أبى سهل الجذامى ، الذى سار على رأس العامة نحو القصر الأميرى ، وهم يزعمون التخلص من أميرهم الفاسق - والظاهر أن يحيى الذى جلله العار ، لم يجد من يدافع عنه من جنده أو أصحابه ، حتى أن زوجته التى شرر بها وهى قريبته : عاتكة بنت علي بن عمر بن ادريس ، اشفتت عليه من القتل ، ونصحته بالفرار الى عنوة الأندلس (١٩٢) .

وإذا كانت الروايات تجمع على أن يحيى بن يحيى مات فى عنوة أندلس فى نفس الليلة التى فر فيها ، مما يمكن أن يفهم منه أنه مات أسىامة ، كما يظن صاحب روض القرطاس (١٩٤) ، فأغلب الظن أنه مات متأثرا

(١٩٢) القرطاس . ص ٥١ . البكرى . ص ١٢٤ (حيث نجد اسم اليهودية حقة) .

عذارى ، ج ١ ص ٢١٢ (حيث ينسب الرواية خطأ ، كما اشرفنا ، الى يحيى بن محمد) .

(١٩٢) القرطاس ، ص ٥١ . البكرى ، ص ١٢٤ - ١٢٥ : حيث تقول الرواية انه فر

، تخرج منه زوجته عاتكة . ومارب ابن خلدون (ج ٤ ص ١٥) الذى يتورع عن التصيل
تلا : « وثارت به العلة لمركب شنيع آقاء » .

(١٩٤) انظر القرطاس ، ص ٥٩ . البكرى ، ص ١٢٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٢ .

ابن خلدون - ج ٤ ص ١٥ (حيث نجد استقرايا على النص اذ يقول : « فتواتى ليلى ، وماز

اسما ليلته ») .

بحراة ، وهو يفر أمام مطارديه من أهل عدوة القرويين .

عبد الرحمن بن أبي سهل يتقلب على فاس :

وبحوت يحيى بن يحيى في عدوة الأندلس سقطت فاس ، ثمرة ناضجه ،
بن يحيى عبد الرحمن بن أبي سهل ، الذي بدأ أمرا بالمعروف وصار ما بين
ليلة وضحاها متقلبا على عاصمة الحسينيين في المغرب . ولكن عاتكة زوجة
يحيى بن يحيى لم تقف مكتوفة الأيدي ، بعد أن فشلت تصيحتها لزوجها
بالفرار أمام خصومه ، فكتبت الى أبيها علي بن عمر بن إدريس ، والي بلاد
صنهاجة وغمارة في إقليم الريف ، تخبره بما حدث في فاس : من الثورة
على زوجها ، وتقلب عبد الرحمن بن أبي سهل على المدينة .

انتقال الملك الى بيت عمر بن إدريس :

٧ - علي بن عمر بن إدريس اماما :

وكانت فرصة استغلها علي بن عمر ، لجمع جيوشه وحشمه ، وقصد
الى مدينة فاس . والظاهر أن عبد الرحمن بن أبي سهل اكتفى بتسليم العاصمة
للأمير الإدريسي دون مقاومة ، إذ لا تشير النصوص الى أعمال حربية بين
الطرفين ، مما يعني أن النائر الجذامي لم يعدل في مطالبه ، الى أكثر من :
إقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهكذا فتحت عدوة القرويين
أبوابها الى علي بن عمر ، كما رحبت به عدوة الأندلس بعد ذلك ، فأصبح
سيدا لمدينة فاس بشقيها علي ضفتي النهر (١٩٥) . وباستقرار علي بن
عمر في فاس دأبت له كل بلاد المغرب ، وخطب له على جميع منابرها ،
ونذلك انتقلت امامة الأدارسة من بني محمد بن إدريس الى بني عمهم عمر
ابن إدريس (١٩٦) .

وللاسف تفعل مصادرا الرئيسية كالبكري وابن عذاري الإشارة الى

(١٩٥) انظر البكري . ص ١٢٥ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١٢ (حيث يقول النص انه
دخل عموة القرويين) ، وقاون القرطاس ، ص ٥١ . (حيث ينص على دخول عمر عدوة
القرويين بالأندلس) .
(١٩٦) القرطاس ، ص ٥١ . البكري . ص ١٢٥ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١٢ . ابن
خلدون ، ج ٤ ص ١٥ (حيث يقول ان الذي استغنى على بن عمر هم أهم الدولة من العرب
والبربر والبرالي) .

تواريخ تلك الأحداث ، كما لم يستطع صاحب روض القرطاس ، عندما حاول تحديد ولاية علي بن عمر ، إلا القول : انه بويغ بعد وفاة يحيى بن يحيى ابن محمد ، مع أنه كانت قد حدثت أحداث مهمة فيما بين وفاة يحيى و قدوم علي الى فاس . بينما نجد بياضاً في موضع التاريخ لى عبر ابن خلدون . مما يعني أن المؤرخ كان يرجو أن تسنح له الفرصة ، فيما بعد ، لمعرفة التاريخ وتسجيله . وسيظل الحال على هذا الموال من افتقاد النوااريخ والتحديدات الزمنية الى سنة ٢٩٢ هـ / ٤ - ٩٠٥ م ، وهي السنة التي هلك فيها يحيى بن القاسم ، المشهور بالموام ، الذي خلف علي بن عمر فى امامة فاس ، أثر الثورة الخارجية الجامعة التي عصفت بملكه .

الأندلس واللكر الخارجى :

عبد الرزاق الفهرى الصفرى ، واستمرار هبوب رياح الخارجية من الأندلس الى المغرب ،

فاذا كان علي بن عمر قد وصل الى الملك عبر الثورة الشعبية التي ترعها أحد رؤساء العرب من الحذاميين ، وهو عبد الرحمن بن أبى سهل ، احتجاجاً على سوء سلوك يحيى بن يحيى بن محمد ، فإن ملكه هذا قد ضاع فى ثورة عارمة أخرى ، قام بها السريبر من الخوارج بقيادة أحد رعماء العرب من الفهرين ، هو عبد الرزاق المشهور بالخارجى . والذي يلفت النظر فى تلك الثورة ، هو ما يقوله الكتاب ، من : أن صاحبها عبد الرزاق أصله من بلاد الأندلس ، من مدينة وشقة (١٦٧) ، فى إقليم الثغر الأعلى ، فيما وراء سرقسطة وحوض الأبره . فذلك يعنى أن بلاد الأندلس اذا لم تكن أرضاً صالحة لنمو مذاهب الخوارج ، تماماً كما كان حالها بالنسبة لمذاهب الشيعة ، فانها نجحت نذ وقت مبكر فى بذر بذور الخارجية فى أرض المغرب ، بل وكذلك المذاهب لبحرفة التي سميت بالزندقة والكفر .

هكذا يشير الكتاب الى علاقة وثيقة بين طريف ، أول فاتحى الأندلس بن ميسرة المدغرى الصفرى ، أول كبار ثوار الخوارج فى المغرب ، ثم الى لاقة بين زندقة برغواطة فى اسم تامسنا وبين رجل برباطى أى من وادى باط بجنوب الأندلس ، وذلك قبل مجيء نائرننا عبد الرزاق الوشقى الأندلسى . والذي نريد أن نرج به من ذلك هو أنه ، اذا كان التشيع لال

البيت من الأندلسيين قد حل بين بربر المغرب الأقصى محل الفكر الخارجي الصغرى ، بفضل هجرة أدريس الأول ، وما تلاها من استمرار هجرة العلويين من أقاربه ، ومن شيعتهم ، فان ذلك لم يمن اندثار الحركة الخارجية والفكر الصغرى تماما من بلاد فاس . فقد كانت الحياة تدب فيه خفية كالجمر تحت الرماد ، وكانت هبة نسيم من هنا أو من هناك تكفي لاشعال جذوته من جديد ، وكانت بلاد الأندلس ، وهي المالكية المتحصنة لمنهيا ، تشارك في اشعال نار الخارجية في المغرب ، كما نرى .

دعوة عبد الرزاق في جبال فاس :

وإذا كنا لا نعرف الظروف التي أدت إلى هجر عبد الرزاق بلاده في ثغر الأندلس الأعلى في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (٩٦٠ م) ، فمن المعروف أنه استقر في الاقليم الجبلي الواقع في قبلي مدينة فاس حيث كانت قبائل مديونة (١٦٨) ، وهو الاقليم الذي كان تابعا للعاصمة الادريسية ، على مسيرة يوم ونصف يوم منها ، ويسميه صاحب القرطاس بجبال وبلالو (١١٩) . وغلب الظن أن عبد الرزاق بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما جرت العادة عند الخوارج ، بل وعند غيرهم من دعاة الإصلاح ، ومن المرجح أن تكون سيرة أمراء الادارسة في فاس وفي غيرها من البلاد ، تسمح بالاصفاء لمثل تلك الدعوة ، بعدما استهوتهم عيشة الترف وانصهروا للتمتع كلية بمباهج الحياة .

دار هجرة أو ثغر أندلس في بلاد الادارسة ، وشقة الجديدة :

والهم أن دعوة عبد الرزاق لقيت نجاحا في جبال مديونة ، كما تب خلق كثير من بربر شيعاته ، وغيرهم من القبائل . وعندئذ بنى قلعة منيفة كما يقول صاحب القرطاس بجبل سل بجوار بلاد مديونة ، وسمّاها وشقة (٢٠٠) ، تعبيرا عن حنينه إلى بلاده ، وسقط رأسه في الثغر الأندلسي ، وأعلنا عن أن جهاد الفساق من المسلمين لا يقل قدرا عن الأعداء من المسيحيين .

(١٦٨) الكرى ، ص ١٢٥ . وثابت ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ : حيث التبر
« عبد الرزاق هجرنا بها بدلا من « عبد الرزاق » ، وفي ط - بيروت ، ١٦٦٨ ، ص ٢٠
« بجبال لتربة » خطأ ، بدلا من جبال مديونة .

(١٦٩) - القرطاس ، ص ٥١ .

(٢٠٠) انظر القرطاس ، ص ٥١ - حيث يقول ابن أبي زرع انها كانت بالية بجله

الساحية على أيامه ، في أوائل القرن ٨ هـ / ١٤٢٠ م .

الزحف من وشقة علي فاس :

وعندما اشتد ساعد عبد الرزاق وكثر اتباعه راودته فكرة القضاء على دولة الحسينيين الادريسية ، فسار بقواته نحو الشمال في اتجاه قاعدة الديار ، مدينة فاس . ونجح عبد الرزاق في دخول مدينة صفروا ، على بعد حوالي ٣٠ كم من فاس ، دون صعوبة ، مما شجعه على مواصلة المسيرة . وعندما استثمر علي بن عمر بخطورة الثورة الصفرية المقبلة من الجنوب كالمصافة ، قرر الخروج للقاء عبد الرزاق ، بعد أن حشد له عسكريا عظيما . ودارت الحرب سجالا ، بين الجيوش الادريسية وبين حشود الثوار الصفرية ، في عدة لقاءات عظيمة . وانتهت المعارك الدامية بخسائر جسيمة في صفوف القوات القاسية ، وبهزيمة شائنة لعلي بن عمر الذي فر ماجيا بحياته الى بلاد أوربة (٢٠١) ، مهد الدولة الادريسية الاول ومادة وجودها .

الصفرية يدخلون عدوة الأندلس ، وعدوة القرويين تستنجد يحيى العموم :

والحقيقة انه اذا كان دخول عبد الرزاق الصفري مدينة فاس ، بعد انتصاره على الأمير علي بن عمر ، يبرر عدم التجاه هذا الأخير إلى عاصمته ، وهروبه الى بلاد أوربة ، فإن امتناع القسم الملكي من فاس وهو عدوة القرويين على الثائر الخارجي الذي لم يتمكن الا من دخول عدوة الأندلس حيث خطب له ، يبرر النظر في أن علي بن عمر لم يكن موفقا في قراره بعيدا عن قاعدة ملكه . فلقد أصبح تقاعسه عن مواصلة النضال في عاس بمثابة تسلل أمام خصمه ، وتسليم بالعجز أمام رعيته . وذلك أن أهل عدوة قرويين ، عندما نجحوا في رد الخارجي عن مدينتهم لم يفكروا في عودة رهم الهارب ، بل راسلوا أميرا ادريسيا آخر ، هو يحيى بن القاسم بن يس ، المعروف بالعموم ، ودعوه الى تسلل مقاليد أمورهم . ووصل يحيى ، القاسم الى فاس ، ودخل عدوة القرويين حيث تمت له البيعة بالامامة ، رقع على عاتقه اطفاء نار الفتنة الحارجية (٢٠٢) .

(٢٠١) انظر القوطاس ، ص ٥٦ . البكري ، ص ١٢٤ . ابن عسدي ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

(٢٠٢) انظر القوطاس ، ص ٥٢ . البكري ، ص ١٢٥ . ابن عسدي ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

ابن حنبل ، ج ٤ ص ١٥ (حيث القرائة : الصرام ، خطا بدلا من : الصرام) .

٨ - يحيى العوام بن القاسم بن ادريس :

استعادة عدوة الأندلس ، والتفهاء على ثورة مديونة وعبد الرزاق :

كانت مبايعة يحيى بن القاسم لى عدوة القرويين ، وبقاء عدوة الأندلس موالية لعبد الرزاق الخارجي ، تعنى نوعا من تكريس الانفصال بين كل من الحيين الكبيرين اللذين يكونان مدينة فاس . ويمكن تفسير وقوف عدوة الأندلس الى جانب عبد الرزاق على أنه نوع من تعاطف أهلها الأندلسيين ، أصلا ، مع ابن بلدهم ثائر وشقة ، فكان قسمى مدينة فاس طلا ، بعد حوالى قرن من بناتها متشبثين بعصبيتها الاقليسية ، من : أندلسية وقبروانية . ومن الواضح أن العصبية الأندلسية كانت تمثل المزاج الثورى العاد ، بينما مثلت العصبية القبروانية المزاج الهادى الذى يميل الى الدعة ويركن الى الاستقرار .

وهكذا قاد يحيى العوام أنصاره من أهل عدوة القبروان فى صراع مرير ضد جيرانهم أهل عدوة الأندلس ومن معهم من خوارج مديونة ، ونجح فى هزيمة عبد الرزاق الصغرى وإخراجه من المدينة ، وذلك « فى خبر طويل » رأى ابن عذارى - للأسف - أن يعفينا من سرده (٢٠٢) .

بيعة أهل عدوة الأندلس ، وتركيبهم العنصرى :

وتقول رواية ابن أبى زرع انه عندما دخل يحيى العوام عدوة الأندلس بايحه أهلها وجميع من بها من الأندلس اللذين نزلوا بها «من الربضيين» . مما يفهم منه أن أهل عدوة الأندلس لم يكونوا جميعا أندلسيين أصلا . ظلت جهرتهم من المشاربة البربر ، ما يزيد فى تفسير استجابتهم لعبد الرزاق ومن كان معه من بربر مديونة وغياته وغيرهم . ولكنه رغم وجود المشاربة

(٢٠٢) البيان ، ج ١ ص ٢١٢ ، الكبرى - ص ١٢٥ ، وأنظر القوطى ص ٤٦ .

(٢٠٤) القوطى ، ص ٥٢ - حيث القراء القرضيين « بدلا من الربضيين » .

فقد كان التفوق في المدوة للأندلسيين من غير شك - يؤيد ذلك ما تقوله الرواية من أن يحيى بن القاسم استعمل على عدوة الأندلس ثعلبة بن محارب أبو عبد الله ، الذي تصفه بأنه : « من أهل الرض من شلونة » (٢٠٥) .

ولما كان المعروف أن أهل الرض الذي استقروا في فاس عند انشائها ، هم قرطبيون ، فإن ذلك يعني أن ثعلبة بن محارب كان أندلسيا ، وقد على فاس من شلونة في فترة لاحقة وهو الأمر المقبول ، إذ كان نشاط الواقديين من الأندلسيين في المغرب وخاصة في سواحله وفي جزر البحر ، مستمرا منذ مطلع القرن الثالث الهجري (٩م) ، كما يتضح من النصوص وخاصة في كتاب البكري .

أسرة أميرة أندلسية ، مهلبية الأصل ، لعدوة الأندلس :

والهم أن يحيى بن القاسم عندما اطمأن إلى استقرار الأمور في عدوة الأندلس يفضل ثعلبة بن محارب ، خرج من فاس متتبعا أثر عبد الرزاق الخارجي ، إلى أن قضى عليه في حروب عظيمة ووقائع كثيرة ، كما يفهم من رواية ابن أبي زرع (٢٠٦) . ولم يزل ثعلبة بن محارب واليا على عدوة الأندلس في فاس إلى أن توفي في تاريخ لا نعرفه ، وعندئذ عهد الأمير يحيى ابن العوام بحكم العدوة إلى ابنه عبد الله بن ثعلبة ، الذي خلفه في الولاية ولده محارب بن عبود بن ثعلبة (٢٠٧) ، مما يعني أن عبد الله بن ثعلبة كان يعرف بعبود (٢٠٨) ، حسب الطريقة المفريية في تحوير الأسماء .

ولما كان ولاية عدوة الأندلس هؤلاء من عرب الأزد الذين ينحدرون من صلب المهلب بن أبي صفرة ، كما ينص على ذلك الكتاب ، فإن هذا الأمر يعني أن يحيى للعوام كان يدبر لاقتراد الأمور في عدوة الأندلس عن طريق

(٢٠٥) القرطاس . ص ٥٢ . وقارن ابن حلدون . ج ٤ ص ١٥ . الذي ينص على أن ثعلبة كان من أهل الرض بقرنة .
(٢٠٦) القرطاس . ص ٥٢ .
(٢٠٧) القرطاس . ص ٥٢ .
(٢٠٨) انظر ابن حلدون . ج ٤ ص ١٥ .

صسطها بأيدي أفراد من الأسرة العربية الشهيرة التي كان لها شأنها في
محايا الخوارج في المشرق وفي المغرب . فقد توالى هؤلاء في تسلسل يمكن
أن يشبه بأسرة أميرية أشبه بتلك التي كونوها في افريقية ، على أرائل أيام
العباسيين والتي كان من أبرز أمرائها : عمر بن حفص المعروف بهزار مرد
١ (الآل رجل) ، ويزيد بن حاتم الذي ضرب به المثل في الكرم (٢٠٦) .

وطالت أيام يحيى بن القاسم في امارة فاس ، وما والاها من البلاد
والاقطار والقلاع ، الى سنة ٢٩٢ هـ / ٤ - ٩٠٥ م (٢١٠) ، حيث مات في الحرب
التي شنها عليه ربيع بن سليمان ، والتي لا يمدنا الكتاب بشيء من
تفصيلاتها (٢١١) ، وخلفه في الامامة قريبه يحيى بن ادريس بن عمر بن
ادريس الامام ، حفيد عمه .

عودة الامامة الى بني عمر بن ادريس ، ودخول فاس في طاعة الفاطميين :

٩ - يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس (٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م - ٣٠٩ هـ /
٩٢١ م :

ويسر الكتاب سريعا على تلك الفترة الأخيرة من تاريخ الدولة الادريسية ،
فلا نعرف عن الظروف التي ولى فيها يحيى الرابع بن ادريس الا أنه تقدم ،
بعد مقتل بن عمه العوام ، من مدينة الزيتون (مكناسة) التي كانت قاعدة
ملكه (٢١٢) ، الى فاس حيث بايعه أهل المدينة بشاطيها : عدوة القرويين
وعدوة الأندلس ، وتمت له الخطبة على منبريهما . وعن هذا الطريق أصيب
يحيى الامام الادريسي التاسع ، ودانت له أعمال المغرب بالطاعة (٢١٣) .

(٢٠٩) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣٥١ .

(٢١٠) انظر ابن حناري ، ج ١ ص ٢١٢ ، البكري ، ص ١٢٥ ، ابن خلدون ، ج

ص ١٥ ، وقارن القرقطاس ، ص ٥٢ ، الذي اخطأ في نسخ هذا التاريخ فجعله في سنة ٢٧٢

٨٥ - ٨٨٦ م .

(٢١١) نفس المصدر .

(٢١٢) البكري ، ص ١٢٥ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥٠ .

(٢١٣) انظر القرقطاس ، ص ٥٢ .

«تقييم يحيى بن ادريس»

وإذا كان البكري يوافق عداوى يراف مرورا خاطفا على عهد يحيى ابن ادريس فيكتفيان بالاشارة الى يده ملكه سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ، ثم الى زوال سلطانه بقدم مصالة بين حيوس قائد عبيد الله المهدي الى فاس سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ، فان الفصل يرجع الى ابن ابي ررع صاحب كتاب روض القرطاس ، في جمع بعض المعلومات ، التي لخصها ابن خلدون ، عن شخصية يحيى بن ادريس . وتصور تلك المعلومات يحيى الرابع على أنه أعظم ملوك الأدراسة ، فقد جمع بين : علو القدر ، وبعد الصيت وطيب الذكر ، وقوة السلطان ، كما جمع بين : المبطولة والشجاعة والحزم ، والصلاح ، والدين ، والورع ، بشكل : « لم يبلغ أحد من الأدراسة مبلغه » . وفوق هذا وذلك : « كان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان ولسان (٢١٤) » .

«وصول الفاطميين الى المغرب الأقصى» :

وإذا صح ذلك فلا شك أن بلاد الأدراسة لم تكن حسنة الحظ إذ قدر لها مثل هذا الامام المتألي في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المغرب ، حيث كان الفاطميون على وشك القضاء على دول المغرب القائمة وقتذاك ، ابتداء من دولة الأغالبة ، وختاما بدولة الأدراسة ، وتوحيدها تحت راياتهم المظفرة ، في ظل آل البيت من « الحسينيين » ، هذه المرة .

هكذا حكم يحيى بن ادريس في فاس من سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م الى سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ، حينما قدم مصالة بن حيوس المكناسي الى بلاد الأدراسة ، يخضع له بعض الطامعين في ملك الأدراسة من زعماء زناتة ، مثل : موسى بن أبي العافية الذي قدم له المعوفة وحارب الى جاتبه (٢١٥) ، وضعف أمامه البعض مثل : بني صالح الذين جلوا عن ديارهم في بلد تكور (٢١٦) ، ودالعه البعض بدون جدوى ، مثل : يحيى بن ادريس الذي انهزم أمامه واضطر الى الاعتراف

(٢١٤) القرطاس ، ص ٥٣ . - بولاق ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ .

(٢١٥) القرطاس ، ص ٥٣ .

(٢١٦) البكري ، ص ١٣٥ .

بإمامة عبيد الله (٢١٧) ، فلم تقم له قائمة بعد ذلك (٣٠) ، وإن كان قد استمر في الحكم إلى سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م . وهي الأمر التي ستعود إليها عندما نعالج تاريخ الدولة الفاطمية .

أما عن قيام الفاطميين فنرى أن يكون المدخل الطبيعي له هو رسم صورة بلاد المغرب قبيل مطلع القرن الرابع الهجري (١٠م) ، تبين فيها الدروس المستفادة من البحث في تاريخ الأغالبة والرسامين والمدارين والأدارسة على المستويين السياسي والحضاري ، مما يمكن أن يوضح الظروف التي أدت إلى سقوط دول عصور الاستقلال الأولى ، وتوحيد المغرب تحت رايات الفاطميين وفوق أسنة رماح الكتامين . وهي الدروس التي يمكن أن تكون مفيدة أيضا بالنسبة لمرحلة ما بعد الفاطميين من عصور الدول المغربية حقا والمستقلة تماما .

الفصل السادس

الخريطة السياسية الحضارية لبلاد المغرب
في أواخر القرن الـ ١٣ هـ / ١٩

من ذلك المرض الذي قدمناه لتاريخ بلاد المغرب خلال القرن الثالث الهجري / ٩ م يتضح لنا ما يأتي :

٤ - الواقع السياسي :

كانت خريطة البلاد السياسية تشتمل ، أساسا ، على أربع دول هي :

من المشرق إلى المغرب - دولة الأغالبة في أفريقية (أي البلاد التونسية) ، ودولة الرستميين في المغرب الأوسط أو إقليم تاهرت (من البلاد الجزائرية) ، وإمارة المرزاريين في سجلماسة (تفلنت) ووادي درعة (في صحراءالمغرب الجنوبية) ، ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى في منطقة فاس ووادي سيو . وإلى جانب هذه الدول الأربعة لا ينبغي أن ننسى كلاً من مصر الطولونية في المشرق ، والأندلس الأموية في أقصى المغرب . فقد كانت لحدودها المشتركة مع مملكة الأغالبة فيما بين برقة وطرابلس ، وكان للأندلس حدوداً بحرية مشتركة مع الأدارسة عبر بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) الذي كان يربط بين العدوتين (الشاطئين) : الأفريقية والأوربية . والذي يمكن ملاحظته هو أنه رغم استقلال كل من دول المغرب الأربعة فإن الأوضاع السياسية في كل منها كانت رهنا بأوضاع البلاد الأخرى ، إذ كانت لأحداث كل إقليم آثارها المباشرة في الإقليم المجاور : كرد فعل طبيعي لتلك الأحداث . هذا كما كان لتدخل خلافة بغداد ، بصفتها صاحبة السلطة الشرعية في كل ولايات الدولة الإسلامية ، منها على الخصوص آثارها التي لا تنكر في مسار الأحداث السياسية التي عرفتها البلاد : بشكل ملموس أو بطريقة خفية .

حسب مقتضى الظروف والأحوال . وهذا ما نحاول الإشارة إليه ، في كل من تلك الدول .

١ - دولة الأغلبية :

فقد كانت دولة الأغالبة في إفريقية إمارة شرعية تابعة لدولة الخلافة . وعن هذا الطريق كان لها السلطان المطلق على كل بلاد المغرب ، ابتداء من طرابلس التي كانت تبدأ بها الحدود الإدارية الفاصلة بين ولاية مصر الطولونية وبين ولاية المغرب الأغلبية التي كانت تمتد إلى آخر الشمال الإفريقي ، إلى بلاد الأندلس أيضاً من الوجهة الشرعية أو النظرية . أما عن مظاهر تبعية الدولة الأغلبية للخلافة وارتباطها بالحكومة المركزية في بغداد فقد تمثلت ، كما حرت العادة في الرابطين التقليديتين وهما : رابطة الولاء الروحية للخليفة أمير المؤمنين ، والتعبير المادي عن ذلك الولاء بدفع أموال الخراج السنوية إلى ديوان الخلافة في بغداد . وكانت تلك الرابطة المزدوجة في طبيعتها الروحية والمادية بين الخلافة وأمير القيروان تقوى وتضعف تبعاً لأحوال كل من خلافة بغداد وإمارة القيروان .

فبعد تعيين إبراهيم بن الأغلب والياً على إفريقية تمهد الأغلبي للخليفة الرشيد بأن يعدل عن تلقى المساعدة التي كانت ترسلها مصر سنوياً وقدرها مئة ألف دينار ، كمعونة لإفريقية ، بل وتمهد - على العكس من ذلك - بأن يدفع أربعين ألف دينار سنوياً إلى بيت المال ببغداد (١) ، مما يعنى تبعيته الواضحة للخلافة ، بصرف النظر عن كون ذلك نوعاً من الإغراء من جانب ابن الأغلب للرشيد حتى يعهد إليه بأمره البلاد أو الاستقلال بها . ولقبه « الأمير » الذي حمله الأغالبة يؤيد تلك التبعية للخلافة : فالإمارة كما عرفها الفقهاء الذين كتبوا في نظم الحكم ، مثل الماوردي صاحب الأحكام السلطانية ، تعنى السلطة الدنيوية التي تشمل اختصاصات عسكرية وقضائية ومالية وإدارية ، يعهد بها والخليفة لثائب عنه في الإقليم الذي يجعله أميراً عليه (٢) ، كما كان الخليفة يمارس بعض تلك الاختصاصات بنفسه مثلما فعل الرشيد عندما ولي ابن غانم ، مباشرة من قبله ، قضاء إفريقية فجعله ندا لابن الأغلب (٣) .

(١) انظر فيما سبق ، ص ٢٩ - ٣٠ وهـ ١٢ .

(٢) انظر الأحكام السلطانية للماوردي في الباب الثالث من التقليد لإمارة بني البلاد .

(٣) انظر ما سبق ، ج ١ ص ٣٧٥ وهـ ١٠٧ .

وبذلك كان الأمير الأغلب يستمد سلطانه مباشرة من الخليفة ، فكان كل خليفة جديد يجدد العهد للأمير ، كما كان على الأمير ، بدوره ، أن يجدد البيعة للخليفة : فيحلف له يمين الولاء والاحسان ، وتجديد البيعة هو الذي كان يعطى طابع الشرعية لحكم الأمير الذي يستمد سلطانه ، بطبيعة الحال ، من أمير المؤمنين .

هكذا كان شعار أمراء القيروان الرسمي هو اللون الأسود ، شعار العباسيين : لون الألوية أو الرايات والبنود ، ولون الخلع أى الملابس الرسمية للأمير وكبار موظفي دولته ، من : الورداء والقضاة وكبار القواد ، ولهذا السبب كان أول ما يفعله الثوار حتى افرريقية هو التخلص من لبس السواد ، كما فعل خريش الكندي الذي ثار على ابراهيم بن الأغلب (٤) ، تماما كما فعل المعارضون للخلافة في المشرق ، اذ كانوا يلبسون البياض ويسمون بالمبيضة - على عكس العباسيين الذين لبسوا السواد وسموا بالسودة(٥) .

أما عن الأموال السنوية التي تمهد بها ابراهيم بن الأغلب ، وهذا ما يمثل الرابطة المادية الأقوى ، فمن الواضح أنها لم تكن تدفع بانتظام . فابراهيم بن الأغلب نفسه كان ينتظر من الخليفة ان يدفع أرزاق (مرتبات) الجند العربى ، كما حدث عندما قامت الثورة ضده فبعث اليه الرشيد بالأموال التي فرقها في الجند وهزم الثوار (٦) . هذا ولا بأس من الإشارة هنا الى أن ابراهيم بن الأغلب كان يضرب - بعد ذلك - نقود الخراج هذه خصيصا باسم الخلافة . فهذا ما يفهم من الدينار الذي عثر عليه باسم ابراهيم ابن الأغلب ، والذي ضرب في سنة ١٩٦ هـ ، ونقش على أحسن وجهيته للخليفة الامام (٧) .

والحقيقة انه فيما عدا رابطة الولاء ودفع الأموال المقررة سنويا ، افرريقية ، تم يكن للخلافة أثر ارب فعلي على أمراء الاغالبية . وهكذا تمت

(٥) انظر فيما سبق ، ص ٢٥ و ٢٧ .

(٥) انظر دلهوزن ، تاريخ الدولة العربية واضمحلالها ، ترجمة محمد عبد المطلب أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، وما شابه ، رجبى الصلحى ، ص ٤٤ ، كما فعل الأمر في الأندلس أيضا اذا اتخذوا اللون الأبيض شهرا لهم . (انظر ليفي بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية (بالفرنسية) ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٦) انظر فيما سبق ، ص ٢٨ .

(٧) انظر حسن حسنى عبد الوهاب ، الورقات ، قسم ١ ص ٤٢٨ .

افريقية بإدارة مالية مستقلة ، كما حدث في مصر على أيام الطولونيين ، فلم تتدخل الخلافة في أمورها الإدارية ، ولا في نظام توريث الامارة ، الا في بعض الظروف الاستثنائية . فلقد توارث أمراء الأغالبة ملك افريقية ، كما رأينا ، بطريقة تلقائية دون انتظار أوامر بغداد التي كانت تجعل ديوان افريقية والمغرب لولاية المهد بها ، وقام بعضهم باصلاحات مالية وأعمال تاديبية دون انتظار موافقة الخلافة ، رغم ماأثارته من السخط بين الناس (٨) .

ولكن هنا الاستقلال الذي تمتع به الأغالبة لم يمنح الخلافة من التدخل في شئونهم في بعض الأحيان ، كما حدث على عهد ابراهيم الثاني بن أحمد عندما استبد بالرعية وأنزل بالشوار من أهل تونس عقوبات غاشمة سسنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م . فلقد تدخل الخليفة المعتضد في الأمر ، وعنف ابراهيم بن أحمد ، بل وهدده بالخلع (٩) .

وهكذا ، رغم استقلال الأغالبة فانهم لم ينسوا اظهار ولائهم لبغداد وارتباطهم بالخلافة حتى آخر أيامهم . فقد كانت الانتصارات الكبيرة للجيوش الاغلبية تبلغ أولا بأول الى بغداد ، كما كان للخليفة نصيبه من الغنائم والسبي في بعض الاحيان . وذلك كما حدث عند الاستيلاء على قصر يانة (كاستروجيوفاني) ، اذ بعث الأمير أحمد بالنبا الى الخليفة ، كما أهدى اليه بعض الجاريات الصقليات (١٠) . وكذلك ظهر الامتثال لطاعة الخلافة في وقت الشدة ، عندما أحس آخر أمراء الأغالبة زيادة الله الثالث ، يخطر الفاطميين فأرسل هدية للخليفة العباسي فيها عشرة آلاف من المناقيل الكبار التي تحمل آياتا من الشعر تعلن الولاء والطاعة لأمير المؤمنين (١١) . هذا كما استخدمت الخلافة المدارة ، بدورها ، والحذر في اعلان سلطانها على المملكة الاغلبية . والمثل لذلك أنه عندما تعرضت افريقية في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م ، الى زلزلة أرضية هدمت الكثير من الحصون والقرى أمر الخليفة المتوكل بتوزيع ثلاثة ملايين درهم على المنكوبين (١٢) . ولقد أدت التنقييات

(٨) انظر فيما سبق ، ص ٤٠ (عن عبد الله بن ابراهيم بن الأغب) ، ص ١٢٧ (عن ابراهيم

ص) .

(٩) انظر فيما سبق ، ص ١٤٥ وما بعدها ٤٧٠ .

(١٠) انظر فيما سبق ، ص ١٠٠ ، ٣٥١ .

(١١) انظر فيما سبق ، ص ١٦٦ .

(١٢) ابن الأثير سنة ٢٤٥ ج ٧ ص ٣٣ ، ج مارسية ، ص ٦٣ . وقارن الطبري (ذخائر

لأرب) ، سنة ٢٤٥ ج ٩ ص ١١٢ حيث القراءة « ثلاثة آلاف درهم » خطأ .

الأثرية إلى اكتشاف نقش في داخل قبة جامع الزيتونة بمدينة تونس يسجل أن ذلك الجزء من المسجد الجامع بنى سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م بأمر الخليفة المستعين * ولما لم يكن هناك ذكر للأمير الأغلبى زيادة الله الثاني أو أبي الغزائيق في هذا النقش ، الأمر الذى ربما كان نتيجة طبيعية لعناء أهل تونس لأمراء القيروان ، فإن جورج مارسيه يرجح أن ذلك يعنى أن البناء تم على نفقة الخليفة كإعلان عن سيادة بغداد على المغرب ، واهتمام الخلافة بمصالح الإسلام في تلك البلاد (١٢) *

هكذا تمتعت الدولة الأغلبية بالاستقلال مع استمرار ارتباطها بالخلافة بملاقات معنوية قوية ، إلى جانب روابط مادية لا بأس بها. وإن كانت محدودة . ويرى جورج مارسيه أن نظام استقلال الولايات في ظل دولة الخلافة ، الذى كانت الدولة الأغلبية أول نماذجه في تاريخ الدولة الإسلامية يمكن أن يشبه بنظام « الدومينيون » (أو « الكومان ولث ») الذى طبق حديثاً (فى الإمبراطورية البريطانية) ، بل ويرى مارسيه أن الإمارة الأغلبية ، فى إطار دولة الخلافة هذا - الذى كان يشبهه استاذنا الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة بالنظام الاتحادى « أو الفيدرالى » كانت تتمتع بوضع أحسن حالاً من وضع بلاد الدومينيون الحديثة (١٤) *

والحقيقة أن هذا « النظام الاتحادى » كان حلاً سعيداً لمشاكل كل من دولة الخلافة وإمارة إفريقية الأغلبية . فمن ناحية أنزاح عن كاهل الخلافة ما كانت تعانيه من المتاعب فى بلاد المغرب مما وقع على عاتق أمير القيروان ، ومن ناحية أخرى كان استقلال الأغالبية دافعاً للولاية المغربية على التقدم العسكرى والسياسى الذى أدى بدوره إلى الازدهار الفكرى والحضارى *

ولكنه إذا كان فتح صقلية وجنوب إيطاليا وضمهما إلى أملاك الولاية الإفريقية يمثل ذروة ما بلغت دولة الأغالبية من القوة السياسية والعسكرية ، فمن الواضح أن الأغالبية لم ينجحوا تماماً فى القرار للأمور فى داخل حدود

(١٢) انظر ص ٧٠ بلاد البربر (المغرب) والمشرق الإسلامى فى العصر الوسيط (بالفرنسية) ، ص ٦٣ * وعن نقوش قبة الزيتونة انظر له هلمث ٢٤ - من المجلد الحز المن الإسلامى (بالفرنسية) ، بولون ١٢٩٦ ، ج ١ ، ص ١٢ ، وكوسويل ، المقابلة للإسلامية ببلجيكا (بالإنجليزية) ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ *

(١٤) ج مارسيه ، بلاد البربر (المغرب) والمشرق الإسلامى فى العصر الوسيط (بالفرنسية) ، ص ٥٩ *

مملكتهم ، بصرف النظر عما كانوا يواجهونه من أخطار منفسهم انفس شرقى البلاد أو في غربيها - اذ الحقيقة ان الحرب فيما وراء البحار في أرض الروم لم تستوعب ، بشكل كامل ، كل الحماس المسكرى الذى كان يضطرم عن نفوس أهل القبائل من العرب والبربر . وذلك انه اذا كان الجهاد فى صقلية فرصة للإمراء لكي يتخلصوا من العناصر المضطربة والثائرة فى البلاد ، فان ذلك لم يمنع الاضطرابات الخطيرة التى كادت تودى بالأسرة الأغلبية ، كما حدث فى ثورة الطنبغى التى شملت البلاد جميعا ، فلم يبق بين أيدي الأغالية الا الشريط الساحلى الممتد من سوسة الى طرابلس (١٥) . هذا ، واذا كانت صقلية وجنوب ايطاليا قد ظهرت وكأنها أرض المغانم والسبى ، أو كأنها مورد لا ينضب بما كانت تمد به بيت المال لأغلبى من خراج المدن والأقاليم الجديدة ، فما لا شك فيه أن الحرب المكلفة فيما وراء البحر طوال العصر الأغلبى أرهقت البلاد والعباد الذين كانت تضربهم المجاعة والقحط عن كثير من الأحيان ، مما شكل أسبابا إضافية لاثارة السخط والثورة . ولا شك أن توالى الاضطرابات من جانب الجند ، وتنازع العvisان من جانب القبائل ، كان وراء الاستبداد الذى ظهر من جانب عدد من الأمراء ، وهو الذى يفسر سياسة العنف والقسوة التى لعبا إليها عدد كبير منهم والتي خرجت عن حدود المتمد ، فشوهت تاريخ الأغالية فى كثير من الأحيان ، وكانت السبب فيما ظهر منهم من المجز فى مداومة ثورة قبائل كتامة الفاطمية ، وهكذا يمكن القول ان عوامل القوة والضعف تشابكت فيما بينها ، وكانت من أسباب ضعف الدولة الأغلبية - سنة الحياة ، وقانون الطبيعة الثنائى الذى يجعل الوجود السوى رهنا بذلك التوازن الموجب : القائم بين الموجب والسالب ، أى بين القوة والضعف ، أو ما يسمى بالخير والشر .

٢ - دولة الرستميين :

اذا كانت دولة الأغالية ، بفضل روابطها الروحية والمادية بالخلافة ، هى صاحبة السيادة الشرعية على كل ولاية المغرب من الناحية النظرية على الأقل ، واذا كانت قد وسعت أملاكها فيما وراء البحر فى صقلية وجنوب ايطاليا ، فمن الغريب حقا أنها رضيت بأن تزاحمها فى قلب بلادها ، افريقية وما يتبعها من أعمال طرابلس ، دولة منافسة هى دولة الرستميين . ولكن الحقيقة هى ان دولة الرستميين الإياضية فى ناهرت كانت أقدم من الدولة الأغلبية ، بل ولا شك أن قيامها نتيجة لثورات الخوارج فى المغرب هو الذى

أدى الى قيام الأغالبة . وهكذا كانت الدولة الرستمية الاضية امامة خارجية أو جمهورية شعبية مستقلة ، ذات نظام وراثي كالملائنة ، يقرر وجودها الأمر الواقع - من قبل قيام الأغالبة - المعروف عند الفقهاء ، بإيسارة الاستيلاء ، (١٦) ، ويحدده قانونيا علاقة التعايش السلمى مع الإمارة الاغلبية الشرعية .

والغريب فى أمر الدولة الرستمية أنها كانت دولة بدوية صحراوية شبه هلامية لا تعرف الحدود الواضحة . فمع أن قلب الدولة كان فى إقليم ناهرت ، فإنها ظلت محتفظة بعلاقات وثيقة بمنطقة جبل نفوسة وإقليم طرابلس فى شرق المملكة الاغلبية ، وبإقليم الصحراوات الجنوبية-الغربية-فى منطقة سجلماسة (تأفلت الحالية) ، جنوب المملكة الادريسية ، حيث المدرايين الصفرية الذين ارتبطت بهم بعلاقات قرى وشيخة . وبذلك تكون الدولة الرستمية قد فرضت وجودها خلال كيان كل من دولتى المغرب الكبيرتين : الاغلبية والادريسية ، وهذا ما دعانا الى وصفها بدولة هلامية أى متميزة الحدود .

ولقد استقر واقعها القانونى فى منطقة طرابلس بالاتفاق الذى تم سنة ١٩٦ هـ / ٨١٢ م بين عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب وبين عبد الوهاب ابن عبدالرحمن رستم (١٧) ، وتؤكد هذا الواقع بالمجهودات المشتركة التى قام بها الاباضية والاغالبة ضد غزوة العباس بن أحمد بن طولون للمنطقة سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م (١٨) .

ولا شك أن قيام علاقات وثيقة بين الرستمين وبين الأمويين فى الأندلس - بعد فترة من الترقب (١٩) ، حتى أله عندما قام ثلاثة من أبناء عبد الوهاب ابن رستم بزياة قرطبة فى سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢٢ م لتنهضة الأمير الأموى عبدالرحمن الثانى من الحكم بالامارة ، تكلف الأمير ، من أجل استقبالهما وتقديم المال

(١٦) انظر شاردى ، الأحكام السلطانية ، ص ٢ : تقليد الإمارة على البلاد ، فصل إمارة الاستيلاء .

(١٧) انظر فيما سبق ، ص ٢١٢ .

(١٨) انظر فيما سبق ، ص ١٢٤ .

(١٩) بقصد بفترة الترقب عهد عبد الرحمن الداخل حيث كانت كل من الامواتين متجهدين فى تثبيت قدميهما فى بلادها : فمقب وفاق عبد الرحمن الداخل وغزوة ابنه حليليان وعبد رافع على آحيما الأمير هشلم ، لجأ سليمان الى طنجة يئسأساح عبد الله فى المغرب-جزائريونية ثم لزمه على عهد الوهابيون رستم فى ناهرت قبل عودته الى ولينسية لا يوفى لئسأساح لا يبيع أسبابيا الاسلامية ، ص ١ ص ١٥٢ ، وانظر - العباس لابن حيان - مطبوع كلية الإلهيات المسوق بجامعة الاسكندرية ، ص ٢ ، ٣ ، ٤ .

والهدايا والمطايا اليهما... حوالي مليون دينار (٢٠) ، لما كان يجب قرضه
لمملكة الرستمية ، ويزيد في تأكيد واقعا القانوني في نظرية الأغلبية .

هذا ، وإذا كانت قد قامت بين الأغلبية والرستميين صراعات خفية ،
مثل : ما يمكن أن يكون قد ساهم به الأباضية في الثورات التي عرفتها الدولة
الأغلبية وخاصة في أقاليمها الصحراوية ، أو علنية ، مثل : القلة الدامية
في وقعة مانو سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦ م التي انتهت بكارثة القتل نفوس (٢٦) .
فإن تلك الصراعات لم تؤثر بشكل حاسم على ميزان القوى بين العنيتين أو

(٢٠) أنظر برونسفال ، تاريخ أميانية الإسلامية ، ج ١ ص ٢٤٤ - حيث المراد (من...
حقتس بن حيك وعفرب بن سعيد) على أن أبناء عبد الوهاب بن نعمن الثلاثة كانوا :
عبد المني وحميون ومهرام . وان الأئمة الأحرار عرقا وهما في طريق العودة إلى المغرب
بيضا وصل عبد المني إلى تاهرت مع وفاة والده بسبعة أشهر وولاية أخيه ألقم للأمامة .
(أنظر نفس المرجع ، ج ٣ ص ٢٧٢) . وانظر القنسي لابن حيان ، مخطوط كلية الآداب
المسور بجامعة الاسكندرية ، ص ١٧٣ . وكانت العلاقات دائما حسنة بين أمراء قرظبة وبين
أئمة تاهرت الامامية وسيلحاسة الصغرى بصل العلماء المشترك للمبشرين أو عظمهم الأغلبية
في الرقبة . وفي ذلك يقول ابن حيان . أن وصل الأمير محمد بن عبد الرحمن (الأوسط)
كانت « وكفه تنرد إلى هذه الطوائف في البحث عن أخبار بني العباس يعار ملكهم وأخبار
ولايتهم وعصاهم بالناس مصر وادريقية » فلا شك نبت عليه شيء من حلالها ، وهكذا ظلت
علاقة الحدر والتوحش بين لوطه والقبور إلى أن تحسنت العلاقة بين محمد بن عبد الرحمن
وابراهيم الثاني الأعلى فتبادل الهدايا والقرى بصل وساطة محمد بن موسى الرازي : والده
أحمد وجد عيسى ، المؤرخين الأندلسيين (أنظر القنسي ، تحقيق محمد مكي ، ط - دار الكتاب
العربي ، بيروت ١٩٧٣ ، المص ٢٦٥ وما بعدها والهوامش) . وسيظل الرستميون يصلون
على توثيق علاقاتهم بالأمويين في الأندلس الذين كانوا يتبعونهم ناصرائهم على الجوس النورمنديين .
في الرازي الكبير سنة ٣٢٩ هـ / ٨٥٣ م ، كما كانوا يقدمون لهم الهدايا في المناسبات مثلما حدثت
مع ولاية الأمير محمد الأول حيث تلقى الامام أبلج هدية كبيرة من المال . هذا ، وكانت العلاقات
الوثيقة على عهد أبي اليقظان حليفه ثم ألقم ، كما لوحظ وجود فواد بن الرستمي في خدمة
إمراء قرظبة ، مثل - محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن حستم ، وأخيه عبد الرحمن أو ابنه
الذي كان من وزراء عبد الرحمن الأوسط (الثاني) - أنظر نفس المرجع ، ج ١ ص ٢٤٥ -

٢٤٦

ولا شك ان العلاقات الوثيقة بين الأندلس والامامة الرستمية سببه على المستوى السياسي .
أم الجلاوي وكانت تسمح لأهل كل من البلدين بالتنقل في البلده الآخر ، وهذا ما يفسر كيف
تقبل الخليفة الأندلسي المشهور دهم بن حصون - سافر في جملية المرة إلى تاهرت حيث وصل
في خدمة أحمد المصطفي - هناك ، وأما واحدا من مواطنيه هنا فهو الذي تصدق بالعودة إلى بلده ،
وارجع عمر بن حصون إلى المغرب في سنة ٣٦٧ هـ / ٨٥٥ م - حيث بدأ عمله كرئيس مصابة من
إقليم الطريف . انظر نفس المرجع ج ١ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢١) أنظر فيما سبق ، ص ١٤١ -

- نعايش الاجبارى الذى فرضه الواقع على كل منيما . والحقيقة ان
سكن الداخلية التى عانت منها كل من دولتى الأغالبة والرسنمين، والتي
سنت فى النورات العبلية والنزاعات المذهبية ، شغلت كلا منهما عن التخل
بمستوى الأخرى ، وقادتهما معا الى نفس المصير المحتوم ، من التفكك والوهن ،
سوى الواحدة منهما بعيد من الأخرى فى مواجهة الحطر الفاطمى .

* - دولة المرارين :

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لامامة الإباضية فى تاهرت ، كان من
سببى الا يكون مصير امامة الصفرية الصغيرة فى سجلماسة وراى ذرعة ،
ممر لمرارة الاستيلاء الصحراوية التى ارتبطت بتاهرت بصلات من القربى
حسية وعلاقات من المصاهرة العائلية ، بأحسن حالا .
وهذا ما يفسر كيف أن امارة سجلماسة حاولت أن تقف موقفا وسطا
مى القوى للمصارعة فى المغرب . ورغم العلاقات الوثيقة مع تاهرت اعترف
ب. ازيون بسطان الخلافة . فعملوا على مداراة الأغالبة حتى قيل ان صاحب
سجلماسة عندما ألقى القبض على عبيد الله المهدى ، وهو لاجئ فى بلدته ،
كفى ذلك استجابة لاورمر القيروان او بغداد (٢٢) . ورغم ذلك فقد كانت
حدة واحدة ، من . الانقسامات المذهبية والصراعات القبلية . ولكل ذلك
سجج سجلماسة وعم اعتصامها بصحراء المغرب الجنوبية فى طريق السودان .
مؤثره سياسيا مع كل من تاهرت والقيروان ، من ملاقة نفس مصير
مسيحي على أيدي الفاطميين .

* - حولة الإدارة :

ما عن دولة الإدارة الحسنية فى فاس والمغرب الأقصى ، فقد كانت
سمة حاشمية (علوية) . يقرر وجودها الأمر الواقع - أى نفس نظام الاستيلاء
مى قامت على أساسه كل من دولتى تاهرت وسجلماسة . أما الذى كان
يحدد وجودها القانونى فكانت العلاقات المثلثة مع كل من دولتى الاستيلاء
ناسنيتين ، فى تاهرت بالمغرب الأوسط ، وقرطبة فيما وراء البحر بالاندلس
حيث الامارة الأموية المروانية ، الى جانب العلاقة مع دولة الأغالبة الشرعية
مى القيروان .

لقد كسبت قوة الدولة الأدرسية فى المغرب فيما كان يتمتع به الامام
مى الاجلال والشرف بصفته سليل بيت النبوة ، مما يجعل قبائل أوزبية ثم
قبائل المغرب الأقصى تلتف حوله وتكون جميعا عصبية دولته ، التى ترامت
أطرافها ما بين تلمسان وسواحل المغرب الأوسط حتى بلاد السبوس . الأقصى

(٢٢) أنظر فيما بعد . فى قيام الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٢ .

ووادى نفيس ، ومرورا بسواحل بلاد الريف حيث امارة الصالحين قتي
نكور (٢٣) والبحر المحيط حيث مملكة البرغواطيين (٢٤) ، وانتشارا فوق
الجبال والصحراوات الى تخوم سجلماسة ووادى درعة ، ولكن الالتفاف
حول شخص الامام وحده لم يكن كافيا للحفاظ على وحدة الدولة وحفظ
الاستقرار فيها .

حقيقة ان وجود امام علوي في المغرب أزعج الخلافة وأمير إفريقيا حتى
صار التخلص منه ، بطريقة أو بأخرى ، من أمر الاماني في قلوب المسئولين
في بغداد ، ولكن الأمر انتهى باستقرار الادارسة في البلاد ، كما سبق أن
استقر الرستميون في تاهرت ، ومن قبلهم الأيوون في الأندلس الذين
أنزعجوا بدورهم من قيام امامة علوية مجاورة ، وهذا ما يفسر ظهور تلك
الرواية المصطنعة التي تقول بقيام تحالف هجومي بين شرمان (شارل الاصلح)
وبين الأمير الحكم الأول لمواجهة احتمال توسع العلويين نحو أوروبا الغربية (٢٥) .
وهو ما يعلل أيضا سعي امراء قرطبة المدائب في سبيل توثيق علاقات الصداقة
مع امارات الخوارج المتاخمة للادارسة في المغرب ، سواء في تاهرت أو نكور
وغيرها . ومع مرور الوقت استتبت الأمور واستقرت الحدود في الشمال
الشرقي بين امامة الرستميين وامامة الادارسة عند تلمسان التي تعتبر الحد
الفاصل بين المغرب الاوسط والمغرب الأقصى ، ولو أن الحدود مع صغرىة
سجلماسة لم تكن واضحة في صحراوات الجنوب . ولم تدم فترة الاستقرار
طويلا اذ سرعان ما هبت رياح الفتن المذهبية والعصبية وعصفت بالدولة
العلوية ففتنتها بين افراد الأسرة الادريسية الى عدد عديد من الولايات ،
ما بين مطيعة لفاص وعاصمية لها . وهكذا انتهى الأمر في أواخر القرن الثالث
الهجري بتمزق الامامة الادريسية بين افراد الأسرة المالكة ، وكان على صاحب

(٢٣) من امارة بني صالح بن منصور في مدينة نكور التي اقيمت سنة ١٤٢ هـ / ٧٦١ م
بتحفة سعيد بن ادريس احد خلفاء صالح واشهر امراء نكور على عهد الادارسة هو صالح
ابن حميد بن ادريس الذي ولى سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م وعمر طويلا حتى سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م .
وخلال ولايته الطويلة كان على علاقة طيبة بامراء الأندلس ، فشارك في الجهاد على عهد الامير
عبد الله الثاني ، وكان من الأحداث المهمة التي عاصرها في اواخر امامه : نزول البيرومديين
المجوس في سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م على نكور وتجهزهم على من الاميرات الصالحيات ممن
انفدوا من امير الأندلس سعيد الأول بن عبد الرحمن الثاني ، مما يشي علاقات وثيقة وتبعية
مخلصة للأندلس من جانب امراء نكورة ، كما يقول بيروفسال : تاريخ اسبانيا الاسلامية ،
ج ٦ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢٤) انظر بيروفسال في كتابه ص ٤٣٠ - ٤٣٣ . ص ٦٠٠ - ٦١٧ .

(٢٥) انظر بيروفسال تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ .

وانظر القنص ، مخطوط كلية الآداب المنصور بحامدة الاسكندرية ، ص ٢٥ .

حاس ان يواجه وحده ثوزات الخوارج التي عذبت العاصمة نفسها ، مثلما حدث في ثورة عبد الرزاق الوشقى (٢٦) ، كما نجحت قبائل زناتة بقيادة ابن أبي العافية ، في اقتطاع مملكة لها ، كانت منافسة لامامة فاس وحليفة للامويين في الأندلس ، تم طييرا للفاطميين عندما تقدموا الى المغرب الأقصى (٢٧) ، قبل أن تعود الى التحالف ضدهم مع الامويين ، فيما بعد .

خلاصة الموقف السياسي :

هكذا كانت دول المغرب الأربعة تعاني في أواخر القرن الثالث الهجرى / ٩ م . بشكل عام . من نفس الآفات التي عانت منها دولة الخلافة ، والتي تمثلت في الصراعات المذهبية والعصبية ، والانقسام بين أفراد الأسرة الحاكمة . حدث ذلك رغم أوجه التباين فيما بينها :

١ - من حيث شرعية الحكم الذي تمتع به الاغالبية ، أو واقع التنبؤ والاستيلاء الذي أقام عليه الرستميون والمدرازيون ولأدارة ملكهم .

٢ - ومن حيث المذاهب الدينية التي اختلفت والتي تراوحت ما بين السنة على مذهب مالك و ابي حنيفة ، والتشيع المعتدل على المذهب الزيدى ، وانخارحيه ، من : اباضية مقبولة وصفرية متعصبة .

٣ - وأخيرا من حيث التركيب الاجتماعى الذى كان يضطرد فيه ظهور العصبية للمغربية (البربرية) كلما اتجهنا من الشرق الى الغرب ، من مملكة القيروان الى مملكة فاس .

ولكنه رغم ذلك التباين فى التركيب العرقى لدول المغرب هذه ، مما كان له أثره فى مسار الأحداث التاريخية فى ذلك القرن الثالث الهجرى (٩ م) ، بل وفى كل تاريخ المغرب العربى . فقد اجتمعت الدول الثلاث الكبرى ، فى : القيروان ، و تاهرت ، وفاس ، أوجه شبه أساسية تمثلت ، بشكل خاص ، فى كون أسرها بالملكة مشرقية الأصل - وهذا ما شيا ركتها فيه بلاد الأندلس الأموية .

(٢٦) انظر فيما سبق ، ص ٤٧٢ .

(٢٧) انظر فيما سبق ، ص ٤٧٩ .

والحقيقة ان وجود اسر حاكمة مشرقية الاصل ، في : القيروان -
وتاهرت ، وفاس ، كما كان الحال في قرطبة ، كان له أهمية خاصة في تاريخ
المغرب في ذلك الحين ، فقد كان هؤلاء الحكام المشاركة عاملاً من عوامل
الربط بين بلاد المغرب المتطرفة وبين قلب العروبة والاسلام في المشرق .
فكانت كل أسرة حاكمة بمثابة عامل جذب تشد الأعوان والأتباع من المشرق
على المستويين العرقي والفكري ، نحو موطنها الجديد في المغرب . وهكذا
سار العرب من بني تميم نحو افريقية حيث بنو عمومهم الأغالية ، وبناي
الفرس أو العجم ، من عرب ومستعربة ، من افريقية ومن العراق نحو بني
جلندهم الرستميين ، كما شد العلويون الحسينيون رحالهم الى قازس والمغرب
الأوسط حيث اخوتهم من الانارسة . وكذلك فعل محبوبهم من الشيعة
الزيديية . وبذلك كان تيار الهجرة من المشرق الى المغرب عاملاً على اقامة
نوع من التوازن الذي عدل من خطورة القطيعة السياسية بين الخلافة ودول
المتعلمين ، حفظ الوحدة بين جناحي دولة العروبة والاسلام ، على المستويين:
العرقي ، باستمرار عملية التعريب ، والفكري ، بانتشار ثقافة المشرق العربي
وحضارته على وجه العموم - وهو الأمر الذي يتطلب شيئاً من التفصيل -

ب - الواقع الحضاري :

أدت الأوضاع السياسية في بلاد المغرب ، خلال القرن الثالث الهجري /
٩ م اذن ، الى نوع من القطيعة مع المشرق العربي ودولة الخلافة ، ولكن تلك
القطيعة كانت محدودة على المستوى الرسمي . وذلك ان العلاقات ظلت
على المستوى الشعبي ، وطينة بين جناحي دولة الخلافة والاسلام بفضل
تيار الهجرة المتصل من المشرق الى المغرب ، بوجه عام ، وبفضل قوافل الحجاج
السائرة من المغرب الى المشرق ، وما كان يصحبها من قوافل التجار في طريق
الذهاب والعودة . وكل ذلك ساعد على سرعة نقل الأفكار والعلم والثقافة
بين هواصم المشرق وهواصم المغرب ، مما هيا وحدة حضارية كانت أواصرها
تقوى ، مع مرور الوقت وتشتد ، على طول الطريق ما بين بغداد وقرطبة .

هذا ، ولا شك في أن تشجيع أمراء دول المغرب لذلك التبادل الاقتصادي
والثقافي مع المشرق وعاصمة الخلافة ، عمل على دفع عجلة التقدم في بلادهم ،
وعجل بالازدهار الحضاري في أمهات مدنهم ، فكأنهم عملوا ، من حيث
لا يدرون ، على تأكيد الروابط المادية والمعنوية بين شعوب بلادهم وشعوب
دولة الخلافة ، وبالتالي الحفاظ على وحدة تلك الشعوب وتقوية أواصرها .
فمن الناحية الاقتصادية أي المادية عرفت الدول الأربعة ، بعد أن تمتعت

الاستقلال عصر نهضة وازدهار ، تمثل في : العناية بالزراعة وتنظيم وسائل
أرى ، وتشجيع التجارة والعناية بتأمين طرق القوافل ، مما تروى عليه :
زيادة الدخل ، ونمو المدن ، واتساع الأسواق ، وانتعاش الحرف
والصناعات .

الفرقية الأغلبية :

ازدهار الزراعة :

ففيما يتعلق بآفريقية (٢٨) يقرر اليعقوبي ، الذي سباح في المغرب
وآفريقية على عهد إبراهيم الثاني بن أحمد ، أن المنطقة الممتدة بين قمودة
(سيدي بوزيد) والساحل كانت تزهر بخضرتها وأشجارها . ويعلق
جورج مارسيه على ذلك قائلاً : وهي المنطقة التي تمتد لمسافة ١٥٠ كم
والتي ما زالت إلى اليوم ، رغم التقدم العظيم الذي تحقق في غراسة الأشجار
في منطقة صفاقس ، صحراوية إلى حد ما (٢٩) . فقد انتشرت في تلك المنطقة
المروفة بسهولة الرملية أشجار الزيتون ، وكذلك في كل إقليم الساحل ،
كما انتشرت البساتين والقرى التي كادت تلامس بعضها البعض من كثرة
ازدهامها ، وكان لكل منها معصرة (طاحونة) الزيت الخاصة بها (٣٠) .
وفي جانب الزيتون عرفت المنطقة أشجار الفاكهة المختلفة والكروم التي كان
عنبها يؤكل طازجا أو يجفف لعمل الزبيب أو صنع النبيذ الذي كان شربه
مباحا في القيروان على أيام اليعقوبي والامير إبراهيم بن أحمد ، كما سبق
أن رأينا في شعر بعض الظرفاء (٣١) .

(٢٨) انظر الدراسة المتأخرة التي قام بها جورج مارسيه في كتابه عن بلاد البربر
الإسلامية (المغرب) والمشرق في الصور الوسطى (بالمرسية) ، فصل الحياة الاقتصادية
ص ٧٦ - ٨٧ .

(٢٩) بلاد المغرب والمشرق الإسلامي في العصر الوسيط ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٣١) ح مارسيه ، بلاد البربر ، ص ٧٨ (عن المالكي في رياض النفوس) .

(٣١) انظر فيما سبق ، ص ١١٧ . وفي ذلك يقال ان كثيرا من مشاهير علماء القيروان
كانوا يعلون النبيذ ويشربونه ، مثل عبد الله بن فروخ الذي قال فيه مالك بن أنس : « هل لنا
فقيه المغرب ير (الرقيق ، ٢١٩٨٠٠) ، وأبي حمزة القاسمي ، وأحمد بن الفزاري القاسمي وعمر
بن منصور القاسمي ، الذي ألف كتابا في تحليل النبيذ سيصلح الرقيق بأنه كتاب حسن ، كما
يقول ان منصور بن منصور ، أنبل تحليل النبيذ من عهد الحسن بن فروخ (انظر قطب السمرقاني
في تاريخ الخوار ، ص ٤٨٦ - ٤٨٧) .

وفي جنوبه قمة دة كانت أحوار مدينة نفصة تزهر ببساتينها المثمرة .
وكأنت شجرة الكرم معروفة أيضا في بلاد الجريد التي اشتهرت بكثرة تمرها
ونخيلها الذي أخذت منه اسمها ، فهي بلاد الجريد وبلاد التمر وبلاد النخل .
وفي شمال قمودة امتدت بلاد الحبوب فكانت القروان تفخر بحاصلها
الوفيرة .

رقى الصناعة والتعدين :

وفي ميدان التعدين اشتهرت مدينة مجانة ، على أربع مراحل من
القيروان ، على الحدود التونسية الجزائرية الحالية ، بأنها مدينة المعادن
(المناجم) دون منازع ، حتى سميت بمجانة المعدن ، فمن مناجمها كانت
تستخرج الفضة والكحل والحديد والمرتك والرصاص وغيرها (٢٢) - ولم
يكن من الغريب ، أذن أن تتقدم الصناعات المعدنية في المملكة الاغلبية بشك
لم تعرفه البلاد في العصور السابقة على الاسلام . كما يقرر ذلك حوزج
مارسية (٢٢) .

هكذا ازدهرت المصنوعات المعدنية المختلفة ، من حديدية كانت تد
الجيش والأسطول بما يلزمه من السلاح الثقيل والخفيف وفضية نانت
تمد أسواق الصياغ بالحلى الرقيقة وقصور الأمراء بالأنية الثمينة . كم
ازدهرت المصنوعات الزجاجية الدقيقة والمخارية الرقيقة من اواني الشرب
وصنح الموازين ، وبلاطات الخزف التي كانت تكسو الحيطان وتزين الأرض
وتضفي الكثير من البهاء على النافورات ومواجل الماء . (٢٤) .

تقدم النسيج :

ولقد اشتهرت افريقية كذلك بصناعة البسط التي كان لها قدوما
الجليل في المشرق حتى أنه كان على أمير القيروان أن يقدم منها - مع ما كان
مرسوما عليه من المال السنوي - ١٢٠ (مائة وعشرين) بساطا إلى بغداد ،

(٢٢) البلدان للبيهقي ، ص ٢٤٩ .

(٢٣) بلاد البربر والمشرق الاسلامي ، ص ٧٩ والرواشي .

(٢٤) حندا . ولز أن الثور على صنعة زجاجية من أواخر أيام الأيوبيين . يعني أن خلال القري

لم ينتهم العناية باستغلال ثروات البلاد الطبيعية قبل الأغالبة . ج مارسية ، بلاد البربر ، ص ٥٥ ،

جس ٧٩ والهاشم ٥٠ .

كما يذكر ابن خلدون (٢٥) ، فكان بلاد الأغالبة كانت منافسا لحدائه للمشرق. الأيراسي العريق في تلك الصناعة المتيدة . ومارالت البلاد أنونسيًا معتدة بحراتها القافية في صناعة البسط ، ولكل إقليم ما بين القيروان والساحل. ومدن الجنوب أساليبه الفنية الخاصة به من حيث طريقة النسيج ، وشكل القطع ، ونوع الزخرفة ، وتحديد الألوان وتوزيعها .

وإذا كانت افريقية الأغلبية قد اشتهرت بصناعة البسط ، فأغلبه الظن أن ذلك ينطبق على صناعة النسيج أيضا التي سينوه بها الكتاب والجزافيون فيما بعد العهد الأغلبي ، حيث كانت الطرز التي تنسج أنواعا من الثياب الفاخرة منتشرة في كثير من المدن . مثل : قابس وسوسة (٢٦) وإذا صح ما يسجله رفون جست (R. Guest) من أنه عشر على قطعة من النسيج المصنوعة في طراز افريقية والتي تحمل اسم الخليفة الأموي مروان (بن محمد ؟) (٢٧) ، فإن ذلك يعني اهتمام العرب بصناعة النسيج في افريقية منذ وقت مبكر ويفسر ازدهار تلك الصناعة المستمر مع مرور الوقت . واكتساب الخبرة على عهد الأغلبية ثم على عهد الفاطميين والسنهالبيين .

وبذلك أرسى الأغالبة قواعد تلك الفنون الحرفية - وخاصة الزجاج والخزف - التي أمنت في القرنين التاليين (٤ ، ٥ ، ١٠/هـ ، ١١ م) ، على عهد الفاطميين - صهبيين وهي متأثرة مؤثرات مشرقية مستجبة من العراق ومن مصر (٢٨) .

الازدهار الاقتصادي :

ويفضل نشاط أمراء الأغالبة ، وعملهم على استقرار ذلك الازدهار

(٢٥) القنعة . ج ٢ ص ٦٧٤ (فصل في أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أم حيث الإشارة الى ما وجد بخط أحمد بن محمد بن عبد الحميد عما كان يحمل إلى بيتها بيشداد أيام لأماون من جميع النواحي . فقد كان القرار على الفريقية . هو : ثلاثة عشر ألف درهم مرتين (١٢ مليون درهم) . ومن البسط مائة وعشرون (١٢٠ بساطا) ، ج ماد بلاد البربر ٠٠٠ ، ص ٨١ .

(٢٦) انظر كتاب الاستبصار ، ص ١١٢ ، ١١٩ .

(٢٧) هجـ - مارسية ، بلاد البربر ٠٠٠ ، ص ٨١ .

(٢٨) انظر مارسية ، بلاد البربر ٠٠٠ ، ص ٨٠ ، وعن الآثار الشرقية والأناض

هي سيجاد (بسط) شمال الفريقية البدوي مما يشبه للعراق بين البدوي والمدني ، أ بوركاروت ، الفن الإسلامي .: لغته ومعناه (بالانجليزية) ، ص ١٠٨ .

الاقتصادي الذي ظهر أيضا فيما قاموا به من اصلاحات مالية ، مثل تحسين العملة ورفع مستوى سبيكتها الذهبية ، وتحديد الضرائب المنظمة التي تدخل الخزينة العامة سنويا بصرف النظر عن حالة المحصول ، وتأمين شبكة الطرق التي كانت تمر بالتبروان ، أصبحت التبروان أهم مركز تجاري في الشمال الاوربي على المستويين الداخلي والخارجي . فلقد زاد نشاط أسواقها ، واتسعت حوارها ، وعمرت بمختلف السلع الواردة والصادرة . فكانت تجارها يجسدون الريت من منطقة الساحل (صفاقس) ومن طرابلس ويسعون في الأسواق المختلفة ، وكانوا يصدرون القمح الى الاسكندرية ، كما كانت تأتيهم خيرات بلاد السودان ، من الذهب والعاث والرقيق . هذا ولقد شاركت التبروان ، في هذا الازدهار الاقتصادي ، كثير من المدن ، مثل قابس وصفاقس وسوسة كما انتعشت عواصم الاقاليم ، مثل قفصة وطبنة والأربس وغيرها .

ولا شك في أن ما عثر عليه من العملات الأغلبية الموجودة في المتاحف المختلفة ، من الدنانير الذهبية التي حافظت على جودة سبيكتها ، وعلى سلامه ورنها (٤٢٠ حرام) طوال عهد الاعالبة - باستثناء عهد الاحيرمنهم - زيادة الله الثالث - هو خير دليل على تأكيد ذلك الرحاء الذي عرفه افريقية الاثنية رغم الأزمات السياسية وبعض السوازل الطبيعية التي مرت بالبلاد ما بين وقت وآخر (٢٩) ، مما سبق ذكره .

تاهرت الرسمية :

العناية بالزراعة :

وفيما يتعلق بتاهرت والمغرب الأوسط فقد عرفنا ، هنا أيضا ، عهد ازدهار اقتصادي بفضل نشاط الائمة الرستميين . ومن لاذ بهم من بني جلدتهم من الفرس الذين كونوا جماعة مرموقة كان لها كيانها الخاص ، كما كان لها نشاطها في كل من ميدان السياسة والاقتصاد ، في منطقة العاصمة

(٢٩) انظر ج . مازسيه ، بلاد البربر ، ص ٨٢ .

(٣٠) ولي زراعة تاهرت يقول اليعقوبي انه « لم يكذب زرع البلد قط الا ان يصيبه

ريح أو برد (البلدان ، ص ٣٥٨) ، هذا ، كما ان السهل الواقع جنوب تاهرت وشرقها ، وهو الآن ما زال تليقا بفرائث القرى التي يرحح أن يكون كثير منها من العهد الرستمي . يشهد على ازدهار المنطقة وقتئذ : أطرج - مازسيه ، بلاد المرزوق الاسلامية ، ص ١١٠ .

تاهرت ، وإذ كانت إمامة تاهرت قد عانت من الانقسامات المنهية التي انتهت بالصراعات السياسية والمسكرية التي رأيناها ، فإن الجماعات الخارجية التي شقت عصا الطاعة على إئمة تاهرت كان لها دورها الحضاري في الأقاليم البعيدة حيث نشطت في أعمار البلاد ، وتيارت مع الإئمة في الاهتمام بالتجارة والثقافة ، فكان الجميع عملوا جنبا إلى جنب ، وإن عمل كل طرف لحسابه الخاص ، على نشر الحضارة والعمران -

فيفضل نشاط عبد الرحمن بن رستم وخلفائه الذين اعتنوا بإقليم تاهرت ذي المناخ القاسي فأحسنوا استخدام الأمطار ، ونظّموا أعمال الري فاجردوا الأنهار ، عبرت للمنطقة وعرفت الزراعة وغراسة الأشجار بمد أن كانت منطقة رعوية فقط (٤٠) . كذلك ازداد عمران مدينة تاهرت نفسها وأصبحت تسمى عراق المغرب ، كما يقول اليعقوبي (٤١) ، بفضل المهاجرين إليها من المشرق وخاصة من العراق ، من : الكوفة والبصرة ، ممن اعتنوا وبنوا الدور والمساجد والقصور ، كما يذكر ابن الصغير (٤٢) .

الاهتمام بالتجارة :

والحقيقة أن ازدهار تاهرت هنا لا يرجع إلى عملية الإحياء الزراعية وحدها ، وذلك إن أهمية تاهرت الرستمية تمثلت بشكل خاص في أنها كانت الوسيط في تبادل السلع بين الأقاليم الزراعية في شمال المغرب الأوسط حتى الأقاليم الساحلية حيث كان مرسى فروخ معروفًا بأنه مرسى مراكب تاهرت ، كما يقول اليعقوبي (٤٣) ، وبين أقاليم الرعي الجنوبية وما يليها من الأقاليم الصحراوية وبلاد السودان .

وبلغ اهتمام الأئمة بتجارة السودان حتى قيل إن أفلح بن عبد الوهاب كاد يسافر إلى جوجو (كوكو) للتجارة أيام إمامة والده ، ولم يمنعه من ذلك إلا توفقه في مسألة من مسائل الربا التي امتحنه بها والده ، رغم ما عرف به من العلم (٤٤) .

(٤١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٢ .

(٤٢) أنظر فيما سبق ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٤٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٢ .

(٤٤) أنظر الوسياني ، كتاب السير ، مطبوع ، دار الكتب المصرية ، ورقة ٣٥ وجه -

وهكذا كانت تاهرت ، مثلها مثل القيروان من أعظم أسواق المغرب
ولا شك في أن الثروات التي جمعها الكوفيون والبصريون والقيروانيون ،
وغيرهم من أصحاب الدور والقصور في تاهرت ، كانت ثمرة عملهم في التجارة ،
وخاصة مع بلاد السودان التي كانت بحق في ذلك الرمان بلاد الذهب (٤٥) .

والى جانب هؤلاء التجار من المشاركة ، من عرب وفرنس كان للمقاربة
(البربر) من أهل البلاد جهودهم في تنشيط تجارة تاهرت ، مثل :المزاتيين
الذين سكنوها وأصبحت أموالهم إحدى دعائم الدولة الرستمية الى جانب
جند نعوسة (٤٦) ، والهوريين الذين أتوا من افريقية وسكنوا في أحسد
الأودية غربى المدينة ، وغيرهم من : اللواتيين والمطماطين والزواغيين ، أو من
الصنهاجيين والزناتية ممن سكنوا تاهرت (٤٧) .

حراسة القوافل :

وإذا كانت بعض القبائل المغربية المشاركة لائمة تاهرت ، كانت تحاول
الميش السهل عن طريق اعتراض قوافل التجار ، كما فعلت زناتة على عهد
أبي اليقظان الذى ارسل ابنه أبا حاتم لحماية بعض القوافل الآتية من
الشرق ، فان كثيرا من القبائل التي رمت بالطاعة ، بل ومن التي رفعت راية
العصيان ، عملت على تقدم العمران في بلادها .

العمران خارج تاهرت :

فعلى مسافة أيام قليلة شرق تاهرت كانت بلاد بنى دمر وهم من يرير
ناتة ، تليها بلاد أقاربهم من بنى برزال ، وكانوا كلهم خوارج أو شرارة ،
ما يسميهم اليعقوبى ، وكانت بلادهم : « بلد زروع ومواشى » (٤٨) . أما عن
الزباب التي كانت في حكم الأغالبة وقتئذ ، فلا شك أن الجماعات الخارجية
مت منتشرة فيها ، رغم عدم إشارة اليعقوبى الى ذلك (٤٩) . وهذا ما يفسر
ان صارت بلاد الزباب أهم معقل الاباضية بعد العهد الرستمي . كما

(٤٥) انظر فيما سبق ، ص ٤٠٦ .

(٤٦) انظر فيما سبق ، ص ٣٨٧ .

(٤٧) انظر مارسيه ، بلاد البربر ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٤٨) البلدان ، ص ٢٥٢ .

(٤٩) انظر البلدان ، ص ٣٥٠ .

كانت جماعات الخوارج مزدهرة في قلب الصحراء في اقليم ورجله حيث قبائل
سدراة : ائصار الزستيميين الاوائل منذ عهد عبدة الرحمن بن رستم (٥٠) .
ومثل هذا يقال عن جماعات الخوارج في جبل أوراس ، جنوب هضبة قسطينة
حيث اقامت جماعات من هوازة كانت تحيط بمدينة باغاية (٥١) .

ومن جماعات الاباضية المخالفين لامامة تاهرت الذين يذكرهم اليعقوبي ،
تلك الجماعة التي كان يرأسها ابن مسالة الهواري الذي كان يسكن مدينة
تسمى الجبل غير بعيد من البحر ، وكان لها مزارع وقرى وعمارات وأشجار .
وكانت مملكة ابن مسالة هذه تتاخم مملكة محمد بن سليمان العلوي ، كما يقول
اليعقوبي (٥٢) .

عمران جبل نفوسة :

اما اكثر مواطن الخوارج ازدهارا واستقرارا خارج تاهرت فكان ، من
غير شك ، جبل نفوسة ، معقل الاباضية دون منازع . فعلى عهد امامة تاهرت
عرف جبل نفوسة عصر ازدهار حقيقي . فقد زها بضياعه وقراه ومزارعه
وعماراته الكثيرة (٥٣) ، وأثري تجاره الذين نافسوا تجار تاهرت في نشاطهم
الى قلب الصحراء وحتى بلاد السودان (٥٤) .

وحول جبل نفوسة ، شرقا في منطقة صرت الداخلة في نطاق اقليم
برقة ، وجنوبا في اقليم ودان ، انتشرت قبائل مزاتة الذين عرفوا بانهم كلهم
اباضية ، وان كان اليعقوبي يعلق على ذلك قائلا : « على أنهم لا يفتنون ولا لهم
دين » . وفيما وراء ودان جنوبا كان أهل زويلة أيضا كلهم من الاباضية ،
وكانت لهم تجارتهم مع السودان ، وان كانوا قد تخصصوا في تجارة الرقيق
حيث كانوا يأتون بأصنافهم المختلفة ، من : المزيين ، والزوغاوين ، والمرويين،
وغيرهم من اجناس السودان (٥٥) .

(٥٠) انظر ج . مارسيه ، بلاد البربر الاسلامية ، ص ١٠٣ .

(٥١) انظر اليعقوبي ، ص ٢٥٠ .

(٥٢) البلدان ، ص ٢٥٦ .

(٥٣) اليعقوبي ، ص ٢٤٦ .

(٥٤) انظر فينبا سبغا / ص ٤٠٥ .

(٥٥) انظر اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

سجلماسة المرورية :

وهكذا كانت الجماعات الاباضية في أواخر القرن الثالث الهجري مزدهرة في صحاروات المغرب ما بين تاهرت وورفة بفضل اشغالها في الزراعة باحياء الأرض ، وفي التجارة ما بين الشمال وبلاد السودان . ومثل هذا يقال عن جماعات الصفرية في سجلماسة الذين كانوا مرتبطين بتاهرت بطريق بجازي يصفه اليعقوبي : بأنه يخرج من تاهرت في اتجاه بين القبلة والمغرب ، ويمر بعد ٣ (ثلاث) مراحل بمدينة أوركا التي كانت لبعض قبائل زناتة المعروفين ببسى مسرة ، ثم يحرف غربا إلى أرض زناتة ، قبل أن يصير إلى مدينة سجلماسة بعد ٧ (سبع) مراحل تقريبا . وأذا وصب اليعقوبي بعض الطريق بأنسه مفارة أي صحراء فاحلة ، فإن معظم مسيرته كانت في قرى ، وإن وصلت بأنها عبر أهلة .

أما مدينة سجلماسة نفسها ، فكان لها نهر يقال له زيز وكانت زراعة أهلبا ، وأكثرهم من صنهجة ، المدخ والدرة . وإذا كان اليعقوبي يعرف أن وادي درعة يدخل في قرى سجلماسة ، فإنه يشير إلى أن إحدى مدن درعة ، وهي تامدلت ، كانت تابعة لأحد الإدارات وهو يحيى بن ادريس العلوي . وإذا وصفت تامدلت بأنها لم تكن بالثديس الكبيرة ، فمن المهم أنه كان « حولها معادن ذهب وفضة . يوجد كالكسات ويقال إن الرياح تسفيهه » (٥٦١) . ولا بأس أن يكون استقرار الإدارة بعيدا في وادي درعة من أجل استغلال تلك المعادن الثمينة .

والذي يلفت النظر هنا هو أن العلويين من الإدارات كانوا يراحمون الخوارج الصفرية في العمل الحضاري في صحاروات سجلماسة الجنوبية ، كما زاحموا اباضية تاهرت في تلمسان وسواحل المغرب الأوسط ، فكان الرستميين ولإدارة عملوا جنبا إلى جنب في النهضة المدنية لبلاد المغرب ، في قرن الثالث الهجري / ٩م ، وإن كان عن غير قصد .

ناس الادريسية :

وكما كان للأغالبة والرستميين دورهم في الأخذ بيد النهضة الاقتصادية التي عرفتها افريقية والمغرب الأوسط ، كان للإدارة نصيبهم في أعمارهم

(٥٦) اليعقوبي البلدان ، ص ٣٥٩ ، وأطر فيما بعد . ص ٢٢٩ - ٢٦٦ . ص ٥٩٧ (من

أعمال . خبر التي خرج بها هيب الله من سجلماسة) .

كل من المغربين : الأقصى ، والأوسط . فقد كان وجود امام علوي في منطقة فاس سببا في وصول فيض من المهاجرين العرب ، من : الأقارب العلويين الوافدين من المشرق ، والقيروانيين القادمين من مملكة الأغالبة ، والأندلسيين الباحثين لهم عن موطن جديد . ووجد كل هؤلاء ببيتهم المنشودة في خاصية الأدارسة التي تضخمت عموتها ، حتى أصبحت في أواخر القرن الثالث الهجري ، على أيام اليعقوبي وعلى عهد يحيى بن يحيى بن إدريس - الملقب بالمدينة العظمى التي يقال لها مدينة افريقية ، على النهر العظيم الذي يقال له فاس (٥٧) .

وحق لليعقوبي أن يخطئه ويسمي مدينة فاس « بمدينة افريقية » ، فكانها صارت اختا « مدينة القيروان العظمى (٥٨) » ، وهو الأمر المقبول من حيث العمل الحضاري ، كما نرى . فمدينة فاس ، كما يصفها اليعقوبي في أواخر القرن ٣ هـ / ٩ م : « جليلة ، كثيرة العمارة والمنازل » ، وهو يعد في الجانب الغربي من نهر فاس ، أي في « مدينة أهل الأندلس » ثلاثة آلاف رجا تطحن بماء النهر الجاري (٥٩) . فكان مدينة فاس الأدرسية كانت في أقصى المغرب ممثلة حقيقية لحضارة العرب الناهضة في ذلك الوقت المبكر ، ومنافسة حقيقية لمواضع المشرق التي لم تال جهدا في استخدام القوى الثمالية والهوائية لإدارة الطواحين بدلا من الدواب والماشية . والى جانب الطواحين كان على نهر فاس : « عمارات جليلة ، وقرى وضياع ومزارع من حاشيته » ، منذ منابه من العيون القبلية الى أن يفيض في نهر سبو (٦٠) .

شمال فاس ، وبلاد الريف :

أما عن بقية مملكة فاس التي قسمت منذ عهد محمد بن إدريس ، فكان نهر سبو على أيام اليعقوبي ، إقطاعا لحمزة بن داود بن إدريس . والى الشمال منه كانت « حصون وعمارات وبلد واسعة » ، لواحد من ولد داود بن إدريس ، يلي ذلك قلعة صديفة التي كانت لمحمد بن عمر بن إدريس . وكان آخر حدود مملكة بني إدريس بن إدريس ، في بلاد الريف شمالا ، بلد يسميه اليعقوبي « منحاس لخانة » ، حيث يجتمع حاج السوس الأقصى وطنجة ، وكان تغلى

(٥٧) البلدان . ص ٢٥٨ .

(٥٨) البلدان . ص ٢٢٧ .

(٥٩) البلدان . ص ٢٥٨ .

(٦٠) البلدان . ص ٢٥٨ .

ابن عمر بن ادريس ، ثم بلدة غميرة ، الذي نظن أنه غمارة ، وكان لعبد الله
ابن عمر بن ادريس (٦١) -

تلمسان واحوازها :

بلاد بني محمد بن سليمان :

وتأتي بعد فاس مدينة تلمسان ، المدينة العظمى المشهورة بالمغرب ، كما
سُميها اليعقوبي بمعنى العاصمة ، وكانت أول معاقل العلويين من بني محمد بن
سليمان ، من حيث انتشروا في سواحل المغرب الأوسط وبواديه - فتلمسان
التي يصفها اليعقوبي كانت مدينة حصينة عليها سوران من حجارة ، مثل
بغداد ، وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة ، وحولها قبائل من بربر
مكناسة - أما صاحبنا في ذلك الوقت ، فكان محمد بن القاسم بن محمد بن
سليمان (٦٢) -

ما بين بني محمد بن سليمان والاباضية :

وفي شرق تلمسان كانت هناك مملكتان لبني محمد بن سليمان ،
تتبعها متاخمة لمملكة ابن مسالة النوازي الاباضي ، وعاصمتها مدينة تمطلاس ،
وأكثر أهلها من بربر مطاطة (٦٣) ، وتأتيهما عاصمتها مدينة مذكورة ، المتاخمة
من حية الشرق لبلد متيجة ، وكانت للحسنيين من بني محمد بن جعفر -
ومملكة متيجة هذه كانت بلدا واسعا ، « فيه عدة مدن وحصون ، وهو بلد
زرع وعمارة » (٦٤) ، والى الغرب من مدينة مذكورة ، اتصل ملك بني محمد بن
سليمان في مدينة الخضراء بما كان يتبعها من « مدن كثيرة وحصون وقرى
ومزارع » ، وينص اليعقوبي على أن كل رجل من بني محمد بن سليمان
كان مقيما متحصنا في مدينة وناحية ، « وعددهم كثير حتى أن البلد يعرف
بهم ، وينسب إليهم » وآخر المدن التي في أيديهم ، قرب ساحل البحر ، يقال
لها سوق إبراهيم وهي : المدينة المشهورة ، وكان صاحبها هو عيسى بن إبراهيم
ابن محمد بن سليمان (٦٥) -

(٦١) البلدان لليعقوبي ، ص ٣٥٧ .

(٦٢) البلدان ، ص ٣٥٦ .

(٦٣) البلدان ، ص ٣٥٦ .

(٦٤) البلدان ، ص ٣٥٢ .

(٦٥) البلدان ، ص ٣٥٣ .

ما بين بنى محمد بن سليمان وزماتة :

وإذا كان بنو عمومة الأدارسة قد اعتصموا بالإقليم الواقعة في شرق تلمسان حتى صارت تعرف ببلاد بنى محمد بن سليمان ، فانهم فقدوا في غرب تلمسان مدينة هامة حملت اسمهم ، هي « مدينة العلويين » التي تركوها لجماعة من زناتة ، بقيادة رجل يقال له علي بن حامد بن مرحوم الزناتي (٦٦) . وفيما وراء مدينة العلويين من جهة الغرب كان لبني محمد بن سليمان مدينة نمالنة ، وفي غربها كانت تنتهي مملكتهم بمدينة فالوس المتاخمة لمدينة تكور ، قاعدة ملك صالح بن سعيد النفزي . ويصف اليعقوبي فالوس بأنها « مدينة عظيمة أهلها من البربر من مظامة وترجة وجزولة وصنهاجة » . أما ملكة صالح بن سعيد ، وهي تكور ، فهي : « مسيرة عشرة أيام في عمارات وحسون وقرى ومنارل وزرع وضرع وخصب » ، وذلك الى حدود ملكة بنى ادريس بن ادريس (٦٧) .

الأدارسة في وادي درعة والسوس الأقصى :

والى جانب ملكة فاس ومملكة بنى محمد بن سليمان كان للأدارسة اماراتهم في وادي درعة في منطقة سجلماسة ، كما كانت لهم ممالكهم في السوس الأقصى حيث نزل ابو عبد الله بن ادريس بن ادريس ، وكذلك في البلاد الممتدة ما بين السوس الأقصى وأغصات ، التي يصفها اليعقوبي بأنها : « ملك خصب فيه مرعى وزروع وسهل وجبل ، وأهله قوم من صنهاجة (٦٨) » .

وهكذا انتشر الادارسة فيما بين المغرب الاوسط وأقصى المغرب الاقصى الى صحراء سجلماسة وبلاد السوس . وعملوا على تمدين البلاد وبنوا المدن والأسواق ، مثل : مدينة العلويين وسوق ابراهيم في المنسرب الأوسط ، واستغلوا مناجم الذهب والفضة ، كما فعلوا في تامدلت بوادي درعة : فقتلوا عما قاموا به في سبيل اعمار منطقة وادي فاس ومدينة فاس بمدينة افريقيا المظلي ، كما يسميها اليعقوبي .

خلاصة الموقف العمراني :

وهكذا تكون بلاد المغرب قد عرفت نوعاً من الإزدهار الاقتصادي (المادى

(٦٦) البلدان لليعقوبي ، ص ٢٥٦ .

(٦٧) البلدان لليعقوبي ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٦٨) البلدان ، ص ٣٦٠ .

في القرن الثالث الهجري/٩م بفضل مجهودات كل من الإغالية والروستمين والأدارسة ، ونبأ بعد فترة الاضطراب التي شهدتها البلاد على عهد ولاية دمشق والعباسيين الأرائل - فقد كان استقلال كل أسرة بمملكته حافزا لها على تنمية مواردها المالية ، فانفتحت دخلها في العناية بالزراعة وأعمال الري ومد المدن بناياه ، وثابن طرق المواصلات اللازمة للتجارة ، مما عاد على أهل البلاد بالرخاء ، وعلى الحكام بالتسكن من الأمر واستفعال الملك .

ولقد اضطردت هذه القاعدة عندما دب ديبب الفتنة في كل من الدول الثلاث فاختلف أمراء الأسر الحاكمة فيما بينهم ، وقام المتغلبون في المدن والأقاليم ، إذ نشط كل متغلب منهم في تنمية موارد اقليته ، وعمل على أن تكون ندينته منافسة للمدينة العظمى أي العاصمة ، وهذا ما يفسر انتشار المدن العظمى ، في وصف اليعقوبي للبلاد على طول الطريق من الفريقية الى أقصى المغرب . والمدن التي توصف بالمعطي ١٢ (اثنا عشرة) مدينة هي : القيروان ، وتونس (٦٩) ، وسيبطة (٧٠) ، وتوزر (عاصمة قسطنطينية) ، وبشرة (عاصمة نفزاوة) ، وطينة (عاصمة الزاب) (٧١) ، وميلة (٧٢) ، وتاهرت (٧٣) ، وتمطلاس (٧٤) ، وتلمسان (٧٥) ، وقالوس (٧٦) ، وأخيرا فاس (٧٧) .

هذه المدن - دون ذكر غيرها من العواصم المحلية التي كان يتربها الولاية ، والمتغلبون من القواد ورؤساء القبائل - التي زهت بأسواقها ، ومتاجرها وحرفيها ، وحماماتها ، وقصورها ، ومساجدها الجامعة والمحلية ، والتي جمعت أخلاطا من الناس ، من عرب المشرق : الصرحاء والموسمين بالفرس وبالبحرانية ، عرب المغرب : الوافدين من افريقية والأندلس ومن المغاربة

-
- (٦٩) مدينة طنجية . البلدان ، ص ٣٤٨ .
(٧٠) لدمية القديمة المعطي . البلدان ، ص ٣٤٩ .
(٧١) البلدان ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .
(٧٢) مدينة عطية حيلة : البلدان ، ص ٣٥١ .
(٧٣) البلدان ، ص ٣٥١ ، المدينة العظمى . جراق المغرب .
(٧٤) من عواصم بلاد بني محمد بن سليمان المناخنة لملكة تاهرت قرما : البلدان ، ص ٣٥٦ .
(٧٥) البلدان ، ص ٣٥٦ .
(٧٦) من عواصم بني محمد بن سليمان غرب تلمسان . البلدان ، ص ٣٥٧ .
(٧٧) المدينة العظمى التي يقال لها مدينة الفريقية . البلدان ، ص ٣٥٧ .

(البربر) على اختلاف قبائلهم : الصرحاء منهم والمتسبين إلى عرب اليمنية والقيسية ، عرفت أيضا ازدهارا ثقافيا وروحيا ، مما كان نتيجة طبيعية لهذا الازدهار المادي ، وذاك التنوع في الاجتماع البشري .

الازدهار الثقافي والحياة الروحية :

الاطار المكاني :

والحقيقة أن كل عاصمة سياسية كانت على قدر أهميتها - كبرت أم صغرت - سوقا تجارية ومركزا علميا في نفس الوقت . وهنا "نجد ازدهار التجارة وثيق الصلة بتقدم العلوم والثقافة . فعلى قدر تراكم المال والثروة يكون الاهتمام بالمدينة والحضارة . فتكديس الثروات في كل من العواصم أو (المدن العظمى) هي التي تفسر بناء الدور والقصور ، وتشييد الجوامع والمساجد التي صارت معارض للفنون التشكيلية ومراكز للعلوم والثقافة ، من : دنيوية ودينية .

في الفريقية :

متحف جامع القيروان :

ففي الفريقية الأغلبية كان جامع عقبة - مفخرة مدينة القيروان ومتبع زهوها إلى اليوم ، الذي كان أعيد بناؤه أكثر من مرة بمعرفة ولاية الأمويين والعباسيين ، قبل أن يجده بالشكل الذي وصل إلينا الآن زيادة الله الأول ومن أتى بعده من أمراء الأغالبة - متحفا للفن الإسلامي في الفريقية ، كما كان مركزا للعلوم الدينية . فهو ، بفضل اتساع مقاييسه ، وبساطة خطوطه ، وزخرفته الضخمة القديمة ، وتخطيطه المعماري العربي الأصيل ، المستوحى من تخطيط مسجد النبي في المدينة ، يعتبر آية من آيات الفن الإسلامي المبكر . وأول ما يشد النظر عند الدخول إلى المسجد الجامع هو الصحن الفسنيح ، الذي يوحى للزائر بأنه في ميدان رئيسي لبعض المدن الفخيمة ، بفضل مجموعات السقائف البديعة المحيطة به ، التي ترفقها الأقواس نصف الدائرية الجميلة ، المحملة على رؤس الأعمدة الرشيقة ذات النقوش المختلفة والأبواب المتنوعة .

مما ثم صنمه بأيدي الفنانين المعاصرين من أهل البلاد . ومن الوافدين ، ومما يرجع إلى ما يقبل للإسلام بالأمر الذي يجعل من عناصر الجامع متحفا حقيقيا .

وينفتح على الصحن الواسع بيت الصلاة الذي تقسمه صفوف من الأعمدة

الرابعة ، دوات التيجان النخبة المأخوذة من العمائر القديمة ، الى : ٦٧ (سبعة عشر) رواقا عمودية على حائط القبلة ، و ١٠ (عشرة) أروقة عرضية موازية لحائط القبلة « مظافة بسطح مستوف تحمله حوائز خشبية مزخرفة بأنواع الزواق . والرواق الأوسط ، كما هي المادة في المساجد العربية الطراز ، أكثر اتساعا وأعلى ارتفاعا من بقية الأروقة على الجانبين (٧٨) ، وعلى كل من طرفيه تقوم قبتان رشيقتا الأضلاع . وفي معابد الرواق الأوسط . وعلى سمت قبتيه المصلعين ، تقوم - في طرف الصحن - مائة الجامع العريفة ، بشكلها المربع وهيكلها المهيب .

ويكاد الأثريون يتفقون على أن الأثر الشامي يظهر في تخطيط هذه المنارة وفي موقعها من الجامع ، بينما تدل هيئة السورى وكذلك شكل الأقواس على أنها منقولة من مصر . وإلى جانب ذلك هابيم يجنون في بعض تفصيلات العباب تقليد للعمائر العراقية المعاصرة . أما عن الزخارف المنحوتة في الحجر أو في الرخام فهم يرون أنها تمتق مع تقاليد المصانع المحلية .

والهم في كل ذلك هو أن اختلاف المؤثرات ، هذا ، لا ينمى نتاسق للمجموع : فالعناصر الوافدة من العراق ، والمستجلبية من مصر ، وكذلك العناصر الافريقية المحلية القديمة وهي تكاد تمثل أخلاط الناس من سكان المدن ، من : العرب والخراسانية والمعاربية أو السري ، اشتركت جميعا في التعبير الكلى الجميل ، وهو ما يمثل عبقرية الفن العربي الاسلامى .

وأخيرا فإن ما قيل عن مسجد عقبة الجامع يمكن أن يقال عن جامع الزيتونة بتونس ، وعن رباطات سوسة والساحل ، التي جمعت في مبانيتها

(٧٨) وهذا الأمر جعل الأثريين الأوربيين يشبهونه بالرواق الرئيسى فى البازيليكية (الكنيسة) المسيحية ويقولون انه مستوحى منها - انظر ح- مارسيه ، الفن الاسلامى ، ط٠ لاروس (بالفرنسية) ، ص ٥٠ ، وقارن كرسويل ، الفن الاسلامى المبكر ، ط٠ بليكان (بالانجليزية) ، ص ٢٥٦ - ٢٥٨ (حيث يقرر فقط أن الرواق الأوسط كان على البداية أوسع مما هو عليه الآن بإسرة أقدام) ، وانظر أحمد فكرى ، المسجد الجامع بالقيروان ، ص ٢٥ : حيث يفسر اتساع الرواق الأوسط بالحاجة الوطنية لهذا الرواق الذى يقابل المحراب والمبهرحتمى يسبح لآهم عدد من المصلين المتجمعين فيه ، من رؤية الامام وهو يخطب أو وهو يؤمهم فى الصلوات . وهذا ولقد طوى الدكتور احمد فكرى نظريته فى الاضية-الوطنية لاتساع الرواق الأوسط فى المساجد الاسلامية فى كتابه « المدخل الى مساجد القاهرة ومدنوتها » انظر ص ٣٠٠ - ٢٦٢ .

ما بين الحصن والجانب ، كما يظهر في رباط المستشير الشهير والحقيقية
 ان من الآثار على جانب ما يقى للمسلمين والمنظر والمزاجيل وبعض الفسوق
 الصغرى ، يؤكد مولد من حسن التناوب . قوى التصير ، ويثبت تحيـام
 مدينة حسنة ، وهي في سبيلها الى مزيد من التقدم والازدهار ، مع ازدياد
 انصهار ذلك الخليط المبرقش من تـلاط الناس ، الذين عبر ذلك الفن عن
 شخصيتهم المركبة في ذلك العصر .

في تاهرت :

خصائص ذاتية : حياة البساطة وانعكاساتها في المجتمع :

وإذا كانت بقايا الآثار الأغلبية - وهي قليلة - تسمح باعطاء فكرة عما
 كانت عليه العمارات الدينية ، وخاصة المساجد ، ومسجد عقبة على وجه
 الخصوص ، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة لتاهرت الرسمية . فمن الأمور
 المتفق عليها ، أنه رغم ازدهار تاهرت المادى بفضل تنوع عناصر سكانها ، من
 العرب ، والفرس ، والبربر ، الذين كان لهم أثرهم من غير شك فيما قاموا
 هناك من المباني ، فإن امامة تاهرت ظلت محافظة على تقاليد الخوارج التي
 تمثل في حياة التقشف والافتقار من التمتع بـماج الحياة . حقيقة أن التجارة
 ونحياة الاقتصادية كانت مزدهرة في تاهرت التي تكسبت فيها الثروات
 وبنيت فيها الدور والقصور ، ولكن مسار الحياة المادية هناك كان ينساب
 بايقاع رتيب ، يختلف عن ذلك الذي عرفتته الرقبة . فللسألة هنا لا تتعلق
 فقط بتكدس الثروات ، بحسب الحضارة - وهذا قانون عام سرى في القديم ،
 كما يسرى في عصرنا الحديث - بل هو وثيق الصلة بما تقتضيه أحوال
 البيئة : والبيئة الرعوية أو البدوية ، للمختلفة إذا لم نقل المتخلفة عن بيئة
 افريقية المادية ، كانت السائدة في بلاد تاهرت . .

امتداد حضارى القى :

وإذا لم يكن هناك مجال للمقارنة بين أئمة تاهرت المتفئتين ، المتسكنين
 بأهداب الدين ، وبين ملوك وقادة المتحررين ، المنفيين في مياهيح الحياة ،
 كذلك يمكن القول ان المسافة ظلت بعيدة بين ما كان عليه جامع القيروان
 الأغلبى وجامع تاهرت الرستمنى . أو غيره من بـوامع الإباضية المعاصرة التي
 لم يبق لنا من آثارها ما يسمح بمثل هذه المقارنة . وكذلك كان الحال بالنسبة
 لغير المساجد من المباني المدنية أو الحربية : حقيقة أن كتب السير الإباضية
 تتحدث عن كثير من المساجد والزوايا والمصليات التي بنما فـيـوخ للذهب

في كل من ترى جبل نفوسة ، أو القليم نفزاوة ، أو يلاذ الزاب ، أو اقليم تاهرت ، ولكنه من الواضح ان تلك المساجد كانت متواضعة تمثل تواضع المجتمعات الإباضية القاطنة في تلك البلاد وبساطتها -

هذا ما يمكن أن نفهمه عندما ندقق النظر في كتب الإباضية مثل : كتاب السير لأبي الربيع الوسياني (٧٩) ، حيث نجد أنه كان لمدينة قنطرة ، المتاخمة لجبل نفوسة ، مسجدا جامعاً كانت تقام فيه صلاة الجمعة على أيام الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، وهو الأمر الذي لم يكن معمولاً به في الجبل من قبل : لأن أهل الجبل « قري متباينة » يصعب تجميعهم كما يقول المؤلف . أما بقية قرى الجبل ٣ فكانت لها مساجدها المحلية ، غير الجامعة مثل : أو سلم التي تعتبر أول موضع أذن فيه المؤذنون في جبل نفوسة (٨٠) ، وارجلان الذي يعتبر موضع منبر جامعها أول موضع مسجد فيه لله في وارجلان (٨١) ، وأجلو التي كان لها مسجد كبير ، يحتوى على حصلي للنساء (٨٢) ، وجراف : من قرى الزاب (٨٣) ، وقابس التي عرف مسجدها بمسجد الوهيبية (٨٤) ، الى غير ذلك من المساجد التي عبرت بها قرى جبل نفوسة والأقاليم المجاورة ، بعد العهد الرستمي - دون اشارة الى ما ما كانت عليه تلك المساجد من مظاهر العران أو الزخرف .

هذا ، وإذا كانت بقايا مدينة سدراتة ، في اقليم ورجلة ، التي صارت عاصمة للخارجية بعد سقوط تاهرت ، قبل انتقال الإباضية الى الزاب ، قد كشفت عن وجود أصداء للخاتمة المياني العباسية في المدينة الصحراوية . فان أثر تلك الخاتمة العباسية كان ضعيفا على كل حال (٨٥) . فكان أخذ امامة تاهرت من حضارة المشرق العباسي كانت بقدر يتناسب مع بساطة مجتمعها الإباضي ، وهذه البساطة هي ما يميز حضارة الرستميين عن حضارة كل من الأغالبة والأدارسة .

-
- (٧٩) مخطوط دار الكتب المصرية ، رقم ح/٩١١٣ .
(٨٠) الوسياني . كتاب السير ، المخطوط : ص ١٢ - ١٠١ .
(٨١) الوسياني . السير ، المخطوط ، ص ١٢ - ١ .
(٨٢) الوسياني المخطوط ، ص ٢٥ - ١ ، ٩٠ - ب .
(٨٣) الوسياني المخطوط ، ص ٩٠ - ١ .
(٨٤) الوسياني . المخطوط ، ص ٦٨ - ١ .
(٨٥) انظر ح . عباسيه ، بلاد المغرب الاسلامية . . . ص ١١٥ - ١١٦ .

في فاس :

حضارة وسط بين القيروان و تاهرت =

أما عن تراث الأدارسة الذي لم يبق لنا منه الشيء الكثير ، من : الأثار المادية أو الشواهد الكتابية ، سواء في تلمسان والتغرب الأوسط أو في فاس والتغرب الأقصى ، فأغلب الظن أن حضارتهم المادية كانت وسطا ، بين حضارة القيروان التي تكاد تمثل حضارة بغداد بكل مظاهرها ، وبين حضارة تاهرت التي لم تأخذ من العباسيين الا بقدر . فمدينة فاس عند بدء بنائها في أواخر القرن الثاني الهجري / ٨م كانت أشبه بقيروان عقبه الأول قبل ذلك بأكثر من مائة عام ، كما أن كلا من حامعي عدوتيهما : الأشياخ في عدوة الأندلس الشرقية ، وانشرفاء في العدوة الغربية ، كان يذكر ببساطته وصغر حجمه جامع عبد الرحمن بن رستم في تاهرت الذي بنى قبلهما بحوالي نصف قرن .

حقيقة انه بمشاركة المهاجرين ، من الأندلس ومن بلاد القيروان في بناء مدينة ادريس بن ادريس ، تمدنت عدوتي فاس بفضل ما حمله معهم هؤلاء : من تراث أهل الأندلس الشامى الأصل ، الذي كان قد بدأ يتأثر بحضارة بغداد ، ومن تراث أهل افريقية الذي ظهرت فيه مؤثرات بلاد مصر والشام و العراق ، ولكن تمدن العاصمة الادريسية الجديدة ، كان محدودا في ذلك الوقت . على كل حال .

جامع القرويين الادريسي :

فحتى جامع القرويين الذي ما زالت نعتز به مدينة فاس الى اليوم ، كما اعتزت به على طول العصور ، على زعم انه من بناء الأئمة الشرفاء ، رغم ما هو معروف من أنه من بناء الوافدين على فاس من أهل القيروان ، كانه عندئذ بنى في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م كان صغير الحجم بمقتواضع البناء - على ما يظهر - هذا ما يفهم من قصة بنائه التي تنص باصرار شديد على أن المال الذي أنفق على البناء كان ما حللنا لم تدخله شبهة ربح غير حلال من تجارة أو غيرها - بل ومنه الإصرار أيضا على أن مواد البناء ، من : حجر ورمل و ماء ، أتت حللا صافيا من نقسن أيضا الجامع وليس من غيرها ، مما يترتب عليه بحكم الضرورة ، أنه يكون البناء بسيطا بما يتناسب مع تلك التواضع المحدودة .

ومثل هذا يمكن أن يقال أيضا عن جامع الأندلس الذي ينسب بناؤه الى

نفس الأسرة القروية (٨٦) التي يظهر أنها كانت مالكية متشددة .

وهذا ما يذكرنا بتشدد إباضية تاهرت وبساطتهم ، وهو الأمر المقبول؛ إذا ما تذكرنا أن المنطفة كانت منطقة خوارج المغرب الأوائل ، وأن الإمام ادريس ابن عبد الله عندما نزل على أوربة كان زعيمهم من الواصليّة أو المعتزلة ، وهم يعنى فرق الإباضية هناك ؛ ولا بأس أن يكون ذلك الاصرار فى مسألة الحلال وطهارة المسان قد أتى من جانب البنائين القيروانيين المالكية كما قلنا . وهنا قد لا يفسر تزمّتهم الدينى هذا الا ما عرفوه من تساهل أمرائهم السابقين فى افريقية . فكان تعصب أهل القيروان فى فاس كان رد فعل مقبول لتحرر الأغلبة فى القيروان ، وهذا يعنى أنهم ، وإن كانوا قد حصلوا معهم حضارة بلادهم الأغلبية ، فإنهم لم يكونوا ليسرفوا فى التعبير عن مباحجها . وبذلك يمكن القول أن جامع القرويين الادريسى كان وسطابين جامع القيروان الأغلبى ، الذى عبر عن حضارة افريقية كانت فى سبيلها الى المزيد من التفتح والازدهار ، وبين جامع تاهرت الرستمي الذى ظل محتفظا ببساطته المناسبة لتكشف رواده ، رغم المؤثرات الحضارية التى وفدت على المدينة من افريقية والعراق ، ومن الأندلس .

جامع القرويين الزناتى وتسمية العتوة باسمه :

أما عن جامع القرويين الذى صار مفخرة حقيقية لمدينة فاس فيرجع الى عهد الرناتيين الذين خلفوا الادارة ، والذين ارتبطوا بالأندلس - رعية منهم أو رعية - بملاقات وثيقة ، فكان الأثر الأندلسى فيه أوضح من غيره مسن المؤثرات ، وهو الأمر الطبيعى . وأغلب الظن أن مدينة الضفة الغربية لوادى فاس اشتهرت باسم عدوة القرويين نسبة الى جامعها الذى صار أشهر مساجد المغرب الأقصى وهرقها ، بعد أن طغى بشهرته على جامع الادارة الحقيقية فى المدينة ، جامع الشرفاء ، وحتى دار فى خلد البعض أن جامع القرويين هو جامع ادريس بن ادريس (٨٧) .

(٨٦) أطر جلوة الاقناس لابي التامى ، ص ٢٩ . حيث يقسم أن عاتمة أم البين شرعت فى بناء جامع القرويين ، وأن اختها مريم شرعت أيضا فى نفس الوقت ، وهو سنة ٢٤٥ هـ / م ٨٥٩ . فى بناء جامع الأندلس ، وألظر منه عن جامع الأندلس ، ص ٤٣ .
(٨٧) أطر عبد الهادى التازى ، جامع القرويين بفاس ، رسالة دكتوراه على الاله الكاتبة ، قدمت لجامعة الاسكندرية سنة ١٩٧١ ، وطبعت فى بيروت ولكن لم تطلع على المطبوع ، ص ٤٧ . حيث يشير الى العثور على لوحة تذكارية حشوية كبيرة الحجم فيها ذكر لسنة =

غاس الادريسية :

والحقيقة ان هذا لا يتعارض مع تحول فاس ، على عهد الادارسة ، الى مركز حصري مرموق . واداً كانت كتب التاريخ او نعايا الآثار لا تجعل من مسجد القرويين او قصور المدونين منافسة لجامع العروان الاعلى او لعصور رقادته ، فقد وهت عاصمة الادارسة بحماماتها وبطراحي ماها ، كما ظهر بعض من امراء الاسرة الشرفاء بظهور المتحررين الذين لا يتورعون ، في سبيل ملاذهم ، عن القيام بالمغامرات العاصحة ، في الاماكن العامة (٨٨) .

أما ما يقوله ابن القاصي بمناسبة سكنى ادريس بمدينة فاس من أنه اتتها التجارات واهل الصاعات من كل صقع ، حتى تكامل بها كل متجر ، وسيقت إليها حيرات الأرض . وجمعت فيها طرف الدنيا وتكاملت فيها حتى حصار لأهل ذلك . لا عالم أعرف من عالمهم ولا راية أثبت من رأويتهم ، ولا متكلم أحزل من متكلمهم ، ولا قاضي ألقى من قارئهم . . . ولا نحوي أعرف ممن يعوهم ، ولا شاعر أحذق من شاعرهم ، ولا قول أطرب من مثنويهم . . . ، فيدا ما حدث فيما بعد منذ أيام رباتة . . . الذين حملوا من العدوتين مدينة واحدة . ومن أتى بعدهم من لمتونة والموحدين ، كما يذكر المؤلف عقب أنشودة الأناشيد ، هذه (٨٦) .

تلمسان العلوية وغيرها من حواضر الادارسة :

أما عن الادارسة خارج فاس ، في تلمسان والمغرب الأوسط ، وفي بلاد الريف أو السوس الأقصى ، فابهم بنوا مدنا وحواضر حديثة ، مثل مدينة العلويين وسوق اراهيم ، ولكنها لم تبلى مبلغ فاس في الكبر والمظنة . واذ كان الادارسة في تلك البلاد قد اهتموا بتحقيق الرخاء الاقتصادي عن طريق

« هذا المسجد » في سنة ٢٦٣/٨٧٦ م على عهد الامام داود بن ادريس . ومع أن المؤلف يحيل الى الاخذ بأنها خاصة بجامع القرويين . وانها نسبت مقرولة من مكان آخر . وهو الأمر الذي لا تشير اليه المصادر التاريخية . فالمهم انه كانت هناك محاولات لسنة الجامع الى الادارسة . سواء كانت اللوحة خاصة بالقرويين أم لا . وأنظر من ٤٨ وهاش ٤ حيث يشع للؤلؤ الى ان عصر المشاركة من ماسيريا كان يظن ان القرويين من تأسس الامام ادريس بن ادريس ، ويصح ذلك بالشارة الى انه وقف على مغلطة تعيد ان نسبة القرويين لام التنها أمر ليس محل اتفاق بين المؤرخين .

(٨٨) انظر فيما سبق من ٤٦٩ .

(٨٩) انظر حذرة الاقتباس . من ٢٥ .

العناية بالزراعة والتجارة ، فأغلب الظن أن سلطانهم كان روحيا أولا وقبل كل شيء ، وأن أول اهتماماتهم كان نشر الاسلام بين أهل البلاد من البربر ، وهو الأمر الذي شاركهم فيه أئمة تاهرت . أما في القيروان فقد وقعت تلك الرسالة الروحية على عاتق فقهاء القيروان ، ومرابطى افريقية من الزهاد والعباد .

المحتوى المعنوي :

في هذا الإطار الذي يمثل مظاهر الحضارة المادية الناشئة في بلاد المغرب ، في أول عصور استقلالها ، تفتحت براعم الثقافة الاسلامية التي عرفها المشرق العباسي ، وازدهرت الحياة الروحية بشكل فريد . ففي مساجد العواصم ورباطات السواحل ، عقدت حلقات العلم والمناظرة فضلا عن الأسواق التي لم تعدم بين أهلها أجلة المشايخ من الفقهاء والصالحين ، من رجال الدولة ومن العاملين في سبيل الله . وكذلك كان كثير من بيوت العلماء معاهد حقيقية لطلاب العلم ، بينما كانت قصور الأمراء ودور الخاصة من الناس ، في عاصمة الأغالبة على وجه الخصوص ، بلاطات ملوكية أو مجالس خلافية مصغرة ، يجتمع فيها أحلام من الناس ، من العلماء ، والفضلاء ، والأطباء ، والشعراء ، والمنجمين ، والمهرجين ، والمغنيين ، والموسيقيين ، وغيرهم من أهل البلاد ومن الوافدين من المشرق ومن الأندلس .

الحياة الدينية :

في افريقية :

ولكنه اذا كانت سوق الشعر والأدب والفناء قد نفقت في بلاد الأغالبة ، فإن المسائل الدينية كانت الشغل الشاغل لأهل افريقية خلال ذلك العصر ، وخاصة في القيروان ، مدينة عقبة المستجاب . ومع أن مذهب مالك بن أنس كان هو المذهب السائد في البلاد عند قيام الدولة الاغلبية ، فإن مذهب أبي حنيفة كان قد بدأ يثبت أقدامه في البلاد ، وخاصة على المستوى الحكومي بصفته المذهب الرسمي لخلافة بن تاداد . وكان من بين فقهاء القيروان المتبحرون في كل من المذهبين المالكي والحنفي ، مثل : قاضي الفريقية الشهير أسد بن الفرات ، فاتح صفلية (٩٠) .

ها بين المالكية والاعتزال :

وعندما أثار المعتزلة الجدل حول مسألة أسماء الله وصفاته ، وهو الأمر الذى شغل الحلافة في بغداد في « محنة حلق القرآن » التي امتحن بها فقهاء السنة في عيد المأمون ثم المحنة المضادة علي أيام المتوكل ، كان لذلك الحدل أثره القوي في افريقية . وفي ذلك يقال أن رجلا أتى من المشرق فسأل بعض شباب القيروان عما كان يتكلم فيه أهل المدينة من العلم ، فقالوا له : « أسماء الله وصفاته » ، مما يعنى أن علوم الدين والبحث عن الحقيقة كانت من أجب الاحتمامات الى قلوب أهل المدينة .

ها بين العلم والجهاد :

وفي الحضي على التعلم وتقدير أهل العلم ، ينسب الى البهلول بن راشد (توفي سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) ، زاهد القيروان وعالمها في زمانه ، انه قال : « اذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى العلماء فضرب عليهم بسور من نور ثم يقول : انى لم اصح حكمتى فيكم وانا أريد أن أعذبكم . تعافوا وادخلوا الجنة » - وينسب اليه انه قال أيضا : « ما أعمال البر كلها عند الجهاد في سبيل الله تعالى الا كصفة في بحر ، وما أعمال البر كلها والجهاد عند طلب العلم الا كصفة في بحر » (٩١) .

وهكذا كان الجهاد والمعلم يمتزجان امتزاجا ، وهذا ما تمثل بشكل رائع في اسناد حملة صقلية الى أسد بن القرات الذى كان الى جانب علمه وفقه واحداً من الشجعان . كذلك ظهر الارتباط الوثيق بين العلم والجهاد حتى رباطات السواحل ومحارسها ، وأشهرها رباط المنستير قرب سوسة ، حيث انصرف المرابطون الى أعمال الزهد والعبادة ، وأخذ العلم عن المشايخ الذين كانوا يلجأون في أوقات معينة الى ربطهم ، وذلك في وقت فراغهم ، وهم في انتظار مجاهدة العدو اذا ما فكر في النزول في ثغرهم .

«القيروان مهلا ثانيا للمالكية :

ولكنه رغم انتشار فقه أبي حنيفة بصفته المذهب الرسمي للأغالبة ، ورغم شغف الناس والأمراء بالجدل والمناظرة في مسائل المعتزلة ، وهو الأمر الذى عمل على انشقاق جماعات الإباضية الذين أنتشروا في صحراوات افريقية

والذين كان لهم مثلهم بين علماء القيروان من غير شك ، فان حل علماء العاصمة الأندلسية كانوا متمسكين بالسنة على مذهب الامام مالك . وهكذا صارت القيروان مهد المالكية الثاني بعد المدينة ، وقبل قرطبة .

وفي ذلك يقال ان بعض العلماء انصرفوا الى دراسة الفقه المالكي وحده ، ولم يحاولوا دراسة شيء غيره . والمثل لذلك أحمد بن نصر الهواري البربري ، الذي سمع على محمد بن سحنون ، والذي « كان لا ينظر ولا يتصرف في شيء من العلم غير مذهب مالك ومسائله ، فاذا تكلم فيها كان فائضا ، وكانت مدونة سحنون هي المرجع الأول والاخير بالنسبة له (٩٢) . ومن التكت التي تعبر بشكل لاذع عن اهتمام المغاربة بالفقه المالكي دون غيره ، تلك الرواية التي تقول : ان اسحق بن نعمان ، الذي كان مالكي المذهب ثم أصبح شافعيًا ، كان يناقش أحد البغداديين في الحجاز ، وأراد البغدادي أن يؤيد وجهة نظره الشرعية فقال : (روى عن النبي صلعم كذا ، فقال له ابن النعمان : فيما ذكر ، مالك لا يرى ذلك) . ودعش الرجل المشرقي لهذا الأمر الغريب ، وقال : شأست وجوهكم يا أهل المغرب ، تعارضون قول النبي بقول مالك ! (٩٣) .

مالكية القيروان :

دعائم المذهب في كل المغرب :

ولكن الغالبية من رجال المذهب المالكي كانوا من ذوي العقول النيرة وأصحاب الأفق الواسع ، ومن أبرز شخصياتهم التي ذكرناها في ذلك العصر سحنون بن سعيد (توفي سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) : فعنه يقول أصحاب طبقات علماء إفريقية : « اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره : الفقه البارع ، والوزع الصادق ، والصرامة في الحق ، والزهادة في الدنيا ، والتخشين في اللبس والطعم ، والسماحة . . . » وكان لا يقبل من أحد شيئًا سلطان أو غيره (٩٤) . والحقيقة ان كتب الطبقات تلك تعطينا صورة حية عن أحوال هؤلاء العلماء . فمنهم من كان مشرقي الأصل ، ومنهم من وفد من الأندلس ، ومعظمهم رحل الى المشرق للدرس والتعلم . وأصحاب الطلقة الأولى من قدامائهم أخذوا الحديث والفقه على مالك بن أنس نفسه ، بينما أخذ أبناء الأحيال

(٩٢) انظر آداب - معالم الايمان . ط . تونس . ص ٣ - ٥ .

(٩٣) أبو العرب ، طبقات علماء إفريقية . ص ٢١٤ . وعن معارضة المالكية للاعتزال .

انظر ج ١ ص ٣٦٩ .

(٩٤) انظر المالكي . رياض النفوس . ج ١ ص ٢٤٩ .

الثانية عن هؤلاء الأخيرين ، في تسلسل مصفرد . - في صارت القيروان حفا
مدينة العلم في كل بلاد المغرب . وبفضل أعمال هؤلاء العلماء ، وخاصة مدونة
بسنون ، أنتى صارت بعد الكتب الاسدية - لاسد بن العرات - أكر مجموعة
فقية في المغرب ، تاكد المذهب المالكي في كل الش . ن الايريقي .

ومعظم علماء القيروان هؤلاء الذين كانوا من أهل الرهد والورع والعبادة،
كانوا يقومون ، الى جانب ذلك ، بدور ناريجي هام في الرقابة على أمراء
الأغالبية ، وذلك حسب مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الأمر الذي صار
تقليديا في دولة الاسلام . فحصى من عسر لم يتردد في الدخول مع جماعة
الصالين على الأمير عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب ، ليطلب منه تخفيف
الضريبة الناتجة على الأرض الزراعية بدلا من ضريبة العشر (٩٥) . والشيوخ أبو
الأحوص أحمد بن عبد الله المكفوف كان شديدا في كتابه الذي وجهه الى
الأمير ابراهيم الثاني بن أحمد الذي عرف باستبداده (٩٦) .

والذي لا حظناه هو أن أمراء الأغالبية أعطوا الأمثلة الطيبة - على وجه
المسوم - فاجتنبوا التعرض لهؤلاء الشيوخ ، بل وعملوا على مساهراتهم
واكتساب رضاهم ، كما كان من تقاليدهم التكفل بتجهيز من يموت من
الشايع ، وتكفينه ، وحضور صلاة الجنازة عليه .

في فاس :

ازدهار المذهب المالكي في الدولة الزيدية :

وإذا كان المذهب المالكي قد ازدهر في بلاد الفريقية والقيروان في القرن
الثالث الهجري/٩ م ، فأغلب الظن أنه كان المذهب السائد في بلاد الأدارسة،
وخاصة في عاصمتهم فاس ، وذلك بفضل سكان عدوتها الوافدين من كل من
قرطبة والقيروان . وإذا كان علماء فاس لم يحظوا بمثل كتب الطليقات التي
حظى بها علماء القيروان وقتئذ ، فإن كتب الطليقات الأندلسية اعتنت بتسجيل
سير كثير من علماء فاس ومناقبهم ، وإن كان ذلك فيما بعد العصر الأندلسي .
وإذا كان المفهوم من الروايات الخاصة بقيام دولة الأدارسة أن الإمام الأول كان
زيدي المذهب (٩٧) ، فإن الثابت تاريخيا هو أن الدولة العلوية الأدرسية

٢٢

(٩٥) انظر فيما سبق ، ص ٢١ .

(٩٦) انظر فيما سبق ، ص ١٤٤ .

(٩٧) انظر فيما سبق ، ص ١ . من الرجل الذي احتال الإمام ادريس الأول ، وكيد

ترب الى لاة كان من بعد الزيدية . اد - عدل من الهدى الناري من رسالته عن جامع =

كانت سنية المذهب ، ولهذا السبب سماها ابن عذارى بالدولة الهاشمية -
تماماً كما هو الأمر بالنسبة لدولة الأشراف الأردنية الهاشمية ، حالياً .

وعن اعتداد الإمام ادريس الأول بالسنة وبأن تكون فاس منارة لها ، قال
المتأخرون أنه عندما عزم على بناء مدينة فاس رفع يديه إلى السماء ودعا قائلاً .
« اللهم اجعلها دار فقه وعلم يتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك ، واجعل
أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتهم » (٩٨) . ومن ذلك ما قيل من أن
كاتب الإمام ادريس الثاني ، وهو أبو الحسن عبد الله بن مالك كان يلقب
بالمالكي الانصاري (٩٩) . وفي ذلك يذكر البكري أنه كان من جلساء الامام
يحيى بن ادريس (٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) الفقيه أبو أحمد الشافعي الذي كان يتكلم
عنده في العلم (١٠٠) .

أما عن تلمسان الادريسية فانها لم تزل على أيام البكري داراً للعلماء
المحدثين وحلّة الرأي على مذهب مالك بن انس - رحمه الله (١٠١) . هذا ،
كما كان بنو صالح أمراء نكور قد نشروا في متعلقاتهم - فيما بين تلمسان
وطنجة - المذهب المالكي (١٠٢) .

= الترويض من انه اذا كان الامام مالك قد ناصر دعوة محمد النفس الذكية . . . فلم لا يدعو
الامام ادريس اليوم الى الاقتصار على مذهب مالك . وهكذا جاءهم بالموطأ فنشره بينهم . . .
الغ = (انظر جامع الترويض بفاس ، بالآلة الكاتبة ، ص ١٣٩) . فهذا ما لا تزيد التصوص
الخاصة بالامام ادريس الأول . وان كان بعضها يشير الى ان ذلك كان من اسباب ميل أمير
الاندلس عبد الرحمن الأوسط ثم ابنه هشام بعد سنة ١٧٠ هـ الى مذهب مالك وتشجيع
علماء الأندلس على دراسته ونشره في بلاده - انظر الجزائلي زهرة الآس ، ص ١٥ ، وقارن
بوكري ، تاريخ المسلمين في اسبانيا (بالفرنسية) ، طبعة بروكسسال ، ج ٢ ص ٢٨٧
والهامش .

ومن اعتقاد المذهب المالكي في المغرب الأقصى ، فيلهم من رواية الجزائلي انه تم في
القرن الرابع الهجري بفضل الفقيه « دواس بن اسماعيل » القاسي ، المعروف بابي ميمونة
(زهرة الآس ، ص ١٤ ، ١٦) ، الذي كان قد درس في الاسكندرية حوالي سنة ٣٣٩ هـ على
يدى الفقيه علي بن أبي مطر (زهرة الآس ، ص ١٥) .

(٩٨) ابن القاسي ، جلوة الاقتباس ليعين حل من الأعلام بمدينة فاس ، طبع حبر ،
ص ١٨ .

(٩٩) ابن القاسي ، جلوة الاقتباس ، ص ٧ .

(١٠٠) البكري ، ص ٩٣٢ .

(١٠١) البكري ، ص ٧٧ .

(١٠٢) البكري ، ص ٩٢ ، ٩٧ .

وهكذا يمكن القول أنه بفضل نشاط عمراء الإدارة من دار بني فلكهم من حكام الأقاليم ، أخذ الإسلام السنني ، وخاصة على مذهب مالك بن اسس - مذهب أهل الحجاز - في الانتشار في أقاليم المغرب الأقصى ، بين الريف والنوس ، وهي الأقاليم التي كانت بالأمس القريب أرضا خصبة لبذر مذهب الخوارج الصفرية ، والتي ظلت بيئة صالحة لنشأة عدد من المذاهب المحلية المنحرفة التي سماها الكتاب بالزندقة ، مثل : زندقة برعواطة . في تامسنا ، وزندقة حاميم في بلاد الريف . فرغم أن بلاد تامسنا (الشاوية حاليا) كانت قد ضمت الى المملكة الادريسية على عهد الامام الأول ، فان زندقتهما ظهرت بقوة منذ سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م على أيام يونس بن الياس . أي على أيام الإدارة واستمرت الى أيام المرابطين والموحدين (١٠٢) ، بينما ظهرت زندقة حاميم في جبال تطوان في أواخر القرن الثالث الهجري / ٩ م الذي نتحدث عنه ، وان لم يقدر لها البقاء ، الا الى نهاية صاحبها حاميم الذي قتله في سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م عسكر عيد الرحمن الناصر صاحب الأندلس (١٠٤) .

وإذا كان صحيحا ما يراه جورج مارسيه ، من : أن كلامن حركتي يونس ابن الياس وحاميم بن من الله - بما قامت به من تحريف للنصوص الإسلامية التي نقلت الى اللهجات البربرية المحلية ، وما صاحب ذلك من ابتعاد عن تعاليم الإسلام - كانت تعبير عن معارضة المغاربة (البربر) لصنع البلاد بالصيغة المشرقية ، التي ستزدهر عندما يستقل المغرب عن المشرق (١٠٥) . وهو الأمر المقبول ، فانه يعني أنه يكفي الإدارة فضلا أنهم اهتموا بنشر الإسلام السنني الصحيح بين أهل البلاد المعتصمين بمواطنهم النائية . وتلك كانت القاعدة الصلبة التي شيدت عليها المملوكية صرحها العالي ، في المغرب الأقصى : في ناس على وجه الخصوص ، وفي القرويين بتاتوا - لا يصير الإدارة أن يكون بناء المملوكية قد اكتمل بعد عصرهم ، ولا أن يكون قد شارك في إقامته قتها القرويون أو علماء الأندلس .

في تاهرت :

والى جانب الإدارة ، كان لأئمة تاهرت الإباضية نصيبهم في القرار

-
- (١٠٣) الظاهر البكري . ص ١٢٤ وما بعدها . الاستيعاب . ص ١٦٨ وما بعدها .
ج - مارسيه بلاد البربر الإسلامية . ص ١٦٦ .
(١٠٤) انظر البكري . ص ١٠٠ . الاستيعاب . ص ١٦١ - ١٦٢ . ج - طوسية بكه
البربر الإسلامية . ص ١٢٨ .
(١٠٥) بلاد البربر الإسلامية . ص ١٢٨

دعائم الإسلام بين قسائل المغرب الأوسط وصحراوا، المغرب الأقصى، بمشاركة اخوتهم وأصحابهم المذاهبيين صغرية سحلماسة . ويكفي النظر في كتب السير المنقبة لشايخ الاباضية ، وخاصة سير مشايخ جبل نفوسة ، مثل كتب أبي زكريا والدرجسي وأبي الربيع الوسياني ، التي تظهر بشكل المناس كتب . أبي العرب والمالكي والدباغ في علماء القيروان ، لثرى الى أى حد عظيم ازدهرت مذاهب الخوارج الاباضية في طول بلاد المغرب وعرضها ، لا يقلل من ذلك ما أصابهم من انشقاقات أو حلافات كانت تعمل - في حقيقة الأمر - على اثراء الفكر الدينى عن طريق جدية البحث عن حلول مقبولة لما كان يجد من مشاكل الحياة اليومية العارضة -

الأئمة : قادة قنوة في العلم والعمل :

قالأئمة الرستميون كانوا المثل الطيبة والقنوة الحسنة لاتباعهم وأبناء شعيهم ، في العلم وفي العمل جميعا ، على المستويين العام والخاص . فهم أئمة مجاهدون يميلون سيرة السلف الصالح قبل أن يكونوا حكاما ، ويقضون أوقاتهم ما بين العبادة والنظر فيما يمود بالخير على العباد والقضاء فيما ينحمر بينهم من خصومات .

والامامة عندهم هي الرئاسة الدينية التي تضع نصب عينها تحقيق مصالح الرعية الأخرية والدينية . فالامام هو القائد ، سواء في الصلاة أو الجهاد ، وفي كليهما لا يربو الا ثواب ربه : فهو عابد متقشف ، متقلل من الدنيا ، ليس له منها ، فضلا عن مصحفه وأدوات حربه ، إلا ثيابه وقراشه . وهو يعمل بنفسه في قضاء حاجاته ، لا يعاونه في ذلك - حسبما تقضى الضرورة - الا بعض خدمه أو عبده (١٦) .

ورغم ما وصف به الأئمة من العدل والعلم ، فهم لا يستغنون عن مشورة لشايخ من أهل المقدر والحل ، لا ينقص من أهمية هذا الأمر ما تار من المراء بين الامام عبد الوهاب وبين النكارية الذين أراودوا اشتراط ألا يقضى في أمر الا بعد مشورة . ورغم ما ظهروا به من التقشف والاقبال من الدنيا ، لقد ماثروا مضرب المثل في الجود على المحتاجين والمطاء للمفقره ، وخاصة في أوقات سحل والشدة . أما عن تمسكهم بأهداب الدين فتمثل ، أكثر ما تمثل ، في

أمرهم بالهروء ، بهيم عن المنكر ، فكأنهم في تنسب إنما تبدأ اقتراباً من
المتزلة الذين جعلوا أصلاً من الأصول ، وأغاب الظن ان هذا كان من أسباب
معرفة بعض فرقهم بالمتزلة وبالواصلية (١٠٧) . وعلى الحملة كان الرستميون
أصحاب تاهرت ، في نظر رعييتهم من أهل البرادى والسحراوات أئمة العدل
القائمين بالحق .

مشايخ المذهب معلومون للشعب :

هكذا اختلفت صورة أئمة تاهرت عن صورة أئمة فاس : فبينما شرف
الادارسة بانتسابهم الى البيت العلوى العظيم ، علا شأن الرستيين بفضل
تسكهم بأهداب الدين وعملهم بتعاليم الكتاب والسنة ، وانتصارهم للأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر . فكان الدين حسبهم ، والعمل في سبيل الله
سببهم ، مما جعلهم في نظر أتباعهم الأئمة المثاليين حقاً . فأبو الربيع الرسياني
عندما يعرض لسيرة الشيخ أبي مسور يصلتن ، ويسجل رواية تنسب الى
الشيخ وهو يقول فيها ناعياً : « عشت حتى لم أجد في الإمام ما أريد ، ولا في
نفسى ، ولا في الأولاد ، ولا في الاخوان ، ولا في القبيل ، قولوا للمسلمين
يدعون على ، يشكك في صحة هذه الرواية : على أساس أن أبا مسور كان
يميش زمان الامام عبد الوهاب . هذا ، ولو أن البعض رأى أن هذه الرواية
متأخرة عن عهد أبي مسور وليست له (١٠٨) - فكانه من غير لقبول التقاد
المجتمع المثالي أيام الأئمة .

ومثل الأئمة بالنسبة لمشايخ المذهب كمثل المشايخ بالنسبة لعامة
الشعب ، فقد كانوا يجسدون المثل الأعلى للاباضية في الفترة التي تعالجها ،
كما فيما بعدها من العصور - فقد كان المشايخ هم القدوة الحسنة لعامة
الناس ، في العلم والجهاد والتجارة والزراعة ، وعلى الجملة في كل المعاملات ،
تماماً ، كما كان الحال بالنسبة لمشايخ القيروان .

اصول المذهب الاباضى وتطوره :

الوهبية الاباضية والخوارج ومسمياتهم :

وفىما يتعلق بالحياة الروحية واصول المذهب ، فالمعروف ان الاباضية

(١٠٧) وانظر بما سبق ، ص ٢٢٤ .

(١٠٨) كتاب السير ، المخطوط : ص ٢ - ب ، وعن أبي مسور بن عمار : ابو ذر

المخطوط ، ص ٢٥ - ب .

هي تاهرت كانوا قد طوروا أفكارهم حتى اقتربت من أفكار أهل السنة ، وبذلك لم يعودوا ينجبون الانساب الى الحوارج الذين اعتنروهم من الصفرية ، وان لم يستنكفوا الانساب الى « المحكمة » (١٠٩) . أما عن التسميات التي أحوا أن يصفوا أنفسهم بها ، فهي : المسلمون ، والمؤمنون ، والموحدون ، وأهل الحق ، والعدل ، هل الاسلام . وبمناسبة الانشقاق الأول الذي حدث على عهد الإمام عبد الوهاب فقد تسمى من بقى الى حانته « بالوهبية » ، في مقابل خصومهم الذي انكروا امامته ، فسماوا بالكنار ثم يأتي من انشق منهم من الخلفية والسفائية ، كما رأينا (١١٠) ، ممن أطلقوا عليهم تسميات جارحة أخرى ، مثل : « المذبذبون » و « الخالفون » و « المحادعون » و « الحلالون » ، مما نجد في كتب السير .

اصول الوهبية اللهوية :

والذي يعنى من النظر في سير المشايخ - كما في كتاب الوسياني - وآقوال العلماء ومتاوى المعناه ان المذهب الاباضي الوهابي كان يرتكز على عدد من الاصول والتقاليد ، المثلة في .

- ١ - القرآن الكريم ، رواية عبد الله بن مسعود .
- ٢ - الاحاديث السوية والسنة ، رواية عبد الله بن عباس بصفة خاصة .
- ٣ - أقوال الراشدين باستثناء عثمان بن عفان الذي وعوا منه موقفا شديدا العداء (١١١) .
- ٤ - أقوال علماء المذهب الأوائل من أهل البصرة ، مثل : أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة .
- ٥ - مآثر أئمة تاهرت من الرستميين .
- ٦ - وأخيرا تأتي سير وأقوال مشايخ أهل الدعوة على طوائفهم ، فهم الذين يعرفون «مكتون العلم» الذي لا يقال لقوم جهال «(١١٢)» -

(١٠٩) الوسياني ، المخطوط ، ص ٤٢ - ب . وعن اختيار الحوارج من الصفرية انظر ص ٤١ - ب .

(١١٠) أنظر فيما سبق ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٤٧٢ ونحوها .

(١١١) السير الوسياني ، ص ٤١ - ب .

(١١٢) السير للوسياني ، ص ٣ - ب .

أفكارهم السياسية :

أما عن فكرهم السياسي وهو وثيق الصلة بالفكر السياسي ، فقد كان يقوم على الأساس التالية :

١ - الاعتراف بإمامة أبي بكر وعمر ، وكذلك علي : وهو الأمر الغريب على الخوارج ، ولا بأس من أن ننظر الى ذلك على أنه نوع من التقية التي لم يأخذوا بها الا في وقت متأخر ، كما يظهر في سير القرن الخامس والسادس (١١٣) . وذلك ان اباضية اواخر القرن الثالث الهجري / ٣١٦ كانوا يقفون من علي موقفا معاديا مثل موقفهم من عثمان أو أكثر ، وهذا ما تنص عليه الروايات الخاصة بوقعة مانو (١١٤) .

٢ - رفض امامة عثمان رفضا باتا ، وعدم الاعتراف بإمامة علي أو الورث من موقفا غامضا - علي الأقل .

٣ - أئمة تاهرت هم النموذج المثالي لحكم الجماعة ، بصرف النظر عن آراء فرق المنشقين منهم .

٤ - حكم الأئمة أو حكم الجماعة ، بشكل اعم ، له ٤ (أربعة) أدوار ، هي :
(أ) حالة « الكتمان » أو « السكوت » ، وهي حالة التخفي والاعتزال ، والمثل لها « هو الأمر السابق الى النبي عليه السلام في مكة » ، وليس على الجماعة فيها « الأمر والنهي » ، ورئيس الجماعة في هذه الحالة يسمى « امام أحكام » (١١٥) .

(ب) حالة « الظهور » ، والمثل لها حين هاجر النبي الى المدينة (١١٦) ، وهي نفس حالة الرستميين بعد بناء تاهرت . هذا ولو ان بعض مشايخ جيل نفوسة كان يقول ان أهل الجبل في حالة ظهور بعد سقوط امامة تاهرت ، لأنهم غير مستخفين ولا مغفورين ، وهو الأمر الذي كان له معارضوه (١١٧) .

(١١٣) انظر الروسياني ، ص ٤١ - ب .

(١١٤) انظر فيسا سبق ، ص ١٤٢ .

(١١٥) انظر السير للروسياني ، ورقة ١٩ ، ص ٢٠ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ١٢٦ ، ص ١٢٦ .

(١١٦) السير للروسياني ، ص ١٩ - ٢٠ .

(١١٧) السير للروسياني ، ص ٧٠ - ٧١ .

(ج) حالة «الدفاع» ، مثل « دفاع أهل النهروان للراضى محكم عمرو ابن عاص وعبد الله بن قيس بغير انابة الى الحق ، ولا اجابة الى العدل ، ولا اقامة الى امرة ، وداقروا الراكبين الى الديبسا والمث (١١٨) » .

(د) حالة « الشراء » (١١٩) : والمفهوم أنها حالة جهاد ذوى الالهواء . وهى الأور من حالات الجهاد - تبعا لتصنيفهم لطبقات الجهاد - عملا بمبدأ الأمر بالمعروف - وإذا كانت حالة « الشراء » قريبة من حالة « الدفاع » فأغلب الظن أن المقصود بالدفاع هو القتال لأفراض سياسية فى سبيل الحفاظ على كيان الجماعة ، وأن المقصود بالشراء هو الجهاد من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو من الأعراض الدينية الأساسية المعروفة عندهم .

ويضيف قتها الأفاضية ، فيما بعد سقوط امامة تاهرت الرستمية ، حالة خامسة هى :

(هـ) حالة « السائبة » وهى قريبة من حالة الكتان الأولى ، السابقة على حالة ظهور ، وهى فى الحقيقة تعنى حالة توسع الجماعة واستحلالها ، وذلك « لمضييع الناس القيام بالحق » (١٢٠) حتى لو كان فيهم الامام . وذلك حسبما روى عن الشيخ أبى مسور يصر من أنه قال : « عشت حتى لم أحد فى الامام ما أريده . ولا فى نفسى ، ولا فى الاولاد ، ولا فى الاخوان ، ولا فى القبيل . قونى للمسلمين يدهون على » (١٢١) ، مما يعبر عن عدم الرضاء عن سيرة الجماعة - جماعة أهل الحق - التى اجتمعت عن تعاليم المنع ، ولم تعد تحقق الغرض من قيامها .

اعمال المشايخ من قواعد المذهب :

المثل الاخلاقية :

وفى سبيل تحقيق المحتج المثالى عمل مشايخ الافاضية - مثلهم مثل مشايخ

(١١٨) السج للوسيار ، المخطوط ، ص ١٩ - ب .

(١١٩) الويلير ، المخطوط ، ص ١٩ - ب .

(١٢٠) السج للوسيار ، المخطوط ، ص ١٩ - ب .

(١٢١) الطرسا سق ص ٥١

«التبروان - على سيادة الأخلاق الفاضلة ، وحر الآداب الإسلامية ، إنقاليد الحميدة في المعاملة بين الناس ، سواء في الحديث أو في تجنب المرمى . ففي ذلك كانت لهم أقوال ما تورة ، مثل . « يبرت الرجل ولا يقا » ، و « يهوت الرجل ولا يتعري » (١٢٢) . هذه الآداب الاباضية كانت قد اكتسبت عراقتها منذ أيام الرستميين ولدينا المثل الرائع لذلك في نهاية قاضي جبل نفوسة عمروس بن فتح الذي أسرى وقمة مانو ، فرفض أن يطلب العفو ، ولم يخش التنكيل والتعذيب ، وكان كل ما طلبه من أسريه ألا يعروه من سراويله بعد أن يقتلوه (١٢٣) . هذا ، وكان من آدابهم ذم البخل والحض على الجود ، وإخفاء الصدقة ، كما حرصوا على البعد عن الريبة فيما يتعلق بالمال والطعام . فقد كان من المتعارف عليه عندهم ان المال المريب يوقع الفتنة بين أبناء الجماعة (١٢٤) . وإن المتاجر المريبة تفسد الشراء في السوق لمدة ثلاثة أيام .

إجلال العلم وتقديسه :

علوم الدين :

ولقد حرص المجمع الاباضى على نشر العلم ، ليس بين الرجال فقط بل وبين النساء أيضا ، حتى بلغت بعض النساء درجة من العلم بحيث أصبحت أقوالهن من المأثورات المقررة عند أهل المذهب . وفي ذلك يقال ان بنت أبي مسور يصلتن ، معاصر الامام عبد الوهاب كانت تجادل والدها في العلم ، وكان مما أثار عنها أن أقوال المسلمين أفضل منهم . « لأن المسلمين يموتون . وتبقى أقوالهم وعلمهم ، وينتفع بها بعدهم » . ومن جهة الجسم والعرض الجسم أفضل ، ومن جهة الاسلام والعلم فالاسلام خير الخلق (١٢٥) .

وإذا كان ذلك اهتمام مشايخ جبل نفوسة بالعلم ، فلا شك أن اهتمام أئمة تاهرت بالعلم كان أعظم . فالامام الأول عبد الرحمن بن رستم كان يقضى ليله ساهرا مع سراجة يقرأ العلم ويدون الكتب في المذهب . وبلغ اهتمام ابنه الامام عبد الوهاب بالعلم الى حد أنه كان لا يبخل في دفع الثمن الباهظ حتى شراء كتب المشايخ من المشرق ، رغم أنه لم يستفد منها الا بالقليل من

(١٢٢) الروسياني ، المخطوط ، ص ١٢٨ - ب .

(١٢٣) انظر فيما سبق ، ص ٣٦١ ، الروسياني ، ص ٣ - ١ .

(١٢٤) الروسياني ، ص ٤ - ١ ، ٤ - ١ ، ب - ١٢ ، ص ١٣ - ٤ .

(١٢٥) الروسياني ، المخطوط ، ص ٦ - ب .

المسائل الحديدية التي كان يستطيع أن يدركها بإحتياده وحده . ولقد بلغ حرص عبد الوهاب أيضا في الاطمئنان على تحصيل أبنائه العلم ، بالفقر الذي يتناسب مع بيت الأئمة ، الى درجة أنه مع أنه أفلح من الذهاب الى جوجو للتجارة في بلاد السودان بعد أن امتحنه في مسائل الربا فغابت عنه مسألة واحدة منها (١٢٦) .

علم النجوم والحساب :

ولم يكن أئمة الرستميين متفقهين في أصول المذهب فقط ، بل كانوا على دراية تامة ببعض العلوم النافعة لأمور الحكم والدين ، مثل الحساب والنجوم . وفي ذلك يقال ان الامام الفلج بن عبد الوهاب كان لا يباريه في علم النجوم الا اخوته التي كانت تسهر الليل معه في حساب ما سوف يدخل خزائنه من الاموال الواردة من أسواق تاهرت (١٢٧) .

وهكذا كانت تاهرت في المغرب الأوسط ، كما كانت القيروان في افريقية . مدينة العلوم . وفي ذلك يقال ان الشيعة الفواطم عندما استولوا على العاصمة الرستمية ، وجدوا بها مكتبة (برحا) مليئة بالخطوط التي لم يحفظوا منها الا بكتب سياسة الملك والحساب .

الخلاصة :

من هذا العرض الملخص للواقع السياسي والحضاري لبلاد المغرب في القرن الثالث الهجري ٣٩٠ . نرى في الفترة التي تمثل لب تاريخ ممالك الأغالبة والرستميين والادارة ، يتضح الآتي :

١ - ان البلاد من ادناها الى اقصاها كانت تتقدم نحو عصر نهضة حقيقية ، على المستويين : المادي والفكري .

٢ - ان مادة تلك النهضة الوليدة كانت مستجلبة من المشرق ، مهد العروبة والاسلام ومركز دولة الخلافة ، وذلك مع سيل الوافدين من هناك على الاسر الحاكمة المشرقية الاصل في بلاد القيروان وتاهرت وقاس ، حيث اتخذوا أوطانا جديدة ، أو مع المغاربة والأندلسيين المائدين الى بلادهم من المشرق ، من رحلة الحج أو طلب العلم .

(١٢٦) انظر فيما سبق ، ص ٤٦٨ .

(١٢٧) انظر فيما سبق ، ص ٣٢٨ .

٣ - ان تلك النهضة المغربية وهي تفتتح في دور الكوين ، كانت اشبه ما تكون بقسيماء مبرقشة تعبر - في اختلاف أشكالها وألوانها - عن كل المتناقضات التي عرفها المشرق ، وخاصة على مستوى الفكر الديني والسياسي المتناهض لدولة الخلافة .

٤ - ان ذلك الازدهار الفكري كان ينمو بالتالي في حضارة دول المغرب الكبرى الثلاث كنتيجة طبيعية لاستقلال تلك الدول عن الخلافة ، مما جعل حركة التطور تتقدم طردياً : مع زيادة الاستقلال ، وتبلور الشخصية الذاتية لكل قطر من تلك الأقطار .

٥ - كنتيجة عكسية لذلك الازدهار المعنوي في كنف الاستقلال السياسي ، عانت دول المغرب من حركة التجرد الفكري ذات الايقاع السريع ، وخاصة على المستويات الدينية السياسية ، وبدأت هي الأخرى تعاني من آفة التعمت والافتقار الداخلي التي فتت في عضدها وهدت من قواها .

٦ - وبناء على ذلك تظهر الصورة السياسية الحضارية الحقيقية لبلاد المغرب في أواخر القرن الثالث الهجري / ٩م ، وهي تتطابق بشكل عجيب مع نظرية ابن خلدون الشهيرة في العمران ، التي تقول أن الحضارة هي قمة العمران والمؤذنة بفساده وأنها تهبط لاضمحلال الدول حتى تقسح المجال لدول جديدة ، تحل محلها (١٢٨) .

فكان الحضارة الناشئة التي لم تكن قد أخذت سماتها المميزة بعد ، لا مادياً ولا معنوياً ، كانت قد استنفدت أفراسها بعد أن أخذت تتآكل ذاتياً ، بفضل الصراعات السياسية الداخلية التي أضطعت كلا من دول المغرب الثلاث . كما أن مراكز تلك الحضارة في الريقية وفي المغربين الأوسط والأقصى كانت - رغم العمل الإحيائي الكبير الذي قامت به - قد أظهرت التناقض الواضح بين الترفيق من أهلها وبين أهل الخشونة من سكان البوادي والصحراوات المحيطين بها ، ممن كانوا يتعلمون اليها بشيء من النهم ويحرسون بها الدوائر ، بشيء من نقاد الصبر . وهذا من نظريات ابن خلدون ، أيضاً ، في كيفية سقوط الدول وقيامها (١٢٩) .

(١٢٨) انظر المقدمة ، فصل في انقراض الدولة من اليدارة الى الحضارة .

(١٢٩) انظر المقدمة ، فصل في حدود الدولة وتجمعها كجانب يقع .

وهكذا يمكن القول انه اذا كان التعتت السياسي قد عمل على الإردهار الحضاري المحلي ، فان هذا الأخير قد أدى الى نوع من الانفصام بين الأسر الحاكمة وبين جماهير الرعية ، الأمر الذي أدى بحكم الطبيعة الى صراعات اقليمية وعصبية أنهكت كلا من الممالك الثلاث . فكان الموقف في بلاد المغرب، في أواخر ذلك القرن الثالث الهجري/ ٩ م كان يتطلب عملية تجديد في هيكل البناء السياسي والحضاري ، وهي العملية التي قام بها الفاطميون بمعاونة قبائل كتامة ، أهل الجبال الأشداء ، والتي عجزت الأغالبة عن مواجعتها كما رأينا ، فكان من الطبيعي أن يبرز بالتالي كل من الرستميين والادارسة من الوقوف امامها . وبذلك وقع على هاتق الفاطميين ، ابتداء من أوائل القرن الرابع/ ١٠ م ، العمل على تحقيق وحدة المغرب تحت راياتهم من جديد - وهو الأمر الذي سنحاول ايضاحه بشيء من التفصيل في حديثنا عن الظروف التي أدت الى قيام دولة الفاطميين .

الفصل السابع

قيام الدولة الفاطمية
واعادة الوحدة إلى بلاد المغرب تحت رايات آل البيت
من الحسينيين

(٢٨٠ هـ / ٧٩٧ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

نهاية الدول المستقلة الأولى وقيام الدولة الفاطمية :

صراع الأغالبة من أجل البقاء : « المطاولة » :

يعتبر قيام الدولة الفاطمية في بلاد كتامة جزءاً من تاريخ الدولة الأغلبيّة المتأخر . فلقد رأينا كيف أنفق أواخر أمراء الأغالبة الثلاثة ، وهم : إبراهيم (الثاني) بن أحمد وابنه أبو العباس ثم حفيده زيادة الله (الثالث) ، نشاطهم وأموال بلادهم في كفاح الداعية الفاطمي أبي عبد الله الشيعي . وكيف انتهى ذلك الكفاح بعد حوالي اثنتي عشرة سنة ، من ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م الى ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م ، بفشل الأغالبة ، وهروب زيادة الله الثالث نحو المشرق ، تاركاً عاصمته وقصوره مفتوحة على مصاريحها لاستقبال قوات الداعي الفاطمي المظفرة .

وفترة الاثنتي عشرة سنة هذه التي نحسب ضمن تاريخ الأغالبة (١) ، تدخل أيضاً في تاريخ قيام الدولة الفاطمية ، وهذا أمر طبيعي يحدث في فترة الصراع بين الدول المنهارة وبين القوى المناهضة لها . وهذه الحقبة الزمنية يطلق عليها آيمن. خلدون ، بالنسبة للدولة المستجدة ، مصطلح (المطاولة) بمعنى الصبر في الكفاح ، وهي تطول وتقصّر تبعاً لصبود كل من الطرفين

(١) انظر فيما سبق ، ص ١٤٦ وما بعدها .

السوماليين في حلبة القتال (٢) . ونظرية ابن خلدون في (المطالوة) تعني في حقيقة الأمر عدم وجود بواصل حديثة في التاريخ ، وهو الأمر المعروف : طالما أن الزمن هو مجرى الأحداث التاريخية ، وطالما كان الحدث التاريخي وليد تعامل عدد عديد من العوامل التي تتراوح في طبيعتها ما بين مادية مدروسة ، ومعمونة ليس من السهل ادراك كنهها . وادراك من المعروف - في نظريات قيام الدول وسقوطها - أن الدولة الناشئة تبدأ حياتها ، مثلها مثل الأفراد ، وهي تحمل جراثيم ضعفها في ثوبا أسباب وجودها . يمكن القول ان فترة المطالوة هذه يجوز أن تطول على المستوى الداخلي اذ أكثر من زمن الصراع الفعلي الأخير من أجل البقاء .

وفي هذا المجال يمكن القول انه رغم الانجازات السياسية والحضارية الكبيرة التي حققتها الأغالبة ، فان سلطانيهم لم ينجح في أن يمد جذوره بصح في أرض افريقية . وربما كان الدليل القوي على ذلك أن الأغالبة لم يكونوا محبوبين في القيروان نفسها ، حيث وحيوا كثيرا من الانتعاضات ، حتى أنهم تركوا منذ وقت مبكر قصر ولاية افريقية فيها ، وبنوا لأنفسهم - على بعد عدة كيلومترات نحو الجنوب - قصر العباسية ، قبل أن يبنوا على مسافة أبعد - قصور الرقادة . وفي مدينتهم الملكية الخاصة هذه أعلماوا بعيدا عن الناس يحيط بهم حرسهم ، من : السودان ، والصقالبة ، وبعض المخلصين من الحند العربي ، فكان ذلك أشبه ما يكون بانعصال روجي بينهم وبين اهل العاصمة . أما عن الصراعات مع قبائل البربر ، ومع الجند العربي فانه يدرج حقيقة في فترة (المطالوة) حيث كانت الدولة الأغلبية في بعض الاحيان قاب قوسين من الضياع أو أدنى .

والحقيقة هي أن قيام قبائل كتامة ، تحت رايات الداعي وباسم الميدي ، لم يكن أكثر من انتعاضة من تلك الانفاضات الكبيرة التي واجهها الأغالبة ، لا يفرقها عنها الا بعد أرض كتامة عن قاعدة ملك الأغالبة ، ثم التفاف الكتامين بعزم صادق وثبة خالصة حول الداعي الذي أحسن تقظيمهم وتدريبهم عسكريا وروحيا ، في الوقت الذي بدأت أرض افريقية تميد تحت أقدام زيادة الله الأخير وأهل دولته ، الأمر الذي توج الثورة الكتامية الفاطمية بالتجاح .

(٢) قصة ابن خلدون ، فصل في أن الدولة المستحقة انما تستولى على الدولة المستقررة بالمطالوة لا بالناجزة . تحقيق علي عبد الواسد ، الفصل ٥٠ ح ٢ ص ٨٧٢ وما بعدها .
وانظر محمد عبد الهادي شمسة في تاريخه لدولة المرابطين حيث طلق الطرمة باستاذية فقة .

نجاح الدعوة الفاطمية في ارض كرامة

جلور التشيع في المغرب :

بناء على ما تقدم يمكن القول انه اذا كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب، معونة قبائل كتامة ، يعتبر - على المستوى السياسي - أمرا من الأمور الدارجة، في البلاد التي حوت في القرن الثالث الهجري/٩ م . ثلاثة دول مستقلة كبيرة الى جانب عدد عديد من الإمارات المحلية فإن نجاح الدعوة الفاطمية في المغرب، وقتئذ ، كان من الأحداث المستعربة حقا . فذهب الفاطميين كان من مذاهب الشيعة الغلاة ، بينما كانت المذاهب السائدة في البلاد سنية خالصة تتراوح ما بين المالكية المشددة والاباضية المتعصبة ليس في بلاد القيروان وتاهرت فقط ، بل وفي بلاد الأدارسة العلويين أيضا .

ومما يريد في الأمر غرابة أن بربر كتامة ، في أحواز جبل أوراس ، أحد معازل الخوارج شرق بلاد الجزائر حاليا ، كانوا اباضية ، ولكن على مذهب النكار الذين رفضوا استرداد أئمة تاهرت بالحكم ، وتادوا بالمساواة في الأمر . وهو ما يناقض مع الفكرة الرئيسية لدى الشيعة الاسماعيلية ، ومنهم الفاطميون . التي تقول بعصمة الامام المهدي ، والتي تجعل من التشيع - سياسيا على الأقل - مذهب تسلط واستبداد .

وهكذا تتضح حقيقة أن المغرب كان أرضا صالحة لبذر بذور الدعوات المناهضة للخلافة ، كما كان ملجأ آمينا لكل الخارجين على الدولة ، سواء كانوا من الخوارج أو من الشيعة . حقيقة ان المذهب الخارجي الذي ازدهر في المغرب ، كما لم يردح في غيرها من البلاد ، ظهر في الفترة التي تمالجها وكأنه المذهب القومي لأهل البلاد من البربر ، ولكن نجاح المذهب الاسماعيلي ، المهاد له من حيث الأصول السياسية والدينية ، يدل على أن المسألة لم تكن مسألة أفكار أو عقائد اختص المغاربة باعتمادها ، فكان للمغرب كانت له ميوله الانفصالية وآماله في الاستقلال عن دولة الخلافة ، وأنه كان من بين وسائله لتحقيق ذلك اعتناق المذاهب السياسية الدينية المناهضة للدولة ، لا فرق في ذلك بين المالكية المعتدلة أو الاباضية المتزمتة أو الشيعة الغالية .

بداية الدعاية الشيعية في كنف عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (ت ١٦٦ هـ / ٧٧٨ م) في القروية :

والحقيقة أن الشيعة وان لم تحقق نجاحا كبيرا في المغرب حتى أواخر القرن الثالث الهجري/٩ م . فإياها كانت قد بدأت دعايتها في وقت مبكر ، ربما

مع بداية الدعوة الخارجية عقب أعمال القمع الشديدة التي قام بها الأمويون في المشرق . وان نشاطها كان قد وصل الى أقصى المغرب ، وحتى بلاد الأندلس . فبعد فترة لاضطرابات الخارجية في الفريقية التي أدت الى قيام الدويلات الخارجية في تاهرت وهي سجلماسة ، اضطربت نفوس الناس في المغرب ، وترددت ما بين الشكوك والتناؤل . يعبر عن ذلك من أقوال قاضي افريقية ، المحدث المؤرخ المعروف ، عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (توفي سنة ١٦٦ هـ / ٧٧٨ م) ، اد يعبر عن القلق والاستسلام للأمر الواقع ، في قوله . « سينقطع الجياد من كل البلاد وسيعود الى افريقية (٣) ، وهي المقالة التي ستتحور ، مع مرور الوقت الى حديث ينسبه البعض الى النبي (٤) . وهو بعد ذلك يعبر عن الأمل في نهاية الاضطرابات ، كما نرى ، وحلول الأمن والسلام في ربوع البلاد ، عندما يعبر في الامام العادل الذي يشرع الأمن والرخاء ، وهي فكرة الامام المعصوم التي تبلورت حولها كل الأفكار السياسية الشيعية ، فيما بعد .

لتنسب الروايات الى نفس قاضي افريقية عبد الرحمن بن أنعم أنه كان يقول : « ولتضربن القبائل من الآفاق الى افريقية ، لعدل امامهم . ورحص أسماهم ، وفتح فيهم » ويستطرد النص فيقول ، ان ابن أنعم قال : « ان الامام الذي ينشر العدل بافريقية يليهم سعا وثلاثين سنة » ، مما كان موضوع جدل الكتاب فيما بعد . اد قال البعض . ان ذلك الامام العادل يلي افريقية ثلاثا وعشرين سنة (٥) . وكان العائل محقق تاريخي .

بداية الدعاية الشيعية في المغرب الأقصى :

هكذا تكون فكرة المهدي المنتظر قد ظهرت في افريقية ، أول ما ظهرت ، في شكل سني ، فكانت تمهيدا لظهورها في شكلها الحالي ليس في افريقية فقط ، بل وفي أقصى المغرب . ففي بلاد السوس الأقصى ، في منطقة نفيس — حيث بنى عقبة بن نافع أول مسجد ظل مصوناً مكرماً ، كما يقال ، الى أيام اليكزي (٦) ، وحيث استقر فرع من فروع الادارسة (٧) — نزل رجل من أهل مدينة ففلة من قسطنطينية من بلاد الأناضول ، اسمه محمد بن ورستد ، عند قبيل من

(٣) أبو العرب ، طبقات علماء افريقية ، ص ٦ .

(٤) أسطر كتاب الاستبصار ، ص ١١٢ .

(٥) أنظر أبو العرب ، طبقات علماء افريقية ، ص ٦ .

(٦) اليكزي ، ص ٦٣ .

(٧) اليكزي ، ص ١٦٠ .

البربر يرمون بيسى لماس ، وذلك قبل دخول ابي عبد الله الشيعي افريقية .
ودعا هذا الرجل هؤلاء البربر الى سب الصحابة ، كما يقول البكري ، وأهل
لهم المحرمات ، ورغم أن الرنا بيع من البيوع ، ورادهم في الأذان ، بعد
أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا خير البشر ثم بعد حي عني
الفلاح ، حي على خير العمل ، آل محمد خير البرية .

ويسترد البكري فيقول ، انهم على مذهب هذا الرجل الى ايامه . ولكنه
بضيف انهم يعتقدون أن الامامة في ولد احسن ، لا في ولد الحسين . ولما كان
أمير الجبهة ادريسيا ، هو ادريس بن محمد بن حمفر ، فان الجغرافي الادلبي .
يقول : « فان صح الحديث الذي ذكرنا ، فانه المراد به هؤلاء (أي الأدارسة) .
والله اعلم » (٨) .

الدعاية الشيعية في تخوم افريقية والمغرب الاوسط :

وأغلب الظن أن البكري وقع على بعض كتب الشيعة الفاطميين ، مثل
كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان الذي يؤرخ للدعاية الفاطمية قبل ابي
عبد الله الداعي ، فيقول ان الامام جعفر الصادق كان قد أرسل الى المغرب
في سنة ١٤٥ هـ / ٧٦١ م داعيين من رجاله ، هما : أبو سفيان ، والحلواني ،
« وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد » ، وأن ابا سفيان نزل
بمرماجة وأنه صاحب الفصل في تشيع من تشيع من أهل مرماجة (قرب
الحدود الشرقية للحزائر) والاريس (قريب القيروان) ونفطة (في بلاد
الجريد) (٩) . أما الحلواني فنزل في سوجمار في جبال بجاية ، وعلى
يديه شيع كثير من قائل كئامة وبرة وسماطة (١٠) . قبل ابي عبد الله بـ ١٣٥
سنة . وذلك لم يكن من الغريب أن يثائر قاضي افريقية ابن أنعم ، الذي كان
معاصرا لابي سفيان والحلواني ، بفكرة المهدي المنتظر التي كانا يدعوان اليها
سرا ، فتظهر بين فقيهاء أهل السنة في القيروان نفسها ، كما لم يكن من الغريب
أن تنتشر في المغرب الأقصى قبل ظهور ابي عبد الله ، كما ينص البكري .

(٨) البكري ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٩) افتتاح الدعوة ، ص ٥٥ ، وأطر الهامش ، وتاريخ الاستيعاد ، ص ٢٠٣ ،
المقرئى ، أتمام الحما ، ج ١ ص ٤١ والهامش ، ص ٥٠ .

(١٠) افتتاح الدعوة ، ص ٥٧ ، وتصنيف رواية النعمان الى ذلك (ص ٥٨) . إن الحلواني
كان يقول : بعثت ابا وابو سفيان فقيل لنا : انهما الى المغرب فاسا تائبان أرضا فأمرنا
واكرهاها ودللاها الى ان ماتها صاحب المدر ليجهما مذلة فيبئر سه لها .

رئيس من الغريب أن يكون أمراء الأدارسة ، في هذه الجهات ، قد استغلوا تشيخ البربر هناك لآل البيت واعتصموا لهم للمذهب الاسماعيلي ، انحولوا هذا التشيخ أن صالحهم وقالوا أن الإمامة في ولد الحسن ، لكي يثبتوا مركزهم الذي كان قد زعمه العاصميون .

ومعنا ، فإذا كان نجاح الشيعة الفاطمية في المغرب يمثل نقلة عنيفة على المستوى الذهبي ، فمن المقبول أن يكون ذلك النجاح قد سبق التشيخ له برمن طويل .

وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي أن تعطى هذه الدعاية الشيعة السابقة على قيام الدولة الفاطمية أكبر من حجمها الحقيقي ، فقد كانت لا جثة في المناطق المعزلة البعيدة ، كما كانت تستتر حفية في دوائر أهل السنة ، تماما كما كانت نشأة الدعاية الخارجية في بداية أمرها في القيروان (١١) . ولكنه إذا كانت الخارجية قد لاقت من النجاح ما جعلها مذهباً قومياً في المغرب ، فإن الشيعة الفاطمية وجدت ، في مقابل ذلك ، أن بقاءها في المغرب مزقت ولا شك . وبناء على ذلك فأنها وجدت أطرافها نحو المشرق ، إلى أن نجحت في النقلة إلى مصر . وكما كان قيام الفاطميين في المغرب حدثاً حطيراً في تاريخه ، كان انتقالهم إلى مصر حدثاً لا يقل خطورة بالنسبة للمغرب أيضاً إذ ترتبت عنه نتائج سياسية واقتصادية وبشرية تردد صداها حتى المغرب الأقصى . ولكن ذلك اعتبر الكتاب قيام دولة العاصميين نقطة تحول حاسمة في تاريخ أفريقيا الشمالية ، مما دعا جورج مارسيه إلى تسميتها بالأرمة الفاطمية (١٢) -

الفاطميون ، نسبهم وشي. عن مذهبهم :

التسمية:

ينتسب الفاطميون إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول وزوج علي بن أبي طالب ، ومن اسمها اتخذوا لقبهم . وبناء على ذلك فهم شيعة علييون، ولكنهم عندما انتسبوا إلى فاطمة أرادوا أن يؤكدوا شرعية وراثتهم لخلافة النبي، علي

(١١) وهنا تشير إلى أنه لا يجب أن تزعم أحد الجد مقالة التلامي الصان التي تسجل أن إبراهيم بن أحمد كان لا يعرف من قال إبراهيم الله الذي لأنه كان يتشيع وكثير من أهل بيته لا يظن فيما سبق؛ من ١٤٦ وما ٤٧٣ .
(١٢) بلاد البربر الإسلامية . من ١٢٢ وما بعدها

عكس غيرهم من العلويين الذين ينتسبون الى علي ولكن من روضة اخرى غير فاطمة ، مثل محمد بن الحنفية صاحب الشبهة الكيميائية ، كذلك اراد الفاطميون ان يحددوا وراثه الخلافة في هذا الفرع الفاطمي العسوي في مقابل من ارادوا ان تكون الخلافة مشاعة في آل السبي ، ومن ثم تصبغ من حق اقرب الرجال الى النبي ، وذلك كما فعل العباسيون عندما بدأوا دعوتهم للرضا من آل محمد ثم استخلصوا الخلافة لانفسهم ، باعتبارهم حفدة العباس ، عم النبي وأحق الناس بوراثه تركته ، لا ينافسهم في ذلك العلويون ، حفدة ابن العم .

والغريب في امر التسمية ان مؤسسي دولة كتامة العلوية الشيعية لم يكونوا اول من تلقب بلقب الفاطميين ، فلقد سبقهم الى حمل اللقب أحمد الأدياء من عواد البربر في اقليم شنتبرية بوادي الحجارة في الأندلس فيما بين سنة ١٥١ هـ / ٧٦٨ م و ١٦٠ هـ / ٧٧٧ م على عهد عبد الرحمن بن معاوية الداخل . فلقد اراد الرجل الذي كان يسمى بـ « شقيا » ، والذي عرف بمراقبة نسبه في البربر ، ان يعطى لثورته نوعا من الشرعية فاستغل كون اسم والدته فاطمة ونادي ، بين أعوانه ، بانه فاطمي علوي ، ولهذا السبب سماه الكتاب بـ « الدعى الفاطمي » (١٣) .

هذا ، كما ظهر اسم الفاطميين بين قرامطة الشام في نفس الوقت الذي كان يدعو فيه أبو عبد الله الشيعي للإمام المهدي ، وذلك عندما تسمى به سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م جماعة من بني الأصبح اثر انضمامهم الى حركة القرمطي زكرويه ابن مهرويه (١٤) .

أصول التشيع :

والحقيقة ان أصول الشيعية الرئيسية سياسية بشكل عام ، والأساس الشيعي في السياسة هو مبدأ شرعية الحكم - فعلى وبنوه هم الخلفاء حقا - أو الأئمة بوجه أصح ، أما غيرهم فمفتصبون - وذلك أن الامام - عندهم - هو وريث بعثة النبي ، ويتم تعيينه بتوجيه الهى عن طريق وصية سرية تنتقل

(١٣) انظر ليلي برونسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، بالفرنسية ، ج ١ ، ص ١١٢ ، ص ١١٤ .

(١٤) ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، ج ٧ ، ص ٢٠٢ .

من امام إلى امام . وهؤلاء الأئمة معصومون (من الخطأ) (١٥) . وساء على ذلك جمعت الشيعة مبدأ الوراثة الملكي ، ومبدأ النبوة مما ترتب عليه أن أصبح وجود الامام ضروريا لكل زمان ومكان (١٦) .

ولما كان التشيع موضع استهزاء الخلافة فقد أصبحت له حياة مستترة عمت على عدم الكشف عن معتقداته ، والتسامح في عدم تنفيذ تعاليمه في وقت الخطر ، وهذا ما عرف بـ « السنية » . ومع مرور الوقت أصبحت السنية ، مثل الكتمان الذي رأيناه عند الحوارج من الإباضية (١٧) ، من أهم سمات فرق الشيعة العلاء (١٨) . ولما كان وجود الامام ضروريا لكل زمان ومكان فان

(١٥) أنظر الحسن بن محمد ، دعائم الاسلام ، حسين آصف فيسي ، القاهرة ١٩٦٢ . حيث يمرض رأى العاطيين في الامامة ، فيسند آراء أهل السنة والجماعة والمعتزلة الحوارج الخبيثة على مبدأ الاحيار ، الذي يحمل من أهل الاختيار من الأئمة على طاهر هذا المعنى (ص ٤٠) . ويقول ان الامامة يجب ان تكون « بالنس والترتيب » . تسامحا كالنبوة التي اسقلت بالنس من آدم إلى نوح حتى عيسى ومحمد . فكل نبي مسمى قد أومى الي وسي يقوم بأمر أمته من بعده . ثم يضيف ان الناس اخرج ما كانوا الى الاوصياء والأئمة لارتفاع الوصي واسطاع النبوة (ص ٤٣) . وأول الهداية بعد النبي هو علي بن أبي طالب ثم الاوصياء من بعده ، واحد بعد واحد (ص ٢٢) .

(١٦) أنظر الحسن بن محمد ، دعائم الاسلام ، حيث نجد أن « معرفة امام الزمان والتصديق به والتسليم لامره » أصبح أصلا من أصول الايمان (ص ٤) ، وان ولاية علي ابن أبي طالب تعتبر « آخر الغرائض » (ص ١٥) ، وان الأئمة بعده هم آل البيت الذين يؤدي لأول منهم الى الامام الذي يكون بعده الكتب والعلم والسلاح (ص ٢٠ - ٢١) . وان عليا والأوصياء من ولده هم اعراف الله في العلة والنار ، لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار الا من أنكرهم وأنكروه (ص ٢٥) . وهكذا نلر « ان الرجل عمل أعمال البر كلها ، وصام دهره وقام ليله ، وأعتق ماله في سبيل الله ، وعمل جميع طاعات الله عز وجل عمره كله ، ولم يعرف بيته الذي جاء من تلك الغرائض ، فيؤمن به ويصدق به ، وإمام عصره الذي افترض الله عز وجل عليه طاعته بطبعه ، لم ينفعه الله بشيء من عمله » (ص ٥٣ - ٥٤) . وساء على كل ذلك « من مات لا يعرف امام دهره حيا ، مات ميتة جاهلية » ، كما رووا عن النبي (ص ٢٥) . وأنظر حبري ماسية ، الاسلام (بالفرنسية) ، مجموعة آرمان كوران ، باريس ١٩٤٥ ، ص ١٥١ .

(١٧) أنظر فيما سبق ، ص ٥٢٢ .

(١٨) أنظر الحسن بن محمد ، دعائم الاسلام ، حيث يقول جعفر الصادق لخص أصحابه : « اكنم سرنا ولا تلعنوه ، ناه من كنتم سرنا فلم يذهب ، أعز الله به في الدنيا والآخرة . ومن أذاع سرنا ولم يكتفه ، أذله الله به في الدنيا والآخرة ، ونزع البور من بين عيبيه » (ص ٥٩) . وفي ذلك ينسب الصادق الى والده محمد بن علي أنه كان يقول « ان التلبية من ديني ودين آتائي . ولا دين لمن لا تحية له ، وان الله يحب من يصدق في السر ، كما يحب أن يعبد في العلانية ، والمدين لأمرنا كالحامد له » (في نفس الصفحة) .

آخر الأئمة لم يمست ، كما يرون ، بل هو غائب ، وينبغي أن يعود في يوم ما ، وهذا ما يعرف عندهم بـ « الغيبة » و بـ « الرجعة » (١٩) . وفكر ، عودة الإمام هي التي تمحضت عن الحركات المهديّة ، إذ أصبح « المهدي » الذي يملأ الدنيا عدلا ، قبيل آخر الزمان ، هو أحد افراد البيت العلوي وسليل فاطمة ، وهو « المنتظر » . وعلى أساس هذه الأصول الشيعية أقام المهدي عبيد الله دولته الفاطمية في المغرب . . .

التشيع الفاطمي الاسماعيلي :

وحقيقة المذهب الفاطمي انه من مذاهب الشيعة الغلاة ، أي الذين يخلفون على الامام صفات الهية ، تضعه فوق مستوى البشر . فهم يقولون ان روح الله تحل في الأئمة حلولا شبه كلي ، وذلك على عكس جمهرة الشيعة الامامية الذين يقولون بان هذا الحلول جزئي ، أو المعتدلين من الزيدية الذين يقولون بان الامام لا يتمتع الا بتوجيه الهى فقط . ولهذا رأى الأخيرون أن الامامة . بعد امامهم الخامس زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ، تجوز لاي علوي - وهو المبدأ الذي سبأخذ به الحسينيون من العلويين بعد أن استأثر أشقاؤهم الحسينيون بالأحقية في الامامة (٢٠) .

والفاطميون فرقة من فرق الشيعة الاسماعيلية - مثلهم مثل القرامطة والحشاشين - الذين يتمسكون بأمامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو السابع في سلسلة الأئمة ، ولهذا عرفوا أيضا بـ « السبعة » . وهم يقولون في ذلك أن الامام اسماعيل يختم قائمة الأئمة الشرعيين الظاهرين ، وذلك على عكس غالبية الشيعة الامامية الذي يضعون مكان اسماعيل أخاه الأصغر موسى الكاظم ثم خمسة من الأئمة الظاهرين بعده ، آخرهم محمد بن الحسن ابن علي العسكري ، فهو الامام الثاني عشر ، ولهذا تعرف الامامية أيضا

(١٩) انظر ابن خلدون ، المقدمة ، فصل ٢٧ - مذاهب الشيعة ، في حكم الامامة ، ج ٢

ص ٧٠٠ - ٧٠١ ، ماسيه ، الاسلام ص ١٥٣ .

(٢٠) وفي أحقية الحسينيين من الفاطميين في الامامة دون الحسينيين ، يقول النعمان

ابن محمد : « فكان الحسن أسبق من الحسين ، لم تقل لله عز وجل الامامة لي ولد الحسين ، كما قلل النبوة من ولد اسحق الى ولد اسماعيل ، وعليهم اجماع الأمة بالشهادة لهم ، وأنها حاوية فيهم ، ولم يحسروا بمثل هذه الشهادة لأحد سواهم » (دعاء الاسلام ، ص ٢٥ - ٢٦) .
ومن قانونية حروج الامامة من ولد الحسين الى ولد الحسن ، على أساس الله ما كان يجوز للحسين : « ان يردعا الى ولد أخيه دون ولده » ، لأن ولده أقرب إليه رحما من ولد أخيه (انظر ص ٢٧) .

• الأئمة عشرية • والامام الثاني عشر الذي تقيب في سرداب دارهم بسأمرها (سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) هو المهدي عدهم ، وهو الامام المنتظر (٢١) • وهي النظرية التي عدلها أحد متكلميهم وهو المونختي ، بحيث تصبح آكر مطعية ، فجعل المهدي المنتظر من سلالة الامام الثاني عشر وليس هو نفسه (٢٢)

العلاقة بالدرامطة :

وسبب توقف الاسماعيلية عند الامام السابع ، وانكارهم الأئمة الخمسة الياقين ، هو ما حدث حوآل سنة ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م عندما وجد الامام السادس جعفر الصادق ان ابنه الأكبر اسماعيل غير جدير بالامامة فأوصى بها لابنه الأصغر موسى الكاظم ، فلم يقبل اتباع اسماعيل خلعه ، وظلوا مخلصين له رغم ذبوع وفاته (٢٣) ، كما قام الدعوة منهم بنشر الدعوة لحساب أبنائه الذين انتشروا في بلاد فارس والشام • ولقد ظل نشاط الاسماعيلية خلال فرون من الرمان دينياً فقط ، ولكن أحد الدعوة تمكن من توجيهه نحو أغراض سياسية ، وعن هذا الطريق تمكن الداعي قرمط (٢٤) من أن يجمع حوله جماعات من العمال والفلاحين في أسفل العراق ممن كانوا قد شاركوا في ثورة الزنج (٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م - ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م) ، وأسفل طموحهم نحو المساواة التي كانوا يطالبون بها ، ونظمهم - باسم الامام المستور - في طنقات من أصل المعرفة (٢٥) • ونجحت الحركة وانتشرت من العراق إلى جزيرة العرب ، وانعلبت

(٢١) أنظر ابن خلدون ، المقدمة - فصل ٢٧ - في مذاهب الشيعة ، ص ٧٠١ .

(٢٢) أنظر ابن النديم ، الفهرست ، فصل مكنس الشيعة ، ط - التحاريري ، ص ٢٦٥ .

(٢٣) كانوا يدعون إلى الامام محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وأنه حي لم يموت - انظر الحنفا ، ج ١ ص ٢٩ .

(٢٤) راسه حديد بين الأشعث ، أما هي لقبه قرمط فليل لأنه كان قرمط في سيره

أي يقارب بين خطراته ، وقيل لأنه كان أسير الشرة تسميها له بالقرمط أي الطوب الأحمر ،

كما قيل ان الاسم مشتق من التديس (نهر المدلس) ، وهو أصل الكلمة الأرامس (أنظر

القريزي ، انطال الحنفا ، ص ٢٩) • هذا ، ويورد ابن الأثير رأياً يقول ان أصل هذا الاسم

هو اسم رجل نبطي كان قد لجأ إليه الداعي في الشام وهو « كرميتة » التي حطت إلى قرمط

(ابن الأثير ، سنة ٢٧٨ ، ج ٧ ص ١٧٨) .

(٢٥) ماسيه ، الاسلام ، ص ١٥٧ . وفي درجات المعرفة ، انظر ما يقوله القاضي النعمان

في دعائم الاسلام ، في فصل ذكر الايمان ، حيث يقول : ان الايمان حالات ودرجات وطبقات

ومنازل ، فيه التام المنتهى تمامه ، ومنه البين نقصانه ، ومنه الرجوع وسعانه . كما يقول ابن

الايمن مقسم على الحواجز ، مثل القلب والسبح واللسان والعينين واليدين والرجلين

وغيرها (ص ٤) • وتنام الايمان بدخل المؤمن الحمة ، ويرحماه بالبرادة فيه يفاضل •

حزبياً الى نوع من الشيوعية البدائية ، انتهت بأعمال متطرفة وبما دعا ، كما حدث عندما أغاروا على مكة وأخذوا الحجر الأسود الى هجره ، إلا أنه ، في موسم سنة ٣١٧هـ/٩٢٨ م ، ولم يميدوه إلا بعد أن تدخل امام الفاطميين ، لي ابريقية عبيد الله المهدي الذي انكر عليهم ما فعلوه (٢٦) .

هكذا كانت الدلالة وثيقة بين الفاطميين وبين القرامطة ، وإن كان الفاطميون قد رفضوا استغلال القرامطة لمذهب الامام المكتوم من أهل ثورتهم الاجتماعية ، فانهم استفادوا من الدعاية القرمطية من أجل تحقيق أهدافهم السياسية (٢٧) .
فبينما كان قرمط يدعو في العراق الى مذهب الامام المستور ، كان هناك داع آخر في المغرب الأوسط يثير حماس يربر كتماناً باسم المهدي الفاطمي . هو : أبو عبد الله الشيعي .

الكتمان وظهور الأدياء :

والذي يستحق الملاحظة هنا هو أن مطالبة الشيعة بأن تكون الامامة أي ، الخلافة في آل البيت من العلويين ثم التجاؤهم الى ستر الامام وكتمان العقيدة ، كل ذلك ، كان سبباً في دحول كثير من المخامرين والأدياء في المذهب ، ومنهم من انتهر الفرصة فعلاً ونجح في استغلال الدعوة لصالحه ، ومنهم من انحرف عن مبادئ المذهب أو حرفها مما جلب النقمة والسخط على الأئمة (٢٨) .

= المزمور في الدرجات عند الله ... (ص ٩) . وفي الدرر ما بين الايمان والاسلام يقول :
الاسلام هو الظاهر ، والايمان هو الباطن الحاصل في القلب (ص ١٢) . والاسلام هو الاقرار من العبد بينا الايمان اشمل بهو الاقرار والفرقة التي هي عن الله (ص ١٣) . والفرقة من الله حجة ومة ورسالة ، من لم يجعله الله عارفاً فلا حجة عليه . ومن على من أبي طالب :
« ادي ما يكون (المراد) مؤمناً ان يعرفه الله حجة في أرضه وشاهده على خلقه فيحتله لعلته .
فيقر له بالعبادة » (ص ١٣) . فكانه معرفة الامام من درجات المعرفة العالية .
(٢٦) أنظر ابن الأثير ، سنة ٣١٧ . ط . بولاق ، ج ٨ ص ٧٧ .

(٢٧) عن الصلة بين الحسين الأحمدي ، أحد مشاهير الدعاة لمذهب محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق وبين حشدان قرمط الذي استجاب لدعوته ، انظر القريزي ، انطالق الحنابلة ، ص ٢٩ ، ٣٠ . وعن القرامطة انظر (ط . ١٦٦٧ ، ص ١٥١ وما بعدها) . وعن الصراع بين القرامطة وبين الفاطميين على أيام المعز وكيف قذح القرامطة في نسب الفاطميين فقالوا انهم أولاد المداح - انظر ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة . سنة ٣٦٢ ج ٤ ص ٧٤٠ .
(٢٨) انظر المسان من محمد الذي يتخصص في دعوات الاسلام فضلاً عما يجام فيه اولئك الذين صلبوا ومرقوا ومكفوا . من أهل هذا الأمر ، ممن استحلوا للحلوم وادعوا النبوة والبهو الأئمة فقالوا سخطهم والبراءة منهم (ص ٤٨ وما بعدها) . وفي ذلك يتسب الى أبي ...

الجدل حول صحة النسب ٢

وإذا كان الأمر كذلك فليس من المستغرب أن تكون صحة نسب الفاطميين أنفسهم موضع شك آثار الكثير من الجدل بين الكتاب ، حتى قال بعضهم أنهم أصلاً من المجوس أو الشنوية (٢٩) . ومن الطاعنين من يقول بأنهم يهود أصلاً ، على رغم أن سعيداً (المهدي) كان في الحقيقة ابناً لحداد يهودي من أهل سلية من منطقة حمص ، وأن الحسين بن أحمد الذي تزوج أمه ، عندما استقر في سلية اثر فراره من العراق ، ربه وأدبه . ولما لم يكن للحسين ولد فانه عهد الى ابن أمراءه سعيد هذا (٢٠) ، فكان الفاطميين جمعوا بين المجوسية واليهودية جميعاً . ولقد وجد هذا الطعن أذاً صاغية من العباسيين في بغداد ، والأمويين في الأندلس فعملوا على اذاعته ونشره في طول بلادهم وعرضها ، وذلك كسلاح حاولوا التل به من خصومهم الفاطميين ، ومواجهة دعوة الاملم المعصوم التي كانت قد استهوت قلوب الكثيرين من

حلمر محمد بن علي قوله . « رحم الله هذا حساً الى الناس ولم يمسنا اليهم ، أما والله لو يروون منا ما نقوله ولا يعرفونه ولا يدلو به علينا برأيهم ما استطاع أحد ان يتعلق عليهم بشيء ، ولكن أهدم يسع الكلمة يبطل اليها عنرا ويتأولها على ما يراه . . . » (ص ٦١) .

(٢٩) أنظر آراء الطاعنين في نسب الفاطميين وكيف يدكرون أهم أصلاً من مجوس فادس الذين ينتسبون الى ديصك الثرى والدميون المداح جدهم ، وأنهم ادعوا الانساب الى والده محمد بن اسماعيل الامام ، كما ادعوا أنهم من ولد عقيل بن أير طالب وأصحاب هذا الرأي يقولون ان عبيد الله المهدي ، هو بن حقيقة سبه . سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الله ابن ميسون القلاح بن ديصك الثرى الأهرابي - القرظي ، اصحاب الحنفا ، ط - القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٢٢ - ٢٣ ، ص ٢٧ - ٢٨ (عن النسب اليهودي) ، ص ٤١ (عن النسب الى ولد عقيل) ، وقارن ابن الأثير ، حنة ٣٩٦ هـ ، وأنظر ابن تشرى بردى ، النجوم الزاهرة ، سنة ٣٦٧ هـ ، ج ٤ ص ٧٥ وما بعدها . وقارن الحلة السراء ، ج ١ ص ١٩٠ : حيث الرواية الأدلسية المنسوبة الى مؤرخ الأندلس الرازي ، وفيها أن عبيد الله هو بن محمد بن عبيد الرحمن بن البصرى ، من سلية ، وهو من النسبية التي يطلقها عليه الطبرى . « ابن البصرى » - تأخر أنها نفس النسبية التي أطلقها عليه صاحب تاريخ بغداد (أنظر الحلة السراء ، ج ١ ص ١٩٠ وما ع ٤ ، ص ٣٦٢) . وأنظر الفصل الخاص برأي الطاعنين في صحة النسب تاريخ الدولة الفاطمية ، لحسن ابراهيم حسن ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٥٩ بعدما .

(٣٠) اصحاب الحنفا ، ط - ١٩٦٧ ، ص ٤٢ ، وقارن النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٣٩

ما بعد (ما قيل في نسب الخمر وآبائهم) -

تأقت نفوسهم الى زوال عهد الجور وحلوله عهد العدل الموعود (٢١) -

ومع أننا لا نميل الى الدخول في ذلك الجدل الذي أورده ابن الاثير ووقف
بينه موقف المتأمل المتعاطف مع صحة النسب ، نكتفي بالاشارة الى أن الشيعة
أنفسهم ، ممن أعترفوا بصحة نسب الفاطميين ، اختلفوا في تسلسل هذا
النسب (٢٢) . والواضح أن مثل هذا الجدل لا طائل ورائه ، ولذا فنحن نفضل
الآخذ بنظرية ابن خلدون الذي يتحرج ، رغم سنيته المالكية المعروفة ، من جرح
زعما الأمة وأعلامها التاريخيين حتى من أولئك الذين زعموا العصمة والهداية ،
ويحكم بعد التهم . فالذي نراه أن ابن خلدون وإن كان قد ساق ، في معرض
الدفاع عنهم ، بعض الأدلة أو القرائن التي ليست فوق مستوى النقد ، فهو
يريد ، في الحقيقة ، أن يقرر أن نجاح الدعوة - وهو الأمر الواقع بأذن الله -
يسنى الكفاية والعدالة ، وبالتالي صحة النسب (٢٢) .

(٢١) عن جمع عهد الدولة البويهية سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م - ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م للمؤلفين
في يملاد وتوثيقهم على أن المزل لدين الله ليس منهم ، أي ليس علويًا . انظر التقرير ،
اتصاف الحنفا ، ١٩٦٧ . ج ١ ص ٣٠ . وعن المحضر المباس الأول الذي كتب في بغداد سنة
٤٠٢ هـ / ١٠١١ م على عهد الخليفة القادر في اللجج في سبهم ، انظر اتصاف الحنفا ،
ص ٢٢ - ٢٣ (وعن ابن الأثير ص ٣٦ - ٣٧) ، ص ٤٤ (نص المحضر) ، ابن الأثير ،
سنة ٢٩٦ هـ ط . مولف ، ج ٨ ص ١٠ . وعن ضمن خليفة الأندلس الأمرى الحكم المستنصر
في نسب العزيز انظر ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٤٩ .

(٢٢) لقد قيل عن المبدى انه : محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل
ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب (ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ حيث
يلدكر نسبا علويا ثانيا) . وتذكر بعض الروايات المغربية انه : محمد بن اسماعيل بن الحسن
ابن علي بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر (بن محمد) الصادق بن علي زين العابدين
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (الاستبصار ص ٢٠٢) . ويقول ابن حماد الصنهاجي ،
أخبار ملوك بني عميد وسيرتهم ، انه : عميد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن اسماعيل
ابن جعفر بن محمد بن علي (بن أبي طالب) ط . الجزائر ١٩٢٧ ، ص ٦ . أما ابن خلدون ،
فيقول انه : عميد الله بن محمد العبيد بن جعفر المصدق بن اسماعيل بن محمد المكنوم (أولد
الأئمة المستورين) . العبير ، ج ٤ ص ٦٢ - ٦٣ (طبعة بيروت ، ١٩٦٨) . القرظي ، اتصاف
الحنفا ، ط . القاهرة ١٩٦٧ . ج ١ ص ١٦ ، ص ٣٥ حيث يأخذ القرظي بصحة النسب ،
وكذلك ص ٥٢ - ٥٣ . ص ٥٠ (حيث ينقل هذا النسب عن ابن خلدون) .

(٢٣) انظر المقدمة ، ط . التجارية ، فصل في علم التاريخ وما يعرض للمؤرخين من
الغالب - في البلاغ عن الأداسة ، ص ٢٢ ، وعن الفاطميين ، ص ٢١ ، وكذلك التاريخ ،
ج ٤ ص ٣٦ ، وعن مهدي الموحدين ص ٢٦ . وانظر ما ينقله عنه القرظي في اتصاف الحنفا ،
ط ١٩٦٧ ، ص ٤٤ - ٤٩ .

والحقيقة ان الفاطميين انفسهم لم يمودوا يهتمون كثيرا بسالة صحة النسب تلك ، بعد أن اصبحت مسألة الشرعية ثابوية عندهم . فلقد اسخدموا التأويل واستعانوا بنظرية الحلول ، وأصبحتوا يرون أن الامامة عبد احبارى يعطى للمختار من بين العارفين بالعلم الاالى (اللدنى) عن طريق استناره العقل اى ندى حصته العناية الالهية بالسوراية(٣٤) . وما يسب الى المر لدين الله ، بعد أن دخل القاهرة ، من أنه اسقبل وفود المهنيين وقال لهم ، وهو يسل سيفه من عنده وينثر عليهم دنائير ذهبه « هذا حسبي وهذا سبى » (٣٥) ، يؤكد مقالة شرعية الأمر ا لواقع ، ويثبت أن الحدل فى صحة نسب الفاطميين الذى بدأ به ابن الأثير ، وبلوره ابن خلدون ، وأخذ به المقربرى (٣٦) كان قد استبعد أغراضه ولم يمد ذا موضوع .

تنظيم الدعاية الفاطمية ، وبداية أبى عبد الله الشيعى :

تبين بداية الدعوة النى قام بها أبو عبد الله الشيعى (٣٧) كيفية التنظيم السرى للحركة الفاطمية . هذا ما يتضح من الرواية المغربية المفصلة التى يقدمها كتاب الاستبصار منسوبة الى الداعى نفسه (٣٨) ، ومنها يفهم أن وصول أبى عبد الله الى منصب الداعى ثم بمحض الصدفة ، ولكنها كانت صدفة مرسومة . على كل حال . حدث ذلك فى العراق مركز الحركة ، وعن حيث كان يوجه الدعاة الى خراسان واليمن والمغرب . ولم يكن أبو عبد الله غريباً عن التشيع ، فهو يمسى من مدينة صماء (٣٩) ، أخذ العلم فى بلاده ألى كانت

(٣٤) أنظر ماسى (هو ما سينيون) ، الاسلام ، ص ١٥٨ . وفى التأويل أظن دعائم الاسلام ، فصل ولايه الأئمة ، ص ٢١ وما بعدها . وفى مسألة الحلول يقول ابن خلدون . المقسمة ، فصل ٢٧ فى مذاهب الشيعة فى حكم الامامة ص ١٩٨ . وهو ما يوافق مذهب الصادى فى عيسى صلوات الله عليه .

(٣٥) أنظر ابن خلكان ، ترسة المر ، ابن عمري يردى ، الجرم الزاهرة ، سنة ٣٦٢ . ج ٤ ص ٧٧ .

(٣٦) أنظر عرض علمه الأراء فى اتماط الحفاه ، ط - ١٩٦٧ ح ١ ص ٤٣ وما بعدها . (٣٧) الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الذى اشتهر بالحنسب أيضاً ، وكذلك بالمعلم القرزى ، اتماط الحفاه ، ط - القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٥٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦ - ٣٢ . وقارن افتتاح الدعوة للقاضى الصمان ، ص ٥٩ ، وابن حنبل ، أخبار ملوك بني عميد ، ص ٧ .

(٣٨) الاستبصار ، ص ٢٠٣ ، وقارن افتتاح الدعوة للقاضى الصمان ، ص ٣٥ : حيث نجد نفس القصة تقريباً ، منسوبة الى داعى اليمن ابن حوشب ، وأنظر رواية الوراق من طابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٤ ، والمقربرى ، اتماط الحفاه ، ج ١ ص ٥٥ - ٥٩ . (٣٩) افتتاح الدعوة ، ص ٦٦ ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٤ .

من معادل الشيعة على ائمة المنهج ، وكان يعتقد في وجود الامام المهدي ولكنه كان يجبل زمنه .

و ذات يوم ، بينما كان صاحبنا يصلي ويقرا القرآن على ضفاف «دجلة» حضر زجل ميبب الطلعة ، عليه مظاهر النبيل والوقار ، واستقر فوق بساط فرش له علامه بجواره على ضفة النهر . وبطريقة ماهرة دخل الشيخ الحليل في نقاش مع ابي عبد الله حول تفسير ما كان يقرأ من آيات القرآن ، وتبكي بعصل علمه ودرايته بالجدل والمناظرة من الاسنحواز على قلبه حتى سألته المزيد من علمه . وحسب الأساليب الفنية التي يعرضها الدعاة تركبه الشيخ - وهو في ذروة التعطش - مؤجلا ذلك الى فرصة أخرى ، وامتنطى ظهر دابته مصرفا ، وخلفه غلامه . وعندما علم أبو عبد الله - من الغلام - أن الشيخ ليس الا محمد (بن اسماعيل بن الحسن . .) الطالبى تعلق بركابه ، وضرع اليه أن يعلمه السبيل الى معرفة الامام .

المنظيم السرى الاثنا عشرى :

وبفراصة الشيخ وثق من احلاص هذا التابع المتعطش الى المعرفة ، وأشار عليه بأن يسير معه الى منزله . وفي الدار وجد أبو عبد الله الشيعي شابا هو 'بن شميح ووصيه . وهو عبيد الله المهدي ، ومعه أحد عشر رجلا من الدعاه ، حضمه الشميح اليهم ، وبذلك أصبحوا اثني عشر نقيبا (٤٠) . هؤلاء الدعاه

(٤٠) انظر كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٢ - والذي يفهم من هذه الرواية ان محمدا العيبى جواد صيد الله كان يقوم بدعوته في العراق ، وهذا لا يتعارض مع ما تكاد تجمع عليه الروايات من ان عبيد الله عندما سار نحو المغرب ، فبما سجد ، كان موجه من مدينة سلمية بالشام ، اد لا ناس ان يكون قد ترك العراق عند ملاحقة رجال الخلافة له واستقر بالشام حيث كان اللطويين شيعتهم المخلصون . واذا كانت ملاحقة رجال الخلافة له ولوالده قد تمت بعد وصول انباه حجاج ابي عبد الله الشيعي في المغرب ، كما تقول الروايات المتغيرة (انظر اتمام الحفظ ، ج ١ ص ٥٢ : حيث تقول الرواية انه بعد ان شاع خبر دعواته باليمن والرفيقية طلبه المكتفى ، وكان يسكن مسكر مكرم . فانقل الى الشام) فان الملوذ في سلمية لا يكون عبيد الله المهدي بل ابنه القائم (أبو القاسم محمد) الذي ولد هناك سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م أو ٢٨٠ هـ / ٨٩٢ م (انظر القرظي ، اتمام الحفظ ، ج ١ ص ٧٤) وكان تلامذا حذقا عندما خرج به والده الى المغرب (انظر الحما ، ج ١ ص ٥٢ . وقارن افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٥ : حيث يقول القاضي المسان ان القائم حين استنقل في سلطنة كان قد طر شافيه) . ولهذا السبب قيل ايضا لى القائم انه لم يكن ولد المهدي بل كان ربيبة لى لمن زوجته ، فكانه المقصود ما بين مسند سلمية اليهودى) عن مقالة ان محمدا القائم كان ربيب « سعيد » المهدي ، انظر اتمام الحفظ ، ج ١ ص ٢٩ . وفي اختلاف اسم القائم ما بين « محمد وعبيد الرحمن وحسن » . وفي اختلاف كنيته ما بين « ابي القاسم و ابي جعفر انظر العلة السيرة ، ج ١ ص ١٩٨ .

الاثنا عشر يذكرون بنقباء الدعوة العباسيين الاثني عشر الذين تم اختيائهم بين السبعين داعية الأوائل ، وهم الذين مهدوا خراسان ، بقيادة أبي مسلم ، للثورة الرائعة التي قامت باسم آل البيت (الرضا بن آل محمد) ، وهم يذكرون أيضا بنقباء القرمطي الاثني عشر الذين اتخذهم كحواري عيسى بن مريم ، كما تقول زروابة ابن الأثير (٤١) . فكان ذلك التنظيم الاثني عشرى كان أساس الدعوات السرية التي عرفتها دولة الخلافة ابتداء من العباسيين ثم من أتى بعدهم من الاسماعيلية ، مثل : القرامطة والفاطميين ثم الحنشاين .

الدعوة في المغرب تبدأ من اليمن :

والهم أنه تم انعقاد مجلس دعواتنا الفاطمي هذا برئاسة الشيخ في العراق قبل سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م ، وهو التاريخ المقترح لمولد مجيد القائم بن المهدي في سلمية بالشام (٤٢) . وفيه أعلن الامام محمد الحبيب أن وقت ظهور الامام قد حان ، وأمرهم بالانتشار في الأقطار ، والتبشير بقرب حلول عهد العدل والاصلاح ، ودعوة الانصار لدولة المهدي العلوي الفاطمي . ووقع الاختيار على أبي عبد الله ليقوم بالدعوة في المغرب بأرض قبائل كتامة (٤٣) .

وواضح من الرواية أن الدعوة الشيعية في المغرب الأوسط كانت قد بدأت قبل ذلك بوقت طويل منذ أيام جعفر الصادق أي حوالي سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م . في الوقت الذي كان يتكلم فيه قاضي الرقية عبد الرحمن بن أنعم في الامام الذي يملأ الارض عدلا ، ويمم الرخاء في عهده ، وهو ما كان يبشر به الحلواني وأبو سفيان في نفس الوقت تقريبا (٤٤) .

وحسب الأسلوب الفني الذي كان يسير عليه الدعوة لم يتوجه أبو عبد الله مباشرة الى المغرب بل سار الى اليمن ، التي كانت قد صارت معقل الدعوة العلوية منذ أيام الامام الصادق وخلافة أبي جعفر المنصور ، ليتدرج على أساليب العناية الراقية . وكان كبير دعاة الامام محمد الحبيب في ذلك الوقت هو ابن حوشب (أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج) النجار ، الكوفي الأصل ، الذي كان مقبلا في عهد يُلزم العبادة والزهد ، ويدعو لقلبهم

(٤١) الكامل ، سنة ٢٧٨ ، ج ٧ ص ١٧٨ .

(٤٢) انظر الهامش السابق .

(٤٣) الاستبصار ص ٢٠٣ .

(٤٤) انظر فيما سبق ، ص ٥٣٥ .

فلهدي في هذا الزمان (٤٥) . ولذلك تقول رواية ابن الاثير ان ابن حوشب هو الذي قال لابن عبد الله : ان ارض كتامة من المغرب قد حرثها الجلواني وابوسفيان ، وقد ماتا وليس لها غيرك (٤٦) ، فكان كبير دعاة اليمن او صاحب اليمن ، (٤٧) هو الذي وجه ابا عبد الله الى المغرب ، وليس الامام - وهو الامر المقبول بالنسبة لبرنامج الدعاية السرية المعقدة - والحقيقة انه كان على ابي عبد الله الشيعي ، بعد ان لزم ابن حوشب ، وشهد مجالسه واقاد من علمه (٤٨) ان يبدأ بالمسير الى مكة ايام موسم الحج ليتصل بحاج كتامة هناك ، ويعرف اخلاقهم ، ويطلع على مذاهبهم ، وذلك بعد ان زود بمبلغ كبير من المال (٤٩) .

اللائحة مع حاج كتامة في مكة :

وهكذا ، وصل ابو عبد الله الشيعي الى مكة في يوم من ايام موسم الحج سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٤ م ، وبدأ البحث عن حاج المغرب الى ان اتعدى الى عدد من اعيان قبيلة كتامة يبلغون عشرة رجال ، ملتفتين حول شيخ منهم (٥٠) . وكما فعل معه الامام فقل هو مع هؤلاء المغاربة فجاذبهم اطراف الحديث ، وبفضل فصاحته وسحر بيانه ، فضلا عما كان يظهره من العبادة والتسك ، تمكن من سلب عقولهم (٥١) . وبطبيعة الحال سألهم عن بلادهم ، وعن مذاهبهم ، ولم يكن منهم الا ان اجابوه بصراحة عن صفة بلادهم ، وعن علاقتهم بأبى القريوان ومدى استقلالهم عنه (٥٢) .

-
- (٤٥) انظر افتتاح الدعوة للفاخر النعمان ، ص ٥٦ - ٦٠ ، وقارن القرظي ، اتمام الحنفا ، ج ١ ص ٤٠ ، ج ٢ : حيث مقارنة اختلاف اسمه فيما بين ابن الاثير (سنة ٢٩٦ ، ج ٤ ص ١٢) ، والقرظي ، بل ولما بين خطط القرظي (حيث الاسم ابو القاسم الصفيح ابن فرج) وتمام الحنفا .
- (٤٦) ابن الاثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٤ ص ١٢ ، وقارن اتمام الحنفا ، ج ١ ص ٥٥ .
- (٤٧) اتمام الحنفا ، ج ٢ ص ٥١ .
- (٤٨) اتمام الحنفا ، ج ١ ص ٥١ .
- (٤٩) اتمام الحنفا ، ج ١ ص ٥٥ .
- (٥٠) انظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٢ حيث النص على معنى اعيان وفد كتامة من الحجاج ، ومنهم : (١- موسى بن حريث) كثير بنى سكتان ، (٢- ابو القاسم الوديعي (من اهلهم) ، (٣- منصور بن عيسى بن لئال المسالتي ٤ - موسى بن تكاد .
- (٥١) الأستبصار ، ص ٢٠٣ ، وقارن اتمام الحنفا ، ص ٥٥ .
- (٥٢) قالوا : ما نة علينا طاعة ، وبيننا وبينه عشرة ايام مره وان سئلتم عن جسد السلاج - انظر اتمام الحنفا ، ص ٥٥ - ٥٦ :

وفيما يختص بمذهبهم أحسن الداعي ان شيخهم يميل الى مذهب الإباضية
النكار ، ومن هذه « الثلمة » دخل عليه ، وأخذ يستدرجهم في الحديث بفصل
علمه وخبرته بالجدل والمناظرة (٥٢) .

وتوثقت الصلة بين أبي عبد الله الشيعي وجماعة الحاج الكاميين الى ان
حان وقت عودتهم الى بلادهم ، فسألوه عن أمره وعن مقصده ، فأجابهم ، وهو
يظهر الورع الشديد : أنه عراقي من رجال الدولة ، وأنه وجد ان خدمة السلفان
ليست من اعمال البر ، وبعد التروي رأى ان كسب المال الحلال لا يأتي الا عن
طريق تعليم القرآن للمصيبة ، فوهب نفسه لهذا العمل المبرور ، وأن أهل
المعرفة نصحوه بالمسير الى مصر حيث يروج تعليم الصبيان (٥٤) .

الرحلة الى المغرب :

ولم يكن من الغريب ان يسلطبه الكتاميون معهم الى مصر ، فبني في
طريقهم ، وأثناء المسيرة صار يحدثهم في الدين ، ويستميلهم شيئا فشيئا الى
مذهبه ، وتنجح فعلا في اكتساب محبتهم له ، واعتزازهم به حتى عرضوا عليه
ان يواصل الطريق معهم الى بلادهم ليعلم صبيانهم ، ورغم اعتذاره ببعده الشقة
الا أنه لم يخيب رجاءهم تماما ، فأظهر أنه قد يسير معهم الى القيروان فقط .
إذا لم يجد سبيله في مصر . وهذا ما فعله (٥٥) . وحلال أحاديثه معهم عرف

(٥٢) الاسفار ، ص ٢٣ . وقارن القريري (اتصاف الحنفا ، ج ١ ص ٥٥) الذي
يلجس انتاج الدعوة للقاضي النصاب (ص ٦٣) . حيث يقول ان الداعي سمعهم يتحدثون
بفضائل آل البيت ، فاستحسن ذلك منهم . والطيفة ان القاضي النصاب يمس على ان رجلين
من حاج كتابة . وهما . حريت العجيل . وموسى بن مكارمة . كانا يذكران فضائل علي بن أبي
طالب . وهكذا يسلسل القاضي النصاب الاحداث بحيث تظهر متكاملة مع ما سبقها من الحديث
عن تمهيد أوص العرب لدعوة لبلادهم المهدى سمرقنة الطوائف وأبي سفيان . فكان دعوة الأخيرين
في منتصف القرن الثاني الهجري (٨ م) كدت تمهيدا حقيقيا لدعاية أبي عبد الله الشيعي
في أواخر القرن الثالث (٩ م) . وكان دعاية أبي عبد الله كانت استمرارا لدعوة الأولين .
وتم بعد الشقة .

(٥٤) لئلا غداري ، ج ١ ، ص ١٣٥ . وقارن القريري . اتصاف الحنفا ، ج ١ ، ص ٥٦ .
النتائج المستفزة للقاضي النصاب (ص ٦٥ - ٦٦) : حيث يقول ان كتابة كانوا يطلبون للمسلم
يستفتوهم في أمور دينهم ويصاحون اليهم فيما يتقنون يفتون . ويصطبرهم فلا يحالون
لهم حكما .

س- ٥٥٥) لئلا غداري ، ص ١٣٥ .

منهم بعد بلادهم عن عاصمة الأغالبة ، وأن طاعيم للقيروان طعه شكنية ،
وأنتهم قوم معتزق بأنفسهم . يملكون السلاح والخيل ولا يرضون بالضميم (٥٦) .
وفي القيروان أعادوا الإلحاح عليه ولكنه أصر على أن يقيم بالعاصمة الأغلبية ،
بعد أن وعدهم بالحقاق بهم في بلادهم إذا لم يطب له المقام بها (٥٧) .

ولم يضحج أبو عبد الله وقتئذ في القيروان سدى ، فأخذ يستقصي أخبار
القبائل ويتعرف أحوالها . وعندما تأكد من كثرة عدد كتامة ، وشدة شوكتها
بين قبائل البربر ، وعدم استكانتها للسلطان ، قرر أن يبدأ العمل الإيجابي .
فلم يمض على فراق رفاقه الا وقت يسير حتى لحق بهم (٥٨) وذلك في منتصف
ربيع الأول سنة ٢٨٠ م / ٥ يونيو ٨٩٣ م (٥٩) .

ونزل أبو عبد الله على الشيخ الكتامي في المنطقة الجبلية التي عرفت
حاليا بالقبائل الصغرى ، والتي تمتد بين سهل سطيف والبحر ، بين قسنطينة
شرقا وبجاية غربا (٦٠) . ومع أن المعروف أن أبا عبد الله نزل في قرية من
قرى الجبال التي تعرف بأيكجان (٦١) ، والتي سميت بها القرية ، كما نسب
إليها أبو عبد الله الداعي تعرف عند بعض الكتاب بالأيكجاسي ، كما سبق ،

(٥٦) : انتاج الدعوة للقاضي المصنف ، ص ٦٤ - ٦٦ . وما سبق ، ص ٥٧ وما ٥٢ .
(٥٧) : ابن عدي ، ج ١ ص ١٣٥ . وقانون رواية القاضي المصنف (افتتاح الدعوة ،
ص ٦٨) : حيث تقول ان طريق الجماعة الى بلادهم لم يكن على القيروان بل على قسطنطينة
من بلاد الحمير (وابن مزيان في موضع يعرف بسوجمار من ارض سمانه حيث يقيم لالة
وسا لمن القسمة ، هم . أبو المنذر وأبو القاسم الوردجومي ، وأبو عبد الله الأندلسي ،
وهذه الاخير كان نزول أبي عبد الله . وهذا ما أخذ به ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٢) حيث
الإشارة الى المصنف عن طريق القيروان ، والوصول الى بلاد سومانة حيث كان محمد بن سعد
ابن سالك الأندلسي ، وكان قد ادرك الحلواني وأخذ عنه ، وان ابن حود سلاصهم الى
بلاد كتامة) .

(٥٨) : ابن عدي ، ج ١ ، ص ٦٨ .
(٥٩) : افتتاح الدعوة ، ص ٧٢ ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٢ . وقانون
ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٢ (حيث الرسول الى كتامة في سنة ٢٨٨ م) ، الاستبصار ،
ص ٢٠٣ . ورواية ابن الأثير ، مثل غيرها ، تقول انه وصل الى ارض كتامة برفقة حسامة
الحجاج . ولقد رأينا الأخذ برواية الوران التي نقلها ابن عدي . لا يظهر فيها من الاحتياط
في التصرف مثل يمكن ان يتخلف فيون الدولة اذا كانوا يتجهوله ، وهو الأمر الذي كان
يحذره دعاة مثل هذه الدعوة السرية .

(٦٠) : انظر مارسيه ، بلاد البربر الاسلامية ، ص ١٢٣ .

(٦١) : افتتاح الدعوة ، ص ٧٣ .

فإننا نميل الى الأخذ برواية صاحب الاستبصار التي تقول ان الداعي نزل على الشيخ الكتامي في جبل زلدوى (١٣) . ولا بأس أن يكون جبل زلدوى واحداً من سلسلة جبال هضبة ايكجان الكبيرة ، التي عرفت بانها موطن كتامة الصعب - المال ، والتي تمتد صارتها من حدود جبل أوراس جنوباً حتى سيف البحر ما بين بجاية وبونة شمالاً ، كما تمتد شرقاً حتى القيروان وغرباً حتى المسيلة (١٤) . هذا ، ولا بأس أيضاً أن يكون في جبل زلدوى هذا ، الموضع الذي عرفه كتاب الشيعة بفتح الأبخار : حيث تقيم جماعة بني سكتان الكتامية التي استضافت الداعي (١٤) ، وبذلك يكون فتح الأبخار هو نفس قرية ايكجان .

واتخذ أبو عبد الله مجلسه في مسجد القرية مكرساً وقته للمبادة وأعمال الورع الى جانب تعليم الصبيان ، ومن هنا عرف بالمعلم . وفيما بين هذا وذاك كان يلقي سكان المنطقة من البربر تعاليم مذهبه ، ويكشف لهم شيئاً فشيئاً عن الامام المهدي المنتظر ، صاحب الدعوة ، وأن زمانه قد آن (١٥) ، وذلك حسب الأصول الفنية التي كان يعرفها الدعوة ، والتي كان قد تدرب عليها في اليمن ، وذلك ابتداء بالحديث في ظاهر فضائل علي بن أبي طالب (١٦) ، وانتهاء بذكر المهدي وما يمكن أن يدور حوله على السنة ابناء الشعب من الكرامات ، مثل : احياء الموتى ورد الشمس من مغربها (١٧) .

بدء العمل الايجابي :

وكان من الطبيعي أن يبدأ أبو عبد الله بدعوة الشيخ ، رئيس الجماعة . فبعد أن اطمان اليه تماماً كشف له ذات يوم عن حقيقة أمره ، فقال له - بعد أن صب في حجره ٥٠٠ (خمسمائة) دينار : « لست بمعلم الصبيان ... انما نحن اخصار أهل البيت ، وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة انكم

(١٣) الاستبصار ، ص ٢٠٣ .

(١٤) انظر افتتاح الدعوة ، ص ٥٧ وماشئ في حقلقة (نسخ وداد القاسي) .

(١٥) افتتاح الدعوة ، ص ٧١ - ٧٣ : حيث يقول القاسي النعمان ان ابا عبد الله نزل هناك بصحبة أبي عبد الله الأندلسي وأبي القاسم اليرفنجومي ، وأنه وعد الناس . الذين تسامحوا من أجل نزولهم عندهم ، بزيارة كل قوم في بيوتهم - وانظر حاشي ٤ ص ٧٢ ز حيث الأشارة الى ان اسم الجماعة في كتاب ابن الأثير هو بني سليمان .

(١٥) الاستبصار ، ص ٢٠٣ . ابن عساق ، ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(١٦) افتتاح الدعوة ، ص ٧٣ .

(١٧) انظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ .

انصارنا ، والقيمين لدولتنا ، وأن الله يظهر بكم دينه ، ويميزكم أهل البيت ، وأنه سيكون امام منهم انتم انصاره ، والباذلون مهجهم دينه . (٦٨) .
أورد عليه الشيخ قائلا : « أنا أرغب فيما رغبتى فيه ، وأبذل فيه مهجتي ومالي ، أنا ومن اتبعني ، وأنا أطوع لك من يدك ، فمر بما شئت أمثلته . » (٦٩) .

شخصية الزعيم الکتامي :

وإذا كانت رواية ابن عذارى الملخصة لم تكشف عن شخصية الشيخ الکتامي ، فإن رواية القاضي النعمان في افتتاح الدعوة ، بتفصيلاتها المسببة في ذكر الأشخاص والقبائل ، لم تحدد لنا هي الأخرى اسم الشيخ ، وبالتالي ظل التعرف عليه من الصيوبة بمكان (٧٠) .

والذي يلفت نظرنا في قائمة القاضي النعمان للزعماء الذين دخلوا في الدعوة ثلاثة رجال ، هم : هرؤل بن يونس بن موسى المسالتي ، والحسن بن هرؤن الفشمي من غشمان تازروت - وأبو يوسف مكنون بن ضيارة الأجنبي (عم أبي زكي تمام بن معارك) (٧١) . فهروؤ بن يونس المسالتي كان يحمل لقب « شيخ المشايخ » (٧٢) ، والحسن بن هرؤن الفشمي هو الذي دعا أبا عبدالله إلى المسير إلى بلدته « تازروت » عندما تآزمت الأمور في منزله الأول ، في جبل زلدوى . فعظم شأنه (٧٣) . كما يأتي . وبذلك يمكن الظن أن أيا من الرجلين يمكن أن يكون هو الشيخ الذي ناصر أبا عبد الله ، بصرف النظر عما تقوله الرواية من أنهما كانا من الواقفين على أبي عبد الله مما يفهم منه أنهما لم يكونا ضمن جماعة الحاج الکتامي . وإذا كان الحسن بن هرؤن قد عظم شأنه في مقر أبي عبد الله الثاني « تازروت » فإنه مما يرجح أن يكون هو الشيخ المقصود ، ما تذكره الرواية من أن أخاه الأكبر محمود « وجد في نفسه من عظم شأنه » ، وأنه كاد يشترك في مؤامرة للقبائل على الداعي ، وأن الرئاسة خلصت للحسن بعد مقتل أخيه محمود في الحرب إلى جانب أبي عبد الله (٧٤) . وهي الرواية

(٦٨) ابن عذارى ، ج ١٠ ، ص ١٣٧ .

(٦٩) ابن عذارى ، ج ١٠ ، ص ١٣٨ .

(٧٠) انظر افتتاح الدعوة ، ص ٧٤ - ٧٦ .

(٧١) افتتاح الدعوة ٧٣ - ٧٤ .

(٧٢) نفس المصدر ، ص ٧٤ .

(٧٣) نفس المصدر ، ص ١٠١ .

(٧٤) نفس المصدر ، ص ١٠٢ - ١٠٦ . والحقبة أن افتتاح النظره يذكر انه عندما

احتدمت الحرب بين بني غشمان لبيبة والحسن وبين لبيبة بقيادة زعيمها الهنسل مبدى

التي تكاد تشبه ما يقوله ابن عذاري من أن الشيخ الكتامي لم يتردد في قتل أخيه عندما وقف ضد الداهي (٧٥) *

يبقى بعد ذلك من الزعماء الثلاثة : أبو يوسف ماكنون بن غسبارة الأجنبي ، والذي يجعلنا نفكر في أنه ربما كان الشيخ المطلوب ثلاثة أشياء : أولها ، أنه عم أبي زاكمي تمام بن معارك الذي تقرب قريبا شديدا من أبي عبد الله لخفته ونباهته وحرصه على الخدمة (٧٦) ، والذي صار نائبا للداعي في رقادة عندما سار لاستنفاذ الامام في سجلماسة (٧٧) - أما الشيء الثاني فهو أن ماكنون صار رئيس جماعة المؤمنين في تازروت بعد أن صارت دار الهجرة (٧٨) - أما ثالثها الذي تريد أن نرجع به أن يكون ماكنون هو الشيخ المتصود فهو لقبه « الإحاني » نسبة إلى قبائل أجاة التي ينتسب إليها . فنحن نريد أن نقترح أن تكون كلمة « الأجنبي » هي نفس كلمة الأيكجاني مكونة مشكلى مخور ، وهو الأمر المقبول . وإذا صح ذلك فإن جبال ايكجان (أو اجان) تكون نسبة إلى سكانها قبائل أجاة ، ويكون احتمال أن يكون أبو يوسف ماكنون الإحاني عم أبي زاكمي هو « الشيخ الكتامي » أرجح الاحتمالات . وإذا كان « ايكجان » هو اسم القبائل ، فإن ذلك يمكن أن يكون تفسيراً لما تقدمه الروايات من أن الداعي نزل في جبل « زلدوي » أو في « فج الأخياري » أو بشكل عام في ايكجان (اجان) ، وبذلك يمكن فهم ما يقوله القاضي النعمان من أن دار هجرة أبي عبد الله كانت « تازروت » التي انتقل إليها من ايكجان (٧٩) كما يلي .

• ابن أبي كرامة ، بعد انتقال أبي عبد الله إلى تازروت ، قرر أخوه أبو عيينة قتله قبيلة ، مما هو إلى التفكير ، في أن يكون أبو مدين اللبسي هو شيخنا المتصود ، لولا أنه لا يذكر بين اثنين - وأنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٢ (حيث تلخيص رواية النعمان ، وفيها أن عبد الله اللبسي ولد الحسن بن هرور على حروبه ، ويظهر (الداهي) بعد أن كان مختليا . ظهر إلى جانب محمود أخي الحسن صديقه مهدي بن أبي كرامة الذي كان معاوذا للداهي حتى قتله أخوه أبو مدين وتزعم قبيلة لهيمة) .

• (٧٥) أنظر فيما بعد ، ص ٥٥٥ وما بعد ٨٧ .

• (٧٦) انتاج الدعوة ، ص ٧٤ .

• (٧٧) أنظر فيما بعد ، ص ٥٩٤ .

• (٧٨) انتاج الدعوة ، ص ١١٧ .

• (٧٩) انتاج الدعوة ، ص ١١٧ .

بتليم الدعوة في كتامة :

دعوة سرية . وان كان هدفها الأمر بالمعروف :

والمهم ان الشيخ الکتامي كان له اثره في دخول أتباعه فيما كان يدعو اليه ابو عبد الله كما كان للداعي اثره هو الآخر في زيادة هيبة الشيخ الذي رواه . بعصل حسن تنظيم « الأولياء » الذين كانوا يرددون عددا مع مرور الوقت . وفي ذلك يقول القاضي النعمان ان الدعوة كانت سرية . فكان الرجل منهم اذا سئل عن الأمر الذي دخل فيه قال : « ابلغ توقن » . وكانت كلمة عليهم ايها ابو عبد الله . *

الإخوان والمشاركة :

أما عن سبب نجاح الدعوة ، فيقول : ان أبا عبد الله جعلهم يقلون على الصلاة والصيام وأعمال الخير وأفعال البر وتجنب المعاصي ، فأقبلوا اليه من كل جهة . وتسمى الداعي أتباعه بـ « الإخوان » ، فكان الواحد منهم ينادي الآخر « يا اخانا » . أما عن أسم « المشرق » الذي عرف به الداعي ، واسم « المشاركة » الذي عرف به « اخوانه » ، فان الذين أطلقوه « كما نرى ، هم خصوم الدعوة من كتامة (٨٠) . ويصف النعمان هؤلاء الخصوم بأنهم : من لم يطاوعه نفسه على ترك المعاصي فنسبوا الي « الأولياء » الكفر والخروج عن الملة ، وقالوا : « لو كان هذا الأمر فيه خير ما ستر ، وما هو الا خلاف دين الاسلام » (٨١) . *

الخلاف بين قبائل كتامة :

وهكذا كان النجاح الذي تحققه الدعوة السرية للمهدي ، والتزام الداخلين فيها بالطاعة الصارمة لأبي عبد الله والشيخ الکتامي ، سببا في الفارة خلافات خطيرة في قبائل المنطقة ، من : كتامة وغيرها (٨٢) . *

(٨٠) افتتاح الدعوة ص ٧٦ . ٩٢ . ص ٩٨ . حيث قال بعض خصوم أبي عبد الله عندما عزم عليه ساطرته هذا رجل من أهل المشرق وهم كما علمت قبيلتي . وعلماؤنا مؤيدون وقوم ليست لهم تلك الأذمان . وان ماخروه ظهر عليهم . *

(٨١) افتتاح الدعوة ، ص ٧٧ . *

(٨٢) انظر من الأثر الكامل سنة ٢٩٦٠ ج ٨ كل ٦٢ - ٩٤ : حيث يحفل حقايق خصوم الكاظميين من ان أبا عبد الله مسح من الجبال والكهيدات والفرعجيات . ما أدخل تحتهم ، ذلناه البربر . . . وان الأمر انتهى بتعرق كلمة البربر وكتامة بسببه ، كما كان يذكر لهم عن إمامنا

تحريض ولاية الإغالية :

ويضيف القاضي النعمان إلى أسباب الخلاف في كتامة قاهر إبراهيم ابن أحمد الأغلبى ، الذى حاول ، بعد أن فشل فى ضربهم بقواته ، أن يضربهم بغيرهم من كتامة فلم يتجح (٨٢) ، مما جراً إلداعى على إبراهيم ، فقال لرسوله : ما أنا ممن يروع بالوعد والوعيدانى فى أنصار الدين وحماة المؤمنين . . (٨٤) .

وتقدم رسالة افتتاح الدعوة معلومات تفصيلية مدهلة عن الخلافات التى قامت بين القبائل بسبب دعوة أبى عبد الله ، وهى المعلومات التى نجد أصداءها فى كتب المتأخرين بعد أن مسخ النسخ الكثير منها . فمن أهم الخلافات التى قامت بين قبائل إيكجان : تلك الانتفاضة التى قام بها عدد كبير منها ضد أبى عبد الله ، وذلك بتحريض من أمراء : ميلة (ورئيسها موسى بن هياش) ، وسطيف (ورئيسها على بن عسلوجة) ، وبلزمة (ورئيسها حى بن تميم) . كلقد شاركت فيها قبائل : كتامة (بقيادة فتح بن يحيى المسائلى) ، ولهبصة (بقيادة مهدى بن أبى كتارة) ، وإحانة (بقيادة فرج بن جيران) ، ولمايعة (بقيادة أبى تميم فحل بن نوح) ، ومتوسة (بقيادة زيادة المتوسى) ، ولقد كتب زعماء القبائل هؤلاء إلى الزعيم الكتامى بيان بن حنقان يقولون أنه من أجل هذا الرجل (أبى عبد الله) : عادى الأخ أخاه والابن أباه والقريب قريبه . ولكن بيان - الذى لم يكن قد دخل فى الدعوة - حرض تسليم الضيف الذى حماه أصحابه من بنى سكتان بالسلاح ، رغم ما تقوله الرواية من أن الداعى كان قد استخفى عندما استشعر الخطر المحدق بشخصه (٨٥) .

ولا بأس أن يكون استخفاء أبى عبد الله هذا فى « تازروت » ، إذ يقول

= للمهدى من أسماء الموتى ، ورد فى الفسح من مرجعها ، كما سبق . وقارن ابن عسارى (ج ١ ص ١٢٧) ، حيث يشير إلى موافقة الشيخ على الفداء صلاة التراويح لى رمضان ، ما كان له رد فعل عنيف بين أهل الترمذ .

(٨٢) انظر افتتاح الدعوة ص ٧٨ .

(٨٤) افتتاح الدعوة ص ٨٠ - ٨١ .

(٨٥) افتتاح الدعوة ، ص ٩٤ - ٩٨ . وانظر ابن الأثير : كشف القناع ص ٨٠ ، ص ١٢٠ .
 يث يشير إلى أنه عندما اختلفت القبائل أراد بعضهم قتل يزيد بن يحيى بن عسلوجة : وقارن كشف القناع ص ٢٢ ، ص ٢٤ ، حيث (الانقاراة الهائلة) أبا محمد بن عبد الله الداعى كالم لا جفا على بنى سكتان ولقد فشل فى حمايته ، يرجع إلى قبيلة التى يملكها فى مظهره بلزمتا هؤلاء الكثيرين عليه وروىهم خائبة

القاضي النعمان ان ابا عبد الله ترك فج الاخييار أو ايكجان في جبل زلدوى ،
بعثة انتفاضة القبائل تلك ، وسار الى تازروت حيث دعاه شيخ الموضع ، الحسن
ابن هرون العشمى الذى صارت اليه الرئاسة هناك (٨٦) ، ولا بأس في ان
يكون تازروت قد حلت محل فج الاخييار أو ايكجان ، كما يقول القاضي النعمان ،
بعد مؤامرة ثابية تزعمها قبيلة لهيصة بقيادة مهدي بن كناوة الذى تماهى
في عداوته لأبى عبد الله حتى أن أخاه ابا مدين دبر قتله غيلة وشارك في
ذلك (٨٧) ، ثم حرب ثالثة مع مزاةة بقيادة يوسف العاشى وتحريض
لامير ابراهيم بن أحمد ، انتهت بتحالف القبائل بقيادة مزاةة (٨٨) ، عندئذ
قرر أبو عبد الله العودة ب « أوليائه » الى تازروت حيث نجح في الانتصار
سلبا على خصومه في حرب رابعة وأخيرة (٨٩) . هكذا نطلب الأمر (٧) سبع
سنوات من العمل الجاد والكفاح الصعب . انتهت عند موت الشيخ سنة ٢٨٧هـ
٩٠٠ م بخضوع سكان المنطقة بالرغيب حينما وبالترهيب أحيانا (٩٠) .

مدين تازروت واتخاذها (دار هجرة) :

بحق الهدف اذن ، ودامت كنامة بمختلف قبائلها بالطاعة لأبى عبد الله
الشيعى . كما دخلت في دعوته قبائل كثيرة من أهل منطقة بحاية ، فقرر
بن ينشئ « دار هجرة » للمهدى - نشبها بما فعله النبي بالمدينة - وقرر أن
يكون معسكره بتازروت « دار هجرة » ، حسبما يقرر القاضي النعمان في
روايته بتفصيلاتها المسهبة (٩١) .

وإذا كان ابن الأثير يجعل دار الهجرة في ايكجان (٩٢) ، فالحقيقة أن
رواية افتتاح الدعوة لا تخالف ذلك اذ تقرر أن ايكجان كانت معسكرا لأبى

(٨٦) انظر فيما سبق . ص ٥٥١ .

(٨٧) انظر فيما سبق . ص ٥٥٤ .

(٨٨) افتتاح الدعوة ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٨٩) افتتاح الدعوة ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٩٠) انظر ابن عسارى ، ج ١ - ص ١٢٨ . وقارن افتتاح الدعوة ، ص ١١٧ .

(٩١) انظر افتتاح الدعوة ص ١١٧ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ (الذى ينقل من

العاسى النعمان في افتتاح الدعوة ، ولكن كلمة تازروت تحولت الى « تازرون » ، كما يشهد ال

رئاسة الحسن بن هرون) .

(٩٢) المكتوبة في الشكل « الكحلاء » (سنة ٢٩٦ . ج ٨ ص ١٢ : ١٧ - ولان الحسن حطاد

(اخبار ملوك بن عبيد ، ص ٧) الذى يحملها في شكل الكحان ، ص ٢ حيث جعلها المحقق

الى « يكجان » .

عبدالله يحتفظ فيه بالذخائر والأموال منذ قدومه الى بلد كتامة ، بل ان ايكجان
ستعود مرة ثانية قاعدة لابي عبد الله عندما يتضح له أن تازروت أقل حصانة
منيا(١٢) . وبذلك ستكون ايكجان حاضرة الدعوة . ليس الى دخول ابي عبدالله
رقادة ، بل وحتى وصول المهدي الى عاصمة الأغالمة(١٤) .

ولما كان ابو عبد الله قد استقر في تازروت قبل ذلك بوقت غير قصير حيث
استقبله أهلها من بني غشمان ، كما استقبلوا من كان معه من بني سكتان
من أهل ايكجان بالترحاب ، فقامت بهم أموالهم وأحلوه محلهم (١٥) ، تمام
كما فعل المهاجرون بالانصار ، فان المقصود باتخاذها « دار هجرة » هو
الاستقرار المدني فيها بانشاء المباني ، بمعنى اتخاذها حاضرة أو عاصمة لابي
عبد الله . وتحقق له ذلك بعد الحرب الرابعة ضد تحالف القبائل بزعامة
مزانة مع أهل مدينتي ميلّة وسطيف وعساكرهما . فلقد تمكن أبو عبد الله ،
الذي صار يباشر الحرب بنفسه منذ الحرب الثانية ، ومع ٧٠٠ (سبعمائة)
قارس و ٢٠٠٠ (ألفا) راحل من ملاقاته أعدائه على التوالي خلال أربعة أيام ،
بداها بالمصاة من كتامة ، وثنى فيها بعسكر سطيف الأغلبى ، وختمها
بتشتيت مزانة والاستيلاء على مخيمهم (ليطونهم) وحسب أموالهم (١٦) .

مغانم الحرب هي مادة تحضير دار الهجرة في تازروت :

والمهم أن ابا عبد الله ورجاله خرجوا من تلك الحرب بمغانم هائلة . وفي
ذلك يقول القاضي النعمان : انهم « غنموا من الخيل ما لا يحصى عدده » ،
وانهم « أصابوا من أموال أهل الملائن ، من السروج واللحم المحلاة والخيل ،
والغنائم ، والخلع والأموال ، والسلاح والبتود والطبول ، ما لا يحصى عدده
كثرة » (١٧) . وكان ذلك الغنى هو سبيل الجماعة الى الاستقرار في تازروت

(١٢) افتتاح الدعوة ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(١٤) افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٦ .

(١٥) افتتاح الدعوة ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(١٦) أظن افتتاح الهجرة ، ص ١١٢ - ١١٦ : حيث يذكر أنه كان من أبطال تلك الحرب
عمر بن عبد الله بن هارون الذي أبل بلاه حسنا ، وجرح جرما قطع منه صوته .. (وقارن
ابن عبد الله بن هارون ، ص ٢٢) .

(١٧) افتتاح الدعوة ، ص ١١٦ - ١١٧ : حيث يضيف الى ذلك بأن ما يُغلب من مزانة
يعني المشقة كان من الكثرة بحيث : « يبيع الجبال ويظهره بين يديها ، وبيع الجبل
يغيب بصلوات . أما الفتم والأتمة لما أطاقتا حملها . ولا كيف يسوقون العالمهم . والله
صار الى « الأولياء » من الفتم والأموال ما لا يحصى عدده » .

وتحضيرها .

فبعد العودة الى تازروت بدأ أبو عبد الله في بناء قصر اتخذ مسك لنفسه ، وأقطع الأرض حوله وأعطاهم لقواده ليبيوا دورا لهم . ولقد ازداد حمران المدينة بمن ارتحل اليها من أهل الدعوة الذين وفدوا من كل ناحية . حسوا الدور واتخذوا تازروت موطننا (٩٨) ، حيث أصبحت عاصمة الدعوة . وجب محل القاعة الأولى إيكجان التي لم تفقد أهميتها .

تنظيم أهل الدعوة :

طبقات المؤمنين :

وشكل أبو عبد الله أتباعه في هيئة جند نظامي : فالزعم العسكري ، وسماهم « المؤمنين » بعد أن كانوا إخوانا ، وآلت رئاستهم الى أبي يوسف حاكنون بن ضبارة الأيجاني (٩٩) . وكان « المؤمنون » مقسمين الى طبقات بعضها فوق بعض ، فالمعروف أن الداخلين في الدعوة كان منهم : من أراد وجه الله ، ومن أراد الدين والدنيا ، ومن أراد الفخر والشرف ، ومن أراد الكسب والفائدة ، ومن أراد الحسد والمنافسة ، وآخرها من دخل في الدعوة خوفا وعبثا (١٠٠) . ورغم اختلاف طبقات المؤمنين فقد ألزمهم أبو عبد الله جميعا بامساع مبادئ الاسلام ، وكان صارما في جعل الدين الأساس الذي بنى عليه امره ، فأتاب الملتزمين وعاقب المخالفين ، فأنزل بهم العقوبات الشديدة . وكانت عقوبة المخالف هي الاقصاء عن الجماعة والسب حتى يحصل التوبة (١٠١) .

وقسم الداعي قنائل كتامة سبعة أقسام ، وجعل لكل سبع منها عسكريا قدم عليه مقدما (١٠٢) ، كما ورع الدعاة على محلف الأقاليم فجعل لكل

(٩٨) افتتاح الدعوة ، ص ١١٧ .

(٩٩) افتتاح الدعوة ، اس الأثير . سنة ٢٩٦ هـ . وقارن ابن خلدون . ج ٤ ص ٢
(حيث كملت الرئاسة لما كسب والى حاشه أبو زكري تمام من معارك) .

(١٠٠) افتتاح الدعوة ، ص ١٢٢ .

(١٠١) لافتتاح الدعوة . ص ١٢٤ .

٢١ افتتاح الدعوة ، ص ١٢٧ . لا بأس أن يكون ذلك التقسيم السياسي حلقا مع التفالذ الاسماعلية التي تحمل للرقم سمة نفس مقدسا . إذ كان الإمام اسطعيل هو السابع مما حمل العصر يطلق عليهم اسم السبعة . كما أن أهل الحسرة منهم يتقسمون الى سبع طبقات وغير ذلك من افكارهم التي يدخل فيها الرقم سمة . انظر - عاصية الاسلام - بالفرنسية ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

موضع داعيا . وكان اختياره لمقدمى العساكر التى نظمت فى سبعة جيوش ودعاة الموضع الذين أطلق عليهم اسم « المشايخ » مبنيا على الاخلاص فى خدمة الدعوة ، دون نظر الى مسألة السن التى كان لها اعتبارها فى القبلتلى . فقد كان بين المشايخ من لم يبلغ السن من الشباب (١.٣) .

تنظيم الجيوش وشعاراتها :

وجعل أبو عبد الله لكل جيش من جيوشه السبعة ديوانا أى بيت مال للحرب تأتية الأموال التى ينفق منها على الجيوش عن طريق المغانيم والزكاة ، وبذلك حمل الأموال بين أيدي المشايخ ، وظل الحال على هذا اسوال الى أن قدم المهدي فدفعوها اليه (١.٤) . وهكذا أصبح لأبي عبد الله جيوش نظامية يدير أمرها كرئيس دولة ، ووسيرها الى الحرب كقائد أعلى . بعد أن يكتفي بضرب موعد اللقاء مع شيوخ القبائل ، ويحذرهم من التخلف . وفى ذلك تقول النصوص أنه كان يأمر مناديه فيصرخ فيهم : « حرام على من تخلف » (١.٥) . وأصبح الداعي عندما يقود جيوشه للحرب ، ينادى مناديه فى الرجال : « يا خيل الله اركبوا » ، كما اتخذ لقواته شعارات تتناسب مع دعوته الدينية ، فكتب على الخيل « الملك لله » ، وكتب فى بنوده : « سيهزم الجميع ويولون الأدبار » ، وآيات كثيرة من القرآن . ونقش فى خاتمه الذى يتختم به : فتوكل على الله انك على الحق المبين » ، ونى خاتمه الذى يختم به على السجلات : « وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » (١.٦) وهى تقريبا نفس الشعارات التى سيحافظ عليها عندما يدخل عاصمة الأغالبة (١.٧) .

أخضاع القبائل :

بفضل هذه الترتيب العسكرية والحماة الدينية أخضع أبو عبد الله

(١.٣) افتتاح الدعوة ص ١٢٧ - ونى اختيار أبي عبد الله لثلاثة حولاء يقول القاضى سان : انه كان يتحننهم بالحنن الكثرة ، كالاستاذ الصبيحة حرا ، وبمهم الأموال الكثيرة ، فى ثياب القراء والحجيج (ص ١٢٨) - هذا . كما يمسى النسان عددا من المخلصين حرة ، ورجالا ونساء ممن بذلوا حياتهم وبنوا أموالهم لخدمة الدعوة وأولياها . فى الحرب والسلام (ص ١٢٨ - ١٢٣) .

(٢.٤) انظر افتتاح الدعوة . ص ١٢٨ .

(١.٥) انظر فيما سبق . ص ١٦٨ وهـ ٥٢٩ .

(١.٦) انظر فيما سبق . ص ١٦٨ وهـ ٥٢٩ .

(١.٧) انظر فيما سبق . ص ١٦٨ وهـ ٥٢٩ .

الباقيات الباقية من القبائل ، فشن الغارات على من عند - نقل يوم الا ولهم فب
وقعة بموضع - حتى سلم أكثر الناس اليهم - ودخلوا في الدعوة ورس
ورغبة (١.٨) . وتطلبت هذه العمليات الحربية مدة سنتين (الى سنة ٢٨٩ هـ
٩٠٢ م) ظهر في نهايتها دعاة أبي عبد الله في كل ناحية ، وغلب أمره على
كل كتامة ، ولم يبق أمامه غير مدائن المتطقة ، ومن فيها من أمسرا
الأغالبة (١.٩) .

الصراع مع الأغالبة :

وهكذا ، بعد أن أصبح أبو عبد الله السيد المطلق على منطقة القبائل
الصغرى الحالية ، خرج من دار الهجرة بايكجان على رأس المؤمنين الجدد ،
ليطأ إفريقية ، كما يقول ابن حماد ، ويملكها عنوة (١١) ، حسباً رأينا في
السنوات الأخيرة من حكم الأغالبة ، وخاصة منذ اعتزال إبراهيم بن أحمد الملك
سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م .

بخذ ديلة لأول مرة :

حتى نفس تلك السنة وبعد اعتزال إبراهيم مباشرة نجح أبو عبد الله في
الاستيلاء على مدينة ديلة التي كانت ملجأ لخصومه من الزعماء الكتامين ، مثل :
محل بن نوح ، وفرح بن حيران ، ويوسف بن محمد - وتم للداعي الانتصار
على والي المدينة موسى بن عياش وحلفائه هؤلاء ، بفضل مخامرة جماعة عرب

(١٠٨) فلقد تمكن سبع (جيش) اجابة بقيادة ماكنون بن شارة من اخضاع جميع
قبائل : عثمان تازروت ، وملوسة ، وكبيسة ، ولطاية ، وسائلة ، ومجيسة ، وذوارة . أما
زعماء القبائل الذين ألفوا بين الحضور فقد غادروا المنطقة ، مثل : فرح بن حيران الذي سار
مع عدد من رؤساء اجابة الى ديلة . وكذلك فعل بن نوح في جماعة لطاية ، وغادر أيضا جماعة
بنى عذينة لانهم كانوا يذهبون الى مذهب الإباضية . كما غادر من مسالة الائمة الذين كرموا
أمر أبي عبد الله . أما فتح بن يحيى الزعيم المسالتي - الذي كان تزعمهم - فقد صار الى
ناحية سطيف ثم عاد وطلب الأمان ، ولكنه بسبب الثالثة مع مروان بن يونس ، عاد وانضم
بعض فلاح عبيسة حيث حاصره أبو عبد الله ثم انه لحق بإفريقية ، فقدم على أمير العباس
أبن إبراهيم بن أسد بن يوسف ، وهرن هناك من شأن الداعي . انظر افتتاح الدعوة ، ص ١١٧
- ٢٣ ارمه وقاين ابن شلدرند ، ج ٤ ص ٣٤ - ٣٤ (حيث سجل لجوء فتح بن يحيى الى الأمير
إبراهيم بن أسد ، ولكن قبل ذلك بينما ينص على أن إبراهيم بن موسى بن عياش ، ابن صاحب
مسالة الذي قتله الداعي ، هو الذي لحق بأبن العباس فترس منه خروج أبيه الى حقلية) .

(١٠٩) افتتاح الدعوة - ص ١٤٦ - ١٢٢ .

(١١) أخبار ملوك مر عبدة ، ص ٨ .

للسنابرة (نسبة كل سنابرة) للربيعين الذين كانوا من وجوه أهل ميعة -
ورئيسهم حسن بن أحمد الذي كان قد راسل إبا عبد الله وسار إليه في
تازروت - وبعد أن اطمان لمبو عبد الله على أحوال المدينة - التي كان قد
زارها في أول مرة وهو يعاني من الحصاة ، فاستشفى بحمامها الذي كان لمولى
موسى بن عياش غادرها بعد أن عهد بولايتها الى أبي يوسف مكمول - من
ضباطه الاحامى (١١١) .

استعادة ميعة وتخريب تازروت :

وكان رد أبي العباس بن ابراهيم على مغامرة أبي عبد الله في ميعة
عيبا ، إذ سير أبه محمد الشيرازي بالأحوال وبأبي حوال - رغم سوء الاحوال
الجوية - على رأس جيش مكون من ١٢ (اثني عشر) ألف رجل ما بين فارس
وراحل - وكان حروح محمد الأحوال من مدينة تونس وبصحبته الزعيم المسالتي
فصح بن يحيى ، خصم أبي عبد الله الداعي ، وأبو ابراهيم بن موسى بن عياش -
الذي كان قد خرج من ميعة أثناء الحصار طلبا للمعونة ، في ذي القعدة من سنة
٢٨٩ هـ / أكتوبر ٩٠٢ م . وسار الجيش الأعلى في هيئة الحرب مخترقا بلاد
الزاب ، مارا بسطيف ، وبلزمة وباغاية ، حيث تضخمت قواته - وأخيرا تم
اللقاء بأبي عبد الله وأصحابه في بلد ملوسة ، وانتهى القتال الشديد بإنهزام
أبي عبد الله وأصحابه . وتبعهم الأحوال وهزمهم مرة ثانية ، فلم ينجبهم منه
الا الثلج العظيم الذي جاء فحال بين الفريقين - وعاد الداعي الى قاعدته في
تازروت ، ولكنه لم يستقر فيها طويلا إذ لما عرف أن القوات الأعلىية تتبع أثره
غادرها لعدم حصانها ، وعاد الى قاعدته الأولى في ايكحان (١١٢) .

• وعندما تحسنت الأحوال الجوية سار الأحوال فعلا الى تازروت فوجدها
خاوية فأحرقها وأحرق القصر الذي كان قد بناه أبو عبد الله ثم انه عرج على
ميعة ، التي وجدها خالية هي الأخرى بعد أن جلا عنها أصحاب الداعي (١١٣) -
والظاهر أن الأحوال اكتفى بذلك الساح الذي حققه فعاد الى تونس رغم ما يقوله

(١١١) انظر افتتاح المعركة من ١٢٤ - ١٢٦ . حيث تفصيلات القتال الذي انتهى
بقتل موسى بن عياش وكذلك رساء كتابة المذكورين . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٣ -
(١١٢) افتتاح المعركة ، زهر ١٢٢ - ١٢٨ . وقانون ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ - وعن
أبي حوال انظر ج ١ ص ١٥٤ واليهي ٥٨ هـ .
(١١٣) افتتاح المعركة ١٢٨ - ١٢٦ ، وقانون ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ (الذي سجل ذلك
على عهد ابراهيم بن أحمد) ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٣ -

القاضي النعمان من أنه كان ينوي متابعة أبي عبد الله في أيكجان ، لولا تورط بعض رجاله ، وهو إبراهيم بن موسى بن عياش ، في قتال غير موفق مع قبيلة نطاية قرب ميعة مما اضطره إلى الرحيل (١١٤) .

إيكجان تستعيد مركزها كدار هجرة :

بعد الهزيمة أمام الأبول التي وانتهت بانتهاك الجند الأغلبي لحرمة تازوت وإحراقها رأى أبو عبد الله أن يستقر من جديد في إيكجان . يجبل زنديق الحيصي ، وكان الحاح يئس سكتان في أن يبنى بين إلهرم مما جعله يتخذ هذا القرار . وكان من الطبيعي أن يقوم أبو عبد الله ببناء قصر لمسكنه ، كما ابتنى كيار أصحابه بالقرب منه ، وأتى أتباعه في أعداد وفيرة لكي يقيموا حوله في القرية الجبلية التي صارت « دار هجرة » أي حاضرة لأهل الدعوة (١١٥) .

عود إلى أعداد « المؤمنين » معنويا ، وعناية بجهز الأخبار :

والظاهر أن الهزيمة المؤلمة أمام جند الأبول التي لم يحل دون تحولها إلى كارثة كاملة إلا سوء الأحوال الجوية جعلت أبا عبد الله يتروى بعض الشيء قبل أن يعاود مناجزة الجند الأغلبي من جديد . فلقد عاود الداعي سيرته الأولى في أيكجان ، فعقد مجالس العلم لأصحابه « المؤمنين » ، فكان يحدثهم يرشخ لهم أصول الدعوة ، كما أمر الدعاة بأن يفعلوا مثل ذلك في مواضعهم ، فحسنت ثبات المؤمنين وزادت بصائرهم وصلحت أحوالهم (١١٦) . وهذا يعني أن الداخلين الجدد في الدعوة من « المؤمنين » كانوا من الكثرة بحيث أنهم لم يكونوا قد دربوا ونظموا في طبقات أهل الدعوة ، مثل « الإخوان الأوائل » ، مما تطلب هذه « الدورات التدريبية » الجديدة - أو إن الأمر تطلب نوعا مما يسمى بـ « التوجيه المعنوي » أو « الثورة الثقلانية » في أيامه .

وإلى جانب ذلك اعتنى أبو عبد الله بتنظيم جهاز الأخبار لديه ، فأرس رجاله إلى أفريقيا يأتونه بما يجري في عاصمة الأغالبة ، وفي ذلك قيل أنه « كان لا يمر يوم إلا وعنده خبر » ، ولم تنته حالة الانتظار والترقب هذا .

(١١٤) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٢٦ ، وابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٤ (حيث : مسيلة .

بدلا من ميعة) .
١١٥) افتتاح الدعوة ، ص ١٤٦ ، يوقان ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، وابن خلدون ،

ج ٤ ، ص ٢٤ .

١١٦) افتتاح الدعوة ، ص ١٢٠ .

ولا عندما في الخبر بوفاة ابراهيم بن احمد في صقلية (ذو القعدة سنة ٢٨٩هـ /
أكتوبر ٩٠٢ م) (١١٧) .

الانتصار على محمد الاحول (أبو حوال) :

وظاهر ان حلود أبي عبد الله إلى السكينة جراً أبا العباس علي المقيم
بمحاولة ثانية قد تخلصه من الثورة الكتامية ، فبعد من جديد بقيادة الحملة
إلى ابنه محمد الاحول الذي كان قد قوى جنانه بعد انتصاراته الأولى - وسار
الجيش الكبير الذي انضم إليه خصوم الداعي من كتامة إلى بلاد الراب متخذاً
نفس طريق الحملة الأولى ، تمر بسطيف وانتهى به المسار إلى بلد هبوسة
حيث خندق على معسكره . وعندما علم أبو عبد الله بمقدم الأمير الأغلب
حشد رجاله وزحف إليه من ايكجان نحو بلد لهيصة ونزل على موضع يعرف
بـ « سدوسة » . وبدأ القتال عندما بعث أبو عبد الله خيله لمهاجمة الجند
الأغلب في معسكره - وتحقق ما كان يهدف إليه أبو عبد الله إذ تمكن رجاله
من هزيمة جند الأغلب في الميدان المفتوح بعد أن خرجوا من خندقهم ، فارتلوا
إليه .

والظاهر أن الاحول خشي أن تحيط به القبائل وهو في خندقه ، فقرر
الانسحاب في نفس الليلة على ضوء المشاعل إلى سطيف . وفي الصباح كان
رجال أبي عبد الله يضربون في ساقته ، ويفنمون ما كان قد بقي من رجاله
في معسكرهم . وهكذا انتهى اللقاء الثاني بانهزام الاحول ، وعودة أبي عبد الله
عظفراً إلى ايكجان (١١٨) وأتى اغتيال أبي العباس (آخر شعبان سنة ٢٩٠هـ /
٢٨ يولييه ٩٠٣ م) وولاية زيادة الله اللاهي . الذي قتل أخاه الاحول في شعبان
الثالث ، لكي تقوى من جان أبي عبد الله وتطمعه فعلا في هدم الدولة
الأغلبية (١١٩) .

الاستيلاء على هيلة وسطيف :

هكذا تمكن أبو عبد الله في سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م من الاستيلاء على

(١١٧) انتاح الدرعة ، ص ١٤٠ - ١٤١ . وعن تاريخ ولادة ابراهيم « السبت ١٣ من
ذو القعدة ١٩ أكتوبر » (ص ٩٢) .

١ - (١١٨) انظر انتاح الدرعة ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ : الذي
يجعلها اللقاء الثالث للأحوال مع الداعي ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٤ .

(١١٩) انظر انتاح الدرعة ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، وقارن ابن الأثير سنة ٢٩٦
ومن خطوة مقتل أبي حوال الذي اعتبره التويري أعظم فتح هذه الشيمى ، انظر فيما سبق
ص ١٦٢ .

ميلة بسهولة: حيث لا نجد في افتتاح الدعوة التي يلخصها ابن الأثير تفصيلات عن ذلك، كما حدث في الاستيلاء عليها لأول مرة (١٢٠) - وبعد أن اطمأن أبو عبد الله إلى استقرار الأمور في منطقة ميلة، كان من الطبيعي أن يوجه أنظاره إلى سطيف التي كان واليها الأغلبي، وهو على جن حفص المسروق. بلبن عسلوجة الذي شارك الأحوال في حملته، والذي عرف في الناحية بالبطولة والنجدة، يهدده دائما. وما زاد في اشتاق أبي عبد الله من صاحب سطيف: أنه كان على علاقات طيبة بخصوم الداعي من زعماء كتامة الذين كانوا يقدمون له المعونة والجند في قتاله لأهل إيكجان.

بناء على ذلك لم يكن من الغريب أن تطاول مدينة سطيف حشود أبي عبد الله لمدة ٤٠ (أربعين) يوما حتى اضطر الداعي إلى العودة إلى إيكجان. حيث أقام شهرا يدعو الأولياء إلى الانضمام إلى قواته. ورغم ذلك فتمتعا عاد إلى سطيف في عسكر لا يحصى. قاتله على بن عسلوجة خارج المدينة قتال الأبطال، وكان من الطبيعي أن ينتهي الأمر بالتجائه إلى حصن المدينة حيث مات هو وأخوه حبيب، متأثرا بجراحه - كما تظن - فانهل أمر سطيف، كما يقول القاضي النعمان. ورغم ذلك فلم تدعن المدينة إلا بالأمان الذي فاض عليه الزعيم داود بن حباصة النهيبي، لأهل المدينة ولتفسه. ربر أبو عبد الله بأمانه فلم يقتل إلا من يستحق القتل، كما أمر بهدم سور المدينة، قبل عودته إلى إيكجان، بعد أن عهد بولايتها إلى بعض رجاله (١٢١).

الدفاع عن منطقة القبائل والانتصار على ابن حبشي قرب قسنطينة:

لا شك أنه كان لسقوط سطيف وقع أليم في عاصمة الأغلبية، وخاصة بين أولئك للملاجهين فيها من زعماء كتامة الذين حرصوا زيادة الله على معالجة الأمر قبل أن يفوت الأوان. وقام زيادة الله في سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م بعقد جيش عظيم يعتبر أكبر جيش سيره الأغلبية حتى ذلك الوقت، ضد الداعي؛ إذ بلغت عدته ٤٠ (أربعين) ألف رجل ما بين فارس ورجل، مسلحين أحسن تسليح ومزودين بالأموال والمتاب، وعهد بالقيادة إلى قريبه إبراهيم بن حبشي.

(١٢٠) لُقِّبَ فيما سبق، ص ٥٥٩.
(١٢١) انظر افتتاح الدعوة - ص ١٥٤ - ١٥٦. وابن خلدون، ج ٤ ص ٢٥ (حيث اسم على بن عسلوجة: على بن جابر بن مسكوة، كما يوجد ذكر أيضا للزعيم النهيبي (من كادر لهيئة) الذي كان لاحقا إلى سطيف مع غيره من زعماء كتامة) - ولان فيما سبق ص ١٦٨.

ورأى أعمامه: يورون بشنون الحرب أن يسير الجيش هذه المرة في طريق يخالف الطريق الذي سار فيه الأحمول من قبل ، فأخذ مباشرة على طريق قسنطينة ، في طرف بلاد كتامة حيث نزل في موضع لا يبعد إلا مرحلتين فقط عن إيكجان . وعلى طول الطريق كان يستميل القبائل بالمال ، ويضرب العصاة . والظاهر أن ابن حبشى كان ينتظر أن ينزل أبو عبد الله إليه من معقله في إبليل ، وهذا ما لم يفعله الداعي . وطال انتظار ابن حبشى في قسنطينة لمدة ستة أشهر تفضحت فيها قواته برجال القبائل وبمسكر طينة ، عاصمة الزاب ، وقيادة القائد شيب بن أبي الشداد حتى وصل عسكره إلى ١٠٠ (مائة) ألف رجل ، كما تقول الرواية بشيء من المبالغة على ما نظن (١٢٢) .

ولما لم ينزل أبو عبد الله من معقله ، ولما كان من الصعب على القائد الأغلبى أن يحتفظ بهذا الجيش الكبير ، انتهى كان يتصحم مع مرور الوقت من أجل الأرزاق ، كما نظن ، قرر ابن حبشى أن يسير بقواته تلك للدخول في عرين الداعي نفسه . فتقدم فعلا إلى بلدة اجانة (إيكجان) حيث نزل في موضع يعرف عند القاضي النعمان بـ « كونة » (١٢٣) .

ورغم ما يقوله القاضي النعمان من أن ابراهيم بن حبشى كان لا يعرف الحرب ، إذ نازل الخيالة المنتقاه التي أرسلها أبو عبد الله للعرف على موضع نزوله ، فالأرجح أن أبا عبد الله دبر تلك المفاجأة لابن حبشى الذي يهور في مسالك الجبال الوعرة ، فعاجا ساقته حب آممات الجيش وعاده على الدواب والجمال ، فتشتت أمام فرسان الجبل المدربين . وقبل أن يفيق الجند الأغلبى من صدمة المفاجأة ، زحف اليهم أبو عبد الله بقواته الرئيسية فتمت الهزيمة على الجيش الجرار ، ولم ينجح ابن حبشى الذي جرح إلا بشق الأنفس . وهكذا تشتت الجند الأغلبى في اتجاه بأغاية من بلاد الزاب وسقطت أمتعة الجيش الكبير وأمواله وعتاده بين أيدي أصحاب أبي عبد الله (١٢٤) .

٠ (١٢٢) انظر افتتاح الدهرة ، ص ١٥٧ - ١٥٨ . وقارن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ ص ١٥ ، في فصل ذكر استيلاء آبي عبد الله على الفريجة . حيث يقول انه انضم إلى حبشى مثل جيشه ، وابن حلدون ، ج ٤ ص ٢٥ .

(١٢٣) انظر افتتاح الدهرة ، ص ١٥٨ ، وقارن ابن عسار ، ج ١ ص ١٢٨ : حيث القراءة في المتن كينونة وفي الهامش كونة ، كما في إحدى المخطوطات ، مما جعلنا نرجح قراءة كينونة وداد القاضي . أما قراءة ابن الأثير فهي كومة (وكومة في إحدى المخطوطات) .

(١٢٤) انظر افتتاح الدهرة ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، وانظر تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ ص ١٥ . وابن حلدون ، ج ٤ ص ٢٥ . حيث الإشارة إلى أن الواقعة كانت قرب مدينة جلزمة .

مقام هامة كان للمهدي نصيبه منها ، وهو في سجلماسة :

وانتهت الملحمة الكبرى ، التي يصعبها ابن عذاري وصفاً رائعاً ، بمقتل الكثير من الجند الاغلبين ، ووقوع الغنيمة العظيمة بين ايدي كتامة ، من : الأموال والسلاح والسروج واللجم وضروب الأمتعة ، فأغتنموا بعد فقر ولبسوا الحديد وركبوا بسروج الفضة واللجم الذهبية (١٢٥) .

وامام جسامة الكارثة التي المت بجيشه ، لم يتوقف ابراهيم بن حبشي الا ليرثما يكتب الي زيادة بما حدث ، ولم ينتظر الجواب لرجع الي افريقية ، بينما عاد شبيب بن أبي الشداد قائد عسكر طينة الي بلده (١٢٦) .

وكان من الطبيعي أن يسعد أبو عبد الله بهذا النصر الكبير فكتب الي الامام بسجلماسة يخبره به ، كما أرسل اليه بأموال وذخائر ما غنمه ، من : الدنانير الذهبية وفاضر الثياب (١٢٧) .

فتح بلاد الزاب : طينة :

شعر أبو عبد الله يقوته ، وقوى جنان أصحابه بعد انهيار العسكر الاغلبين الكبير ، وكان من الطبيعي ان يواصل المسيرة المظفرة الي آخر الشوط ، وكان من الطبيعي أن تكون طينة هي هذه التالى . فطينة الي جانب كونها عاصمة الزاب كان بها حامية اغلبية كبيرة هي التي كانت قيادتها الي شبيب بنى أبي شداد القمودى المعروف بشبيب الصغير ويعاونه خفاجة الميسى . كما كانت ملجأ لعدد من زعماء كتامة المناهضين لأبي عبد الله منذ بداية دعوته مثل : فتح بن يحيى المسالى ، ولو أنه كان يعاني من جرح جائف أصيب به في حرب ابراهيم بن حبشي الخاسرة .

نادى أبو عبد الله في القبائل ، وحشد حشوده التي زحف بها ، وجرت تحت مظلتها ، الي طينة وطوقها . وهال والى للذينة حسن بن أحمد بن نافذ المعروف بأبي المقارع كثرة قوات الداعي ، فاكتفى بالاعتصام بأسوار المدينة ، ومعه أعوانه ، من صاحب الخبز : محمد بن قزهب ، وصاحب العطاء : يحيى بن

(١٢٥) انظر البيان ، ج ١ ص ١٢٨ ، وما سبق ، ص ١٦٩ .

(١٢٦) افتتاح الدعوة ، ص ١٥٩ .

(١٢٧) افتتاح الدعوة ، ص ١٦٠ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٦ ، وقارن ابن خلدون .

ج ٤ ص ٢٥ (حيث تقول الرواية . وكتب الشيبى بالفتح الي المهدي مع رجال من كتامة أخذوا أنفسهم حتى وصلوا اليه وعرفوه بالخبر) .

القسري . وكانت قوات أبي عبد الله قد تقدمت في العسكرية فأصبحت تعرف بن الحصار ، وتستخدم الآلات اللازمة له ، فتقدم «الأولياء» بدباية من دباباتهم ، وفتيحوا برجا من أبراج السور ، وألحوا المدافعين عنه إلى الهرب . وبذلك نجحوا في الدخول إلى المدينة التي كان عامة أهلها من الجار ، عامتهم الداعي . أما الوالي أبو المقارح ومن معه من الرعاء الكتاميين والعمال الأعالية ، وانهم اعتصموا بالقلعة . ولكنهم لم يلبثوا أن استسلموا بالأمان أمام أبي زكري تمام بن معارك . وسواقة أبي عبد الله نفسه . ومع أن أبا عبد الله قتل عدوه القديم الفتح بن يحيى . فإنه عفا عن الوالي أبي القارح ، وضحاه معه إلى إيكجان حيث قربه منه ، وذلك بعد أن عهد بولاية طسنة إلى أبي عبد الله يحيى بن سليمان (١٢٨) .

فتح بلزمة :

وبعد طسنة أتى دور بلزمة التي فشل أبو عبد الله في محاصرها في ثلاث حملات متتالية في ثلاث سنوات متعاقبة ، إذ كانت المدينة ذات الأسوار الحصينة تدافع عن نفسها بما يصنعه أهلها من المعانيق والعرادات وآلات الحرب ، فكان أبو عبد الله يكتفي بإفساد زروعها . وأمام استعداد بلزمة هذا في حرب المطاولة الآلية ، أتى أبو عبد الله هذه المرة مزودا بآب الحصار القوية ، من : الدبابات والأبراج ، ولكن أهل بلزمة الخبراء في حرب الحصار نجحوا في إحراقها . ولكنه مع اشتداد الحصر جاع أهل المدينة الذين أكلوا الجلود والدرق ، واضطروا إلى الاستسلام بعد أن مات واليهم . حتى بن تميم . فيئسوا من الاستمرار في المقاومة .

وهكذا فتحت بلزمة عنوة ، فقتل من كان قد بقي من مقاتليها . وإذا كان القاطن النعمان يقول : أن عسكر الداعي لم يعرضوا لامرأة حرة . فهو ينص على أنهم غنموا ما وجدوه في المدينة من : الأثاث والأمتعة وغيرها ، مما عادوا به إلى إيكجان ، بعد أن هدموا سور المدينة بأمر الداعي (١٢٩) .

(١٢٨) انظر التتاج الدعوة ص ١٦٠ - ١٦٣ وقرن اس الأثر (الذي يلخصه) سنة ٢٩٦ م ، ج ٨ ص ١٦ (ابن خلدون ج ٤ ص ٣٥) وانظر فيما سبق ص ١٧٢ .
وم بعدها .

(١٢٩) انظر التتاج الدعوة ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ابن خلدون ج ٤ ص ٣٥

هزيمة الجند الأغلبي في دار ملول :

كان لسقوط عاصمة الزابية وبعتها بلزمة بين أيدي الأيكجانيين وضع عظيم في قلب زبادة الله الذي أعد جيشا عظيما بلغ اثني عشر ألف رجل من الفرسان والرجالة الذين أوسح عليهم في المعطاء حتى يحسبوا القتال حسنة لمرة ، وجعل قيادتهم الى هرون بن الطيبي ، وأمره بالمسير الى باغاية حيث كان واليها أخوه زيادة - الله العليبي ، ودغى باغاية وقد عليه كثير من رجال القبائل الذين أجزل لهم المعطاء مما كان يحمله من الاموال .

والظاهر أن وجهة هرون كانت بلزمة ، ولكنه عرج في الطريق اليها على بلدة تعرف بدار ملول ، كانت قد دخلت في طاعة أبي عبد الله ، فدخل عليهم بكل قواته فهدم حصنهم ، وقتل من وجده فيه . ولكن الجيش الكبير اتناه الهلع فجاء عندما واجه جريدة لأبي عبد الله كانت قد خرجت بقيادة عروبة بن يوسف لتستطلع أخبار الجند الأغلبي ، فتصايح الرجال وغروا نحو الجبل القريب للتحصن فيه . وعندما تأكد عروبة أن ليس في الأمر مكيدة ، تبهم يقتلهم ويقم عتادهم - وهكذا انهزم الجند الأغلبي نحو باغاية دون قتال ، بعد أن ترك قائده هرون في أرض المعركة . واما له وعتاده غنينة سهلة بين أيدي أصحاب أبي عبد الله . وأتت انباء الهزيمة الى زيادة الله من قبل عامل باغاية فزادته فما على قم (١٢٠) .

فتح تيجس :

والظاهر أن هزيمة دار ملول ، وما لقيه المسكر الأغلبي قبلها من الهزائم ، شجع أعوان أبي عبد الله في المنطقة على أن يجربوا حظهم في الاستيلاء على بعض مدائن الأغالبة . فقد انتهزت جماعة من هواة الفرصة وسارت الى أبي عبد الله في ايكجان وعلى رأسها حمزة الملقى الذي استأذن الدعوى في الغارة على نواحي بلدة . ونجح حمزة فعلا في الغارة على البريد الآتي من القيروان الى باغاية ، فقتل صاحبها حمل ما كان معه من الكتب الى أبي عبد الله .

وتسبب أصحاب حمزة الملقى فصاروا يضربون في النواحي حتى جاوزوا مدينة تيجس التي كان بها رابطة اغلبيية من ٥٠٠ (خمس مائة) فارس تحت قيادة .

(١٢٠) انتصاح الدعوة ، ١٦٤ - ١٦٦) ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٥٠ (حروب القرامطة)

مدينة تامل بدلا من دار ملول) .

الزالي ابن ركاب ، وبماوته أحد غلمان زيادة الله . وأمام مجارات الهواريين
استمرت دوى والى تيجس أن الحكمة تقضى الدخول في حماية ابيكجان ،
مراسل ابا عبد الله وأعلن خضوعه له ، وسأله أن يرسل اليه جيشا لمواجهة
الحامية الأتلية . وتطلب الأمر من الداعي ارسال جيشين الى تيجس لكي
تستسلم المدينة ، ولكن على أن تخرج الحامية الأغلبية من الحصن بأسلحتها
وعتاتها . وهكذا سقطت تيجس بالأمان وعاد جندهما الأغلبين الى زيادة الله ،
بينما دخل ابن ركاب في الدعوة (١٢١) .

وكان لوفاد ابي عبد الله لرابطة تيجس اثره الحسن في قلوب اهل
الفرقية ، فبعد أن كانوا يخشون غدر أصحابه مالت نحوهم قلوبهم ، كما
يقول النعمان ، وبذلك اضطربت البلاد وتوقعوا وصول ابي عبد الله
اليهم (١٢٢) .

حرب الدعاية ضد ابي عبد الله وقتلها :

نام فشل زيادة الله في حرب الايكجاني بالمساكن قرر أن يجرب
معه حرب الدعاية الفيسية و كما يقول الآن - فكتب كتابا ضد ابي عبد الله
وأمر بنشره في مختلف البلدان - نسب زيادة الله في كتابه هذا الى ابي
عبد الله : الكفر ، وتبديل الدين ، وارتكاب المعاصم ، وأنه يلعن الصحابة
ويستحل دماء المسلمين ، الى جانب انصرافه الى النهو والعبث وشرب الخمر .
كما حذر الناس من أرجاف المرجفين و د تهويل المهولين أمر الفاسق
اللمين (١٢٣) بويشكك القاهي لنيهان في كتاب الخليفة المكتفي في أمر الداعي
الذي كتبت منه نسخ قرأ على المنابر ، والذي يصيب أبا عبد الله بما يشبه
الأوصاف السابقة ، ويضيف الى ذلك ثقة الخلافة بزيادة الله ، ويطلب من
أهل البرقية الوقوف الى بجانبه (١٢٤) .

وأنت تلك الدعاية بمكس ما قصدتها . فكتاب زيادة الله آثار السعيرية

(١٢١) أنظر الفتاح الدعوة ، ص ١٦٧ - ١٦٩ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ج ٨
ص ١٦ ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٥ (سيت القراء : بحيث بدلاً من يشخص ؟)
(١٢٢) الفتاح الدعوة ، ص ١٧٠ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٥ (سيت النص على
أن قائد الجيش المظفر هو يوسف الساسي)
(١٢٣) أنظر الفتاح الدعوة ، ص ١٧٠ - ١٧٢
(١٢٤) الفتاح الدعوة ، ص ١٧٤ - ١٧٧ .

بذكره مفاسد الداعي وذكر الناس بمفاسده هو نفسه ، كما لم يزدحم إلا خوفاً وارجافاً ، زُنهاناً يأمره واستخفافاً ، (١٢٥) . وفيما يتعلق بكتاب الخيانة فقد أثار مثل هذه المشاعر في نفوس الناس ، أما عن تحريضه الناس للوقوف الى جانب أميرهم زيادة الله ، فكان ردهم : وما عسى أن يصنع الرعية له ؟ إنما الرعية لمن يغلبه (١٢٦) .

تظاهرة الخروج الى الأربس :

ولكى تؤتى حرب الدعاية التي شنها زيادة الله على الداعي ثمارها ، رأى الأمير الأغلب أن يصحبها بعمل ايجابي ملموس لقرع الخروج بنفسه ثلاثاً خصمه . فأخذ يعد العدة للحرب ، فجهز السلاح والأموال ، وبالغ في شراء الناس بالمال فأجزل لهم العطاء الذي بلغ خمسين ديناراً : كان يفرطاً عرفاً بالصحاف ، حتى أطلق الكثير ما كان في خزائنه من اللخائر والخطب والخلق . وفي أول سنة ٢٩٤ هـ / نوفمبر سنة ٩٠٤ م خرج يتقدمه فتوح أهل القيروان الى مدينة الأربس القريبة ، التي أصبحت وكانها كفر القرية مع الداعي . ولكنه بعد أن أقام فترة في الأربس حيث وأقته المساكم ، كصحته مستشاروه بعدم المغامرة بنفسه فاستحسن ذلك ، ورجع الى قصره بقيادة بعد أن عهد بقيادة المسكر في الأربس الى قريبه ابراهيم بن أبي الاغلب ، الذي كان معسوداً من الشجعان (١٢٧) .

فتح بالغاية :

بعودة زيادة الله من الأربس ، توجهت الناس خيلة في القيروان فالتفتوا المحارس على أبوابها ، وأقاموا بها ليلاً ونهاراً . وعندما بلغت هذه الأخبار الى أبي عبد الله بدأ جماعته الكبرى التي أطلق فيها كلمة رصاصات الرجة ، كما يقال الآن ، بالنسبة للمملكة الأغلبية المفتعلة ، فلقد انقضت الداعي مكاتبه عدد من زعماء بالغاية ، ممن رأوا الدخول في طاعته يرتفعهم بدلاً من الدخول فيها لسراً ، فزحف الى المدينة في جيش كبير ، وخرج خالد بالغاية الأغلبى وفضل الهرم بنفسه تسار الى الأربس ، بينما دخل أبو عبد الله

(١٢٥) السراج النور . ص ١٧٤ .

(١٢٦) السراج النور . ص ١٧٨ .

(١٢٧) السراج النور . ص ١٧٨ - ١٨١ ، زقارون ابن الأثير . سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٦ .

حيث يجعل الخروج الى الأربس سنة ٢٩٥ (ابن خلدون . ج ٤ ص ٢٥) .

المدينة بالأمان . وبعد أن أقام فيها أياما عهد بولايتها إلى أبي يوسف ماكنون ابن ضماره الأجنبي (عم أبي راضي) ، وترك له حامية - كتامية من خمسمائة رجل ، بيسا عاد هو إلى أيكجان (١٢٨) .

وعسما وصلت هذه الأخبار السيئة إلى زيادة الله ، سجن ثقة مستشاريه ، وطلب منهم النصح والمشورة . واحتلفت الآراء : فبينما نظر البعض في ضرورة إرسال ابن أبي الأغلب من الأربس إلى الزاب لاستعادة باغاية ، رأى الوزير عبد الله بن الصائغ أن ذلك يعرض الجيش لخطر قوات أبي عبد الله نفسه ، وأن الأفق لابن أبي الأغلب هو البقاء في الأربس متربها ، فإذا حاول الداعي الخروج إلى غير باغاية من المواضع لحق به ، ومنعه من تحقيق مآربه (١٢٩) . ومع وجهة رأي الوزير هذا ، فهو يعنى في حقيقة الأمر أن القوات الأغلبية كانت أعجز من أن تلاقى قوات أبي عبد الله سواء في باغاية أو غيرها .

وهذا ما تعبر عنه الرواية ، عندما تقول : ان زيادة الله استمع بعد ذلك لنصحاء السوء ، الذين أغروه بالانصراف إلى اللهو والشراب ليخفف عنه صوم أبي عبد الله ، وأن هذا ما فعله (١٤٠) . ولو أنه ظل يد ابن أبي الأغلب بالأموال والرجال (١٤١) .

عمليات جس نبض محدودة :

أخذ مجانة :

عندما تأكد أبو عبد الله من أن عسكر زيادة الله مقيم بالأربس لا يتحرك منها ، قرر مواصلة العمل في اقتطاع المملكة الأغلبية قطعة بعد أخرى -

(١٢٨) افتتاح الدعوة ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(١٢٩) افتتاح الدعوة ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(١٤٠) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٨٢ حيث يقول السمان ان بعض دعاته نصحه بذلك وحوث عليه امر شياع باغاية ، ورتب له دورا غنائيا يسمه في مجلس الشرب خوامه ذلك البيت الذي يقول : « شرب واسفينا من القرن يكفينا » ، وقارن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، وانظر ابن عساري ، ج ١ ص ١٤٣ - حيث يقول ان زيادة الله هو الذي كان يقول لدمائه اذا فكرتم في زوال ملكه « املا واسقس من القرن يكفينا » . وانظر قريبا سبق ، ص ١٧٥ و ص ٥٧٣ .

(١٤١) افتتاح الدعوة ، ص ١٨٥ .

وكانت مجاعة هي... هدي في هذه المرة اذ سير اليها ألف فارس انتقام من -
خيرة فرسانه ، يدعلي ، رأسهم أبو مدين ابن أبي كفاوة - اللهيبي - بوسارث
كتيبة الفرسان إلى باغاية ، ومنها خرجوا نحو مجاعة . وعندما رأى واليها
الأغلبى ، خفاجة العيسى ، اقتراهم . ظهر لهم حيث قاتلهم طيلة النهار إلى أن
نزل الليل فدخل المدينة . والظاهر أن خفاجة وجد الأقبيل له بمقاتلة أصحاب
أبي عبد الله ، فاكتمى بالبقاء خلف الأسوار . ولما كانت كتيبة الفرسان غير
مستعدة لحرب الحصار ، فإن رجالها اكتفوا بنهب المنازل القريبة من قلعة
مجانة ، قبل أن يسودوا إلى ايكجان .

وتطلب الأمر عودة أبي مدين مرة ثانية إلى مجاعة عن طريق باغاية ،
وتبساً . ونجح أبو مدين هذه المرة في مفاجأة خفاجة وخيائته ، وأنهى
القتال الدامي بمقتل خفاجة وعدد كبير من رجاله ، بينما نجا عدد منهم إلى
القلعة (١٤٢) . ومع أن القاضي النعمان يتبع ذلك بقوله : أن عسكر أبي عبد الله
عاد برأس خفاجة إلى ايكجان ، فأغلب الظن أنهم فعلوا ذلك بعد أن سقطت
قلعة مجاعة بين أيديهم ، كما ينص على ذلك ابن الأثير (١٤٢) .

أخذ قصر الافريقي ، وتيفاش ، وقلعة :

هكذا فرض أبو عبد الله سلطانه على المنطقة ، فكان له الحكم بين
القبائل المتصارعة هناك ، كما عرف كيف يستفيد من تلك الصراعات . فعندما
استنصرت به قبيلة كزناية اثر خلاف نشب بينهم وبين أهل قصر الافريقي
انتهاز الفرصة وسير عسكراً بقيادة أحمد بن سليمان السكتاني ، هزم مقاتلة
أهل قصر الافريقي حتى جلوا إلى بلدة طبرشق ، كما أثنى في قبائل المنطقة
ونهبهم ، قبل العودة إلى ايكجان (١٤٤) .

ولما رأى الوالي الأغلبى - لبلدة تيفاش ، وهو اسحاق بن أبي سلامي ،
جولات عسكر أبي عبد الله في المنطقة وضلوا له دون أن يتحرك لذلك جنود
الأربس وطلب الرجل العافية فإسار بنفسه لاجل إلى ايكجان (١٤٥) .

(١٤٢) انظر النتائج للمرة . ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(١٤٣) الكامل ، أحداث سنة ٢٩٦ هـ / ج ٨ ص ١٦ . وانظر ابن خلدون ج ٣ ص ٢٥١ .

- حيث المرامه : قرطاجنة يذلا من مجاعة .

(١٤٤) انظر النتائج للمرة . ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(١٤٥) النتائج للمرة ، ص ١٨٨ . والقاضي النعمان لا يذكر نسباً لملكه ، وإنما كان

عسكراً بسبب خلاف بينه وبين أموانة أو عسكراً .

ترب ريبده الله بذلك كان من الصعب عليه أن يجد بين أصحابه من يرضى بالمعاصرة بعينها في تناول أبي عبد الله وإن كان من أهل الولاية ، وأخيراً وصف له ، بل من وجوه أهل تيفاش ، هو حبيب بن ليفة ، * نكتب إليه بالولاية ، ربعث إليه بصله وخلمة ، فقبل وتولى أمر تيفاش (١٤٦) .

وإن كان أهل تيفاش على صلة بأبي عبد الله ، فإنهم أخبروه بأحوال البلد وسألوه أن يوجه إليه عسكرياً ليأخذه . وكان على رأس كتيبة الفرسان التي سيرها أبو عبد الله أحد الدعاة ، هو صولات بن القاسم السكاني . وما كاد فرسان كتامة يقتربون من تيفاش حتى خرج حبيب بن ليفة هارباً إلى ابن أبي الأغلب بالأريس . وهكذا دخل صولات تيفاش بالآمان ، وتولى أمرها (١٤٧) .

وكان لوجود العسكر الكتامي في تيفاش فعل السحر في دخول أهل الناحية في الدعوة .

فألى تيفاش وصل خلفون بن مهدي قائد عسكر قالمة وسأل صولات الآمان لأهل البلدة والدخول في الدعوة . ووافق صولات على أن يبعث إليه بعض رجال المدينة ، ومنهم صاحب السكة ، إبراهيم بن البروح ، وسير معه ثلاثمائة فارس (١٤٨) .

وتبع ذلك أن وصل إلى صولات وفود من بني وريدم يطلبون الآمان وكذلك من بني هراش ، فأجابهم ، وطلب إلى رجال الوفود هؤلاء بالانتقال إلى إيكجان ، دار الهجرة (١٤٩) .

وهكذا كانت سيطرة أبي عبد الله تتأكد في المنطقة ، لم يضعف من شأنها ما قام به إبراهيم بن أبي الأغلب ، بتحريض حبيب بن ليفة ، عن استعادة تيفاش لفترة من الوقت . إذ لم تستطع الحامية الكتامية الصغيرة ،

(١٤٦) فاطر افتتاح الدعوة ، ص ١٨٨ .

(١٤٧) افتتاح الدعوة ، ص ١٨٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٦ ، وابن حلتون ج ٤ ص ٣٥ . حيث اسم قائد التميمي . صواب بن أبي القاسم بدلاً من صولات بن القاسم .

(١٤٨) افتتاح الدعوة ، ص ١٨٩ .

(١٤٩) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٠ .

المكونة من مائتي فارس من الوقوف طويلا أمام الجيش الأغلبي الجراز (١٥٠) -
وفى مقابل ذلك النجاش الذي حققه الأغالبة في تيفاش بتكاليف باهظة .
مد أبو عبد الله الشيعي نفوذه الى بونة . فلقد استغل صراعا قام بين قبيلة
أوجبة هناك ، وسير قبائل كتامة الى تلك الجهة حيث قسموا المنطقة الى ثلاثة
أثلاث ، ما بين ساحل البحر وقلب الفحصي ، فشنوا الغارات عليها وقتلوا
وغنموا ، ثم تجمعوا قرب باب المدينة المعروف بزينة ، وعادوا سوريا محملين
بالمغانم الى أيكجان (١٥١) .

الاجتياح الأخير ، ومعاولات الأغالبة في الصمود :

بفضل هذه العمليات العسكرية المحدودة ، عرف أبو عبد الله الشيعي
أن جيش الأربس الأغلبي لا يكون في الحقيقة ، حائلا بينه وبين تحقيق هدفه
النهائي ، وهو انهاسكم الأغالبة في أفريقيا ، فقرر أن يأخذ أزمة العرب بين
يديه ، وأن يباشرها بنفسه . فقد خرج الداهي في سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م ،
من أيكجان في جيش نظامي كبير ، واتجه الى باغاية ، ومنها وصل الى مسكينة .
ثم عزج منها على تبتسا .

وواضح من رواية القاضي النعمان أنه لم يكن أمام تلك المدن الا أن تفتح .
أبرابها لأبي عبد الله . فلم يقف أمامه الا أهل ميدرة الحصينة (حيدرة
الحالية) ، حيث كان قد لجأ اليها المماندون من بقايا أهل قصر الاريقي ،
ومجانة ، وتبسا ، ومرمجة ، وغيرهم : ممن ظلوا كارهين لدعوة أيكجان .
فمقد تحصن هؤلاء بأسوار البلدة ، وبينما كان المسكر الكتامي يضرب
احصارا على ميخرة عاودت علة الحصار أبا عبد الله فانشغل بنفسه عن القتال .
وهكذا عندما أطل أهل البلدة من أعلى الأستوار وسألوا الكتامين الأمان ،
أجابهم هؤلاء ، ولكنهم ما أن فتحوا باب المدينة حتى نوجسوا بالكتامين يطمعون
أسيقتلهم وقابهم ، ويتهبون ما تقع عليه أيديهم ، مما اغتم له أبو عبد الله
حتى انه خرج بنفسه رغم ما كان يعانيه من الألم ، لكي يستنقذها منكبه
استنقاذه من أيدي المسكري .

(١٥٠) المتاح للدعوة ، ص ١٦٠ - حيث تقول الرواية ان حبيبا بن ليفة قتل الرجل
الذي جاء ابا حيد لله لدموذا كلفاش رديو هو عندنا بن كليب ، الذي كان يفتنيا قريبا . وكان
ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٥ (حيث النص هل ان الذي اقصم تيمالان هل الشكر الكتامي عن
القاله ابراهيم بن ابراهيم الالبي - الملحق خلف ابا حوال) .
(١٥١) المتاح الدعوة ، ص ١٦١ .

وحتى لأبي عبد الله أن يفتم لذلك ، -فما وصل الخبير القيروان حتى قام
رحال ريادة يشنعون عليه وعلى أصحابه ، وينسبون إليهم الضرر وعدم حفا ،
بالمعهد (١٥٢) ، وكتب زيادة الله في ذلك الكتب التي قرئت من على
(١٥٢) .

ومن حيدرة رحل أبو عبد الله الشيعي ، وأخذ بلدة القصرين من اقليم
مودة في جنوب بلاد القيروان بالأمان ، ومنع عسكره من دخول المدينة ، فكان
أهلبا يسايعون من الكتاميين من فوق الأسوار (١٥٤) .

النتصار مخلود للأغلبية :

وظهر لإبراهيم بن أبي الأغلب ، وكان أبا عبد الله قد قرر الصعود
بحر رقاد حيث زيادة الله في عسكر قليل ، فترك الأربس واتجه نحو
أبي عبد الله ، الذي كان في القصرين ، ونزل في موضع يعرف بـ « دار
مدين » (١٥٥) . وتم اللقاء بين الجيشين الأغلب والكتامي فيما بين دار مدين
والقصرين ، والظاهر أن القتال الذي بدأ بانتصار مبدئي لعسكر ابن أبي الأغلب
على مقدمة عسكر أبي عبد الله انتهى ، عند حلول الليل ، بانسحاب هذا
الأخير نحو القصرين . من حيث عاد الى إيكجان . واكتفى ابن أبي الأغلب
بذلك ، فلم يحارل متابمته وكتب الى زيادة الله بالنصر ، فكتب بدوره السجلات
التي قرئت في البلدان على المنابر (١٥٦) .

عوقف تردد وحيرة من جانب أهل الاقليم بين الجانبين المتصارعين :

والظاهر أن ذلك النصر المحدود الذي حققه الجيش الأغلب ، والدعاية
الكبيرة التي روجها زيادة الله حول جيشه المنصور ، كان له الأثر في نفوس أهل
المنطقة الذين احتاروا في اختيار الطرف الذي تقصى المصلحة بالوقوف الى

(١٥٢) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٢ ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٦

(١٥٣) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٢ .

(١٥٤) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٣ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٧ .

(١٥٥) إظهار افتتاح الدعوة ، ص ١٩٣ ، وقارن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ -

ص ١٧ : حيث القيلة يدومها .

(١٥٦) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ، وقارن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ،

ج ٨ ص ١٧ .

جانبه . وكانت نتيجة ذلك انزاله المتوقية بهم من هذا الجذب . وذلك ، وتلك
سه فترات مثل تلك الأزمات التي قد لا يعرف فيها - حتى أول الأمر أنفسهم ،
بن ابن تهب الرياح المضطربة .

فلقد تصورت بعض قبائل منطقة قصر الافريقي وطبرشق أن الرياح
غيرت اتجاهها وأصبحت تسير نحو الأريس وليس ايكجان ، فسارت وفود منه
الى ابن أبي الأعرب يعلنون الطاعة ، مثل : بنى وشنو ، وبنى حراش ، ولم
يسلم التمساء من انتقام أبي عبد الله الذي سير اليهم بيسكرا بقيادة عروبة
ابن يوسف ، فاجاهم على حين غرة فقتلهم ، ونهب جيارهم قبل أن يطلق
فيها النيران (١٥٧) ، وكذلك فعل أبو عبد الله بينى ماجن (بن هوازة) عندما
خرجوا على طاعته .

أما عن أولئك الذين بقوا على ولائهم لأبي عبد الله ، فإنهم وقعوا يدورهم
لريسة لانتقام الأغلبية . فبينما كان لرمسان الداعي يماقبون أهل قصر
الافريقي وطبرشق كانت بعض قوات ابراهيم بن أبي الأغللب تجول في
المنطقة بقيادة ابن الهمداني ، لتعاقبة قبيلة بنى ورديم ، لتسخرهم في طاعة
ايكجان . وتم اللقاء في أرض بنى ورديم بين قوات أبي عبد الله وقوات ابن
أبي الأغللب . ووجد سيئو الحظ من بنى ورديم أنفسهم بين شقي الرحا ،
كما يقال ، بين القوتين المتنافستين على سيادتهم ، وكانت كل قوة منهما
قد عسكرت على الجبلين المشرفين عليهم ، وهسم في الوادي بين الجبلين
محصورون .

ولم يطل تردد بنى ورديم طويلا ، وذلك أن خوفهم من عقاب أبي عبد الله
لذا ما استسلموا للمسكر الأغلبي ، دفعهم الى الاستبسال في قتال ابن الهمداني
ورده عن بلدتهم (١٥٨) .

الإستيلاء على إقليم قسطنطينية من بلاد الجريد :

واستمر أبو عبد الله في تكليفه لطلحة التي تلخصت في اقتطاع قتال

(١٥٧) افتتاح الدعوة . ص ١٦٥ . وانظر ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ / ج ٨ ص ١٦٧ ،
الذي اصل تلخيص هذه الاصل التي اعتبرها ثرية قبيلة الاسيرة (ابن جبلة ، ج ٤
ص ٣٥) .
(١٥٨) افتتاح الدعوة . ص ١٦٥ - ١٦٦ . ولقد اصل: لوزن الابن للقيس . حله الاحكام
في الأخرى - سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ ص ١٧ .

«المملكة الأغلبية المحيطة ببلاد القيروان ، قطعة بعد أخرى ، فبعد شهرين أوقف خلالها غاراته حتى قيل انه مريض ، وحتى ظن الأغلبية انه مات (١٥٩) ، خرج من دار الهجرة بايكجان على رأس قوات عظيمة ، وقد قرر- أن يضم قسطنطينية ، هذه المرة ، الى بلاده . وكان عليه أن يسير الى باغاية التي أصبحت قاعدة العمليات في المنطقة - وفي باغاية وافاه واليه على طينة ، عاصمة الزاب بمسكوه ، وقدم اليه كتبا كان قد أرسلها المهدي من سجلماسة مع بعض الرجال الذي تعرضوا لقطع الطريق عليهم من قبل جماعة من زناتة فلم ينج حامل الكتب وحده الى طينة الا وهو في الرمق الاخير (١٦٠) - وهال أبو عبيد اليه جراءة زناتة على رسل المهدي وفكر في تغيير مسيرته لمعاقتهم حتى بلادهم البعيدة ، ولكن مشايخ كتامة أقتنوه بارجاء ذلك الى الوقت المناسب ، تحسبا للمفاجأة قد تقع في بلادهم من قبل الجند الأغلبى .

أخذ « توزر » وقصصه :

وهكذا صارت القزات الكتامية الى قسطنطينية . والملاحظ أن رواية القاضي النعمان التي يلخصها ابن الأثير ، تجعل من قسطنطينية ، وهي الاقليم الكبير مدينة قاتل أهلها أبا عبد الله ساعة من نهار قبل أن يستسلموا بالأمان . وهذا لا بأس به ، فالمفروض أن مدينة قسطنطينية تعنى ، في هذا المقام ، قاعدة الأقاليم كما هي العادة في تسمية العواصم باسم البلد أو العكس ، وذلك يعنى أن المقصود هو مدينة توزر العاصمة (١٦١) . وهذا ما ينضح في رواية ابن عذارى التي تقول ان قائدى زيادة الله ، وهما : منصور بن اسماعيل وشبيب بن الصارم ، انهزما الى توزر تتبعهما خيل الداعي وهي تحترق القرى (١٦٢) .

وبعد أن استولى أبو عبد الله على ما كان في بيت المال ، سار من عاصمة قسطنطينية الى قصبة التي استسلمت هي الأخرى بالأمان ، وبعد أن أخذ ما كان في خزائنها من المال رجع الى باغاية . وبعد إقامة قصيرة بتركيه قابو عبد الله حامية من . . . (خمسمائة) رجل في باغاية بقيادة إبي هكدرل

(١٥٩) - انظر فيما سبق ، ص ١٧٢ وم ٥٩٠ .

(١٦٠) - انظر النتاج الدرر ، ص ١٩٧ .

(١٦١) - الاستبصار ، ص ١٥٥ .

(١٦٢) - انظر فيما سبق ، ص ١٧٨ وم ٥٨٩ .

يماونه عروبة بن يوسف ، وعادالى قاعدته فى ايكجان (١٦٣) .
محاولة اخيرة لاثبات الوجود من جانب الأغالبة :

وعندما بلغ خبير عودة أبى عبد الله الى بلده تنفس ابراهيم بن أبى
الأغلب الصحراء ، وذلك أنه كان يخشى أن يكون هدف الداعى التقدم من
الجنوب التونسي نحو القيروان ، حتى أنه عهد العدة لترك الأربس والعودة
الى زيادة الله اذا ما حدث ذلك . ولكنه عاد وتشجع عندما عاد الداعى الى
بلده وعلم بضعف حامية باغاية ، فسار اليها بكل عساكره . واستخاف
أبو مكدول ، قائد الحامية ، بأبى عبد الله الذى دعا كتامة ففاضت اليه من كل
جانب . وانتخب أبو عبد الله ١٢ (اثنى عشر) ألف فارس من خيرة رجاله ،
وقدم عليهم أبا مدين بن فروخ اللببى وأمره بالحقاق باخوانه فى باغاية
للدفاع عنها ضد الأغالبة ، اذا لم يكونوا قد انسحبوا من المنطقة .

وعندما وصل أبو مدين الى باغاية وجد أن اخوانه بها ، رغم قلة عددهم ،
كانوا قد قاتلوا الجند الأغلبي قتالا عنيفا حتى ياس هؤلاء الاخيرين من هزيمتهم
وخشوا أن يأتى المدد الى الحامية من أبى عبد الله ، فارتدوا على أعقابهم نحو
الأربس . وحسب أوامر أبى عبد الله لم يشج أبو مدين الجند الأغلبي الا الى
موضع يعرف بفتح المرعار (١٦٤) .

الانتصار الفاصل لأبى عبد الله فى الأربس :

عندما تحسنت الأحوال الجوية عبا أبو عبد الله حسوده وخرج من
ايكجان فى اول جمادى الأخرى من سنة ٢٩٦ هـ / ٢٥ فبراير ٩٠٩ م ، وهو
يهند الجيش الأغلبي المسكر فى الأربس . وخرج الداعى ، كما هو العادة ،
على مدينة باغاية التى أصبحت القاعدة الحقيقية لعنيلياته العسكرية ، حيث
عرض جيوشه التى بلغت ٢٠٠ (مائتى) ألف رجل ما بين فارس ورجل ،
كما يقول القاضى النعمان الذى ينص على أنه اجتمع فى مقابل ذلك فى
الأربس من الجند الأغلبي أعداد لا يحصياها الا الله . وبعد العرض العسكري
سار أبو عبد الله فى اتجاه مسكينة ، من حيث سار بنحلاء وأذيتها الى أن

٢
(١٦٣) الفتاح الدعوة ، ص ١٦٨ . وقارن تلخيص ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ . ج ٤
ص ١٧ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٥ - حيث القراءات : أبى مكدولة الجبل ببلاد من ايمرومكدول) .
(١٦٤) انظر الفتاح الدعوة ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ . وقارن تلخيص ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ .
ج ٤ ص ١٧ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٥) .

وصل الى وادي مجانة ، ومنه الى وادي مرماجنة ثم وادي الرمل ، على أربعين ميلا من القبروان ، حيث أقام معسكره (١١٥) .

وقبل أن يتجه الى الأربس رأى أبو عبد الله أن يتعرف أحوال المنطقة وما يمكن أن يكون فيها من الجند الأغلبى ، وما يمكن أن يعوم به من المارقة . وفى يوم الخميس ٢١ من جمادى الآخرة / ١٦ مارس بثت سرية من خيالته نهبت بلدة منبولة . وفى يوم الجمعة المالى رجع أبو عبد الله ل نطاق جولات فرسانه الى : شقبنارية (الكاف حاليا) التى خضعت بالأمان . وأرض بنى جودان حيث التقت بسرانيا ابن أبى الأغلب وتقاتلت معها .

خطة المعركة :

وبعد أن اطمأن الى حالة المنطقة . عبأ رجاله يوم السبت ٢٣ من حمادى الأخرى / ١٨ مارس بعد أن عرضهم فى هيئة الحرب ميمنة وضع فيها بنى نيطاش . وميسرة جعل فيها بنى يباوة . وقلنا وضع فيه قبيلتى ملوسة ومسالنة . أما هو فقد وقف على رأس عشرة آلاف فارس انتقامهم من الدعاة ورؤساء القبائل وأصحاب المعرفة بمكائد الحروب (١١٦) . وعلى هذه التعبئة رحف الى ابراهيم بن أبى الأغلب بالأربس الذى كان بدوره قد عبأ عساكره للحرب .

حرب الكمانن تقرر مصير المعركة :

وعندما التحم القتال فى سهل الأرس كان أبو عبد الله يقف فى معدمة فرسانه على تلة مشرفة على المدينة يشاهد القتال الدامى ، الذى سمعت ليه أعداد كثيرة من الفريقين . وظهر لأبى عبد الله خلال الحرب التى استمرت من الصباح الى وقت العصر أن الجند الاغلبى يقاتل آخر معاركه باستماتة أشفق منها على رجاله . وعندئذ قرر انتخاب حوالى ستمائة رجل من أشداء رجاله ، ورسوم لهم أن يعبروا المخاضة (المسيلة) المتاخمة لميدان المعركة . وأن يدبروا كميناً للخيالة الاغلبية التى لا تريد أن تهزم . والظاهر أن الموقف الحربى وقتئذ كان يقضى على كل من الجانبين المتحاربين أن يحاول

(١١٥) انظر افتتاح الدعوة . ص ٢٠١ والهرامش . وقانون تلخيص ابن الأثير . ص ٢٩٦

ج ٨ ص ١٧ (بين خلدون . ج ٤ ص ٢٦) .

(١١٦) انظر افتتاح الدعوة . ص ٢٠٢ - ٢٠٢ .

مثل تلك المحاولة ، إذ التقى رجاله كرامة ، وهم عراة في المخاضة ، برجاله
الأغلبة . وانتهى ذلك اللقاء البرمائي العجيب بتفوق الكتاميين الذين خرجوا
يرماهم ودرتهم ، يفاجئون الغيالة الأغلبية ويرجعون كفة فرسان كرامة
عليها (١٦٧) .

وهكذا انكسرت مقاومة القوات الأغلبية فجأة ، وتفرق المسكر في
اتجاه بلادهم : فأخذ إبراهيم بن أبي الاغلب ومن معه من رجال الدولة الطريق
على جبل الحراقين ، والهزم من كان من قبائل : لواتة وكزناية ومكلاثة على
طريق « جثرمس » ، وهرب الهواريون والنفزيون على طريق بني بشير .
بينما انهزم العبيد وأخلاق الناس من أهل الريقية في اتجاه القيروان . كل
هذا والكتاميون في أعقابهم يقتلون ويأسرون ويضمون ، ووصلت جياعات
منهم في متابعتها للمنهزمين حتى مدينة الأريس ، ثم انهم عادوا إل معسكرهم
عندما جن الليل (١٦٨) .

أما عن الأريس نفسها فإنها تعرضت للعاصفة الكتامية في يوم الأحد
التالي وهو ٢٤ من جمادى الآخرة / ١٧ مارس . فقد دخل رجال أبي عبد الله
لمدينة عنوة ووقتلوا بها من الخلق ما لا يحصر . كما يقول القاضي البسمان (١٦٩) .
حماً يرجح أن مسجدها الجامع كان مسرحاً للمذبحة مروعة ، سأل فيها الدم
انباراً ، كما تقول رواية ابن عذاري (١٧٠) . وقضى الجند الكتامي يومهم في
الأريس ثم خرج بهم أبو عبد الله يوم الاثنين ٢٥ جمادى الآخرة / ١٨ مارس
على طريق قمودة ، وهو يريد قسطنطينية (١٧١) .

العودة إلى رقادة ونهاية الدولة الأغلبية :

إذا كان مؤرخو الأغلبة يقولون ان إبا عبد الله لم يتبع انتصاره الكبير
في الأريس بالزحف إلى رقادة العاصمة ، خشية أن يحشد زيادة الله الجند

(١٦٧) افتتاح الدعوة . ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ، ولقدن تلخيم ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ .
ج ٨ ص ١٧ .
(١٦٨) افتتاح الدعوة . ص ٢٠٥ .
(١٦٩) افتتاح الدعوة . ص ٢٠٥ .
(١٧٠) البيان . ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٧ . ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ .
(١٧١) افتتاح الدعوة . ص ٢٠٥ ، ابن الأثير سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ ص ١٧
ابن عذاري . ج ١ ص ١٤٧ : حيث يقول انه انصرف إلى بالجابة .

الأغلبى المبحر من جديد فلا يقدر عليهم ، فالمحقيقة ان ابا عبد الله واصل المسير على نفس النهج الذي اتبعه في حرب الأغالبة منذ البداية ، والذي يتلخص في ترهيب عدوه بصدماته المفاجئة ، واكتساب ما يمكن اكتسابه من الأرض والغنمية ، بأقل قدر من الخسائر . وحرص أبي عبد الله على تقليل خسائره على قدر الامكان هو الذي يفسر كيف أنه كان يفضل انسحاب عدوه على أن يتخطف من سبقاته ما قدر عليه ، وهو ما يفسر أيضا كيف أنه كان يترك الالتعام بخصمه عقب اللقاء مباشرة ، سواء كانت الوقعة له أم عليه ، معتمدا على معارضة الالاح على العدو فيما بعد . فكان حطته الحربية في حرب الأغالبة كانت حربا متقطعة أشبه بحرب الصوائف والشواتي السنوية التي طبقتها العرب في فتوح الاسلام الأولى .

في اطار هذه السياسة الحربية السليمة ، ما ان علم أبو عبد الله بهروب زيادة الله وفضل ابراهيم بن أبي الأغب بن أبي القيام مقامه ، حتى ارتد على عقبه قبل أن يصل الى سببيه ، ومر بسكتانة ، عائدا الى معسكره في وادي الرمل ، وذلك في يوم الخميس ٢٩ من جمادى الآخرة / ٢٢ مارس ، وقضى فيه ليلته . وفي يوم الجمعة التالي آخر شهر جمادى الآخرة سير عروبة (مغزوية) ابن يوسف وحسن بن أبي خنزير على رأس ألف فارس الى رقادة . ووصل القائدان والناس ينهبون رقادة ، فأمتهوم حسب أوامر أبي عبدالله وتركوا لهم ما أخذوه ، ولكنهم أوقفوا النهب ، مما دعا أهل القيروان الى الابتهاج عندما وصلهم الخبر (١٧٢) .

وفي يوم السبت التالي اول رجب سنة ٢٩٦ هـ / ٢٦ مارس كان وصول أبي عبد الله الى رقادة . وخرج شيوخ القيروان وفقهاؤها للترحيب به في موضع ساقية ممس حيث استقبلوه وسلموا عليه وأعلنوا طاعتهم له ، وسألوه الأمان فأمتهم . ثم انهم تنازوا على ركابه الى أن دخل رقادة ، والقارىء يقرأ بين يديه : « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر » الخ الآية . ويقرأ : « كم تركوا من جنات وعيون » الى آخر السورة (١٧٣) .

(١٧٢) انتاج الدعوة ، ص ٢١٢ .

(١٧٣) ابن عطارى ، ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ - حيث الاشارة الى أن علماء القيروان عندما علموا بموقعة أبي عبدالله على الأبريس خرجوا مع كُتُبهم للناس للقتال ، فاستلهم بهم محبوب ابن عبد ربة القوارى الى قصر باردقن ، بين مدينة جلولا وحمام السراق ، حيث وصلوا يوم ٢٧ جمادى الآخرة / ٢٤ مارس . ولكن الشيعى مرلهم ألبح انصراف ، ولم يسمح لهم =

وفي رقادة نزل أبو عبد الله في أحد قصورها المعروف بقصر البحر ، وفرق دور المدينة على زعماء كتامة وأنزل حبشود عساكره حولها (١٧٤) . أما من مدينة القيروان عاصمة البلاد المريقة ، فإنه آمن من وجده فيها من أفراد البيت الأغلب وقوادهم الذين آثروا البقاء على الفرار مع زيادة الله ، لم يستثن من ذلك إلا إبراهيم بن برير بن يعقوب التميمي ، المعروف بالقوس إذ قتله خنقا . كذلك أمر أبو عبد الله بالتخلص من رجال الحرس السوداني من موالى بني الأغلب ، فقتلوا . والظاهر أنهم استجابوا لمؤامرة التخلص من الداعي التي كان يدبرها إبراهيم القوس ، كما يفهم من رواية ابن عذاري ، التي تنسب إلى أبي عبد الله قوله : « ما أمنت إفريقية حتى قُلت القوس » (١٧٥) .

قيام الدولة الفاطمية ، في غيبة الإمام :

وبذلك قامت دولة الشيعة الفاطمية ودولة كتامة بعد حوالي ١٥ (خمسة عشر) عاما من ذلك اللقاء الذي تم بمكة بين الداعي الشيعي الشاب أبي عبد الله وبين جماعة الحاج الكتامي . وبدأ أبو عبد الله يتر الأمور في إفريقية ، ويثبت دعائم الدولة الفاطمية الفتية استعدادا لاحضار الإمام الذي يدعو له ، وهو عبيد الله المهدي ، الذي كان حينئذ في سجلماسة ، بعيدا على حافة الصحراء في جنوب المغرب الأقصى .

العمل على استنقاذ أموال الأغلبية ، وللعقدين في إفريقية من أهل الدعوة :

ولقد تطلب انجاز هذه الأمور حوالي الشهرين ونصف الشهر . وكان أول ما بدأ به الداعي هو العمل على حفظ ما كان قد بقي في البلاد من كنوز

باللقاء في مسي الا بعد مكاتبات واستنطاق . ولا شك أن الرواية تبالغ هنا عندما تقول أن عدد قوات التميمي تبلغ ٣٠٠ (ثلاثمائة) ألف فارس وراجل موزعين على ٧ (سبعة) جيوش ١ قارة ، ابن حنبل ، أخبار ملوك بني عبد . ص ٨) . وتذكر رواية ابن عذاري أيضا أن كتامة ضيقت عندما ينزل أبو عبد الله الأمان لأهل القيروان . على زعم أنه كان له وعدهم بأن تكون طمعة ، ولو أنهم قبلوا ما قاله لهم من أنها مدينة طيبة قد أحاطها الله برعايته .

(١٧٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٥ : حيث القراءة « قصر الصحن » التي صرحناها إلى « قصر البحر » ، وأنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦ .

(١٧٥) كليبان ، ج ١ ص ٢٠٥ . والظاهر أن الثالث الأغلب التتبع لم يشتهر باسم « القوس » إلا بعد خنقه بوتر قوسه ، بأمر الداعي ، إلا إذا كان الرجل قد عرف بهامته في الرماية بالقوس الذي سار لقبها له .

الأغلبية وذخائرهم ، واقفاذ كبار أهل الدعوة من المعتقلين في البلاد . ولما كان أخوه أبو العباس المعروف بالمخطوم (لجرح أصيب به فوق أنفه) محبوسا في سجن طرابلس فانه بحث من استنقذه وعساده وبصحبته أبو جعفر الخزري وكذلك أم عبيد الله المهدي التي كانت في حراسة هذا الأخير (١٧٦) ، عذا يعني أن المخطوم كان المستول عن تأمين وصول والدته الامام الى المغرب ، وأن أمره انكشف في طرابلس فقبض عليه ، وأن الداعي كان على علم بذلك عن طريق عيونه أو جواسيسه . وفيما يتعلق بالاموال فقد عرف أبو عبد الله بما كان مخزونا منها في قصر الرباط بسوسة ، فأرسل قائده عروبة بن يوسف الى هناك حيث أمن أهل المدينة وعاد بالاموال التي بلغت ٢٨ (ثمانية وعشرين) حملا . كذلك أمر الداعي بجمع ما كان قد انتهبه الناس من الاموال بمدينة رقادة ، وضم عبيد زيادة الله الى رجاله ، ووقف جواربه ، أي أوقف التصرف فيهن (لحين عودة الامام من سجلماسة) ، وعهد بالنظر في ذلك الى أحد ثقاته من الفقهاء ، وهو أحمد بن فروخ الطيني المشهور بالأحذب (١٧٧) .

الترايب الادارية :

واخذ أبو عبد الله الداعي بعد ذلك في ترتيب الدولة وارساء قواعد نظمها . فعهد بولاية مدينة القيروان الى أحد المخلصين من أنصابه ، وهو الحسن بن أحمد بن علي بن كليب المعروف بابن أبي خنزير . كما آلت ولاية العاصمة الأغلبية السابقة ، مدينة القصر القديم ، الى أخي هذا الأخير ، وهو خلف بن أحمد بن علي بن كليب (١٧٨) . وصدر الأمر الى الأخوين الواليين « يقتل من خرج ليلا أو شرب مسكرا ، أو حمله أو وجد عنده » (١٧٩) ، فكان عهد العدل والاصلاح قد بدأ بتطبيق « الاحكام العرفية » أو « حالة الطوارئ » ، كما تقول الآن .

الإصلاحات الدينية :

وفيما يتعلق بالإصلاحات الدينية التي تطلبها المذهب الفاطمي أمر أبو عبد الله بأن يزداد في الأذان بعد « حي على الصلاة » « حي على خير العمل » ،

(١٧٦) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٠٦ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٥١٣ .

(١٧٧) البيان ، ج ١ ص ٣٠٦ .

(١٧٨) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٠٦ .

(١٧٩) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٠٦ .

• وأسقط من آذان الفجر « الصلاة خير من النوم » (١٨٠) .

والى جانب ذلك أمر بالصلاة على علي بن أبي طالب باثر الصلاة على النبي ، وكذلك على فاطمة والحسن والحسين (١٨١) - وقبيل حلول شهر رمضان أعلن إسقاط صلاة الأشفاق (التراويح) ، وتم ذلك بمعرفة محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي ، الذي كان من جند خراسان ، عندما عين قاضيا للقيروان في ١٧ من شعبان/ ١٢ مايو سنة ٩٠٩ م (١٨٢) . والحقيقة ان ردود الفعل المتعلقة من جانب أبي عبد الله ضد المعارضين لهذا الاجراء ، من : أهل السنة أو الخلاء من المساق ، الذين أرادوا استغلال الفرصة لتحرر من قيود الدين (١٨٣) ، لتشكك في صحة الاجراءات الصارمة التي قيل انه أمر ولاته باتخاذها ضد شاربي الخمر وتجارها .

وهكذا تبلورت أصول للذهب في « تفضيل آل علي والبراءة من سواه» ، كما يقول ابن عذاري ، وأمر وجوه كتامة يدهوة الناس الى الدخول فيه ، فدخل في ذلك معهم كثير من الناس . ولقد أطلق أهل السنة على الذهب الفاطمي « دعوة التشريق » ، لا تباعهم رجلا من أهل المشرق (١٨٤) .

شعارات الدولة :

اما عن شعارات الدولة الجديدة المأخوذة من الآيات القرآنية ، والتي

١٨١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٦ .
١٨١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٧ . ويمتق ابن عذاري عن ذلك ليقول انه اظهر التصحيح في حق وسامته من قلم عليه من اصحاب النبي عليه السلام .
١٨٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٧ . حيث ينص ابن عذاري عن ابن القاضي المروزي اخرج عن مقباء القيروان من المسجد الجامع ، وانكر عليهم - بمناسبة اعلانه اسقاط صلاة الاشفاق - الاقتداء بمصل عمر بن الخطاب من القيام وتركهم الاقتداء بفعل علي بن أبي طالب في زيادة حرم على حيز الصل في الأذان ، وقال لهم : اعملوا بذهب أهل البيت ، واتركوا الفسول .
١٨٣) اعلم ابن عذاري ج ١ ص ٢٠٧ : حيث تقول الرواية ان المروزي عندما رأى في اول رمضان في موضع حلوسه عند حدار القسلة بالجامع ، مكتوبا : « ومن الظلم من منع مساحد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها » الى آخر الآية اكتفى بالأمر بحرقه ، وانتقل عن الحلوس بذلك الموضع . وعندما وقف عليه بسن الخلاء ، وقال له : « قد نطقت لنا ، أصحك الله ، في قطع قيام شهر رمضان فلو احتلت لنا غير تركه صياحه لكفيتنا مزوتته كلها » ، اكتفى بأن قال له : « اذهب عني يا ملعون » ، وأمر بدمه .
١٨٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٧ . وأظهر أيضا سبق ص ٥٥٣ وهـ ٨٠ حيث كتبت النسبية الى معلم الحسينية الكتلمي الذي جل أبو عبد الله مسلته عندما نزل على جماعة كلمة لأول مرة ، وكذلك المعارضين للداعي من الكتامين .

كان قد بدأ برفعها في دار الهجرة بإيكجان ، فقد ظهرت أيضا على النقود ، التي عهد بنحلة سكها الى أبي بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودي ، وعلى السلاح ، الى جانب خاتم أبي عبد الله ، وخاتم طبع السجلات ثم البنسود والخييل .

وفيما يتعلق بنقش السكة تقول رواية ابن عداري ان أبا عبد الله جعله : « الحمد لله رب العالمين » (١٨٥) ، بينما تقول رواية ابن الأثير بشيء صسن التفصيل انه أمر بالا ينقش عليها اسم ، وجعل مكان الاسم من وجه : « بلغت حجة الله » ، ومن الوجه الآخر « تفرق أعداء الله » (١٨٦) . ومن استقرأه هذه النقوش الثلاثة يمكن القول ان النقوش التي يشير إليها ابن الأثير والتي تعبر عن انتصار المذهب الشيعي وهزيمة أعدائه كانت سابقة على نقش الحيدلة الذي يعبر عن الراحة النفسية والاطمئنان بعد ان استقرت الأمور . أما عن السلاح فكان نقشه (عدة في سبيل الله) (١٨٧) ، بينما ظل نقش خاتم الداعي : « فتوكل على الله ، أنك على الحق المبين » ، ونقش خاتم طبع السجلات : « وتست كلمات ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم » . وبقيت كتابة الرايات : « سيهزم الجمع ويولون اندبر » الى جانب : « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ، وغيرها من الآيات التي تحمل مثل هذا المعنى . كذلك ظل وسم الخييل في أخذها بكلمتي : « الملك لله » (١٨٨) .

استحضار الامام من سجلماسة :

وبيضا كان أبو عبد الله الداعي يقرر قواعد الدولة الفاطمية في بلاد القيروان كان يعد المدة ، في نفس الوقت من أجل استنقاذ الامام عبيد الله الذي كان لاجئا في سجلماسة بصحبة ولده أبي القاسم ، بعيدا على حافة الصحراء الجنوبية للمغرب الأقصى .

(١٨٥) البيان . ج ١ ص ٢٠٦ .

(١٨٦) ابن الأثير . سنة ٢٩٦ . ج ٨ ص ١٨ (ابن خلدون . ج ٤ ص ٣٦) . والخط

الخطا . ج ١ ص ٦٤ .

(١٨٧) ابن الأثير . سنة ٢٩٦ (ابن خلدون . ج ٤ ص ٣٦) .

(١٨٨) ابن عداري . ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ . وقارن ابن الأثير . سنة ٢٩٦ . وما سبق .

وصول المهدي الى سجلماسة :

اما عن كيفية وصول عبيد الله المهدي الى سجلماسة ، فقصةها أشبه ما تكون بقصة التجاء الامام ادريس الأول الى المغرب ، وان كانت أكثر منها غرابة . والظاهر انه عندما اشتدت شوكة أبي عبد الله الداعي ، وانتشرت دعوته الشيعية بين قبائل كتامة ، ووصلت أنباء ذلك الى المشرق ، بدأت الخلافة تشتد في طلب صاحب الدعوة ، وحامت الشبهات حول عبيد الله ، الذي تكأن قد لجأ الى سلمية من أرض حمص في بلاد الشام (١٨٩) ، لفسر بعصبة ابنه أبي القاسم نحو مصر . دون أن يكشف عن نفسه .

والروايات تختلف في تحديد تاريخ فرار عبيد الله من سلمية الى مصر ، ويصلح وقع ذلك في فواخر أيام الطولونيين ؟ أم بعد سقوطهم . في سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٥ م ؟ ويظهر ذلك الخلط التاريخي في الروايات التي جمعها المقرئ في شأن سعادة الهرب تلك : فهو عندما يختتم الفصل الخاص بمناقشة صحة نسب عبيد الله المهدي يسجل أنه ظهر بسجلماسة في ذي الحجة سنة ٢٩٠هـ / أكتوبر - نوفمبر ٩٠٣ م (١٩٠) ، أي على عهد هارون بن خمارويه بن أحمد ابن طولون (٢٨٣ - ٢٩٢هـ / ٨٩٦ م - ٩٠٥ م) (١٩١) في خلافة المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥هـ / ٩٠٢ م - ٩٠٨ م) (١٩٢) ، ثم يعود ، في كلامه عن خروجه الى المغرب ، لكي يقول : أنه وصل الى مصر أثناء ولاية عيسى النوشري (٢٩٢- ٢٩٧هـ / ٩٠٤ - ٩١٠ م) في خلافة المتفرد (١٩٣) الذي كان قد تولى قبل ذلك في ربيع الثاني من سنة ٢٨٩هـ / مارس ٩٠٢ م .

قضية تحديد التاريخ :

الفروج عن الشام في النصف الثاني من سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٥ م :

وسبب هذا الخلط التاريخي ، فيما بين خلافة المتفرد وخلافة المكتفي وما بين ولاية الطولونيين في مصر وولاية عيسى النوشري ، يكمن في عدم

(١٨٩) انظر المقرئ ، تصانيف السلفا ، ط ٠ ١٩٦٧ . ص ٦٠ ، وانظر ابن الأثير سنة

٢٩٦ ج ٨ ص ١٤ ، وانظر فيما سبق ، ص ٥٤٥ و ٥٤٠ .

(١٩٠) تصانيف السلفا ، ج ١ ص ٥٤ .

(١٩١) انظر المكتفي الغضائ والولاة ، ط ٠ لبنان ، ص ٢٤٢ - ٢٤٦ .

(١٩٢) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٨٩ . سنة ٢٩٥ .

(١٩٣) تصانيف السلفا ، ج ١ ص ٦٠ .

التمييز بين ظهور الداعي أبي عبد الله في بلاد كتامة على أيام الخليفة المتصدد
والطولونيين وبين ظهور عبيد الله المهدي في سجلماسة على أيام الخليفة
المكتفي وواليه على مصر ، التي كان قد استعادها العباسيون سنة ٢٩٢ هـ /
٩٠٥ م ، عيسى النوشري (١٩٤) .

وإذا كنت الأمر كذلك فلا بأس في أن يكون خروج عبيد الله المهدي من
سليبية إلى مصر قد تم في بداية ولاية عيسى النوشري (منذ ٧ جمادى الآخرة
سنة ٢٩٢ هـ / ٦٧ أبريل ٩٠٥ م) ولا بأس أن يكون ذلك قد تم في فترة
الاضطراب التي عرفتتها مصر خلال سبعة أشهر ، فيما بين ٢٦ من ذي القعدة
سنة ٢٩٢ هـ / ٣٠ سبتمبر ، و ٨ رجب سنة ٢٩٣ هـ / ٦ مايو ٩٠٦ م ، بسبب
ثورة محمد الخلنجي الذي دعا للطولونيين (١٩٥) . فلا شك أن هذه الثورة
التي عمت مصر وجنوب بلاد الشام والتي تنقل أتناها عيسى النوشري أمام
مطاردة الخلنجي فيما بين الجيزة والاسكندرية والصعيد ، كانت موافقة لكي
ينتقل المهدي من حصن إلى مصر والمغرب خفية عن عيون الخلافة . هذا ، كما يمكن
القول ان اضطراب الأحوال في مصر فيما بين سنتي ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ،
و ٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م ، هو الذي تسبب في ذلك اللبس الذي حدث بين تلك
الفترة وبين فترة الاضطراب التي عرفتتها البلاد على أواخر أيام الطولونيين .
قبل سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م ، كما كان سببا في ظهور تلك الروايات ذات الطابع
الأسطوري ، التي أحاطت برحلة عبيد الله المهدي إلى المغرب وحملتها أشبه
بغامرة قصصية من النوع العجيب .

ويقوى ذلك الاحتمال ما تقوله الرواية الشيعية الخاصة بتلك الرحلة من
أن المهدي كان موجودا في مدينة الرملة من فلسطين حوالي منتصف سنة ٢٩١ هـ
/ ٩٠٤ م ، بعد خروجه من سليبية أثناء الثورة المروقة بثورة العرامطة في
بلاد الشام ضد الأمير طنج والى دمشق ، والتي دارت فيما بين سنة ٢٨٩ هـ /
٩٠٣ م وسنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م . والذي يهم من تلك الرواية التي نرحح
إلى أيام المعز لدين الله الفاطمي أن تلك الثورة لم تكن قرمطية بل كانت

(١٩٤) انظر كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٤ . حيث تحمل الرواية خروج عبيد الله مصر
في أيام الطولونيين دخل عهد الخليفة المتصد . فكانها وصفت عبيد الله المهدي في موضع
أبي عبد الله الشيعي .
(٢٩٥) انظر ابن تفرى يردى ، النجوم الزاهرة ، أحداث سنة ٣٩٢ - ٢٩٣ هـ ج ٢
ص ٢٤٧ حوا بها .

شيعة فاطمية ، وأن الذين قاموا بها هم بعض المنتسقين من الدعاة على اسمي
الدعاة ، وأن ذلك كان سبب خروج المهدي من سلمية - وحسب ذلك الرواية
خان ما قلم به دعاة المهدي الثوار من الاساءة الى الهاشميين الذين كان المهدي
يتظاهر بالانساب اليهم ، كان سبباً في شكوى هؤلاء الى الخلافة التي تنجبت
عندئذ آل عبيد الله (١٩١) .

الرحلة العجبية :

هكذا يكون عبيد الله المهدي قد خرج في النصف الثاني من سنة ٢٩٢هـ /
٩٠٥ م من بلاد الشام بعد فشل الثورة هناك ، في الوقت الذي كانت تصله
للنبأ نجاح داعيته أبي عبد الله في المغرب ، وبعد أن أخذ رجال الخلافة من
اصحاب الأخبار يلحون في اعاطة اللثام عن شخصية الامام الذي كانت كتامة
تقاتل في سبيل اظهار دعوته وكذلك قراطة الشام .

وحسب الأساليب الفنية التي كان يتقنها اصحاب مثل هذه الحركة
السرية ودعاتهم سار عبيد الله من الشام وبصحبه ابنه أبو القاسم (نزار) ،
وهو مستتر بزى التجار ، وخرج معها بعض نساء بيته وعدد من خاصته
ومواليه ، وعلى رأسهم أبو العباس (المخطوم) أخو الداعي الذي كان يواقبه
عن كتب .

والظاهر أنه تسلل عبيد الله خفية من سلمية آثار شكوك رجال الخلافة
الذين خمنوا وحية سيره نحو المغرب ، فأصدر ديوان بغداد أوامره الى عيسى
النوشري والى مصر ، والى أمير القيروان الأتليبي (زيادة الله بأخذ الطرق عليه

(١٩٦) انظر حذرات حركة المهدي الفاطمي ، استناد الامام ، وسيرة جعفر الحاجب ،
نشر ايلا بروف ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٣٦ ،
والقائمة ٩٠ - ٩١ (حيث تحديد الثورة في الشام فيما بين سنوات ٢٨٩ - ٢٩١ هـ) ،
ص ٩٦ - ٩٧ (حيث تحديد المهدي من فخر بن أبي محمد الفاطمي ورحيله من سلمية الى
حصص ، الى طرابلس الشام ، الى الرملة) ، ص ٩٨ (حيث حصر طابع في دمشق) ،
ص ١٠١ - ١٠٢ (حيث كتب الهاشميون الى الخليفة المتعصب يستتصرون به ، ووقوع الكتب
بيد الخائن أبي نميرجول الذي كان ينتظر قدوم المهدي عليه في الأشهر الأول من سنة ٢٩١ هـ) ،
ص ١٠٥ - ١٠٦ (حيث هزيمة أبي مهزول أمام محمد بن سليمان ثم القبض عليه فاقترانه على
المهدي وسفنه ، وخروج البريد من بغداد يطلب المهدي في جميع الأقاليم) ، ص ١٠٧ (حيث
المنع على آل المهدي أن يعيش في سلمية مع الهاشميين ويتظاهر بأحد عيسى) .

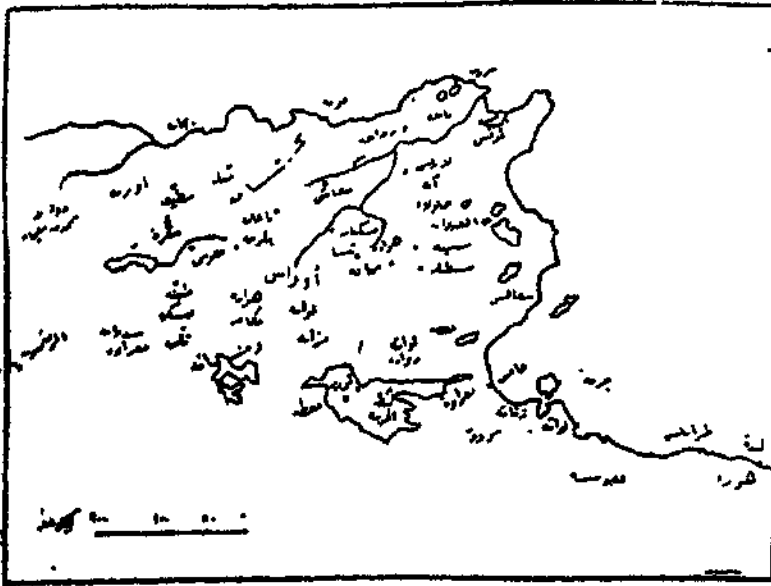
وتقيضه ، بل وكذلك كل من يشبهه (١٩٧) . ونجح أعوان النوشري فعلا في
للقبض على عبيد الله في بعض البساتين ، ولكن الأمر انتهى باطلاق سراحه ،
بعد أن أنكر حاله ، وهو يظهر التقى والعبادة (١٩٨) .

وتضيف الروايات الفاطمية الأصل على تلك المغامرة لونا قصصيا
مثيرا ، فتقول ان المهدي بعد أن خرج من مصر (العاصمة) عاد - رغم ترضيه
للاخطار - يطلب كلبا كان حرب لهم ، فحمل الى الوالي المني حقيق معه ،
ولم يطلقه الا عندما قيل له انه صائد قد حرب له كلبه فطلبه ، وشهدت له
بالبينة بذلك (١٩٩) .

والى جانب الرواية ذات الطابع القصصي هذه نجد روايتين أخريين أكثر
جدية اذ تقول الواحدة منهما ان عبيد الله اشترى الوالي فأعطاه مالا كان معه
حين الأموال الكثيرة حتى أطلقه (٢٠٠) ، بينما تقول الأخرى ان عيسى النوشري
أطلقه لأنه كان يتشيع (٢٠١) ، مثله في ذلك مثل واضح صاحب يريد مصر
الذي ساعد لدريس بن عبد الله على الفرار الى المغرب منذ أكثر من مائة
عام (٢٠٢) .

(١٩٧) أنظر اتصال للحقا للمغربي ، ج ١ ص ٦٠ - ٦١ . ابن الأثير . سنة ٢٩٦
ج ٨ ص ١٤ - ١٥ ، وقارن الاستبصار . ص ٢٠٤ .
(١٩٨) اتصال للحقا ، ج ١ ص ٦٠ .
(١٩٩) أنظر كتاب الاستبصار ص ٢٠٤ . وقارن اتصال الحقا ح ١ ص ٦٠ - ٦١ :
حيث تقول الرواية ان الكلب كان لابي القاسم بن المهدي ، وان هذا الأخير عندما عاد الى سلبه
في السجن الذي كان تقيض عليه فيه كان ذلك سببا عن اطمئنان النوشري الى انه ليس
الرجل المطلوب ، اذ كان اصحاب الوالي قد لاموه على اطلاقه - وأعطى هاشم ١ ص ٦١ حيث
يشير الى نص محمد بن محمد اليماني الذي نشره ايقانوف (مجلة آداب القاهرة) ، عن مجلة
المهدي من الشام الى المغرب ، والذي ترد فيه قصة القائم مع الحرية السلوقية ، السيرة
تتمت بشرائها مما كان سببا في عودة المهدي الذي استبطلهم ، ولكن على انها حدثت في
الطريق . من دمشق الى الرحلة ، ودون المراجعة مع الوالي ، أنظر النص . ص ٦١١ .
(٢٠٠) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٤ . اتصال الحقا للنوشري . ح ١
ص ٦٦٠ .

(٢٠١) ابن الأثير سنة ٢٩٦ . ج ٨ ص ١٤ ، وقارن نص محمد اليماني . مجلة كلية
آداب القاهرة ١٩٣٦ . ص ١١٣ (حيث تقول الرواية ان المهدي بزل على نصرة الشفاعة الذي
يصرف بان عيسى . وان هذا الأخير شهد لدى صاحب مصر بأن شقيقه لم يكن الا رجلا حثيما
من اشراف التجار ، وأنه معروف بالفضل واليسار)
(٢٠٢) أنظر ليدسو ص ٢٥ - ٥٣٢



شكل رقم (٩)
بلاد الفرجية

برقة :

ومن مصر سار المهدي وابنه وبصحبتهما أبو العباس أخو الداعي نحو الغرب مع بعض قوافل التجار إلى طرابلس . وفي حيز مدينة برقة تعرضت الجماعة ، في موضع يعرف بالطاحونة لفارة قام بها عدة من الزائرين من أهل الناحية ، وضاع فيها بعض متاع صبيد الله بعد أن تعرض للشتم واللطم ، ومنه كتب وملاحم كانت لأبائه عظيم أمرها عليه . وفي تلك الفارة ضرب أبو العباس بالسيف على وجهه ، فكان الجرح الذي دعا إلى تسميته بالخطوم (٢.٢) .

(٢.٢) أنظر استنار الامام وسيرة جعفر ، مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ١٠٦ وسيرة جعفر الحاجب ، ص ١١٥ . وأنظر القرظي ، انما العتقا ، ج ١ ص ٦١ . وابن عبادي ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ حيث ترد القصة بمناسبة تشكيل القوات الفاطمية بأهل برقة وهي في طريقها إلى مصر سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، كنار لتلك الامانة التي لحقت بالامام . عندما دخل بلنم ، وهو قادم من مصر ، وأنظر للمؤلف ، فترة حاسمة من تاريخ المغرب : موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين في المرقية ونقلتهم إلى مصر ، مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية ، للعدد الأول ، بنغازي ١٩٤٨ ، ص ٢٣٦ .

طرابلس :

وفي طرابلس استقر المهدي بعد أن انفصل عن قافلة التجار ، ولكن أمره كاد أن يتكسف بفضل عمال زيادة الله الأغلبى ، ولكنه لم يقبض الا على ابي العباس الذي حبس في سجن المدينة (٢٠٤) . وعندئذ رأى عبيد الله أنه ليس من الحكمة المرور بالقيروان من أجل المسير مباشرة الى حيث ابي عبدالله في بلد كتامة ، فأخذ طريق القوافل الصحراوى المزدى الى سجلماسة عبر قسطنطينية (٢٠٥) ، وبلاد الجريد والزاب حيث مر ، كما تنص الروايات الفاطمية التي نجد لها ذكر في كتب الاباضية ، بكل من مدينتى توزر ووارجلان اللتين تعرض فيهما المهدي للسلب والاهانة من جديد ، كما حسدت في الطاحونة بحيز برقّة .

توزر :

ففي مدينة توزر من بلاد الجريد النى كان يظن أنها ستكون قاعدة ملكه - حسبما كان عنده من العلم ، لولا أنه وجد رجالها باعة وأصحاب حوانيت ، ليس معهم زينة الملك ولا هيئة السلطان - تعرض لعبيد الله ومن كان قد بقي معه ، رجل من بنى جلتين من قبيلة بنى واسين ، وخرج دابته النفسية ، مما دعا المهدي الى أن يكتب اسم الرجل واسم قبيلته وبلده - استظاراً للانتقام منه فيما بعد .

وارجلان :

أما في وارجلان فقد تعرض له سفازههم وهرعوا به ، وقالوا : « هذا الذي جاء من الشرق يريد الملك فيصقوا في وجهه » ، وكان أشد الناس في ذلك أهل قصر بكر ، وشيخهم يسمى غيار ، ومنزله يعرف بتاغيارت . وفي ذلك قال عبيد الله : « غير الله ما بهم » .

وقصة مرور المهدي بتوزر ووارجلان وهو في الطريق الى سجلماسة بعد اقامته في مدينة طرابلس مقبولة . لا يضعف من شأنها الا ما تقول

(٢٠٤) ابن عسوى ج ١ ص ٢٠٦ - حيث الإشارة الى ذلك بمناسبة دخول ابي عبد الله وقادة ، وانظر فيما سبق ، ص ٥٨٢ وما ١٧٦ ، وقارن ابن الأثير (سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٥) الذي ينقله القرزى (انساب الحنفا ج ١ ص ٦١) : حيث يفهم من الرواية ان ابا العباس قبض عليه في القيروان حيث كان المهدي قد أرسله لاستطلاع الأسوال ، وأغلب الظن انه أعيد الى طرابلس لكي يدل على المهدي .

(٢٠٥) انظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٥ ، وقارن انساب الحنفا ، ج ١ ص ٦١ : حيث القراء قسطنطينية خطأ ولسططينية بدلاً من قسطنطينية .

من أن عبده ، الدجاني ، الذي قد يقصد به أبو عبد الله الداعي الذي اشتهر
بالايكجاني ، نسبة إلى ايكجان دار البحرة . كان معه وأنه سيده من يوزر إلى
مدينة تاصروت (قاروت - دار الهجرة) من أرض كنامة ، بعد أن عرف
قمحها في سوق توزر ، ووجدتها على الصفة التي توافق عليه (٢٠٦) .
والظاهر أن رجال زيادة الله عندما فشلوا في وجود عبيد الله في طرابلس
عربوا وجهته نحو سجلماسة فخرجت زسلهم إلى صاحبها اليسع بن مدرار
يطلبون المهدي ويمرفونه بأنه الرجل الذي يدعو إليه أبو عبد الله الشيعي .
ويطلب إليه القبض عليه (٢٠٧) .

سجلماسة :

والظاهر أن عبيد الله عاش ، وهو في زى التجار ، في سجلماسة لفترة
من الوقت ، إذ تقول بعض روايات المقرئزي انه أهدى إلى اليسع وواصله ،
وأن الأمير المدراري قربه وأحبه (٢٠٨) . هذا ، كما تقول بعض الروايات
الشيعية المتقبية التي بقيت اصداها لها في كتب الإباضية المعروفة ، ان عبيد الله
نزل في دار لبعض وجوه أهل سجلماسة ، في طابقتها العلوى ، وأن صاحب
الدار الذي سكن معه في الطابق السفلى رأى فيما يرى النائم كأن ثعبانا
عظيما يسكن معه في داره ، وأنه عندما قص الرؤيا على عبيد الله فسرها
له بأن « الثعبان العظيم ملك يملك المشرق والمغرب » ، فما كان من الرجل

-
- (٢٠٦) أطرا أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب (والدرييني ، المطبوع ، ص ٩٢ -
٩٣) ، وقارن ، سيرة جعفر الحجاب ، مجلة أدب القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١١٦ - ١١٨ : حيث
تقول الرواية انهم ساروا من طرابلس إلى قسطنطينة ومروا بمائل نفوسة . ويظهر من تلك
الرواية المنسوبة إلى جعفر صاحب المهدي أن عبيد الله أهدى إلى اليسع في المدينة وأن
شداده لقوا بعض الخاضع من عامة الناس الذين كانوا في مطلبهم من الإباضية . من ذلك ما تعرض
له الحجاب سحر من بعض الهامة الذي عرف أنه رافضى فأساء إليه ، ومنها حاضرة صغيرة تعرض
لها عمما يشبه المهدي لشراء خروف صغير سمين ، تعرض عليه رجل من أهل توزر كلب سمين ،
« فاذا انقروا ياكلون الكلاب ويسمونها بأسماء الخرفان » .
- (٢٠٧) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٥ ، اتطاف الحنفا ، ج ١ ص ٦١ - ٦٢ .
وقارن سيرة جعفر ، ص ١١٩ . حيث تقول الرواية انهم لما ان خرجوا من توزر حتى نزلوا
الرسول في طلبهم .
- (٢٠٨) اتطاف الحنفا للمقرئزي ، ج ٦٢ وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب
: حيث تقول الرواية ان عبيد الله ركب إلى اليسع فاصطاد بعض ما عند يده منه القاس ، الذي
ما اشتهر في سجلماسة من أنه حرب من لسد أموال عظيمة ليهاله والقرهه) .

الا أن بجله وقبل يديه (٢٠٩) .

وإذا كنا لا نجد فيما بقي لنا من سيرة جعفر الحاجب عن إقامة المهدي المنتقبة في سجلماسة الا كرامة جرى الماء بشدة في عين الماء الراكدة في الستار الملاصق للدار التي سكنوا فيها بعد أن وضع القائم رجليه في الماء (٢١٠) . فان ما احتفظ لنا به أبو زكريا ، في سير أئمة تاهرت ، يمكن أن يقدم لنا صورة لا بأس بها عما كانت عليه سيرة المهدي المنتقبة في سجلماسة ، مما كان متداولاً في المغرب على عهد الفاطميين .

من ذلك أن المهدي أقام في سجلماسة حتى عرف بالفقه والعلم والقراءة ، فصار الناس يختلفون اليه ويسألونه عن حوائجهم . وأن والي المدينة (اليسع) آثره على جميع أصحابه وجعله وزيراً في جميع أموره الى أن انتهى أمره بأن أصبح المرجح الأول في أمور السلم والحرب ، مما جعلهم يقيمون به في جميع أحوالهم ، بل وحتى انتهى الأمر بأن ولوه على أنفسهم بعد وفاة اليسع ، وهو غير راغب في ذلك ، وصار يأخذ العري والمدائن حتى أخذ مدينة فاس ، كما تريد الرواية الشعبية التي يقلب عليها الطابع الأسطوري (٢١١) .

أما عن رواية جعفر الحاجب فهي لا تشير الا الى القبض على المهدي في سجلماسة بعد أن وصلت الأوامر الى اليسع بن مدارر بذلك من قبل الخلافة أو زيادة الله الأغلب ، وهو ما يأخذ به جمهور المؤرخين ، وأن تميزت الرواية الشعبية - التي تظهر في شكل مذكرات شخصية - بالمزيد من المعلومات التفصيلية (٢١٢) .

(٢٠٩) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ١ (الدريبي ، المطبوع ، ص ٩٣) . وقارن سيرة جعفر الحاجب ، ص ١١٩ . حيث تقول الرواية اهم استأجروا داراً حسنة من رجل يعرف بأبي حنيفة للمهدي .

(٢١٠) مجلة آداب القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٢١١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ١ ، وقارن رواية القاضي النعمان في الانتحار النادرة (ص ١٥٢ - ١٥٤) حيث تقول ان كل من رأى المهدي بسجلماسة كان يقول : « ما هذا تاجر وما هذا الا سلطان أو حاكم من الملوك » ، كما تقول ان المهدي وصل اليسع صاحب سجلماسة الذي كان يوجب حقه وتخليه الى أن اتاه كتاب زيادة الله . . . يخبره انه هو الذي يدنو أبو عبد الله اليه » .

(٢١٢) انظر سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٢٢ - ١٢٣ : حيث الاشارة الى انه عند القبض على المهدي وابنه القائم وشقيقه : جعفر وطيب وصنبل وأبي يعقوب القهرمان . خصصت دار لجس الإمام وأخري لجس ولي عهده ، بينما حس الخدم في بعض سجون المدينة . هذا الى =

والذي يمكن أن يطمأن الى صحته من كل ذلك ، هو نجاح المهدي في
لافلات من مطاردة عمال الخلافة وزيادة الله ، والوصول الى سجناسة في
واخر سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م حيث اقام متخفيا في زى التجار . ومن ملجأه في
سجناسة أخذ عبيد الله المهدي يتصل سرا بأبي عبد الله الشيعي (٢١٢) ،
لذي كان يطلعه أولا بأول على مجريات الأمور حتى أنه عندما انتصرت قوات
الداعي على جيوش زيادة الله في نفس سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ، أسرع
أبو عبد الله فكتب الى المهدي « يعلمه بالفتح ، ووجه اليه بمال كثير مع قوم
من كتامة سرا » (٢١٤) .

ولكنه رغم هذا التكتم لم تلبث الأناظر أن اتجهت الى عبيد الله الذي
وضع تحت الرقابة ، الى أن أتت الأخبار من القيروان تؤكد لليسيح بن ممدار ،
صاحب سجناسة ، أنه الرجل الذي يدعو اليه أبو عبد الله في بلد كتامة ،
لقض عليه وحبس في دار أخت اليسع ، كما قبض على ابنه أبي القاسم
الذي حبس في دار أخرى في بعض أرباض المدينة (٢١٥) ، ولم يلبث الخبر

« حاب » تعرض له الحدم من التصديب في سبيل اشراع اقرارهم بأمر المهدي . وكيف انهار
معيهم ييد عند حصر الامتحان الصمب - الى جانب اشارات الى بعض من كان يتصل به
في سجناسة من الأصدقاء والأتباع .

(٢١٢) انظر سيرة حنفر الحاجب ، ص ١٢٦ : حيث تقول الرواية ان المهدي صادق وحلا
مطلب من القيروان ، وأنه لما عاد المطلب الى ارضية طلب اليه أن يعلم الداعي بأمره في
سجناسة . (ص ١٣٢) حيث الاشارة الى أبي جعفر محمد بن أحمد البغدادي الذي صار من
أكبر أتباع المهدي ، وكيف كان صعود نجمه بسبب انه سار الى سجناسة حيث التقى بالمهدي
الذي أمره بالمسير الى الأندلس انتظارا لفتح أبي عبد الله الرقية) .

(٢١٤) ابن عدلوي ، ح ١ ص ١٨٧ : حيث تصيف الرواية ان المهدي أعطى لصديقه
المطلب الذي كان معه في سجناسة من الدنانير التي أرسلها اليه الداعي والتي لم يكن لها
مثيل هناك . وقرأ عليه كتاب أبي عبد الله وأمره بكتفان الخير ، والا يبدل من حاله شعبية
المؤمن والرقاة .

(٢١٥) كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٤) حيث تقول الرواية ان الذي نص على عبيد الله
كان رجلا يهوديا . ولا بأس أن يكون قصد الرواية الشيعية من ذلك هو الرد على أولئك الذين
اتهموا عند الله بأنه يهودي الأصل) ، وقارن رواية القاسم النعمان (اقتتاح الدعوة ،
ص ٢٢٧) حيث تقول ان المهدي اعترف لليسيح بنفسه العلوي ولكنه قال انه عاجز وأكبر
سلته بالداعي ، وان اليسع حمله في دار وجعل عليه حرسا ، وجعل ابنه القائم بأمر الله
كذلك في دار أخرى ليرقب بينهما ويختار قول كل واحد منهما ، وقارن القرظي ، ج ١
ص ٦٥ حيث تقول الرواية ان اليسع قبض على المهدي عندما التزمه أبو عبد الله على جيوشه
من سجناسة .

آن وصل إلى الداعي (٢١٦) - قس دحو له القيروان - كما سفت الإشارة (٢١٧) .

السير إلى سجلماسة :

وهكذا ، بعد أن أقر أبو عبد الله الأمور في إفريقية فوزع الولاة والعمال والقضاة على مختلف المدن ، أخذ يعد العدة لفرز سجلماسة واستنقاذ الامام . وفي منتصف شهر رمضان من سنة ٢٩٦ هـ / ٨ يونيو ٩٠٩ م أتى بعد شهرين ونصف شهر من دخوله القيروان وقيادة ، سار على رأس قواته الكبيرة من كتامة ، التي يصفها ابن عذاري « بالديب المنتشر » ، وابن حماد بأنها « ملء الأرض من الخيل والرجال » ، بعد أن استخلف أخاه أبا العباس على إفريقية ، وبصحبه القائد أبو زكي تمام بن معارك الاجاني واليا لقيادة (٢١٨) . وسار بصحبة الداعي حاشيته ، من وجوه رجاله وأهل دعوته ، مثل : ابراهيم بن محمد الشيباني المعروف بابي اليسر الكاتب ، وزيادة بن خلفون المتعطب مولى بني الأغلب ، كما خرج معه من فقهاء العراق (الحنفية) أحمد بن محمد ابن سيرين الذي تصبب للمذهب الشيعي فسار راجلا : « يرى أنه محتسب للثواب في طلب الامام » ، مما كان سببا في توليته قضاء مدينة برقة بعد ذلك (٢١٩) .

القضاء على دولة تاهرت الرسمية :

ولما لم تكن بلاد المغرب قد عرفت ، منذ وقت طويل ، مثل هذا الجيش الجرار المثلث ، بجهازه وعدده وآلات السفن « (٢٢٠) » ، كان من الطبيعي أن يتقدم الداعي دون أن يلقى مقاومة ، فتتبدد القبائل أمامه وتفتح له المدن أبوابها (٢٢١) . فعندما مر بطبنة ، عاصمة الزاب ، أتاه الزعيم الزناتي محمد

(٢١٦) الاستعمار ، ص ٢٠٤ - حيث تقول الرواية ان عميد الله هو الذي كتب اليه ، وأعلمه بحاله من الأسر والحرب ورسب الله في استنقاده .

(٢١٧) انظر نيسا سبق ، ص ٥٧٩ - ٥٨١ .

(٢١٨) ابن عذاري . ج ١ ص ١٥٢ . اس حماد ، اسناد ملوك بني عميد ، ص ٩ . حيث لم يصحح الناصر « وأنا راكي » فتركها « امارك » وقارن اس الامم سنة ٢٩٦ . ج ٨ ص ١٨ حيث لا يذكر انا زكي .

(٢١٩) البيان . ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢٢٠) ابن عذاري . ج ١ ص ١٥٢ .

(٢٢١) انظر القرطبي . اساطير الحنفا . ج ١ ص ٦٥ . حيث يقول ان المغرب احتجز لغزوة وسامته ناقة . والله الصالح عن طريقه . اقتنه سلبه دحسوا في طاعة - «

ابن حزر طائعا (٢٢٢) - وعندما عرج في الطريق على تاهرت ، لم يكن أمام عاصمة الرستمين سوى الاستسلام بالأمان - فالرستميون كانوا منقسمين على أنفسهم ، ما بين : أسرة الامام الحاكم يقظان بن ابي يقظان ، وأسرة الامام المقتول السابق يوسف بن محمد بن أفلح الذي كانت ابنته دوسر ، كما تقول الرواية الإباضية ، تتحرق شوقا للاخذ بثأره ، كما كان مجتمع المدينة منقسما هو الآخر ، ما بين : وهبية مخلصين ، ومخالفين من : المالكية ، والواصلية والشيعية ، والصفورية ممن حرصوا ابا عبد الله على استئصال شافة دولة العرس من الرستمين .

وهكذا أذعن تاهرت وأمر الداعي بقتل الامام يقظان وبنيه ، وبمسئ برؤسهم الى افريقية حيث طيف بها نى شوارح القبروان قبل ان تنصب على ابواب رقادة (٢٢٢) . وعندما دخل المدينة نهبا وانتكح حرمتها ، وأجلا كثيرا منها ، وجعل أعزة أهلها أذلة ، كما يقول أبو زكريا (٢٢٤) .

وبذلك انتهت دولة الرستمين ، بعد أن عاشت أكثر من مائة وثلاثين سنة ، وأقام على العاصمة الرستمية تاهرت وألبا من قبله ، هو أبو حميد دواس بن صولات اللهيبي ، وجعل له معاونا ، هو إبراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهوارى الذى كان يلقب بالسيد الصغير (٢٢٥) .

القضاء على امامة سبجماسة المدراوية :

وواصل أبو عبد الله مسيرته المظفرة نحو الغرب دون أن يلقي مقاومة ، وانتهى به المطاف امام سبجماسة فى ٦ من ذى الحجة سنة ٢٩٦ هـ / أغسطس ٩٠٩ م . وكان من الطبيعي أن تلقى امامة سبجماسة الصغيرة نفس المصير الذى لقيته مملكتنا الأغالة والرستمين - والذى يفهم من رواية ابن عذارى ان المدينة التى أحيط بها لم تستطع المقاومة الا يوما واحدا ، اذا انهزم ليسمع بن

= وأطر افتتاح الدعوة للقاضي السمان الذى نطن انه مصدر رواية القرزى (ص ٢٢٦)

ورسله ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٦ .

(٢٢٢) افتتاح الدعوة ، ص ٢٢٦ ، حيث يقول القاضي السمان عن ابن خرد : « وهو يوم

أمير رقادة كلها وقائل البربر بأسرها .

(٢٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٢ .

(٢٢٤) السيرة وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ٣٦ - به (الدرجلى - الطيوس ، ص ٦٤)

وأطر فيما سبق عن الامامة الرستمية ، ص ٢٨٩ .

(٢٢٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٢ .

حدرار في آخر النهار ، وهرب خلسة تحت جناح الليل مع بعض أهل بيته (٢٢٦) ، حيث انتهى نهاية غامضة (٢٢٧) . وبذلك دخل الداعي سجلماسة ، وسار مباشرة الى سجن سيده عبيد الله المهدي ، حيث استمقذه وهو يخر باكبيا أمامه من فرط التأثر والترح ، كما استنقذ أبا القاسم ولى العهد (٢٢٨) . وانتقم أبو عبد الله من أهل سجلماسة ، المدينة البيضاء التي جرات على امنحان للإمام ، فنهبهم وأحرق دورهم وأغرمهم مفارم ثقيلة ، كما أمر بإجلاء الكثيرين منهم ، والظاهر انه خص اليهود بالهظ الأوفى من تلك النعمة (٢٢٩) .

والظاهر أن استقبال أبي عبد الله الداعي للمهدي غيبه الله ، بما يليق بالامام من التبجيل والاحترام ، لم يرق كثيرا لقواد كتامة . فقد هالهم ما فعله قائدهم الداعي من الترحيل للمهدي وتقبيل يديه وركبتيه ، « فتحات كتامة لذلك » ، كما يقول أبو زكريا (٢٣٠) . والواضح أنه رغم انفراد الرواية الاباضية بتقرير أخفة كتامة من خضوع الداعي للمهدي فإن الروايات الأخرى تكاد تؤكد هذا الأمر ، عندما تقول : ان الداعي قال لكتامة « هذا مولاي

(٢٢٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٠ ، وانظر المقرئى . اتمام الحفا ، ح ١ ص ٦٥ . حيث يصيف الى ذلك ان الداعي حاول ارب الامر ملامعة اليسع حوما على حياة الامام ولكن اليسع قتل رسله ومرق رسالته .

(٢٢٧) ولى ذلك يورد ابن عذارى روايتين تقول أولاهما (ح ١ ص ١٥٢) أن أبا عبد الله عليه لم يقدر عليه ، وتقول الرواية الثانية (ج ١ ص ١٥٤) انه اخذ بعد ذلك بحوالى شهر إذ غدر به قوم من البربر يعرفون ببني خالد ، واستامنوا به الى ابن عبد الله فانهم وذلك لى مستهل المحرم/٢٠ سبتمبر ٩٠٨ م . وانظر اتمام الحفا ، ج ١ ص ٦٥ ، حيث تقول الرواية ان شيل الداعي أدركت اليسع فاحذته وأتت به حيث ضرب بالسياط وقتل . وقارن رواية القاضى النعمان (افتتاح الدعوة ، ص ٢٢٨ - ٢٤٠) التي يمكن أن تكون أصلا لرواية المقرئى . وفيها يقول النعمان ان ابا عبد الله أراد أن يدعى اليسع خوفا على الامام فراسله . ولكن اليسع رمى بكتابه وقتل رسله . وعن القتال يذكر ان اليسع لم يلا فى سى عنه وأهل بيته ثم انه يقول بعد ذلك ان عساكر ابي عبد الله أدركتهم فاحذتهم وأتت بهم . وان اليسع ضرب بالسوط وطبق به على العسكر وفى سجلماسة قتل أن تمسكنى امواله ويقتل . بينما تقول رواية الاستبصار (ص ٢٠٤) انه لم يقتله طائفة من رعيته لهدد كانوا يجذونه له . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦ .

(٢٢٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٢ ، وافتتاح الدعوة للقاضى النعمان ص ٢٤٠ .
(٢٢٩) انظر الاستبصار ، ص ٢٠٤ . حيث تقول الرواية ان ما اخذ من أهل سجلماسة من الثبر والحل بلغ وقر ١٢٠ (مائة وعشرين) نجلا . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٢ .
(٢٣٠) السيد وأشيار الأئمة ، المنطرب ، ص ٣٧ - ٢ .

الإمام فهو مولاكم» (٢٣١) ، وما تنص عليه من أن عبيد الله قال له عندئذ :
« قل لهم هو المهدي بن المهدي سلالة الهداية» (٢٣٢) ، حتى يخف عليهم
كما نرى ، من هول الصدمة التي أصابتهم في أميرهم الذي ما كانوا يظنون حتى
ذلك الحين ، أن فوقه أميراً (٢٣٢) . وهكذا تطلب إقناعهم باستبدال زعامة
المهدي بزعامة الداعي بعض الوقت . وكتب أبو عبد الله إلى فريقية بما تم
من نصر أولياء الله وذل أعدائه باستنقاذ الإمام والظفر على صاحب
سجلماسة (٢٣٤) .

هكذا أقام أبو عبيد الله بصحبة الإمام وولي عهده في سجلماسة مدة
أربعين يوماً (٢٣٥) إلى أن انقضى شهر المحرم من سنة ٢٩٧ هـ / آخر أكتوبر
٩٠٨ م . أقر الأمور خلالها في منطقة سجلماسة التي عين عليها والياشيعيا .
هو إبراهيم بن غالب اللزاني (٢٣٦) ، وأعد العدة للعودة إلى رقادة . وفي شهر
صفر / نوفمبر خرج الموكب الملوكي العظيم من سجلماسة يتقدمه الإمام
عبيد الله المهدي مبتغياً صهوة فرس عتيق ، وعليه ثياب نفيسة فاخرة ، وقد
تضمخ بالطيب الكثير (٢٣٧) وإلى جانبه ابنه أبو القاسم ، ويحف به فرسان
كثامة ، وهم يحرسون أحمال الثبر والحلي التي أخذت من المدينة التي تعتبر

-
- (٢٣١) أنظر الاستبصار ، ص ٢٠٤ . ابن عطارى ، ج ١ ص ١٥٣ . ابن الأثير سنة ٢٩٦
ج ٨ ص ١٦ . وقارن رواية القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة (ص ٢٤٥) التي يمت
أن تكون الأصل الذي نقل عنه المتأخرون حيث تقول أن الداعي قال لرجاله : « هذا موا
ومولاكم وولي أمركم وإمام دهركم ومهديكم المنتظر الذي كت أشرف به » . وأنظر أيضا ص .
(٢٣٢) الاستبصار ص ٢٠٤ .
(٢٣٣) أنظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - ١ . حيث يقول : أنه عندما قال الأيكةج
(الحجاسي) أي أبو عبد الله لكثامة عن عبيد الله : « انه حواى وسلطانى وسسلطانكم ،
فزية على وفلملة مقالرا » . يعرف لافلتنا سلطان ففرك » .
(٢٣٤) سد مكاتبته وطلب عهده الأخوة بينهما في سبيل إخراج المهدي من محبسه . وغير
المسبح ثم كيفية اللتان والظفر - أنظر من الخطاب في افتتاح الدعوة للقاسم الكند
ص ٢٤٤ - ٢٤٤ .
(٢٣٥) القريرى ، المصافى الحنفا ، ج ١ ص ٦٦ . وأنظر القاضي النعمان ، افتتاح الله
ص ٢٤١ الذي ينقل عنه القريزى هذه الرواية .
(٢٣٦) ابن عطارى ج ١ ص ١٥٤ . وأنظر لفتح الدعوة للنعمان (ص ٢٤١) حيث
يقول انه استعمل عليهم عمالا هوون أن يذكر اسمه .
(٢٣٧) ابن حبان ، اشهار ملوك على عبيد ، ص ٩ .

بأبا من أبواب السودان ، بلاد السبر والذهب (٢٣٨) .

وإن وصول الموكب الى افريقية بعد رحلة استغرقت حوالي الشهرين اذ كان دخولهم الى رقادة يوم الخميس ٢٠ من شهر ربيع الآخر ٢٩٧/٧ يناير ٩١٠ م (٢٢٩) . وخرج أهل القيروان مع أهل رقادة يرحبون بالامام الذي أحاط به أبو عبد الله الداعي ورؤساء كتامة مشاة بين يديه ، وخلفه ابنه أبو القاسم . وبعد أن انفض الموكب نزل الامام بقصر من قصور رقادة حيث عرضت عليه حوارى زيادة الله ، « فاختار منهن لنفسه ولولده ، وفرق ما بقى على وجوه كتامة » (٢٤٠) .

عبيد الله المهدي أميراً للمؤمنين :

وفي يوم الجمعة التالي أمر عبيد الله أن يذكر اسمه في الخطبة ، في كل من رقادة والقيروان وأن يكون لقبه فيها « خليفة » الله و « المهدي بالله أمير المؤمنين » (٢٤١) . وبذلك قامت دولة الأئمة الفاطميين في المغرب بشكل رسمي ، بعد حوالي ١٥ (خمسة عشر) عاما قضاها أبو عبد الله الشيعي في أرض كتامة ، وهو يدعى للامام المنتظر ، ويقاقل في سبيل إقامة دولته ، لأن تكلفت جهوده بالنجاح ، ففضى على ثلاث دول دفعة واحدة . هي : دولة الأغالبة في القيروان ، ودولة الرستمين في تاهرت ، ودولة المذرايين في سجلماسة ، قبل القضاء على دولة الإدارة الرابعة (٢٤٢) . وهكذا حق لعبيد الله أن يبدأ حكمه « أميراً للمؤمنين » أي خليفة (٢٤٢) ، بترمه

(٢٣٨) هذا ما فهم من روايات الاستبصار وابن عذارى السابقة ، أما روايه القاضي العمان في افتتاح الدعوة (٢٤٦) فانها تشير الى أن المال الذي دخله عبيد الله رقادة هو المال الذي كان للدعاة والمشايع في إيكمان الى مال اليها وهو في الطريق لأمير باحصار ، مما كان سبباً في تحول أصحاب القلوب العاسدة منهم (ابن حلدون ، ج ٤ ص ٣٦) .

(٢٣٩) افتتاح الدعوة ص ٢٤٧ .

(٢٤٠) القريري ، اتماف الحفلا ، ج ١ ص ٦٦ ، وقارن افتتاح الدعوة للقاضي العمان ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ١ ص ١٦ .

(٢٤١) انظر افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٩ : حيث يقول نص الدعاء : « اللهم فصل على هديك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك ، عند الله ابن محمد الامام المهدي بالله أمير المؤمنين ... » وقارن اتماف الحفلا ، ج ١ ص ٦٦ .

(٢٤٢) انظر فيما سبق ، ص ٤٧٧ .

(٢٤٣) ولا بأس من الاشارة هنا الى أن الخلافة كما وردت في توقيع المهدي هي خلافة الله وليست خلافة الرسول ، كما هو الحال عند أهل السنة . وهذا ما نكرر في التوقيع من أن المهدي هو خليفة الله وأن أباهم هم خلفاء الله الراشدين المهديين (افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٩) .

على عرش دولة كبرى مترامية الأطراف ، ما بين سواحل افريقية على المتوسط،
وصحراوات المغرب الجنوبية على تخوم بلاد السودان .

وكان من الطبيعي أن يبدأ المهدي ممارسته لمهامه كرئيس للدولة الجديدة
بالعمل على تأكيد مركزه كأمير للمؤمنين عن طريق جمع السلطة ، التي لم
يكن له منها حتى وقتئذ شيء ، بين يديه . ولكي يتحقق له هذا الهدف ،
الذي يعتبر غاية لكل وأصل جديد في السلطة ، كان عليه أن يتبع سياسة
دينية تضمن له حشد أكبر عدد ممكن من الأنصار ، يكونون له بمثابة العصية
أو القاعدة الشعبية التي يقوم عليها سلطانه ، وأن يتخلص من الزعماء أصحاب
السلطة ممن يزاحمون في الملك ويتقصون من سيادته وأهمهم الداعي ، وأن
يوصل الفتح وتوسيع دولته نحو مصر ونحو المغرب الأقصى بما يشغل رجال
الحرب ويوجه حماسهم المسكرى نحو الخارج ، كما يهيء موارد إضافية للدولة
تزيد من قوتها ، وترفع من شأنه هو بين ملوك عصره . أما عن اتخاذ مركز
جديد للحكم في مدينة « المهديّة » فكان رمزا للنظام « الراشدي » الجديد الذي
كان يسمى إلى بسط سلطان آل البيت من الفاطميين في المشرق بعد أن نجح
في نشر راياتهم على أسنة رماح أهل المغرب من الكتامين ثم الصنهاجيين
في المغرب ، وهو ما نرجو أن يكون من موضوعات الجزء الثالث من الكتاب
انشاء الله .

فهرس المصادر والمراجع المذكورة في الهوامش

- ابراهيم العلوي . ابن عبيد الحكم راند
المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- ابراهيم وزقانة ومحمد صلي الدين . الوطن
العربي (قم : دراسات في المجتمع
والعرب) تأليف مجموعة من اساتذة كلية
الآداب والاقتصاد والعلوم السياسية ،
جامعة القاهرة سنة ١٩٦١ - ١٩٦٢) .
- ابن الأبار . أبو عبد الله محمد اللطفاوي
البلبي ، توفي سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م
- الحلة السيرة . تدقيق حسين مزني ،
في جزئين . القاهرة ١٩٦٢ .
- ابن أبي شيبة محمد بن محمد بن القاسم الرعيبي
القيرواني ، كتاب المؤسس في أخبار
أخرية تونس . تونس ١٢٨٠ هـ .
- ابن أبي رزق . الأبيس المفسر بروض
القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ
مدينة فاس . فاس ، طبع جبر .
- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، القاهرة
(١٢ ج) .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ،
٥ أجزاء طبعة المعارف ، القاهرة
١٢٨٥ هـ .
- ابن اسحق ، كتاب فتوح مصر وأقاليمها
القاهرة ، ١٢٧٥ هـ (وانظر الوائلي ،
فتوح مصر ولاسكندرية) ، طبعة
ليدن ، ١٨٢٥ .
- وانظر ابن هشام ، السيرة ،
- أبو زكريا : كتاب السيرة وأخبار الأبيسة .
ترجمة جزئية بمعرفة ماسكراي
(Masqueray , chronique d'A-
bou Zakaria , livre des Mizab) ,
Alger , 1878 .
- مخطوط دار الكتب ، رقم ٩٠٣٠ ج .
- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم التميمي ،
المتوفى سنة ٢٢٢ هـ) طبقات علماء
أفريقية ، نشر الشيخ محمد بن
أبي شنت ، الجزائر ، ١٢٢٢ هـ /
١٩١٤ م ، ط١ . بيروت ، ط١ . تونس .
- أبو الفدا (اسماعيل بن علي بن محمد الدين
صاحب حماة المتوفى سنة ٧٢٢ هـ /
١٢٢١ م) ، المختصر في أخبار البشر ،
القسطنطينية ، ١٢٨٦ هـ .
- جفرالدية أبي الفدا (كتاب تقويم
البلدان ، نشر ريسر ودسلان ، ١٨٩٠ م)
- احسان عباس . العرب في صقلية ، القاهرة
(المعارف) ، ١٩٥٩ م .
- أحمد بن ابراهيم النيسابوري . استنار الإمام ،
نشر ايمانوف . مجلة كلية الآداب ،
جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، ج ٢
ديسمبر ١٩٦٦ ، ص ٩٢ - ١٠٧ .
- أحمد الكاتب الأنصاري ، المنهل العذب في
تاريخ طرابلس المغرب ، القاهرة ،
١٢١٧ هـ .
- أحمد بن أبي الفتح ، التحالف أهل الزمان

(الطبعة الثانية منقحة ومثورة بمعرفة
كلر الفوسو نلينو)
Catania, 1935 (Nollino)
- المكتبة العربية الصقلية
(Biblioteca Arabo-Sicula...
Lipsia, 1855).

انجيل جونزالث بالنتيا
Angel Gonzalez Palencia

تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسنة
مؤس ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

الباروني ، كتاب الأرقام الرياضية في السنة
وملك الأباسية . طبعة الأهراس
البارونية .

البخاري ، كتاب التاريخ الكبير ، طبع حيدو
أناه الدكي ، ١٣٦١ ، ج ٣ ، قسم ١ .
قسم ٧ .

بروكلمان Brockelmann

تاريخ الشعوب والدول الإسلامية
ترجمة فرنسية مصممة بزود
(M. Tazerout) تاريخ ١٩٤٩

بروفنسال

E. Lévi Provençal . ١٩٥٤

— Les Historiens de la chor-
fa, 1923.

— Histoire de l'Espagne mu-
sulmane, Paris, 1944.

(ترجمة عربية عن الإسلام في المغرب
والأندلس . معرفة السيد عبد العزيز
سالم ومحمد صلاح حلي . الألب
كتاب ، رقم ٨٩) .

— Un recueil de lettres offi-
cielles Almohades, étude
diplomatique....., Paris,
1944.

- أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة
الموحدين (مذكرات البديق) ، نص
عربي وترجمة فرنسية تحت عسماوي

بأحسان ملوك تونس وعهد الأمان ،
تونس ، ١٩٦٣ .

أحمد توفيق الكندي ، كتاب الجزائر ، القاهرة ،
١٩٦٢ .

- خريطة القطر الجزائري ، طبعة
كاروبيل ، الجزائر .

- المسلمون في صقلية وبنوب إيطاليا .

أحمد لكوي ، المسجد الجامع بالقيروان ، طبع
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٣٦ م .

- مساجد القاهرة ومدارسها - الملحق ،
الاسكندرية ، ١٩٦٢ م .

أخبار مهبوبة (من فتح الأندلس وذكر
أمراتها - رحمة الله - والحروب الواقعة

ههنا بينهم) ، من عربي وترجمة
اسبانية بمعرفة لافونت

(E. Lafuente)

مدريد ، ١٨٦٧ .

الأديسي ، كتاب زمة الشماي و الجزء الخاص
بصفة المغرب وأرض السودان وصر

(لأندلس) من عربي وترجمة
فرنسية بمعرفة دافره ودوزي . ليدن ،

١٨٦٤

الاستخبار : نظر كتاب الاستخبار .

الإصطغري ، كتاب دمالك والمسالك . نشر
De Coeje ليدن ، ١٨٧٠ م .

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين
وأنارهم في الأندلس من الفتح العربي
حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار
المعارف ، لبنان ، ١٩٦٢ م

الطاهر أحمد الزاوي ، تاريخ الفتح العربي
في ليبيا ، طبعة دار المساريف بمصر
(طبعة أول) .

أماري

M. Amari, Storia dei Musul-
mani di Sicilia

évêché de la Kalâ de Beni
Hamad, Hespéris, t 15, an-
née, 1932, Fax, I.

التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن
إبراهيم التجاني) ، الرحلة ، تونس ،
١٩٥٨ .

Gasper Remira جاسبار ريميرا
- نظر الوري

Grobmann (Adolf) جرومان
Aperçu de papyrologie arabe
(extrait des études de papyro-
logie, t. I, Le Caire (imp. inst.
Fr...), 1932.

الجزائري (أبو الحسن علي الجزائري) ، كتاب
زهرة الأسي في بناء مدينة لاس ، طبع
الفردليل A. Bel الجزائر ١٣٤٠هـ /
١٩٢٢ م . مع ترجمة فرنسية مصحوبة
بالهوامش تحت عنوان

La fleur du Myrte...

الجزائر ١٣٢٢ Zahrat El-As

جل

M.S. Gsell, la tripolitaine et
le Sahara au 3èmes ère (extr.
mém. Acad. insc. B. Lettres,
t. 43), Paris, 1926.

جمال الدين الشيبان . الصلاة التسابلية بين
المغرب ومدينة الإسكندرية (في العصر
الإسلامي) - مجلة كلية الآداب - جامعة
الإسكندرية ، المجلد ١٥ ، سنة ١٩٦٦ .
- الإسكندرية ، طوبوغرافية القديمة
وتطورها من أقدم المصور . الأطلس
التاريخي ، المجلد التاريخي . ١٩٤٩ .

جوتية

E.F. Gantier, Le passé de
l'Afrique du Nord, les siècles
obscura, Paris, 1942.

(documents inédits)

وثائق لم تنشر

باريز ، ١٩٦٨ .

برويسه

L. Bréhier, Vie et Mort de
Byzance, Paris, 1947.

البغدادي (أبو المنصور عبد السامع بن
طاهر ، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ،
الفرق بين الفرق ، القاهرة ، ١٣٢٨ هـ /
١٩١٠ م .

البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ،
المتوفى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٧ م) ، كتاب
المغرب في ذكر بلاد الفريجة والمغرب ،
جزء من « كتاب المسالك والممالك » ،
طبع دسلان (De Slane) الجزائر ،
١٩١١ .

- طرابلسية الأندلس وأوروبا ، تحقيق
عبد الرحمن سبيح ، طبع بيروت .

بيل

A. Bel, Les Banou Ghania,
derniers représentants de
l'empire almoravide et leur
lutte contre l'empire almo-
hade, 1903.

- La religion musulmane en
Berlérie, Esquisse d'his-
toire et de sociologie reli-
gieuse, Paris, 1933.

بلادي (أبو العباس أحمد بن يحيى بن
جابر ، المتوفى سنة ٣٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ،
كتاب فتح البلدان ، طبع لبنان
١٨٦٦ .

البياق - نظر برونتسفال (أنطوان المهدى ابن
تومرغ) .

بييه سنيلال

Pierre de Cenival, le pretendu

- فجر الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

حسين نصار . قسده نشره عبد القم حماد
لكتاب نوح مصر والمغرب لابن عبدالحكم .
مجلة « المجلة » العدد ٨٠ ، أغسطس
(آب) ١٩٦٢ .

العشائري : انظر محمد بن عثمان .
ابن حجر (شهاب الدين بن علي السقلاوي .
توفي سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) . الاصابة
في تمييز الصحابة طبعة ١٣٢٨ هـ .
ابن حزم (أبو محمد بن أحمد بن حزم
الطاسلري - توفي سنة ٤٥٦ هـ /
١٠٦٤ م) ، كتاب الفصل في المثل
والأمرء والنحل القاهرة ١٣١٧ هـ .
ابن حنبل . أبو عبد الله محمد بن حنبل بن
حداد . توفي سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م .
- انيسار ملوك بني عبيد وسيفهم .
تحقيق فؤاد مراد طبع الجزائر سنة
١٩٢٧ م .

الصعيدى . حلوة القيس . مجموعة تراثنا
الكتبة الأندلسية . رقم ٣ طبع القاهرة
سنة ١٩٦٦ .

الصعدي الروس المطارد في احبار الأقطار
(سفلة جزيرة الأندلس) تحقيق
برونسلال . القاهرة ١٩٢٧ م .

ابن حوقل ، صورة الارض . طبع بيروت
(مكتبة دار الحياة) .
- وطبع ليدن بمعرفة دغريه

De Goeje

(المسالك ولسالك) ليدن ١٨٩٩ م .

ابن حيان ، أبو مروان بن حيان القرطبي
توفي سنة ٤٦٩ هـ / ١١٧٦ م .

- القيس في اشبار بلد الأندلس ،
تحقيق عبد الرحمن علي الحبي (المكتبة
الأندلسية) ، بيروت ١٩٦٥ .

- وانظر القلمة التي حلقها محمود علي
مكي . طبع دار الكتاب العربي . بيروت
١٩٧٢ م .

- Le Sahara, Paris, 1946.

جودفروا ديمومبين

Gaudefroy-Demombynes
Les institutions musulmans,
Paris, 1946.

انظر المصري ، مسالك الأبحار في مسالك
L'Afrique moins l'Egypte

الابصار (الفرنسية عدا مصر
Ch. André Julien. Histoire de

ترجمة فرنسية مع مقدمة وهوامش .
باريز ، ١٩٢٧ .

جوزيف نسيب يوسف . مجمع الاسكندرية
في العصر المسيحي . كتاب مجتبع
الاسكندرية ١٩٧٥ .

جولييان
Ch. André Julien
l'Afrique du Nord, 1931.

جيان

Gaillard, une ville de l'islam
Fès, Paris, 1905.

الصبيح الجعاني . التروب الاسلام . الحياة
الاقتصادية والاجتماعية ، من ٣ - ٤ هـ /
٩ - ١٠ م) طبع تونس .

حسن ابراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسي
والديني والثقافي والاجتماعي . الجزء
الاول ، القاهرة . ١٩٥٧ .

حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ،
القاهرة ١٩٥٧ .

حسن جسي عبد الوهاب . خلاصة تاريخ
تونس ، الطبعة الثالثة ، تونس .
- وقات ، طبع تونس ١٩٦٥ .

حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي
والحاضر ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

حسن مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، القاهرة
١٩٤٧ .

- ابن خلدون (حسن الدين أبو العباس أحمد
ابن إبراهيم بن أبي بكر النسافى ،
المتولى سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨١ م . وفيات
الآديان وآبائهم أبناء الرومان ، طبعة
محيى الدين عبد الحميد .
- خليفة بن خياط ، تولى سنة ٢٤٠ هـ /
٦٥١ م .
- تاريخ خليفة بن خياط . نشر آخرو
السرى ، فى جزئين ، بغداد ١٩٦٨ .
- الديالى (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الأنصارى ، ٦٠٥ - ٦٩٦ هـ) ، معالم
الإيمان فى حرفة أهل القيوان ، فى
جزئين ، تونس ، ١٣٢٠ هـ .
- الدويجى ، أبو العباس أحمد ، من رجال
القرن السابع الهجرى / ١٢ م .
- طبقات الاباسية ، مخطوط دار الكتب
المصرية (رقم ١٢٥٦١ ح صسورة عن
المخطوط الأصل رقم ٢٦١٢ تاريخ
تهدور) .
- طبعة الجزائر بمعرفة إبراهيم طلاس ،
البلدية ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- دسبوا
J. Despois, Le Djebel Nefousa,
Paris, 1935.
- La Tunisie orientale, Pa-
ris, 1940.
- دولى
R. Dozy, Histoire des musul-
manes d'Espagne, Leyden,
(1932 (t. 1).
(ترجم الجزء الأول الى العربية بمعرفة
حسن حبشى تحت عنوان : تاريخ مسلمى
اسبانيا ، القاهرة) .
- ديسل
Ch.-Diehl et G. Margais, Le
monde oriental, de 365 à 1081,
Paris, 1944.
- ابن حيون أبو خليفة العماد بن محمد
القيسى المربى ، تولى سنة ٣٦٣ هـ /
٩٤٧ م .
- دعائم الاسلام ، تحقيق آصف قيسى
القاهرة ١٩٦٣ .
- رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق واد
القاضى ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠ .
- ابن خرداذبة وابن العقيه وابن رسته ، سفة
المغرب وأوربا فى القرن الثالث الهجرى /
٩ م . مستخرجات من كتاب المسالك
والممالك وكتاب البلدان وكتاب العلق
القيسى ، المكتبة العربية الفرنسية تحت
إشراف هنرى بيريز
(Bibliothèque Arabe-Française
H. Pérès
نص عربى وترجمة فرنسية لمحمد حاج
صائق ، الجزائر ، ١٩٤٩ ، العدد رقم ٦
- ابن الكلبى ، مشاهدات لسان الدين بن
الخطيب فى المغرب والأندلس ، نشر
معرفة أحمد مختار العبادى ، مطبوعات
جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ م .
- كتاب أعمال الأعلام (الجزء الثالث) .
نشر أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم
الكتانى تحت عنوان : المغرب العربى فى
العصر الوسيط ، طبعة الدار البيضاء ،
١٩٦٤ .
- ابن خلدون المقدمة (مقسمة كتاب العبر
المنيرة بمقدمة ابن خلدون) ، طبعة
الصحافية ، القاهرة .
- كتاب العبر وديوان المبعدا والغير ،
٧ اجزاء . طبع القاهرة .
- الترجمة الفرنسية للتقسيم الخامس
بالمغرب بمعرفة دسلان
(De Slane). Histoire des ber-
bères et des Dynasties mu-
sulmanes de l'Afrique septen-
trionale, Paris, 1925 (t. 1
et 2).

ينفاذى ، ١٩٥٨ م .
 - ملاحظات عن مصر كما رأها ووصفها
 الجغرافيون والرحالة المسافرون . مجلة
 كلية الآداب ، اسكندرية ، ١٩٥٤ .
 - تاريخ الاسكندرية من الفتح العربى الى
 قيام العاطميين ، في كتاب تاريخ
 الاسكندرية منذ أقدم العصور ،
 الاسكندرية ، ١٩٥٤ .

- العلاقة بين صلاح الدين واين يوسف
 يعقوب المصور الوندى ، مجلة كلية
 الآداب ، اسكندرية ، ١٩٥٣ .
 - أ نظر كتاب الاستبصار .
 - معوق المغرب والأندلس في رواية ابن
 عبد الحكم ، بحث في كتاب « دراسات
 عن ابن عبد الحكم » ، المكتبة العربية ،
 ط ٠ وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٥ ،
 ص ١٥٣ - ١٩٦ .

- أهمية ابن عمري بردى لتاريخ المغرب
 والأندلس ، بحث في كتاب « المؤرخ ابن
 عمري بردى » ، مجموعة المكتبة العربية ،
 ط ٠ وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
 - الأثر المغربي والأندلسي في المحتج
 السكندري ، كتاب تاريخ المحتج
 الاسكندري ، طبع جامعة الاسكندرية
 ، ١٩٧٥ .

- هامش على مصادر تزيح الامانية في
 المغرب ، دراسة لكتاب السير لأوسياس ،
 مطبوعات الجامعة التونسية ، مركز

الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية .
 اشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي
 وحضارته ، ج ١ ، سلسلة الدراسات
 التاريخية (من ص ٥١ - ٩٦) .
 ابن سعيد ، عمل ابن موسى ، تولى
 ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م .
 - كتاب الجغرافيا ، طبع بيروت

السلوى ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ،
 طبعة دار البيضاء :

١) الجزء الثالث من مجموعة التاريخ العام
 - جلوتز Glotz - قسم العصور
 ارسفي) .
 الذهبى ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ،
 سنة القاهرة ١٩٦٣ ، ج ٣ .

ريسلر
Risler, la civilisation arabe,
Paris, 1955.

الزويقي (ابراهيم بن القاسم ، تولى به سنة
 ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) ، تاريخ امريقية
 والمغرب ، تحقيق المجي الكعبى ، طبع
 تونس ، ١٩٦٧ .
 - قلب السرور في أوصاف الخصور ،
 تحقيق أحمد الجندي .
 مازاوي - نظر الطاهر أحمد

الزهري ، كتاب الطغرافية ، تحقيق محمد
 حاج صادق ، مجلة الدراسات الشرقية
 للمعهد الفرنسي بدمشق ، ١٩٦٨ .

السبكي ، طبقات النعمانية الكبرى ، طبعة
 ١٢٢٤ هـ ، ج ١ .

حطريه
J. Célérier, Le Maroc (Coll.
L'union Française), Paris,
1948.
 - Les conditions géographi-
 ques de développement de-
 Fès, Hespéris, t. 19, an-
 née 1934. Fasc. 1-2.

محمد زغلول عبد الحميد ، فتح العرب للمغرب
 في العتيقة التاريخية والاسطورية
 الشعبية ، مجلة كلية الآداب
 بالاسكندرية ، ١٩٦٣ م .
 - مؤلف ليبيا فيما بين قيام العاطميين
 في افريقية ، وتلتمهم الى مصر ، مجلة
 كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية .

عبد الحميد الديباني ، المحل في تاريخ الأندلس
القاهرة ، ١٩٥٨ .

عبد السلام بن سودة ، دليل طوبغ الحسريه
الأقصى ، طهران ، ١٩٥٠ .

عبد العزيز النوري ، علم التاريخ عند العرب ،
بيروت ، ١٩٦٠ .

عبد العزيز طربيع نرف ، جغرافية ليبيا
الاسكندرية ، ١٩٦٣ .

عبد النعم حاجه ، التاريخ السياسي للدول
البرية ، طبعه ١٩٦٠ م .
- مقدمة لترجمة التاريخ الاسلامي ،
القاهرة ، ١٩٥٢ .

- ظهور خلافة اللاتين وسقوطها في
مصر (التاريخ السياسي) ، طبع دار
المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٢ (طبعه
ثانية) .

عبد الهادي انتاوي ، الامم نادر بن ادريس
(من خلال الوثائق التاريخية) ، مجلة كلية
الاداب - جامعة الاسكندرية ، المجلد ١٠ ،
سنة ١٩٦٦ .

- جامع القرين بناس ، رسالة دكتوراه
عسل الآلة الكاتبة ، قدمت لجامعة
الاسكندرية سنة ١٩٧١ .

عبد الواحيد المراكشي ، لمجم في تقييد
أخبار المغرب ، طبعه مصر ، ١٣٢٤ هـ .

عبد الله بن صالح ، أنظر برونتال ، مصر
جديد .

ابن عذاري المراكشي (أبو عبد الله محمد) ،
البيان المغرب في أخبار المغرب ، نشر
وتحقيق كزوان ويرونسال ، ليدن ١٩٤٨
(نشر دولي ، وطبع بيروت ، ٢ ج) .
عزير احمد ، تاريخ سقالة الاسلاميه ،
بالانجليزية ، طبع لندن ١٩٧٥ .

عزير يحيى ، مصر ، الاياضية في موكب التاريخ -
الجزء الأول ، من : طساق القصب

سليمان الطووني ، الارحام الرياضية في ائمة
وملوك الاياضية .

سيدة اسماعيل الكاشف ، مصادر التساريخ
الاسلامي ومناهج البحث فيه ، القاهرة ،
١٩٦٠ .

- مصر في بحر الاسلام (من التسحيح
العربي الى قيام الدولة الطولونية) ،
القاهرة ١٩٤٧ .
شجرة ، نشر محمد عبد الهادي .

الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ،
المتوفى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) ، الملل
والنحل طبعه ليبيرج ١٩٢٣ م .

ابن الصغير اخبار الأئمة الرستين نشر
وترجمة موتيليسفكي

Chronique d'Ibn Saghir sur
les imams Rostenides de Ta-
hert, éd. et trad. par Moty-
linswki, dans Actes du 14e
Congrès des Orientalistes, 3e
partie, 1907

الطبري ربيع الأمد والملوك طبعه القاهرة ،
١٣٥٨ - ١٩٣٩ وطبعه أوروبا ، وطبعه
دخان العرب ٥ ج .

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن
عبد الله بن عبد الحكم القرظي المصري)
فتوح مصر والمغرب والأندلس ، نشر
شارل توري (Torrey) طبعه ليدن ،
١٩٢٠ .

- شرة موشية مع ترجمة فرنسية
من طرف Gateau في مجموعة
(المكتبة العربية الفرنسية) طبعه
الجزائر ، ١٩٤٨ .

- شرة موشية بمعرفة مانسييه
(H. Massé) ، القاهرة ١٩١٤ .

- شرة جرة جديدة معرفة عبد المم
عازر ، القاهرة .

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهداني)
كتاب البلدان . طبع ليدن ١٨٨٥ م -
فلهوون . تاريخ الدولة العربية منذ ظهور
الاسلام الى نهاية الدولة الاموية . ترجمة
الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة .
القاهرة ١٩٥٨ م .

فورنل

H. Fournel, Etude sur la con-
quête de l'Afrique par les
arabes..., Paris, 1857.

فوندهايدن . الألمانية . بالفرنسية .

فيركوتير

J. Vercoutter, L'Egypte an-
cienne (Coll. que Sais — je?),
Paris, 1947.

فيشيل

W J. Fischel, Ibn Khaldun
and Tamerlane, Berkeley, Los
Angeles, 1952.

الفرطاس . انظر ابن ربيع .

ابن القاسم . جدوة الاقناس في احسا مدينة
فاس . طبع محرر ١٣٠٩ هـ .
ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم .
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) . الامامة
والسياسة . في جزئين . طبعة القاهرة .
١٣٢٨ هـ .

- القسم الخاص بفتح الأندلس . من
ملاحق كتاب انتحاح الأندلس لابي
الفرطية . طبعة مدريد . ١٨٦٨ م -

القاسم (أبو العباس أحمد . المتوفى سنة
٨٢١ هـ / ١١٨٨ م) . صحح الأعرابي
صناعة الانشا . طبع القاهرة . ١٩١٣ .

ابن القوطية . تاريخ افتتاح الأندلس طبعة
مدريد . ١٨٦٨ - من عربي وترجمة

الاباضي . طبع القاهرة . اكتوبر ١٩٦٤ م
- الجزء الثاني . من : الاباضية في
ليبيا . طبع القاهرة . أغسطس ١٩٦٤ م

علوش

L.S. Allouche, deux épîtres de
théologie abadite, Hespéris
(22 années, 1936, Facs. I).

العمرى . مسالك الاصدار في مسالك الاصدار .
طبعة دار الكتب . ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م
(ج ١) .

- ترجمة جرنية حاصلة ببلاد المغرب
والسودان . بالفرنسية . باريس . ١٩٢٧
انظر جودفروا ديمومبين
(Gaufrey-Demombynes)

العياشي . الرحلة . مطبوع طرابلس . مكتبة
الاولاف حراة من - دفا - رقم ٣٤٠ .
(ج ٢) .
- طبع حجر فاس .

عياشي . أبو الفصل بين موسى اليحصى
السنين . توفى ٤٦٧ هـ / ١٠٨٣ م .
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك في
معرفة اعلام منسوب مالك . طبع بيروت
١٩٦٥ .

- تراجم اهللية مستخرجة من مدارك
القاضي عياشي . تحقيق محمد الطالبين .
طبع تونس ١٩٦٨ .

القيريني . أحمد بن أحمد . توفى سنة
٧١٤ هـ / ١٣١٥ م .

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء
في المائة الساسة ببحاية . نشر عادل
أويطس . طبع بيروت . ١٩٦٩ .

عابن غلبون (ارتحل الى الأحرر وعاد الى طلم
سراة سنة ١١٢٣ هـ) . كتاب التذكير

عيسن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار .
نشر الطاهر أحمد الزاوي . القاهرة .
١٣٤٩ هـ .

لاوست
k Laoust, L'habitation des
transhumants du Maroc cen-
tral, Hespéris t. 14, 1932,
Fasc. 2.

الاسكي (أبو عبد الله بن أبي عبد الله - رعى
حوال منتصف القرن الخامس الهجري :
رياس النفوس من طبقات علماء القروا
وامريقية ورمادهم وعيسادهم ونسائم
رسير من أحجارهم وفشائلهم وأوصالهم
نشر حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥١ م .
هارتويتو هارويو هورينو ، المسلمون في مقلية ،

و • عارسيه

W. Marçais, un siècle de re-
cherchés sur le passé de l'Al-
gérie musulmane (R.H.,
1931).

ج • عارسيه

G. Marçais, La berbérie mu-
sulmane et l'orient au moyen
âge, Paris, 1946.

- المجمل في الفن الاسلامي (بالفرنسية)
طبع لاورس .
- أنظر شارل ديبل وجورج مارسه .

ج • ماركي

Jè Marcy, Le dieu des aba-
dites et des Bargwata, Hes-
péris, t. 22, année 1936,
Fasc. 1.

الماوروي (أبو الحسن علي بن حبيب البصرى
التوفى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م)
الأحكام السلطانية ، طبعة القاهرة
١٢٢٧ هـ / ١٩٠٩ م .

مبارك بن محمد الميل ، تاريخ الجزائر في
القديم والحديث ، حرران ، الجزائر
١٣٥ هـ .

اسبابية يسرفة زوييرا ، (طبعة بيروت
بمعرفة عبد الله انيس الطباع) .

كاليا
R. Cagnat, Le frontière mili-
taire de la tripolitaine à l'épo-
que romaine, Paris, 1912.

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف
مكة والمدينة ومصر ومسلاد المغرب
والسودان - ق ٦ هـ (١٢ م) ، نشر
وتعليق سعد وعلول عيسد الحميد ،
مطبوعات جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ ،

كتاب السياسة في تدبير الرياسة ، في الأصول
اليونانية للطبقات السياسية في
الاسلام ، تحقيق عبد الرحمن بدرى ،
القاهرة ١٩٥٤ .

كتاب الميوز والحداق ، ج ٢ ، طبعة لندن ،
١٨٧١ م .

ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، تعليق
مختار السامى ، طبع مدريد ١٩٧١ .

كريسويل ، المسارة الاسلامية الشكرة ، طبعة
ميكان ، مالاطيرية .

الكندى (ابو عمر محمد بن يوسف الكندى ،
التوفى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) ، كتاب
الولاية والقضاء ، نشر روى جست

Rhuvan Guest ، طبعة بيروت .
١٩٠٨ ، مع مقدمة بالانجليزية ، طبعة
لندن ، ١٩١٢ .

(W.D. Cooley) ، ملاد السودان الغربية،
مالانجليزية ، لندن ١٩٦٦ .

لازنود

H. Larnaud, Algérie (Coll.
L'union française), Paris,
1950

La lutte entre arabes et Byzantins, Alexandrie, 1947.

- ليبيا ، الاسم ومدلولاته التاريخية .
مجلة كلية الآداب والتربية بالجامعة
الليبية بملاي ، المجلد الأول سنة
١٩٥٨ .

- تسيات اقلية من العصر العباسي
الأول ، مجلة كلية الآداب جامعة
الاسكندرية ، ١٩٤٤ .
- المرابطون : تاريخهم السياسي (٤٣٠ -
٥٢٩ م) ، طبع القاهرة طبعة أول
١٩٦٩ .

محمد علي ديول ، تاريخ الحرب الكبير ، ج ٢
المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ،
المتوفى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) .
مروج الذهب ومعادن الجواهر ، طبعة
التحارية ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .

مصطفى محمد سمحة ، الاسلام والموت في
المصور الوسطى ، طبع القاهرة ١٩٦٠ .

مصطفى عبد الله يعقوب ، الجدل في تاريخ ليبيا
من أقدم العصور الى العصر الحاضر ،
الاسكندرية ، ١٩٤٧ .

مصطفى كمال عبد العليم ، يهود الاسكندرية
في عصر المظلة والرومان ، كتاب مجمع
الاسكندرية عبر العصور ، طبع جامعة
الاسكندرية ١٩٧٥ .

مصعب الزبيدي ، كتاب نسب قريش ، تحقيق
برولنسال ، سلسلة ذخائر العرب ،
القاهرة ، ١٩٥٤ م .

القدس ، أحسن التقاسيم ، طبع برينز ١٩٠٦ .

القريزي (تقي الدين أحمد بن علي المتوفى سنة
٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) . المواعظ والاعتبار
في ذكر الخطط والآثار ، حزماني .
- تماط الحنما بأخبار الأئمة الخلفاء ،
متر وتتحقيق جمال السديني الشيباني ،
القاهرة ١٩٤٨ م .

محمد بن محمد الجاني ، سيرة العاجب جعفر
ابن علي وحروج المهدي صلوات الله عليه
وأله الطاهرين من سلفية ووصوله الى
سجلناسة وحروجه منها الى رقادة ، متر
إيغانوف ، مجلة كلية الآداب حلمنة
القاهرة ، المجلد الرابع ج ٢ ديسمبر
١٩٦٦ ، ص ١٠٧ - ١٣٢ .

محمد طاهري ، عن الإخالية في تاريخ تونس -
العصر الوسيط ، بالفرنسية ، باريس
١٩٦٦ .
- أنظر تراجم اعلمية .

محمد الطيب بن أحمد ادريس الأسيوطي ، برقة
العربية أمس واليوم ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

محمد عبد القم الثرقاوي ومحمد محمود
الصياد ، ملاحم المغرب العربي ،
اسكندرية ، سنة ١٩٥٩ .

محمد القادري ، متر الثاني (ترجمة فرنسية
بسرقة

Ed. Michaux-Bellaire, archives
Mars Caines, Paris, 1917,
Vol. 24.

محمد بن عثمان العشايشي (التونسي ، توفي
١٢٤٠ م) . حلاه الكرب عن طرابلس
المغرب ، نسخة بالألة الكتابية عن مكتبة
حسن حسني عبد الوهاب بتونس ، مكتبة
بلدية الاسكندرية ، رقم ٢٥٩١ ب .

محمد عبد الله عثمان ، دولة الاسلام في الأندلس
من الفتح الى نمساية مملكة غرناطة ،
القاهرة ، ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م .

- ابن خلدون (حياته وتراثه الفكري) ،
الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .

محمد عبد الهادي شعرة (ناشرناك) ،
تاريخ ليبيا والعالم الاسلامي ، طبعة
القاهرة ، ١٩٦٢ م .

- الصراع بين المغرب والبيزنطيين
بالفرنسية ، .

انواعى سوح اريفيصة ، طما نوس
١٣١٥ هـ (مخطوط المتحف البريطاني
القسم العربي ، رقم
Add. 9572

- كتاب قصة الهندسا ومانيا مرادحابي
الله عليهم أجمعين ، مصر ١٠٧٨ هـ
(ومخطوط مدرسة اللغات الشرقية بلندن
والمراتب وما وقع للمصاحبة فيها سران
فتح الهندسة وقيام - القسم المس -
٢٦٣٨٦) -
- فتوح مصر والاسكندرية . طبعة ليدن .
١٨٢٥ .

الورجلاني (ابو يعقوب بن ابراهيم) كتاب
الدليل لأهل الطول ، القاهرة ، طبع
حجر .

الوسياتي ، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام
من رجال القرن السادس الهجري/١٢ م
- كتاب السير ، مخطوط دار الكتب
المصرية ، رقم ح/٩١١٢ .

وهيا بن منبه ، كتاب النيجان من ملوك حبر ،
ط - حيدر اباد الدكن ، ١٣٤٧ هـ .

ياقوت ، (شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت
ابن عبد الله الحنوي الرومي السنداني
الكنوز سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م) ، معجم
البلدان ، طبع القاهرة ، ١٢٢٣ هـ/
١٩٠٦ م .

اليقوي (احمد بن ابي يعقوب بن نجعة بن
وهب بن واضح ، توفي سنة ٢٨٤ هـ/
٩٨٧) ، تاريخ اليعاقبة ، ٤ ج ، ليدن
١٨٨٣ م -
- كتاب البلدان ، ليدن ، ١٨٩٢ م .

ميشو
M.E. Michaux, Conférences
au Cours préparatoires de
services des affaires indigè-
nes, archives Marocaines,
Vol. 27.

نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم ،
ج ١ ، مصر طبعة ١٩٦٣ م .

نص جديد عند فتح العرب للبحر - انظر
بروفنسال .

اللقاني النعمان ، انظر ابن حيون .

طالويوي (شهاب الدين احمد الكوفي سنة
٧٣٣ هـ/١٣٣٣ م) ، نهاية الأدب في
نون الأدب ، الجزء الخاص بتاريخ العرب
والاندلس ، مخطوط مصر ، مكتبة كلية
الاداب بجامعة الاسكندرية رقم ٢٢ م .

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام
ابن أيوب الحميري - تونس سنة ٢١٨ هـ
/٨٢٤ م) ، السيرة النبوية ، ٤ اجزاء ،
تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الايبازي،
عبد الفيظ شلمس ، مصر ، ١٣٥٥ هـ/
١٩٣٦ م .

حويلا
P. Hulac, Tunisie (Coll. L'u-
nion française, Paris, 1918).

هرودوت
Herodotus, The histories (the-
penguin classics), 1935 (Book
3)

الفهرست أسماء الأشخاص والقبائل والجماعات

- (١)
- ابراهيم بن سليمان التميمي : ٣٦ .
ابراهيم بن محمد الشيباني : ٥٩٤ .
ابراهيم بن محمد اليماني (الهواري) : ٥٩٥ .
ابراهيم بن عيسى بن عياش : ٥٦٠ . ٥٦١ .
ابراهيم بن مسكين : ٢٧٦ .
ابراهيم بن الهادي : ٤٢ . ٥٤ .
ابن الأبار : ٥٩ . ٦٠ .
ابن أبي أحمد : ١٢٨ .
ابن أبي حجر : ١٧٧ .
ابن أبي الحواري : ١٠٨ . ١١٠ .
ابن أبي فديح : ٤٢٤ . ٤٢٥ . ٤٢٦ . ٤٢٧ .
٤٤٧ - ٤٥٠ . ٤٥١ . ٤٥٢ . ٤٥٣ . ٤٥٤ .
٤٧٨ . ٤٧٩ .
ابن أبي الوليد : ١٧٨ .
ابن أبي اليمانية : ٤٩٢ .
ابن الأسمت : ٢٩٧ .
ابن الأثير : ٢٩ . ٣١ . ٣٢ . ٤٤ . ٦١ .
٧٦ . ٧٨ . ١٠٠ . ١٠٠ . ١١٤ .
١١٥ . ١٢٢ . ١٢٩ . ١٥٠ . ١٥١ .
١٦٤ . ١٧٨ . ١٨٠ . ١٩٠ . ١٩٢ .
١٩٥ . ١٩٦ . ٢١٣ . ٢٢٢ . ٢٢٣ .
٢٢٥ . ٢٢٦ . ٢٢٧ . ٢٤٠ . ٢٤٦ .
٢٤٩ . ٢٥٤ . ٢٥٥ . ٢٥٧ . ٢٦٢ .
٢٦٤ - ٢٦٧ . ٢٧٢ . ٢٧٩ . ٢٨٤ .
٢٨٥ . ٢٨٥ . ٢٩٢ . ٢٩٤ . ٣٥٦ . ٣٥٧ .
٣٥٥ . ٣٥٦ . ٣٥٧ . ٣٥٨ .
ابن جبير : ٢٠٥ .
- الأبالية : ٢٦ . ٤٠ . ١٢٤ - ١٢٦ . ١٢٤ .
١٤٢ . ٢٩٠ . ٢٩٥ . ٢٩٦ . ٢٩٨ .
٣٠٠ . ٣٠٢ - ٣٠٧ . ٣١٠ . ٣١٢ .
٣١٨ . ٣٢٤ . ٣٢٦ . ٣٢٦ . ٣٣١ .
٣٣٥ . ٣٣٦ . ٣٣٨ . ٣٣٦ . ٣٤٢ .
٣٤٧ . ٣٤٨ . ٣٥٥ . ٣٦٢ . ٣٦٤ .
٣٦٩ . ٣٧٠ . ٣٧٢ . ٣٧٢ . ٣٧٨ .
٣٧٩ . ٣٨٠ . ٣٨١ . ٣٨٧ . ٣٨٩ .
٣٩٦ - ٣٩٦ . ٣٩٨ . ٤٠٠ . ٤٠١ .
٤٠٢ . ٤٠٥ . ٤٠٦ . ٤٠٦ . ٤١٢ .
٤١٩ . ٤٢٠ . ٤٢١ . ٤٢٣ . ٤٢٥ .
٤٢٨ . ٤٢٨ . ٤٢٩ . ٤٣٥ .
ابراهيم بن أبي الأظلم : ١٦٤ . ١٧٨ .
١٧٩ . ١٧٣ . ١٨٤ . ٥٦٦ . ٥٧٢ .
٥٧٤ . ٥٧٧ .
ابراهيم بن أحمد بن أبي عقال : ١٧٤ .
ابراهيم بن الأظلم بن سالم بن خفاجة التميمي :
٢٧ - ٢٧ . ٢٧ . ٢٧ . ٢٧ . ٢٧ .
٢٧ . ٢٧ . ٢٧ . ٢٧ . ٢٧ .
ابراهيم الثاني بن أحمد بن محمد بن الأظلم
ابن ابراهيم بن الأظلم : ٢٢ . ٢٧٢ .
٢٨٦ . ٢٩٥ . ٥١٧ . ٥٣١ .
ابراهيم بن جرير بن يعقوب : ٥٦١ .
ابراهيم بن البروج : ٥٧٢ .
ابراهيم بن حبيش : ١٦٨ . ١٦٩ . ١٧٣ .
١٧٤ . ١٧٦ . ١٧٦ . ١٧٦ . ١٧٦ .

- ابن حنيس (البواس) : ١٧١ .
ابن حماد : ٥٥٩ ، ٥٩٤ .
ابن حوقل : ٢٤ ، ٢٩٣ .
ابن الخطيب (لسان الدين) : ١٠٧ .
ابن خلدون : ٦١ ، ٧٦ ، ١١٥ ، ٢١٢ ، ٢٣٦ ،
٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣١٤ ،
٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣٨ ،
٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٦٨ ، ٤٧٢ ، ٤٧٨ ،
٤٧٩ ، ٤٨٥ ، ٥٢٧ ، ٥٣١ ، ٥٤٣ ،
٥٤٤ .
ابن ركان : ٥٦٨ .
ابن الصغير : ٣٤٠ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ،
٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٨ ،
٣٣١ ، ٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ،
٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ،
٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،
٣٩٤ ، ٣٩٩ .
ابن عباد : ٣٣٠ .
ابن عباس : ١٧٧ .
ابن عبدون القاسم : ١٥٧ .
ابن عماري : ٣١ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٦٠ ،
٦٣ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
١١٤ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،
١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ،
١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ،
١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧١ ،
١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ،
٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ،
٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ،
٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ،
٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣١٠ ،
٣١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ،
٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ،
٣١٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٦ ،
٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ .
- ابن غانم (عبد الله بن عبد الرحمن) : ٦٦ ،
٤٨٤ .
ابن قادم : ٢٢٢ .
ابن القاسم المصري : ٦٧ .
ابن القاسم (من اصحاب مالك) : ٨٧ .
ابن القطان : ٧٦ .
ابن قزح : ١٧٧ .
ابن الكياد : ١٦٢ .
ابن مسعود يصلتن : ٢١ ، ٥٢٤ .
ابن مسعود الاندلسي : ٢٦٥ .
ابن مسالة الهواري الاباضي : ٥٠١ ، ٥٠٤ .
ابن الواسطي : ٣٦٢ .
ابن وردة : ٣٢ ، ٣٦٢ .
ابن وهب : ٨٧ .
ابن الهمزاني : ٥٧٥ .
ابن يزيد : ١٧٨ .
ابو ابراهيم احمد بن محمد بن الاغلب :
٦٩ - ١٠٤ ، ٢٥٤ .
ابو احمد الشافعي : ٥١٨ .
ابو الاحوص الكلوي : ١٤٤ ، ١٤٦ ، ٥١٧ .
ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن محمد بن
الاعراب بن ابراهيم بن الاغلب : ١١٣ -
١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٤ ،
١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٧٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ،
٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،
٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٣ ،
٤٩٥ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٩ ، ٥٦٢ ،
٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٧٨ .
ابو الاغلب بن ابراهيم بن احمد : ١٠٤ -
ابو الاغلب ابراهيم بن عبد الله : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
٢٤٦ .

- أبو حنيفة النعمان : ٨٦ .
- أبو خالد بن يزيد الياس العمري : ٤٤٠ -
- أبو الخطاب الأبلخي : ٦١٠ ، ٦١٥ ، ٦٩١ .
- ٢٠١ ، ٣٣٤ ، ٤١٠ ، ٤١١ .
- أبو الخطاب وسيم : ٣٦٤ ، ٣٦٦ .
- أبو خليفة محمد بن اسماعيل : ١٠٦ .
- أبو الربيع الوسياني : ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ .
- أبو الربيع سليمان بن عمران بن أبي حاتم
(خروجه) : ١٠١ ، ١٠٨ .
- أبو زكريا : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ .
- ٢٣٤ - ٢٣٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٤ .
- ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩ - ٢٥٢ ، ٢٦٨ .
- ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .
- ٢٦٠ - ٢٦٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ ، ٤٢٠ .
- ٥٦٥ ، ٥٦٦ .
- أبو زكريا الكندي : ٢٢٠ .
- أبو سليمان : ٥٢٥ ، ٥٤٧ .
- أبو سليمان محبوب ابن الرحيل : ٢٢٥ .
- أبو سلامة البوراسني : ٢٨٥ .
- أبو سليمان بن يعقوب بن الفتح : ٢١٨
• ٤٠٠ - ٤٠٢ .
- أبو العباس المعروف بالشمسوم : ٥٨٢ .
- ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٤ .
- أبو العباس بن عبد الله بن يعقوب : ٢٦٢ .
- أبو العباس بن علي : ٢٧٢ .
- أبو العباس بن قتيون : ٢٨١ .
- أبو العباس عبد الله بن يعقوب : ٢٦٢ .
- أبو العباس بن علي : ٢٧٢ .
- أبو الأقطب العباس بن الفضل : ٢٤٢ .
- أبو بكر بن الحاج : ٣٥٥ - ٣٦٤ .
- أبو بكر الصديق : ١٦٥ ، ٢٠١ ، ٢٨٢ .
- ٥٣٢ .
- أبو بكر التليسوني (ابن القوي) : ٥٨٤ .
- أبو بكر يوسف الخنوس : ٣٦٢ .
- أبو مالك مرفاس : ٣٠٤ .
- أبو نعمان نعل بن نوح : ٥٥٤ .
- أبو نور : ٢٦٩ .
- أبو جعفر أحمد بن الأقطب : ٧٩ - ٨٢ .
- أبو جعفر القزويني : ٥٨٢ .
- أبو جعفر الكوسري : ٥٢٦ .
- أبو حاتم : ٢٦٥ .
- أبو حاتم يوسف بن أبو اليقطين : ٢٧١ -
- ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ .
- ٤٠٤ ، ٤٠٥ .
- أبو الحسن أيوب : ٣٢٤ ، ٣٢٥ .
- أبو الحسن بن حاتم : ١٧١ .
- أبو الحسن عبد الله بن مسعود الكوسري
الاصمعي : ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٥١٨ .
- أبو الحسن زرقه : ٣٧٥ .
- أبو طاهر أحمد بن حنيفة : ١٢٢ .
- أبو طاهر عمر البلخاري : ٢٢٩ .
- أبو حمزة الثماللي : ٣٠٤ .
- أبو حمزة أحمد بن علي بن حميد : ٧٩ ، ٨٠ .
- أبو حمزة رواس بن حوالة الكهليسي : ٥٦٥ .
- أبو حنيفة : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٢٩٣ .

- أبو العباس بن تمون : ٢٨١
- أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن
محمد بن الأغلبي بن إبراهيم بن الأغلبي :
٢٨ - ٤٢ ، ١٢٧ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ،
١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
١٥٥ - ١٥٩ ، ٢١١ ، ٢٢٨ ، ٢٤٩ ،
٢٧٦ - ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٥٢٦ ، ٥٦٠
- أبو العباس محمد بن عبد الله بن محمد بن
عبد الله بن الأغلبي بن سالم : ١٦٦ ،
٢٤٢
- أبو العباس محمد بن الأغلبي بن إبراهيم بن
الأغلبي : ٧٧ ، ٧٨
- أبو عبد الله أحمد بن محمد الكاتب : ١٢١
- أبو عبد الله بن أبي اسحق : ١٢٨ ، ١٢٩
- أبو عبد الله الشيبلي : ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٤٦ ،
١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦١ - ١٨٢ ، ٢٨٥ ،
٢٨٦ ، ٢٩٤ - ٣٦٨ ، ٤١٧ ، ٤٢٥ ،
٥٣١ ، ٥٣٥ - ٥٤٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧٢ -
٥٧٧ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦ ،
٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٨
- أبو عبد الله محمد بن أبي حسان الجعفي :
٧٨ ، ٨٦
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ :
٣٦٧ ، ٣٦٨
- أبو عبد الله محمد بن علي بن حميد : ٧٩ ،
٨٠
- أبو عبد الله يحيى بن سليمان : ٥٦٦
- أبو عبيد مسلم بن أبي كريمة التميمي :
٢٩٠ ، ٥٢٢
- أبو عبيدة بن الجراح : ٢٨١
- أبو عبيدة الأعرج : ٣٦٩
- أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي : ٣٣٦ ،
٣٣٧ ، ٣٤٢ - ٣٤٧ ، ٣٨٤
- أبو العرب : ٢٠
- أبو الفراء بن أبي سلمة : ٦٢ - ٦٤
- أبو عقاب الأغلبي بن محمد بن أحمد : ٢٤٠ ،
٢٤١ ، ٣٦٨
- أبو عقاب بن أبو الفرائق : ١١٣ ، ١١٦ ،
أبو عمرو : ٣٣٠
- أبو الفرائق (أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن محمد بن الأغلبي) : ١٤٠ - ١١٢ ،
٢٦١ - ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٤٨٧
- أبو فهر محمد بن الأغلبي بن إبراهيم بن
الأغلبي : ٤٣ ، ٦٢
- أبو فهر محمد بن عبد الله التميمي : ٢٣٢ ،
٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦
- أبو القاسم البقظوري : ٢٩٢
- أبو القاسم رستم (ابن حوشب) : ٥٤٦ ،
٥٤٧
- أبو القاسم سحنون بن واسموس : ٤٠٩ ،
٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢
- أبو القاسم نزار : ٥٨٧
- أبو مالك أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم
ابن الأغلبي : ٢٦١ ، ٢٧٢ - ٢٧٦
- أبو محرز (محمد بن عبد الله بن قيس
الكتاني) : ٤٤ ، ٥١ ، ٦٦ - ٧٢ ،
٨٦ ، ٢١٢
- أبو محمد زياده الله بن محمد بن الأغلبي :
١٠٤
- أبو مدين بن أبي كنانة : ٥٧١
- أبو مدين بن فروخ : ٥٧٧
- أبو مسلم منصور بن اسماعيل : ١٦٠ ، ١٦٢ ،
١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩
- أبو الصاحب بن زياره : ١٨٤

- احمد بن ديبوس : ٣٧٨
- احمد بن طولون : ١٢٠ ، ١٢٢ ، ٢٦٥
- احمد بن سليمان بن سوانه النخعي : ٨١ - ٨٢
- احمد بن سليمان السكتاني : ٥٧١
- احمد بن فروخ الكشي : ٥٨٢
- احمد بن الرهب : ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥
- احمد بن محمد بن حمزة العرون : ١٢٢
- احمد بن محمد الحضرمي : ١١٠
- احمد بن محمد بن سيرين : ٥٩٤
- احمد بن مسعود للشهور بالطال : ٦٣ ، ١٦٧ ، ١٧٠
- احمد بن منصور : ٢٨١ ، ٢٨٢
- احمد بن ناله : ٢٨
- احمد بن نصر الهواري البربري : ٥٣٦
- احمد بن يعقوب : ٢٥٥/٢٥٤
- ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٥١ ، ٤٦٠ ، ٤٦١
- الأندلس : ١٦٥ ، ٢٨٩ ، ٢١٤ ، ٢١٧
- ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٨
- ٤٧٩ ، ٨٢ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣
- ٥٠٢ ، ٥٠٦ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣
- ٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٤
- ٥٣٥
- ادريس بن ادريس : ٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٩
- ٤٤١ - ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧
- ٤٧٣ ، ٥٠٥ ، ٥١١ ، ٥١٨
- ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب : ٤٢٢ - ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠
- ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٥١
- ٤٥٢ ، ٥١٢ ، ٥٨٨
- ادريس بن محمد بن جعفر : ٥٣٥

- ابو مضر زيادة الله بن ابي العباس عبد الله ابن ابراهيم بن احمد بن محمد ابن الأتلب بن ابراهيم بن الأتلب : (أكثر زيادة الله الثالث) : ١٥٨ - ١٨٢ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤
- ابو القارح الحسن بن احمد بن ناله : ١٧١ ، ١٧٢
- ابو مكيول : ٥٧٦ ، ٥٧٧
- ابو منصور احمد بن ابراهيم : ١٤٠
- ابو منصور الياس بن منصور النفوس : ١٢٤ ، ٢٨٣ - ٢٨٧ ، ٢٩١
- ابو النبي اسماعيل بن ديار الفهاسي : ٣٢٤ ، ٣٤٥
- ابو الوقي سعدوس بن عطية : ٣١٢
- ابو نصر القتي : ٨١
- ابو اليسر الكاتب : ٥٩٤
- ابو يعقوب اسحق بن سليمان الاسرائيل (الخطيب) : ١٧١
- ابو يعقوب لثالي : ٣٧٨
- ابو اليقظان محمد بن الفتح : ٣٥٤ - ٣٦٠ ، ٣٦٢ - ٣٧٢ ، ٣٨٨ ، ٥٠٠
- ابو يوسف بن مكنون بن شباره : ٥٥٢ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠
- ابو يونس وسيم بن يونس النفوس : ٣٥٠
- دهانة (قبيلة) : ٥٥٢
- احمد بن الأتلب بن ابراهيم بن الأتلب : ٧٨ ، ٨٦ ، ٢٤٤
- احمد بن ابي الحسن بن رباح : ٢٨٥ ، ٢٨٦
- احمد بن ابي معمر : ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١
- احمد بن ادريس بن ادريس : ٥٩

- الادريسي : ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٢٠ .
 ادرعان : ٢٦٧ .
 اسحاق بن ابي سلاسي : ٥٧٩ .
 اسحق بن عمران القطيب : ١٢١ .
 اسحق بن محمد بن عبد الحميد الأوزي :
 ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٤٤ .
 اسحق بن نعمان : ٥١٦ .
 اسد بن الفران : ٢٧ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ٥٨ ،
 ٦٧ - ٦٩ ، ٨٨ ، ٨٦٦ ، ٩٤ ، ٩٧ ،
 ١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
 ٢٥٢ ، ٥١٧ .
 اسد بنت اسد بن الفران : ٩٤ .
 اسماعيل بن جعفر الصادق : ٥٣٩ .
 اسماعيل بن سفيان بن سالم : ٤٨ .
 اسماعيل بن الصمصامة : ٦١ .
 الاسماعيلية : ٥٣٢ ، ٥٣٦ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ،
 ٥٤٦ .
 الاسلام : ٣٦ ، ٦٨ ، ٢٩٩ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ،
 ٣٧٨ ، ٤٠٦ ، ٤٢٢ ، ٤٣٤ ، ٤٤٢ ،
 ٤٤٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٨٠ .
 انبان (ملك) : ١٩٧ .
 اشهب : ٨٧ .
 الاصطخري : ٢٠٤ .
 اصبح بن وكيل الهواري (فرغانوش) : ٢٢١ ،
 ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
 اميلا (مدينة) : ٤٥٩ ، ٤٦٠ .
 الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب (ابي طلال) :
 ٤٣ ، ٧٥ ، ٧٧ .
 الاغلب بن عبد الله بن الاغلب : ٧٦ .
 الاغلب بن محمد الاغلب (خرج الرعوت) :
 ٣٦٨ .
 الاغلبية : ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٧٣ ، ٨٥ ،
 ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ،
 ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٠ - ١٦٥ ، ١٦٩ ،
 ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ،
 ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ،
 ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ،
 ٢٨٦ ، ٢٨٧ - ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ،
 ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
 ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ،
 ٣٦٦ ، ٣٦٧ - ٣٧٣ ، ٣٧٧ ،
 ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ .
 الخلع بن العباس : ٢٧٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٤ .
 الخلع بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن : ٨٥ ،
 ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ - ٣٤٤ ،
 ٣٤٧ - ٣٥٧ ، ٣٨٤ ، ٤٩٩ ، ٥٢٦ .
 الخريص (ملك) : ١٩٧ .
 الياس بن صالح بن خريف : ٤٣٦ .
 البيت (البيد) : ١٩٦ .
 اليسع بن ابي القاسم : ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ،
 ٤١٤ ، ٤١٥ .
 اليسع بن عمار : ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٦ .
 الامويون : ٨٥ ، ١٠٩ ، ٣٢٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
 ٤٢٦ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٥٠٧ ، ٥٢٤ ،
 ٥٤٢ .
 الامين (الغنمية) : ٤٠ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ٢٢٨ ،
 ٤٢٩ .
 انجلود (تانور) : ٢٧٢ .
 الانلسيون : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ - ٢٣٢ ،
 ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ،
 اوراس : ١٣٥ ، ٥٠١ .

- جمل بن عميد : ٤٩
- جمل بن يحيى اليرمكي : ٢٩ ، ٣٠
- جلاجل (والسنة زيادة الله بن ابراهيم بن الألب) : ٦٣
- جوثيه : ٢٩٢ ، ٢٢٨ ، ٤٤٤
- جورج مارسيه : ٧٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦
- ٥١٩ ، ٥٣٦
- جيوشينانو بارتيسياريو (دوق البندير) : ١٢٣

(ح)

- حباب بن عمرو بن معاوية : ٤٥ ، ٤٦
- ٤٨
- حبيب بن أبي عبيد بن غلبة بن فالح : ١٤٩
- حبيب بن ليث : ٥٧٢
- حسان بن التيمان : ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠٢
- حسن بن أبي خنزير : ٥٨٠
- الحسن بن أبي العيش : ١٦٥
- ١١٠
- حسن بن احمد : ٥٦٠
- الحسن بن احمد بن علي بن كليب : ٥٨٢
- الحسن بن احمد بن أبي عمرو : ٢٨٦
- الحسن بن حاتم : ١٦٥
- الحسن بن سليمان : ١٢٦
- الحسن بن حرب الكنسي : ٣٤ ، ٣٥
- الحسن بن عباس : ٢٦٩ ، ٢٧٠
- الحسن بن علي بن أبي طالب : ٥٣٥ ، ٥٣٦
- حطس بن عمر : ٥١٧

- بنو يوسف : ٣٦
- بهرام : ٢٨٩
- البهلوي بن راشد التميمي : ٦٧ ، ٨٦
- ٥١٥
- بهلول بن عبد الواحد : ٣٦
- البهلوي بن عمر بن صالح اللقيبي : ٧٨ ، ٨٦
- البيزنطيون : ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤
- ٢٢٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧
- ٢٧٢

(ت)

- التلسا (تلمزة) : ٤٢٢ ، ٤٨ ، ٤٦٠
- ٤٧٢ ، ٥١٩
- تميم البقرني : ٤٣٢
- التميميون : ٢١٧
- تورط (البطريق) : ٢٢٦ ، ٢٢٢

(ث)

- ثابت بن خيشم الأردني : ١٩٣
- ثعلبة بن معارب أبو عبد الله : ٤٧٦

(ج)

- جابر ابن زيد : ٣٤٩
- جالينوس : ٢٠٩
- جيريل (عليه السلام) : ٦٨
- الجرمان : ٢٥٨
- جملر الحاجب : ٥٩٢
- جملر الصادق : ٣٥ ، ٥٢٦
- جملر بن محمد : ٢٦٧ ، ٢٦٨

(خ)

خريش بن عبد الرحمن بن خريش الكندي :
٢٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٨٥ -

خلاجة بن سفيان بن سودة : ٨١ ، ٨٣ ،
٨٤ ، ٨٥ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ،
٢٦٩ ، ٢٧٠ -

خلاجة العيسى : ١٧٦ ، ١٧٢ ، ٥٧٩ -

خلف بن أحمد بن علي بن كليب : ٥٨٢ -

خلف الخادم : ٣٦٠ ، ٣٦١ -

خلف بن السمح : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،
٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٨٤ -

خلفون البريري : ٣٦٤ -

خلفون بن مهدي : ٥٧٢ -

الخلفية : ٣٥٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ -

خليفة بن خياط : ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
١٩٣ -

الخوارج : ٤٠ ، ٧٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠١ ،
٣٠٥ ، ٣٤٥ ، ٣٨١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ -

٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٥٥ ،

٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٩٢ ،

٥٠١ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٣ ،

٥٢٨ -

الخوارج الاباضية : ١٩١ -

الخوارج الصخرية : ١٩١ ، ٥١٩ -

خوارج مديونة : ٤٧٥ -

(ح)

داود بن اندريس بن اندريس : ٤٥٨ ، ٥٠٣ -

داود بن حياصة : ٥٦٣ -

٥٨٢ -

الحسينون : ١٦٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،
الحسن بن خالد : ١٣٢ ، ١٣٨ -

٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ - ٤٧٨ ،
٤٩٤ -

الحسن بن هرون القشيري : ٥٥١ - ٥٥٥ -

الحسين بن احمد : ٢٧١ -

الحسين بن رباح : ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٦٨ ،
٣٦٩ -

الحسين بن علي بن أبي طالب : ٥٣٥ ، ٥٨٣ -

الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب : ٤٢٣ -

الحكم بن هشام : ٢٢٨ ، ٤١٤ ، ٤٥٢ ،
٤٩٢ -

حلي بن حميد : ٤٢ -

الحلوات : ٥٣٥ ، ٥٤٧ -

حماد السعدي : ٣٠ -

حماس بن مروان : ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٥ -

حمو بن المؤلوة : ٣٩٩ -

حمود بن بكر : ٣٧٠ -

حمون القتبلي : ٥٨ ، ٥٩ -

حميس بن عامر بن نافع : ٥٨ -

حياة (مولى أبي طالب الأنجليي) : ٢٤١ -

الحنالية : ٧٩ ، ٦٨ ، ٢٨٠ -

حي بن مالك البجلي : ١٠٦ -

حيمة : ٥٧٤ -

الروم ٦٨ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
 - ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١
 - ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤
 - ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧
 - ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧
 ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ،
 - ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨

الرومان : ٧٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨

(ز)

زكار : ٢٧٩
 زكريا بن محمد بن الحكم الكوفي : ٦٧
 ، ٦٨
 زكوية : ٢٨٧

زنانة : ٣٦ ، ٥٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٦ ، ٢٥٤ ،
 ، ٣١٢ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٧٨ ، ٤٩٢ ،
 ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ،
 ، ٥٧٦

زهير بن قيس البجلي : ١٧٩

زهير بن هوش : ٢٢٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

زواجة : ٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ،
 ، ٤٣٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٥٠٠

زواوة : ٤٢٠

زيادة بن سهل (ابن الصافية) : ٤٤

زيادة المتوسي : ٥٥٤

زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب : ٤٠ ، ٥٤ ،
 ٦٠ - ٧٦ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٩٦ ،
 ، ١٩٧ ، ٢١٠ - ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،
 ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
 ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٥٠٧

زيادة الله الثاني بن الاغلب : ٤٨٧ ، ٤٩٨ ،
 ، ٥٣١ ، ٥٣٢

داود بن حمزة الوادعي : ٨١

داود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر
 ابن ابي طالب : ٤٤١ ، ٤٥٥ ،
 الديرجيني : ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٤ ،
 ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٥٢ ، ٣٩٢ ، ٤٠٥ ،
 ، ٤٢٤

(ح)

واشد (قائد الجند السوفان) : ١٢٣

واشد (مول ادريس) : ٤٢٥ ، ٤٢٦ ،
 ، ٤٢٨ ، ٤٢٨ - ٤٤٠ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢

براج بن يعقوب : ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٦٢ ،
 ، ٢٦٦

الربيع بن حبيب : ٢٢٣ ، ٢٣٠

ربيع بن سليمان : ٤٧٧

رستم : ٢٨٩

الرستميون : ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٤١ ،
 ، ٢٨٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٥٩ ، ٣٦٢ ،
 ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ،
 ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ،
 ، ٤٠٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ،
 ، ٤٩٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ،
 ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٨

الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ٣٠١ ،
 ، ٣٠٦

الرفيق : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٩ ،
 ، ٥١ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 ، ١٢٣ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ٢١٣

رقية بنت اسماعيل بن عمر مصعب الازدي :
 ، ٤٦٢

روح بن حاتم : ٦٦

- سهل بن حاجب : ٣٠ ، ٣١ .
- سوانه بن محمد بن خلفه : ٢٧١ ، ٢٧٢ .
- ٢٤٧ .
- سوانة النصراني : ١٢١ .

(ش)

- شارل الأصاح : ٤٩٢ .
- شالان : ٢٨ .
- شجرة بن عيسى : ٤٧ ، ٤٨ .
- الشرق : ١١٨ .
- شكر بن صالح الكتامي : ٢١٢ .
- الشماسي : ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣١١ ، ٣١٤ .
- ٣٤٦ ، ٤٠٥ .
- شيب بن أبي الصارم : ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٧٦ .
- شيب بن أبي شهاب القمودي : ١٧٦ ، ١٧٢ .
- ٥٦٤ ، ٥٦٥ .
- شيب بن المصري : ٣٢٠ .
- شعيب ابن العروف : ٣١٩ .
- الشيعة : ٣٠٩ ، ٣٩٥ ، ٤٢٢ ، ٤٣٢ ، ٤٧٢ .
- ٤٩٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٣ ، ٥٢٨ ، ٥٣٩ .
- ٥٥٠ ، ٥٨١ ، ٥٩٥ .

(ص)

- صاحب الاستبصار : ٤١٠ ، ٤١٣ .
- صالح بن جنون : ٣٩٨ ، ٣٩٩ .
- صالح بن سعيد النخزي : ٥٠٥ .
- صالح بن خريف : ٤٢٢ .
- صريته : ٤٦٩ .
- صقلورة : ١٣٦ ، ١٣٧ .
- الصلرية : ١٦٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٩ ، ٣٧٥ .
- ٣٩٥ ، ٤١ ، ٤٢٢ ، ٤٣٦ ، ٤٧٤ .

- زيادة الله الثالث بن الأقرع : ٥٦٢ ، ٥٦٣ .
- ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ .
- ٥٧٤ ، ٥٧٧ ، ٥٧٩ - ٥٨١ ، ٥٨٧ .
- ٥٩٠ ، ٥٩١ - ٥٩٣ ، ٥٩٨ .

- زيادة الله الطنجي : ١٧٤ ، ٥٦٧ .
- زيد بن علي زيد العابدين بن الحسين : ٥٢٦ .
- زيد لواصل بن عطاء : ٣٢٤ .

(س)

- سالم بن سوانة : ٤٤ .
- سالم بن مخلون : ٨٢ .
- ٤٨ .
- سحمان بن عمرو بن معاوية : ٤٥ ، ٤٦ .
- ٦٠ - ٦١ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١١ .
- سحنون بن سعيد : ٧٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ .
- ٢١٤ ، ٢١٨ .
- سدراة : ٣١٦ ، ٤٣٠ ، ٥١٠ .
- سعدون الحلوي : ٢٨٢ .
- سعد بن أبي يونس : ٣٥٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ .
- سعد بن وسيم : ٣٥١ ، ٣٥٢ .
- سفيان بن سوانة : ٥٥ ، ٥٦ .
- سفيان بن القلاء : ٣٦ ، ٤٠ .
- سلامة بن سعيد : ٢٨٩ ، ٢٩٠ .
- سليمان بن جريد الشماخ : ٤٣٦ .
- سليمان بن عالية الطرطوشي : ٢٣٦ .
- سليمان بن عثمان بن أبي عبيدة : ١٩٤ .
- سليمان بن عمران الحنفي : ١١٠ ، ١١١ .
- سليمان بن راشد : ١٩٦ .
- السنة : ٣٠٦ ، ٣٠٢ ، ٥٨٣ .

- العباس بن أيوب بن العباس : ٢٤٧
- العباس بن الفضل بن يعقوب : ٢٤٧ ، ٢٤٦
- ٢٥٠ - ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠
- عباس بن الوليد اللقيط الصالحي : ٦٢
- عبد الرزاق الوشقي الأندلسي : ٤٧٢ ، ٤٧٣
- ٤٧٦ ، ٤٦٢
- عبد الرحمن بن أبي سلمة : ٦٢ ، ٦٤
- عبد الرحمن بن أبي سهل : ٤٧٠ - ٤٧٢
- عبد الرحمن الأوسط بن هشام : ٣٨٥ ، ٣٨٩
- عبد الرحمن بن حبيب : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٦٦
- عبد الرحمن بن رستم : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
- ٢٩٥ - ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٢ ، ٣٢٩
- ٣٧٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٩٦ ، ٥٠١
- ٥٢٥
- عبد الرحمن بن زياد بن أنعم : ١٩٤ ، ٥٢٣
- ٥٢٥ ، ٥٤٦
- عبد الرحمن بن معاوية (اللخمي) : ٤٢٥
- ٥٢٧
- عبد الرحمن بن صواب القنوس : ٣٧٩
- عبد الرحمن التمار : ٢٢٦ ، ٤٩٩ ، ٥١٩
- عبد الرحيم بن عبد ربه الرمي : ٢١٤
- عبد السلام بن عبد الوهاب : ٢٢٧ ، ٢٢٨
- عبد السلام بن لفرج : ٥٢ ، ٥٧ ، ٥٩
- ٦١ ، ٦٢
- عبد الله بن إبراهيم (الأحول أو أبي حوالة) : ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٤
- عبد الله بن إبراهيم بن الأقطب : ٥٦ ، ١٢٨
- ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٨٩ ، ٤٧٩ ، ٥١٧
- عبد الله بن أبي حسان البصري : ٦٨
- عبد الله بن الأقطب بن إبراهيم بن الأقطب : ٥٠

- ٤٦٢ ، ٥٠٢ ، ٥٢٢ ، ٥٩٥
- العسقلانية : ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٥٨ ، ١٨٢ ، ١٨٤
- ٢١٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٥٢٢
- مستهجة : ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٤٢٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٩
- ٤٦٠ ، ٤٧١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥
- صولات بن القاسم الكتاني : ٥٧٢

(ط)

- طارق بن زياد : ٢٢٢ ، ٤٢١
- طارق بن مخلد : ٤٢١
- الطرابلسيون : ٣٦
- طليب بن كامل : ٨٧
- الطولونيون : ١٢٠

(ع)

- عائكة بنت علي بن عمر بن اندوس : ٤٧٠
- ٤٧١
- عامر بن محمد بن سعيد : ٤٤٢
- عامر بن الحمير : ٣٦ ، ٢٨
- عامر بن نافع : ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٦١
- ٦٢
- العامري : ١٢٧
- العباس (عم النبي صلى الله عليه وسلم) : ٥٢٧
- العباسيون : ٣٥ ، ١٠٩ ، ٢٤٤ ، ٣٠١
- ٣٠٢ ، ٢٨٨ ، ٤٢٢ ، ٤٣٦ ، ٤٧٧
- ٤٨٥ ، ٥٠٧ ، ٥١١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٦
- ٥٨٦
- العباس بن أحمد بن طولون : ١٢٠ - ١٢٦
- ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ٤٨٩

عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : ٤٠ .
٢٩٦ . ٢٠٦ . ٢١٢ . ٢١٢ . ٢٥ .
٢١٧ - ٢٢٨ . ٢٨٩ . ٢٨٩ . ٥١٠ .
٥٢١ . ٥٢٢ . ٥٢٥ . ٥٢٦ .

عبد الله بن الحبيب : ١٠٢ . ١٩٢ . ١٩٢ .
١٩٥ .

عبد الله الهدي : ١١٨ . ١٦٨ . ٢٦٥ . ٢٦٨ .
٤١٧ . ٤٢٥ . ٤٢٨ . ٤٧٩ . ٤٧٩ .
٤٩١ . ٥٢٩ . ٥٤١ . ٥٤٥ . ٥٨١ .
٥٨٢ . ٥٨٥ . ٥٨٦ . ٥٨٧ . ٥٩٠ .
٥٩٢ . ٥٩٦ . ٥٩٨ .

عبيدة بن عبد الرحمن : ١٩٢ . ١٩٢ .

العجم : ٢٦٠ - ٢٦٢ . ٢٧٥ . ٢٧٦ .

عثمان بن أبي عبيدة : ١٩٢ . ١٩٢ . ١٩٤ .

عثمان بن أحمد بن يحيى : ٢٨٢ .

عثمان بن الصفار : ٢٨١ .

عثمان بن طاهر : ٢٢٢ . ٢٨٩ . ٢٢٢ . ٢٢٢ . ٥٢٢ .
٥٢٣ .

عثمان بن قريش : ٢٢٢ . ٢٢٢ .

العرب : ٣٥ . ٣٦ . ٥٥ . ١٨٩ . ١٩٠ .

١٩٢ . ١٩٤ . ١٩٦ . ٢٠٤ . ٢٠٦ .

٢٠٨ . ٢١٠ . ٢١٧ . ٢١٨ . ٢٢٠ .

٢٢١ . ٢٢٢ . ٢٢٥ - ٢٢٧ . ٢٢٧ .

٢٢٦ . ٢٢٨ . ٢٤٠ - ٢٤٢ . ٢٥٠ .

٢٥٢ . ٢٥٦ . ٢٥٧ . ٢٥٩ . ٢٦٢ .

٢٦٧ . ٢٦٨ . ٢٧٢ . ٢٧٥ . ٢٧٨ .

٢٦٠ . ٢٦١ . ٢٦٢ . ٢٦٨ . ٢٦٨ .

٢٤٢ - ٢٤٤ . ٢٤٩ . ٢٥٣ . ٢٧٠ .

٢٨٨ . ٢٩٧ . ٥٠٢ . ٥٠٨ . ٥٠٩ .

٥٨٠ .

عريب بن سعد : ١٦٠ .

عروبة بن يوسف : ٥٦٧ . ٥٧٥ . ٥٧٧ .

٥٨٠ . ٥٨٢ .

عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي : ١١٠ .
١١١ . ١٢٠ . ١٢١ .

عبد الله بن الأصبغ : ١٥٦ .

عبد الله بن أيوب بن لاديس : ٤٥٩ .

عبد الله بن لعلبة : ٤٧٦ .

عبد الله بن أبي الجواد : ٨٦ . ٩٤ . ٩٥ .

عبد الله بن زياد الأصبغ : ١٩٢ .

عبد الله بن الزبير : ٢٢٤ .

عبد الله بن سليمان : ٢٦١ .

عبد الله بن الصائغ : ١٦٠ . ١٦٢ . ١٦٢ .

١٧٥ . ١٧٦ . ١٧٩ . ١٨١ . ١٨٢ .

١٨٤ . ١٩٢ . ٥٧٠ .

عبد الله بن طاهر بن الحسين : ٥٤ . ٥٥ .
٢٢٢ .

عبد الله السكالي (أجد الله) : ٤٠٢ . ٤٠٢ .

عبد الله بن العباس : ٢٥٤ . ٢٥٥ . ٥٢٢ .

عبد الله بن عبد الحكم : ٨٧ .

عبد الله بن عمر بن لاديس : ٥٠٤ .

عبد الله بن نضر : ١٩٢ .

عبد الله بن اللطفي : ٢٦٩ .

عبد الله بن ليس : ٢٤ . ٥٠ .

عبد الله بن فروخ الطارسي : ٦٧ .

عبد الله بن محمد بن الأكلب : ١٠٠ .
١٢

عبد الله بن محمد بن عبد الله التميمي : ٦٢ . ٧٢ .

عبد الله بن محمود : ٥٢٢ .

عبد الله بن موسى بن نصير : ١٩٠ .

عبد الله بن ياسين : ٤٢٢ .

عبد الله بن مطروب : ٢٦٢ . ٢٦٦ .

- عمرو بن العاص : ٢٨١ ، ٥٢٤ .
- عمرو بن لادك الكبير : ٢٩١ ، ٢٩٢ .
- عمرو بن مغيرة : ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٥ ، ٤٦ .
- ٤٨ .
- عمر بن الخطاب : ٤٤٥ .
- عيش بن الحليل : ١٩٠ .
- عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان : ٥٠٤ .
- عيسى بن ادریس بن ادریس العلوي : ٤٥٨ .
- ٤٦٠ ، ٤٦١ .
- عيسى بن دهمان الاكبر : ٧٥ .
- عيسى بن فراتس : ٣٦٨ ، ٣٧٠ .
- عيسى بن مسكين : ١٥٢ .
- عيسى بن مريم (عليه السلام) : ٥٤٦ .
- عيسى التوشري : ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ .
- عيسى بن يزيد الأسود : ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٤ .

(غ)

- غلبون (الاقارب بن عبد الله بن الاقارب) : ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ .

(ق)

- القاسميان : ٢٦٤ .
- القاسميون : ١٦٦ ، ٢٢٠ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ .
- ٢٩٨ ، ٤٠٣ ، ٤١٥ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ .
- ٤٨٦ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، ٥٢٨ .
- ٥٢٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ .
- ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٩٢ ، ٥٩٨ .
- قلابة بنت محمد الهجري القزويني : ٤٦٥ .
- ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

- القزويني محمد : ٣٩٩ .
- قحطبة بن قحطع : ٧٢ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١٣ .
- ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٢٢٨ ، ٤٥٤ .
- ٥٢٤ .
- علي بن ابي طالب : ٣٥ ، ١٦٠ ، ٢٢٢ .
- ٢٦٧ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٦ .
- ٥٢٧ ، ٥٥٠ ، ٥٨٢ .
- علي بن حاتم بن مرحوم الزناتي : ٥٠٥ .
- علي بن حاتم بن مرحوم الزناتي : ٥٠٥ .
- علي بن حفص (ابن علوية) : ٥٤ ، ٥٤٣ .
- علي بن زياد التونسي العبيسي : ٦٧ ، ٨٧ .
- علي بن سليمان العباسي : ٤٢٥ .
- علي بن عمر بن ادریس بن ادریس : ٤٦١ .
- ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٥٠٤ .
- علي بن الفضل : ٢٤٩ ، ٢٥٢ .
- علي بن محمد بن ادریس بن ادریس : ٤٦١ .
- ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ .
- عمران بن ابي معمر : ٧٠ ، ٧١ .
- عمران بن مجاهد الربيعي : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ .
- ٣٨ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ .
- عمران بن مروان الاندلسي : ٢١٢ .
- عمر بن ادریس بن ادریس : ٤٥٩ ، ٤٦١ .
- عمر بن حفص : ٢٩٠ ، ٤٧٧ .
- عمر بن الخطاب : ١٦٥ ، ٣٠١ ، ٣٢١ .
- ٣٨٢ ، ٥٢٣ .
- عمرو بن قحطع التميمي : ٢٨٢ ، ٢٨٤ .
- ٥٢٥ .
- عمرو بن سليم الكعبي : ٨٤ .
- عمرو بن سليم القويح : ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .

- شم بن عوانه الكلبي : ١٩٤
- القراطقة : ١٦٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٦ ، ٥٨٦
- القرشيون : ٢١٧
- القرطاجنيون : ٢٠٨
- قسطنطين (قيصر الروم) : ١٨٩ ، ١٩٥
- قسطنطين (حاكم صقلية) : ٢١٣
- قسطنطين (بطريرق صقلية) : ٢٨
- قسطنطين كونستانتينس : ٥٢٩
- القيسيه : ١٣٤ ، ١٧٢ ، ٤٤٢ ، ٤٤٩ ، ٥٠٦

(ك)

- كثامة : ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٤ ، ١٦٥
- ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥
- ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢١٧ ، ٢٨٥
- ٢٩٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٨ ، ٥٢٨
- ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧
- ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٣
- ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩
- ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٧٢
- ٥٧٣ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨١ ، ٥٨٣
- ٥٨٧ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٦
- ٥٩٨

كرناتية : ٥٧١ ، ٥٧٩

الكتبي : ٢٢٨

كثرة (والده لندريس الأول) : ٤٥٧

(ل)

لطاية (قبيلة) : ٥٦١

لأية (قبيلة) : ٤٣٠

- طاطمة الزهراء : ٥٣٦ ، ٥٣٩ ، ٥٨٢
- لنج العنق : ١٢٢
- لنج بن يحيى الصالحي : ٥٥٤ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥
- ٥٦٦
- لعل بن روح : ٥٥٩
- لخرج بن نصر النفوس : ٢٤٨
- لخرج بن جبران : ٥٥٩
- لخرنوبديوس : ٢٠٩
- اللرنج : ١٧٧ ، ٢٢٨ ، ٢٧٨
- اللقوس : ٢٨٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٢٨٨
- ٢٩٥ ، ٤٦٤ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩
- ٥٩٥

اللفل بن أبي العنبر : ٦٢

اللفل بن جعفر الهمزاني : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨

اللفل بن روح : ٢٨ ، ٢٩

اللفل بن يحيى البرمكي : ٤٢٤

اللفل بن يعقوب : ٢٣٥ ، ٢٣٧

اللفلاوه : ٤٢٤

لهيم أوفيموس (القائد البيزنطي) : ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٥

الليثيون : ٢٠٨

(ق)

القاضي النعمان : ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ٥٣٥ ، ٥٥١ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٦١

٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧

القاسم بن اندريس بن اندريس : ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١

- محمد بن ادریس بن محمد بن العلوئی : ٤٥٧
- ٥١٠ - ٥٦٦ - ٥٦٦ - ٥٦٣
- ٤٥٨ - ٤٦٠ - ٤٦٦ - ٤٦٢ - ٤٧١
- محمد بن احمد أبو القرائق : ٢٥٦ - ٢٦٥
- ٥٠٣
- محمد بن اسماعیل بن الحسن : ٥٤٥
- محمد بن اسماعیل بن سفیان بن سالم : ٤٨
- محمد بن الاسود الصديقي : ١٥٧
- محمد بن الأکث : ٢٩٠
- محمد بن الأکلب : ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٢
- ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٩ - ٩٥ - ٩٦
- ٦٧ - ٦٩ - ١٠٩ - ١١٠ - ٢٤٤
- ٢٤٦
- محمد بن جعفر : ٥٠٤
- محمد بن جهمال القاسم : ١٧٨
- محمد بن حماد : ٢٧٣
- محمد بن حمزة : ٤٧ - ٥٠
- محمد بن العنقية : ٥٢٧
- محمد بن حنون الأندلسي القماني : ١٠٧
- محمد بن حيون : ١٣٠
- محمد بن حزد بن حولات القراوی : ٤٢٥
- ٤٥٤
- محمد بن خلف بن سفیان : ٢٥٤ - ١٢٥٦
- ٢٥٧ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢
- ٢٦٣ - ٢٦٩
- محمد بن ديبوس : ٢٧٨
- محمد بن دباح : ٤١٧
- محمد بن زياد الله : ١٤٦ - ١٤٣ - ١٦٢
- محمد بن سالم : ٢٢٥

- لويجه : ٢٥٤
- كواجة : ٧٥ - ١ - ١٢٧ - ٣٣٠ - ٣٥٤
- ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٤٠٩ - ٤٤٦ - ٥٧٩
- اللواتيون : ١٢٧
- لؤلؤ غلام احمد بن طولون : ١٢٠
- الليث بن سعد : ٢٧

(م)

- مالك بن انس : ٦٦ - ٦٧ - ٦٩ - ٨٦
- ٨٧ - ٨٨ - ٩٨ - ٩٩ - ٤٩٣ - ٥١٦
- ٥١٨ - ٥١٩
- مالك بن النكدي : ٢١٢ - ٢٢٢ - ٥٢٠
- مالكية : ٦٧ - ٧٩ - ٨٦ - ٨٨ - ١٠٨
- ٢٤٨ - ٢٨٠ - ١٩٥
- ملامون (الفيلفة العباس) : ٣٩ - ٤٠ - ٥٤
- ٦٤ - ٦٩ - ٢١٧ - ٢٢٠ - ٢٢٨ - ٢٢٩
- ٣٢٩ - ٥١٥
- الملوذي : ٤٨٤
- المتوكلي : ٢٥١ - ٢٦٤ - ٣٥٤ - ٣٨٨ - ٤٨٦
- ٥١٥
- مجير بن ابراهيم بن سفیان : ٢٧٤
- المجوس : ٢٣٠ - ٤٢٤
- محكم الهواري : ٢٢٦
- محمد بن ابراهيم بن فيدوس : ١٠٩ - ١١١
- ١١٢
- محمد بن أبي بكر : ١١١ - ١١٢ - ٣٢٤
- محمد بن أبي الجوارى : ٢٢٤ - ٢٢٦
- محمد بن أبي الحسن : ٣٦٢
- محمد بن أبي العباس (الاحول أو أبي حوال) :

- ٤٩٦ ، ٤٩٥ ، ٤٩٣ : صناديد بن اليسع
• مدليج بن زكريا : ٣٧٠
• مديونة : ٤٧٤ ، ٤٧٤
• للمداريون : ٤٧٦ ، ٤٨٣ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٥٢٠
• المرابطون : ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٦٠ ، ٥١٩
• مراهه : ٢٩٨
• مروان بن محمد : ٤٩٧
• مزانه : ٢١٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٥٠١ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦
• انزاتيون : ٥٠٠
• المستعين بالله (الخليفة العباسي) : ١٠٢ ، ٤٨٧ ، ١١٣
• المستنير بن العارث : ١٩١ ، ١٩٢
• مسراهه : ٤٣٠
• مسعود الأندلسي : ٣١٢
• مسعود الباجي : ٢٧٧
• المسلمون : ٣١٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٨٤ ، ٤٥٣
• مسوقة : ٤٠٩
• مشقبارية : ٥٧٨
• مصالة بن حبوس : ٤٧٨
• مصعب بن سلمان : ٣١٢
• مطاطة : ٣٥٤ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥
• المطاطيون : ٥٠٠
• مطيع السلمى : ٦١
• معاوية بن ابي سفيان : ٣٠١ ، ٣٢٤
• معاوية بن حديج : ١٩٠
• محمد بن سعتون : ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٣٠ ، ٥١٦ ، ٥١٧
• محمد بن السرقوس : ٢٨٥
• محمد بن سليمان : ٥٠١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٢٠
• محمد بن السندي : ٣٢٤
• محمد بن عبد الله بن جيمال : ١٧٥
• محمد بن عبد الله بن ابي النسيج : ٣٦٧ ، ٣٧٩
• محمد بن عبد الله الرعيني : ١٣٠ ، ٢٤٥
• محمد بن عرفة : ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢
• محمد بن عبد الله بن الأظلم : ٥٠ ، ٥٣
• محمد بن عديون بن أمي ثور : ٢٧٠
• محمد عبد الهادي شعرة : ٤٨٧
• محمد بن الفرج الفرغاني : ١٣٠
• محمد بن فزد : ٥٩٥
• محمد بن الفضل : ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤
• محمد بن قزح : ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٣٧ ، ٥٦٥
• محمد بن مسالة : ٣٦٢ ، ٣٦٤
• محمد بن مارج المعروف بابن الشاعر : ١٧٣
• محمد بن مقاتل المكي : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١
• محمد بن موسى المعروف بجبريل : ٨٤
• محمد بن ميمون : ٤١٧
• محمد القائم بن المهدي : ٥٤٦
• محمد بن يانس : ٣٢٧ ، ٣٢٨
• محمد بن يحيى بن عبد الأعلى الكروزي : ٥٨٣
• محمود بن ابي بكر : ٣٢٨
• محمود بن اليزيد : ٣٥٩

- المتفرد (الخليفة العباس) : ١٤٥ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ٤٨٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦
العتز (الخليفة) : ١١٣
العتزلة : ٢٩٥ ، ٣٦٩ ، ٤٣٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ١١٣
العتمة (الخليفة) : ١١٣
العتز لدين الله القاطن : ٥٤٤ ، ٥٨٦
مراوة : ٤٣٥
الغيرة بن أبي بردة العمري : ١٩٠
القراج بن سالم : ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦
القاسم (الخليفة العباس) : ١٦٥
القاسم : ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧
القريزي : ٥٤٤ ، ٥٨٥ ، ٥٩١
القنطي (الخليفة العباس) : ١٦٦ ، ١٦٩
٥٦٨ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦
القننون : ٤٠٦
قنيلة : ٤٦١
القنصور (الخليفة العباس) : ٤٥١ ، ٢٧ ، ٤٥٢
قنصور بن خضر القنطلي : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٨
١٢٧
القهدي : ١١٣
القهدي : ٥٣٣ ، ٥٥٥
القهدي بن كثر : ٥٥٥
القهدي للوهدي : ٣٢٧ ، ٣٢٨
القهدي بن صولات : ١٠٦
القهدي بن أبي صبرة : ٤٧٦
- الوحدون : ٤٦٠ ، ٥١٩
عيسى بن أبي العافية : ٤٧٨
عيسى الكاتم : ٥٤٠
عيسى النوشري : ١٨٤
عيسى بن عياش : ٥٥٤ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠
عيسى بن نصير : ١٤٣ ، ١٩٠ ، ٢٢٢
عياض بن يوسف : ٣٥٢
عياض الثاني : ٢٢٢
عياض الثالث : ٢٥١
عيسرة الصفري : ٤٢٢ ، ٤٢١ ، ٤٥٥ ، ٤٧٢
عيمون (قائد الحرس السوفاني) : ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢
عيمون بن اروا : ٤١٥
عيمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن : ٢٢٥
عيمون بن عمار : ٤١٥ ، ٤١٦
- (ن)
النبي (صل الله عليه وسلم) : ٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٥٥ ، ٥٨٣
النمرانية : ٤٣٤
نصر بن حمزة الكاتب : ٧٩ ، ٨١
نصر بن المصمصة : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٢٢
نقات : ٣٥٢ ، ٣٦٤
نقزوة : ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٢١٧ ، ٢١١
نقزة : ٤٢٠ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٥٢٥
نقوسة : ١٤٠ - ١٤٤ ، ٣١٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٢
٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٨ ، ٤٩٠ ، ٥٥٠

(٣)

الواصلية (مذهب) : ٢٩٥ ، ٣٢٤ - ٣٣٦ ، ٣٢٨ ، ٣٩٥ ، ٣٣٩ ، ٣٣٨

وزداجة (قبيلة) : ١٢٧

الوسيانى : ٣١٤ ، ٤٠٥

الوليد بن يزيد : ٤٢٩

الوندال : ١٦٧ ، ٢٠٨

الوهيبة : ٢٢١ ، ٤٠٣

(٤)

ياقوت الحموى : ٢٠٥ ، ٢٠٨

ياحى بن ادريس بن ادريس العلوى : ٤٠٩
٥٠٢

ياحى بن ادريس بن عمر بن ادريس الامام :
٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٥١٨

ياحى بن خالد البرمكى : ٤٣٥ ، ٤٣٦

ياحى بن زياد : ٢٩

ياحى بن القاسم المشهور بالعوام : ٤٧٢
٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧

ياحى بن عبد الله بن علي بن الحسن : ٤٢٤

ياحى بن عمر بن يوسف الأندلسى : ٢١٥
٢١٦

ياحى بن محمد بن ادريس بن ادريس : ٤٦٣
٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧

ياحى بن يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس : ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠
٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٥٠٣

يزيد بن حاتم : ٧٣ ، ٤٧٧

يزيد بن فدين اليربني : ٣١٢ ، ٣١٣

النگار والتكارية : ٣٠٢ ، ٣١٨ ، ٣٢١

٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٥٣ ، ٣٦٩

٣١٨

التوحتى : ٥٤

التورمديون : ٢٣٠

نوطس : ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٤٨

التويرى : ٣١ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠

٥١ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٨

٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٣٢

١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٥٩

١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ٢١٣

٢١٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣

٣٧٣

(٥)

الهادى : ٤٢٤

هارون بن خباروة بن احمد بن خولون :
٥٨٥

هارون بن الطيبي : ١٧٤ ، ٥٦٧

هارون بن يونس بن موسى المسالى : ٥٥١

هارون الرشيد : ٢٩ - ٣١ ، ٣٨ - ٤٠
٦٦ ، ٢٨٩ ، ٤٢٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦

هاشم بن نافع : ٥٨

الهاشمية : ٣٢

هديل النفل : ١٦٣

هرثمة بن أعين : ٢٨ ، ٢٩

هشام بن عبد الملك : ٧٤ ، ٤٢٩

هوية : ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٠٦ ، ١٢٧ ، ١٤١

٢١٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٣٦٨ ، ٣٨٠ ، ٤٣٤

٤٥٨ ، ٤٦٩ ، ٥٠١ ، ٥٦٧

- | | |
|---|--|
| <ul style="list-style-type: none"> ٤٠٤ - يعقوب بن يحيى : ١٢٠ - البيهقي : ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ - ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ - البيهقي بن عمار : ٤١٧ - يونس بن الياس : ٥١٦ - يوسف بن محمد بن القحطبي : ٥٥٦ ، ٥٦٥ - | <ul style="list-style-type: none"> ٣١٥ ، ٥١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ - يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ١٠٩ ، ٣٠١ - يزيد بن مروق اليحصبي : ١٦٢ - بقلان بن أبي البقلان : ٥٩٥ - بقلان بن محمد أبي البقلان بن الملح : ٣٩٤ ، ٣٩٦ - حطوب بن الملح : ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٧١٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ - |
|---|--|

ب - الأماكن

٢٤٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٤ - ٢٣٠ ، ٢٢٦
 ٢٦٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٢ ، ٢٥٥ ، ٢٤٦
 ٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣
 ٣١٤ ، ٢٩١ - ٢٨٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥
 ٤٠٦ ، ٤٠٤ ، ٣٦٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤١
 ٤٤٢ ، ٤٣٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢١
 ٤٨٣ ، ٤٧٧ ، ٤٦٤ ، ٤٤٩ ، ٤٤٤
 ٥٠٣ ، ٥٠٠ ، ٤٩٨ - ٤٩٤ ، ٤٨٧
 ٥١٦ - ٥١٤ ، ٥١٢ ، ٥٠٩ - ٥٠٦
 ٥٢٥ ، ٥٢٤ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ ، ٥٢٦
 ٥٧٣ ، ٥٦٨ ، ٥٦٥ ، ٥٦١ ، ٥٥٦
 ٥٧٩ ، ٥٦٥ ، ٥٦٤ ، ٥٨١ ، ٥٧٩
 ٥١٨

البحر : ٢٢٠

الأندلس : ٧٢ ، ٨٥ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٤٣ ، ٢١٢
 ٢١٠ ، ٢٠٧ ، ٢٠٥ ، ١٩٧
 ٢٩٣ ، ٢٨٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٠ ، ٢٢٨
 ٤٣١ ، ٤٢٤ ، ٤١٣ ، ٣١١ ، ٣٠٢
 ٤٥٢ ، ٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٤٤٢ ، ٤٣٢
 ٤٧٣ - ٤٧٠ ، ٤٦٩ ، ٤٦٤ ، ٤٦١
 ٥٠٦ ، ٥٠٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٨٣
 ٥٣٥ ، ٥٢٤ ، ٥١٩ ، ٥١٢ ، ٥١١
 ٥٤٢ ، ٥٣٧

الكبرى : ٢٦٢

أوروبا : ١٤٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٦٥
 أواسم : ٥١٠
 أوليه : ١٩٤
 إيطاليا : ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٧ ، ١٩٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤
 ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٤٤

(١)

أبلاتو (حسن) : ٢٤٠

أبه : ١٠٦

أبوليا : ٢٦٥

أجلو : ٥١٠

الأدريس : ٥٠ ، ٥٧ ، ١٢٦ ، ١٦٩ - ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٤٩٨ ، ٥٣٥ ، ٥٧٠ ، ٥٧٩ - ٥٧٦

أرفوس (أرفوس) : ٢٥٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٥ - ٢٥٨

أزولوا : ٢١٩

أسيانيا : ١٩٧

أسقلية : ١٩٨

الاسكندرية : ١٥٠ ، ١٨٤ ، ٢٢٨ - ٢٣٠ ، ٢٩٦ ، ٤٣١ ، ٤٩٨ ، ٥٨٦

أسقلية : ١٩٨

الأطيه (جبل النار) : ٢٠٦

العمات : ٤٥٩ ، ٤٦٩

الريفية : ٢٧ - ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ - ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٦ - ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ - ١٩٩ ، ٢٠٧ -

٢٢٨ ، ٢٢٠ ، ١٨٤ ، ١٦٩ ، ١٦٦
 ٢٦٢ ، ٢٥٤ ، ٢٤٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩
 ٤٥١ ، ٤٤٦ ، ٤٢٩ ، ٣٨٨ ، ٣٦٥
 ، ٤٨٧ ، ٤٨٦ ، ٤٨٤ ، ٤٨٢ ، ٤٦٩
 ٥١١ ، ٥٠٤ ، ٤٩٦ ، ٤٩٢ ، ٤٩١
 ٥٨٧ ، ٥١٢ ، ٥١٥ ، ٥١٤

بلاد الجريد (الجريد أيضا) : ٤٠٦

بلاد الريف : ٤٩٢ ، ٥٠٣ ، ٥١٣

بلاد السودان (انظر السودان) : ٤٠٦ ، ٤٠٩

بلاد المدونه : ٤٦٥

بلاد مغارة : ٤٦٠

بلاد نازار : ٤٢٤ ، ٤٥٩

بلاد مصونه : ٤٥٨

بلاد نليس : ٤٥٩

بلاد حرقه : ٤٢٦ ، ٤٢٢ ، ٤٥٩

بلرم : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢

٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩

٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ - ٢٦١

٢٦٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٤

بقره : ١٠٦ ، ١٢٤ - ١٢٦ ، ١٦٢ ، ١٧١

١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦

٥٦٦ ، ٥٦٧

البنتمية : ٢٢٢

بتروت : ٥٠

بشيتو الكومبرديه : ٢٦٤

بوته : ٥٥٠ ، ٥٧٢

(ث)

بلاد : ٤٢١ ، ٤٥٩

٤٥٨ : ٤٥٨

٢٢٥ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ - ٢٦٥

٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ - ٢٧٤ ، ٢٧٨

٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨

ديكجان (فار البهره) : ١٧٨ ، ٤٤٩ - ٥٥٦

٥٥٩ - ٥٦٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧٧ ، ٥٨٤

٥٩١

لايوليان : ٢٢٧ ، ٢٦٢

(ب)

باجه : ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٤

١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ٥٢٥ ، ٥٥٠

باري : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ - ٢٦٥

بغديه : ١٢٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٦

٥٠١ ، ٥٦٠ ، ٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩

٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧

بجايه : ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٥٥٥

البحر الادرياتي : ٢٦٤

بحر الشمال : ٢٢٠

البحر الأبيض المتوسط : ١٥٠ ، ١٨٩ ، ١٩١

١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢

٢٢٨ ، ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥

٤٦١

برنطيق : ٢٠٢

برقه : ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٨٩ ، ٤٢٦

٤٨٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٨٩ ، ٥٩٤

برنديزي : ٢٤١ ، ٢٦٤

بسكوه : ١٠٦ ، ١٤٤

البحره : ٢٤٥ ، ٢٩٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧

٢٦٩ ، ٢٥٩ ، ٤٩٩ ، ٥٢٢

بشاه : ٣٠ ، ٣٢ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٨٥

١٠٨ ، ١١٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٦٥

تلمسان - ١٩٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥
 ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٥ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٩
 ٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥١١
 ٥١٢ ، ٥١٨

تلول هنداس : ٢٩١

تهوده : ٤٢٨

توزور : ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٥٥٦ ، ٥٩ ، ٥٩١

توس : ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١
 ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١
 ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧
 ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٤
 ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١
 ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠
 ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ، ١٨٩
 ١٩٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧
 ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٦

التبير (نهر) : ٣٦٤

تيجيس : ١٧٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨

تيلانس : ١٧٨ ، ٥٧١ ، ٥٧٣

تيمتي : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧

(ث)

تمطلاس : ٥٠٤ ، ٥٠٦

(ج)

جبل اوراس : ٢٣٩ ، ٥٢٣ ، ٥٥

جبل ايكجان : ٣٢١

جبل حاطه : ٢١

جبل الحرايين : ٥٧١

جبل الذهب : ٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤ ، ٢٤٣

٢٥٧

تازروت : ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦

تقيارت : ٥٩٠

تافلات : ٤٠٩ ، ٤٢١

تمدلت : ٥٠٠

تامليت : ٤٥٨

تاورغا : ١٤٣

تاهرت : ٢٤ ، ٧٨ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٣٤

١٤١ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥

١٩٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣

٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩

٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦

٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦

٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١

٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥

٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١

٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦

٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤

٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢

٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥

٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦

٤٧١ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٨٣

٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣

٤٩٤ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١

٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥١

٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٩ ، ٥٢١ ، ٥٢٢

٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩

٥٩٨ ، ٥٩٥

تبسا : ١٧٨ ، ٥٧١ ، ٥٧٣

ترغة : ٤٥٩ ، ٥٠٥

تسباري : ٢٠١

تطوان : ٤٥٨

تقيوس : ٥٦

(ح)

الحجاز : ٦٦ . ٨٧ . ١٠٧ . ٢٦٩ . ٢٤٨ . ٤٢٤

حصص : ٨٦ . ٥١٢ . ٥٨٥ . ٥٨٦

(خ)

خراسان : ٢٦ . ٥٤٤ . ٥٨٢

(د)

دار عدين : ٥٧٤

دار ملول : ٥٦٧

دمشق : ٥٠٦ . ٥٨٦

دمشق : ٢٠٢ . ٢٧٩ . ٢٨٢

(ذ)

ذات السوازي : ١٨٩

(ر)

الرباط : ٥٨٢

رباط سوسة : ٧١ . ٧٢ . ١٠٢

رقائق : ١١٦ . ١١٧ . ١١٨ . ١١٩ . ١٢٦

رقائق : ١٤٨ . ١٢٦ . ١٣٥ . ١٤٠ . ٢٤١

رقائق : ١٤٢ . ١٤٨ . ١٥٢ . ١٥٥ . ٢٢٢

رقائق : ١٦٧ . ١٧٤ . ١٧٥ . ١٧٧ . ١٨١

رقائق : ١٨٢ . ٢٩٥ . ٤١٧ . ٥٠٩ . ٥١٢

رقائق : ٥٥٦ . ٥٥٩ . ٥٧٤ . ٥٧٩ . ٥٨٠

رقائق : ٥٨١ . ٥٨٢ . ٥٩٥ . ٥٩٧ . ٥٩٨

الزقاق : ١٨٤

الرحلة : ٥٨٦

روطة : ٢٦٦ . ٢٧١

جبل زكوى : ٥٥٠ . ٥٥١ . ٥٥٢ . ٥٥٥

جبل سونجج : ٢٩٦

جبل كزوله : ٢٩١

جبل طارق : ١٥٠ . ١٩٩ . ٤٨٢

جبال مديونه : ٤٧٢

جبل نفوسه : ٢٦ . ٢٦٥ . ٢٢٢ . ٢٢٦

جبل نفوسه : ٢٢٧ . ٢٢١ . ٢٢٢ . ٢٢٣ . ٢٢٤

جبل نفوسه : ٢٣٥ . ٢٤٧ . ٢٥٢ . ٢٨٢ . ٢٦١

جبل نفوسه : ٢٩٢ . ٢٩٣ . ٢٩٤ . ٤٠٢ . ٤٠٤

جبل نفوسه : ٤٨٩ . ٥٠١ . ٥٢٠ . ٥٢٢ . ٥٢٥

جرجنت : ٢٠١ . ٢٠٤ . ٢٠٧ . ٢٢٥ . ٢٢٧

جرجنت : ٢٧٦ . ٢٧٧

جرجه : ٢٤٠

الجزائر : ٥٢٢ . ٥٢٥

جزوله : ٥٠٥

الجزيرة : ٥٠

جزيرة الأرنب : ٢٠٢

جزيرة بنظارة : ١٩٩

جزيرة جربة : ٥٨ . ٢٨٤ . ٢٨٥ . ٢٨٦

جزيرة جربة : ٤٠٦

جزيرة الراسب : ٢٠١

جزيرة شريك : ٤٢ . ٦١ . ٦٢ . ١٢٦

جزيرة شريك : ١٢٧ . ١٩٩

جزيرة الكراث : ١٦١

جزيرة خريف : ٤٢١

جلفندي : ٢٢٨

جزيرة مليك : ٢٠٧

جزيرة يابسه : ٢٠١

الجزيرة : ٥٨٦

طرابلس : ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٥٢
 ٩٠٠ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٧
 ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٦٤ ، ١٧٣
 ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٠
 ١٤٨ ، ١٨٧ ، ١٨٤ ، ٢٦٠ ، ٢٩١
 ٢٦٥ ، ٢٩٦ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥
 ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢
 ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢
 ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢
 ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢
 ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢
 ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢
 ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢

عسرايش : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٧٦
 ٢٧٧ ، ٢٨١

قزقة (حسن) : ٢٠٣

قنجة : ١٥٠ ، ١٢٨ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٥٠٣
 ٥١٨

طوس : ١٠

(ح)

العباسية : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٨
 ٥٤ ، ٥٥ ، ٨٥ ، ١١٦

حدوة الأندلس أو الأندلسين : ٤١٤ ، ٤٤٥

٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٧١
 ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧

حدوة القرويين : ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩

٤٥٩ ، ٤٥٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٧

المراني : ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٨٢ ، ١٦٦

١٦٦ ، ١٦٦ ، ١٦٦ ، ١٦٦ ، ١٦٦

١٦٦ ، ١٦٦ ، ١٦٦ ، ١٦٦ ، ١٦٦

١٦٦ ، ١٦٦ ، ١٦٦ ، ١٦٦ ، ١٦٦

المرايش : ٢٥٦

شكلة : ٢٤٥ ، ٢٥٦

شستيرية : ٥٢٧

شنت مازكو : ٢٠٢

شلفورة : ٢٠٢ ، ٢٤٩

(ص)

صخرة الحرير : ٢٠٢

الصعيد : ٥٨٦

صفايس : ٤٦٥ ، ٤٦٨

صفاوا (مدينة) : ٤٧٤

صقلية : ٢٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٥

٨٨ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٤

١١٦ ، ١١٦ ، ١١٦ ، ١١٦ ، ١١٦

١٢٩ ، ١٢٩ ، ١٢٩ ، ١٢٩ ، ١٢٩

١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦

١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦

١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦

١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦

١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦

١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦

صنعا : ١٦٥ ، ٤٤٤

(ط)

طارتت : ٢٤٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦

طيرشق : ٥٧١ ، ٥٧٥

طيرمين : ١٤٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩

٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨

٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨١

٢٨٢

طجة : ١٠٦ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣

٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٥٠٦ ، ٥٦٤

٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٧١ ، ٥٦٤

قلعة ابلاطنو : ٢٥٢
قلعة جلفوري : ٢٥٢
قلعة جيرونا : ٢-٤
قلورية : ١٧٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢٠ ،
٢٢٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٨٢
قلعة الهمة : ٢٠١
قلعة شكلية : ٢٠١
قلعة صديبة : ٥٠٣
قلعة عبد المؤمن : ٢٥٢
قلعة قارنون : ٢٤٠
قلعة القوارب : ٢٠٢
قلعة الكرات : ٢٢١
قلعة لتيتي : ٢٠١
قلعة مدينة الملك : ٢٧٠
قلعة التيا : ٢٠٧
قلعة نفوسة : ٣٦٥
قلعة نوطس : ٢١
قموده : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦
قنطرة : ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٨٦ ، ٣٦٢ ، ٤٠٢ ،
٤٠٣ ، ٥١٠
قنطرة : ٣٦٢
قلعة منيفة : ٤٧٣
القيروان : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ،
٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ،
٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٤ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،
٧٤ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
٨٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٠٢ ،
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٢٧

(ع)

غانة : ٤٠٦
غلوالية : ٢٢٢
غمارة : ٤٣٠ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٧١
غياثة : ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٧٥
الغمران : ٢٥٧
غمران قرقنة : ٢٥٢

(ف)

فارس : ٤٩٤ ، ٥٤٠
فاس : ٣٤ ، ٣٦٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٤ ، ٤٢٦ ،
٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٦٣ ،
٤٦٨ ، ٤٧٧ ، ٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٥٠٢ ،
فالقوس (مدينة) : ٥٠٥ ، ٥٠٦
فنج : ٤٢٣ ، ٤٢٤
فلسطاط : ٢٧ ، ٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٦٦
فلسطين : ١٨٤ ، ٥٨٢

(ق)

قلعة ارقموس : ٢٠١
قلعة الارمنيين : ٢٥٥
قلعة انيسن
قلعة اول : ٢٠٢
قلعة البلوط : ٢٠١ ، ٧٤٠ ، ٢٨٢
قلعة جبل ابي مالك : ٢٥٥
قلعة ابي ثور : ٢٢٧ ، ٢٥٧
قلعة الا : ٢٥٢

(ل)

كتيش : ٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤

لومبارديا : ٢٤٥ ، ٢٥٣

لياج : ٢٠٠

(م)

مارقة : ٧٢

ماتز : ١٦٩ ، ٢٠١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٠

ماتقة : ١٠٦ ، ٢٦١

مانو : ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٣١٢ ، ٣١٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥

مجانة : ١٧٨ ، ٤٩٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧١

المعدية : ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٥٨

مرج بلاقة : ٢١٩

مريس الطين : ٢٤٥

مرعاجنة : ١٧٨ ، ٥٣٥ ، ٥٧٣

مرو الروز : ٢٧

مريتاو : ٢٤٠

مطقرة : ٢٩

مكلازة : ٥٧٦

مكتاسة : ٧٥ ، ٤٠٦ ، ٤٢٠ ، ٤٥٨ ، ٤٦٩ ، ٥٠٤

مكة : ٢٨٩ ، ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٥٤

٤٢٢ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٨١

مسالة : ٥٧٨

١٢٦ ، ١٣٨ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٣٨
١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥١ ، ١٤٨ ، ١٤٠
١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٥٧
١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٤ ، ١٧٠ ، ١٦٩
١٨٦ ، ١٨٤ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠
٢٢٤ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٤ ، ١٩٢
٢٨٤ ، ٢٨٠ ، ٢٦٥ ، ٢٥٤ ، ٢٤٦
٢٩٥ ، ٢٦١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٥
٢٨٨ ، ٣٠٠ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦
٤٨٤ ، ٤٦٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢١ ، ٣٩٣
٤٩٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٨٧ ، ٤٨٥
٤٩٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥ ، ٤٩٤
٥١١ ، ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٣ ، ٥٠٠
٥١٩ ، ٥١٧ ، ٥١٦ ، ٥١٤ ، ٥١٣
٥٢٥ ، ٥٢٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٥ ، ٥٢٠
٥٥٠ ، ٥٤٩ ، ٥٤٨ ، ٥٤٧ ، ٥٢٦
٥٧٧ ، ٥٧٦ ، ٥٧٤ ، ٥٦٩ ، ٥٦٧
٥٨٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٨
٥٩٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٤ ، ٥٩٣ ، ٥٩١

(ن)

نبيوة : ٥٦٤

نريت : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٦٤

نسته : ٢٨٢ ، ٢٨٤

نسيلة : ٤٢٨

نلابريا (انظر فلورية ايضا) : ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٤

نورسيكا (انظر نورشيكا ايضا) : ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٤

نكولة : ٢٤ ، ٤٩٩

نيسة السلطين : ٢٢١

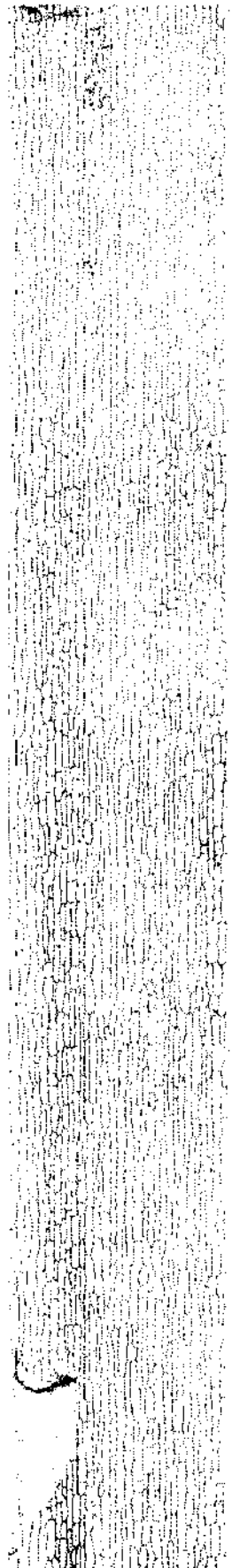
وادي شلف : ٢٩١ ، ٤٠٤	تيس : ٥٢٤
وادي فاس : ٥٠٥	تكور (طين) : ٤٩٢ ، ٥٠٥ ، ٥١٨
وادي مكنة : ٥٧٨	نمالة (مدينة) : ٥٠٥
وادي مراكش : ٥٧٨	نهر ابي سعد : ٢٢٠
وادي ملوية : ٤٢٦ ، ٤٢٨	نهر اسنان : ٢٢٠
وادي تيس : ٤٩٢	نهر تاسي : ٢٢٠
وادي ورغاسة : ١٢٢	النهران : ٥٢٤
وادي اسنان : ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢	(٣)
٤٠٦ ، ٥١٠ ، ٥٩٠	واحات قسيلية : ٤٠٦
وادي : ٥٠١	الواحات : ٤٠٤ ، ٤٠٥
ورجلة : ٥١٠	وادي ام الربيع : ٤٦٨ - ٤٦٠
وشة : ٤٧٢ ، ٤٧٣ - ٤٧٥	وادي يرفاف : ٤٧٢
وليل : ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨	وادي الحجارة : ٥٢٧
٤٤٠ ، ٤٤٣ - ٤٤٥ ، ٤٥١ ، ٤٥٩	وادي درعة : ١٦٨ ، ٤٠٩ ، ٤٨٣ ، ٤٩١
(٤)	٤٩٢ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥
الجن : ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥٠	وادي الرمل : ٥٧٨ ، ٥٨٠
الوكان : ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩	وادي سبو : ٤٨٢ ، ٤٤٥

رقم الايداع بدار الكتب ٥٢٥٨ / ١٩٩٣
الترقيم الدولي ٩ - ٢٠ - ٧٣٠٧ - ٩٧٧



General Organization of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina



AA/LV0

الكتب التاريخية

تاريخ المغرب العربي

٣

الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون

إلى قيام المرابطين

دكتور

سعد زغلول عبد الحميد



الناشر: دار الفكر
جلال حزي وشركاه

تاريخ المغرب العربي

الجزء الثالث

الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون
إلى قيام المرابطين

أستاذ
عبد زغلول عبد الحميد
مركز الأناضول - جامعة الكويت
البحرين - الأناضول - جامعة الإسكندرية (مناجاة)

الناشر **المشكاة** بالاسكندرية
جلال حزي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب
قرآن كريم ، سورة يوسف
١١١

تقديم

وبعد عشر سنوات أخرى وأكثر ، نقدم الجزء الثالث من كتابنا :
« تاريخ المغرب العربي ، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون الى قيام
المرابطين » .

وهنا أود أن أشير الى المعاونة القيمة التي قدمها كل من قسم التاريخ
وكلية الآداب بجامعة الكويت في سبيل تيسير انجاز هذا العمل عن طريق
تذليل العقبات التي أعاقت لبعض الوقت قيام المؤلف بأجازة تفرغ علمي
خلال الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي ٨٨ - ١٩٨٩ ، الأمر الذي هيا له
فرصة زيارة المكتبات الوطنية في كل من باريس والرباط وتونس - للسادة
المستولين عنهما والعاملين فيه كل تبجيل ، وأخص بالشكر الأستاذين
الفاضلين د/محمد بن شريفة ، مدير خزانة الرباط ، ود/ابراهيم شبوح ،
مدير دار الكتب التونسية لما قدماء لي من تسهيلات الاطلاع على ذخائر
داريهما العامرتين .

وبهذه المناسبة أحب أن أكرر ما سبق أن سجلته من الشكر في مقدمة
الجزء الأول من الطبعة السابقة لكل من عاونني في اخراج هذا الكتاب من
الأساتذة الأجلاء والزلاء الأفاضل والسلاميد النجباء ، وأخص بالذكر :
الدكتورة نبيلة حسن ، والدكتور محمد عبد العال أحمد ، والدكتور محمد
عبد العزيز ، والأستاذ يوسف شكري . كما أوجه شكرا خاصا للزملاء
الأساتذة : د/بدر الدين الحصوصي ، ود/أحمد مختار العبادي ، ود/سعيد
عاشور علي حنهم لي على مواصلة اخراج ما تبقى من أجزاءه . هذا ولا يفوتني
توجيه الامتنان الى الناشر السكندري الأستاذ جلال حزي .

والأمل أن يوفقنا الله في اخراج الجزء الرابع من الكتاب ، في تاريخ
المرابطين والموحدين ، عما قريب - انه نعم المولى ونعم النصير .

سعد زغلول عبد الحميد

الاسكندرية في ٢٥/٢/١٩٩٠

المستويات

المقدمة في :

المصادر : في تاريخ المغرب العربي ما بين الفاطميين والمرابطين
(٢٩٧ - ٤٦٨ هـ / ٩٠٩ - ١٠٧٤ م) ، ص ٧ .

ملاحظات عامة : اقتفاء الوثائق ، ص ٧ - ما بين الوثائق والأدب
التاريخي ، ص ٨ - الأدب التاريخي ما بين الندرة والكثرة - الكثرة ، ص
٩ - الروايات المتأخرة ، ص ١٠ - الخبر الآحادي ، ص ١١ - الروايات
المختلفة المناهج - مراحل الدراسة ، ص ١١ - المصادر الشيعية ، ص ١٢ .

دعائم الاسلام ، ص ١٣ - الولاية ، ص ١٤ - الجهاد ، ص ١٥ -
التأويل والعلم ، - توريث البنات وزواج المتعة ، ص ١٦ .

افتتاح الدعوة ، ص ١٧ - الشؤون الاجتماعية والمالية ، ص ١٨ -
تواريخ خاصة - تاريخ النسخ ، ص ١٩ .

المجالس والمسائرات - قضايا تاريخية ودينية وفقهية - سيرة المعز ،
ص ٢٠ - الأئمة - الدعوة ، ص ٢١ - تعاليم المذهب - الأحداث التاريخية ،
ص ٢٢ - معلومات وثائقية ، ص ٢٣ - أخبار المعز ، ص ٢٤ - تاريخ النسخ .

كتاب الهمة - سيرة جوذر ، ص ٢٥

عيون الأخبار - المحتوى - الداعي ادريس ، ص ٢٦ - التوثيق -
الروايات الشعبية (الفلكلورية) ، ص ٢٧ - توثيق ثورة أبي يزيد - مقتل
ميسور - علم الحدائق - شجاعة المنصور ، ص ٢٨ - نهاية أبي يزيد -
الرسائل والخطب المنبرية ، ص ٢٩ .

من كتب الإباضية : الدرجيني ، ص ٣٠ - التحقيق - الأخذ عن

أبي زكريا الوردجاني ، ص ٢١ - أخبار أبي يزيد النكزاري - خلط الرواية المنقبية بالخبر المعادي ، ص ٢٢ - تجريف الروايات - الحدتان والقصص الشعبي ، ص ٣٣ .

المقتبس لابن حيان - العلاقات الأموية الفاطمية ، ص ٣٤ - الدعاية والدعاية المضادة - موقف أمراء المغرب ، ص ٣٥ - فتح سبتة والدعاية الأموية الأندلسية عن فتح المشرق ، ص ٣٦ - الوجه الحضاري لكل من المغرب والأندلس ، ص ٣٧ .

البيان المغرب ، ص ٣٨ - وجهة النظر السنوية ، ص ٣٩ - كشف السياسة الفاطمية المفروضة - المألية - الثورة الكتامية ، ص ٤٠ - المعز ونهاية التشيع ، ص ٤١ .

البكري - مسرح الأحداث المرابطية ، ص ٤٢ - ثروات الصحراء - جزولة ولطة ، ص ٤٣ - النقاب - النشاط الاقتصادي والجهاد - الإصلاح المرابطي ، ص ٤٤ - مراحل الحركة ، ص ٤٥ - الرباط - فقه ابن ياسين - النظام الحربي ، ص ٤٦ - معلومات وثائقية ، ص ٤٧ .

العبر لابن خلدون - تقييم عام ، ص ٤٨ - مشروع د. شيوخ - مصدر رئيسي لتاريخ الهلالية ، ص ٤٩ - التوثيق - هلالية برقة ، ص ٥٠ - طرق الحكاية عند الهلالية - من قواعد النقد في الأدب الشعبي - تقييم القصة الشعبية ، ص ٥١ .

ملاحظات منهجية - كثرة المعلومات - قلتها ، ص ٥٢ - تضاربها - بعض النماذج ، ص ٥٣ - الرواية الأسطورية والمنقبية - الموضوع - الكرامة ، ص ٥٤ - الدروس المستفادة منها ، ص ٥٥ .

الفصل الأول

عبيد الله المهدي ، أول الأئمة الخلفاء

شخصيته - صحة النسب - المهدي شابا ، ص ٥٧ - في سجلجاسة - صفاته الجسدية والعلامات ، ص ٥٨ - الصفات الموضوعية والمنقبية - الحدتان - العقلانية - رباطة الجأش - علامات كونية رمزية ، ص ٥٩ .

السياسة الداخلية - تركيز السلطة بين يدي المهدي ، ص ٦٠ -

البداية في سجلماسة - كبار الأعوان ، ص ٦١ - فتور العلاقة بين الامام والداعي ، ص ٦٢ - حتمية تاريخية - دور المخطوم ، ص ٦٣ - الرأى في تغيير النظام ، ص ٦٤ - توزيع أدوار المؤامرة ، ص ٦٥ - التخلص من الداعي والمتآمرين ، ص ٦٦ - التخلص من أبى.زكى - التحرز من الكتامين ، ص ٦٧ .

موقف الكتامين من مقتل الداعي - سوء سمعتهم في القيروان ، ص ٦٨ - مذبحه الكتامين في القيروان . ص ٦٩ - الثورة في بلاد كتامة ، ص ٧١ - المهدي الكتامية ونجاحها ، ص ٧٠ - نهاية الثورة ، ص ٧١ .

ثورة شعبية على الكتامين في طرابلس - السبب ، ص ٧٢ - استخدام الأسطول - أبو القاسم يحاصر طرابلس ، ص ٧٣ - تضيق الحصار والتخلص من زعماء الثورة ، ص ٧٤ .

الأحوال الداخلية - الاضطرابات في الأقاليم - انقلاب فاشل ضد المهدي سنة ٣٠٠ هـ - فتح برقة ٣٠١ هـ - محاولة غزو مصر ، ص ٧٥ - معاملة قاسية لأهل برقة ، ص ٧٦ - فشل والى مصر في استرجاع برقة ، ص ٧٧ - محاولة فتح مصر سنة ٣٠٢ هـ ، ص ٧٨ - خلاف القائد حباسة ومقتله مع أخيه عروبة والى تاهرت ، ص ٧٩ - عصيان أهل برقة الى سنة ٣٠٤ هـ وعقوبتهم ، ص ٨٠ - غزوة مصر الثانية - ثورة نقوسة بقيادة أبى بطة ، ص ٨١ - تاهرت والمغرب الأوسط ما بين الولاة والعصيان مع زناقة ، ص ٨٢ - هرب محمد بن خزر الى الصحراء - ثورة تاهرت ، ص ٨٣ - تاهرت مركز الدولة الفاطمية في المغرب - فتح نكور - تاريخ نكور ، ص ٨٤ - ولاية دلول على نكور ، ص ٨٦ - مد النفوذ الفاطمي الى مملكة الأدارسة بفاس والمغرب الأقصى - الحملة الأولى ، ص ٨٧ - الحملة الثانية ، ص ٨٨ - القضاء على مملكة فاس الأدرسية ، ص ٩٠ - محاولات اقرار الأمور في سجلماسة ، ص ٩١ .

المهدي عاصمة جديدة - دواعى البناء ، ص ٩١ - اختيار المكان - رباط فاطمي جديد ، ص ٩٣ - البناء : المدينة الملكية ، ص ٩٥ - الأسوار - دار الصناعة - الميناء ، ص ٩٦ - القصر والجامع - مدينة العامة : زويلة ، ص ٩٧ - المهدي مركزا للحكم ، ص ١٠٠ - حكم مركزى يعتمد على قاعدتى التهريب والترغيب ، ص ١٠١ - الصراع ضد الزناتية في المغرب ، ص ١٠٢ - مقتل مصالة أمام محمد بن خزر ، ص ١٠٣ - اجلاء الأدارسة عن

بلادهم : فاس ، ص ١٠٤ - محمد بن خزر في تاهرت ، ص ١٠٥ - خروج
أبي القاسم الى المغرب ، ص ١٠٥ - مطاردة الزناتية ، ص ١٠٦ - نجاح
الحملة التآديبية ، ص ١٠٨ - العودة الى المهديّة واحتفال النصر مع بشائر
ثورة أبي يزيد ، ص ١٠٩ - تحصين تاهرت ، ص ١١٠ - التحالف بين
موسى بن أبي العافية والأمويين في الأندلس - دخول سبتة في طاعة الناصر :
ص ١١٠ - الصراع ضد الأدارسة ، ص ١١٢ - الصراع ضد زناتة ، ص
١١٣ - اجتياح نكور والهيمنة على المغرب ، ص ١١٤ - فشل رد الفعل
الفاطمي ، ص ١١٥ .

**السياسة المالية على عهد المهدي ، ص ١١٦ - الحاجة الى مزيد من
المال - الخمس ، ص ١١٧ - الغرامات والمصادرات ، ص ١١٨ - المغنم ،
ص ١١٩ - التراتيب المالية ، ص ١٢١ - ديوان الكشف ، ص ١٢١ -
ضرائب مستحدثة - التضييع - الشطور (ضريبة الحاج) ، ص ١٢٢ -
ديوان الدعوة ، ص ١٢٣ .**

**السياسة الدينية - ما بين الدين والمال - تساهل الداعي - ظاهر
علم الأئمة - تغييرات باسم السنة - اعتدال الداعي ، ص ١٢٥ - تشدد
المهدي - مذهب جعفر بن محمد ، ص ١٢٦ - غلاة المذهب ، ص ١٢٧ -
مسئولية الدعوة ، ص ١٢٩ - اختراق الآداب الاسلامية ، ص ١٢٩ - غلاة
الدعاة ، ص ١٣٠ - الكف عن طلب التشيع من العامة ، ص ١٣٢ - الجدل
بين السنة والشيعية ، ص ١٣٣ - تساهل الداعي ومرونته ، ص ١٣٤ -
الحياة الفكرية والثقافية - المذهب الفاطمي ، ص ١٣٥ - موضوع الامام
المعصوم ، ص ١٣٦ - بقاء العامة سنّية بفضل علماء المالكية ، ص ١٣٧ -
ندرة علماء الشيعة ، ص ١٤٠ - ما بين أدب الدنيا والدين ، ص ١٤١ -
معارضة التشيع - تشدد المهدي والقاضي البروزي ، ص ١٤٢ - ما بين
التاريخ والحرفات والأساطير في سير العلماء ، ص ١٤٤ .**

**صقلية الفاطمية على عهد المهدي ، ص ١٤٥ - الحسن بن أبي خنزير
واليا ، ص ١٤٦ - ابن رهب والدعوة العباسية ، ص ١٤٧ - ابن قرهب
مجاهدا ، ص ١٤٨ - الاتصال بخلافة بغداد ، ص ١٤٩ - نهاية ابن قرهب ،
ص ١٥٠ - الضيف واليا بصقلية ، ص ١٥١ - ضرب مقاومة أهل صقلية
ودخول بلرم ، ص ١٥٢ - ولاية سالم بن راشد ، ص ١٥٣ - العلاقات مع
كلابريا وجنوب إيطاليا ، ص ١٥٣ - اجتياح ريوة ، ص ١٥٥ - حملات على**

جنوب إيطاليا ، ص ١٥٦ - اجتياح أوربيه ، ص ١٥٧ - حملات صابن
الفتي ، ص ١٥٨ - جباية الضرائب في صقلية ، ص ١٥٩ .

الفصل الثاني

الفاطميون في المغرب ، من وفاة المهدي حتى النقلة الى مصر

• القائم - المنصور - المعز - تمهيد ، ص ١٦١ .

• القائم - ولايته ، ص ١٦٢ - صفاته ، ص ١٦٣ .

الأحوال الداخلية - الكاتب والحاجب - ثورة طرابلس (ابن طلوت) ،
ص ١٦٥ - الصراع من أجل المغرب ، ص ١٦٦ - محاولة استرجاع فاس -
تأديب نكور والتحالف مع الأدارسة ضد موسى بن أبي العافية ، ص ١٦٧ -
القتال في الزاب وأوراس ، ص ١٦٨ - موسى بن أبي العافية - زجل
الأمويين في فاس - سجداسة الصفرية والمذهب المالكي ، ص ١٦٩ .

**أبو يزيد والثورة الزناتية ، ص ١٧٠ - شخصيته وتكوينه - أبوعمار
الأعمى - الاحتساب ، ص ١٧١ - بداية الثورة في توزر - دار الهجرة في
أوراس ، ص ١٧٣ - مراحل الثورة ، ص ١٧٤ - فتح بلاد الزاب ، ص ١٧٥ -
الاستيلاء على الأقاليم البحرية الشمالية في باجة وتونس ، ص ١٧٦ -
دخول القيروان ، ص ١٧٧ - التحالف مع المالكية ، ص ١٧٨ - الهجوم على
منطقة الساحل وحصار المهديّة ، ص ١٧٩ - الرحيل عن المهديّة ، ص ١٨٣ -
نهاية الثورة على عهد المنصور ، ص ١٨٥ - معونة عبد الرحمن الناصر -
محمد بن خزر الزناتي يدخل في طاعة المنصور ، ص ١٨٦ - معركة قلعة
كيانة وأسر أبي يزيد ، ص ١٨٨ - أصداء الثورة (بعد مقتل بن أبي يزيد) ،
ص ١٨٩ - تهديّة المغرب ، ص ١٩١ - حملة تاهرت ضد الزناتية أتباع
الناصر ، ص ١٩٢ - مسرور الخادم واليا لتاهرت - مرض المنصور - جولة
أثرية للمنصور في منطقة لواته ، ص ١٩٣ - الاحتفال بالنصر في القيروان .
ص ١٩٤ .**

**خلافة المنصور الفاطمي - شخصيته - الفصاحة - الصفيح - الضعف
الصحي ، ص ١٩٦ - الكفاية والتناؤل ، ص ١٩٧ - الجرأة وحب العلم ،
ص ١٩٨ - جامع الأضداد ، ص ٢٠٠ .**

السياسة الداخلية - كتمان توليته للعهد ، ص ٢٠٠ - اعلان خلافته،

جنوب إيطاليا ، ص ١٥٦ - اجتياح أوريه ، ص ١٥٧ - حملات صابن
الفتى ، ص ١٥٨ - جباية الضرائب فى صقلية ، ص ١٥٩ .

الفصل الثانى

الفاطميون فى المغرب ، من وفاة المهدي حتى النقلة الى مصر

القائم - المنصور - المعز - تمهيد ، ص ١٦١ .

القائم - ولايته ، ص ١٦٢ - صفاته ، ص ١٦٣ .

الأحوال الداخلية - الكاتب والحاجب - ثورة طرابلس (ابن طلوت) ،
ص ١٦٥ - الصراع من أجل المغرب ، ص ١٦٦ - محاولة استرجاع فاس -
تأديب تكور والتحالف مع الأدارسة ضد موسى بن أبى العافية ، ص ١٦٧ -
القتال فى الزاب وأوراس ، ص ١٦٨ - موسى بن أبى العافية - زجل
الأمويين فى فاس - سبلماسة الصفرية والمذهب المالكي ، ص ١٦٩ .

أبو يزيد والثورة الزناتية ، ص ١٧٠ - شخصيته وتكوينه - أبوعمار
الأعمى - الاختساب ، ص ١٧١ - بداية الثورة فى توزر - دار الهجرة فى
أوراس ، ص ١٧٣ - مراحل الثورة ، ص ١٧٤ - فتح بلاد الزاب ، ص ١٧٥ -
الاستيلاء على الأقاليم البحرية الشمالية فى باجة وتونس ، ص ١٧٦ -
دخول القيروان ، ص ١٧٧ - التحالف مع المالكية ، ص ١٧٨ - الهجوم على
منطقة الساحل وحصار المهديّة ، ص ١٧٩ - الرحيل عن المهديّة ، ص ١٨٣ -
نهاية الثورة على عهد المنصور ، ص ١٨٥ - معونة عبد الرحمن الناصر -
محمد بن خزر الزناتى يدخل فى طاعة المنصور ، ص ١٨٦ - معركة قلعة
كيانة وأسر أبى يزيد ، ص ١٨٨ - أصدقاء الثورة (بعد مقتل بن أبى يزيد) ،
ص ١٨٩ - تهديّة المغرب ، ص ١٩١ - حملة تاهرت ضد الزناتية أتباع
الناصر ، ص ١٩٢ - مسرور الحادم واليا لتاهرت - مرض المنصور - جولة
أثرية للمنصور فى منطقة لواته ، ص ١٩٣ - الاحتفال بالناصر فى القيروان ،
ص ١٩٤ .

خلافة المنصور الفاطمى - شخصيته - الفصاحة - الصنف - الضعف
الصحى ، ص ١٩٦ - الكفاية والتفاؤل ، ص ١٩٧ - الجرأة وحب العلم ،
ص ١٩٨ - جامع الأضداد ، ص ٢٠٠ .

السياسة الداخلية - كتمان توليته للعهد ، ص ٢٠٠ - اعلان خلافته،

ص ٢٠١ - بناء المنصورية ، ص ٢٠١ - التخطيط ، ص ٢٠٢ - البقايا ،
ص ٢٠٣ .

أصول الحكم عند المنصور - المهادنة والوفاق - مغزى بناء المنصورية -
الكرم والتواضع ، ص ٢٠٤ - إقامة العدل ، ص ٢٠٥ - إعادة الثقة مع
الكتاميين ، ص ٢٠٦ - إعادة الحجر الأسود ، ص ٢٠٨ .

الصراع في المغرب ، ص ٢٠٨ - برغواطية والزندقة ، ص ٢٠٩ -
عمارة وادعاء النبوة ، ص ٢١٠ ، ٢١١ - فاس ما بين مكناسة والأدارسة ،
ص ٢١٢ - بنو محمد الأدارسة - (محمد كنون) - أبو العيش بن كنون ،
ص ٢١٣ - الصراع بين أتباع الناصر ، ص ٢١٤ - غلبة الناصر على المغرب
ما عدا سجلماسة ، ص ٢١٥ - اجتياح تاهرت باسم الناصر ، ص ٢١٦ -
سجلماسة : محمد بن الفتح والدعوة العباسية ، ص ٢١٧ - نهاية المنصور .
ص ٢١٨ .

المعز لدين الله - ولايته - شخصيته ، ص ٢٢٠ - الصنف والحزم ،
ص ٢٢١ - البسطة وحب العمل ، ص ٢٢٣ - الزهد - برنامج العمل
اليومي ، ص ٢٢٤ .

سياسة المعز المغربية ، ما بين الاقدام والتربص ، ص ٢٢٤ - الصراع
مع الأمويين في المغرب - نفوذ الناصر في أرشقول وتامسنا ، ص ٢٢٥ -
خضوع الأدارسة في طنجة والعدوة (المغربية) ، ص ٢٢٦ - هيمنة الناصر
على سبتة وتطوان ، ص ٢٢٧ - سجلماسة تدخل الدعوة العباسية - الصراع
البحري ضد الأمويين ، ص ٢٢٨ - الصدام البحري قرب صقلية وفي سواحل
الأندلس والمغرب ، ص ٢٢٩ - حملة معزية تجتاح المغرب (حملة جوهر)
(٩٥٨/٣٤٧) - تاهرت (يعلى بن محمد) ، ص ٢٣١ - سجلماسة (أحمد
ابن بكر) ، ص ٢٣٢ - فاس ، ص ٢٣٣ - سبتة وتطوان وطنجة ، ص ٢٣٤ -
سقوط فاس على يد زيري الصنهاجي ، ص ٢٣٥ - محمد بن خزر في
الطاعة الفاطمية ، ص ٢٣٦ .

السنوات الأخيرة للعصر الفاطمي في المغرب - سياسة مزدوجة : تأكيد
الوجود والعمل على الرجيل ، ص ٢٣٦ - سياسة مناهضة لصاحبي فاس
وسجلماسة ، ص ٢٣٧ - رد الفعل الأموي في الأندلس - كفاح من أجل
الهيمنة على العدو وتامسنا ، ص ٢٣٩ - كريت : سقوطها بين يدي نفقور

فوكاس ، ص ٢٤٠ - تهديد الإمبراطور الرومي - محاولة اجتذاب الأخشيد
في مصر ، ص ٢٤١ .

هل تحققت الأمانى : الاحتفالات الفاطمية الشعبية الكبرى - احتفالات
الختان ، ص ٢٤٢ - المركز قصر البحر ، ص ٢٤٣ - الأعداد - أيام أعياد
ومسرات ، ص ٢٤٤ .

السياسة الدينية - التمسك بشعائر المذهب ، ص ٢٤٥ - احياء
التلاعن مع الأمويين ، ص ٢٤٦ - اللقب الخلفى من أسباب الوحشة -
المراسلات ، ص ٢٤٧ - فى الحرية المذهبية والحج ، ص ٢٤٨ .

أحوال المغرب ما بين فتح جوهر ، مصر ونقل المعز إليها ، ص ٢٤٩ -
الأعمال التمهيدية - جولة مبدئية فى بلاد كتامة ، ص ٢٥٠ - المسير من
الحضرة ، ص ٢٥١ - عودة المعز الى قصره - مسير الأسطول ، ص ٢٥٢ -
اضطراب زناطة بقيادة محمد بن الخير ، ص ٢٥٣ - ثورة محمد بن الخير
الزناتى - مقتل زيرى بن مناد ، ص ٢٥٤ - ثار بلكين من محمد بن الخير ،
ص ٢٥٥ .

أحوال صقلية من عهد القائم الى انتقال المعز الى القاهرة - غارة على
جنوة ، ص ٢٥٦ - استمرار ولاية سالم بن راشد ، ص ٢٥٧ - ثورة
الصقاليين فى بلرم ، ص ٢٥٨ - حملة خليل بن اسحق ما بين المواقف
الشجنية والأعمال الثأرية ، ص ٢٥٩ - ثارات متبادلة ، من تشديد الحصر
والاتصال بالقسطنطينية والهجرة الى بلد الروم ، ص ٢٦٠ - نهاية مهمة
خليل بن اسحاق ، ص ٢٦٢ - ولاية ابن عطف ، ص ٢٦٣ - ولاية حسن
ابن أبى الحسين الكلبى ، ص ٢٦٤ - ردع بنى الطبرى فى بلرم ، ص ٢٦٥ -
الصراع ضد الروم ، ص ٢٦٦ - قائد كلابريا يستعين بامبراطور الروم ،
ص ٢٦٧ - الحسن يفرض الهدنة على الروم ، ص ٢٦٨ .

صقلية على عهد المعز حتى نقلته الى مصر ، ص ٢٦٨ - حملات أحمد بن
الحسين فى ايطاليا ، ص ٢٦٩ - نشر المذهب الفاطمى فى صقلية ، ص ٢٧٠ -
الاستيلاء على قلعة طبرمين ، ص ٢٧١ - فتح رمطة : انتصارات لامعة على
الروم ، ص ٢٧٢ - وقعة المجاز (مسينا) البحرية ، ص ٢٧٤ - محاولة
اعفاء بنى الحسن الكلبيين من حكم صقلية ، ص ٢٧٥ - اقرار بنى الحسن
الكلبيين من جديد فى ولاية صقلية ، ص ٢٧٦ .

أحوال الأقاليم الشرقية في كل من طرابلس وبرقة قبل رحيل المعز الى مصر - تمهيد ، ص ٢٧٧ - طرابلس قاعدة للأسطول ، ص ٢٧٨ - برقة حاضرة مزدهرة ، ص ٢٧٨ - الرحيل الى مصر - الاعداد للموكب الخلافي ، ص ٢٧٩ - ترتيب شئون الحكم في المغرب وصقلية - أفريقية ، ص ٢٨٠ - طرابلس - صقلية ، ص ٢٨١ - الرحلة الى مصر - أصول الحكم في أفريقية وآخر وصايا المعز ، ص ٢٨٢ - وفاة محمد بن هانيء في برقة ، ص ٢٨٤ .

الفصل الثالث

العصر الصنهاجي الأول في بلاد المغرب الزيريون خلفاء الفاطميين في أفريقيا

تمهيد : عهد جديد ، ص ٢٨٥ - تشابه دورات التاريخ الأندلسي والمغربي - القطيعة في المغرب ، ص ٢٨٦ - أهمية الهجرة الهلالية - عربوة الدولة الصنهاجية - حيز محدود للشئون الدينية ، ص ٢٨٧ - المقابلة مع دولة الملثمين من لمتونة ومسوفة - أثر الحصار العربية الأندلسية ، ص ٢٨٨ - عصر السيادة البربرية ، ص ٢٨٩ .

صنهاجة افريقية : المواطن والقبائل ، ص ٢٨٩ - بلاد صنهاجة ، ص ٢٩٠ - قبائل صنهاجة ، ص ٢٩١ - بنو مناد ، ص ٢٩٢ .

الأسرة الزيرية - بلكين بن زيري ملكا مؤصلا ، ص ٢٩٢ - مناد ، ص ٢٩٣ - زيري ، ص ٢٩٤ - بناء أشير ٣٢٤ هـ / ٥ - ٩٣٦ م ، ص ٢٩٥ - ازدهار أشير ، ص ٢٩٦ - زيري بن مناد والصراع ضد زناتة ، ص ٢٩٧ - حزب موسى بن أبي العافية - جهاد برغواطة ، ص ٢٩٨ - نجدة القائم ضد أبي يزيد - هجوم الزناتية وتهديد أشير ، ص ٢٩٩ - مقتل زيري ، ص ٣٠٠ .

السياسة الداخلية في حكومة القيروان من بلكين الى المعز بن باديس - أفريقية الزيرية نيابة فاطمية - توزيع الاختصاصات بين الأدير والعمال ، والعلاقة مع الخلفاء بالقاهرة - الادارة المالية ، ص ٣٠١ - الصراع مع عامل الخلافة (ابن القديم) - عبد الله بن محمد الكاتب ، ص ٣٠٣ - أصداء التخلص من ابن القديم : ائازة كتامة ، ص ٣٠٤ - ثورة خلف بن خير ، ص ٣٠٥ - تحسن العلاقة مع الخلافة واستعادة ولاية طرابلس ، ص ٣٠٦ - اخوة بلكين يجآون الى القاهرة ، ص ٣٠٧ - عبد الله الكاتب يؤلف حرسا

أسود ، ص ٣٠٨ - المنصور يحاول التخلص من عبد الله الكاتب ، ص ٣٠٨ - المنصور يعلن انه ليس ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب ، ص ٣٠٩ - المنصور يصطحب عبد الله الكاتب الى أشير ، ص ٣١٠ - الكتاب يساعده الداعي أبى الفهم - عبد الله الكاتب داعيا للدعاة ، ص ٣١١ - التخلص من عبد الله ابن محمد الكاتب ، ص ٣١٢ - ردود الفعل : العسكر الأميرى ينهب ضواحي القيروان ، ص ٣١٣ - توتر العلاقة مع الخلافة وثورة كتامة تحت قيادة أبى الفهم ، ص ٣١٤ - ترهيب سفيرى القاهرة ، ص ٣١٥ - رد لين للخلافة - تبادل الهدايا مع الخلافة ، ص ٣١٦ - الشريف الباهرى يأخذ البيعة على باديس المنصور وصنهاجة ، ص ٣١٦ - الخلافة تحاول استرجاع طرابلس ، ص ٣١٨ - أبو ركوته والثورة الزناتية فى برقة ، ص ٣١٩ - فلفل بن سعيد الزناتى فى طاعة القاهرة - أبناء محمد بن أبى العرب يلجأون الى فلفل الزناتى - أبناء ينال التركى فى طرابلس على علاقة حسنة مع فلفل ، ص ٣٢٠ - وروا أخو فلفل زعيما للزناتية فى نفزاوة ، ص ٣٢١ - علاقات حسنة بين الحاكم وباديس - تبادل الهدايا - علاقة عرب بنى قره فى برقة بالقاهرة ، ص ٣٢٢ - سجل بولاية العهد للمنصور بن باديس ، ص ٣٢٣ - سوء العلاقة مع حماد بن بلكين ، ص ٣٢٤ .

مبادئ الحكم فى العمالة الافريقية وتطبيقاتها العملية - اقرار الأمن .
 ص ٣٢٥ - تلخيص البروامج السياسى الذى رسمه المعز لنائبه بلكين ، ص ٣٢٦ - اقرار الأمن فى أفريقية وأعمالها : باغاية وتاهرت ، ص ٣٢٧ - اضطراب رجال الأسطوخ ، ص ٣٢٨ .

عهد المنصور - اقرار السلطان الأميرى بالقيروان : محاولة اقضاء
 الكاتب ، ص ٣٣٠ - فى كتامة : ثورة أبى الفهم ، ص ٣٣١ - الانتقام من ميله ، ص ٣٣٢ - تأديب كتامة والمثلة بالنائر ، ص ٣٣٣ - رد الفعل فى كتامة - ثورة أبى نوح ، ص ٣٣٤ - طاعة سعيد بن خزون الزناتى والعهد له بطبنة - عامل افريقية تابعا للأمير ، ص ٣٣٥ - باديس ما بين خلافة الحاكم فى مصر وولاية عمه حماد فى أشير ، ص ٣٣٦ - سمات الدولة الزيرية أيام باديس ، ما بين الامارة وعمالة الحراج ، ص ٣٣٧ - انتفاضة كتامية - الأمر بالمعروف - نهاية باديس فى حصار عمه حماد بالقلعة ، ص ٣٣٩ .

الصراع ضد الزناتية - التمهيد ، ص ٣٤٠ - الزناتية فيما بين باغاية وتلمسان ، ص ٣٤١ - الزناتية ينهون الأسيرة المدارية فى سجلماسة ،

ص ٣٤٢ - حملة بلكين الأخيرة في المغرب الأقصى : ما بين فاس وسجلماسة
 وسبتة ، ص ٣٤٣ - حرب برغواطية ومحاولة القضاء على زندقتهم ، ص
 ٣٤٤ - الخلافة تطلب ألف فارس ، منهم أبناء زيري - نهاية باكين واسترجاع
 الزناتية فاس وسجلماسة ، ص ٣٤٥ - زيري بن عطية يدافع عن فاس أمام
 يطوفت ، ص ٣٤٦ - الفشل في مواجهة زناتة - طبنة ولاية زناتية بالورانة ،
 ص ٣٤٧ - هزيمة فاحشة لقوات صنهاجة أمام زيري بن عطية - أمير فاس
 أول عهد باديس ، ص ٣٤٩ - باديس يقود الصراع ضد الزناتية في قلب
 أفريقية والمغرب ، ص ٣٥١ - باديس يحقق انتصارا كبيرا على فلغل بن
 سعيد الزناتي ، ص ٣٥٢ - تحالف أبناء زيري مع فلغل الزناتي الذي لجأ
 إلى طرابلس ، ص ٣٥٣ - أسرة زناتية بمدينة طرابلس - فلغل بن سعيد
 أميرا ، ص ٣٥٤ - محاولة التمدد في أفريقية ونفزاوة ، ص ٣٥٥ .

الانقسامات في الأسرة الزييرية - تمهيد ، ص ٣٥٧ - الانشقاق الأول ،
 ص ٣٥٨ - أولاد زيري بن مناد والعلاقات مع الأندلس - على عهد المنصور ،
 ص ٣٥٩ - في جليقية ، ص ٣٦٠ - عصيان أبي البهارين زيري ، ص ٣٦١ ،
 التحالف مع زيري بن عطية (القرطاس) ، ص ٣٦٢ - الخلاف بين أولاد
 زيري وباديس ، ص ٣٦٤ - مقتل ماكسن بن زيري وبنيه ، ص ٣٦٦ -
 زاوي (ابن زيري) في الأندلس من جديد ، ص ٣٦٧ - الصراع بين باديس
 وعمه حماد ، ص ٣٦٨ .

السياسة المالية والأحوال الاقتصادية - تمهيد ، ص ٣٦٩ - الإدارة
 المالية تابعة للخلافة - العامل يجمع تبرعات للخلافة ، ص ٣٧٠ - زيادة
 الخزان ، ص ٣٧١ - امتحان أولى لعبد الله الكاتب ، ص ٣٧٢ - الهدايا
 للأمير - صعوبة موقف العامل بين الخليفة والأمير ، ص ٣٧٣ - المعامل
 يوسف بن أبي محمد : أسلوب خاص للجباية ، ص ٣٧٤ - الموقف الضرائبي
 في بلاد كتامة ، ص ٣٧٥ - محنة البوني مساعد عامل الخراج ، ص ٣٧٦ -
 نفقات البلاط وروافد بيت المال من الغرامات ، ص ٣٧٧ .

الفصل الرابع المعز بن باديس

سمات العهد ، ص ٣٧٩ - المعز قاصرا تحت وصاية العمة أم ملال ،
 ص ٣٨٠ .

الأحوال الداخلية - اضطراب العامة بالقيروان ، ص ٣٨١ - مناهضة

التشيع والعودة الى السنة - تمهيد - ص ٣٨٢ - مسئولية الأمير طفلاً
 قاصراً - أول اهتمام بالأمر الدينية - ص ٣٨٤ - مسئولية تبلور الاتجاه
 السنى - ص ٣٨٥ - مهاجمة حى الشيعة فى درب المعلى فى يوم عاشوراء -
 وفى المهديّة ، ص ٣٨٦ - موقف ترقب فى القاهرة - محاولة الهجرة الى
 صقلية ، ص ٣٨٧ - التقيّة ، ص ٣٨٨ .

حسم العلاقات ما بين الخلافة بالقاهرة والنيابة بالقيروان ، ص ٣٨٨ -
 اختلاف الروايات ، ص ٣٨٩ - الاتصال ببغداد والعصيان المدني بالقيروان ،
 ص ٣٩٠ - لعن الفاطميين - احراق البنود وتبديل السكة - الخطبة لخليفة
 بغداد سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، ص ٣٩١ - مسئولية المعز شاباً راشداً -
 محاولات تقويم العلاقات بين القاهرة والأمير الزيرى ، ص ٣٩٢ - المرحلة
 الثالثة والأخيرة للقطيعة سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، ص ٣٩٣ .

اقرار الأمن ومواجهة الفتن الداخلية - النزاعات العرقية من زنازية
 وغيرها ، ص ٣٩٤ - مهاجمة دواب المعز فى قابس ، ص ٣٩٥ - الهجوم على
 المنصورية، ص ٣٩٦ - اضطراب طائفة من صنهاجة ، ص ٣٩٧ - الاضطرابات
 الاقليمية ، ص ٣٩٨ - ما بين الدعوة للفاطميين والأمر بالمعروف ، ص ٣٩٩
 - طرد واعظ الى القاهرة ، ص ٤٠٠ .

ما بين الأمير والوزير ورجال الدولة - تكوين أسرة أميرية - زواج
 المعز بن باديس ، ص ٤٠١ - ممارسة السلطات المطلقة - نكبة الوزير قائد
 الجيش أبى عبد الله محمد بن الحسن ، ص ٤٠٢ - اتهامه بالحيانة فى الأموال -
 عصيان عبد الله بن محمد (أخى الوزير) فى طرابلس ، ص ٤٠٣ - أبو القاسم
 ابن محمد بن أبى العرب وزيراً - أبو البهار بن خلوف وزيراً - سياسة
 حازمة تجعل من أبى البهار مركز قوة يخشى أمرها ، ص ٤٠٤ - امتحانات
 العمال ، ص ٤٠٥ .

الأمير وفراد الأسرة الحاكمة - تمهيد ، ص ٤٠٥ - الصراع ضد حماد
 ابن بلكين ، ص ٤٠٦ - المعز ينزل الهزيمة بحماد (٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م) ،
 ص ٤٠٧ - حماد يطلب الصلح ويقدم ابنه القائد رهينة - القائد واليا ،
 ص ٤٠٨ - قيام النزاع بين الأسرتين ، واعتبار سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م سنة
 الفصل بين الدولتين البلكينيتين ، ص ٤٠٩ .

الاقتصاد والمال والحضارة على عهد المعز بن باديس - تمهيد ، ص

- ٤١٠ - الاحتفالات الشعبية والمواكب الأميرية ، ص ٤١١ - دخل
 الشروة الزراعية ، ص ٤١٣ - الشروات المعدنية - المكاييل والمو
 السكة ، ص ٤١٤ - الكوارث الطبيعية ، ص ٤١٥ - أشهر الأعمال
 - احتفال ولاية العهد للأمير تميم ، ص ٤١٦ .

العرب الهلالية في أفريقية والمغرب - الهجرة - تمهيد ، ص
 التعريف بالهلالية - التنغرية الهلالية ما بين الحقيقة والخيال ، ص
 مواطنهم بالصعيد - تهجيرهم ما بين الجرجرائي واليازوري ، ص
 اليازوري يشير على المستنصر الفاطمي باصطناع العرب والعهد لهم
 أفريقية ، ص ٤٢٠ - نجاح الرحلة الى برقة وتقاطر المهاجرين من
 ص ٤٢٢ - تقسيم البلاد بين بنى سليم فى الشرق وبنى هلال فى
 مؤنس بن يحيى الرياحى أول الرواد ، ص ٤٢٣ - عرب برقة حلقت
 ضد المستنصر ، ص ٤٢٤ - المعز بين اللامبالاة بالعرب ومحاولة ادخا
 خدمته ، ص ٤٢٥ - حصار القيروان بين الأسطورة والتاريخ ، ص
 مقدمات الصراع : تقييم الموقف ، ص ٤٢٦ - ما بين القوتين المتصار
 مبالغات ابن رشيق وابن شرف وموقفهما من محنة القيروان ، ص
 المناوشات الأولية والحشد للمعركة ، ص ٤٢٨ - المناوشات الأولية
 ٤٢٩ - معركة يوم العيون ، ص ٤٣٠ - معركة عيد الأضحى ، ص
 بناء سور القيروان وصبرة - يوم حيدران والمعركة الحاسمة ، ص ٤٣١
 حصار القيروان والاجراءات التحفظية - انتفاضة العامة بالقيروان
 ٤٣٤ - الاحاطة بالقيروان ، ص ٤٣٦ - النقلة الى المهديّة ، ص ٤٣٦ -
 القيروان وسيادة البدو من بربر وعرب على المنطقة ، ص ٤٣٧ - تباشير
 الطوائف - وفاة المعز ، ص ٤٣٩ .

الفصل الخامس

خريطة أفريقية وبلاد المغرب حوالى منتصف القرن الـ ٥ هـ / ١١
 ملوك الطوائف فى أفريقية - دولة المهديّة الزيرية وعلاقتها بالدولة الحم
 ٤٤١ - الموقف من الهلالية ، ص ٤٤٣ - طوائف أفريقية ما بين
 والبربر البادية - طرابلس مملكة زناتة - فلقول بن سعيد وأخوه و
 ص ٤٤٤ - خليفة بن وروا ، ص ٤٤٧ - المنتصر بن وروا ، ص ٤٤٨
 الطوائف فى مدن الساحل ، ص ٤٤٩ - الصراع مع صاحب صفاقس
 ٤٥٠ - سوسة - القيروان وتونس - الحرب بين الناصر بن علناس
 ابن المعز وأتباعها من العرب ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ ، ص ٤٥١ - معركة مسمي

ص ٤٥٤ - نتائج معركة سيبية : تطويق القلعة ، ص ٤٥٥ - بناء مدينة بجاية ، ص ٤٥٦ - التخطيط والبناء ، ص ٤٥٨ - التطور - تميم بن المعز والصراع مع المتغلبين في أفريقية ، ص ٤٥٩ - في القيروان وتونس ، ص ٤٦٠ - غارة ثارية للناصر بن علناس بأفريقية ، ص ٤٦١ - شريط الأحداث الصغيرة في أفريقية والمغرب الأوسط - ما بين الصنهاجيين والهلالية - خروج زغبة من أفريقية على أيدي رياح ، ص ٤٦٢ - الصلح بين تميم بن المعز والناصر بن علناس - استمرار الصراع مع المتغلبين على المدن الساحلية ، ص ٤٦٣ - أساطيل جنوة وبيزا تهاجم المهديّة وزويلة سنة ١٠٨٨/٤٨٠ - الأسباب ، ص ٤٦٤ - الحملة ، ص ٤٦٦ - التجمع في جزيرة قوصرة ، ص ٤٦٧ - موقف المهديّة واقتحام زويلة ، ص ٤٦٨ - الصلح ، ص ٤٦٩ - عودة الصراعات الداخلية مع المتغلبين والعرب ، ص ٤٧٠ - قدوم بشائر من ترك المشرق الى أفريقية - شاهملك في طرابلس ، ص ٤٧١ - الترك في خدمة تميم والغدر بولي العهد يحيى ، ص ٤٧٢ - حصار صفاقس - خروج المشى بن تميم الى قابس وشغبه على والده وأخيه بالمهدية ، ص ٤٧٣ - استرداد قابس ١٠٩٧/٤٨٩ ، ص ٤٧٤ - العقد الأخير من حكم تميم - ص ٤٧٦ - فتح صفاقس ١١٠٠/٤٩٣ - السنوات الأخيرة من عهد تميم - ص ٤٧٦ .

صقلية وجنوب إيطاليا في العصر الزيرى - أبو القاسم علي بن الحسن
ابن أبي الحسين أميراً - جهاد الروم في مسينا وكلابريا ، ص ٤٧٨ - جماعات المجاهدين « المرتزقة » في جنوب إيطاليا - الاستيلاء على قلعة أغاثه واجتياح طارنت ، ص ٤٧٩ - استشهاد أبي القاسم أمام أوتو الثاني وولاية ابنه جابر ، ص ٤٨٠ - معالم بلرم على عهد أبي القاسم ، ص ٤٨١ - جابر بن أبي القاسم أميراً - أمراء عابرون يحيون العافية ، ص ٤٨٣ - ثقة الدولة يوسف بن عبد الله : حكم قواعده العدل والجهاد والجود ، ص ٤٨٤ - جعفر ابن يوسف أميراً ، وبداية التفكك في الأسرة الكلبيّة ، ص ٤٨٥ - ثورة علي ابن يوسف واستبداد جعفر - سياسة مالية متشددة تفجر الثورة ضد جعفر ، ص ٤٨٦ - أحمد الأكليل بن يوسف واليها لصقلية في منعطف حاسم ، ص ٤٨٧ - محاولة للمساعدة من المهديّة لا يقدر لها النجاح - نجاحات مبشرة في الصراع البحري ضد الروم ، ص ٤٨٨ - الأكليل وسياسة : « فرق تسد » ، ص ٤٨٩ - تدخل المعز في شئون صقلية - الحسن مصمم الدولة - حكم الطوائف في صقلية وبداية النهاية للعصر الإسلامي - التحالف العائلي بين ابن الثمنا صاحب سرقوسة وابن الحواس

(ش)

صاحب قصر يانة ، ص ٤٩١ - الصراع بين ابن الثمننة وابن الحواس ،
والتدخل النورمندي في الجزيرة ، ص ٤٩٢ - فشل التدخل الزيري في
صقلية وضياع الجزيرة ، ص ٤٩٣ .

بلاد المغرب في منتصف القرن الـ ٥ هـ / ١١ م - الحماديون همزة
الوصل ما بين أفريقية والمغرب ، ص ٤٩٦ - تاهرت وتلمسان ما بين أفريقية
والمغرب ، ص ٤٩٧ - غلبة زيري بن عطية على فاس - بناء وجدة ، ص
٤٩٨ - بنو يعلى الزناتية في تلمسان وملحمة أبي سعدى والهلالية - غارة
حمادية على فاس ، ص ٤٩٩ - بنو موسى بن أبي العافية في فاس ، ص
٥٠٠ - بنو خزر المغراويون وغلبة صاحب سلا : أبي التكمال تميم اليفرنى
على فاس ، ص ٥٠٢ - دوناس بن حماسة محضر فاس ، ص ٥٠٣ - المغراويون
الأواخر في فاس : صراع الاخوة بين الفتوح وعجيسة ، ص ٥٠٤ - امارة
سجلماسة الزناتية ، ص ٥٠٥ - سبتة وطنجة : مجاز العدو الأندلسية ،
منطقة نفوذ بني حمود الأدارسة ، ص ٥٠٦ - خلافة علي بن حمود بقرطبة -
الحموديون بمالقة والمرية ومليلة ، ص ٥٠٧ - الحسن بن علي المستنصر
بسبتة - تغلب الحاجب سكوت بسبتة ، ص ٥٠٨ - اغمات في سفوح جبال
المصامدة (درن) وأماؤها المغراويون - أهمية اغمات على طرق التجارة .
ص ٥٠٩ - لقوط بن يوسف آخر أمراء اغمات المغراويين ، ص ١١٥ .

الصحراء الواعدة في المغرب الأقصى على تخوم السودان - المرابطون
وارهاصات الوحدة - امكانات الصحراء ، ص ٥١١ - صنهاجة الصحراء
ومواطنهم ، ص ٥١٢ - ثروات الصحراء المعدنية ، ص ٥١٣ - الثروة
الزراعية ، ص ٥١٥ - الثروة الحيوانية ، ص ٥١٦ - صناعات الوحدة : رعاة
الابل ، الجمالون الكبار ، ص ٥١٧ - البساطة والقوة سمة النقاء والرجولة .
ص ٥١٨ .

- المصادر ، ص ٥١٩

- الفهرس التحليلي .

الأشكال والخرائط

الصفحة	
٩٧	شكل ١ - المهديّة
١٥٥	شكل ٢ - صقلية
١٨٠	شكل ٣ - أفريقية
٢٠٩	شكل ٤ - المغرب الأقصى
٢٩٠	شكل ٥ - بلاد القبائل : كتامة وصنهاجة
٢٩٦	شكل ٦ - موقع أشير
٣٥٠	شكل ٧ - إقليم تاهرت
٤٥٥	شكل ٨ - الأسرة الزناتية بطرابلس (شجرة النسب)
٤٥٧	شكل ٩ - الطريق ما بين القلعة وبجاية
٥١٤	شكل ١٠ - صحراوات المثلثين

تاريخ المغرب العربي
الفاطميون وبنو زيرو الصنهاجيون الى قيام المرابطين
الجزء الثالث

- المقدمة : في تاريخ المغرب العربي ما بين الفاطميين والمرابطين *
- الفصل الأول : عبيد الله المهدي ، أول الأئمة الخلفاء *
- الفصل الثاني : الفاطميون في المغرب ، من وفاة المهدي حتى النقلة الى مصر *
- الفصل الثالث : العصر الصنهاجي الأول في بلاد المغرب - الزيرون خلفاء الفاطميين في أفريقية *
- الفصل الرابع : المعز بن باديس *
- الفصل الخامس : خريطة أفريقية وبلاد المغرب حوالي منتصف القرن الـ ٥ هـ / ١١ م *

المقدمة

في المصادر

المصادر :

في تاريخ المغرب العربي ما بين الفاطميين والمرابطين

(٢٩٧ - ٤٦٨ هـ / ٩٠٩ - ١٠٧٤ م)

ملاحظات عامة :

افتقاد الوثائق :

آفة البحث في التاريخ الاسلامي بشكل عام ، وبضمنه تاريخ المغرب ، تتمثل في افتقاد الوثائق أو الأوراق الرسمية اللازمة للبحث مع ندرة النقوش والنقود^(١) ، الأمر الذي يجعل اعتماد الدارسين على مصادر

(١) وهنا لا بأس من الإشارة الى جهود الباحثين في إلغاء القسوة على الوثائق ، ما كان منها أصيلاً ، وما سجلت بوضوح في كتب المؤرخين ، ففياً يتعلق بتاريخ الفاطميين تذكر : الوثائق الفاطمية المجموعة من موسوعة صبيح الأعشى للقلقشندى ، بمعرفة جمال الدين الشيبان ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، والسجلات المستنصرية : سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الامام المستنصر بالله ٠٠ الى دعاة اليمن ، تحقيق عبد المنعم ماجد ، ومخطوطات ووثائق دير سانت كاترين ، مستخرج من المجلد الخامس من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٥٦ . وعن المرابطين والموحدين : رسائل مرابطية ، تحقيق حسين مؤنس ، مجلة المعهد المصري بمدريد ، ١٩٥٤ ، ومجموعة رسائل موحدية من انشاء كتاب العروة المزمينية ، تحقيق ليفي بروفسنسال ، الرباط ، ١٩٤١ .

والوثائق العربية ، نشر أماري (Amari, Diplomi Arabi) ، ووثائق ماس لا ترى بالفرنسية ، تحت عنوان : معاهدات سلام وتجارة ، ووثائق متنوعة خاصة بالعلاقات بين المسيحيين وعرب شمال افريقيا ، باريس ، ١٨٦٦ . وفي النقوش تذكر أعمال ماكس فان برشم (Max van Berchem) عن مصر ، وبمدها أعمال فيت (Wiet) . وعن المغرب هناك أعمال جورج مارسبييه : مجموعة النقوش العربية.

الدرجة الثانية ، مما يتمثل في الأدب التاريخي ، الذي كثيرا ما يتراوح بين تهافت الأمزجة الشخصية والاتجاهات العصبية والميول الدينية والاهوا- السياسية ، الى غير ذلك مما يؤدي الى الاقتراب أو البعد ، قليلا او كثيرا من الحقيقة التاريخية ، التي عادة ما تكون في حالة من الاتزان بين كل هذه الاتجاهات ، اعلم ، الا اذا اضطرب ذلك التوازن ، وأدى الى الانحراف في مسار الأحداث مما يقع في حالات الانقلاب أو الثورة ، حيث تتسارع الأحداث في مساراتها بشكل يميز ايقاعها السريع عن الايقاع الرتيب ، مما هو معتاد في حالات الاتزان والاستقرار .

والأمر لا يقف عند ذلك التمييز بين الوثائق التي يفترض فيها الصحة بصفتها الرسمية وبين الأدب التاريخي الذي قد يفقد تلك الصفة الشرعية . تبعا لظروف أصحابه وموقفهم من الأحداث التي يسجلونها ، سواء كانوا مؤرخين أو غير مؤرخين ، معاصرين أو متأخرين ، متعاطفين مع تلك الأحداث . كما وقعت ، أو معادين لها لسبب أو لآخر . فقد يمكن أن تفقد الوثائق . هي الأخرى ميزتها القانونية التي تحقق لها التفوق على الأدب التاريخي عندما يكون الهدف من اصدار الوثائق دعائيا أو عندما تكون الوثائق ناقصة تعرض ما يرغب أصحابها في عرضه ، وتسقط ما لا يرغب فيه (٢) ، وهو

بوتنس ، ١٩٥٥ . وعن الأندلس هناك نقوش ليقى برفسال .

Inscriptions arabes d, Espagne, Leyde, 1931.

وفيما يتعلق بالنقود تشير الى أعمال س . لين بول (S.Lane-Poole) ونقود عبد الرحمن فهمي ، وكتالوجات المتحف العامة والمجموعات الخاصة .

(٢) وهنا تشير الى ما أصدرته الخلافة العباسية باسم الخليفة المكتفي من رسائل تساتف الأمير الأغلبي زيادة الله الأخير ضد أبي عبد الله الشيعي ، والتي اتهمت الداعي بالكفر وتبديل الدين وسب الصحابة وشرب الخمر ، على عكس ما عرف عنه من الزهد والدين . انظر ابن عذارى ط . بيروت ، ج ١ ص ٢٢٠ ، وقارن افتتاح الدعوى للقاضي النعمان ، من ١٧٠ وما بعدها وص ١٧٤ وما بعدها حيث يشكك النعمان في كتاب الخليفة المكتفي . ومثل هذا يقال عن المحاضر التي أصدرتها الخلافة العباسية فيما بعد ، والتي شارك فيها الملويون ، مدفوعين بعوامل الخرف - على ما يرجح - أو العداة للمذهب ، سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م ، وستة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ، والتي تشكك في صحة نسب الفاطميين (انظر حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ٧٠ - ٧١) .

وفيما يتعلق بالمراميين راجع رسائل محمد بن تومرت الى أعوانه من الموحديين ومبالغتها في سب المرابطين واتهامهم بالتجسيم والكفر ، في مذكرات البيذق نشر ليقى برفوتسال . وفيما يتعلق بتزييف النقوش نكتفي بالإشارة الى ما ينسب الى الهدي ، أول أئمة الفاطميين ، من الأمر بأن تطلع من المساجد والمواجل والنصور والقنابر أسماء الذين بنوها ، وكتب فيها اسمه (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٩ وما بعدها) .

الأمر الذي يضير الرواية التاريخية أيضا ، أو الخبر ، اذا كان صاحبه من عمال السلطة أو مشايعيتها ، والعكس صحيح اذا كان يعمل في خدما الخصوم أو يعتنق من الآراء ما يناهض السلطة ويعاديها .

والملاحظة التي يشكو منها المؤرخ الحديث مما يتعلق بندرة انوثاتوث والنقوش والآثار الأصلية ، يمكن أن يندرج فيها أيضا ما يتعلق بالأخبار التاريخية التي قد تفتقد هي الأخرى ، في بعض الأحيان ، والتي قد تزداد بشكل مرهق في أحيان أخرى ، والتي قد تضطرب أو تتضارب فيما بينها بشكل يجعل الوصول الى الحقيقة من الصعوبة بمكان (٣) . ويمكن أن نجد أسبابا لبعض ذلك فيما نحاول الإشارة اليه ، فيما يأتي :

تكثر الأخبار وتزداد الروايات استفاضة عندما يتعلق الأمر بالانتصارات والمكاسب فتحيط بها الهالات والمبالغات بشكل طردى مع عظم النتائج ، وعلى العكس من ذلك تقل الأخبار وتشمع التفاصيل في أحداث الهزائم والنكسات . وفي جميع تلك الحالات يتهاى الجو لظهور الروايات الشعبية التي يمكن أن تحول الحقيقة التاريخية الى أسطورة خرافية أو على العكس من ذلك تجعل من الوهم في كتب التاريخ حقيقة ، الأمر الذي يعاني منه الباحث عندما يضطر الى الاختيار ما بين رفض الأسطورة أو تقييم أصولها التاريخية ان كان ذلك ممكنا (٤) .

(٣) وأهم التماذج بالنسبة لموضوعنا هو الاختلاف في صحة النسب الفاطمي ما بين مؤيديه ومكثريه ، مما دعا الى حيرة الباحثين من قدامى ومحدثين ، الأمر الذي دعا ابن خلدون الى التخل عن منهج النقد العلمي ، والقبول بمبدأ التحكيم الالهي الذي يقضى بأن نجاح الدعوة الفاطمية يعني أنها صحيحة والا لما قدر لها النجاح ، وتدل هذا يقوله عن الدعوة الأدرسية في المغرب الأقصى ، وكذلك عن دعوة ابن تومرت ، صاحب مذهب التوحيد ، الذي انتسب الى الأئمة العلويين ، رغم ما هو معروف من انتسابه الى قبيلة مرغة احدى قبائل مصوذة في بلاد السوس الأقصى (انظر الميرج ١ ص ٢٢) ، وعلى العكس من ذلك نقلت دعوة القرامطة لكونهم ادعياء في النسب الشريف (الميرج ١ ص ١٨) .

(٤) مثل رحلة المهدي من الشام الى المغرب الأقصى وما تخللها من مغامرات قصصية في مصر وبرقة وافريقية ، وكذلك في سجلماسة أنظر ج ٢ ص ٥٨٩ وما بعدها ، وبناء المهديّة، وثورة أبي يزيد الزناتي على عهد القائم وما دار حولها من علم المدائن (عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ١١٧ - ١١٨ والمجالس والمسائرات ، ص ٥٤٢) . والهجرة الهلالية ، وهل كانت من صعيد مصر لأسباب شخصية خاصة بموقف الوزير اليازوري ، من أمير القيروان الصنهاجي المرز بن باديس ، أم كانت من نجد لأسباب شخصية أيضا ، ولكن بين الشريف

ولا شك أنه لما كان من أهداف السرد التاريخي عند كثير من الكتّاب القدامى ، هو التسليح أو إعطاء العبرة والمرعظة ، فإن ذلك أدى إلى عناية بانتخاب الروايات المستطرفة والاختصار الغريبة . الأمر الذي كان يختر بالأحداث التاريخية إلى مجالات علم العجائب مما كان يؤدي بالكتّاب مؤرخاً لأن أم غير مؤرخ ، إلى الاهتمام بالأحداث الهامشية وإعطائها من العناية على حساب البنية التاريخية الحقيقية التي قد يضحى بها سبيل النوادر والنكت (٥) .

وهنا ننتقل من الملاحظات العامة إلى بعض التساؤلات الخاصة ومنها :

١ - إلى أي حد يمكن الاستفادة من الروايات التاريخية المتأخرة ؟

ولا شك أن هذا الأمر يكون محسوماً إذا وجدت الروايات المعاصرة التي يكون لها التفوق بطبيعة الحال ، إذا لم تكن مجردة لأمر أو لآخر . إذا اقتضت الروايات المعاصرة فإن المسألة تحتاج إلى عدد من الإجراءات المتأخرى في سبيل تقييم الروايات المتأخرة حتى يمكن الاطمئنان إليها مثل : الموقف الاجتماعي للمؤرخ ، وثقافته ، ومدى صلته بأصول المصادر وأدوات البحث ، وموقفه الخاص من الأحداث ؟

٢ - إلى أي حد يمكن الاستفادة من المصادر التاريخية ذات المناهج المختلفة من : الحوليات والطبقات والسير وتاريخ المدن ، وهل تنطبق عليها

أمر مكة وأسرة إشابة الهلالية الجازية (ابن خلدون ، العبر ج ٦ ص ١٣ - ١٩)
والحركة المرابطية وهل قامت على أكتاف الفقيه الجزولي عبد الله بن ياسين الذي كان يقيم الحدود بمتنها الحزم حتى على الأمير القائد للمرابطين وقتئذ (البكري ص ١٦٦) .
(٥) والمثل لذلك هو ثورة أبي زيد ، صاحب الحمار ، التي تظهر تفصيلاتها المرحقة في كتب الشيعة ، وهم الجانب المنتصر ، والتي نقلت عنهم حتى من قبل الخصوم ، كما في عيون الأخبار للداعي أدريس ، وخصوصاً فيما يتعلق بالمطاردة الأخيرة للثائر (ص ٢٥٤ وما بعدها) بينما نقل التفصيلات في كتب الأباضية كما عند الدرجيني ، وخاصة فيما يتعلق بالجزء الأخير من الصراع ، بينما تستفيض الرواية بعض الشيء عن بداية الثورة وقتما كانت تحقق الانتصارات (ص ١٠٠ - ١٠١) ، وفي كلا الجانبين تختلط الحقيقة بالأسطورة مثل قصة « الحدائق الحاصب بوصول الثائر إلى باب المهديّة التي تنبئ بنهاية ثورته (عيون الأخبار ، ص ١١٨ ، والدرجيني ص ١٠٢) ، الأمر الذي كان يشجع الاطمئنان في الجانب الفاطمي وقت الهزيمة - مما يعني أنها اصطفت في وقت متأخر من قبل الفاطميين بعد أن تحقق لهم الظفر .

أصول النقد التاريخي العام ، وخاصة فيما يتعلق بالتراجم وسير الرجال ؟

٣ - الحبر الأحادي ، وهل له أن يرجع على المتواتر (٦) .

٤ - الى اي حد يمكن الاستغدة من روايات المصادر غير التاريخية .
من : جغرافيه واجتماعيه وفلسفية ودينية وأدبية وفنية ؟ وعلى أي أساس .
يكون الجمع فيما بينها على صعيد واحد ؟ وأي منهج يطبق عليها ؟ وهي مر
المسائل التي يثيرها المسعودي في قواعده للنقد التاريخي في مروج الذهب
والتي يميز على أساسها طبيعة العمل التاريخي عندما يصدر من غير المؤرخين
من أصحاب الفكر والمناهج الدراسية الأخرى كالفلاسفة (٧) .

تلك مقدمات منهجية عامه رأينا أن نلمح ايها قبل عرضنا للمصادر
لعلها تثير بعض التأمل أو تحظى بشيء من اعمال الفكر ، فهي جديرة بذلك
حسبما نرى . والحقيقة انه لما كانت الدراسة تتكون من ٣ (ثلاثة)
عناصر ، هي :

١ - الفترة الفاطمية التي تمتد من ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م الى ٣٦٢ هـ /

٩٧٣ م (٨) .

(٦) والمثل لذلك تاريخ وفاة المهدي أول الفاطميين حيث ينفرد النتاج الدعوة للقاضي
التممان بتاريخ : صبيحة الثلاثاء ١٠ جمادى الآخر سنة ٢٢٢ هـ / ٢٩ مايو ٩٣٤ م ، بينما
يتواتر تاريخ منتصف ربيع الأول سنة ٢٢٢ هـ / ٦ مارس سنة ٩٣٤ م في المصادر المتبررة
الأخرى . وهنا نشير الى ان المسعودي عالج في نقده التاريخي في مروج الذهب هذا الأمر ،
فقسم الأخبار الى قسمين هما : المتواتر وهو الذي شاع ما بين الجمهور ورواه الكفاة ، وهو
ما يجب علمه والعمل به والآخر ما نقله آحاد الرواة ، وقبوله غير واجب اذ هو من النوع الممكن
أي الذي ليس بواجب ولا ممتنع وان كان المثل له عند المسعودي هي الاسرائيليات ، والأخبار
في عجائب البحار (مروج الذهب ، ط . بيروت ، ج ٢ ص ٢٢٨) .

(٧) والحقيقة انه بينما ينص المسعودي على معاناته في التأليف في فتون العلم المختلفة
والآداب قبل تأليف كتبه التاريخية ، واشادته بمصادره المتنوعة ، فانه في تقييمه لتلك المصادر
يخص بالنقد سنان بن ثابت بن قره الحراني ، لانه انتحل - وهو الفيلسوف - ما ليس من
صناعته ، واستهوج ما ليس من طريقته ، وذلك لمزجه ما بين الكلام في النفس والسياسة المدنية
وراجبات الملوك والوزراء ، وهو رغم إحصانه في ذلك الا أنه « خرج على مركز صناعته ،
وتكلف ما ليس من مهنته » (مروج الذهب ، ط . بيروت ، ج ١ ص ١٦ - ١٧) ، فكانه
يعيب عليه اخضاع عناصر علمية مختلفة ، من فلسفية عقلية وإخبارية تقليدية الى نظام علمي
واحد .

(٨) والخلفاء الفاطميون في المغرب هم :

المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤ م) ، والقائم (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ -

٩٤٥ م) ، والمعز (٣٤١ - ٣٦٢ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٣ م - أي الى النقلة الى مصر) .

٢ - الفترة الصنهاجية الزيرية وتمتد من ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م الى حوالي منتصف القرن الـ ٦ هـ / ١٢ م (٩) .

٣ - الهجرة الهلالية ، من منتصف القرن الـ ٥ هـ / ١١ م ، الى ما بعد قيام المرابطين ، بل والموحدين في القرن الـ ٦ هـ / ١٢ م (١٠) .

كان من الطبيعي أن تختلف المصادر تبعاً لاختلاف تلك الموضوعات :
فالعصر الغساصي الأول يتنازع حق التأريخ له ٣ (ثلاثة) أنواع من

(٩) وأمراء الزيريين الصنهاجيين في القيروان هم :

بلكين بن زيري (٣٦٢ - ٣٧٣ هـ / ٩٧٣ - ٩٨٤ م) ، والمنصور (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ / ٩٨٤ - ٩٩٦ م) ، وباديس (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ / ٩٩٦ - ١٠١٦ م) ، والمز بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ / ١٠١٦ - ١١٠٧ م) - حيث انفرد حماد بن زيري بحكم المسيلة وأشهر ، وكون دولة بني حماد أصحاب القلعة ، وانتقل المز بن القيروان الى المهديّة (سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) فانقسمت بذلك الدولة الزيرية الى دولتين ، هما : دولة بني المنصور ابن بلكين في القيروان والمهديّة ، ودولة بني حماد بن بلكين في القلعة وبجاية .
وأمراء الزيريين في المهديّة ، هم :

تميم بن المز (٤٥٣ - ٥٠١ هـ / ١٠٠٧ - ١١١٥) يحيى تميم (٥٠١ - ٥٠٩ هـ / ١١١٧ - ١١١٥) ، وعلي بن يحيى (٥٠٩ - ٥١٥ هـ / ١١١٥ - ١١٢١ م) ، وأخيراً الحسن بن علي (٥١٥ - ٥٤٣ هـ / ١١٢١ - ١١٤٨ م) - عندما استولى أسطول صقلية النورمندي على المهديّة (٤٨٠ / ١٠٨٧) .
وأمراء الحماديين في القلعة وبجاية ، هم :

حماد بن بلكين (٣٩٨ - ٤١٩ هـ / ١٠٠٨ - ١٠٢٨ م) ، القائد بن حماد (٤١٩ - ٤٤٦ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٥٤ م) ، محسن بن القائد (٤٤٦ - ٤٤٧ هـ / ١٠٥٤ - ١٠٥٥ م) ، بلكين بن محمد (٤٤٧ - ٤٥٤ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٦٢ م) ، الناصر بن علناس (٤٥٤ - ٤٨٦ هـ / ١٠٦٢ - ١٠٨٨) ، المنصور بن الناصر (٤٨١ - ٤٩٨ هـ / ١٠٨٨ - ١١٠٤ م) ، باديس بن المنصور (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ / ١١٠٤ - ١١٠٦ م) ، العزيز بن المنصور (٥٠٠ - ٥١٥ هـ / ١١٠٦ - ١١٢١ م) ، يحيى بن العزيز (٥١٥ - ٥٤٧ هـ / ١١٢١ - ١١٥٢ م) .

(١٠) وبدايات الهجرة الهلالية ترجع الى سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ، بعد ولاية اليازوري الوزارة بالقاهرة ، وسوء العلاقة مع المز بن باديس ، وتولية زعماء الهلالية لأعمال أفريقية التي وصلوا اليها سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، واقتسامهم البلاد سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م ، وتقديمهم الى القلعة ، وهجرة الناصر بن علناس (الحمادي) من القلعة الى بجاية التي اختطها بالساحل ، ثم تقدمهم الى قلمسان حيث دخلوا في حرب مع الزنانية بقيادة الوزير أبي سعدة : خليفة اليفرنى . وذلك في الوقت الذي كان الصنهاجيون من الملتجئين من لبتونة ومسوفة وجزولة ودكالة يقومون بنهضتهم واقامتهم لدولتهم المرابطية التي عاصرها الجغرافى البكرى الأندلسى ، صاحب المسالك الممالك ، الذي كان آخر ذكر لهم عنده سنة ٤٦٧ هـ / ٧٤ - ١٠٧٥ م .

المصادر هي : الشيعة المناصرة ولها مقام الصدارة ، بطبيعة الحال ، وفي مقابلها المصادر الخارجية الأباضية المناهضة ، وفيما بينهما المصادر السنية في موقف الوسط ، وان كان توسطها يأتي في كثير من الأحيان من حيث مزج الأنواع الثلاثة فيما يشبه الفسيفساء المبرقشة .

المصادر الشيعية :

أول مصادر الفترة تتمثل في كتب القاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ / ٩٤٧ م) ، قاضي المنصورية وداعي دعائها ، على عهد المنصور والمعز بخاصة . وأهم كتب النعمان التي وصلتنا ٤ (أربعة) ، هي : دعائم الإسلام (١١) ، وتأويل الدعائم ، ويعرف أيضا بـ « تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين (١٢) وافتتاح الدعوة (١٣) ثم المجالس والمسائرات (١٤) . ومن عناوين هذه الكتب - الى جانب غيرها مما نشر أو لم ينشر من أعمال النعمان - يتضح لنا أن تخصص القاضي الفاطمي تراوح ما بين : الفقه من أصوله وفروعه الى التاريخ السياسي والتاريخ الديني مع سير الأئمة .

دعائم الإسلام :

فدعائم الإسلام كتاب في الفقه الشيعي الفاطمي ، يعرف فيه النعمان بالعبادات (ج ١) والمعاملات (ج ٢) (١٥) . وقواعد المذهب عند النعمان لا تختلف كثيرا عن مذاهب أهل السنة ، الأمر الذي دعا الى الاختلاف في مذهب النعمان الأول ، فقد قيل انه بدأ سنيا مالكيا أو شيعيا اثنا عشريا ، قبل أن يتحول الى الاسماعيلية الفاطمية - وان رأى البعض أنه ما كان يمكن أن يكون منذ البداية الا اسماعيليا لحما ودعما (١) .

-
- (١١) نشره وحققه آصف فيظي ، القاهرة ، في ج ٢ ، ١٩٠٢ - والعنوان الكامل ، هو : دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام .
- (١٢) نشر محمد حسن الأعظمي (ج ٣) ، القاهرة ١٩٦٩ .
- (١٣) نشر وتحقيق وداد القاضي ، بسبوت ، ١٩٧٠ ، كما تم نشره بمعرفة فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع ، في نفس الوقت ١٩٧٠ م .
- (١٤) تحقيق الحبيب القتي وإبراهيم شيوخ ومحمد البيلادي ، تونس ١٩٧٨ م .
- (١٥) الجزء الأول يعالج العبادات في ٧ (سبعة) كتب ، في : الولاية والظهارة والصلوة والجنائز والزكاة والصوم والحج ثم الجهاد ، والجزء الثاني يشتمل على ٢٥ (خمسة وعشرون) كتابا في البيوع والايمان والنذور والأطعمة والأشربة والطب واللباس والصيد والضحايا والنكاح ... والبنيان والشهادات والدعوة ، وأخيرا أدب القضاة .
- (١٦) أنظر مقدمة المجالس والمسائرات . ص ٦ ، ٧ وهـ ٢ .

والحقيقة انه يمكن تفسير تلك القرابة القريبة بين دعائم الاسلام النعمانية الفاطمية هذه ، وقواعد الاسلام السننية المالكية من حيث اصول الدعاية الاسماعيلية التي ما كانت تسمح بنشر الا الظاهر من علم الأئمة بين عامة الناس - اى المقبول أصلا من جمهور العامة - ولا شك أن تسمية أئمة أهل السنة بـ « ائمة العادة » من قبل أئمة الشيعة ، حيث كان جعفر الصادق أول من عرفت عنه تلك التسمية تؤيد ذلك .

وفيما يتعلق بدعائم النعمان فان الذي يؤيد عموميتها هو كتابه الذي صنفه بعد ذلك تحت اسم تأويل الدعائم ، والتأويل هو التفسير الباطني والمجازي للنصوص ، وهو من علم الخاصة . والمهم في الأمر أن دعائم الاسلام عند النعمان تشتمل على القواعد الخمسة المتعارف عليها عند المسلمين عامة . وهي : الولاية في البداية ، فكأنها القاعدة الأولى للمذهب ثم الجهاد في النهاية ، فكأنه القاعدة السابعة والأخيرة ، وبذلك تكون قواعد الاسلام سبعة بما يتفق مع أهمية الرقم ٧ (سبعة) في الفكر الاسماعيلي - مذهب السبعية (١٧) .

الولاية :

ومبدأ الولاية ، أول دعائم الاسلام عند النعمان ، بمعنى الولاية والخضوع ، يتطلب الطاعة المطلقة للامام . وفي ذلك يقول النعمان : « لو أن الرجل عمل أعمال البر كلها ، وصام دهره وقام ليله ، وأنفق ماله في سبيل الله ، وعمل بجميع طاعات الله عمره كله ، ولم يعرف نبيه الذي جاء بتلك الفرائض فيؤمن به ويصدقه ، وإمام عصره الذي افترض الله - عز وجل - عليه طاعته فيطيعه ، لم ينفعه الله بشيء من عمله » (١٨) والنعمان يظهر هذا معتدلا على عكس غيره من المتشددين من فقهاء المذهب الذين يقولون : « من

(١٧) وهذا قريب مما فعله الشيعة الزيدية عندما أخذوا مبادئ الاعتزال الخمسة المعروفة ، من : التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف ، على أساس أن الامام زيد تتلمذ على واصل بن عطاء ، ووضعوا على رأسها مبدأ الامامة المتعارف عليه عندهم ، والذي يقبل مبدأ « امامة المفضل » مع وجود الأفضل » ، وجعلوا من كل ذلك مذهباً لهم . هذا وان شاركهم في ذلك أيضا بعض جماعات الاباضية الذين عرفوا باسم « الواسلية » .

(١٨) الدعائم ، ج ١ ص ٢٠ وما بعدها .

مات ولم يعرف امام زمانه مات ميته جاهلية» (١٦) . وطاعة الأئمة والرؤساء تظهر جليلة عند اسماعيلية المشرق ، من : القرامطة والنزارية والحشيشية . ممن سمحوا باستباحة بعض المحرمات الاسلامية حسبما تراهي لهم (٢٠) ، او مارسوا عمليات الاغتيال السياسي في سبيل تحقيق بعض مآربهم (٢١) .

أما عن الجهاد وجعله بعض دعائم الاسلام ، فهو يدل على أن التشيع ، على عكس ما قد يرى البعض من أنه مذهب الرخص والتساهل ، كما في بعض أمور الزواج وتوريث البنات ، هو مذهب أصولية وتشدد ، الأمر الذي جعل الشيعة يصفون أنفسهم بأنهم أهل السنة حقا دون غيرهم (٢٢) .

(١٦) أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي ، ج ١ ص ١٩٢ .

(٢٠) كما فعلوا سنة ٣١٧ هـ / ٩٣٠ م . من استباحة « الكعبة » وقلع الحجر الأسود وادعائهم أن الطواف ولثم الحجر الأسود نوع من التقاليد الجاهلية ، أنظر الميرون والحدائق ، ج ٤ قسم ١ - تحقيق نبيلة عبد المنعم دارد ، ص ٣٤٩ - حيث رواية ابن الجزار التي يقول فيها ان أحد أصحاب القرمطي قال لبريج من ضحاياهم : يا حصار ، تمبون الحجارة وتطوفون بها تلمسون أركانها وترقصون حولها ، ما بال رؤوسكم ! وفي مقابل ذلك أنظر ص ٣٥٩ - حيث النص على ان من كرامات الحجر الأسود أنه يحشر يوم القيامة وله عينان ينظر بهما ولسان يتكلم به ويشهد لكل من استلمه وقبله باليمان .

(٢١) ومن أشهر من اغتالهم الحشيشية : الوزير السلجوقي نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م - أنظر ابن الأثير . سنة ٤٨٥ هـ ج ١ ص ٢٠٤ - حيث النص على ان الذي قتله صبي ديلمي من الباطنية . وهذا ، كما حاولوا قتل صلاح الدين سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م حيث كانوا مدسوسين بين عسكره وهو يحاصر قلعة اعزاز ، اذ ضربه واحد منهم بسكين في رأسه ، ولولا المغر الزرد تحت القلنسوة لقتله (سنة ٧٥٢ ، ج ١١ ص ٤٣٠) - وعندما حاول صلاح الدين الانتقام منهم في السنة التالية ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م ، وحصر قلعة شيخهم حذر هذا الأخير بقتلهم جميع الأيوبيين وأمرائهم ، الأمر الذي اضطر صلاح الدين الى اجابتهم الى الصلح والرحيل عنهم (سنة ٥٧٢ ، ج ١١ ص ٤٣٦) .

(٢٢) وهنا لا بأس من الإشارة الى أن تشددهم دفعهم أحيانا الى أخذ الآية التي تقول : « اما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام (بعد عامهم هذا - سورة التوبة) ، بمعناها الحرفي ، فرفضوا التعامل مع غير المسلمين وأنهم ربما طبقوا ذلك على غيرهم من أصحاب المذاهب الاسلامية الأخرى ، فلم يصلوا في مساجدهم ولم يزورهم أو يؤاكلهم حتى أنهم كانوا يحطمون الآنية التي يقدمونها لهم بالطعام والشراب - فهذا ما كان يحدث منذ أكثر من أربعين سنة في جنوب العراق ، والمهدة على من روى ذلك لنا من الزلاء الماملين بالتدريس وقتئذ هناك ، ولا شك ان الأوضاع قد تغيرت الآن تماما ، تبعا لنمو الإدراك ونظور الوعي نحو الأفضل . وقارن هتري ماسيه ، الاسلام ، ترجمة بهيج شهبان ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، ص ١٩٢ - حيث النص فعلا على ذهابهم الى درجة تحطيم الآنية

التأويل :

والحقيقة أن المتمسكين من الشيعة بالسنة ، التي تعرف عند
بالأخبار هم الاخباريون مثل أهل الحديث عند السنة ، بينما الأصوليون
أشبه بأهل الرأي وهم أصحاب التأويل أي التفسير الباطني للنص
القرآني والسنة ، وهو ما يعرف عندهم بعلم الحقيقة . فالعلم عند أهل
التأويل ينقسم الى ٣ طبقات ، هي : علم المحسوس (في الطبقة الدنيا) و
الموهوت (في الوسطى) وعلم المعقول (في العليا) (٢٣) .

توريث البنات :

وبفضل التأويل ، وهو عصب الاجتهاد عند الشيعة ، من حيث
التأويل هو معجزة الأئمة في مقابل التزيل (الكتاب) ، معجزة النبوة (٢٤)

التي يلبسها غير المسلمين « مع الاشارة في الهامش الى تعليقات العلامة محمد جواد
(ص ٢٢٧ - ٢٢٦ في آخر الفصل) حيث النص في ص ٢٢٨ على انه لا اثر لهذا
ولا مصدر في فقه الإمامية . . . ولا هو من عادة واحد منهم . وان حكم جماعة من فقهاء
يقضى بنسب الآية بالنساء اذا بانرها غير المسلم ، تماما كما تفعل من الحر ونحو
أما تحطيمهم الآية فلم نسمع به الا من المؤلف أي « ماسيه » - ولا بأس أن تكون رو
منقولة عن بعض الباحثين ، مثل هنري ماسيه أو غيره .

(٢٣) أنظر التأويل : اسمه ومبانيه في المذهب الاسماعيلي ، تأليف الحبيب القفوق
مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، ص ٩ (في الظاهر والباطن
ص ٢٣) (في الشريعة والحقيقة) ص ٦٦ (حيث التقسيم الثلاثي ومرتبته الأخيرة في
المطلوب تعني الحقيقة المجردة البيان . وهذا التقسيم قريب من التأسيس الارستطاليسي الث
للعلم ، وهو الذي أخذ به بعض الفلاسفة المسلمين ، مثل ابن رشد (الحفيد) الذي طالبه
« فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » بالتأويل عندما يتعارض النص - ظاه
مع العقل - وهو ما عرف في فجر النهضة الأوروبية في فرنسا بالابنرشدية **verroesme**
واستمر الجدل فيه في إيطاليا حتى القرن ال ١٦ م ، وهي الفكرة التي كانت
خطأ ، تغليب العقل على العقيدة الدينية ، الأمر الذي لم تقبله الكنيسة وقتئذ حتى أنها أد
ابن رشيد والابنرشدية ، وذلك اعتمادا على ترجمة التأويل بمعنى التحويل والتزييف - أ
للمؤلف ، علوم العرب القديمة ، دراسة منهجية لبعض النماذج ، مجلة علم الفكر (الكويتية)
المجلد الثامن العدد الأول ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ، بل هو ما أخذ به محمد بن تومرت صا
دولة الموحدين ومنظر مذهبها الذي حاول فيه التوفيق بين أفكار الشيعة والسنة والفلا
من المعتزلة ، اقتداء بالامام الغزالي - أنظر للمؤلف ، محمد بن تومرت وعركة التجديد
المغرب والأندلس ، من منشورات جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٣ م .
(٢٤) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٣١١ .

وصول الفقهاء الى حلول لبعض ما واجهه المجتمع من النوازل (أى القضايا الطارئة) مثل : توريث البنات وذوى القربى(٢٥) ، وهى القضية التى قد ينظر اليها فقهاء السنة على أنها قضية سياسية قبل أن تكون من قضايا الأحوال الشخصية(٢٦) .

أما عن زواج المتعة فالرأى فيه عند النعمان مقبول من أهل السنة من حيث أنه منكر تبعا لأقوال الأئمة ، وان كان ذلك لأسباب عقلانية خاصة بكرامة المرأة وذويها(٢٧) .

افتتاح الدعوة :

وافتح الدعوة كتاب تاريخى يعالج فيه النعمان تاريخ الدولة الفاطمية الناشئة بالمغرب ، منذ بداية تنظيم الدعاية فى اليمن الى عهد المعز فى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م - حيث تم تأليف الكتاب . والنعمان يظهر فى الافتتاح مؤرخا موهوبا ، يعرف انتقاء معلوماته ، ويفرق فيها بين الغث والسمين . فهو يوثق معلوماته بمقتطفات من الرسائل الرسمية التى كان يصدرها المهدي على طول الطريق من سجلماسة الى رقادة والقيروان ، رغم اتجاهاته المنقبية المبدئية ، كواحد من كبار الدعاة يرى حتمية انتصار دعوة الأولياء . « حزب الله » وغلبة دولة الأئمة ، رغم أحوال الستر والتقية(٢٨) .

وهو يعرف التأثير السلبي للسياسة المالية الدقيقة التى اتجهها

(٢٥) أنظر المجالس والمسائرات ، ط . تونس ، ص ٩٧ - حيث الكلام فى توريث ذوى الأرحام ، من : بنى البنات وبنات الأخوة وبنى الأخوات وبنات الأعمام والعم : أخى الألب للام فقط ، وبنى الأخوة للالم ، وذلك استنادا الى اجتهاد الامام جعفر الصادق الذى فهم كلمة « الأقربين » القرآنية على انها « ذو الأرحام » فقط بتدريجهم بالنص القرآنى .

(٢٦) وهذا مما أثاره الأستاذ أحمد بهاء الدين ، رئيس تحرير مجلة العربى الكويتية السابق ، فى عموده « يوميات » بجريدة الأهرام الناهرية بمناسبة قضية الغاء ضريبة التركات فى مصر ، والتي تمت فى ثمانيا موضوعات للاقتصاد الاسلامى وشركات توظيف الأموال ، وأرباح البنوك ، وذلك فى أواخر سنة ١٩٨٨ ، عندما دعا الى الاجتهاد فى توريث البنات ، كما هو الحال فى الفقه الشيعى ، وذلك درءا للتحايل على ذلك من قبل البعض ، وكان رد فعل فقهاء السنة على دعوته تلك ، ان النصوص الخاصة باليراث قطعية ، وان لا اجتهاد مع النص .

(٢٧) المجالس والمسائرات ، ص ٦٥ - حيث يكون التساؤل : « هل ترضى لنفسك أن تمنحك ذات محرم منك نكاح متعة ؟ (اذن) لا توصى لفريك ما لا ترضاه لنفسك » .

(٢٨) مقدمة الكتاب ص ١ .

المهدى منذ ما قبل اعلان الامامة وتوليه السلطة بطريقة قانونية - من أعلى منابر أفريقية - وهو في الطريق من سجماسة الى رقادة والقيروان ، حيث قرر المرور بإيكجان (دار الهجرة) ، وأمر بإحضار الأموال التي كانت بين أيدي الدعاة والمشايخ ، « فأحضرها اليه ٠٠ وأمر بقبضها منهم ، وشدها أحمالا ، وقدم بها (الى رقادة) فكان ذلك من أول ما أحال القلوب الفاسدة ، وتوهموا أنهم يكونون كما عودهم أبو عبد الله ، يأمرن وينهون ويقبضون ويسطون * وهو يوثق معلوماته تلك بمقتطفات من الرسالة الرسمية التي أصدرها من إيكجان الى كل من نائبي أبي عبد الله بالقيروان ، وهما : أبو زاكي ، الزعيم الكتامي ، وأبو العباس ، أخو الداعي ، والذي يحدد فيه تاريخ الوصول اليهما في يوم الخميس ٢٠ من ربيع الآخر سنة ٢٩٧ هـ / ٦ يناير ٩١٠ م ، وهو ما حدث فعلا (٢٩) .

الشؤون الاجتماعية والمالية :

وهو بعد ذلك يسجل ملاحظات المهدي الاجتماعية الدقيقة في التفرقة بين شيوخ القيروان المتمدينين وبين من كان يراهم « كالبوادى » في المغرب البعيد (ص ٢٩٢) . وهكذا يستمر النعمان مؤرخا له قدراته الفائقة في انتخاب معلوماته السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية ، ويطبق منهج التاريخ العلمي عن طريق التوثيق بما كان في متناول يديه من الرسائل الرسمية ذات التواريخ الدقيقة والمدايح الشعرية ، وكل ذلك في توازن منطقي مقبول ، رغم شطط بعض الشعراء أو الأتباع أحيانا .

ومما يلفت النظر اهتمام النعمان بالمسائل المالية ، مما يتعلق بقبض الأموال والضرائب من مختلف المظان ، أو ترتيب دواوينها من قديمة ومستحدثة ، كاحياء ديوان الحراج الذي كان قد أحرق عند هروب آخر الأغالبة ، أو نصب ديوان الكشف وديوان الضياع ، وديوان أموال الهاربين مع زيادة الله ممن استصفيت أموالهم (ص ٣٠٣) ، ونصب ديوان للعطاء ، وطلب نهب رقادة الذي اجتمعت منه أموال كثيرة ، واقامة ديوان لبيت المال (لضرائب الأسواق) كانت حصيلته في شهر رمضان وحده ١٠٠٠٠٠ دينار ، الأمر الذي استهوله صاحب بيت المال بينما استقله المهدي الى حد القول انه : لو بلغت حقوقه ما رضى مثل هذا العطاء لرجل واحد من أوليائه .

والنعمان ، في نظرة المهدي الى المال ، يقول : انه كان جوادا بالمال ، ومع ذلك لا يضيع اقل شيء منه . فهو لا يستهين بالمال ولا يصره في غير حق (ص ٣٠٢) . وعلى اساس انتزاع الأموال من الكتاميين في ايدجان يفسر انضمامهم الى الداعي في ثورته (نفاقه) على المهدي (ص ٢٠٩) التي أدت الى قتله . وعقوبة القتل هذه هي في حقيقة الأمر تطهير لرجل الدولة العظيم ، تماما « كما يتطهر الذهب مما تداخله من الغش بالدوبان في النار ليصفو » (ص ٣١٩) . الأمر الذي لم يمنع ردود فعل عنيفة من قبل الكتاميين وأهل القيروان والأغالبة (ص ٣١٩ وما بعدها) ، مما كان له أثره البعيد في ثورة الدجال « مخلد بن كيداد » عندما انضم اليه أهل القيروان ، وغدر بهم في يوم ليلياته (جوليانه) (ص ٣٢٣) . وبناء المهدي المرتبط بعلم الحدائق الذي يعرفه الأئمة حيث أعدت المدينة الملكية الفخمة يحصونها العظيمة من أجل « ساعة واحدة من نهار » (ص ٣٢٨) - ساعة بوصول الناثر أمام باب زويلة بالمهدي الذي سيعرف بباب الفتح .

تواريخ خاصة :

وينفرد افتتاح الذعوة بتحديد تاريخ خاص لوفاة المهدي ، هو : صبيحة يوم الثلاثاء ١٠ جمادى الآخر سنة ٣٢٢ هـ / ٢٩ مايو ١٩٣٤ ، بينما تقدم المصادر الأخرى ، حتى تلك التي أخذت من النعمان ، مثل : كامل ابن الأثير ، واتعاط المقرئ ، وبيسان ابن عذارى ، وتاريخ ابن حمص ، « منتصف ربيع الأول » ٦ مارس سنة ٩٣٤ تاريخا لتلك الوفاة (٣٠) .

والملاحظ أن عهود كل من القائم والمنصور وكذلك المعز تأتي سريعة في حوالي عشر صفحات ، ولا ياس أن يكون النعمان قد اكتفى بما ذكره عنهم في المجالس والمسائرات التي يعتبرها سيرة للمعز بخاصة .

ومن الأمور التي تلفت النظر أخيرا ان الكتاب الذي انتهى النعمان من بسطه في المحرم سنة ٣٤٦ هـ / مارس - ابريل ٩٥٨ م تم نسخه الذي وصل الينا في شعبان سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م (ص ٣٣٩) دون ذكر أو اشارة الى أي من النسخ الوسيطة - وتلك آفة ما زال الأدب التاريخي الشيعي يعاني منها الى اليوم .

(٣٠) ص ٣٢٩ - ٣٣١ . بوهامتي ص ٣٣٠ . وانظر الدراسة فيما بعد ، ص ١٧٤ .

المجالس والمسائرات :

قضايا تاريخية ودينية وفقهية :

يختلف كتاب المجالس والمسائرات عن كتب النعمان من حيث اعتباره من كتب السيرة « الذاتية » إذ النصيب الأوفر فيه للمعز بصفته واضنح أصول المذهب الفاطمي ، وإن كان بخط النعمان . والحقيقة أن الكتاب يمكن أن يندرج في قائمة كتب تاريخ الأديان والمذاهب ، من حيث تناوله للمذهب ، وشروحه لعدد من القضايا التاريخية ذات الصبغة الدينية أو القضايا الفقهية في مجال الأحوال الشخصية - مثل : توريث البنات وزواج المتعة ، مما سبقت الإشارة إليه (ص ١٧) - إلى جانب المعلومات التاريخية الصرفة كالعلاقات بين الفاطميين والأمويين بالأندلس ، إلى غير ذلك من موضوعات فلسفية أو لغوية أو أدبية . ويأتي كل ذلك في ترتيب زمني ، غير موضوعي ، حسب تسجيل المادة اثر كل مجلس أو مقام أو مسائرة . وما يلحق بذلك من بلاغ أو توقيع أو مكاتبة ، فتأتي المواد المتشابهة متناثرة على طول الكتاب ، وهو الأمر الذي عالجها المحققون بشكل منهجي مفيد في المقدمة ، (من ص ١٧ إلى ص ٢٧) ، حيث تصنيف الموضوعات - بشكل عام وموجز بطبيعة الحال - إلى : أحداث تاريخية خاصة بالأئمة ، من : المهدي إلى القائم والمنصور ثم المعز الذي تحصل على علم الأولين والآخرين ، من : ظاهر وباطن ، وعلوم رياضية وطب وهندسة ، كما كان صاحب اختراعات عجيبة - مما يدخل في مجالات التكنولوجيا ، كما نقول اليوم - كالقلم الحازن للحبر (٣١) .

سيرة المعز :

وهكذا يفهم من مقدمة الكتاب أن النعمان يعتبره تأليفا في سيرة المعز . لدين الله ، صلوات الله عليه ، وأنه دائب في ذلك (التأليف) إلى أن ينقضي عمره (٣٢) . والمعز يستخدم الجدل المنطقي ويتكلم في البرهان ويعرفه ولكنه .

(٣١) المقدمة ، ص ٢٥ والنص ص ٣١٩ - حيث الإشارة إلى أن القلم رمز للباطن - انظر الدراسة ، فيما بعد ، ص ٢٢١ وماه .
(٣٢) الافتتاح ، ص ٤٦ ثم ص ٤٧ - حيث الإشارة إلى أن الدرناوى مطق الكتاب يأخذ بهذا الرأي وبأنه بناء على ذلك . يكون تأليف الكتاب في سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ - ٩٥٨ م . وإن كان ذلك لا يتفق مع التواريخ التي تتجاوزها ، مثل : سنة ٣٤٨ هـ وسنة ٣٥١ هـ .

« لا يؤمن بحجية العقل ، فأناس كلهم يدعون العقل وهم مختلفون في المذاهب ، فالعقل اذن هو المطيع لله (ص ٤٢٣) .

الأئمة :

وموضوع الأئمة وعلومهم ، وما يجب لهم من الطاعة ، مما ينال عناية النعمان واهتمامه ، مثل : تلامهم في الظاهر والباطن (ص ٥٤) ، والسعي الى الامام واجب في ظاهره كالخج (ص ٤٦٨) ، وتكتم الأئمة في أمر الدعوة الباطنية شديد ، اذ ليس من الحزم أن يجارى الراعى أهواء الرعية (ص ٣٤٧ - مثل : بنى العباسى وبنى أمية) . والسجود لهم : طاعة ومعروف لا ينكر (ص ٥٧) ، وكذلك الصلاة عليهم حسب الآية التي تقول : « ان الله وملائكته يصلون على النبي » (الأحزاب ، ٥٦) ، وزواج المتعة منكر عند الأئمة (ص ٦٥ - وانظر فيما سبق ص ١٧) وهم لا يعلمون الغيب ، بل ما غاب عن الناس من العلم الذى أودعهم الله آياه واستحفظهم سره (ص ٨٤ ، ٥٢٣) مما يعرف بعلم الحدائق . والامام لا يعطى حكمته الا لحجته (الحجة هو الوصى أو الأساس ص ٩٤) ، وعقاب الله للمتطاولين على الأئمة عقاب عاجل (ص ١٠٢) . والامامة تنتقل من الماضى الى الباقى فى آخر دقيقة بنفس من نفس الماضى (ص ٢٦٧ ، ٥١٤) ، والامام المستقر أفضل من الامام المستودع (ص ٤١١) .

والأئمة فى النهاية ، باب السعادة ، بهم سعد بن سعد ، والسعادة لمن عرفهم (ص ١٠٩) .

الدعاة :

أما عن الدعاة فهم الى جانب عملهم يرسلون من جزرهم (أقطار دعوتهم) الأموال الى الامام (ص ٤٠٧) . هذا ، وقد ينحرف بعضهم عن الأئمة فيحلون المحارم (ص ٤٠٨) ، الأمر الذى دعا المعز الى أن يتبرأ من بعضهم (ص ٥٥٢) . ومن الطريف أن يحاول النعمان تبرير انحراف بعض الدعاة وزيغهم فى اباحة المحارم فيفسر ذلك تفسيراً صوفياً ملامتياً ، على أساس ، أن : « ترك المعاصى سنوء ظن بالله . عز وجل - انه لا يغفر الذنوب » (ص ١٠٥) ، ولو ان ذلك لا يتفق مع رفضه لتأويل المعتزلة العقلانى للوعد والوعيد بمعنى ان الله صادق فى وعده ووعيدته ، ولكنه يغفر لمن تاب توبة نعوها ، على اعتبار أن ذلك نوع من البداء ، أى تغيير قدر الله وقضائه المحترم ، الذى لا يجوز عند المتشددىن من أهل السنة (الحشوية) الذين

يقتهدي بهم النعمان ، فى هذا المقام - وهو يتهم المعتزلة هنا وعقلانيتهم ،
ويتهمهم بأنهم أرادوا أن يكونوا أئمة أنفسهم (ص ٢٧٧) - أى أصحاب
الحق فى الاجتهاد .

تعاليم المذهب :

وفىما يتعلق بتعاليم المذهب ، يحرض المعز على قراءة كتاب دعائم
الاسلام (ص ٣٠٣) فكأنه أصبح دستور المذهب الرسمى من حينئذ .
والأئمة يعلمون ما يكون قبل أن يكون ، نقلنا عن المنصور (٣٣) . والحكم بعدم
تجاسة بول الفرس (فرس المعز الذى تنحى عنه ابن واسول صاحب
سجل ماسية (٣٤) . وتوريت الموالى ، من : العبيد عند الفاطميين كالأحرار ،
شرط ولايتهم (ص ٣٩٤ - فكأنه نوع من الرخص الأخرى فى باب
المواريت) .

الأحداث التاريخية :

ويحفل المجالس والمسائرات بالأحداث التاريخية الهامة ، ولكنها
للأسف بدون تحديدات زمنية . ومنها ما يتعلق بفتنة أبى يزيد ، وما يتعلق
بها من علم الحدائق ، وما قيل من انها قامت بدعوى رفع الضرائب . فاللهدى
كان يتوقع الفتنة ولهذا بنى المهديّة (ص ٥٤٢) وان كانت رواية أخرى
تنص على ان القائم فكر فى استبدال المهديّة (ص ٣٢٣) ، وغيرها تشير
الى ما ذكرته كتابه من تخلف القائم أيام الفتنة (ص ٢١٤) . أما المنصور
فكان يرى فى منامه فتنة أبى يزيد ، وانفراج الشدة على يديه (ص ١١٣) .
بينما كان المعز يقول : ان من صبروا مع الأئمة أيام الفتنة يدخلون الجنة
بشفاعتهم مهما كان عليهم من الذنوب (ص ٥٥ - فكأنهم من أهل بدر) .
وفى الرد على ما ادعاه أبو يزيد من أنه قام من أجل رفع مظالم الضرائب ،
فليس صحيحا لأنه مبنى على ما رآه من رفع بعض الشيوخ المسال الكثير الى

(٣٣) المجالس ، ص ٤٠٤ - ولا ندرى ان كان ذلك يتضارب مع ما سبق من القول بأن
الأئمة لا يعلمون الخيب بل ما غاب عن الناس من العلم الذى خصوا به - نفس ما سبق .
ص ١٩ .
(٣٤) المجالس ، ص ٤٦٠ - الأمر الذى يدخل فى تبجيل الجهاد - كما نرى - وآلته
بالامتياز المشتملة فى الحيل ، عدة الرباط والقتال - عربات العصر الحديث المدرعة السريعة
الحركة .

الأئمة بمحض إرادته ، بينما صار نفس الرجل يجار بالشكوى من جور أصحاب أبي يزيد (ص ٢٣٧) . وعن قتل أبي يزيد فقد تم على يد المنصور بالسيف ذي الفثار الذي كان يحتفظ به المعز . وفي وصفه : له شفرتان ، وفي وسطه عمود . أما جملة النفقة في حرب أبي يزيد فقد بلغت ١٢٠٠٠٠ دينار (ص ٥٥١) . ومن أعمال المعز العمرانية انجاز شبكة المياه في المنصورية (ص ٥٥٢) .

معلومات وثائقية :

وتقدم العجائس والمسائرات معلومات وثائقية هامة عن العلاقات مع عبد الرحمن الناصر الأموي ، من حيث النوع والكم . فمنها : وصول رسول الأموي الى المعز يطلب الصلح ، ويتساءل : « كيف جاز له - أي المعز - أن يلعننا ونحن مسلمون ! وغاب عنه قول الله - عز وجل - « ألا لعنة الله على الظالمين (هود ، ١٨) » . والأمويون يقطعون مركبا فاطميا ، يأخذون كتاب عامل صقلية ، واخراج المراكب في اثره الى المرية (ص ١٦٥) ، والأموي يستنصر بملك الروم (ص ١٦٦) . والهدنة مع الروم سنة ٣٤٦ / ٩٥٧ (ص ١٦٧) ، والناصر الأموي يطلب الصلح والمعز يرفض لأنه ادعى الخلافة ، وهي وقف على الأئمة (ص ١٦٨) . والمعز يجيز الجيوش الى المغرب لتظهره من أتباع الأمويين (ص ١٧٠) ، واستمرار العلاقات مع الأندلس (الى ص ١٧٦ - ١٧٩) . ومباهات الناصر بصناعات الأندلس ، وسخرية المعز من ذلك ، اذ لا فخر - في نظره - بأهل الصنائع (ص ١٨٠ - ١٨١) استنادا الى قصة فخر المصري على اليماني ، عندما قال له : انما أهل اليمن بين حالك برد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ، فذمهم بذلك - وهو الأمر المستغرب ، كما نرى ، عندما يصدر على لسان مصري ، الا أن يكون عربيا نبيل لا يقوم بالأعمال اليدوية . وفي مفاخر أهل افريقية وأهل الأندلس يعتد الناصر بجنوده معتبرا ، ويحط من شأن البربر الأعتام ، والمعز بدوره يحقر أهل الأندلس المتصفين بالجهل والحمق والرقاعة (ص ١٨٩ - ١٩٠) . اما عن لجوء أهل افريقية الى الناصر بسبب الحرية لأهل المذاهب ، كما يرى ، فالحقيقة عند المعز انما بسبب طلبهم ملاهى الدنيا وحطامها ، من : شرب الخمر والمجاهرة بالمعاصي (ص ١٩٠ - ١٩١) .

وبعد ذلك هناك ذكر لمقتل يعلى اليفرنى (سنة ٤٣٧ هـ / ٩٥٨ م ص ٢١٧ ، ٢٧٥) ، وقصد ابن واسول صاحب سجالماسة وأسرته (ص ٢١٧ ،

٢٥٥ ، ٣٨٨ ، ٤١٨ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٨ ، ٤٨٣) . والاشادة بكنامة
(ص ٢٥٥ ، ٣٢١) .

أخبار المعز :

أما عن أخبار المعز ، فالى جانب ما سبق ، يذكر النعمان أن مخايل
النجابة والبطنة كانت باقية عليه منذ كان صغيرا ، فهذا ما يفهم من الرواية
التي تقول انه عندما عرضت عليه فاكهة جميلة فى طبق ثمين ، وقيل له
خذ الفاكهة واترك الطبق ، عرض هو العكس من ذلك فقال : بل أخذ الطبق
وأترك الفاكهة (ص ٥٤١) . أما المعز خليفة فهو لا يشك فى افتتاح المشرق ،
رغم ان الذى طرد البربر من هناك نبي (داود) ، لأنهم أولياء الأئمة
(ص ١٣٨) . والمعز يعلم رجال كنامة الاحتجاج لولائهم للأئمة ، ويضرب
لهم المثل بما فعله الخليفة العباسى المكنفى عندما أخرج القرمطى بقوله فى
مسألة الخلافة : « ان العم أولى من ابن العم » فلم يجر جوابا . واذا كان
المعز لم يقدم الجواب هنا ، فالمعروف أن الامامة فى الفكر الشيعى -
بالنص والوصية ، وليست بالاختيار ، والا جاز للأئمة أن تقيم نبيا . ومثل
تهكم المعز من جهل رسول ملك الروم ، الذى جاء يطلب هدنة مؤبدة ،
ياصول الاسلام الذى يمنع من ذلك (ص ٣٦٧) . ورؤية المعز لأمير قاس :
أحمد بن بكر أسيرا ، فى منامه (ص ٣٨٥) وكذلك الأمر بالنسبة للناصر
الأموى الذى رآه فى منامه فى حالة مزرية ، فى ازار وعلى رأسه طرطور
- رمز الشهوة - ويده مغلولة الى عنقه (ص ٣٦٤) ، وان كنا لا نحاول
تفسير الرؤى أو الأحلام فمن الواضح ان ذلك يعنى هموم المعز وحاشيته
من قبل هؤلاء الأعداء الذين كانوا يقلقون راحتهم فى وقت صحوهم ويؤرقونهم
فى حالة نومهم ، حتى استمعوا ما نزل بهم من البلاء فى المنامات والأحلام .
وكتاب المعز الى طاغية الروم فى أمر أهل اقریطس (كريت) وعقد الهدنة
لـ ٥ (خمس) سنوات ، ورسالة المعز بهذا الشأن الى الأخشيدي (ص ٤٤٢)
ثم تنبؤ المنصور للمعز بفتح مصر (ص ٥٠٧) :

وأخيرا يظهر المعز فى المجالس والمسائرات ، كواضع أسس الرسوم
للمواكب والاحتفالات ، وخاصة فيما تم أثناء الاحتفالات الكبرى سنة ٣٥١هـ/
٩٦٢ م التى تم فيها الاعذار الجماعى ثم طهر أولاده (ص ٥٥٣ ، ٥٥٦) ،
كما نهى المعز عن خروج مواكب النياحة على المونى (ص ٥٣١) .

وما يستحق التسجيل فى النهاية ، فهو ان الناسخ نقل من نسخة

للمجالس والمسائرات تمت كتابتها في ٢٩ صفر سنة ١٣٣٢ / فبراير ١٩١٤ -
بمعنى حدائنة النسخة دون معرفة أصولها . ومثل هذا يقال عن كتاب الهمة
الذي لم يعثر عليه الا سنة ١٩٣٤ (نشر محمد كامل حسين ، القاهرة) .

كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة :

وتتلخص أهمية كتاب الهمة في أنه يعرف بحدود المذهب الفاطمي
ويشرح واجبات الأتباع نحو الدعاة والأئمة ويبين حقوقهم المالية حيث
يصر على وجوب دفع الخمس لهم لامام العصر ، قربى الى الله والرسول ،
يتصرف فيه كما يشاء ، وخاصة في فقراء أهل بيته . والمقصود بالخمس
هنا هو خمس مكاسب أهل المذهب (من المؤمنين) في كل عصر ، تدفع الى
امام ذلك الزمان معزكاة الأموال (أنظر : حسن ابراهيم حسن ، تاريخ
الدولة الفاطمية ، ص ٤٨٠ - ٤٨٢) .

سيرة الأستاذ جوذر (ت ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م) :

ويأتى كتاب سيرة الأستاذ جوذر - غلام الأئمة الذي أوصى به القائم
ابنه المنصور ، فما كان منه الا ان رد على والده قائلا : « وهل جوذر الا واحد
منا » فعلا ارتفع شأن جوذر على عهد المنصور حتى أصبح المسئول عن
المهيدية وسائر بلاد افريقية ، فكان أشبه بالوزير الاول (صاحب الوساطة)
وأمين سر الدولة (٣٥) .

والكتاب من النوع الوثائقي الذي يحتوي على عدد كبير من التوقيعات
أو السجلات ، أو الأحداث المتعلقة بالأئمة ، والتي شارك فيها جوذر الفتي .
والتوقيعات الجوذرية تضاهي من هذا الوجه مجالس النعمان ومسائراته ،
وربما تكرر بعضها فيه (٣٦) . فمن الموضوعات الجوذرية : خطاب المنصور
الذي يعلن فيه وفاة القائم (ص ٤٦) ، وانتهزام مخلد ابن كيداد (ص ٤٨) ،
وخطبة للمنصور يعلن فيها موت أبيه (ص ٥٥) ، ورسالة من المنصور
بشأن هدية لملك الروم (ص ٦٠) ، ورسالة من المنصور في الخارجين

(٣٥) محمد اليعلاوي ، الدفاتر التونسية ، ج ٢ سنة ١٩٧٤ ص ٨ و ٥ .

(٣٦) تحقيق وتعليق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة ، القاهرة ، ١٩٥٤
وترجمة كانار (Canard) الى الفرنسية .

بصقلية . ومكانبات المعيز الى جوذر بوفاة المنصور (ص ٧٢) ، وأحمد
ابن المهدي وتشنيعه على الامام وعلى جوذر (ص ١٠٥) . الخ .

عيون الأخبار وفنون الآثار :

المختوى :

ويأتى مع مجموعة الكتب التاريخية الفاطمية الاولى كتاب عيون الأخبار
وفنون الآثار للداعى ادريس عماد الدين القرشى ، وهو يمثل فقرات من الجزء
الخامس من الكتاب ، حقتها مراحات الدشراوى ، تونس ١٩٧٦ ، لتكون تكمله
لرواية افتتاح الدعوة ، عن عهدى القائم والمنصور ، وبخاصة ثورة أبى يزيد
ذات التفصيلات المرهقة حقا فى هذا الكتاب (على أساس ان مصطفى غالب كان
قد شرع فى نشر السبع الرابع من الكتاب ، سنة ١٩٧٣) . ومحتوى الكتاب
يمكن أن يفهم من عنوانه الكامل وهو : عيون الأخبار وفنون الآثار فى ذكر
جمل وفضائل النبى المصطفى المختار ، ووصيه على بن أبى طالب صاحب
ذى الفقار ، وآلهما الائمة الأطهار (المقدمة ، ص ٩) ، فهو كتاب عام فى
التشيع ، مقسم الى ٧ (سبعة) أسباع ، يبدأ الأول منها بفضائل آل البيت ،
والثانى فى خلافة على ، وكذلك الثالث الذى ينتهى بمقتله . أما الرابع فيؤرخ
للدعوة العلوية الى ظهور المهدي ، والخامس يعالج الدعوة فى اليمن والمغرب
الى سقوط الأغالبة وعهد المهدي ، والسادس فى الخلافة الفاطمية من المعز
الى المستنصر ، والجزء السابع والأخير فى الدولة الصليحية باليمن ، والدولة
النزارية والدعوة الامرية ، وينتهى بأخر أيمة الدعوة الدعوة المستعيلة .

الداعى ادريس :

وضاحب الكتاب ، وهو الداعى ادريس ، من رجال القرن ال ٩ هـ /
١٥ م ، اذ تسلم الدعوة بعد أخيه الداعى على ، فى نصف النهار من يوم
الخميس ٣ صفر سنة ٨٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٤٦٧ (المقدمة ، ص ١٠) .
ورغم تأخر الكتاب فانه يعتبر منهلا لمعلومات تفصيلية دقيقة عن الموضوعات
التي يعالجها . فعلى عكس ما قد يظن من أن الأدب الشيعى التاريخى هو أدب
هنقى ينبغى أن يؤخذ بما يناسبه من الحذر ، فان رواية الداعى ادريس
هذه ترتفع فى قيمتها الى مرتبة الوثائق فى كثير من الأحيان ، اذ تستقى
أخبارها من كتب المعاصرين كالقاضى النعمان والأستاذ جوذر وجعفر الحاجب ،
ممن كانوا على اطلاع على دواوين الانشاء والوسائل التى وثقوا بها تواريخهم

وسيرهم ، حتى أصبحت المصدر الأول لكتب الخصوم ، من : الحوارج أو أهل السنة - وهو الأمر المستغرب .

التوثيق :

فبفضل مجموعة الوثائق التي يحويها الكتاب وخاصة ما يتعلق بثورة أبي يزيد ، من الرسائل التي كانت تصدر الى ديوان المهدي والى سائر البلدان والتي كانت تنشر على الناس من فوق المنابر ، وكذلك الخطب الرسمية التي كانت تلقى فى صلاة الجمعة أو العيدين أو المواسم والمناسبات ، وأيضا القصائد الشعرية والقطع الأدبية التي أنشأها أصحابها فى تلك المناسبات التاريخية ، وكل ذلك يرفع من شأن الكتاب الذى ارتقى الى مستوى الوثيقة - بصرف النظر عن المسحة المقلبية التي تعتريه هنا وهناك ، أو وجود القصص الشعبية والروايات الأسطورية جنباً الى جنب مع الخبر الموثق .

فالرحلة المهديّة من سجلماسة الى افريقية محددة المراحل والتواريخ الدقيقة ، من اسم اليوم ورقمه والشهر والسنة ، وربما مع البرج والطاقح (ص ٢٥) ، ومثل هذه التفصيلات تقال عن حملة القائم الى المغرب ، وقتال زناينة ابن خزر (ص ٥٠) .

الروايات الشعبية (الفلكلور) :

وهذا لا يمنع من تسرب روايات شعبية (فلكلورية) كقصة أخذ يعقوب بن اسحق التميمي : أخى خليل بن اسحق ، رجل الدولة وأحد قوادها اللامعين ، بل وشعرائها المداحين الى حبس بغداد ، بعده أسره فى الاسكندرية ، وبقائه هناك ١٤ عاماً ، وكيفية شراء السجان البغدادي بالأموال التي كانت تصله بمعرفة الدعاة ، ثم هربه متخفياً فى زى الصوفية بعد وفاة الخليفة المقتدر ، فى رواية أسطورية مدهشة ، مليئة بالفامرات العجيبة فى القاهرة والفسطاط والعقد المثيرة على جسر الحيزة ، ويعقوب فى زى النساء (أنظر ص ٧٢ ، ٧٣ وما بعدها) . حقيقة انه يمكن الاستفادة من الرواية الأسطورية هذه فى التعرف على أساليب التخفى والاستتار مما كان يلجأ اليه المطلوبون وقتئذ ، والتي كانت معروفة لدى رجال البريد والأخبار ، ولكنها تبقى أسطورية على كل حال .

توثيق ثورة أبي يزيد :

وثورة أبي يزيد مليئة بالتواريخ الدقيقة والمواضع المحددة وتفصيلات الأحداث المرهقة ، مع توثيقها بالاسانيد القوية من الكتب الرسمية والخطب المنبرية والنشاهد العينية والنقصائد الشعرية ، والنوازل الشرعية ، وخاصة فى الأجزاء الأخيرة منها ، منذ فشل حصار المهديّة والهرب من القيروان نحو الزاب وبلاد القبائل الكتامية . فالحصار يضيق على العسكر الفاطمى بالقيروان الى حد عودة الحمام الزاجل الذى فشل خليل بن اسحق فى اطلاقه ، كما فشل هو نفسه فى لبس الدرع وركوب الفرس (ص ٩٤) . وأخيرا مات خليل (أخو يعقوب صاحب مغامرة بغداد) واقفا رغم اصابته بـ ١٨ ضربة ، فى ٢٣ صفر ٣٣٣ هـ / ١٧ أكتوبر من ٩٤٤ م ، كما وقع الكتاب الموجه من القائم الى قبائل لهيصة للحضور لنجدة المهديّة ، بين أيدي الثائر الذى عرف موقف القائم الصعب ، فعجل باهتبال الفرصة وأسرع نحو المهديّة لحصارها (ص ١١٢ - ١١٣) .

وبمناسبة الانتصار على الثائر الزناتى ومقتل أهل القيروان الذين كانوا معه ، أنشأ الداعي الأجل جعفر بن منصور اليمنى (الحسن بن فرج ابن حوشب) قصيدة ، يؤمن فيها على حتمية انتصار الامام على أعدائه ، منها :

سيهزم الجمع اذا جازوا لحربكم والمارقون فقد خابوا وقد خسروا
فان وعد أمير المؤمنين لكم حق به جاءت الآيات والسور

مقتل ميسور - علم الحدائق :

أما عن مقتل القائد ميسور الفتى بالقيروان (ص ١٠٥) فانها تصبغ مشكلة عندما يعود الى الظهور فى فاس ولا بأس أن يكون شخصا آخر اسمه مسرور (أنظر فيما بعد ، ص ٥٣ ، ١٩٣ وهـ ٢) أما عن النصر الذى حققه المنصور ، فكانه المهدي يعرفه واسماعيل جنين فى بطن أمه ، اذ كان يناجيه قائلا : « كاشف المحنة ومطفى نار الفتنة » (ص ١٦٢) . وعندما يضيق الحال بأبى يزيد ، يوجه ابنه الى الأموى بالأندلس يستنصره (ص ١٨٨ ، ٢٠٠) .

شجاعة المنصور :

وأعمال الامام الحربية وشجاعته الفردية لها طابع منقبى ، فهو يخترع

بنفسه لايسا لامته منتقلدا سيف الله ووصيه ذا الفقار ، وياخذ الرمح بيمينه ، ويعتقل درقه على يساره ، ويتمادى الى قصر العدو (ص ١٨٥) - وهزيمة النائر يوم الجمعة بالقيروان موثقة بالرسالة الموجهة الى امير المؤمنين القائم (الذي أخفيت وفاته) وهي بتاريخ ٢٩ ذى القعدة سنة ٣٣٤ هـ / ٤ يولية ٩٤٦ م ، والداعى أدريس يفصح هنا عن مصدره ، وهو « سيرة المنصور » لأبى نصر الذى ما زال مجهول الهوية ، والامام وهو يطارد ابا يزيد فى المرحلة الأخيرة ، يلبس جوشنا فوقه خفتان أحمر مشغل بالوشى ، ويعتمر عمامة صفراء . ويبلغ الضر فى المعسكر أثناء المطاردة الى حد انعدام العلف ، حتى بلغ ما تحتاجه الدابة من الشعير ١/٢ دينار من الذهب ، وقفيز الزيت دينارا ٠٠٠ حتى مات أكثر الخيل والجمال (ص ٢١٩) .

نهاية أبى يزيد :

وأخيرا يلجأ أبو يزيد الى قلعة كيانة ، وبعد قتال ليل على ضوء المشاعل ، يقوده المنصور وهو فى ثوب أحمر موشى ، مذهب الأمام ، وعمامة حمراء معلمة الطرفين مذهبه ٠٠٠ ، يقع النائر المتخن بالجراح أسيرا (ص ٢٦١) . وكتاب الامام الذى يحمل بشارة الفتح مؤرخ فى ٢٥ محرم سنة ٣٣٦ هـ / ١٨ أغسطس ٩٤٧ م (ص ٢٦٧) . اما عن مناظرة النائر فقد انتهت بأفحامه واقامة الحجّة عليه ، فقد سئل : تشتم على ابن أبى طالب ! فأجاب : معاذ الله ٠٠٠ نحن حزبه ، فرد عليه الامام : الله مؤيده . وسئل : ألم تشتم من هو خير من خيرات على ؟ (النبى) ، فأجاب : معاذ الله ٠٠ كان كريما حوله قوم سوء . اما عن ارتكاب المحارم ، فكان جوابه : انها من قوم سوء اتبعونى (ص ٢٧٠) .

الرسائل الرسمية والخطب المنبرية :

والى جانب المعلومات التاريخية فان الرسائل الرسمية والخطب المنبرية تفيد الدارس من حيث تعريفه بالترايب الديوانية الخاصة بها من البدء بالبسملة ثم الحمدلة والتصلية والتوصية ثم موضوع الرسالة أو الخطبة ، ومكان الكتابة وتاريخ الرسالة .

وتنتهى عيون الأخبار باقامة المنصور بالمهدية الى سلخ صفر ، ثم استعماله لعبده جوذر على المهديّة ، والانتقال الى المنصورية فى ربيع الأول سنة ٣٣٧ هـ / سبتمبر ٩٤٨ م .

وهكذا يحتوي الكتاب على روايات تفصيلية دقيقة عن الصراع ضد الزنانية ، لا يقلل من قيمتها تلك النزعة المنقمية الخاصة بأعمال الأئمة وخاصة المنصور بطل النصر ، الى جانب بعض القصص الشعبية (الفلكلورية) كذلك الذي يعالج مغامرات يعقوب بن اسحق .

هذه المجموعة من الكتب الاسماعيلية الفاطمية تعتبر المصدر الأساسي للفترة الأولى من تاريخ الدولة الفاطمية ، فترة التأسيس في المغرب ، وعنها تقل كبار المؤرخين من أصحاب التاريخ العام ، مثل : ابن الأثير والنويري وابن خلدون ، أو أصحاب تاريخ المغرب الخاص مثل : الرقيق القيرواني (الذي يأخذ عنه الكثيرون أيضا كابن الأثير والنويري وصاحب العيون والهدائق وابن خلدون) وابن حمادة وابن عذارى . وما يسترعى الانتباه ان تلك المصادر الشعبية كانت رافدا لكتب الأباضية الخوارج ، مثل : سيرة أبي زكريا الوردجاني وطبقات الدرجيني وسير الشماخي .

من كتب الأباضية :

الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد) (ت حوالي ٦٧٠ هـ / ١٢٧٢ - ١٢٧٤) :

والدرجيني ينتسب الى مدينة درجين ، إحدى قواعد الأباضية ، في بلاد الجريد قرب نفطة ، له كتاب الطبقات (طبقات المشايخ بالمغرب) الذي نشره مؤخرًا إبراهيم طلاي ، البليدة (الجزائر) في جزئين ، أولهما بمثابة عرض تاريخي لجماعات الأباضية في المغرب مع بيان نظمهم وتراتيمهم ، والثاني في طبقاتهم المنتظمة في اثنتي عشرة طبقة . والكتاب يعتبر تكملة لكتاب السير لأبي زكريا (٣٧) .

(٣٧) انظر موتيلينسكي ، ثبت مصادر بلاد المزاب (الزاب) ، كتب المذهب الاباضي ، بالفرنسية ، الجزائر ، ١٨٨٥ (Motylinski, Bibliographie du Mزاب)

ص ٢٦ - حيث الاشارة الى كتاب السيرة

وأخبار الأئمة ، تأليف الشيخ أبي زكريا يحيى بن أبي بكر الوردجاني ، وحيث يقول موتيلينسكي انه اطلع على النسخة التي عملت عليها نسخة مسكراي (Masqueray) الجزائر ، ١٨٧٨ ، وانه استطاع ان يحسن النص وأن يخفي الأخطاء الرئيسية بالمقابلة مع نسخة أخرى ، مع رفع أقوال أبي زكريا من كتاب الطبقات ومن سير الشماخي - وعن التعريف بكتاب أبي زكريا ، مخطوط دار الكتب المصرية ، انظر كتابنا في تاريخ المغرب العربي ج ١ - ص ٣٨ - ٤٠ .

التحقيق :

والظاهر ان المحقق رأى أن ينشر المخطوط دونما تغيير أو تعديل فلم يصحح أسلوبه ولم يحقق موضوعه ، نزاهة من جانبه أو احتراماً للنص الذي يضمن ان يكون أصلياً رغم ما فيه من العيوب الاملائية والنحوية أو اللغوية والموضوعية . فعلماء المذهب من البربر المستعربة الذين قد لا يجيدون اللغة العربية ، والمثل لذلك شيخهم وأشهرهم : أبو زكريا الذي امتنع مشايخ (عزابة) جربة من ارسال كتابه « سير الأئمة » الى مشايخ عمان لتعريفهم - بناء على طلبهم - « بسير الأخوة الأوائل في المغرب ومناقب أسلافهم » اذ « وجدوا انه ليس كاملاً (زمنياً) وان أسلوب المؤلف يظهر فيه الأثر البربرى ، وعدم الدراية بالنحو والمصطلحات العربية » . ورغم النص على أن ذلك كان السبب فى التفكير فى كتاب يحوى تاريخ الأئمة الرستمية ومناقب الفقهاء القدامى ، ووقع الاختيار على الدرجينى للقيام بهذا العمل ، فكان تأليفه لكتاب الطبقات (٣٨) ، فلا بأس أن تكون الأخطاء اللغوية والاصطلاحية من قبل النساخ .

الأخذ عن أبى زكريا :

والدرجيني عندما يعرض لأخبار عبيد الله (عبد الله) المهدي وظهوره فى المغرب يعتمد اختزال رواية الشيخ أبى زكريا الوردجاني والنقل من كتاب الرقيق (ج ١ ص ٩١) . والأصل فى الحقيقة هى الرواية الشيعية المنقبية للداعى جعفر ، فيما يتعلق برحلة المهدي الى سجلماسة (٣٩) . فهو عندما يعرض لأخبار أبى يزيد ، صاحب الحمار ، يعبر عما يكنه الوهبية لآخوانهم الأعداء من النكارية (الأياضية) ، اذ يصف أبى يزيد بـ « الناكثى » وان ظهر بمظهر الحبير فى التاريخ لسيرته ، حيث يهتم بالتفصيلات الصغيرة عن أصله عند الرقيق ، ويقول عن مسكنه بقلعة سدادة من تقيوس (تقيوس) بانه وهم أو غلط (ج ١ ص ٩٦) . اما عن فكرة الثورة فقد أتته وهو لاجئ فى مصر - وهو الأمر المستغرب - وذلك عندما نظر اليه رجل من أهل مصر وقد حلق رأسه ، وقال له : غط رأسك أيها الثائر - فكان حلق الرأس الذى عرف به الحوارج فى المشرق والذى كان عادة من عوائد البربر ، كان

(٣٨) انظر مرتدينسكى ، كتب المذهب الاباضى ، ص ٢٩ .

(٣٩) ج ١ ص ٩٢ - حيث السكنى فى الدار المالية ، ورؤيا الثعبان العظيم التى تعبر

عن شخصية الامام العامة .

قد أصبح شعارا للثورة . هذا ، الى جانب ما كان قد طولب به في بعض البلاد التي سلكها في مصر أيضا ، بمكس (ضريبة مرور أو « ترانسيت ») فاستعظمه (ج ١ ص ٩٧) .

أخبار أبي يزيد :

وقصة هرب أبي يزيد من سجن توزر من النوع الروائي المثير ، وهي تذكر بقصة هرب يعقوب بن اسحق من سجن بغداد بعد أن قضى به ١٤ عاما ، مما سبقت الإشارة اليه في عيون الأخبار للداعي أدريس . والرواية هنا تقسم أدوار تخلص أبي يزيد من سجن توزر على ٤ (أربعة) مسلحين بالسيوف ، واحد يقف على باب المدينة (ليضمن عدم اغلاقه) : و٣ يذهبون الى السجن ويكسرون بابه ويقتلون السجناء . وأحدهم يحمل أبا-يزيد في كبوله والآخرا يسيرون أحدهما أمامه والثاني خلفه ، وهما يقتلان كل من يتقدم نحوهم . وتنجح الجماعة في الوصول الى جبل أوراس حيث يحاصرون هناك لمدة ٧ سنوات - مما يذكر بحصار عبد الرحمن بن رستم في جبل ناهرت - حتى قال قائلهم ، لما نزل بهم من الشدة والضرر « جبل لا يصعد ، ومطر سكب ، وفتى مستقصى (القائم) وشيخ (أبو يزيد) لا ينثنى ، ونحن الميتون » . وهذا الحصار المحكم لا يفك الا بحيلة غريبة من تدبير أبي يزيد ، لا تدرى مقدار نصيبها من الصحة أو الحيال اذ تطلبت في وقت الشدة هذا ٥٠٠ ثور توضع في قرونها وذبولها الحلفاء المشتعلة ، ويقودها ٥٠٠ من الشجعان لكي تكتسح عساكر الأعداء . والحقيقة ان الى جانب القصص المستطرفة يهدف المؤلف الى اعطاء العبرة والموعظة عن طريق المثل والرمز . فعندما يفكر أصحاب أبي يزيد ، بعد فك الحصار ، في الثأر من الوهبية لقتل زعيمهم الأول ابن فندين ، يقول لهم : « أن نحن تخلصنا وتفرغنا من نسج الكساء ، اشتغلنا بقلبه » (ج ١ ص ٩٩) .

ووزير أبي يزيد ، وهو أبو عماره (أبو عمار الأعمى) يستخدم في فتاواه رموزا قليلة ودمنة ، مما يحض على القتل وسفك الدماء ، مثل : « ليس أروح للقلب من قتل عدو ، وان بلغ من الضعف النهاية » (ج ١ ص ١٠٠) .

خلط الرواية المنقبة بالخبر المعادي :

والدرجيني هنا يخلط الرواية المنقبة حينما بالخبر المعادي للأخوة

الأعداء من النكارية أحيانا . فتخريبهم للقيروان لا يعادله الا أفعال نافع
ابن الأزرق القديمة (ج ١ ص ١٠٠) . وهكذا كان عدد القرى التي خربت
على يديه ٣٠ (ثلاثين) ألف قرية ، وهو نسبيا ، عدد فلكى ، كما نظن .
اما عن القسوة والفجور وأنواع الفساد التي تمت على أيديهم فلم تفعله
ولا ملوك الكفار (ج ١ ص ١٠٠) .

وهو بين ذلك يأتي برواية منقبية ، مثل : و « كان (أبو يزيد) .
في هذه الحركات كلها - يركب على حمار أوتى به من مصر ، فكان يعجز
الحيل ان مشى وعدا » (ج ١ ص ١٠٠) . والمعروف ان كلمة « الحركات ،
تعنى الحملات ، وهو مصطلح ظهر في المغرب في وقت متأخر على عهد
الموحدين ، اما نسبة حماره الى مصر التي اشتهرت بمواقف الحمير التي كانت
تؤدى للناس خدمات أشبه ما تكون بخدمات النقل العام في المدن الحديثة ،
الأمر الذي كان يثير عجب الرحالة المغاربة ، فهي غير صحيحة اذ المعروف
أن أبا يزيد أهدى اليه حماره الأشهب الذي نسب اليه ، عندما دخل مدينة
مرما جنة ، على حدود بلاد الزاب .

تحريف الروايات :

ومن الروايات التي ظهرت محرفة في عدة أشكال ، تلك التي تقول
ان « عزابته » (أى الشيوخ من أصحابه وتلامذته) أخذوا صبيتين جيلتين ،
وأنه عندما حضرت أمهما اليه تقول له انهما (ابنتيهما) حرتان ، قال لها :
وهل في أفريقية حرة ؟ الأمر الذي أدهش المرأة وجعلها تخاف على نفسها .
فهربت (ج ١ ص ١٠٠) . والرواية هنا تحورت عما كانت عليه في أواخر
القرن السادس الهجرى / ١٢ م ، يعنى قبل مائة سنة ، من حيث ان الذى
كان يبحث عن ابنتيه هو أبوهما الذى كانت قد صودرت أمواله ، والذى وجد
ابنتيه معا على فراش أبى يزيد ، وان أبا يزيد فسر استحلاله لهما ب « ملك
اليمن » (الاستبصار ، ص ٢٠٦) - يعنى بالسبى ، فكأنه يكفر المسلمين .
ويستحل دماءهم وأموالهم .

الحدثان والقصص الشعبي :

أما عن حصار المهديّة فعصب قصته علم الحدثان حيث تقول الرواية
الفاطمية بانتهاء الثورة عندما يصل أبو يزيد الى باب المدينة ، وهى الرواية
التي تحولت عند الدرجيني الى قصة شعبية ، تقول « ان أبا يزيد يخيب اذا ضرب

فى ذلك الصراع ، ويصيب ان ضرب فى الصراع الآخر » ، وان المدافعين عن أسوار المدينة كانوا يرون ذلك حتى ان بعض من فى البرج قال لأبى يزيد : « أخطأت يا شيخ » . ومثل هذا يقال عن قصة أسر أبى يزيد التى تأخذ شكلا « فلكلوريا » هى الأخرى ، اذ تجعل الأسر بعد هزيمة القيروان مباشرة ، كما يجعل من أبى يزيد التعب من الجراح يلقى بيده على أحد الجنود الفاطميين ممن كانوا يتبعونه ويقول له : «خلصنى ، أنا أبو يزيد» (ج ١ ص ١٠١) . وهنأ نرى أنه لا بأس فى أن تكون تلك القصة رمزا لفكرة رفض التقية (أى الستر والكتمان) عند المتشددين من الحوارج . هذا ، كما ان قصة قتل رجال الفضل ابن أبى يزيد بأيدى المزائين ، حلفاء الوهبية ، تبين ما كان يضمه هؤلاء من الحقد على النكار (ج ١ ص ١٠١) ، الأمر الذى يعنى الوقوف الى جانب خصومهم الفاطميين ، وهو ما يظهر فى قصة الشيخ أبى القاسم الذى كان أتيرا لدى المعز لدين الله (ج ١ ص ١٢٣) .

وهكذا نتمثل أهم سمات الرواية الإباضية فى تطور الروايات الشعبية الفاطمية فيها ، من منقبية وأخبارية حقيقية الى قصص أسطورية وحرافات شعبية ، وهو الأمر غير المستغرب طالما كانت الكرامة هى السمة المميزة لمشايع المذهب .

المختبى لابن حيان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) :

الجزء الخامس ، نشر : ب شالميتا (Chaimeta) وف . كورينطى (Corriente) وم . صبح ، المعهد الأسباني العربى للثقافة - مدريد - كلية الآداب بالرباط .

العلاقات الأموية الفاطمية :

وهذا الجزء يتناول أحداث الأندلس على عهد عبد الرحمن (ابن محمد) الناصر ، لمدة ٣٠ سنة ، من ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م الى ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م . والمهم بالنسبة لموضوعنا فيه ، هو العلاقات بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى المغرب ، والتى تتمثل بشكل خاص فى الصراع بينهما من أجل الهيمنة على المغرب الأقصى الذى أصبح ما بين الأندلس الأموية وأفريقية الفاطمية ، وكانه أرض حرام فاصلة ، أو جبهة قتالية بين جيشين متواجهين ، يمكن لأى منهما أن يجوبها فى أى وقت .

وكان من الطبيعي أن تؤدي العلاقة الحربية العدائية بين الدولتين - في سبيل السيادة على المغرب الأقصى - الى محاولة اكتساب الطرف الثالث المتمثل في قبائل المغاربة من البربر ، وخاصة الزنانية ، عن طريق الترغيب والتهديد بالمال والسلاح أو الدعاية .

الدعاية والدعاية المضادة :

وفي مجال الدعاية والدعاية المضادة لها اتخذ الأمر من جانب الأمويين على عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) ، شكل هجمة دعائية مناهضة للفاطميين أشبه بعملية احياء لذلك الصراع القديم بين العلويين والأمويين ، الأمر الذي أدى الى تبادل اللعنات من أعلى المنابر (٤٠) ، وكذلك الصراع بين الأمويين والعباسيين الذين استحوذوا على الخلافة المروانية . وهكذا لم يكتف عبد الرحمن الناصر باتخاذ اللقب الخلفي في قرطبة بل انطلقت أبواق الدعاية الأموية في الأندلس والمغرب تطالب باسترجاع أملاك خلافة دمشق من بين أيدي مقتصبيها علويين كانوا أم عباسيين .

موقف أمراء المغرب :

فالناصر يسمى عبيد الله المهدي باليهودي (ص ٢٥٩) ، وكذلك أمراء المغرب المواليين له ، مثل الحبر بن محمد بن خزر الذي يطلق أيضاً على تاهرت التابعة للفاطميين اسم « دار المشركين ومأوى الملحدين » (ص ٢٦٠ ، ٢٦٢) . وإذا كان من الطبيعي أن يدخل أكثر الأدارسة الحسينيين في دعوة عبيد الله « الضالة » . . . انحرافاً عن بني أمية للأحقاد القديمة (ص ٢٦٢) ، فمن الغريب أن بعضهم مثل : ادريس بن ابراهيم السليمانى الحسنى ، أمير أرشقول ، دخل في طاعة الناصر سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، وصار في أهل ولايته (ص ٢٦٢) - ولا بأس أن يكون ذلك من قبل العلويين الحسينيين نوعاً من سياسة التوازن ، التي لا تقطع الجسور تماماً مع الطرفين المتصارعين على بلادهم . وان كان ادريس بن ابراهيم هذا ، قد بالغ في محاولة التقرب من الأموي عن طريق المغالاة في الاسفاف في شتم ابن عمه ، والادعاء بأنه السبب فيما صار اليه أمر الحسينيين من الفرقة . ففي فصل من كتابه الى

(٤٠) و وهو الأمر الذي استمر عليه الأمويون في دمشق الى خلافة عمر بن عبد العزيز الذي جعل مكان لمن على : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتداء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » الآية ، انظر ابن الأثير ، أحداث سنة ٩٩ ، تحت عنوان : « ذكر ترك سب أمير المؤمنين علي عليه السلام » ، ج ٥ ص ٤٢ .

عبد الرحمن الناصر ، يقول ادريس : « قد انتهى الى أمير المؤمنين سيدي
مباعدتى للذلب أسوء اليهودي الخنزير ، المبدل لدين رسول الله ، صلعم ،
المعلن الكفر ، الجاحد للتنزيل ، وقيامى مع ابن خزر ولى أمير المؤمنين ٠٠٠ »
(ص ٢٦٣) فكان الرجل أصبح ملكيا اثر من الملك ، كما يقال الآن .
وهو فى فصل من كتاب آخر يخاطب الناصر ، سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٠ م ،
قائلا : « كنا أعزك الله ، ٠٠٠ أبناء رجل واحد ، محمد بن سليمان ٠٠ الى
أن فرق الله ملأنا بقيام هذا الدعى الغوى ، صاحب افريقية ، وافتتان أكثرنا
بالتعصب له ، ٠٠٠٠ وعصمنى بولاية أمير المؤمنين ٠٠ فتنبرأوا (بنو عمه)
منى ، والمتوكل بتأليبهم على : محمد بن ادريس ، وابن أخيه الحسن بن عيسى
المعروف بابن أبى العيش ، الادريسيان ٠٠٠٠ ، ومنهم القاسم بن ابراهيم
والحسن بن عيسى (٦٣ - ٢٦٦) »

وهكذا لم يكن من الغريب أن يغالى غير العلويين من أمراء المغرب فى
سباب عبيد الله ودولته ، ويبالغ فى مديح الناصر وعترته . فمن فصل فى
كتاب محمد بن خزر الزناتى ، الى الناصر يقول : « ما قمت بدعوتك الا
تقربا الى الله تعالى ، وتوصلا الى قتال كفار المشارقة ٠٠ فانك يا أمير
المؤمنين ، ولى كل بربرى على الأرض ، اذ بنى أميه هدهم الله للاسلام ٠٠٠
فمن كفر منهم هذه النعمة ، فهو كافر بالله ورسوله موليتها ، ثم لا يقبل الله
له صدقا ولا عدلا ٠٠٠ » (ص ٢٦٦) ، فكان الخليفة الأموى القرطبى قد
ارتقى فى سلم الولاية والطاعة الواجبة له الى مرتبة المعصوم الفاطمى من
آل النبى .

فتح سبنة والدعاية الأموية الأندلسية :

والمهم انه ابتداء من فتح سبنة (٣١٩ هـ / ٩٣١ م) (ص ٢٨٧) ،
وتوطيد أقدام الجيسوش الأموية على ساحل العدو الأفريقية بدأت لهجة
الخطابات المتبادلة بين الناصر وأمراء المغاربة من البربر تتناول موضوع
الخلافة الأموية الوطيدة كحكومة مركزية وحيدة للمسلمين ، من وجهة النظر
الشرعية (القانونية) على الأقل . ففى الوقت الذى ينص ابن حيان على
نفور أمراء الحسينيين (الأدارسة) من عبور سلطان الأندلس الى عدوتهم ،
ومحاولة زحفهم الى سبنة واخفاقهم يسجل فضلا من رسالة بنى محمد بن
ادريس الى الناصر ، فيه : فمرنا بما أحببت ، وناهض بنا من أردت ، فنحن
جندك على أعدائك ٠٠ ولك العهود المؤكدة بالوفاء ٠٠ لأننا لم ندخل البلد عن
افتتاح افتتحناه ٠٠ مع الذى تقدم من فعل جدنا الحسين بن على ، رضه ،

في التسليم لسلفك (ص ٢٩٠ ، ٢٩٢) . فكان الأدارسة الحسينيين يعترفون بشرعية أحلافه الأموية الأولى في دمشق تاسيسا على تنازل جندهم الحسين للأمويين عن حقه في الخلافة ، كما يعترفون بقانونية سيادة الناصر على بلادهم المغربية ، تاسيسا على أنهم ، بصفتهم علويين هم يقوموا بفتح تلك البلاد ، ذلك الفتح الذي تم على أيام الامويين في دمشق ، وبمشاركة أشهر ملوك المروائيين : عبد الملك .

وهكذا لم يكن من الغريب أن يهتبل عبد الرحمن الناصر الفرصة لكي يشيع بين الملوك البربر من أنصاره ، الوهم بأنه يعد العدة لطلب دولة أسلافه الأمويين (ص ٣٠٥) ، فكان الأمر يتعلق بعلم حدثان أموي معاكس لذلك الذي أقام عليه الفاطميون دولتهم في المغرب ثم في المشرق . والأمر الغريب أن الأمويين بالأندلس وقتلت استندوا على نفس الأسس التي طالب بها الفاطميون عندما دخلوا مصر والتي تمثل في عجز خلافة بغداد عن حماية الحرمين ، وتأمين فريضة الحج من الخطر القرمطي ، وهو الأمر الذي يأتي في مقدمة برنامجهم السياسي . ففي خطاب من الزعيم المكناسي ، موسى بن أبي العافية إلى الناصر ، يشير إلى أن الحدث الجلل في المشرق ، الذي يتمثل في استباحة القرامطة للكعبة وانتزاعهم الحجر الأسود من ركنه (سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) بعد سنة واحدة من اتخاذ الناصر للقب الخلافة ، يسمح لهذا الأخير في السعي لاسترجاع ملك آبائه هناك (ص ٣١١) . ومن فصل في كتاب آخر من قبل موسى بن أبي العافية ، يدعو الزعيم البربري إلى : « مجاهدة هؤلاء الخنازير ... الذين يجحدون نبوة محمد » ويتناولون كتاب الله تعالى على غير تأويله ، ويستحلون المحارم ، ويرتكبون الفواحش جهارا » (ص ٣٧٣) ، فكانه لا فرق بين الفاطميين والقرامطة من حيث أنهم جميعا اسماعيلية ، أبناء مذهب واحد .

الوجه الحضاري لكل من المغرب والأندلس :

والذي يسترعى الانتباه في تلك المراسلات بين ملوك البربر المغاربة وبين الناصر ، إلى جانب الولاية للناصر والحث على جهاد خصومه العلويين وأتباع مذهبهم ، هو الوجه الحضاري لكل من المغرب والأندلس الذي تكشف عنه تلك الرسائل ، ممثلا في الهدايا المتبادلة بين أمراء المغاربة من الأولياء ، وبين الخليفة الأندلسي . فهدايا المغرب تتركز في : « الحيل العدوية » (ص ٢٦٥ - هدية الحسن بن عيسى الإدريسي) ، والنخب ودرق اللمط ، والافراس ، إلى جانب ، وحوش الجنوب السوداني من : الأسود والسباع

والنعام (النعام) (ص ٢٦٨ - عن هدية محمد بن خزر) ، أما عن هدايا
الناصر ، من انتاج الأندلس - مما كان يباهى به المعز (في المجالس
والمسائرات) - فتمثل في : الملابس السنية من طرازه الخاص ، والتي يصل
عدد قطعها الى خمسين قطعة فائقة القيمة ، والسيوف من جنس الأفرنجية
المحلاة بالفضة والمنقوشة بالذهب ، الى غير ذلك من مناطق الذهب المنظومة
باللآلئ الكبار والترامس المزينة بأحجار الياقوت الرفيعة القيمة (ص ٢١٨ -
عن هدية الناصر الى محمد بن خزر « الزناتي » ، وص ٢٩٩ - عن هدية
الناصر الى ابن خزر ومتصور بن سنان) .

هذا ، الى جانب المعونات التي كان يطلبها أمراء المغرب من خليفة
قرطبة ، مثلما فعل ابن أبي العافية عندما طلب بناء مدينة في ساحل
أرشقول ، فأرسل له مهرة العمال والعرفاء ، الى جانب ما طلبه الأدارسة من
ارسال طبيب مداو ، وهو الأمر الذي يعني أن المغرب حتى ذلك القرن
ال ٤ هـ / ال ١٠ م ، لم يكن مستقلا حضاريا عن الأندلس التي كان لها
نفوذها المدني والثقافي في العدة المغربية حتى قيام الدولتين : المرابطية
والموحدية ، وهو الأمر الذي أصبح موضع جدل بين شباب علماء المغاربة
الآن ، وهو الأمر الذي ما زال في حاجة الى مزيد من البحث والتقصي لحسمه
لصالح المغرب ، عن طريق الاتيان بالشواهد والبيانات الجليسة ، اذا أمكنهم
ذلك .

البيان لابن عذارى المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) (٤١) :

يعتبر كتاب البيان لابن عذارى ، رغم تأخره النسبي مفيدا حتى
بالنسبة لأقدم فترات تاريخ المغرب الاسلامي ، من الفتح الى قيام الأغالبة
والفاطميين ، وحتى قيام المرابطين والموحدين وبنى مرين . وابن عذارى من
هذا الوجه مؤرخ موهوب ، يفهم التاريخ على أنه التاريخ الشامل بمعناه
الحضارى الذي يجمع ما بين أمور السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة ،
فكأنه في أحوال العمران والاجتماع الانساني ، كما عند ابن خلدون ، وهو
في الحقيقة من مصادر ابن خلدون الذي أضرب عن ذكره في بعض الأحيان ،

(٤١) البيان المغرب في اختيار المغرب ، ج ١ (من الفتح الى القرن الرابع الهجري / ١٠ م)
تحقيق ودراسة ج : س . كولان ، ١ - ليفي برونسال ، دار الثقافة ، بيروت . وكذلك ط :
مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٥٠ - التي سنتطيرها رمز : ط : بيروت .

وابن عذارى يحسن اختيار أخباره في مظانها ، الأمر الذي جعل بيانه وثيقة تاريخيه لا يستغنى عنها مؤرخ المغرب بالنسبة لأي عصر من العصور . فرغم ان مشروع البيان كان القصد منه كتابا مختصرا ، فإن المؤلف جمع نبذه ولماه من الكتب الجليله ، مقتطفا عيونها ، مقتضيا فنونها ، وواصل الأحداث بعضها ببعض من قديم وحديث (خطبة الكتاب ، ص ٢) .

وجهه النظر السننية :

ورواية ابن عذارى ، فيما يتعلق بالعصر الفاطمي ، تأخذ بوجهة النظر السننية المناهضة للدولة الشيعية الاسماعيلية ، ومع ذلك فهي تتصف بالاتزان من حيث انها تجمع بين الأخبار الشيعية الأصلية المستقاة من كتب النعمان وغيره من الدعاة ، الى جانب الأخبار الاباضية المعادية (من حيث المبدأ) والسننية الملتزمة (قبل الجماعة) . فابن عذارى يستقصى كل أخبار الفاطميين من شاردها وواردها ، على كل مستوياتها ، من أحداث السياسة والدبلوماسية والتراجم والمواليد والوفيات والكوارث الطبيعية ، وكل ذلك موثق بالتواريخ الأكيدة ، والتفصيلات المتيرة ، في توازن بديع . وهو في كل ذلك لا يغفل عن وجهة النظر التي يساندها ، وهي الموقف السنني المعارض للتشيع الاسماعيلي . فهو فيما يتعلق بثورة أبي يزيد وتحالفه مع مشايخ أهل السنة بالقيروان يعرف عن الروايات الشيعية ، ويأخذ بالرواية السننية الخاصة بفقهاء أهل القيروان وعبادهم ، مما في كتاب ابن سعدون الذي سماهم رجلا رجلا ، ووصف اجتماعهم في المسجد الجامع ، وما معهم من الطبول والبندود المكتوب فيها آيات الجهاد (٤٢) .

(٤٢) ج ١ ص ٢١٧ - وابن سعدون هو أبو عبد الله محمد بن سعدون ، واسم تاليقه : « تمزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الأزمان » وهو معاد للفاطميين تماما ، اذ يكذب نسب المهدي العلوي ، ويرى أنهم قرأطة (ص ٢٨١) ، وهو في ذلك يقول : انه عندما مات المهدي لم يعرف القاريء ماذا يقرأ ، لان الحجر الأسود كان كديه بالمهدية منذ أن أرسله اليه الجنابي القرمطي ، وأن القبر طرح جثة المهدي عدة مرات حتى رد ابنه النائم الحجر الى موضعه (ص ٢٨٤) - والمعروف أن الذي سعى في رد الحجر هو المنصور بن القائم سنة ٣٢٩ هـ . وتستمر رواية ابن سعدون المعادية حتى خلافة عبد المجيد بن المستنصر ، وحتى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م . أما عن دمار القيروان فمراجع ابن عذارى هو ابن شرف (ص ٢٨٨) .

كشف السياسة الفاطمية المفرضة :

وابن عذارى يعمل على كشف سياسة الفاطميين المفرضة . فعلى المستوى السياسى يبين كيف أمر المهدي بقلع اللوحات التذكارية التي وضعها الأغالبة على مبانيهم وكتب عليها اسمه (ج ١ ص ١٥٩) . وفي السياسة الدينية يوضح كيف أظهر المهدي التشيع القبيح ، وكيف أن مذهبه خالف السنة من حيث سقوط يمين الحنث عنن طلق البتة واحاطة البنات بالميراث ، كما يورد الشعر الذي يعبر عن الغلو في تعظيم المهدي (انظر ج ١ ص ١٦٠) . وفي تبجيل المهدي وعصمته يتكلم عن علم الحدثنان الذي كان يعرفه (ص ١٦٠) ، حتى بلغ الأمر حد تعظيم خيل المهدي التي قيل ان اروائها وأبوالها ظاهرة (ص ١٨٤) .

المالية :

وفيما يتعلق بالسياسة المالية المتشددة التي اتبعها المهدي ، يتفرد ابن عذارى بالرواية التي تقول ان عبيد الله أمر بأن يكون الحاج عن طريق المهديّة لأداء ما عليهم من الضرائب ، بينما الطريق السوى الى الحج هو طريق مصر وليس طريق المهديّة (ج ١ ص ٨٦) .

هذا فيما يتعلق ببيان ابن عذارى عن المذهب الفاطمي ومؤازرته لأهل السنة . أما عن تشمين أخباره التاريخية القيمة فهو ما يظهر على طول الكتاب بالنسبة لأفريقية وأخبار صقلية بخاصة ، حيث يقدم معلومات مدهشة لا يتوفر لها نظير في غيره من المصادر . وابن عذارى يستقصى أخبار صقلية على طول السنين ، ويكاد يجعل منها حوليات متكاملة منذ ثورة ابن قرهب ، عميل بغداد سنة ٣٠٠ هـ/٩١٢ م (ج ١ ص ١٦٨) الى الانقلاب سنة ٣٠٣ هـ/٩١٥ م (ج ١ ص ١٧٤) ، والغارات على جنوب إيطاليا في سنوات ٣١٠ هـ/٩٢٢ م ، ٣١٣ هـ/٩٢٥ م ، ٣١٥ هـ/٩٢٧ م ، ٣١٦ هـ/٩٢٨ م ، ٣١٧ هـ/٩٢٩ م ، ثم فتح جنوة ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م أول ولاية القائم ثم الاضطرابات التي عرفتها صقلية ما بين ٣٢٥ هـ/٩٣٧ م ، ٣٢٩ هـ/٩٤٨ م ، أثناء ولاية خليل ابن اسحق القاسية التي أُلجأت الكثير الى الفرار الى بلاد الروم والتنصر هناك (ج ١ ص ٢١٥) .

الثورة الكتامية :

ومن أحداث العهد الزيري التي يوردها ابن عذارى ما يشير الغرابة

حقا ، مثل ثورة أبي الفهم الخراساني الداعي بكنامة ، الذي ضرب السكة واتخذ النقود رمز السيادة ، الأمر الذي أدى الى الانتقام منه انتقاما مروعا عندما قتل سنة ٣٧٨ هـ/٩٨٨ م حيث مثل بجسده قشويت كبده وأكلت ، بل وشرح لحمه وأكل من قبل عبيد الأمير (ج ١ ص ٢٤٣) ، الأمر الذي يجعلنا نفكر فيما إذا كان عبيد المنصور الزيري من السودان هؤلاء قد استجلبوا من بلاد أكلة لحوم البشر - أم أن في الأمر مبالغة اقتضتها فكرة التآمر من العدو بلوك كبده ، مما في الشطرة الأولى من الخبر المروع .

المعز ونهاية التشيع :

وتبين رواية ابن عذارى أن ولاية المعز بن باديس كانت بمثابة بداية النهاية بالنسبة للمذهب الشيعي في بلاد القيروان ، ابتداء من سنة ٤٠٧ هـ/ ١٠١٦ م حيث مقاتل الشيعة ، أما عن قطع المعز بن باديس للدعوة الفاطمية من أفريقية (ص ٢٧٤) فيوضح لها تاريخين أولهما في سياق أحداث ٤١٧ هـ/١٠٢٤ م (ص ٢٧٣) وثانيهما ، وهو الأقرب الى الصحة على ما نرى ، سنة ٤٤٠ هـ/١٠٤٨ م (ص ٢٧٧) . أما عن وصول العرب الهلالية الى القيروان فكان سنة ٤٤٣ هـ/١٠٥١ م (ص ٢٨٩) - وهو الأمر المتفق عليه . والروايات هنا عن قطع الخطبة وما يتبعها من تبديل السكة وولاية العهد لتميم بن المعز بن باديس ، كلها منقولة من ابن شرف (ت ٤٦٠ هـ/١٠٦٧ م) ، وكذلك الأمر بالنسبة لغارات الهلالية على بلاد القيروان ، وهزيمتهم لعسكر المعز ، التي كانت موضوعا ملحيا لشاعرهم على بن رزق (ج ١ ص ٢٩٠) .

وفي سنة ٤٤٩ هـ/١٠٥٧ م كان انتقال المعز الى المهدي تاركا القيروان لينهبها العرب (ص ٢٩٤) . أما عن دخول النصاري (الصقليون) الى المهدي سنة ٤٨٠ هـ/١٠٨٧ م ، وما فعلوه فيها من القتل والاحراق فقد استوعب ذلك أبو الحسن الحداد في قصيدته التي أولها :

غزا حمانا العدو في عدد هما الدما كثرة أو اللحف
جاءوا على غرة الى نفر قد جهلوا في الجروب ما عرفوا

(ج ١ ص ٣٠١)

أما عن المرابطين فيرجع ابن عذارى الى كتاب (الأنوار الجلية في الدولة المرابطية وكذلك : نظم الجمان في أخبار الزمان) لابن القطان ، الى جانب

كتاب البيهقي وكتاب ابن صاحب الصلاة ، وهي في تاريخ الموحدين ، أي في فترة « المظالمة » وهي الصراع بين الدولتين : المرابطية الزائنة والموحدية المقبلة .

البكري (أبو عبيد عبد الله - ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :

تعتبر القطعة من كتاب المسالك والممالك ، في وصف أفريقية الشمالية للبكري (نشر دي سلان De Slane ، الجزائر ، ١٩١١) ، أهم وثيقة معاصرة لحركة المرابطين في بداياتها الأولى في صحارى المغرب الأقصى على عهد الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين (بعد سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م - ص ١٦٤) وحتى سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ - ١٠٦٨ م ، حيث كان أميرهم : أبو بكر ابن عمر (ص ١٧٠) .

مسرح الأحداث المرابطية :

ورواية الشكري الجغرافي ، تقدم وصفا رائعا لمسرح الأحداث المرابطية . على طول الطريق من وادي درعة الى الصحراء وبلاد السودان ، فيركز على طبيعة الصحراء التي تبدأ من وادي تارجا حيث التكوينات الصخرية الشميئة بالصفاة التي يتجمع فيها الماء غير العذب (ص ١٦٣) والتي تتخللها المجابة الكبرى التي ينقطع فيها الماء فلا يظهر الا بعد مسيرة ٨ (ثمانية) أيام ، وذلك في صحراء قبائل صنهاجة ، على بعد ٤ أيام فقط من أشهر مدن السودان الغربي وقتئذ ، وهي مدينة غانة (ص ١٦٤) .

أما عن سكان تلك الصحراء ، وأحوالهم المعاشية ، فأشهرهم بنو المتونة الرمحل الذين يجربون تلك الصحارى على طول مسيرة شهيدين في عرض شهريين (أي حوالي ٣ آلاف كم) ، ما بين السودان الغربي وبلاد الاسلام في الشمال الافريقي . وبسبب الصحراء القاحلة فانهم لا يعرفون الحرث ولا الزرع ، وبالتالي فهم لا يعرفون الخبز ، وهو الأمر المستغرب ، وذلك ان معاشهم على الأنعام ، يأكلون لحومها ويشربون ألبانها(٤٣) وفي ذلك يقول البكري : و « ينقذ عمر أحدهم وما رأى خبزا ولا آكله الا أن يسر بهم التجار

(٤٣) ص ١٦٤ - واعداد اللحم عندهم يكون بتجفيفه ثم طحنه دقيقا يصب عليه الشحم للذاب والسمن ، وشراهم اللبن ، قد شوا به عن الماء (ص ١٧٠) .

من بلاد السودان أو بلاد الاسلام فيطعمونهم الحبز ، ويتحفونهم بالدقيق «
(ح ١٦٤) .

وبعد متونة تذكر قبيلة جدالة ، وبلادهم هي المنطقة من الصحراء
المتاخمة للبحر (المحيط) (ص ١٦٤) - بمعنى انهم يعرفون الصييد ،
ويمارسون النقل في البر والبحر ، كما تقضى ظروف البيئة وهو الأمر الذي
لم يتطرق اليه البكري ! كما لم يتطرق الى ذكر القبائل الأخرى من المشمين ،
مثل : مسوفة ولطة .

أما عن ثروات تلك الصحراء ، فهي غنية بحيوان اللمط ، وهو حيوان
دون البقر له قرون متشعبة طويلة (أشبه بحيوان الرنة) ، ومن جلده
تصنع أجود أنواع العرق (٤٤) . وتكثر بها أيضا دواب الفئك التي تتخذ
منها الفراء الثمينة ، والتي تحمل من هناك الى جميع البلاد (ص ١٧١) -
فكانها « فيزون : Vison » تلك العصور . ويتوفر في تلك الصحراء
الملح في ذلك المنجم (المعدن) الذي يقع على مسافة يومين (حوالي ١٠٠ كم.)
من الجابية الكبرى ، وهو يقطع في ذلك المنجم ، كما تقطع الحجارة (ص
١٧١) . هذا ، كما تكثر السلاحف هناك قرب جزيرة أيونا وأكثر معاش
أهلها من لحومها لفرط عظمها (٤٥) . ويعتبر العنبر الثمين من أهم ثروات
تلك الصحراء البحرية حيث يوجد على ساحل جدالة ، وخاصة في جزيرة
أيونا (ص ١٧١) .

جزولة ولطة :

وبعد ذلك هناك قبائل جزولة التي ينتسب اليها عبد الله بن ياسين من
جهة أمه ومساكنها في أقصى جنوب الصحراء ، المتاخمة لصحراء غانة (٤٦) .
وتأتى بعد ذلك قبائل لمطة (ص ١٦٦) التي تنسب كما نرى ، الى حيوان

(٤٤) ص ١٧١ - وقارن كتاب الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(٤٥) ص ١٧١ - حتى كان الرجل يدنل في محار ظهورها بتصيد في البحر كالقارب -

انظر الاستبصار ، ص ٢١٥ .

(٤٦) ص ١٦٥ - حيث قرية تامانوات مسقط رأس والده عبد الله بن ياسين . وقارن
شجرة (محمد عبد الهادي) ، المرابطون ، ص ٢٩ - حيث يرى أن جدالة وهي نطق آخر
لكدالة وكذالة التي قد تنطق في شكل جزولة وكزولة . فكان ابن ياسين من نفس قبيلة
يحيى بن ابراهيم - حسبما يرى .

اللمط - حسب مبدأ الطوطمية - الا اذا كان الحيوان هو الذى نسب اليها
بمعنى الى بلادها ، مسح اضافة سرطه ، وتريكة التى ربما كانت اصل
الطورق(٤٧) .

النقاب والخفارة والجهاد :

وجميع قبائل الصحراء هؤلاء يلتزمون بوضع النقاب على وجوههم ،
وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه الا محاجر العينين (١٧٠) .

وكان نشاط تلك القبائل يتلخص فى خفارة القوافل أكثر من نقل
المتاجر ما بين بلاد المغرب شمالا وبلاد السودان الغربى جنوبا ، كما كانوا
يشتغلون أيضا بالجهاد فى السودان حيث هلك زعيم لتونة محمد تارشنى ،
الذى كان معدودا ، الى جانب جهاده ، من أهل الفضل والدين والحج ، وحيث
كانت قد استقرت بعض قبائل صنهاجة ، وهى تعمل على نشر الاسلام
السنى هناك (ص ١٦٤) .

وعلى أساس الجهاد ونشر الاسلام السنى ، قامت تلك القبائل خلال
القرن الخامس الهجرى/ ١١ م ، بحركة « النهضة » المرابطية التى يحلو
لأستاذنا شعيرة أن يسميها بـ « التجدد » حسب المصطلح الخلدونى(٤٨) .

حركة الحق :

ويرى البكرى أن حركة الاصلاح المرابطية هى حركة الحق التى قامت
على ٣ (ثلاث) دعائم ، هى : « رد المظالم ، وقطع المغارم ، والتمسك بالسنة
(ص ١٦٤) ، بدعوة عبد الله بن ياسين ، وزعامة يحيى بن ابراهيم
الجدالى .

(٤٧) شعيرة ، المرابطون ، ص ٢٩ - ٣١ .

(٤٨) انظر محمد عبد الهادى شعيرة ، المرابطون : تاريخهم السياسى (٤٣٠ - ٥٣٩ هـ)
ط- القاهرة ١٩٦٩ - وفيه الإشارة الى أن أهل الصحراء كانوا أشبه بشركات الحطوط الجوية
والحديدية فى زماننا ، وأن حياة الصحراء اليوم تافهة بالقياس الى حياتها قديما ، فهذه حياة
فقر وجذب ، وتلك حياة تروء ونشاط - و ص ٩ - حيث المقدمة التحليلية ، وفيها تقييم
ابن خلدون لمركة المرابطين للمؤمنين على أنها حركة تجديد للقوى الاسلامية ، ص ٣٠ و ٣٣
و٤٢ - حيث يستخدم اصطلاح « النهضة » .

مراحل الحركة :

ونصوص البكرى لا توضح أين كان الرباط حيث دعا عبد الله بن ياسين الناس الى الانخراط في الدعوة ولا وقت بنائه ، وان أشار الى الآتى :

١ - انقاد له في بداية الأمر ٧٠ (سبعون) رجلا للتعلم ، من جدالة بطبيعة الحال .

٢ - وانه غزا بهم لمتونة في جبلهم واستولى على أموالهم (ص ١٦٥) ، فكان دخول لمتونة في الدعوة كان قهرا ، وبذلك قويت الحركة تحت زعامة يحيى بن عمر بن تلاجاجين بينما كان عبد الله بن ياسين مقيما بينهم وهو كاره لذلك حيث كان لا يستحل أكل لحماهم وشرب ألبانهم ، بل كان يأكل من صيد البرية .

٣ - بعد ذلك دخلت الدعوة فترة تأسيس حضرية عندما أمرهم ابن ياسين ببناء مدينة خاصة بهم ، سموها ارتننى ، حيث التزموا قواعد البناء الشرعية ، من عدم ارتفاع بناء البعض على بناء غيرهم . ولكن الأمر لم يطل كثيرا حتى دب النزاع بينهم وبين عبد الله بن ياسين بسبب تشدده في تطبيق حدود الشرع ، وان قيل انهم ربما وجدوا تناقضا في بعض أحكامه حتى انتهى الأمر بعزله وطرده وهدم داره (ص ١٦٦) .

٤ - وعندما عاد عبد الله بن ياسين بمؤازرة بعض الزعماء الدينيين (وجاج بن زلوى) ، تمكن من فرض زعامته ، فتخلص من المخالفين له ، وفرض سلطانه على الصحراء بدخول القبائل في طاعته - ولا بأس أن تكون هذه المرحلة قد بدأت ببناء الرباط حيث تم تدريب الجماعة عسكريا وتأهيلهم دينيا وروحيا ، الأمر الذي حقق لهم النظام والتفوق على الحُصوم ، والنجاح في فرض تشريعات جديدة ، كان الهدف منها مصلحة الجماعة ، وان ظهرت مجخفة بالأطراف الأخرى (التي طبقت عليها) . فلقد فرض ضريبة الـ ١/٢ (الثلث) على أموال القبائل المختلفة ليطيب لأصحابها بذلك الثلثان ، وهو ما ألزمت به قبيلة لمطة نظير دخولها في الدعوة . وتأكدت زعامة عبد الله بن ياسين حتى أنه كان يستطيع أن يعاقب الزعيم العسكري للجماعة ، وهو يحيى بن عمر ، لخروجه عن الحدود المسموحة له في القتال ، عندما تقدم بنفسه وهدد الجماعة بتعريض زعامتها للخطر (ص ١٦٦) .

٥ - وهكذا أمكن لجماعة المرابطين المسلحين ماديًا ومعنويًا ، والملتزمين

بالنظام والطاعة تحقيق انتصارات متوالية في درعة (ص ١٦٦) وفي
سجلماسة (ص ١٦٧) .

٦ - وإذا كان نص البكري يذكر بعد ذلك مخالفة بني جدالة الى
ساحل البحر وتحصن الزعيم اللمتوني يحيى بن عمر في جبل لتونة حيث
حاصرته جدالة سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ، فأغلب الظن أن النص مضطرب
هنا ، وأن المقصود بالخلاف بين جدالة ولتونة ولجسوء الأوائل الى ساحل
البحر ، هو ما حدث في بداية الدعوة ، من الثورة على تشدد عبد الله بن
ياسين ، وليس بعد بدء فترة التوسع الكبير نحو الشمال .

الرباط عند البكري :

وعيب هذه الروايات الخاصة بصنهاجه الصحراء انها غير محددة
التواريخ ، كما هو الحال بالنسبة لأخبار الهلالية وخاصة في صراعاتهم مع
الزناتية ، أهل البادية في تلمسان بعد أن اجتاحوا ادونه الصنهاجية في
أفريقية ، من حيث أن تاريخ أحداثهم تلك هو نوع من الاخبار العربية الأولى
التي كانت تتداول شفاهها ، ولم تدون الا عندما قبض الله لها ذلك ، مثلما
فعل ابن شرف والرقائق وابن الاثير والتويرى وابن خلدون . وبناء على ذلك
نرى أن اتخاذ الرباط يحدد بعد بناء مدينة ارتنني (رقم ٣) ، وحدوث
الوحشية بين عبد الله بن ياسين واللمتونيين ، فكان بناء الرباط على ساحل
البحر مع الجندالين ، ربما في مصب السنغال مما يأخذ به البحث الحديث ،
وأنه يفضل أهل الرباط من الجندالين غزا قبائل لتونة الكثيرة العمد في
جبلها (رقم ٢ ، رقم ٦) واتبع ذلك بقبائل لمطة (رقم ٤) الأمر الذي أدى
الى تكريس نظم الجماعة الدينية وآدابها الروحية وقيمها الأخلاقية ،
فواصلت انتصاراتها في بلاد الشمال بدءا من درعة وسجلماسة وتيفريريل
حيث قتل يحيى بن عمر سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ثم بلاد برغواطة في أقصى
الشمال ، غرب الرباط وسبلا ، حيث كان مقتل عبد الله بن ياسين سنة
٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م .

ابن ياسين : مناقبه ونقاط ضعفه :

وهنا تتراوح الرواية في تقييم الزعيم الروحي للمرابطين ، ابن ياسين ،
ما بين المتقبة التي تنسب اليه الكرامات ، من : كشف المياه في الصحراء ،
وسكون نقيق الضفادع في البحيرة عندما يتقدم اليها (ص ١٦٩) ، الأمر

اندى ترتب عنيه جعلل قبره مزارا مكتظا بالمريدين (ص ١٦٨) * ومن الناحية الاخرى فقد كان للرجل نقاط ضعفه التي تمثلت في حب النساء والاسراف في الاقتران بهن والانفصال عنهن ، اذ كان يتزوج في الشهر عددا منهن ، ولا يسمع بامرأة حسنة الا خطبها لنفسه ، ولا يتجاوز بصداقهن ٤ (اربعة) مثاقيل (ص ١٦٩) *

هذا ، كما كان لابن ياسين ضعفه العلمي ، وهو الامر المسموح به للفقير في مثل تلك الصحراء البعيدة ، المنقطعة عن العالم - رغم ما يراه شعيرة من أن أهل الصحراء في تلك الأزمنة كانوا أشبه بشركات الخطوط الجوية والسكك الحديدية في أيامنا ، وان حياة الصحراء قديما كانت حيساسة ثروة ونشاط (ص ٤٤ ، هـ ١ ، ٢) *

وهكذا يعدد البكرى ما شذ فيه عبد الله بن ياسين من الأحكام مثل : أخذ الـ ١/٤ من الأموال المختلطة (ليطيب لأصحابها الثلثان) ، واقامة الحدود على الداخل في الرباط تكفيرا لذنوبه السابقة ، أيام الشباب ، وتأديب المتخلفين عن حضور الصلاة بالضرب بالسياط ، وهو ما كان يؤدي بالعوام الى القيام بالصلاة بغير وضوء ، جزعا من الضرب ، وكذلك ضرب من رفع صوته في المسجد * واملاء أداء الصلاة في كل وقت قبل اقامتها مع الجماعة (تعويضا لما سبق من التفريط ، ص ١٦٩ - ١٧٠) *

النظام الحربي :

أما عن نظامهم الحربي ، فقد عرف القوم بأن لهم في قتالهم جلد ليس لغيرهم ، اذ يختارون الموت على الانهزام * وانهم يقاتلون على الخيل والنجب ، وأكثر قتالهم صفوفيا : بأيدي الصف الأول القنى الطوال للدعاسة والطعان ، وما يليهم من الصفوف بأيديهم المزاريق ، يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقتها فلا يكاد يخطيء * ولهم رجل قد قدموه أمام الصف بيده الراية ، فهم يقفون ما وقفت منتصبية ، وان أمالها الى الأرض جلسوا * * ، ومن فر أمامهم لم يتبعوه *

معلومات وثائقية :

تلك هي الصورة التي يرسمها البكرى لحركة المرابطين في صحاروات المغرب الأقصى الجنوبية ، في الطريق الى السودان الغربي ، وهي معلومات وثائقية معتبرة ، وان افتقدت التحديدات الزمنية ، والتوقيت الذي لا يكون

ابدى ترتب عليه جعل قبره مزارا مكتظا بالمريدين (ص ١٦٨) * ومن الناحية الاخرى فقد كان للرجل نقاط ضعفه التي تمثلت في حب النساء والاسراف في الاقتران بهن والانفصال عنهن ، اذ كان يتزوج في الشهر عددا منهن ، ولا يسمع بامرأة حسنة الا خطبها لنفسه ، ولا يتجاوز بصداقهن ٤ (اربعة) مثاقيل (ص ١٦٩) *

هذا ، كما كان لابن ياسين ضعفه العلمى ، وهو الامر المسموح به للفقير في مثل تلك الصحراء البعيدة ، المنقطعة عن العالم - رغم ما يراه شعيرة من أن أهل الصحراء في تلك الأزمنة كانوا أشبه بشركات الخطوط الجوية والسكك الحديدية في أيامنا ، وان حياة الصحراء قديما كانت حياة ثروة ونشاط (ص ٤٤ ، هـ ١ ، ٢) *

وهكذا يعدد البكرى ما شذ فيه عبد الله بن ياسين من الأحكام مثل : أخذ الـ ١/٢ من الأموال المختلطة (ليطيب لأصحابها الثلثان) ، واقامة الحدود على الداخل في الرباط تكفيرا لذنوبه السابقة ، أيام الشباب ، وتاديب المتخلفين عن حضور الصلاة بالضرب بالسياط ، وهو ما كان يؤدي بالعوام الى القيام بالصلاة بغير وضوء ، جزعا من الضرب ، وكذلك ضرب من رفع صوته في المسجد * واملاء أداء الصلاة في كل وقت قبل اقامتها مع الجماعة (تعويضا لما سبق من التفريط ، ص ١٦٩ - ١٧٠) *

النظام الحربى :

أما عن نظامهم الحربى ، فقد عرف القوم بأن لهم فى قتالهم جلد ليس لغيرهم ، اذ يختارون الموت على الانهزام * وانهم يقاتلون على الخيل والنجب ، وأكثر قتالهم صفوفا : بأيدى الصف الأول القنى الطوال للمداعسة والطمعان ، وما يليهم من الصفوف بأيديهم المزاريق ، يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقتها فلا يكاد يخطئ * ولهم رجل قد قدموه أمام الصف بيسده الراية ، فهم يقفون ما وقفت منتصبه ، وان أمالها الى الأرض جلسوا * ، ومن فر أمامهم لم يتبعوه *

معلومات وثائقية :

تلك هى الصورة التى يرسمها البكرى لحركة المرابطين فى صحراوات المغرب الأقصى الجنوبية ، فى الطريق الى السودان الغربى ، وهى معلومات وثائقية معتبرة ، وان افتقدت التحديدات الزمنية ، والتوقيت الذى لا يكون

التاريخ بدونه تاريخاً ، مما سبقت الإشارة إليه وذلك خلال الفترة الممتدة من سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م إلى سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ، حينما كانت الزعامة في تلك القبائل للأمير اللمتوتى أبى بكر بن عمر . وتصف الرواية وضع تلك القبائل في تلك السنة بأن أمرهم منتشر غير ملتئم ، وأن مقامهم بالصحراء ، وذلك في الفترة التي بدأت فيها الرئاسة تنقسم ما بين أبى بكر بن عمر في جنوب الصحراء ، ويوسف بن تاشفين في الشمال الذي ستؤول إليه قيادتها وحده ، بعد أن يبنى عاصمته الجديدة ، مدينة مراكش ، التي ستعطي اسمها للبلاد جميعاً منذ ذلك الوقت .

العبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) :

تقييم عام لنص غير محقق :

كتاب العبر لابن خلدون - رغم تأخره النسبي - مصدر أسامى بالنسبة لتاريخ المغرب والأندلس حتى بالنسبة لأقدم العصور ، من الفتح إلى قيام الدول المستقلة الأولى . أما بالنسبة لعصره فهو مصدر أصيل لا غنى عنه ، إذ يقدم معلومات شاهد العيان ، ويستقصى أخباره من مظانها الأولية ، على مستوى المسئولين عن الدولة ، وعلى المستوى الشعبي حيث القصص « الفولكلورى » والشعر العامى . ولكن ما يؤخذ على نص ابن خلدون التاريخى أنه ما زال فى حاجة إلى تحقيق علمى ، يعهد به إلى لجنة من المختصين ، تقوم بالنشر مع التحقيق على نفس النسق الذى قام به الدكتور على عبد الواحد فيما يتعلق بالمقدمة التى حققها ونشرها فى أربعة أجزاء قيمة ، فاسدى للمكتبة العربية جميلاً جميلاً .

ويكفى هنا أن نشير إلى بعض الأخطاء ، من املائية وفنية ، مما يشيع فى نص ابن خلدون فى الجزء السادس الذى يبدأ بقصة دخول الهلالية إلى المغرب ، كمقدمة لتساريف البربر ، ثم يتناول دول المغرب الأولى ، من الأغالبة ، والرستميين ، وبنى واسول ، ودولة آل زيرى الصنهاجية ، وآل حماد بالقلعة ، حيث نجد :

(يرصليتن) بن حبوس ، بدلا من : يصليتن أو يصل (ص ١٣٠) ،
فشنت بدعة الأمية بدلا من : (الأموية) (ص ١٣٢) ، (إلى أن أردى) ،
بدلاً من : إلى ابن أروى (ص ١٣١) ، تغلب (ملكتين) بدلا من بلسكين
(ص ١٣٦) ، و (احفظ مدينة واشين) للتحصن بها ، بدلا من : واخط

مدينة أشير للتحصن بها (ص ١٥٣) ، الى غير ذلك مثل : الجبائر (الجبائر) ، محاييل (ميخائيل) ، فاس (قابس) ، بلباو (بلباز) الخ .

مشروع د . ابراهيم شبوح :

وهنا لا بأس من الاشارة الى مشروع الدكتور ابراهيم شبوح ، مدير دار الكتب التونسية حاليا ، القيم ، لاعادة نشر وتحقيق عبر ابن خلدون ، بناء على ما نظر فيه من النسخ انفريدة المخطوطة ، مما تزخر بها الدار ، والتي تبين أن النسخة الموجودة بين أيدينا الآن ينقصها أشياء هامة من نسخ دار الكتب التونسية ، حسبما لاحظه د . شبوح ، يعنى زيادة صفحات طويلة لكل بياض قد لا يستغرق الا سنتيمترات معدودات ، في أقل من السطر . وبذلك يحقق مشروع اعادة تحقيق ونشر العبر هديين عزيزين هما : تصحيح النسخة التي بأيدينا ، كما يستكملها بما في النسخ المخطوطة الكاملة من الزيادات .

مصدر رئيسي للهلالية :

وابن خلدون مصدر رئيسي لتاريخ الهلالية من عرب هلال وسليم في بلاد المغرب ، وذلك عن طريق التعرف شخصيا على أحفادهم من معاصريه ، في القرن الـ ٨ هـ / ١٤ م ، ممن كان لهم دور هام في الأحداث التي عرفتها دول المغرب وقتذاك من المرينيين والحفصيين وبنى عبد الواد . فهو في أنساب عرب برقة يرجع الى نسابتهم ممن شافهم (ج ٦ ص ٥) ، وفي انتصاراتهم الحربية على الصنهاجيين في أفريقية ، يرجع الى ما سجله شعراؤهم في قصائدهم الشعرية ، كما فعل ابن الأثير من قبل ، مثل : الشاعر الهلالي على بن رزق الرياحي ، الذي يقول :

وان ابن باديس لأفضل مالك لعمرى ولكن ما لديه رجال
ثلاثون ألفا منهم قد هزمتهم ثلاثة آلاف وذاك ضلال (٤٩)

(٤٩) انظر العبر ج ٦ ص ١٤ - حيث النص على أن تلك الأبيات يمكن أن تكون لابن

شداد (الأمير الصنهاجي) ، وقارن ابن الأثير ، ط . تورنبرج (بيروت) ، سنة ٤٤ هـ

ج ٩ ص ٥٦٨ - حيث يختلف النص بعض الشيء :

وان ابن باديس لأفضل مالك لعمرى ولكن ما لديه رجال

ثلاثون ألفا منهم غلبتهم ثلاثة آلاف ان ذا لرجال

وقارن طبعة بولاغ ، ج ٩ ص ٢٣٦ ، وفيها :

ثلاثة آلاف لنا غلبت لهم ثلاثين ألفا ان ذا لرجال

وبعد محاربة صنهاجة ، حارب العرب زناتة في منطقة تلمسان حيث كان يسود بعض أعقاب محمد بن خزر ، ووزيره الشهير الذي خلده ملحة الهلالية الشعبية : أبو سعدي خليفة اليفرنى (ج ٦ ص ١٦ « اليمرنى » ص ١٩ « الفتري ») ، فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة :

التوثيق :

وابن خلدون متأكد من صحة روايته عندما يعدد رجالات العرب من المهاجرين الأوائل مثل : حسن بن سرحان وأخوه بدر ، وفضل بن ناهض ، وماضى بن مقرب ، وسلامة بن رزق (من الأئيج) ، ودياب بن غانم (من بنى ثور) ، ومؤنس بن يحيى (من بنى مرداس) حيث ينص على أن هؤلاء الآخرين من مرداس رياح لامرادس سليم ، ويحذر من الغلط فى هذا (ج ٦ ص ١٦ حيث موسى بن يحيى بدلا من مؤنس بن يحيى) .

أما عن الرواية التي تقول بأن زيد العجاج بن فاضل مات فى الحجاز أى قبل دخولهم أفريقية ، فهو يرى ان ذلك زعم يشك فيه (ج ٦ ص ١٦) . وأشعار كل هؤلاء ، وعلى رأسهم زياد بن عامر ، رائدهم فى دخول أفريقية ، والذي يسمونه « أبا مخبير » هى التي تروى خبر الهجرة الهلالية (٥٠) .

هلالية برقة :

وابن خلدون يفرق بين الهلالية الذين دخلوا برقة بتحريض اليازورى أو الجرجاني (الجرجاني) قبله ، وبين أولئك الذين أقاموا ببرقة قبل ذلك على عهد الحاكم الفاطمى وكانت لهم خطوبهم مع الصنهاجيين مما سجله شعراؤهم فى أشعارهم العامية - مما يعرف الآن بالنبطية - مثل :

طلبنا القرب منهم وجزيل منهم	بلا عيب من عرب سحاج جمودها
ويدت عرت أمره منا وبينها	طرود انكاد اللى يكودها
ماتت ثلاث آلاف مرة وأربعه	بحصره منا تداوى كبودها

ومنها :

(٥٠) ج ٦ ص ١٦ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ - حيث يذكر على ان زعيم العرب الأول ، هو : مؤنس بن يحيى المرادسى .

أيا رب جبر الخلق من ناتج البلا . الا القليل انجار ما لا يجيرها
وخص بها قررة مناف وعينها . ديما لا زياد البوادى تشيرها .

(ج ٦ ص ١٨)

طرق الحكاية عند الهلالية :

وابن خلدون يعرض بعد ذلك لحكاية الهلالية ، من دخولهم الى أفريقية وطرقهم في الخبر عنها ، الأمر الذي تحول الى روايات أسطورية وقصص شعبية . والحكاية الشعبية للهجرة الهلالية تجعل البداية من بلاد الحجاز ، وليس من صعيد مصر ، وذلك عندما تزوج الشريف هاشم ، صاحب الحجاز ، أخت الحسن بن سرحان وهي « الجازية » ، بطلقة القصة . فعندما حدثت الوحشة بينهم وبين صهرهم الشريف وأرادوا استرجاع الجازية لم يجدوا أمامهم الا استخدام خيلة الرحلة للصيد حيث فوجئ الشريف بأنه في غير مملكته فرجع الى مكة ، وبين جوانحه من الحب داء دخيل ، بينما استمرت الجماعة في تفريبتها حيث ظهر على الجازية داء الكلف بزوجها الشريف حتى ماتت من حبه . وبذلك فاقت قصة الهلالية في الحب العظيم كل عرفه العرب من ذلك اللون من أدب العشق والغرام ، مما عرف في قصص : قيس وليلى ، وكثير وعزة ، مما يروى في أشعار الهلالية ، مما هو : « مطبوع ومنتحل ومصنوع » .

من قواعد النقد في الأدب الشعبي :

وهنا يصنع ابن خلدون قاعدة هامة من قواعد النقد في الأدب الشعبي الذي يوسم بالأصالة طالما لم يفقد من البلاغة شيء ، بصرف النظر عما فيه من خلل الاعراب الذي يعتبره الخاصة من أهل العلم بالمدن « أصل البلاغة ، وليس كذلك » (ج ٦ ص ١٨) .

وحق لابن خلدون ألا يثق بالقصة الشعبية التي عاصرها في القرن الثامن الهجري / ١٤م ، والتي كانت قد تعقدت خلال تطورها على طول الأجيال ، من حيث أنه تتولد منها قصة حب عظيم أخرى في أفريقية عندما تزوجت الجازية من زعيم الأثبيج : ماضي بن مقرب ، وحديث الوحشة مرة أخرى ، والحروب بين قبيلي الزوجين الحميين . والمهم في كل ذلك ان الهلالية متفقون على صحة تلك الأخبار المتواترة بينهم جيلا بعد جيل « حتى ليكاد المستريب في أمرها أن يرمى عندهم بالمتون والحلل » (العبر ج ٦ ص ١٨) .

وهكذا تتعدد أخبار الهلالية على طول الطريق في بلاد المغرب وعبر الأجيال ، ويختلط فيها التاريخ بالأساطير وهو الأمر الذي يدعو الى الكثير من الحذر في التعامل مع تلك الأخبار ، كما تتطلب الاستفادة منها الكثير من الاستنارة العقلية ، بل ومن سلامة الحس ، وشفافية البصيرة أيضا .

ملاحظات منهجية :

وهنا نود الإشارة الى بعض الملاحظات المنهجية الخاصة بالمصادر ، مما تقدم ذكره :

١ - فيما يتعلق بكثرة المعلومات التي قد تظهر مرهقة في بعض الأحيان نرى ان المعلومات الكثيرة عن الحدث الواحد قد لا تكون دائما مفيدة ، اذ قد يزيد اختلاف المعلومات وعدم تطابقها الأمر غموضا . ففي حالة الثورة الزناتية ، بقيادة مخلد بن كيداد ، مثلا ، قد تختلف وجهات النظر في تعليل أسباب الثورة أو دوافع قيامها ، بين : سياسة قومية بمعنى رغبة المغاربة البربر في التحرر من الحكم العربي ، أو سياسة دينية بمعنى ان المغرب السنّي المتشدد فيما بين المالكية بخاصة والأباضية كان يبحث عن الانعتاق من نير التشيع ، وهو ما يطلق عليه جورج مارسيه اسم الأزمة الفاطمية^(٥١) أو سياسية اقتصادية تتمثل في رفض السياسة المالية والضرائب المتشددة مما يظهر في تجميع الأموال من كل المظان وبكل الوسائل ، من : العقوبات المالية والمصادرات ، والتشدد في جمع الضرائب والدقة في محاسبة العمال ، وعدم التساهل مع المدينين ضرائبيا (أصحاب التسييط) ، وابتكار أنواع جديدة من الضرائب مثل : ضريبة الحج (على أموال الحجاج) - وهو ما يرجحه ليتورنو (Le Tourneou) كسبب للثورة^(٥٢) .

٢ - وعندما تقل المعلومات على العكس من ذلك ، يكون الموقف أصعب . ويتمثل ذلك في افتقاد المعلومات الشخصية عن الأئمة ، فلا شيء عن الصفات الجسمانية أو أسلوب الحياة اليومية ، أو الاهتمامات الخاصة - وهي الأمور المعروفة تفصيليا عن النبي ، وربما الى حد ما عن الامام علي ،

(٥١) انظر كتابه : بلاد البربر والمشرق الاسلامي في العصر البسيط (بالفرنسية) .

(٥٢) انظر بحثه عن أبو يزيد (صاحب الحمار) في القرن السادس ، دفاتر تونسية

(بالفرنسية) ج ١ ، ١٩٥٣ .

والذى كان يمكن أن يكون قدوة • ولا بأس أن يكون ذلك الخوواء تركة عهود
الستر والكتمان فى مرحلة الغيبة ، وهى مرحلة الدعاية المستترة ، الأمر
الذى يستمر فى مرحلة الظهور بما تقضى به من حفظ المسافة بين الخلفاء
والرعية ، وهو ما تفسره جيوش العسكر والموظفين والحدم والحريم ، ممن
ملأوا تلك المسافة الفاصلة بين الامام ورعيته ، رغم ما يقضى به المذهب
الفاطمى من ضرورة معرفة الامام من أجل أداء واجبات الولاية ، من فروض
الطاعة وتقديم اموال الحمس •

٣ - وعندما تتضارب المعلومات أحيانا قد يصعب ايجاد الحل فتبقى
المسألة معلقة على أمل انتظار العثور على وثائق جديدة - وهنا يمكن الاشارة
الى بعض النماذج :

(أ) وفاة القائد الصقلبي ميسور الفتى فى اللقاء مع أبى يزيد
قرب القيروان فى ربيع سنة ٣٣٣ هـ / ٩٣٥ م ، ثم ورود اسمه بعد ذلك
فى عمليات عسكرية جديدة فى فاس - والأمر ما زال غامضا على الأقل
بالنسبة للشخصية الثانية التى ظهرت (بنفس الاسم) فى فاس • ولا بأس
أن يكون اسم الشخصية الثانية مسرور ، كما ترد فى بعض نصوص الداعى
ادريس وابن خلدون (انظر فيما بعد ص ١٩٣ وهـ ٢) •

(ب) وفاة على بن حمدون الأندلسى فى العمليات العسكرية الأولى ،
بطريقة مفاجئة سنة ٣٣٤ هـ / ٩٣٦ م ، أمام أيوب بن أبى يزيد ، ثم ظهور
اسمه بعد ذلك فى عمليات جديدة على عهد ابنه جعفر بن على أمير المسيلة •
وهنا لا بأس أن تكون العمليات لعلى بن حمدون قبل وفاته ، وانها وضعت
خطأ فى غير موضعها الصحيح • فهذا ما تسمح به سمعة الرجل وحسن
بلائه فى قتال الشائر الزناتى ، وهو الأمر المفتقد فى النصوص ، والذى
ترتب على اللبس فى الاسم والكنية بينه وبين بعض بنيه •

(ج) وفاة موسى بن أبى العافية المكناسى التى يضع لها الكتاب ٣
(ثلاثة) تواريخ ، وهى : ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م ، ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م ، ٣٤١ هـ /
٩٥٢ م ، ونظرا لعدم ذكر عمليات له بعد سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م فالمرجح أنه
توفى فى تلك السنة ، الأمر الذى تؤيده رسالة ابنه مدين الى الناصر
الأموى ، وهى التى يراد فصل من نسختها فى مقتبس ابن حيان (ج ٥
ص ٤٢٧) •

٤ - الرواية الأسطورية ومنها :

المنقبية ، والقصة الشعبية :

(أ) كتلك التي ترتبت على علم الحدثان الخاص بالأئمة عند الفاطميين ، كما قيل عن بناء المهديّة من أنها أنشئت من أجل ساعة من نهار ، يصل فيها النائر الزناتي الى بابها وهي الرواية التي انتقلت الى كتب الحوارج ، والهدف منها سياسي تربوي أصلا ، يتمثل في الولاء للأئمة والاعتقاد في عصمتهم ، وان أخذت شكلا ساذجا ، ساخرا ، عند الإباضية (أنظر الدرجيني) .

(ب) ومثل هذا يقال عن الرواية التي تجعل من الزناتية موالى للأمويين ، ومن الصنهاجية موالى للعلويين ، وتبالغ في رابطة الولاء هذه والحث على التمسك بها الى درجة تجعل الخروج عليها خروجا عن الدين (المقتبس ، ج ٥ ص ٢٦٦) - وهي في الحقيقة سياسية الهدف .

(ج) أما عن مناقب عبد الله ياسين زعيم المرابطين ، من الكشف عن الماء في الصحراء عندما تعطش الجماعة ويتهدهدها الهلاك ، أو توقف نقيق الضفادع عندما يقترب من البحيرة فهي تدخل ضمن كرامات الأولياء وخوارقهم التي كانت قد انتشرت مع انتشار الطرق الصوفية وتبجيل الأولياء ، وان كانت قصص هوايته زواج الجميلات من النساء مع الامسك في دفع الصداق ، يوازن تلك المناقب المنسوبة الى الفقيه الأصولي ، المتشدد في الأحكام (أنظر البكري) .

والهم في كل ذلك أنه اذا كان للباحث أن يسقط من حسابه الرواية القصصية الموضوعية أو أن يكشف عما وراءها من أغراض دفينية أو دروس مستفادة ، فان الرواية المنقبية لها أهميتها كحدث تاريخي معنوي البنية ، بمعنى ان له تأثيرا في مجريات الأحداث .

ومثل هذا يمكن أن يقال عن القصة الشعبية ذات الأصول التاريخية من حيث أنها تمثل الجانب المعنوي من حياة المجتمع الثقافية ، وميوله الوجدانية ، وقواه التخيلية والتعبيرية ، وهي الأمور التي يمكن أن يكون لها موضوعها في اطار الدراسة التاريخية .

هذه لمحات في موضوع المصادر حمنا بها حول موضوع المغرب الاسلامى ما بين الفاطميين والمرابطين ، عن طريق محاولة التعريف بمضمون بعض المصادر الأساسية عن شيعية فاطمية ، وأباضية خارجية ، وسنية تاريخية ، بقصد أن ذلك يمكن أن يعطى فكرة عن عناصر الموضوع ، بصرف النظر عن وضعها فى اطرها الزمنية ، وبيان العلاقات فيما بينها ، بما يسمح بتصور مساراتها الواقعية وتطوراتها الحقيقية ، وهو الهدف من الدراسات التاريخية التى يريد الجميع أن يعيد كتابتها بما يحقق الأهداف المنشودة منها . والهدف العلمى على كل حال هو الوصول الى الحقيقة .

الفصل الأول

عبيد الله المهدي ، أول الأئمة الخلفاء

(٢٩٧ - ٥٣٢٢ هـ / ٩١٠ - ٩٣٤ م)

شخصيته :

اختلفت الآراء في تقييم شخصية عبيد الله المهدي ، كما هو الحال بالنسبة لكبار الشخصيات التاريخية ، ممن كان لهم ذكر في أمور السياسة والدين أو الإصلاح الاجتماعي بشكل عام . ولقد تراوح ذلك الاختلاف عند المؤيدين والمعارضين ما بين التعصب الغالي والحقد المقيت ، مما راح بهم وغدا من حد التآليه والربوبية الى حد الاحتيال والتزوير .

وإذا كان الاختلاف في صحة النسب يعزى الى أسباب سياسية ومذهبية واجتماعية أو شخصية ، فإنه يرجع أصلا الى مبدأ التقية الشيعي ، وما ترتب عليه من حياة الستر والكنمان التي عاشها الأئمة في حالة الغيبة . والحقيقة ان مبدأ التقية هو الذي يفسر أيضا ندرة الأخبار المتعلقة بصفات الأئمة الشخصية ، وعلى رأسهم عبيد الله المهدي بصفته أول الأئمة الظاهرين .

فالروايات التي تعرض لعبيد الله ، شايبا يافعا ، عندما كان والده يضم أبا عبد الله الى جماعة دعائه الاثني عشر ، لا تعرف بشيء عن شخصه أو عن صفاته وهو ولي لعهد الامامة (الاستبصار ، ص ٢٠٣) . أما عن مسيرته الى مصر والمغرب ، وهو امام مستتر ، يلح أصحاب الأخبار في بغداد وفي القيروان ، في اماطة اللثام عن شخصه ، فلا يعرف الا انه كان مستترا بزى التجار ، وكذلك الأمر أثناء مقامه في سجلماسة (١) . ولا بأس أن

(١) هذا وان ظهرت رواية تجمله . في مصر في زى الصيادين ، وبصحبته كلب كلف به ولي العهد الصغير ، ج ٢ ص ٥٨٧ ، ص ٥٨٨ والهوامش ، ص ٥٩١ .

تكون مظاهر النعمة البادية عليه وعلى أصحابه من الأسباب التي جعلته هدفا لغارات السلب والنهب التي تعرض لها على طول الطريق من برقة الى توزر ووارجلان (ج ٢ ص ٥٨٩ - ٥٩٠) .

أما في سجلماسة فيظهر مع ولده أبي القاسم ، في صورة منقبية كولي صالح ، صاحب آيات وكرامات ، أو في صورة رجل دولة يجمع التفقه في العلم الى جانب الخبرة في السياسة والادارة (ج ٢ ص ٥٩٢) . وعند كشف الداعي عن شخصيته في سجلماسة ، أعلن عبيد الله انه « المهدي بن المهدي ، سلالة الهداية » ، فاستحق ما يليق به من داعيته الذي انكب ليقبل منه اليبدين والركبتين (ج ٢ ص ٥٩٦ - ٥٩٧) . وعند الخروج من سجلماسة نحو القيروان ، نراه يلبس النفيس من فاخر الثياب ، ويفوح منه أريج الطيب ، وهو يمتطي صهوة فرس عتيق (ج ٢ ص ٥٩٧) ، بمعنى أنه كان في كامل عنفوانه ، وهو في نهاية العقد الرابع من عمره (٢) . وعند دخوله رقادة كان يرتدى ثوبا أذكن وعمامة مثله ، وتحتته فرس ورد (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٨) .

أما عن صفاته الجسمية ، كامام ، فقد غلبت عليها الأسطورة الشعبية . فمن علاماته التي كان يعرفها الدعاة حسبا أذاعها الداعي بين الزعماء الكثامين ، اثر سوء العلاقة بينهما ، والتي قد لا تتوفر في عبيد الله ، أن الامام يحمل بين كتفيه عبارة « المهدي رسول الله » ، كما كان النبي يحمل بين كتفيه « خاتم النبوة » وأن من آياته أيضا أنه يطبع بخاتمه في الصخر الصلد(٣) .

ولا بأس أن تكون قصة العلامات التي يفترض أن تكون في المهدي

(٢) انظر الداعي ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٧٧ - حيث الاشارة الى أنه كان يبلغ الـ ٦٣ عند وفاته سنة ٣٢٢هـ / ١٩٣٤م ، حيث كان مولده سنة ٢٦٠هـ / ٧٨٢م ، وابن حمادة ص ٢٦ - حيث عمره ما بين ٦٢ و ٦٣ سنة .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦١ . ولا بأس من الاشارة هنا الى أن زعيم القرامطة سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م ، وهو يحيى بن زكرويه الذي عرف بـ « الشيخ » الذي قتل وهو يحارب المصريين على باب دمشق في تلك السنة كان يزعم انه اذا أشار بيده نحو أعدائه انهزموا ، كما أن أخاه وخليفته الحسين كان يظهر شامة في وجهه ويزعم انها آية ، حتى عرف بـ « صاحب الشامة » الى أن انتهى به الأمر الى أن تسمى بـ « المهدي أمير المؤمنين » قبل أن يصلب في بغداد - ابن الأثير ، ط١ - ليدن ، ج ٧ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٦ ، ٥٢٦ .

الفاطمي ، قد ظهرت في أواخر سنة ٢٩٧هـ / ٩١٠م ، أثناء حملة الداعي بالمغرب (فيما بعد ، ص ٦٤) ، وانها كانت جرثومة للروايات التي غالت في وصف المهدي حتى شبهته بكبار الأنبياء ، وتطرفت حتى بلغت به الى حد التالي (فيما بعد ، ص ١٢٧ - ١٢٨) .

لما عن صفات عبيد الله الموضوعية ، كما عرضها القاضي النعمان ، فمنها الكرم والجود بالمال ، في حدود الاعتدال . أما الصفات الغالية فهي الضبط والحزم الى جانب حب العدل (افتتاح الدعوة ص ٣٠٤) . واذا كانت بعض الروايات تنسب اليه معرفة علم الحدثان مما يتعلق بمستقبل الأئمة (٤) ، فان من المشهود له انه كان عقلانيا ، يزن الأمور بحكم المنطق . فهو لا يستمع لكلام المنجمين فيما يحددونه من أوقات السعد والنحس (٥) . هذا ، كما عريف عنه الجد في العمل وعدم الركون الى الأعمال المكتنبة فقط في شئون الحكم والادارة ، بل انه كان يتابع الأعمال التنفيذية بنفسه ، أحيانا ، وكانها رياضة بدنية مفيدة . حدث ذلك عند اختيار موقع المهديّة حيث شارك بنفسه في الرحلات الاستكشافية الأولية ، كما كان يباشر بشخصه أعمال البناء ويصدر أوامره الى الصناع من غير وسيط (انظر فيما بعد ، ص ٩٥) . وهو في النهاية رابط الجأش ثابت الجنان ، حيث كان يبعث ولي عهده أبا القاسم على رأس قواته لمواجهة الثوار في كل مكان من اقاصي المغرب وكذلك في مصر ، رغم عاطفة الأبوة العارمة ، التي كانت تسمح له بالبقاء في حضرته مع كبار رجال الدولة والحاشية ، بعيدا عما كان يلاقيه من المضائبات في تلك الحروب (٦) ، ورغم وفرة من كانوا يكفونه مؤونه ذلك من كبار القواد .

(٤) فيما بعد ، ص ٩٢ - عن معرفة المهدي بما سوف يحدث بعد بناء المهديّة من ثورة ابي يزيد مناخب الحمار . وعن اخراج ابن كلان الكتاميين الى القيروان سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م كانه يتوقع منهم امرا . وهو الدخول في حلف ابي يزيد ، انظر ابن الاثير نسخة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، ج ٨ ، ص ١٧٩ .

(٥) انظر الداعي ادريس عيون الأخبار ، ص ٢٥ - حيث النص هل انه لم يستمع الي نصيحة النجم له بتأجيل سفره من سجلماسة الى القيروان يوم الاثنين ٢٢ من المحرم سنة ٢٩٧ هـ / ١٢ أكتوبر ٩٠٩ م ، حيث لم يكن الطالع مناسباً لوجود القوس والشمس في الميزان . . الا قرر السير « على اسم الله » .

(٦) انظر فيما بعد ، ص ٧١ ، ص ١٠٧ و ص ١٠٨ ، والهوامش - حيث الاشارة الى مكانه عندما وصلتته كتب ابي القاسم متأخرة بعض الشيء ، وهي تصف ما كان يلاقيه الأمير الشاب من عناء في حملته ضد ابن خزر ببلاد الزاب والجريد ، حيث ينسب الى المهدي انه قال بهذه المناسبة انه لا يسهل عليه أن يفارقه يوماً واحداً - ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩١ .

وأمام مثل هذه الصفات المميزة شخصية الامام الأول العارمة ، لم يكن من المستغرب أن ينص الداعي أدريس علي خسوف القمر خسوفا كليا ، في تلك الساعة التي نوفي فيها المهدي من يوم ١٥ ربيع الأول سنة ٢٢٢ هـ / ٤ مارس ٩٢٤ م ، وان كان كسوف الشمس قد تأخر مدة أسبوعين فلم يقع الا في اليوم الـ ٢٩ من نفس الشهر (٧) . والمقصود هنا بكسوف الشمس وخسوف القمر ، بطبيعة الحال ، هو الرمز الى ذلك النوع من الحدث الكوني المتشثل في انطفاء شعلة مؤسس الدولة القدوة ، والمخطط لسياستها على المستويات المختلفة بما يتناسب وطموحات الأئمة المهديين ، سواء في بلاد المغرب أو خارجها .

السياسة الداخلية :

تركيز السلطة بين يدي المهدي :

لما كانت الدولة الفاطمية قد قامت في بلاد القيروان ، وليس للامام من الأمر شيء ، رغم ما تقوله بعض الروايات من أن الداعي سلم الى المهدي الأمر في سجلماسة (٨) ، كان من الطبيعي أن يعمل عبيد الله المهدي بعد اعلان خلافته ، على أن يمارس سلطانه حقا بصفته صاحب الأمر الشرعي ، وان كان ذلك على حساب داعيته للمجاهد وأعوانه المخلصين من الكتاميين ، وهو ما قضت به طبيعة الأشياء في ذلك الزمان - وربما بشكل نسبي في كل زمان ومكان - حيث كان قيام الدول على اكتاف الأنصار الذين عادة ما يلقون جزاء سننار . هكذا اختلفت سياسة المهدي منذ البداية عن سياسة الداعي . فبينما مال أبو عبيد الله الى أسلوب الإدارة في سبيل اكتساب الأنصار حتى من بين صفوف الخصوم ، اعتمد المهدي سياسة الحزم والحسم ، المبنية على حق شرعية الحكم المهدي ، أولا وقبل كل شيء . وهنا لا بأس من الإشارة الى أنه ربما استغل مبدأ العصمة في سبيل تأكيد سلطانه المطلق ، وانه اذا كان قد تشدد مع بعض الذين جاهروا بالانكسار ، فانه تغاضى في بعض الأحيان عن مغالاة بعض المريدين ، ومبالغات بعض الشعراء ممن رفعوه فوق مستوى البشر أو ممن اتخذوا

(٧) عيون الأندلس ص ٧٩ ، وقارن ابن حنابلة ، أخبار الملوك بني عبيد ، تحقيق جنول البديوي ، الجزائر ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦ - حيث الكسوف في نفس الليلة .

(٨) ابن عسار ج ١ ص ١٥٢ - ومن الواضح أن المقصود بذلك تقديم فروض الطاعة والولاء .

من حضرته قبلة يتجهون اليها (انظر فيما يأتي ، ص ١٠٠ و ٩٥) . و اذا كانت تلك السياسة قد بدأت باحاطة شخصه بالمقربين وأهل الثقة من الحجاب خاصة ، فانها هدفت أيضا الى استخدام أهل الخبرة من رجال الدولة السابقين . فهو يستخدم الأمراء الأغلبية أنفسهم ، فيما يصلحون له ، وخاصة في الحملات العسكرية(٩) ، وهو التقليد القديم الذي يسمح عادة بالتخلص من الحصوم بطريقة مشروعة وان لم يعد المهدي الوسائل التي كانت تسمح له بتصفية أعداد من بقايا الأغلبية في بعض الأحيان(١٠) . وهو يستخدم رجال الادارة السابقين ، ممن عينهم الداعي من قبل ، أو من عمال الأغلبية ، وذلك في الوظائف الادارية والفنية من : الكتابة والادارة المالية وحكم الأقاليم .

وهنا لا بأس من الاشارة الى أن المهدي بدأ يمارس سلطته في سجلماسة عندما عهد بولايتها الى ابراهيم بن غالب المزاتي ، وأبقاه فيها على رأس حامية كنامية من ٥٠٠ (خمسمائة) فارس(١١) .

كبار الأعوان :

وفيما يتعلق بقائمة كبار الموظفين الذين أحاط بهم نفسه ، فمنهم الحجاب وأولهم جعفر بن علي الذي اشتهر بالحجاب ، وأبو الحسن طيب ابن اسماعيل الذي عرف بالحاضن ، وكانا ضمن حاشيته الواصلين معه من سجلماسة . ثم يأتي بعدهما في الحجابة : أبو أحمد جعفر بن عبيد ، وأبو سعيد عثمان بن سعيد المعروف بمسلم السجلماسي(١٢) .

ومن كبار أعوانه من رجال الدولة الاغلبية : أبو اليسر ابراهيم ابن محمد الشيباني البغدادي ، المعروف بالرياضي . في الكتابة . وعندما توفي في ١٦ جمادى الأولى سنة ٢٩٨ هـ / ٢٠ فبراير ٩١١ م ، عين مكانه

(٩) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٤ .

(١٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ .

(١١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٤ - وانظر ص ١٥٦ أيضا حيث عدد الحامية ٢٠٠٠

(في ألفي) فارس . ولقد رجحنا الرقم الأول بسبب مركز المدينة الصحراوية المتطرف من حيث أنه يصعب وقف حامية كبيرة العدد من الفرسان بما يلزمهم من معدات وخدمات ، قارن الداعي ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٢٤ .

(١٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي ، الذي عرف بالدهاء وحسن الفهم ، وخاصة عند مواجهة الداعي والعمل على التخلص منه (١٣) ، الأمر الذي جعله يستحق في السنة التالية ٢٩٩هـ / ٩١٢م ، رئاسة ديوان البريد (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩) الذي كان أشبه ما يكون بوكالة الاستخبارات في أيامنا هذه . ومنهم : أبو القاسم بن القديم ، في ديوان الحراج (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٩) ، ثم أضيف إليه ديوان البريد قبل أن يتخلص منه المهدي مع من تخلص منهم من أصحاب الداعي (١٤) ، لكي تؤول إدارة البريد إلى أبي جعفر البغدادي ، وكذلك أبو بكر بن القمودي الفيلسوف : في السكة : هذا ، كما كان من بينهم من أقرهم من عمال الداعي في وظائفهم ، مثل : الحسن بن أبي خنزير (١٥) ، في ولاية القيروان ، ومحمد بن عمر المروزي ، في قضاء القيروان . ويأتي في بقية القائمة أبناء العصبيات القوية مثل : أبي جعفر الحرزي ، علي بيت المال ، وعبدون بن حناسة ، علي العطاء ، وأفلح بن هارون الملوحي ، علي قضاء رقادة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٩) .

وإذا كان المهدي قد سمح لنفسه بالاستفادة من خبرات رجال الدولة الأغلبية فإنه في نفس الوقت ، كان يعمل للقضاء تماما على ذكريات تلك الدولة ، بل وذكري السابقين قبلهم من عمال العباسيين والأمويين . وهو يلجأ إلى حيلة ذكية وإن كانت تقليدية من قديم الزمان وتتخلص في نصب لوحات تذكارية باسم الحاكم المعاصر على الأعمال العمرانية للأمراء السابقين فقد أصدر المهدي في أوامره بـ « أن تطلع من المساجد والمواجل (خزانات الماء) والقصور والقناطر ، أسماء الذين بنوها وكتب عليها اسمه (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٩) ، فكأنه كان يرى أنه صاحب الحق وحده في الحكم ، في الماضي كما في الحاضر - استنادا إلى مبدأ الشرعية الشيعي .

فتور العلاقة بين الامام والداعي :

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن في مسألة الوحشة بين الامام

(١٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

(١٤) افصح الدعوة ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

(١٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٥٩ ، وانظر موسى لقبال ، كناية ، حيث الإشارة إلى أن

بني خنزير من ميلة أصلا .

عبيد الله والداعي أبي عبد الله يتلخص في مدى مصداقية الداعي في دعوته للامام ، وهل يعثورها نوع من الشك والحقيقة أن النصوص صريحة في بيان اخلاص الداعي. في دعايته لعبيد الله الذي عرفه وليا لعهد الامامة عندما دخل في زمرة الدعوة الاثني عشر ، في العقد الثامن من القرن الثالث الهجرى / ٩٠ م . وتظهر مصداقيته بشكل جلي في استدعائه للامام عندما انتشرت الدعوة في بلاد كتامة ، وبدأت حرب « المطاولة » مع الأغالية تحقق أهداف الدعوة ، وذلك بخروج الأسرة الشريفة في الطريق الى المغرب ، في جراسة ابي العباس (أحمد) المخطوم ، الأخ الأكبر للداعي (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٨٢) . وتأكد الاخلاص للامام عندما كان لاجئا في سجلماسة ، حيث كانت الرسل تروح وتغدو بينهما وهي تحمل أخبار نجاح الدعوة للامام مع نصيبه من الأموال التي كانت تجمع من الأنصار أو تحصد في ميادين القتال (١٦) .

هذا ، كما كان الداعي مخلصا في استنقاذ عبيد الله من الاعتقال في سجلماسة ، كما كان واضحا في اعترافه بحقوقه عندما خر ياكيا يقبل منه اليمين والرجلين . وان كان هذا الاحتفال في تعظيم الامال بمثابة أول شرح حقيقي في رابطة الولاة بين الامام والداعي ، اذ انزعج الأحرار من مشايخ كتامة ، اشفاقا على معلمهم الداعي وقائدهم من وطأة مثل هذا التذليل الذي راوه جارحا لهم (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٩٦) ، وهو الأمر الذي تداركه المهدي عندما رجع الى القيروان حيث أكرم كتامة ، وأغدق على زعمائها الهدايا والأعطيات ، كما عهد اليهم بحكم الولايات الافريقية (ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩) .

حتمية تاريخية :

ومع ان الوحشة بين الامام صاحب الدعوة شرعيا وبين الداعي قائدها بالأمر الواقع تعتبر من وقائع التاريخ الحتمية ، التي تعتبر نهاية ابي مسلم الحراساني الداعية العباسي ، من أروع نماذجها في تاريخ الاسلام ، فان النصوص هنا تلقي بتبعة فساد ما بين رجلى الدولة الكبيرين على عاتق

(١٦) انظر فيما سبق ، ج ٢ ص ٥٦٥ - حيث كان للمهدي نصيبه من مفاتيح وقصة قسنطينة سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م . وخاصة من الدناير الاغلبية التي ربما كانت السبب في كشفه في سجلماسة واعتقاله - ص ٥٩٣ .

الأخ الأكبر للداعي ، أبي العباس أحمد المخطوم . فرغم ما يعرف عن المخطوم من أنه كان متعصبا للدعوة ، متشددا في نشر مذهب أهل البيت ، فالظاهر أنه كان يفعل ذلك حتى يحافظ على نصيبه الى جانب أخيه الذي أتاه عنه في حكم البلاد ، عندما سار الى سجلماسة لاستنقاذ الامام .

هكذا يجعل القاضي النعمان أبا العباس لمخطوم من أخطر «المنافقين» على المهدي ، حيث كان يقول لأخيه : « ملكت أمرا . . فجئت بمن أزالك عنه . . وكان أقل الواجب لك أن يدعك وما كنت فيه . . . ويشغل ان شاء يشغل نفسه (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٧) . كما كان يقول لبعض رفقاءه : « تركنا بناء بنيناه يسكنه غيرنا » (افتتاح الدعوة ، ص ٣١٧) . هذا ، كما ينسب الى أبي العباس تحريض الدعاة وزعماء الكتامية على المهدي ، إذ : « طعن لهم في الامامة ، وأدخل فيها الشبهة » كما بين لهم استهانة المهدي بهم عندما انتزع منهم أموال ايكجان ، وعندما أدخل العبيد معهم في الخدمة العسكرية (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٩) . وتضيف الرواية أن أبا العباس ، وهو يحرض أخاه ومن استفسده معه من أصحابه ، كان يفعل ذلك على سبيل تخويفهم على أنفسهم . والذي يؤخذ على القاضي النعمان في روايته هذه ، أنه يهمل تحديد تواريخ تلك الأحداث ، وان كان من البين أنه ما كان لأبي العباس المخطوم أن يقوم بمثل تلك الأعمال التي تعتبر دعوة الى قلب نظام الحكم . كما يقال الآن ، الا بموافقة أخيه الداعي .

الرأى في تغيير النظام :

والمعروف أن أبا عبد الله كشف عن رأيه في تغيير النظام في آخر سنة ٢٩٧ هـ / أغسطس ٩١٠ م ، وهي سنة استنقاذ الامام في سجلماسة . فبعد وصول الامام الى رقادة خرج أبو عبد الله في حملة عسكرية لاقرار الأمور في المغرب ، في أواخر شوال أو أوائل ذى القعدة ، بعد عيد الفطر الذي حضر الاحتفال به مع ولى العهد بمصلى رقادة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٠) . حيث ان وصول الداعي الى مدينة تنس ، من المغرب الأوسط ، كان في ٢٧ من ذى الحجة / ٧ سبتمبر ٩١٠ م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦١) . واذا كانت انجازات الحملة العسكرية قد سجلها ابن عذارى في خبر خروج الداعي سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، حيث النص على ظهور الالتياك في المغرب ، وفساد الطرق ، وثورة القبائل ، وفي أن الداعي حقق أهداف الحملة حسبما ورد في كتبه التي قرئت على منابر أفريقية ، وفيها : اخمد القلاقل واخضع المدن النائرة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٠) ، فان

يقية النجاحات الحملة تأتي في سنة ٢٩٨هـ / ٩١١م حيث الحرب مع قبائل البربر ، من : مدينة وزانة ، وقتل الرجال وسبي النساء وأخذ الأموال الى جانب احراق بعض المدن بالنار ، واخطار الامام بالكتب التي قرئت على المنبر ، قبل العودة الى رقادة بعد شهر كثيرة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٢) .
أما عن الوقوف بموضع الثور من تنس فكان بمثابة استراحة انتهزها لدعوة زعماء قبائل كتامة للخروج على عبيد الله . ولقد اعتذر الداعي عن ذلك بأن أفعال عبيد الله القبيحة لا تشبه أفعال المهدي الذي كان يقوم بالدعاية له ، وأنه يجوز أن يكون قد أخطأ في التعرف عليه ، وأنه يمكن استدراك ذلك عن طريق كشف العلامات الموجودة بين كتفي الامام ، والتي كان يعرفها رؤساء الدعاة ، مما سبقت الإشارة اليه .

وبناء على ذلك تم الاتفاق على امتحان الامام عند العودة الى رقادة . وكان ممن دخل مع الداعي وأخيه في تلك المؤامرة : أبو زكي تمام بن معارك الأجانبي (١٧) ، وعروبة بن يوسف الملوسي (ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٦٢ ، ١٦٤) . وهارون بن يونس الملقب بشيخ المشايخ الازيايي (١٨) ، وأبو القاسم ابن القديم صاحب الحراج والبريد (١٩) .

توزيع أدوار المؤامرة :

ومن المهم أن الأدوار قسمت على الجماعة ، فكان على أبي زكي أن يفتح داره للاجتماع (٢٠) . وكان على هارون بن يونس بصفتة شيخ المشايخ ، أن يواجه عبيد الله بالشك في امامته ومطالبته بتقديم الدليل على صحتها ان وجد (٢١) . أما ابن القديم فكان عليه أن يقوم بدور الممول للجماعة ، وذلك بفضل أموال كانت قد بقيت لديه منذ ولايته للخراج على عهد الأغالبة . وإذا كان القاضي النعمان يفسر تأمر ابن القديم على المهدي بسبب خشنيته من أن يحاسبه على تلك الأموال التي كانت في ذمته ، فإن ابن القديم يظهر

(١٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٣ ، قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢ .

(١٨) افتتاح ، ص ٣١٠ - نسبة الى قبيلة ازابة وهي من بطون مسالته .

(١٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٩ ، وقارن افتتاح الدعوة حيث ديوان البريد بدلا من ديوان الحراج - ولا بأس أن يكون قد جمع بين الديوانين ، كما يحدث أحيانا حيث كان من مهام صاحب البريد (والأخبار) معرفة أحوال الحراج .

(٢٠) افتتاح ، ص ٣١٤ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢ .

(٢١) افتتاح ، ص ٣١٠ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥١ .

أيضا في شكل العميل المزدوج ، كما يقال الآن وذلك أنه كان في نفس الوقت يحضر « المناقنين » (المتأمرين) ليعتذروا للإمام عما بدر منهم (افتتاح ، ص ٣١٥) . أما عن عروبة بن يوسف فانه بعد أن دخل مع جماعة المتأمرين فيما عقده بينهم ، عاد وكشف سرهم للمهدي الذي كتبه الأمر (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٢) . وكانت مكافأته على ذلك أن عين رئيسا لفرقة المماليك من عبيد القصر (٢٢) . ولا بأس أن يكون سبب غدر عروبة بالجماعة ، ما كان بينه وبين أبي زاك من المنافسة الشديدة أو التحاسد ، إذ كان أبو زاك يقول : « لا والله لا آكون في قطيع أيام تقدمتى فيها ابن راعي البقر » - يعنى عروبة بن يوسف (افتتاح ، ص ٣١٧) .

التخلص من أبي عبد الله وجماعة المتأمرين :

والمهم ان رد المهدي على المتأمرين كان في البداية متأنيا ، يدل على رباطة الجأش ورجاحة العقل ، ولكنه عندما زال الشك باليقين كان في النهاية فاصلا ، يؤكد ما اتصف به الامام من الحزم والحسم . والحقيقة انه بينما كان أبو العباس متطرفا في عداوته للإمامة ظل أبو عبد الله ممثلا للطاعة ، لا يبلغ به الأمر الى درجة الجحود والنفاق ، الى « أن فشا أن أمير المؤمنين قد أنهى إليه ذلك » (افتتاح ، ص ٣١٠) ، وعندئذ بلغ الجدل الذي بدأه هارون بن يونس مع الامام الى حد القطيعة . ورغم ما تقوله رواية النعمان من أن الامام نجح في افحام شيخ المشايخ الكتامي ، الا ان عقوبة هذا الأخير كانت الموت (٢٣) .

وهنا قرر المهدي أن يتخلص من الداعي الذي « بدت عزوته . . . ووجبت حجته عليه . . . وحل قتله لمحاربتة اياه » (افتتاح ، ص ٣١٤) ، ولكنه كعادته لم يتعجل النهاية إذ رأى أن يعزل أبا عبيد الله وأخاه عن أصحابهما ففرقهم في النواحي حتى يسهل عليه الانفراد بهما . فأرسل أبا زاك على رأس حملة الى قبائل هواراة في حيز طرابلس (٢٤) التي كانت

(٢٢) افتتاح ، ص ٢٦٢ ، وعن اتخاذ المهدي للمعيد انظر ص ٣٠٣ .

(٢٣) افتتاح ، ص ٢١١ - حيث كان رد المهدي على شك هارون بقوله : « ويحك ، كتبه أيقنتم ، واليقين لا يزيله الشك » . ويعلق النعمان على ذلك بقوله : « وهذا الذي ذكره (عم) أصل من أصول الدين ، وأنه حقت على هارون كلمة العذاب » . وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥١ .

(٢٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٢ ، افتتاح الدعرة ، ص ٣١٥ .

ولايتها لعمه : أبي يوسف مكنون بن شبارة الأجانبي : وأحكم المهدي
التدبير فقرر أن يكون التخلص من زعماء الفتنة الثلاثة ، وهم : الداعي
وأخوه المخطوم وأبو زك دفعة واحدة ، رغم وجود أبي زك بعيدا في
طرابلس . كما رأى أن خير وسيلة لعدم إثارة قبيلة اجانة ، عصبية
أبي زك ، أن يعهد بتنفيذ العقوبة العظمى فيه الى عمه والى طرابلس ، الذي
نفذ المهمة الثقيلة بمنتهى العفوية ، إخلاصا للإمام ، كما تقبل أبو زك من
عمه قرار الموت بما يليق بكبار القواد مثله ، من : رباطة الجأش ، إذ قال
له : « يا عم أنفذ ما أمرت به » (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٤) .

وبمجرد وصول نيا قتل أبي زك من طرابلس الى رقادة جوا عن طريق
الحمّام الزاجل ، وذلك في أول ذي الحجة سنة ٢٩٨هـ / ٣١ يولية ٩١٠م ،
كان المهدي يضع اللمسات الأخيرة للتخلص من الداعي وأخيه قبل أن يصلهما
الجبر . فقد استدعاهما للقائه ، وكان اغتياهما في الطريق اليه خلف القصر
البحري برقادة ، وعلى يدي عروبة بن يوسف ، وجبر بن ناسب
الميلي (٢٥) .

ورغم ترحم المهدي على الداعي لخدماته الجليلة ، ولعمه لأخيه أبي العباس
المخطوم الذي أوردته موارد التهلكة ، فإنه وضع ان منهاج الحق لا يتجزأ ،
وان احقاق الحق لكل رجل لم يمنع من احقاق الحق فيه . اما عن العقوبة
العظمى التي نزلت بأبي عبد الله فهي تنقية له وتطهير (٢٦) .

وكان من الطبيعي أن يتحرز المهدي من الكتائبين ، أنصار الداعي

(٢٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٤ - حيث قال عروبة للداعي عندما استمطفه : أمرني
بتلك من أمرت الناس بطاعته ، وانخلت له من الملك بعد توطئته . وانظر ابن الأثير ، ج ٨
ص ٥٢ ، وقارن افتتاح ص ٣١٥ ، ٣١٦ - حيث تأريخ قتلها ضحى الاثنين ١٥ جمادى
الأخرة سنة ٢٩٨هـ / ١٩ فبراير ٩١١م . ولقد رجحنا رواية ابن عذارى رغم تأخره ، إذ
نراها أكثر دقة من نص القاضي النعمان الذي تنقصه التواريخ كثيرا . كما نرى انه تحور
مع مرور الوقت بسبب طول الستر والكتمان ، حيث لم ير النور الا في وقت متأخر ، وكذلك
الحال بالنسبة لكثير من المصادر الاسماعيلية التي لم تظهر متأخرة فقط . بل وفي تطهير
مواطنها ، بعيدا ، في الهند بخاصة .

(٢٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢ ، افتتاح ، ص
٣١٦ ، ٣١٩ - حيث الإشارة الى أن أبا عبد الله طهر بالعقوبة كما يتطهر الذهب مما تدخله
من الغش بالنوبان في النار ليصفر .

فاحتجب عنهم أياما ، قبل أن يؤمنهم ويستقبلهم متفرقين (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٥) . هذا في الوقت الذي بدأت مطاردة بقية المتأمرين ومن يحوم الشك حولهم من أعوانهم ، بالعاصمة رقادة وبالأقاليم ، وكان منهم بعض أمراء الأغلبية السابقين (٢٧) . وكان أبو القاسم بن القاسم من بين الفارين منهم ، ولكنه قبض عليه ، فيما بعد ، وقتل (افتتاح ، ص ٣١٦) .

موقف الكتاميين من مقتل الداعي :

كان من الطبيعي أن يكون ، لمقتل الداعي -أصغدها- حزينة في نفوس الكتاميين وقلوبهم ، الأمر الذي أدى إلى جفوة بين المهدي ومعظم القبائل الكتامية ، فمن عرفهم القاضي النعمان باسم « المنافقين » ، أما عن أولئك الذين بقوا مخلصين للفاطميين منهم ، لنسب أو لآخر فكانوا قلة ، ومنهم الزعيم الكتامي أبو حليفة في جماعة من المشايخ ، وعلى رأسهم عروبة بن يوسف (افتتاح ، ص ٣١٢) ، والحقيقة أنه رغم اجتهاد المهدي في الحفاظ على العلاقة المثبتة بين كتامة وبين الدولة ، فمن الجلي أن اختفاء الداعي من مسرح الأحداث كان له نتائج سلبية على مجريات الأمور ، في كل من بلاد القيروان وكتامة ، حيث قبائل الأحرار من المعتزين بأيادهم البيضاء على الدولة . وكل ذلك نتيجة للدعاية السيئة التي قام بها كل من الامام والداعي في حق الآخر ، والتي ألفت بظلالها القائمة على كل من الجانبين .

هكذا ساءت سمعة الكتاميين في القيروان وأفريقية ، وخاصة بين طبقات العامة وأهل الأسواق ، كما ساءت سمعة الدولة والامام في بلاد كتامة ، الأمر الذي تطلب من كل جانب منها أن يجد لنفسه بديلا عن الطرف الآخر . ففي الوقت الذي بدأ المهدي يعد العدة لإقامة نواة جيش خاص من المماليك البيض والعبيد السود لا يدين بالولاء والطاعة الا لشخصه (ماسبق ، ص ٦٦ وه ٢٢ ، وبعد ١٠٥ - ١٠٦) ، كانت فكرة إقامة امام مغربي من بين أنفسهم تختمر في عقول الكتاميين وقلوبهم ، بدلا من ذلك الامام « المشرقي » . وظهرت نتائج سوء ظن كل فريق بالآخر في تلك الانفجارات الشعبية ضد الجند الكتامي في كل من القيروان وطرابلس ، والتي كان لها

(٢٧) افتتاح ، ص ٣٢٠ - عن جزم بنى الأغلب عندما بلغهم نبأ مقتل الداعي ، واضطراب من كان منهم بالقصر القديم ، مدينة جدهم ابراهيم الأول « العباسية » ، وص ٣٢١ - حيث مجازتهم بالمعصية لولي الله (المهدي) الذي تركهم بعض الوقت ثم أمر باعتقالهم . ص ٣٢٢ - حيث الأمر بالقبض عليهم وقتلهم وحبس من شذ منهم .

رد فعل في بلاد كتامة ضد عبيد الله ، اعتبارا من أواخر سنة ٢٩٩ هـ /
يونيه - يولييه ٩١٢ م التالية لسنة مقتل الداعي .

مذبحة الكتامين في القيروان :

في ٢٠ شعبان من سنة ٢٩٩ هـ / ١٢ ابريل ٩١٢ م قام انفجار شعبي رهيب في اسواق القيروان ضد الكتامين ، ومنها انتشر الى أزقة المدينة ، راح ضحيته حوالي ألف رجل منهم (٢٨) . واذا كان السبب المباشر لمذبحة الكتامين في القيروان هو استقالة أحد الجنود الكتامين علي بعض تجار المدينة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦) ، فمن الواضح أن مذبحة الكتامين هذه ، وقعت مرتبطة بحركة التطهير التي قام بها المهدي في الجهاز الاداري ضد المتعاطفين مع الداعي من كبار الموظفين ، والتي راح ضحيتها منهم : محمد بن أبي سعيد الميلي ، صاحب السوق (المحتسب) ، وابن القديم (عبد الله بن محمد ، أبو القاسم) عامل الحراج (والبريد) ، وغيرهم (٢٩) ، الأمر الذي قد يفهم منه أن ثمة علاقة سببية بين الحادثتين . هذه العلاقة تتمثل في وقوف أهل الأسواق ضد الجنود الكتامين الذين كانوا يسيئون الى التجار ، والتخلص من صاحب السوق ، وهو الأمر الذي يؤكد ما قام به والي القيروان ، أحمد بن أبي خنيزر ، من تسكين الناس ، والأمر « بتغيب القتلى الكتامين الذين طرحوا في المراحيض (٣٠) » .

(٢٨) ابن عذارى ج ١ ص ١٦٦ - حيث العدد أكثر من ١٠٠٠ (ألف) رجل ، وانظر الحداق والعيون ، مجهول ، تحقيق نبيلة عبد المنعم ، ط٠ النجف ، ج ٤ ق ١ ص ٢٤٣ ، وقارن افتتاح الدعوة ، ص ٢٢٢ - حيث تحديد عدد القتلى من الكتامين بـ ٧٠٠ (سبعمائة) رجل ، قتلوا في ساعة واحدة .

(٢٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٧ - حيث اضافة : محمد بن أبي توجال الباغاني ، وأبو الوهب بن عمر بن زرارة النيدى ، وأبو ابراهيم المعروف بابن البجاوي القرشي الفهري ، وجماعة من بني الأغلب وقوادهم .

(٣٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦ . أما عن رواية القاضي النعمان (افتتاح ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣) التي تصف الكتامين بالأولياء ، فهي لا تحمل تاريخا ، كما تحمل من مذبحة الكتامين شجارا عفويا بين بعضهم وبين بعض الفوقاء غير المنضبطين ، مما دعا المهدي الى الاعراض عنهم لبعض الوقت قبل أن يعاقب بعضهم بمصادرة أموالهم . ومن الواضح أن هذه الرواية تمثل وجهة النظر الرسمية من حيث أنها تضع الدولة في موقف الحكم إلا اذا كان الأمر يتعلق بحادثة أخرى ، خاصة وأنها تربط بينها وبين مشاركة فقهاء القيروان في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، صاحب الممار ، الزناتي .

الثورة في بلاد كتامة :

هكذا كانت النتيجة الطبيعية للمذبحة - التي تدل القرائن على مشاركة بعض الرسميين في تدبيرها - هي عودة الجنود الكتاميين العاملين في منطقة العاصمة بقيادة الى بلادهم ، حيث أعلنوا الثورة على عبيد الله المهدي . وبلغ الأمر الى حد أنهم أعلنوا امامة أحد فتيانهم واسمه كادو بن معارك ، ولقبه الماوطنى ، نسبة الى عشيرته بنى ماوطنى ، من قبيلة أوسه (٣١) . والمهم أن الدعوة الكتامية المنشقة على المهدي في بلاد كتامة اتخذت شكل دعوة فاطمية جديدة ، اذ لقب الماوطنى بالمهدي ، وقدم الكتاميون له فروض التبجيل ، ونصبوا له الدعاة على النسق الذي قام به أبو عبد الله الداعي (الشيعي) من قبل ، بل وباسم أبي عبد الله نفسه الذي قيل انه حي لم يموت (٣٢) ، فكانه الامام « المستقر » ، وكان الماوطنى يقوم بدور الامام « المستودع » . وفي ذلك نسبت الروايات الشعبية الى الماوطنى أنه يأتي الوحي ، و« كتبوا فيه شريعة زعموا انها نزلت عليه » ، وبالغت بعض تلك الروايات فقالت انهم : « اتخذوه قبلة يصلون اليه » (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦) . هذا ، كما وصفت روايات الخصوم - تماما كما فعل خصوم الاسماعيلية - دعوة المهدي الكتامى بأنها دعوة اباحية ، تطبق نوعا من شيوعية النساء ، من : اباحة الزنا والمحارم ، الى جانب ما اشتملت عليه من « تخليط عظيم » (٣٣) .

والمهم أن المهدي الكتامية المضادة حققت نجاحا كبيرا في بلاد كتامة ، وفي منطقة القبائل الصغرى ، وكذلك في بلاد الزاب حيث اجتاحت هيلة

(٣١) افتتاح الدعوة ، ص ٢٢٤ ، وقارن ابن عسدارى ، ج ١ ص ١٦٦ حيث تحريف الاسم الى « المارطى » ، وانظر الحدائق والعيون ، ج ٤ ق ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، حيث تحريف الاسم الى « الماوطنى » . وهنا لا بأس من الاشارة الى ثورة قامت في كتامة سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م أى بعد قليل من مباشرة الامام لسلطانه . وتقص الرواية ان صاحب تلك الثورة عرفه يد (بياض) وأنه اجتمع اليه عدد عظيم من قبائل البربر وأن عبيد الله كتب الى من يتمسك بطاعته من الكتاميين بحاربة النوار الذين هزموا ، وتم أسر « بياض » كما قرىء كتاب الفتح بالقبوران (ابن عذارى ج ١ ص ١٦٠) . ولا ندرى ان كانت لتلك الثورة علاقة بثورة الماوطنى ؟

(٣٢) افتتاح ، ص ٢٢٥ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ ، والعيون والحدائق ، ج ٤ ق ١ ص ٢٥١ .

(٣٣) افتتاح ، ص ٢٢٥ ، وقارن العيون والحدائق ، ج ٤ ق ١ ص ٢٥٢ .

وغلبت على جميع البلاد (٣٤) . هذا ، كما نجحت في مواجهة القواد الذين سيرهم عبيد الله الى هنسا ، بل ان بعض هؤلاء القواد انضم الى الثوار الكتاميين . كما فعل صولات بن جنده مع رجال فرقته الماتيين (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٧) .

وأخيرا تمكنت القوات الفاطمية التي سارت في ٢٥ رمضان سنة ٢٩٩ هـ/ ١٦ مايو ٩١٢ م ، بقيادة ولي العهد أبي القاسم ، من اجتياح بلاد كتامة حتى سواحل البحر حيث دخلت مدينة قسنطينة في ٢٣ شوال سنة ٢٩٩ هـ/ ١٤ يونيو ٩١٢ م ، ولكن بعد أن لقيت كثيرا من العناء ، ليس في حرب الثوار فقط ، بل وفي غدر الزعماء الكتاميين وجنودهم الذين كانوا يحنون الى بني جلدتهم ، فيهربون الى الماوطنتي (٣٥) .

وإذا كان سقوط قسنطينة يعني نهاية الثورة ، اذ تمت الغلبة على الثائر عندما انهزم في ٣ من ذي القعدة/ ٢٢ يونيو ، ووقع بين يدي عروبة ، فان سياسة المداراة والملاطفة كان لها أثرها في اجتذاب أنصاره الذين قبلوا أمان القاسم وانصرفوا اليه (٣٦) .

وهكذا أعاد أبو القاسم الأمن والهدوء الى بلاد كتامة ، وعاد بالدعي الماوطننتي الى رقادة حيث قتله المهدي (٣٧) .

(٣٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٧ ، افتتاح ، ص ٣٢٥ .

(٣٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٧ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ ، الداعي ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٢٨ - ٢٩ - حيث تفصيلات لا توجد في غيره من المصادر ، نص على أن أبا القاسم الذي كان بصحبته عروبة بن يوسف الملوسي كان يتقدمه جيشان ، أحدهما بقيادة ذحار الملوسي ، والآخر بقيادة محمد بن يمل . وفي معاناة ولي العهد وما لاقاه من هول الحروب في كتامة كان رد المهدي عليه في بعض رسائله متضمنا بعض أبيات من الشعر ، تعبر عن معاناته هو الآخر منها :

أصبح في كتامة ذا انفراد تقسابلها قيسانا في قيسام
والنشد الحياة بخفض عبث معاذ الله والشهر الحرم

(وانظر فيما بعد ص ١٠٨)

(٣٦) ابن عذارى ج ١ ص ١٦٧ ، افتتاح ، ص ٣٢٥ - حيث تنضج آفة التاريخ في شكل حويلات من حيث انقسام المعلومات على سنتي ٢٩٩ - ٣٠٠ ، وكان الأمر خاص بحملتين مختلفتين ، وقارن العميون الحداثق ، ج ٤ ق ١ ص ٢٥٢ - حيث النص على ان الزحف كان الى ميلة .

(٣٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٨ - حيث النص على أنه طوف بالمسارطي وأصحابه أسرى على الجمال ، وعليهم القلائس الطوال المشهورة بالقرون والمصانع ، افتتاح ص ٣٢٥ ، وقادون ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ ، والداعي ادريس ، ص ٢٩ .

ثورة شعبية على الكتاميين في طرابلس :

وما أن انتهت الثورة في بلاد كتامة أو كادت حتى عاصرتها في السنة التالية ، ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م ، ثورة أخرى ضد الجند الكتامي في طرابلس . ورغم أوجه الشبه بين الثورتين من حيث أن كلتاها انتفاضة شعبية ضد الجند الكتامي ، فإن هناك من أوجه اختلاف أساسية بينهما . فبينما تمت ثورة القيروان ، ضد الكتاميين المتأمرين على الامام بتدبير بعض الرسميين ، كما توحى النصوص ، كانت ثورة طرابلس مناهضة للدولة ، ضد الكتاميين من الأولياء (الموالين) للمهدى ، وعلى رأسهم والي طرابلس : ماكنون بن ضبارة الأجنبي ، الذي كان من ثقة الامام حتى أنه كلفه بقتل أبي زاكى - ابن أخيه .

والحقيقة أن المهدي كان قد أرسل أبا زاك على رأس جيش كبير ، الى منطقة طرابلس للقضاء على ثورة قبائل هواة هناك بقيادة زعيمهم أبي هارون الهوارى ، الذى هدد المدينة بالحصار ، وبمشاركة من بعض القبائل الزناتية ومنها قبيلة لماية (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٣) . وهكذا انتهز المهدي الفرصة للتخلص من أبي زاك مع أبي عبد الله ، مفترقين ، وهذا ما حدث (ما سبق ، ص ٦٧) بعد أن أغرق أبو زاك الثورة الطرابلسية في الدم (٣٨) .

ورغم ما تشير اليه الرواية من أن السبب في انتفاضة أهل طرابلس ضد الجند الكتامي هناك ، هو ما كان يسمح به ماكنون ، الوالى ، من « بسط أيدي بني عمه من كتامة على الناس » حتى بلغ الأمر الى حد « تطاولهم الى الحريم ، فتحرك السواد ، ومدوا أيديهم الى من لقوا من كتامة فقتلوهم » ، فالهم هو أن ماكنون فشل في مواجهة الثوار الذين نجحوا في طرده خارج المدينة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٨) ، وبصحبه : أفلح بن هارون الملوسى القاضى المعين من قبل المهدي (٣٩) . وانتهز الطرابلسيون الفرصة وأغلقتوا أبواب المدينة وتخلصوا ممن كان بداخلها من الجند الكتامي فقتلوهم ، ثم انهم رأوا أن ينظموا أنفسهم تحت قيادة بعض الزعماء ،

(٣٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٣ - حيث هزم الثوار وفرق جمعهم ، وقتل كثيرا منهم ، وبث برؤوس كثيرة وأذان مفرطة لمن قتل ، فنصبت بقيادة .
(٣٩) الداعى ادريس ، عيون الاخبار ، ص ٣٠ .

ومنهم : محمد بن اسحق القرشي ، المعروف بابن القرلين^(٤٠) ، وأحمد بن نصر ، الباغثي^(٤١) .

ولم يكن أمام ماقنون سوى الالتجاء الى عبيد الله المهدي برفادة ، حيث زوده بجيش جديد وسيره لحرب الثوار ، الأمر الذي استمر عدة شهور دون جدوى . وعندئذ انتهز المهدي عودة ولى العهد أبى القاسم من حرب بلد كتامة مظفرا ، ورأى أن يكلفه بمواجهة ثوار طرابلس فكان مسيره الى هناك في ٢ جمادى الأولى سنة ٣٠٠ هـ / ١٥ ديسمبر ٩١٢ م^(٤٢) .

استخدام الأسطول :

ولما كان الثوار قد استغلوا مركز مدينتهم البحرية وتمكنوا - بمساعدة الهواريين - من افضال ما ضرب عليهم من الحصار البري ، وجد المهدي ضرورة أن تصاحب الحملة بعض قطع الأسطول ، فسير منها ١٥ (خمسة عشر) مركبا حربية . وكان من الطبيعي أن تصل قطع الأسطول قبل الحملة البرية ، لتجد مراكب أهل طرابلس في انتظارها . ولقد أثبت الطرابلسيون أنهم بحساسة مهرة ، إذ تصدوا لقطع الأسطول الفاطمي فأحرقوها وقتلوا من فيها من البحارة (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٨ - ١٨٩) .

ولى العهد يحكم الحصار :

وعندما وصل أبو القاسم رأى أن يوجه نشاطه أولا الى قتال قبائل هوارية في مواطنهم بطواهر المدينة ، وكانوا يمدون طرابلس بما يلزمها من الغلات بحرا (الداعي ادريس ، ص ٣٠) ، ثم انه اتجه الى طرابلس نفسها وشن عليها الحرب ، وأحكم حولها الحصار الذي استمر ٦ (ستة) أشهر (الداعي ادريس ، ص ٣٠) . ومن الواضح أن قطعاً جديدة من

(٤٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٨ - ولا ندري ان كان المقصود بالقرلين ، لقب محمد بن اسحق ، له علاقة بالطائر المعروف في طرابلس باسم قرلة (جولة) ، وهو مشهور بانتهازيته ونهمه الشديد ، الذي قد يؤدي الى هلاكه - انظر كتاب الاستبصار ، ص ١٠٩ . الداعي ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٣٠ .

(٤١) الداعي ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٣٠ .

(٤٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٨ ، قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ .

الأسطول الفاطمي شاركت في الحصار من جهة البحر فهذا ما يفسر كيف ضاق الطرابلسيون بالحصار حتى أكلوا الميتة ، واضطروا الى طلب الأمان (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩) ، وقبول شروط أبي القاسم التي تقضى باستثناء ثلاثة من زعماء الثورة - ربما كانوا يكونون مجلسا للحكم ، على ما نظن - منهم : محمد بن اسحق القرشي ، ومحمد بن نصر الباغاثي ، وآخر غير معروف الاسم (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩) .

التخلص من زعماء الثورة :

وهكذا يصبح دخول أبي القاسم مدينة طرابلس عنوة ، حيث تخلص ممن كان معه من الأغلبية وقوادهم (٤٣) ، كما أغرم أهل المدينة كل نفقات الحملة (ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦) . كما ترك أمر تعذيبهم واستخلاص الأموال منهم الى القائد خليل بن اسحق - الذي سيفتخر فيما بعد بمذابحه في صقلية - وهو من مواليد طرابلس ومن أبناء جندها (٤٤) . وبعد أن عهد بولاية المدينة الى أبي مدين كناوة اللهيصي ، وجعل حباصة بن يوسف الملوحي معاوناً له (الداعي ادريس ، ص ٣٠) ، عاد على رأس جيوشه المظفرة الى رقادة ، يتقدمه زعماء الثورة الثلاثة الذين شهر بهم كما كان الحال بالنسبة للمواطنين وأصحابه ، على الجمال بالقلانس ، قبل أن يقتلوا (٤٥) .

الأحوال الداخلية :

الاضطرابات في الأقاليم :

هكذا يمثل الخلاف بين المهدي وبين الداعي أول أشكال السياسة

(٤٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ - حيث النص على فتح البلد عنفا والمغز عن أهله ، وقارن افتتاح ، ص ٣٢٥ - حيث الاشارة الى أن أبا القاسم افتتحها بعد حصارها مدة وانه عفا عن عامتها ، وقتل أهل الخلاف من أكابرها ، واستصفى أموالهم .

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ ، وأنظر عريب بن سعد ، صلة تاريخه الطبري ، ص ٣٧ ، وأنظر التجاني ، الرحلة ، ط ١ تونس ، ١٩٢٧ ، ص ١٧٢ .

(٤٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ - الذي يلخص الرواية - رواية الفتوح البعثة أصلاً - قائلاً ، وأخذ وجوه البلد عنده ، واستعمل عليه عاملاً وانصرف .

الداخلية التي انتهجها المهدي ، وتكون تصفية أبي عبد الله سببا في فساد العلاقة بين الدولة وبين عصبيتها الكتامية ، ذلك الفساد الذي انتقل الى المستوى الشعبي فشجع أهل أسواق القيروان على قتل الجند الكلامي ، وما ترتب عليه من اضطراب بلاد كتامة نفسها ، وما تلاه من انتفاضة عامة قام بها أهل طرابلس ضد الكتامين ، وجراتهم على طرد ممثلي السلطة ، من الوالي والقاضي .

ولا شك أن انتشار مثل هذه الأخبار عن كتامة كان مما يشجع على إثارة البلبلة والاضطراب ، ليس في الأقاليم المتطرفة وبين القبائل المعادية فقط ، بل وفي قلب أفريقية - مركز الحكم . وهذا ما كان يحدث فعلا في تلك الفترة من مطلع القرن الرابع الهجري / ١٠ م ، وإن لم تقتصر مواجهة الدولة لذلك بسياسة الحزم والحسم فقط ، بل وبما واكبها من استعراض للقوة مما تمثل في المحاولات الأولى لفتح مصر .

انقلاب فاشل ضد المهدي :

في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ - ٩١٥ م ، وهي السنة التي ولي فيها ديوان البريد ، وهو ديوان الخبر ، أبو جعفر البغدادي ، اتهم أحد القيروانيين ، وهو محمد بن أبي أيوب المعروف بأبي العاهة ، بمحاولة الثورة على المهدي . والظاهر أنه كان للرجل شركاء في تلك التهمة ، وذلك أنه رغم اختفائه لبعض الوقت ، صدرت الأوامر بهدم عدد من الدور بالمدينة . ورغم أن الرجل سمح له بالظهور بعد أن قدم النصيح للمهدي فيما يتعلق بسياسته لأهل القيروان ، فإنه لم يسلم من عقوبة الاعدام بعد فترة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩) .

فتح برقة سنة ٣٠٢ هـ :

في نفس الوقت الذي ثارت فيه طرابلس (٣٠٠ هـ / ١٢ - ٩١٣ م) ثارت برقة ولكن ضد حكم العباسيين : والظاهر أنه كان للفاطميين يد في تدبير الاضطراب هناك عن طريق إثارة الأعراب الذين خرجوا يهاجمون حدود مصر . وكان ذلك بمثابة التمهيد لثورة المدينة ذاتها التي أغرقت في الدم ، من حيث اعتبارها خيانة تفتح حدود مصر للخطر الشيعي المحقق بها . وانتقم من الثوار بما يعبر عن الغيظ والتشفي ، إذ قطعت أنوفهم

• وأذانبهم وأرسلت الى بغداد(٤٦) .

وشجعت ثورة برقة عبيد الله على الاسراع فى محاولة غزى مصر .
ففى ٢٥ جمادى الآخر من السنة التالية (٣٠١ هـ / ٢٦ يناير ٩١٤ م) ،
سير حباسة بن يوسف الملوسى وبصحبته موسى بن عبد الرحمن الودانى ،
على رأس حملة نحو برقة التى كانت ضمن حدود مصر الادارية ، أى تابعة
للخلافة العباسية(٤٧) ، وبمجرد اقتراب العسكر الفاطمى من مدينة سرت
فرت الحامية المصرية نحو الشرق ، وكان يكفى اعلان الأمان لأهلها لى
يدخلها حباسة دون قتال ، ويرسل كتاب الفتح الى رقادة حيث قرىء من
أعلى منابر افريقية(٤٨) . ومثل هذا حدث فى أجدابية ، اذ هرب الجنسد
العباسى (المصرى) ، ودخل حباسة المدينة بالأمان ، وكذلك كان الحال الى
أن دخل عاصمة الاقليم برقة ، بعد أن هرب منها قائد الحامية المصرية :
أبو التمر احمد بن صالح ، لى يدخلها حباسة فى ٧ رجب/ ٦ فبراير
٩١٤ م (الداعى ادريس ، ص ٣١) . وتطلب الأمر من المهدي أن يمد
حباسة بالجيوش على طول الطريق (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) ، من
أجل اقامة الحاميات وتهدئة البلاد - على ما ترى .

معاملة قاسية لأهل برقة :

ورغم دخول برقة بالأمان الا أنها لقيت معاملة قاسية من قبيل
حباسة ، لاكثر من سبب حتى لجأت الرواية التى يقدمها ابن عذارى الى
التعميم ، فقالت : انه « كلما دخل مدينة قتل أهلها ، وأخذ أموالهم
(ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) . هذا ، ويمكن تفسير تلك المعاملة بتبعية
المدينة للإدارة العباسية المعادية ، الأمر الذى دعا الى الشك فى تصرفات
بعض أهلها . من ذلك أنه قبض على جماعة من المتيسرين ممن كانوا يلعبون
بالحمام ، واتهموا بالتخابر مع عملاء العباسيين باستخدام ذلك الحمام
الزاجل ، وأساء حباسة استغلال ذلك فى سبيل استخلاص الأموال منهم

(٤٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٤ ، وأنظر للمزلف ، موقف لينا فيما بين قيام الفاطميين
المغرب ونقلهم الى مصر ، مجلة كلية الآداب الليبية ، مجلد ١ ، ص ٢٣٠ .
(٤٧) أنظر ابن الأثير (سنة ٣٠٠ هـ) ، ج ٨ ص ٧٤ - حيث الإشارة الى ورود الخبر الى
بغداد ، ورسول من عامل برقة ، وهى من عمل مصر ، وما بعدها ب ٤ فراسخ لمصر ، وما وراء
ذلك من عمل المغرب .

(٤٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠ ، وقارن افتتاح ، ص ٣٦٦ .

• عن طريق التخويف بالاحراق بالنار(٤٩) .

فشل والى مصر فى استرجاع برقة :

ورغم قرار الحاميات المصرية (العباسية) أمام جيش حباسة فى اقاليم برقة التابعة لمصر ، فان والى مصر وقتئذ ، وهو تكين ، قام بمحاولة استرجاع برقة فأصدر الأوامر الى القائد أحمد بن صالح بالرجوع على رأس العساكر التى نجحت فى تحقيق بعض الانتصارات على جند حباسة(٥٠) ، الذى طلب النجدة من المهدي فأرسل اليه المدد بقيادة سليمان بن كافي الجيمي ، وعفيف بن كرادس ، اللذين خرجا من رقادة فى ٥ شعبان سنة ٣٠١ هـ / ٦ مارس ٩١٤ م (الداعي ادريس ، ص ٣١) . وفى النهاية كانت الغلبة لحباسة الذى حقق النصر على المصريين فى ٢٥ رمضان / ٢٤ ابريل (٩١٤) (٥١) . ولم تكتف القسوات الفاطمية بالنصر ، بل انها تابعت المهزمين فى انسحابهم ، وقتلت الكثير منهم (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) .

والظاهر أن ذلك النجاح كان حافزا لكى ينزل حباسة المزيد من التنكيل بأهل برقة ، وخاصة أولئك الذين كانوا قد اتهموا بالاساءة الى الامام - عندما طالبهم برد ما كانوا قد أخذوه من ماله ومتاعه - وهم بنو حمال المزاتى وبنو عمومتهم - وهو فى الطريق من مصر الى سيجلماسة . ففى:

(٤٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠ - حيث النص على انه أصرم لهم نارا ، وأجلسهم حوالها ، وأمر بأن تقطع لوجهم وتشوى ثم يطمونها ، وقذفهم بعد ذلك فى النار ، وهى الروايات الأسطورية ، كما نرى التى نجد لها مثيلا فى موسى بن نصير فى فتح الأندلس . هذا ، الى ما نقله الرواية أيضا من أنه قتل حوالى ألف رجل من أهل برقة غدرا ، عندما ساهم بالتوسع فى الرزق عن طريق تسجيل أنفسهم فى الديوان ، بينما أمر العرفاء الكتائبين بأن يتعرفوا على هؤلاء المكتتبين عندما يحضرون لأخذ الأرزاق . وتضيف الرواية انه وضع كرسيًا وجلس فوق جثث القتلى ، الأمر الذى حال وجهاء البلد الذين أتوا بناء على دعوته - الأمر الذى يذكر بمذبحة الأمويين فى نهر أين فطرس - حتى مات بعضهم رغبا من شدة الخوف ، ولم يكن امامهم سوى اخضار ما طلب منهم من المال ، وقدره ١٠٠ (مائة) ألف مثقال .

(٥٠) أنظر ابن الأثير ، سنة ٣٠٠ هـ ، ج ٨ ص ٧٤ - حيث النص على ورود الخبر الى بغداد ، ورسول من عامل برقة . . . بخبر خارجى خرج عليهم ، وأنهم ظفروا به وبمسكوه ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، ورسول على يد الرسول من أنولهم وأذانهم شئ كثير .

(٥١) الداعي ادريس ، ص ٢٢ - حيث الإشارة الى ان مدد رقادة ضل الطريق بسببه الضباب وأنه فوجئ بمسكر أهل مصر ، ولكن المصريين هم الذين انهزموا .

السنة الثمانية (٣٠١ هـ / ٩١٤ م) قام حباصة يقتل حارث بن حمال المزاني ، وأخيه نزار ، وبالغت الرواية المعادية للفاطميين ، على ما نظن . وقالت : انه « باع نساءهم ، وأخذ بجميع أموالهم » (٥٢) .

ورغم ما توحى به الرواية من أن العقوبة التي نزلت ببرقة كانت بايعاز عبيد الله المهدي ، فإن أهل برقة عندما كتبوا اليه بما نزل بهم من القتل والسبي ومصادرة الأموال جاوبهم الامام معتذرا وهو يحلف بأنه « ما أمر بشيء مما ذكروه ، الا في النفر الثلاثة » (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) . ولما كانت الرواية لم تذكر من قبل سوى قتل ابني حمال المزاني فقط ، فلا بأس أن يكون الثالث هو حمال نفسه ، الا اذا كان قد توفي من قبل . وتبعاً لأوامر عبيد الله المهدي رحل حباصة عن برقة ، ولكن في اتجاه مصر ، حيث حارب بعض الحصون المجاورة ، فكان فتح برقة والأقاليم المتاخمة لمصر منها ، كان تمهيدا لأول حملة يسيرها المهدي نحو مصر ، وذلك أن أبي القاسم ، ولي العهد ، خرج من رقادة في أواخر نفس السنة (٢٤ ذى الحجة سنة ٣٠١ هـ / ٢١ يولييه ٩١٤ م) ، وفي حشود عظيمة من كتامة وأهل أفريقية في طريقه إلى برقة ومصر ، عبر قابس وطرابلس وسرت (٥٣) .

محاولة فتح مصر :

ولا بأس أن يكون عبيد الله المهدي قد رأى أن يستغل النجاح الذي حققه حباصة ببرقة حيث لم تقم القوات المصرية (العباسية) بمقاومة تذكر ، فقرر أن يكمل ذلك بمحاولة طرق أبواب مصر نفسها . فهذا ما يفسر اختلاف الروايات فيما وقع من الخلاف بين أبي القاسم الذي آلت إليه القيادة العليا للحملة وبين حباصة الذي أراد استغلال الظروف التي واثت في برقة . ورواية الداعي ادريس ، شبه الرسمية ، بتفصيلاتها الدقيقة تؤكد أن أبا القاسم ولي العهد ، كتب إلى حباصة بأمره بعدم الرحيل والانتظار في برقة حتى وصوله ، ورغم ذلك فإن حباصة لم يطق على ذلك صبورا ، وتقدم نحو المشرق على أمل أن يكون فتح مصر من نصيبه (الداعي ادريس ، ص

(٥٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠ ، وقارن للمؤلف ، موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين في أفريقية وتقلتهم إلى مصر ، مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية ، مجلد ١ ، ١٩٥٨ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ص ١ .

(٥٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧١ ، الداعي ادريس ، ص ٣٢ .

(٣٢) • وهكذا فعندما غادر أبو القاسم سرت في ٣ صفر سنة ٣٠٢ هـ / ٢٨ أغسطس ، ليصل الى اجدايبة في ١٢ صفر ٦٠ سبتمبر) ، كانت كتب حباسة ، الذى كان قد دخل الاسكندرية فى اليوم السابق (١ صفر / ٥ سبتمبر) تصف له دخول قواته اقليم الحنية ، وهرب أبى الدلفاء ، قائد الحامية المصرية هناك ، رغم أنه كان بصحبة والى برقة الجديد خير المنصورى ، وواليتها السابق : أحمد بن صالح (الداعى ادريس ، ص ٣٢ - ٣٣) •

خلافى حباسة واخيه عروبة والى تاهرت :

وهذا ما يفسر كيف ان حباسة لم يستطع التكيف فى الخدمة تحت قيادة ولى العهد اذ أسفر الأمر عن هربه ، عندما استدعاه من قيادة جبهة مصر (الفسطاط) التى عهد بها الى القائد أبى فريدن ، ليقدم تحت قيادته المباشرة فى الفيووم • اذ غضب حباسة لذلك وسار هاربا فى ٣٠ (ثلاثين) فارسا من بنى عمه نحو المغرب ، تتبعه أوامر أبى القاسم الى عمال الطريق يرصدوه والقبض عليه ، كما كتب الى أبيه الامام بذلك • ونجح حباسة فى الوصول الى برقة وطرابلس دون أن يدري به أحد ، ولكن أمره انكشف فى نفزاوة ، غرب طرابلس • واذا كان أصحابه قد نجحوا فى الفرار فانه تم القبض عليه ، وقيد وحمل الى عبيد الله الذى أمر بحبسه وكذلك جميع أهله (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٢) •

ولقد استتبع هرب حباسة فرار أخيه عروبة خائفا أو متواطئا ، من تاهرت الى جبل أوراس ، حيث قبض عليه • وكانت نتيجة ذلك مقتل الأخوين جميعا سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٥ م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٢) ، بعد ما قدماه للدولة من جليل الخدمات ، فكانتهما كررا سيرة أبى عبد الله الداعى ، ولقيا نفس جزاء سنمار (٥٤) •

(٥٤) ولا بأس من الاشارة هنا الى ما فعله المهدي من قطع رؤوس الأخوين وجميع قرابتهما وكتابة بطاقات بأسماهم وتعليقها فى آذانهم ، والأمر بطرحها بجامع الاسكندرية سرا • وأنه قيل ان المهدي عندما نظر الى رأس حباسة وعروبة ، قال : « ما اعجب أمور الدنيا ، هذه الرؤوس ضاق بها المشرق والمغرب وجلتها هذه القفة » (ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧٢) ، وقارن العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ، ص ٢٥٩ . ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٠ - حيث النص على مخالفة برودة بالقيرون واجتماع خلق كثير اليه من كتامة والبرابرة وان المهدي أخرج السهم مريلا فلما فلقنوا فى منحصر القيرون حيث قتل عروبة وبخو عمه • وهذا • ويمكن أن نفس هذا العمل عن مندار الفيظ من غدر القائدين الكتامين أثناء الحملة على مصر ، وتواطئهما مع

والمهم في الأمر أن أبا القاسم تبع حياصة راجعا من الفيوم (في ١٠
 ذى القعدة ٣٠٢ هـ / ٢٧ مايه ٩١٥ م) ، عندما علم بوصول قائد الخلافة
 العباسية ، مؤنس الحسام . ولما وصل برقة خرج اليه أهلها يهنئونه
 بالسلامة ، فحاول أن يطيب خاطرهم بالقول : انه انما رجع خصيصا في
 طلب حياصة ليعاقبه على فعله بهم . ويعد أن أمرهم باصلاح ما كان قد
 تشعبت من تحصينات مدينتهم ، استخلف عليهم بعض رجاله من الكتاميين
 (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣) - فكانه جعل الحكم هناك لمجلس من
 عدة أشخاص ، وليس لرجل واحد ، هو الوالي . ولكنه بمجرد أن عرف
 أهل برقة انه رجع من مصر مهزوما ، ومع حياصة بطبيعة الحال ، بأمر
 الغوغاء منهم الى من عندهم من الكتاميين فقتلوه (ابن عذارى ، ج ١
 ص ١٧٣) .

عصيان أهل برقة وعقوبتهم :

وهكذا كان على المهدي أن يواجه عصيان برقة بعد فترة وجيزة من
 دخولها تحت حكمه ، وأن يخضعها من جديد على يدي قائد كتامي آخر من
 المواليين له ، هو أبو مدين بن فروخ اللهيضي ، الذي سار إليها في سنة
 ٣٠٣ هـ / ٩١٦ م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٣) . ولم تكن مهمة أبي مدين
 سهلة ، إذ امتدت حرب المدينة العتيقة حوالي ١٨ (ثمانية عشر) شهرا ،
 عانت فيها من شدة الحصر والحريق بالنار حتى فنى أكثر أهلها . وعندما
 سقطت سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٨ م استصفت أموالهم ، وسيز زعمائهم الى رقادة
 حيث أمر المهدي بقتلهم (٥٥) . ويقن أبو مدين فنى ولايته على برقة حوالي ٣
 (ثلاث) سنوات الى وفاته سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م (ابن عذارى ، ج ١
 ص ١٨١) .

المصريين ورجال الخلافة العباسية ، الأمر الذي قد يردع هؤلاء الآخرين عن معاودة مثل هذا
 المسلسل . والحقيقة أن النص الذي يورده ابن الأثير والذي ينسب الى عسكر برقة المصري
 (العباسي) أنه عندما حقق بعض الانتصارات على الجند الفاطمي ، قطع أنوفهم وآذانهم وبعث
 بها الى ديوان الخلافة ببغداد (انظر فيما سبق ص ٧٧ وهـ ٥٠) . الأمر الذي يعني ان مثل
 هذا العمل الذي بدأ به عبد الرحمن الداخل عندما حقق النصر على الداعية العباسي ، الغلاء
 ابن مغيث ، كان قد أصبح عملة دارجة في ذلك الوقت .
 (٥٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٥ ، وقارن افتتاح ، ص ٢٦ - حيث النص على افتتاحها
 بقتل أكابر أهلها من المخالفين .

أخطر دواس فحسبهم في حصن برفجانة المعروف بتاهرت القديمة ، فان ذلك لم يمنع محمد بن خزر من مهاجمة المدينة والاسنيلاء على بعض أرباضها ، الامر الذي ادى الى هرب دواس والتجائه الى ابن حمة ، صاحب القلعة (برفجانة) والى قتل المحبوسين من بنى دواس في حصن برفجانة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٥) . والمهم أن أهل تاهرت نجحوا فيما فشل فيه واليهيم ، فحاربوا دفاعا عن مدينتهم حتى هزموا محمد بن خزر ، ومن ثم كاتبوا دواس الذي رجع الى ولايته (٥٧) .

هرب محمد بن خزر الى الصحراء :

وكان موكب الامام والداعي قد وصل الى مدينة « أربا » في اتجاه أفريقية عندما أتت الأخبار بتهديد محمد بن خزر لتاهرت ، ولكنهم عندما غيروا مسارهم نحوه ، هرب الى الصحراء وتوغل في مجاهل بحار الرمل (٥٨) .

ثورة تاهرت :

وهكذا استقرت الأمور لصالح الامام لمدة سنتين قبل أن تدور الأحداث في تاهرت بشكل معكوس اذ ثار التاهرتيون على عاملهم دواس ، وألقوا به هزيمة منكرة ، اذ قتلوا معظم رجال حاميته المكونة من ألف فارس ، واضطروه الى الالتجاء الى حصن تاهرت القديمة (برفجانة) . وحينئذ استدعوا محمد بن خزر لبيلى أمر البلد . ورغم ما أظهره من التشقى في دواس ، اذ : برزوا اليه بأمر دواس وعياله وسلاحه ، فسرعان ما اتضح للطرفين عدم الانسجام فيما بينهما الأمر الذى زهد ابن خزر في الولاية ، فترك تاهرت وانصرف من حيث أتى (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦) .

وعهد عبيد الله المهدي بولاية تاهرت المهزومة الى هصالة بن جبوس المكناسي ، وبذلك عاد دواس بن صولات (الكتامي) كسير الجناح الى رقادة

(٥٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٥ - حيث النص خطأ على أنهم قتلوا محمد بن خزر .
(٥٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٦ ، وقارن الداعي ادريس ، ص ٢٥ وما بعدها حيث النص على أن الامام علم بهجوم محمد بن خزر على تاهرت عندما وصل الى المدينة ، بمعنى أن مدينة « أربا » كانت بين أعمال تاهرت . والرواية تقدم تفصيلات لا توجد في غيرها ، من : المسير من تاهرت الى مرضع تاهرات ، وتفسير التواتر الى قبلة مدينة واليزول في مكاتبات ، قبل الوصول الى يكجان حيث أقام ٣٠ (عشرين) يوما .

حيث كان جزاؤه القتل ، ولكن بعد حين (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦) ، دون. أن تمنعه خدماته من انزال العقوبة العظمى به . فأبوحميد دواس هو الذي نشر التشيع في منطقة تاهرت بين قبائل البربر (٥٩) . فكأنه صاحب الفضل في تحويل تاهرت نهائياً من معقل الخارجية الى مركز للاسماعيلية الفاطمية .

تاهرت مركز الدولة الفاطمية في بلاد المغرب :

والحقيقة أن المهدي كان يحسن الاختيار عندما عهد الى مصالة بولاية تاهرت اذ يرجع الفضل الى مصالة في توطيد أركان الحكم الفاطمي ، ليس في المغرب الأقصى فقط ، بل وفي ربوع المغرب الأقصى أيضاً - وهو الأمر الذي كان يخطط له المهدي منذ اقامته في سجلماسة بأقصى صحراوات المغرب الأقصى . وهسكنا تأكد موقف تاهرت كمركز اشعاع للتشيع الفاطمي ، الأمر الذي بدأ على يدي أبي حميد دواس الكتامي ، ووقع استمراره على عاتق مصالة بن حبوس المكناسي ، رغم أننا لا نعرف الكثير عن نشاطه منذ ولايته لتاهرت ٢٩٩ هـ / ٩١١ - ٩١٢ م .

فتح نكور :

وفي ذلك تقول الرواية انه لما تغلب عبيد الله المهدي ، كتب الى أهل المغرب يدعوهم الى الدخول في طاعته ، والتدين بامامته ، ويعد في خطابه ويتوعد ، وكان من بين من كتب اليهم صاحب مدينة نكور ، التي تعتبر من موانئ ساحل تاهرت ، والمواجهة لمدينة مالقة من الأندلس (٦٠) . وهو

(٥٩) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ٢٩٨ - حيث النص على انه حمل القبائل على الرفض .

(٦٠) عن مدينة نكور ، انظر البكري ، ص ٨٩ وما بعدها ، حيث الاشارة الى انه يجاورها بعد المشرق قبائل زواغة وجرارة ومطامة ، ومن جهة الغرب بنو مروان وبنو حميد، وهم من غمارة (على مسافة ٥ (خمسة) أيام - ابن خلدون ، العبر ، ج ١ ص ٢١٢) . أما عن مراسيها فهي : ملوية وهرك وكرط ومرسى الدار ، الذي يقابل مالقة . أما عن المسجد الذي بناه سعيد بن صالح على نهر غيس ، فهو : « على صفة مسجد الاسكندرية ، بحارسه وجيب منافعه » .

وعن تاريخ نكور فبانيها سعيد بن صالح الحميري ، وينسب الى والده صالح انه عرف « بالميد الصالح » وانه فتح نكور على أيام الوليد بن عبد المسالك (سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م . العبر ج ٦ ص ٢١١ ، ومصدره صاحب المقياس) ، وانه صاحب الفضل في نشر الاسلام هناك =

سعيد بن صالح (الهامش السابق) الذى أجاب مستهترا بالمهدى ، الأمر الذى ترتب عليه ضياع امارة نكور ، وكان سعيد يظن انها بعيدة المنال(٦١) .

بين قبائل البربر ، من صنهاجة وشمارة . ورغم ارتداد هؤلاء القوم عندما استنقلوا شرائح الاسلام تحت اغراء رجل من نفزة يعرف بالرندى ، وطردهم لصالح ، الا أنهم تابوا بعد ذلك الى رشدهم واستردوا صالحا الذى بقى فيهم الى أن مات (سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م - ابن خلدون ، ج ١ ص ٢١٢) . وخلفه فى رياسة القوم أحد بنيه ، وهو المعتصم ، وبعده اخوه ادريس (الذى ينسب اليه تخطيط مدينة نكور على الضفة الأخرى من النهر ، وان لم يكملها ، وتوفى سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م - ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٢) ثم ابنه سعيد ان ادريس (الذى اختط نكور بين النهرين : نكور وغيس ، العبر ، ج ٦ ص ٢١٢) . وعلى أيامه تعرضت نكور سنة ٢٤٤ هـ / ٢٥٨ م لغزو المجوس الذين انتهبوا وسبوا نساء بنى صالح ، فهدمهم الامام محمد بن عبد الرحمن (البكرى ، ص ٩٢) ، الأمر الذى يبنى أن المنطقة كانت خاضعة للنفوذ الأماوى بالاندلس . هذا ، كما تعرض سعيد بن ادريس الى ثورة قبائل البرانس بقيادة رجل يسمى « سكن » ، ولكن الأمر انتهى بأن هزمهم وأعادهم الى الطاعة (« ربقى فى الامارة الى سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م - العبر ، ج ٦ ص ٢١٢) .

وبعد سعيد ملك ابنه صالح الذى خلفه عشرة (١٠) أبناء . وقام ضده اخوه ادريس فى قبائل بنى درياغل وكزناية ، ولكن الأمر انتهى بفشله وقتله . كما فشلت ثورة على صالح ابن سعيد قامت بها قبائل مكناسة ، فامتنعوا عن دفع الضرائب ، ولكنهم عادوا الى الطاعة سلما (البكرى ، ص ٩٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٧) . وشكف سائلا ابنه سعيد ، صاحب المسجد المبنى على تسق جامع الاسكندرية ، على نهر نكور . وتوفى سعيد سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م وله من العمر ٧٢ عام . ولما كان سعيد هذا هو اصغر اخوته فقد تعرض لثورة اخيه عبد الله وعمه الرضى ، وقضى عليهما ، مثلما هزم سعادة الله بن هارون الذى ثار انتقاما لبنى عمه ، وتحالف مع بنى يصلاتن ، ونجحوا فى هزيمة سعيد ، وقتلوا من مواليه الصقالية نحو ١٠٠٠ رجل ، ولكن الأمر أنتهى بظفره عليهم . كما غزا بلاد بطوية ، واصهر بأخيه حميد بن ادريس بن محمد بن سليمان ، وأنزله معه بمدينة نكور . وسعيد هذا هو الذى كاتبه المهدي يطلب منه الطاعة بدلا من طاعته أمير الاندلس الأماوى ، كما يتراى لنا . والمهم هنا أن ابن خلدون (ج ٦ ص ٢١١ - ٢١٢) يضيف اضافات جديدة الى النص الذى وصلنا عن البكرى ، الأمر الذى يعنى أهميته الكبرى بالنسبة للمصور المتعمدة على عصره من تاريخ المغرب .

(٦١) البكرى ، ص ٩٥ - حيث النص على أن كتاب المهدي حوى فى نهايته أبيات من

الشعر ، منها :

فان تستخيموا استتم لصلاحكم	وان تعدلوا عنى أرى قتلكم عدلا
وأعلموا بسيفى قاهرا لسيوفكم	وأدخلها عقوا وأملسوها قتلا
فرد عليها أحد شعرائهم من الأندلسيين بأبيات ، منها :	
كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا	ولا علم الرحمن من قولك الفضلا
فما كنت الا حاهل ومنافق	تشل للجبال فى السعة المثلا

وقارن ، العبر ، ج ٦ ص ٢١٣ - حيث النص على أن الشعر للشاعر أحمد الطليل ،

وذلك أن المهدي أصدر أوامره الى مصالة بن حيوس بالمسير الى بلد نكور لحرب سعيد بن صالح . وكان خروج مصالة من تاهرت في أول ذي الحجة سنة ٣٠٤ هـ / ٢٦ مايه ٩١٧ م . وعندما وصل الى مشارف نكور كان سعيد ابن صالح في انتظاره بموضع يعرف (بتسافت) على مسافة يوم من المدينة . ودار القتال سجالا ، وظهرت كفاءة سعيد الحربية - رغم مرور ٥٤ (أربع وخمسين) سنة على حكمه - الأمر الذي دعا مصالة الى قبول ما عرضه عليه أحد المغامرين من شجعان سعيد ، عندما وقع في الأسر ، وسأل شراء حياته ثمنا للقدر بأمره سعيد . ونجح الرجل فعلا في مفاجأة سعيد الذي أخرج ما كان يخشى عليه من المتاع والأبناء الى بعض الجزر في مرسى نكور ، وقاتل حتى قتل (٦٢) . ودخل مصالة مدينة نكور التي استبيحت يوم الخميس ٣ من المحرم سنة ٣٠٥ هـ / ٢٦ يونيه ٩١٧ م ، وأرسلت رأس سعيد مع رؤوس قرابته من بنى صالح ، الى القيروان حيث شهر بها بمدينة رقادة . أما الناجون من بنى سعيد وأهله فقد عبروا الى مالقة وبجانة حيث أمر الأمير عبد الرحمن (الناصر) بحسن استقبالهم ورعايتهم (٦٣) .

وبعد اقامة في نكور استمرت لمدة ٦ (ستة) اشهر ، استخلف مصالة عليها رجلا من أصحابه يعرف بـ « دلول » ورجع هو الى ولايته في تاهرت . والظاهر أن دلول لم يتمكن من السيطرة على رجال حاميته ، اذ افترق عنه معظمهم ولم يبق لديه منهم الا القليل ، الأمر الذي شجع أبناء سعيد بن صالح على العودة الى مدينتهم ، معتمدين على ثقتهم « بمحبة رعيتهم لهم » ، وان آلت الولاية الى أصغرهم سنا ، وهو صالح ، دون أخويه الأكبرين : ادريس والمعتصم اللذين اعترفا له بالسيادة . أما عن دلول وأصحابه فكان مصيرهم أجمعين الصلب على ضفة نهر نكور (٦٤) .

وحيث الشرطة الأولى من البيت الأول « وان تستقيموا استقيم بصلاحكم » ، والشرطة الثانية من البيت الثاني « واملؤوا » بدلا من « املؤوا » ، والشرطة الثانية من البيت الثالث : « الفصلا » بدلا من « الفصلا » والشرطة الأولى في البيت الرابع « وما أنت الا جاهل ومناق » .

(٦٢) البكري ، ص ٩٥ - ٩٦ - حيث الاشارة الى انه كان من بين من اخرجهم سعيد ابن صالح من قصره الى مامنهم في جزيرة المرسى ، أبناؤه : صالح وادريس والمعتصم ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٥ .

(٦٣) البكري ، ص ٩٦ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٥ .

(٦٤) البكري ، ص ٩٦ - حيث النص على اتفاق الأخوة على نوع غريب من القرعة يتمثل في ان يركبوا ثلاثتهم في مراكب مختلفة ، في ليلة واحدة ووقت واحد ، وريح واحد ، فمن

وقرىء كتاب صالح - بما تم نه من الفتح - الى الناصر الاموى بجامع قرطبة وسائر مساجد الأندلس ، وبذلك توطد الملك لصالح بن سعيد وبنيه ، من جديد ، تحت الراية الأموية (البكرى ص ٩٧) .

مد النفوذ الفاطمى الى مملكة الأدارسة بفاس والمغرب الأقصى :

الحملة الأولى :

فيما يتعلق بالتوسع الفاطمى فى المغرب الأقصى وفاس ، يمثل تضارب التواريخ مشكلة تتطلب حلا ، اذ يتحير الباحث فى محاولة ترتيب السنوات المتدرجة ما بين : ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م و ٣٠٧ هـ/ ٩١٩ م ، ٣٠٨ هـ/ ٩٢٠ م ، ٣٠٩ هـ/ ٩٢١ م ثم ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م . ولتبسيط الحل يمكن البدء بالنظر فيما يمكن أن يكون من الارتباط بين كل سنة والتي قبلها والتي تليها وهو الأمر المقبول . فمن الواضح أن التاريخ الأول (٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م) وهو الذى يقدمه البكرى نقلا عن النوفلى (٦٥) ، مرتبط بحملة نكور التي بدأت فى أواخر سنة ٣٠٤ هـ/ ٩١٦ م ، واستمرت بطبيعة الحال خلال سنة ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م . وفى تلك الحملة يشير البكرى الى وصول مصالة الى مدينة الزيتون : مكناسة ، قاعدة يحيى قبل فاس ، وان أخطأ فى وضع ذلك سنة ٣٠٧ هـ/ ٩١٩ م ، بدلا من ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م . وهكذا تكون أول مواجهة بين يحيى وبين مصالة قد وقعت بمكناسة سنة ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م ، وأنه رغم هزيمة يحيى التي يعتبرها البكرى نهاية لحكمه ، فمن الواضح أن مصالة أقام نوعا من توازن القوى فى المغرب الأقصى كما يفهم من البكرى (ص ١٢٥) ، اذ ترك ليحيى مملكة فاس وما يتبعها ، من مكناسة وغيرها ، كما قرب الزعيم الزناتى موسى بن أبى العافية صاحب تسول وثاظة وكرسيف (٦٦) .

وأتى ذلك التوازن بشماره ، من حيث أن يحيى الادريسي ومملكته

وصل منهم قبل صاحبه كانت الولاية له ، فكان السبق من نصيب صالح الذى وصل نفس الليلة الى نكور ، فتسارع البربر اليه ، وعقدوا له الإمرة ، ولقبوه بـ « التميم » لصغره ، وزحفوا الى دلول فانخذه وجبب أصحابه - وقارن ابن خلدون ، المر ، ج ٦ ص ٢١٣ .

(٦٥) البكرى ، ص ١٢٥ ، وقارن ابن عنارى . ج ١ ص ١١٩ . ابن أبى زرع ، القرطاسى ،

ص ٨٠ .

(٦٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٣٤ ، القرطاسى ، ص ٨٠ .

المضربة كانت بمثابة صمام الأمان بالنسبة لموسى الزناتى وامارتة
البدوية (٦٧) .

وهكذا وقع على عاتق مصالة ، فى حملته الأولى ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ،
عبء اقرار النفوذ الفاطمى فى المغرب الأقصى حيث الشرفاء الأدارسة وهم
الفاطيون أيضا . الأمر الذى كان يزيد من اشتعال الصراع مع الأمويين
والأندلسيين فى تلك المنطقة من المغرب الأقصى التى أضحت وكأنها من
« أرض حرام » بالنسبة للطرفين المتصارعين على ضفتى المجاز أو العدو ،
فكان الأمر عودة الى جبهة « التحكيم » فى أذرح بين الشام والعراق ، أيام
على ومعاوية ، وذلك ما تظهر أصدائه بوضوح لدى القضاى النعمان فى
المجالس والمسائرات (ما سبق ص ٢٣) .

الحملة الثانية :

وكان على مصالة بن حبوس الكناسى ، فى حملته الثانية ، أن يشبث
النفوذ الفاطمى فى اقليم فاس ، فى حرب العظيمة تلك أو حرب اثبات الوجود
بين أولئك الخصوم الجدد من العلويين المغاربة والقدامى من الأمويين
الأندلسيين .

أما عن التواريخ فالبكرى يعهد سنتى ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، ٣١٠ هـ /
٩٢٢ م ، فيجعل الأولى (٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) تاريخا لحملة مدينة الزيتون
(مكناسة) التى انتهت بالوفاق مع يحيى ، وان عاد وجعلها تاريخا للحملة
الثانية التى أنهت حكم يحيى بتدبير موسى بن أبى العافية ، وان جعل تاريخ
الحملة بعد ذلك سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م . واذا كان توقيت القرطاس لتلك
الحملة وهو سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م قد يساند سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، فان

(٦٧) البكرى ، ص ١٢٥ - حيث الاشارة الى النوفلى الذى ينص على أن مصالة لما قدم
المغرب فى حركته الأولى سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ابتدى موسى بن أبى العافية بالاحسان ، وقدمه
فى المغرب ، وكان موسى كلما رجا الظهور « عزه » (غمره) يحيى بن ادريس وقطع به عن
أمله - هنا ، وان قدم على ذلك سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م كتاريخ لهزيمة يحيى أمام مدينة الزيتون
(مكناسة) ، كما سبقت الاشارة . وقارن القرطاس ، ص ٨٠ - حيث النص على أن موسى
ابن أبى العافية خدم مصالة وهاداد وتقرب اليه بالاحسان ، وقاتل فى جميع حروبه بالمغرب
واختصه بين سائر أمرائه ، فكان موسى كلما أراد الظهور بالمغرب والاستبداد فيه ، غمره
يحيى ابن ادريس الحسنى بشرفه وكرمه ودينه وعدله وقطع عليه كل ما يريده ، فكان على قلبه
من حمل ثقيل .

ابن خلدون الذى يجعل سنة ٣٠٩ هـ/٩٢١ م تاريخا لمقتل مصالة على يدي محمد بن خزر (العبر ، ج ٧ ص ٢٥) يضعف من ذلك .

وبناء على ما تقدم فاننا نرجح سنة ٣٠٨ هـ/٩٢٠ م ، التى يحددها ابن عذارى توقيتا للحملة الثانية ، وهى التى تسامدها سنة ٣٠٧ هـ/٩١٩ م ، عند البكرى ، على اعتبار تلك الأخيرة كبداية للحملة التى تكون قد استغرقت أيضا السنة التالية لها (٣٠٨ هـ/٩٢٠ م) (٦٨) .

وهكذا يكون خروج مصالة من تاهرت فى حركته الثانية نحو المغرب سنة ٣٠٨ هـ/٩٢٠ م الى فاس ، كما كان عليه أن يمر بمدينة نكور ليزيح عنها النفوذ الأموى ويعيد اليها الرموز العلوية . وفى هذه المرة كان على صالح بن سعيد ، عندما بلغه اقتراب مصالة ، الخروج من نكور والاعتصام بجبل أبى الحسين القريب ، تاركا مدينته مفتوحة أمام القائد الفاطمى الذى أقر النظام فيها(٦٩) .

ومن نكور سار مصالة فى نفس السنة الى فاس حيث يحيى بن ادريس ابن عمر . ويفهم من رواية البكرى ، التى نقلها صاحب القرطاس مع بعض التحوير ، ان يحيى كان حافظا للعهد مواليا لدولة الامام المهدي ، لولا سعاية موسى بن أبى العافية الذى كان يطمح الى الاستبداد بالمغرب لولا يحيى الذى ثقل على قلبه لوقوفه ، حجر عثرة فى طريقه (انظر ما سبق ص ٨٨ وهـ ٦٧) اذ وشى يحيى لدى مصالة حتى أسخطه عليه ، فأصدر الأخير أوامره بالقبض على يحيى غدرا ، ودخل به مشهرا الى فاس ، وصادر جميع أمواله ثم انه أخربه عن بلده ، وقضى على مستقبله السياسى(٧٠) .

هذا ، ونحن نرجح رواية ابن عذارى التى أخذنا بتاريخها (٣٠٨ هـ/٩٢٠ م) وان كانت لا تعرف لمصالة الا هذه الحملة وحدها على فاس ، على تلك الرواية شبه المنقبية التى قد لا تبدو كافية لتدبير ما نزل بالأمر الادريسي الذى كان وقتئذ أعلى بنى ادريس حالا بالمغرب (البكرى ، ص

(٦٨) انظر البكرى ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، القرطاس ، ص ٨٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٣ ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٥ .

(٦٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٣ - حيث النص على ضبطها بمعرفة مصالة .

(٧٠) البكرى ، ص ١٢٦ ، القرطاس ، ص ٨٠ .

(١٣٢) ، ونرى أنه من الأوفق أن يكون يحيى بن ادريس قد قدم ما كان يحيط به من أخطار الفاطميين والزناتية ، وأنه قرر مواجهة قوات مصالة ، وان لم يقدر له الصمود أمامها إلا لعدة أيام ، وبذلك تمكن مصالة من الاستيلاء على فاس وقرار الأمور فيها (٧١) .

القضاء على مملكة فاس الإدريسية :

وهكذا يكون الفاطميون قد قضوا على مملكة فاس الإدريسية ، ويكون يحيى بن ادريس قد انتهى نهاية مأساوية ما بين سجن موسى بن أبي العافية ، في مدينة لكاي ، لمدة زادت على ٢٠ (عشرين) سنة ، ثم الإقامة الرقيقة الحال بمدينة أصيلة ، في كنف بنى ابراهيم ، قبل التوجه الى المهدي سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م حيث كانت فاجعة موته جوعا سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٣ م في حصار أبي يزيد (٧٢) .

أما عن مدينة فاس فقد قدم مصالة عليها ، ربحان بن علي الكتامي ، الذي بقي واليا عليها ٣ (ثلاث) سنوات ، الى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، عندما استولى عليها الأمير الادريسي : حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس المعروف بالحجام ، وطرد الوالي الفاطمي ، وملكها لمدة عامين (٧٣) .

(٧١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٣ - حيث الاشارة الى تعريض بعض الشعراء بأهل فاس ، الذي يقول :

دخلت فاسا ون ذموني الى فاس . والجبس ياخسنة بالعينين والراس
فلست ادخل فاسا ما حبيت رلو . اعطيت فاسا بها فيها من الناس

(٧٢) البكري ، ١٢٦ وأنظر أيضا ص ١٣٢ - حيث الاشارة الى أن يحيى بن ادريس ، كان أعلى بنى ادريس حالا بللغرب ، وحيث يضيف رواية النوفلي التي تنص على ان يحيى كان محبا للعلم يشهد مجلسه العلماء والشعراء ، وكان أبو أحمد الشافعي من جلسائه ، وأنه كان ينسخ له عدة من الوراقين « وينتجعه » الناس من الأندلس وغيرها ، فيحسن اليهم . القرطاس ص ٨١ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢٤ - حيث الاشارة الى القبض على يحيى ، بمعرفة موسى ، وطرده من عمله ، وطاقه بيني عمه بالبصرة والريف .

(٧٣) البكري ، ص ١٢٦ - حيث الاشارة الى أن أحمد بن القاسم بن ادريس هو الذي لقبه بالحجام عندما وجده يحسن الضرب في المعاجم وهما يتقاتلان ، وفي ذلك قال بعض الشعراء على لسان الأمير حسن :

وسميت حجاما ولست بحسام . ولكن لضرب في مكان المخاض

وقارن ابن خلدون ، المعبر ، ج ٦ ص ٢١٦ - حيث الاشارة الى أن خروج الحجام كان في سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، ينمى ترجيح الرواية التي تجعل سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م تاريخها ، شملة مصالة على فاس .

محاولات اقرار الأمور في سجلماسة :

ولما وقع على عاتق مصالة ، بصفته والى تاهرت والمغرب ، مد النفوذ الفاطمي الى سواحل نكور ، والى مكناسة وفاس في الداخل ، كان عليه أن يعيد سلطان الفاطميين في أقصى الصحراوات الغربية الجنوبية الى سجلماسة التي كانت قد انتقضت بعد فترة وجيزة من خروج الامام والداهي في مطلع سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م . فلقد ثار أهل سجلماسة بوالى المهدى : ابراهيم ابن غالب المزاتي ، بعد ٥٠ (خمسين) يوما فقط من انفراد بالسلطة ، فقتلوه ومن كان معه من رجال الحامية الفاطمية ، وأعادوا ملوكهم القدامى من بنى مدرار . وكان الذي ولي منهم هو واسول بن ميمون الذي لقب بالفتح ، وذلك في ربيع الأول من سنة ٢٩٨ هـ / نوفمبر ٩١٠ م . وعندما وافته الأجل بعد حوالي سنتين ، في رجب سنة ٣٠٠ هـ / فبراير ٩١٣ م ، خلفه أخوه أحمد الذي استمر في الحكم حتى مقدم مصالة الذي اقتحم عليه سجلماسة وقتله في المحرم من سنة ٣٠٩ هـ / مايو ٩٢١ (البكري ، ص ١٥٩) اثر استيلائه في حملته الثانية على مدينة نكور للمرة الثانية ، مما سبقته الإشارة اليه (ص ٨٩) .

والمهم في هذه المرة أنه اذا كان مصالة قد أخذ العبرة مما جرى من اضطراب سجلماسة عقب خروج الامام منها في آخر سنة ٢٩٨ هـ / ديسمبر ٩٢٢ م فأقر الأسرة المدارية في الحكم مثله في الأمير المعتز محمد المداري ، الذي بقي في الولاية الى قرب نهاية عهد المهدى ، اذ توفي سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م (٧٤) فانه لم يقدر له النجاح في اقرار السلام الفاطمي في المنطقة بسبب اضطراب الزناتية هناك ، بزعامة محمد بن خزر ، منذ ذلك الحين . فلقد كان على مصالة بعد أن عاد الى ولايته في تاهرت ، عقب زيارة المهدي لتعريف الامام بالأحوال في شعبان سنة ٣١٠ هـ / نوفمبر ٩٢٣ (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) ، الدخول في صراع مرير مع الزناتية وعلى رأسهم محمد بن خزر ، مما يأتي ذكره فيما بعد .

المهدية : عاصمة جديدة لدولة المهدى :

دواعي البناء :

خلال الفترة ما بين سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م وسنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م ،

(٧٤) البكري ، ص ١٥١ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥ .

حيث كانت القوات الفاطمية تسعى الى تأكيد سببها في أطرافها الشرقية من طرابلس حتى برقة ودمر ، وفي الاطراف الغربية من تاهرت الى سجلماسة ، كان الامام مشغولا باقامة عاصمة جديدة تطمئن فيها الأسرة ، وتستقر بفضلها أركان الدولة ، وتكون رمزا لعصر سيادة العدالة والفضيلة ، كناية عن طبيعة النظام الجديد الذي يعبر عن اسم المدينة ، وهو المهدي ، نسبة الى الامام المهدي ، عبيد الله ، هذا ، وان عرفت أيضا باسم « البيضاء » (النعمان ، افتتاح الدعوة ص ٣٢٧) ، بمعنى الزهراء .

والرواية الفاطمية التي تفسر أسباب بناء المدينة تأخذ طابعا أسطوريا منقبيا ، كما هو الحال بالنسبة لبناء كثير من العواصم الاسلامية الكبرى ، كدمشق والاسكندرية والقاهرة . فهناك ربط ما بين بناء المهدي وبين الثورة الزناتية التي أشعلها أبو يزيد « صاحب الحمار » على عهد القائم ، الأمر الذي يدخل في علم الحدائق ، المعروف في الفكر الشيوعي ، والذي يمثل ما يمكن أن نسميه بالتاريخ المستقبل للأمة - إذا جاز استخدام هذا المصطلح المستحدث - وهو العلم الذي اختصوا به دون غيرهم . وفي ذلك قيل ان المهدي كان عندما ينظر الناس الى تحصينات المهدي ويبدون عجبهم لحسنها ومناعتها يقول : كل ذلك أعد لساعة من نهار - وهي ساعة الخطر التي بلغ فيها أبو يزيد ذروة قوته ، بأقترابه من البوابات المنيعه (٧٥) .

والحقيقة ان اتخاذ عاصمة جديدة من قبل حاكم دولة ناشئة ، عادة ما يرمز الى واحد من احتمالين أحدهما : أن المدينة المستحدثة تعبر عن طبيعة النظام الفتى الناشئ ، اذ هي تمثل المستقبل المستشرق بأماله المرجوه ، بينما العاصمة القديمة للدولة السابقة ، تعبر عن الماضي المريع بأزمائه المنقطعة - وكل ذلك مما يدخل في مجال الأمانى والتمنيات التي تتحقق برسوخ النظام الجديد على المستوى السياسى أولا ، وبالتالي على المستوى

(٧٥) انظر الفاضى النعمان ، المجالس والمنسائرات ، ص ٥٤٢ ، حيث يروى عن الامن لدين الله : « ان المهدي كان يرمز بمحنة تكون وقتها تظهر ، وفتاق يشتمل على أكثر الأمة ، ومن أجل ذلك ابنتى المهدي ، وحصنها وانتقل اليها ، وكان يؤثر عنه أنه اذا نظر الى سورها الحصين وأبوابها الحديد ، وتكلم على ذلك من يكون بين يديه ، ووصفوها بالمنعة . . . يقول : كل ذلك أعدناه لمقام ساعة من نهار . فلم تكن ندرى ما يعنى قوله ذلك حتى ظهر الدجال مخلد بن كيداد . وانظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٧ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤

الحضاري . أما الاحتمال الآخر ، وهو الأقرب الى أرض الواقع فيتمثل عدة في أزمة عدم الثقة بين نظام الحكم الجديد وبين أهل العاصمة القديمة الذين كثيرا ما يحنون الى نظامهم السابق ان لم يتمسكوا به . وفيما يتعلق بعبيد الله المهدي فقد تمثلت أزمة عدم الثقة هذه في عدة أشكال ، أولها : سياسي ويظهر في عدم الثقة بالكتاميين ، مما سبقت الإشارة اليه (ص ٦٧) الأمر الذي يمكن معه القول أن العصر الكتامي على نسق العصر الفارسي في الدولة العباسية - قد لا ينطبق الا على فترة التأسيس ، أي عهد أبي عبد الله الشيعي (الداعي) وثانيها ، ديني : يظهر في عدم تقبل أهل القيروان ، المالكية ، للمذهب الاسماعيلي الفاطمي ، وخاصة فيما يتعلق منه بعصمة الامام ، الأمر الذي حاول عبيد الله الاستفادة منه في سبيل توطيد أركان حكمه ، في محاولته جمع السلطة بين يديه باستعادتها من الداعي . فكانه حدث نوع من الانفصال بين السلطة ممثلة في المهدي ، وبين شعب افرقييا ممثلا في أهل القيروان - بعد خروج الكتاميين من بين أظهرهم ، اثر مذبحه سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م (أنظر فيما سبق ص ٦٩) وهو ما يمكن تشبيهه « بالطلاق » كما حدث في العصر الأموي عندما ترك الحلفاء دمشق واتخذوا قصور البادية مقرا لهم ، قبل أن يخرج المنصور العمامة من بغداد المدورة الى حى الكرخ في خارجها ، وقبل أن يترك العباسيون بغداد نفسها ليستقروا لفترة ما بين حرسهم التركي في سامرا .

على نفس هذا النسق استشعر عبيد الله المهدي عدم الاطمئنان ، وهو يقيم وسط خصومه في القيروان ورفادة ، الأمر الذي عبر عنه عندما استقر في مهديته ، قائلا : « اليوم أمنت على الفاطميات » (ابن الأثير ، ج ١ ص ٩٥) . وهكذا فكر عبيد الله في اتخاذ مقر جديد له بعيدا عن القيروان حيث كان الكتامية والمالكية ، وذلك في أعقاب « الأزمة الكتامية » مباشرة ، اذا استعرنا اصطلاح جورج مارسيه الذي يطلق على العصر الفاطمي بالمغرب اسم « الأزمة الفاطمية » (٧٦) .

اختيار المكان : رباط فاطمي جديد ما بين سوسة وصفاقس :

فيما يتعلق بإمكان مدينته الجديدة ، رأى المهدي أن يكون بحريا ،

(٧٦) بلاد البربر والمشرق الاسلامي في العصر الوسيط ، بالفرنسية ، باريس ١٩٤٦،

بعيدا عن الداخل ، وهكذا بدأ منذ سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢ - ٩١٣م بجولات استطلاعية في مناطق الساحل الشرقية ما بين أشواطى القيروان ، حيث سوسة جنوبا ، وشواطى تونس وقرطاجنة شمالا . وأخيرا وقع اختيار على موضع شبه جزيرة يعرف بـ « جمعة » ما بين سوسة وصفاقس (٧٧) . واختيار الساحل موقعا للمدينة يعنى أسد أمرين ، أولهما : ان المهدي رأى أن تتوجه دولته وجهة بحرية ، بمعنى الانفتاح على العالم اشرقى فيما وراء البحر ، سواء من حيث العلاقات الاقتصادية والمبادلات التجارية ، أو من حيث العلاقات الحربية حيث تصبح الدولة الفاطمية دولة جهادية ، بناء على اعتبار السواحل مناطق تغور أى جهات قتال يمكن أن يطرقها العدو البحرى ، ممثلا فى الأسطول البيزنطى . وإذا كان ابن خلدون ، فى المقدمة ينص على عناية الفاطميين بالأساطيل الى أن انتهى الأمر بغلبة المسلمين على سواحل المتوسط حتى لم تعد «تسبح النصرانية فيه ألواح» (المقدمة ، العبر ج ١ ص ٢١٢) ، فالحقيقة أن منطقة الساحل ، وخاصة ما بين سوسة وصفاقس ، كانت مشهورة بكثرة محارستها وأربعتها ، ومنها : رباط سوسة ورباط المنستير ، حيث كان العباد المجاهدين ينقطعون لأعمال الورع والتقوى ، انتظارا لمواجهة العدو البحرى اذا ما هاجم الساحل . وهذا لا يمنع بطبيعة الحال ، تقرير عبيد الله المهدي أن تكون حصانة الموضع موجهة ضد أعداء الداخل أيضا ، وعلى رأسهم الزناتية ، كما تشير الى ذلك الرواية المنقبية التى بدأنا بها . كما نأخذ بعين الاعتبار ، اعداد المدينة لتكون قاعدة بحرية أيضا تسير منها القوات البحرية مصاحبة للقوات البرية الموجهة لفتح مصر .

وفى حصانة الموضع توصف جزيرة « جمعة » التى اختيرت للبناء بأنها أشبه ما تكون بكف متصلة بزند (٧٨) ، بمعنى أنها شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات ، شمالا وجنوبا وشرقا وتتصل بالبر من جهة الغرب من حيث يكون الدخول اليها (الكبرى ، ص ٢٩) .

وهكذا أملت طبيعة المكان أن تكون أسوار المدينة الرئيسية وبواباتها الكبرى من جهة الغرب حيث الاتصال بالبر ، بينما الأسوار المحيطة بها

(٧٧) أنظر : عذارى ، ج ١ ص ١٦٩ . ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ .

(٧٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ ، وأنظر : محمد المرزوقى ، المهدي وساعرها تميم ،

تونس ، ١٩٨٠ ، ص ١٦ .

من جهات البحر اقل قوة وحصانة (٧٩) . وكان من الطبيعي أن يكون البدء ببناء تحصينات المدينة وابوابها ، وذلك أنه تم الانتهاء منها في ربيع الأول سنة ٣٠٤هـ / سبتمبر ٩١٦م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤) . وبذلك كانت المهديّة ، بوصفها رباطاً فاطمياً جديداً ، توجه أنظارها نحو أعداء الداخل في البر ، أكثر مما تفعل مع العدو الخارجى فى البحر ، فهى رباط مزدوج ضد أعداء الداخل والخارج ، مما يذكر باختيار موضع القيروان (ج ١ ص ١٨٤) ، فكان المهديّة قيروان جديد ، وكان قيام الدولة الفاطمية إعادة فتح لبلاد المغرب .

البناء :

المدينة الملكية :

والظاهر ان استكشاف الموضع استغرق أكثر من جولة ساحلية وأن ترجيحه على غيره استغرق بعض الوقت ، وذلك أن الأوامر لم تصدر ببدء البناء الا يوم السبت ٥ من ذى القعدة سنة ٣٠٣هـ / ١١ مايه ٩١٦م (ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤) أى بعد أكثر من ٣ (ثلاث) سنوات من بداية الاستطلاع . أما عن عملية البناء فقد تمت تحت اشراف المهدي نفسه (٨٠) وهذا ما قد يفسر عظمة البناء وحسن تنفيذه . فالسور الرئيسى فى المغرب حيث تتصل المدينة بالبر ، عرف الى جانب ضخامته بحسنه ودقة احكامه (٨١) . اما الأبواب فكان للمدينة بابان كبيران يوصفان بالعظمة التى لا نظير لها ، وكان لكل باب منها مصراعان هائلان من الحديد ، وزن كل مصراع منهما ١٠٠ (مائة) قنطار (٨٢) . والأمر الذى يلفت النظر ان البابين

(٧٩) أنظر : الكسندر ليزين ، المهديّة ، تونس ، سنة ١٩٦٨ (بالفرنسية) ص ٤١ .

(٨٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ ، حيث النص على انه كان يأمر الصناع بما يعملون

بالمجاعة - افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٧ .

(٨١) ابن حوقل ، ص ٧٣ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ - أنظر : محمد المزوقى ، المهديّة

وشاعرها تعميم ، ص ٢٢ - حيث الاشارة الى ما كشفت التنقيبات الاثرية للمديثة من أن عدد

الأبراج التى كانت بالسور الرئيسى بلغ ١٦ برجاً ، ٨ (ثمانية) منها فى السور الأول ،

٨ (ثمانية) أخرى فى الزيادة .

(٨٢) القاضى النسمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٢٧ - ٢٨ ، ووبها بالحديد الحصن ، وقارن

ابن حوقل ، ص ١٣ ، لها بابان لا يشبه لهما غير بابى سور الرفقة ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤

(أبواب وزن كل مصراع ٢٠٠ قنطار ، وقارن البكرى ، ص ٢٩ - والاستبصار ص ١١٧ ، حيث

تحوّرت الرواية الى ألف (١٠٠٠) قنطار لوزنة كل باب مع تفصيلات أخرى تحدد طول الباب

بـ ٣٠ (ثلاثين) شبراً ، ووزنة كل مسمار فيه ٦ أرمال .

كأنا مزخرفين بصور الحيوان (البكرى ، ص ٢٩ - والاستبصار ص ١١٧)
وهو ما يعنى ان الفن الفاسطى الأول فى بلاد المغرب كان فنا تصويري
(أيقونيا) ، يأخذ بصور الشخصوس الحية . تماما ، كما كان الفن الاسلامى
الأول على عهد الأمويين بالشام .

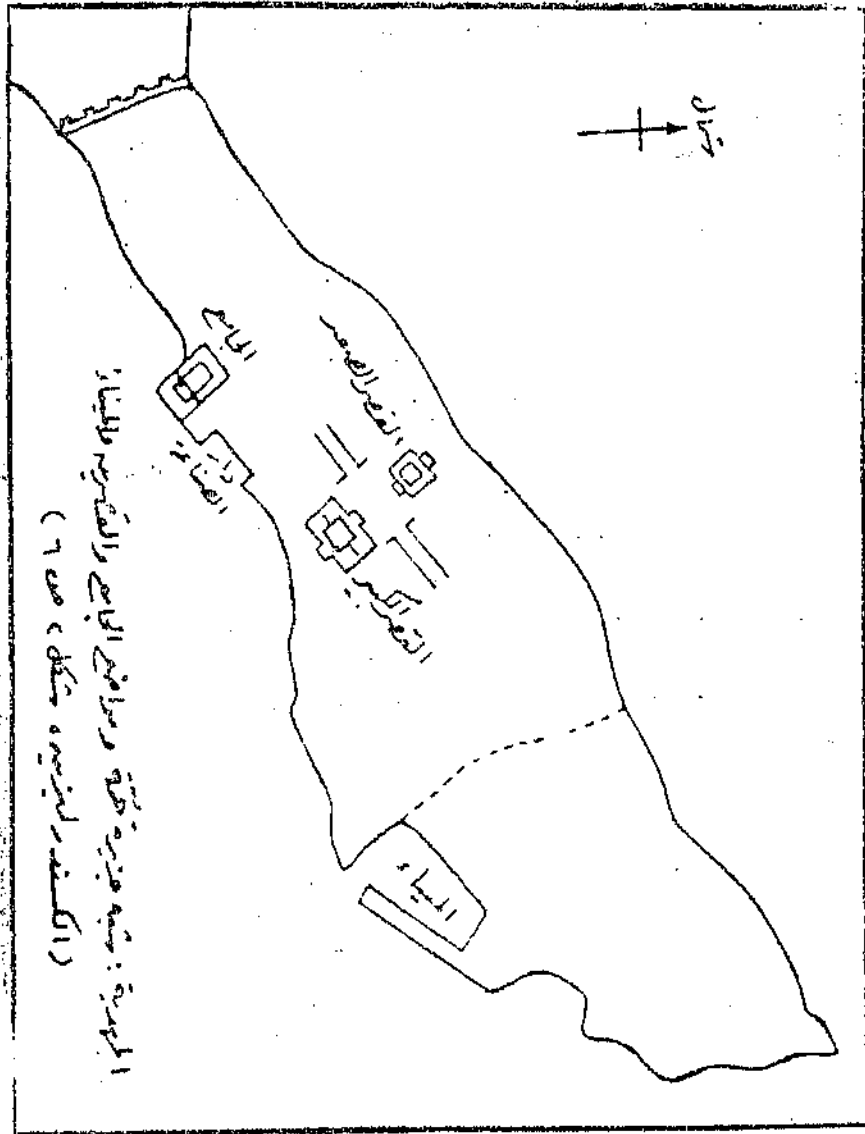
أما عن دار الصناعة - صناعة السفن فهى شرقى قصر عبيد الله
(البكرى ، ص ٣٠) ، وكانت شديدة الحصانة ، اذ كانت فى حوض الجبل
كأنها منقورة فيه ، وكانت تتسع لـ « ١٠٠ » (مائة) مركب من النوع
الشيئى (الكبيرة الحجم) دون غيرها ، وعليها باب معلق (٨٣) .

أما الميناء (المرسى فى آخر المدينة) فكان على الساحل الجنوبي لشبه
الجزيرة فى نصفه الشرقى ، كما بينت الحفريات الأثرية الحديثة (٨٤) ، وكان
هو الآخر فى جون طبيعى فى حوض الجبل ، كأنه منقور فى الحجر الصلد ،
وكان يتسع لـ ٣٠ (ثلاثين) مركبا ، وله على طرفيه برجان تمتد بينهما
سلسلة (٨٥) ، لتنظيم دخول المراكب وخروجها نهارا والتحرز من مراكب
العدو البحرى الرومى « ليلا » .

هذا ، فيما يتعلق بالمرافق العامة الخاصة بالرباط ، بمعنى المدينة
البحرية العسكرية ، والتي تمثل محيط المدينة ودفاعاتها . أما عن المدينة
الملكية فى الداخل ، فقد اشتملت كما هى العادة فى بناء المدن العربية
الاسلامية ، على نواة مركزية تتكون من قصر الامام المهدي وله باب غربى
وبجواره قصر ولى العهد أبى القاسم وله باب شرقى ، وبينهما رحبة
فسيحة (٨٦) على ساحل البحر فى موضع مردوم فيه وعلى مقربة منهما غزبا

(٨٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ - حيث النص على أن المهدي أمر بنقرها فى الجبل ، وقارن
البكرى ، ص ٣٠ - حيث الإشارة الى ان سعة دار الصناعة تسع أكثر من ٢٠٠ (مائتى)
مركب ، وفيها قبوان كبيران طويلان لآلات المراكب وعددها ثلثا يغالها شمس ولا مطر .
(٨٤) أنظر : الكسندر ليزين - المهديّة - تونس - ١٩٦٨ ، ص ١٠ شكل ٢ ص ٦
أنظر الشكل .

(٨٥) النعمان ، افتتاح ، ص ٣٢٨ - حيث النص على أن المهدي زاد إليها فى البحر .
واحفر فى آخرها ميناء خرقتها بها ، وجعل لها مخرجا الى البحر قفل عليه ٠٠٠ . وقارن
البكرى ، ص ٣٠ والاستبصار ، ص ١١٨ ، حيث النص على أنه منقور فى الحجر الصلد -
ومعجم البلدان (المهديّة) ، ج ٨ ص ٢٠٧ .
(٨٦) البكرى ، ص ٣٠ .



(شكل ١)

المسجد الجامع (أنظر الشكل) ، حيث أقيمت الأسواق التي نظمت في شكل مجموعات من الدكاكين المتخصصة في مهنة أو تجارة أو حرفة معينة (٨٧) . أما المصلى ، حيث تكون صلاة العيد في الهواء الطلق وصلوات المناسبات الكبرى انظارته ، من : الاستسقاء ، الكسوف ، والحسوف ، وغيرها ، فكان خارج السور الغربي على بعد رمية سهم (٨٨) .

ولقد زودت المدينة بمخازن القمح (الطعام) في سراديب تحت الأرض ، كما حفرت خزانات المياه ، من : « المصانع والمواجل » الوفيرة العدد (٨٩) ، الى جانب المياه المجلوبة اليها من قرية مناش ، على بعد ٤ أميال في قنوات الرصاص تحت الأرض (٩٠) .

وسرعان ما زهت المهديّة بالدور والقصور التي كانت موضع تقريظ ابن حوقل بعد ذلك بقليل ، لحسنها ونظافتها (٩١) .

مدينة العامة : زويلة :

تلك كانت المهديّة الملكية التي لا يسكنها الا ارباب الدولة من كبار الموظفين ورجال الحاشية وقواد العسكر المقيمين في المدينة كحرس أميرى ، ونواة للجيش النظامى . أما عن أهل الأسواق فكانت لهم أموالهم (متاجرهم) فقط في المدينة ، ولم يكن يسمح لهم بالتواجد فيها الا نهارا . والظاهر ان درس اخراج الأسواق من بغداد المدورة على عهد يائنها المنصور ، الى حى الكرخ خارج السور ، كان قد استفاد منه بناة المدن الجديدة من الأمراء

(٨٧) ياقوت ، معجم البلدان (المهديّة) ، ج ٨ ص ٢٠٧ . حيث النص على انه عمر الدكاكين ، ورتب ارباب المهن كل طائفة في سوق .
(٨٨) محمد المرزوقى - المهديّة ص ١٨ ، الكسندر ليزين ، ص ٦ .

(٨٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٥ - البكرى ، ص ٢٩ حيث تتحول الرواية الى قصة شعبية اذ تجعل عدد مصانع الماء (المواجل) ٣٦٠ ماجلا على عدد أيام السنة حتى يكون نصيب المدينة مغزون ماجل واحد في اليوم .

(٩٠) البكرى ، ج ٢٩ ، محمد المرزوقى ص ٢٢ . ويشير البكرى هنا ان ماء مناش كان يجلب من الأندلس ، ويصب في صهاريج عند الجامع ومن هناك يرفع الى القصر بالدواب ص ٢٩ - ٣١ .

(٩١) صورة الأرض ص ٧٣ حيث أنها كثيرة القصور نظيفة المنازل والدور ، حسنة الحمامات والخانات . نزهة الخارج ، بهية المنظر ، أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٥ .

التغلبين بالأقطار البعيدة ، حتى لا يعيشون وسط ما كان يهددهم من
خطر السامة ، الأمر الذى كان قائما وتشد ، فى رقادة الملكية والقبروان
الشعبية . هذا وإن كان انشغال المهدي ببناء المهديّة وزويلة لم يمنعه من
العناية بمدينة القبروان حيث شيد حيا تجاريا سماه بالقاسمية نسبة ال
ولي العهد ، انتهى بناؤه فى شهر ربيع الأول سنة ٣٠٥٠هـ / أغسطس -
سبتمبر ٩١٧م ، حيث انتقل اليه التجار وأصحاب الصناعات (ابن عذارى
ج ١ ص ١٨٠) الأمر الذى يعنى اهتماما بشئون البلاد الاقتصادية ، أساس
التقدم والرفاه .

وهكذا لم يكن من الغريب أن يبنى عبيد الله الى جانب المهديّة ضاحية
للعمامة من أهل الأسواق وغيرهم ، هى التى عرفت باسم زويلة ، نسبة الى
بربر زويلة سكانها الأوائل ، الذين سيعطون اسمهم الى حارة زويلة وبابها
المشهور فى جنوب القاهرة المعزية . فكانت المسافة بين المهديّة ومدينة
زويلة الشعبية تقدر باتساع ميدان من تلك الميادين التى كانت تتوسط
المدينة الاسلامية . ورغم ما تقوله بعض الروايات من أن المهدي أفردها
بسور وأبواب وحفظه (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٠٧) ،
فأغلب الظن أن الأمر لم يكن كذلك ، حيث حاول أهل زويلة النزوح الى
المهديّة للاعتصام بأسوارها عندما تهددهم خطر أبى يزيد (أنظر فيما بعد ،
ص ١٧٩-١٨٠) . هذا ، كما أن ذلك ينفى نصيبا من الحكمة التى أريد بها
السيطرة الدائمة على أهل الأسواق ، حتى لا يفكرون فى الثورة . وفى ذلك
تقول رواية ياقوت : ان الهدف من اسكان أرباب الدكاكين ، من :
البرازين وغيرهم فى زويلة أن يكونوا عند المهدي نهارا وأهلهم تحت سلطانه
بزويلة ، بينما تكون أموالهم (تجارتهم) تحت سلطانه ليلا ، ويضمن
بذلك طاعتهم الدائمة (٩٢) . وهكذا ينسب بناء سور زويلة الى المعز بن باديس
(البكرى ، ص ٢٩) عندما سكن المهديّة ، وهذا لا يمنع أن يكون المهدي
قد زودها بسور وأسوار مناسبة أو أن يكون القائم هو الذى أقام تلك
التحصينات عندما دعت الحاجة اليها . أما عن ارباض المهديّة المدينة والعمارة
التي يذكرها البكرى ، فهى ترجع الى العصر الزيرى عندما حلت محل القبروان

(٩٢) أنظر ياقوت معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٠٧ ، وقارن الكسندر ليزين ، ص ٦٠ حيث

نسب الى المهدي أنه كان يقول : «أنا آمن ليلا ونهارا ، فان أرادوني بكيد وهم بزويلة
كانت أموالهم عندي فلا يمكنهم ذلك ، وان أرادوني بكيد وهم بالمهديّة خافوا على حرمهم

هناك » .

كعاصمة للبلاد (٩٣) .

والمهم انه بعد أن فرغ المهدي من معظم أعمال البناء في المدينة ، من : قصره ، وقصر أبي القاسم ، ول العهد ، والسور ودور بعض رجاله ، وان لم يكمل الكل ، سارع بالانتقال اليها وشجعه على ذلك سوء الأحوال الجوية في القيروان وقيادة من : المطر والعواصف التي هدمت كثيرا من الدور ، وذلك في يوم الخميس ٨ من شوال سنة ٣٠٨ هـ / ٢١ فبراير ٩٢١ م (٩٤) .

ولقد أعرب المهدي عن ارتياحه لتلك النقلة ، قائلا : « اليوم أمنت على الفاطميات ، وإذا كان ابن الأثير يفسر ذلك قائلا : « يعني بناته » فالمقالة ترمز الى ما هو أبعد من ذلك ، نقصد : الى توطيد أركان الدولة ، والاطمئنان الى المقدرة على مواجهة الحصوم في الداخل أو في الخارج - برا وبحرا .

المهدية مركزا للحكم :

هكذا انتقل مركز الحكم من رقادة والقيروان حيث ذكريات الحصوم المؤرقة من : الأغالبة وسادتهم أو من المنافقين من كناية وغيرهم ، الى المهدية وزويلة حيث مقام الامام الذي أصبح محط أنظار المريدين من الأولياء والأنصار ، ورجال الدولة ، من : أهل الحاشية وكبار القواد وأمرء الأقاليم الذين كانوا يترددون على الحضرة طلبا للشفاعة والبركة أو طمعا في المكافأة والوظيفة . وكانت المهدية في نظر بعض هؤلاء : كما كانت رقادة قبلها حرما أشبه بالحرم المكي ، حسبا عبر عنه بعض الشعراء في تلك المناسبة (٩٥) .

(٩٣) البكري ، ص ٣٠ - ٢١ حيث ذكر أرباض : الحمى وقصر أبي سعيد ، وبقعة وقاساس (هشير حاليا) ، والفيطنة وربض قفصة ، وغيرها ، وقارن محمد المرزوقي ، المهدية ص ٢٢ .

(٩٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٥ ، افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٨ .

(٩٥) من ذلك ما قاله بعض شعراء أفريقية وقتئذ ، من قصيدة أنشدتها بمناسبة نزول

الامام عبيد الله للمهدية ، ومنها :

حطت الرحل في بلد كريم	دعتك لك الملائكة السكرام
لقد عظمت بأرض النسر دار	لها الصلوات تقبل والصليام
هي المهدية المسمر المرقى	كما يتبسامة البلد الحرام

هذا ، وان كان نص ابن عذارى يورد تلك الأبيات من أجل بيان ما كان يستحله المهدي .

وما كان يجوز عثمه من الأشعار ، البيان ، ج ١ ص ١٨٤ .

وكنتيجة لذلك كان من الطبيعي أن يصيب رقادة الضعف والوهن الذي كان يزداد مع مرور الوقت الى أن خربت على عهد المعز : * معد بن اسماعيل (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٦) *

وهكذا خرج قواد بعض الحملات في تلك الفترة حين كان بنساء المهديّة على وشك الانتهاء يحملون اللواء من رقادة ، ليعودوا لتقديم الحسابات عن انجازاتهم في المهديّة ، كما فعل أبو القاسم ولى العهد بعد حملته الثانية على مصر سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م ، وكما فعل مصالة بن جبوس ، بعد حملته الثانية على فاس وسجلماسة سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م (١٦) *

حكم مركزي يعتمد على قاعدتي الترهيب والترغيب :

والظاهر ان عبيد الله المهدي بعد أن أطمئن في مدينته الحصينة ، بدأ يمارس سياسة تهدف الى تأكيد سلطة الحكومة المركزية (المهديّة) ، وكان من بين الوسائل التي استخدمها سياسة دعوة أبناء الزعماء في القبائل والأقاليم المختلفة ، وخاصة من كان يخشى خطره منهم في الإقامة في العاصمة ، في كنف الامام لتعليمهم وتدريبهم ، ملوكيا على أساليب الحكم والسياسة ، تهيئة لهم لخلافة آبائهم في بلادهم . وفي الوقت الذي كان هؤلاء الأمراء الصغار يلقون الرعاية بصفتهم ضيوفا فوق العادة ، كانوا في نفس الوقت بمثابة رهائن ثمينة يضمنون ولاء أولياء أمورهم وهي السياسة التي تمارس حتى يومنا هذا ، من قبل الدول والجماعات : ما عظم منها وما صغر ، مع اختلاف أساليب الحصول على الرهائن *

ومن الواضح أن تطبيق نظام الضيوف والرهائن لأول مرة كان في جبل أوراس ، الذي ولع أهله بالحرية وعدم الخضوع للسلطة ، وذلك عندما طلب قائد الاقليم الكتامي أبو معلوم فجلون من أهل الجبل سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م ، « رفع عيالاتهم الى المهديّة » ، الأمر الذي أتى برد فعل عكسي اذ ناروا به وقتلوه غيلة ، كما فتكوا برجال حاميته الكتامين (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) *

وفي نفس هذا الوقت (٣١٠هـ / ٩٢٢م) قامت قبائل نفوسة بمنطقة

طرابلس بالثورة - وان لم تعرف أسبابها - بزعامة رجل اسمه (أبو بطة) وعظمت الثورة الى حد أنهم هزموا الجيش الذي سيره اليهم المهدي بقيادة علي ابن سلمان الداعي ، وشنتوا جموعه حتى اضطر الى اللجوء الى طرابلس . والظاهر أن الداعي لم يقتنع بجدية رجاله في القتال وذلك أنه عندما كتب الى المهدي بخبر الموقعة ، انتقم الامام من المنهزمين ، بل أصدر الأوامر الى عامله علي قابس ، علي ابن لقمان ، يقتل من يمر به منهم ، بينما أمده علي ابن سلمان بالجيوش التي شنت الحصار على نفوسة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) . هذا ، ولم يمنع اضطراب منطقة طرابلس من أن يمتد نشاط القوات الفاطمية الى داخل الحدود المصرية ، حيث اشتبكت مع القوات هناك في ذات الحمام ، غير بعيد من الاسكندرية ، الأمر الذي كانت له أصدأؤه على منبر المسجد الجامع بالقيروان (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) .

وبذلك تكون المهدي قد نجحت في سنواتها الأولى في توطيد الأمن في أفريقية والأقاليم الشرقية اعتمادا على سياسة الترغيب والترهيب التي مارسها المهدي بالنسبة لحصوم الدولة أو العاملين لحسابها ، وكان عليها أن تمكن لنفسها بعد ذلك في الأقاليم الغربية ، اعتمادا على نفس السياسة التي تعنى التشدد في الحساب ، وفي الثواب والعقاب .

الصراع ضد الزنانية في المغرب :

يلاحظ القاضي النعمان اضطراب بلاد المغرب عقب النقلة الى المهدي (٩٧) ، وهذا ما يفسر كيف ان مصالحة لم يمكث في حضرة الامام الا اياما قليلة خلال زيارته لها سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م ، حتى صدرت اليه الأوامر باللحاق بولايته في تاهرت ، فخرج من المهدي في شهر شعبان من تلك السنة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) . وكان على مصالحة أن يواجه اضطراب الزنانية في المغرب الأوسط بقيادة محمد بن خزر ، الأمر الذي زاد من المواجهة السافرة مع الأمويين بالأندلس ، من أجل الهيمنة على بلاد المغرب المواجهة للعدوة وسواحل الأندلس وبضمنها بلاد الأدارسة في فاس وغيرها وهي الأقاليم التي أصبحت بفضل ذلك الصراع أشبه بالأرض التي لا صاحب لها في جبهة القتال (no man's land) ، كما يقال .

(٩٧) افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٨ - حيث القول : « والثبات أمر المغرب » وذلك بمناسبة خروج أبي القاسم الى هناك سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م .

مقتل مصالحة أئام شحمذ بن خزر :

هكذا خرج مصالحة من ناهرت فى سنة ٣١٢هـ / ٩٧٤ م لرب زفاته ،
وتأديب زعيمهم محمد بن خزر . واذا كانت الرواية تشير الى أنه أنزل
بالزفانيه عقوبة شديدة فى منطقته شلف ، « فاداخ بلدهم ، وقتل وسبى » ،
فان الحمنة انتهت بكارثة بالنسبة للقائد الفاطمى الذى لقى مصرعه فى ميدان
القتال ، عندما انتزى محمد بن خزر أخذه على غرة ، وهو فى قلة من أصحابه ،
وذلك فى ٢٠ من شسعبان من نفس السنة / ٢١ نوفمبر ٩٢٤ م (٩٨) .
ولا تمدنا النصوص بمن خلف مصالحة فى ولاية ناهرت ، وان رأينا ابن
أخيه : حميد بن يصل الكناسى متربعا على دست الحكم فى عاصفة المغرب
الأوسط ناهرت ، وان كان ذلك فيما بعد منذ سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢ م ،
بناسبة الصراع من أجل السيطرة على فاس (٩٩) .

والحقيقة أنه قبيل الوقت الذى لقى فيه مصالحة مصرعه أمام ابن خزر ،
كان ابن عمه موسى بن أبى العافية ، حليف الفاطميين ، يلقي هزيمة منكرة
على يدى حسن الحجام الادريسي ، صاحب فاس (عدوة القرويين) ، وذلك
فى اللقاء الذى تم بينهما فى (وادى المطاحن) فيما بين تازا وفاس . اذ فقد
موسى فى المعركة أكثر من ٢٠٠٠ (ألفى) رجل ، على رأسهم ابنه : منهال (١٠٠)
والظاهر أن موسى بن أبى العافية نجح فى تقويم الموقف ، كما يقول
ابن خلدون ، اذ رجع الحسن الى فاس مفلولا ، الأمر الذى أدى الى أن يغدر
به عامله على عدوة القرويين ، وهو حامد بن حمدان الهمداني ، الذى انتهز
الفرصة باكتساب رضا موسى ، فأرسل اليه يستدعيه الى دخول فاس (١٠١) .

(٩٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٩ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٥ - حيث يجعل مقتل
مصالحة فى حملته الى المغرب سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢ م ، على يدى ابن خزر .
(٩٩) عيون الأخبار ، للداعى ادريس ، ص ٧٢ ، العبر ، ج ٧ ص ٢٦ ، القرطاس ،
ص ٨٣ .

(١٠٠) انظر القرطاس ، ص ٨٢ - الذى يجعل الوقعة فى سنة ٣١١هـ / ٩٢٢ م ، ويجعل
القتلى من جانب موسى بن أبى العافية ٢٣٠٠ رجل وفى جانب الحجام ٧٠٠ رجل . وقارن
ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٨ - حيث الاشارة الى أن موسى كان يتولى لبني أمية - وذلك حسبما
سوف يكون على ما نرى .

(١٠١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢٤ ، وقارن القرطاس ، ص ٨٣ حيث تقدم الرواية
تفصيلات شبة قصصية عن دخول الحسين الى المدينة وحده ، دون جيش ، ودخول حامد عليه
فى داره ليلا حيث قينه وحبسه عنده وأغلق أبواب المدينة فى وجه عسكره .

ولكنه بعد أن تمكن موسى من حيا عدوة القرويين سلما ، ودخول عدوة الأندلس عنوة ، لم يتم الوثام بينه وبين حامد بن حمدان بسبب مطالبة ابن أبي العافية بتسليم الحسن الحجام ليأخذ منه بثأر ابنه ، الأمر الذى اضطر حامد الى ترك فاس واللجوء الى المهديّة (١٠٢) . وبذلك خلا الجو لموسى ابن أبي العافية ليس للاستيلاء على فاس ثقط ، بل ولتكوين دولة مغربية ، عرفت عند الكتاب باسمه .

اجلاء الأدارسة على عن بلادهم : فاس :

وهكذا انتهى الأمر ، كما تنص رواية البكرى ، بأن أجلى موسى الأدارسة أجمعين (عن بلادهم) حتى اضطروهم الى اللاتجاه الى مقلهم فى حجر النسر الذى بنوه سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م ، وبذلك يكون موسى قد استولى على جميع المغرب ، كما استخلف ابنه على فاس . وظل الحال على هذا المنوال الى سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م ، أى قبل سنة واحدة من وفاة المهدي ، حينما قدم حميد ابن يصل ، ابن أخى مصالة ، ووالى تاهرت ، ليعيد حامدا واليسا على فاس من جديد وان لم يلبث أن قتل ، ربما بتدبير موسى بن أبي العافية ، وذلك ان قاتله : أحمد بن بكر الجندامى بعث برأسه الى موسى . وكان من الطبيعى أن يلقى المهدي وهو فى آخر أيامه بتبعه تلك النكسة على حميد ابن يصل الذى آتهم بالتقصير فى مواجهة موسى بن أبي العافية ، وأنه عاد من المغرب الى المهديّة بدون اذن فكان جزاؤه السجن ، وان كان قد هرب بعد ذلك الى الأندلس (البكرى ، ص ١٢٧) .

والمهم من كل ذلك أن أحوال المغرب كانت قد بدأت تضطرب بشكل يثير القلق ، بفضل أعمال الحصوم المملتين منهم ، من الزناتية ، مثل : محمد بن خزر الزناتى ، الذى بلغت به الجرأة الى حد قتل مصالة (سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م) أو الأصدقاء المتلونين ، مثل موسى بن أبي العافية .

(١٠٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣١ - ١٣٥ - حيث مزيد من التفاصيل ، عن : قتل عامل عدوة القرويين : عبد الله بن ثعلبة وتولية محمد أخى موسى ابن أبي العافية مكانه ورفض حامد تسليم الحسن ، بل والايماز اليه بالفرار ، حيث سقط وهو يتنقل من السور فانكسرت ساقه قبل أن يموت مستخفا فى عدوة الأندلس بعد ٣ (ثلاثة) أيام ، وقارن روض القرباس ، ص ٨٣ حيث اصفاه الشكل القصصى الاخبارى على الرواية ذات الطابع الملقى بالنسبة لحسن والشرفاء الأدارسة . وقارن البكرى ، ص ١٢٧ - حيث الاشارة الى حرب محارب ، ابن والى فاس عبد الله بن ثعلبة ، الى قرطبة أو الى المهديّة ، الأمر الذى يعبر بشكل عام عن تذنب الأمرء المحليين بين القوتين الكبيرتين وقتذاك ، فى المغرب والأندلس أى الفاطميين والأمويين .

محمد بن خزر يهدد تاهرت :

والحقيقة ان محمد بن خزر كان قد استأسد في المغرب الأوسط ، بعد انتصاره هذا ، حتى انه ابدأ يهدد تاهرت ، عاصمة الأقليم ، حيث زحف إليها في السنة التالية ٣١٣هـ / ٩٢٥م ، وهدد حاميتها الصغيرة المكونة من ٣٠٠ (ثلاث مائة) رجل بقيادة واليها فضل بن حبوس ، الذي أرسل يستنجد بالمهدى طالبا المدد ، رغم ما تقوله الرواية من أنه هزم بن خزر (١٠٣) كما كان هذا الأخير يهدد المنطقة في السنة التالية ، ٣١٤هـ / ٩٢٦م أيضا . والمهم ان محمد بن خزر ومن معه من زناته كانوا يستخدمون الأسلوب البدوي في الحرب ، وهو المبني على طريقة الكر والفر ، التي تعنى حرب الجماعات الصغيرة ذات الامكانيات الخفيفة في مواجهة الجيوش النظامية البطيئة الحركة بمتادها الثقيل وخططها الحربية المحددة . وهكذا عندما سير المهدي الجيوش بقيادة موسى بن محمد الكتامي ، انهزم محمد بن خزر من أحواز طبنة ، عاصمة الزاب الى الصحراء ، بينما ترك أخاه عبد الله بن خزر كميناً لكي يفاجئ القوات الفاطمية ويهزمها في وادي مطماطة . ووجد المهدي صعوبة كبيرة في مواجهة ابن خزر عندما تحالفت معه قبيلة لماية ، وتمكنت من رد القوات الفاطمية بقيادة اسحاق بن خليفة ، وكذلك الامدادات التي تبعتها . وبذلك خضعت البلاد ما بين الزاب والجريد لمحمد بن خزر الذي جعل ولايتها لأخيه عبد الله الذي قاد النضال ضد الفاطميين (ابن عذاري ج ١ ص ١٩١) .

خروج أبي القاسم الى المغرب :

وفي هذه الظروف الحرجة كان على المهدي أن يضع ثقته في أبي القاسم ، وفي العيد لتقويم الموقف ، فكان خروجه من المهديّة نحو المغرب يوم الخميس ٩ صفر سنة ٣١٥هـ / ١٥ ابريل ٩٢٧م (١٠٤) بينما كان على القوات المصاحبة له ، مما أمر المهدي بحشدده من : قبائل كتامة وجنود أفريقية ، وعبيد

(١٠٣) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٥١ حيث النص على ان رسالة فضل وصلت المهديّة في شعبان - اكتوبر ٩٢٥م ، وان الامدادات التي أرسلها المهدي كانت بقيادة علي بن سليمان بن كافي ، والمعلم بن محمد (الملوسي) ، ومحمد بن ثعلبة .
(١٠٤) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٥١ - حيث الرواية ذات التفاصيل الدقيقة ، سواء في الأحداث او في التوقيت ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ١٩١ - حيث الخميس ٧ من صفر بدلا من ٩ .

القصر ، أن تتجمع تحت قيادته على طول الطريق ، فى : القيروان ، حيث وافاه عسكرها فى سبخة بنى معروف ، وفى الأربس ، حيث وافاه خليل ابن اسحاق التميمي على رأس ٤٠ (أربعين) ألف رجل من عساكر افريقية (عيون الأخبار ، ص ٥١) .

ورغم ورود الخبر من عامل تاهرت بفرار ابن خزر ، سارت الحملة فى الطريق المرسوم لها الى باغاية حيث كان الاعداد الأخير للحملة ، خلال شهر ونصف ، حتى آخر ربيع الثانى / ٣ يوليه . فغى باغاية واقتنه قبائل : مزانة ، وهوارة ، وصدينة ، وعجيسة ، وأهل تيجس ، وقصر الافريقي وزانة وغيرهم (عيون الأخبار ، ص ٥١ - ٥٢) . وهنا مارس أبو القاسم سياسة الترهيب والترغيب التى تطلبت أخذ الرهائن من أبناء تلك القبائل ، ومن وجوه الناس الى المهدي ليقيموا فى كنف المهدي ، وتحت رقابته (١٠٥) .

وكان الرحيل من باغاية فى ٢ جمادى الأولى / ٦ يوليه والوصول الى سطيف فى اليوم العشرين / ٢٣ يولية ، حيث كان عليه أن يقرر الأمور فى بلاد كنامة ، الأمر الذى تطلب تتبع المنشقين ، من : قبائل مزانة ، وكيانة ، وبنى كملان . ولقد سار القائد جعفر بن عبيد فى ١٦ جمادى الثانى / ٣ أغسطس الى قلعة « عقار » المنبعا لحصارهم ، وتمكن من اجتياح الموضع بعد ما أنزله فيهم ، من القتل والاحراق ، ثم أنه أعلن الأمان لكل من دخل فى الطاعة ، وأمرهم بالحق بالعسكر فى تاهرت (١٠٦) .

وكان من أهم ما تمخضت عنه حملة سطيف هذه ، تقرير بناء قاعدة فى المنطقة ، فى أرض بنى برزال وبنى كملان ، وهى : مدينة المسيلة التى عهد بينائها الى على بن حمدون الأندلسى وهو أخو جعفر ، على أن يتخذها مقرا له مع عجيسة ، وجماعة من عبيد الحضرة (١٠٧) .

مطاردة الزناتية :

وعلى طول الطريق نحو الغرب ، كان أبو القاسم يقوم أمور البلاد

(١٠٥) عيون الأخبار ، ص ٥ ، وانظر فيما سبق ، ص ١٠١ - الأمر الذى كان قد اتار أهل جبل أوراس .

(١٠٦) عيون الأخبار ، ص ٥٣ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩١ - حيث الاشارة الى قتال بنى برزال ومعوم من تكلالة ببعض الجبال والانتصار عليهم .

(١٠٧) عيون الأخبار ، ص ٥٣ - حيث الاشارة الى انها أرض فيها مياه ، جارية وفحوص واسعة كثيرة الزرع .

والقبائل ، كما فعل بالزاب في أواخر جمادى الثاني / ١٦ أغسطس ، وفي هوارة حيث قضى شهر رجب / سبتمبر ، كما أمر بمعاينة العصاة من الزناتية بقطع الميرة عنهم (عيون الأخبار ، ص ٥٣) . وخلال شعبان / أكتوبر كان يشق بلد صنهاجة ، شمال الزاب وشرقي كتامة ، حيث نهر شلف . وفي سوق حمزة التي وصلها في ١١ شعبان / ١١ أكتوبر ، وافته جماعة كثيرة من زناتة يعلنون الطاعة ، ويطلبون الأمان ، فعفا عنهم ، وأغدق عليهم الأموال ، الأمر الذي جعل غيرهم يحذون حذوهم (١٠٨) . فمع الاتجاه نحو الغرب كانت طبيعة الأرض تزداد وعورة حتى تطلب الأمر من أبي القاسم أن يمشى راجلا لصعوبة المسالك ، وهو يتابع عبد الله بن خزر (بن تبادلت) أخا محمد ، الذي كان قد اعتصم بقلعة جمة ، بجهة تاهرت ثم انه هرب عندما اقترب منها أبو القاسم في آخر رمضان / ٢٨ نوفمبر (عيون الأخبار ، ص ٥٤) .

وهنا تأخذ المطاردة شكلا دراميا مثيرا ، حيث يواجه أبو القاسم ، الى جانب طبيعة الأرض الصعبة ، سوء الأحوال الجوية من الأمطار وكثرة الوحل ، الى ما تدبره القبائل الثائرة من : مطاطة ، وزبرقة ، من مفاجأة العسكر الفاطمي ليلا ، الأمر الذي أحبطه الأمير بالاستعداد للقتال ، عن طريق ايقاد السرج والمشاعل في كل مكان ، مما أفضى ما كان عبد الله بن خزر قد أعده من الكمائن ، الى جانب حسن أداء القائد خليل بن اسحق (عيون الأخبار ، ص ٥٥ - ٥٦) . وهكذا نجحت الجيوش النظامية ، بقطعها المختلفة وخططها المرسومة في اقتحام معقل مطاطة الذين طلبوا الأمان فلبى نداءهم ، بينما نجح ابن خزر - رغم تيقظ خليل - من الهرب (عيون الأخبار ، ص ٥٧) . وبعد ذلك يأتي فتح زبرقة في المحرم من سنة ٣١٦هـ / فبراير - مارس ٩٢٨م (١٠٩) بعد حصار شديد ، ويقظة من جانب خليل (أخي يعقوب) ابن اسحق على رأس أهل أفريقية ، وشجاعة نادرة من ولي العهد الذي وقف

(١٠٨) عيون الأخبار ، ص ٥٣ - ٥٤ - حيث النص على ان زعيم جماعة الزناتية هو

مصعب بن مانا الزناتي .

(١٠٩) عيون الأخبار ، ص ٥٩ - ٦٠ - وان جعل ذلك خطأ في سنة ٣١٤هـ / ٩٢٦م .

وقارن ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ - حيث التاريخ الصحيح ، وان جعل المدينة المفتوحة « برقة » بدلا من زبرقة (في البلاد التونسية) - وان كانت طريقة الحوليات التي تجزء الأحداث في سنوات متوالية تجعل حملة سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م وكأنها قائمة بذاتها ، غير مرتبطة ببدايتها في سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م .

باصرار في أول الصفوف وهو بكامل عتاده وسلاحه ، من : الدرع والسيف والبيضة على الرأس ، الأمر الذي انتهى بالوصول الى السور وهدمه بالفؤوس ، وكل ذلك رغم المقاومة العنيدة من جانب المدافعين الذين كانت تتقدمهم النساء ، يحرضن على القتال ضربا بالدفوف ، مما تطلب الانتقام منهم باستباحة المدينة طوال الليل حتى طلوع الشمس (١١٠) .

وعندما وصلت الأخبار بالفتح الى المهدي بعد طول انتظار ، وعرف ما لاقاه ابنه ولى العهد من الصعوبات ، وهو ما يركز عليه ابن عذارى ، اختلطت لديه مشاعر الفرح بأحاسيس الأسى ، فغلبه التأثر والبكاء (١١١) .

نجاح الحملة التأديبية :

وبذلك ظهر وكأن أبا القاسم حقق ما كان يرجوه الامام الوالد ، من حملته التأديبية في المغرب الأوسط ، اذ أتته انتقائل في معسكره بـ « تاغشمت » قرب زبرقة ، طائفة خائفة ، وهم لمائة ومطاطة ومكناسة وقصيرة وهوارة ثم أهل العيون ، وبعد أن هدم سور مدينة عبد الله بن خزر (ابن تباذلت) ، رحل أبو القاسم الى تاهرت يوم ٣ صفر ٣١٦هـ / ٢٨ مارس ٩٢٨م ولكن جيشه النظامي « لم يكن ليستطيع متابعة ابن خزر الذي هرب في قفار الرمل والسباح الشبيبة بالبحار » (١١٢) . وهكذا كان عليه أن

(١١٠) عيون الأخبار ، ص ٦١ - ٦٣ - حيث الاشارة الى ان المدافعين عندما ياسوا من الصود مالوا على نسائهم وأولادهم فقتلهم بأيديهم واستماتوا . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ - حيث الاشارة الى ان أهل المدينة عندما نظروا غلبة الشيعة عليهم ، أحرقوا الأمتعة وعرقبوا الدواب والمواشي ، وقتلوا حتى قتلوا ، وأسر منهم من استأسر ، وانتهب ما في الحسن . (١١١) البيان ، ج ١ ص ١٩١ - حيث الاشارة الى تأخر كتب أبي القاسم على المهدي لبعض الوقت فلما وصلت وعرف ما كان يلاقيه ولى عهده من المتاعب غلبه البكاء ، وقال للمحيطين به ، من أفراد الهاشمية : « هذا مولاكم يذكر في كتابه أنه أقام في مناخ واحد شهرا كاملا ، عليه المطر كل يوم بالندى والآصال ، وأنه مشى عقابا كثيرة راجلا ، اذ لم يستطع الركوب فيها لوعرها ، ويقنت كل يوم بيضة أو نحوها لكثرة الذباب في المسكر . وقارن العيون والهدائق ، ج ٤ ق ١ ص ٣٣٩ - حيث الرواية المأصرة المنسوبة الى ابن الجزار ، ومستندة الى ابن المهدي : « أبو عبد الله (أحمد) الذي حدثه بها مباشرة ، وتختتم بأبيات من الشعر تعبر عن شوق المهدي وقلقه وأولها : يا وحشتي للغريب في البلد النازح ماذا بنفسه صنعا ، وعن الأمير أحمد بن المهدي أنظر ص ١٠٩ وهـ ١١٣ .

(١١٢) عيون الأخبار ، ص ٦٣ - ٦٩ ، وقارن العيون والهدائق ، ج ٤ ق ١ ص ٢٣٩ - حيث النص على فتح مطاطة وزبرقة وزناتة وهوارة ولماية ، وكل من خالطهم من الصفرية

يرجع قافلا من تاهرت بعد شهر (ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٩٢) الى بلاد الزاب . حيث بلغ طبنة ، ورحل عنها بعد حين في ٣ رمضان / ٢٠ أكتوبر ٩٢٨ م .
وغير بعيد منها وافاه البريد بكتب المهدي يعرفه بما تم لهم من الفتوح في الروم بصقلية وقلورية (كلا بربا) وفي مصر بذات الحمام ، حيث غنم العسكر بنودا وأعلاما أرسل بعضها الى أبي القاسم الذي عرضها منكوسة على رجال جيشه (١١٣) .

الاحتفال بالنصر مع بشائر ثورة أبي يزيد :

وكانت عودة أبي القاسم مظفرا الى المهدي في ١٥ رمضان سنة ٣١٦ هـ / ١ نوفمبر ٩٢٨ م بعد حوالي ٢٠ (عشرين) شهرا من خروجه منها . وأقيم الاحتفال بالنصر في الايوان (القصر) الكبير ، حيث جلس ، بصفته ولي العهد ، الى جانب الامام يتقبلان التهنئة من وفود كبار المهتمين (عيون الأخبار ص ٧٠) .

والصحيح أن « أعياد النصر » التي أقيمت في المهدي لم تكن لتعبر عن حقيقة الأوضاع في بلاد الزاب أو في المغرب من أوسطه الى أقصاه . ففي نفس السنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م كانت بشائر حركة أبي يزيد ، صاحب الحمار في بلاد الزاب وما يتاخمها من بلاد الجريد ، ولا بأس أن يكون ذلك قد حدث في ثنانيا انتفاضة الزناتية بقيادة ابن خزر في ذلك الاقليم . فقد كان ظهور أبي يزيد كآمر بالمعروف على مذهب الخوارج النكار في مدينة تقيوس حيث اشتغل بتعليم الصبيان ، الأمر الذي أدى الى الثورة على عامل تقيوس وقتله . ورغم هرب أبي يزيد أمام مطاردة رجال المهدي (انظر فيما بعد ، ص ١٧٢) فإن محمد بن خزر نجح في السنة التالية (٣١٧ هـ /

والاباضية - وبلغ تاهرت ، وابن عذارى ، ص ١٩٢ - حيث الرواية المختصرة لا تذكر من أسماء القبائل الا حوارة ولساية ، كما تنحور قراءة « تاغشمت » فيها الى « نامتت » ، حيث حملت الاقامة فيها شهرين مناظرا لابن خزر الذي كان بموضع اوران بعد .

(١١٣) عيون الأخبار ، نفسه ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ - حيث يجعل سبب عودة أبي القاسم هو ما وصله من ابنه قاسم يعلمه بما تحدث به الناس من مبايعة عبية الله لابنه أحمد المكنى بأبي علي ، وان هذا الأخير كان قد صلى بالناس عيد الفطر وعيد الأضحى . فأقلقه ذلك وقدم المهدي .

٩٢٩ م) في الاستيلاء على كل بلاد الزاب (١١٤) ، بينما كان الأدارسة يتراجعون أمام موسى بن أبي العافية ، الأمر الذي دعا بني محمد منهم ، إلى بناء المدينة الحصينة ، المعروفة بـ « حجر النسر » ، لتكون مقلا لهم (١١٥) .

تحصين تاهرت :

ورغم أن رواية ابن عذاري لا تشير إلى رد فعل من جانب المهدي بالنسبة إلى تلك الأحداث ، فأغلب الظن أن خروج حميد بن يصل سنيته ٣١٨ هـ / ٩٣١ م من المهديّة إلى تاهرت ، كان بموافقة ضمنيّة منه إن لم تكن بإذن صريح ، على عكس ما تنص عليه الرواية ، وذلك أنه أصلح سور تاهرت وبنى فيها قلعة تحصن بها ، كما عمل على عدم فساد العلاقة بينه وبين العامل السابق : حماد بن هاشم ، فرده إلى بلده بعد أن صاهره ، كما أصلح ما كان بين حماد وبين مناقسه : سيار بن عبد الوهاب . أما عن تفسير خروج حميد بغير إذن بسبب استدعائه عن طريق الطلب من والده : يصل ابن حيتوس (وإلى المنطقة الشرعي) توجيهه إلى المهديّة دون تأخير ، فمن الواضح أن المهدي لم يكن حائقا على حميد الذي لم يلق منه سوءا (ابن عذاري ج ١ ص ١٩٥ - ط بيروت ، ص ٢٧٦) .

التحالف بين موسى بن أبي العافية (في المغرب) والأمويين في الأندلس :

دخول سبّة في طاعة الناصر :

والمهم أن موسى بن أبي العافية رأى ، لكي يضمن تثبيت أقدامه في المغرب الأقصى ، مما قد يهدده من أخطار ، أن يتحالف مع الأمويين في الأندلس . ففي السنة التالية (٣١٩ هـ / ٩٣١ م) كاتب عبد الرحمن الناصر بقرطبة ، يعرب له عن رغبته في الدخول في طاعته ، واستعداده

(١١٤) ابن عذاري ، ج ٢ ص ١٩٤ ، وقارن عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٧٠ ، وقارن ابن خلدون ، العبر ، ج ٧ ص ٢٥ - حيث النص على ملك محمد بن غرر السلف وتنتس وهران ، وأنه ولي عليها ابنه المنبر ، وبث دعوة الأموية في المغرب الأوسط عند تاهرت .

(١١٥) أنظر : البكري ، ص ١٢٧ ومن ١١٣ - ١١٥ - حيث تحديد حجر النسر في منتصف الطريق تقريبا ما بين سبّة وفاس ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ١٩٤ . ط : بيروت ، ص ٢٧٤ - حيث يتبع ذلك بأعمال موسى بن أبي العافية ضد بني صالح ثم أبي بكر ، وشهد الحسن بن أبي العيشي (الادريسي) مما حدث في سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م . وهو ما نشير إليه في موضعه - أنظر فيما بعد ص ١١٢ .

زواغة لغزو الحسن في عقر داره . وعلى طول الطريق استولى على بلد عامر ،
أخى الحسن الذي تقاعس عن مواجهته ، فانتقم منه بإحراق المزارع في سهل
جراوة ، الأمر الذي أرغم ابن أبي العيش على طلب الصلح . وانتهت
التسوية الى رد الحسن ما كان أخذه من مال موسى (ابن عذاري ، ج ١ ص
٢٠١ - ط بيروت ص ٥٨٥) ، وعودة جراوة الى صاحبها الحسن .

ولكن الصراع بين رجل المغرب الكبيرين لم يلبث أن ثار من جديد
عندما هاجم موسى مدينة أوزقور التي كانت في طاعة الحسن الذي استجاب
لطلب النجدة من أهلها ، فقامت الحرب بين الطرفين ، وكان أن فضل أهل
جراوة الرجوع الى هيمنة ابن أبي العافية ، الأمر الذي أدى الى معاناة أهل
المنطقة من مآسى تلك الحرب التي قسمتهم على أنفسهم ، دون طائل (١٢١) .

الصراع ضد زناته :

وكان من الطبيعي أن تثير مثل هذه الأخبار القلق في نفس المهتمين
الذي حاول انقاذ الموقف ، فكتب الى زعماء القبائل هناك يحرضهم على
طاعته ، ويعدهم بإرسال الامدادات اليهم ويمنيهم بالنصر الى جانبهم والظفر
(ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٢ - ط بيروت ، ص ٢٨٦) . ولكن الظروف لم
تكن مواتية وقتئذ ، فبينما كان ابن أبي العافية يحقق ما سلفت الاشارة
اليه من الانجازات في سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، اضطربت متطرفة تاهرت
بموت واليها يصل بن حبوس ، اذ اختار أهلها على بن مصالة ليل أمرهم ،
وكتبوا بذلك الى المهدي ، الذي لم يقبل بطبيعة الحال ، الأمر الواقع ، فجعل

(١٢١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٢ - ط : بيروت ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ - حيث النص على
ان أهل جراوة كاتبوا ابن أبي العافية ومكنوه من دخول المدينة . هذا ، وتكثير بقية النص
الى ان ابن أبي العافية قصد الناصر (المنصور أصلا) الذي دعا أهل جراوة الى الأمان ، لتجاوبه
بعضهم وتغلب على سائرهم ، وقتل بها جماعة . وقيل انه (ابن أبي العافية) اخذ زوجة ابن
أبي العيش القرشبية ، وأولاده ، وخيله وسلاحه ، وأحرق المدينة بالنار واتصرف الى محلته ،
وبعث زوجة ابن أبي العيش الى أهلها مع نقاة أهل جراوة (ط : بيروت ، ص ٢٨٦) .
وأغاب الظن ان تلك الأحداث تكرر لنا سبقت الاشارة اليه عن الصراع بين موسى والحسن ،
الا اذا كان المقصود بجراوة هي قبائل المنطقة التي انقسمت على نفسها بالنسبة للدخول في
طاعة كل من الزعيمين ، الأمر الذي أدى الى اشتعال الموقف ، وتكرار مآسى تلك الحرب التي
يمكن وصفها بالأهلية - على نفس الوتيرة . وعن أوزقور التي تعتبر آخر حد صنعاجة ، انظر :
الكبرى ، ص ٦٥ .

الولاية الى حميد بن يصل وأرسله الى تاهرت في جيش كثيف ، فكان وصوله في ذي الحجة/ديسمبر (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٢ - ط بيروت ، ص ٢٨٩) . واذا كان حميد قد نجح في تهدئة الأحوال في تاهرت بانزال الهزيمة بزعماء العصيان في المنطقة ، في مطلع سنة ٢٢٠ هـ/يناير ٩٢٢ م (١٢٢) ، فان عزيمة موسى بن أبي العافية كانت وقتئذ ، تزداد قوة في بلاد المغرب ، فهو يسرع بمعاينة الأمير الزناتي محمد بن خزر عندما تحدها سنة ٣٢٠ هـ/٩٢٢ م ، وأعلن مؤازرته للمحسن بن أبي العيش ، فيخرج اليه من جراوة ، ويفاجئه على غرة ، ويبيزمه ويقتل رجاله (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٤ - ط بيروت ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠) .

اجتياح نكور والهيمنة على المغرب :

وهو في نفس السنة (٢٢٠ هـ/٩٢٢ م) يجتاح باسم الناصر مدينة نكور ، حيث يقتل صاحبها من بني صالح ، وهو : المؤيد بن عبد البديع بن صالح بن سعيد بن ادريس ويقيم الخطبة باسم خليفة قرطبة . ومن نكور يسير الى قاعدة الأدارسة في حجر النسر في منطقة جراوة ، ويرغم الحسن ابن أبي العيش على الالتجاء الى المرسى بأكاس ، من حيث أبحر الى جزائر ملوية ثم الى جزيرة أرشقول المنيعه - بساحل تامسان - وهناك تحصن بأهله ومواليه ، وان لم يمنع ذلك ابن أبي العافية من اكتساح المنطقة ، والاستيلاء على مدن مريجة وأرشقول بعد أن حارب الأدارسة ، من بني معجمه ، وأرغم من بقي منهم على دفع الفدية ، وتراجع قواد بني خزر وعمالهم . وبذلك خلصت البلاد ما بين تاهرت والسوس الأخصى لموسى ، ودخلت في مملكته (١٢٣) .

(١٢٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٤ - ط : بيروت ، ص ٢٨٩ - حيث أوقع حميد بن يصل بدوود بن مصالة ، وسنان وأبي جميل بن برنو ، وان خبر ذلك قرىء في كتاب المهدي على منابر أفريقية في ٢ جمادى الآخرة / ١٠ يولية .

(١٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٤ - ط : بيروت ، ص ٢٧٤ - حيث توجد الرواية ضمن أحداث سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م قبل أن تأتي ملخصة في أحداث سنة ٣٢٠ هـ / ٩٢٢ م (ج ١ ص ٢٠٤ - ط : بيروت ، ص ٢٩١) . والذي نرجحه هو أن يكون وضع تلك الأحداث من قبل ابن عذارى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (وكذلك الحال بالنسبة لروض القرطاس ، ص ٨٤) بمثابة تلخيص لأهم أعمال موسى بن أبي العافية ، وان موضح الانتصار الكبير لموسى على المحسن بن أبي العيش هو في سنة ٣٢٠ هـ / ٩٢٢ م ، والا لا كانت قلعة حجر النسر قد اكتسبت شهرتها في الحصانة والمنعة اذا كانت قد اجتاحت في سنة انشائها (٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) .

خُشَل رد الفعل الفاطمي :

وعكذا كان علي الهندي أن يسير في السنة التالية حميد بن يصل .
وفي صحبته حامد بن حمدان الهمداني ، نحو تاهرت وفاس ، حيث تبددت
أمامه قبائل زناتة ومكناسة (العبر ج ٧ ص ٢٦) ، بينما فر موسى
ابن أبي العافية الى بلدة تسول (١٢٤) ، كما فر ابنه مدين ، الذي كان يلي
فاس هاربا ، عندما تأكد من هذا النبأ . وعندئذ عين حميد لولاية فاس
حامد بن حمدان . والظاهر ان وصول القوات الفاطمية الى فاس أثار الحماس
في نفوس الأدارسة في منطقة جزاوة وحجر النسر حيث ثاروا على القوات
التي كان قد خلفها ابن أبي العافية تحت أمره « أبي قمح »
فهزموها (١٢٥) . ولكن ابن أبي العافية نجح في مقابل ذلك في إثارة فاس
على الفاطميين ، حيث قام أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي
على حامد فقتله وبعث برأسه ، وولده الى موسى الذي سيرها الى قرطبة ،
تأكيدا لولائه ، وإعلانا لهيمنة الناصر على المغرب . وكان ذلك الفشل سببا
فيما نزل بحميد - الذي كان قد عاد الى المهديّة من العقاب سجنا بتهمة رحيله
من المغرب بغير إذن ، دون مواصلة حرب ابن أبي العافية ، الأمر الذي سوف
ينتهي بهربه على عهد القائم ، سنة ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م ، من سجن المهديّة الى
الأندلس ، لكي يزيد في اشتعال الخصومة بين الأمويين والفاطميين ، وبثبر
الاضطراب في المغرب الأوسط بتحالفه مع الزناتية (سنة ٣٣٣ هـ /
٩٤٤ م) قبيل ثورة أبي يزيد (١٢٦) .

وهذا ما تؤيده رواية البكري (ص ١٢٧) التي ينقلها ابن عذاري ، كما ترى ، ويضحا في
قالها التاريخي - حيث النص على انتصارات موسى على الأدارسة واجلائهم عن مواضعهم ، الأمر
الذي دعاهم الى اللجوء الى (الانجاش في) « حجر النسر » الذي كان قد بنى سنة ٣١٧ هـ /
٩٢٩ م ، وكيف ان موسى اعتزم محاصرتهم واستنصالهم لولا احتجاج أكابر بلاد المغرب على أن
يفعل ذلك رجل من البربر بآل ادريس (العلويين القربشيين) ، وهو ما ترتب عليه الاكتفاء
بمراقبتهم من بعد ، بينما كان مدين بن موسى (بن أبي العافية) يخلفه على مدينة فاس ،
وذلك قبل قدوم حميد بن يصل من قبل الهندي الى المغرب في السنة التالية (٣٢١ هـ /
٩٣٣ م) - وانظر ما سبق ص ١٠٤ و ١٠٢ .

(١٢٤) البكري ، ص ١٤٢ ، القوطاس ، ص ٨٥ .

(١٢٥) البكري ، ص ١٢٨ ، القوطاس ، ص ٨٥ .

(١٢٦) انظر : البكري ، ص ١٢٨ ، وأبن خلدون ج ٦ ص ٣١٥ وج ٧ ص ٢٦ ، وانظر

فيما بعده ص ١٧٠ .

السياسة المالية على عهد المهدي :

أول ما نلاحظه فيما يتعلق بالسياسة المالية التي اتبعها المهدي ، هو أنها خالفت مسار السياسة المالية التي كان يتبعها الداعي أبو عبد الله منذ بداية نشر الدعوة الى انتهاء المطاولة أي الصراع بالظفر ، وإعلان الخلافة المهديية . فقد كان طابع سياسة الداعي المالية هو التخفيف ما أمكن عن دافعي الضرائب في الأقاليم المفتوحة ، كنوع من الدعاية التي تساعد على نشر المذهب الفاطمي الذي تقوم عليه الدولة الناشئة ، كما هو الحال بالنسبة لكل الدول الوليدة عندما تبشر باقبال عهد العدل والانصاف . وارتكزت سياسة التخفيف الضرائبي هذه على محورين ، أولهما : تقليدي ينادى بإسقاط الضرائب المستحقة في دولة الاسلام ، مما اعتبره البعض من قبيل المغارم وسموها بالمظالم ، فلا تبقى الا الضرائب الشرعية لحما ودما . فكان الدولة الجديدة تنادي - في نفس الوقت - بالعودة بالاسلام الى عصر النقاء الأول ، دونما بدع أو انحرافات . والمحور الثاني ، على العكس من ذلك ، تجديدي يتمثل في حق الامام في الخمس الذي يتعدى نطاق المال الرسمي للدولة ، وهو الوافد من القنوات الشرعية ، الى مال الرعية من شيعية الامام مما كانت تمارسه الشيعة في عصور الستر والكتمان ، قبل قيام الدولة (١٢٧) . وهذا الخمس اذا ظهر من الناحية الشكلية كضريبة اختيارية يدفعها القادرون كالصدقة ، فان أداءه للامام كان ، من حيث المضمون ، أشبه بقاعدة مركزية من قواعد المذهب من حيث النظر الى أموال الرعية بصفتها مكاسب سلمية مثل المكاسب الحربية ، يحق للامام فيها الخمس ، فهي علامة الولاء للملوسة ، والولاية أو الطاعة للامام هي أسمى أصول المذهب ، الأمر الذي سيلقى بظلاله المذهبية على بقية الضرائب ، وبالتالي على بيت المال جملة ، اذ يصبح للامام مطلق التصرف فيما يحويه من أموال الوارد والصادر ، مما يأتي ذكره .

(١٢٧) انظر : ابن الأثير ، ج ٧ ص ٤٤٥ - عن حق الامام عند قرانطة الكوفة حيث النص على ان الداعية الأول كان يطلب ديتارا ويزعم ان الامام ، وانظر : ص ٤٩٤ - عن الخمس عند القرانطة بالبحرين ، حيث النص على حضور رجل في سنة ٢٨١هـ / ٨٩٤م اسمه يحيى بن المهدي ، أظهر انه رسول المهدي الذي قرب وقت ظهوره ، وان الشيعة أجاخته هناك . وكان ابن المهدي عنده يغيب ويظهر ومعه كتب المهدي التي طالبت اول الأمر بأن يدفع كل رجل منهم مبلغا محددًا من المال ، وهو ٦٪ دينار ، قبل أن يطلب منهم أن يدفعوا الى يحيى خمسمائة أموالهم « فدفعوا له الخمس » .

هكذا كان أبو عبد الله الداعي برفض ضريبة الخراج (على أرض المسلمين) وان قبل التقاليد العمرية سياسة ، كما نظن ، في جباية ضريبة العشر (أنظر ج ٢ ص ١٧٢ وهـ ٥٦٥) ، كما حرص على دفع حق الامام في الحسن ، والمهدي لاجي ، في سجلماسة (ج ٢ ص ٢٦٥) ، وفي ضوء حق الامام أو حق الدولة ، لم يفرط فيما تركه الأغلبية من المتاع والأموال . فهو يتتبع تلك الأموال أينما كانت ، سواء في رباط سوسه ، حيث وجد ٢٨ (ثمانية وعشرون) حملا من المال كانت لزيادة الله الأخير أو في رقاده حيث جمع ما كان قد انتهب من الأموال هناك (أنظر فيما سبق ج ٢ ص ٥٨٢) .

الحاجة الى مزيد من المال :

والحقيقة أن الدولة الفاطمية الفتية ، على عهد المهدي ، كانت في حاجة الى المزيد من الأموال مع مرور الوقت ، من أجل تحقيق برنامجها الطموح في إقامة دولتها العالمية ، بل وقبل ذلك ، نشر الأمن في ربوع الدولة في مرحلتها المغربية الأولى ، الأمر الذي كان يتطلب حشد كل الطاقات في سبيل اعداد الجيوش والأساطيل ، وما تتطلبه من الحصون والمسكرات والأسلحة والعتاد والحيل والأزواد - فالخرب كمشروع استثماري ، كما يقال الآن ، لا بد لها من المال .

الخمس :

والحقيقة أن ترتيب ضريبة الخمس الخاصة بالامام ، وهو في دور الستة ، تعنى أن الحركة الشيعية الفاطمية كانت تعرف مسبقا ، أهمية المال بالنسبة لتحقيق أهدافها . فالمهدي خرج من سلمية محملا بالمال ، ولهذا ظهر في هيئة التجار ، وفي ذلك قيل انه كان يقدم الهدايا كما فعل مع أمير مصر في تسهيل مسيرته ، كما تقول بعض الروايات (أنظر ج ٢ ص ٥٨٨) وكذلك كان يفعل في سجلماسة حتى قيل ان الدنانير الذهبية التي كان يخرجها أو ينفقها هي التي لفتت إليه الأنظار فكانت سبب اعتقاله (١٢٨) .

وهكذا كان من الطبيعي أن يهتم المهدي بجمع المال منذ الكشف عن شخصيته بعد استنقاذه في سجلماسة التي كانت من أسواق الذهب الهامة ، إذ خرج منها ترافقه أحمال التبر التي غرمها أهل المدينة بحجة

(١٢٨) أنظر ما سبق ، ج ٢ ص ٥٦٥ وهـ ١٢٧ ، ص ٥٩٢ وهـ ٢١١ .

أساءتهم الى الامام (ما سبق ج ٢ ص ٥٩٦ ، ٥٩٧) . وفى الطريق الى القيروان رأى عبيد الله المهدي أن يمر بأيكجان حيث كانت تحفظ الخزانة والأموال بمعرفة الدعاة من مشايخ كتامة فأخذها منهم ، الأمر الذى ساعد على فتور العلاقة معهم ، من غير شك (١٢٩) . وقريباً من هنا ما حدث فى القيروان عندما استقبله فقهاؤها وهنأوه وسألوه الأمان ، فأمنهم فى أنفسهم وذراريهم ، دون اشارة الى الأموال رغم سؤالهم له ، الأمر الذى أدى الى أن « يخافه أهل العقل من ذلك الوقت » (١٣٠) . بمعنى أن أهل القيروان كانوا عرضة للغرامة أو المصادرة .

الغرامات والمصادرات :

وهكذا كانت الغرامات والمصادرات واستصفاة الاموال كعقوبات جماعية أو فردية ، من مصادر دخل بيت المال . ففي سنة ٣٠٠هـ / ٦١٢م عندما أخرج المهدي جيوشه الى طرابلس أغرم أهلها جميع ما أنفقه على ذلك الحملة (ابن الأثير ج ٨ ص ٦٦) ، وعندما سار حياسه فى السنة التالية ٣٠١هـ / ٦١٣م نحو المشرق ، كان كلما دخل مدينة قتل أهلها وأخذ أموالهم كما أغرم أهل برقة ١٠٠ (مائة) ألف دينار تحت تهديدهم بالقتل ، وأخذ جميع أموال بنى حمال المزاتى بدعوة أنهم أساءوا الى الامام عند فدومه من مصر ، وسرقوا بعض ماله ومناعه (١٣١) . ورغم ما تقوله الرواية من أن المهدي اعتذر لأهل برقة ، وحلف بأنه ما أمر حياسه بشيء من ذلك فان هذا الأخير عندما دخل الأراضى المصرية فعل بها مثلما فعل برقة ، من : قتل الناس وأخذ أموالهم ، (ما سبق ج ٢ ص ٥٨٩) ، هذا ، كما كانت أموال أهل برقة هدفا لقوات المهدي التى دخلتها سنة ٣٠٤هـ / ٩١٦م ، بقيادة أبى مدين الذى استصفى أموالهم ، بعد أن أتت الحرب على أكثرهم . مدة ١٨ (ثمانية عشر) شهرا (ما سبق ، ص ٨٠) . وفى السنة الثالثة كان القائد مصالة يصالح يحيى بن أدريس فى فاس ، على الطاعة ودفع مبلغ من المال للامام ، كما أنه عاد وعذبه فى سنة ٣٠٩هـ / ٩٢٠م حتى أخرج له ماله وذخائره (ما سبق ج ٢ ص ٤٧٨) . ومثل هذا حدث بالاسكندرية

(١٢٩) القاضى النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٢٨٩ ، انظر ما سبق ، ج ٢ ص ٥٩٨ ، ص ٢٢٨ - حيث الاشارة الى الخلط بين أموال ايكجان والأموال التى أخذت من سجناسة .
(١٣٠) انظر : ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٨ .
(١٣١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٠ ، ما سبق ، ج ٢ ص ٥٨٩ ، واعلاه ، ص .

عندما دخلها أبو القاسم ، ولى العهد سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، اذ انتهب أموالها وجبى خراجها(١٢٢) ، وهو ما حدث فى سجلماسة سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥) . وفى نفس السنة (٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) كانت أموال أهل القيروان هدفا لغارات أصحاب اعحارس تحت قيادة أبى سعيد الضيف . وعندما اشتكى المتضررون للمهدى حلف بأنه لا يعرف ، وان أمر بتغيير بعض أعوان أبى سعيد(١٢٣) . ومثل هذا ما شاع عن القاضي محمد بن عمران النفطى ، ولى قضاء القيروان بعد عزل اسحاق ابن أبى المنهال ، لئينه ، مع أنه وصل الى منصبه هذا بفضل الأموال التى كان يستولى عليها من الرشى وأموال الأوقاف (الأعباس) ، التى تقرب بها الى المهدي(١٢٤) . ومثل هذا ما يقال من انه عندما توفى أبو حفص القلاسى سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ترك دارا ومسجدا يجساورها وفندقا دون وارث ، لم يكتف عبيد الله المهدي بوراثته ، بل انه أوعز الى الناظر فى المواريث فأغلق له باب المسجد ليصبح جزءا من السدار والفندق (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٦٨) .

هذا ، عن المغارم والمصادرات على المستوى الجماعى والتى كان يصاحبها مغارم أخرى على المستوى الفردى . ومن أشهر الأمثلة لذلك ما وقع لأبى جعفر ابن خيرون ، وهو من أغنياء تجار القيروان ، الأندلسيين أصلا ، والذى كان يمتلك العديد من الفنادق المجاورة لسجن المدينة . فلقد قتل الرجل ، الذى يشهد له بأنه بنى مسجدا شريفا ، وذلك فى سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م بسعى من القاضي الروزى الذى شهد « بأن قبله وديعة كبيرة » فطولب بها ، وعذب حتى مات(١٢٥) . والأمر الذى تؤخذ منه العبرة ، هو أن القاضي الروزى

(١٢٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨١ - حيث الاشارة أيضا الى انتهاب الأئمة فى الفيرم ، وما سبق من

(١٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٦ ، وما بعد ، ص ١٢٩ و١٧٧ ، وقارن ص ١٥٠ عن ولاية الضيف لصقلية .

(١٢٤) ابن عذارى ، هـ : بيروت ، ج ١ ص ٢٦٤ ، ص ٢٦٦ - وحيث وفاته فى شهر ربيع الأول سنة ٣١٢ هـ / يونية ٩٢٤ م ، والنص على انه كان يرتضى على الأحكام - ويستشير فى ضروب من المنكر ، ثم عودة ابن أبى المنهال الى القضاء ثانية - حيث نص مرسوم العهد ، وفيه عزلناك للينك ومهانتك ، ورددتناك لدينك وأمانتك .

(١٢٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩ ، وقارن مل : بيروت ، ص ٢٢٥ - حيث القراءة ابن جبرون بدلا من خيرون . وقارن ، رياض النفوس للسالكى ، تحقيق بشير البكرش ومحمد الظوى ، بيروت ١٩٨١ ، ج ٢ ص ٥٤ - ٥٦ ، حيث انص على أن الرجل مات دهسا تحت

تفسه مات في عذاب المهدي مغضوباً عليه سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥ - ٩١٦م ، حيث طولب بعض من كان له صلة به من وجهاء القيروان وتجارهم بعد وفاته ، بما كان لديه من المال وعذبوا من أجل ذلك (ابن العذارى ، ج ١ ص ١٧٣) .

المغنائم :

وإذا كانت عقوبات مدن الداخل ، وما ينزل بها من الغرامات ، قد صارت مورداً لبيت المال ، فقد كانت المغنائم التي يؤتى بها من بعض مدن الحارث البحرية ، هي الأخرى ، من روافد بيت المال بالمهدية . وذلك كما حدث في غزو مدينة أعاتى سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م (فيما بعد ص ١٥٦) ، وكما حدث في غزو الروم في صقلية سنة ٣٠٣هـ / ٩٢٥م ، حيث عاد الحاجب قائد الأسطول بالسبايا والهدايا إلى المهدي الذي كان وقتئذ يعرض جواهر وأموال مدينة وادي (أورية) ، وهو يقول: « والله ما أعطاني من الجمل إلا أذنيه » (فيما بعد ص ١٥٧ ، ١٥٨) ، بمعنى أنه كان يرغب فيما هو أكثر من ذلك ، وأنه كان ينظر بعين الريبة في صحة نصيبه من الخمس ، ويتهم الحاجب القائد بالغلول (١٣٦) . ومثل هذا يمكن أن يقال عن العهد إلى صابر الفتى (مولى ابن قزح) سنة ٣١٤هـ / ٩٢٦م ، بولاية القيروان (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٦٩) إذ أنه كان في السنة التالية ٣١٥هـ / ٩٢٧م يغزو صقلية ويصيب ويسبي (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧٠) ، كما كان في السنة التي تليها (٣١٦هـ / ٩٢٨م ، يغزو إيطاليا (بلد الروم) ويحتوى على ما قى للقلاع ويصالح أهل المدن على الأموال والديباغ (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧٣) وبعد الغزو التالية ، ٣١٧هـ / ٩٢٩م ، التي فتح فيها مدينة ترمولة عاد منصرفاً إلى المهدي (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧٥) .

أقدام العبيد السودان ، إذ « بطح على ظهره وطلع السودان فوق السرير فقفزوا عليه بأرجلهم ، حتى مات ، ومثل هذه الميعة كانت للمروزي الذي ركضته الخيل في استعبل للدولاب ، وقارن ما يأتي : ص ١٣٥ وهـ ١٧٠ .

(١٣٦) قارن أفتاح الدعوة ، ص ٣٠٤ - حيث النص على أنه عندما استكثر صاحب بيت المال حصيلة شهر رمضان التي بلغت ١٠٠٠٠٠ دينار ، قال المهدي : لو بلغني الله نى حتى ٠٠٠ ما رضيت مثل هذا العطاء لرجل واحد من أوليائى . والنعمان يضيف إلى ذلك أن المهدي كان جواداً بالمال ، وكان مع ذلك لا يضيع أقل شيء من المال ، فهو لا يستهين به ولا يصرفه في غير حق .

التراتب المالية :

ومثل هذا الحرص في جمع المال ، وتلك الدقة في حساب العمال ، يتطلب بطبيعة الحال ، اهتماما بالتراتب المالية التي كانت قد انهارت في البلاد اثر سقوط الدولة الأغلبية ، ما بين طمع الأمير الهارب وفساد ذمم العمال ، والعمل على تقويمها بما يتفق وأهداف الدولة الجديدة . ولما كان من المعروف أن أبا عبد الله الداعي كانت له تراتبيه الخاصة سواء في ايكجان أو في تازروت ، فمن المعروف أيضا أنها كانت نظما بسيطة تتفق مع بساطة الدعوة وطبيعة المجتمع القبلي في بلاد كتامة . فالداعي عندما دخل القيروان كانت لديه نظم خاصة بالسكة ، والسلاح والكتابة ، وبيت المال ، وديوان الحراج ، والعطاء والقضاء (ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٥٩) . ومن الواضح أن النظم المالية نالت عناية فائقة من المهدي منذ دخوله القيروان - وهذا ما يفسر استخدامه لبعض عمال الأغلبية ، كما فعل بابن القديم الذي عهد إليه بالحراج ، والذي اتهمه فيما بعد باحتجان بعض ما كان في عهده من المال الأغلبى (مسبق ص ٦٥ و٦٨) . وفي نظم الدولة المالية يقول القاضي النعمان ان المهدي دون الدواوين ، وأمر باقتضاء واجب الأموال . وكان ديوان الحراج قد أحرق لما هرب زيادة الله فأمر به فأجبي (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٣) .

ديوان الكشف :

وفي هذا المجال يقدم النعمان معلومات طريفة عن بعض الدواوين ذات الصلة بديوان الحراج أو المتفرعة عنه ، مثل : ديوان الكشف ، وديوان الضياع ، وديوان أموال الهاربين مع زيادة الله ممن استصفيت أموالهم ، وان ترك ما كان لنسائهم (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٣) . كما تتبع المهدي ما كان قد نهب من قصور رقادة فاسترجع كثيرا منه من أيدي الناس ، أو طولبوا به ، واجتمعت منه أموال كثيرة (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٤) . ولقد أقام المهدي أيضا ديوانا لبيت المال الذي كانت حصيلته في شهر رمضان وحده ، ١٠٠٠٠٠ دينار (افتتاح ، ص ٣٠٤) . والنص على كثرة دخل بيت المال (انظر الهامش السابق رقم ١٣٦ ص ١٢٠) في شهر رمضان يوعد الى أن ذلك راجع الى كثرة الدخل من الأسواق في شهر الصوم ، حيث كانت المبالغة في العناية بأمور الطعام والشراب ، قبل الاهتمام بالكساء في أواخر أيامه .

ضرائب مستحدثة :

التضييع :

وهكذا يكون المهدي قد استحدث دواوين جديدة مختصة بجمع الأموال وترتيبها في أوجه نفقتها المختلفة ، وعلى نفس المنوال كان من الطبيعي أن يستحدث أنواعا جديدة من الضرائب التي عرفت بالمغارم ، ليسد به حاجات بيت المال التي كانت تزداد مع تطور الدولة على مر الأيام . من ذلك ضريبة « التضييع » التي فرضت سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م على ضياع أفريقية ، فهي اذن من ضرائب الأرض (أو الحراج) التي وصفت بأنها من بقايا التقسيط (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨١) ، بمعنى التعديل الضريبي أي الإصلاح الضريبي الذي كان يتم ما بين الحين والحين . وكان من أهم الضرائب المستحدثة ، التي نظر إليها على أنها من المظالم الفاضحة ، ضريبة طريق الحج التي قررها المهدي في السنة التالية لاستقراره في المهديّة (سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م) ، إذ أمر بأن يكون طريق الحجاج ، اجباريا ، على المهديّة حيث يكون التوقف في موضع « بندون » لأداء ضريبة تسمى « الشطور » علما بأن طريق الحج السنوي ، أي المختصر ، هو طريق مصر « الكبير أو الدولي » كما يقال الآن ، الأمر الذي كان موضع التنذر بين الناس (١٣٧) .

الشطور : ضريبة الحج :

والحقيقة انه اذا كان ظاهر خبر تحويل طريق الحج الى المهديّة يمكن أن يعبر عن أن صريبه « شطور » هي ضريبة على الحجاج ، كما تريد الرواية المناهضة للفاطميين - على ما يبدو ، فالحقيقة هي أن « الشطور » ليست ضريبة حج بل ضريبة حراج ، مما يفرض على الأراضي الزراعية . ففي سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م عندما عهد المهدي بولاية الحراج بأفريقية الى : أبي معمر عمران بن أحمد بن عبد الله بن أبي معمر القاضي ، قام الرجل بإصلاح ضريبة الحراج في بلاد أفريقية بحيث تكون ضريبة موحدة ، أقرب إلى العدل (القسط) والواقع ، بحيث لا يضار أصحاب الضياع كثيرا يتذبذب الانتاج الزراعي ، ولا تتأثر ميزانية الدولة نتيجة لذلك - ولكي

(١٣٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٦ - حيث الإشارة الى أنه كان من أمثال أهل القيروان ، أيام الأغالب ، عند المطالبة بشيء مستحق أن يقال : « اذا اردت الحج فخذ على بندون » ، فقال الناس : سار المثل القديم حقا .

يحتق أبو معمر هذا الهدف ، نظر في متوسط ضريبة المشر على مختلف المزارع (الضياع) من أعلاها الى أدناها - تبعا لمساحة الأرض بطبيعة الحال - وأخذ المتوسط بين الطرفين ، وهو « الشطر » الذي أصبح ضريبة موحدة على مختلف الضياع (١٣٨) ، الأمر الذي كان من أغراس بعض ملوك الدولة الأغلبية من قبل (انظر فيما سبق ، ج ٢ ص ٤١) .

وبذلك تكون ضريبة الشطور (ومفردها شطر) : ضريبة خراج وليس ضريبة حج . أما عن جمعها على طريق المهدي في موسم الحج ، فكان بمثابة المراجعة الضريبية على الحجاج وما كانوا يحملونه من المال ، بهدف أن يدفعوا ما يكون مستحقا عليهم للدولة ، قبل مغادرة البلاد بأموالهم لأداء المناسك . وأغلب الظن أن ديوان الكشف الذي استحدثه المهدي (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٣ ، وانظر فيما سبق ص ١٢١) سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م ، في وقت مبكر ، حسبا يضعه ابن عذارى ، والذي جعل ادارته مشاركة الى كل من : أبي جعفر البغدادي ، كاتبه ، وعمران بن أبي خالد بن أبي سلام (البيان ، ج ١ ص ١٦٢) ، ربما كان يقصد به كشف المتهربين من ضريبة الأرض ، خاصة (١٣٩) .

ديوان الدعوة :

ولا ندري ان كان من بين الدواوين المالية المستحدثة في الدولة الفاطمية الناشئة ديوان خاص بالدعوة يكون اختصاصه ضبط الأموال التي تنفق عن طريق الدعوة الذين كانوا يحملون المال والأخبار سرا ، من الحضرة الى سائر الأقاليم ، وهو ما كان دارجا على أيام أبي عبد الله ، وكان يحقق الاتصال الدائم بالامام سواء في سلمية أو في سجلماسة . وكان ذلك النوع

(١٣٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٣ .

(١٣٩) قارن موسى لقبال ، دور كتامة ص ٤٢٣ - حيث يبدو ان المقصود بالكشف هو كشف المخالفين للمذهب . والحقيقة أنه قد يساند هذا الرأي ثقة المهدي بأبي جعفر البغدادي ، واستمانته به في التخلص من الداهي (ما سبق ، ص ٦٢) حتى أنه عهد اليه بعد ذلك سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م بديوان البريد (الخبر : المخابرات) . ولما كان البريد وثيق الصلة بالخراج اذ وليه ابن القديم أول ولاية الخراج للمهدي (ما سبق ، ص ٦٢) فان مشاركة عمران له في ادارة ديوان الكشف يعني عدم تخصص أبي جعفر ، وهو الكاتب ، في تلك الادارة الثغنية التي تتطلب خبيرا وهو ما يرجح ما نقتضيه من أن يكون ديوان الكشف قريب الصلة بديوان الخراج .

من النفقة أشبه بما يسمى حاليا « بالمصاريف السرية » والحقيقة ان الداعي ادريس يمدنا بمعلومات طريفة في هذا الشأن ، تشير الى أن يعقوب ابن اسحق ، عندما قبض عليه في مصر ، في حيلة سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، وحمل الى بغداد (انظر فيما سبق ص ٢٧) كان دعاة المهدي يوصلون اليه المال والأخبار طوال ١٢ (أربعة عشر) عاما ، انتهت بمقتل الخليفة المقتدر ، وعودته الى المهدي سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ، على اواخر أيام المهدي (١٤٠) .

وهكذا تعددت واردات بيت المال وأوجه النفقة ، فتمثلت تبعاً لأهميتها ، في اعداد الجيوش والأساطيل مع رواتب الموظفين والعمال المدنيين في البلاط ، وفي مختلف الدواوين ، ونشر المذهب الفاطمي والعناية بالعلم ، عصبية الدولة وأصل قواها السكامة ، الى جانب شراء الأعوان والخلفاء المجاورين ، مما كان يسهل تمدد الدولة اقليمياً وتوسعها معنوياً ، واقامة المدن من ملكية وشعبية ، والعناية بالأسواق والحرف والصناعات ، واجهة الحضارة الفاطمية المادية ، والدليل الملموس على نجاحها مذهبياً ، بصفتها دولة الأئمة الشرفاء من آل البيت ، ولكل ذلك حرص المهدي على جمع المال في مظانه المختلفة ، وكان ، كما تنص رواية القاضي النعمان ، جواداً به ومع ذلك فهو لا يضيع أقله ، اذ لا يستهين بالمال ، ولا يصرفه في غير حق (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٤) .

السياسة الدينية :

ما بين الدين والمال :

ارتبطت السياسة الدينية بالسياسة المالية بنوع من الرباط العضوي

(١٤٠) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٧٣ - ٧٥ . حيث الاشارة الى أن السجان في بغداد انتهى به الأمر الى الاثراء من كثرة ما كان يعطيه يعقوب ابن اسحق ، وأن ذلك كان سبباً في أن أطلق السجان سراحه عند وفاة المقتدر . هذا وان اتخذت الرواية شكلاً قصصياً مثيراً - بعد ذلك - فيما يتعلق برحلة العودة الى المهدي ، حيث تكثر العقد أو المواقف المرحة ، مما يصلح لأعمال السيناريو الروائية - كما يقال الآن - فيعقوب يتخفى في زي الصوفية ، وينجح في التخلص عندما كشفه جواسيس بغداد في مصر ، ثم انه يتزوي بزى النساء ليغير جسر الجيزة في صحبة زمرة من النساء الى منجبة (طريق) المغرب ونجاته بفشل من كن معه عن النساء رغم كشفه ، الى سلسلة ، أخرى من مثل هذه المغامرات العجيبة . والرواية هذه وان كانت من نوع القصص الشعبي ، فانه من حيث المضمون تبين أساليب التخفى التي كان يلجأ اليها الجواسيس والملاء في تلك العصور .

من حيث ان كلا من المال والمذهب الاسماعيلى الفاطمى كانت له ، الى جانب مزاياه الايجابية تاثيراته السلبية . فجمع المال يوصف عادة بالظلم ويخلق العداوة ، وانفاقه يوصف بالجود ويجلب المحبة . وعلى نفس النسق ، بينما كان المذهب الشيعى يكتسب الى جانبه الأنصار كان يولد الحصرم فى صفوف أهل السنة . وبسبب صعوبة الموازنة بين السلبى والايجابى فى كل من الجانبين ، كانت الدعايات المبشرة بقيام الدولة الجديدة ، وعهود الخير ، تبدأ معتدلة وهى تحاول التوفيق بين القديم المدبر والجديد المقبل ، قبل أن تكشف النقاب عن حقيقة أمرها .

تساهل الداعى : ظاهر علم الأئمة :

هكذا بدأ أبو عبد الله الشيعى دعوته بنشر ظاهر علم الأئمة مما يتفق مع مذاهب أهل السنة ، من الدعوة الى المعروف والنهي عن المنكر ، دون الكشف عن أسراره الباطنة (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٥٣) . وهو اذا كان قد أحدث بعض التغييرات فى صيغة الأذان أو الفى صلاة الاشفاق (التراويح) أو أمر بنفضيل آل البيت على من سواهم ، فقد كان يفعل ذلك باسم «الكتاب والسنة» ، وبشكل معتدل . فهو لا يقبل تطرف أخيه أبى العباس عندما أراد نفى المعارضين من الملكية عن القيروان ، ولا يستجيب له (١٤١) . وهو يستنكر ما قام به بعد ذلك من عقوبة اثنين منهم بالحبس والقتل والتشهير ، هما : ابن البرذون وابن هذيل ، ويرد عليه من سجلنامه قائلاً : « قد أفسدت علينا من أمر البلد وأهله ما كانت بنا حاجة الى اصلاحه(١٤٢) . ولا شك أن اعتدال الداعى لم يلق الترحيب من عبيد الله الذى كان يرى استثمار المذهب فى سبيل تأكيد السلطة ممثلة فى شخصه ، بصفته اماماً مهدياً ، له حق الطاعة المطلقة . وفى سبيل توطيد مركزه كان أول توقيعاته (قراراته) التى أصدره فى يوم الجمعة ٢١ ربيع سنة ٢٩٧هـ / ١٨ ديسمبر ٩٠٩م ، غداة وصوله الى القيروان ، يأمر بالدعاء ، بعد الصلاة على محمده ، وعلى فاطمة والحسن والحسين ، وعلى آبائه خلفاء الله الراشدين المهديين ،

(١٤١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(١٤٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٥ - حيث النص على أن القتيلىين هما : ابراهيم ابن محمد الطنبى ، المعروف بابن البرذون ، وأبو بكر بن هذيل وان الذى وشى بهما هو الفقيه الحنفى - على مذهب أهل العراق الذى أجازوه لما فيه من الترخيص - وأصحابه بتهمة الظن على الدولة والتسوية بين على بن أبى طالب وبين أبى بكر وعمر وعثمان .

بالصلاة أيضا على الامام المهدي : عبد الله بن أبي محمد ، خليفة الله ، والقائم
بأمر عباده (١٤٣) .

تشهاد المهدي :

وهكذا سار المهدي في سياسة التشدد في نشر المذهب الفاطسي بين
الناس دون هوادة باستخدام الترغيب والترهيب . فبعد تمام صلاة الجمعة
التي أعلن في خطبتها تلقيه بالمهدي خليفة الله ، بجامع القيروان ، في نفس
يوم ٢١ ربيع ، جلس الشريف (العلوي) رئيس الدعوة ومعه أعوانه ،
وأحضروا الناس بالعنف والشدة ، حسب رواية ابن الأثير ، ودعواهم الى
مذهبهم ، فمن أجاب (ضمه) اليه ومن أبي حبس (١٤٤) .

مذهب جعفر بن محمد :

ومن أجل فرض المذهب ، أصدر القاضي محمد بن عمر المروزي ، الأمر
الى الفقهاء بالألا يفتى أحدهم الا بالمذهب الرسمي للدولة ، الذي سماه :
مذهب جعفر بن محمد (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٩) . والمقصود هنا ،
هو جعفر المصدق ابن محمد المكتوم ، وليس جعفرا الصادق . والظاهر أن
الهدف من ذلك هو اجتذاب الشيعة الاثني عشرية الى صفوف الاسماعيلية.
الفاطمية بمعنى توحيد الحركة الشيعية تحت رعاية المهدي ، اعتمادا على اتفاق
المسنديين في بعض الفروع ، مثل : « سقوط الحنث عن طلق البتة ،
واحاطة البنات بالميراث » - وهذان الأمران من أهم ما يميز المذهب الشيعي
عن المذهب السنني (١٤٥) ، وكذلك سقوط الرجم عن الزاني ، والمسح على

(١٤٣) افتتاح الدعوة ، ص ٢٩٣ ، وقارن محمود اسماعيل ، المالكية والشيعة بأفريقية ،
المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٣ ، ١٩٧٦ ، ص ٨٠ - حيث اضافة ما يقره ابن حنبل
(حماد) ص ١٦ ، من : قول المؤذن : حياك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدين .
وقارن ، ط : الجزائر ١٩٨٤ ، ص ٢٧ - حيث النص « أحياك » بدلا من « حياك » ، ويستمر
في ٣ أسطر : « وجامع شمل الاسلام والمسلمين ، وأعز بسلطتك جانب الموحدين ،
وأباد بسيفك كافة الملحدين ، وصلى عليك وعلى آبائك الظاهرين ٠٠٠ الخ » .

(١٤٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩ - حيث النص على أنه لم يدخل في المذهب رغم ذلك
الا قليل من الناس رغم ما تشير اليه الرواية بعد ذلك من التشدد الذي بلغ حد « قتل كثير
من لم يوافقهم قولهم » .

(١٤٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٩ ، وأنظر الاستبصار ، ص ٢٠٥ - حيث تفسير سقوط
الحنث عن طلق البتة بتحليل المطلقة ثلاثا (دون حاجة الى « المحلل » ، وهو ما يختلف عند

الحفنين ، وأيمان الحرج الى جانب تقرير « الصوم بالعلامة والفطر بها » (أى بالحساب) (١٤٦) . هذا ، كما أصر المهدي على نشر المذهب وراء قواته الفاتحة ، كما حدث في مصر سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، عندما دخلت الاسكندرية اذ صدرت الأوامر بتعديل أذان الفجر بحيث يشمل عبارة « حى على خين العمل » كما عين قاضيا من لدنه ، بمعنى اقرار العمل بالمذهب الفاطمي هناك (١٤٧) .

غلاة المذهب :

وهنا نلاحظ ان المصادر السننية تتماهى فى المبالغة ، عندما تنسب الى الشيعة الفاطمية ممارسات مما ينسب عادة الى المتطرفين من الاسماعيلية كالتقراطة . فابن عذارى ينص على أن عبيد الله المهدي أظهر التشيع القبيح ، وسب أصحاب النبي وأزواجه ، باستثناء علي بن أبي طالب وبعض رفاقه (١٤٨) . وهكذا تشير بعض النصوص أيضا الى ان المهدي كان يستمع الى مديح الشعراء بالكفر ، من تشبيهه بالأنبياء ، بل وبالله كذلك ، وأنه كان يستجيز ذلك (١٤٩) .

أهل السنة عن اعتبار بين الطلاق ثلاثا ، الواحد ، كطلقة واحدة) . أما عن ميراث البنات فيشرحه الاستبصار بقوله : « توريث البنت اذا انفردت بجميع المال كله » ، مع ان الله يقول : « وان كانت واحدة فلها النصف » .

(١٤٦) الاستبصار ، ص ٢٠٥ - حيث النص على ان اظهار المذهب وتسميته بمذهب أهل البيت حدث على عهد القائم بعد وفاة المهدي . وقارن محمود اسماعيل ، المالكية والشيعة بأفريقية ابان قيام الدولة الفاطمية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٣ ، ١٩٧٦ ، ص ٨٠ - حيث اضافة « القنوت فى صلاة الجمعة قبل الركوع » مما يضيفه ابن حنبل (صحاحه) ص ١٦ الى ما سبق ذكره .

(١٤٧) أنظر عيون الأخبار للذاعى ادرىس ، ص ٣٣ .

(١٤٨) البيان ج ٢ ص ١٥٩ ، حيث القول : انهم ارتدوا عن الاسلام ، حاشى على ، والمنداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، وأبى ذر الغفارى .

(١٤٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٠ - حيث يسجل شعر محمد بن البديل كاتب

أبى قضاة ، الذى يقول فيه :

حل برقادة المسيح	حل بهسا آدم ونوح
حل بها أحمد المصطفى	حل بها الكيش والذبيح
حل بها الله ذو المسائل	وكل شئ سواء ربيح

هذا ولو أن البعض نسبته الى محمد بن هانى الأندلسى فكانه قيل فى المز وأن لم يحده ابن الأثير فى ديوانه ، كما يقول - ابن الأثير ج ٨ ص ٦٢١ . وأنظر فيما بعده ص ٢٨٤ ، وقارن فيما سبق ، ص ١٠٠ .

والذى نراه هو أنه كان هناك عدد من الشيعة المتعصبين للإمام ممن يذهبون في تبجيله الى حد التقديس * والمثل لذلك ابن سيرين الحنفى (الجديدي في المذهب) الذى سار حافيا مع الداعى من القيروان الى سجلماسة محتسبا للثواب فى طلب الامام (ما سبق ج ٢ ص ٥٩٤) * وأن المهدي وهو فى سبيله الى تركيز السلطة بين يديه ، والتخلص من الداعى وأنصاره كان يسمح ان لم يكن يشجع ، مثل هذا الاعتقاد فى عصمة الامام ، الأمر الذى أدى الى انزلاق البعض فى التطرف والغلو الذى يظهر كنوع من التأليه ، مثل اتخاذ مقر الامام قبلة ، كما فعل أحمد البلوى تاجر العميد (النحاس بالرقيق) الذى كان يتجه فى صلواته وهو بالقيروان جنوبا ندمو رقادة ، ثم انه اتجه شمالا فى صلواته ، عندما انتقل الامام الى المهديّة * وفى تبرير ذلك ينسب الى الرجل أنه كان يقول : أنا لا أعبد ما لا يرى (١٥٠) *

وفى سبيل توطيد سلطة الامام ، تأكيدا لمبدأ الولاية والطاعة الواجبة له ، وخاصة بالنسبة للكتاميين الذين ساءهم تذلل زعيمهم الداعى فى حضرة الامام بسجلماسة (أنظر فيما سبق ج ٢ ص ٥٩٧) * فقد كان عليهم قبول الطاعة المطلقة الى حد أن يكون قسمهم الذى يحلفون به ، عند قدومهم الى أفريقيا ، هو : « وحق عالم الغيب والشهادة . مولانا المهدي الذى برقادة » بمعنى أنهم ، الى جانب الولاية ، يقرون للإمام بعلم الحدثنان وهو التاريخ المستقبلي للإمامة (١٥١) الأمر الذى جعل بعض شباب القيروان يرد على ذلك بكتابة بطاقة يقول فيها :

الجور قد رضينا
يا مدعى الغيوب
لا الكفر والحماقة
من كاتب البطاقة (١٥٢)

(١٥٠) أنظر فيما سبق ، ص ١٠٠ و٩٥ (عن المهديّة) - حيث يقول فيها الشاعر .
كما يقال فى الحرم المكي : هو المهديّة الحرم الموتى كما بتهامة البلد الحرام - ابن عذارى
ج ١ ص ١٨٤ *

(١٥١) ابن عذارى ج ١ ص ١٦٠ (عن القسم) ، وقارن المجالس والمساربات للنعمان ، ص ٥٤٢ حيث يتنبأ المهدي للمنصور وهو جنين فى بطن أمه ، بكشف قصة ابن يزيد ، عيون الأخبار للداعى أرديس ، ص ٨ - حيث رواية النعمان التى يقول فيها ، انه : « انهض القائم الى مصر كرتين ، رغم علمه انها لا تفتح » ، أنظر فيما سبق ص ٢٨ ، ٩٢ (عن علم الحدثنان) *

(١٥٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٠ - حيث الاشارة الى أن ذلك اشتد على المهدي الذى حاول الكشف عن كاتب ذلك ، فلم يقع له على شبر *

مسئولية الدعاء :

والحقيقة ان مسئولية كثير من مثل تلك الممارسات التي انحرفت بالمذهب الاسماعيلي بعيدا عن الأصول السنية المتعارف عليها ، سواء على المستوى الرسمي ، مما يتعلق بالقرارات والنظم والقوانين أو على المستوى الشعبي ، مما يتعلق بالعادات وأداء الشعائر والاحتفالات لا تقع على عاتق الأئمة وحدهم ، إذ ربما شاركهم بعض الدعاء أو انفرد به بعض المتطرفين منهم أو من رجال الدولة الذين تحمسوا للمذهب أكثر من أصحابه ، فكانوا ملكيين أكثر من الملك كما يقال . وهنا لا بأس من الإشارة الى أن كثيرا مما طبق من تعاليم المذهب ألقيت تبعته على كاهل من أشرف على تنفيذها . والمثل لذلك القاضي المروزي الذي واجه اجتماع فقهاء المالكية عندما أمر بأسقاط صلاة التراويح ، علما بأن الداعي هو الذي أسقطها منذ هلال أول رمضان ، في بلاد كتامة (ابن غنداري ج ١ ص ١٧٠ - ط بيروت) ، وان تراوحت ردود الفعل بين الناس ، فالتمسكون أعربوا عن احتجاجهم بأن كتبوا في حائط قبلة الجامع حيث جلوس المروزي : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعى في خرابها » (الآية ١٠٨ سورة ٢) ، والظرفاء (الخلعاء) سألوا القاضي أن يحتال لهم في الصوم كما خفف عنهم في الصلاة (١٥٣) . والغريب في الأمر ان النصوص التي تشير الى ممارسات شعبية غريبة اخترقت الآداب الاسلامية فيما يتعلق بالصلاة والصوم ، وفي شهر رمضان على وجه الخصوص - أي مع سبق الاصرار ، كما يقال - وأحيانا في كثير من المناطق دفعة واحدة ، فكان في الأمر نوع من تنسيق من قبل جهات عليا - من أعوان الدولة أو من خصومها - لتنظيم تلك التظاهرات المذهبية الذي أساء بها الغلاة الى الدولة من غير شك - بقصد أو بغير قصد .

اختراق الآداب الاسلامية :

ففي شهر رمضان من سنة ٣٠٩هـ / يناير ٩٢٢م ، وهي السنة التالية لانتقال عبيد الله الى المهديّة قامت جماعات من المتطرفين من الشيعة ، في كل من مدن القيروان ، وباجة ، وتونس ، و « جاهرُوا بتحليل المحرم »

(١٥٣) ابن غنداري ج ١ ص ١٥٢ - حيث الإشارة الى أن المروزي : سأل اذا كانوا راود من كتبها وأمر بمحوه ، وانتقل عن الجلوس بذلك الموضع - وأنه أمر بدفع المحقق الخليل ، قال : « اذهب يا ملعون » .

وأكلوا الخنزير ، وشربوا الخمر في رمضان جهارا ، الأمر الذي كانت له اصداء سيئة ، انتشرت بسرعة داخل البلاد. وخارجها حتى وصلت الى مصر (١٥٤) . ولم يسكت المهدي على هذا العمل العيبي غير المستول ، إذ صدرت أوامره الى عماله في تلك الأقاليم بالقبض على مدبري تلك الفتنة الذين بلغ عددهم حوالي ٢٠٠ (مائتي) رجل ، وارسالهم اليه بالمهدية مقيدين ، وهناك ألقوا في السجن حيث مات أكثرهم (١٥٥) . ولما كان بعض زعماء هؤلاء الغلاة من المعروفين في البلاد ، مثل : أحمد البيلوي النخاس ، الذي كان يتوجه في صلاته الى حيث يقيم المهدي ، اعتقادا في ألوهيته ، ويرى انه يعلم السر والنجوى ، وكذلك ابراهيم بن غازي ، الذي كان ، أيام الأغالبة ، من الزهاد المرابطين في قصر الطوب بسوسة حتى أنه رشح لصلاة الجماعة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٦) - الأمر الذي يذكر أيضا بالفقيه الحنفي « ابن سيرين » الذي مشى راجلا مع الداعي من القيروان الى سجلماسة، احتسابا (انظر فيما سبق ج ٢ ص ٥٩٤) - نرى أنه لا بأس أن تكون حركة الغلاة هذه قد نشأت « ملامتية » مرتبطة بالزهد والتصوف المتطرف ، ممن اعتقد أصحابه في نظريات الفيض والحب الالهي ووحدة الوجود ، فارتفعوا فوق مستوى عالم الحس ، لا يفرقون بين الراحة والألم أو بين الحزن والفرح ، وبذلك انكشفت عنهم الحجب ، وارتفعت عنهم التكالييف (١٥٦) . هذا ، ولا بأس أيضا أن تكون تلك الحركة ذات أصول شعبية قرمطية متأثرة بالديانات الشنوية الشرقية كالزردكية ، مما أدى الى اطلاق الحصوم على الاسماعيلية اسم (الزردكية) في المشرق (الشهرستاني ، الملل والنحل ج ١ ص ١٩٢) واسم (المشارقة) في المغرب (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٥٣) .

غلاة الدعوة :

اما على المستوى الرسمي فيمكن أن تكون مثل هذه الانحرافات الغالية نتيجة لأعمال غير مسبوقة من قبل بعض المتحمسين من الدعوة ، كما حدث في نفس سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م ، في منطقة جبل ونشريس ، غير بعيد من

(١٥٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٦ - « حتى غير به أبو القاسم (ولي المهدي) أيام كونه بالقيوم » ، في حملته الثانية على مصر .
(١٥٥) ابن عذارى ج ١ ص ١٨٦ ، وقارن القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ص ٣٢٨ - حيث الإشارة الى قوم مرقوا عن الدين ، واستحلوا المحارم ، فعاتبهم المهدي على قدر ذنوبهم .
(١٥٦) قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨ - عن الديسانية أهل الباطن ، وعدم وجوب الفرائض وإباحة الأمهات .

تاهرت عاصمة المغرب الأوسط وقتئذ ، وهي منطقة الداعي منيب بن سليمان،
المسكناسي ، الذي تنسب اليه رواية ابن عذارى ، أنه : « أظهر التشريق.
(التشيع الفاطمي) بجانب تاهرت (تيهرت) وتحليل المحرمات » .
والحقيقة انه اذا كانت الرواية هذه تصف التشيع الفاطمي بـ « التشريق.
(نسبة الى المشرق) وتعنى انه نوع من الزندقة التي تحلل المحرمات ،
وخاصة ما يتعلق منها بالتساهل في العلاقات الجنسية ، مما يصل الى مستوى
شيعوية النساء ، فالحقيقة ان الرواية ليست قاطعة في نسبة ذلك الى
المهدي (١٥٧) . وبناء على ذلك فمن الممكن أن يكون ما جاء ذكره من تحليل
المحرمات نوعا مما ينسبه بعض الكتاب ، من تساهل بعض أقاليم المغرب
الجبليّة المنعزلة في أمور العلاقات الجنسية ، مما يمكن أن يكون من ذكريات
الماضي البعيد ، ان لم يكن من التشسيّعات التي يصطنعها (الحصوم فيما
بينهم ، من عرب وبربر ، أو سنة وشيعة - وخاصة فيما يتعلق بالقرامطة
من الشيعة (١٥٨) .

وهذا لا يمنع من انزلاق بعض الدعاة نحو الغلو والتطرف ، الأمر
الذي كان يعالجه الامام تبعا لمقتضى الظروف والأحوال ، كما حدث سنة ٣١٥هـ
/٩٢٧م عندما وصل أبو القاسم ولي العهد ، الى المغرب وقبض على الداعي
معل بن محمد الملوسى ، وبعثه مقيدا الى المهديّة حيث ضرب عنقه ، في موضع
الرملة هناك ، بأمر المهدي (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ - ط ، بيروت ،
ص ٢٧١) .

وإذا كان ابن عذارى لم يوضح سبب ادانة الداعي معل الملوسى ، فإن
القاضي النعمان ، يخصص فقرات في المجالس والمسائرات لانحرافات بعض
الدعاة ، فيما يتعلق بإباحة المحارم . والذي يلفت النظر انه عندما يتكلم
عن : « زيغ بعض الدعاة » يفسر « إباحة المحارم » تفسيراً غريباً يمكن أن
يتفق مع ما سبقت الاشارة اليه من أفكار الصوفية ، من أصحاب نظريات
الفيض والحب الالهي ، وذلك على أساس أن ترك المعاصي يعتبر سوء ظن.

(١٥٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥ - حيث النص . وقيل ان عبید الله وجهه (اى منيب
الداعي) وغيره الى الأطراف ، وأمرهم بإظهار التشريق .
(١٥٨) أنظر الاستبصار ص ١٩٢ (عن عادة المرابية في بعض مناطق البربر) وابن الأثير ،
ج ٧ ص ٤٤٧ ، ٤٩٣ (سنة ٢٨٢ هـ) ، ج ٨ ص ٢٨ (عن بعض ما ينسب من شفاعات الى
القرامطة) .

بإلله ، عز وجل ، أنه لا يغفر الذنوب (المجالس والمسائرات ، ص ١٠٥) .
وهو يتبع ذلك بأن المعز كان لا يجد أولياء ثقة بالرغم من اتساع ملكه .
وبأنه كان يبرأ من دعاة السوء ويصفهم « بأنهم ليسوا أولياء بل أعداء الله
وأعداؤنا ، والصادون عن الله ... (إذ) حرفوا وبدلوا ... فضلوا
وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل (ص ٢٢٧) .

الكف عن طلب التشيع من العامة :

وهكذا فإن كان المهدي قد أصدر الأوامر للدعاة بالكف عن طلب
التشيع من العامة ، كما ينص المقريري (١٠) ، فالظاهر أن ذلك الإجراء لم
يكن كافيا لتهدئة خواطر أئمة العامة ، حسب المصطلح الشيعي ، من فقهاء
المالكية ، الذين وقفوا معارضين لمذهب التشريق ، على عكس الحنفية أصحاب
الرخص (التيسير) حتى تشيع كثير منهم ، ودخلوا في خدمة الدولة ما بين
محتسب وطامع ، منذ أيام الداعي . فمن أول النماذج : الفقيه أحمد بن
سيرين الحنفي الذي مشى محتسبا مع الداعي إلى سجلماسة ، وكانت
مكافاته ، فيما بعد ، ولاية مدينة برقة (١٦٠) . وخلف بن معمر بن منصور
الذي تشرق أول دخول الشيعة أفريقية ليحتمي بذلك من مطالبة ابنه بمال
قد غمس يده فيه عند حرب آخر الأغلبة ، زيادة الله ، في رقادة (ابن
عذارى ، ج ١ ص ١٧٣ ، ط بيروت ، ص ٢٤١) . وهكذا لم يكن من
المستغرب أن يروح أوائل القتل من فقهاء المالكية ، مثل ابن البرذون وابن
هديل ، ضحية وشاية الفقيه الحنفي الكلاعي (انظر ما سبق ، ص ١٢٥) .
فكان ذلك بداية لما يمكن أن يسمى بـ « عصر شهداء المالكية » في التاريخ
الفاطمي ، وإن كانت محنة المالكية قد بدأت على أيام الأغلبة ، في القيروان ،
منذ دخلها المذهب الحنفي ، مذهب بغداد الرسمي (ما سبق ، ج ٢ ص
١٠٨ وما بعدها) .

(١٥٩) انظر موسى لقبال ، ص ٤٢٦ . (عن انعطاف الحنفا) .
(١٦٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٣ ، وانظر لقبال - دور كتامة ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، حيث
الذين اعتنقوا المذهب لأغراض مادية ، ص ٤٢٤ وما يمسدها ، حيث الذين اعتنقوا المذهب
برضاهم دون أغراض مادية ، وقارن محمود اسماعيل المالكية والشيعة بأفريقية ، المجلة
التاريخية المصرية ، المجلد ٢٣ ، ١٩٧٦ ، ص ٨٣ - حيث النص على أنه يمكن القول أنه
معاداة المالكية للمهدي ترجع الى سياسته الاقتصادية أكثر من دعوته الذهبية استنادا الى
أيقانوف ، وأنه ما يدعم « هذا التفسير الاقتصادي » أن بعض من دخل في المذهب الفاطمي
من المالكية كان مدفوعا بالرغبة في الاعفاء من المغارم المالية ، مما تشير اليه سيرة جعفر .
وانظر أيضا ص ٨٧ حيث الإشارة الى بعض من تشرق من فقهاء المالكية ، وكذلك الشافعية
والأحناف .

الجدل بين السنة والشيعة :

والحقيقة أن الجدل الذي قام بين الطائفتين ، من حيث أن المالكية مذهب حديث تقليدي ، والحنفية مذهب اجتهاد ورأى ابداعي استمر على أيام الفاطميين ، بعد أن دخل الشيعة فيه بسائلهم المستجدة مما يتعلق بأداء الفرائض ، من صلاة وصوم وزكاة ، وكان أبطال ذلك الجدل الأوائل ، هم : القاضي محمد بن عمر المروزي ، وأبو العباس المخطوم ، من رجال الدولة ، والفقيه سعيد بن الحداد (سعيد بن محمد بن صبيح الفسائي المشهور بابن الحداد - ت ٣٠٢ - ذو القعدة/مايه ٩١٥ م) الذي بدأ مالكيًا ، من أصحاب سحنون ثم تحول الى الشافعية العقلانية ، غير التقليدية (١٦١) ، والذي اعتبرت وفاته سنة ٣٠٢ هـ/١٤ - ٩١٥ م ، فجيعة بالنسبة لأهل السنة (١٦٢) ، وهنا لا بأس من الإشارة الى أنه اذا كان الفضل يرجع الى المالكية ، في الصمود أمام المذهب الفاطمي حتى رأى ابن تاجي انه لولا ذلك لكفرت العامة (١٦٣) ، فان فقهاء الحنفية ، رغم ما قيل عن تساهلهم أو استعداء الدولة على المالكية (ما سبق ص ١٣٢) أو دخول بعضهم في المذهب الفاطمي ، فقد كان لآخرين منهم موقفهم المبذئي الراض للمذهب الاسماعيلي ، ولا بأس من أن يكون من أوائلهم ، أحمد بن يحيى بن طيب ، الفقيه الحنفي (على مذهب أهل العراق) ، والمشتغل بممارسة العلاج والمداواة (المتطبب) ، الذي قتل بمدينة رقادة سنة ٢٩٧ هـ/٩٠٩ م (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦١) ، وان لم تذكر الرواية سبب ذلك ، كما كان هناك مدافعون أشداء من الشافعية ، مثل ابن الحداد .

(١٦١) انظر رياض النفوس للمالكي ، ج ٢ ص ٦٤ - حيث النص على أنه « صار الى مذهب الشافعي من غير تقليد ، بل كان كثيرا ما يخالفه ، ولا يمتنع مسألة الرد بنظر وحجة ، وكان يقول : « انما أدخل كثيرا من الناس الى التقليد تقض العقول ودناءة الهمم ، وانظر ص ٦٩ - حيث النص على انه كان معجبا بقول الشافعي : « لو ان الناس تكلموا في العلم بصحة الفطن لقتل اختلافهم فيه ٠٠٠ فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ، ورب حامل فقه غير فقيه » ، كما في الحديث النبوي .

(١٦٢) انظر موسى لقيال ، دور كتامة ص ٤١٢ وما بعدها .

(١٦٣) انظر موسى لقيال ، ٤٢٢ ، وهـ ٢٢٥ - حيث الرجوع الى معالم الايمان ، والنص على قول أبي تاجي : « جزى الله مشيخة القيروان خيرا ، هذا يدوت وهذا يضرب ٠٠ وهم صابرون لا يفرون ، ولو فروا لكفرت العامة دقعة واحدة .

تساهل الداعي ومرونته :

ومن الواضح أن الجدل الديني هذا اتصف بالتساهل والمرونة على عهد الداعي ، الذي كان شعاره : « ان دولتنا دولة حجة وبيان ، وليست دولة قهر واستتالة » (١٦٤) ، والذي كان يقوم بتهدئة أطراف المناظرة ، عندما يحتد الجدل ، وتوعيتهم بأداب الحوار ، مثلما فعل مع ابن الحداد ، صاحب الصوت الجهور واللسان الفصيح والمنطق الفخم والمعاني الصائبة (رياض النفوس للمالكي ، ج ٢ من ٦٣) ، وهارون بن يونس (شيخ المشايخ الكتامي) صاحب المزاج الحاد والانفعال السريع ، والذي ياجأ الى الاقناع بالرمح بدلا من الحجة ، والحقيقة أيضا ان تفاصيل المناظرات وطولها ، يدل على أنه أبا العباسي ، أبا الداعي رغم ما قيل من اتصافه بالعجلة وكثرة الكلام وضعف العقل كان يملك القدرة على ضبط النفس واحترام آداب الجدل والمناقشة . ولا شك أن كل ذلك كان مما يتعارض مع مبدأ الولاية والطاعة للامام « المهدي » ، ويثير خاطره ، رغم ما كان يظهره من الحرص على مجادلة الخصوم ، بل وتهدئة خاطرهم ، كما فعل مع ابن الحداد (١٦٥) . وهكذا كان من الطبيعي أن تتغير سياسة اللين هذه ، بعد وفاة الداعي وأخيه ، حيث كان فرض مذهب آل البيت دون ما سواه ، ائذانا ببداية « الأزمة الفاطمية » وعهد « شهداء المالكية » كما يظهر في كتب التاريخ وتراجم أهل السنة ، من علماء القيروان وزهادهم ، ممن كانوا يسوون بين علي وبقيّة الراشدين ويفضلون البعض عليه (١٦٦) ، أو يسقطون « حبي علي خير العمل » من الأذان (١٦٧) ، أو يرفضون الدخول في المذهب (١٦٨) ، أو ممن ظلوا يفتنون

-
- (١٦٤) حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ط ٤ من ٥١ - ٥٢ .
(١٦٥) رياض النفوس للمالكي ، من ٥٩ ، ٦٠ - حيث عرض ابن الحداد آراء المخالفة في تفسير الولاية (الطاعة) للامام حسبا جاءت في حديث غدیر خم على أساس انها ولاية نبي الدين فقط ، فقد قال له المهدي : « انصرف لا ينالك أحد » ، وان كان أبو جعفر البغدادي ، الكاتب والمقرب من الامام ، نصحه بكتمان ذلك المجلس .
(١٦٦) مثل ابن البرزقون ، وابن هذيل ، ابن عذارى ج ١ ، من ٢٤٩ ط : بيروت أو حسن بن مفرج الفقيه أو محمد الشاذلي الزاهد (من ٢٦٢) .
(١٦٧) مثل عبيدوس المؤذن ، ابن عذارى ط : بيروت ج ١ من ٢٦٥ .
(١٦٨) مثل محمد بن حفص الفهم ت ٣٠٢ هـ ، ابن عذارى ط : بيروت ج ١ من ٢٦٦ - ٢٦٧ . حيث النص على انه كان يتقاضى راتبها شهريا مقداره ١٠ دنانير ، وان المروزي أحضره وقال له : لا يؤم بنا الا ولي من أولياء أمير المؤمنين . فادخل الى بعض الدعاء يأخذ عليك البيعة . وتبقى في حنكك . وطلب الرجل امهاله ليتأمل في الأمر ، فلما اعتذر في الغد ، عزل

يقول مانك (١٦٩) ، والذين تراوحت عقوباتهم ما بين العزل أو الضرب والحبس والتعذيب أو القتل والتشهير (١٧٠) .

والمهم انه على عكس ما قد يظن من أن العصر كان عهد تسلط واستبداد وقهر ، ولا يناسب التقدم العلمي والازدهار الأدبي ، والتفتح الفكري مما ينسجم مع حكم الامام المعصوم ، بمعنى الحكم الديني ، الالهي ، الذي لا يخطيء ، فقد كان الأمر على العكس من ذلك ، مما نحاول بيانه فيما يترتب على الحياة الدينية من أوجه النشاط الفكري والثقافي .

الحياة الفكرية والثقافية :

المذهب الفاطمي موضوع لأدب خصب :

لما كانت نظرية حكومة المهدي انعموم تعني : الحكم الديني (التيوقراطي) الشامل ، الذي يضيف على الحياة الثقافية طابع المذهب الفاطمي ، فالحقيقة أن هذه الرؤية وان كانت مقبولة ، فهي ليست صحيحة على اطلاقها ، بفضل مرونة المذهب والميونة في تطبيق تعاليمه ، مما سمح له بالالتقاء مع مذاهب أهل الرأي من الحنيفة والمعتزلة الذين تقبلوه بسهولة ، دون المالكية المتمسكين بالسنة والتقاليد المدنية . وهكذا يعتبر المذهب الشيعي بعامة ، مذهب رخصة وتساهل ، الأمر الذي يظهر في بعض أمور الأحوال الشخصية من الزواج والميراث (ما سبق ، ص ١٧) أو مما أدى إليه الرأي من التمسك بالاجتهاد في استنباط الأحكام ، وهو ما استمر عندهم بينما توقف عنه أهل السنة منذ القرن الرابع الهجري / ١٠ م ،

عن الصلاة . ورغم ما يقوله ابن عذارى من أن المروزي أراد من ابن جعفر أن يشترك معهم ويدخل في الكفر ، فمن الواضح أن الأمر لم يكن يتطلب أكثر من القسم بالطاعة .

(١٦٩) مثل محمد بن العباس الهنلي ، ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٦٥ .

(١٧٠) انظر موسى لقبال ، دور اكنامة ، ص ٤١٨ وما بعدها - حيث قائمة حسنة بالمتحتمين ، وقارن محمود اسماعيل ، المالكية والشيعة في أفريقيا ، المجلة المصرية ، ٢٣ ، ص ٨٨ وما بعدها حيث اضافة مخالقات أخرى ، من التمسك بما نهى عنه من شروط في كتب الصادق (ص ٨٨ ، عن الحنفي) أو عقوبات مبتكرة (ص ٨٩) مثل القتل دون اراقه دماء القتل ، كما حدث لمحمد بن خيرون الذي أمر عبده الله بدوسه حتى يموت « فطلع السودان فوق السرير ، نقتلوا عليه بأرجلهم » حتى مات (وانظر رياض النفوس ، ج ٢ ، ص ٥٢ ، ص ٥٤ وما سبق ، ص ١١٩) ، وهي المادة المعروفة عند الترك - وانظر للزلف ، الترك والاسلام ، مجلة عالم الفكر - الكويت ، ١٩٧٩ ، المجلد ١٠ العدد ٢ ، ص ٤٤٩ .

فكانت له تأثيراته المميزة في مجالات الحضارة الفاطمية المختلفة ، من التنظيم والرسم ، الى العمارة والفنون ، وخاصة العلوم والآداب .

فالذهب الاسماعيلي الفاطمي كان موضوعا لأدب خصص أثيري الفسخر الاسلامي على وجه العموم ، حيث دازت حول الموضوعات الخلافية فيه ، وما يتعلق بأصوله في الامامة وشرعية نظام الحكم في الاسلام ، وما يتعلق بفروعه في الأذان والزواج وتوريث المرأة والقياس ، مناظرات حادية ومناقشات عميقة ، استخدمت فيها كل وسائل الاقناع من : بياضة عقلية ومنطقية ، مما سبقت الإشارة اليه (ص ١٣٣) .

فقد كان موضوع الامام المهدي المعصوم ، وريث النبوة وصاحب القداسة بفضل التخصص والحلول الالهى ، من الموضوعات التي أثارت خيال الشعراء الذين شبهوه بالأنبياء وبالغوا في ذلك الى حد التأليه (ما سبق ، ص ١٢٧-١٢٨) أو الذين شبهوا المهدي ، حضرته ومقره ، بالبيت الحرام في مكة (ما سبق ص ١٠٠ وهـ ٩٥) الأمر الذي يمثل باكورة ضرب من الأدب والشعر الفاطمي الجديد ، الذي نضج في المغرب على يدي شاعر الخليفة المعز محمد بن هانيء الأندلسي ، والذي كان له تأثيره في الأدب الديواني في البلاط العباسي حيث ظهرت المصطلحات الغالية في الكتب والرسائل الانشائية ، مما يتعلق بالقباب الخليفة وصفات امارة المؤمنين ، بما يشبه نعوت العصمة والهداية والشرف ، مما ظهرت نماذجه أيضا عند الملوك المتغلبين ، بل وعند عمال الدولة أيضا (١٧١) . والمهم في هذا الأدب الغالي

(١٧١) انظر ادام متز ، الحضارة الاسلامية ، الفصل التاسع ، رسوم الخلافة ، ج ١ ص ٢٥٥ وما بعدها حيث أصبح شعار الخلافة اللونين الأسود (العباسي) والأبيض (الفاطمي) في مصر (ص ٢٥٦) ، كما أصبح سيف الرسول ذو الفقار من شعارات الخلافة العباسية ، (وهو عند الفاطميين سيف الامام علي ذو الشفرتين) - ص ٢٥٥ ، وانظر فيما سبق ، ص ٢٣ - حيث قتل ابي يزيد الزناتي بندي الفقار ، وفيما بعد ص ١٨٥ وهـ ٦٨ حيث يحمل المنصور ذو الفقار في قتال الثائر .

هذا كما حملت على رأس الخليفة العباسي شمسة الخلافة (كما المظلة عند الفاطميين في مصر - ص ٢٥٧) أما أول من أخرج في ذكر الخليفة وصفه بالحضرة المقدسة النبوية ، اختراعا جعله قرية ، فصار سنة ، ومضى في ذلك حتى خرق العرف والعادة « فهو كاتب الخليفة القادر » (٢٨١ - ٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م) ، (ص ٢٥٩) وأنهى الأمر بأن اتخذ الملوك المتغلبون الألقاب التقليدية أيضا ، كما فعل أمراء بني بويه الشيعة الذين اتخذوا لقب شاهنشاه وملك الملوك ، الأمر الذي أثار القاضي الماوردي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) صاحب الأحكام السلطانية .

انه كان محصورا في دوائر المذهب الخاصة ، بصفته معرفة من طبقة علم الحقيقة الذي لا تدركه العامة الذين يعرضون لسوء فهمه والانحراف عن مقاضده ، الأمر الذي دعا المهدي الى الطلب من الدعاة ، وعدم نشر المذهب بينهم (ما سبق ، ص ١٣٢) .

بقاء العامة سنوية بفضل علماء المالكية :

وهنا لنا أن نتساءل ، بصدد بقاء جمهور العامة في أفريقية سنوية بفضل علمائه المالكية خاصة ، عما اذا كان نتاج هؤلاء العلماء العلمي والثقافي تصح نسبته الى ذلك العصر الفاطمي الذي وقفوا منه موقف الرفض والمعارضة ؟ والحقيقة انه اذا كان نتاج علماء أهل السنة في تلك الفترة المبكرة من عهد الدولة الفاطمية ، هو ثمرة غرس ترعرع في ظلال العصر الأغلبي السنني ، فمن الصحيح أيضا انه في موضوع التاريخ تصح نسبة الأحداث الى أزمانها ، تماما كما تنسب الى مواضعها ، بصرف النظر عن طبيعتها التي لا تمنع من تصنيفها موضوعيا حسب المضمون ، وهكذا يمكن تقسيم النشاط الثقافي في ذلك العصر ، كما في كل عصر ، الى نتاج رسمي ينمو ويزدهر تحت مظلة السلطة ، وهو الذي ينسب الى العصر حقا ، بصفته نتاجا شرعيا مقبولا من الدولة ، وان لم يحظ برعايتها ، فهو ملتزم أو موجه ، كما يقال الآن ، ومجاله الجهر والعلن ، والى نتاج شعبي ينمو ويزدهر في أوساط العمامة بعيدا عن السلطة ، وربما في كنف المعارضة أيضا ، فهو ما بين حرتلثائي ، ومعارض مجاله الخفاء والسنن . فمن أهل البلاد المعارضة الذين عرفوا بعلمهم وأدبهم ، يذكر أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهر بن اسماعيل ، الزناتي ، التاهرتي (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م - عن ٩٦ سنة) الذي كان عالما بالحديث وطبقات الرجال ، كما كان شاعرا مقلقا (١٧٢) .

على أساس انه من أسماء الله ، ولو أن الماوردي نفسه حمل لقب أفضى القضاة الأمر الذي اثار حنق فقهاء بغداد وقتئذ (انظر للمؤلف ، الماوردي بين التاريخ والسياسة ، سلسلة المحاضرات العامة بجامعة الاسكندرية ، لعام ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، طبع جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٢ ، ص ٣٣ - استنادا الى ابن خلكان وياقوت في معجم الأدباء ، ابن خلدون ، ط : بولاق ، ج ٣ ص ٤٤٩ ، والسبكي ، ج ٣ ص ٣٠٥) .
(١٧٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٣ ، ١٥٤ - حيث الإشارة الى أنه كانت له رحله (سنة ٢١٧ هـ / ٨٠٣ م) سمع فيها من الفقهاء وجلة العلماء ، كما مدح الخليفة المتعصم ، الأمر الذي أدخله في صراعات مع شعراء العراق وقتئذ ، مثل دعبل - انظر ص ٢٨٢ - ٢٨٣

وعن نتاج انوافدين (من أهل السنة) الذين عاصروا الأغابسة وخدموهم ، نذكر أعمال أبي اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني البغدادي ، المعروف بالرياضي (ت ١٦ جمادى الأولى سنة ٢٩٨ هـ / ٢٠ يناير ٩١١ م) الذي عمل كاتباً (وزيراً) للأغالبة ثم دخل في خدمة الداعي وسار معه الى سجلماسة ، وظل بعده في خدمة عبيد الله المهدي كاتباً ، وان كنا لا نعرف صراحة ان كان قد دخل في المذهب أم لا . وهو الأمر غير المهم - على كل حال - فالرجل الذي عرف بـ « الرياضي » لم يكن من رجال الدين أو الدعاة ، بل عرف بأنه كان طريفاً أدبياً ، رسلاً ، شاعراً ، حسن التأليف ، ورغم اتجاهاته الأدبية ، بصفته كاتباً فقد كان من بين تأليفه ما هو في علوم الدين ، مثل : سند في الحديث ، وكتاب في القرآن سماه (شرح إلهدي) الى جانب كتب في الأدب منها « لقيط المرجان » ، ورسالة « الوحيدة أؤنسة » و « قطب الأدب » ، وغيرها (١٧٣) . أما عن ابن جعفر البغدادي الذي خلف أبا اليسر في الكتابة للمهدي والذي صار أول رجال البلاط المقربين ، فقد كان محباً للأدب ، يجالس أهله وخاصة من الأندلسيين القاصدين الى الحج (١٧٤) .

ومثل ذلك يقال عن الفقيه أحمد بن نصر بن زياد المسالكي ، صحيح المذهب (ت ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) الذي سمع من محمد بن سحنون ، والذي كان عالماً بالمنظرة ، فقد كان يتردد على مجلسه بالقيروان الأندلسيون وهم في طريقهم الى الحج (١٧٥) .

حيث انغمسه في الحياة السياسية وشادته بانتصارات موسى بن أبي العافية على الحسن ابن أبي العيش وحلفائه من البربر ، من : زواغة ونفزة ومغيلة وجراوة . ومن شعره في ذلك :

غشى مغيلة بالسيوف مذلة
وسقى جراوة من نقيع الحنظل

وانظر العيون والحدائق ، ج ٤ قسم ١ ص ٢٢٢ - حيث النصر على انه ولد في سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م بتاهرت ، وانه مدح بالمشرق كتفة في الحديث وكشاعر جيد ، وقارن رياضي النفوس للمالكي - حيث الإشارة الى خروجه هرباً من ابراهيم بن أحمد نحو تاهرت ببلده ، ثم مرثى في ولده عبد الرحمن الذي قتل في الطريق .

(١٧٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٢ - حيث يذكر في طريقه ، ما ادعاه عند أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن ، من أنه رسول أهل الشام اليه ، واحسان الأمير اليه رغم معرفته زيف ذلك الادعاء .

(١٧٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٣ - حيث الإشارة الى من كان يخالطهم من الأندلسيين في المغرب ، ممن كان يجالسهم في الأندلس عندما دخلها أيام الأمير عبد الله .

(١٧٥) ابن عذاري - ط : بيروت ج ١ ص ٢٧٥ - حيث الإشارة الى دخول محمد بن

ومن أهل أفريقيا يذكر أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن بن جندب ، المعروف بـ « موسى القطان » (ت ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م) ، وهو ممن أخذ عن محمد بن سحنون (ت في نفس السنة) ، وله تأليف في أحكام القرآن في ١٢٠ (اثني عشر) مجلدا (جزءا) (١٧٦) .

ومن أهل التمرّض والعلاج الذين استخدمهم عبيد الله المهديّ : زياد ابن خلفون المتطبب ، مولى بني الأغلب (ت ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) ، الذي كان عالما بالطب ، حسن الذهن فيه . ومن المهم هنا هو أنه رغم حاجة المهدي الى الرجل وتقريبه له ، فإن تلك الصلة الوثيقة بالمهدي لم تكن لتضمن له الأمن والسلامة من عدوان القسائد أبي سعيد الضيف في القيروان من رقادة (١٧٧) . وفي الحساب اشتهر ابراهيم بن يونس ، مولى موسى بن نصير ، وهو المعروف « بابن الحساب » ، و « بحارث حسبة » (ت ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) ، وكانت له ولاية الحكم والقضاء بالقيروان و رقادة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥) .

وفي الوثائق أو الشروط كان لأحمد بن زياد الفارسي (ت ٣١٩ هـ / ٩٣٢ م بالقيروان) صاحب الوثائق الذي خدم على أيام الأغالبة ككاتب للقاضي عيسى بن مسكين ، كتب معروفة في هذا الفن ، وكذلك في مواقيت الصلاة . أما عن صاحب الوثائق وقتئذ بطرابلس ، وهو عبد الله بن سلمان ، الذي كان في هذا الفن من معاوني أبي جعفر البغدادي ، فقد كان منصرفا الى عشق الفرد من الأحداث (الفتيان) مما أثار بعض كبار رجال الدولة (خليل الشيعي - ابن اسحق) فرفع الأمر الى المهدي ، « خشية من

عبد الله بن مسرة القرطبي اليه حين توجهه الى الحج ، وعند الشيخ جماعة من المناظرين في المسائل ، الأمر الذي يعنى أن المجلس مشهورا ، وأنه كان مباحا للواردين من أهل العلم . وإذا كان ابن عذارى يتكلم عقب ذلك عن أحداث من العصر الأغلبي ، فالرأى أن يكون مجلس المناظرة هذا من العصر الفاطمي الذي كان له من العمر عشرين عاما وأكثر من قبيل التركة الاغلبية .

(١٧٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨١ - حيث الاشارة الى أنه ولي قضاة طرابلس أيام الاغالبة ، وان الأمير ابراهيم بن أحمد سخط عليه فأقصاه عن القضاء وسجنه . وانظر رياض النفوس ، ج ٢ ص ٦٣٢ حيث يشهد بخطق ابن الحداد في المناظرات .

(١٧٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٣ - حيث النص على أن المهدي كان يحذر طبيبه من دخول القيروان عندما يكون أبو سعيد الضيف هناك - وعندما تهاون زياد ، ذات يوم في الالتزام بتلك النصيحة ، تخلص منه الضيف بمعرفة جواسيسه .

شتر هذه الدولة الزاهرة وادخال العيب فيها ، كما كان الحال على ايام
الأغالبة ، حيث يذكر ابن سلمان هذا لقبيح القسول ، في رجز لابن عامر
الفزاري ، منه :

نار ابن سلمان على الغزلان شبيه بدر فوق غصن بان
ما ان له في حسنه من تان كأنما صيغ من العقيان

(ابن عذاري ، ج ١ ، ط بيروت ص ٢٩٠ - ٢٩١) .

ندوة علماء الشيعة :

ومن استعرض وفيات العلماء ورجال الدولة ، من اصحاب التواليف
والنشاط الثقافي لا نجد ذكرا الا للقليل ممن ينص على أنهم من الشيعة ،
فالوقت كان ما زال بعيدا عن المعز ، حيث ظهر القاضي النعمان بن محمد بن
حيون ، بمؤلفاته الغنية في المذهب من ظاهره الى باطنه ، وفي تاريخ
الدعوة ، من افتتاحها الى سير أئمتها .

وهنا لا بأس من الاشارة الى انه كان من اهل السنة من يذهب مذهب
الشيعة ، بمعنى أن التشيع هو حب العلويين من آل البيت الفاطميين ،
وعلى رأسهم الامام علي . والمثل لذلك هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد
الزناطي ، التاهرتي (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) الذي رثى الامام عايضا وهجا
قاتله ، بقصيدة يبارض فيها عمران بن حطان (١٧٨) .

ومن بعد الرعيل الأول من فقهاء المذهب الفاطمي ودعاته ، مثل ،
القاضي محمد بن عمر المروزي الذي كانت له ميوله الشيعية قبل قيام
الدولة ، فكان من أوائل من دخلوا في دعوة أبي عبد الله الداعي ، ومثل
أبي العباس المخطوم ، ممن جادلوا الخصوم واستخدموا الاقناع في نشر المذهب
والدفاع عنه الى جانب الارهاب ، لا يبر بنا في وفيات العلماء والزهاد في

(١٧٨) انظر : العيون والحداثق ، ج ٤ قسم ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ حيث ينسب نقل

القصيدة الى ابن الجزار ، ومنها :

قل لابن ملجم والافتدار غالبة	هدمت ويحك للإسلام أركانه
قتلت أفضل من يشق عمل قتله	وأول الناس اسلاما وایمانا
سهر النبي الذي اهدى الملتك	به نورا انشأ به ديننا ودنيانا
من كان منه على زعم الحسود له	مكان هارون من موسى بن عمران

ابن عذارى الا أسماء قلة من الشيعة ، رغم ما كانت تكتفي به الدولة من مجرد اعلان الولاء أو البيعة كشرط للدخول في المذهب ، وان كان ذلك على يدى أحد الدعاة (انظر فيما سبق ، ص ١٢٦) . ولقد دخلت الدعوة قلة من سلالة الأمويين ، أو ممن كانوا في خدمة العباسيين أو قبلت خدمة الدولة . فكان ممن دخل منهم في الدعوة أبو الفضل محمد بن عبد السلام ، من ولد عبد الملك بن مروان (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) والذي تولى جباية طرابلس وتونس (١٧٩) . كما يذكر محمد بن سلام بن سيار ، البرقي ، الهمداني (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) على انه كان متفهما على مذهب الشيعة ، وان لم تذكر له مؤلفات ما (ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٢٦٤) .

ما بين آدب الدنيا والدين :

ومما يسترعى الانتباه في وفيات ابن عذارى ، موت المغني البغدادي ، مولى موسى بن بغا ، فجأة ، سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م (البيان ط . بيروت ، ج ١ ص ٢٦٩) ، بمعنى وقوع العاصمة الفاطمية تحت تأثيرات الحضارة العباسية في مجال الغناء والموسيقى ، تماما كما كان الحال بالنسبة لقرطبة الأمويين والأندلس ، التي كان قد نزلها تلميذ الموصلي الشهير زرياب ، على عهد الأغالبة ، وبذلك كانت ثقافة بغداد من : دينية وترويحوية تنتشر ، على طول طريق الحج ، ما بين الأندلس والمغرب (١٨٠) .

هكذا كانت الحياة تسير في توازن معقول ، ما بين آدب الدين وآدب الدنيا ، الأمر الذي يخفف من غلواء « الأزمة الفاطمية » عند البعض (١٨١) أو « عصر شهداء المالكية عند الآخرين » (١٨٢) . والحقيقة أن الأزمة وعصر الشهداء لا يظهرون بحده الا في تراجم أهل السنة من العلماء وبخاصة

(١٧٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٣ - حيث النص على أنه توصل الى أخذ نعمته ، ومات في عذاب الشيعة ، ص ٢٦٤ .

(١٨٠) انظر فيما سبق ص ١٢٨ - عن البغداديين الذين دخلوا الأندلس قبل أن يسلبوا في خدمة المهدي ، وكانت لهم مجالسهم مع حجاج الأندلس . وانظر ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٢٥٦ ، عن محمد بن أحمد . من ولد عثمان بن عفان (ت في تونس ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) الذي كان قد طرا على ابراهيم بن أحمد الأغلبي ، ودخل الأندلس مرتين .

(١٨١) انظر ج . مارسيه بلاد البربر والمشرق الاسلامي في العصر الوسيطى «بالفرنسية» . (١٨٢) موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، ص ٤٢٣ - استنادا الى ابن نايجي في معالم الايمان ، وانظر فيما سبق ، ص ٩٣ .

الزهاد منهم ، من المجاهدين في الأمر بالمعروف ، طلاب الشهادة وأصحاب الكرامات .

معارضة التشيع :

فجيلة بن محمود الصدفى ، مولى عثمان بن عفان (ت ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م) الذى نراه عند ابن عذارى ، المؤرخ ، فقيها زاهدا نبذا دنيا وتبر ، من تركة والده الذى كان يعمل فى الجباية ، والتي بلغت ٨ (ثمانية) آلاف دينار ، يظهر عند المالكي ، الفقيه ، مرابطا بتقصر الطوب قرب سوسة ، وصاحب كرامات يستطيع أن يخرج التين الأخضر (الطازج) فى غير زمانه لمن يشتبهه من الصغار ، ثم أمرا بالمعروف يرفض تنفيذ أوامر القاضى المروزي الخاصة بالالتزام بتعاليم الأذان والصلاة ، ويشتم الرسول والمروزي معا . وهو قبل ذلك ، يفتن غما شديدا لخروج بعض أهل القيروان لاستقبال الداعى ، وإن كان تقية ، كما رفض ما سمعه فى خطبة الجمعة بجامع القيروان مما لا يجوز ، حيث كشف رأسه ، احتجاجا ، وسار من عند المنبر فى عمق المصلى الى باب الخروج على رواق الصحن ، وهو يصيح : « قطعوها جمعهم الله » . ويعلق المؤلف قائلا : « فمن حينئذ ترك العلماء حضور جمعتهم ، وهو أول من نبه على ذلك ، رضى » (١٨٣) ، وهو الأدر المبالغ فيه عن غير شك . فبصرف النظر عن الأمر بالمعروف وعن الحوارق والكرامات ، فالمشهور عند المؤرخين أن مقاطعة الناس لصلاة الجمعة لم تبدأ الا على أيام الزيريين قبيل منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، على أيام المعز الزيرى بالقيروان ، والمستنصر الفاطمى بالقاهرة ، وإن كان ذلك بالنسبة للعامة .

تشدد المهدي والقاضى المروزي :

وفيما يتعلق بالفقيهين ابن البردون وابن هذيل اللذين قتلتهما ابن أبى خنزير بأمر أبى العباس المخطوم ، فأولهما (ابن البردون) عند المالكي ، فقيه بارع فى العلم ، قوى فى الجدل وإقامة الحجج على المخالفين ، كواحد من تلاميذ ابن الحداد ، يفاوض المعتزلة على عهد الأغالبة ويتعرض لعقوبة الضرب من القاضى الصدينى الذى كان يقول بخلق القرآن . أما ثانيهما (ابن هذيل) فهو زاهد يأكل من كد امرأته التى كانت تغزل الكتان ، وهى المعلومات التى تعتبر إضافة مقبولة لما عند ابن عذارى وغيره

- ١٤٣ -

من المؤرخين . ولكن ما يلفت النظر هنا ، هو ما يضيفه المالكي من معلومات سبب في نل من أسباب الحادثة ووقيتها . فبدلا مما نسب أيهما من : التسوية بين علي وبين بقية الراشدين ، والظعن على الدولة ، الى جانب وشاية الخنفة (مما سبق ، ص ١٣٢ وهـ ٦٠) ، يضيف رواية أخرى تقول : ان المهدي هو الذي أمر بتدبيرهما والتشهير بهما ، لما رُفضا القول : « انه رسول الله ، كما أمرهم الداعي أخوه » ، وهو لذلك يغير توقيت الحديث ، فبدلا من وضعه في موضعه في صفر سنة ٢٩٧ هـ / اكتوبر ٩٠٩ م ، أثناء وجود الداعي في سجلماسة ، يضعه في سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م ، أي بعد حوالي سنتين من اقامة المهدي في رقادة (١٨٤) .

وعن التاجر أبو جعفر بن خيرون الذي ورث المهدي تركته بما فيها جامعه الخاص ، بعد أن مات في العذاب لمطالبته بوديعة كبيرة ، بسعي المروزي ، يقدم المالكي تفسيراً لعذابه بطريقة لا ندرى مدى صحتها ، إذ هي من عادات الترك بخاصة ، وتتلخص في موت الرجل دهسا بأرجل الحرس السوداني ، حسب أوامر المهدي (ما سبق ، ص ١٣٥ وهـ ١٧٠) . وهو عندما يعدد أعمال المروزي السيئة ، يذكر انه ترك الناس يصنعون التراويح (اتيام) سنة واجدة ثم انه منعهم من ذلك (رياض النفوس ، ص ٥٦) والمعروف تاريخيا انه منع التراويح عند حلول أول رمضان بالقيروان وهو الأمر المقبول ، طالما كان الداعي قد منعها ، وهو في ايكجان (١٨٥) .

أما عن القاضي المروزي ت ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م الذي تأتي ترجمته في « الرياض » في ثانياً ترجمة ابن خيرون الأندلسي القرطبي - فينسب اليه الكثير من البلايا ضد أهل السنة الذين أخافهم ، حتى وصفت أيامه بأنها كانت « صعبة جدا » ، وهكذا كانت نهايته بسعاية ابن أبي خنزير الذي ضج من كثرة ما كان المروزي يأتي له به من العلماء والصلحين ليقتلهم . وعندئذ مكن المهدي ابن أبي خنزير منه ، فأسرع في تعذيبه ، بهدف استصفاء ماله ، قبل أن ينتهي مرقوسا (مرقوساً) في بطنه في اسطبل

(١٨٤) انظر رياض النفوس ، ج ٢ ص ٤٧ - ٥٠ ، وقارن ص ٥٥ - حيث ينسب

قتلهما ، في رواية ثالثة ، الى القاضي المروزي .

(١٨٥) انظر ابن عذاري ج ١ ص ١٢٧ ، ط : بيروت ص ١٧٠ (في ايكجان) وص

٢٠٧ (في القيروان) .

الدواب ، دون أن يراق دمه ، على الطريقة التركية (١٨٦) ، كما كان الحال بالنسبة لابن خيرون الذي كان المروزي قد سعى عليه ، بينما كان ابن أبي سنزير نهب ماله (رياض ، ص ٥٤) .

وفيما يتعلق بأبي عبد الله محمد السدري (ت ٢٠٩ هـ / ٩٢١ م) فهو عند المالكي أحد المريدين البدلاء (رياض ، ص ١٦٦) أي الأقطاب أصحاب الكرامات والكشف ، الذين لا يقوم العالم الا بهم ، فاذا مات أحدهم حل بديله محله . وهو مناضل ضد التشيع الفاطمي ، قد بايع على جهاد عبيد الله المهدي ، وأمن من عقابه اذ كان يطلبه فلا يتمكن منه ، حيث كان الجند يغضبون عليه كما كان البريد يخطئه فيه . وهكذا فهو لا يقتل الا عندما يسلم نفسه بمحض ارادته (رياض ، ص ١٧٠ - ١٧١) . وبسبب قتله ابتلى المهدي بعلة انتفخ فيها جسده وتفجر بالدماء . وعندما توفي لم يفتح الله على المقرئ الا بالآية التي تقول : « يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبشس الورد المرود » (سورة هود ١١ ، آية ٩٨) (١٨٧) .

ما بين التاريخ والخرافات والأساطير :

وهكذا يختلط التاريخ بالخرافات والأساطير في سير العلماء والزهاد في كنت التراجم خاصة ، ويصبح الوصول الى الحقيقة ، هدف البحث التاريخي ، من الصعوبة بمكان . ولكنه اذا كان من المقبول اسقاط ذلك اللون من قصص الخوارق والكرامات ، فانه ينبغي ألا يفعل المؤرخ ذلك الا بعد اعمال الفكر فيه والروية ، فعسى أن تكون لبعض الأساطير أصول تاريخية تماما ، كما يمكن أن تتحول بعض الأساطير الشعبية ، مع مرور الوقت ، الى حقائق تاريخية . وبناء على ذلك ينبغي التأمي في الحكم على مثل تلك الموضوعات الشائكة مما يتعلق بالصراع الفكري والمذهبي ، فعادة ما تكون الحقيقة في الوسط ما بين الطرفين . وهكذا ، عندما سنل القاضي

(١٨٦) رياض النفوس ، ج ٢ ص ٥٤ - ٥٦ ، وما سبق ، ص ١٣٥ وما ١٧٠ .
(١٨٧) رياض النفوس ، ص ١٧٢ - وانظر فيما بعدها حيث يامر السدري عبيد الله بـ « غليظ الكلام مثل : لو كنت أمير المؤمنين ما أمرت بسب السلف وأظهرت الحمر والقبالات (الضرائب على ما تباع في الأسواق) والمراصد ٠٠٠ » وكيف خافه المسكر فهربوا ، وقتلوا مكانه روميا الى جانب روايات أسطورية أخرى خاصة بقتله بعد سجنه ، وقارن ابن حمادة ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص ٢٦ - حيث كانت وفاته من دواء سقاه اياه ابن الجزائر لعلة نفرس - كان يشكو منها .

المرورى عما جرى على يديه من امتحان محمد بن محمد بن سحنون ، وكيف لم يشفع له صلاح والده وإمامة جده ، رد الرجل الذى اشتهر بشسوته مع مخالفيه ، والذى كان قد هدد حفيد سحنون بالقتل ، ومع ذلك فقد قنع من عقوبته بـ « درات يسيرة » ، قائلا : « ضربته شفقة عليه ، خوفا أن يرفع أمره الى السلطان » (رياض النفوس ، ص ٥٥) - وهنا يظهر الجانب الآخر من القاضى الفاطمى الذى كان يخيف أهل السنة ، فهو رقيق القلب ، حريص على سلامة المعتبرين من أهل السنة ومثل هذا ما كان يفعل المهدي تبعا للظروف ، بمعنى أن ما يسمى بالأزمة الفاطمية أو عصر شهداء المالكية ، ما هو الا تعبير عن أحوال نسبية تطرأ فى كل عهد وزمان ، وهو ما يؤكد استقراء التاريخ الفاطمى فى تطوراته المستقبلية ، وما توضحه بشكل ملموس انجازاته الفكرية والحضارية ، فى المغرب أو صقلية ، قبل مصر والشام .

صقلية الفاطمية : على عهد المهدي :

ورث عبيد الله المهدي جزيرة صقلية بين ما ورثه من تركة الأغالبة فى بلاد افريقية ، حيث كانت قد ظهرت أسر متخصصة - والتخصص فى الحكم والادارة عند الخاصة ، كما فى الحرف والصناعات عند العامة هو ظاهرة تلك العصور المتوسطة - فى حكم صقلية ، وفى الجهاد فيما وراء البحار ، سواء فى الجزيرة أو كلابريا (قلورية) وإيطاليا (الأرض الكبيرة) ، تتوالى على الامارة بشكل شبه دورى رتيب . أما عن أحوال الجزيرة على أواخر أيام الأغالبة ، بعد حوالى ٨٠ (ثمانين) سنة من الفتح . فلم تكن تثير الاطمئنان فى القيروان . فالجزيرة لم تكن قد أصبحت اسلامية تماما ، إذ ظل سلطان بينزلة موجودا فى المدن والقلاع على الساحل الشرقى للجزيرة ، بينما كانت الاقاليم الاسلامية منشقة على نفسها ، عرقيا ومذهبيا ، بين العرب والبربر ، على الساحل الشمالى ، وجرجنت على الساحل الغربى ، حيث قامت النزاعات بينهم بل والحروب ، مما سبقت الإشارة اليه (ج ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٥) : فلم يكن يوجد بين الفريقين الا النداء للجهاد ، وهو ما لجأ اليه أمراء الأغالبة الأواخر ، من ابراهيم بن أحمد وخليفتيه (ج ٢ ص ٢٧٦ وما بعدها) .

والحقيقة أنه كان قد بدأ يتكون فى الجزيرة عرق على صقلية ، شبه بجماعة المولدين فى الأندلس له طموحات فى الحكم والسيادة فى مقابل خبراته فى الحرب والجهاد ، صناعة أهل الجزيرة بالامتياز . هكذا ولى الجزيرة بسنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م محمد بن السرقوسى . وأن لم يعمر طويلا فى الامارة ، إذ

عزل في السنة انتابية ٢٩٥ هـ / ٦٠٨ م ، وحل مكانه أحمد بن أبي الحسين
ابن رباح ، سنيل قواد الجزيرة ، الذي لم يكتب له البقاء طويلا في منصبه ،
فبمجرد وصول أخبار انتصار الداعي وهرب زيادة الله الى مصر ، ثار أهلها
على : أحمد بن الحسين بن رباح ، فخلعوه واختاروا للإمامة بدلا منه : علي بن
أبي الفوارس في رجب ٢٩٦ هـ / ١٩٠٩ م ، الأمر الذي وافق عليه الداعي
بناء على طلبهم . شريطة أن يقوم ابن أبي الفوارس بواجب الجهاد ، برا
وبحرا .

الحسن بن أبي خنزير واليا :

وبعد أن استقر المهدي في رقادة وبدأ يعيد النظر في ادارة الدواوين
وترتيبها ، نقل الحسن بن أحمد بن أبي خنزير من ولاية القيروان التي كان
قد أقره فيها عقب عودته من سجلماسة ، الى امارة صقلية ، فكان وصوله
الى مازر يوم عيد الأضحى (١٠ ذى الحجة) سنة ٢٩٧ هـ / ٢٠ أغسطس
٩١٠ م . ولا ندري ما اذا كان اختيار الحسن بن أبي خنزير لامارة صقلية
قد تم بناء على قاعدة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، لما عرف
عنه من الشدة والحزم ، أم لأنه تم في اطار ما كان يخطط له المهدي من
تفريق أصحاب الداعي ، قبل أن ينفرد به وحده (ما سبق ، ص ٦٦)
وهو ما لا تصرح به النصوص .

والمهم أن الحسن بن أبي خنزير ، بعد أن استقر في العاصمة بلرم
حيث « الارستقراطية » العربية بدأ باقرار الأمور في الجزيرة فعين أخاه عليا
واليا على مدينة (البربر) جرجنت ، حتى يضمن ضبط المدينتين المتنافستين .
فيما بينهما ، كما أقر قاضي الجزيرة ، المعين من قبل المهدي ، وهو : اسحاق .
ابن أبي المنهال ، ليمارس عمله في القضاء والدعوة (١٨٨) ، ثم انه لم يتأخر
في اتباع ما كان يرجى فيه من سياسة القوة والحسم ، في الجهاد والحكم .
فلم تطلع سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م الا وكان يسير على رأس قواته الى حيث .

(١٨٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩ - حيث النص على انه « جعل قاضيا بصقلية » اسحاق .
ابن أبي المنهال وهو أول قاضي تولى للمهدي « . واذا كانت بداية النص يفهم منها أن ابن
أبي خنزير هو الذي عين القاضي فان نهايته ترجح أن تعيينه كان من قبل المهدي ، كما جرى
بذلك التقليد الذي يحقق استقلال السلطة القضائية عن التنفيذية . وانظر عزيز أحمد ،
صقلية الاسلامية (بالانجليزية) ادنبره ، ١٩٧٥ ، ص ٦ - حيث الإشارة الى أنه كان على
القاضي ابن أبي المنهال أن يعلن خلافة المهدي في الخطبة فور بلرم .

ثار التصاري في مدينة دمنش (وادي الشيطان Val Demone - عزيز أحمد ، ص ٦) ، التي تعرضت لأعمال من العنف والاحراق ، انتهت بعوذته بالغنيمة والسبي . ولكن تطبيق مثل تلك السياسة داخلها لم يقدر له النجاح . فبعد مدة يسيرة ثار به الأحرار من الصقليين ، فخاصوه من الإمارة سنة ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م وألقوا به في السجن ، بعد أن نهبوا داره ، وكذلك فعلوا بأخيه وبعثوا إلى المهدي يعتذرون له عما بدر منهم في حق واليه الصعب ، فقبل عذرهم ، وانتهى الأمر بأن عين لهم واليا جديدا من قبله ، هو : علي بن عمر البلوي ، الذي وصل اليهم في ذي الحجة من نفس السنة (٢٩٩ هـ / يولييه ٩١٢ م) (١٨٩) . بينما عاد ابن أبي خنزير إلى رقادة حيث سيعهد إليه المهدي بقيادة الأسطول ، كما سوف نرى .

ابن قُرهب والدعوة للعباسيين :

وإذا كان المهدي ، عندما وقع اختياره على : علي بن عمر للولاية ، فعل ذلك لكبر سن الرجل ، وما كان ينصف به من الرقة واللين ، على عكس سلفه ، كما يظن ، فإن الصقليين المتقلبين دائما ، والمتطلعين إلى الاستقلال لم يكونوا ليرضوا بذلك ، إذ تعللوا بضعف الرجل ، فعزلوه سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م ، وعرضوا الولاية على واحد من رجال الأغالبة السابقين هو : أحمد ابن زيادة الله بن قُرهب ، الذي لم يقبل - « تكتيكيا » كما يقال الآن - وتبالح الرواية عندما تقول انه هرب منهم ، وتوارى في بعض الغدران - وكأنه واحد من الصالحين الذين يخشون أن يحلوا عبء الأمانة (في الحكم) . والحقيقة أن الرجل لم يكن يريد أكثر من صدق زعماء الجزيرة فيما يعرضونه تخليه من الإمارة ، وذلك انه عندما اجتمع وجوه أهل البلد إليه ، وسألوه التآمر عليهم ، وأوثقوه من أنفسهم أنهم لا يخذلونه تولى أمرهم (١٩٠) .

وأغلب الظن أن قبول ابن قُرهب للولاية كان مشروطًا بالموافقة على قطع علاقة الجزيرة بالشيعة الفاطميين في أفريقية ، على أن يستبدلوا بذلك

(١٨٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٠ وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٨ - حيث يضع الثورة على الحسن وأخيه علي في غير موضعه (في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م) وهو تاريخ للثورة الثانية التي خلغوا فيها علي بن عمر .
(١٩٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٨ ، ط : بيروت ص ٢٢٣ - حيث يبدأ النص بأن الثورة كانت على الحسن وعلي ابن أحمد بن أبي خنزير ، وهي رواية للثورة السابقة ، وضعت في غير موضعها كبدائية لثورة ابن قُرهب ، كما سيبت الإشارة في الهامش السابق .

اعلان الطاعة للخلافة العباسية . فلقد كتب ابن قرههب الى الخليفة المقننر ببغداد يطلب الموافقة على أن يكون تابعا له على الجزيرة نظير الدعوة له في خطبة الجمعة . ووافق الديوان الخلفي ببغداد على ذلك وبعث الى ابن قرههب بالأعلام العباسية السود ، والملابس الرسمية السوداء ، كما أنعم عليه بوسام « الطوق الذهبي » (١٩١) .

ابن قرههب مجاهدا :

وكما هي العادة ، وفي سبيل لم شمل زعماء الجزيرة حوله كان عليه أن يبدأ عمله سنة ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م ، بالجهاد فبعث حملة صغيرة الى كلابريا ، عادت بالمغانم والأسرى من الروم . ثم انه في السنة التالية (٣٠٠ هـ / ٩١٣ م) سير ابنه عليا على رأس حملة لحصار قلعة طبرمين الحديثة ، وكان هدفه كما تنص الرواية أن يجعل منها ، اذا ما ملكها ، قاعدة احتياطية له يشحنها بماله وعبيده وأولاده ، « فاذا رأى من أهل صقلية ما يكره امتنع بها » (١٩٢) . ولكن الحصار الذي طال الى ٦ (ستة) أشهر أثار الملل في نفوس العسكر الذين ناروا بقائدهم ابن الوالي ، الى حد أن « أحرقوا خيمته وسواد عسكره ، وأرادوا قتله ، فمنعهم العرب » (ابن الأثير ج ٨ ص ٧١) ، وهو ما يعني أن العسكر الثائر كان من البربر من أهل جرجنت وان ابن قرههب كان يجاهد منذ البداية تحت شعارات الدولة العباسية السوداء . وان كان ذلك يثير تساؤلات عما اذا كان اضطراب العسكر البربري نوعا من الاحتجاج على قطع ابن قرههب وقتئذ ، لصلات صقلية بأفريقية ، ببلادهم الأصلية ، ووصلها ببغداد البعيدة ، أو انه كان بتحريض من المهدي ، بمعنى أن : شراء صداقة بعيد بعداوة قريب ، مما لا ينصح به سلامة الحس لفداحة الشمن .

ولا بأس أن يكون ابن قرههب قد أراد أن يؤكد سياسته هذه ، وذلك عندما تجرأ في السنة التالية ٣٠١ هـ / ٩١٤ م وشن غارات بحرية بعيدة

(١٩١) ابن عذارى ج ١ ص ١٦٨ ، وقارن ابن الأثير ، الذي يجعل ذلك بعد قيام ابن قرههب بتشائه الحرب في قلورية (كلابريا) وفي الجزيرة ، وان لم يحدد التواريخ ، فرائنا أن سلامة الحس ترجح أن يكون ابن قرههب قد بدأ بالاتصال بالخلافة ، فعلا ، وأنه بدأ بممارسة نشاطه في الحكم والجهاد قبل أن تأتيه الموافقة من بغداد ، الأمر الذي يفسر صحة ترتيب الأحداث عند ابن الأثير بالشكل الذي أخذنا به .

(١٩٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧١ .

المضى على طول السواحل الفاطمية فكانها سواحل دار الحرب في بلاد الروم .
ففي مرسى « لص » نجحت مرائب ابن قره ب ، بقيادة ابنه محمد ، في
مفاجأة الأسطول الفاطمي الرابض هناك بقيادة الحسن بن أحمد بن أبي خنزير ،
فاستولت عليه ، وأسرت من طاقمه ٦٠٠ رجل ، من بينهم قائده ابن أبي
خنزير ، وتدل العقوبة التي أنزلها محمد بن قره ب بهذا الأخير ، من : ذبحه
بيديه وقطع يديه ورجليه (١٩٣) ، وهي عقوبة المفسدين في الأرض ، بأن ثمة
انتقاما في الأمر وثارا ، مما يرجح أن يكون للحسن يد في تاليف بربر
جرجنت على واليهم الذي وجه أنظاره بعيدا من بلادهم نحو المشرق وبغداد .
ولم تجد محاولة المهدي الذي سير العساكر لانقاذ الأسطول الذي كان قد
تم احتراقه ، ولا للتصدي للصقليين الذين هزمهم (١٩٤) ، قبل أن يواصلوا
غارتهم على سفاقص التي خربوها ، ولو أنهم لم يستطيعوا - عندما وصلوا
الى طرابلس مواجهة ولي العهد أبي القاسم ، بقواته الكبيرة المتجهة وقتئذ ،
نحو مصر ، فعادوا من حيث أتوا ، الى قواعدهم (١٩٥) .

الاتصال بغلظة بغداد وبداية النهاية لنظام ابن قره ب :

ولا بأس أن يكون ابن قره ب قد أخبر بغداد بما حققه من انتصارات
على الفاطميين فهذا ما يفسر وصول الخلع السود والألوية اليه من الخليفة
المقتدر (ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧١) . ومن الطبيعي أن يكون قد عمل على
تأكيد تفوقه البحري بغارات جديدة على جنوب إيطاليا وسواحل أفريقية .
فابن الأثير يشير الى أنه أخرج قوات برية (جيشا) محمولة في البحر الى
كلابريا (كلورية) ويقول انها غنمت وخربت وعادت - كما حدث في أول
ولايته ، دون أن يحدد التاريخ (١٩٦) . وهنا يكون اللجوء الى رواية تاريخ

(١٩٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٧١ حيث الاشارة الى انه احرق الأسطول جميعا ، بمعنى
أن الحريق كان قصدا ، ولم يكن صدفة أو عملا حربيا غير مقصود لذاته . وقارن ابن الأثير
ج ٨ ص ٧١ - حيث النص على احراق الأسطول ، وقتل الحسن وحمل رأسه (الى صقلية)
وقارن المكتبة الصقلية لأماري ، ج ١ ، الباب ٢٧ : تاريخ جزيرة صقلية من حين دخلها
المسلمون حسب تاريخ العالم ، المعروف بمخطوط كامبريدج ، ص ١٦٨ - حيث النص على
خروج مراكب ابن قره ب في ٩ يولييه (سنة ٦٤٢٢ من تاريخ العالم) وعلى أن احراق مراكب
أفريقية وقتل ابن أبي خنزيرة كان في ١٨ منه (يوليويه) .

(١٩٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٧١ .

(١٩٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧١ .

(١٩٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ - وهنا يمكن الظن أن تلك الحملة - بسبب غياب

صقلية (حسب تاريخ العالم) الذي يحدد جملة خرجت من صقلية في اول
سبتمبر (سبتمبر) من السنة اساليه لاجراى الإسكطون اعطاطى وقتل
ابن ابي حنزيه ، وهى سنة ٣٠٢ هـ / ١٥ - ١٦٦ م ، وينص على أن وجهتها
كانت « جلايانا » ، ولكنها انتهت باهلاك فى البحر غربا (١٦٦) . وتبع سوء
الظالم هذا فشل أسطول ابن قرهب فى محاوله جديدة ضد الأراضى العاطمية
اذ نصدى له أسطول المهديه ونجح فى اسر مراكبه ، فكان ذلك بداية للنهايه
بالنسبه لنظام ابن قرهب فى صقلية ، اذ « طمع فيه الناس ، وكانوا
يخافونه » . وكان الخارجون عليه ، بطبيعة الحال ، هم : بربر جرجنت
الذين بدأوا الاتصال بالمهيدى أو عاودوا ذلك ، الأمر الذى كان يمكن أن
يؤدى الى حرب أهليه (فتنه) بين العرب والبربر ، لولا ، أن أهل الرأى فى
الجزيرة ، وجدوا أنه من المصلحه العوده الى طاعة القيروان ، فراسلوا المهيدى
سرا (١٩٨) . وهنا استحسن ابن قرهب استخدام سياسة المداورة مع خصومه ،

فذكرهم بعهدهم له ، وعندما تيقن من عدم استجابتهم ، قرر ترك الجزيرة
واللجوء الى الأندلس . وفعلا أكثرى عددا من المراكب وشحنها بما كان عنده
من المال والمتاع ، ولكن خصومه حالوا بينه وبين الهرب ، فهجموا على المراكب
ونهبوا ما كان فيها ، كما قبضوا عليه وعلى ابنه محمد : قائد الأسطول على
ما نظن - وكذلك على قاضيه المعروف بابن الحامى ، وذلك فى سنة ٣٠٣ هـ /
٩١٥ م ، وبعثوهم فى ١٤ يوليو / ٢٨ ذى الحجة - مقيدين الى سوسة التى
وصلوها فى المحرم من سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م . وكان انتقام المهيدى الذى كان
فى انتظارهم مروعا ، اذ أنزل بهم عقوبة القتل وتقطيع الأيدى والأرجل ،
على قبر الحسن بن ابي حنزيه بباب سالم ، من أبواب القيروان - حيث شهز

التاريخ - ربما كانت تكرارا لحملة كلايريا الاولى (ما سبق ص ١٤٨ و١٩٢) ولكنه من المقبول
ان يقوم الصقليون بصرف النظر عن واليهم - بحملاتهم الدورية فى البحر من أجل المنافع ،
ما اصبح بالنسبة لهم بعضا من تضالهم اليومى .

(١٩٧) امارى ، المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٦٨ - حيث تحديده السنة بـ ٦٤٢٣ -
حسب تاريخ العالم ، وانظر عزيز أحمد ، صقلية الاسلاميه (بالانجليزية) ، ص ٧ - حيث
النص على انه رغم تحطم القوة البحرية الصقلية فان القائد البيزنطى فى كلايريا ، وهو
أوستانيوس ، وافق على دفع الجزية - هذا ولو أن المرجح فى ذلك ، وهو ج - جاي
(J. Gay) يشير الى ان ذلك كان سياسة معايشة جديدة انتهجها بعض القواد
البيزنطيين ، ولو انه يقترح اكثر من تاريخ لذلك ما بين سنة ٩١٥ وسنة ٩١٨ . انظر فيما
بعد ، ص ١٥٤ .

(١٩٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ .

بهم صلبا (١٩٩) .

« الاتصال بالمهدي ، وتصيين أبي سعيد « الضيف » وأليا :

على عكس ما كان يظنه غفلاء الزعباء من رجاء مظنة السلام القاطمى بدلا من الفتنة العباسية ، فالظاهر أن روح اخلاف المتأصلة فى نفوس الصقليين ، ان لم تكن روح ابن قرهب التى ذهبت ضحية الفرقة فيما بينهم ، قد حادت بهم عن الطريق السليم . وذلك أنهم كتبوا الى المهدي يطلبون منه أن يرسل لهم « عاملا (وأليا) وقاضيا » فقط ، لانهم « لا يحتاجون الى رجال ولا مدد » (٢٠٠) - فكأنهم ما زالوا مصرين على الاستقلال عن القيروان ، بالأمر الواقع ، بمعنى أن تكون طاعتهم للدولة نوعا من الولاية التى لا طائل وراءها . وهنا تكون قد لحقت بهم لعنة ابن قرهب حقا ، حيث تذكر المهدي مقاتله له فيهم ، وهى : ان أهل صقلية يكثرون الشغب على أمرائهم ، ولا يطيعونهم ، وينهبون أموالهم ، ولا يزول ذلك الا بعسكر يقهرهم ويزيل الرئاسة عن رؤسائهم (٢٠١) . وهكذا عهد عبيد الله المهدي بامارة صقلية الى واحد من مشاهير القضاة من رجاله وهو : أبو سعيد موسى بن أحمد المشهور بالضيف ، وأخرجه مع كثير من شيوخ كتامة على رأس الجيوش والأساطيل ، التى أرسيت بميناء طرابلس فى ١٥ أغسطس (أوت) من نفس السنة ٣٠٤هـ / ١٩ صفر ٩١٦م ، وفى ٢٨ من سبتمبر / ٣٠٤هـ ١٦ ربيع كانت قواته تدخل العاصمة بلرم برا ، كما دخلها الأسطول بحرا (٢٠٢) .

(١٩٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ - وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧ - حيث تضرب الرواية بعض الشيء ، كما تصد الثورة على ابن قرهب بخطاب بثقة ٣٠٣هـ / ٩١٢م ، بدلا من سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م ، وقارن المكتبة الصقلية ، ج ١ الباب ٢٧ ، تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم من ١٦٨ - ١٦٩ - حيث النص على انه فى ١٤ يوليو سنة ٦٤٢٤ عزلوا الصقليون ابن قرهب ونفيه الى أفريقية ، ومات بها هو وولده .

(٢٠٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ .

(٢٠١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث النص على ان المهدي استقبل بن قرهب ليساله عن سبب خلافه ، فقال له : « أمل صقلية ولزنى وأنا كاره وخلصونى وأنا كاره » .

(٢٠٢) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ ، والمكتبة الصقلية لامارى ج ١ فصل ٢٧ - تاريخ صقلية (حسب تاريخ العالم) ، ص ١٦٩ - حيث النص على انه فى ١٥ أغسطس ٦٤٢٤ اتا أبو سعيد الضيف الى صقلية بعسكر كبير ، وأنه فى ٢٨ سبتمبر دخل بلرم .

ضرب المقاومة الصقلية ودخول بلرم :

وكان وصول القوات الفاطمية هذا ، بمثابة انذار بالخطر لكل أهل الجزيرة ، بصرف النظر عن اختلافاتهم العرقية أو المذهبية . فلم يأت ١٧ أكتوبر ٩٦٠م / ١٨ ربيع حتى قامت قائمة الصقليين جميعاً عليه ، اذ تحالف ضد أبي سعيد الضيف كل من بربر جرجنت وعرب بلرم (المدينة) بل ونصارى الجزيرة الذين تقوى بهم الثوار أيضاً (٢٠٣) ، وضربوا عليه الحصار . وتمكن أبو سعيد من كسر نطاق ذلك الحصار البرى بفضل السور الذى أحاط به قواته فكان يمكنه من السيطرة على المرسى (٢٠٤) . والمهم ان القتال انتهى بتراجع الثوار الى المدينة (بلرم) تتبعهم قوات أبي سعيد التى حاصرتهم برا وبحرا ل ٦ (ستة) شهور وقتلت عدداً من رؤوسائهم وأسرت منهم آخرين ، وقاست المدينة من الجوع والغلاء حتى بلغ سعر الملح فيها : « أوقية بخروبتين » (٢٠٥) ، كما قاست ضواحي المدينة من ذلك الحصار الطويل حيث راح كثير من النساء والصغار ضحية عيث الكتاميين بهم . والظاهر ان أبا سعيد الضيف انتهز الفرصة وكتب الى المهدي بأخبار ما حققه من الانتصارات ، وطلب المزيد من المعونة والامدادات لكسر شوكة العصاة نهائياً . وعندما وصلت المراكب الحربية عليها الأعداد الوفيرة من الرجال ، انتهى الأمر بطلب الأمان على أن يقدم المسئولون عما وقع فى المدينة من الأحداث . وبذلك دخلت العساكر بلرم وتسلم أبو سعيد الضيف المدينة فى ١٢ مارس / ٢٥ رمضان (٢٠٦) .

(٢٠٣) أنظر المكتبة الصقلية ، ج ١ فصل ٢٧ تاريخ صقلية - حسب تاريخ العالم ، ص ١٦٩ .

(٢٠٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ .

(٢٠٥) أنظر المكتبة الصقلية ، ج ١ فصل ٢٧ تاريخ صقلية - حسب تاريخ العالم ، ص ١٦٩ .

(٢٠٦) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ - ٧٣ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ - حبت يلخص كل من المؤرخين الأحداث ذات المصدر الواحد ، كما نرى دون تواريخ وبشكل يوحى بأنها وقعت متزامنة في وقت واحد . ولكن المقارنة بين النصين تساعد على التفرقة بين الأحداث فيما لتسلسل وقوعها المنطقي ، وقارن العيون والحدائق ، ج ٤ قسم ١ ، ص ٢٦٩ وص ١ - حيث الاشارة الى انتهاء نقل المؤلف من كامل ابن الأثير وبيان ابن عذارى - أما عن تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم المكتبة الصقلية لأمارى ، ج ١ فصل ٢٧ ، ص ١٦٩ . فله الفضل في ترتيب الأحداث ترتيباً دقيقاً حسب السنوات حسب تاريخ العالم . حيث وصول الضيف الى صقلية فى ١٥ أغسطس سنة ٦٤٢٤ وعودته الى أفريقية فى سبتمبر سنة ٦٤٢٦ .

وكانت فرصة اغتنامها الضيف وقرر أن يكون الاستلام شاملا ، وإلى الأبد ، كما تصور ، فجعل من بلرم مدينة « مفتوحة » ، كما يقال ، فهدم سورها وجرد أهلها من الخيل والسلاح ، ثم انه فرض عليهم غرامة مالية ثقيلة ، تتناسب مع ثقل وزرهم على ما نظن ، وان لم يعرف تدرها . أما عن اعتقالهم ممن يشك في ولائهم أو خطورة وجودهم في الجزيرة ، فقد بعث بهم إلى المهديّة ، ولكن ظروف البحر لم تسمح لهم بالوصول سالمين (٢٠٧) .

ولاية سالم بن راشد :

وعندما أتى كتاب المهدي يأمر أبا سعيد الضيف ، بالعفو عن العامة (٢٠٨) ، كان ذلك يعني أن الأمور قد هدأت تماما في صقلية وأن الهيمنة الفاطمية على الجزيرة قد أصبحت كاملة ، وهكذا عهد أبو سعيد بولاية الجزيرة إلى : سالم بن راشد ، وترك معه حامية كتامية ، وانصرف هو عائدا في شهر سبتمبر / ربيع الأول إلى القيروان .

والمهم في ولاية سالم بن راشد هذه انها طالّت إلى أكثر من ٢٠ (عشرين) سنة إلى ما بعد وفاة المهدي (سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م) وولاية القائم الذي أقره في الإمارة إلى ان انتهى أمره بشكل غامض خلال الاضطرابات التي ألمت بالجزيرة اعتبارا من سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٧م والتي استمرت لسنوات طويلة . وعلى عكس سنوات الاضطراب التي ختمت عهد سالم ، نلاحظ ان الحوليات المغربية في كل من ابن عذارى وابن الأثير وهي اخصبها ، تكاد تغفل أحوال صقلية خلال أيامه الطويلة ، باستثناء النص على بعض الأعمال الحربية فيما وراء البحار ، في كل من : كلابريا وأرض إيطاليا ، أو الهدنة مع نصارى الجزيرة ، مثلا .

العلاقات مع كلابريا وجناب إيطاليا :

وهنا لا بأس من التساؤل عما إذا كان ذلك يعني استتباب الهدوء

(٢٠٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث النص على أنه بعث بمن أخذ منهم إلى عبيد الله في مراكب ، فانكفأ بهم البحر . وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٣ - حيث النص على أنه أمن أهل المدينة الا رجلين هما آثارا الفتنة ، فرضوا بذلك ، وتسلم الرجلين ، وسدّهما إلى المهديّة بإفريقية .

(٢٠٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٣ .

والسكنية ، بمعنى حياة اخير والرخاء . في الجزيرة وسيادة الامن وا
مسح الروم (البيزنطيين) في كلابريا والامارات الايطالية المختلفة
تأبوى وساليرنو الى جرجانتو وجاينته وغيرها (انظر شكل ٢ ص ١٥٥) .
انه يمكن ان يفهم من المصادر الرومية . ومنها ما هو مكتوب باللغة الل
مثل : تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم (١٠١٦) . ان كبار القادة وال
في كلابريا ، وفي جنوب ايطاليا - مثل : اوستاثيوس (Athys)
وموزالون (Muzalon) لانوا قد عملوا وقتئذ على اقامة نوع من
المعيشة او حسن الجوار مع العرب الغزاة ، طالما عجزوا عن ردعهم
الامر الذي يتلخص في تحويل الفدية التي كانوا يدفعونها الى نو
الضريبة المنتظمة (٢١) . وهكذا فان القائد اوستاثيوس الذي كان
للإمبراطور وافق على ان يدفع ضريبة قدرها ٢٢ (اثنان وعشرين) الف
ذهبية وذلك حوالي سنة ٩١٥ هـ / ٩١٦ م / ٣٠٣ / ٣٠٤ هـ . وهو ال
الذي يحدده أمارى ، على أيام ابن قزح ، او ما بين سنتي ٩١٧ - ١٨
على عهد سالم ابن راشد ، كما يقترح ج . جاي (٢١١) . كما اضطر
القائد اوستاثيوس ، وهو البطريق : جان موزالون الى زيادة الضرا
لكي يوفى بتعهداته المالية الى العرب ، الامر الذي أدى الى الثورة
وقتلها فيما بين سنة ٩٢٠ م / ٣٠٨ هـ وسنة ٩٢٢ م / ٣١٠ هـ ، وهي الس
التي كانت فيها بلاد اللومبارد و كلابريا مسرحا لجولات أساطيل
والمهدية .

وبناء على ذلك فلا بأس ان تكون سياسة شراء المسلم هذه
استمرت . على أيام سالم بن راشد ، الامر الذي تؤيده الحملات التي كانت
من المهدية مباشرة الى ايطاليا وأغلب الظن ان المهدى لم يكن ليستفيد

(٢٠٩) مخطوط كابرديج ، في المكتبة الصقلية لأمارى ، ج ١ فصل ٢٧ ، ص ٦٦
١٧٠

(٢١٠) ج . جاي ، ايطاليا الجنوبية ٠٠ (بالفرنسية) ، ص ٢٠٢ .

(٢١١) والحقيقة ان ج . جاي ، مرجعنا في ذلك ، يقترح لتلك المعاهدة سنة ٩١٧ .
٣٠٥ هـ اعتمادا على الموزح اليوناني سكيليتيزس (Skylitzen) عند تناوله للحرب مع ال
التي دفعت الى ذلك الاتفاق ، وان كان يرجح ، تبعا للتسلسل المنطقي للأحداث ، سنة ١٨٠
٣٠٦ هـ التالية ، أي بعد اقتحام ريو ونهبها ، حسب تاريخ صقلية بالنسبة الى تاريخ المد
ج ١ ص ١٦٩ . انظر ج . جاي (J. Gay) ايطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ٠٠٠
باريس ، ١٩٠٤ ، ص ٢٠٢ - وفيما سبق ، ص ١٤٩ وهـ ١٩٧ .

أما عن السياسة التي اتبعها سالم في صقلية فهبها فقد هدفت الى تهدئة الأوضاع في الجانب المسيحي الرومي ، الذي كان قد تقوى بفضل الاضطرابات الداخلية . فلقد عقد سالم هدنة مع أهل طبرمين وسائر القلاع المجاورة لها على الشاطئ الشرقي للجزيرة ، وذلك في أواخر السنة التالية (ديسمبر ٩١٨م / رجب ٣٠٦هـ) . والظاهر أن الهدف من مهادنة نصارى الجزيرة كان تهيئة الظروف المناسبة لنقل الحرب الى الشاطئ الآخر في جنوب إيطاليا - وإن كان ذلك لم يحدث - في ضوء ما لدينا من الوثائق - الا بعد ٥ (خمس) سنوات .

فلقد كانت مدينة (شنت أغاثي) (St. Agathe) المجاورة لريو (جاي ، ص ٢٠٦) هدفا لغارة بحرية قامت بها (٢٠) عشرون مركبا من نوع الشيني ، بقيادة مسعود الفتى (الصقلي) ، اجتاحت المدينة وعادت الى المهديّة بالغنائم والسبي ، وذلك سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م (٢١٤) .

أما عن حملة سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م التي استهدفت أيضا غزو بلاد الروم والتي كانت قيادتها الى الحاجب ، الوزير ، جعفر بن عبيد ، فالظاهر أنها خرجت في وقت غير مناسب من أواخر الصيف وبداية الخريف ، وذلك أن الأسطول الخلفي اكتفى بقضاء الشتاء في صقلية وعاد - عندما تحسنت الأحوال الجوية - دون لقاء العدو (٢١٥) .

حملات على جنوب إيطاليا :

وعوضا عن تلك الحملة التي أجهضت لسبب أو لآخر ، كان جنوب إيطاليا هدفا لجملة مزدوجة في السنة التالية ٣١٣هـ / ٩٢٥م ، من جانب

(١٢٣) المكتبة الصقلية تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ج ١ ص ١٦٩ .
(٢١٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٨ ، ط : بيروت ص ٢٦٤ ، وقارن المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٦٩ حيث النص على ان شنت اغاثه هي مجموعة من القلاع ، وقارن ، ج ١ ص ٢٠٦ - حيث الاشارة الى انه اعتبارا من تلك السنة (٩٢٢م) بدأ ظهور عصابات البلغار في كامباني . ولكن الخطر الأعظم من ذلك كان يتمثل وقتئذ في « حلفاء جدد للمسلمين هم صقلية البحر الأدرياتي ، الذي دخل كثير منهم في خدمة المهدي (كخدي يتربون في كنف الخلافة قبل أن يصل بعضهم الى المراكز القيادية » .
(٢١٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٩ ، ط : بيروت ، ص ٢٦٦ ، وقارن المكتبة الصقلية ، تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ص ١٦٩ - ١٧٠ - حيث النص على أن جعفرا الحاجب أخذ برصاصه ؟

أسطول صقلية بقيادة الأمير سالم بن راشد ، وأسطول المهديّة بقيادة الحاجب (أبو أحمد) جعفر بن عبيد . ورغم ما توحى به رواية ابن الأثير من التنسيق بين الأسطولين ، فمن الواضح أن كلا منهما سار في وجهة خاصة به . فبعد أن اتجه جيش بلرم الى بلاد اللومبارد (أنكبردة) حيث تحقق فتح مدينتي : ال « غيران ، وأبرجه » وتم الحصول على مغنم وفيرة ، عاد جنوبا نحو كلابريا ومدينة « طارنت » التي حوصرت وفتحت عنوة في شهر رمضان / نوفمبر ، ومنها عرجت القوات الصقلية على مدينة « ادنرت » التي حوصرت ولكنه لم يمكن اجتياحها ، فاكتفى بتخريب منازلها . وكان ذلك الفشل نذير سوء للحملة ، حيث عصفت الوباء بالرجال واضطربهم الى العودة من حيث أتوا (ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٥٩) .

اجتياح أوربة :

أما عن حملة أسطول المهديّة بقيادة الحاجب جعفر ، فقد اتخذت مسارا آخر اذ نزلت قرب طارنت ، وحقت انتصارات كثيرة ، كان المعنا : التقدم نحو مدينة أوربي (Oriia) واجتياحها بعنف أسفر عن مقتل ٦ (ستة) آلاف رجل من محاربيها ، وسبى ١٠ (عشرة) آلاف من نساها . وكان من بين الأسرى بطريق بلدة مجاورة دفع خمسة آلاف دينار كفدية عن نفسه وصلاح عن مدينته . وكان على القائد الحاجب ، وهو في طريقه الى صقلية ، عبر كلابريا أن يهادن أهلها ، على دفع « الجزية » من غير شك ، اذ أخذ منهم رهينتين من أكبر أعيان الناس هما : « لاه » أسقف صقلية ووالى قلورية (كلابريا) . وذلك قبل أن يسير الى صقلية ليصلح من شأنه ، ويخبر المهدي بانجازاته ، قبل الرجوع الى المهديّة في ٢٦ من ربيع الآخر ، ليقدّم الحساب عما حصل عليه من المغنم (٢١٦) التي استقلها المهدي - رغم كثرتها

(٢١٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٠ وط . بيروت ، ص ٢٦٧ (حيث الاسم وارى بدلا من أوربي) ، تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، المكتبة الصقلية لأمارى ، ج ١ ص ١٧٠ . وقارن ج . جاي (J. Gay) ايطاليا الجنوبية ص ٢٠٧ - حيث الاشارة الى ان أوربي (وارى عند ابن عذارى ، وأوره في المكتبة الصقلية) كانت مدينة أهلة بالسكان فيها جالية يهودية كبيرة ، وأنه كان من بين الأسرى العالم اليهودي شبطاي الذي التقى بعد عدة أشهر في طارنت . ولا بأس أن يكون المقصود بالطريق قائد البلدة المجاورة ، كما في نص ابن عذارى هو (رئيس حي اليهود) الذي صالح عن نفسه وعن مدينته ، وان كان « جاي » يأخذ برواية أمارى التي يرى فيها أن يكون مسلح بالطريق وبلدته هو صلح أوربي نفسها ، الذي صدق عليه المهدي بعد أن وعده الامبراطور رومان لكابن (Lécapène) بأن يدفع قائد كلابريا الضريبة بانتظام .

وارتفاع قيمتها - فقال ان حاجبه القائد لم يعظه من « الجميل الا اذنيه
(ما سبق ص ١٢٠) . أما عن سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م ، فننص رواية صقلية
حسب تاريخ العالم ، على أنه أتى من قبل الحكومة المركزية بالمهدية ، شيخان
هما البلزمي والفلشاني - بصحية سالم ، وأنهم جباوا ضريبة من أهل
صقلية ، دون اشارة الى نوعها أو مقدارها أو سبب فرضها (٢١٧) .

حملات صابر الفتى :

ورغم الهدنة التي عقدت في سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، فسرعان ما يقوم
والى القيروان ، وهو صابر الفتى « الصقلي » ، المولى السابق لابن قره بـ
(ابن عذارى ، ط : بيروت ، ص ٢٦٩ - سنة ١١٤) بثلاث حملات دورية
يغزو فيها بلد الروم : جنوب ايطاليا . وأولى تلك الحملات ، وهى التى
قامت فى سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، وحث ٤٤ (اربعة وأربعين) مراكبا ،
سارت الى صقلية ، ومنها الى جنوب ايطاليا حيث فتحت عددا من المواضع
أحدها ربما كان « أوترنتوه » (Otrente) وذلك فى ١٧ أغسطس (٢١٨) .
والحملة الثانية لصابر الفتى كانت فى السنة التالية ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ،
وهدفتها السواحل التيرانية من جنوب ايطاليا ، حيث هاجمت موضع الغيران
وقلعة الحسب ، واستولت على ما فيها ، قبل الزحف الى ساليرنو التى صالحه
أهلها على قدية من مال وديباج ، ثم الزحف الى نابولى حيث تم الصلح على
نفسى الشروط (٢١٩) . وقبل العودة من صابر بكالابريا حيث عقدت معه
هدنة لمدة سنة واحدة - نظير مبلغ من المال من غير شك (٢٢٠) . وفى حملة

• (٢١٧) المكتبة الصقلية ، ج ١ فصل ٢٧ ص ١٧٠ .

• (٢١٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٠ ط : بيروت ، ص ٢٧٠ ، وقارن ، المكتبة الصقلية ،

تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ص ١٧٠ - حيث تحديد التاريخ وقراءة صابر فى شكل
صاين ، وهو ما أخذ به ج . جارى الذى جعل عدد المراكب ٥٠ (خمسين) ، وانها حاصرت
طارنت واقتحتها وقتلت جزءا من الخامية ، وأرسلت الباقي الى افريقية ، وذلك قبل مهاجمة
أوترنتوه ، وان العرب انسحبوا عندما حل بهم الوباء - ايطاليا الجنوبية والامبراطورية
البيزنطية . . . ص ٢٠٨ .

• (٢١٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ ، ط : بيروت ، ص ٢٧٣ ، وقارن المكتبة الصقلية ،

تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ج ١ ص ٨٧٠ - حيث الاشارة الى عبور الصقلي (صابر)
الى لانكبرده (لومبارديا) حيث أخذ سببا كثيرا ، ولم يحكم على مدينة ، وقارن ، ج . جارى
جنوب ايطاليا ، ص ٢٠٨ .

• (٢٢٠) المكتبة الصقلية ، تاريخ صقلية . . . ج ١ ص ١٧٠ . وانظر ، ج . جارى ،

ايطاليا الجنوبية ، ص ٢١٨ - حيث النص على ان فرض الضرائب كان على ساليرنو ونابولى .

صاير الثالثة في السنة التالية (٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) ، والتي كانت أشبه بغارة صغيرة تقوم بها ٤ (أربعة) مراكب ، مما جعل ج - جاي يصف والى انقيروان الصقلي بالقرصان ، على ما نظن ، تقدم صاير الى البحر الأدرياتي ونجح بمراكبه الأربعة في هزيمة مراكب الروم السبعة التي كان يقودها حاكم كلابريا القائد الذي يحمل لقب سرد غوس (Stratège) ، لكني يتوغل بعد ذلك الى ما وراء جرجانتو (Garganto) ويقتحم مدينة ترمولة (Termoli) التي أخذ منها الكثير من السبي ثم عاد الى المهديّة (٢٢١) .

جباية الضرائب في صقلية :

اما أهم أحداث صقلية على أواخر أيام المهدي ، فيذكر منها صاحب تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ما وقع على كاهل أهل الجزيرة ، سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، من الضرائب الثقيلة . حيث قدم من المهديّة شيخان ، مثلما حدث في سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م (ما سبق ، ص ١٥٨) هما : ابن سلمة وابن الدية ، وقام سالم بن راشد باصطحابها في جولة جمعا فيها مالا كثيرا ، أدهق الناس من غير شك ، وأثار شكواهم . وهو ما يظهر في السنة التالية (٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) عند عودة الجابيين الى أفريقية ، حيث النص على أن أمير المؤمنين (المهدي) سخط عليهما (٢٢٢) ، تماما كما كان يحدث من قبل في برقة وغيرها (ما سبق ص ١١٨) ، وهذا ما تختتم به الحوليات الصقلية حسب تاريخ العالم ، قبل وفاة المهدي في سنة ٦٤٤٢ من تاريخ العالم ، الموافق ٣ مارس / ٩٣٤ م / ١٢ ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ) التي وصل خبرها الى صقلية في ٢٥ أغسطس مع اعلان خلافة ابنه أبي القاسم بعده (٢٢٣) .

والمهم في تاريخ صقلية وجنوب إيطاليا على عهد القائم انه بدأ قويا بحملة ناجحة خرجت من دار الخلافة ، في نفس سنة ولايته : ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م ، الى مدينة جنوة فاجتاحتها ، فكانت بمثابة هدية عزيزة على قلوب رعيته يقدمها بمناسبة عيد جلوسه .

(٢٢١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٣ ، ط : بيروت ، ص ٢٧٥ ، وقارن المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٠ حيث يقدر عدد السبايا ب ١٢ (اثني عشر) ألفا .
(٢٢٢) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٠ .
(٢٢٣) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ٧٠ .

الفصل الثاني

الفاطميون في المغرب من وفاة المهدي حتى النقلة الى مصر :

- القائم (أبو القاسم محمد : ٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥ م)
- المنصور (أبو الطاهر اسماعيل : ٣٣٤ - ٣٤١ هـ / ٩٤٥ - ٩٥٢ م)
- المعز (أبو تميم محمد : ٣٤١ - ٣٦٢ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٢ م)

تهيه :

توفي المهدي في منتصف ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ / ٥ مارس ٩٣٤م (١) ، بعد خلافة ناهزت ربع قرن قضاها في تكثير الأولياء بنشر المذهب ، والقضاء على الأعداء بحشد الجيوش وانفا الأموال ، وعلى الجملة باستخدام سياسة الترغيب والترهيب ، الأمر الذي انتهى بتوطيد أركان دولة الفاطميين الشرفاء في كل أرجاء المغرب ، مع طرق أبواب كل من مصر وإيطاليا ، عن طريق

(١) هذا ما يتفق عليه معظم الكتاب باستثناء رواية القاضي النعمان في افتتاح الدعوة (ص ٣٢٩) حيث تاريخ الوفاة ١٠ من جمادى الثاني / ٢٩ ماية ٩٣٤م - ومع اننا لا نتازع محقق الكتاب فيما يراه من أن هذا هو التاريخ المضبوط (لكافة النعمان ، بصفته أحد كبار رجال الدولة ، إذ قضى ٩ (تسع) سنوات في خدمة المهدي (المجالس والمسائرات ص ٧ وما بعدها) قبل أن يدخل في خدمة القائم ثم المنصور والمعز الى وفاته سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٤م بالقاهرة ، فاننا نفضل الإبقاء على التوقيت الدارج الى أن تتأكد صحة الرواية الواحدة ان كانت صحيحة ، الا اذا كانت الروايتان صحيحتين بمعنى أنه كانت للقائم الذي بويع في نفس اليوم الذي مات فيه والده ، بيعتان : أولاها سرية خاصة ، والأخرى علنية عامة ، خاصة وأن بعض الروايات تشير الى أنه كتم وفاة والده لبيض الوقت ، فالداعي أدريس (الميون والحدائق ، ص ٧٧) ينص على أنه كتم خبر وفاته لمدة ١٠٠ يوم ، وأنه أظهرها في ٢٥ من جمادى الآخر ، وهو ما يقترب من ١٦ جمادى الآخر في افتتاح الدعوة ولا بأس أن يكون أصلاً له - أما الرواية الثانية فهي لابن الأثير (ج ٨ ص ٢٨٤) وتقول انه أخفى وفاة المهدي مدة سنة لتدبير كان له (الخوف من اختلاف الناس) ، وأما عندما أعلن ذلك كان قد تمكن .

برقة وصقلية . وهكذا كانت خلافة المهدي بمثابة عهد التأسيس وارساء القواعد ، بعد عهد التمهيد والمطاولة على ايدي الداعي ، وكان المنتظر ان يبدأ عهد التشييد وارتفاع الصرح بوصول ابي القاسم القائم ، ساعد المهدي الايمن وشريكه في الحكم ، الى عرش الامامه . واذا كانت ولاية ابي القاسم قد بدأت قوية ، سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م بغارة كبرى على جنسوة كانت لها اصدائها المدوية في كل من المشرق الاسلامي واوروبا المسيحية (انظر فيما بعد ص ٢٥٦) فان الأحداث لم تلبث أن تغير مسارها بعد فترة وجيزة ، في صقلية حيث اشتعلت نيران الفتنة بين أهلها من عرب وبربر ، الأمر الذي استشرى في المغرب بعد عشر سنوات عندما انفجرت الثورة الزناتية الكبرى تحت رايات ابي يزيد ، صاحب الحمار ، ودمغت العهد يطابعها فجعلته عهد الفتنة العامة والحرب الأهلية ، كما نشرت ظلالها القاتمة على بقية العصر الفاطمي في المغرب ، فجعلته عهد المآسى والمعاناة - عهد الأزمة بالنسبة للحكام والمحكومين على السواء . وهكذا كان الانفصال الذي تم على عهد المعز بانتقال الامامة من القيروان الى الفسطاط حتمية تاريخية بدأت منذ سعى المهدي الى طرق أبواب مصر أكثر من مرة . ومن الواضح ان حنين العودة الى المشرق بدأ منذ عبور قافلة عبيد الله حدود مصر الى برقة ، وأخذ يأخذ شكل الهاجس الملح على طول الطريق حتى سيجلماسة . فهذا ما عبرت عنه أحاسيسه عندما واصل الى القيروان وارتاح الى مشاهدة رقة أهلها أصحاب الحضارة والتمدن ، الذين ذكروه بأهل مدائن المشرق ، على عكس حفاة طواعن البربر ، - حسب الاصطلاح الخاندوني - الذي عرفهم في بوادي المغرب (٢) .

القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥ م) :

ولايته :

أعلنت خلافة ابي القاسم محمد ابن عبيد الله المهدي (٣) بالبيعة له في

(٢) انظر افتتاح الدعوة ، ص ٢٩٢ .

(٣) هنا لا بأس من الاشارة الى الجدل حول حقيقة العلاقة بين عبيد الله المهدي وبين ابنه ابي القاسم محمد القائم ، اذ يرى بعض الكتاب انها علاقة ابوة روحية ، بمعنى ان ابا القاسم هو صاحب الحق الشرعي في الامامة ، وانه من هذا الوجه امام « مستقر » بينما المهدي امام (مستودع) كما هو الحال بين الحسن والحسين . - حسب المصطلح الشيعي - انظر المجالس والمساربات للقاضي النعمان ، ص ٢٦ حيث النص : « سلم الامام المهدي بالله الى ولده القائم ربيته وادى اليه وديعته وامانته واظهر النبوة » (عن زهر المعاني ، ص ٢٩٢) .

تفسي اليوم الذي مات فيه أبوه المهدي : ١٥ ربيع الأول ٣٢٢هـ / ٥ مارس ١٦٣٥م - ولقب بالقائم بأمر الله وهو يومئذ في مطلع العقد الخامس ، عقد الرجولة المترنة (٥) : ومن الواضح أنه كان لصيقا بوالده أثناء ولايته للعهد ، دون أخوته الخمسة الذين لا يعرف غير أسمائهم عند ابن حمادة (ص ٧٩) ، باستثناء أحدهم ، وهو أحمد الذي دار ذكره على الألسن في بعض الأحيان كما أفسس محتمل لأبي القاسم في ولاية العهد (مسبق ، ص ١٠٩ وهذا (١١٣) (٥) :

صفاته :

وهنا لا بأس من الإشارة الى أن علاقة القائم بابنه اسماعيل المنصور ، سم تكن على ما يرام فهذا ما يفهم من رواية النعمان التي تنص على أن القائم كتم تعيينه للمنصور ولما للعهد أكثر من ٨٠ (عشر) سنوات (٦) أو الرواية الأخرى التي تقول ان القائم فكر في صرف الخلافة الى المعز مباشرة بدلا من المنصور والده (٧) : ومن المعروف انه كان الأمير « المشير » على عهد والده حيث آلت اليه قيادة الجيوش الى ميادين القتال في أفريقية والمغرب ، كما كانت له قيادة الحملات الموجهة الى مصر ، مما سبق ذكره ، فهو من هذا الوجه مناضل شجاع على عكس ما ينسبه اليه النعمان من النقص في الحزم وعدم الميل إلى الغزو (٨) ، الأمر الذي يعبر عن موقفه السلبى - فى بعض الأحيان - من ثورة أبى يزيد (انظر فيما بعد ، ص ١٨١ وه ٥٦) ، والحقيقة انه لا بأس أن يكون القائم قد جمع فى شخصه بعض النقص من من مميزات النقص أو عقد النفس أو الشعور بالذنب أو الاكتئاب النفسى ، مما هو من موضوعات علم النفس - فالرجل الذي كانت الحرب صناعته ، وميادين القتال مسرح مشاهداته ، لم يطق صبورا على فراق والده « فأظهر

(٤) انظر ابن حمادة ، ص ٢٩ - حيث العدد ٧ والأسماء ٦ فقط ، وابن عذارى ،

ط : بيروت ، ص ٢٩٥ (دون ذكر أسمائهم) .

(٥) انظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٢ - حيث النص على انه كان من أسباب

عدم لقاء أبى القاسم القائم بالناصر الزناتى محمد بن خزر ببلاد الزاب ، وعودته الى المهدي ،

ورود كتاب من قبل ابنه قاسم يعلمه ان الناس تحدثوا ببيعة عميد الله لابنه أحمد المكنى

بأبى على ، وأنه (أحمد) صل بالناس عبيد القطر وعبيد الأضحى - وانظر سيرة جودز ،

ص ١٠٥ - حيث الإشارة الى أحمد بن المهدي وتسميته على الامام المعز وعلى جودز .

(٦) المجالس والمسائرات ، ص ٤٤٨ - الأمر الذى أثار امتعاض المنصور وتعبه ، كما فى

ص ٤٤٨ .

(٧) المجالس والمسائرات ، ص ٤٦٩ .

(٨) المجالس والمسائرات ، ص ٢٢ .

من الحزن عليه ما لا يعهد لمثله ، وواصل الحزن لفقده ، وأداه من بعده «(٩)» .
وهنا لا بأس أن يكون ذلك الحزن العميق على الوالد القدوة ، وما سبقه
من ذكريات الملاحم المروعة قد أصابته بنوع من الصدمة النفسية ، مما كان
يلزم بالزهاد والمتصوفة فتحولهم إلى حياة التأمل الروحية ، والانقطاع عن
الأعراض الدنيوية ، الأمر الذي أكدته بعد ذلك ردود فعل الثورة الزناتية .
وهكذا ما ركب (القاسم) دابة من باب قصره منذ مات أبوه إلى أن قبض
سوى مرتين « كما » لم يركب طول إمارته بمظلة (فازه) (ابن عذارى ،
ج ١ ص ٥٩٥) .

ولا بأن أن يكون ذلك نوعا من الاحتساب والنهي عن المنكر ، الأمر
الذي دعاه إلى اتباع سياسة دينية متشددة كانت من أسباب معاناته فيما
عرض له من الاضطرابات وأعمال العصيان والثورات . فرغم النص على أن
القاسم سار على نفس السياسة التي رسمها والده ، فهناك رواية لابن حمادة
ينقلها ابن عذارى تنص على أن أبا القاسم الشيعي « لما مات أبوه عميد الله
أظهر مذهبه ، وأمر بسب (الصحابة) وغير ذلك من تكذيب كتاب الله
تعالى ، فمن تكلم عذب وقتل واشتد الأمر على المسلمين (١٠) » . ومع أن
النص يظهر القاسم وكأنه المسئول عن التطرف الذي لحق بالمذهب الفاطمي ،
فالحقيقة أن النص وضع ليكون مقدمة طبيعية لتبريره ثورة أبي يزيد الزناتي
سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م ، التي تكاد تشغل - عند الكتاب - كل عهد القاسم
وتغطي على غيرها من الأحداث ، رغم أنها لا تحتل ، زمنيا ، من عهد القاسم
الذي يزيد على اثني عشر عاما إلا حوالي ثلاث سنوات فقط (٣٣٢ - ٣٣٥هـ /
٩٤٣ - ٩٤٦م) (١١) .

وهكذا اتخذ عهد القاسم طابعا حربيا ، فلا يكون من الغريب أن يبدأ

(٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٥ ، وقارن النعمان ، افتتاح الدعوة ،
ص ٣٣٦ - وهو مصدر ابن عذارى - حيث إضافة انه « اذن في اليكاء عليه » .
(١٠) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٧ ، وأتظر ابن حمادة ، أخبار بني عميد ،
تحقيق جلود البديوي ، الجزائر ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦ - ٢٧ ، حيث وفاة المهدي وكتابها ١٠٠٠ .
ص ٢٩ - حيث ولاية القاسم دون اشارة إلى رواية ابن عذارى .

(١١) أنظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٧ - حيث تكتمل رواية ابن حمادة
عن مغلاة القاسم في المذهب بالنص على هبوط أبي يزيد من جبل أوراس يدعو إلى الحق
بزعيمه ، ولم يعلم الناس مذهبه ، فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة ، فخرج على الشيعة .

ولايته بصدار الأوامر الى « عماله في سائر البلدان بعمل السلاح وجميع الآلات الحربية » (ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦) ، وأن لا يظهر خلال العشر سنوات الأولى من ملكه الا بعض الأحداث الأخرى التي لا تشغل - عند المؤرخين - الا حيزا ضئيلا .

الاحوال الداخلية :

الكاتب والحاجب :

والحقيقة أن القوائم اقتفى أثر والده في سياسته ، وهذا ما يظهر في اقرار أبي جعفر البغدادي على البريد (أى المخابرات) والكتابة (الاتصالات الخطية والرسائل من داخلية وخارجية) ، الى جانب تفويضه في كثير من أمور المملكة (١٢) بمعنى أن يمارس الرجل سلطات رجل الدولة الأول - وهو الحاجب الذي كان يقوم حينئذ مقام الوزير . أما عن حاجبه : « جعفر بن علي » مولى المهدي وحاجب المنصور أيضا (عيون الأخبار للداعي ، ص ١٩٤) ، « فالواضح أنه يأتي بعد أبي جعفر ، ولم يشاركه سلطاته ، وان كان يقيم صلاة الجمعة في المسجد الجامع ، الأمر الذي قد يعنى أنه كان كبير الدعاة (١٣) .

ثورة ابن طالوت بطرابلس :

أما أول الثورات التي يسجلها الكتاب في بداية عهد القائم (سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م) فكانت في الأقاليم الشرقية ، وهي ثورة ابن طالوت القرشي في منطقة طرابلس . وتأخذ هذه الثورة أهميتها من طابعها المذهبي ذي الشكل الشيعي . اذ ادعى الرجل أنه المهدي حقيقة ، ونجح في اقناع أهل الناحية من البربر بذلك فساروا معه نحو مدينة طرابلس ، ولكنهم فشلوا في قتالها ، الأمر الذي شكك في صحة دعوى الرجل ، فثاروا عليه وقتلوه ، وبعثوا

(١٢) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، وقارن بما سبق ، هـ ١٣٩ ص ١٢٣ .

(١٣) هذا ما يظهر من النص على ان اقرار أبي جعفر البغدادي في وظيفته كان من أول الاعمال التي قام بها القائم (ابن عذارى ، ص ٢٩٦) رغم ورود اسم جعفر بن علي كحاجب قبل ذلك مع ابن أبي المهال كواحد من قضاته (ابن عذارى ، ص ٢٩٥) - وهو من قضاة المهدي (ما سبق ، ص ١١٩ وهـ ١٣٤) . ويتأكد ذلك بما ينص عليه الداعي ادريس (عيون الأخبار ، ص ١٩٤) من ان جعفر بن علي كان ما زال حاجبا ، يقيم الجمعة في المسجد الجامع الى ما بعد النصر على أبي يزيد سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م .

برأسه إلى القوائم (١٤) . والظاهر أن الأمور كانت قد استقرت في الأقاليم الشرقية حتى أن القوائم بعث في السنة التالية (٣٢٣هـ / ٩٣٥م) عسكرياً بقيادة فتاه زيدان ، وكان عليه أن يتقوى ببعض عساكر كتامة هناك ، ويتجه نحو الاسكندرية ، ولكنهم انهزموا أمام قوات محمده الأخشيد (١٥) .

الصراع من أجل المغرب :

أما عن الأوضاع في الأقاليم الغربية فقد كانت قحلة بالنسبة لعهد القوائم ، إذ تظهر من الأسباب التي أملت حالة الاستعداد الحربية . وخروج ميسور الفتى إلى المغرب في بدء ولاية القوائم سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م ، حيث وقع المغرب الأقصى من فاس إلى ما وراءها من سبتة وطنجة ، إلى بلاد ملوية ، تحت الهيمنة الناصرية في قرطبة ، بفضل الأعوان من موسى بن أبي العافية إلى الشرفاء الأدارسة . ورغم تداخل الأحداث بشكل أثار الاضطراب في النصوص المتأخرة فمن : ابن الأثير إلى ابن عذاري إلى ابن خلدون ، الأمر الذي يدعو حقا إلى إعادة النظر في تحقيقها بأسلوب علمي ، فإنه يمكن ترتيب الأحداث على الوجه الآتي : خرجت حملة ميسور الكبيرة وهي تهدف إلى استرجاع فاس ، حيث أحمد بن بكر الجذامي ، عامل موسى بن أبي العافية أو حليفه ، واعدتها إلى الطاعة . والظاهر أن موسى الذي أخذ بالحشد الفاطمي الرهيب تنحى عن طريق ميسور ، وذهب ليعتصم ببعض قلاع في حصن « لكاي » بمقلعة في منطقة تسول (١٦) وواصل ميسور المسيرة إلى فاس لكي يخرج له أحمد بن بكر ملاطفا بالهدايا والمسال ، تعبيرا عن الطاعة ، ولكن ميسورا غدر به ، فقبض عليه وسيره إلى المهدي (١٧) .

(١٤) النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٢ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨٤ (حيث النص على انه ابن المهدي وليس المهدي نفسه ، وكذلك الأمر في ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٥ .

(١٥) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨٥ - حيث النص على ان المز بالبع في النفقة على تلك الحملة .

(١٦) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١٣٥ ، وأنظر القرطاس ، ص ٨٦ - حيث يرحل ابن أبي العافية بعد حصار فاس ، وقارن ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، حيث تلخيص الأحداث بطريقة مختلة ، تجعلها تبدأ بهزيمة ابن أبي العافية قرب فاس وأخذ ابنه أسيرا . ما يحدث لئلا بعد .

(١٧) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، وقارن القرطاس ، ص ٨٥ - حيث النص على ان ابن أبي بكر خرج لميسور مباحيا مع هدية ومال جسيم .

محاولة استرجاع فاس :

والهم ان أهل فاس لم يمكنوا ميسورا من مدينتهم ، اذ اختاروا واليا مكانه ، هو : حسن بن قاسم اللواتي ، وتمكنوا من الصمود أمام الحصار الذي ضربه عليهم ميسور مدة ٧ (سبعة) أشهر (١٨) . وعندما طال الحصار وغابت أخبار الفتح لمدة طويلة عن المهدي أرسل القائم المدد الى ميسور بقيادة صندل الفتى الأسود الذي كان عليه ان يزيل نفوذ قرطبة الأموي عن امانة نكور ، ويرجعها هي الأخرى الى طاعة المهدي التي كان قد خرج منها في جمادى الثاني سنة ٣٢٣هـ / مايو ٩٣٥م : وعندما وصل صندل الى نكور ، رفض أبو أيوب إسماعيل بن عبد الملك ، أميرها من بني صالح الخروج اليه مكتفيا باعلان الطاعة عن بعد . وعندما ألح عليه صندل اعتصم بقلعة « اكري » بعد أن قتل رسله ، الأمر الذي دفع صندل الى اجتياح تلك القلعة في قتال رهيب ، انتهى بقتل صاحبها أبي أيوب ، واكتفى صندل بتعيين وال من لدنه على القلعة ، هو الكتامي : مرمازوا ، لكني يسرع بالالحاق بميسور وهو على حصار فاس . وكانت فرصة انتهزها أحد أمراء بني صالح ، وهو موسى بن رومي ، ليقود أهل نكور لاستعادة القلعة وقتل الوالي الكتامي مرمازوا ، الذي بعثوا برأسه الى الناصر بالأندلس (١٩) . ورغم وصول صندل وقواته مددا ، لم يتمكن ميسور من اقتحام فاس ، بسبب مضايقات موسى بن أبي العافية على ما يظن . وذلك أنه رضى من أهل فاس بما لم يرض به صندل من أهل نكور . فاكتفى بقبول الاعتراف بسيادة القائم ، مع دفع قدية ٦ (ستة) آلاف دينار ، مقابل اقرار حسن اللواتي في ولايته ، ورفع الحصار . وهكذا ترك ميسور فاس وسار للقائه موسى بن أبي العافية ، وألحق به هزيمة موجعة ، كما أسر ابنه « البورى » وسيره الى المهدي .

تأديب نكور والتعالف مع الأدارسة :

وكان على ميسور بعد ذلك أن يؤدب عصاة نكور ، فمر ببلادهم في طريق العودة (٢٠) . هذا ، كما أنزل بموضع ورزيفة الأهل بالسكان عقوبة شديدة من قتل الرجال وسبي النساء (٢١) ، قبل أن يمر بأرشقول

(١٨) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

(١٩) البكري ، ص ٩٨ .

(٢٠) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٨٤ - حيث النص على ان حملة ميسور الى كل من فاس

ونكور (تكرر - خطأ) .

(٢١) البكري ، ص ١٥٥ .

محاولة استرجاع فاس :

والمهم ان أهل فاس لم يمكنوا ميسورا من مدينتهم ، اذ اختاروا واليا مكانه ، هو : حسن بن قاسم اللواتي ، وتمكنوا من الصمود أمام الحصار الذي ضربه عليهم ميسور مدة ٧ (سبعة) أشهر (١٨) . وعندما طال الحصار وغابت أخبار الفتح لمدة طويلة عن المهدي أرسل القوائم المدد الى ميسور بقيادة صندل القتي الأسود الذي كان عليه ان يزيل نفوذ قرطبة الأموي عن امانة نكور ، ويرجعها هي الأخرى الى طاعة المهدي التي كان قد خرج منها في جمادى الثاني سنة ٣٢٣هـ / مايو ٩٣٥م : وعندما وصل صندل الى نكور ، رفض أبو أيوب اسماعيل بن عبد الملك ، أميرها من بني صالح الخروج اليه مكتفيا بإعلان الطاعة عن بعد . وعندما ألح عليه صندل اعتصم بقلعة « اكرى » بعد أن قتل رسله ، الأمر الذي دفع صندل الى اجتياح تلك القلعة فيقتال رهييب ، انتهى بقتل صاحبها أبي أيوب ، واكتفى صندل بتعيين وال من لدنه على القلعة ، هو الكتامي : مرمازوا ، لكي يسرع بالالحاق بميسور وهو على حصار فاس . وكانت فرصة انتهزها أحد أمراء بني صالح ، وهو موسى بن رومي ، ليقود أهل نكور لاستعادة القلعة وقتل الوالي الكتامي مرمازوا ، الذي بعثوا برأسه الى الناصر بالأندلس (١٩) . ورغم وصول صندل وقواته مددا ، لم يتمكن ميسور من اقتحام فاس ، بسبب مضايقات موسى بن أبي العافية على ما يظن . وذلك أنه رضى من أهل فاس بما لم يرض به صندل من أهل نكور . فاكتفى بقبول الاعتراف بسيادة القوائم مع دفع فدية ٦ (ستة) آلاف دينار ، مقابل اقرار حسن اللواتي في ولايته ، ورفع الحصار . وهكذا ترك ميسور فاس وسار للقاء موسى بن أبي العافية ، وألحق به هزيمة موجعة ، كما أسر ابنه « البورى » وسيره الى المهدي .

تأديب نكور والتحالف مع الأدارسة :

وكان على ميسور بعد ذلك أن يؤدب عصاة نكور ، فمر ببلادهم في طريق العودة (٢٠) . هذا ، كما أنزل بموضع ورزيفة الأهل بالسكيان عقوبة شديدة من قتل الرجال وسبى النساء (٢١) ، قبل أن يمر بأرشقول

(١٨) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ .

(١٩) البكري ، ص ٩٨ .

(٢٠) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨٤ - حيث النص على ان حملة ميسور الى كل من فاس

ونكور (تكور - خطأ) .

(٢١) البكري ، ص ١٥٥ .

حيث خلع أدريس بن ابراهيم ، وجعل مكانه في الامارة ابا العيش بن عيسى (٢٢) . وهناك استعان بالادارسة في التخلص ، بشكل مؤقت من موسى بن ابي العافية واتباعه الداخلين معه في طاعة الامويين بالاندلس ، فطرده من نواحي ملوية ووطاه الى ما وراءها من الصحراء (٢٣) ثم انه اسرع في العودة الى المهديّة التي وصلها في سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م وبذلك دخل الادارسة في طاعة القسام ، وتملكوا ، كان بيد موسى (٢٤) . وان كان ذلك الى حين .

القلقل في الزاب وأوراس :

وفي هذا الوقت (٣٢٤هـ / ٣٥ - ٩٣٦م) عانت بلاد الزاب من بعض القلاقل التي دفعت على بن حمدون المعروف بابن الأندلسي ، الى تخريبه مدينة المسيلة التي كان قد بناها بأمر القسام ، سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م ، كما تقول الرواية ، والتي كانت تعرف عند الشيعة باسم المحمدية ، نسبة اليه (٢٥) . والظاهر ان ذلك التخريب كان شكليا فقد بقيت مدينة المسيلة مقرا لمعمر بن علي بن حمدون ، الذي كان له شأن كبير فيها ، بعد والده الذي هلك في ثورة ابي يزيد سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م ، حيث كانت له الرياسة في كل بلاد الزاب حتى سنة ٣٦٠هـ / ٧٠ - ٩٧١م ، على عهد المعز (٢٦) .

والحقيقة أن سيطرة القسام على الأقاليم الغربية من الدولة ، اعتبارا من الزاب وأوراس الى المغرب البعيد ، بدأت تخف تدريجيا مع ازدياد قوة خليفة قرظبة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ / ٩١٢ - ٩٦١م) الذي كان ملاذا لكل الخارجين على الدولة الفاطمية منذ نشأتها ، ابتداء من البرغواطيين المصامدة وتادلاوتامسنا الى موسى بن ابي العافية المكتنسى ، وانتهاء بأبي يزيد الزناتي الذي كان قد بدأ يظهر منذ الآن في أوراس وقسطنطية (الجريد) .

(٢٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ .

(٢٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٥ ، القرطاس ، ص ٨٥ ، وقارن ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٧ الذي يبدأ الاحداث بهزيمة موسى بن ابي العافية في حيز فاس وأسر ابنه .

(٢٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٦ .

(٢٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٤ ، ٣٠٦ .

(٢٦) انظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٦ .

موسى بن أبى العافية رجل الأهويين فى فاس ضد الأدارسة :

موسى بن أبى العافية ، بعد الدسرة التى لحقت به على يدى ميسور ، وفراره الى زبال القفار ، عاد الى فاس فملكها بعدوتبها ، واحتفظ لنفسه بعودة القرويين ، وولى على عدوة الأندلس أبا يوسف محارب الأزدي الذى كان به افضل فى تحضيرها وتمدينها . وزاد موسى فى نوثيق علاقته بالناصر فراسلة يطلب منه المعونة فى مواجهة الأدارسة (من بنى محمد) فى تلمسان . وفعلا تم التنسيق بينهما فأرسل الناصر مددا من أسطوله اتجه نحو تلمسان بينما سار ابن أبى العافية اليها فى البر . ولم يستطع الأمير الإدريسي أبو العيش مواجهة القوتين المتحالفتين ، ففر الى قاعدته أرشقول واعتصم بها ، بينما سار موسى الى تكور التى كان قد استولى عليها أبو العيش فاستردها . وهكذا عظم شأن ابن أبى العافية حتى اتصلت ببلاده ببلاد محمد بن خزر (فى الزاب) . وبذلك ارتفعت الرايات الناصرية الأندلسية فى معظم بلاد المغرب بفضل دعاية الزعيمين المغربيين (البربريين) ، وخاصة موسى بن أبى العافية الذى أرسل ابنه مدين الى قرطبة ، زيادة فى تأكيد رابطة الحلف والولاء للناصر (٢٧) .

سجلماسة الصفرية والمذهب المالكي :

أما عن صحراوات المغرب الجنوبية وسجلماسة التى توفى أميرها المعتز بن محمد سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م قبيل وفاة المهدي ، فانها ظلت بين أيدي أمرائها من بنى واسول . فقد خلف المعتز ابنه أبو المنتصر الصغير ، الذى كان تحت وصاية جدته ، والذى لم يقدر له البقاء فى ولايته ، حيث تضافت الظروف ضده ، من : شغب الفاطميين عليه بسبب انتمائه الى حزب موسى بن أبى العافية وبعده الى معسكر أبى يزيد ، الأمر الذى انتهى بأن قام

(٢٧) أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢٦ ، وأنظر صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٤ - حيث النص على ان الناصر الامرى عقد له على أعمال أبيه ثم انه اقتسمها مع أخويه : البورى وأبى منقذ . ولقد أجاز البورى الى الناصر بالأندلس سنة ٣٣٥ هـ حيث عقد له على بلاده . وكانت وفاة البورى سنة ٣٤٥ هـ أثناء حصاره لأخيه مدين بمدينة فاس . فمقد الناصر لابنه منصور على عمله . وعندما توفى مدين ، عقد الناصر لأخيه أبى منقذ على عمله . ثم غلبت معرفة على فاس وأعمالها واستفحل أمرهم بالمغرب ، وأزاحوا مكناسة من ضواحيه وأعماله . وأجاز اسماعيل بن البورى ، ومحمد بن عبد الله بن مدين الى الأندلس فنزلوها الى أن أجازوا مع واضح أيام المنصور بن أبى عامر عندما خرج زيرى بن عطية عن طاعتهم سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٣ م .

عليه ابن عمه محمد بن الفتح الذي ترك المذهب الصفري لكي يدخل في المذهب السني المالكي ، وبالتالي الدخول في طاعة خلافة بغداد الشرعية ، وان كان قد تسمى بأمير المؤمنين واتخذ اللقب الخلفي « الشاكر لله » سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م (٢٨) .

أبو يزيد مختلد بن كيداد والثورة البربرية بقيادة زناتة :

تلك كانت خريطة المغرب السياسية على عهد أبي القاسم محمد القائم بأمر الله ، وهي تبين أن البلاد لم تصف تماما لدعوة الفاطميين ، رغم المجهودات المضنية التي قام بها الداعي والنتائج الاعجازية التي حققها ، ومن بعده المهدي ثم القائم . فالنزعات البربرية الاستقلالية أو الانفصالية كانت في كل مكان ، من برقة شرقا ، وكانت تابعة من قبل خلافة بغداد . الى سبتة وطنجة وبلاد برغواطة في تادلا وتامسنا الواقعة تحت هيمنة قرطبة الناصرية . وهكذا تدعم هاجس المهدي المتمثل في الخوف من البربر المغاربة على أسرة المهديين المشاركة برهبة مزدوجة من قبل العباسيين في المشرق والأمويين في أقصى المغرب والأندلس ، وكان كل من الطرفين أشبه بقطب جذب شديد مضاف للطرف الآخر ، الأمر الذي يفسر ذلك التمزق الواضح في الخريطة السياسية للبلاد . والى جانب ذلك جاءت السياسة المالية المتعسفة ، والحياة الدينية الصعبة لكي تزيد في سوء الأحوال العامة ، وتخلق ذلك الوضع الذي أطلق عليه البعض اسم « الأزمة الفاطمية » ، والذي تفجر في الثورة باسم السنة ورفض التشيع ، وهو ما نادى به أبو يزيد صاحب الحمار .

أبو يزيد : شخصيته وتكوينه على يد أبي عمار الأعمى :

أبو يزيد « صاحب الحمار » هو مختلد بن كيداد الزناتي اليفرنى (٢٩) ، وأصله من قسطنطينية من بلاد الجريد حيث مضارب (قيطون) زناتة هناك . أما عن مسقط رأسه فهو مدينة كوكو السودانية المشهورة التي كان والده

(٢٨) البكري ، ص ١٥٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ .

(٢٩) انظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٧ ص ١١٣ - حيث النص على أنه من بني وازكو من بطون يفرن بن جانا (زناتة) ، الجن الحادي عشر لمختلد حسب سلسلة النسب التي يذكرها ابن خلدون مع الإشارة الى انه يمكن أن يكون من بني واسين بن سبك بن جانا ، كما في الرقيق .

يتردد عليها للتجارة ، بينما كانت أمه جارية هوارية اسمها سبيكة (٣٠) .
ولقد سب أبو يزيد الذي عاد والده به صغيرا الى مضارب زناته بقسطيلية ،
في مدينة توزر التي استقر فيها والده مع التردد على مدينة تقيوس . وهكذا
تعلم مخلد القرآن وتآدب بكل من توزر وتقيوس ، حيث كان ينتشر مذهب
الحوارج الإباضية الذين ينتمون أصلا الى امامة تاهرت . وهناك خالط
جماعة النكارية وأخذ بمذهبهم وهو مذهب المنشقين على الأئمة الرستميين ،
الداعين الى تطبيق مبدأ الشورى أى الاختيار والمساواة فى انتخاب الامام
(انظر فيما سبق ج ١ ص ٣١٥ وما بعدها) . ومع شغفه بالمذهب ورغبته
فى الاستزادة من العلم به سار الى تاهرت حيث تفقه على المشايخ هناك ،
ومنهم أبو عبيدة (عبد الحميد) بن عمار الأعمى ، فى الوقت الذى كان يعلم
الصبيان ، وذلك فى الوقت الذى كانت تسقط فيه تاهرت بين يدي الداعى
أبى عبد الله ، وهو فى طريقه الى استنقاذ المهدي بسجلماسة حوالى سنة
٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م (٣١) . وهكذا كان على أبى يزيد أن يرجع محسورا الى
بلدة قسطيلية التي صارت ملجأ للوافدين عليها من أبناء المذهب الخارجين
من تاهرت ، ومنهم شيخ المذهب أبو عمار الأعمى الذى ربط مصيره منذ
الحين بمصير أبى يزيد . وهنا تشير الى انه لما كان أبو يزيد يوصف بالعرج
والقصر وقبح المنظر جميعا ، وكان أبو عمار يعانى من فقد بصره فلا بأس
أن تكون ثمة علاقة بين عاهة كل من الرجلين ، هي التي ربطت بينهما منذ
هذا الوقت المبكر ، واستمرت الى أن أصبح الأعمى منتظرا للمذهب
ومستشارا للقائد الأعرج ، حتى انتهى الأمر بهلاك المعوقين ، وهما يناضلان
جنباً الى جنب ، وسط الحصر والضيق ، فى شعاب قم الجبال الشاهقة .
فقتل المنظر (الايدولوج) بينما أخذ القائد (الأمير) فى رمقه الأخير .

الاحتساب :

والمهم أن والد أبى يزيد القاصر توفى وتركه فقيرا من غير مال ، إذ
أنه اشتغل بتعليم الصبيان القرآن فى مضارب (قيطون) الزناتية ، الى

(٣٠) عن كوكوا أنظر الاستبصار ، ص ١١١ ، وعن سبيكة أم مخلد التي صارت أم ولد
بعد انجابها لمخلد بمعنى انها كانت جارية . (مسلوكة) حسب رواية ابن خلدون (ج ٧
ص ١٣) ، الأمر الذى يعنى انها كانت سودانية أصلا ، هوارية حسب رواية ابن الأثير .
ج ٨ ص ٤٢٢ ، بالولاء ، على ما نظن .

(٣١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ .

جاناب تعاليم النكارية ، وكان يتعيش من فضل مالهم (ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣) . وكان التعليم وقتئذ من أعمال الورع والتقوى التي تؤدي احتسابا ، فكانها من أعمال الأمر بالمعروف . والحقيقة أن أبا يزيد قام فعلا كأمر بالمعروف ناه عن المنكر ، من وجهة النظر الإباضية النكارية ، اذ اشتهر عنه تكفير المخالفين لمذهبه من المسلمين بعمامة ، وتخصيص الشيعة الفاطمية بذلك ، اذ كان يرد على سبهم الصحابة بسب الامام علي(٣٢) . والظاهر أن احتساب أبي يزيد لقي استحسانا من الناس ، الأمر الذي أدى الى تحسن أحواله المعاشية . فعندما تتبّه المسئولون الى نشاطه المعادي للدولة ، انتقل الى فييوس حيث اشترى صنيعه . وأقام يعلم فيها(٣٣) ، وهو يأمر بالمعروف ، ويخص بذلك جباة الضرائب ، ويدعو الى الخروج على السلطات حتى نار أهل ققيوس بواليهم فقتلوه . وعندئذ خاف أبو يزيد على نفسه ، وخرج مع أبي عمر في زى الحجاج ، وذلك سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، ولم يكـد يصل الى طرابلس حتى شعر بالارهاق من شدة البحث والتقصى عن المطلوبين من البربر ، ففضل العودة الى ققيوس(٣٤) .

والظاهر أن أبا يزيد رأى أن يخفف من ضغطه على المسئولين من رجال الدولة ، فوجه احتسابه الى العامة ، فأخذ « يحتسب على الناس » في أفعالهم ومذاهبهم . ولقيت تلك الدعوة نجاحا حتى اشتهر أمره ، وأصبحت له جماعة تناصره وتعظم من شأنه ، وذلك اعتبارا من سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م على أيام المهدي(٣٥) ، وهي السنة التي كانت بلاد الزاب تضطرب فيها بأعمال محمد بن خزر الزناتي ، والتي تشير فيها الحوليات المغربية الى ابتداء أمر أبي يزيد(٣٦) .

(٣٢) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ ، وقارن ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٣ - حيث النص في اخبار سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٨ م على ابتداء أمر أبي يزيد الذي يأخذ بمذهب النكار ويحلل دعاء المسلمين وفروجهم ، ويسب على ابن أبي طالب .

(٣٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ .

(٣٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ ، ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٣ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ - حيث الاشارة الى أن مذهب تكفير أهل الملة ، واستباحة الاموال والدماء والخروج على السلطان .

(٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ .

(٣٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٣ ، انظر فيما سبق ، ص ١٠٩ .

بداية الثورة في توزر :

وإذا كانت النصوص لا تقدم لنا ، عن دعوة أبي يزيد منذ سنة ٣١٦ هـ/ ٩٢٨ م إلا معلومات عامة ، من : اشتداد شوكته وكثرة أتباعه على أيام القائم (٣٧) ، فإن الفضل يرجع الى عبد ابن خلدون في تقديم معلومات ثمينة ، وفريدة ، عن دعوة أبي يزيد قبل انفجارها سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٣ م . فلقد أوعز القائم الى أهل قسطنطينة بالقبض على أبي يزيد ، الذي تنبه الى ذلك فهرب الى المشرق الى أن خف عنه الطلب فعاد الى وطنه ، ودخل توزر مستترا سنة ٣٢٥ هـ/ ٣٦ - ٩٣٧ م (ابن خلدون ج ٧ ص ١٣) ، ولكن أمره انكشف عندما وشى به أحد خصومه ، ممن تطلق الرواية عليه اسم ابن فرقان (من الفرقة والانقسام) ، عند والي البلد فقبض عليه ، واعتقله بدعوى أنه مطالب بالخراج ، وليس مطلوباً لذاته . وعندما أسرع أهله من الزناتية ، وعلى رأسهم أبو عمار (عبد الحميد) الأعمى ، وفشلوا في اقناع الوالي بإطلاق سراحه ، عمدوا بصحبة إبنه : فضل ويزيد الى الخراج من السجن عنوة بعد قتل الحراس . وهكذا تكون حركة أبي يزيد النكارية قد بدأت في الخروج من نطاق الدعسوة السرية الى الثورة العلنية ، على يدى أبي عمار الأعمى وولدى أبي يزيد : الفضل ويزيد (٣٨) .

دار الهجرة في أوراس :

فقد كان على أبي يزيد أن يلجأ الى بنى وارجلا حيث أقام ، وهو يدعو قبائل المنطقة الى الثورة في : جبل أوراس ، ومواطن بنى برزال بجنوب المسيلة ، وبنى زنداك المغراويين . وتطلب الأمر مدة سنة خرج أبو يزيد بعدها مع ممثل القبائل ، الاثنى عشر داعياً ، وبصحبه أبو عمار الأعمى الى أوراس حيث استقروا بمنطقة النوات النكارية ، أى في سنة ٣٢٦ هـ/ ٣٧ - ٩٣٨ م (٣٩) .

وبذلك أصبحت منطقة النوات في جبل أوراس دار هجرة جديدة

(٣٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ .

(٣٨) قارن رواية طينيات الدرجيني ، ج ١ ص ٩١ وما بعدها ، وانظر فيما سبق ، فصل

المصادر ، ص ٣١ وما بعدها حيث تأخذ الرواية شكل قصة فلكلورية .
(٣٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ - حيث النص على أنه وصل النوات في ١٢ من

الراحلة .

لابي يزيد وأصحابه الاباضية النكارية (الشيعيين) . وبعد ٥ (اخصس) سنوات اجتمع اليه خلالها القرابة ، وتدفق عليه مختلف الحوارج ، أخذت له البيعة بزعامه الحركة ، سنة ٣٣١ هـ / ٤٢ - ٩٤٣ م . وتمثلت شروط عقد البيعة ، في : قلب النظام الشيعي الفاطمي ، واقامة دولة المساواة النكارية المثالية ، القائمة على الشورى والمساواة ، واستخدم العنف والارهاب ، من : استباحة الغنائم والسبي (ابن خلدون ، ج ١ ص ١٣ - ١٤) . في سبيل تحقيق الهدف النبيل .

الثورة الكبرى ومراحلها :

وهكذا بدأت في السنة التالية ٣٣٢ هـ / ٤٣ - ٩٤٤ م الثورة الرائعة ضد الأئمة الشرفاء . وقسمت المسلمين في القارة المغربية والجزيرة الصقلية الى أخوة أعداء . من عرب وبربر ، طوال أربع سنوات دامية ، ساد فيها القتل والحراب ، وعم خلالها الظلم والفساد حتى أصبحت في الفكر الشيعي حتمية مستقبلية (حدثانية) يعرفها الأئمة ويستسلمون لمقدراتها الأزلية ، من : محنة تعم جميع البلاد ، ومنة تظهر تبشيرها عند باب مصلى المهدي (انظر ما سبق ص ٩٢) .

ويمكن تقسيم الثورة الى أربع مراحل ، على عسدد سنينها ، الأولى : استولى فيها أبو يزيد على بلاد الزاب والأقاليم الساحلية الشمالية في باجة وتونس . والثانية غلب فيها على القيروان ، فهي بمثابة مرحلة التأسيس لدولة الشورى الوليدة ، حلم النكارية العزيز . والثالثة حاصر فيها المهدي نفسه . وبلغ المد ذروته بالوقوف على عتبة بابها ، واقتحام الخيل لمياه بحرهما . ثم الرابعة ، وفيها الانحسار عن المهدي والقيروان ، لسكى تنتهي الثورة في مسقط رأسها ، غارقة في دم أهلها ومشعلها .

والمصادر الشيعية المنشورة حديثا مثل كتب النعمان ، من افتتاح الدعوة الى المجالس والمسائرات ، ثم العيون والأخبار للداعي ادريس بخاصة ، تقدم لنا معلومات تفصيلية مرهقة عن الثورة الزناتية مما يشمل الأصول التي رجع اليها المتأخرون من مؤرخي المشرق والمغرب . مثل : ابن الأثير الذي احتفظ بنسبة وفيرة من معلوماتها . وابن عذارى الذي اكتفى بالاختصار ، مركزا على نتائج الأحداث دون حشوها ، وان كان له فضل التركيز على أخبار فقهاء المالكية وموقفهم من أبي يزيد ، راجعا الى الرقيق القيرواني وابن سعدون ، وهي المعلومات التي ليس لها ذكر في المصادر

الشيوعية ، وهو الأمر الطبيعي من حيث يقف أهل السنة هؤلاء موقف المناصر لأبي يزيد ضد ألقائم . ثم ابن خلدون الذي أخذ قدرا كبيرا من المصادر الشيوعية ، وزعه في عبره على تاريخ القبائل والدول حسبما ارتآه من خطط منهجية خاصة به . وهكذا لا يغيب عن الذهن أن مصادر الخصوم هذه تقف من أبي يزيد موقف العدو اللدود ، فهو عندهم الدجال الذي يدعو إلى الكفر في آخر الزمان بينما هو عند أهل المذهب أمر بالمعروف يحتمسب على الناس في أفعالهم ومذاهبهم .

فتح بلاد الزاب :

والهم أن ثورة أبي يزيد بدأت سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٤ م عندما ظهر في منتطفه اوراس وكاتب أهل بلدة قسطنطينية وخاصة بني واسين منهم ، فأجابوه ، ثم نزل منها ليجتاح بلاد الزاب في أوائل سنة ٣٣٣ هـ/ أغسطس ٩٤٤ م . إذ حاصر باغاية وفتحها صلحا بعد حرب وإيها كيون ، قبل أن يسير بأهلها لفتح تبسة التي أمنها على أن تؤدي له أموال كيون وأصحابه من الكتامين (٤٠) ، ومجانة التي هدم سورها . بعد ذلك دخل مدينة مرماجنة حيث « أهدى له حمار أشهب مليح » ، ركب أبو يزيد (٤١) استكمالا لما كان يظهره من الزهد والتقشف بلبس جبة صوف قصيرة ، مفتوحة العواتق ، ووضع قلنسوة بيضاء كذرة على رأسه ، ولذلك أطلق عليه اسم صاحب الحمار ، الذي أصبح دارجا بين الناس من الأتباع الذين يجدون فيه رمز البساطة والنسك ، والأعداء الذين أخذوه مأخذ الهزء والسخرية من المعوق الأعرج . وبعد هزيمة القوات الكتامية في سببية التي صلب عاملها ، انتهت الحملة العاصفة على مسيرة يوم من القيروان بفتح الأريس في ١٥ من ذي الحجة/ ٢٩ يوليه ٩٤٥ م ، التي أحرقت ونهبت ، كما قتل الناس في مسجدها الجامع ، تماما مثلما حدث على أيدي الكتامين أصحاب الداعي الفاطمي ، حسب رواية أهل السنة ، قبل فتح القيروان منذ أقل من ٤٠ (أربعين) سنة ، وهو ما كان يتذكره المسنون من أهلها ، الأمر الذي أثار

(٤٠) عيون الأخبار ، للداعي ادريس ، ص ٨٠ - ٨١ - حيث النص أيضا على أنه لغم المال وسبى النساء والذرية وأغتم ذلك البربر ، وأخذ بزعمه الخمس ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث الإشارة إلى ترصد غيبة والى باغاية قبل الضرب على بسيلها ، وأنها امتنعت .

(٤١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ - ٤٢٣ ، وقارن عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٨٠

الخوف والفرع بين أهل المهديّة ، اذ قالوا للقائم : « الأربس باب أفريقية ، ولما أخذت زالت دولة بني الأغلب (٤٢) » .

الاستيلاء على الأقاليم البحرية الشمالية في باجة وتونس :

وهكذا تنتهي أول مراحل الحرب الزناتية بتقدم صاعق من جانب أبي يزيد ، وموقف انتظار سلبي كان سببا في وصف القائم بالضعف وعدم الحسم ، وان وجد تبريرا رسميا في اعتقاد القائم بما نسب الى المهدي من حتمية وصول الثائر الزناتي حتى باب المصلي من المهديّة ، التي عرف بعد ذلك بباب الفتح (انظر فيما سبق ، ص ٩٢ وما بعد ص ١٨١) . وهنابداً أول تدخل من قبل القائم عندما أخرج الجيوش لضبط البلاد المهتدة بالخطر . فقد أعد جيشين سير أولهما بقيادة ميسور الفتى في ١٣ من المحرم ٣٣٣ هـ / ٦ سبتمبر ٩٤٤ م ، نحو القيروان ، والآخر بقيادة بشرى الفتى الى باجة . وعلى عكس ما كان متوقعا من مسير أبي يزيد بقوته الرئيسية نحو القيروان القريبة ، فالظاهر أنه رأى تحاشي مواجهة محتملة في قاعدة المالكية ، بصفة مؤقتة . فكان اللقاء مع جيش باجة حيث نجح بشرى في إلحاق الهزيمة به ، ولكن الثائر الزناتي الذي كان يحسن حرب الكر والفر في الميادين المفتوحة ، فاجأ معسكر بشرى وخيامه ، وحول الهزيمة الأولية الى نصر حاسم عندما اجتاح باجة فاستباحها ، نهبها وسلبها واحرقها (٤٣) .

(٤٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٣ ، وقارن عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٨١ - ٨٢ - حيث النص على حرب اسحاق بن خليفة عامل الأربس ، وأمر أبي يزيد قائمه سليمان بن خيران الزويل (من مزاة) بقتل وحرق كل من على الطريق ليرهب كتامة ، الى جانب ما فعله النواد المنهزمون من الكتامين من مهاجمة أمتة أبي يزيد في مجانة قبل دخولهم المهديّة في ٥ محرم سنة ٣٣٣ هـ / ٢٨ أغسطس سنة ٩٤٤ م ، وابن خلدون ، ج ٧ ص ١٤ حيث الأربس بدلا من الأربس .

(٤٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٣ ، وقارن عيون الأخبار ، ص ٨٤ - ٨٥ - حيث يزيد من التفاصيل المرهقة والتواريخ الدقيقة عن خروج قواد أخر الى رقادة في ١١ من ذي الحجة سنة ٣٣٣ هـ / ١٥ أغسطس سنة ٩٤٤ م ووصول خليل بن اسحق التميمي الى القيروان في الأربعاء ٢٢ من ذي الحجة وتقديم أبي يزيد لابراهيم بن أبي سلاسي الى باجة ، وقوله له : « ان كنت لي ناسحا فأقتل من لقيت وأسب حريمهم ونخذ أموالهم » ، ونزول أبي يزيد عن حاجته بعد الهزيمة وركوب حصاره وأخذ عصاه ، الى غير ذلك من افتضاض العذارى في باجة في المسجد الأعظم ، الأمر الذي أدى الى حمل ألف امرأة يوم باجة ، الى فظائع أخرى تمتثلت في قتل الاطفال ضربا برؤوسهم في أعمدة الجامع وحيطاته .

وكان ذلك النصر على قوات المهديّة تشجيعاً للقبائل على تلبية نداء أبي يزيد للانضمام إلى جانبه . كما ساعده على تطوير قواته في شكل جيش نظامي يقيم في المسكرات ، ويستخدم آلات الحرب المتقدمة ، ويرفع الشعارات من الرايات والبنود(٤٤) .

ومن باجه اتجه أبو يزيد نحو تونس التي لجأ إليها بشري الصقلي ، والتي ساءت أحوالها إلى حد مآثبة أهلها لأبي يزيد والدخول في طاعته ، الأمر الذي دفع بشري إلى الخروج منها بصحبة الوالي حسن بن علي (بن أبي الحسين الكلبي) إلى سوسة في ٢٥ من المحرم ٣٣٣ هـ / ١٨ سبتمبر ٩٤٤ م (٤٥) . والحقيقة أن الصراع استمر طويلاً بين بشري وبين أبي يزيد الذي اعتمد حرب التخريف والإرهاب النفسي بأعمال العنف والتخريب ، الأمر الذي كان يؤدي إلى أعمال انتقامية من قبل القوات الفاطمية (الكتامية) التي لم تحترم بدورها ما هو متعارف عليه من حقوق الأسرى ، لتنفس عن كربتها ، إثر انتصارات محلية في منطقة الجزيرة قرب تونس ، بقتل فئات الثعساء المكبلين بالأغلال منهم(٤٦) .

شخول القيروان :

وبعد أن أخسده أبو يزيد بثأره من الكتاميين فهزمهم في وادي مجردة(٤٧) ، تبعهم إلى القيروان بقيادة التي نزل في شرقها في ١٠٠ (مائة) ألف رجل في ٢٧ من صفر سنة ٣٣٣ هـ / ٢٩ أكتوبر ٩٤٤ م ، بينما كان الوالي خليل ابن اسحق لا يحرك ساكناً ، بعد أن فرق عساكره في الفنادق والدور ، انتظارا لوصول جيش ميسور الفتى ، وأمام الحاج القيروانيين ،

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٣ ، وقارن عيون الأخبار للداعي الأديس ص ٨٧ .
 (٤٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٤ ، حيث النص على أن أبي يزيد نجح في دخول تونس رغم هزيمة طقت به من قبل بشري . وأنه وثى عليهم رجلاً من أعماله اسمه رحمون ، وقارن عيون الأخبار للداعي الأديس ص ٨٧ ، حيث النص على اختلاف عامل تونس ، حسن الكلبي وأخييه عمار رغم نجاحهما في هزيمة البربر ، مع تحديد تاريخ الخروج إلى سوسة .
 (٤٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٤ ، وقارن عيون الأخبار ص ٩٠ حيث النص على عمليات عسكرية بين حسن بن علي وبشري الخادم وبين أيوب بن خيران الزويلى قائده أبي يزيد بدأت في الجزيرة وانتهت قرب هرقلية وسوسة بمقتل أربعة آلاف على رأسهم أيوب ، وأسر ٥٠٠ أسير سير بهم إلى المهديّة حيث قتلهم العامة بالعصى والمجاعة .
 (٤٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٤ - حيث القراءة مجددة .

حاول خليل أن يتخلص من العدو الرهيب بأهون الأساليب عن طريق الغدر حيث اتصل ببعض أصحاب أبي يزيد من الزويليين ، الأمر الذي لم يتحقق . وأخيرا اضطر خليل إلى الخروج مكرها إلى القتل لكي يمود منهزما من الزناتيين إلى القيروان حيث اعتكف في قصر الامارة ، تاركاً البربر يدخلون المدينة ويقتلون ويفسدون إلى أن انتهى أمر خليل - الذي لم يعرف مثل ذلك سوء تدبير - بالقتل غدرا بعد الأمان في ٢٣ صفر / ١٦ أكتوبر (٤٨) .

التحالف مع شيوخ المالكية :

وهكذا لم يكن أمام شيوخ القيروان من المالكية إلا أن يخضعوا لأبي يزيد فخرجوا إليه برفادة يطلبون الأمان حتى يكف رجاله عن النهب وانتخرب ، وهنا تقول الرواية السننية التي ينقلها ابن عذارى أن أبا يزيد عندما دخل القيروان في صفر / سبتمبر ، أظهر لأهلها خيرا وترحم على أبي بكر وعمر ، ودعى الناس إلى جهاد الشيعة والتمسك بمذهب مالك . وبناء على ذلك فقد انضموا إلى أبي يزيد ، وخرج الفقهاء والعباد الذين سماهم ابن سعدون رجلا رجلا - لحرب القائم . وفي يوم الجمعة التمسالي اجتمعوا بالمسجد الجامع ، وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح والطبول ، والبندود : فيهما آيات الجهاد والنصر . ومما يلفت النظر أن عدد البندود سبعة من بينها اثنان أصفران وواحد فيه : « نصر من الله وفتح قريب ، على يد الشيخ أبي يزيد » . وبعد خطبة الجمعة التي كان موضوعها الجهاد ولعن عبيد الله وابنه ، خرج

(٤٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٤ . وقارن عيون الأخبار . ص ٨٨ - ٨٩ حيث النص على سوء تدبير خليل عندما أبقى رجاله في المدينة ولم يتخذ له مسكرا خارجها ولو أنه كان قد اعتنى بأبواب القيروان وسورها ، وان عمت أخبار أبي يزيد . عند مع الإشارة إلى أن رجاله كانوا ألفا فقط من الجنود والبيد الذين كانوا يطالبونه بأزاقهم فيعتفهم ويهزأ بهم . الأمر الذي أدى بهم إلى الانضمام إلى أقاربهم الذين كانوا مع أبي يزيد . عندما اقترب من الأبواب الأمر الذي أضعف من منوياته وأصابه بالإحباط فأغلق داره عليه . ومنه القاضي أحمد بن يحيى ، والكاظم عبد الله ابن زياد ، وصاحب النفقات : سهيل بن نفس ، وعامل القيروان من قبله : منصور بن عمار في حوالي ٤٠٠ (أربعمائة) رجل . أما عن شدة الحصر فيصورها فشل خليل في الاتصال بالقائم حتى عن طريق الحمام ، الأمر الذي أدى إلى طلب الأمان والنزول إلى أعوان أبي يزيد متدليا بالحبال ، وإعطاء أمان مكتوب له ثم حملته إلى خيمة أبي يزيد حيث قيده بالسلاسل . قبل أن يقتل بعد يومين بموافقة أبي عمار الأعرجي . مع أصحابه في حكومة القيروان المحلية . وبينما مات خليل واقفا وهو يضرب بالسيف ، حال الأمر أحمد بن يحيى القاضي جزعا ، فقتله كيف تقتل الضمائم .

الناس مع أبي يزيد لقتال الشيعة (٤٩) .

وبفضل انضمام شيوخ القيروان الى أبي يزيد وبفضل مخامرة بنو كملان الكتامية في صفوف ميسور ، وهو في موقعه الاستراتيجي عند ملتقى الطرق بين القيروان والمهدية ، تكرر استقرار الثائر الذي حسمار حينئذ . يحمل لقب « شيخ المؤمنين » ، في القيروان بعد هزيمة جيش ميسور الذي لقي مصرعه في المعركة في ١٢ من ربيع الأول/ ٤ نوفمبر ٩٤٤ م (٥٠) .

الهجوم على منطقة الساحل وحصار المهديّة : (انظر شكل ٣ ص ١٨٠) :

وهنا شعر أبو يزيد بقوته ، وبقرب فوزه النهائي ، فسير الكتب بها حقيقته من النصر الى عامة البلاد ، بصفته ولي الأمر الشرعي ، كما بدأ يتطلع الى تأكيد سلطانه عند الملوك في الخارج ، فبعث رسله مع وفد من أهل القيروان الى الخليفة عبد الرحمن الناصر بقرطبة وهو يعثن الطاعة له ويلتزم بالدعاء له من فوق المنابر (٥١) . وبذلك تحول شيخ المؤمنين من محتسب ناسك الى ملك مرفه ، فترك لبس الصوف وركوب الخمار ، وارتدى ثياب الديباج والحريز ، وركب صهوات الخيل ، وجمع في حريمه أصناف الجوارى لم يفرق بين الحرة والأمة ، ولا بين الأخت وأختها على أساس ملك اليمين (٥٢) . وكان لهذه الأنباء أثر سييء في أطراف المهديّة وفي زويلة

(٤٩) ابن عذاري ، ط : يروب ، ج ١ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ - حيث تتبع ذلك رواية أخرى تنص على أنه عندما استقر أمر أبي يزيد ، ورأى أن الشيعي كاد يبيد ، دبر مكيده يتخلص بها من خلفائه مشايخ القيروان عن طريق كشفهم أمام الأعداء أثناء القتال ، الأمر الذي أدى الى العداء بينهم وبينه . ومع أن كل هذه الأحداث قد سجلها ابن عذاري سنة ٣٢٢هـ / ٤٣ - ٩٤٤م فمن الواضح أن قتل أولياء الله ، شهداء مشايخ المالكية بالقيروان ، يوضع بعد حصار المهديّة ، عندما نازم موقف القائم .

(٥٠) ابن الأثير . ج ٨ ص ٤٢٥ - حيث النص على حمل رأس ميسور الى القيروان والطواف بها تشهيرا ، هناك - وقارن افتتاح الدعوة ص ٣٢٢ ، عيون الأخبار للدعوى إدريسي ، ص ١٠٤ - وما بعدها حيث النص على سعي بني كملان الكتامية في التخلص من القائد الصقلي مع تفصيلات عن سير المعركة التي انتهت فيها أبو يزيد - تكتيكيا - كما كانت عادته - ثم عودته المظفرة على ميسور الذي أصيب بضربة سهم في الدماغ . ثم إقامة الرجال في معسكر ميسور بشن الغارات وبتذخ المديون ، وحمل المنانم والسبي اليه .

(٥١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٤ - مع النص على تكرار مثل هذه السفارة سنة ٣٢٥هـ / ٩٤٧ - بمعرفة ابنه أيوب .

(٥٢) عيون الأخبار ، ص ١١٠ - وحيث النص أيضا على أن أبا يزيد كان يأمر

يقتلون الرجال ويسبون النساء ويحرقون المدينة ، ويشقون الفروج ويقررون البيطون حقيقة لا مجازا ، بحثا عن الذهب الذي كان يخفيه البعض في أماكن حساسة من جسمه ، وعندما وجد البربر بعضه غالوا في التمثيل بالناس طمعا في المزيد ، « حتى لم يبق في أفريقية موضع معمور ولا سقف مرفوع » ، كناية عن عظم المحنة ، كما تقول الرواية (٥٣) .

واستعدت المهديّة للحصار بحفر الخنادق حول أرباضها اعتبارا من آخر ربيع الثاني ٣٣٣هـ / ١٨ ديسمبر ٩٤٤م (٥٤) ، كما أرسل الكتب الى كتامة يدعوهم الى الاسراع في القدوم الى المهديّة « بالخيّل والرجال لجهاد الفاسقين الكفرة المسارقين ، أهل أوراس ، اذ جهادهم أفضل من جهاد المشركين » ، الذين نزلوا غير بعيد من المهديّة (٥٥) . وهنا أسرع أبو يزيد بالرحيل نحوها حيث نزل على بعد ١٥ (خمسة عشر) ميلا منها ، وأخذ يبث سراياه في كل نواحيها ، وبعد لقاء مع الكتائبين وأتباع القوائم الذين انهزموا أمامه ، وصل الى باب الفتح (المصلى) بل وحاول اقتحام المدينة من ناحية البحر (٥٦) .

وبدأت الأمور تتحسن بالنسبة للقوائم عندما استجابت صنهاجة الى دعوته ، وحضر زعيمهم زيري بن مناد ليرجع كفة كتامة ، في وقت كانت المهديّة تعاني من الحصار الذي استمر من جمادى الأولى ٣٣٣هـ / ٩٤٤م الى

(٥٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٦ ، وقارن عيون الأخبار ص ١٠٨ ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٥ - حيث النص على القتل والنهب ، وأن « من أفلته السيف أهلكه الجوع » .
(٥٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٦ ، وقارن عيون الأخبار ص ١١١ - حيث ٢٣ ربيع الأول / ١٥ نوفمبر .

(٥٥) عيون الأخبار ، ص ١١٢ - حيث النص لمخطاب منها كان قد وقع بين يدي أبي يزيد .
(٥٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٧ ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٥ - عيون الأخبار ، ص ١١٥ - ١١٨ ، وأنظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٣ - حيث النص على أن الأولياء من كتامة بوغريهم كانوا يقاتلون أثناء حصار المهديّة بلا نظام ولا رئيس عليهم ، ص ٥٥٤ - حيث لفت النظر تنجبا من كيفية حدوث الثورة والدولة بها ٧٠٠٠٠-٧٠٠٠٠ (سبعون ألف) مقاتل ويزيدون ، وقارن عيون الأخبار ص ١١٥ - حيث النص على أنه عندما سار أبو يزيد نحو المهديّة في ٣ جمادى الآخرة سنة ٣٣٣هـ / ٢١ يناير سنة ٩٤٥م ووجه البربر الى باب الفتح كان منهم أهل التبروان ، ومن جبل أوراس وأعمال أفريقية ، وأنظر ص ١١٧ - ١١٨ - حيث النص على أنه عندما كان الدجال (أبو يزيد) على باب الفتح كان القائم في مجلس له على البحر ، وكان مستميرا ٧ بكترت . وأنه عندما أنصرف أبو يزيد ، قال القائم لمراقبيه : « ليس تروئه بعد هذا بالغا الى هذا المكان أبدا ، فاستبشر القوم » .

مطلع سنة ٢٢٤هـ / أغسطس ٩٤٥م أي قرابة ثمانية أشهر ، والذي شارك فيه بربر أفريقية وطرابلس والزاب وخاصة الزناتية منهم (٥٧) . وبسبب قطع الطريق وتسده الحصر والجوع والغلاء ، رغم ما قام به القائم من فتح الأهراء وتوزيع الطعام ، هاجر كثير من أهل المهديه من السوق والتجار عن طريق البحر إلى صقبة وطرابلس ومصر ، بل وإلى بلاد الروم ، فلم يبق في المدينة سوى اجند . وتشنع الرويات الشيعية بأبي يزيد فتقول : « انه لما أقفرت البلاد ولم يعد هناك ما ينهب تركه رجاله ، فلم يبق معه الا هوارة الى جانب الرواد الاوائل من أهل جبل اوراس ، والأتباع الجدد من بنى كملان الكتامين (٥٧م) . وهنا وجه أبو يزيد أنظاره نحو القيروان حيث طلب من أهلها الخروج اليه بالفازات (المظلات) والسلاح والعدة ، وعندما وصل مددهم زحف بهم الزحف الثالثة نحو المهديية في ٢٣ رجب ٣٣٣هـ / ١٢ مارس ٩٤٥م (٥٨) . وأمام تحريض القائم لرجانه من الكتامين وتشبيهم بالحواريين والأنصار وأبناء المهاجرين والأنصار ، كانت هزيمة أبي يزيد الذي قتل فيها كثير من أهل القيروان ، وهي معركة شهداء المالكية التي يوردها ابن عذارى وينسبها إلى مخامرة أبي يزيد والكتامين الذين كشفوا أهل القيروان ليتخلص منهم (٥٩) .

أما هزيمة أبي يزيد الرابعة فكانت يوم الجمعة ٢٣ شوال من سنة ٣٣٣هـ / ١٠ يونيو ٩٤٥م وبها تكرر الفشل وخاب الأمل بالنسبة لأصحابه ، والظاهر أنها كانت فرصتهم الأخيرة في السلب والنهب والقتل والفساد ، وتكرر تلك المشاهد المرعبة من : « شق البطون والأرحام طلباً

(٥٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ - ويعمد الكتاب ٤ (أرنج) زحفات جريئة ضد المهديية إلى آخر شوال / ٣ أغسطس ٩٤٦م . كان الثائر العنيد يعرض فيها نفسه للخطر ، كما حدث عندما تحير ركاد أهل الأرياض بأشدونه باليد ، فلم يتخلص الا بصعوبة لكي ينسحب نحو مسكره في ترنوط ويحفر حوله خندقاً .

(٥٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٥٨) عيون الأخبار ، ص ١٢٠ .

(٥٩) أنظر فيما سبق ص ١٧٩ ، هـ ٤٩ - ولقد خلد جعفر ابن منصور اليمنى

(ابن حوشب) هذا النصر بقصيدة يؤكد فيها علم الأئمة بالحدثان ومنها :

هذا الذي كان للايمان ينتظر

والمسارقون فقد حابوا وقد خسروا

حق به جاءت الآيات والسنور

واله العز جاء المسلم والحبر

الحمد لله هذا الفتح والظفر

سيهزم الجمع اذ تجاوزوا حربيكم

فان وعدد أمة المؤمنين لكم

عن جده المصطفى الهادي وحبه

لحبايا الدنانير » ، الأمر الذى يذهب بإيمان الناس وعقولهم (٦٠) .

المرخين بن المهديين :

ومنذ شهر ذى القعدة سنة ٣٣٣هـ / يونية ٩٤٥م بدأت الدائرة تدور على الثوار ، وأخذ الجند الفاطمي يحقق عليهم بعض الانتصارات المحلية ، التي لم تمنع بعد مآسى الحصر والجوع والهجرة ، وأعمال العنف وقطع الطريق . ومع مطلع سنة ٣٣٤هـ / أغسطس ٩٤٥م قامت الانتشاقات فى المعسكر النكارى ، وانضم بعضهم الى المعسكر الفاطمى ، كما جرب البعض طريق الخلاص فى الدعوة لحليفة بغداد (٦١) .

وهال أبو يزيد هذا الفشل الذى كاد يودى به فجأة فاضطر الى العودة سريعا نحو القيروان التى وصلها فى أوائل صفر / منتصف سبتمبر ، تاركا معسكره نهبا لرجال القوائم الذين أفاقوا من شدة الحصر ، بتوفر الحاجيات المعيشية وخص الأسعار . وتصور الروايات المعادية سوء حالة أبى يزيد وقلة رجاله فى معسكره بموضع المصلى خارج المدينة ، عندما تشير الى أن صبيان القيروان خرجوا يلعبون حوله ويضحكون منه ، بل وأن أهل القيروان فكروا فى القبض عليه (٦٢) .

وهكذا بدأت أحوال المهديية فى التحسن ، اذ كاتب أهل القيروان القوائم ، كما قامت الثورة على أبى يزيد فى بعض البلاد كما فى سوسة التى أمدتها القوائم بمراكب الطعام وكذلك تونس وباجة (٦٣) . وفى الوقت

(٦٠) انظر عيون الأخبار للداعى ادريس ص ١٢٥ - حيث يروى عن بعض القيروانيين أنه شاهد امرأتان فى شهر رمضان قبل المعركة تكيان وتقولان : « لو كان فى السماء اله لغير هذا الفعل » . ويرد الداعى على تلك القولة بما هو معروف تقليديا من أن المحنة تحصى المؤمنين وتطهرهم .

(٦١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ، وقارن عيون الأخبار للداعى ادريس ص ١٢٧ - ١٣٣ - حيث النص على هروب أصحابه نحو القيروان ، فلم يبق معه الا هودة وبنو كلان وأوراسي .

(٦٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٠ ، قارن عيون الأخبار للداعى ادريس ، ص ١٣٤ وما بعدها حيث عتفه صاحبه أبو عمار الأعشى للتشاغل عن الجهاد ، وأكل لذية الطعام وليس الذين من الثياب ، وانقضاء الأيكار ، وما ترتب على ذلك من توبة أبى يزيد بالرجوع الى لس الصوف وركوب الحمار ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٥ .

(٦٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣١ ، وقارن عيون الأخبار ، ص ١٣٦ - ١٣٩ - حيث =

الذي كانت تزداد الفرقة في صفوف أبي يزيد وكان يتآمر بعض أصحابه على قتله . أتى اضطراب اعيروان نتيجة سوء سلوك رجاله ، ليزيد الحالة سوءا لما استمر عصيان المدن عليه ودخولها في طاعة القائم . كما حدث في الجزيرة ، زبريس (١٤) .

ورغم ما أحاط بأبي يزيد من الصعاب فقد كان الرجل من ذلك النوع من الرجال الذين لا تزيدهم الشدائد الا قوة . وذلك انه كان يحاول تقويم الموقف المتضخم دون هوانة أو ملل . فبعد خوف أهل التيروان من القائم . كما انتقم من أهل تونس وباجة ، الأمر الذي يذكر بأيام قوته . فهو بعد ان يتجزم في ربيع الأول سنة ٣٣٤هـ / أكتوبر ٩٤٥م أمام استئصال المسكر الفاطمي وارتفاع حسنوياته ، يعود من جديده في جمادى الثاني / يناير ٩٤٦م لحصار سوسة القريبة من المهديّة بالدبابات والمنجنيقات (٦٥) .

ولكنه مع ظهور علي بن حمدون (ابن الأندلسي) عامل المسيلة الذي استجاب لنداء القائم ف جيش كتامة في منطقة قسنطينة ، كما نشط في حشد الرجال من بلاد الزاب ، تعدل ميزان القوى تماما لصالح الفاطميين في بلاد كتامة وفي الزاب ، حيث هزمت هوارة واستعيدت مدينتا تيجس وباغاية رغم نياية علي التمسة (٦٦) ، وذلك قبيل وفاة القائم في شوال سنة ٣٣٤هـ / يولييه ٩٤٦م .

قيض على عامل مخلد بسوسة : احمد الهواري فيعت القائم مكانه : عباس بن منذر مع المراكب لضبطها حتى قدم اليها الحسن بن ماكسين فاستقرت أمورها . اما عن تونس وباجة فاستمر الصراع بين من عينهم القائم وبين من بست بهم « الدجال » لفترة من الوقت عرف فيها أهل كل من المدينتين صنوقا من المانة والنداب حتى أصبحت « تونس خرابا لا مقام فيها ولا أهل ل » . اما عن باجة فكانت الأولياء يقيمون بها نهارا ، ويخرجون عنها ليلا الى الصحارى - حذرا من البربر .

(٦٤) عيون الأخبار - للداعي ادريس ، ص ١٣٩ - ١٤٣ .

(٦٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، قارو عيون الأخبار ، ص ١٥٠ .

(٦٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، ابن خلدون ج ٧ ص ١٥ ، وقارن عيون

الأخبار ، ص ١٤٥ - ١٤٦ - حيث قام بجولة كبرى في بلاد الزاب انضم اليها حسن بن منصور مقدم بني هراش ، وتوبان بن أبي سلاس . ولكن مفاجأة أيوب بن أبي يزيد له انتهت بهلاكه في بعض الأوعار . وقارن ابن حماده ، ص ٣١ - حيث سقط من جرف عال فانكسرت يده ورجلاه وظهره .

نهاية الثورة على عهد المنصور :

ومع خلافة المنصور الذي كان في عتفوان الثانية والثلاثين من عمره ، يبدأ انحسار الثورة انزوائية ، وتنتهي دولة أبي يزيد النكارية : فلقد جمع المنصور كل قواه انبرية والبحرية لمطاردة أبي يزيد الذي انهزم من أمام سوسة الى القيروان ، ولكنه لم يتمكن من دخولها بسبب رفض أهلها له ، ودخولهم في طاعة المنصور الذي سار اليهم يوم الخميس ٢٥ شوال ٣٣٤هـ / ٢٩ يولييه ٩٤٦ م ، ووجد فيها جماعة من حرم أبي يزيد وأولاده فحملهم مكرمين الى المهديّة (٦٧) . بينما سار أبو يزيد بأصحابه الى ناحية سببية القريية . وبعد محاولات غير مجددة للعودة الى القيروان باشر المنصور فيها القتال بنفسه في مواجهة أبي يزيد وحشوده ، وأظهر خلالها شجاعة نفسية نادرة وكفاءة شخصية رائعة في مواجهة الأهوال ، وزاد من هيئته في قلوب الناس وهياً الصمود والظفر للرجال (٦٨) . وهي المطالبة التي استمرت على جبهة القيروان من ذي القعدة ٣٣٤هـ / يونية ٩٤٦ م الى سنة ٣٣٥هـ / أغسطس ٩٤٦ م . ورحل أبو يزيد عن أفريقية تاركاً في أرض المعركة بالقيروان أكثر من عشرة آلاف رجل من عسكره بعد الهزيمة المروعة التي لحقت به يوم ١٣ من المحرم / ١٤ أغسطس (٦٩) .

(٦٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٤ - ٤٣٦ ، وقارن عيون الأخبار للذاهي ادريس ، ص ١٦٥ - ١٧٠ - حيث النص على أنه عندما وصل أبو يزيد مفلولا عند باب أبي الربيع شتمه أهل القيروان ، ونادوا « لا طاعة الا طاعة اسماعيل » ، ثم انهم أحاطوا بدار أبي عمار الأعلى وحاصروه ٥٠٠ فأجمع رأيهم أن ينصرفوا مؤتناً عن القيروان .

(٦٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ، قارن عيون الأخبار ، ص ١٦٦ ، ١٧١ ومابعدها - حيث الاشارة الى سرايا أبي يزيد الاستطلاعية وحفر المنصور خندق حول عسكره - في ذي القعدة ، وبطولة المنصور في الدفاع عن مسكره بسيف جده ذي الفقار ، والمظلة مرفوعة على رأسه ، قموضعه معروف ، والأولياء في ٥٠٠ فارس فقط والبربر في ٣٠ ألفا (ص ١٧٣) ، الأمر الذي جعل تلك الملحمة المنقبة موضوعاً لتصانيد الشعراء مثل عبد الله بن أمصع الذي قال في تلك المناسبة :

ويوم بارض القيروان شهدته وقد هل فيه الجو أجبر أقتما

ومثل محمد بن الحارث بن سعيد الأيروطي ، الذي قال :

ولم أر كالمصور بالله ناصرا لدين ولا أحى للملك امتعا

(ص ١٧٣ - ١٧٧)

(٦٩) عيوو الأخبار ، ص ١٩١ - ١٩٣ ، ص ١٩٦ - حيث نسخة الكتاب المرجح الى

المهديّة بهذا الشأن .

طلب المعونة من عبد الرحمن الناصر :

وخلال تلك الفترة كان أبو يزيد متحيراً ما بين قطع الطريق ومهاجمة المهديّة ، وبين الوعد بطاعة المنصور نظير نساائه وبناته وأولاده ، ونساء رجاله ، الذين أرسلوا من القيروان الى المهديّة (عيون الأخبار ، ص ١٨٤ - ١٨٧) أو مواصلة الصراع بطلب المعونة من عبد الرحمن الناصر بقربطبة ، حيث أرسل له ابنه « يستنصره ، ويعده بالقيام معه » ، وإن كانت المعونة العسكرية والمالية التي بعثها الناصر مع ابن أبي يزيد لم يقدر لها الوصول الى هدفها ، اذ وقعت بين يدي عامل تاهرت الفاطمي : عبد الله بن بكار(٧٠) .

ولا شك ان عبد الرحمن الناصر أصيب بخيبة أمل نتيجة لضياع معونته في تاهرت ، كما هو الحال بالنسبة الى أبي يزيد ، بل وربما أصابه القلق للموقف الصعب لحليفه المتوقع ، فاستجاب لمراسلاته الملحة ، وشرع في تجهيز حملة انقاذ بحرية كبيرة تحمل العدد والسلاح والأموال ، وتخرج بها من قاعدة المرية . وعهد الناصر باعدادها الى عامله على مدينة بجاية بساحل جنوب الأندلس : محمد بن رماحس . والظاهر أن الرجل الذي كانت له علاقات تجارية ما بين المغرب والأندلس تباطأ في تنفيذ أوامر الناصر الذي كان قد أسرع بإرسال كاتبه الى المرية لاعداد المراكب . وبناء على ذلك فعندما سار الى المرية متأخراً بعد زجر الناصر له ، كان عليه أن يقضى فصل الشتاء من سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٤ - ٩٤٥م هناك وعندما تحسنت الأحوال الجوية سار ابن رماحس بالأسطول الى مدينة بونة (عنابة من شرق الجزائر حالياً) ، ولكنه لم يكد يصل الى أسوار المدينة حتى بلغته أنباء هزيمة أبي يزيد ، فتركها الى ناحية تنس ومنها الى الأندلس ، بعد معاناة شديدة في أهوال البحر ، غرقت فيها أكثر مراكبه ، كما تقول الرواية الفاطمية ، في ذلك الربيع المبكر ، فلم ينجح الرجل بنفسه الا بشق الأنفس(٧١) .

محمد بن خزر الزناتي في طاعة المنصور :

والمهم أن أبا يزيد رحل بعد الهزيمة الى بلاد الزاب وتبعه المنصور منذ أواخر ربيع الأول ٣٣٥هـ / أكتوبر ٩٤٦م ، ولحق به قرب باغاية ، ففر أمامه

(٧٠) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، وم ٣٤٤ ص ١٨٨ - حيث

للإشارة الى ادريس (عن الزيريين) ج ١ ص ٢١ - ٢٢ .

(٧١) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

نحو طنبنة (عاصمة الاقليم) في ٢٠ ربيع الآخر / ١٩ نوفمبر (٧٢) . وهنا
تجلى لنا الثائر العنيد واحد من اثنين حملته ، هو محمد بن خزر الزناني
الذي دخل في طاعة المنصور بعد ان كان في صفه الناصر الأموي ، واخذ
على عاتقه التخلص من اتائر وتتبع آثاره نظير ما رعد به الامام من المال
الذي بلغ ٢٠ (عشرين) حملاً . ومن طنبنة التجهت المطاردة نحو تسطيلية
وبلاد الجريد الى بسكرة حيث وافاد جعفر بن علي بن حمدون ، صاحب المسينة
بالخيل والابل . وانتهت المطاردة (الأولى هذه) باعتصام ابي يزيد بأخر
ملاجيء نوار المغرب الأوسط ، وهو جبل أوراس العنيد ، الذي بدأت منه
الثورة - ككل ثورة - واستقر بين الأباضية النكار في موضع منه يعرف
بجبل برزال ، موطن بني برزال ، رواد الثورة الأوائل ، ولكنه لم يتمكن
من الثبات امام القوات الفاطمية ، رغم وعورة المنطقة . وبذلك اضطر الى
سلوك القفر الذي لم يسلكه جيش قط ، والمنصور مجد في اثره ، مصر على
تعبه اياه ، رغم ما تعرض له الجيش من الشدة حتى بلغ ثمن عقيق الدابة
دينارا ونصف دينار ، وبلغ ثمن قربة الماء دينارا - حيث لا عمارة وراء تلك
القفار الا بلاد السودان . وعندما اتضح ان الثائر الزناني « اختار الموت جوعا
وعطشا على القتل بالسيف » ، عاد المنصور الى بلاد صنهاجة حيث وصل
اليه زيري بن مناد ، مددا بعساكر صنهاجة ، كما أتت كتب محمد بن خزر
تعرفه بالتوضيح الذي لجأ اليه أبو يزيد في تلك القفار (٧٣) .

(٧٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٨ ، عيون الأخبار ، ص ٢٠٦ .

(٧٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ، وقارن عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٠٥ -
عن محمد بن خزر ، ص ٢٠٧ - عن جعفر بن علي ابن الأندلس - ص ٢١١ - عن قتال
الثائر في بسكرة واعتصامه بعد الهزيمة بالنسالك والأوعار ، ص ٢١٢ - عن الوصول الى
بني برزال ، ص ٢١٤ - حيث وصف القتال في كتاب الامام الذي دار في ١٤ جمادى الأولى
سنة ٣٣٥ هـ / ١٢ ديسمبر ٩٤٦ م مع الثائر ومن معه من هواة وبني برزال وبني كملان .
وفي صبر الامام قال بعض الشعراء :

أحد ، ولم يفخر بها انسان

لك يسلم يوم آفة لم يأتها

وفي ذلك اليوم قال المنصور نفسه :

واحصل نفسي لهول مهول

أجرب القفار وأطوى الرمال

رسم ٢١٩ - عن الهروب في الرمال ، ص ٢٢٠ - عن غلاء الأسعار والمنااة في تلك

الانهار المتصلة ببلد السودان ، ص ٢٢٢ - عن مواة زيري بن مناد ، وكتاب محمد بن خزر

عن المكان الذي استقر فيه مخلد .

معركة قلعة كيانة وأسر أبي يزيد :

والظاهر ان ما قام المنصور من الجهد أدى به الى المرض (٧٤) ، وكنت فرصة لكي يعود أبو يزيد الى الزاب مرة أخرى . وعندما شفى المنصور من المرض كان أبو يزيد معتصما بقلعة كيانة (٧٥) ، ورجاله ينزلون لقطع الطريق وتخطف الناس ، ولكنه كان قد فقد أهم أعوانه من بني كملان وهوارة الذين دخلوا في طاعة المنصور (٧٦) . وهكذا انتهى الثائر العجيب ، الموقى بقصر القامة والعرج ، وقبع الصوزة ، وساعده الأيمن : أبو عمار الأعمى ، مستشاره الأول ومنظر المذهب ، بعد قتال يائس من جانب الثائر في قنة الجبل في قلعة كيانة ، والحاح رائع في تتبع أثره من جانب الامام الفاطمي الشاب ، اعتبارا من ١٠ شعبان / ٧ مارس ٩٤٧م حتى أول رمضان / ٢٦ مارس ٩٤٧م بعد ملاحم رائفة في النهار وفي الليل ، تحت المطر وفي ضوء المشاعل ، تماسك فيها الرجال بالأيدي ، ورموا بالصخر من رؤوس الجبال ، وكثر القتل حتى ظنوا أنه الفناء . فقد سقط أبو يزيد في الوعر في مكان صعب اثر محاولة يائسة في الخروج من الحصر في حملة خارجية ، وهو محمول على أيدي الرجال ، فأدرك وحمل الى المنصور مشحفا بالجراح التي مات منها في أواخر المحرم سنة ٣٣٦هـ / أواخر أغسطس ٩٤٧م (٧٧) .

(٧٤) عيون الأخبار ، ص ٢٢٢ - بقي مفسى عليه مدة ١٢ يوما .

(٧٥) أنظر افتتاح الدعوة ، ص ٢٣٣ وما ٢ ، والمجالس والمسائرات ، ص ١١٥ - حيث الاشارة الى انها القراءة الصحيحة على عكس « كئامة » عند ابن الأثير وابن خلدون ، أو كقناة في سيرة جودر ، وكيانه في ابن حماده وان كانت في الترجمة الفرنسية صحيحة في تشكل كيانة .

(٧٦) ابن الأثير ، ج ١ ص ٤٤٠ - حيث الاشارة الى اقبال هوازة وأكثر من مع أبي يزيد . يطلبون الأمان ، فامنهم المنصور ، وأنظر المجالس والمسائرات ، ص ٢٥٧ - حيث الاشارة الى ان بني كملان كانوا يكفرون عن خطئهم هذا في حق القوائم عندما انضموا الى جيش الحصر فيما بعد .

(٧٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٩ - ٤٤١ - حيث التاريخ ٢٩ المحرم ٣٣٦ / أغسطس ٩٤٧ ، وقارن عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٢٤ - متابعة مخلد في أدنة على ١٢ ميلا من المسيلة في ١٠ شعبان ، ص ٢٢٥ - هروبه (مخلد) ومتابعته في رؤوس الجبال والأودية وعقر زيرى لجواده وقتل ابنه يونس ووطنه بين كنفه وصره ص ٢٢٦ - جعفر بن منصور اليمن كان حائرا وسمى المعركة بيوم المسيلة ، وفيها قال في المنصور :

يهنأ لك النصر فيما رمت من سبب يا سيد الخلق من عجم ومن عرب

ص ٢٣٠ لجوء أبي يزيد الى قلعة شاكور في جبال كيانة من جبار عقار ، ص ٢٣١ متابعته في الوعر ومع بنو كملان ، ص ٢٣٤ - البربر يلغون الصخور من أعلى الجبال ، ص ٢٣٤ =

نجح في ردع الثوار ودفعهم بعيدا ، يوم الجمعة أول حنفر / ٢٢ أغسطس سنة ٩٤٧م (٧٩) .

وإذا كان معبد بن خزر ، الذي كان أخوه محمد في طاعة المنصور . قد ارتدع وكف عن الفساد (٨٠) ، فإن الفضل ابن أبي يزيد ظل يستل امتداد ثورة أبيه النكارية . فلقد ظهر الفضل في جبل اوراس وموه على الناس بان اياه « حتى لم يمت » ، الامر الذي اجتذب عامة الناس وأباشهم من البربر . فسار بهم الى قسطنطينية وقفصة من بلاد الجريد ، حيث خافه الناس وتوقعوا سقوطها بين يديه . وعندما خرج اليه المنصور في أول شعبان من سنة ٣٢٦هـ / ١٥ فبراير ٩٤٨م اتبع الفضل أسلوب والده في الفرار الى الرمال ، مما دعا المنصور الى فتح بعض القرى والحصون التي كانت لأعوانه ، مثل : قصر حمونس وبرحمانة ، قبل الوصول الى سبيطة ثم قفصة التي وصلها في ٢٠ شعبان / ٧ مارس ، بينما عاد فضل الى جبل اوراس من حيث هاجم باغاية (٨١) . وكان على المنصور أن يثار من عامة بنى يفرن في المنطقة ، من : كلالة وبرادية وبنى شداد وبنى نمت ثم يتبع أصول أهل بيت أبي يزيد من بنى واسين ليستأصلهم ، وكذلك المكناسيين ، من : بنى مولاب ومزرعة ، الذين لجأت فلولهم الى حصن ماواس ، حيث وقع عبء الاستيلاء عليه على عاتق ولي العهد ، في رواية منقبية أظهر فيها من رباطة الجأش وحسن التدبير ما كان موضوعا لشعر جعفر بن الحسن منصور اليميني (٨٢) .

(٧٩) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٤٦ - حيث النص على : محمد بن خزون بدلا من مريد ، وقارن ابن خلدون ج ٧ ص ١٦ . عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٢ - حيث النص على معبد بن خزر فقط دون الفضل ، وعن أعمال كل من معبد وفضل أثناء الكفاح أنظر نفس المصدر ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٤ - حيث مهاجمتهما لمدينة طينة وانهازهما بعد أن تحالفا مما منحت ان معبدا كان يرى رأى الخوارج .

(٨١) عن نهاية معبد الذي قبض عليه وقتل سنة ٣٤٠هـ / ٥١ - ٩٥٢هـ أنظر ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ .

(٨١) عيون الأخبار ، ص ٢٩١ وما بعدها - حيث النص على وسول فضل الى مدينة مديلة وعاملها الفاطمي هو باطيط بن يعلى بن باطيط الزناتي ، وقارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٦ حيث يلتفت ذلك في اختصاره .

(٨٢) أنظر عيون الأخبار ، ص ٢٩٤ - ٢٩٩ - حيث النص على أن المنصور وجد في ولي عهده رغم صغر سنه ، ما لا يوجد في بشر الا فيه - ومن شعر جعفر بن الحسن في الواقعة :

انعم بعزك يا ابن خير الناس وبما حبسك الله في مساواس

وامام اخفاق الجيوش النظامية في متابعة -- حرب العصابات التي كان يشنها فضل بن أبي يزيد في منطقة باغاية ، لا بأس أن يكون المنصور قد لجأ الى أسلوب الخداع والغدر فأوعز الى بعض رجاله في المنطقة ، وعو ما طييط ابن يعلى أن يحتال في قتل فضل بن أبي يزيد بطريقة أو أخرى .

وهكذا خرج المنصور وبصحبته ولي عهده المعز من حصن ماواس في ٥ رمضان ليصل الى المنصورية في ١٥ من رمضان قبل الرحيل الى المهديّة في ٢٥ رمضان (٣٣٧هـ / ٢٩ مارس ٩٤٩م) . وفي ٢٠ من ذي القعدة / ٢٤ ابريل كان ماطييط بن يعلى يصل الى المهديّة برأس فضل بن أبي يزيد بعد أن غدر به وهو يحاصر باغاية ، الأمر الذي كان موضوع احتفال الداعي جعفر بن حسن منصور اليميني (٨٣) .

وبمقتل فضل انفض أصحابه جميعا . وباجتثاث أصول بني يفرن من آل بيته ثم القضاء على الدعوة « الزيدية النكارية » ، انتهى أهم أدوار بني يفرن السياسية ، وراثهم ابن خلدون اثر ذلك « بالبقاء لله » كما هي عادته في نعي الملوك والدول (٨٤) -

تهدئة المغرب :

وتطلبت رحلة العودة الى المهديّة (في شهر رمضان سنة ٣٣٦هـ/مارس ٩٤٨م) من المنصور أكثر من ٦ (ستة) أشهر كان عليه أن يقضيها في اقرار السلام في المنطقة ، وفي بلاد المغرب البعيدة . ففي المسيلة ، بلد جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي أقام المنصور ١٧ (سبعة عشر) يوما ، أقيم أثناءها مهرجان النصر الذي طيف فيه في شوارعها بجلد أبي يزيد المنفوخ كتمثال بالتين ، وهو في القفص مع القردين اللذين يلعبان عليه ويصفغانه ، وفيها رافاه زعماء الكتاميين المنشقين من بني كملان يتضرعون اليه ويسألونه العفو ، فقبل منهم وأصدر لهم سجلا بالأمان ، وشملهم

(٨٣) انظر عيون الأخبار . ص ٣١١ ، حيث قال في المنصور شعرا ، منه .
 اراد الدجاة اذ فر فضل بن مخلد لينجو فما اتجاء طول التمدد
 ولم يزل المنصور بالله قادرا يبيد عداه بالقنصا المنفرد
 (٨٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٦ ، وقارو عيون الاخبار للداعي ادريس ، ص ٣١٠

باحسانه (٨٥) .

حملة تاهرت ضد الزناتية أتباع الناصر :

وعلى عكس ما كان متوقعا من اتجاه المنصور جنوبا بشرق ، عبر بلاد الزاب ، نحو القيروان والمهدية كان عليه أن يقوم بحملة أخرى الى منطقتها تاهرت في الشمال الغربي . فقد وافته الأنبياء من تاهرت تقيده ان المدينة مهددة من قبل ابن واليها الأسبق ، وهو : حميد بن يصل الكناسي الذي غلب على الضواحي ، وطمع في أخذ المدينة نفسها ، فحضر عليها الحصار . وكان حميد الذي عرفناه من أولياء المهدي في تاهرت سنة ٣٢١هـ / ٩٢٣م ، قد خرج على القسام سنة ٣٢٨هـ / ٣٩ - ٩٤٠م لكي يدخل في طاعة الناصر الأموي بقرطبة ، ويحصل منه على ولاية الغرب . ولقد انتهز الزناتية من بني خزر فرصة النجاح الذي حققه ابن جلدتهم أبي يزيد ، وهاجموا مع حميد بن يصل تاهرت في أواخر سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٥م على ما نظن ، وقتلوا عامل المدينة عبد الله بن بكار وأسروا قائدها مسرورا الخادم (٨٦) فلما ظهرت علامات الفشل على ثورة أبي يزيد انفض الحلف الزناتي الكناسي بدخول محمد بن خزر في طاعة المنصور ، وان بقي أخوه معبد متعاطفا مع فضل بن أبي يزيد . وهنا لا بأس أن يكون حميد قد أراد أن يحل وقتئذ محل الزناتية في تاهرت رغم ضعف موقفه .

وهكذا كان على المنصور أن يغادر المسيلة الى هناك ، وذلك في تمام الساعة التاسعة من ليلة الثلاثاء ١٨ صفر ٣٣٦هـ / ٩ سبتمبر ٩٤٧م لكي يصل الى تاهرت بعد مسيرة ١٢ (اثني عشر) يوما بعد عصر الاثنيين أول ربيع الأول / ٢٠ سبتمبر ، وتصب المنصور معسكره خارج المدينة ، وابتدأ بتأمين أهلها قبل الطواف بجبله أبي يزيد في أرجاء المدينة ، في مهرجان شعبي صاخب ، حسبما نظن ، وان كان في مدينة الخوارج الصفرية . ولا بأس أن يكون احتفال التشهير هذا بمثابة انذار لحميد بن يصل الذي لم يفر الى الصحراء هذه المرة بل فيما وراء البحار الى الأندلس لدى

(٨٥) عيون الأخبار للداعي ادريس ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٨٦) أنظر ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ . حيث النص على ميسور الحصى ولما كان مقتل ميسور بالقيروان أثناء ثورة أبي يزيد (ما سبق ، ص ٧٩ وهـ ٥٠) ، فأغلب الظن أنه مسرور الخادم ، الرالى الجديد (أنظر ص ١٩٣ وهـ ٨٨) .

عبد الرحمن الناصر ، وكان قد دخل في طاعته (٨٧) .

مسرور الخادم وأليسا لتأهروته وتنس :

ولما كان حميد قد ركب من تنس ، مرفأ تاهرت ، الى الأندلس ، فقد كان على أهلها أن يسارعوا بالقدم الى حضرة المنصور بتاهرت لتقديم فروض الولاء والخضوع . ولقد أحسن المنصور استقبال التنسين وأكد أمانهم باصدار سجل شريف به ، وجعل ولاية كل من المدينتين ، تاهرت وتنس ، الى قائده مسرور الخادم ، الذي احتفل بتقايده يوم الثلاثاء ، ربيع الأول / ٢١ سبتمبر ، محمولا على سرج محلي (٨٨) . وبذلك تأكد ولاء المنطقة للمهدية من جديد ، من الداخل حتى الساحل .

مرض المنصور :

وكما حدث أثناء متابعة المنصور - وهو في المسيلة - لأبي يزيد ، عندما مرض ذلك المرض الذي كان يصيبه بالاغماء الطويل ، اعتل بتاهرت أيضا علة شديدة ، وان كانت من نوع آخر - ربما كان الذرب (البواسير) الذي عرفه ابراهيم ابن أحمد (أنظر فيما سبق ، ج ٢ ص ٢٨٣) ، وذلك أنه ظل يعاني من عدم القدرة على القعود أو القيام لمدة ٢١ (واحد وعشرين) يوما حتى أشفى على الموت ، كما يقول القاضي النعمان ، وفكر في الوصية : « حسبما يجب لله عليه » (٨٩) .

جولة أثرية في منطقة لواتة ، وتهجير قبائل كتامة :

وفي تاهرت ، بعد أن عادت اليه الصحة ، كان على المنصور أن يخضع قبائل لواتة في المنطقة ، وكانوا قد تحالفوا مع حميد بن يصل (٩٠) ، فخرج اليهم في ٨ ربيع الآخر / ٢٧ أكتوبر ٩٤٧ م ، ولكنه عندما وصل الى ديارهم ،

(٨٧) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٨٨) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٦ - وقارن ما سبق ، ص ١٩٢ و٨٦ ،

حيث القراءة بمسور في ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ .

(٨٩) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ - حيث الإشارة الى انه جمع وجهاء القوم ليعرضهم بينته في الوصية ، ولكنه ما أمسى الا مفيقا ، وعادت القرية واتصلت الصحة ، اعتبارا من يوم الخميس ٢٩ ربيع الأول / ٢٩ أكتوبر حينما خرج للترريض بتاحية تبع بناوة .

(٩٠) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٧ .

وجدهم قد هربوا الى رمال السودان وبرايريه * وهكذا اكتفى المنصور بالتيام
يجوبه بعتديه في المنطعة الفنية بالآثار البيزنطية القديمة من عهد سديمان
(Solomon) فانه جستينيان ونيودورا . لكي يعود بعد عشرة أيام ، في
٢٠ ربيع الآخر / ٩ نوفمبر ٩٤٧م الى المسيلة التي وصلها في ٢٩ من ربيع
الآخر / ١٧ نوفمبر . ومن المسيلة ارتحل فجر الخميس أول جمادى الأولى /
١٨ نوفمبر نحو سطيف حيث أقام بها ٣٠ (ثلاثين) يوما . ولقد قضى
المنصور هذه الفترة مشرفا على ما كان فرضه ، وقنشد ، على قبائل كنامه
هناك من تهجير ١٤ (أربعة عشر) ألف أسرة (بيت) الى المنصورية للاقامه
بها في كنفه (عيون الأخبار ، ص ٢٨٨) . وهو بذلك كان يضرب عصقورين
بحجر واحد ، فهو من ناحية يستعملهم في الخدمة كحرس أميرى خاص ،
وهم من ناحية أخرى يتقون لديه رهينة يضمن بها طاعة أقاربهم وبنى جلدتهم
في بلاد القبائل . وفي سطيف أشبع المنصور هوايته بالآثار ، فنظر فيما
كان يحويه قصرها القديم الذي تبلغ مساحته حوالي ٥ (خمسة) آلاف متر ،
من عجائب البناء بالحجر والطوب ، والزخرفة بالوواح الرخام (٩١) . وبعد أن
أعطى الأمان لرجل من أولاد أبى يزيد ، خلغ عليه وأكرمه بألف درهم ،
رحل من سطيف يوم الأربعاء ٦ جمادى الآخر / ٢٣ نوفمبر ٩٤٧م الى ميله
التي أقام بها ٩ (تسعة) أيام استقبل فيها وفود الكتامين المهاجرين الى
المهدية معه . وفي ١٨ جمادى الآخرة / ٥ ديسمبر رحل الى سببية حيث
كانت وفود القيروان في استقباله في ٢٦ من جمادى الآخرة ٣٣٦هـ /
٢٣ ديسمبر ٩٤٧م .

احتفالات النصر بالقيروان :

وهكذا خرج المنصور من سببية الى القيروان في موكب ضخم من
رجال الجيش ، والكتامين المهاجرين ، ووفود المستقبليين من القيروانيين .
يتقدمهم الأولياء من كبار القواد وأهل البلاط والحاشية في ملابسهم الرسمية
المطرزة . وفي القيروان قوبل المنصور بالتهليل والتكبير ، فسجد لله شكرا
على عرف فرسه ، قبل أن يدخل قصره الجديد ، بضاحية صبرة التي سوف
تعرف بالمنصورية منذ الحين ، في يوم الخميس ٢٩ من جمادى الآخرة

(٩١) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٩ - حيث طول قصر سطيف ٣٠٠٠ ذراع
وعرضه ٦٠ ذراعا . وانظر هامش ٥١٤ ، ص ٣٥١ - حيث الانتصار الى افتتاح الدعوة
وابن حرقل ، واليعقوبى ، والادريسي .

سنة ٣٣٦هـ / ١٦ ديسمبر ١٩٤٧ م . وفي اليوم التالي كان على أهل القبروان، أن يحتفلوا بعيد النصر لمدة ٣ (ثلاثة) أيام ، طيف فيها بشوارع المدينة وأسواقها بجلد أبي يزيد مشهرا على الجمل بالطرطور وبالقردين ، قبل أن ينتقل ذلك المهرجان الى المهديّة حيث انتهى تمثال الثائر العتيد ، المصنوع من جلده مخرقا على سور المدينة ، بفعل الرياح والعوامل الجوية الأخرى (٩٢) .-

خلافة المنصور الفاطمي

شخصيته :

هو أبو الطاهر اسماعيل بن أبي القاسم محمد ، وفي وصف شخصيته يقول ابن عذارى انه ولد في سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م بقرادة بالقيروان (١) ، وبذلك يكون قد ولى الملك وعمره ٣٢ (اثنان وثلاثون) سنة ، وانه توفي سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م وعمره ٣٩ سنة بمعنى انه حكم سبع سنين (٢) .

الفصاحة والصفح والضعف الصحي :

اما عن أهم صفاته فقد كان فصيحاً بليغاً ، كما كان خطيباً مفوهاً ، « يخترع الخطبة لوقته » (٣) . وكما هو الحال بالنسبة لسائر الأئمة لا نعرف شيئاً عن صفاتهم الجسمانية ، حتى عند الكتاب الذين خدموهم عن قرب ، مثل : القاضي النعمان الذي يكتفي بالإشارة الى ان المنصور كان ميالاً للنفو والصفح عمن قدر عليه (٤) ، بمعنى أنه كان ليناً لا يميل الى العتف . ولا بأس أن يكون ذلك بسبب اعتلال صحته لما كان يعانيه من المرض ، كذلك الذي كان يصيبه بالغيوبة من «صرع» أو غيره ، أو من «داء الذرب» (اندوستناريا أو البواسير) الذي كان يعذبه واقفاً أو قاعداً (أنظر ما سبق ص ١٩٣) . ولا بأس أن يكون كل ذلك من الأسباب التي جعلت القائم يمنع اعلان ولايته اياه للعهد لمدة طالت الى أكثر من ١٠ (عشر) سنوات (٥) .

(١) أنظر البيان المغرب ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١١ - حيث النص على انه ولد بالمهدية التي لم يتم سكنها الا في سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م ولهذا عدلنا المهدي الى رقادة .
(٢) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٤ .
(٣) ابن عذارى ، نفسه ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩٧ .
(٤) افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٤ .

(٥) أنظر المجالس والمسائرات ، ص ٢٢ (المقدمة) وص ٤٤٨ - حيث النص - رواية عن المنصور على ان القائم لم يتقدم لتولية الأمر بعد وفاة المهدي الا بعد أن أخذ بيدي (المنصور) وخلصه فقلدني عهده ، وأسر الى ذلك ، واستكنمتي اياه - وه ٤ - حيث الإشارة الى تعريف جوذر بذلك . وأنظر سيرة جوذر ، ص ١٥٩ - حيث النص على ايثار القائم للسمن .

وهنا لا نستطيع أن نلتصق العذر للقائم بأن الحكمة كانت تقضى بساك
بسبب نورة أبي يزيد التي لم تبدأ الا سنة ٢٢٢ هـ / ٩٣٤م أى بعد ٩
(تسع) سنوات من ملكه ، وكان المنصور وقتئذ ناضجا قد بلغ سن
الرشد . ولا بأس أن يكون ضعف المنصور صحيحا هو الذى جعله يفكر
فى أن يعهد الى حفيده المعز (معد) بن المنصور بولاية العهد ، متخطيا
والده (٦) . الأمر الذى لا يحدث عادة الا لعدم الأهلية كما فى سابقة تنحية
الصادق لولده اسماعيل ، التى لم يقبلها أتباع اسماعيل . وهذا ما يحول
دونه قلق اسماعيل المنصور من طول انتظاره الاعلان عن ولايته للعهد التى
تعنى مشاركته فى الحكم كنوع من التمهيد العملي والتأهيل . هذا ، كما
يمنع من عدم كفايته ما أظهره منذ اعلان ولايته للعهد ، وإن كان قبل فترة
وجيزة من وفاة القائم ، من : كفاءة شخصية بل ومن قوة احتمال بدنية ،
وشجاعة روحية ، وتضحية بالنفس والنفيس ، الى غير ذلك من البساطة
والتقشف والنزاهة (٧) . وهى الصفات المؤهلة دون غيرها من الصفات
والفضائل لتولى الخلافة وامارة المؤمنين فى أوقات الحرب والفتن (٨) ، وهى
الصفات التى أظهرها فى قتال أبي يزيد ، مما سبقت الإشارة اليه .

التساؤل :

ومن الواضح ان المنصور كان متفائلا بنتيجة الصراع ضد الزناتية
عن طريق الإرادة أصلا والاختيار ، على عكس والده القائم الذى يظهر متوكلا
منتظرا عناية الله وقدره المقدر (٩) . فالمنصور جرىء يثير النخوة فى قلوب

(٦) المجالس والمسائرات ، ص ٤٦٩ - حيث النص على ان القائم كان يخاف على المعز
من تنكر المنصور له .

(٧) مما يشير اليه المنصور نفسه ، فى رسالة له الى جوذرى فى أهل القصر حيث يقول :
« قد علم الناس كافة انى كنت نشأت معرضا عن الدنيا زاهدا فيها ، شبيها براهب من
الرحبان ... » الى قوله : ثم والله الذى لا اله الا هو ولا رب غيره : ما قبلت من أحد من
العباد درهما فما فوقه مدية قط الا من جوذرى .. (سيرة جوذرى ، ص ٦٢) .

(٨) أنظر الأحكام لسلطانية للساوردي ، ط : فصل الخلافة ، ص .

(٩) عيون الأخبار ، ص ١٦١ - عن رؤيا خريطة البلاد ومدنها مقشبة بالسواد كناية
عن استيلاء أبي يزيد عليها ، فكان المنصور كلما وضع يده على شيء منه يزول فى الحال ،
المجالس والمسائرات ، ص ١٣٢ - حيث يعلم المنصور علم النجوم الذى يغير المظوظ ولكنه
لا يعمل به ضد أبي يزيد . وعن موقف اللامبالاة من قبل القائم أنظر فيما سبق ،
ص ١٨١ وه ٥٦ .

رجالها وانفزع في نفوس أعدائه ، والهيبة في أعين الناس ، حتى قيل ان المهدي كان يعرف انه كاشف المحنة ومظفيء نار الفتنة ، وهو جنين في بطن أمه (١) . وهو صلب في مواجهة متاعب الطريق ، من : سلوك الشعاب وتبليق الجبان ، والسير الطويل المسافات . ويظهر تفاؤل المنصور فيما كان يرتديه من ملابس الحروب الزاهية الألوان التي تشد الانتباه ، والمظلة المرفوعة « على رأسه كالعلم » ، فموضعه معروف للأعداء والأعداء . فهو عند التعبئة وآخر أيام الكفاح في بلاد الزاب وقلعة كيانة « يلبس جوشنا وفوقه خفتان أحمر مثقل بالوشى ويتعمم بعمامة صفراء » (انظر عيون الأخبار ، ص ٢١٩) أو « يلبس قباء أصفر ويتعمم بعمامة صفراء ، ويرخي ذؤابته » (عيون الأخبار ، ص ٢٤٨) ، أو يخرج للقتال في ثوب أحمر موثى ، مذهب الأكيام والأذيال ، وعمامة حمراء معملة الطرفين مذهبة ، وقد أرخى ليا ذؤابة ، ويده درقة مفضأة بديباغ أحمر مصبغ بصفرة (عيون الأخبار ، ص ٢٥٦) .

الجرأة والعلم :

ولا شك ان تلك الجرأة التي صدمت الأعداء نفسيا ، ورفعت شأن الأولياء معنويا ، كانت تستند الى جانب صدق النية وقوة العزيمة - الى صحة العقيدة وسلامة الايمان بتعاليم المذهب ، وخاصة فيما يعد به من النصر والظفر في علم الحدثنان . وهنا يصور الكتاب ، وعلى رأسهم القاضي النعمان ، أبا الطاهر اسماعيل جامعا بين فخر الجهاد المظفر وزهو العلم الأصيل المتمثل في التأويل . فهو محب للعلم جماع للكتب (١) . وهو عالم بالنجوم ، وان كان لا يؤمن بتأثيرها في الحطوط ، فلا يلتفت الى استخدامها أثناء فتنة أبي يزيد (٢) . هذا كما ان المنصور جمع الى فصاحته وبلاغته القدرة على نظم الشعر . فمن ذلك ما نظمه في انتصاره يوم المسيلة على أبي يزيد ، ويعثه الى ولي عهده المعز ، ومنه :

أنا الطاهر المنصور من نسل أحمد بسيفي أقدم الهام تحت المغافر

(١) عيون الأخبار ، ص ١٦٢ .

(١١) المجالس والمسائرات ، المقدمة ص ٢٣ والنص ص ٥٠٢ - حيث التولى ان المهدي كان يوجه المنصور الى الاهتمام بطلب الأرواح أى علم الباطن ، وأنه ناوله كتابا ضخما في هذا المجال ولكنه طلب إليه ألا يراه أحد لديه ، بل وألا يطالع أباه عليه .

(١٢) المجالس والمسائرات ، ص ١٢٢ وص ١٢٣ - حيث الإشارة الى عدم ايمان الصادق بعلم النجوم أيضا ، وانظر أيضا ص ٤٣٦ .

ومنه أيضا :

أجوب الففار وأطوى الرجال وأحمل نفسي لهول مهول
(عيون الأخبار ، ص ٢١٧)

وهكذا لم يكن من الغريب أن يكون المنصور هو المعلم الأول لولى عهده المعز الذى يعتبره القاضي النعمان « مصدر كل العلوم وأساس التأويل وكاشف الأسرار » (١٣) . فالمنصور هو الذى علم المعز أصول الجدل والمناظرة ، وتعريفه بالقاعدة الذهبية فى الجدل ، وهى : أن العلم لا يثبت الا بعد الحجّة والمعارضة (١٤) .

وفى سبيل العلم والدفاع عن المذهب لم يترك المنصور عدوه أبا يزيد يهلك مشخنا بجراحه بل يأمر بعلاجه ومداواته ، لكى يقوم بمناظرته من أجل معرفة كنه دعوته ، وأسباب احتسابه ، وما كان ينكره على الأئمة . وهو يفحّمه فى كل ذلك ، حسبما تعلمه من أصول الجدل وأساليب المناظرة ، بناء على قواعد المذهب واستنادا الى علم الأئمة (أنظر فيما سبق ، ص ١٨٩ و ٧٨٨) .

والمنصور فى النهاية محب للمعلوم الدينيّة ، فهو مغرم بالآثار المغربية القديمة . يشاهدها أثناء جولاته الحربية ، ولا يكتفى بالاستمتاع بجمالياتها المعمارية والفنية ، بل يطلب المترجمين العارفين باللغة اللاتينية لفك رموز نقوشها ، وقراءتها ، وترجمتها الى العربية ترجمة صحيحة ، كما حدث فى حملة لواتة قريبا من تاهرت (انظر فيما سبق ، ص ١٩٣ - ١٩٤) . وتظهر محبته للعمارة والفن فيما أنجزه وخلد ذكره ، فى تحويل ضاحية صبرة بالقيروان الى مدينة ملكية تحمل لقبه ، فهى المنصورية (انظر فيما بعد ص ٢٠١) .

ورغم كل هذه الصفات التى رفعت من شأن المنصور وهيبته فى القلوب مما كان يمكن أن يكون مصدر زهو وتكبر له ، عرف المنصور بتواضعه .

(١٣) المجالس والمسايرات ، المقدمة ص ٢٤ ، ٤٣٥ حيث قراءة الحكمة يوم الجمعة ، واتفاق القضاة على دفتر يقال له « مجلس الحكمة » يقدم الى المعز ليحيز تلاوته على المؤمن بمعرفة داعي الدعاء .
(١٤) المجالس والمسايرات ، ص ١١٧ ، ١٣٣ - حيث كان المنصور يشجع المعز على مناظرته .

فهو ينهى القاضى النعمان عن تقبيل الأرض بين يديه - الأمر الذى لم يقبله المعز بعده (١٥) .

جامع الأضداد :

وهكذا يكون المنصور قد جمع فى شخصه عددا من المتناقضات .
من : الصحة والمرض ، وحب الطرب والعلم ، مما يتمثل فى القوة والضعف أو السماكة والشفافية ، ويرمز فى النهاية اذا صح القول - الى وحدانية الأضداد متمثلة فى النفس الانسانية بمنازعتها الى الخير والشر .

السياسة الداخلية :

كتمان توليته للعهد :

رغم ما عاناه المنصور من كتمان توليته للعهد لمدة طالت الى أكثر من اثني عشر عاما ، فانه عندما آنت اليه الخلافة بعد وفاة القائم كان عليه أن يبقى فى الظل لأكثر من خمسة عشر شهرا من خلافته ، حتى تنتهى ثورة أبى يزيد (١٦) ، فكان الكتمان قد أصبح مع قيام الدولة الفاطمية من مبادئ أصول الحكم والسياسة ، بعد أن كان من قواعد التشيع والمذهب . وهكذا ظل المنصور يمارس اختصاصاته وكأنه أمير ولى للعهد ، مفوض من قبل الامام ، الى نهاية الثورة الزناتية . فهو يصدر السجلات ، (الخطابات الرسمية) الى العمال ويخاطبهم باسم « الأمير اسماعيل » أو « ولى عهد المسلمين » مباشرة دون مداراة ، أو مع الإشارة الى ان الكتاب موجه الى أمير المؤمنين اذا دعت الحاجة الى ذلك ، وان اختلف الأمر بالنسبة للدعاء فى الخطبة على المنابر حيث يقتضى الأمر ذكر الأئمة متسلسلين ، ومن بينهم آخرهم : محمد أبو القاسم القائم - دون ذكر اسمه هو (١٧) .

(١٥) المجالس والمسائرات ، ص ٥٧ . هذا وان قالت رواية أخرى ، ص ٦٥ - ان المنصور كان أرفق بالناس من المنصور ، وذلك بمناسبة تراحم الناس فى ساحة القاضى .

(١٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٥٥ .

(١٧) انظر سيرة الأستاذ جودر ، ص ٤٤ حيث استخلف جودر على المهديّة وسائر البلاد وكاتب تردّ اليه مكاتبات المنصور باسم القائم بأمر الله ، بعد وفاة القائم ، ص ٤٥ - حيث خطاب انتصار يوم الجمعة على أبى يزيد ، وفيه « ولى عهد المسلمين سيف أمير المؤمنين » بوجه الخطاب الى « سيدنا ومولانا أمير المؤمنين » . وقارن عيون الأخبار للداعى ادريس ، ص ١٩٤ - حيث أمر المنصور حاجبيه (جعفر بن على) بالترجى الى جامع القيروان =

اعلان خلافته :

وفي نفس اليوم الذي تم الظفر فيه بأبي يزيد ، وهو الخميس ٢٩ من المحرم سنة ٣٣٦هـ / ٢١ أغسطس ٩٤٧م أصدر المنصور الأوامر بالسلام عليه ، وتوجيه الخطاب اليه : باسم : « أمير المؤمنين » ، والكتابة بذلك الى الأعصار أو الأعمال ، لاداعته بين الرعية ، والدعاء به على المنابر ونقشه على المنسوجات الحكومية ، الخاصة بالملابس الرسمية ، وطبعه على النقود (١٨) .

اما عن ابنه مصد (أبو تميم المعز) فقد كان اعلان ولايته للعهد سنة ٣٤٠هـ / ٩٥٠م أى قبل فترة وجيزة من وفاة المنصور سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م التالية (ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٢٤) .

بمناسبة المنصورية :

أما عن أول أعمال أبو الطاهر اسماعيل المنصور ، بعد أعماله الحربية ضد الزناتية ، هو اتخاذ مدينة ملكية جديدة تعبر عن طبيعة عهده الذي يمثل النصر والفتح الايجابي ، فهي المنصورية ، على عكس المهديّة التي مثلت في الفكر الشيعي الدفاع والصمود . والذي يفهم من التفت الصغيرة التي

فصل الجمعة وأقام الخطبة باسم الأمير اسماعيل ، ص ١٩٦ - حيث كتب المنصور كتابا الى المهديّة وأمر جوذر الأستاذ أن يقرأه على المنبر في المهديّة ، وفيه يصف نفسه « بولي عهد المسلمين سيف أمير المؤمنين » ، وفيه « وقد بعثت كتابي هذا الى أمير المؤمنين مولانا وسيدنا ، بتاريخ ذي القعدة / يونية ٩٦٤م » ، وص ١٩٧ حيث وجه الخطاب الى كتابته ، وفيه من الأمير اسماعيل الى عهد المسلمين ، ص ٢١٢ حيث الخطاب الموجه الى قدام الخادم ، عاملة على المنصورية والقبروان - بتاريخ ١٤ جمادى الأولى سنة ٣٣٥هـ / ١٢ ديسمبر ٩٤٦م ومثل كتاب النصر النهائي على أبي يزيد وأسرّه ، المؤرخ في ٢٥ محرم سنة ٣٣٦هـ / ١٧ أغسطس ٩٤٧م ، حيث يرسل الكتاب « من الأمير اسماعيل الى عهد وابن أمير المؤمنين » ص ٢٦١ ، وانظر ص ٢٣٩ حيث خطبة الفطر سنة ٣٣٥هـ / ٢٥ ابريل ٩٤٧م ، وفيها اسم القائم ، وكذلك خطبة الأضحى في نفس السنة ص ٢٥١ .

(١٨) عيون الأخبار ، ص ٢٨٠ - حيث النصر في الخطاب المرجح الى عامل أفريقية ، على انه « لم يزل أمير المؤمنين يأخذ نفسه بطي ما آتاه الله من شرف الخلافة وقهر الامامة ... لانشغاله بالجهاد وطلب الفاسق مخلد ابن كداد ... وبعد هلاك الفاسق أحب أمير المؤمنين ابداء ما اختصه الله من كرامته من بقاء الخلافة ... وأمر انشاء الكتب الى جميع الأفاق ... (حيث) انتظم أمر الدين وقامت شرائعه ... والتقدم في اذاعته في الأولياء والبيد والرعة ليحمدوا الله على ما منعمهم ببركة أيام أمير المؤمنين ... فاقم الدعاء على المنابر ... ومر نالبات ذلك في الطرز وفي دار القرب .

يقدمها الكتاب أن المنصور اختار موضع صبرة ، وهي الضاحية الجنوبية على بعد نصف ميل من القيروان في مقابل رقادة الشمالية ، لتكون مقرا جديدا له ، وذلك عندما لاحت تباشير النصر على عدوه أبى يزيد الذى كان ينهزم أمامه فى القيروان فى أواخر سنة ٣٣٤ هـ / يونيه - يوليه ٩٤٦ م . وذلك أن الأوامر صدرت بالبناء الذى عهد به الى قدام الحادم الصقلابى عقب انتصار القيروان الفاصل على أبى يزيد فى معركة يوم الجمعة ١٤ محرم سنة ٣٣٥ هـ / ٦ أغسطس ٩٤٦ م ، فى نفس مكان معسكره فى أرض المعركة ، استبشارا بالمكان وبالحدث . وهكذا فبعد أن أقام المنصور بالله فى حنذقه بقية شهر المحرم وشهر صفر ، وأخذ يستعد للخروج فى أثر أبى يزيد « أمر بعمارته مدينته فى ذلك المكان ، فى شهر ربيع الأول سنة ٣٣٥ هـ / أكتوبر ٩٤٦ م ، وسماها المنصورية » ، « وأمر بإحكام سورها ورفع بنيانها » . وعند الرحيل أصدر الأمر بتعيين قدام الحادم واليا (عاملا) على كل من القيروان والمنصورية ، وطلب اليه ألا يتراخى فى البناء (١٩) ، ومنذ ذلك الوقت كان قدام الصقلبى يتلقى أخبار الحملة المظفرة بصفتها أمين دار الخلافة ، وأقرب العمال الى الأمير (انظر فيما سبق ، ص ٢٠١ حيث بقية هـ ١٧) .

التخطيط :

اما عن التخطيط حسبما يتقل عن البكرى ، فكانت المنصورية مربعة لها ٤ (أربعة) أبواب فى الاتجاهات الأصلية الأربعة (٢٠) بمعنى انها كانت شطرنجية الشكل يخترقها طريقان رئيسيان متقاطعان ، ينتهى طرف كل منهما عند واحد من الأبواب الأربعة . والفروض أن يكون موضع تقاطع الطريقين الرئيسين هو سرّة المدينة حيث المسجد الجامع الذى لا يبعد عنه القصر كثيرا ، والذى تحيط به الأسواق التجارية التى نقلت بأمر المنصور

(١٩) عن يوم الجمعة انظر سيرة جوذر ، ص ٤٢ - حيث رسالة المنصور ، وقادى ابن حوقل ، ص ٧٤ ، وقارن عيون الأخبار ، ص ١٩١ وما بعدها ، وص ٢٠٢ - ٢٠٣ (عن المنصورية) وابن عذارى الذى يجعل البناء فى سنة ٣٣٦ هـ / ٤٧ - ٩٤٨ م ، أى عقب النصر النهائى وأسر أبى يزيد .

(٢٠) انظر البكرى ، ص ٢٥ - حيث النص على انه كان لصبره ٥ (خمسة أبواب) : قبل (جنوبى) وجوفى (شمال) وشرقى وباب الفتوح (غربى) بالإضافة الى باب كئامة الذى لا يعرف اتجاهه . وقارن ابن حنّاه ، ص ٣٩ - حيث الباب الشرقى : زويلة ، والجوفى : كئامة ، والغربى : باب الفتوح .

من القيروان الى مدينته الجديدة (٢١) . اما عن انتقاله فكان في ٢٩ شوال سنة ٣٢٧هـ / ١ ماية ٩٤٩م ، عقب عودته من حملة المغرب ، وبقاؤه في القيروان لبعض الوقت (٢٢) .

وقد نالت المنصورية موضع عناية المعز ، بعد المنصور ، اذ زادت رقعتهن وسبانيهن وازدهرت قصورها ومرافقها ، فجلب لها الماء على الحنايا من الجبال البعيدة ، كما شق لها الأنهار ، مما يرد ذكره في مجالس النعمان ومسايراته (٢٣) . والحقيقة ان الاختلاف في تاريخ طريق الانتقال اليها ، قد يعنى بقاء مبدأ الكتمان مع استمرارية نفس نظام الحكم ، مما يتمثل في بقاء الحجابة مع جعفر بن علي .

البقايا :

ولقد دلت التنقيبات الأثرية في خرائب صبره المنصورية ، على بقايا من الحجر والرخام المنقوشين والزجاج الملون ، كما بينت بقايا القصور عن أساسات تتداخل فيها ٣ (ثلاث) قاعات متوازية . أما عن مواد الرصف فهي مربعات من اللبن المحروق أو قوالب الطوب بغير « مونة » أو بمونة من التراب والحصى ، مع وجود بعض قوالب الطوب المزججة من وجه واحد . اما عن مواد الكساء فتتراوح ما بين طبقة من الجص المنحوت بورقة الاكانتوس أو مربعات الفخار من مزججة وغير مزججة (٢٤) .

(٢١) البكري ، ص ٢٥ - حيث النص على ان طوله في القيروان كان ميلين تقريباً ، وانظر ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٢ . أما ما نقل عن ابن حوقل في وصف المنصورية ، فهي حسنة عجيبة الأبنية واسعة الأفنية ، معدومة النظر ، عيون الأخبار للداعي ادريس ص ٢٩١ .

(٢٢) ابن حوقل ، ص ٧٤ ، انظر ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٢ - حيث نص ابن حساده الذي يقول ان المنصور دخل القيروان سنة ٣٣٧هـ / ٤٧ - ٩٤٨م عقب ظفرد بابي يزيد ، فقتل بعض الناس وعذب آخرين ، بينما يتسبب تاريخ دخوله المنصورية في سنة ٣٣٧هـ / ٤٨ - ٩٤٩م الى القضاء ، وقارن ابن حوقل الذي يحدد التاريخ الذي أخذنا به بدقة ، ويصف المنصورية بأنها من ظهر القيروان أي من ضواحيها الخارجية . وقارن عدون الأخبار ، ص ٢٩ - حيث الإشارة الى ان ولي عهده المسزلق به هناك .

(٢٣) انظر ابن حساده ، ص ٣٤ - حيث أسماء قصور : الابوان ، الكافور ، التاج ، الريحان ، الفضة ، الخلافة ، الخورق ، وغيرها . وانظر للمؤلف ، العمارة والفنون في دولة الاسلام ، ط : الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢٤) انظر سليمان مصطفى زبيس ، المهدي وصبرة منصورية ، المجلة الآسيوية (J.A.L. CCXLIV) سنة ١٩٥٦ ، ص ٨٤ - ٩٢ (عن المنصورية) .

اصول الحكم عند المنصور :

المهادنة والوفاق :

مغزى بناء المنصورية :

بناء المنصورية يعتبر رمزا لنظام حكم جديد ، فإعاصمة الجديدة بالنسبة للدولة نوع من تغيير الزى القديم بزى حديث . يغير من الهيئة الى ما هو أفضل . ولما كان المقام في المنصورية بدلا من المهديية يعنى العودة الى القيروان ، فإن هذه تعنى بالتالى الوفاق بين نظام الحكم الفاطمى وبين أهل العاصمة الافريقية العريقة . وبناء على ذلك فان ما يقال من أن المنصور أساء الى أهل القيروان بعد ظفره بأبى يزيد ، وأن محتهم معه بقيت حتى وفاته (٢٥) ربما كان المقصود بها ملاحقة بعض من كان لهم نشاط خاص مع أبى يزيد . فالمفروض أن القاعدة الذهبية فى العمل عند المنصور ، وهى أمر نصيحة كان يقدمها لولى عهده المعز ، تتلخص فى : « اعمل ما يسرك أن تقتدى به » (٢٦) . ويظهر برنامج السياسة فى أول خطبة له فى عيد الفطر ، بعد اعلان ولايته للعهد ، وإيماز القائم اليه بوصيته مما يعتبر عند الداعى ادريس : استقلالا بالأمر . وظهورا من السر الى الجهر (٢٧) . فكان أول ما بدأ به المنصور ، بعد البسملة والحمد له والتشهد ، هو « طلب المغفرة من الناس » ، وحثهم على الحفاظ على الدين - ضمير المسام الحق . وفى ذلك قال الشاعر محمد بن أحمد الطرزى :

يحق لنا أن ن نصف الفخر والمجدنا ونكثر فيك الشكر لله والحمد (٢٨)

الكرم والتواضع :

والمنصور يتخذ الكرم وبذل المال مبدءا أخلاقيا فى الحكم . فهو يطفى كتمان وفاة أبيه القوائم بكثرة الصلوات (٢٩) ، كما أخرج بهذه المناسبة الصدقات فى المساكين والفقراء والمحتاجين (عيون الأخبار ، ص ١٥٨) . وهو بمناسبة انتصار يوم الجمعة بالقيروان (١٣ المحرم سنة ٣٣٥ هـ / ١٤

(٢٥) ابن عسارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٣ .

(٢٦) المجالس والمسائرات ، ص ٩٦ - « اعمل من الاعمال ما يسرك أن يقتدى بك فيه » .

(٢٧) عيون الأخبار ، ص ١٥٩ .

(٢٨) عيون الأخبار ، ص ١٥٧ .

(٢٩) المجالس والمسائرات ، ص ٩٦ .

أغسطس ١٩٤٦م) ، يعلن عن طريق حاجبه جعفر بن علي من أعلى منبر الفيوان الاعفاء العام من ضرائب سنة ٣٣٥هـ / ٤٦ - ٩٤٧م ، من العشر « ضريبة الأرض » ، والصدقة (الزكاة) وجميع اللوازم من المسلمين والذميين . رفقا بهم ، وعونهم على عمارة أرضهم وبوادئهم . كما تقرر الا تؤخذ منهم الضرائب في السنوات التالية الا حسبما تقضي القوانين الشرعية : عينا من نوع الانتاج ، سواء كان نباتيا أو حيوانيا(٣٠) . والمنصور لا يكتفى بالعفو عن أحمد أخى أبي يزيد عندما طلب الأمان ، بل يهديه الخلع ، ويعطيه ألف درهم (عيون الأخبار ، ص ٢٨٩) . وهو يبدأ عهده بعد ذلك بالعفو عن المحبوسين فيطلق سراحهم من السجن (عيون الأخبار ، ص ١٦١) . ويظهر تعاطفه مع الضعفاء من الناس وتواضعه وعدم تعاليه في رده على والده عندما أوصاه بخادمه (المملوك) جوذر ، إذ قال له : « هل جوذر الا واحد منا »(٣١) ، فكانها دعوة « الأخاء والمساواة في ذلك العصر الوسيط . ومنذ ذلك الوقت ارتفع شأن جوذر ، إذ ولاء المنصور المهدي العاصم وقتئذ ، وجعل له الحل والربط في جميع الأمور (عيون الأخبار ، ص ١٦١) ، فكان جوذر بذلك أصبح « الحاكم » العام على البلاد كلها نيابة عن الامام «(٣٢) .

اقامة العدل :

والى جانب الكرم تتمثل سياسة الوفاق في اقامة العدل ، الذى به يحيا العام ، كما تقضى به أصول السياسة المدنية(٣٣) . وتمثلت العدالة

(٣٠) انظر عيون الأخبار للدعوى ادريس ، ص ١٩٥ .

(٣١) سيرة الأستاذ جوذر ، ص ٤٤ ، عيون الأخبار ، ص ١٥٨ .

(٣٢) انظر سيرة جوذر ، المقدمة ص ٦ - حيث كانت كتب المنصور ترد الى المهدي باسم القوائم وهي فى الحقيقة لجوذر . وبعد النصر على ابي يزيد كافأ المنصور جوذرا فعتقه وشرقه بلقب « مولى أمير المؤمنين » ، وهو اللقب الذى لم يشاركه فيه سوى جوه الصقل بعد فتح مصر على عهد المنصور ، وأن احتفظ بالصدارة ، فكان ثالث رجل فى الدولة بعد الامام وولى العهد ، فكانه فى مرتبة الوزير التى لم تكن معروفة وقتئذ ، الى غير ذلك من مراتب التشريف التى حباها بها المنصور ، من : اثبات اسمه على الطرز ، والركوب فى هوكب رسمى ، والجلوس الى مائدة الامام ، وفى ذلك انظر النص ص ٣٩ (جوذر صاحب بيت المال ومستودع المنصور) ، ص ٤٤ (استخلاف جوذر على سائر البلاد) ص ٥١ (عتق جوذر وتلقيه) ص ٥٢ (اسم جوذر على الطرز والبيسط) ، ص ٦١ (رسالة المنصور الى جوذر فى أهل العصر) .

(٣٣) انظر كتاب اليهود وسر الأسرار ، نشر وتحقيق عبد الرحمن بدوى ، ط٠ دار

الكتاب ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٢٦ ، وقارن ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق على عبد الواحد ،

ص ١ ص ٤١٦ ، وانظر فيما بعد ، ص ٣٦٩ وه ١١٤ .

أيام المنصور في شخصية النعمان بن محمد بن حيون الذي عين قاضياً بالعاصمة الجديدة المنصورية ، بعد الفراغ من بنائها ، مع القيروان وأهل أعمال أفريقية ، و « جميع ما استولت عليه المملكه العلوية ، ودعوة الشريفة الفاطمية » (٣٤) فكانه المسئول عن القضاء في كل بلاد ، مثل تاضي القضاء في المشرق العباسي ، وبهذه المناسبة كان نهى المنصور للقاضي النعمان عن تقبيل الأرض بين يديه ، وهو ما يعتبره الفاطمي المخلص في خدمة الأئمة ، أمراً غير ملزم لأنه اختبار بمثابة النهي عن المعروف (٣٥) ، أما عن ساحة القضاء فكانت سقيفة القصر الخلفي التي لم تتسع وقتئذ لوقوف جميع المتقاضين وخاصة النساء منهم ، والضعفاء الذين لا يتحملون مزاحمة الرجال لهم ، الأمر الذي دعا القاضي النعمان الى عرض المسألة على ولي العهد المعز الذي تدخل لدى والده الامام حتى صدر توقيع المنصور بالمسال اللزوم لبناء موضع فسيح يصل فيه الناس الى القاضي دون معاناة (٣٦) ، ويصل اهتمام المنصور بالقضاء الى حد تانيب النعمان الذي كان يربيع اليه في الصغيرة والكبيرة ، وانهاهه بالتقصير نتيجة لهذا الضعف الذي بدر منه ، فكانه أراد له ان يتشدد في أحكامه حفاظاً على عيبته كقاضي ، وأن يكون المرجع الأخير في تلك الأحكام حتى يتحقق للقضاء ما يرجى له من نزاهة واستقلال (٣٧) .

اعادة الثقة مع الكتاميين :

وتظهر سياسة الوفاق هذه في أجلى معانيها ، في العمل على اعادة الثقة بين الدولة وبين أتباعها الأوائل من الكتاميين الذين انشروحت وحدتهم بثورة أبي يزيد الذي نجح في استمالة بعضهم اليه مثل بنى كملان ، فالمنصور يرد الاعتبار الى قبائل كتامة الذين أظهروا بدورهم استعداداً طيباً للعودة الى أنس الطاعة والبقاء في الخدمة ، الأمر الذي يعنى تقوية « الجبهة الداخلية » كما يقال الآن ، من غير شك ، فالمنصور بالغ في تحريص

(٣٤) عيون الأخبار ، ص ٣١٥ .

(٣٥) انظر المجالس والمسائرات ، ص ٥٧ - ٥٩ ، وانظر فيما سبق ، ص ٢٠٠ و ١٥٥ .

(٣٦) المجالس والمسائرات ، ص ٦٥ ، ٧٠ .

(٣٧) المجالس والمسائرات ، ص ٧٥ - وهذا لا بأس من الإشارة الى ما يذكره القاضي النعمان (ص ٣٤٨) من تجامل المفرضين عليه لما ولاه المنصور قضاء أفريقية ، وليف أنهم روجوا الشائعات في شأنه ، فكان يقول ان ذلك كان السبب في تانيب المنصور له ، الامر الذي دعاه الى الشكوى الى المعز ولي العهد الذي هدأ من روعه وبين له انه أهل للثقة فيه .

استكثامين على الاخلاص للدولة ، وبسالغ في مديحهم الى حد القول :
« لو اعداؤنا في الجنة لاختر انكتاميون النار » (٣٨) .

وتنظير تلك المحاباة لكتامة ، ودعوتها الى التمسك بالطاعة في الكتب التي كان يرسلها اليهم المنصور بعد القائم ، أثناء الثورة الزناتية ، وكذلك في الخطب التي كانت تلقى من أعلى المنابر يوم الجمعة أو في المناسبات المختلفة . ففي خطبة القائم التي القاها القاضي أيام حصار المهديّة ، تذكر لكتامة بما مضى عليه أبائهم من لزوم الطاعة والمجاهدة لله ، وانهم « خبيثة الله لهذا الحق المحمدي الفاطمي المهدي » وانهم « كحواري عيسى وأنصار محمد » ، فهم « أبناء المهاجرين والأنصار والأوليين السابقين المقربين » (٣٩) . وفي خطبة المنصور التي يعلن فيها موت أبيه القائم يصف كتامة بأنهم أهل الدعوة وأنصار الدولة ، الذين فضلهم الله على كافة الخلق في غرب ومشرق ، « اذ بصركم والناس عميان واذ هداكم والناس ضلال الى دينه ونصرة حقه وطاعة ليه » . وهو يعلن في الختام : « اللهم اني أصبحت راضيا عن كتامة لاعتصامهم بحملك وصبرهم على البأساء والضراء في جنبك ، تعبدنا لنا واعترافا بفضلنا ، وأداء لما افترض الله على العباد لنا ، وتوسلا اليك بطاعتنا ثم يأتي الدعاء لهم بمضاعفة حسناتهم ومحو سيئاتهم ، وحشرهم في زمرة النبي الذي دانوا به والولي الذي والوه (٤٠) » .

اما عن كتاب القائم الى الكتاميين بعد سقوط القروان ، فهو موجه الى جماعة لهيضة يخبرهم بما سبق أن وجه اليهم من الكتب ، وبأمرهم بالاسراع في الخروج لجهاد الفاسقين الكفرة ، الذين ظفروا بالأربس والقروان بنفاق أهل أفريقية ، وغدرهم بخليل في القروان ، وياخذ عليهم تناقلهم عن القدوم ويحذرهم من ذلك ويرغبهم في ابتغاء رضاء الله وحمد أمير المؤمنين (٤١) . وكتاب المنصور الى كتامة بتاريخ ٢٩ ذي القعدة سنة ٣٣٤هـ / ٣ يولية ٩٤٦م بعد انتصار « يوم الجمعة » بالقروان ، يشير فيه الى تتابع كتبه اليهم لما فيه رضاء سيدهم (القائم) الذي رضاه من رضاه رب العالمين وتناقلهم . وهو يزرجرهم ويشبههم بأشباه الرجال ويهددهم بعدم الكتابة

(٣٨) المجالس والمسائرات ، ص ٢٠٣ .

(٣٩) انظر سيرة جوذر ، ص ٥٤ ، عيون الأخبار ، ص ١٢٠ - حيث النص خطأ على ان

الانبي هو المرزوقى (محمد بن عمر) .

(٤٠) سيرة جوذر ، ص ٥٩ .

(٤١) عيون الأخبار ، ص ١١٢ - ١١٣ .

اليهم بعد هذا ، ويرجو لهم التوبة (عيون الأخبار ، ص ١٩٧ - ٢٠٠) .
 ربما ورد في خطبه الفطر ، أول شوال سنة ٣٣٦ هـ / ١٠ أبريل ٩٤٨ م ،
 في نصلي لغيره خارج المدينة ، حيث اجتمعت اعائلة الاماميه ، من : الحسين
 وولي العهد المعز وخلفه أفراد العائلة المهديّة على طبقاتهم من : الأعمام ثم
 الأخوة وأبناء الأخوة . وبعد النواح على الوالد (القائم) والجد (المهدي)
 وجه المنصور الخطاب الى : أهل الدعوة من الأنصار من كتامة ، وذكر
 ما اختصهم الله به من الفضل على كافة الخلق في غرب وشرق ، فبصرهم
 والناس عميان ، وعلمهم والخلق جهال ، لكي يختم الخطاب مقررا انه أصبح
 راضيا عن كتامة لاعتصامهم بسبيل الله . وصددهم على البساء والضراء ،
 والدعوة لهم أخيرا برضاء الله عنهم ، ومضاعفة حسناتهم ، وتخليد العز في
 أعقابهم (عيون الأخبار ، ص ٣٠٣ - ٣١٠) - الأمر الذي سيزداد توثقا
 ووضوحا على عهد المعز .

إعادة الحجر الأسود :

ومن أهم ما يدخل في سياسة التهذيب والوفاق ، عمل المنصور على
 إعادة الحجر الأسود الى موضعه في الركن من الكعبة ، الأمر الذي يعتبر نوعا
 من التوفيق العام بين المغرب الفاطمي والمشرق العباسي ، أي بين الشيعة
 والسنة ، فهو أشبه بما يسمى أيامنا هذه الوفاق بين الشرق والغرب بنظمهما
 الرأسمالية والاشتراكية . ففي سنة ٣٣٩ هـ / ٥٠ - ٩٥١ م قام المنصور
 باتصالات مفيدة مع الترامطة بالمشرق ، انتهت برد الحجر الأسود الذي كان
 قد خلعوه سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، أيام الخليفة المطيع العباسي ، أي بعد غيبة
 ٢٢ (اثنين وعشرين) سنة (٤٢) .

الصراع في المغرب : (أنظر شكل ٤ ص ٢٠٩) :

ولكن سياسة المدارة والوفاق بالنسبة للمشرق العباسي حيث الخلفاء
 الضعاف وقتئذ ، لم يكن من الممكن ممارستها في المغرب البعيد إذ كان
 الصراع على أشده مع الأمويين خلفاء قرطبة ، وكان الوقت هو عصر أعظمهم
 عبد الرحمن الناصر الذي امتد حكمه من سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م الى ٣٥٠ هـ /

(٤٢) أنظر ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٣ - حيث ترد روايتان احدهما
 تقول بتحرك المنصور بنفسه الى بلاد المشرق لهذا الغرض - وهو ما لا يعرفه المؤرخون -
 والأخرى تقول ان اخوة القرمطي هم الذين ردوه بقدم موت أخيهم ١

٩٦٦م . وهكذا قدر لناصر أن يستمر بين القيروان وقرطبة على عهد المنصور والناصر في المغرب الأقصى في كل جهات تادلا وتامسنا حيث البرغواطيين ، وفي فاس حيث المكناسيين من آل ابن أبي العافية ، وفي تاهرت وتكور وارشقول حيث الأدارسة (من بني محمد) وبني صالح (العبد الصالح) ، وأخيرا في سجلماسة البعيدة حيث كانت أسرة الملوك من بني واسول قد غرست جذورها بعيدا في أرض الاقليم .



المغرب الأقصى

(شكل ٤)

برغواطة والزندقة :

ففي منطقة تادلا وتامسنا ، غرب بلاد مصب بورجرج (أبو الرقراق) كانت أسرة البرغواطيين من بربر مصمودة التي نشأت نشأة خارجية أيام ثورة ميسرة سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م ثم اتهمت بالزندقة عندما حاولت ترجمة القرآن الى البربرية ، كما نظن (أنظر ج ٢ ص ٤٣٠ وما بعدها) . وكان ملكها حينئذ: أبو الأنصار بن عبد الله بن أبي عفير الذي حكم منذ مطلع القرن الرابع الهجري / ١٠م ، واقعيا في سياسته عندما والى عبد الرحمن الناصر ودخل في طاعته ، ونصح ولده : « أبو منصور » عيسى الذي ولى سنة ٣٤١هـ /

٦٥٢م ، وهي نفس السنة التي انتهى فيها عهد المنصور وبدأ عهد المعز ، بأن يسير على نفس سياسة الموالاتة لأمير الأندلس (٤٣) ، والحقيقة أنه بسبب الموقع الجغرافي المتطرف فإن أمير الأندلس كان يكتفى من البرغواطيين بالإعلان بالولاء والطاعة ، الأمر الذي ظهر بجلاء على عهد الحكم المستنصر (بن الناصر) عندما أرسل أشهر الملوك البرغواطيين ، وهو أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن عفير ، رسوله المشهور « أبو صالح زمور البراغواطي » في شوال سنة ٣٥٢هـ / أكتوبر - نوفمبر ٩٦٣م الى قرطبة ، فعرف بأصل الأسرة وأحوال ملوكها عن طريق المترجم عنه باللسان العربي : عيسى بن داود المسطاسي (٤٤) .

وبسبب المنتأى لم تكن بالفساطيين حاجة الى بسط سلطانهم ، بل ولا نشر نفوذهم حتى بلاد البراغواطيين في تادلا وتامسنا حيث كانت زندقتهم من شئون دول المغرب الأقصى وحدها ، ابتداء من الإدارة وحتى الموحدون الذين بنوا من أجل جهادهم ، مدينة الرباط - وباطة الفتح - الحالية .

غمارة وادعاء النبوة :

ومثل هذا يقال عن حركة حاميم الغربية في بلد غمارة ، قرب تكور وأحواز طنجة وتطوان . وصاحب الحركة هو أبو محمد حاميم (حم) بن من الله من بني وجفوال ، والمشهور بالمفتري لادعائه النبوة ، كما تقول الرواية . وأظهر حاميم دعوته في موطنه بجبل قريب من تطوان (تيطاوان) وظهرت دعوته كحركة انفصالية بعيدة الانحراف عن الاسلام ، بفضل صيغتها المحلية . فهي مبنية على عادات أهل المنطقة وتقاليدهم في أعمال السحر والشعوذة والتنبؤ بالغيب من أجل التحكم في حظوظ الناس ، مما كانت تقوم به العجائز من النساء ، مثل عممة حاميم الذي وقع تحت تأثيرها ، كما يظن . ومن تفصيلات الحركة التي يصفها الكتاب بالزندقة والتنبؤ .

(٤٣) البكري . . . ص ١٢٧ - حيث صفة أبي الأنصار : أفضس شبه أسود الوجه ، ناصح ، بياض الجسم ، طويل اللحية ، يلبس السراويل والملحفة ولا يلبس الأميص ولا يعتم الا في الحروب ، ولا يعتم في بلد الا الغرباء . أما عن أخلاقه فكان ظريفا يفي بالعهد ويحفظ الجار ويكتفى بترهيب من حوله من القبائل بالفرز ، فتباهيه وتستألفه . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢١ .

(٤٤) أنظر البكري ، ص ١٣٤ وما بعدها ، وقارئة الاستيصار ، ص ١٩٧ وما بعدها ، وقارن ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٨ .

يظهر انها تميل أصلا على الأخص الى الرخص والتساهل في تطبيق التعاليم ،
مما يتعلق بترجمة القرآن الى اللغة البربرية والصلاة والصوم والحج ، وفي
بعض أمور الطعام وآداب المائدة ، من حل وتحريم - وهي الامور التي ربما
تحورت عند الكتاب مع مرور الوقت (٤٥) .

والهمم أنه اذا كان حاييم قد قتل سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م بمنطقة مصمودة
الساحل بأحواز طنجة ، فان ابنه عيسى الذي خلفه في زعامة المنطقة كان له
شأن ، كما يقول البكري ، دخل الأندلس على عهد عبد الرحمن الناصر ،
بمعنى موالاة الحركة الغمارية للأمويين في قرطبة (٤٦) .

غمارة والسحر في جبالها :

ويضيف البكري الى حركة حاييم ، حركة أخرى في جبل معكسة من
بلد غمارة لرجل من السحرة يعرف بأبي كسية ، نسبة الى كساه الذي
يلتحف به ، ويخرج البرق من تحته عندما يلوح به . وينص الشكري (ص ١٠١)
على انه كان لبني الرجل وعقبه في القرن الخامس الهجري / ١١ م ، على أيامه)
منزلة رمزية على من سواهم . أما عن فاس وبقية مناطق المغرب من تاهرت
الى ملوية وما يدخل في نطاقها فقد ظلت موضع صراع ما بين قرطبة
والمهدية على عهد المنصور بينما كانت سجلماسة البعيدة خارج النفوذ
الأموي وكان لها وضعها الخاص . واذا كانت كفة الصراع قد مالت بعد ذلك
الى ناحية المعز الفاطمي اعتبارا من سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م ، عندما قام جوهر
الضفلي بجولته المغربية الكبرى حتى سواحل المحيط ، فان اشتغال المعز
بأمور مصر والمشرق ، وما صاحبه من وصول الحكم المستنصر (ابن الناصر)
الى خلافة قرطبة ، خففت من حمية الصراع ، وألقت بتبعته في القيروان على
الزيريين ، خلفاء الفاطميين بالمغرب .

(٤٥) انظر البكري ، ص ١٠٠ - ١٠١ - حيث النص على تنبؤ حاييم الذي وسع
قرآنا بلسانهم وكيف جعل الصلاة صلاتين فقط ، وصوم يوم الخميس ونصف الأرباع على أن
تكون غرامة المخالف ٥ (خمسة) أنوار ، وتحديد العيد باليوم التالي من الفطر ، وتحديد
الزكاة بالعشر من كل شيء الى جانب إسقاط الحج والظهور والوضوء ، وتحريم الذكر من
المغزير فقط وتركية الحوت (السمك) أي ذبحه ، وتحريم بعض الطيور عامة . قارن
الاستبصار ، ص ١٩١ ، ابن عذاري ، ظ : بيروت ، ص ٢ ص ١٧٤ .
(٤٦) البكري ، ص ١٠١ .

فاس ما بين مكناسة والأدارسة :

وفيما يتعلق بفاس (القرويين) التي كانت تمسكت بولاية حسن ابن قاسم اللواتي مع قبول البيعة للقائم بعد الصلح مع ميسور الصقلي ، فانها ظلت بوضعها هذا بعد عودة موسى بن أبي العافية اليها سنة ٣٢٥هـ / ٣٦ - ٩٣٧م ، اذ عهد بولاية عدوة الأندلس الى يوسف بن محارب الأزدي الذي مدنها ، بعد أن كانت حصونا - أشبه بجبهة قتال (أنظر فيما سبق ص ١٦٩) . ولا بأس أن يكون موسى بن أبي العافية قد قبل طاعة شكلية لا ظائل وراءها من قبل حسن اللواتي . وبذلك يكون الأدارسة قد تملكوا ما كان بيد موسى ، وقاموا بدعوة أبي القاسم الفاطمي ، كما تقول الرواية (٤٧) باستثناء عدينتهم التاريخية فاس . الأمر الذي لا يتنافى مع تنازل حسن اللواتي عن ولاية فاس الى واليها السابق أحمد بن بكر ، عندما قدم متنكرا من المهدي بعد اطلاق سراحه سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م (٤٨) مع نهاية عهد المنصور وبداية عهد المعز ، وهي نفس السنة التي توفي فيها موسى ابن أبي العافية - حسب بعض روايات ابن خلدون (٤٩) .

والحقيقة ان الصراع ظل مستمرا بين الأدارسة وبين أبناء موسى بن أبي العافية الذين لم تنقرض دولتهم الا سنة ٣٦٣هـ / ٧٣ - ٩٧٤م ، على عهد محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى الذي توفي سنة ٣٦٣هـ / ٧٣ - ٩٧٤م (٥٠) ، وان مالت الكفة الى صالح الأدارسة الذين لن يكتفوا بالدخول في طاعة الأمويين بقربطية ، بل بلغ بهم الأمر الى حد منازعة الأندلسيين خلافتهم في قربطية نفسها ، مع انهيار المروانيين في مطلع القرن الخامس الهجري / ١١م .

(٤٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٦ .

(٤٨) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٦ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ - حيث الاشارة الى الصراع بين الخير بن محمد بن خزر ومدين بن موسى بن أبي العافية ، وتدخل الناصر لاصلاح ذات البين بينهما بواسطة قاضية « مقدر بن سعد » ، وان كان لطاق البوري بن موسى ابن أبي العافية بأخيه مدين بعد فراره من المسكر الفاطمي سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م (بقيادة أحمد بن بكر) واقتسام البلاد معه ومع أخيه الآخر منقذ كان مما زاد في تعقيد الأمور حتى اعتبرهم ابن خلدون « ثلاثة الاثافي » .

(٤٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٦ - وان قدم رواية أخرى تذكر ان موسى توفي قبل ذلك سنة ٣٢٨هـ / ٣٩ - ٩٤٠م - وهي الرواية الراجعة .

(٥٠) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٧ .

بنو محمد الأدارسة : القاسم بن محمد « كنون » :

بعد فرار موسى الى الصحراء سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٦م أمام ميسور الفتى ، آلت الرياسة في بني محمد الأدارسة الى القاسم بن محمد المعروف بـ « كنون » (جنون) والذي ذاع صيته الى حد القول بأنه « ملك كل بلاد المغرب الا فاس » ، وكان مقره في حجر النسر (٥١) ، من بلاد أرشكول . والحقيقة ان الأدارسة هددوا النفوذ الأموي في المغرب ، وخاصة عندما اعترفوا بسيادة أبناء عمومتهم الفاطميين ، فهذا ما أزعج له الناصر حتى انه جهز وزيره قاسم بن محمد بن طلسم ، وجعله يعبر المضيق سنة ٣٢٣هـ / ٩٤٤م الى المغرب لحرب الأدارسة من بني محمد ، كما دعا الزعيم المغراوي : محمد بن خزر الى تقديم العون لعساكره في مهمتهم هذه (٥٣) . وأنت الحملة بما كان يرجوه الناصر دون قتال ، وذلك أن الأدارسة من بني محمد سارعوا بالدخول في الطاعة ، وأرسلوا وفودهم يعلنون ذلك اليه بقرطبة (٥٣) .

أبو العيش بن كنون :

أما عن كنون فقد تمسك بالندوة الفاطمية ، وظل يناجز خصومه من أنصار الأمويين الى أن هلك بقلعته « حجر النسر » سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م . وقام بعده ابنه أحمد بن القاسم كنون الذي اشتهر بأبي العيش ، وهو من مشاهير النابيين منهم ، اذ عرف الى جانب شجاعته بفقاهه وعلمه ، وخاصة في الأيام والأخبار ، الأمر الذي أدى الى اشتهاره بلقب « الفاضل » . وكان أبو العيش أحمد الفاضل له ميل للمروانية ، كما يقول ابن خلدون ، وهو مما تقضى به سلامة الحس من حيث خسارة الصفقة التي يشتري فيها صداقة البعيد بعدواة القريب ، كما نرى . وهكذا دعا الفاضل للخليفة

(٥١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٧ - حيث النص على مشاركة أخيه ابراهيم له في الرياسة قبل نبرغه ، وقارن أيضا ، ج ٦ ص ٢١٧ .
(٥٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٧ .
(٥٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٧ - حيث النص على ان أول من سارع الى ذلك منهم ، هو : أبو العيش ادريس بن عمر الذي بعث بابنه محمد الى قرطبة فاحتفل لقدمه وأكد له العقد ، وكذلك فعل مع سائر بني محمد الذين بعثوا بوفودهم الى قرطبة . وقارن البكري ، ص ١٣٠ حيث وفد على الناصر : حسن بن القاسم (جنون) وأخوه عيسى يوم الاثنين ١٢ من شوال سنة ٣٣٣هـ / ٢٩ ماية ٩٤٥م ، وبقيا في ضيافة الناصر أكثر من ٣ أشهر ، ان سفر سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م .

الناصر ، وخطب له على منابر عمله ونقض طاعة الشيعة ، مما أدى الى مبايعة أهل المغرب كافة الا سجلماسة ، بمن فيهم أهل فاس التي استعمل عليها محمد بن الحسن(٥٤) . ومع ذلك فقد كان أحمد الفاضل يعلن الطاعة للناصر ولكنه كان في نفس الوقت غيورا على استقلال بلاده حتى انه رفض أن يمكن الناصر من طنجة وسبتة ، الأمر الذي تطلب من الناصر ترهيبه بالأسطول والزاهم بالبقاء مع أقاربه من الأدارسة تحت الطاعة بمدينةنتى البصرة وأصيلة(٥٥) .

الصراع فيما بين أتباع الناصر :

هذا ، كما كان الصراع يدور أحيانا بين أتباع الناصر « الأعداء فيما بينهم » ، كما حدث في سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م عندما أدى الصراع بين البورى ابن موسى بن أبي العافية وبين الحسن بن عيسى الذي لجأ الى أرشكول وهزيمة هذا الأخير وارساله الى الناصر بقرطبة(٥٦) . ومثلما نجح الأدارسة

(٥٤) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١٧ ، وقارن ج ٧ ص ٨٨ - حيث أذعان أهل المغرب للناصر والخطبة له على المنابر من تاهرت الى طنجة ، ما عدا سجلماسة ، وقارن البكرى (ص ١٢٩ - ١٣٠) الذي يرى ان « الفاضل » عالم الأدارسة هو : أحمد بن ابراهيم بن محمد الذي كان بلده من أجاين بقيل حجر النسر الى مدينة سبتة ، أما فاضلنا - فاضل ابن خلدون - وهو أبو العيش (أحمد) بن جنون (القاسم بن محمد) الذي كان بلده من أجاين الى فاس ، فهو أحمد الأكبر الذي اشتهر بالعلم ، وكان له علم وقدر بالمغرب ، وهو الذي استجلب الشاعر بكر بن حماد ، ولكنه يعرف بـ « الكرتى » فكان الكرتى هو أحمد الأكبر ، والأفضل هو أحمد الأصغر ، وان كانا متعاصرين . فالفاضل أحمد الأصغر - عند البكرى - هو الشديدي الميسل الى خلفاء بني أمية - لامتداد أملاكه الى سبتة الداخلة في نفوذهم - وهو الذي فكر في دخول الأندلس مجاهدا عندما استشار قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن عبد الله بن عيسى سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م ، فأمر الناصر بتشجيعه على ذلك بالوعد بتشريفه ببناء القصور له والمنازل على طول طريقه الى محلة بلاط حميد بأقصى الشرف ، وبنفقة يومية تصل الى ألف مثقال . أما الكرتى أحمد الأكبر فقد وفد على الناصر من اخوته بني جنون : حسن وعيسى ، مما سبقت الإشارة اليه - ه ٥٣ ص ٢١٣ .

(٥٥) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٨ ، وقارن ج ٦ ص ٢١٨ - حيث أخذ طنجة من يمد أبي العيش الذي بقي في أصيلا على بيعة الناصر ، وأنظر القرطاسى ، ص ٨٨ .

(٥٦) البكرى ، ص ٧٨ ، وقارن مع ما ورد في البكرى فيما بعد ، ص ١٤٢ - ١٤٣ - حيث الإشارة الى أسر الحسن حفيد أبي العيش (عيسى ابن ادريس محمد بن سليمان) مؤسس جراوة حيث وقع بين يدي البورى بن موسى بن أبي العافية ، سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م ، في حصن سمالوا ، قبل جراوة . وكان الحسن قد انتقل الى ذلك الحصن بأهله وماله وولده .

من بنى محمد فى الأخذ بشأريهم من البورى سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م بأن
ضموه فى موضع يعرف بـ « الشيخ » فى بلد مغيلة ، وغنموا ما كان فى
معسكره (٥٢) . وكذلك كان الأمر فى سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م عندما أجمع
الأدارة من بنى محمد بن القاسم على هدم مدينة تطوان (تيطاوان) ثم
عودتهم بعد ذلك الى بنائها من جديد ، وهو ما أثار اعتراض أهل سبتة
لما كان ينزل بهم من الضرر الذى يصيب مرافق مدينتهم . وهنا استجاب
الناصر لشكوى أهل سبتة ، فسير قائده : أحمد بن يعلى سنة ٣٤١هـ /
٩٥٢م بالجيش الى سبتة بغرض هدم مدينة تطوان ، وطلبه الى والى مدينة
تيجساس وقتئذ ، حميد بن يصل ، قائد الفاطميين الأسبق ، بالتقدم الى
سبتة لمؤازرة أحمد بن يعلى . وفعلا التقى القائدان فى سبتة فى السنة
التالية ٣٣٩هـ / ٩٥٠م ، ولكن حميد بن يصل لجأ الى السياسة ففاوض
بنى محمد الأدارة ، وانتهت المفاوضات الى رضوخهم الى مطلب الناصر ،
من التخلي عن مدينة تطوان ، وبعث أبنائهم الى بلاط قرطبة ، تعبيرا عن
الطاعة والولاء (٥٨) .

غلبة الناصر على المغرب ما عدا سجلماسة :

وهكذا غلب الناصر على بسائط المغرب وأذعن له أهله ، « وخطب
له على المنابر من تاهرت الى طنجة ، ما عدا سجلماسة (ابن خلدون ، ج ٧
ص ٨٨) ، الأمر الذى أدى الى ضعف بنى محمد حتى رأى أميرهم أبو العيش
أحمد الفاضل أن ينهى أعماله بالجهاد فى ثغور الأندلس حيث استشهد
سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م ، بعد أن استخلف أخاه الحسن بن كنون فى عمله ،
وظل الحسن مواليا للناصر حتى وفاته سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م (٥٩) .
أما عن أحوال تاهرت وسواحلها فى نكور وأرشقول فلم تختلف كثيرا عنها

وهى المناسبة التى خلدها الشاعر بكر بن حماد ، فى قصيدة منها :

سائل زواغة عن فمال سيوفه ورماحه فى العارض التهلل
عمت مغيلة بالسيوف مذلة وسقى جرادة من نقيع المنطل

(٥٧) البكرى ، ص ١١٧ .

(٥٨) البكرى ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، وقارن ابن خلدون ج ٧ ص ٨٨ - حيث الإشارة الى

أن حميد بن يصل أوقع ببيرر غمارة ، أنصار عيسى بن أحمد الفاضل .

(٥٩) ابن خلدون ج ٦ ص ٢١٧ - ٢١٨ - حيث النص على حسن استقبال الأفضل فى

الأندلس وبناء التصور له حقيقة وليس وعدا ، كما تريد الرواية المنقبة ، على طول ٣٠ مرحلة

الى الثغر كما أجرى عليه ألف دينار فى كل يوم . وقارن فيما سبق ، ص ٢١٤ وهـ ٥٤ .

في فاس ومناطق امتداداتها في تطوان وسبينة وطنجة ، من حيث كونها منطقة صراع بين الأمويين الأندلسيين والفاطميين المغاربة مع قريبا من الأندلس التي كان لها التفوق ، الأمر الذي ساعد عليه اضطراب البلاد الأفريقية بالثورة الزناتية ، ومحاولة أبي يزيد التحالف مع عبد الرحمن الناصر الذي لم يتردد في اهتبال الفرصة وإرسال الامدادات البرية والأساطيل البحرية لنجدته . ولكنه في ذلك الوقت المتأزم من سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م كان والي تاهرت الفاطمي عبد الله بن بكار يستطيع أن يقطع الطريق على المعونة الواردة من الأندلس الى الثائر النكاري ، وأن يجهض عملية الانقاذ الناصرية لثورته (انظر فيما سبق ، ص ١٨٦) .

اجتياح تاهرت باسم الناصر :

ولقد تمثل انتقام الناصر ، كما نرى ، في زحف تابعه محمد بن خزر ، في نفس سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م مع قومه المغراويين وعلى رأسهم ابنه الحير (بن محمد) ، وعمه عبد الله الى جانب يعلى بن محمد وقومه ، ونجاحهم في اجتياح تاهرت باسم الناصر الأموي ، وقتل عاملها عبد الله بن بكار . وأسر قائدها مسرور الخادم . وبذلك تقاسم المغرب محمد بن خزر وابنسه الحير بن محمد مع يعلى بن محمد (١٠) . والمهم ان خضوع الأتباع من الكناسية (أبناء ابن أبي العافية) أو المغراوية الزناتية (أبناء محمد بن خزر) للناصر ، وما قام بينهم من تحالف لم يكن يمنع من الصراع فيما بينهم ، كما حدث بين : مدين بن موسى بن أبي العافية والحير بن محمد ابن خزر ، الأمر الذي اقتضى تدخل الناصر (انظر فيما سبق ص ٢١٤) فالمسألة لم تكن تتعلق بمصالح مستقرة من هذا الطرف أو ذاك ، بل كانت بمثابة انتهازية وردود فعل آنية عند كل الأطراف - وتلك خطيئة عصور التمزق والانفصال .

هكذا ولى تاهرت أيام المنصور الفاطمي صلاح بن حبوس ، ولكنه لم يلبث الا قليلا حتى استجاب الى اغراء الدعاية الأموية فيما وراء البحر ، فترك ولايته وانضم الى الحير بن محمد بن خزر ، رجل قرطبة في زناتة المغرب . وعندئذ عهد المنصور الى قائده مسرور الخادم بتاهرت ، فسار مع أحد أعوانه القواد وهو : أحمد بن الرحالي ، اللذين اعتقلا لفترة من

(١٠) ابن خلدون ج ٧ ص ٢٦ - حيث النص على ميسور الذي عدلناه الى مسرور ، كما سبق في ص ١٩٢ وص ٧٩ قبلها .

الوقت قبل اطلاق سراحهما . ومع أن رواية ابن خلدون لا تنص على الشروط التي أدت الى ذلك ، فمن المستغرب انه يختم هذه الرواية بان تاهرت هذه « لم تزل بعد لأعمال الشيعة وصنهاجة في سائر أيامهم » (العبر ، ج ٦ ص ١٢٢) ، فكان الاتفاق كان لصالح المهزوم ! ولكن هناك رواية أخرى عن ابن خلدون ، في تاريخ بنى يفرن (ج ٧ ص ٣٦) ترجح أن تكون هذه الأحداث قد وقعت سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م ، وهي السنة التي قبض فيها من قبل المنصور على معبد بن خزر (أخى محمد) وقتل عقابا له على موالاته من قبل لأبى يزيد ، كما وفد في تلك السنة فتوح بن الخير مع مشيخة تاهرت وهران ، على الناصر بقرطبة فأكرمهم وأعادهم الى أعمالهم - بمعنى دخول تاهرت مع وهران في طاعة الناصر بدلا من المنصور الفاطمي ، وهو الأمر المقبول كضمن لاطلاق سراح مسرور وابن الرحالي (٦١) .

سجلماسة : محمد بن الفتح والسعوية العباسية :

اما عن سجلماسة فحق لابن خلدون أن ينص على انها - دون بقية المغرب - لم تخضع للخليفة الناصر الأموي ، حيث كانت لها أسرتها الملكية العريقة المثلة في أسرة بنى مدرار من أبناء واسول الذين رضى بهم الفاطميون حكاما للمدينة عندما افتتحوها على عهد المهدي لأول مرة . اكتفاء بتغيير الواحد من بنى مدرار بابن عمه . وهكذا خلف أحمد بن ميمون ابن عمه المعتز ابن محمد ثم ابن هذا الأخير ، وهو أبو المنتصر محمد سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م ، على أواخر أيام المهدي لمدة عشر سنوات اذ خلفه ابنه الصغير المنتصر « سسكو » حوالي سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م ، على عهد القائم ، وكان تحت وصاية جدته التي كانت تدبر أموره ، وذلك قبل ثورة أبى يزيد . وهنا لم يرض بذلك أحد أبناء عمومته من أمراء الفرع الحاكم السابق وهو محمد بن الفتح بن ميمون (الأمير الأسبق) ابن مدرار (٦٢) .

والذى يفهم من قصة محمد بن الفتح أن الرجل كان انتهازيا في

(٦١) العبر ج ٧ ص ٢٦ ، وقارن ابن عذاري ، بيروت ص ٢٧٩ - حيث الاشارة الى خروج حميد بن يصل من تاهرت سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م ، وجوازه الى الأندلس ، وولاية ميسور الفتى (بدلا من مسرور الخادم) عليها واساءته الى أهلها ، الأمر الذى جعلهم يلجأون الى محمد بن خزر الزناتي وابنه الخير وغدرهم به وأسرهم ، قبل اضطراب المدينة وتغلب يعلى بن محمد اليفرنى الزناتي عليها الى قدوم جوهر سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م .

(٦٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣١ .

سياسته التي كانت توجهها رياح الفتنة حسبما يكون اتجاهها . فلقد بدأ تورته أيام القائم سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م ، على ابن عمه الفتى الصغير مستعينا بموسى بن أبي العافية الذي كان يدعو للناصر الأموي ، لكي يؤازر معه ذلك حركة أبي يزيد التي سمعت الى تأييد الناصر أيضا . وعندما انتهت ثورة الزناتية بالفشل على عهد المنصور ، رأى محمد بن الفتح أن يواجه سخط الفاطميين عليه بالانضمام الى المعسكر العباسي ، والدعوة الى خليفة بغداد . وفي سبيل ذلك كان عليه أن يتصل من مذهب أهل سجلماسة الصفري ، الخارجي ، وأن يعلن الدخول في الجماعة على مذهب المالكية . ولكن الأمر انتهى في سنة ٣٤٢هـ / ٩٥٣م بأن اتخذ لنفسه اللقب الخلافي ، فتسمى بـ « الشاكر لله » ، وأضاف الى ذلك شعارات الملك الأخرى من اتخاذ البنود ، وضرب السكة باسمه ولقبه هذا . وبسبب جودة سبيكة تلك السكة ، حيث كانت سجلماسة من أهم مراكز تجارة الذهب السودانية وقتئذ ، ذاعت شهرتها ، كما رفعت من شأن محمد بن الفتح من حيث حملت لقبه فكانت تعرف باسم « الدراهم الشاكرية » ، كما وسمته بالعدالة والحير(٦٣) ، الأمر الذي كان من الأسباب التي أدت الى ما اتخذه المعز لدين الله من اجراءات حاسمة في سبيل اعادة المغرب الأقصى الى الخضوع والطاعة .

نهاية المنصور :

وهكذا كانت سيادة بلاد المغرب البعيدة متنازعة بين الناصر الأموي ، والمنصور الفاطمي ، الذي وافته منيته في آخر شهر شوال سنة ٣٤١هـ / ٢٦ مارس ١٠٥٠م ، وهو في عنفوان التاسعة والثلاثين من عمره ، بعد ملك لم يطل الا الى ٧ (سبع) سنوات ، قضى معظمها في اطفاء نيران الثورة

(٦٣) البكري ، ص ١٥١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ - ١٢٢ - حيث النقل من ابن حزم القرطبي الذي يصف الشاكر بالله محمد بن الفتح ، بأنه كان غاية في العدل ، وقارن بالمجالس والمسائرات ، ص ٤١١ .

الزناتية بقيادة أبي يزيد ، صاحب الحمار ، فلم يقدر له أن يستمتع طويلا
بثمرة انتصاره ، سواء في قصوره بالمنصورية أو فيما حوله من الاستمتاع
بالتنزه في منطقة جالولاء الغنية ببساتينها وأزهارها ورياحينها في السنة
السابقة (٣٥٠ هـ / ٩٤٩ م) ، من حيث عاد مريضا ، بسبب رقة حالته
الصحية ، مما سبقت الإشارة اليه ، على ما نظن (٦٤) .

(٦٤) انظر فيما سبق ، ص ١٩٦ ، وانظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ - حيث
النص على انه خرج متنزها سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م الى جالولاء فصادفه في طريق العودة برد
ومطر أدى الى مرضه ، فوصف له دخول المسام - رغم مراضة طبيبه اسحق بن سليمان
الاسرائيلي - فكان السبب المباشر لزيادة علته ووفاته ، وقارن ابن خلدون ج ٩ ص ٤٥ .
وقارن ابن عذارى ج ١ ص ٢٢١ - حيث النص على أنه صلى عيد الفطر مريضا في تلك السنة
التي خرج للتنزه فيها وهي سنة ٣٤٠ هـ / ١٠٤٩ م ، بمعنى أن مرضه طال لمدة سنة اذا صح
« انه توفي في سلخ شوال من السنة التالية ٣٤١ هـ / ١٠٥٠ م » وعن متنزهات جالولاء
انظر الاستبصار ، ص ١١٩ .

المعز لدين الله (أبو تميم محمد)
٣٤١ هـ / ١٠٥٠ م - ٣٦٢ هـ / ٧٢ - ٩٧٣ م
الانتقال الى عصر

ولايته :

ولد المعز بالمهدية في رمضان ٣١٩ هـ / سبتمبر ٩٣١ م على تيمه
المهدي ، وكانت ولايته للعهد ، بمعرفة والده سنة ٣٤٠ هـ / ١٠٤٩ م ،
السابقة على ملكه سنة ٣٤١ هـ / ١٠٥٠ م ، بمعنى أنه ولي الأمر وعمره
٢٢ سنة (١) ، أي وهو على عتبات سن الرشيد الأولى .

شخصيته :

والمعز هو أشهر الخلفاء الفاطميين قاطبة ، لعدة أسباب ، أولها : أنه
أول من ملك مصر (٢) ، وبنى القاهرة التي ارتبط اسمها باسمه فهي
« المعزية » ، بعد أن بدأت باسم « المنصورية » مثل قصور صبرة . ضاحية
القيروان . وثانيها : أنه عالم الأسرة ومنظر مذهبا مما يظهر في كتب
القاضي النعمان (٣) . وثالثها : أنه واضع تراتيب الدولة الشريفة ومقصد

(١) ابن عذارى ج ١ ص ٢٢١ ، ط بيروت ج ١ ص ٣١٥ ، وقارن المخطوط للمقرئزي ،
ج ١ ص ٣٥١ حيث روايتان ، أولاها تنص على انه ولد في النصف من رمضان سنة
٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وانه ولي وعمره ٢٤ سنة ، كما عند ابن الأثير أيضا ، ج ٨ ص ٤٩٨ .
والثانية ج ١ ص ٣٥٣ ، وتنص على انه ولد بالمهدية في ١١ رمضان سنة ٣١٩ هـ / ٢٧ سبتمبر
٩٣١ م .

(٢) ابن عذارى ج ١ ص ٢٢١ ، ط بيروت ج ١ ص ٣١٥ .

(٣) انظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٨ - حيث ينص النعمان على أن المعز قام بأمر دعوته
بنفسه راجيا على ذلك ثواب الله ، غير مستكر ولا مستنكف . وانه اقام صلاة الأعياد وكتيرا
من الجمع والمطبة في ذلك بنفسه . ودليل تأييد الله انه لم يكن له معلم . غير ما أقضى به
ولي الله . وان الله دل بذلك على توريت امامته . وذلك مما أنبته في سيرته . وانظر المجالس
والمسايرات ، ص ٢٤ (المقدمة) حيث الاشارة الى أن معظم كتب النعمان ألفت في عصر المعز
ص ٦٠ - حيث المعز مجتهد يستنبط الأحكام وص ٣٦١ - حيث يعتزم النعمان عرض كل
كتاب يكتبه في الدين والفتيا على المعز ، ص ٢٥ - حيث يحصل المعز على علم الأولين
والآخرين ، فالمعز يعرف علم الظاهر والباطن ، والعلوم الرياضية والطب والهندسة ،

رسومها ، مما يشهد به المقرريزي ومن أخذ عنهم(٤) ، وهو أخيراً مبتكر ،
تسجل له الاختراعات وتكتب باسمه البراءات(٥) ، وهو على الجملة جبار
بيت الشيعة وفحلهم منذ أوليتهم(٦) .

الصفح مع الخزم والحسم :

وكل ذلك يعنى أن المعز هو أعظم أفراد الأسرة الفاطمية على كل
المستويات من سياسية ودينية وحضارية . أما على المستوى الشخصى
فلا نعرف شيئاً عن هيئته الجسمانية أو صفاته الأخلاقية والنفسية أو أسلوب
حياته الأسرية باستثناء بعض الاشارات العابرة . من ذلك انه تنلمذ على
يد أبيه المنصور الذى علمه الجدل والمناظرة(٧) ، أو ما قيل من أنه كان
أرفق بالناس من والده المنصور(٨) . أما ما تؤكده الرواية من أن العلاقة
الوثيقة بين المعز ووالده المنصور الذى أشركه معه فى جلائل الأمور كقتال
فضل بن أبى يزيد ، بعد قتل والده ، فكان يصدر أوامره بقتال العصاة
وعمره ١٧ عاماً(٩) ، الأمر الذى أدى الى اغناء المعز ، جزعاً عند موت
والده(١٠) ، وأنه اقتدى بسيرة المنصور فى العفو عن العصاة حتى هدأت

ص ١٣٤ - حيث يامر بتأليف كتاب فى النحو ، وص ١٩٩ ، ٢١١ - حيث يناقش مع نحوى
ويعرض أحجية لنوية ، ص ٢٢٤ ، ٤٤١ ، ٢٨٨ - حيث الحظ على تعلم الحكمة ، والنص على
أن تفاوت الناس فى فهمها لا يحول دون تلقينها ، ص ٣٣٤ - حيث يتصفح كتاباً فى تاريخ
العباسيين وينتقد من حيث الاعتزاز بأعمال الكهول واللعب . وانظر الاعلام لابن الخطيب ،
ص ٥٧ - حيث يقول ابن هانى فى مدحه :

لولا حجاب دون علمك حاجز
والعقل علما والقياس دليلاً

- (٤) انظر الخطط ، ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، وانظر فيما بعد ، ص
(٥) مثل : القلم الحازن ، الذى يكتب بلا استمداد ، المجالس والمسايرات ، ص ٢٦
(مقدمة) ، ص ٣١٩ (النص) ، ومثل القصص المبتكرين اللذين أعدهما لابن واسول وابن
بكر صاحبى سجللماسة وفاس - نفس المصدر ، ص ٤١٨ .
(٦) الاعلام لابن الخطيب ، ص ٦١ .
(٧) المجالس والمسايرات ، ص ٢٦ ، ١١٧ ، ١٣٣ .
(٨) وذلك فيما يختص بالزحام فى سقاية القاضى النعمان بقصر المنصورى التى وسعها
المعز - المجالس والمسايرات ، ص ٦٥ .
(٩) عيون الأخبار للدهامى أدريسى ، ص ٢٩٤ .
(١٠) المجالس والمسايرات ، ص ١١٢ وقارن ص ٤٦٩ - حيث رواية مراكسة نص على
أن القائم جد المعز - كان يغشى عليه من تنكر والده المنصور له .

الروعات وسكن الناس (١١) ، فمن الواضح أنه كان لا يتسامح مع من يخرج عن حدود الأدب في التعامل معه ، وبالتالي مع أفراد الأسرة المالكة ، مما عرف حديثنا بالعييب في الذات الملكية - ان لم نقل إنه كان حقودا فيما يتعلق بهذا الأمر . فهذا ما نخرج به مما حدث لمظفر الصقلي الذي كان له فضل تعليمه الخط ، صغيرا . فلقد ضاق خلق الخادم مظفر ذات يوم وهو يخدم أميرنا الصغير ، فصدرت منه ، في ثورة غضبت ألت به ، كلمة بالصقلبية علقث بنهنه ، وان لم يفهم معناها . وعز على الخليفة المعز ألا يفهم لغة من كان يتعامل معهم من الحشم والخدم ، وقرر لا أن يتعلم الصقلبية فقط ، بل وسائر اللغات المعروفة في المملكة مما يعرض في البلاط من أفراد الحاشية أو من رجال الدولة ، من : البربرية والرومية والسودانية والصقلبية . وذات يوم عرف المعنى القبيح للكلمة التي كان مظفر الصقلي قد تفوه بها أثناء خدمته له ، وكان الموت عقوبة الجراءة على العيب في الذات الملكية ، وبأثر رجعي أيضا - مما لا تعرفه الا القوانين الاستثنائية (١٢) .

ومع ذلك فلا بأس أن تكون تلك الخصوصية هي السبب في التخلص من المملوك الصقلي الذي ارتفع شأنه كواحد من كبار القواد ، مثله في ذلك مثل مولاة الآخر قيصر . وفي ذلك تقول رواية ابن خلدون ان الأمر انتهى بأن غلب كل من مولاييه : قيصر ومظفر على دولة المعز ، حيث استبد أحدهما بالمغرب والآخر بالمشرق ، فلم يكن أمامه بد من القبض عليهما سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م ، وقتلهما (١٣) . وهكذا يكون الغتيان ضحية تداخل أمور الدولة العامة في شئون الخليفة الخاصة ، إذ الحقيقة ان الخط الفاصل بين ما هو خاص وما هو عام لم يكن واضحا في نظم الدولة ، وقتئذ .

ومن الواضح ان المعز كان شديد الحساسية بالنسبة للافتئات على حقوقه وخاصة السياسية منها . فهذا ما يظهر فيما كان يراه في مناماته من خصومة العصاة والمعاندين له ، وقد نزلت بهم الهزائم والنكبات (ما سبق ٢٤ وما يأتي ، ص ٢٣٧) الأمر الذي يشبع حاجاته النفسية من غير شك .

(١١) افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٥ .

(١٢) الخطط ، ج ١ ص ٣٥٣ .

(١٣) العبر ، ج ٤ ص ٤٧ - هذا وان ذكر ابن خلدون قبل ذلك (ج ٤ ، ص ٤٦)

سقل كوال لبغاية من بلاد الزاب ، دون ذكر لمظفر كواحد بين سائر الولاة .

البساطة وحب العمل :

ومن المعروف من حياة المعز الخاصة ان موند ابنه نزار (العزيز) كان في سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م (ابن عذارى ج ١ ص ٢١٦) وأن نشاطه الشخصي وتفانيه في العمل كان مضرب المثل والقذوة التي يجب أن يهتدى بها رجال الدولة وكبار القواد من الكتامين ، لا يمنعهم من ذلك تقلب الأحوال الجوية السيئة . فهو في وقت البرد الشديد من فصل الشتاء يصحو مبكرا للنظر في الرد على ما ورد الى ديوانه من الرسائل ، من المشرق والمغرب - في ذلك الوقت من سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م عندما كان القائد جوهر يجوب بلاد المغرب غازيا حتى أقاصيها الغربية . وهو لا يهتمتكف الاستئناس برأى زوجته أم أولاده الأمراء ، التي كانت ناضجة الى جواره ، وذلك عندما قرز استدعاء زعماء كتامة في تلك الحالة الجوية الصعبة ، لكي يعرفوا ماذا كان يفعل الامام وقتئذ ، في مجلسه البسيط ، المفروش باللبود ، وثيابه الحشنة المكونة من كساء فوقه جبة ، بدلا من أن تذهب بهم الأوهام وتغدو ، ما بين التفكير في تمتعه بمباهج الحياة من الأكل والشراب الرقيق والتقلب في الثياب الناعمة والعطور الثمينة ، في تلك الظروف الصعبة . والهدف النهائي الذي أراده المعز تروى بصفته الامام المعلم ، وهو يقومه للزعماء الكتامين ليكون حافزا لهم على التقشف ، وخاصة فيما يتعلق بعدم الكلف بالنساء والاكتفاء بالزوجة الواحدة حفاظا على سلامة الجسم والعقل ، وضانا لحسن الخدمة والعمل(١٤) .

وقريب من هذا ما تقوله الرواية في السياسة المالية وجمع الأموال التي كانت تتراكم في ألوف الصناديق في القصر الخلافي تحت اشراف المعز المباشر ، قبل استدعاء صاحب بيت المال ، أبي جعفر حسيد بن مهذب ، الذي كان عليه مراجعة محتوياتها بمساعدة معاونيه من الموظفين في بيت المال والفراشين ، وتسجيل كل ذلك في دفاتره ، قبل ختم الصناديق بخاتم المعز نفسه وحملها الى خزائن بيت المال لتكون في عهده تحت طلب الامام . والأمر هنا يتعلق بما كان قد جمعه المعز سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٨م من الأموال اللازمة للنفقة على حملة فتح مصر ، والتي بلغ مجموعها ، حسبما رصده ابن مهذب ، ٢٤ مليون دينار(١٥) .

(١٤) انظر المخطوط ، ج ١ ص ٣٥٢ ، وقارن اتعاف الخلفى ، ج ١ ص ١٣٦

(١٥) انظر المخطوط ، ج ١ ص ٣٥٢ .

الزهد :

والمهم انه رغم ما أفاء الله على المعز من « الملك والسعة والبسطة واستقامة الأمور » ، مقارنة بما كان عليه والده المنصور الذي عاش عصر الفتنة والتعب ، فلم « يتمتع من الدنيا بما يتمتع به من يملك مائة دينار فما دونها » ، فان النعمان ينص على أن المعز « ما كان يتلذذ في ذلك بكثير مطعم ولا مشرب ولا نكاح ولا طرب » ، فما كان تلذذه إلا بالحكمة والتذكر بالمواعظ الحسنة ، الى جانب انشغاله بأمور الدولة وصالح الرعية .

برنامج العمل اليومي :

فهو يترك منزله من الصباح الى ديوانه حيث يبقى في تصريف أمور الدولة حتى وقت الظهر . وعندئذ يعود الى المنزل لتناول طعام الغداء ، ويؤدي فرض الصلاة ، ويأخذ قسطا من الراحة وقت الفيلولة ، لكي يعود الى ديوانه بعد صلاة العصر ، لكي يبقى هناك الى الليل . وهو عندما يدخل الى داره بعد ذلك يصرف قدرا من الليل بصحبة خاصته في النظر في الكتب والعلوم والكتابة والتأليف ، فذلك كان نظامه اليومي في العمل ، باستثناء الأيام التي يخرج فيها للفرجة والتي غالبا ما تكون أيضا ، للاطلاع على أحوال الناس والنظر فيما يصلح شئونهم(١٦) .

وكل ذلك يعني ان نظام الحكم الذي طبقه المعز في ادارة شئون دولته ، كان من ذلك النوع الكلي الذي يؤول كل شيء فيه الى الخليفة الامام ، من حيث هو مصدر كل السلطات بمعنى ان كل من حوله من رجال الدولة والحاشية ليسوا بأكثر من أعوان يمكن له أن يستنير بأرائهم ، ولكن دونما التزام .

سياسة المعز المغربية ، ما بين الاقدام والتربص :

رغم الآمال العراض التي ترتبت على نهاية المقاومة الزناتية في بلاد أفريقية ، الأمر الذي يرمز له ترك المهديّة تنعى من بناها ، والعودة المظفرة الى ضاحية المنصورية بالقيروان ، فان مواجهة التدخل الأموي في المدون المغربية ، وما وراءها من بلاد المغرب الأقصى والتحالفات التي عقدتها

(١٦) المجالس والمسائرات ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

عبد الرحمن الناصر مع ملوك البربر وأمراء الأدارسة ، تطلب المزيد من الجهد من جانب المعز الذي وقع عليه ذلك العبء ، شابا يافعا . والحقيقة انه لم تنقض ست سنوات على امامة المعز حتى كانت جيوشه المظفرة تكتسح بلاد المغرب الأقصى ، من أدناها الى أقصاها فلا تقف أمامه الا سبته . حيث ثبتت القوات الأموية أقدامها بعناد يمكن أن نتفهم أبعاده من حيث كانت سبته باب العبور الى الأندلس . وكذلك تراوحت سياسة المعز المغربية - رغم قوتها - ما بين الخوف والرجاء ، فهو يناجز الحصوم في المغرب دون هواده ، ويعمل في نفس الوقت بكل همة على فتح مصر ، أول مرحلة في سبيل تحقيق الحلم الكبير ، المتمثل في تصحيح ما ألم بتاريخ صدر الاسلام من الانحراف نحو الأمويين والعباسيين على حساب آل البيت من الفاطميين .

الصراع مع الأمويين في المغرب :

ولكنه قبل تصحيح مسار تاريخ المشرق البعيد كان على المعز أن يقوم ما أعوج من تاريخ المغرب المعاصر الذي مالت كفته لصالح عبد الرحمن الناصر الذي دانت له بلاد المغرب ، اثر الثورة الزناتية بعد أن كانت خاضعة كلها ، باستثناء سجلماسة في أقاصي الصحراء الجنوبية ، لأبي القاسم القائم ، جده (١٧) .

نقوذ الناصر في أرشقول وقامسنا :

والظاهر ان عبد الرحمن الناصر الذي حاول استغلال ثورة

(١٧) انظر ابن خلدون ج ٧ ص ٨٦ - حيث النص على انه خطب وقتئذ لأبي القاسم على المنبر من مدينة تاهرت (بالمغرب الأوسط) الى مدينة طنجة (بساحل العروة) ، ما عدا سجلماسة التي كانت حينئذ مستقلة تحت سيادة بني مدرار . وقارن ابن حيان ، ج ٥ تحقيق شاليتا وآخرين من ٢٥٩ - ٢٦٠ - حيث الاشارة الى أن الأوضاع كانت مختلفة من حيث الصراع عليها في سبيل السيطرة على منطقة الساحل في المغرب الأقصى على عهد المهدي . سنة ٢١٧ هـ / ٩٢٩ م وما بعدها ، فينص محمد بن خزر في كتبه الى الناصر ، على أن مدينة تاهرت هي « قاعدة الشيعة ونفرة مشايتها » - كما يذكر ابنه الحبر بن محمد في مخاطبة الناصر بعد ذلك ، أخبار نزول أبي القاسم (عبد الرحمن) ولد الشيعي ، بيدل الإيمان ، بالساحل لديهم ، وأنه (الحبر) استرجع حصنا كان قد بنسأه (القائم) هناك ، وبذلك « ظهر الأرض منهم فليس لهم بالساحل مكان ، ولا منبثق ، ما خلت مدينة تاهرت » ، التي يصنفها بدار المشركين ، وماوى الملحدين - وأنظر فيما سبق ص ٣٥ ، ٣٦ .

أبي يزيد إلى أقصى حد في سبيل توطيد أقدامه ليس في المغرب فقط
بل وفي إفريقيا (ما سبق ص ١٨٥) رأى أن فشل الثورة يحتم عليه
مضاعفة جهوده في رد الخطر الفاسطي بعيدا عن بلاده ، وذلك بمساع
خلفائه من زعماء البربر والمولين له من الإدارسة . ففي سنة ٣٢٨هـ
٩٤٩م كان البوري ابن موسى بن أبي العافية يحقق النصر على الحسن بن
عيسى (بن أبي العيش) الإدريسي في أرشقول ، ويبعث به إلى الشام
بقرطبة - علامة خضوع نهائي (١٨) . وفي نفس هذا الوقت كان يعلى بن
محمد بن خزر اليفرنى (الزناتى) يمدن مدينة فكان (أو افكان) عس
حساب تاهرت حيث انتقل إليها أهل معسكر تاهرت (١٩) . وامتد نفو
النصارى إلى منطقة تامسنا ، وهى المنطقة الساحلية غرب سلا والرياء
فيما بين أسافل نهري بورجرج وأم الربيع والتي كانت تقطنها قبائل
برغواطة التي عرفت بأنها صاحبة زندقة أو ما يشبه الردة عن الإسلام (٢٠)
والمهم هنا أنه عندما ولى أميرهم أبو منصور عيسى سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م
تقول الرواية إن أباه أبا الأنصار الذى عرف بالسخاء والظرف وأنه لا يتعم
الا في الحرب كان قد أوصاه بموالة صاحب الأندلس (٢١) ، أى مداراة
واظهار الخضوع له ، مما يأتى ذكره .

خضوع الأدارسة في طنجة والعدوة المغربية :

وفي مطلع عهد المعز كان زعيما الأدارسة في طنجة والعدوة المغربية
وهما الأخوان : أبو العيش والحسن بن كنون قد دخلا في طاعة الناصر
وكعلامة إجلال له استأذنه أبو العيش في الجهاد في الأندلس فرحب الناصر

(١٨) البكرى ص ٨٧ .

(١٩) البكرى ص ٨٩ .

(٢٠) والحقيقة أن هذه الزندقة التي بدأت في ثنسايا حركات الحوارج الأولى بالمغرب
والتي تتلخص في الاستقلال السياسى أو ما يشبه الحكم الذاتى ، مع تطويع الإسلام بصفتها
الكلية من حيث هو دين ودولة واقتصاد واجتماع إلى متطلبات الحياة فى المنطقة وخاصة فيما
يتعلق بترجمة القرآن إلى اللغة البربرية وأداء الفرائض بنفس اللغة المحلية مع تطويع بعض
أمور الأحوال الشخصية والمعاملات بما يتفق والمعاداة المتوارثة ، من : محاولة تحليل لحم
أنسى الخنزير على أساس أن النص فى شكل المذكر ، أو المبالغة فى تزكية الحيوان عند الذبح
كفى تشمل السمك (الحوت) ، أو بتبجيل الديكة على أساس أن صاحبها فجرا هو نوع من
الأذان والدعوة إلى الصلاة الأولى ، إلى غير ذلك مما اعتبره الكتاب ديانة جسدية خارجة عن
الإسلام . انظر البكرى ص ١٣٦ ، الاستبصار ، ص ١٩٧ - ٢٠٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٢١ .
(٢١) البكرى ، ص ١٣٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٢١ .

بإلزام وأحسن وفادته عند مجيئه . ولكنه عندما خرج الحسن بن كنون على الناصر ، بعد وفاة أخيه أبي العيش بالأندلس سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م ، ودخل في طاعة المعز في المنصورية ، كان رد الناصر عنيفا بقدر ما كان سريعا ، إذ غلب على بلاد المغرب بما فيها أملاك الحسن ابن كنون (٢٢) . وفي نفس سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م كان كلا من الزعيمين الزناتيين يعلى بن محمد بن صالح والخير بن محمد (بن خزر) قد دخلا في طاعة الناصر الأموي ، وكان يعلى قد ملك وهران منذ سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م . ولما كان يعلى بالتحالف مع الخير بن محمد ، قد استولى على تاهرت من يدي كل من مسرور الفتى وعبد الله بن بكار سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م ، فان ماسكه كان قد عظم بالمغرب بقدر ما كان يخطب للناصر على منابره ما بين تاهرت إلى طنجة ، الأمر الذي استدعى من الناصر تولية رجال بيته (٢٣) .

هيمنة الناصر على سبنة والأدارسة في تطوان :

هذا ، كما كان الناصر يؤازر أهل سبنة ضد الأدارسة من بني محمد الذين كانوا ينازعون البوري بن موسى بن أبي العافية منطقة مغيلة (٢٤) ، الأمر الذي أدى بالأدارسة إلى هدم مدينتهم تطوان (تيطاوان) التي كانت منافسة لسبنة وذلك سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م ، وعدم تمكنهم من إعادة بنائها عندما رغبوا في ذلك بسبب اعتراض أهل سبنة ، ووقوف الناصر بحزم إلى جانبهم ، الأمر الذي انتهى بإرسال الجيوش لناصرتهم سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م ، مما أدى إلى خضوع الأدارسة ودفعهم لأبنائهم رهائن في قرطبة في نفس تلك السنة (٢٥) . ولما كان الزناتية من بني خزر قد أصبحت لهم السيادة على فاس بصفتهم نواب الناصر الذي ولي عليها محمد بن الخير بن محمد اليفرنى (الزناتى) الذي رحل بدوره إلى الأندلس .

(٢٢) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٩ .

(٢٣) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٧ - حيث الإشارة إلى أمر مسرور ، ومثل عبد الله بن بكار الذي كان مطلوباً لقتله والد محمد بن صالح مع الإشارة إلى اختطاط ماذنة القرويين سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٤م بمعرفة أحمد بن بكر ، (ابن أحمد بن عثمان بن سعيد) الذي آلت إليه ولاية فاس من ابن عمه محمد بن الخير (ابن محمد بن عشيرة) عندما نسك واستأذنا في الجهاد والرباط بالأندلس ، وعن الاستيلاء على تاهرت سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م ، انظر ج ٧ ص ٣٦ .

(٢٤) البكري ص ١١٧ - وإن كان ذلك فيما بعد سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م عندما هزمه .

(٢٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٩٧ .

باسم الجهاد ، كما فعل أبو العيش الأدريسى من قبيلة ، تاركاً ابن عمه أحمد بن بكر الذي بنى منار الجامع القروي سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م ، وأبى عليها (١٦) ، كما كانت لهم السيطرة على إقليم تهرت ، فان الناصر يكون قد غلب فعلاً أو كاد على كل بلاد المغرب ، كما يقول ابن خلدون (٢٧) .

سجلماسة تدخل في الدعوة العباسية :

أما عن سجلماسة فلم تكن قد استقلت فقط تحت رئاسة ملوكها القدامى المدرايين من بني واسول ، بل ان محمد بن الفتح الذي استولى على السلطة من ابن عمه أبو المنتصر بن المعتز انتهى به الأمر الى أن أجرى تحولات ثورية سريعة الايقاع في أحوال سجلماسة ، وذلك أنه ترك مذهب الصفرية الحوارج الذي كان يعتنقه بنو مدرار ، ودخل في السنة على المذهب المالكي في سبيل الدخول في طاعة خلافة بغداد العباسية ثم لم يلبث أن اتخذ اللقب الخلفي عندما تسمى بـ « الشاكر لله » وضرب النقود - رمز السيادة والتي عرفت باسمه ، فهي « الشاكرية » (٢٦) .

الصراع البحري ضد الأمويين :

ولم يكن من الغريب أن يستشري ذلك الصراع بين الناصر والمعز ، من البر الى البحر ، وان حدث ذلك بمحض الصدفة ، وربما بدون قصد منهما ، وان كان الصراع في البحر بينهما يعتبر أمراً حتمياً من حيث أن كلا من الدولة الفاطمية والدولة الأموية الأندلسية كانت قوة بحرية بالامتياز ، نتيجة طبيعية لأوضاعهما الجغرافية ، من حيث أن لكل منهما سواحل طويلة على المتوسط ، اما في مواجهة الشواطئ البيزنطية شرقاً في مقابل كريت وصقلية وجنوب إيطاليا أو الشواطئ الفرنسية والإيطالية مع جزر كورسيكا وسردينيا المواجهة لشرق الأندلس ، إضافة الى شواطئ المحيط من حيث كان يتهدد الأندلسيين الخطر النورماندى .

(٢٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٨٨ .

(٢٧) العبير ، ج ٦ ص ٨٩ .

(٢٨) البكري ، ص ١٥١ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ ، ابن خلدون ، العبير ، ج ٦

الصدام البحري قرب صقلية وفي سواحل الأندلس والمغرب :

وكان أول صدام في البحر سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٤ م ، عندما مر مركب أندلسي بدير . كان فادما بمتاجر من الاسكندرية ، ببعض الجزر الافريقية الواقعة على سميت صقلية ، فوجد بها قاربا من قوارب البريد الفاطمية في طريقه برسائل رسمية من صقلية الى المهدي . فخشى الأندلسيون ان يندر أهل القارب بهم ، فأخذوا سكان (رجل) القارب ، كما طمعوا في بعض الأمتعة فاستولوا عليها ، ومنها حقيبة جاذية (خريطة) كان فيها كتاب عامل صقلية الى المعز (٢٩) . وكان من الطبيعي أن يغضب المعز لجرأة البحريين الأندلسيين ، رعية العدو الأموي في الاعتداء على بريده البحري ، بين صقلية والمهدي ، فيما يمكن أن يعتبر بحق مياها فاطمية اقليمية . فأمر باعداد قوات برية بحرية مشتركة يحملها أسطول صقلية بقيادة والي الجزيرة ، الحسن بن علي نفسه ، وأن تكون مهمتها متابعة المركب الأندلسي الكبير حيثما كان ، والنار منه لفتلته الشنعاء . ولم يكن من المسير على والي صقلية العثور على المركب المطلوب في ميناء المرية بجنسوب شرف الأندلس . ولم يكتف العسكر المعزى باحراق المركب الآثم الذي كان قد أرسى لتوه هناك ، بل انهم نزلوا الى البن بميناء المرية نفسه الذي يعتبر مجمع المراكب والأساطيل الأموية ، ودار صناعة السفن هناك ، فاستولوا على المدينة اجتياحا ، وأحرقوا ما بها من المراكب والمخازن ، وما كان فيها من المعدات البحرية ، من الصواري والعدد وانتهبوا جميع ذخائرهما ، وعادوا جميعا الى المهدي سالمين (٣٠) .

(٢٩) المجالس والمسائرات ، ص ١٦٤ - ١٦٥ - حيث رواية النعمان هنا بدون تاريخ وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٢ - ٥١٣ (أحداث سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٤ م) - حيث النص على ان المركب الأندلسي الكبير ، الذي لم يعمل مثله ، كان لعبد الرحمن الأموي (الناصر) ، وأنه قطع على المركب الفاطمي الذي كان فيه رسول من صقلية الى المعز ، وأخذوا ما فيه وأخذوا الكتب التي الى المعز ، بمعنى أنها غارة مقصودة لم تأت عرضا حسب رواية النعمان التي رجحناها .

(٣٠) المجالس والمسائرات ص ١٦٥ والهوامش ، وقارن ابن الأثير ج ٨ ص ٥١٣ (حوادث سنة ٣٤٤ هـ) - حيث الاشارة الى ان العساكر الفاطمية أخذوا المركب الجاني وفيه أمتعة لعبد الرحمن (الناصر) وجوار منقيات ، وافتتاح الدعوة ، النص العربي ص ٣٣٦ - حيث الاشارة الى احراق أساطيل المهدي ودار الصناعة بها ، مع التلميح فقط الى ان السبب هو جور جاريه بنو أمية ، في البحر الى المشرق دون أمر أميرهم ، والترجمة الفرنسية ص ٤١٣ فقرة ٣٠٢ وهـ ٢ - حيث تحديد تاريخ الواقعة بسنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م (حسب تاريخ ابن الأثير بشكل عام) مع الاشارة الى ليض بروفستال ، اسبانيا الاسلامية ، ج ٢ ص ٧٠٦ .

وكان من الطبيعي أن يتمثل رد فعل عبد الرحمن الناصر في تجهيز أسطوله للقيام بعمل ثأري فنزلت مراكبه « في العام القابل » (٣٤٥ هـ / ٩٥٥ م) (المجالس ، ص ١٦٦) ، بقيادة غالب مولاة ببعض السواحل الأفريقية تخرب وتنهب ، ولكنه كان على الأندلسيين العودة إلى مراكبهم والرحيل نحو بلادهم عند مجيء القوات الفاطمية ، بعد مناوشات خسر فيها كل من الطرفين أعدادا من القتلى . وعندما عاد الأندلسيون في السنة التي تليها (٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) ، في ٧٠ (سبعين) مركبا ، فاجأوا بها مرسى الحزر في المغرب الأوسط ، قبل أن يواصلوا المسيرة إلى جهات سوسة في ساحل القيروان ثم طبرقة (طرنة) في سواحل برقة (٣١) .

وأمام تهديد عبد الرحمن الناصر لوجود الفاطمي في المغرب الأقصى وغاراته البحرية التي وصلت إلى سواحل برقة ، وجراة أمير سجلماسة المدرازي على اتخاذ لقب الخلفي ، فكانه أراد - دون قصد - أن يزيد في تفتت الخلافة إلى أربع « خلافات » بدلا من ثلاث ، كان على المعز أن يتخذ إجراء عسكريا رادعا يعيد به السلطة الفاطمية إلى منطقة العدو مقابل الأندلس ، ويعطي له الثقة في نجاح ما كان يخطط جديا له منذ ذلك الوقت من فتح مصر .

(٣١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥١٣ (أحداث سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٤ م) وقارن رواية النعمان في المجالس والمسائرات ص ١٦٦ - حيث الإشارة إلى أن الأموي الذي أصابه الهلع نتيجة لما نزل بأساطيله بالهوية على أيدي قوات المعز لم يكتف بتسيير مراكبه (ضد بلاد المعز) بل أنه لجأ إلى الاستنصار بطائفة الروم الذي سير مراكبه مع المراكب الأندلسية والذي أخذ يساوم المعز على عقد هدنة طويلة الأمد منه نظير انصرافه عن الأموي . والحقيقة هنا أن رواية النعمان تربط بين صراع المعز مع التمام وصراعه مع الروم في صقلية وجنوب إيطاليا (أنظر ص ١٦٧ و ١) الذي انتهى بهدنة ، سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م ، ولمدة خمس سنوات ، الأمر الذي أدى أيضا إلى طلب التمام الصلح مع المعز ، أنظر فيما سبق ، ص ٢٣ - حيث امتنع المعز من الصلح بسبب اتخاذ الأموي لقب الخلفي ، وقارن ص ١٩٤ - ١٩٥ حيث الإشارة إلى احتجاج صاحب الأندلس على ما نزل باتباعه من البربر الذين أرسلهم لغزو بلاده عندما عطبت مراكبهم ، من الأسر والبيع بالكلاب ، حيث لا يجوز بيع أحرار المسلمين ، وهو ما رد عليه المعز بأنه لم يبيع ذلك لأن عقوبتهم الشرعية هي القتل أو المن .

حملة مغزية تجتاح المغرب من أدناه الى أعلاه
بقيادة القائد جوهر الصقلي : ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م :

ولا ندري ان كانت سياسة التهذئة تلك ، المتمثلة في الاحسان والترغيب قبل الاساءة والترهيب ، قصد بها المعز نشر « السلام الفاطمي » في بلاد المغرب قبل النقلة الى مصر ، أم أنها كانت تمهيدا لاجتياح المغرب الأقصى بمعرفة جوهر القائد ، واقضاء النفوذ الأموي عنسه ، أم ان ذلك الاجتياح للمغرب البعيد (٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م) كان بمثابة تدريب أو مناورة تمهيدية للحملة التي كان على القائد الصقلي أن يقودها لفتح مصر سنة (٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م) . هذا ، ولو أن المنطقي أن نعتبر أن حملة جوهر المغربية هذه والتي صاحبه فيها زيري بن مناد ، تكملة للحملة التي قادها المعز بشخصه سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٢ م على جبل أوراس وبلاد الزاب ، والتي انتهت بالقضاء على آخر أوكار المقاومة هناك ، بعد أن استأمن بنو كملان ، وملييلة من هواة ، ودخلوا في طاعة المعز ، كما استأمن اليه محمد بن خزر بعد قتل أخيه معبد (٣٢) .

أما عن السبب المباشر لتسيير حملة جوهر سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م عند ابن خلدون ، فهو ما بلغ المعز من مداخلة يعلى بن محمد اليفرنى للأيوبيين من وراء البحر ، وبالتالي نقض أهل المغرب الأقصى لطاعة الشيعة (٣٣) .

تاهرت :

والمهم أن المعز سير الحملة التي توصف بأنها جيش كثيف (ابن الأثير ج ٨ ص ٥٢٤) ، يزيد عدده على ٢٠ (عشرين) ألف رجل (٣٤) ، وعلى رأسها القائد جوهر الذي كان قد عظم شأنه عند المعز حتى بلغ رتبة الوزارة ، كما يقول ابن الأثير ، فكانه نائبه في تلك الحملة ، وبصحبه جمع من كبار القواد ، منهم : الزعيم الصنهاجي زيري بن مناد ، صاحب أشير ، وجعفر بن علي صاحب المسيلة (٣٥) . وكان وصول الحملة الى تاهرت دفعة

(٣٢) العبير ، ج ٩ ص ٤٦ ، وقارن المؤنس لابن أبي دينار ، ص ٧٤ - حيث الاشارة الى ان زيري بن مناد حضر مع المعز لدين الله عند دخوله للمغرب سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٢ م ، والتي استعمله المعز بعدها على أشير وما والاها .

(٣٣) العبير ، ج ٤ ص ٤٦ .

(٣٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٩ .

(٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٦ .

واحدة ، دون عمليات عسكرية جانبية ، يعنى جدوى حملة التهدة التي قادها المعز في السنوات السابقة في جبل أوراس وبلاد الزاب . ويظهر ذلك في استسلام يعلى بن محمد بن خزر الذي يعنى انتظام الأسرة جميعا في صف المعز بدلا من عبد الرحمن الناصر .

ولكن خضوع يعلى كان مؤقتا اذا لم يلبث أن انتهز الفرصة وخالف القائد الفاطمي لاجئا الى مركز قيادته في بلده فكان (أو أفكان) بالقرب من تلمسان (ما سبق ، ص ٢٢٦) ، حيث طارده جوهر الى هناك ، وخرّب المدينة ، ونجح في القبض عليه وعلى ولده (٣٦) ثم انه قتله وبعث برأسه الى المعز بالمنصورة بالقيروان ، في جمادى الآخرة ٣٤٧ هـ / سبتمبر ٩٥٨ م ، حيث عرض عليه مع رأس أخيه (٣٧) .

هذا ، ولو ان ابن خلدون يورد روايتين أخريين ، احدهما تقول : ان جوهر تقبل اذعان الزناتي يعلى وهو يضم الفتك به ، وأنه فعل ذلك يوم خروجه من البلدة ، على أيدي الأتباع من الكتامين والصنهاجيين . لكي يتبدد دمه هدرا ، الى جانب تخريب مدينة « ايفكان » . اما الرواية الأخرى فتتص على أن الفتك بيعلى كان بناحية شلف ، وأنه بمقتله لم يجتمع بنو يفرن الا بعد حين على ابنه يدو بالمغرب ، وأن الكثير منهم لحقوا بالأندلس (٣٨) . وكان لمقتل يعلى رنة حزن شديدة لدى الناصر الأموي ، حسبما ينص على ذلك القاضي النعمان ، بحيث تبدد العسكر الأندلسي الذي كان في مرحلة الاستعداد في المرية لعبور المضيق ونجدة يعلى (٣٩) .

سجلهاصة :

ومن تاهرت اتجه جوهر بجيوشه نحو فاس التي كان يليها أحمد بن بكر (الجذامي) خليفة محمد بن الحير بن محمد اليفرني الزناتي ، الذي كان حليفا للناصر الأموي في قرطبة ، فولاه على فاس ثم انه عندما سار الى الأندلس للجهاد عهد بفاس الى أحمد بن بكر ، الذي خلاص له الأمر بعد وفاة

(٣٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٤ - حيث الاشارة الى ان أصحابه هم الذين ثاروا بعد القبض عليه .

(٣٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٩ ، المجالس والمسائرات ، ص ٢٧٥ .

(٣٨) العبر ، ج ٧ ص ١١٧ - ١١٨ - حيث « بدوى » بدلا من « يدو » .

(٣٩) المجالس والمسائرات ، ص ٢١٧ - ٢٧٥ .

محمد بن الحير بالاندلس سنة ٣٤٣ هـ/٩٥٤ م ، فخلد اسمه هنالك في السنة التالية ٣٤٤ هـ/٩٥٥ م ببناء مئذنة (صومعة) جامع القرويين (٤٠) . هذا ولو أن ولدى موسى بن أبي العافية ، وهما : مدين الخليف السابق لأحمد بن بكر ، والبورى ، الذى كان فى سنة ٣٤٥ هـ/٩٥٦ م فى طاعة الناصر ، كانا ينازعان أحمد بن بكر ولايته لفاس ، حيث تنص رواية ابن خلدون على أن البورى توفى وهو يحاصر أخاه مدين بفاس(٤١) .

والمهم أن أحمد بن بكر قرر المقاومة فى فاس ، فأغلق أبوابها ونجح فى الدفاع عنها أمام هجمات القوات الفاطمية ، الأمر الذى دفع جوهررا الى الاستماع الى نصيح الناصحين له من أمراء الأدارسة الفاطميين من أقاصى المنطقة (السوس) ، الذين أتوا اليه مرحين وبالهدايا مهنتين ، بالأى بنك قواه فى عمليات الحصار ، وأن يعجل قبل ذلك بالمسير الى سجلماسة ، هدفه الأبعد(٤٢) .

ولم تكلف سجلماسة القوات الفاطمية الكثير من العناء ، وذلك أن صاحبها ، محمد بن الفتح ، الملقب بالشاكر لله ، خرج منها بمجرد علمه باقتراب جوهر ، الى بعض حصونه القريبة ، والظاهر أنه بقى فى المنطقة متخفيا يتحسس الأخبار ، الأمر الذى انتهى بأن غدر به بعض خصومه (من مدغرة) فوقع فى أسر رجال جوهر ، وذلك فى شهر رجب التالى من نفس سنة ٣٤٧ هـ/أكتوبر ٩٥٨ م(٤٣) .

فاس :

ومع قدوم فصل البرد كان على جوهر أن يقضى الشتاء فى المغرب وأن يستقبل العام الجديد (المحرم) ٣٤٨ هـ/مارس ٩٥٩ م هناك .

(٤٠) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٨ .

(٤١) العبر ، ج ٦ ص ١٣٦ .

(٤٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ .

(٤٣) البكرى ، ص ١٥١ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٢ -

حيث النص على أن جوهر قتل ابن واسول ، وهو غير صحيح ، وان كان له الفضل فى تحديد

التاريخ بشهر رجب .

سبّية وطنجة وتطوان :

ولا بأس أن يكون جوهر قد استغل تلك الفرصة ليؤكد النفوذ الفاطمي في المغرب الأقصى ، وبخاصة في منطقة العدو المواجهة لسواحل الأندلس ، في منطقة سبّية وطنجة وما وراءها ، وهو ما تؤكد رواية ابن الأثير التي تقول انه وصل الى البحر المحيط (٤٤) ومن الواضح أن وصول جوهر الى منطقة العدو حيث كان الأدارسة يجاهدون في الحفاظ على سلطانهم في تلك المنطقة الشبيهة بالأرض الحرام بين المتحاربين من الأمويين الأندلسيين والفاطميين الأقربيين ، عن طريق الميل مع من تميل كفته رجحانا ، من الطرفين ، وكانت كفة الناصر وقتئذ هي الراجحة ، كما سبقت الإشارة . فالحسن بن كنون آخر ملوك الأدارسة بالمغرب ، والذي خلف أخاه أبا العيش (الذي توفي سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م مجاهدا في الأندلس) بموافقة الناصر ، كان عليه أن يفر هاربا الى الأندلس (٤٥) .

أما عن موقف بني محمد ، أصحاب تطوان (تيطوان) من الأدارسة ، فالمعروف أنهم كانوا على خلاف مع أهل سبّية أتباع الناصر ، وانهم اضطروا الى هدم مدينتهم تيطوان سنة ٣٢٨ هـ / ٩٤٩ م (٤٦) ، وكانوا وقتئذ قد دخلوا في طاعة الناصر . ولكنهم عندما خرجوا على طاعته في السنة التالية ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م (٤٧) ثم أرادوا إعادة بناء تطوان من جديد سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م ، اعترض عليهم أهل سبّية من حيث أنه يضر بمصالحهم ، وذلك بتأييد من الناصر لهم . ولكنه عندما هدمهم الناصر بما أرسله اليهم من قواته بقيادة : حمد بن يعلى ، وبما أصدر من الأوامر الى حميد بن يصل ، صاحب تيجيساس ، قاعدة تلك الجهات ، تخلوا عن إعادة بناء تطوان ، بل وبعثوا بأبنائهم رهائن الى قرطبة حسب طلب الناصر ، في نفس السنة على أن يكون استبدالهم في السنة التالية : ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م . ولا نعرف ماذا كان موقف بني محمد الأدارسة من جوهر عندما حاول حصار سبّية ، ولكنه لم يقدر عليها على كل حال الأمر الذي اعتبره صاحب سبّية انتصارا على عسكر جوهر ، يستحق أن يكتب به الى الناصر (٤٨) .

(٤٤) الكامل ، ج ٨ ص ٥٢٥ .

(٤٥) ابن خلدون ، ج ٨ ص ٨٩ .

(٤٦) البكري ، ص ٣٤ .

(٤٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٧ .

(٤٨) البكري ، ص ١٢٤ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

فاس : سقوطها على يدى زيرى بن مناد الصنهاجى :

ومع تحسن الأحوال الجويه فى فصل الربيع ، كانت القوات الفاطمية تتجه الى نحو فاس وتضرب عليها الحصار . ونجحت مدينه المولى ادريس ، التى عرفت بشجاعة رجالها ، وقوة تحصيناتها وكثرة أطعمتها فى الصمود أمام قوات جوهر ، كما أن أهلها أصموا آذانهم عن الاستماع الى رسائل المعز اليهم بالاستسلام نظير الأمان(٤٩) ، فلم تسقط الا عندما نجح زيرى ابن مناد مع قومه الصنهاجيين فى مفاجأة أهلها ليلا ، باستخدام السلايم العالية لتسلق أسوارها من أدناها (الستارة) الى أعلاها ، وفتح أبوابها لكي يدخلها جوهر على رأس قواته حسب العلامة المتفق عليها ، وسط أصوات الطبول وأضواء المشاعل . ويسقط فى أيدي أحمد بن بكر الذى اختفى لمدة يومين لكي يقبض عليه ، وذلك فى رمضان من سنة ٣٤٨ هـ / نوفمبر ٩٥٩ م (٥٠) .

وهكذا بعد أن قضى جوهر فى المغرب حوالى سنتين ثبت فيها أقدام الفاطميين فى كبريات الحواضر التى عهد بها الى الأولياء هناك ، عاد وبصحبه صاحبى سجلماسة محمد بن الفتح الشاكر لله ، وفاس : أحمد بن بكر ، مشهرين فى قفصين كأننا قد أعدا لهما مسبقا ، بمعرفة الخليفة المعز ، الحبير فى علم الحيل (الميكانيكا) . واذا كان حمل اميرى فاس وسجلماسة الى المنصورية يرمز الى خضوع كل المغرب الأقصى بشطريه الشمالى والجنوبى ، من تخوم سبتة الى وادى درعة ، فان قلال الماء التى حملها جوهر ، وكان يسبح فيها سمك المحيط الأطلسى (البحر المحيط) ، كان رمزا لوصول الفتوح الفاطمية فى المغرب الى منتهاها ، حيث لا أرض وراء المحيط(٥١) . أما عن عاصمة المغرب الأوسط تاهرت ، فكانت حكومتها من نصيب زيرى ابن مناد ، جزاء له على ما أظهره فى تلك الحملة من البطولة وحسن البلاء ، وخاصة فى فتح فاس(٥٢) .

(٤٩) المجالس والمسائرات ، ص ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٥٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٤ - ج ٧ ص ٨٩ - حيث

الإشارة الى فتح فاس سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م .

(٥١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٥ .

(٥٢) ابن خلدون ، ج ٩ ص ٤٧ .

د. عمول شتند بن خزر فف طاعة الفاطمففن :

والحقفة أنه اذا كان بعض بنف محمد بن خزر قد دخلوا فف طاعة الناصر الى جانب فعلى بن محمد بن صالح ، فالمرروف أن سفاة الناصر فف تقرفب فعلى والعهء له بالمغرب وأعماله ، الى جانب العقه لمحمد بن ففصل (المكناسى) على تلمسان وأعمالها ، كانت سبفا فف مرافعة محمد بن خزر - رأس الزناتفة الأكبر - لوقفه من الفاطمففن ، ودخوله من فففة فف طاعتهم . فلقد وفد على المعز فف بفاة خلافته سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٢ م ، فافكرمه وأحسن الفة فف فف أنه ظل مطفعا الى ما بعد عودة فوفر من حملته سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٨ م . بعد ذلك كانت وفادة محمد بن خزر الثانية على المعز فف سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، فف هلك بالقروان وقد تجاوز المائة من عمره . وهكفا ، فقد توفي عبء الرحمن الناصر فففة قرطبة فف نفس تلك السنة ، وقد انتشرت الدعوة الشفعفة بالمغرب ، فف مقابل تقلص النفوذ الأموى الذى لم ففكن ففجاوز أعمال سبفة وطفنة(٥٣) . وبذلك كان على الحكم المسنصر العمل على تعففل مفران القوى بما ففسمح بففع الخطر الفاطمى بعففا عن ففءو الأندلس ، الأمر الذى سوف فقع على عاتق محمد بن الففر ابن خزر (الزناتى) من الففانب الأموى . وعلى قرفنه زفرى بن مناد الصنهاجى من الففانب الفاطمى(٥٤) ، الأمر الذى فعنى بواكبر عهد الأسرة الزفرفة فف أفرففة والمغرب الأوسط ، والعصر الصنهاجى على طول بلاد المغرب وعرضها وبذلك ففبأ عصور حكم الأسر المفرفة البربرفة ، بعد الأسر المشرقة العربفة ، وهو ما سوف ففسحب على بلاد الأندلس ففضا ، وهو الأمر الذى فففكرس على أففء المعز خلال السنوات العشر الففلفة .

السنوات الأخيرة من العصر الفاطمى فف المغرب :

سفاة مزدوجة ففنتهجا المعز : ما ففن فاففء الوجود ، والعمل الجاد من أجل الرففل :

رجع فوفر الى أفرففة بعد حملته الكبرى فف المغرب ، وهو ففحمل صاحبى فاس وسجلماسة : أحمد بن بكر ، ومحمد بن واسول ، وفصعبه وفوء رهائن أهل المغرب(٥٥) ، ومنهم الفاطمففن (الأفااسة) (٥٦) ، شفاة

(٥٣) ابن ففءون ، ج ٧ ص ٢٦ .

(٥٤) ابن ففءون ، ج ٧ ص ٢٦ .

(٥٥) المبالس والمسافرات ، ص ٤٨٣ .

(٥٦) ابن ففءون ، ج ٤ ص ٤٧ .

خضوع البلاد لسلطات المعز . أما عن قلل أسماك البحر المحيط التي قدمها لسيده المعز ، فهي رمز الى أن خيرات البلاد جميعا من برها الى بحرها أصبحت دانية انقطوف بالنسبة للامام وهو مراتح في قصوره بمنصورية القيروان . تماما كما كان الرشيد يخاطب المزن العابرة فوق قصر الذهب ، قائلا : امطرى أينما شئت ، فان خراجك لي ، وكما سوف يستمتع العزيز ابن المعز ، وهو في القاهرة بأطباق طرف الكرز البعلبكي يوم ظهوره بشائرها هناك ، بفضل حسن تنظيم البريد الطائر بالحمام الزاجل ، ووجه صاحبه (مديره) ، وذلك يعقوب بن كلس الوزير (٥٧) .

سياسة مناهضة لصاحبي فاس وسجلماسة :

ويظهر من رواية القاضي النعمان في المجالس والمسائرات أن الخليفة المعز كان يعول كثيرا على القبض على زعماء الثوار من البربر ، واحضارهم أحياء لدينه ، وخاصة صاحبي فاس وسجلماسة : ابن بكر - وابن واسول ، ممن كانوا لا يقلقونه في صحوه بل ويؤرقونه في منامه (٥٨) . وإذا كان القصد بعد ذلك اشفاء غليله منهما بالعقاب مواجهة ، والاذلال (٥٩) ، فان هذا لا يمنع من أن يكون تفكير المعز قد تطرق الى امكانية اعادتهما الى طاعته بعد اخضاعهما لنوع من التاهيل النفسى اللازم لذلك (٦٠) .

(٥٧) حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ٢٩٥ - ويذكر أنه كان من الغراب ايضا ما حدث على عهد اليازورى وزير المستنصر ، من توجيه الحمام من افريقية الى مصر ، وان كان القلقسندى صاحب تلك الرواية يتحفظ قائلا : والعهدة على الراوى .

(٥٨) المجالس والمسائرات ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ . حيث يرى المعز أمير فاس في منامه ، وانظر ص ٢٥٢ - حيث يرى المعز حمد بن يصل - عميل الناصر في منامه منهزما .

(٥٩) انظر المجالس ، ص ٤٥٨ - حيث المعز يوبخهما ، ص ٤١٨ - حيث يخترع المعز لكل منهما قصفا خاصا عجيب الشكل على عجل ، له وتدان يدبران السير بين عليه ليرى كل من حوله وجهه ، ولا يعلمون بمن يديره للتشهير بهما ، ص ٣٩٠ . حيث المعز يوبخ وقد أهل سجلماسة على عصيانهم وسماحهم لصاحبهم باتخاذ لقب أمير المؤمنين وامام المسلمين .

(٦٠) هذا ما يفهم من أنه عاتبهما لعصيانهما (المجالس ، ص ٤٥٨) ، وان ابن واسول تاب أمام المعز - واعتذر بجهله وانتهازيته عندما اتخذ اللقب الخلفى (المجالس ، ص ٤١٥) ، هذا الى جانب مناظرته عندما سأل السماح له بحضور صلاة الجمعة خلف المعز ، في مسألة اتخاذ اللقب الخلفى الذى هو من حق الأئمة وحدهم (المجالس ، ص ٤١٢) ، ثم السماح لابن واسول بحضور صلاة الجمعة وما كان يدور منه بعدها من الجدل مع القاضي النعمان حول منحه اللقب ، وبمذهب آل البيت الفاطمى ، مما كان يتضح منه أن الرجل (بربرى الطبع) =

هذا ، وتضيف روايات المجالس والمسائرات عن « ابن واسول » معلومات مفيدة تسد فراغا فيما هو معروف لدينا عن أحداث سجلماسة . عنب حملة جوهر سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م . وذلك اننا نجد ، ان جانب محمد ابن واسول الشاكر لله ، في رواية النعمان ، شخصا آخر من نفس الأسرة ، كان رهينة هو الآخر في المنصورية ، وهو المنتصر بن محمد بن المعتز . أما عن كيفية وصوله الى بلاط المعز وارتبائه حين الفصل في أمره فيتلخص في أن جوهر الذي يشار اليه بلقب (القائد) فقط ، صفح عن أهل سجلماسة لتركيم الشاكر لله يخرج من المدينة دون اعتراض ثم انه ولي عليهم واليها منهم ، من الدراريين بنى واسول ، ولكنهم لم يلبثوا بعد مسيره أن ثاروا يواليه وقتلوه ، وأقاموا مكانه « منتصر بن محمد بن المعتز » ، وذلك دون تحديد التاريخ . ولكي يدراً اعيان سجلماسة عن أنفسهم سخط المعز وانتقامه كتبوا اليه يعتذرون عما بدر منهم في حق واليهم الذي أساء السيرة ويعنون ولايتهم ، ويلتمسون العفو والسماح ، الأمر الذي لم يقبله المعز الا أن يأتي وجوههم الى الحضرة ومعهم المنتصر ، وهو ما استجاب له السجلماسيون في التو واللحظة ، حيث أتى منهم مائتا رجل مع المنتصر مسارعين في أعقاب الرسول الى حضرة المعز ، وبعد ترهيب المنتصر وعتاب السجلماسيين وتقريرهم ، قرب المنتصر وصفح عنهم ، وعندما رأى المعز صرفهم ، عقد للمنتصر على سجلماسة وعملها وخلع عليهم ، كما أكرم صحبه . وكساهم (٦١) .

= لم يزد علمه في أمور الدين عن نطاق ما قرأه من كتب الطائفة ، « وكان ظن أنه ليس الحق الا ما انتهى اليه » ولكنه كان « اذا سمع الحق أصغى اليه ، واذا بين له وشرح وفسر مجمله رجع اليه واتقاد ، ولم يلج في الباطل ، كما يفعل كثير ممن اتحل مذهبا ونشأ عليه ممن شاهده » (المجالس ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥) .

(٦١) أنظر المجالس والمسائرات ، ص ٢٨٨ - ٢٩٥ . وأنظر هامش ٢ ص ٢٨٩ - حيث الاشارة الى ان المنتصر روى سجلماسة به ابيه سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٢ م ، وثار عليه ابن عمه محمد بن فتح (ابن واسول) سنة ٣٢٢ هـ / ٩٤٣ م وهو غلام حدث ، الأمر الذي لا يتفق زمنيا مع رواية المجالس هذه . والحقيقة انه يمكن ايجاد تفسير لقصة ذلك اللبس الذي يحيل بأبن واسول الرهينة في بلاط المعز ، اذا أخذنا برواية ابن عذارى التي تنص على مقتل ابن واسول الأول على يدي جوهر (أنظر فيما سبق ، ص ٤٣) . ثم القبض على المنتصر بعد ما أحدثه في المدينة عقب انصراف جوهر ، وذلك أثناء وجوده في المغرب انتظارا لفتح مدينته فاس ، فيكون ابن واسول الذي حمله جوهر الى جانب أبي بكر صاحب فاس في القفصين (الميكانيكين) ، هو المنتصر ، وهنا يكون المائتا رجل الذين صحبوه هم في الحقيقة رعاثن أهل سجلماسة والمنطقة . وبذلك يصرّف النظر عن قصة مكاتبة أهل سجلماسة للمعز . وذهاب المنتصر مع وجهانهم بحض ارادتهم - وهو الأمر المقبول .

رد الفعل الأموي في الأندلس :

كان للانتصارات التي حققها جوهر على أمراء الزناتية في المغرب رنة حزن وأسى في نفس الناصر بقرطبة - حيث فشل الدعم العسكري الذي كان يعده في المرية (٦٢) لمساندة أنصاره في المغرب ، والذي أصبح غير ذي موضوع بعد أن وصلت أنباء القضاء على يعلى بن محمد بن صالح ، تابعه في تاهرت ، ولجوء أهله الى الأندلس (٦٣) . ولا ندرى ان كانت مثل هذه الأنباء الحزينة قد أثرت في نفسية عبد الرحمن الناصر الذي توفي بعد ذلك بفترة قصيرة في سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م .

والمهم أن ابن الناصر وخليفته ، الحكم المستنصر ، وهو الأمير العالم ، المشغول بإثراء مكتبته الذائعة الصيت ، سار على نفس سياسته القوية في مناهضته للنفوذ الفاطمي في المغرب ، والتي وانتهت الظروف المناسبة حتى نص ، ابن عذارى ، على أنه « طاع له المغرب كله » (٦٤) ، ولا بأس أن يكون قصد ابن عذارى ما حدث فيما بعد ، بفضل نشاط محمد بن أبي عامر ، واستغراق المعز في الاعداد لحملة مصر ، ثم نقلته الى القاهرة ، ووقوع عبء مواصلة الصراع مع الأمويين على عاتق آل زيروى الصنهاجيين .

الكفاح من أجل الهيمنة على العمدة وتامسنا :

فمن الواضح أنه في سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م والسنوات التي تليها كان الحكم المستنصر يكافح من أجل اقرار سلطانه في سبتة وطنجة وما يجاورهما - كإقليم تامسنا حيث قبائل برغواطة المتهمه بانحرافاتها الخارجية ثم الزندقية . والحقيقة أن الحكم المستنصر حقق نجاحا هائلا في سياسته المغربية عندما استقبل سفير أمير برغواطة وقتئذ ، وهو : أبو عيسى منصور ابن أبي الأنصار الذي كانت ولايته بعد أبيه ٣٤١ هـ / ٩٥١ م ، وذلك في شوال من سنة ٣٥٢ هـ / أكتوبر ٩٦٣ م . أما السفير فهو أبو صالح زمور البرغواطي وبصحبه ترجمانه الى اللغة العربية ، وهو : عيسى بن داود المسطاسي . فالى الحكم المستنصر يرجع الفضل في تعريفنا بمنطقة تامسنا وأهلها ، وتاريخ الأسرة الحاكمة فيها ، التي ترجع الى طريف (ابن ملوك) .

(٦٢) المجالس ، ص ٢١٧ .

(٦٣) المجالس والمسايرات ، ص ٢١٧ .

(٦٤) البيان ج ١ ص ٢٢٧ ، ط : بيروت ، ج ص ٣٢٤ .

صاحب الحملة الاستكشافية الأولى في فتح الأندلس ، وابنه صالح (بن طريف) الذى سمى نفسه صالح المؤمنين ، والمهدى الأبر ، فكانه كان يتشيع رغم ما تنص عليه الرواية من أنهم بدأوا خوارج صفرية ، مناصرين لميسرة المدغرى ، سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م (٦٥) . وهكذا يكون تاريخ المغرب مدين للحكم المستنصر ، وللبعثة البرغواطية التى أتت تقدم فروض الطاعة للعاهل الأندلسى ، بمعلومات طريفة عن حقبة خفية من تاريخ تامستا وعادات قبائلها البرغواطية التى تعد من فروع قبائل المسامدة ، وخاصة ما يتعلق بقضية زندقته مما يجب أخذه بشئ من الحذر والحيطه (ما سبق ، ص ٢٠٩ والهامش ٤٣ ص ٢١٠) .

وإذا كان الحكم المستنصر قد اطمئن الى ولاء برغواطة ، البعيدة نوعا ما عن المجاز ، فإنه كان فى السنة التالية ٣٥٣ هـ / ٩٥٤ م يعمل على شراء رضا أهل سبتة عن طريق رفع الضرائب عنهم ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بمسا عليهم من ديون (التقسيط) حيث وقع عبء سدادها على أهل شرف اشبيلية (٦٦) .

سقوط كريت بين أيدي البيزنطيين :

أما عن أهم أحداث سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م فى شرق البحر المتوسط فهو سقوط جزيرة كريت « اكريطس » التى كانت تابعة نظريا الى الخلافة العباسية منذ أن استولى عليها الأندلسيون عند خروجهم من الاسكندرية سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، بين أيدي الروم البيزنطيين بقيادة تقفور فوكاس (٦٧) . وهو الأمر الذى عمل المزم على الاستفاد منه منذ أن علم بخبره عن طريق بعض وسطاء الأخشيدي صاحب مصر (المجالس ، ص ٤٤٤) ثم عندما طلب منه أهل كريت المعونة (المجالس ، ص ٤٤٦) الى أقصى حد . فلقد اتخذ من تدخله فى شئون المسلمين فى جزيرة كريت ذريعة للتدخل فى شئون مصر عن طريق تدبير خطة مشتركة للعمل مع

(٦٥) أنظر البكرى ، ص ١٣٦ - ١٣٧ م ، ابن عشارى ، ج ١ ص ٢٢٣ وما بعدها .

(٦٦) ابن عشارى ، ج ١ ص ٢٢٧ .

(٦٧) أنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٧ - حيث نازل الروم الجزيرة فى ٧٠٠ مركب واقتحموها عليهم ولم يتمكن المسلمون من استعادتها ، وقارن ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض المتوسط ، الترجمة العربية ص ٢٩٥ - ٢٩٦ - حيث النص على أن القوى البحرية البيزنطية تكونت من ٢٠٠٠ سفينة حربية منها ١٣٦٠ سفينة للمؤن والامداد .

الأخشيديين ، حسبما يشير اليه النعمان ، من الهدنة التي عقدت بين الروم
والمعز في سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م ولادة خمس سنوات ، وما يرد في كتاب
المعز أيضا الى امبراطور الروم والأخشيدي والى مصر (٦٨) .

تهديد الامبراطور الرومي :

فبمجرد وصول خبر غزو الروم للجزيرة يادر المعز بالكتابة الى
امبراطور الروم يهدده بالغاء الهدنة بينهما اذا استمر في العدوان على أهل
كريت الذين بعثوا اليه بسفيرهم باعتبارهم فى حمايته ، وعلى أساس أنه
صاحب أمر المسلمين بالحق الالهي ، سواء أطاقوه أو امتنعوا منه (٦٩) .

محاوثة اجتذاب الأخشيدي فى مصر للهل سوية :

أما عن كتابه الى أبني الحسن على الأخشيدي فى مصر - عن طريق وسيط
- فقد نص فيه على أن الله خوله أن يكف أيدي الكفرة عما تناولت اليه من
حرب المسلمين فى هذا الصقع وهو مع ذلك يحثه على الجهاد وتقديم المعونة
البحرية لأهل دعوته من الكريتيين ، ويعدده بعدم الخوف منه على مراكبه التى
ستعود اليه بعد أن يتم لهم الفتح . وهو يعد أن يطمئن الأخشيدي على
مراكبه ويعطيه المواثيق والعهود ، يطلب منه أن يبعث المراكب المصرية الى
مرسى « طبرقة » من أرض برقة ، لقربه من جزيرة اقريطش (٧٠) . ولقد
حدد المعز موعد اجتماع الأسطولين المصرى والفاطمى فى مرسى برقة هذا ،
فى أول ربيع الثانى من سنة ٣٥٠ هـ / ٢٠ مايو ٩٦١ م . والمعز يختم خطابه

(٦٨) المجالس والمسائرات ، ص ٤٤٢ ، هـ ١ ص ٤٤٣ - حيث الاشارة الى أن هدنة سنة
٣٤٦ هـ / ٩٥٧م كانت بين المعز وقسطنطين السابع ، وأنظر حسن ابراهيم وطه شرف ،
المعز لدين الله - القاهرة - ١٩٤٧ ، الملحق الأول ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ط ٢٠ ، ١٩٦٣ ،
ص ٤٦ ، ٤٧ - حيث الاشارة الى توجه عرب كريت نحو بغداد وسيف الدولة الحمدانى وصاحب
مصر فلما لم يسعفهم هؤلاء ، ولوا وجوههم شطر المنصورية ، وكان رد فعل المعز الاتصال
بالأخشيديين للتعاون وتحذير الروم .

(٦٩) المجالس ، ص ٤٤٤ وهـ ١ - وهو هنا بضرب المثل للامبراطور قسطنطين (السابع)
بما فعله هو وأبوه من التمسك بحقيهما فى استرجاع ملكهما الذى كان اغتصبه رومانوس
(رومانوس) ليكاتب سنة ٩١٩ م .

(٧٠) أنظر المجالس ، ص ٤٤٥ حيث القراءة مرسى طينة من أرض برقة ، هـ ٣ - حيث
اقترح ان تكون الكلمة تحريف للبدية ، وهى مدينة برقة الأثرية ، اما اقتراحنا طبرقة فهى
بناء على قراءة حسن ابراهيم وطه شرف مما أشرنا اليه أعلاه (هـ ٦٨ ص ٢٤١) .

هذا ، بأنه سيرسل أساطيله لمساعدة المسلمين في الجزيرة على كل حال ،
سواء استجاب الاخشيدي لدعوته تلك أم لم يستجب (٧١) . وهو الأمر
الذي لا نجد له صدى بعد ذلك في النصوص . ولا شك انه لم يكن من
مصلحة المعز أن تتفاقم مشكلة كريت بينه وبين الروم بحيث تؤدي الى
صراع يمكن أن تكون له آثاره السلبية على مشروع فتح مصر .

هل تحققت الأمانى :

المعز يرسي قواعد الاحتفالات الفاطمية الشعبية الكبرى :

احتفالات الحتان :

والذي ينفث النظر أنه في السنة التالية ، وهي ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م ،
التي أعقبت غزو الروم لجزيرة افريطش كانت مجالاً لاحتفالات شعبية كبرى ،
مما أرسى قواعده المعز ، وذلك بمناسبة عملية الاعتذار أو الحتان التي كانت
تجرى لصغار أولاد المسلمين ، فجعلوها وكأنها أول مراسم سن البلوغ ،
بمعنى « الرشد الدينى » ، من حيث أنها عملية ظهور وتطهير ، مما يجب
القيام به قبل الصلاة ، قريبا من مطلب الوضوء أو أدنى من ذلك الى مطلب
الاغتسال من الجنابة ، والتي أصبحت من وقتئذ نوعا من التعميد عند غير
المسلمين ، بما يتطلبه من احتفال يشيع خبره بين الناس ، وتبقى أصداؤه
في نفوس الصغار والكبار .

هكذا قرر المعز في مطلع سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م بمناسبة ما قرره من
ظهور أبنائه الثلاثة : عبد الله ونزار (العزيز) وعقيل ، أن يجعل من ذلك
احتفالا شعبيا عاما ، يشارك فيه أهل المملكة على طول الشمال الافريقي من
برقة شرقا الى سجلماسة غربا ، ومن صقلية شمالا الى بوابات السودان في
الصحراء جنوبا ، وذلك لمدة شهر كامل ، وهو شهر ربيع الأول من تلك
السنة ، الذي كان يوافق موسم الربيع فعلا حيث امتد من ٩ ابريل الى
٨ من مايو ، فكانه « نوروز » فارسي أو « نسيم » مصر .

(٧١) المجالس ، ص ٤٥ - ٤٤٦ . أما عن رسوئ أهل كريت الذي وصل الى المعز
متأخرا بعض الشيء ، فقد بين للمعز خطورة استيلاء الروم على جزيرة كريت ، بسبب موقعها
الاستراتيجي الهام الذي يربو أن يمكنه من فتح القسطنطينية والمشرق . الأمر الذي استحق
عليه تقدير المعز ، مع الإشارة الى انه لو كان قد جاءه في وقت مبكر لكانت أساطيله وقتئذ
عندهم . وانظر بحثنا « موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين في افريقيا ونقلتهم الى مصر » .
مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، المجلد ٦ سنة ١٩٥٨ ، ص ٩٣٩ .

وأخطر المعز الخاصة من رجال البلاط وأهل الحاشية والجند والعبيد ، وكذلك سائر أهل الحضرة من التجار والصناع وعامة الرعية بالمنصورية والقيروان وسائر مدن أفريقية وكورها من حاضر وباد ، كما أصدر الأوامر الى المسؤولين عن الولاية والعمال في سائر أنحاء الدولة بأن يتقدموا في ظهور أبنائهم يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ / ٩ أبريل ١٩٦٢م الى انقضاء هذا الشهر ، كما صدرت الأوامر أيضا بإرسال الأموال اللازمة للاتفاق على عملية الطهور ، وما يصاحبها من الخلع والهدايا على الصغار « المتطهرين » وأولياء أمورهم ، والظاهر أن نصيب كل ولاية من مال الطهور قدر بحوالي خمسين حملا من المال ، وهو القدر الذي أرسل الى صقلية فعلا ، دون حساب الخلع والكسي (٧٢) .

وكان قصر البحر (برقادة) هو المركز الرئيسي لعملية الختان العامة . فغذي ساحته ضربت السراذقات حول بركة الماء الشببية بالبحر ، حيث كان الحفل الكبير يجري تحت اشراف المعز شخصيا ، الذي بدأ بختان أبنائه ثم سمح لبقية الحضور من الصبيان ، مع كافة أصناف طبقات السلم الاجتماعي ، بالدخول مع من صاحبهم من الآباء والأمهات أو العبيد والخدم . هذا ولقد زاد من تسارع الناس بأبنائهم الى الختان ما أعطى للعملية من صبغة رسمية ، وما أشيع من أنها ستكون « سبعية » بمعنى دورية كل سبع سنوات ، فكان ذلك مما تقضى به أصول المذهب « مذهب السبعية » ، وأن الخروج على ذلك يعتبر انحرافا عن الرغبة الامامية ، وهي الشائعة التي استحسناها المعز ، طالما كانت في مصلحة الجميع . ولقد استنفرت الاشراف على العملية الكثير من وقت المعز الذي كان يجلس لاستعراض صفار المتطهرين ، من وقت الضحى (الغداة) حيث يمرن بين يديه فيصيبون من الكساء والصلوات جميعا ، دونما استثناء ، وان كانت هداياهم تبعا لتصنيفهم الاجتماعي والطبقي من : الشرفاء والخاصة الى العامة والعبيد السودان . وكان متوسط ما يعطى لكل صبي من أهل الحاضرة ، غير الكسوة ، من ٢٠٠ (مائتي) درهم الى ١٥٠ (مائة وخمسين) درهما ، أما أقل ما أعطى لصبيان أهل البادية فهو ١٠ (عشرة) دراهم (٧٣) .

(٧٢) المجالس والمساربات ، ص ٥٥٦ .

(٧٣) انظر المجالس والمساربات ، ص ٥٥٧ - حيث جرت عملية الختان عن طريق جلوس

المتطهرين في السراذقات على الكراسي وبين أيديهم المقاعد المرتفعة (المناير) للجلوس الصبيان =

أما عن أعداد سفار المتطهرين فقد بلغ متوسطها اليومي بالحاضرة ، خلال شهر الاحتفال ما بين ٥ (خمسة) آلاف و ١٠ (عشرة) آلاف صبي ، ولا ندرى مدى صحة هذه الأرقام قياسا على ما قيل من أن جملة من تطهر من صبيان صقلية بلغ ١٥ (خمسة عشر) ألفا ، وسواء صحت تلك الأرقام أم كان مبالغا فيها(٧٤) ، فقد كانت بالنسبة لأهل ذلك الزمان تسييرا عن كثرة المتطهرين العسغار ، وقبل ذلك عن كثرة ما أنفق عليهم من الأموال ، الأمر الذي كان يثير شفقة بعض المسؤولين من رجال الدولة كناقض النعمان الذي أسر الى سيده بما انتابه من القلق لولا تظمين المعز الذي هدأ من روعه ، عندما عرفه أنه أعد للأمر عدته ، وأنه عزل من المسال ما يستغرق انفاقه بقية الشهر ، وإن القصد من ذلك هو الخير للناس مع اقامة الفرض ، واحياء السنة المحمدية والملة الابراهيمية . والمهم أنه لم يناقض الشهر الا وكان جميع الصبية ، في كل المملكة ، قد تم تطهيرهم عن آخرهم حسبما رسم المعز وقسن(٧٥) .

وعن هذا الطريق بدأ المعز في المغرب ارساء قواعد الاحتفالات والرسوم الفاطمية بهذا العيد الشعبي الكبير الذي ظل أمده شهرا كاملا . فكانت أيامه : « أيام أعياد ومسرات وأفراح وهبات لكل وجية وجهه من مملكة أمير المؤمنين من بدو وحضر ، وعمهم فضله وتبين عليهم أثره . وارتفق به أغنياؤهم ، وانتعش له فقراؤهم ، ودخلت المسرة على أهل كل بيت منهم ، وكان له أثر جميل لم يسبقه اليه (صغ) أحد قبله ٠٠٠ » ، كما يقول النعمان(٧٦) . ولا شك أن مرامي المعز من ذلك العيد كانت أبعد من المظاهر الاحتفالية التي سماحته ، وذلك بشد الرعية الى امامها الذي يكرمها ،

والمساعدون يسكونهم في حجورهم ، ويذرون الذرارات المسككة للدم على خناناتهم ، ويقفون بالخور وماء الورد على رؤسهم ويرشونهم على وجوههم لما يعثريهم من الروع - والنجر من أهل السند بأصناف الملاعب قيام عليهم يلهونهم ، ويصحبون من طهر منهم ، يزفون به الى منزله .

(٧٤) انظر المجالس ، ص ٥٧٧ وهـ ٢ - حيث التعليق على تلك الأرقام بأنها خيالية مبالغ فيها ، وقارن ص ٥٥٨ - حيث النص على أن عدد المتطهرين في آخر يوم من الشهر بلغ ١٢٠٠ (اثني عشر) ألف صبي .

(٧٥) المجالس والمساربات ، ص ٥٥٨ .

(٧٦) المجالس ، ص ٥٥٨ .

ويأخذ بيد الضعفاء منها ، ومساندة دولته وتأييد سياسته (٧٧) .

فكان المعز يؤيد أعماله العسكرية التي هدفت الى تثبيت أقدام الأسرة الناطمية بالترهيب ، بأعماله السلمية التي قصدت اكتساب قلوب الرعية المغربية بالترغيب - وكل ذلك كما نرى ، كمقدمة للحفاظ على وحدة الدولة عندما يتنهاى لها تحقيق أملها في الهيمنة على المشرق بدأ بفتح مصر .

السياسة الدينية :

وهنا يمكن ادخال ظاهرة الختان الكبرى هذه ، وما صاحبها من التوسعة على الرعية ، وبخاصة الفقراء وأهل الحاجة منهم ، في اطار سياسة المعز الدينية ، من حيث اعتباره مقنن المذهب الفاطمي وواضع قواعده . وان كان بقلم النعمان ، قاضيه ومستشاره وكبير دعااته مما سبقت الإشارة اليه (أنظر فيما سبق ، ص ٢٢٠ وهـ ٣) ، فهو يجعل مسألة الختان جيها في سبيل اقامة فروض الدين والسنة النبوية والملة الابراهيمية ، مما ذكر أعلاه .

اتتمسك بشعائر المذهب :

اما عن سياسته الدينية فتتمثل في اكمال ما كان بدأه الرواد الأوائل ، من : الداعي أبي عبد الله وأخيه أبي العباس ، والقاضي المروزي ، وما كان آكده المهدي ثم القائم من شعائر مذهب أهل البيت مما يتعلق بالأذان والصلوة مما يقع فيه الاختلاف مع أهل السنة وخاصة المالكية منهم ، الأمر الذي ربما كان قد وقع فيه شيء من التراخي ، وخاصة بعد تجربة أبي يزيد النكاري - ففي سنة ٩٣٤هـ / ٩٦٠م أصدر المعز أوامره الى أئمة المساجد والمؤذنين يأمرهم بالألا يؤذنوا الا ويقولوا : « حى على خير العمل » ، وأن يقرأوا « بسم الله الرحمن الرحيم » في أول كل سورة ، وأن يسلّموا تسليمتين ، وأن يكبروا على الجنائز خمسا ، وألا يؤخروا صلاة العصر ، ولا يبكروا بالعشاء الأخيرة (٧٨) .

(٧٧) أنظر المجالس ، ص ٥٥٩ - حيث تظهر مشاعر المعز الانسانية هذه فيما عبر به عندما قال : والله لقد ساءنى من رأيتك يمر بى من أهل الفقر والمسكنة ، وان كانوا قليلا في كثير ، لأنهم رعبتنا ومن نحب ان يكونوا أغنياء تظهر نعمة الله (تع) عليهم بنا ، إذ قد جرى مثل هذا .

(٧٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٢٣ . هذا الى جانب تنظيم الاحتفالات الجنائزية بسبع النساء المصليات من الصباح خلف الميت ، وعدم قراءة العيان القرآن بالمقابر الا عند الدفن فقط ، =

احياء التلاعن مع الامويين :

وهنا لا يس من الاشارة مرة اخرى الى أن الصراع السياسي مع الامويين بالاندلس من اجل السيطرة على المغرب ، والذي بقا على عهد المعز بما قام به البحرىون الاندلسيون من الاعمال العدوانية ضد رجال المعز ، وما ترتب على ذلك من تبادل الاعمال الانتقامية ، تم ما قام به المعز من فرض الهيمنة الفاطمية بالقوة حتى شواطئ المحيط فيما وراء طنجة ، وبالتحالف مع زعماء البربر ، والتقارب مع أبناء العم الآخرين من الفاطميين الادارسة . اصحاب فاس أو بنى محمد اصحاب حجر النمر . كل ذلك كان سببا فيما يمكن أن يقال انه احياء لصراعات فننة التحكيم العلوية الأموية ، وما ترتب عليها من تبادل العن من فوق المنابر ، الأمر الذى استمر على عهد الامويين الى خلافة عمر بن عبد العزيز صاحب الفضل فى منعه . وهكذا كان الصراع من أجل المغرب الأقصى ومنطقة العادوة المغربية سببا فى احياء التلاعن الدينى بين الفاطميين والامويين ، على عهد الناصر ، منذ أن اتخذ اللقب الخلفى بخاصة ، الأمر الذى أثار حساسية شديدة لدى الفاطميين الذين اعتقدوا أنهم اصحاب الحق وحدهم فى حمل اللقب .

ومن الواضح أن الناصر الأموى وأتباعه من أمراء البربر كانوا يكتفون بتسجيل لعن الفاطميين الشيعة فى الخطابات الرسمية المتبادلة فيما بينهم ، بل وربما بالغ زعماء البربر فى ذلك اكتسابا لرضاء الناصر ، ولكن الفاطميين خرجوا عن هذا النطاق الى لعن الامويين من فوق المنابر ، وكأنهم يأخذون بثأرهم من الامويين الذين مارسوا اهانتهم فى خطب الجمعة لأكثر من نصف قرن . فهذا ما يفهم مما فعله الناصر الأموى عندما أرسل مبعوثا من لدنه ، عن طريق وسيط ، الى المعز يطلب الصلح ، ويحتج على

ما يدخل فى جهود المعز كرائد ترتيب الرسوم الفاطمية . والى جانب ذلك تذكر محاولة المعز تصحيح اتجاه قبلة القيروان التى كانت متحرقة نحو الشرق منذ أن بناها عقبة ، كما تقول بعض الروايات ، وأن المعز عندما وجد معارضة شعبية لذلك على أساس ان من مس قبلة عقبة أصابه الله بسوء بدعاء عقبة المستجاب ، قرر المعز الانتقام منهم بنش قبر عقبة بتهودة ، وأرسل لذلك سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م (٥٠٠) خمسمائة) رجل ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك إذ تارت بهم العواصف التى ردتهم على أعقابهم - البكرى ، ص ٧٤ - وقارن الاستعمار . ص ١١٤ .

• يمارسه المعز من لعنتهم وهم مسلمون (٧٩) • وإذا كانت تلك الرواية لا تشير الى اللعن من فوق المنابر ، فان المعز يشير في مجلس آخر ان أنه بلغه أن الناصر يلعنهم على منابره « كلعن سلفه الفسقة لأمر المؤمنين على (عم) وينكر علينا لعنه » (٨٠) •

التائب المعلن عن أسبابه الخلاق :

هنا ، كما كان اتخاذ عبد الرحمن الناصر لقب الخلاعي ، من وجهة النظر الشيعة الذاتية داخلا في ذلك الصراع الديني (السياسي) القائم بين الطرفين ، على أساس أن الامامة والخلافة وقف على الائمة القاطمين ، دون ودون من سواه » ، ومن حيث ما يروونه من ان الله فرض عليهم محاربة من اشتمل ذلك دونهم وإدعاه • وبناء على ذلك يقول المعز لخواصه : « ما أنا بالمؤمن في دين الله ، ولا الراكن بالمودة الى أعداء الله ، ولا بالخادع في أمر من أمور الله » (المجالس والمسائرات ، ص ١٦٨) •

والمعروف ان تلك المراسلات تمت عن طريق بعض خواص كل من الطرفين ، أي الناصر والمعز ، الأمر الذي يعنى أن المسألة كانت تتعلق

(٧٩) انظر المجالس والمسائرات ، ص ١١٥ - ١١٦ - حيث يسير المعز في رده الى تأويل بعض الكلمات في عدد من الآيات القرآنية على أنها تعنى الأمويين ، مثل : الا لعنة الله على الظالمين (هود ، ١٨) والشجرة الملعونة في القرآن (الاسراء ، ٦٠) ، والتي تشمل الأصول والفروع •

(٨٠) انظر المجالس والمسائرات ، ص ١٧٦ - ١١٧ - حيث يستخدم المعز نفس الجدول الذي يستند في لعنه للأمويين الى تأويل بعض الآيات القرآنية (كما في الهامش السابق) مع الإشارة الى قوة سنده في لعن الأمويين الى الآيات القرآنية ، بينما الناصر ، عندما يلعنه أو يشتبهه فيالافتداء بسلفه الذين شتموا (الرسول ؟) ولعنوا وصيه الى جانب تفسيره اللعن بمعنى الطرد والابعاد من الجماعة وهو ما فعله النبي بهم - الأمر الذي اقتنع به رسول عبد الرحمن الناصر ، قبل أن ينصرف عائدا الى بلده • وقارن أيضا ص ٢٨٥ - حيث ينص المعز على عده بأن الأمويين لعنوه على منابرههم بالأندلس كما يلعن أبائهم عليا ، مع تكرار القول بأن الطرد يعنى اللعن ، وهو الأمر القديم فيهم منذ أيام الرسول ، مع النص على ان افتخار الأمويين بالانتساب الى عبد الملك بن مروان أمر لا يعتز به ، فهو اللعن بن اللعنين : الحكيم ومروان ، وهو الأمر الذي يرد عليه ابن خلدون في المقدمة ، مستندا الى مالك بن أنس في الموطأ - حيث يشهد بعدالة عبد الملك ومروان - انظر العسر ، ج ١ فصل ٢٨ عن انقلاب الخلافة الى ملك ، ص ١٧٢ - حيث يقول فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك ، وأما مروان فكان من الطبقة الأولى من التابعين وعدلتهم معروفة •

بوساطة خير تهدف الى حقن دماء المسلمين . واذا كان القاضي النعمان لا يحدد تاريخ تلك المراسلات ، فمن الواضح من روايته أنها تمت قبل حملة جوهر الكبرى التي سيرها المعز الى عدوة الأندلس والمغرب الأقصى سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م ، فهذا ما يفهم مما تقوله الرواية من أن رسول الأموي عندما رجع يلج في الصلح من جديد ، صرفه المعز خائبا دون جواب ، « وأمر بتجهيز الجيوش الى أرض المغرب لتتبع كل من مال الى بني أمية بالقتل ، واجتياحهم عن جديد الأرض . فاذا طهرها الله منهم فيما والاه من البربر جهزهم اليهم - ان شاء الله - في البحر لقطع دابرهم ، واصطلامهم عن آخر بحسول الله وقوته » (٨١) .

في الحرية المذهبية والحق :

وفي مجال ذلك الصراع المذهبي السياسي وما دار حوله من الجدل ، يرفض المعز ما يباهى به الناصر من تركه الحرية المذهبية للناس يختارون ما يحبونه من المذاهب دونما اكراه حتى « نزع الناس اليه وسكنوا بلده لذلك » ، على أساس أن ذلك سمة حكم المتغلبين من الأمراء غير الشرعيين الذين يسعون الى عاجل الدنيا ولا ينظرون في أمور الدين (٨٢) .

اما عن ادعاء الناصر بضع حجاج أهل الأندلس من المرور بأفريقية ، فهو الأمر الذي ينفيه المعز ، بل ويلقى على الناصر (الفاسق) بتبعته ، لثلا يؤدوا بزعمه أخباره اليها . والحقيقة أنهم يذهبون ويرجعون دون أن يمنعيهم أحد . « وكيف نصده عن بيت الله ونحن أهله أم نمنع من زيارة قبر جدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ونحن ولده (٨٣) . وهنا لا بأس

(٨١) المجالس والمسائرات ، ص ١٧٠ .

(٨٢) أنظر المجالس والمسائرات ، ص ١٦٠ - ١٩١ - وذلك حسبما تقضى قواعد المذهب الفاطمي ، من : ان الله عز وجل يرسل الرسل و (ما) اقام الأئمة الا لاطهار دينه ، وتقويم عبادته عليه ، والدعاء اليه . اما عن سبب نزوح الناس الى بلده ف « لما أباح لهم من شرب الخمر والمجاهرة بالفاسق » . اما عن اقتخاره بنزوح الناس الى بلده ، فالمعروف انه لا توجد قرية فضلا عن المنابر والمدن ، من المغرب الى المشرق ، الا وفيها طائفة من أهل الأندلس قد نزحوا اليها ووطنوا بها . وان كثيرا منهم ليذكر ان الذي نزع به خوف سخط الله لما رآه من اظهار الماهي ببلده ، فضلا عن تنقل الناس بين البلدان واختيارا ولغير علة على قديم الزمان في كل مكان .

(٨٣) المجالس والمسائرات ، ص ١٩٣ .

من الإشارة الى أن اعلان أمان المعز لأهل مصر الذى قرأه جوهر عليهم عندما دخل الفسطاط فى أواخر شعبان سنة ٣٥٩ هـ / أوائل يوليه ٩٧٠ م ، والذى كان بمثابة اعلان مبادئ الحكم (أى الدستور) الفاطمى ، المبني على أصول الاسلام والسنة النبوية ، فى مقابل دستور الحكيم الاخشيدي العباسى المبني على الأغراض الدنيوية والأهواء الفاسدة (٨٤) ، كان من بين بنوده ما ينص على « اقامة الحج الذى تعطل » - بسبب القرامطة أبناء مذهبهم الاسماعيلي ، و « أن أجبركم فى المواريث على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) واضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى ، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال » و « رم المساجد وتزينها بالفرش والايقاد » ، وبيان أن الاسلام سنة واحدة وشرعية متبعة ، وأن « يجرى الآذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه ، والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله فى كتابه ، ونصه نبيه (صلى الله عليه وسلم) فى سنته (٨٥) . وهذا يعنى ان الاصلاح الدينى كان فى مقدمة البرنامج السياسى الذى أعده المعز لمصر .

أحوال المغرب ما بين فتح جوهر لمصر ونقل المعز اليها :

والحقيقة أن المعز كان على أهبة الاستعداد لفتح مصر بمجرد وفاة الأستاذ الأسود أبو المسك كافور الاخشيدي (٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م) ، الذى آل اليه حكم مصر بعد وفاة ولدى الاخشيدي : أنوجور (ت ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م) وعلى (أبو الحسن) (ت ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م) . وساءت العلاقة بينه وبين اخوة الاخشيدي الذين كانوا وقتئذ لاجئين ببلاد الشام . فالمعز كان على دراية بالفراغ السياسى والدستورى الذى سيحدثه اختفاء كافور عن مسرح الأحداث فى الفسطاط ، والظاهر أنه كان على دراية أيضا برقة حالة كافور الصحية . وهذا ما تعبر عنه الرواية التى كانت تقول ان فتح مصر يتم عندما يزول الحجر الأسود (٨٦) ، كناية عن وفاة كافور ، فى تلك الأوقات

(٨٤) حيث استشرى الفساد ، ليس بين رجال الدولة فقط ، بل بين النساء الاخشيديات أيضا ، حيث كانت بعضهن تشتري الجارية الغالية الثمن من أجل الاستمتاع بها - انظر اتعاط الحنفا ، ص ١٣٤ - حيث اشترت الأميرة الاخشيدي صبية مغربية ، كانت السلطات الفاطمية قد دستها فى أسواق القسطنطين ، ب ٦٠٠ دينار لتنتج بها .
(٨٥) انظر كتاب أمان جوهر فى اتعاط الحنفا للمقرئى ، ص ١٤٨ - ١٥١ ، وحسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .
(٨٦) اتعاط الحنفا ، ص ١٤٦ .

الصعبة حيث كانت مصر تعاني من سوء الأحوال الاقتصادية نتيجة لدهوره
العمل والوباء التي آلت بها بسبب انخفاض فيضان النيل الذي استمر
لتسع سنوات متتالية ، من : ٣٥١ - ٣٦٠ هـ / ٩٦٢ - ٩٧١ م (٨٧) .

الأعمال التمهيدية :

وهكذا فلا بأس أن يكون المعز قد بدأ الأعمال التمهيدية لفتح مصر
منذ سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م ، حيث صدرت أوامره بحفر الأبار على طول
الطريق الى مصر ، وبناء الاستراحات ، من : المنازل والقصور (٨٨) ، وذلك
تحت تأثير علم الحدان الذي كان يعرفه الأئمة ، وضغوط الأتباع من
الشيعة والدعاة الذين اعتقدوا في ذلك ليس في حصرة الخلافة بالقيروان
بل وفي مصر والمشرق (٨٩) . وكان من الطبيعي أن يستغرق هذا العمل
عدة سنوات ، ولا بأس أن تكون وفاة كافور سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م ، قد
زادت من همة المعز في إنجاز تلك الأعمال . ففي تلك السنة كان المعز
منهمكا في ترتيب صناديق الأموال التي بلغت الآلاف في قصر المنصورية ،
والتي قدرت قيمتها بـ ٢٤ (أربعة وعشرين) مليون دينار (تماط الحنفا ،
ص ١٣٨) ، ويعهد بها الى صاحب بيت المال ، مما تأتي الإشارة اليه
(ص ٢٥١) . كما تصنيف رواية ابن خلدون أن المعز خرج بنفسه ، في
قلب الشتاء الى المهديّة ، وأخرج من قصور آبائه ٥٠٠ (خمسمائة) حمل
من المال عاد بها الى القيروان ليزيد ميرة بيت المال بقصر المنصورية (٩٠) .

جولة مبدئية في بلاد كتانة :

هنا ، وتصنيف رواية ابن خنكان أن المعز أصدر أوامره الى جوهر
بأن يتجهز للخروج الى مصر . وإذا كانت تلك الرواية تقول ان جوهر

(٨٧) انظر اغانة الأمة للمقريزي ، ص ١٢ - ١٣ - حيث كان مستوى الفيضان ما بين
١٢ ذراعا (كما في سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) و ١٥ ذراعا ، كما في سنة ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م - الأمر
الذي لم يقع مثله في المئة الاسلامية كما يقول المقريزي .
(٨٨) تماط الحنفا ، ص ١٣٨ - وقارن المؤنس لابن أبي دينار ، ص ٦٤ .
(٨٩) انظر المجالس والمسائرات ، ص ٥٠٧ - حيث كان المنصور يتنبا للمعز ، ابنه ،
يفتح مصر ، ص ١٣٨ - حيث كان المعز نفسه لا يشك في افتتاح المشرق قريبا ، ومن ٤٧٥
- حيث يعجز وفد مشرقى يبحث المعز على فزو المشرق .
(٩٠) وفيات الأعيان ، ترجمة المعز العميدى ، ج ٥ ص ٢٣٦ ، وقارن ابن أبي دينار
المؤنس ، ص ٦٤ - حيث الخروج دون ذكر فصل الشتاء ، وقصور أبيه بدلا من آبائه .

بدأ بالحروج الى جبهة المغرب لاصلاح اموره وكان معه جيش عظيم ، الأمر الذى يوحى بقيامه بحملة جديدة على بلاد المغرب ، قد ينهك فيها قواه فى ذلك الوقت غير المناسب ، فان بقيه الرواية تجعل تلك الحملة من الأعمال التمهيدية المقبولة بالنسبة لفتح مصر . فرواية ابن خلكان التى تظهر أصداؤها عند ابن أبى دینار ، تشير الى أن الهدف من الحملة كان حشد الأجناد من قبائل كتامة(٩١) ، فى اقليم القبائل الصغرى ، الى جانب جباية الأموال التى كانت على « قطائع » البربر ، والتى بلغ مقدارها ٥٠٠ (خمسمائة) ألف دينار(٩٢) .

وعندما عاد جوهر من جولته تلك فى بلاد كتامة بعد أن تم له ما كان يبغيه من حشد الرجال والأموال ، وذلك فى ٢٧ من المحرم سنة ٣٥٨هـ / ٢٢ ديسمبر ٩٦٨م ، صدرت اليه أوامر المعز بالحروج الى مصر ، الأمر الذى تم خلال فترة لم تتجاوز الشهر الا بأيام قليلة . وخلال تلك الفترة كان المعز يشرف بنفسه على تجهيز العسكر الكبير الذى حوى المتطوعة من بربر أفريقية ، وخاصة من قبائل كتامة وزويلة ، الى جانب الجند النظامى . ولم يبخل المعز فى النفقة على العسكر ، والتى تراوحت ما بين ٢٠ (عشرين) ديناراً و ١٠٠ (مائة) دينار لكل فرد منهم(٩٣) .

المسير من الحضرة :

وهكذا كان مسير جوهر من الحضرة فى اتجاه مصر ، يوم ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨هـ / ٦ فبراير ٩٦٩م ، فى احتفال عظيم ، حضره الخليفة المعز الذى ودعه جوهر مقبلاً يده وحافر فرسه(٩٤) . كما قدم لجوهر

(٩١) هنا فضلنا رواية ابن أبى دينار التى تشير الى حشد كتامة على رواية ابن خلكان (عن المعز ، ج ٥ ص ٢٢٦) التى تشير الى جمع قبائل العرب الذى يتوجه بهم الى مصر ، حيث كان العرب يقطنون وقتئذ فى إقليم برقة ، قبل الهجرة الهلالية ، مما تشير اليه فيما بعد (ص ٤٢٤) .

(٩٢) ابن خلكان (عن المعز) ج ٥ ص ٢٢٦ ، وقارن المؤنس بن أبى دينار ، ص ٦٤ .

(٩٣) أنظر ابن خلكان ، ج ٥ ص ٢٢٦ ، وقارن ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٦٤ - حيث تاريخ مسيرة الحملة (٤ ربيع الأول) الى جانب تحديد عناصر الجيش من البربر والكتاميين الزويليين والجند .

(٩٤) ابن خلكان (عن الجوهر) ج ١ ص ٣٧٥ - ٣٧٧ ، وحسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ١٤٠ .

ما يليق بإمكانه من التعظيم والتبجيل من كبار رجال الدولة ، وعلى رأسهم
الأمرء أبناء المعز الذين ترجلوا عن خيولهم بأمر الخليفة الوالد (ابن خنكان
جوهر ، ج ١ ص ٢٧٧) . ويقدم الجيوش التتيف المحمل بأكداس المال (١٥) ،
الذي وضعه محمد بن هانيء الأندلسي ، قائلا :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع
وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كان الأفق سسد بمثله
فعاد غروب الشمس من حيث تطلع (٩٦)

وعند عودة المعز الى قصره ، أرسل الى جوهر كل ما كان عليه من
ثياب سوى الخاتم (ابن خنكان ، جوهر) رمزا لنيابته العامة عن المعز
مع استمرار كون الكامة الأخيرة لنخليفة ، صاحب الحق الشرعي في امضاء
الأمر مهما تكن الأحوال . وعلى طول الطريق كان جوهر يتلقى من ولاة
الأقاليم ما هو مقرر عليهم من المونة ، ومن واجبات التبجيل والاحترام
نحو القائد الذي كان قد ارتقى الى مرتبة الوزارة ، كما تقول النصوص :
وذلك في المراكز الكبيرة ، مثل : قابس وطرابلس وبرقة ، على ما نظن .
فالمعروف أنه كان على جوهر في برقة أن يستقبل حشد العرب الذين
يسيرون معه الى مصر مع حشد كرامة (انظر أعلاه ص ٢٥١) كما كان على
والى برقة أيضا وهو وقتئذ أفلح بن ناشب أن يقوم بواجب التحية نحو
جوهر فيترجل له (عن حصانه) ويقبل يده ، الأمر الذي دفعه الى عرض
١٠٠ ألف دينار على الخليفة المعز في سبيل اعفائه منه فلم يلق استجابة له
(انظر فيما بعد ص ٢٧٩ وهـ ١٧٠) .

مسيرة الأسطول :

ولما كانت خطة الفتح تقضى بمسير الأسطول في البحر محاذيا للمحملة
البرية ، فإن هذا التعاون المشترك بين القوات البرية والبحرية كان

(٩٥) انظر ابن خنكان ، ترجمة جوهر ، ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٧٧ - حيث النص على بروز
جوهر في أكثر من ١٠٠ (مائة) ألف فارس ، ومع أكثر من ١٢٠٠ (ألف ومائتي) صندوق
من المال ، وقارن ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٦٤ - حيث النص على أن ميسر جوهر كان
في عدد يقصر عنه الوصف ، ومع ألف حمل من المال .
(٩٦) حسن إبراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ١٤٠ .

سما سهل فتح الاسكندرية ، الذي يقول فيه ابن هانيء :

نقول بنو العباس هل فتحت مصر
فقل لبني العباس قد قضى الأمر
وقد جاوز الاسكندرية جوهراً
تطالعها البشرية ويصحبها النصر(٩٧)

وبعد فتح الاسكندرية كان على جوهراً أن يسير بمحاذاة فرع النيل الغربى ، مروراً بمدينة تروجة المزدهرة وقتئذ ، بينما كان على قطع الأسطول أن تصعد فى النيل من مصب رشيد ، محاذية الجيش البرى ، نحو مدينة مصر : القساط . وكان الوصول الى الجزيرة يوم ٧ من شعبان/٢٦ يونيه ٩٦٩ م ، من حيث كان عبور النيل فى ١٦ شعبان/٥ يوليه ، ووضع حجر الأساس لبناء مدينة القاهرة التى سماها جوهراً بالمنصورة ، فى اليوم التالى : ١٧ من شعبان سنة ٣٥٨هـ / ٦ يولية ٩٦٩ م .

وبقى المعز فى قصره بالمنصورة يتلقى أنباء الفتح المبين أولاً بأول ، وكانت أول بشارة تصله فى ١٥ رمضان سنة ٣٥٨هـ / ٢ أغسطس ٩٦٩ م ، تلنها بشارة فنوح الشام ، الى أن تقررت قواعده بالديار المصرية . فقرر التمسير الى هناك فى شوال سنة ٣٦١هـ / يوليه ٩٧٢ م . بدد ٣ (ثلاث) سنوات قضاها هو الآخر ، فى اقرار قواعد الدولة بديار أفريقية والمغرب .

اضطرب قبائل زناتة بقيادة محمد بن الخير بن محمد بن خزر
(سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م) :

بمسير جوهراً والكتامين الى مصر ، وقع عبء اقرار السلام القساطى فى بلاد المغرب على كتفى المعز ، قبل أن يلقبها بدوره على كاهل معاونيه من آل زيرى الصنهاجين .

ففى نفس سنة فتح مصر اضطربت قبائل زناتة من جديد فى بلاد الزاب ، وذلك بقيادة أميرها محمد بن الخير بن محمد بن خزر الذى استماله المستنصر الأموى الى جانبه(٩٨) . وكان على المعز أن يخرج بنفسه الى لقاءه

(٩٧) أنظر حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ١٤٧ .
(٩٨) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٩٩ - حيث الاسم

أبو خزر الزناتى .

في باغاية ، ولكن ابن الخير الذي كان يتبع في حرية أسلوب قبائل البادية المتمثل في الكر والفر ، بمعنى عدم الالتحام بالخصم اكتفاءً بانهائه على طريقة « اضرب واهرب » ، كان عليه أن يفر الى الصحراء المجهولة عن طريق سلوك الدروب الوعرة . وهنا أسلم المعز الى بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي مطاردة الشائر الزناتي ، الى أن اختفت آثاره (٩٩) . والمهم ان محمد بن الخير لم يستمع رياضة المطاردة الصحراوية العنيفة فقرر في السنة التالية ٣٥٩هـ / ٩٧٠م ، العودة الى أنس الطاعة ، فوصل بنفسه مستأنسا الى المعز الذي رحب به وأحسن اليه . فأجرى عليه راتبا ضمن به معاشه (١٠٠) .

ثورة محمد بن الخير الزناتي سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م (١٠١) ،
ومقتل زيري بن مناد :

ولكن المعز لم يلبث أن واجه تحالفا من قبيل جعفر بن علي ابن الأندلسي ، صاحب المسيلة وأحد المرشحين لخلافته بأفريقية ، وأخيه يحيى مع الزناتية من بني خزر ، القائمين بدعوة الحكم المستنصر الأموي بالأندلس ضد أعوانه الصنهاجيين من : زيري بن مناد صاحب أشير ، ووالي تاهرت وما يفتحه بسيف المعز من بلاد المغرب ، وابنه بلكين (١٠٢) .

فعندما شق جعفر بن علي ابن الأندلسي عصا الطاعة سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م ، وتقرب الى الحكم المستنصر الأموي ، كان عليه أن يترك إقطاعه في المسيلة وأن يلحق بمحمد بن الخير بن محمد بن خزر الزناتي لكي يسير الجميع عبر الصحراء لمفاجأة زيري بن مناد ، غير بعيد من ولايته بتاهرت على ما يظن . ورغم دفاع زيري البطولي بما يليق باسمه فان المعركة انتهت بمقتله ، واحتواء بني ابن الأندلسي والزناتية على معسكره (١٠٣) .

(٩٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٩٨ .

(١٠٠) ابن الأثير ج ٨ ص ٥٩٩ ، وانظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٦ - حيث النص على ان ذلك لم يفعله من قبل لأحد غير المعز .

(١٠١) ابن عذاري ، ج ٢ (الأندلس) ص ٢٤٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ - حيث الاسم خطأ محمد بن الحسين الزناتي بدلا من الخير .

(١٠٢) ابن عذاري ، ج ٢ ص ٢٤٤ .

(١٠٣) ابن عذاري ، ج ٢ ص ٢٤٣ .

ورغم ما يفهم من روايات ابن عذارى التي جمعها من محمد بن يوسف الوراق وغيره ، والتي تظهر غير منسجمة بعض الشيء ، من ان الزعيم الزناتي محمد بن الخير هو الذي قتل زيري بن مناد ، فمن الواضح ان جعفر بن علي ابن الاندلسي اندفع بكل حماس الداخلى الجديد فى الدعوة الاموية ، نكاية فى المعز ، لياخذ على عاتقه فخر قتل الزعيم الصنهاجى زيري بن مناد ، تابع المعز المقرب . وهكذا يادر جعفر بمراسلة الحكم فى قرطبة ، مدلا على صدق دخوله فى دعوته بتقديم رأس زيري ، كأعظم هدية يمكن أن يتوقعها العاهل الأندلسي ، وذلك بمعية أخيه يحيى وأمرأى بنى خزر الزناتية . واستقبلت قرطبة رأس عدوها فى احتفال عظيم شهده كبار رجال دولة المستنصر فى أوائل شهر ذى القعدة من نفس السنة (٣٦٠هـ / أغسطس ٩٧١م) . أما عن ذروة الاحتفال فكان فى ٢٨ من ذى القعدة / ٢٤ سبتمبر ، حيث جلس المستنصر فوق السرير لاستقبال جعفر بن علي ابن الاندلسي ومن أتى معه من أمرأى زناتة ، الذين كان قد بدأ الترحيب بهم منذ أن نزلوا فى مرسى مالقة ، حيث كان فى استقبالهم محمد بن أبى عامر ، الذى كان يشغل منصب قاضى أشبيلية ، بصفته نائبا عن الحكم (١٠٤) .

ثار بلكين من محمد بن الخير الزناتى :

وحق للمعز أن ينزعج أشد الانزعاج لما نزل بقائه زيرى الصنهاجى ، فى ذلك الوقت المرح حيث كان يرتب أموره من أجل المسير الى مصر ، ولكن قلته لم يستمر طويلا ، وذلك ان بلكين بن زيري نجح فى قطع تلك الأعياد التى أقيمت فى الأندلس ابتهاجا بمقتل والده ، وذلك بالثار من الزعيم الزناتى ، محمد بن الخير ، عندما نجح فى مفاجاته بدوره على حين غرة ، فى ١٧ ربيع الآخر سنة ٣٦٠هـ / ١٧ فبراير ٩٧١م ، وهو فى بعض مجتمعاته ، الأمر الذى دفع ابن الخير المعتز بنفسه ، والذى لم يقبل ضمير الوقوع فى الأسر ، عندما أحيط به ، ولا القتل بيد خصمه ، الى الانتحار بأسلوب أقرب الى ما عرف حديثا بطريقة (الهاز اكبرى) اليابانية وذلك بالاتكاء على سنان سيفه وقتل نفسه ، الأمر العظيم الذى كانت له أصداؤه الرائعة فى كل بلاد المغرب ، والذى استقبله المعز بما يعادله من الشعور بالراحة والغبطة ، حتى انه جلس لتقبل التهاني لثلاثة أيام متوالية،

فكانها مناسبة العيد (١٠٥) ، وكانت في الحقيقة مناسبة الرحيل .

والحقيقة انه بينما كان المعز يسير نحو المشرق في أواخر شوال من السنة التالية ، ٣٦١ هـ / يولييه ٩٧٢ م ، كانت الأحسلاف قد تغيرت قتي المغرب حيث انفض التحالف بين جعفر بن علي بن الأندلسي الذي انضم الى صفوف بلكين وبين الزناتية ، وبدأ يحاربهم باسم المعز . كما كان الصراع دائرا في العدة المغربية ما بين الأماويين وشيعتهم في سببته وبين شيعه الفاطميين من الأدارسة ، وعلى رأسهم الحسن بن قنون ، تلك الصراعات التي ستصبح تركة المعز لثأبه بلكين بن زيري . اما عن الاضطرابات التي عرفتتها صقلية وقتئذ فقد انقطعت تماما عندما أعاد المعز الامارة الى بنى الحسن الكلبيين ، فعين أبا القاسم بن الحسن واليا للجزيرة نيابة عن أخيه أحمد (أبو الحسين) ، فقاموا بشئون الجزيرة وبواجب الجهاد خير قيام .

أحوال صقلية من عهد القسام الى انتقال المعز الى القاهرة :

غارة على جنوة :

بدأ عهد القسام سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٥ م ، بحملة قوية خرجت من الميضية ، بقيادة يعقوب بن اسحق ، الى جنوة التي كانت تعتبر من أرض الأفرنجية ، فاجتاحها قبل أن تعود بالمغانم والسبي - الأمر الذي كانت له أسداؤه المدوية في كل من الجانبين الاسلامي والمسيحي على السواء (١٠٦) .

(١٠٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٤٣ ، وأنظر اتماط الحنفا ، ج ١ ص ١٢٨ - حيث وردت الرسل في شعبان سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م من المغرب برأس محمد بن خزر ، ومع ٢ آلاف رأس ، فقرأ عبد المسيح يوم الجمعة كتاب المعز بخير المذكور - وحيث تحديد تاريخ انتحار محمد بن الخرب ب ١٧ ربيع الآخر سنة ٣٦٠ هـ / ١٧ فبراير ٩٧١ م .

(١٠٦) المكتبة الصقلية ، مخطوط كامبردج ، تاريخ صقلية حسب سوابق العالم ، ج ١ ص ١٧٠ - حيث النص على أخذ جنوة ، وأنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٨٥ - حيث جنوة من بلاد الروم ، وقارن افتتاح الدعوة ، ص ٣٣١ - حيث الإشارة بشكل عام الى افتتاح مدائن الروم ، وغزوهم بناحية الأندلس (جنوة) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٩ - حيث النص على ان وجهة الحملة كانت بلاد الروم فانفتحت جنوة ، الأمر الذي جعل ارشيبالد لريس ، القوي البحرية التجارية ، الترجمة ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، يقول ان نشاط الأسطول البيزنطي أزعج الفاطميين في غرب المتوسط حتى أنهم أرسلوا عام ٩٣٥ م (٩) أسطولا كامل الاستعداد ليثبت دعائم =

استهزار ولاية سالم بن راشد :

اما عن صقلية فان القائم أقر على ولايتها سالم بن راشد . وفي السنة الأولى من اماره سالم على عهد القائم ، تذكر الحوليات الصقلية حسب تاريخ العالم مقتل والى . طبرمين المسمى زنداش ، ذلك في حملة كان يقوم بها ضد قلعة « قصر سالم » فى ١٠ مارس من تلك السنة ٩٣٥م / ٢ ربيع الثانى ٣٢٣هـ . وفى السنة التالية تعرضت الجزيرة يوم الأحد الموافق ١٩ أكتوبر ٩٣٦م / ٣٠ ذى القعدة ٣٢٤هـ ، لنوء عظيم سالت له الأودية من المرتفعات المحيطة بمدينة بلرم فأغرقت الناس ، وهدمت الكثير من الدور فى أرباض المدينة وداخلها . وعلى العكس من ذلك تعرضت بلرم فى صيف العام التالى ، الى ريج « سموم ، عاصفة فى يوم ١١ يوليه ٩٣٧م / ٢٤ رمضان ٣٢٥هـ ، ترتب عليها حرق دوالى العنب والثمار فلم يكن فى تلك السنة قطاف (١٠٧) .

والظاهر ان سالم بن راشد لم يكن موافقا فى السياسة التى واجه بها تلك الصعوبات الطبيعية ، وما ترتب عليها من أزمة اقتصادية ، اذ تبع ذلك اضطرابات خطيرة انتهت بها فترة ولايته للجزيرة التى تجاوزت انعشرين سنة ، والتى كانت أشبه بتلك الاضطرابات التى عرفتها البلاد على أيام سلفه : أبى سعيد الضيف . وفى سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٧م اشتعلت الفتنة بين أهل صقلية وأمراهم ، وذلك عندما أعلن أهل مدينة جرجنت (حيث البربر) العصيان على سالم ، متهمين اياه بسوء السيرة - ربما لتشدده فى جباية الأموال ، مما عرف عنه فى بداية ولايته على عهد المهدي (أنظر فيما سبق ، ص ١٥٩) وفى ١٧ من ابريل ٩٣٨م / ١٨ جمادى الثانية ٣٢٦هـ ، ثار المجرجنتيون على الأمير سالم بن راشد ، وطردهوا عامله عليهم « ابن عمران » من قلعة البلوك ، كما نهبوا من كان لديهم من تجار اللومبارديين (النردبارين) . وهنا أعد لهم سالم عسكريا ممن كان تحت امرته ، من : الكتامين والصقليين (١٠٨) ، اضافة الى جماعة من رجال

سلطانهم على مياه البحر التيراني ، وليخبر على سردينية وكورسيكا ، وربما جنوة أيضا (٩) رغم ما تخصصه النصوص العربية من غزو جنوة ، وانه استطاع أن يحرق الكثير من السفن والذي نراه ان المؤلف لا يتقيد بالنصوص بل يعطى لنفسه الحرية فى تفسيرها والتعليق عليها حسبما يراهى له ، وان لم يتفق مع مضمون النصوص .

(١٠٧) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧١ .

(١٠٨) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧١ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٢٧ - حيث النص.

على أهل صقلية وافريقية (بدل الكتامين) .

القائد ميمون بن موسى ، وجعل قيادتهم الى المقدم : أبي دقاق الكتامي . وسار هؤلاء العساكر نحو جرجنت حيث ضربوا فازاتهم (أخبيتهم) في موضع يقال له عصرة . وهنا رأى الجرجنتيون أن تكون لهم المبادرة بالعمل ، فزحفوا الى معسكر قوات بلرم ، ودارت الحرب بين الطرفين ، في يوم السبت ٢٤ يونيو/ ٢٧ شعبان ، وانتهت بهزيمة العسكر الكتامي الذي قتل كثير من رجاله وعلى رأسهم قائدهم ، المقدم أبي دقاق . ورفع النصر من روح أهل جرجنت الذين تابعوا المنهزمين من العسكر الأميري الى بلدهم بلرم ليحاربوها نفسها . وكان من الطبيعي أن يقبل الأمير سالم ذلك التحدي ، فخرج الى لقاء الجرجنتيين وبصحبته القائد ميمون بن موسى . وتم اللقاء في يوم الأحد ٢ يولييه/ رمضان ، في موضع يعرف بـ « مسيد اليس » كان النصر فيه لأهل المدينة (بلرم) الذين أوقعوا بالجرجنتيين خسائر كبيرة ، وتبعوهم حتى موضع « مطاحن مرنوه » (١٠٩) .

ثورة الصقليين في بلرم :

ولما كان التمرد والعصيان معديا كالمرض ، بالنسبة للعامة على الأقل ، لم يكن من الغريب أن يثور الصقليون داخل بلرم ، وذلك بتأييد رجلين منهم ، هما : ابن السبابة وأبو طار ، على الأمير سالم ، وأن يقتلوا بعض أعيان رجاله ، كما فعلوا بأبي نظار الأسود يوم الأحد ١٧ سبتمبر (سبتمبر) ٩٣٨م / ١٦ ذى القعدة ٣٢٦هـ . ولكن الأمير سالم بن راشد لم يلبث أن أوقع بالصقليين بعد ثلاثة أيام ، حيث هزمهم يوم الأربعاء ٢٠ من نفس الشهر / ١ من ذى الحجة ، هزيمة منكرة ، اشتهرت بـ «مقتلة الكلاب» - انتقاصا من شأن المهزومين . ومن الواضح أن سالم بن راشد أدرك ان التمرد الذي استشرى بين العسكر من أهل صقلية أكبر من أن يواجه بقواته المحدودة في الجزيرة فأرسل الى الخليفة القائم بالمهدية يعرفه بالموقف الحرج ، ويطلب منه المدد .

وقبل أن يصل المدد الذي أعده القائم تحت قيادة واحد من كبار المخلصين للامام ، هو : خليل بن اسحق (أخو يعقوب بن اسحق) ، كان الصقليون في بلرم يتحركون مرة أخرى بأعداد كبيرة ضد سالم ، وذلك

(١٠٩) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٧ -

حيث الاشارة الى أن هزيمة أهل جرجنت كانت في شعبان .

فى يوم السبت ٧ أكتوبر / ٦ ذى الحجة ، ولكن سالم نجح فى هزيمتهم مرة أخرى هزيمة كبيرة ، داخل المدينة حيث حصرهم بالقلمة القديمة (القصر القديم) (١١٠) .

تمهله خليل بن اسحق :

عما بين المواقف المشجنية والأعمال الشارية :

وبمجيء خليل بن اسحق بقوات المهديّة فى ٢٣ من أكتوبر / ٢٤ من ذى الحجة (١١٠) ، ظهر وكان تغيير القيادة فى الجزيرة قد أمن عودة اليدروء والسكينة إليها . فند حرج اليه أهل بلرم مطهرين الطاعة . شاكين ظم سالم وجوره ، كما خرج النساء وانصبهان يكون ويشكون ، وبلغت العواطف أوجها عندما أثار الموقف المشجن فى نفوس العساكر فانخرطوا ، هم أيضا فى البكاء . وشجع الموقف العاطفى الحزين أهل بقية البلاد وبضمنهم أهل جرجنت (البربر) على المجيء الى بلرم للقاء القائد الجديد ، خليل بن اسحق . وهنا يكتمل الشكل القصصى للرواية التى يقدمها ابن الأثير ، عندما يصبح الدس والوقية هما المحرك للعلاقات بين رجل الدولة المشاركين فى ولايه أمر الجزيرة . فمن الواضح ان الخليفة القائم أرسل خليل بن اسحق مددا لسالم ، وليس أميرا بدلا منه ، الأمر الذى سمح لسالم أن يمارس سياسة تعقيد الأمور بالنسبة له حتى يقلل من فرصة مزاحمته له فى امارة الجزيرة . فهذا ما يفهم من اجتماع سالم بالقاديين للقاء خليل ، وخاصة من الجرجنتيين الذين كانوا لا يضمرون له ودا ، واخبارهم ان خليل لم يحضر من قبل الخليفة القائم الا من أجل الانتقام منهم بمن قتلوه من عسكره ، الأمر الذى جعلهم يترثون فى تحديد موقفهم منه (١١١) .

وبصرف النظر عن صحة قصة التآمر بين كبار رجال الدولة أو اصطناعها ، فمن الواضح ان الأمور سارت فى مجاريها الطبيعية ، فخليل حضر وهو يعرف ماذا يواجهه من تمرد أهل صقلية ، وهو ما سوف

(١١٠) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٢ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٨ .

(١١١) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٢ .

(١١٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٨ - حيث النص على انهم عندما سمعوا مقالة سالم

فعاودوا للخلاف ولكن ما يأتى بعد ذلك جعلنا نعدّلها الى التريث فى تحديد الموقف .

تؤكدده الأحداث التالية وما صاحبها ، من تواتر أعمال الحلاف العنيدة ، وبالتالي الانتقامات الحاقدة ، فبمجرد دخول خليل بعساكره الكثيرة الى بلرم بدأ بتجريد المدينة من دروعها . وجعلها مدينة مفتوحة ، يهدم سورها وخلق أبوابها ، ونقض الكثير من تحصيناتها ، واشروع فى بناء مدينة بديلة أو قلعة حصينة ، من نوع ما سوف يعرف فيما بعد ، بـ « القصبه » ، بمعنى مركز الحكم والادارة ومقر الحامية ، وسماها « الخالصة » (١١٣) . والحقيقة انه اذا كان نقض تحصينات بلرم يعنى جعلها مدينة مفتوحة بالنسبة للمدينة الحكومية الجديدة ، فان بناء الخالصة اعتبر بمثابة انذار موجه الى أهل جرجنت ، الذين أخذهم الخوف ، وتحقق عندهم ما قال لهم سالم ، « فحصنوا مدينتهم واستعدوا للحرب » .

وأعد خليل من جانبه العدة للمواجهة ، فحشد الرجال من صقليين وأفريقيين ، وخرج اليهم بقوته الكبيرة يوم الجمعة ٩ مارس سنة ٩٣٩م / ١٣ جمادى الأولى سنة ٣٢٧هـ ، وضرب عليهم الحصار فما كان من الجرجنتيين الا أن تخلصوا ممن كان لديهم من العمال الفاطميين ، مثل : ابن أبى خنزير ، وعلى بن أبى الحسين ، صهر سالم بن راشد ، فقتلهم . ورغم تشديد خليل الحصار عليهم لمدة ثمانية أشهر ، فانه لم يقدر لهم على شىء ، حتى اضطر عند اقبال الشتاء الى رفع الحصار فى ٢٢ من أكتوبر / ٢٧ من ذى الحجة . والعودة الى الخالصة (١١٤) .

نارات متبادلة ، من : تشديد الحصر ، والاتصال بالقسطنطينية ، والهجرة الى بلد الروم :

وانتهز أهل جرجنت فرصة رفع الحصار التى اعتبروها انتصارا نهم على قوات الخلافة ، وقاموا بدعاية واسعة النطاق ضد خليل ، كما بشوا سزايهم فى كل اتجاه ، الأمر الذى انتهى مع مقدم السنة التالية ، بخلاف أهل مازر وجميع القلاع على خليل . وبلغ الأمر بالجرجنتيين الى حد مكاتبة أمبراطور القسطنطينية وطلب النجدة منه ، وكانت فرصة انتهزها الباسيليوس (الملك) فأمدهم بالمؤن والرجال عن طريق الأسطول ، كما انتهزها رجاله من المستولين فى كلابريا وجنوب ايطاليا للكسب غير المشروع

(١١٣) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٢ - حيث بانرم بدلا من بالرم ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٨ - حيث النص على أنه أخذ أبواب بلرم ليحصن بها الخالصة .
(١١٤) المكتبة الصقلية ، مخطوط كمبريدج ، ج ١ ص ١٧٢ ، ابن الأثير ، ج ١ ص ٣٣٨ .

(انظر ما يأتي ، ص ٢٦٢) • وكن على خليل أن يخنجر الخليفة باستفحال
امر اهل جرجنت ، وتقاوم حطر الثورة بالجزيرة ، بعثت اليه جيشا كبيرا
خرج به سنيل الى جانب دن معه من الصقليين ، لاسترجاع الحصون الثائرة .
من : قلعه ابي نور ، وقلعه السبراط ، واسكلافينه التي استردها دون
عناء ، بينما قاومت قلعة البلوط في ملحمة مروعة في ١٠ يولييه ٩٤٠ م /
١ شوال ٣٢٨ هـ • اما قلعه ابلاطنو فقاومت ولم تستسلم (١١٥) •

وقاوم الجرجنتيون مقاومة اليايس ، ففي نوفمبر ٩٤٠ م / صفر ٣٢٩ هـ ،
نجحوا في عمليه ليلية مفاجئة من فك الحصار عن قلعة البلوط ، بعد أن
طردوا رجال خليل واستولوا على خيامهم (١١٦) • وخلال تلك الأحداث
الدامية مات سالم بن راشد في هذه السنة في قصره بالخالصة ، بينما ضربت
المجاعة المدينة (بلزم) وكذلك البوادي ، «حتى أكل الوالدون أولادهم» (١١٧) •
وفي شهر مارس ٩٤١ م / جمادى الآخرة ٣٢٩ هـ سقطت قلعة ابلاطنو
(بلاطينة) ، وتبعها تشديد الحصار على جرجنت التي ضربتها المجاعة ،
كما ضربت غيرها من القلاع والبوادي التي خلت من أهلها ، الى أن انتهى
الأمر بسقوطها في ٢٠ نوفمبر ٩٤٢ م / ٢٣ صفر ٣٣١ هـ (١١٨) •

ونتيجة للمجاعة وطول الحصار ، وما ترتب عليها من تقجر العداوة
والخذل ، سار كثير من أهل جرجنت الى بلاد الروم ، بل وتنصر كثير منهم •
أما الباقيون الذين طلبوا الأمان فبعد أن استجاب لهم خليل - وطلب منهم
النزول من القلعة غدر بهم وحملهم الى المدينة (بلزم) ، كما بعث منهم
سببا كثيرا الى افريقية • هذا ، وتبين الرواية ان خليل بن اسحق حمل
وزر كل ذلك راضيا فخورا (١١٩) •

(١١٥) المكتبة الصقلية ، مخطوط كمبردج ، ج ١ ص ١٧٢ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٩ •

(١١٦) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ •

(١١٧) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ •

(١١٨) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٩ - حيث النص

على أنها سقطت في سنة ٣٢٩ هـ •

(١١٩) انظر المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٩ - حيث الاشارة

الى أنه غدر أيضا بأعبان أهل جرجنت الذين سحبه معهم الى افريقية حيث حملهم في مركب
وأمر بنقبه فماتوا في لجة البحر عرقا ، وانظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٥ - حيث الاشارة الى
أن ما فعله خليل بن اسحق بأهل صقلية مما لم يعمله أحد قبله ولا بعده من المسلمين ، الى
حائب انتخاره بظلمه في مجالسه عندما عاد الى افريقية ، حيث كان يستقل ما قيل من أنه قتل =

والى جانب هجرة الصقليين من الثوار الذين جاؤوا الى بلاد الروم ،
وما كانت تقوم به بيزنطة من ارسال النجذات والمؤن لثوار ، مما در
اعلاه (ص ٢٦٠) ، تشير النصوص البيزنطية الى ان بعض قواد الروم
فى كلابريا (قلورية) ، استفاد من الموقف الصعب للصقليين بسبب
البحر والجوع ، وباع لهم القمح والأطعمه بأسعار عالية ، وكان قد اشتراعا
من الكلابريين بأسعار رخيصة ، وأن انكشف أمره كان نتيجة طبيعته
لرقابة الامبراطورية الخازمة على حكام الولايات . فلقد اتهم القائد المذنب
بالكسب الفاضح وغير المشروع ، ولم يكتف بعزله ، عقوبة لجرمه فقط ،
بل وبمصادرة جميع املاكه (١٢٠) . والمهم بعد كل ذلك هو أنه نتيجة لتلك
الثورات التى ألت بصقلية ، ضعف العرب الموجودون فى كلابريا ، وأصبحوا
تحت رحمة اليونان . أما عن الخليفة الفاطمى فى أفريقية فكان لا يستطيع
المطالبة باعادة الفارين من الجزيرة ، الذين كان اليونانيون قد أسروهم
وحملوهم الى القسطنطينية . هذا ، كما ان الضريبة السنوية التى كانت
تدفعها المدن الكلابرية قبل وفاة المهدي ، أصبحت بطبيعة الحال غير ذات
موضوع (١٢١) .

نهاية مهمة خليل بن اسحق :

والذى يفهم من الرواية الخاصة بنهاية مهمة خليل بن اسحق فى
صقلية ، ان القائد الفاطمى الذى أغرق الثورة الصقلية فى الدم والجوع ،
رأى أنه أدى ما هو مطلوب منه عندما استسلمت القلاع العاصية ، وعادت
البلاد الاسلامية الى طاعته ، فقرر العودة الى أفريقية . ورغم ذلك فلا بأس
من أن تكون عودة خليل الى المهدي قد تمت بناء على تعليمات من الخليفة
القائم ، الذى كان ولا شك قد عرف بما تم من الظلم والجور فى حق
المنكودين من ثوار صقلية ، من جانب تابعه الذى بالغ فى اخلاصه فى الخدمة
الى تجاوز الحدود المتعارف عليها ، خاصة وأن والى الجزيرة سالم بن راشد

من الصقليين ، بين مليون (على الأكثر) او مائة ألف (على الأقل) فكان يقول : (لا والله
الا أكثر » بينما كان البعض يقول له : « يا أبا العباس : لك فى قتل نفس واحدة ما يكفيك .
هذا ، مع الإشارة الى خدمته المهدي فى أعمال الجبايات ومحاسبة الدراوين والعمال ، وان المهدي
انتهى به الأمر الى أن كرهه وأبغضه ، وأنه لولا ابنه أبو القاسم لأهلكه .

(١٢٠) جاي (J. Gay) ايطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢١٢ .

(١٢١) جاي (J. Gay) ، ايطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢١٣ .

كان قد تفرغ ، فكان من المفبول أن يحل خليل محله أو رأى ديوان المهديّة
أهليته لتسجل هذا المنصب .

ولاية ابن عطف :

وعكذا ، وفي تلك الظروف الشاذة ، كان علي خليل بن اسحق أن
يغادر صقلية الى أفريقية في ١٠ سبتمبر (سبتمبر) ٩٤٣ م / ٦ محرم
سنة ٣٣٢هـ (١٢٢) ، بعد أن ترك علي بلرم متولين ، أحدهما : ابن الكوفي
والآخر ابن عطف (١٢٣) . والذي يفهم من رواية ابن الأثير ان الامارة كانت
لابن عطف أصلا (١٢٤) ، بمعنى ان ابن الكوفي كان مساعدا له أو نائبا
يمكن أن يقوم مكانه اذا حدث له حدث في تلك الظروف الصعبة ، حيث
« كثرت السرقة والأذى ، وصار القوي يأكل الضعيف » (١٢٥) ، الا اذا كان
ابن الكوفي هو عامل الخراج ، كما جرت العادة من فصل الادارة السياسيّة
عن الادارة الماليّة التي كان لها عاملها المستقل .

والهم ان الحوليات الصقلية لا تقدم شيئا عن أحوال الجزيرة في الفترة

(١٢٢) ، وذلك تبعاً لتاريخ صقلية الحول الذي يتبع تاريخ بدء الخليفة (مخطوط كمبروج)
المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ ، مع ان الرواية الفاطمية التي ينقلها ابن الأثير تحدد ذلك
بذئ الحجة الذي لا يبعد كثيراً عن المحرم سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠ - ٩٤١ . ولما كانت الرواية
تجمل أعمال خليل اجمالا في ٤ (أربع) سنين أو ٥ (خمس) ، ما بين ٣٢٥هـ /
٩٣٧ م و ٣٢٩هـ / ٩٤٠ - ٩٤١ م ، دون أي تحديدات زمنية أخرى ، فانا فضلنا تحديدات
حوليات التاريخ العالمي في المكتبة الصقلية لأماري ، مخطوط كمبروج ، التي تنصف بالنقطة
من حيث تحديد اسم اليوم وتاريخه والسنة العامة بالنسبة لتاريخ العالم والتي تبدأ بسنة
٣٣٥ ، تاريخ دخول المسلمين صقلية ، سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، وتنتهي في أكتوبر ٧٤٣ حينما
نزل مانويل الى الجزيرة (أكتوبر ٩٦٥ م / صفر ربيع ٣٦٥هـ) ، على عهد بني أبي الحسين
الكليب ، سنة وفاة المزم . وذلك على طول ١٣٨ سنة ، تحددت فيها تواريخ الأحداث التي
تفرد بها في كثير من الأحيان ، تحديدا منهشاً وان احتاجت بعض أسماء الأعلام أو بعض
الكلمات الاصطلاحية الى نوع من الايضاح أو الشرح . ولا بضرنا في هذا الا أن الـ ١٢٨ سنة
شمسة بقابدا ١٥٣ هجرية ، بفارق ١٤ سنة . والفروض أن الفارق لا يتجاوز خمس سنوات
فقط ، وهو الأمر الذي يتطلب المراجعة ، وان لم يقلل من قيمة التاريخ الدقيق بحوليات تاريخ
العالم ، الذي كان يستعمله مستعمرة صقلية ، كما نرى .

• المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ .

(١٢٤) الكامل ، ج ٨ ص ٤٧١ - أحداث سنة ٣٣٦هـ .

(١٢٥) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ .

ما بين نزول خليل بن اسحق الى المهديّة ، وتعيين حسن بن علي بن أبي الحسين أميراً لصقلية ، سنة ٣٣٦هـ / ٤٧ - ٩٤٨م ، وهي الفترة التي تناهز ٦ (ست) سنوات ، والتي يمكن تفسير خواتمها الموضوعي بانشقاق الدولة الفاطمية ما بين ٣٣٢هـ / ٩٤٣م و ٣٣٦هـ / ٩٤٧م بثورة أبي يزيد الزناتى ، والتي غلبت أحداثها على كل ما سواها (١٢٦) . ولا شك ان الثورة الزناتية فى أفريقية كانت لها ردود فعل سلبية فى صقلية ، على المستوى الخارجى ، من حيث تحسن موقف القلاع البيزنطية والأراضى الخاضعة للنفوذ الرومى فى الجزيرة بفضل تحررها من الضغوط الاسلامية وبالتالى من دفع ما كان مفروضاً عليها من مال الهدنة (١٢٧) ، وعلى المستوى الداخلى من حيث ضعف الوالى ابن عطاف الذى اتضح منذ البداية ، مما سبقت الاشارة اليه ، والذي زاد مع الثورة الزناتية بحيث عجز عن فرض سلطاته على العصبية القوية فى الجزيرة . وفى أواخر سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٧م كان بنو الطبرى ، من أعيان الجماعة بصقلية ، بفضل أتباعهم الكثيرين ، ومن كان يميل اليهم من أهل العاصمة بلم ، يمكنهم تحدى ابن عطاف ، كما فعلوا يوم الاحتفال بعيد الفطر (أول شوال / ٢٥ ابريل) من نفس السنة ، حيث تمكنوا من قتل عدد من رجاله ، واضطروه الى الهرب من مقره الرسمى فى الخالصة الى الحصن ، تاركاً لهم أعلامه وطبوله التى انصرفوا بها الى ديارهم (١٢٨) .

ولاية حسن بن علي بن أبي الحسين الكلبى :

وعندما بلغ الخبر الى الخليفة المنصور ، رأى أن يستبدل بابن عطاف رجلاً على مستوى مسئولية قيادة صقلية بقضاياها الاستراتيجية الخارجية ومشاكلها الداخلية من سياسية وعرقية ومذهبية . ولا شك أن المنصور كان موقفاً فى اختيار حسن بن علي بن أبي الحسين الكلبى ، الذى كان له بالأثر فى حرب الثائر الزناتى أبى يزيد ، والذي كان على دراية بأحوال

(١٢٦) لما كانت بداية ثورة أبى يزيد فى سنة ٣٢ - ٣٣٣هـ / ٤٣ - ٩٤٤م تتفق مع تاريخ نزول خليل بن اسحق من صقلية الى أفريقية حسب حولية تاريخ العالم الصقلية ، فان ذلك التوافق يمكن أن يرجع نزول خليل سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م بدلاً من آخر سنة ٣٢٩هـ ، كما عند ابن الأثير ، اذ يكون انقطاع أخبار صقلية منذ بداية الثورة الزناتية ، وليس قبلها بستين شاغرتين ، دونما تفسير .

(١٢٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧١

(١٢٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٢

صقلية . فوالده علي بن أبي الحسين هو عامل جرجنت الأسبق ، الذي قتله الجرجنتيون عندما دخلوا في مواجهتهم مع خليل ابن اسحق سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٧م ، مما سميت الإشارة اليه . والحسن هو صاحب الفضل في اصلاح احوال الجزيرة وضبطها ، بل وتكوين أسرة أميرية رفعت من هيبة صقلية ، ومن شأن الدولة الفاطمية كواحدة من قوى المتوسط البحرية الكبرى ، رغم التسعوبات التي واجهته في بداية امارته من العصبية القوية ، وعلى رأسها بنو الطبري .

ردع بني الطبري الصقليين في بلرم :

ف عندما حضر الحسن الى الجزيرة ، ونزل بمراكبه في مرسى مدينة مازر ، لم يلتفت اليه أحد . وفي الليل أتته جماعة من المغاربة والكتامين ليعتذروا له عن عدم مجيئهم اليه نهارا خشية علي بن الطبري وأخويه من الصقليين . وكان ابن الطبري قد سار الى أفريقية مع بعض أنصاره ، مثل : محمد بن عبدون ، ومحمد بن جنا ، للسعي لدى المنصور لكي يعفيهم من ولاية حسن بن علي ، مع وصاية أبنائهم بمنعه من مفارقة مراكبه أو دخول البلد الى أن تصلهم أوامره . وعندما أتاه بعض أصحاب ابن الطبري ، رأى أن يخادعهم ثم انه أسرع السير الى الخالصة وبلرم حيث أتاه رجال الدولة من أصحاب الدواوين ، ومن أهل البلد ممن يرجون الأمن والعافية ، الأمر الذي اضطر بني الطبري الى الخروج اليه والتظاهر بالترحيب به ، وهم يضمرون له الغدر ، ويحاولون اثارة أهل البلد على عبيده . وبقي الحسن خائفا متوجسا من خيانتهم الى أن أتته كتب المنصور تعرفه بالقبض على زعماء المخالفين ، من : علي بن الطبري وأعوانه ، ويطلب منه القبض على من بقي لديه منهم ، الأمر الذي نفذه حسن بن علي بالحيلة والحداع عندما دعا اسماعيل بن الطبري وجماعته الى بستانه ثم قبض عليهم ، وأنزل بهم عقوبة المفسدين في الأرض فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم ، كما صادر أموالهم ، الأمر الذي حقق له تأييد أهل الباد الذين التفوا حوله (١٢٩) .

(١٢٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٢ - ٤٧٣ . وقارن المكتبة الصقلية بخطوط كمبرج ، ج ١ ص ١٧٣ - حيث تحديده تاريخ ذلك بيوم الميلاد : الاثنين ٢٤ ديسمبر ٩٥٠م / ١٠ رجب ٣٣٩هـ .

انصراف ضد الروم :

وهنا هابه الروم بالجزيرة وأحضروا له مال الهدنة المتأخر عليهم منذ ثلاث سنوات (١٣٠) . وكان ذلك نديرا باستئناف الصراع بين الفاطميين والبيزنطيين من أجل الهيمنة على كلابريا ، واثبات الوجود في جنوب إيطاليا ، وكان الأمر قد انتهى الى صالح البيزنطيين أثناء تلك الحروب الأهلية التي عرفتھا صقلية على أواخر أيام سالم بن راشد ، وحملة خليل بن اسحق .

والظاهر أن البيزنطيين هم الذين بدأوا بالمبادرة بتقوية مركزهم في الجزيرة ، وذلك عندما أرسلوا في البحر جيشا كبيرا الى صقلية بقيادة أحد البطارقة اندي اندي كان عليه أن ينسق العمل مع « السردغوس » : قائد كلابريا ، ونائب الملك في جنوب إيطاليا ، فكان على الحسن أمير صقلية أن يعرف الخليفة المنصور بالحال ، ويطلب منه ارسال المدد (١٣١) . وفي يوم الأربعاء ٢ يولييه ٩٥٢ م/ ٥ صفر ٣٤١ هـ ، وهو التاريخ الذي تحدده الحوايات الصقلية حسب تاريخ العالم ، وصل الأسطول الفاطمي بقيادة الفتى فرج مولى المنصور ، الى بلرم محملا ب ٧ (سبعة) آلاف فاولس و ٣٥٠٠ (ثلاثة آلاف وخمسمائة) راجل ، سوى أفراد البحرية من قوات الخلافة . فقام الأمير حسن بن علي بحشد قواته من الصقليين والأفريقيين . وبعد عشرة أيام ، أي في يوم السبت ٢٠ يولييه/ ١٥ صفر . كان الحسن يسير بهم في تشكيل برى بحرى نحو مسينا ، من حيث عبر الى مدينة ريوه (Reggio) ، أول مدن قلورية عبر المضيق ، التي وجدت خالية من أهلها فتركت . وساحت السرايا في أرض قلورية (كلابريا) ، ووصلت الى مدينة جراجة (Gerace) وضربت عليهم الحصار الذي انتهى بالصالح على دفع ضريبة مالية أخذها الحسن عندما عرف بقدم قوة رومية للنجدة ، وانصرف بعد أخذ رهائنهم ، ضمانا للوفاء بالعهد ودفع الضريبة (١٣٢) . واتجه حسن بن علي نحو الروم الذين فروا أمامه من غير حرب لكي يعصموا بمدينة بارى (باره) ، فسار نحو مدينة قسانه

(١٣٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

(١٣١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٧٣ .

(١٣٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ ، وانظر أيضا ص ٤٩٣ - ٤٩٤ (سنة ٣٤٠ هـ) -

حيث اسم صاحب الأسطول فرج بدلا من فرج ، كما في حوليات صقلية العالية ، المكتبة

الصقلية (كبريدج) ، ج ١ ص ١٧٤ .

(Cassano) عبر نهر كراتي (Crati) ، حيث اتخذت مقابلتها مركزا للقيادة على أن يدير منه العمليات في المنطقة لمدة شهر انتهى بالصلح نظير دفع المال الذي أخذه الحسن لكي يعود مع دخول الشتاء الى مسيني ، حيث شتى الأسطول ، بينما عاد هو لقضاء الشتاء في بلرم (١٣٣) .

قائد كلابريا يستعين بالامبراطور الروم :

وكان من الطبيعي أن يطلب قائد كلابريا المعونة من الباسيليوس . امبراطور القسطنطينية الذي سسير الأسطول بقيادة مكروجوهارنيس (Macrojoharènes) يحمل جيشا بريا كبير العدد يقوده البطريق ملجان (مالكينوس : Malakenos) الذي كان عليه أن يضم اليه قوات قائد كلابريا « السردغوس » باسكاليوس (Paschalios) (١٣٤) . وعندما وسنت الى المنصور أخبار الحملة البيزنطية الى كلابريا أصدر أوامره الى حسن بن علي بالعودة الى هناك ، وهو ما فعله الحسن عندما تحسنت الأحوال البحرية ، اذ عبر المجاز (المضيق) وسار نحو جراحة حيث التقت قواته في الطريق بالقوات الرومية الكلابرية بقيادة ملجان (Malakenos) ، وذلك يوم عرفة (١٠ من ذي الحجة) ٣٤٠هـ / ٩ ماية ٩٥٢م ، وانتهت الملحمة بانتصار رائع للمسلمين ، قتل فيه البطريق ملجان ، وهرب باسكاليوس (السردغوس) بصعوبة ، كما غنموا عددهم وسلاحهم ودوابهم (١٣٥) ، كما فتحوا حصنين في المنطقة ، هما : « رمتسة » و « لطره » وأخذوا منهما سبيا كثيرا ، أرسل الى أفريقية ، كما تقول الرواية الصقلية أن قائد الأسطول الرومي « أو محل » : « مكروجوهارنيس » كان مكبلا بين الأسرى الذين أرسلوا الى أفريقية حيث صلب (١٣٦) .

(١٣٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ ، المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث النصر (في ماثيولام امبريدج) على انه شتى سنة ٤٦٠ (الجديدة ، من تاريخ العالم) التي تقابل ٩٥٣م .
بينما توقيت هذه الأحداث عند ابن الأثير في سنتي ٣٣٩م و ٣٤٠م .
وانظر جاي (J. Gay) ، ايطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢١٣ .

- ٢٦٤ -

(١٣٤) انظر جاي (J. Gay) ايطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢١٣ .
(١٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ ، وانظر أيضا ص ٤٩٤ (سنة ٣٤٠م) ، وقارن
الكتابة الصقلية حيث التاريخ يقابل سنة ٩٥٤م / ٣٤٣م - ج ١ ص ١٧٤ .
(١٣٦) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ٢٧٤ .

الحسن يقرض الهدنة على الروم :

ومع بداية سنة ٣٤١ هـ / يونيه ٩٥٢ م كان الحسن يتصدد جراحة مرة أخرى ، ويحصرها ، الأمر الذي دعا الامبراطور البيزنطي الى طلب الهدنة (١٢٧) ، عن طريق مبعوث من لدنه هو جان بلاطوس (Platos) (١٣٨) وفعلا تم الاتفاق على عقد هدنة وافق البيزنطيون فيها على السماح للحسن ببناء جامع في مدينة ريوم (Reggio) . فسار الحسن الى ريوم حيث بنى في وسطها منجدا كبيرا له مئذنة في أحد أركانه . وكان من شروط الاتفاقية أن يحترم الروم المسجد فلا يدخله نصراني ، ولا تمنع عمارته واقامة الصلاة فيه والأذان ، وان يكون ملجأ آمنا لأسارى المسلمين ، سواء كانوا مرتدين أو مقيمين على دينهم . وهو ما وفى به البيزنطيون . وان كان الى حين . ثم عاد الحسن بعساكره الى صقلية حيث أقام الى وفاة المنصور في أواخر السنة (شوال ٣٤١ هـ / فبراير ٩٥٣ م) وخلافة المعز (١٣٩) ، فسار عنها الى أفريقية بعد أن استخلف على صقلية ابنه أبا الحسين أحمد ، واتصل بالمعز (١٤٠) .

صقلية على عهد المعز حتى نقلته الى مصر :

بعد وفاة الحسن بن عسلى بن ابي الحسين السكبي من أفريقية ، واستخلافه لابنه ابي الحسين أحمد على صقلية بمناسبة وفاة المنصور ، أقر المعز اماره أحمد على صقلية خلفا لوالده ، فكانه وافق من حيث المبدأ ، على أن تكون اماره الجزيرة وراثية في بنى ابي الحسين الكلبيين . والظاهر أن صقلية عرفت فترة من الهدوء والسكينة خلال السنوات الأولى لولاية أحمد بن الحسن ، الأمر الذي استتبعه استقرار الأوضاع فى الأقاليم

(١٣٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ - حيث النص على ان قسطنطين ملك الروم أرسل اليه يطلب الهدنة ، وقارن ، المكتبة الصقلية ، مخطوط كميريدج ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث يجمل الهدنة فى سنة ٦٤٦٢ (١٠٥٥ م / ٤٣ - ٣٤٤ هـ) ، ويجمل المفاوض الرومى الذى عقد الهدنة هو الرامب الخروبلس .

(١٣٨) جاي (J. Gay) ايشانيا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية (بالفرنسية) ص ٢١٤ .

(١٣٩) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ - حيث تضيف الرواية ان الحسن اشترط على الروم : ان أخرجوا حجرا من المسجد هدمت كنائسهم كلها بصقلية وافريقية ، وان الروم وفوا هذه الشروط ذلة وصغارا .

(١٤٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩٤ .

الواقعة تحت النفوذ الفاطمي في كلابريا وجنوب إيطاليا . ولا بأس ان يدون ذلت نتيجة طبيعية أيضا لما كان يلاقيه البيزنطيون من المضاعف مع الامارات الايطالية ، لدوقيه نابولي ، الحليفة التقليدية للمسلمين « السارازان » ، وعمار كرو (Capoue) الثومباردية ، وبفنت التي تحالفت ضد امارتي سالرنو وآمالفي ، وكذلك من أجل قتال البيزنطيين ، الأمر الذي تطلب من القسطنطينية ارسال حملة في سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م بقيادة مارينانوس اجيروس (Marianos Agyros) الى اقليم الكاهمانى لتأكيد السلطة البيزنطية في ولاياتها الايطالية هناك (١٤١) . هذا ، كما كان المعز في تلك السنوات الأولى من خلافته يعمل على توطيد سلطانه بالقضاء على بقايا الثوار والمعصاة ، بخاصة في منطقة جبل أوراس والزاب ، وكذلك في منطقة تاهرت التي كان النفوذ الأموي الأندلسي يتطلع دائما الى الامتداد اليها .

حملات احمد بن الحسن في إيطاليا :

ولكنه مع بداية سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م كان المعز في موقف يسمح له بالتطلع الى اعادة هيمنة دولته على اراضيها فيما وراء البحر في صقلية وكلابريا . وهذا ما يؤكد قيام أول حملة على عهد أبي الحسين أحمد ، والى صقلية الأولى للخليفة المعز الى بلاد الروم ، في جنوب إيطاليا . ففي نهاية سنة ٩٥٧ م / ٣٤٥ هـ ، أتى عمار بن علي بن أبي الحسين السكلي (أخو حسن بن علي) بأسطول أفريقية ليشتى في بلرم ، حتى يبدأ الصائفة في كلابريا مبكرا في ربيع سنة ٩٥٨ م / ٣٤٧ هـ . ولكن ضابطا بيزنطيا ، برتبة قائد سفينة ، من الرتب الصغيرة هي « ابروطوقاربوس : Protarebos » اسمه باسيل ، نزل في ريوه (Reggio) وهضم المسجد ثم هاجم بجرأة ، الشواطئ الصقلية ، واستولى على مدينة ترميني (Termini) (١٤٢) . وفي ذات سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م عبر أبو الحسين أحمد مضيق مسينا الى كلابريا حيث التقى مع عمه عمار ، وسارا بقواتهما

(١٤١) لى ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢١٦ - ٢٢٧ .
- حدث الإشارة أيضا الى انه كان على القائد البيزنطى أن يوجه قواته بعد ذلك ضد العرب (السارازان) في صقلية .
(١٤٢) انظر المكتبة الصقلية ، مخطوط كامبريدج ، ج ١ ص ١٧٤ - ١٧٥ - حيث تضيف الرواية انه هاجم ميناء مازر حيث هزم الأمير حسن (أبو الحسين أحمد) ، وقتل جماعة من المسلمين ، وقارن جاي (J. Gay) إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢١٧ .

المشتركة للقاء قائد كلابريا (السردغوس) مريان ، الذي هرب من أمامهما ، وان كان قد نجح في أخذ مركب من مراكب المسلمين (١٤٣) . وفي السنة التالية ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م قامت الصائفة بمهاهما المعتادة في بلايريا ، ولكن الخط لم يكن موافيا في رحلة العودة في ٢٤ سبتمبر (سبتمبر) / ١ شعبان ٣٤٨ هـ ، حيث ثارت بها الرياح فأعطبت الأسطول ، الأمر الذي دعا الأمير أحمد الى انشاء أسطول آخر في نفس السنة (١٤٤) . وفي سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م تذكر الحوليات الصقلية من الأعمال الحربية سوى أخذ المسلمين لواحد من وجهاء الروم هو « افرينه » في مقابل واحد من أعيان الافريقيين أخذه الروم أسيرا هو « ابن يصلوس » ، الذي وجهوا به الى القسطنطينية . ولا بأس أن تكون تلك المعلومات تمهيدية للفساد الذي حدث في السنة التالية (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) بين الروم والمسلمين في صقلية حيث استعاد الروم « افرينه » ، ولا بأس أن المسلمون قد استعادوا ، بدورهم « ابن يصلوس » ، وان لم تنص حولية كامبريدج الصقلية على ذلك (١٤٥) .

نشر المذهب الفاطمي في صقلية :

وفي نفس تلك السنة كان على الأمير أحمد أن يستجيب لما كان يرثو اليه المعز من احياء المذهب الفاطمي ونشره في بلاد الامبراطورية ، خاصة في ذلك الوقت الذي كان يكتسب فيه رضاه الناس عن طريق احتفالات الختان في كل أرجاء النوبة ، وما صحبها من العطايا والهبات لصغار المطهرين وأولياء أمورهم الكبار ، الأمر الذي كان لصقلية فيه نصيبها المميز من أعمال المال . هكذا كان على أمير صقلية ، بعد عقد اللقاء مع الروم الذي يعنى هو الآخر سياسة خارجية مبنية على الأخرى على الميدان وحسن الجوار ، أن يذهب الى الحضرة الموزية بصحبة أعيان الصقليين ، ليعلنوا دخولهم في مذهب أمير المؤمنين الذي أحسن

(١٤٣) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ .

(١٤٤) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ وقارن جاي ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢١٨ ، الذي لا يعرف ما ورد في تلك الحولية الصقلية العربية بل يرجع الى المؤرخ اليوناني سليليزيس (Skylitzès) الذي ينسج العائفة خطأ في السنة السابقة على أساس أنها شنتت سفن عمار واحد .

(١٤٥) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ .

وفادتهم (١٤٦) .

وإذا كانت حولية تاريخ صقلية ، حسب تاريخ العسالم (مخطوط . كمبريدج) تكاد تكون المصدر الوحيد لأخبار الصراع بين المسلمين الروم في صقلية وكلايريا وجنوب إيطاليا مع ما كان يتخلل ذلك الصراع من اتفاقات هدنة وعلاقات سلمية ، وذلك خلال السنوات العشر السابقة (٣٤١ هـ / ٩٥٢ م - ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) فإن الحوليات العربية الاسلامية ، وعلى رأسها حوليات ابن الأثير تعود الى المشاركة في التعريف بأحوال مسلمي صقلية والروم بعد تلك الفجوة الطويلة التي اعترتها .

الاستيلاء على قلعة طبرمين :

ففي شهر ديسمبر ٩٦٢ م / ذي القعدة ٣٥١ هـ ، نجح الأمير أحمد بن الحسن في الاستيلاء على قلعة « طبرمين » الجديدة ، بعد ٧٠ (سبعين) سنة من استيلاء الأغابنة على مدينة طبرمين العتيقة ، سنة ٢٨٩ هـ / ٩٢ م ، حيث امتنع الامبراطور وقتئذ من لبس التاج في القسطنطينية لمدة سبعة أيام حداذا ، وهو يقول : « لا يلبس التاج محزون » (١٤٧) . وكان الأمير أحمد قد جيش عساكره من الصقليين والأفريقيين ، وضرب الحصار على القلعة المنبجة في مايو ٩٦٢ م / ربيع الثاني ٣٥١ هـ ، وقطع الماء عنها حتى اضطر العطش أهلها ، خلال الحصر الذي استمر سبعة أشهر ونصف الشهر ، الى طلب الصلح على أن يكونوا رقيقا للمسلمين ، وتكون أموالهم أيضا ملكا (فيثا) لهم ، نظير الحفاظ على أرواحهم . وهكذا تحولت طبرمين الجديدة التي سكنها المسلمون ، الى المعزية ، تيمنا بقلب الخليفة (١٤٨) .

(١٤٦) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ - حيث النص على أن أمير صقلية هو حسن

بدلا من أبي الحسن أحمد .

(١٤٧) انظر للمؤلف تاريخ المغرب العربي ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(١٤٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٤٣ ، المكتبة الصقلية ج ١ ص ١٧٥ ، وانظر جاي

(J. Gay) إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٩٠ - حيث النص على أن

هدف وال صقلية كان اخضاع المنطقة الجبلية جنوب مسيني وتحويل المدن المسيحية التي تدفع

الضريبة الى مدة خاضعة ، والعمل على نشر الاسلام في كل البلاد عن طريق زرع مستعمرات

اسلامية . كما حدث في طبرمين التي صودرت أملاك المسيحيين فيها ، وحول اسمها الى المعزية .

مُتَجِّح رَمْطَة : اِنْتِصَارَات لَامِعَة عَلَي الرُّوم :

وبعد أخذ طبرمين سير الأمير أحمد ابن عمه حسين بن عمار علي راس قواته في رجب سنة ٣٥١ هـ/ أغسطس ٩٦٢ م ، الى مدينة رمطة التي ضرب عليها الحصار . ولكن موقف المحاصرين في رمطة اختلف تماما عن موقف أندادهم الذين استسلموا في طبرمين أمام غائلة العطش ، حيث قدر لرمطة أن تصمد الى سنة ٣٥٣ هـ/ ٩٦٤ م .

فلقد راسل الرمطيون الباسيليوس (الامبراطور) نفور فوكاس ، فأرسل اليهم من القسطنطينية في البحر ، جيشا عظيما ، يعتبر أعظم ما نزل بالجزيرة من عسكر الروم ، اذ جاوز الأربعين ألف مقاتل(١٤٩) ، وضم اليهم الأرمن وجنود الخدمات المعاين ، من الروس والبولصيين (Pauliciens) والتراقيين . وكانت القيادة للخصي ، البطريق نقيتاس (Nicetas) ، والى جانبه مانويل ، ابن أخى الامبراطور ، قائدا لفرقة الحيالة(١٥٠) . وهنا سار الأمير أحمد بن الحسن بنفسه الى الخليفة المعز (في شهر أغسطس/شعبان) (١٥١) ، يطلب منه العساكر ، كما شرع هو في اصلاح الأسطول ، وبناء المراكب الجديدة في دار الصناعة . وحشد المعز الرجال ومعظمهم من البربر ، وسيرهم الى الأمير أحمد بقيادة والده الحسن بن علي ، فكان وصولهم الى صقلية في رمضان ٣٥٢ هـ/ سبتمبر ٩٦٣ م . وكان علي الحسن أن يشتمى برجاله في بلرم ، ولكنه لم يقدر له الحياة الى أن تبدأ الصائفة ، فمات بعد شهرين في نوفمبر/ذي القعدة من نفس السنة(١٥٢) ، فلم يكن له حظ المشاركة في انتصارات رمطة البرية ووقعة المجاز البحرية . أما الروم فكان وصولهم على المراكب في شهر شوال التالي/أكتوبر ٩٦٣ م ، قرب مسيني ، من حيث بدأوا المسيرة نحو رمطة . وهنا قرر حسن بن عمار أن يقسم رجاله الى قسمين ، أحدهما يبقى على حصار رمطة لمنع قواتها من الخروج والاتصال بالروم حتى لا ينحصر المسلمون بينهم ، على أن يسرع هو بالقسم الآخر للقاء البيزنطيين قبل أن يصلوا الى رمطة .

(١٤٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٥٦ .

(١٥٠) جاي ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢٩٠ .

(١٥١) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٦ .

(١٥٢) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٦ .

وكانت ملحمة عظيمة بين المسلمين والروم أبلى فيها الطرفان أشيد البلاء ، سواء أمام رمطة أم في مواجهة جيش الإقسطنطينية الذي كادت تكون له الغلبة بفضل الكثرة ، وحسن التسليح ، وأخيرا تم يده ابن عمار له خلاصا الا في إنتخلص من قواد الجيش العظام ، وعلى رأسهم فاندنهم مانويل ، صاحب الحياة الذي كان يقود بنفسه الهجمات المؤثرة في المسلمين ، فكان هدفا واضحا لابن عمار ورجاله الذين تنبهوا الى عدم تأثير سلاحهم في ثيابه القوية الثقيلة ، فركزوا الرمي على فرسه حتى قتلوه ، وبذلك تمكنوا من مانويل فقتلوه ، كما قتلوا جماعة من قواده المساعدين ، وعندئذ انهزم الروم أقبح هزيمة « الى حد ان الجماعة الرئيسية منهم راحت لداهشتهم ضحية السقوط في جرف عظيم صار مقبرة جماعية لهم حيث قتلوا فيه بعضهم بعضا ، وتبع المسلمون المنتهزمين في كل مكان ، وهم يقتلون ويسبون حتى « غنموا من السلاح والحيل ، وحنوف الأموال ما لا يحدها » (١٥٣) ، وكان القائد البطريرق نيقيتاس بين الأسرى الذين بعث بهم الى أفريقيا (١٥٤) .

وكان من الطبيعي أن تسقط رمطة اثر ذلك ، بعد أن ضعفت قلوب رجالها مع قلة الأوقات عندهم ، الأمر الذي دعاهم الى اخراج من في المدينة من الضعفاء ، فلم يبق فيها الا المقاتلة ، ومع ذلك فلم تؤخذ المدينة الشديدة المراسى الا ليلا ، عندما فاجأها رجال ابن عمار الذين تقدموا تحت جنح الظلام وصعدوا على أسوارها بالسلالم ، ليأخذوها عنوة ويستبيحوا لأنفسهم ما كان فيها من رجال وسبي وأموال .

وكما حدث في طبرمين تركت جماعة من المسلمين ليسكنوا في رمطة من أجل اعمارها ، حتى لا يعود اليها النصارى والروم ، كما كان يحدث من قبل ، الأمر الذي اعتبره آمارى ، في مسلمي صقلية وتابعه في ذلك جاي ، في ايطاليا والامبراطورية البيزنطية ، محاولة من جانب أحمد بن الحسن بن علي بن ابي الحسين الكلبي ، أمير صقلية وقتئذ ، لإزاحة البقية الباقية من المسيحيين من الجزيرة ، وزرع مستعمرات اسلامية مكانها ، في سبيل نشر الاسلام في كل أرجاء صقلية ، وهو الأمر المقبول بالنسبة لسياسة الخليفة المعز الدينية التي لم تكن تهدف الى نشر الاسلام بشكل عام في أنحاء الدولة ، بل وعلى المذهب الفاطمي ، مذهب الدولة الرسمي ،

(١٥٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٥٧ .

(١٥٤) جاي ، ايطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ص ٢٩١ .

وهو ما حاوله في صقلية الأمير أحمد ، مما نسبقت الإشارة إليه ، استنادا إلى حويليات صقلية حسب تاريخ العالم .
وقفة المجاز البحرية ٣٥٤هـ / ٩٦٥م :

هذا ، كما حقق المسلمون نصرا بحريا رائعا على المنهزمين من الروم في البحر ، صار بمثابة درة ثانية ترصع اكايل اغار الذي تجمل به الامير احمد في رمطة ، والذي رفع من شأن أسرة بنى الحسن بن علي الصقليين بين كل حكام الطوائف الذين عرفتهم دولة الاسلام في حوض البحر المتوسط بل وفي تاريخ الاسلام البحرى .

فنقدت تجمع الناجون من جيش مانويل ، وأخذوا معهم فى مراكبهم من وجده من روم صقلية وجزيرة ريوة المواجهة لسيلى ، كنوع من التحصن فى البحر بعيدا عن متناول أيدي المسلمين فى البر . كما ينص ابن الأثير (١٥٥) ، انتظارا لما يقرره قوادهم بشأن الرحيل أو معاودة الكرة مع المسلمين .

وهنا وجد الأمير أحمد ألا مجال للانتظار أو التوقع ، فأعد عساكره ونزل بهم فى المراكب هو الآخر ، وزحف لقتال الروم فى الماء . ودارت معركة بحرية شديدة أظهر خلالها المسلمون الصقليون كفاتهم العالية فى الحرب البحرية ، إذ نزلت جماعات الفطاسين منهم لنقب مراكب الروم التى غرق الكثير منها ، كما قتل الكثيرون من رجالها . وعندئذ وجسد الروم إلا مناص لهم من الانسحاب سريعا فى مراكبهم ، وهم لا يلوون على شيء ، وبذلك تمت عليهم الهزيمة البحرية التى تعرف فى الحويليات الصقلية العربية باسم « وقفة المجاز » .

وهكذا كان على المدن الرومية فى صقلية أن تطلب الهدنة من جديد ، فى سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م ، فعقدت لهم نظير دفع الأموال المقررة (١٥٦) .

(١٥٥) الكامل ، ج ٨ ص ٥٥٨ - حيث النص : « وركبوا مراكبهم يحفظون نفوسهم » ، وقارن جاي ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٩٠ - حيث الإشارة الى أن الأسطول الرومى لجأ الى ريوة ولكن العرب تبعوه وشتتوه .
(١٥٦) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٥٨ ، وقارن المكتبة الصقلية (مخطوط كمبريدج) ، ج ١ ص ١٧٦ - حيث ينتهى المخطوط بنزول مانويل (بيغيشه) فى يوم الاثنين من شهر أكتوبر سنة ٩٧٣ التى تماثل ٩٦٥م / ذى الحجة ٣٥٤هـ .

تماما عن سواحل كلابريا وجنوب إيطاليا فقد أضححت منذ ذلك الحين هدفا لمغارات جماعات عربية كانت ترغم المدن على دفع الفدية الثقيلة (١٥٧) .

محاولة إعفاء بنى الحسن الكلبيين من حكم صقلية :

ومما يؤسف له انه بانقطاع الحوليات الصقلية المنتظمة حسب تاريخ العالم ، سنة ٩٦٤م / ٣٥٤هـ ، تنقطع أخبار صقلية لمدة خمس سنوات ، فلا تظهر في حوليات ابن الأثير ، أكثر الحوليات الصقلية انتظاما بعد ، وأكثر توثيقا ، الا في سنة ٣٥٩هـ / ٦٦٩ - ٢٧٠م ، وذلك بمناسبة الاضطراب الذي ألم بالجزيرة ، عندما فكر الخليفة المعز ، وهو يعد العدة للرحيل الى مصر ، في إعفاء بنى الحسن بن علي الكلبيين من حكم صقلية ، خشية استقلالهم بها اذا ما خلا لهم الجو يعد رحيله ، تماما كما فعل مع جعفر بن علي بن الأندلسي ، صاحب التسيلة عندما خاف من طموحه فأخزه ، وقدم عليه زيري بن مناد الصنهاجي ، والدبلكين الذي آلت اليه نيابة أفريقية بعد رحيله - فاكتمت عداوة ابن الأندلسي الذي انضم الى صفوف الأعداء المتحالفين مع عبد الرحمن الناصر ، خليفة الأندلس الأموي (انظر فيما يأتي ص ٢٨٠) .

والمهم انه في سنة ٣٥٩هـ / ١٩٧٠م ، عزل المعز ابا الحسن أحمد بن الحسن بعد ١٦ (ستة عشر) عاما من حكم الجزيرة ، وارسل يستدعيه من صقلية الى أفريقية مع كل أعضاء الأسرة الكلبية ، ومواليهم ، وخدمهم ، ومن له صلة بهم (١٥٨) . ولكي يخفف من وقع الحدث على بنى أبي الحسن وأتباعهم الذين خدموا الأسرة الفاطمية في أفريقية ، وقت الشدائد والمحن والذين رفعوا من شأن المعز نفسه حريا وديبلوماسية في إيطاليا وصقلية ، بالنسبة للمخضوم البيزنطيين ، حتى على عهد تفقود فوكاس ، المحارب الجسور ، الذي طلب الهدنة ودفع الفدية (١٥٩) ، والذي

(١٥٧) جاي (J. Gay) إيطاليا الجنوبية ، ص ٢٩١ .

(١٥٨) أحمد (عزيز) صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ٣١ .

(١٥٩) بينما كانت قواته تنتزع المدن الاسلامية في شمال الشام والجزيرة ، وتغلب على

المسلمين في كريت (اريطس) حتى قال فيه ابن الأثير ، الذي يظهر متشائما في تقييمه لمشاكل المسلمين أثاره الكبري - كما يفعل بمناسبة غزو جنكيز خان للمشرق الاسلامي - وان كان هنا بمناسبة مقتل تفقود بتدبير من امرأته زوجة الملك السابق وأم غياله ، وهما به المسلمون هبة عظيمة ولم يشكروا في أنه يملك جميع الشام ومصر ، والجزيرة ، وديار بكر ، نخلو الجميع من مانع - - الكامل ج ٨ ص ٦٠٦ - ٦٠٧ . (أحداث سنة ٣٥٩هـ) .

ذهل سفيره عندما رأى المعز فى المنصورية ، فتصوره الها يكاد يرقى قو السماء (١٦٠) ، لكل ذلك رأى المعز أن يكون بديل الأمير أحمد هو أحد موالى أسرة بنى الحسن الكلبيين ، وهو يعيش مولى الحسن نفسه (١٦١) ، لعل فو ذلك عزاء لهم .

والذى يظهر من رواية ابن الأثير أن الأمير يعيش المولى حاول أن ينظم العمل فى دار الصناعة (صناعة السفن) ببلرم ، حرفة أهل الجزيرة المحارين البحريين بالامتياز ، فجمع القبائل للعمل هناك ، ولكن الأمر انتهى بالنزاع بين موالى كتامة الذين كانوا خبراء فى صناعة المراكب ، تبعاً للأقدمية على الأقل ، حسيماً نظراً ، وبين غيرهم من موالى القبائل الأخرى ، فتقاتلوا فيما بينهم . ولما كانت نهاية القتال غير عادلة ، إذ كانت خسائر موالى الكتامين أكثر من قتلى منافسيهم موالى أهل ناحية سرقوسة ، فإن الشر استشرى فى الجزيرة وتمكنت العداوة بين الكتامين - عصبية الدولة الرئيسية - وبين منافسيهم . وترتب على عجز يعيش عن اصلاح ذات البين بين الخصوم ، أن انتشر الفساد ، ووقع الظلم بالعامه من الناس ، وخاصة بأهل المراعى والنصارى من سكان القلاع ، أصحاب العهد والأمان .

أقرار بنى الحسن الكلبيين من جديد فى ولاية صقلية :

وهكذا كان على المعز أن يعيد النظر فى أمر تولية يعيش اماره صقلية ، فعزله وعين مكانه أبا القاسم بن الحسن بن على بن أبى الحسين ، ولكن بالنيابة عن أخيه أحمد (١٦٢) . وكان ولاية هذا الأخير ، لم تنقطع ، لا باستعمال يعيش مولى الأسرة الكلبيه ولا باستعمال أبى القاسم ، حيث يفهم من وظيفة العامل أنه صاحب الخراج أو الجباية ، الى جانب الأمير صاحب الحرب والإدارة . وأتى هذا التغيير المنطقى بما كان يرجى منه ، إذ فرح أهل صقلية بوصول أبى القاسم بن الحسن اليهم ، وزال الشر من بينهم واتفقوا على طاعته (١٦٣) .

(١٦٠) على عكس ما رأه فيها بعد فى القاهرة ، ملكاً من الملوك - اتعاط المنفا - ص

(١٦١) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦١٠ ، وانظر أحمد (عزير) صقلية الاسلامة ، بالانجليزية ، ص ٣١ .

(١٦٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦١٠ .

(١٦٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦١٠ .

وبعد وفاة الأمير أحمد بعد أشهر قليلة ، أقر المعز أبا القاسم في
بولاية ، وبذلك يكون المعز اعترف بالأمر الواقع الذي يعنى الحكم الوريثي
لصقلية في أسرة بنى أبى الحسين الكلبيين (١٦٤) .

أحوال الأقاليم الشرقية في كل من طرابلس وبرقة واجدانية قبل رحيل المعز الى مصر :

باستقرار الأمور في صقلية داخليا وخارجيا يكون المعز قد اطمأن
على أملاكه فيما وراء البحار في صقلية وكلايريا ، كما سبق له الاطمئنان
على أراضيه المغربية بمسد سلطانه على المغرب الأقصى ، أو بلاد الغرب ،
حسب المصطلح الأندلسي ، باستثناء سببته على المجاز الى الأندلس ، كما
كانت أحوال الأراضى الشرقية في طرابلس وبرقة مطمئنة تماما منذ الثورة
الزناتية التي كانت لها آثارها الإيجابية هناك ، حيث ازدهرت كل من
الولايتين اللتين كانتا ملجأ لمن آذتهم الحرب الزناتية في أفريقية ، والذين
قاموا بنشاطاتهم العمرانية هناك ، كما اعتمدت الدولة على موانئها ،
وخاصة طرابلس التي مثلت عمقا للدولة لا تطاله أيدي الثوار في أفريقية .

والحقيقة أن الأقاليم الشرقية في طرابلس وبرقة كانت دائما موضع
اهتمام الأئمة طالما كانت أمنيتهم هي فتح مصر . وهكذا اهتم القائم
- قبل الثورة الزناتية من غير شك - بمدينة اجدانية فجعلها بجامع حسن
البناء كان له مئذنة مئذنة بيعة الشكل (١٦٥) . وبعد الاضطراب الذي
عرفته منطقة طرابلس سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م عند وفاة المهدي حيث كانت
ثورة ابن طالوت القرشي (أنظر فيما سبق ص ١٦٥) لا تذكر الحوليات
التاريخية - شيئا خلال حكم القائم والمنصور بخلاف ان طرابلس كانت
أقرب ماوى للاجئين الفارين من جحيم الثورة الزناتية ، وخاصة من أهل
المهدية ، كما حدث سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤ - ٩٤٥م (أنظر فيما سبق
ص ١٨٢) . وعلى عهد المعز كانت كل من طرابلس وبرقة موضع اهتمام
المسؤولين الأمر الذي ترتب عليه تمتعهما بالرفه والرخاء . ففي سنة ٣٤٥هـ
/ ٩٥٥ - ٩٥٦م ، قام والى طرابلس أبو الفتح زيان الصقلبي بتجديد سور
المدينة (١٦٦) . كما ازدهرت طرابلس نتيجة لتوثق علاقاتها بصقلية ، منذ

(١٦٤) انظر أحمد (عزيز) صقلية الاسلامية (بالانجليزية) ، ص ٣١ .

(١٦٥) الاستبصار ، ص ١٤٤ .

(١٦٦) التيجاني ، الرحلة ، ص ١٧٢ .

الثورة الزناتية حتى أصبحت على عهد المعز منافسة لسوسية والمهدية ،
حيث آلت ولايتها الى نصير الحازن ، أمين الأموال والسيلاح ، الذي كان
يستخلفه المعز بالمهدية (١٦٧) .

طرابلس قاعدة للأسطول الصقلي :

وهنا يمدنا كتاب سيرة الأستاذ جودر بمعلومات مفيدة عما كان
يقوم به الطرابلسيون من أصحاب مراكب الشحن الكبيرة من نقل ما كان
يرسل من الشعير الى صقلية ، معونة للغزاة (١٦٨) . كما نفهم أيضا ان
طرابلس كانت على أواخر أيام المعز قاعدة لأسطول صقلية ، حيث كان
يأتي إليها بنو الحسن ولاة الجزيرة في المراكب بأموال صقلية ومغانم الروم .
فينفق منها نصير الحادم الوالي على صيانة الأسطول ورواتب عسكره ويرسل
بذلك بيانا الى الخليفة ، وبما تبقى لديه من المال ، ولا شك أن أموال
طرابلس هذه كانت من الكثرة بحيث أن المعز كان يرجو أن تعوضه عن
بعض نفقات حملة جوهر الضخمة الى مصر (١٦٩) .

برقة حاضرة مزدهرة :

أما برقة فكانت لها أهميتها الاستراتيجية الكبيرة ، برريا وبحريا ،
بالنسبة لفتح مصر بخاصة . ففي سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م عندما ثارت قضية
كريت (أقريطش) التي كان يفتحها نفقور فوكاس على المسلمين ، كان المعز
يخطط لاتخاذ بعض مراسيها (طبرقة ؟) قاعدة لرسو الأسطولين المصري
والفاطمي ، تأهبا لاحتمال اتخاذ اجراءات مضادة لأعمال البيزنطيين في
كريت (أنظر ما سبق ص ٢٤١) . ومنذ سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م كان العمل
هناك يقوم على قدم وساق في بناء المنازل والقصور ، كما على طول الطريق
من أفريقية الى حدود مصر ، تمهيدا لمسير حملة الفتح (أنظر فيما سبق ،
ص ٢٥٢) .

(١٦٧) سيرة جودر ، ص ٨٨ .
(١٦٨) سيرة جودر ، ص ٨٧ - ٨٨ وانظر للمؤلف موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين
في المغرب ونقلتهم الى مصر - مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية ، المجلد ١ - ١٩٥٨ ، ص ٢٣٤ .
- حيث شكوى متولى البحر من ابن رستم الاطرابلسي من حيث خيانتة في ذلك الشهور .
(١٦٩) سيرة جودر ، ص ١٧١ ، وانظر للمؤلف موقف ليبيا - مجلة كلية الآداب بالجامعة
الليبية ، مجلد ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

هكذا ، كما يفهم أن برقة كانت تعيش وقتئذ فترة من الازدهار والرفاهية . فهذا ما يستشف من كثرة اموال وايها افلاح ابن ناشب وعريض سخائه . فهو عندما يطلب منه جوذر عشرة جمال يضاعف الهدية الى عشرين جملا . وهو في سبيل الحفاظ على وجاهته - يعرض على المعز أن يعفيه من الترجل لجوهر وتقبيل يده (أو حافر فرسه) عندما يمر به في طريقه الى مصر ، نظير تقديمه ١٠٠ (مائة) ألف دينار (١٧٠) .

وبذلك تكون الأقاليم الشرقية من الدولة الفاطمية في دورها المغربي ، قد تمتعت بالرخاء نتيجة للاستقرار الذي عرفته زمن الثورة الزناتية ، ولاهتمام المعز بعد ذلك بفتح مصر ، وتوجيه سياسته تبعا لذلك وجهة شرقية .

الرحيل الى مصر - ٢١ شوال ٣٦١هـ / ٦ أغسطس ٩٧٢م :

الاعداد للموكب الخلائي :

هكذا كانت الظروف مواتية لكي تدق ساعة الرحيل الى مصر ، في أعقاب جوهر ، بعد ٣ (ثلاث) سنوات كانت لازمة للتثبيت من استقرار فتح مصر ، وضمان تهدئة الأوضاع في أفريقية وبلاد المغرب . ففي يوم ٢١ شوال سنة ٣٦١هـ / ٦ أغسطس ٩٧٢م خرج المعز من المنصورة الى قرية سردانية القريبة من القيروان (١٧١) ، والتي اتخذها مقرا مؤقتا للاعداد للموكب الخلائي في تحركه نحو المشرق ، وانجاز ما كان قد تبقى من الأعمال السياسية والادارية الخاصة بأوضاع المغرب وتراثيبه . ففي سردانية لحق به رجال حاشيته وعماله ، وأهل بيته وجميع ما كان في قصره من أمتعة وأموال . وفيما يتعلق بالأموال تقول الرواية انه كان لدى المعز من الدنانير المكدسة بعد ما أنفقه على حملة جوهر مما بلغت جملته ٢٤ مليون دينار (أنظر فيما سبق ، ص ٢٥٠) ، ما سمح بسبكها وجعلها كهيئة الطواحين ، التي حملت كل طاحونتين منها على جمل (١٧٢) .

(١٧٠) سيرة جوذر ، ص ٩٥ ، ابن خلكان ، ترجمة جوهر ، ج ١ ص ٣٧٧ . وانظر للمؤلف ، موقف ليبيا - مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، المجلد ١ ، ص ٢٢٥ - ٢٣٦ .

(١٧١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ ، ابن خلكان ، ترجمة المعز ، انماط الخلفاء ، نشر الشيبان ، ص ١٤٤ .

(١٧٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ ، وللمقارنة مع ما أنفق على حرب أبي يزيد ، انظر ص ٢١ - حيث بلغت أكثر من ١٢ مليون دينار .

ترتيب شئون الحكم في المغرب وصقلية :

أفريقية :

والحقيقة أنه رغم ما تقوله الرواية من أن المعز ، خلال إقامته تلك في سردانية ، اتخذ القرارات الخاصة بترتيب شئون الحكم والادارة في بلاد المغرب وصقلية ، فالمعروف انه كان قد حزم أمره بالنسبة لذلك قبل الرحيل بوقت كاف ، ولا بأس أن يكون ذلك قد تم قبل ذلك بسنوات من حيث الأمر الواقع على الأقل ، ان لم يكن من الناحية القانونية - وهو الأمر المنطقي ، خاصة وان المعز لم ير انفراد من يفوضه للنيابة عنه في افريقية بالسلطة وحده في كل البلاد ، بل ولا أن تكون له كل السلطات ، فهو يحيطه بعدد من الولاة في أطراف الدولة ، كما يضع الى جانبه عددا من العمال في حضرة القيروان ، مركز الحكومة . فزيري بن مناد وابنه بلكين يوسف كانا قد تقدموا في اللحظة لدى المعز على صاحب المسلية جعفر بن علي ابن الأندلسي ، الأمر الذي أدى الى غضب هذا الأخير ، بل والى انضمامه الى صف أمراء الزناتية ، حلفاء عبد الرحمن الناصر ، الذين تألبوا على زيري بن مناد وقتلوه ، الأمر الذي افتخر به جعفر ، تقربا الى الناصر (انظر فيما سبق ، ص ٢٥٤-٢٥٥) . ترتب على ذلك أن عهد المعز بولاية أفريقية الى بلكين أميرا ، والى جانبه القاضي ، وصاحب الخراج وصاحب الخبز (البريد) عمالا . تابعين للخلافة (١٧٣) .

ولا بأس ان الأموال هي التي كانت تهم المعز أكثر من غيرها ، وذلك أنه جعل لها ٣ (ثلاثة) عمال الى جانب يوسف بلكين ، أولهم : زيادة الله

(١٧٣) انظر ابن خلكان ، ترجمة المعز ، اتماظ الحنفا ، ص ١٤٤ - حيث الإشارة الى أن جعفر بن علي طلب ما يشبه الاستقلال عن الخلافة نظرا « لبعدهما بين مصر والمغرب » . الأمر الذي أغضب المعز ، بينما تحفظ بلكين عندما عرض عليه المعز الاستخلاف ، وأنه الذي طلب أن يكون عمال الخلافة الى جانبه وأن يقوم هو بين أيديهم لمواجهة العصاة . ومن الواضح أن الرواية موشوطة فيما بعد ، وأنها تمير عن الحالة الراهنة وتذاك ، مما يعبر عن الضمانات التي اتخذها المعز لبقاء أفريقية تحت سلطانه . وعن مشكلة النيابة في أفريقية هذه ، انظر محمد اليملاوي ، حول نيابة محتملة للأمير الفاطمي عبد الله بن المعز في أفريقية في القرن الـ ٤ هـ / ١٠ م ، دفتار (كرايس) تونسية ، المجلد ٢٢ ، العدد ١ ، ٢ لسنة ١٩٧٤ ، بالفرنسية ، ص ٩ وما بعدها - حيث فكر المعز - بعد التفكير في جعفر بن علي ، ووجود بلقين - في إنابة ابنه عبد الله ، والسند لذلك ، قصيدة لابن هانئ يقول فيها :
لما شددت بعدد الله عروته
أعززت منه مصون الأمر لم يدل

ابن القديم ، على الجبائية ، وهو رئيسهم كما يستشف من النص ، والآخرون على الحراج ، وهما همد الجبار الحراساني ، وحسين بن خلف الموصدي (١٧٤) .
وإذا كانت الرواية تنص على أن المعز أمرهم بالانقياد ليوستف بن زيري ،

فهذا لا يمنع من تبعيتهم أو تبعية رئيسهم ، ابن القديم على الأقل ، المباشرة للمعز . فهذا ما يفهم من سياق الرواية التي تنص على أن المعز كان يعرف سلفاً ان الأمر سينتهي باستقلال بلكين ، وهي الفكرة الرئيسية التي جعلته لا يفوض بلكين في حكم كل أملاكه في الشمال الأفريقي ، وما وراء البحار في صقلية وجنوب إيطاليا .

طرابلس :

فلقد أخرج المعز طرابلس وما يتبعها ، من : سرت واجدانية ، من امارة بلكين ، وكون منها امارة جديدة عهد بها الى أحد قواد كتامة هو : عبد الله بن يخلف الذي كان أسيراً لديه (١٧٥) ، الأمر الذي كان يعنى استرضاء قبائل كتامة ، أنصار الدولة السابقين الذين اعترز بهم المعز وعمل على إعادة الثقة فيهم ، عن طريق غفران ما كانوا قد وقعوا فيه من الزلزل أيام المهدي ، وأيام القائم عندما انضم بعضهم الى الأعداء ، على أساس انه خطأ في الاجتهاد ، قد لا يعاقب المرء عليه ان لم يثاب (انظر المجالس والمسائرات ، ص ٢٤٥) .

وإذا كانت الرواية لا تضع ولاية برقة ضمن الولاية الكتامية الشرقية ، التي تكاد تعادل البلاد الليبية الحالية ، باستثناء برقة ، فان ذلك يعنى ان المعز أخذ بالتنظيم الإداري القديم ، من حيث كانت برقة من أعمال مصر .

صقلية :

وكذلك فعل المعز بصقلية التي كان قد أقر فيها أسرة بنى أبي الحسين الكلبيين ، منذ إعادة أبي القاسم بن الحسن ، نائباً عن أخيه أحمد ، سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م ، فأعاد تثبيتته مستمراً في ولايته الى سنة ٣٧٢هـ /

(١٧٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ - ٦٢١ ، وقارن القرظي ، اتواط المنفا ، ص ١٤٢ .

(١٧٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ . وانظر الطاهر أحمد الزاوي ، تاريخ الفتح العربي

في ليبيا ، ص ١٧٣ .

٩٨٢م - بعد وفاة أحمد قبل قليل من سير المعز الى مصر (١٧٦) .

وبذلك يكون المعز قد أقام نوعاً من التوازن بين نوابه في أملاكه المغربية ، بتقسيمها الى ثلاث ولايات منفصلة ، في افريقية وطرابلس ، وصقلية ، ورغم ذلك فقد كان بلكين هو الممثل الحقيقي للدولة الفاطمية في أملاكها الغربية ، وهذا ما يفسر كيف ضمت ولاية طرابلس الكتامية اليه بعد فترة وجيزة . أما ولاية بنى الحسن الكلبيين في صقلية فقد واصلت أمجادها في الجزيرة ولكن الى حين .

الرحلة الى مصر :

والمهم أنه بعد أن اطمأن المعز الى ترتيب أمور دولته في المغرب ، واستكمل تجهيزاته الأمر الذي تطلب إقامة شهرين في سردانية ، خرج يوم ٢٠ من ذى الحجة ٣٦١هـ / ٣ أكتوبر ٩٧٢م (١٧٧) متجها نحو مصر في موكبه الفخم ، تتقدمه توابيت آبائه ، كناية عن الرحيل دون التفكير في العودة ، ويحيط به حراسه ورجال حاشيته ، ويصحبه يوسف بلكين حتى قابس ، حيث أدى تحية الوداع بما يليق بسيد الامام من التعظيم ، من تقبيل اليد والرجل على ما نظن ، ان لم يكن تقبيل حافر الفرس كذلك .

أصول الحكم في افريقية ، وآخر وصايا المعز :

وكان آخر ما أوصى به المعز نائبه الصنهاجي بلكين ، هو : ألا يرفع السيف عن البربر وألا يرفع الجباية عن أهل البادية وأن يفعل مع أهل الحاضرة خيرا ، ولا يول أحدا من اخوته أو بنى عمه (١٧٨) . كما أنزله

(١٧٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ - حيث النص تجاوزا على أن الولاية كانت للحسن بن على أول أفراد الأسرة الذي كان قد مات مجاهدا أثناء ولاية ابنه أحمد (سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) (ما سبق ص ٢٧٢) . وأنظر حسن إبراهيم وطه شرف ، المنز لدين الله ، ص ٦٣ ، وأنظر للمؤلف موقف ليبيا ٠٠٠ ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، المجلد ١ ص ٢٢٨ ، حيث للاشارة الى مزيد من المعلومات في ميشيل اماري ، تاريخ المسلمين في صقلية Storia dei Musulmanidi Sicilia ج ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٧٥ - عن بداية الحسن بن على ، ص ٢٧٩ - عن أسر بنى الحسن في صقلية .

(١٧٧) أنظر اتعاط الحنفا ، ص ١٤٤ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢١ - حيث يتناول ان الإقامة في سردانية استغرقت ٤ (أربعة) أشهر ولكن دون تحديده التواريخ . (١٧٨) النويري ، ص ٣١١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٥ ، ابن الخليل ، أعمال الاعلام ، تحقيق مختار العبادي والكتاني ، ج ٣ ص ٦٥ . وأنظر فيما بعد ص ٣٢٥ .

القيروان ، وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح ، ولقبه سيف الدولة (١٧٩) .

وهذه الوصية ، ان جاز أن تكون موضوعة ، مثل قصة تمنع بلكين عن الولاية أو زهده فيها ، فهي تبين على كل حال المبادئ الأساسية التي ينبغي أن تنبنى عليها سياسة أية حكومة مغربية في ذلك الحين . والمبدأ الأول يعنى ان البربر أهل اضطراب لا يرضون بالخضوع لسلطان الدولة ، فيجب مراقبتهم والضرب على أيدي العصاة منهم . والمبدأ الثاني يعنى أن ولاء سكان البوادي لا يتأكد الا بخضوعهم للنظام العام بالأمر الذى لا يتأتى الا بدفعهم المنتظم لما هو مقرر عليهم لبيت المال . والمبدأ الثالث يعنى أن أهل الحضرم عصب الدولة الحقيقى ، ويعنى حيويتها ومصدر ثروتها ، فالواجب إذن أن يحسن الأمير اليهم . أما عن المبدأ الرابع الخاص بتعذيب بلكين من أقاربه ، فالوضع فيه واضح ، اذ هو يعبر عما حدث فيما بعد من الاختلاف بين أبناء بلكين وبين أبناء عمومتهم الحماديين ، أصحاب القلعة ، الذين استقلوا عن دولة القيروان والمهدية .

وفى طرابلس ساء بعض رجال المعز أن يهاجروا الى المشرق ، فهربوا الى جبال نفوسة ، واعتصموا بالمنطقة الأباضية الخارجة على الدولة أبدا ، وفشلت كل الجهود التى بذلت فى سبيل استرجاعهم (١٨٠) . وتابع الموكب سيره عبر مدن سرت وأجدابية ، والمعز ينزل للاقامة فى بعض المواضع ، ويجد السير فى مواضع أخرى ، الى أن وصل الى برقة فى ١٤ جمادى الأولى ٣٦٢هـ / ٢٠ فبراير ٩٧٣م ، حيث نزل بالقصر خارج المدينة (١٨١) فى موضع يعرف بـ « مياسر » (سيرة جودر ، ص ١٤٧) .

وفاة محمد بن هانىء الأندلسى :

وفى برقة فقد المعز شاعره محمد بن هانىء الأندلسى الذى طالما غالى فى مديح المعز . ولقد قيل انه مات اثر ليلة بيضاء سيهرا ، قضاه حمرأ عربدة وسكرا ، حتى فقد وعيه فبات عريانا فى برد ذلك الوقت من الشتاء ، فمات . هذا ، ان لم يكن قد قتل على أيدي رفقاء السوء فى تلك الليلة ، الذين

(١٧٩) سجع الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٢٤ .

(١٨٠) ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٦٢١ .

(١٨١) المقرئى ، اتعاظ الخفا ، ص ١٨٦ .

عربوا عليه بعد أن سكروا (١٨٢) . هذا ، ولو أن ابن الأثير ينص على أنه اغتيل ، وأن لم يعرف من قتله ، حيث روى ملقى على جانب البحر في أواخر رجب سنة ٣٦٢ هـ / أواخر إبريل ٩٧٢ م ، وأن فهم من روايته التي يورد فيها أشاره الغالية في مديح المعز ، أن ذلك كان السبب في اغتياله (١٨٣) . بل وأكثر من هذا ما نسب إلى ابن هانيء ، مما نسب المؤرخون في مديح المهدي الغالي ، مثل :

خل بركة : المسيح خل بها آدم ونوح

... الخ (١٨٤)

وفي بركة توفي أيضا عم المعز : يوسف بن القاسم ، كما توفي مولاه جودر الصقلي الذي دفن بجامع القصر هناك (سيرة جودر ، ص ١٤٧) .

ومن بركة سار المعز إلى الاسكندرية فوصلها في أواخر شعبان / أوائل يونيو ٩٧٣ م ، حيث استقبل بالحفاوة والترحاب من أهل مصر وأعيانهم ، ثم سار ليدخل القاهرة في ٥ رمضان سنة ٣٦٢ هـ / ١٠ يونيو ٩٧٣ م . وبذلك تختم الدورة المغربية من تاريخ الدولة الفاطمية ، ليبدأ عصر النيابة الفاطمية في المغرب ، وهو العصر الزيري الصنهاجي ، فاتحة عصور الدول المغربية حقيقة أي البربرية لها ودما .

(١٨٢) أنظر ابن خلكان ، ترجمه محمد بن هانيء ، ج ٤ ص ٤٢٢ .

(١٨٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢١ - حيث قوله :

ما شئت لا ما شئت الأقدار ما حكم فانت الواحد القهار
وقوله :

أمدبرها في حيث دار نلسا . زاحمت حول وكابه - جبريلا

- الشطرة الأولى في البيت الثاني في ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢١ ، ناقصة ما بين القوسين ، والتكملة من ديوان ابن هانيء حسبما أوردتها التحقيق في أعمال الإعلام لابن الخطيب ، ج ٣ ص ٢٥٦ . وقارن المنهل العذب لأحمد النائب الأنصاري ، طرابلس ، ص ١٠١ - حيث بيتها القصر ، كالآتي :

فكانما أنت النبي محمد وكانما أنصارك الأنصار

ما شئت لا ما شئت الأقدار فأحكم فانت الواحد القهار

(١٨٤) أنظر فيما سبق ، ص ١٢٧ وهـ ١٤٩ ، وأن نص ابن الأثير على أن المتمصين

لابن هانيء يؤولون مقالاته تلك (ج ٨ ص ٦٢٢) .

الفصل الثالث

العصر الصنهاجي الأول في بلاد المغرب

الزيريون خلفاء الفاطميين في إفريقية

تمهيد :

برحيل المعز إلى القاهرة ومصر يبدأ عهد جديد في بلاد إفريقية والمغرب ، يمكن أن يعتبر نهاية لمرحلة من تاريخ الشمال الإفريقي في عصوره الإسلامية ، هو العصر العربي في مقابل ما يسمى بالدولة العربية في المشرق ، وبداية لفترة جديدة من ذلك التاريخ ، وهي : العصر البربري ، في مقابل العصر الفارسي في المشرق ، والمقصود بسمة العروبة في تلك الدورة من تاريخ المغرب في المرحلة الأولى ، ليس العرق ولا حتى اللغة - رغم ما لها من تأثير عميق في حياة المجتمع وتاريخه - بل الأثر الشرقي بعامة ، انوافد من مصر حيث مقر الخلافة الفاطمية ، وفي العراق حيث الخلافة العباسية ، بل ومما وراء ذلك في فارس وإيران ، من حيث وفدت تأثيرات عرقية وثقافية جديدة ، بل وفي أبعد من ذلك حيث بدأت في المغرب طلائع التأثيرات التركية الوافدة أصلا من أواسط آسيا ، من : عرقية وثقافية أيضا . وهي المؤثرات التي ظهرت في المغرب مع بداية العصر الفاطمي ، والتي تدل عليها تسمية دعاة المذهب الإسماعيلي الفاطمي بـ « المشاركة » والمذهب الشيعي بمذهب « التشريق » . فكان السمة الشرقية بعامة ، من : عربية وفارسية وتركية ، قد حلت محل العربية ، عرقا ولغة وعادات وتقاليد ، الأمر الذي يتفق مع مسار الأحداث التاريخية ، وتطور الأحوال الاجتماعية والحضارية ، وفي مقابل ذلك تمثلت سمة العصر البربري الجديد ، من تاريخ المغرب الإسلامي ، في قيام دول مغربية لحما ودما ، حيث قامت أسر بربرية حاكمة بدلا من الأسر الشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية ، مما عرفته البلاد من قبل ، من : الروانية الأموية في قرطبة ، والأدرسية العلوية في فاس ، والرستمية الفارسية أصلا في تاهرت والأغلبية العربية التميمية في القيروان . بصرف النظر عن الأسر البربرية المحلية ، من بني مدرار في سجلماسة ، وبني عصام في سبتة ،

وبني صالح في نكور ، وكذلك الامارات القبلية الصغيرة ، ذات الطابع المحلي ، في غمارة ، وبرغواطة ، ومغراوة ، وجراوة ولواته وغيرها ، في مقابل شعوب زناتة وصنهاجة ومصمودة .

وهنا تحسن الاشارة الى أن دورات التاريخ الأندلسي كان لها نفس مسار الدورات المغربية ، من حيث مشاركة البربر للعرب ولاهل البلاد من مولدين ومستعربة ووافدين من الماليك الصقلية ، في أمور اسيساسة والحرب والادارة . وكانت مشاركة البربر تزداد مع ازدياد قوة القبائل البربرية وخاصة صنهاجة افريقية الذين كان لهم دورهم الايجابى فى الأندلس ، ابتداء من عصر الدولة العامرية على وجه الخصوص . فكان للبربر دورهم فى سقوط الدولة الأموية ، مثلما كان لصنهاجة الزيريين دورهم فى منطقة غرناطة ، الأمر الذى مهد لدور أكبر لهم فى عصر ملوك الطوائف ، قبل أن تمتد الهيمنة الصنهاجية على كل البلاد مع قيام دولة الملتحين المرابطين .

وإذا كان المعز عندما سار الى مصر ، تقدمته توابيت آبائه بمعنى عدم التفكير نهائيا فى العودة الى تلك البلاد التى امتحن فيها الأسرة الشريفة حتى أشرفت على الهلاك أو كادت ، فإن تلك القطيعة بين المشرق والمغرب ، بما تمثلته من رفض المذهب الشيعى فى أفريقية ، بعد قليل ، لم تكن قاطعة . حقيقة ان اعلان السنة ، كما كان الحال عند اعلان التشيع من قبل ، قد صاحبه اضطهاد الطرف الآخر ، مما عرف عند بعض الباحثين بـ « الأزمة الفاطمية » (١) ، ولكن الروابط لم تنقطع بين المشرق والمغرب . ان على المستوى الشعبى حيث استمر انتقال النساس من التجار والحجاج والعلماء ، أو على المستوى الرسمى ، حيث كانت السفارات والبعثات الأميرية تروح وتجيء ما بين القاهرة والقيروان بالهدايا وسجلات الولاية والعهد أو خطابات البيعة .

وما يستحق الانتباه أكثر من ذلك أن ما قام به الفاطميون فى مصر ، عندما أطلقوا قبائل الهلالية على بلاد القيروان ، فى تلك العملية الثارية من نوابهم الزيريين ، كانت له تأثيراته الجانبية ، كما يقال ، على المستويات الاقتصادية والديموغرافية العرقية . فبينما يصر الكتاب على ما أثاره عرب

(١) ج ١ مارسه ، بلاد البربر والمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، بالفرنسية ، باريس ١٩٤٦ .

الهلالية من التدمير والتخريب في أفريقية والقيروان ، الأمر الذي أدى الى قلب الاوضاع السياسية والاقتصادية في البلاد رأسا على عقب ، تمثل أهم نتائج تغريبه الهجرة الهلالية على المدى البعيد في عملية تعريب البلاد على المستوى العرقى واللغوى ، بالشكل النهائى الذى آلت اليه حديثنا ، والذي يظهر فى تعريب كثير من قبائل البربر الذين رفعت أنسابهم الى الأجدام العربية العريقة ، كما فعلت زناتة بانتسابها الى القيسية ، أو صنهاجة بانتسابها الى الحميرية اليمنية .

هكذا ظهرت الدولة الصنهاجية الزيرية فى بلاد القيروان وأفريقية بمظهر الدولة العربية حقا ، من حيث اتخاذ العربية لغة رسمية للدولة ، وعناية الامراء بها فى بلاطهم ، حيث استقبلوا العلماء والشعراء ، واستمعوا لمذائهم وأجازوهم ، بل من حيث عناية بعضهم بالشعر والأدب - حسبما سمحت الظروف .

وهنا نحب الاشارة الى نظرية ابن خلدون التى تقول بأن الطابع الدينى فى الدولة الاسلامية يتناسب طرديا مع صبغتها العربية ، ونرى أنه لا بأس أن يكون ابن خلدون قد استنبط نظريته هذه من دراسته لتاريخ دول المغرب البربرية (٢) ، وأولها دولة الزيريين الصنهاجية ، حيث لا تشغل الأمور الدينية فيها حيزا من التاريخ يذكر بالمقارنة مع العصر الفاطمى السابق أو حتى الأغلبى العباسى الأسبق ، باستثناء تلك الفورة على التشيع مما حدث على عهد الأمير الرابع ، وهو المعز بن باديس ، والتى يمكن ارجاعها الى أسباب سياسية ، هدفها الخروج على سبطان القاهرة أصلا . وهنا لنا أن نضيف خاصية أخرى مرتبطة بالعروبة فى تاريخ الدول المغربية البربرية ، وتتلخص فى التناسب الطردى أيضا بين العروبة والتحضر ، حيث يتسع البون بين دول عصرنا البربرى هذا ، ودول الأسر العربية المشرقية السابقة عليها ، بما فيها عصر أمراء دمشق الأسبق ، رغم ما ينسب للكتاب الى بعضهم من أعمال الظلم والجور ، وخاصة بالنسبة لأهل البلاد من البربر ممن كان يطبق عليهم قانون الأحماس الحربى ، دون رعاية . فمن الأمور المستغربة ما ينسب الى بعض أمراء الزيريين من الغلظة والقسوة التى مارسوها مع كبار رجال دولتهم ، مما بلغ أحيانا الى حد القتل بينى الأمير

(٢) المقدمة ، ص ١٢٢ ، فصل فى أن الدعوة الدينية تزيد الدولة قوة على قوة العصبية

— حيث الاشارة الى المنونة والموحدين .

دون محاكمة ، ولو صورية ، أو إلى حد التمثيل ببعض الثوار حتى أكل
أكبادهم مشوية ، وكذلك لحومهم ، الأمر الذي لا تبرره الأغراض السياسيـة
التي استبدفت ترهيب الثوار أو لفت نظر رجال الخلافة إلى التوقف عن
إثارة المتاعب لأمير القيروان (٣) .

وفي مقابل دولة صنهاجة القيروان وأفريقية ، وهي في أوج تمدنها ،
حوالي منتصف القرن الخامس الهجري / ١١ م ، كانت دولة الملمنين
الصنهاجية ، وهي دولة لتونة ومسوفة المرابطية في صحاروات المغرب
الأقصى ، دولة بربرية تصدق فيها مقولة ابن خلدون بالعلاقة الطردية بين
العروبة والصيغة الدينية الإسلامية ، وبالتالي بينها وبين درجة التمدن
والحضارة . فدولة الملمنين المرابطية كانت في بداية أمرها بدوية ساذجة
حتى عهد بطلها يوسف بن تاشفين الذي كان على درجة من البساطة والتشـفـف
تناسب مع قلة معرفته باللغة العربية حتى أنه كان يستخـمـ الترجمان .
هذا ، ولو أن الدولة المرابطية سرعان ما تنعمت بحضارة الأندلس ، بل إن
فقدت أسباب وجودها وسط ذلك الترف

وتبعاً لسنة التطور والارتقاء ، وتحت تأثير الحضارة العربية الأندلسية
بدأت وريثة الدولة المرابطية وهي دولة الموحدين ، وهي أكثر رقىا وتحضراً .
فعلى المستوى اللغوي كان ابن تومرت منظر الدعوة ومرشد الدولة يجيد
العربية والبربرية ، ويكتب تأليفه في العقيدة والمرشدة بها جميعاً ، ويضمن
مذهبه أعلى ما وصل إليه من آراء المتكلمين ونظريات الشيعة ، في محاولة
توفيقية رائعة بين المذاهب الإسلامية . وعن طريق الأندلس غرباً وبلاد
القيروان شرقاً وقعت الدولة الموحدية تحت تأثير قطبي العروبة في الغرب
الإسلامي ، إلى جانب تغفلل عرب الهلالية في أقصى المغرب وحتى الأندلس ،
وبذلك بلغت الحضارة المغربية الأندلسية أوج ازدهارها . وإذا كانت
الدولة الموحدية قد ضاعت في غمار الرغبة العارمة في الجهاد ، وغواية
التمتع بسباحج الحياة ، فإن حرب الاسترداد ، وما ترتب عليها من طرد عرب

(٣) أنظر فيما سبق ص ٤١ . ولا تدرى أن كان هذا الأمر قد يتطلب منا مراجعة
بعض ما كنا نظنه قصصاً أسطورياً من وضع خصوم البربر ، مما يتناول بعض غرائب العادات
عند بعض القبائل من الرخص في العلاقات الجنسية الخاصة بالكرام الأضياف إلى غيره من أعمال
الشرور ، مما يوجد في كتب الجغرافيسا ، وكتب النجائب ، وما يلخصه ياقوت في معجم
البلدان في مادة بربر .

الأندلس ، كان له أثره في تحضير المغرب من أقصاه إلى أدناه ، وصيغه بحضارة الأندلس حتى في أعماق بواديه ، وفتح جباله دون تفرقة ما بين عربها وبربرها .

وهكذا تمت إنقضة في تاريخ المغرب في حقبه الإسلامية من عصر السيادة العربية الوافدة إلى عصر السيادة البربرية المحلية ، تماما ، كما حدث في تاريخ الإسلام في المشرق حيث كانت النقلة من العصر العربي إلى العصر الفارسي مبكرة منذ سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، وما صاحب ذلك من ازدياد نفوذ العنصر الفارسي بقياس الأسر الوزارية من آل برمك وآل سهل وغيرهم ، سواء كانوا في خدمة الخلافة أو في خدمة الأمراء المتغلبين أو السلاطين والمهم فيما يتعلق بالمغرب أن بلاد الأندلس هي التي قامت بتدوير فارس في مجال الحكم والحضارة ، حيث أمدت المغرب بما كان يحتاجه من رجال الحكم والادارة من أصحاب الدواوين والكتاب الوزراء ، إلى جانب المهرة من العمال والتقنيين ، صناع الحضارة . وعن هذا الطريق تمت النقلة الحضارية في عصر الحكم الوطني ، مصاحبة للنهضة السياسية ، وكانت خطوات البداية مع حكم الزييين ودولة صنهاجة ، بعد أن كانت فترة التمهيد الفاطمية ، في حقيقة أمرها ، دولة كتامية .

صنهاجة أفريقية :

المواطن والقبائل (انظر شكل ٥ ص ٢٩٠) :

ومن المهم في حركة النهضة القومية المغربية هذه أنها بدأت في كنف قبائل صنهاجة ، من حيث أنها تعتبر الجذم البرنسي في شجرة أنساب البربر . والبرانس من قبائل البربر هم أهل الأرياف والحضر ، في مقابل قبائل زناتة أشهر ممثلي الجذم البشري من البربر الذي يمثل أهل الصحارى والبادية (انظر ج ١ ص ٨٦) . وأهل الحضر أقدر على فهم الاقتصاد المدني ، وبالتالي أكثرهم قدرة على إقامة الدول من أهل البادية . وهذا ما يفسر نجاح الدعوة الفاطمية في كتامة ، واستمرار دولتها في صنهاجة من بني زيير . وعلى هذا الأساس يمكن تفسير قيام دولة الموحدين الصحراويين ، من حيث أصولهم الصنهاجية البرنسية الحضرية ، ومثل هذا يقال عن قبائل الصامدة (ومفردها مصمودة) الحضرية في منطقة السوس من المغرب الأقصى ، من حيث إقامتها لأعظم دول المغرب قاطبة ، وهي دولة الموحدين .



بلاد القبائل: كتامة (شرقا)
صنهاجة (غربا) وزم إلى مليانة (غربا)
(شكل ٥)

البلاد :

وبلاد صنهاجة في القرن الرابع الهجري/١٠ م تعادل من بلاد المغرب الأوسط ، المنطقة المعروفة في المصطلح الفرنسي ، بـ « القبائل الكبرى » ، مقابل إقليم قبائل كتامة المعروف بـ « القبائل الصغرى » ، والذي يبدأ من منطقة قسنطينة شمالا ، وما يليها جنوبا بشرق الى تخوم بجاية وبونة (عناية) (٤) ، وتحدد بلاد صنهاجة ، حيث بنيت مدينتهم أشير بمعرفة زيري بن مناد سنة ٣٢٤ هـ/٩٣٦ م ، في جوار قبائل زواوة التي تعتبر من بطون كتامة (٥) ، وزناتة ، بالمنطقة الداخلية من المغرب الأوسط ، الواقعة غرب بلاد كتامة ، والممتدة جنوب الخط الوهمي الممتد ما بين مدينتي بجاية والجزائر ، والتي تقع في جنوبها مدينة المسيلة ، حيث قبائل عجيصة

(٤) أهم مدن كتامة هي : أيكجان وسطيف وباغاية وتقاوس وبلزموه وتيجست (تيكست) وميلية ، وجيجل وسكيدة والقل وقسنطينة ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٨ ، وقارون اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ٣٦ - ٣٨ .

(٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٨ ، ١٥١ .

الصنهاجية ، وزناتة باقليم الزاب والحضنة ، والتي تقطن المنطقة جنوب الحط الوهمي الممتد بين المسيلة ووهران ، وتمتد من شلف الى المحيط الأطلسي (٦) . وأهم مدن صنهاجة هي : الجزائر (جزائر بني مزغناي) ومليانة (المشرفة على سهول نهر شلف) ، والمدية (جنوب غرب الجزائر) ، وهي المدن التي بناها بلكين بناء على أوامر والده زيري (الاعلام لابن الخطيب ، ص ٦٣ - ٦٤) ثم المسيلة وسوق حمزة (البويرة) - وذلك قبل بناء القلعة وبجاية (٧) .

القبائل :

أما عن قبائل صنهاجة فان النطق الصحيح لاسم جدها الأسطوري هو : تزناج (زناج : زناق) . ورغم ما ينصر عليه ابن خلدون من أنها كانت تمثل أكثر أهل الغرب (المغرب) على أيامه حتى قال كثير من الناس أنهم ثلث أمة البربر (٨) ، وأن فروعهم تصل الى ٧٠ (سبعين) بطنا ، فلم يكن لها كبير شأن على أوائل أيام الدولة الفاطمية ، حيث لا ذكر أثناء الثورة الزناتية ، على عهد القائم ، الا لقبيلة صنهاجة وحدها ، بقيادة مناد وابنه زيري ، دون اشارة الى تفرعاتها القبلية ، ولا الى كونها اتحاد قبائل ، كما هو الحال بالنسبة لكتامة (٩) . أما عن ولايتهم لعلي بن أبي طالب ، وولاية مغراوة (أو زناتة) لعثمان بن عفان ، فابن خلدون لا يعرف سببها ولا أصلها (العبرج ج ٦ ح ١٥٢) ، وان كان من الواضح أن قصة اصطناع تلك الولاية يعود الى الأمر التاريخي الواقع ، من مساندة صنهاجة للفاطميين ضد الزناتيين الذين انضموا الى المعسكر الأموي في الأندلس ، وذلك في محاولة لتأصيل تلك التحالفات الطارئة في القرن الرابع الهجري / ١٠ م ، على أسس تاريخية تقليدية ، وهو ما يصرح به ابن خلدون بعد ذلك (١٠) .

أما عن صنهاجة أفريقية فيتمثلون في بني ملكان بن كرت الذين تمتد مواطنهم ما بين المسيلة ومليانة ، مرورا بسوق حمزة والجزائر والمدية .

(٦) انظر ج ١ ص ٩٢ - شكل ٣ - عن توزيع قبائل البربر .

(٧) اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ٤٠ .

(٨) البربر ، ج ٦ ص ١٥ .

(٩) والحقيقة انه رغم ما يقول ابن خلدون من كثرة بطون صنهاجة فانه لا يستطيع الا ان يعدد بعضا من مشاهير رجالهم في الدولة الاسلامية كأفراد وليس كقبائل أو جماعات ، مثل : الفائق ورمون الذي ثار بأفريقية على أيام السفاح ، وعبد الله بن سكرديد ، وعياد بن صادق من قواد حماد بن بلكين ، ج ٦ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(١٠) العبر ، ج ٦ ص ١٥٣ .

وإذا كان ابن خلدون ينص على كثرة بطونهم ، مشيل : أنوغة وبنو مزغنة (الذين نسبت إليهم الجزائر) ثم بطوية وبنو يفرن (العبر ج ٦ ص ١٥٣) الذين يوضعون ضمن الزناتية في مواضع أخرى ، فإنه ينتهي إلى أن أكثرهم على أيام الأغالبة هم بنود مناد ، وكان الأمر يتعلق وقتئذ بعشيرة ما أو قبيلة محدودة ، لا ترقى إلى مستوى الشعب - هم بنو مناد الذين تضخمت أعدادهم مع تضخم سلطانتهم ، حتى كان قصر الأمير منهم يجوى من النساء الألف امرأة وأكثر من المحارم أى اللاتي لا يجزئ له (انظر فيما بعد ، ص ٣٥٧ وهـ ٨٩) أو من القرابة القريبة التي لا تتعدى الدرجة الثالثة كالتخال والعلم ، في مقابل ابنة الأخت وابنة الأخ (١٠ م) .

بنو مناد :

وهكذا يكون بنو مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر (١١) هم أهم ممثلي صنهاجة أفريقية في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل الرابع ، ولا تبدأ الشهرة لصنهاجة إلا على أيام زيري الذي جاء مناصرا للمتصور في حرب أبي يزيد ، في قومه ومن انضم إليه من حشود البربر ، وأبلى في ذلك خير البلاء ، كما كان له فضل بناء أشهر مراكز صنهاجة الحضرية ، وأهم منجزاتها العمرانية من بناء : مدن أشير ، والجزائر (العاصمة الآن) ومليانة بالعدوة الشرقية نوادي شلف ، ومدينة المدية (حيث مستقر أهم بطون صنهاجة) ، وهي المدن التي أصبحت من أعظم مدائن المغرب الأوسط على أيام الزييريين (١٢) . وتتركس شهرة الأسرة الزيرية بتعيين بلكين بن زيري نائبا للمعز في حكم أفريقية سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م .

الأسرة الزيرية :

بلكين بن زيري بن مناد ملكا مؤصلا :

بتعيين بلكين نائبا للمعز في حكم أفريقية أصبح الزعيم الصنهاجي

(١٠ مكرر) أنظر النويري ، ص ٣١٧ - حيث النص على رواية ابن حزم التي تقول ان بلكين كان له في موضع ألف امرأة لا يحل له نكاح واحدة منهن ، كلهن من أبناء اخوته وأخواته ، ومن الرجال مثل هذا العدد - هذا ، كما كان لبلكين ، قبل ان يستخلفه المعز ، قصور تشتمل على ٤٠٠ جلارية ، فيقال ان البشارات تواترت عليه في يوم واحد بولادة ١٧ ولدا - وأنظر فيما بعد ص ٣٥٧ وهـ ٨٩ .

(١١) العبر ، ج ٦ ص ١٥٣ .

(١٢) العبر ، ج ٦ ص ١٥٤ .

الذي أعطاه الخليفة الفاطمي اسما عربيا اسلاميا هو « يوسف » ، وكنية عسكرية هي « أبو الفتوح » ولقبا ملكيا مدنيا هو « ناصر الدولة » (دولة الخلافة) ، أول شخصية بربرية (مغربية أصلية) تصل الى رتبة الملوكية بطريقة شرعية ، عن غير طريق الغلبة والأمر الواقع .

وكون بلكين أسرة ملكية توارثت الحكم ابنا عن أب ، واستفحل الملك فيها فاتخذت القصور الفخمة وغص بلاطها برجال الدولة وأصناف الحرير والجواري ، وليس الأمراء عمائم التيجان المذهبة ودفنوا أمواتهم في أكفان السبعين ثوبا وزيادة ، وقبروهم في توابعيت عود البحور الهندي الثمين . وهكذا لم يكن من الغريب أن يصطنع لهم الكتاب ممن عملوا في خدمتهم بل ومن غيرهم ، النسب المناسب الذي يرقى بهم الى الأرومة العربية النقية ، من حمير : ملوك اليمن القدامى ورموز الحضارة .

فبينما ينص بعض النسابة على أن جد بلكين هو مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر (١٣) ، ينقل النويري عن الأمير الصنهاجي عز الدين بن عبد العزيز بن شهاد نسبا لبلكين ترتفع سلسلته الى أكثر من ٤٠ (أربعين) جدا حتى يعرب بن قحطان ، منهم ٢٥ (خمس وعشرون) يصل بهم الى حمير بن سبأ . والرواية هنا موثقة بالشعر على نسق أيام العرب القديمة (١٤) .

مناد :

أما عن جد مناد بن منقوش فكان زعيما شديدا القوة - كثير المال والبنين . وهو كريم مضياف له مسجد يلجأ اليه طالبوا القرى والحماية من : الوافدين والغرباء وعابري السبيل . والى واحد من هؤلاء يرجع الفضل في توقع مناد الملك في سلالته . وذلك أن الرجل - الغريب الشأن الذي جاء يلتمس العون من مناد بعد أن تعرض لنهب اللصوص ، كان يحسن قراءة الطالع ، ولكن في كتف الشاة التي تقدم له على مائدة الضيافة : وعن هذا الطريق تنبأ الرجل بملك المغرب جميعه لواحد من أبناء مناد . واستطاع أن يدرك أنه زيري والد بلكين ، رغم انه كان ما زال جنينا في بطن أمه ، وذلك بعد أن استعرض أبناء مناد الذين قدموا اليه ، ولم يجد طالع السعد في

(١٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٣ .

(١٤) النويري تحقيق أبو ضيف ، ص ٣٠٠ .

جباهيم^(١٥) .

زيرى :

وصكنا تجعل الرواية المنقبية من زيرى والد بلكين ، الانسان الذى
حبته الطبيعة بمقامات الكمال . فالى جانب الجمال ، كان راجح العقل سد
طفولته يسبق سنه بعشر سنوات ، فكانه يلغ سن الرشد وهو فى العاشرة
من عمره . وفى شبابه المبكر هذا ظهرت عليه مخايل اتجاهات قيادية
ذيفة ، فيما كان يقوم به مع أقرانه من ألعاب الشباب ورياضاته ، كما
اتصف بالكرم ، أول خصال الزعامة ، فكان يستضيف أصحابه انصغار
ويقدم لهم الطعام ، مكثفيا بخدمتهم . ومن ألعاب الطفولة البريئة ، ورياضة
« العسكر والنصوص » ، تطورت جماعة الفتیان الأحداث الى عصبة مسلحة ،
مدرية على مفاجأة الخصوم^(١٦) ، وهنا تنتقل الرواية المنقبية القصصية الى
أرض الحقيقة والواقع .

رئاسة زيرى وبناء أشير :

فعندما يبلغ زيرى بن مناد طور الشباب يرأس جماعة من بنى عمه
ومن شجعان القبيلة ، كانت صناعتها شن الغارات على قبائل زناتة المنافسة ،
وإعادة بالمغانم والسلب . وخلال أعمال الشطارة والفتوة هذه ، تكرست
زعامة زيرى بفضل غيريته وتطبيقه مبدأ المساواة بينه وبين الآخرين عنده
تقسيم المغانم . وعن هذا الطريق آلت اليه زعامة صنهاجة ، ووقع على عاتقه
النهوض بعبء الصراع مع زناتة ، حيث ظهر تفوقه عليهم بما كان يشنه من
الغارات التى يبيتهم فيها ، ليلا فى أرض مغيلة ، كما زادت قوته وعنده
وعتاده بما كان يغنمه من خيل جبل تيطرى ، التى زادت من عدد الفرسان
بين أصحابه^(١٦ م) . وعندما تسامع الناس بأخبار تلك النجاحات التى كان يحققها
زيرى ، وفد اليه كل من هفت نفسه الى اتخاذ العسكرية صناعة له ، تحت
قيادة زيرى الذى كان على استعداد لأن يضع سيفه وسيوف أصحابه فى

(١٥) النويرى ، ص ٣٠٢ . وانظر ابن غلبون ، التذكار ، ط ١ - طرابلس ، ص ٢٣ -
حيث تحولت الى علم الهدنان الذى كان يعرفه المميز لدين الله الذى دعا زيرى الى تقديم
بنه المشرة اليه ولكنه لم يجد العلامة فى أى منهم فطلب العائز ، وهو بلكين الذى كان
أسفروهم سنا وأحقرهم شيئا فوجد المميز فيه العلامة ، وفوض اليه من حينه واستخلفه .

(١٦) النويرى ، ص ٣٠٣ .

(١٦ مكرر) انظر النويرى ، ص ٣٠٩ - حيث الإشارة الى ان زيرى رزق من الأولاد
ما يزيد على المائة كلهم أنجاد كاد أن يكتفى بهم فى حروبه - رحمه الله .

خدمة من يدفع له الأجر ، ويظلمه بالحماية . فكانت تلك وسيلته في لفت نظر الخلافة الفاطمية اليه ، على عهد القائم ثاني الأئمة . حوالى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م ، عندما اتخذت قبيلة صنهاجة شكل الجماعة المنظمة تحت قيادته ، وذلك ببناء مدينة أشير (١٧) . وهنا نلاحظ أن ابن خلكان ينص على أن زيري ، جد المعز بن بارييس ، هو أول من ملك من بينهم ، وأنه الذى بنى مدينة أشير ، وحصنها أيام خروج أبى يزيد (١٨) . فكان بناء أشير عنده ، واتخاذها مقرا لزيري يعتبر بمشابهة تأسيس لكيان صنهاجي خاص ، له سمة ما يعرف بالحكم الذاتى ان لم يرق الى مستوى الدولة التامة النمو ، التى تستطيع أن تدافع عن حدودها ، وأن تكون لها علاقاتها الخارجية الخاصة بها .

بناء أشير : ٣٢٤ هـ / ٥ - ٩٣٦ م :

والحقيقة ان أول اشارة بشأن الصلة بين زيري وبين القائم الفاطمي تظهر بمناسبة بناء مدينة أشير . فبعد اختيار زيري للموقع الفسيح ، الذى تتدفق فيه عينان عذبتان بالماء الصالح للاستهلاك اليومي والزراعة ، فى قمة الجبل العالى الذى يرتفع الى ١٤٠٠ متر ، من حيث يشرف على سهول التل الغربية ومنطقة القبائل الشرقية ، على مسافة حوالى ١٠٠ (مائة) كم جنوب شرق الجزائر العاصمة « جزائر بنى مزغناى » (١٩) (انظر شكل ٦ ص ٢٩٥) ، وكان عليه أن يبدأ البناء سنة ٣٢٤ هـ / ٥ - ٩٣٦ م بالاستعانة بالبنائين والتجارين الذين أتى بهم من المدن القريبة من : سوق حمزة (البويرة) والمسيلة وطبنة ، كما استعان بالخليفة القائم بأمر الله أيضا ، الذى بعث اليه بأشهر عرفاء العمارة فى أفريقية ، كما أمده بمواد البناء التى لا تتوفر فى المنطقة ، من الحديد وغيره (٢٠) ، الأمر الذى يعنى أن زيري فى ذلك الوقت المبكر من سنة ٣٢٤ هـ / ٥ - ٩٣٦ م كان على علاقة وثيقة بالخلافة الفاطمية فى المهديّة . هذا ، كما أنه لا بأس أن يكون القائم هو الذى أوحى الى زيري

(١٧) انظر النويرى ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(١٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق احسان عباس ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ . وقارن

البكرى ، ص ٦٠ - حيث النص على أن الذى بنى سورها هو بلعج بن زيري سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م .

(١٩) انظر اسماعيل العربى ، دولة بنى حماد ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢٠) النويرى ، ص ٣٠٤ ، وانظر البكرى ، ص ٦٠ - حيث التأكيد على انها من -

زيري ، وعلى حصانة موضعها الذى يحويه ١٠ رجال فقط .

باتخاذ مدينته في ذلك الموقع الاستراتيجي الذي يمكن الدفاع عنه ضد الغارات المحتملة من قبل قبائل زناتة التي كانت تشرح ، مستطيلة في المنطقة وتجول ، منذ أيام الأغلبية ، الأمر الذي دعا القائم الى القول بأن حاوره العرب خير من مجاورة البربر (٢١) .



موقع أشير
(شكل ٦)

وبعد أن تم البناء كان على زيري أن ينقل وجوه عواصم المنطقة ، في :

(٢١) النويري ، ص ٣٠٤ وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٢٤ - حيث النص على بناء زيري لأشير وسكنها هو وأصحابه ، وان كان التاريخ خطأ من كتابته في شكل ٦٢٤ هـ / بدلا من ٦٢٤ هـ / ٩٣٦ م ، مع الإشارة الى مرور القسام لأن صنهاجة أضحت بين البلاد وبين زناتة ، مما يعني الموافقة الضمنية على أن تكون دولة حدود ، وقارن اساعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ٥٢ وهـ - حيث الإشارة الى شك الكتاب في أن يكون زيري هو باني أشير ، والنمسك برأيه بأن زيري وليس الخليفة هو الذي بناها ، استنادا الى شعر عبد الملك بن عيشون الذي يمجو فيه زيري قائلا :

يا أيها السائل عن حرينا وعين مدد الكفر أشير
اسما الملبسون زيرها قلعه الله على زيري
(وانظر البكري ، ص ٦٠ - حيث النقل عن محمد بن يوسف الوراق)

طلبته والمسيلة . وسوق عمزة الى أشير (٢٤) ، ربما ليضمن ولاهم عن طريق وضعهم فالرهبان تحت اشرافه ، الأمر الذي ما كان ليتم الا بالتنسيق مع ديوان الخلافة ، وهو ما يمكن أن يكون قرينة ترجح احتمال ان يكون بناء اشير قد تم بعد موافقة الخلافة الفاطمية ، ان لم يكن بتوجيه منها .

ولم تلبث المدينة التي بنيت لأهداف استراتيجية دفاعية ضد غارات زناتة المحتملة في المنطقة ، من حيث أنها كانت حصينة لا تطل من شرقها ، وأنه يمكن أن يحميها عشرة رجال بفضل علوها ووعورة الطريق إليها ، أن امتلات بالوافدين عليها من العلماء والفقهاء والتجار الذين تسامعوا بها (٢٣) . وبفضل استقرار الأمن والطمأنينة ، الأمر الذي تحقق بفضل ردع الزناتية عن مضايقة أهل البادية ، انصرف هؤلاء الى الحرف والزراعة ، فعم الحيز والرخاء في المدينة . ومع مرور الوقت كانت أشير تزداد تحضرا ، فبعد أن كان أهلها يتعاملون في الأسواق بالمقايضة ، بالبعير والبقر والشاة ، ضرب زيري المسكة من الذهب والفضة ، كما زاد في رواتب العسكر ، الأمر الذي أدى الى كثرة الدنانير والدراهم ، وبالتالي رواج التبادل التجاري (٢٤) . ولا بأس أن يكون ذلك قد تم بموافقة الفاطميين (٢٥) ، من حيث أن سك النقود يعتبر من شعارات السيادة ، فكان زيري كان فعلا أول ملوك الصنهاجيين ، كما يقول ابن خلكان (٢٦) ، وهو ما يبرر تسمية دولة نواب الفاطميين بالقبروان والمهدية ، عند المؤرخين بالدولة الزيرية ، بدلا من الدولة البلكينية أو اليوسيفية .

زيري بن حماد والصراع ضد زناتة :

وهنا لا بأس من قبول الرواية التي تقول ان صيانة منطقة الأرياف المحيطة بأشير ضد اعتداءات قبائل زناتة وعمليات الردع التي كان يقوم بها زيري أدت الى تمكن العداوة بين صنهاجة وزناتة (النويري ، ص ٣٠٥) . ولما كان زيري يشعر بالاطمئنان الى سلامة مقره الجديد في أشير ، فقد رأى أن يطبق ذلك المبدأ الحربي الذي يرى أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم ، وبناء على ذلك قرر متابعة خصومه الزناتية ، في عملية ردع ، الى

(٢٢) النويري ، ص ٣٠٥ .

(٢٣) النويري ، ص ٣٠٥ .

(٢٤) النويري ، ص ٣٠٥ .

(٢٥) انظر اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ٥٥ .

(٢٦) الوفيات ، زيري ، ج ٢ ص ٢٤٢ .

عقر دارهم المغرب . وهنا تنفرد الرواية المحلية التي ينقلها النويرى عن عز الدين بن شداد سليل الأمير تميم بن المعز بتسجيل انجازات حربية ضد خلفاء الأمويين في الأندلس ، مثل موسى بن أبى العافية أو قبائل برغواطة وغمارة المعروفة بانحرافاتهما المذهبية . ومن المهم الاشارة الى أن تلك الأحداث قد تأخذ طابعا منقبيا لا يؤيده ما هو معروف لنا من أحداث تاريخ الفترة . فالى جانب عدم توثيقها بالتواريخ المناسبة فانها تتضارب أحيانا مع وقائع تلك الأحداث من حيث المضمون أيضا .

وهكذا ينسب الى زيرى انه عهد بأشير الى أخيه ماكسن ، وخرج الى المغرب نحو مدينة جراوة ، حيث موسى بن أبى العافية الذى كان يليها بعهد عبد الرحمن الناصر الأموى . وهنا تأخذ الرواية شكلا منقبيا عندما تنص ببساطة على أن الزعيم المكناسى خرج الى لقاء زيرى بهدية وعدد من الجوارى ، وأنه اعتذر عن دخوله فى طاعة الأمويين مبررا ذلك بالرغبة فى ارهاب الزناتية . كما يقدم فى نفس الوقت فروض الطاعة والتبعية للزعيم الصنهاجى مبررا ذلك بالحكمة التى تقول بخسارة الصفة التى تنتهى بعداوة الجار القريب نظير صداقة البعيد ، حيث قال : « وسيف قريب منى أمنع من سيف بعيد ، ، الأمر الذى أدى الى أن يقربه زيرى منه ويدينه (٢٧) .

التوجه الى جهاد برغواطة :

وتتأكد الصبغة المنقبية عندما يوجه موسى بن أبى العافية الزعيم الصنهاجى بصفته ممثل الخليفة الفاطمى الى جهاد زندقة قبائل غمارة ، فى بلاد الريف حيث ظهر متنبئهم المعروف بـ « حاميم : ح م » . وبناء على ذلك تتحول حملة الردع ضد زناتة الى حرب جهادية ضد الخارجين على الاسلام الصحيح ، من الزنادقة ، فيوقع بغمارة ، ويقبض على متنبئهم ، ويحمله الى أشير ، حيث يفتى علماءها بقتله - الأمر الذى لا يتفق مع ما هو معروف من أن قتل حاميم كان فى سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م أثناء حروبه مع مصمودة الساحل أو مع جيوش الناصر الأموى (٢٨) .

(٢٧) النويرى ، ص ٣٠٥ - ٣٠٧ .

(٢٨) النويرى ، ص ٣٠٦ وهـ ١٥ - عن نهاية حاميم ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٤ . وان وضع ذلك خطأ سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م - حيث ينقل القصة الزيرية لابن شداد كتمهيد لمهد بلكن .

المعونة في حرب أبي يزيد :

أما عن الحدث التالي فيتمثل في المعونة التي قدمها زييري بن منساذ للخليفة القائم أثناء حصار أبي يزيد الزناتي النكاري للمهدية ، سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م ، بعد عشر سنوات من بناء أشير ، وفيها معلومات تفصيلية عن تلك المعونة التي تكونت من : ألف حمل حنطة ، مسج ١٠٠ فارس من صنهاجة و ٥٠٠ من عبدة زييري من السودان ، هذا ، كما تنص الرواية على أن القائم رد على ذلك بهدية بديعة من الكساء والحيل والسروج المحلاة (٢٩) .

هجوم الزناتية على أشير :

وعندما تاتي الحرب ضد زناتة تكون في شكل عملية ردع مضادة ، موجبة الى زييري وقاعدته أشير ، فقد نزل الزناتي بقيادة : كيات بن مديني ، وخرج اليه زييري ، ولكن الحرب طالت سجالا ، ولم يقدر لها أن تحسم الا على يد ابن زييري الصغير ، كباب الذي لم يكن قد تمرس بالحرب بعد . فبدون اذن من والده زييري ، خرج كباب وتمكن من القائد الزناتي كيات فضربه بالسيف ضربة رائعة قادت الدرع والعتاق وأسقطت ذراع كيات الى الأرض وكأنه ثمرة تسقط من شجرة ، فتبعه سقوط الزعيم الزناتي الذي خر صريعا . وهكذا استحق كباب بن زييري أن يخلد اسمه الذي أعطى لباب المدينة الذي دخل منه وخرج ، فهو « باب كباب » . أما عن الأسرى الذين وقعوا بين يدي كباب فقد أمر زييري بضرب رقابهم وصلب رؤوس قوادهم (٣٠) . وأخيرا يأتي القضاء على ثائر بجبل أوراس ، اسمه سعيد بن يوسف ، ولكن على يدي بلكين الذي أرسله زييري اليه ، وذلك على عهد الخليفة المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ / ٩٤٥ - ٩٥٢ م) وكان سعيد الذي التقى به بلكين في غربي باغية ، بفحص غزاة ، قد حشد جموعا من قبائل هوارة وغيرهم ، ولكنهم لم يستطيعوا مواجهة قوات بلكين التي هزمتهم وقتلت سعيدا وجماعة من رؤساء جندهم الذين أرسلت رؤسهم الى المنصور ، الذي كافاه على ذلك بتولية تاهرت وأعمالها وكذلك باغاية .

تقييم عهد زييري :

وتعتبر رواية ابن شداد الزيري التي ينقلها النويري بحذافيرها أو

(٢٩) النويري ، ص ٣٠٦ .

(٣٠) النويري ، ص ٣٠٧ .

يكاد ، ان هذه الانجازات الحربية الرائعة هي المقدمة الطبيعية لمقتل زيرى
اذ انها اثار حسد القبائل ضده ، فجمعت له الجموع ، وكان مقتله سنة
٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م على أيدي منافسيه : جعفر بن علي بن الأندلس وحلفائه
الزناتية ، وعلى رأسهم محمد بن الخير بن خزر ، مما سبق ذكره (ص ٢٥٥) .
أما عن تقييم عهد زيرى الذى استمر لمدة ٢٦ سنة فتلخصه الرواية الزيرية
فى : حسن السيرة فى الرعية والتجارة ، وان اعتمد سياسة الشدة على
البربر ، كما كاد اعتماده فى حروبه يكون على أبنائه الفرسان الأجداد كلهم -
حيث رزق من الأولاد ما يزيد على المائة (٣١) .

وهكذا اعتبر زيرى وكأنه أول ملوك صنهاجة الذين حملوا اسمه ، فهم
الزيريون ، وذلك تأصيلا لملك ابنه بلكين أول نواب الفاطميين فى أفريقيا ،
وتقنيا لاستقلالهم ، وانفرادهم بحكم البلاد .

السياسة الداخلية في حكومة القيروان ، من : بلكين الى المعز بن باري

(٣٦٢ - ٤٠٦ هـ / ٩٧٢ - ١٠١٥ م)

افريقيا الزيرية نيابة فاطمية :

توزيع الاختصاصات بين الأمير والعمال ، والعلاقة مع الخلفاء بالقاهرة :

كما اقتطع الخليفة المعز من مملكته الافريقية منطقة طرابلس وما يتبعها من سرت واجدانية وكذلك صقلية وما يتبعها في قلورية (كلايريا) وجنوب إيطاليا ، بهدف الحد من نفوذ نائبه بالقيروان ، فانه رأى أيضا ألا يركز السلطات أيضا بين يدي ذلك النائب عن طريق فصل الشؤون المالية والادارية في افريقية عن نظر الوالي الأمير ، حيث يتبع عمالها خليفة القاهرة بشكل مباشر . ومع أن السجلات الرسمية لا تشير الى طبيعة ذلك النظام الخاص بتوزيع السلطات ، وكذلك الأمر بالنسبة للأدبيات التاريخية التي لا تعالج كموضوع خاص ، فانه يمكن الاسترشاد بالوقائع التاريخية في محاولة لتحديد طبيعة ذلك النظام بشكل نسبي على كل حال .

الادارة المالية :

فالمعروف ان الخليفة المعز عندما استخلف بلكين واستعد للخروج الى المشرق أمر الكتاب أن يكتبوا الى العمال وولاة الأشغال بطاعته ، بصفته الأمير صاحب الكلمة العليا في افريقية والمغرب كله (٣٢) . وذلك من حيث آتباب الأمن والسكينة على الأقل ، وتقرير حالات الحرب والسلام مع الجيران أو الأعداء ، وذلك انه الى جانب بلكين ولى المعز أيضا : أبا نصر زيادة الله بن عبد الله ابن القديم ، من أسرة بنى القديم ، الذين خدموا في ديوان الخراج الأغلبى ثم الفاطمى على أيام المهدي (انظر فيما سبق ، ص ٦٥ ، ص ٢٢١) نظر الدواوين بسائر الكور ، بمعنى الشؤون الادارية بعامة والمالية منها بصفة خاصة . وفي ذلك تقول الرواية ان المعز قال ليوسف (بلكين) عند وداعه : انى تركت زيادة الله بن القديم عونا لك على جميع الأموال بافريقية ، فكان المقصود

بالدواوين هي الادارة المالية على وجه الخصوص (٣٣) . ولا شك ان المعز استوحى هذا النظام من تراتيب الفتوح الاسلامية الاولى على عهد عمر - اصل النظم الاسلامية - حيث روى الفصل بين امور الادارة والحزب وبين شئون المال ، فجعلت الاولى للامير والثانية للعامل ، وذلك قبل فصل السلطه القضائية عن الوالى (الامير) والعهد بها الى القاضى الذى اختص بها . وهذا ما حدث فى افريقية فعلا ، تطبيقا لمبدأ فصل السلطات الذى عرف فى البلاد المفتوحة على عهد عمر . والذى مارسته الخلافة فى المهدين الأفرى والعباسي ، والذى طبقتة الخلافة الفاطمية فى القاهرة ، فى نظمها المعروفة (٣٤) .

ولما كان من الواضح أن تعليمات المعز هذه كانت عامة غير محددة ، بل ان كثيرا منها كان يتم شفويا ، ربما بقصد الحد من سلطات جميع الأطراف المعنية ، وليس الأمير الصنهاجى وحده ، فانها كانت فضفاضة تسمح للوالى الأمير بتجاوز حدود اختصاصاته السياسية الى شئون الادارة والمال . فهذا ما يفهم من النصوص التى تشير الى انه عندما عاد يوسف بلكين من وداع المعز فى ١١ ربيع سنة ٣٦٢ هـ / ٢٠ ديسمبر ٩٧٢ ، أقام بالمنصورية يعقد الولايات للعمال على البلاد ، كما سار فى البلاد يباشر الأعمال . ويطيب قلوب الناس (٣٥) . فكان بلكين كان يرى ان تراتيب المعز الادارية والمالية تشكل عائقا يمنعه من ممارسته لسلطاته السياسية . هذا ، كما ان تلك

(٣٣) انظر التويرى ، ص ٣١١ .

(٣٤) انظر اتماط الحنفا للتقريزى ، ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩ - حيث تعيين أبى العباس أحمد بن العوام قاضيا للقضاء واعطائه سجلا باختصاصاته ، وهى القضاء والضلة والخطابة بحضرته والمسك فيما وراء القاهرة المزينة ومصر واعمالها ، والاسكندرية . . . والحرمين ، وبورقة ، والمغرب ، وصقلية مع الاشراف على دور الضرب بهذه الأعمال . هذا ، وان ورد نص آخر فى اتماط الحنفا (ج ١ ص ٢٤٧) يقرر أن الخليفة العزيز جعل ولاية القضاء الى نائبه بالقروان منذ أيام بلكين الذى كتب اليه يشاوره فيما يولى القضاء ، فكتب اليه « قد رددت الأمر اليك ، فول من شئت » .

(٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ ، وقارن ابن خلكان (بلكين) ج ١ ص ٢٨٦ - حيث النص على انه عندما استخلف المعز يوسف بلكين يوم ٢٣ ذى الحجة سنة ٣٦١ هـ / ٦ أكتوبر ٩٧٢ م وأمر الناس السمع والطاعة له ، خرجت أعمال وجباة الأموال باسمه ، وقارن التويرى ، ص ٣١١ - حيث النص على انه عندما عاد بلكين من وداع المعز الى المنصورية فى ١١ ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ ، ونزل بقصر السلطان ، وأخرج العمال وجباة الأموال الى سائر البلدان ، فكانه مارس السلطتين ، الادارة المالية ، والادارة السياسية .

التراتب الهلالية (غير الحديثة) كانت تسمح للتقنيين من عمال الدواوين الادارية والمالية بممارسة انواع من النشاط السياسي الذي يعتبر من اختصاص الوالي الأمير .

انصراف مع عامل الخلافة ، رئيس الادارة المالية : ابن القديم :

كان من بين من عينهم بلكين من عمال المدن (أو ولاياتها) في ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ / ديسمبر ٩٧٢م عامل المنصورية (صبرة) والقيروان : جعفر بن تمرث الذي استقر في العاصمة بحاميته الكبيرة المكونة من الفرسان(٣٦) ، الى جانب ابن القديم رئيس الادارة المالية التابع للخلافة مباشرة في القاهرة . والظاهر انه رغم فصل السلطات ، كان هناك تعاون حتى بين العامل قائد الحامية بالقيروان (ابن تمرث) وبين العامل مدير الادارة المالية (ابن القديم) ، وذلك ان جباية الأموال كثيرا ما كانت تتطلب قوة جبرية ، كما كانت صيانة الأموال في بيت المال تتطلب ، سواء كانت في القصر أو في مكانه الخاص ، نوعا من الحراسة المسلحة . وهكذا فعندما توفي والي القيروان وصبرة (المنصورية) جعفر بن تمرث ، كتب ابن القديم بذلك الى بلكين ، يطلب منه أن يرسل اليه بدلا منه ليعاونه على أمور البلد(٣٧) . وهنا وقع اختيار بلكين لشغل المنصب السياسي العسكري ، على تقني

متخصص في الشؤون الادارية والمالية - مثل ابن القديم - هو عبد الله بن محمد الكاتب ، الأغلبى أصلا ، والذي شب في اقليم نفازة ، فنشأ عالما بالعربية والبربرية ، والذي سبقت له الخدمة ، كاتباً (أى وزيرا) لدى كل من بلكين ووالده زيري ، من قبل . والرواية تنص على ان عبد الله الكاتب قبل المنصب بعد تمنع شديد ، تحت التهديد والوعيد . ولا بأس أن يكون ذلك صحيحا على أساس أن الرجل ما كان يود أن يزاحم زميلا له ، وهو في منصب ليس في تخصصه ، الا اذا كانت الرواية تقصد المداواة على تدبير خطط له مسبقا لحلح ابن القديم تابع الخلافة في القاهرة(٣٨) . وهنا تصر

(٣٦) النويري ، ص ٣١٢ .

(٣٧) النويري ، ص ٣١٢ .

(٣٨) النويري ، ص ٣١٢ - حيث النص على استعفاء عبد الله الكاتب من قبول المنصب

كعامل للقيروان وصبرة مرة بعد اخرى ، وانه لم يقبل الا مرغما تحت تهديد بلكين ورجال الامرة الزيرية له بالقتل . وانظر انصاف المنفا ، ج ١ ص ٢٢٢ - حيث النص على ان ابن القديم الذي يكتب اسمه في الشكل « ابن الأديم » (ربما حسب النطق الدارج) بدلا من ابن القديم ، هو صاحب خراج المزر بالمغرب .

الرواية على ان ابن القديم استقبل زميله عبد الله الكاتب خارج القيروان ،
وان الرجلين أعربا عن الاحترام المتبادل اذ ترجل كل منهما . ورغم ما تقوله
سررايه من أن بلمتئها صارت واحدة ، فقد كن من الطبيعي أن ينتهي الأمر
بخلاف الذي يوصف في الرواية الزيرية المحلية التي ينقلها النويري « بالفتنه
العظيمة » (ص ٣١٣) . بمعنى الحرب الأهلية الشديدة ، وهو ما يوضحه
ابن الأثير الذي يقول انه كان نكل من الرجلين طائفة من الأعوان انتظموا في
شبه تشكيل عسكري ، ودخلوا في حروب ، عدة دفعات (الكامل ج ٨ ،
ص ٦٢٢) ، وانتهت تلك الحروب بغلبة عبد الله الكاتب تابع الأمير ، في
ربيع الأول سنة ٣٦٤ هـ / نوفمبر ٩٧٤ م ، وبها انتهى ابن القديم ، تابع
الخلافة نهاية تيسة في السجن ، اذ مات معتقلا في حبس بلكين في ١١ جمادى
الأولى سنة ٣٦٦ هـ / ٦ يناير ٩٧٧ م بعد حوالي سنتين من استقلال عبد الله
الكاتب وحده بالأمر ، من : سياسية عسكرية وادارية مالية فكانه الوزير
نائب الأمير بالتفويض (٣٩) . ورغم ما تقوله رواية المقرئ من غضب الخليفة
المعز عندما بلغه نبأ قبض يوسف بن زيري خليفته على المغرب ، على
« ابن القديم » صاحب خراجه بالمغرب ، وتهديد يوسف بالعودة الى المغرب
لاستئصال آل مناد ، بل صنهاجة ، ورغم ما يقول اسماعيل بن اسباط ،
رسول المغرب ، من ارتعاد بلكين وانتفاخه ، وامتناله لأمر رد ابن القديم الى
النظر في الحراج ، بعد قراءة السجل سرا مع كاتبه وترجمانه ، وقوله :
« تفعل والله » ، بل وكتابته برد « ابن الأديم » الى نظره ، فقد كان كل ذلك
مداراة لا طائل وراءها (٤٠) .

اصداء التخلص من ابن القديم : محاولة اثاره كتامة انصار الخلافة :

كان من الطبيعي ألا يمر التخلص من ابن القديم ، عامل الخلافة للمشتون

(٣٩) أنظر النويري ، ص ٣١٣ ، وابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ - حيث النص : ان
يوسف بلكين كان مائلا مع عبد الله لصحية قديمة بينهما - الأمر الذي يمكن أن يفهم منه ان
عبد الله الكاتب شغل المنصب باسم الخلافة الفاطمية - وان كانت في فترة تالية . وقارن
ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٢٠ حيث وفاة ابن القديم في سجن عبد الله الكاتب .

(٤٠) انماظ المنفا ، ج ١ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ . ويؤيد تشمت بلكين بمزل عامل الخلافة ،
متافنسه ، ما يقوله ابن اسباط بعد ذلك من سرور بلكين بليا وفاة المعز اذ ضرب نرسه
وحركه فاقامه واقامه ، وهو يهز رمحه ويصبح : أبلكين ا أمليج ! (اسم أمه) أزيرى !
أمناد ، وقوله للسفير سرا ، « بعدت مصر من المغرب ، وقد صار المغرب والله في أيدينا الى
دمر طويل » .

على الناحية ، دون أن تكون له أصداء من عجة بالنسبة ليوسف بلكين . ففي سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م التي قبض فيها على ابن القديم رهين الاعتقال ، قامت حركة مناهضة لحصمه عبد الله الكاتب على يد واحد من أنصار ابن القديم . وبالتالي من أنصار الخلافة الفاطمية ، من حيث أن حركته تطورت بعد ذلك إلى ثورة عارمة في بلاد كتامة ، أنصار الفاطميين وأصحاب دولتهم .

بودة خلف بن خير :

بدأت الحركة في أرض بنى هراش ، حيث اعتصم واحد من أفراد القبيلة هو : خلف بن خير الذي كان مساعدا لابن القديم (٤١) ، بقلعة منيعة هناك ، والتف حوله عدد كبير من سائر قبائل اليربر ، كما خرج إليه كل من خالف مع ابن القديم (٤٢) ، وذلك على التخوم الأفريقية لبلاد الزاب أو لجبل أوراس على ما نظن ، استنادا إلى أن القلعة النائرة كانت في مجال ولاية عبد الله الكاتب بصفتها وإلى القيروان ، حيث أرسل إلى بلكين يخبره أن أفريقية استوت كلها ولا خوف الا ممن اجتمعوا مع ابن خير في تلك القلعة . وهنا سار يوسف بلكين إلى المنطقة ولم يستغرق استيلاؤه على القلعة أكثر من ٤ أيام أنهاها بالانتقام من الثوار جزافيا بالاسراف في القتل حتى جمع ٧ (سبعة) آلاف من رؤوسهم ، بعث بها لتشهر في القيروان قبل أن يرسلها إلى مصر (٤٣) ، ليس للتشهير فقط ، بل للانداز أيضا ، كما نظن . هذا ، كما طبقت عقوبة النفي على كثير ممن نجوا من المذبحة ، كما أخذت كل أمتعتهم كغنيمة (٤٤) .

وإزاء هذه الأعمال الانتقامية التي تعبر عن المرارة والحقد بالنسبة للمتعاطفين مع عمال الخلافة ، رأى خلف بن خير الذي نجح في الإفلات من القلعة أن يتجه إلى بلاد كتامة (٤٥) على أمل أن يتم الكشف عن حقيقة الصراع كمواجهة صريحة بين الخلافة الفاطمية ونائبها الزيري في أفريقية . ولكنه بمجرد أن وجه بلكين التحذير الشديد ببراءة الذمة ممن يأوى النائر أو ينصره تحفظ الكتاميون على خلف مع ابنه وخصمه من بنى عمه ، وأثروا بهم

(٤١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٣ .

(٤٢) النويري ، ص ٣١٣ .

(٤٣) النويري ، ص ٣١٣ .

(٤٥) أنظر النويري ، ص ٣١٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٣ - حيث الإشارة

(٤٤) النويري ، ص ٣١٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٣ .

إلى هرب خلف فقط من القلعة .

الى بلكين فكافأهم على ذلك ثم انه يعث بخلف وقرائته الى عبد الله الكاتب
الذى شهر بهم وصلبهم أحياء قبل أن يضرب رقابهم ، ويبعث برؤسهم الى
مصر (٤٦) * علامة انتذار مبطن وتحذير على ما نظن *

وهناك- تفصيلات تعدل على ضخامة تلك الحركة المناهضة للامير الزيرى
الاول باسم الخلافة وتعبر في نفس الوقت عن عجز قيادتها المثلثة في خلف
ابن خير وقدراته * ومن ذلك انه كان يوجد تحت امرة خلف الآلاف من العبيد
المنتظمين في تشكيل حرس محارب ، وقعوا كثرة ناضجة بين يدي بلكين *
ولشدة إعجابهم بهم اختار منهم ٤ آلاف « شح يقتلهم » ، وأراد أن يجعلهم
ضمن عبيده * ولكنه تخلص منهم جميعا في ساعة واحدة ، عندما بدرت
الحياة من واحد منهم * ولكن يقضى بلكين على جرائم الثورة في مهلها ، رأى
أن يندثر أهل باغاية التي كانت باثرة منذ ٣٦٢هـ / ٧٢٠ - ٩٧٣م (ابن الأثير
ج ٨ ص ٦٢٢) . اندارا نهائيا ، بصفتها موطن كتامة بالامتنياز . فأرسل اليهم
وفدا من عشرة رجال من أهل القيروان يحذرونهم من مغبة الثورة ، ويطلبون
منهم تسليم قلعتهم والا لقوا مثل مصير قلعة خلف ، فنزلوا على حكمهم *
وخرجوا من المدينة التي أخرج بلكين أسسوارها وتركها مفتوحة
كضواحيها (٤٧) *

تحسين العلاقة مع الخلافة :

واستعادة ولاية طرابلس وضمها الى افريقية :

وهكذا قضى يوسف بلكين بعنف وقسوة على بوادر اول حركة عصيان
يشتم قننا مشاركة عمال الخلافة في القيروان أو أنصارها في كتامة ، لكي يعود
الى افريقية حيث أتاه تبا وفاة الخليفة المعز لدين الله (في ١١ ربيع الثاني
٣٦٥هـ / ١٨ ديسمبر ٩٧٥م) ، وخلافة ابنه نزار العزيز بالله * الأمر الذى
اعتبره نهاية للتبعية لمصر ، وبداية لاستقلاله بالمغرب (٤٨) *

ومن الواضح ان بلكين كان قد ازداد قوة بما حققه من نجاحات ضد

(٤٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٣ ، التويرى ، ص ٣١٣ *

(٤٧) التويرى ، ص ٣١٤ - حيث ضرب العبد ابن عم بلكين ظلما منه أنه بلكين نفسه *

فقتله *

(٤٨) انظر فيما سبق ، ص ٣٠٤ وهد *

خصومه ، سواء في أفريقية أو في كتامة ، كما ازداد ثقة بالنفس ، وكفاية في معالجة الأمور . فهو يحافظ على علاقات الود مع الخلافة بالقاهرة ، وهو بمجرد أن يأتيه نيا ولاية العزيز في القاهرة يسارع في جمادى الثاني سنة ٣٦٥هـ / فبراير ٩٧٦م بإرسال هدية - مع تجديد البيعة من غير شك - ويخرج من رقادة ليشيعها (٤٩) . وإذا كانت الخلافة لم تثر مسأله عزل ابن القديم ، عامل المعز على الحراج ، فالظاهر أنها كانت قد قبلت الأمر الواقع ، من ولاية عبد الله بن محمد الكاتب كخلف له في القيروان ، بمعنى عامل أفريقية وكاتب للأمير أو وزير . والقريضة على ذلك هو ما قام به عبد الله بن محمد في نفس السنة ٣٦٥هـ / ٧٥ - ٩٧٦م ، عندما صدرت إليه الأوامر من بلكين ، باقامة الأسطول بالمهدية وحشد رجاله من النوتية والبحريين ، وإن كان الأمر انتهى بفشل تلك التعبئة البحرية التي كرهها الناس عند اضطراب الرجال فهربوا من المراكب بعد أن نهبوا (أنظر فيما بعد ص ٣٢٨) . ودليل آخر هو ما قام به عبد الله الكاتب ، من جمع تبرعات اجبارية من أعيان البلاد وأعلامها من الفقهاء والعلماء ، بلغ مقدارها ٤٠٠ ألف دينار . أرسلها الى ديوان الخلافة بالقاهرة (٥٠) ، بهدف اكتساب رضا المسئولين هناك عنه ، واطفاء الشرعية على منصبه كعامل لأفريقية ، تابع للخلافة ، وهو ما تدل الأحداث التالية على أنه حصل عليها فعلا . ففي السنة التالية ، ٣٦٧هـ / ٩٧٧م كان يوسف بلكين يستطيع أن يكتب الى الخليفة العزيز يسأله أن يضم الى عمله «أفريقية» ولاية طرابلس الشرقية وما ينضاف إليها من أعمال سرت واجدادبية ، وهو ما استجاب له ديوان القاهرة (٥١) .

اخوة بلكين يلجأون الى القاهرة :

ورغم ما تضيفه الرواية التي يقدمها ابن الأثير من ان يوسف بلكين استخدم عماله هناك ، وعظم أمره حينئذ ، وأمن من ناحية العزيز ، واستبد بالملك (٥٢) ، فإن تحسن العلاقات مع القاهرة كان يسمح لبعض اخوة بلكين

(٤٩) ابن عسار ، ج ١ ص ٢٢٩ .

(٥٠) ابن عسار ، ج ١ ص ٢٣٠ .

(٥١) التويرى ، ص ٣١٤ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٦ - حيث النص على رحيل

«وال المعز علينا وهو عبد الله بن يخلق الكناني ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ - حيث تجعل الرواية ذلك ضمن أحداث سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٦م مع ولاية العزيز للخلافة وقرار يوسف بلكين على ولاية أفريقية كأنها منحة من الخلافة دون أن يسألها بلكين .

(٥٢) الكامل ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

مثل : كباب ومغنين ، ابنا زيرى من النهرب سنة ٣٦٩هـ / ٧٩ - ٩٨٠م من قصر بلكين حيث كانا محبوبين ، والاتجاه الى القاهرة مستجيرين بالخليفة ، فيكرمهما العزيز ويستضيفهما الى السنة التالية لكي يصرفيهما الى بلكين مع أمره بالعفو عنهما فلا يكون أمامه الا السمع والطاعة(٥٣) .

عبد الله الكاتب يؤلف حرساً من العبيد السود :

هكذا ، ولو انه عندما وصلت رسالة من ديوان الخلافة بالقاهرة في سنة ٣٧١هـ / ٨١ - ٩٨٢م ، وقتما كان يحارب الزناتية في المغرب ، تطلب من يوسف بلكين أن « يتخير ألف فارس من اخوته الأبطال بصنهاجة ، منهم : حبوس وماكسن وزارى وحمامة » ، بنو زيرى ويرسلهم الى القاهرة ، رد بلكين مستعفياً من ذلك بسبب « تغلب بنى أمية على الغرب ، وان الدعاء لهم على المناير ، وانه يحاربهم بهم مع التهديد المبطن بـ « ترك الغرب والمسير معهم الى الخليفة »(٥٤) . كما كانت العلاقة بين الخليفة ونائبه في القيروان تسمح ، بعد لعبد الله الكاتب أن يظهر ، خلال خمس سنوات من تكوين حرسه السوداني الكبير ، أى في سنة ٣٧٣هـ / ٨٣ - ٩٨٤م ، وهى السنة التى توفي فيها أبو الفتوح يوسف بلكين وكأنه أمير متوج . فلقد أحاط نفسه بأعداد ضخمة من العبيد السود الذين اشتراهم مباشرة من أسواق النخاسة أو الذين فرضهم على من كان تحت امرته من الموظفين فى عمالة الحراج وغيرهم ، حيث فرض على كل واحد منهم أن يقدموا له ما بين عبد واحد وثلاثين عبداً ، كحد أقصى حتى اجتمع له الألوف منهم(٥٥) .

عبد الله الكاتب مركز قوة يخشى أمره فى القيروان :

وهكذا بينما كان بلكين يقضى وقته فى حرب التوار فى المغرب الأقصى ، ومجاهدة الزنادقة كان عبد الله الكاتب يمارس ترف الانتقال من القيروان الى المهدية ، مركزه الصيفى حسب عادة كل عام ، مستخلفاً مساعديه : جعفر بن حبيب على المنصورية وبرهون على القيروان ، بينما كان المنصور ولى عهد بلكين ، يتلقى فى أشير نبأ وفاة والده ، الذى أودى به مرض

(٥٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ . وقارن انماط الخلفاء ، ج ١ ص ٢٥٢ .

(٥٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٨ . وأنظر فيما يأتى ، ص ٣٤٥ .

(٥٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ .

التولنج (التولون) ، وهو فى طريق العودة من سجلماسة ، بعد أن أكد سلطانة فى المغرب الأقصى ، وذلك فى موضع واركلان (وارجلان) من صحراء المغرب الأوسط ، يوم الأحد ٢٣ ذى الحجة ٢٧٣ هـ / ٢٦ ماية ٩٨٤م (٥٦) .

وبناء على ذلك لم يكن من الغريب أن يكون أول رد فعل لذلك عند المنصور بن بلكين هو التفكير فى القبض على عبد الله الكاتب ، أثناء وجوده بالمهدية - تخلصاً من عبء موالاته . ووقعت المهمة على عاتق أخيه يطوفت الذى خرج من أشير مسرعاً نحو القيروان حيث فاجأ نائبى عبد الله ، وجعفر ابن حبيب وبرهون ، قبل فجر الثلاثاء ١٥ محرم ٣٧٤ هـ / ٩٨٥ م ، وكان أول ما فعله يطوفت هو التأكد من سلامة بيت المال الذى كان مقفلاً ، وسلامة ما كان فيه من الخزائن المغلقة ، ثم انه أخذ المفاتيح وفرق على أصحابه من المال والسلاح ، وخرج بهم لينقض على عبد الله وهو فى طريقه من المهدية نحو القيروان ، ونهب متاعه ، واعتقاله بالمنصورة . والظاهر ان المنصور تنبه الى انه لم يكن من حسن السياسة التعجيل بالتخلص من رجل الخلافة ، والى افريقية ، فتراجع عن تنفيذ مخططه ، وأمر بإطلاق سراح الكاتب الوزير ، مع إيقافه عن العمل لبعض الوقت ، قبل أن يعيد اليه كل صلاحياته . مع الاعتذار له باستنكار ما فعله أخوه به (٥٧) . ولكنه عندما أتى وفد افريقية من مشايخ القيروان والقضاة وكبار جباة الخراج ، وعلى رأسهم عبد الله الكاتب ، ممثل الخلافة ، من أجل أداء واجب العزاء ، رأى المنصور بعد أن أحسن استقبالهم ، وأمر عبد الله الكاتب باعطائهم ١٠ (عشرة) آلاف دينار . أن يعبر لهم أو لعبد الله خاصة ، عن حقيقة تقديره لطبيعة حكم الزيريين فى افريقية وتقييمه لطبيعة العلاقة بين القاهرة والمنصورة . ففى خطابيه التوديعي لهم قال : « ان أبى وجدى أخذنا الناس بالسيف قهرا ، وأنا لا أخذ الا بالاحسان ، وما أنا فى هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب ، لأنى ورثته عن آبائى وأجدادى ، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير » ، أو كلاما

(٥٦) النورى ، ص ٣١٤ - حيث النص على أنه ربما عانى أيضا من حبة (أو بشرى) خرجت فى يده ومات منها ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ - حيث النص على انه توفى فى موضع « واركلان » يوم الأحد ٢١ ذى الحجة وليس ٢٣ ذى الحجة .

(٥٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٤٠ .

هذا معناه (٥٨) . وإذا كان نص ابن الأثير لا يشير إلى وراثة الزيريين للملكهم عن طريق الحميريين ، ملوك العرب القدماء ، فإنه يعقب على النص قائلا : « يعني أن الخليفة بمصر لا يقدر على عزله بكتاب » ، بقصد التقليل بالتالي من شأن سجل العهد بالولاية الذي كان يأتي من القاهرة (٥٩) .

المنصور يصحب عبد الله الكاتب إلى أشير :

والظاهر أن المنصور قرن القول بالعمل ، وإن فضل سياسة الخطوة خطوة ، كما يقال ، في سبيل تحقيق ما كان يراه من حقه في الاستقلال . فلقد ترك أشير وذهب إلى رقادة التي وصلها يوم الاثنين ١٩ رجب سنة ٣٧٤هـ / ١٧ ديسمبر ٩٨٤م ، لكي يقيم هناك لمدة أكثر من ٥ (خمسة) أشهر إلى ٢٧ ذي الحجة / ٢٢ مايو ٩٨٤م ، وهو يصطحب معه إلى أشير عبد الله الكاتب الذي استخلف ابنه يوسف على القيروان . وعند قدوم المنصور خرج عبد الله الكاتب مع وجوه أهل العاصمة لاستقباله ، فوعدهم خيرا . وخلال إقامته أتاه عمال البلاد بالهدايا مما تصفه الرواية « بما لا يحيط به الوصف » ، الأمر الذي دعا المنصور إلى التفكير بدوره في تقديم هدية جلييلة إلى الخليفة بالقاهرة ، بلغت قيمتها حسبما تبالغ الرواية من غير شك مليون دينار (٦٠) .

ومن الواضح أن استصحاب المنصور لعبد الله الكاتب معه إلى أشير يعني حرمانه من ذلك الاستقلال الذي كانت تهيئه له فرصة وجوده في القيروان كمثل شرعي للخلافة بالقاهرة . مع إمكانية السيطرة على ابنه يوسف نائبه في القيروان ، بعد أن يجد نفسه مجردا من سنده ، جواز والده .

(٥٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٠ ، وقارن النويري ، ص ٣١٧ - حيث بعض الاختلاف الشكل في الرواية ذات الأصل الواحد .

(٥٩) الكامل ، ج ٩ ص ٣٤ .

(٦٠) النويري ، ص ٣١٧ - ٣١٨ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٠ - حيث النص على أن الهدية سارت مع زروال بن نصر إلى مصر ، وأن قيمة ما فيها من الأمتعة والدراب والطرف ألف ألف دينار عينا .

يوسف بن عبد الله يساعد الداعي أبا الفهم :

هذا ، ولو أن يوسف بن عبد الله الكاتب كان يستطيع في سنة ٣٧٦هـ / ٨٦ - ٩٨٧م أن يقدم ، بموافقة والده ، خدماته المزدوجة لكل من الخليفة بالقاهرة ، والأمير المنصور بأشهر ، رغم ما في ذلك من التناقض . فهو يساعد الداعي أبا الفهم حسن بن نصر الحراساني الذي وفد من القاهرة ، على الذهاب الى كتامة بهدف اثارة قبائلهم ، في محاولة من الخليفة العزيز بالله لاسترجاع افريقية من المنصور ، حسبما تقول رواية ابن الأثير (٦١) ، عن طريق امداده بالحيل والمال . ونجح أبو الفهم فعلا في اثارة كتامة الذين اجتمعوا اليه لحساب الخلافة ، ومكنوه من جمع العساكر واتخاذ البنود بل وضرب البسكة ، أحد شعارات السيادة ، حتى صار خطرا على دولة المنصور (٦٢) ، الامر الذي سيحفده الأمير الزيري لوزيره اسكاتب عامل الخلافة .

حدث هذا بينما كان يوسف في نفس الوقت يلبي مطالب المنصور من حيث البدء (في سنة ٣٧٦هـ) في بناء قصره الكبير الذي كان قد طلب بنائه سنة ٣٧٥هـ / ٨٥ - ٩٨٦م وذلك بالمنصورية وينفق عليه من مال الحراج ١٠٠ ألف دينار (٦٣) . ولم يستغرق البناء طويلا اذ نزل المنصور قصره الجديد هذا ، عندما أتى من أشير الى افريقية في ١٥ محرم سنة ٣٧٧هـ / ١٨ ماية ٩٨٧م التالية - بينما نزل عبد الله الكاتب وكبار القواد حوله ، في بعض المباني ، وربما في الخيام والسراقات أيضا .

عبد الله الكاتب داعيا للدعاة :

وإذا كانت النصوص لا تشير الى موقف الخلافة من زحزحة عامل افريقية التابع لها من مقره بالقيروان ، واتخاذها كاتباً للأمير بأشهر ، فإنه مما يلفت النظر أن تصل الى المنصورية في ذلك الوقت ، كتب الخلافة تخبر المنصور بترقية عبد الله الكاتب الى مرتبة الداعي ، مع الأمر باتخاذ الاجراءات المناسبة لتنفيذ القرار . ويتضح من النص أن مرتبة الداعي كانت موقعا ساميا في

(٦١) الكامل ، ج ٩ ص ٥٥٢ ، أحداث سنة ٣٧٧ .

(٦٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤١ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ .

(٦٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤١ ، وقارن النويري ، ص ٣١٨ - حيث يتضاعف المبلغ

بكتير من المبالغة الى ٨٠٠ ألف دينار .

سلم الوظائف الخلافية ، وبالتالي في المملكة الزييرية ، بفضل صبغته الدينيه التي يدخل في اختصاصها أخذ البيعة للخليفة من الأمير وأفراد أسرته ، وهو ما حدث في الموضع المعروف بـ « قصر الحجر » من قصر السلطان والذي فرش خصيصا للمناسبة بأمر المنصور ، في يوم الاثنين ٧ من جمدان الآخر / ٥ أكتوبر ٩٨٧م (٦٤) .

وتقول الرواية انه لما تم لعبد الله أخذ تلك البيعة ظهرت عليه بوادر اليدوء والراحة ، اذ مسح على رأسه ، وقال : « الآن قد خلصت من القتل ، وأمنت على شعري وبشري » . وان كان النويرى يعلق على ذلك قائلا : « وما علم ان ذلك سبب هلاكه » (٦٥) . ولا بأس أن يكون في ذلك اشارة أيضا الى مصير الداعي الآخر : « أبى الفهم الحرسانى » الذى كان يشير كتامة وقتئذ بتدبير من يوسف بن عبد الله الكاتب ، وبموافقة والده عبد الله فى السنة السابقة ٣٧٦هـ / ٨٦ - ٩٨٧م ، مما سبقت اليه الاشارة (ص ٣١١) .

التخلص من اسكاتب داعى الدعاة :

والمهم ان عبد الله الكاتب ، بوصوله الى منصب الداعي ، بلغ من مبلغه قرابة المنصور ورجال دولته . فلقد بلغت به الأنفة والاعتزاز بالنفس الى حد انه لا يدارى أحدا من أبناء زييرى ، عمومة الأمير ، الأمر الذى اثار عليه الأحقاد حتى من أقاربه المقربين له ، مثل : ابن خاله حسن الذى قدح فيه ، واتهمه بمكاتبة وزير الخلفه « ابن كلس » وانه السبب فى خروج الداعي أبى الفهم واثارته لكتامة ، فى محاولة للغدر بالمنصور . وبصرف النظر عن صحة الاتهام أو اصطناعه ، فقد كان من الطبيعى أن يخشى الأمير مزاحمة رجل الدولة الكبير ، صاحب الصلة القوية بالقاهرة ، من حيث كان يجسج ما بين عمالة أفريقية ، وهى الوظيفة الخلافية و رئاسة الكتابة وديوان الخاتم بمعنى وزارة الأمير الزييرى ، فطلب منه أن يعتزل عمل أفريقية ، وهو ما رفضه رجل الدولة العتيد ، معلنا لصاحبه : « الفتلة ولا العزلة » . فكان عبد الله الكاتب قرر مصيره التصب بنفسه ، حيث مات قتيلا بطعنات الرماح من قبل الأمير المنصور وأخيه عبد الله وهو واقف يغطى وجهه بأكمامه ، ويقول : « على ملة الله ورسوله » ، كما لقي ابنه يوسف نفس

(٦٤) النويرى ، ص ٣١٩ .

(٦٥) النويرى ، ص ٣١٩ .

المصير صائحا مذعورا ، على يد المنصور وعمه ماكسن بن زيري ، وذلك يوم
الأحد ١١ رجب سنة ٣٧٧هـ / ٨ نوفمبر ٩٨٧م .

وحفظت القضية التي أصبحت غير ذات موضوع ، عندها جرى بقاضي
القيروان والشيوخ وأعلموا ان المسألة لا تتعلق بخيانة في المال أو مساس
بالشرف ، بل قضية من قضايا السيادة والسياسة ، حيث خشي الأمير على
نفسه فتخلص من غريمه - وهو التبرير المقبول - فدعوا له بطول العمر
وانصرفوا . وبذلك انتهت قصة رجل الدولة الذي ارتفع عاليا لكي يسقط
من حالق ، ودفن هو وابنه يوسف بغير غسل ولا كفن ، مثل الشهداء
أو كبار المجرمين ، لا ندري (٦٦) .

ردود الفعل لمقتل الداعي الكبير :

الحرس الأميري ينهب الضواحي :

ومن الأمور المستغربة انه عقب مقتل الوزير الكاتب ، مركز القوة
الكبير وابنه يوسف ، دار العسكر على الناس في القيروان ينهبونهم
ويسلبونهم ، كما خرجوا الى الضواحي في وادي القصارين وباب تونس حيث
نهبوا ما كان هناك من أثواب القماش والنسيج ، مثلما عرجوا على الطرقات
يقطعونها ويأخذون أموال المسافرين وأمتعتهم ، الأمر الذي راح ضعيفته كثير
ممن حاول الدفاع عن نفسه أو عن أمواله (٦٧) . فكان المسألة كانت من جانب

(٦٦) أنظر النويري ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ - حيث تأخذ المسألة شكل القدرية أو الحتمية
التاريخية ، عندما ينسب الى عبد الله الكاتب أنه كان يتمثل يوم مقتله ببيت الشعر الذي
يقول :

ومن يأمن الدنيا مثل قابض على الماء خانته فروح الأصابع
وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٢ - حيث نفس الرواية وان اختلفت بعض تفصيلاتها
مع تكرار تداولها بين الرواة والكاتب ، فبدلا من بيت الشعر الذي تمثل به عند النويري
والذي يدعو الى عدم الثقة في الدنيا كان عبد الله عندما تنكر له المنصور يتمثل ببيت
شعر يشير الى خطورة المساد الهدامين ، مهما قل عددهم ، بالنسبة للبتائين العاملين مهما
كثروا ، وفيه :

أرى الف بان لا يقوم لهادم فكيف بيان حوله الف هادم
كما كان عبد الله الكاتب ينتظر في ديوانه ويديه جزء من القرآن يقرأ فيه ، وأنظر
ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥١ - حيث الإشارة السريعة الى مقتل عبد الله الكاتب دون استطرادات
قصصية مثرة .

(٦٧) النويري ، ص ٢٤٣ .

الدولة عملية ارحاب رسمية لأهل القيروان ، حتى يقبلوا بالأمر الواقع .
وبعد عبد الله ولي أعمال أفريقية ، من قبل أبي الفتح المنصور ، يوسف بن
أبي محمد الذي كان عاملا لمدينة قفصة ، فخرج لتقلد منصبه وهو يرتدى
خلع المنصور ، وتتقدمه البينود والطبول ، وذلك في يوم الخميس ٢٥ شعبان
٣٧٧هـ / ٢١ ديسمبر ٩٨٧م وكان مقره دار القائد جوهر (٦٨) .

توتر العلاقة مع الخلافة وانتفاضة كتامة مع أبي الفهم :

ولا شك أن اقدام المنصور بن بلكين على قتل عبد الله الكاتب كان يعنى
تأزم العلاقات بين القاهرة والقيروان ، بسبب ما أثاره الداعي أبو الفهم من
الاضطراب في بلد كتامة ، بصفته داعيا من قبل العزيز بالله ، وهو ما اعتبر
المنصور خطرا يهدد كيانه بشكل مباشر ، وهو ما أعلنه قاضي القيروان
والمشايخ عندما أقروا تصرفه . وناظر أن المنصور أراد أن يسوى المسألة
عن طريق اجراء ما تتخذه الخلافة الفاطمية بالقاهرة ، فأرسل الى العزيز بالله
يعرفه بخطورة الداعي ، ولكن العزيز رد عليه بارسال مبعوثين ينهيانه عن
التعرض لأبي الفهم وكتامة ، الأمر الذي أثار الأمير المنصور ، الى حد أنه لم
يكتف بأن يغلظ للرجلين ، بل وللعزيز أيضا (ما بعد ص ٣٣٢) .

وبعد أن أقام السفيران لديه طوال شهرى شعبان ورمضان في سنة
٣٧٧هـ / ديسمبر ويناير منعهما من المسير الى كتامة ، وذلك أنه كان قد
قرر أن يعاج مسألة الداعي بنفسه ، وأن يلحق أهل الخلافة درساً يمكن أن
يكون حاسماً بالنسبة لتحديد العلاقات بين الطرفين . فلقد حشد المنصور
عساكره ، وخرج بهم متشاقلا نحو كتامة ، مصطحبا معه سفيري القاهرة
الذين كانا مزودين بتعليمات من الخلافة لزيارة أبي الفهم . فلم يدخل بلد
كتامة الا وقد دخلت سنة ٣٧٨هـ / ابريل ٩٨٨م . وعلى طول الطريق من
ميلة الى سطيف ، انطلق رجال المنصور يخربون « القصور والمنازل » حتى
استسلمت كتامة ، وسلمت أبا الفهم الذى عذب قبل أن يقتل ويمثل به
بطريقة هجوية قصد بها ألا تشير الفرع في قاوب الكتامين - الذين نزل بهم
الذل والهوان - فقط ، بل وأن تشير التقزز والهلع في ديوان الخلافة . فلقد
عاد المنصور الى أشير ، بعد اجراء عملية تطهير في كتامة راح ضحيتها عدد

(٦٢) التبرى ، ص ٢٤٣ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٥ - حيث يوصف الرجل
بالانفعال بالاكل والشرب وحسب الورد .

من وجوه الدعاء - ومن هناك أعاد السفيرين الفاطميين الى القاهرة لكي يعلنا
المستولين هناك أنهما أتيا من عند « شياطين يأكلون لحوم البشر » (٦٩) -

رد لبن للخلافة مع تبادل للرسائل والهدايا :

وكان رد الخلافة لينا يهدف الى التهدئة والمصالحة ، اذ أرسل العزير
الى المنصور يطيب قلبه ، وأرسل اليه هدية ، ولم يذكر له أبا الفهم (٧٠) .
أما عن ثورة كتامة في السنة التالية ٣٧٩هـ / ٨٩ - ٩٠م حيث نار أبو الفرج
الذي ادعى أنه من أولاد القائم بن المهدي ، فليس فيها ما يشير الى تدخل
ما من قبل الخلافة (٧١) . وبذلك أصبحت ولاية افريقية عمالة خاضعة للوالي
الذي استقل بها دون الخلافة . وهكذا كان للمنصور أن يعزل يوسف بن
أبي محمد عن العمالة ، وأن يولي مكانه محمد بن أبي العرب الكاتب ، سنة
٣٨٢هـ / ٩٢ - ٩٣م . بينما كان العزير بالله يرسل له سجلا بولاية عبيده
الى ابنه أبي مناد باديس وهي المناسبة التي أشاعت السرور في نفس
المنصور . وكانت مناسبة لكي يتلقى التهاني مع الهدايا من مختلف
البلدان (٧٢) ، من الداخل والخارج . ففي نفس سنة ٣٨٢هـ / ٩٢ - ٩٣م
وصلت الى المنصور هدية فيها زرافة من بلاد السودان (الأوسط - كسا
نرى - حيث تشاد وما وراءها) (٧٣) . كما وصلت من مصر هدية أخرى مع

(٦٩) انظر التويرى ، ص ٣٢١ - حيث الرواية التفصيلية التي تظهر في ابن الأثير ،
ج ٩ ص ٥٢ - ٥٣ تحت عنوان معبر : عن سير المنصور لحرب كتامة ، وقارن ابن عذارى ،
ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ - حيث الرواية حسنة التلخيص أيضا . وانظر اتمام الحفا ، ج ١
ص ٢٦٣ ، وفيما بعد ، ص ٣٣٣ .

(٧٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٣ .

(٧١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ - حيث الاشارة الى أن أبا الفرج عمل أكثر مما عمله

أبو الفهم .

(٧٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٩٠ - حيث يضح
ذلك في سنة ٣٨١هـ / ٩١ - ٩٢م ، ويصف المزعول بأنه صاحب افريقية نائب المنصور
في البلاد .

(٧٣) انظر عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ - حيث النص على أن المنصور خرج لاستقبالها
وأنها دخلت بين يديه ، وقارن المؤنس لابن أبي دينار ، ص ٧٨ - ٧٩ - حيث النص على أن
الهدايا وصلت بمناسبة نكاح ولده باديس ، وأن هدية الزرافة أتته من قبل ابن الخطاب
عامله على زويلة (باب السودان الأوسط أي تشاد حاليا) ، الى جانب هدية عامل طرابلس
التي حوت ٢٠٠ حمل من المسال سوى الحبل ولطائف المشرق .

جعفر بن حبيب ، سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م ، فيها فيل عظيم (٧٤) ، بمعنى وجود علاقات طيبة أيضا ، وتبادل هدايا بين مصر والسودان النيل من حيب وفد هذا الفيل العظيم . وفي سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م كان المنصور يولى يوسف بن أبي محمد ، الذى يصفه ابن عذارى هنا بالقائد ، عاملا على مدينة متيجة (٧٥) .

وبذلك ختم المنصور حكمه فى ٣ ربيع الأول سنة ٣٨٦هـ / ٢٧ مارس ٩٨٦م ، والعلاقة حسنة بينه وبين الخلافة ، حيث ولى ابنه باديس ، وهو متمتع منذ سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م ، بشرعية ولاية العهد الخلافية من قبل العزيز بالله الذى قدر له أن يموت مع المنصور وفى نفس السنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م ويخلفه ابنه الحاكم بأمر الله ، الأمر الذى كان يتطلب تجديد كل من العهد والبيعة .

والحقيقة ان باديس كان قد هيا هدية سيرها الى رقادة مع القائد جعفر بن حبيب فى ١٦ رمضان / ١٣ أكتوبر . ولما كان قد أرسل فى طلب القاضى محمد بن عبد الله بن هاشم الى مصر - ربما لحاجة الخلافة الى الاستعانة به فى القضاء ، كما سبق وأن طلب المعز أخوة بلكين ، أبناء زيرى ، مع فاروق أنه على عكس ما حدث فى المرة السابقة ، فان باديس كان حريصا هذه المرة على تلبية رغبة العزيز . فرغم أن حالة القاضى الصحية لم تكن تسمح له بالسفر فان الأوامر صدرت فى ٣ ذى القعدة للرجال بحمله قسرا ، تحت اشراف عامل افريقية ، محمد بن أبى العرب ، فأخذ بشيابه المنزلية محمولاً على بساطه ، وأهل بيته يتبعونه نحو رقادة حيث الهدية المسافرة الى مصر . والعساكر على باب أبى الربيع على أهبة الاستعداد للتدخل اذا ما حاول أهل القيروان الاحتجاج . ولم تلبث سحابة الغم التى غلبت على الناس أن تقشعت عندما أتت الأخبار بوفاة العزيز - فكانت وكأنها كرامة أكرم الله بها القاضى الذى عاد الى داره - بعد تأجيل مسير الهدية (٧٦) .

الشرىف الباهرى يأخذ البيعة على باديس وصنهاجة :

والمهم ان سجل ولاية أبى مناد باديس مع تلقيبه بـ «نصير الدواة»

(٧٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٧٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٧٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ .

وصل من القاهرة في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٣٨٧هـ / ٦ ابريل ٩٩٧م ، مع سجل ثان يوفاة العزيز نزار ، وولاية الحاكم والجواب عن وفاة المنصور ، والعزاء عن العزيز وعن المنصور ، وذلك في معية الشريف الداعي : علي بن عبد الله العلوي المعروف بالباهري (٧٧) ، والذي كان يحمل سجلا ثالثا بالبيعة علي باديس وأهله من بنى مناد للخليفة الجديد الحاكم . ورغم ما تقوله الرواية من أن وصول الداعي صادف عرضا عسكريا لرجال باديس من فرسان ورجاله ، كان باديس قد أعده في صفوف محتشدة امتدت من باب القصر بالمنصورية حتى باب قلشانة ، الأمر الذي لم يسبق للداعي أن رأى مثله ، فلا بأس أن يكون باديس قد انتهز الفرصة للقيام باستعراض قوة يمكن أن يتحدث به الداعي اثر عودته الى القاهرة .

والمهم أن باديس أحسن وفادة الشريف فأنزله بدار الأمير يوسف بجوار القصر الأميري ، وذلك استعدادا لعقد البيعة ، حيث جلس الأمير وأحضر له بنو مناد ، وسائر زعماء قبائل صنهاجة ثم استدعى الشريف الذي أخذ عليهم البيعة ، ومن الواضح أن هذه كانت بيعة الخاصة التي تبعتهما بيعة العامة ، حيث كان يجلس الشريف الباهري في الدار المخصصة له ، ويستقبل النوافدين الذين كان يأخذ بيعتهم ، من الصنهاجيين وغيرهم . هذا ، كما أحاط باديس الشريف الداعي برعايته ، فوصله بمبلغ كبير من المال ، وتخوت ثياب ، وبراذين يسروج محلاة - كل ذلك هدية خاصة له . أما عن هدية الخليفة الحاكم فقد جهزت لكي تتبعه بعد ذلك الى مصر (٧٨) . وجاءت هدية الخلافة المقابلة من مصر في السنة التالية (٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) ، وكانت تحوى الأطلاق النفسية من الجواهر وغيرها ، وخرج نصير الدولة باديس لاستقبالها والدخول الى المنصورية ، وهي تتقدمه في موكب احتفالي كبير (٧٩) .

(٧٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ ، وقارن النويرى ، ص ٢٢٤ - حيث اللقب « التيهري » بعلا من الباهري .

(٧٨) النويرى ، ص ٢٢٤ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٧٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٩ .

احوال الافاليم الشرقية في طرابلس وبرقة :

الخلافة تحاول استرجاع طرابلس :

ولكنه لم تكد تستجح فرصه للخلافة الفاطمية لاسترجاع ولاية طرابلس ، بعد فترة وجيزة ، الا وانتهزتها ، ففي سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م ، وبينما كان باديس يعاني من انقسام بنى زيري ، وخروج كثير من عمومة ابيه عليه ، اذ بالأمور تتعقد بشورة فلقل بن سعيد الزناني الذي تحالف مع بعضهم ، واتصل نائبه بطرابلس تموصلت بن بكار بالخليفة الحاكم في القاهرة ، وعرض عليه تسليم مدينة طرابلس والاتجاه اليه . فما كان من الحاكم الا أن أمر واليه على برقة ، وعسو القائد يانس الصقلي بالمسير الى طرابلس وتسلمها ، وهو ما حدث فعلا في نفس السنة (٨٠) .

وفوجئ باديس بهذا الأمر ، واتصل بيانس يسأله ان كان معه عهد من الحاكم بالولاية ولما لم تقنعه اجابة يانس المراوغة من أنه انما أتى الى طرابلس معينا ونجدة ، وان مثله لا يطلب منه عهد بولاية سير اليه جيشا . التقى به خارج طرابلس ، وانتهى اللقاء بمقتل يانس واعتصام أصحابه داخل المدينة التي ضربت عليها قوات باديس الحصار (٨١) . واستجاب الحاكم لطلب المدد من رجاله وسير اليهم جيشا بقيادة يحيى بن علي بن الأندلسي ، وبصحبته القائد زيدان الصقلي مشرفا على الشؤون الادارية والمالية للحملة (٨٢) . وتأزمت الأحوال عندما وجدت خزانة برقة التي كان عليها أن تمتد الحملة بالمال ، خاوية . فاضطرت الى الاعتصام هي الأخرى بأسوار طرابلس ، وذلك في ٩ ربيع الأول سنة ٣٩٢ هـ / ٢٧ يناير ١٠٠٢ م .

(٨٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ ، وقارن القريري ، اتماط الحنفا ، ج ٢ ص ٣٤ . حيث الاشارة الى وصاية بروجوان على الحاكم وتديبه لأمر دولة الحاكم على مستوى العلاقات الشخصية حيث يتخلص من يانس الصقلي لانه ثقل عليه ، وأمره بالمسير الى طرابلس . لأن واليه لباديس وهو تموصلت بن بكار يرغب في المسير الى مصر - مع خطا في تاريخ تسليم يانس طرابلس في ١٥ جمادى سنة ٣٧٠ هـ / ٢٧ نوفمبر ٩٨٠ م بدلا من ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م .

(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ وقارن ، اتماط الحنفا ، ج ٢ ص ٣٧ - حيث النصر على أن بروجوان عقد ليانس على ولاية طرابلس الغرب وأنه وصل اليها في ١٥٠٠ مارس عندما حزم وقتل .

(٨٢) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥٦ -

وقتما كان فلفون بن سعيد مستوليا عليها منذ فترة وجيزة (٨٣) .

والمهم أن زمام المبادرة آل الى فلفل الذى أراد انتهاز الفرصة واستغلال القوة الفاطمية في محاولة جريئة لدخول أفريقية تحت غطاء الشرعية الحلافية ، ولكنه لم يقدر لذلك التحالف النجاح أمام قابس التى وصلوا اليها في السنة التالية (٣٩٣ هـ / ٢ - ١٠٠٣ م) ، ربما بسبب عدم الانسجام بين زيدان الصقلى وفلفل ، وان كان السبب الواضح هو نقص المال الذى وقع عبء تديرة على زيدان الصقلى ، وبالتالي التقصير فى اعطاء الرجال الذين تبدد الكثير منهم ، حتى اضطر يحيى بن على بن الأندلسى الى العودة بالبقية الباقية منهم الى مصر ، والتعرض لمخاطر مساءلة الحاكم وسخطه ، وان نجح فى اقناعه بقبول عذره (٦٤) . وبذلك خلصت طرابلس الى فلفل بن سعيد الذى استوطنها حتى وفاته سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م ، واستعادتها فى نفس تلك السنة من أخيه وروا بمعرفة باديس .

ابو ركوة والثورة الزناتية فى برقة :

أما عما واجهه الحاكم من المتاعب فى برقة بسبب ثورة أبى ركوة التى انتشرت فيما بين سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م ، حيث تم الاستيلاء على برقة بمساعدة عرب بنى قره وبربر لواته وزناتة ، وسنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٧ م ، حيث كان الدخول الى مصر فى محاولة فاشلة ، استدرج فيها الثائر الذى اتخذ اللقب الحلافى « الناصر لدين الله » ، الى شرك أحكم نصبه له فوقع فيه مستجيبا الى الخديعة ، بينما كان باديس منشغلا بأحوال المغرب ، من : انقسامات بنى زيرى ، وتدخلات العامريين الأندلسيين . فلقد رأس الثورة دعوى أموى أندلسى ، بدأ ، كما هى العادة فى الثورات الاسلامية التى تبحث لها عن تبرير شرعى ، كآمر بالمعروف ، ونجح فى جمع قبائل برقة حوله ، وبخاصة الزناتية منها ، وعندما حقق النجاح على القوات التى بعثها الحاكم

(٨٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ ، وقارن أيضا الحنفا . ج ٢ ص ٥٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ - حيث النص على مسئولية زيدان الصقلى فيما حل بالملة من الفشل ، إذ يوصف بسوء العقل وضعف التدبير ، الأمر الذى أدى الى اختلاف العسكر ، واستخفاف فلفل بن سعيد به بل واحتقاره .
(٨٤) ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٥٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٧٧ - حيث النص على سوء مجاورة فلفل واستيلائه على خيول المصريين وعددهم الى جانب قلة المال ، وان الحاكم أراد قتل يحيى ثم انه عفا عنه .

الى برقة التي استولى عليها في رجب سنة ٣٩٥ هـ/ابريل ١٠٠٥ م تداعي اليه البربر من كل صوب وحدث(٨٥) . واذا كانت الرواية تشير الى أنه أغرى البربر بفتح مصر ، فلا بأس أن يكون القحط والغلاء ، وما تبعها من الوباء العظيم الذي ضرب أفريقية سنة ٣٩٥ هـ/٤ - ١٠٠٥ م(٨٦) ، من الأسباب التي شجعت على قيام الحركة في برقة كمحاولة الهجرة الى مصر قبل أن تكون فتحا .

وهكذا كانت العلاقات تتأرجح بين الخلافة الفاطمية والنيابة الزيرية ما بين الصعود والهبوط تبعا للظروف ومقتضى الأحوال ، خلال العقود الأربعة منذ انتقال المعز الى مصر وحتى خلافة الحاكم ، حيث بلغت حدا من التمدنى سمح باستخدام الانتهازية والقدر فى سبيل تحقيق مكاسب عابرة ، مثل : محاولة استعادة ولاية طرابلس ، بل والتعدى على أفريقية نفسها بحصار قابس بالتعاون مع الزناتية ، وهم الخفاء المتقلبون دائما .

فلفل بن سعيد الزناتى فى طاعة القاهرة ، وملجأ لابناء الكاتب :

وفى اطار تقلب المواقف بين الأطراف المختلفة كان تحالف القسوات الفاطمية مع فلفل بن سعيد فى طرابلس بمثابة اعتراف من جانب القاهرة بشرعية وجود الزعيم الزناتى فى طرابلس ، فكأنها استردتها من الزيريين الذين عهد بها اليهم فى أول خلافة العزيز ، وعهد بها الى فلفل سنة ٣٩٢ هـ/ ١٠٠١ م ، على عهد الحاكم - الأمر الذى استمر الى سنة ٤٠٠ هـ/١٠٠٩ م . فبتذا ما يفسر من جهة كيف أنه بعد وفاة عامل أفريقية محمد بن أبى العرب سنة ٣٩٦ هـ/١٠٠٥ م(٨٧) ، خلفه ابنه القاسم بن محمد بن أبى العرب ، الذى أقر العمل على ما كان عليه أيام والده فلم يغير مساعديه ، وذلك سنة ٣٩٧ هـ/١٠٠٦ م(٨٨) ، فكان عمالة أفريقية قد صارت هى الأخرى وراثية ، كما هو الحال بالنسبة للنيابة فى الولاية الزيرية ، بل وتحت الاشراف المباشر للخلافة فى القاهرة ، حسبما خطط لها منذ بدايتها وان كان صاحب تلك العمالة قد أصبح وزيرا للأمير الزيرى ، أكثر منه موظفا خلافيا . فهذا

-
- (٨٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٨ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٩٧ وما بعدها .
- وانظر اتماط الخفا للقمريزى ، ج ٢ ص ٦٠ - ٦١ .
(٨٦) النويرى ، ص ٣٢٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ .
(٨٧) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٠ .
(٨٨) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧١ .

ما يمكن أن يستشف من أحداث سنة ٣٩٩ هـ/١٠٠٨ م ، عندما ساءت العلاقة مع أبناء محمد بن أبي العرب فهربوا من المنصورية يريدون الالتجاء الى فلفل بن سعيد بطرابلس حيث كان مقيما بموافقة ضمنية من الخلافة ، مما سبقته الإشارة اليه (ص ٣١٩) ، الأمر الذي أثار نائرة باديس الذي أصدر أوامره الى عامل قابس بقطع الطريق عليهم ، فأخذ منهم عليا ويوسف فقتلها وبعث برأسيهما الى المنصورية في آخر المحرم/أكتوبر وان كان باديس قد عفا عن القائم ، صاحب العمالة ، عندما عاد اليه معتذرا (٨٩) .

أبناء ينال التركي يوجهون أنظارهم الى باديس :

وفي إطار هذا التقلب في العلاقات بين الأطراف المعنية ، تشير النصوص الى أن أبناء القائد ينال التركي ، والى برقة الذي قتل في سبيل استعادة طرابلس ، والذي كان قد كون أسرة لها مكانتها الاجتماعية والسياسية في طرابلس أثناء حكم فلفل بن سعيد ، ومنهم : عبد الله وشواش ومن كان في خدمتهم من الرجال ، كانوا مستعدين للانضمام الى جانب باديس سنة ٤٠٠ هـ/١٠٠٩ م وهو في طريقه الى قتال الزناتية في طرابلس ، بعد وفاة فلفل ، إذ « عرفوه انهم لما علموا بخروجه أغلقوا أبواب طرابلس ومنعوا الزناتيين منهسا ، فسر بذلك ، ووصلهم وأحسن إليهم » . هذا ، ولو أن المسألة تظهر في شكل تسوية - حسب صفة شاملة ، كما يقال الآن - إذ أنه بعد دخول باديس طرابلس ، استجاب لطلب وروا أخى فلفل (فلفل) ومن معه من الزناتية ليس بتلبية الأمان فقط ، بل وبتميينهم عمالا على إقليم نفزاوة المجاور ، شريطة الارتحال عن أعمال طرابلس (٩٠) .

وروا بن سعيد زعيما للزناتية في نفزاوة :

والحقيقة انه إذا كان التقلب قد بلغ بؤروا ومن معه من الزناتية الى حد مخالفة باديس في السنة التالية ٤٠١ هـ/١٠١٠ م ، والفرار من نفزاوة ، فإن العلاقات مع الحاكم بأمر الله تعود الى مجاريها سنة ٤٠٣ هـ/١٠١٢ م ، حيث وصلت هدية جلييلة من الحاكم ، بحرا عن طريق المهديّة ، الى باديس (نصير الدولة) والى ولي عهده ابنه المنصور ، فخرج الاثنان مع أهل القيروان لكي يعودوا بها من موضع قصر الماء ، في احتفال بديع تقدمهم البنود:

(٨٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧١ .

(٩٠) النويرى ، ص ٣٢٩ .

والطبول • والمهم بشأن سفارة الحاكم هذه أنها كانت تحمل سجلا بأضافة ولاية برقة وأعمالها الى ولاية باديس(٩١) ، فكان الخلافة أرادت أن يكون لها حدود مشتركة مع نيابتها الزيرية في أفريقية •

علاقات حسنة بين الحاكم وباديس :

تبادل السجلات والهدايا :

وازدادت الصلة بين الحاكم وباديس حتى كان الخليفة يطلع باديس على ما كان يتخذ من قرارات مصيرية بالنسبة للخلافة الفاطمية ذاتها ، من ذلك توليته العهد لابن عمه أبى القاسم عبد الرحمن بن الياس بن أبى عسى بن المهدي ، الذى وصل سجل به الى باديس سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م ، فقرأ فى جامع القيروان ، الأمر الذى تطلب اثبات اسمه فى البتود ونقشه على السكة الى جانب اسم الحاكم ، رغم عدم رضا باديس عن فكرة تحويل ولاية العهد من الابن الى ابن العم(٩٢) • وهكذا كان على باديس أن يعث فى السنة التالية ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م بهدية جليلة الى الحاكم ، كما ضمنها بديبلوماسية بارعة ، هدية أخرى من قبل أخته السيدة « أم ملال » الى السيدة (الست) أخت الخليفة الحاكم ، وقام بتشجيعها بنفسه من المنصورية بالبتود والطبول • ورغم أن وجهة الهدية الخلافة التى عهد بها الى القائد يعلى بن فرج كانت المهديّة من حيث يكون طريق البحر الى الاسكندرية والقاهرة ، فانها راحت نهبا لعرب برقة ، عندما رست المركب هناك ولكن أو للراحة •

علاقة عرب بنى قرّة فى برقة بالقاهرة :

وتنسب الرواية الى يعلى بن فرج التقيير فى حفظ الهدية والعجز فى الدفاع عنها بما كانت تحويه من الأفراس الأصيلّة ، والسروج المحلاة وأحمال الحز والسمور والأقمشة الموسمية المذهبة ، الى غير ذلك من فتيان الصقالبة والوصيفات ، فأسلمها جميعا لحطافها بنى قرّة ، من عرب برقة(٩٣) • ولا

(٩١) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ ، وقارن اتساظ الحنفا للمقرىزى ، ج ٢ ص ٩٩ •
(٩٢) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٥ • وقارن اتساظ الحنفا ، ج ٢ ص ١٠٠ •
(٩٣) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٥ - حيث النص على أنها حوت ١٠٠

ندرى ان كان قاطعوا الطريق هؤلاء يعرفون انهم يمدون ايديهم الى امتعة الخليفة ، اذ ربما تكون المسألة عندئذ نوعا من الثأر أو الانتقام لما نزل بأهل برقة الذين ساندوا أبا ركوه ، من العقاب عندما هاجموا مصر منذ أقل من عشر سنوات ، وهو الأمر الذى يرجحه تخلص الحاكم من ولاية برقة وعهده بحكمها الى باديس قبل ذلك بقليل فى سنة ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢ م .

وكانت لفتة كريمة من الحاكم أن رد ، على الهدية المنهوبة ، فى نفس السنة ٤٠٥ هـ/ ١٠١٤ م ، بهدية جليلة ، وصلت مع سفيرين من لدنه الى المنصورية . وتكونت الهدية الخلاقية ، من : خلع سنية ، وسيف مكلل ، الى جانب سجل بولاية العهد للمنصور بن باديس - الذى توفى بعد قليل - مع اعطائه لقب « عزيز الدولة » . واستقبل باديس السفارة والانعامة الخلاقية بما يليق بها من التبجيل والترحيب والسرور . وبعد قراءة السجل من أعلى منبرى المنصورية والقيروان تقبل باديس التهانى من وجوه رجال الدولة الذين قدموا له الهدايا والأموال (٩٤) .

سجل ولاية العهد للمنصور بن باديس والنزاع مع العم حماد :

وكان سجل الحاكم بولاية العهد للمنصور بن باديس سببا فى اثاره نزاع بين باديس وبين عمه حماد بن يوسف بلكين والى أشير ، وصاحب القلعة . وذلك أن باديس أراد أن يؤكد ولاية العهد النظرية من قبل الخليفة للمنصور بأجراءات عملية ملموسة ، مما يؤكد الولاية للمنصور ، من الأعمال (الولايات) الهامة له لكى يقطعها لأعوانه وأتباعه الذين يعضدون ولايته للعهد ثم ملكه عندما يرث والده . ورأى باديس أن يجعل من ذلك فرصة لاختبار نوايا عمه حماد ، الذى كانت قد اتصلته به أمور عنه أنكرها ، وذلك عن طريق تنازله عن بعض اقطاعاته التى كان يديرها بعض أصحابه ، بحيث

درس و١٨ قصبا للسروج و١٨ حملا للأقمشة والمنسوجات ، و٢٠ وصيفة و١٠ من الصفاة . وقارن انماط المنفا ، ج ٢ ص ١١٠ .

(٩٤) النويرى ، ص ٣٢٩ - حيث اسم السفيرين : عبد العزيز بن ابي كندية ، وأبو القاسم بن حسين . اما عن المنصور بن باديس ولى العهد فى هذا السجل فلم تقدر له الحياة اذ توفى بعد فترة وجيزة لكى يحل محله أخوه الأصغر المعز بن باديس . وقارن انماط المنفا ، ج ٢ ، ص ١١١ - حيث السفير الثانى ابن حسن بدلا من حسين ، مع الاشارة الى اشتغال الهدية على خلع وسيوف وتشريف لمنصور بن نصير الدولة بولاية ما يتولاه أبوه فى حياته وبعد وفاته مع لقب عزيز الدولة .

تقدم لولى العهد لكى تعطى لبعض أعوانه . ووقع اختيار باديس على مدن : تيجس وقصر الأفريقي وقسنطينة ، وكانت بيد القائد ابى زعبل ، لكى يتنازل عنها حماد ، فتعطى للقائد هاشم بن جعفر . وفى الوقت الذى أعيد فيه باديس كتابا الى عمه حماد يأمره بتنفيذ رغبته تلك ، كان يدعو هاشم ابن جعفر ليخلع عليه ، ويعطيه الطبول والبتود ، ويطلب منه الخروج الى هذا العمل . كما كان يعهد الى عمه ابراهيم الذى كان يشك فى تحيزه الى أخيه حماد ، بعد مشاورات شكلية معه ، صدقها اعطاؤه الحرية فى اختيار الفريق الذى يفضل الانضمام اليه ، بحمل كتاب أخيه حماد . على أن يعمل على تسهيل المهمة باقناع حماد بالاستجابة الى طلب الأمير ، ابن أخيه (٩٥) .

والمهم أن ابراهيم خرج فى ١٩ شوال سنة ٤٠٥ هـ / ١٤ / ٤ / ١٠١٤ م وبصحبه القائد هاشم بن جعفر الوالى المرشح للعمل المطلوب للمنتصور ولى العهد ، ولكنه عندما اقتربا من موضع حماد ، ترك ابراهيم رفيق سفره هاشما وحده ، على أمل اللقاء فيما بعد ، ولكنه لم يلبث أن ظهر مع أخيه حماد ، وقد اجتمعت كلمتهما على العصيان ، وتبدأ بين الطرفين حرب غريبة تختلط فيها القسوة بالخداع ، والندر بالولاء (٩٦) ، لكى تنوقت أمام القامة الحمادية حيث توفى باديس فجأة أثناء حصاره لحماد فى ٣٠ من ذى القعدة سنة ٤٠٦ هـ / ١١ / مايه ١٠١٦ م ، مصابا بالذبحه (٩٧) .

(٩٥) أنظر التويرى ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ - حيث للإشارة الى تفصيلات يستدل منها على أنه كان يمكن التأكد من نوايا حماد عن طريق اعتقال أخيه ابراهيم ، كما انه كان يمكن التنبؤ بقدر ابراهيم من بعض أقواله وأفعاله ، مثل : طلبه مهلة ٢٠ يوما فقط للقيام بتلك المهمة ، وخروجه بكل أمواله التى بلغت ٤٠٠ ألف دينار وبجميع خزائنه وذخائره ووجاله وعبيده - كما تبلغ الرواية على ما نظن .

(٩٦) أنظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ - حيث النص على أن بساديس سير جيشا الى قلعة حماد فخربها ، ولكنه لم يأخذ مال أحد . ولكن عندما لجأت جماعة من جند القلعة الى باديس كان انتقام حماد وأخيه ابراهيم رهيبا ، إذ ذبح أبناءهم وهم على صدور أمهاتهم ، قتل بيده منهم ٦٠ طفلا ، ثم قتل الامهات . كما انه عندما وصل حماد الى مدينة دكة تجنى على أهلها وقتل منهم ٣٠٠ رجل ، كما قتل فقيه البلد ، وحمل جميع ما فيها من طعام وملح وذخيرة الى القلعة .

(٩٧) ابن خلكان (باديس) ، ج ١ ص ٢٦٥ - حيث النص على ان موته كان انتقاما رابنا ولطفا بأهل طرابلس التى حلف انه « لا يرحد عنها حتى يبيدنا فدنا للزراعة ، وذلك بفضل دعاء الوالى الصالح ، المؤدب محرز ، الذى دعا قائلا : « يا رب اكفنا باديس » ، فهلك فى ليته بالذبحه - والله اعلم ، وقارن الاعلام لابن المطيب ، ص ٧٢ - حيث الوفاة فى ٢٠ ذى القعدة / ١ مايه ، بدلا من ٣٠ ذى القعدة ، وذلك لطفا من الله بسمه حماد المحاصر فى قلعتي ، بسبب عقب قتالة تملقت بشيابه ، بدلا من الذبحه . وهكذا حتى لحامد الذى =

وعلى عهد المعز بن باديس رابع الأمراء تبدأ مرحلة جديدة في العلاقات بين الخلافة في القاهرة وبين النياحة في القيروان ، هي مرحلة القطيعة - على المستويين الديني والسياسي - وإذا كانت الروايات التاريخية تكاد تلقي بعبء تلك الإزمة على عاتق أمير القيروان الذي لم يكن قد شرب عن الطوق بعد ، فمن المقبول أن يكون لخليفة الحاكم دوره - وهو ما هو معروف عنه - في إثارة تلك الإزمة ، وكذلك من خلفه من الظاهر والمستنصر مما يأتي في موضعه .

مبادئ الحكم في العمالة الأفريقية وتطبيقاتها العملية :

أقرار الأمن :

المعروف أن الخليفة المعز لدين الله أوصى نائبه الصنهاجي ، القائل بلكين بن زيري بن مناد ، بما ينبغي عليه أن يتبعه في حكم ولايته الأفريقية ، وأنه من بين وصاياه الكثيرة ركز على ثلاثة منها ، هي :

ألا يرفع السيف عن البربر ، وألا يرفع الجباية عن أهل البادية ، وأن يفعل بأهل الحاضرة خيرا ، وهي الوصايا التي تعتبر بمثابة مبادئ للحكم أو برنامجا للعمل السياسي ، ثم انها صارت أربعة عندما أضيف إليها مبدأ خاص بالأسرة الزيرية نفسها ، أسرة بلكين ، ويتلخص في عدم اشراك أحد من أهل بيته في الحكم خشية أن يروا أنهم أولى منه بذلك (٩٨) .

والمقصود بالبربر الذين لا يرفع السيف عنهم ، هم قبائل زناتة ، أشهر ممثلي قبائل البتر بمعنى البدو الرحل ، أصحاب مضارب الحيام ، الذين لا يفهمون معنى الاقتصاد المدني فكأنهم المقصودون أيضا بالمبدأ الثاني الخاص بضرورة إخضاعهم الى دفع الضرائب ، سواء عن الزراعة أو تربية

تتماطف معه رواية ابن الخطيب هذه ، أن يقول ، وهو يشرف على جوش ابن أخيه باديس وهي تلخص له حيشا ، فتتصرف بتابوته في خير ثبات وأحسن تعبئة : مثل هؤلاء تتخذهم الملوك وتبذل فيهم النعم ، وذلك مقارنة برجاله الذين أحسن إليهم فكان جزاؤه منهم الفرار ونكران الجميل - وهو حى يرزق .

(٩٨) أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٥ - حيث تقتصر الوصية على ما يتعلق فقط بالضغط على البربر وإخضاع أهل البادية للضرائب ، وإبعاد أهل بيته الزيريين عن مهام الحكم . وقارن النويري ، ص ٣١١ - حيث النص على ٣ أشياء مع ذكر الأربعة جميعا . والنص هنا مضطرب لم ينجح المحقق في تصويبه وذلك أنه يذكر في الوصية الأولى « أهل البلاد » بدلا من أهل البادية ، وفي الثالثة « أبي مضر » بدلا من أهل الحضرة ، أما الرابعة ففيها اختوتك بدلا من أهل بيتك .

الماشية . فكان الهدف من تلك السياسة هو : توطينهم والعمل على تحويلهم الى أهل حضر ومدن ، مثلهم في ذلك مثل قبائل البرانس بمعنى الحضر ، وأهم ممثليهم في القرن الرابع الهجرى / ١٠ م الذي نحن بصدده ، وكذلك القرن الذى يليه (٥ هـ / ١١ م) ، هم : صنهاجة أفريقية ، قبيلة الزيريين ، فكان المقصودين بالاحسان اليهم هم : صنهاجة ، عصب الدولة ، ومن يلوذ بها من كتامة ، أنصار الفاطميين الأوائل ، وكذلك من يحوم حولهم من سائر اصناف البربر ، دون تفرقة بين بتر وبرانس أو زناتية وصنهاجية ، طالما دخلوا فى الطاعة وأصبحوا ضمن الرعية المرعية .

أما عن المسألة الخاصة بالأسرة الحاكمة ، فانقصد منها أن يولى الأمير عنايته بانسبة لأهل بيته فلا يغفل عن التأكد من حسن سيرتهم ، وصدق نواياهم فى خدمة الأمير ، وبالتالي فى خدمة الدولة ، وعدم اعطاء الفرصة للطموحين منهم باشغال الفتنة ، أو محاولة اقتطاع امارات لهم فى الأقاليم البعيدة عن مركز الدولة - وهو ما عانت منه الدولة الزيرية منذ عهد الأمير الثالث : باديس ، والذى انتهى على عهد الرابع منهم وهو المعز بن باديس بانقسام الدولة الى مملكتين ، احدهما فى القيروان والمهدية ، وهى الدولة الزيرية ، والأخرى فى القلعة وبجاية وهى الدولة الحمادية .

وهكذا يمكن تلخيص البرنامج السياسى الذى رسمه المعز لثأبه بلكين فى المبادئ الأربعة التالية :

١ - انتهاج سياسة قوية ضد خصوم الدولة التقليديين من القبائل الزناتية ، حلفاء أعداء الفاطميين التقليديين أيضا ، وهم : الأمويون فى الأندلس ، بهدف اخضاعهم للدولة ، وتجنيدهم ضمن الرعية ، وهو ما يتحقق بتطبيق المبدأ الثانى -

٢ - اجبار أهل البادية ، وهم الزناتية بشكل عام ، على دفع الضرائب الواجبة عليهم لبيت المال (الخزانة العامة) ، بمعنى الزامهم بالعمل فى الزراعة وتربية الحيوان ، الأمر الذى يحقق الرخاء وبالتالي الأمن فى البلاد ، والذى يؤدي بالتالى الى تحويلهم الى رعية مستقرة ، مثل : أهل الريف والحضر ، عماد الدولة وقاعدة استقرارها ، من حيث هم جامعوا المال بمعنى أنهم الأيدي صانعة الحضارة ، وهو ما يؤدي بالضرورة الى تطبيق المبدأ الثالث .

٣ - لما كان أهل الحضر من زراع وصناع وتجار وأصحاب أعمال

وذوى أملاك وخبرات ، هم رعية الدولة الحقيقيين من حيث أنهم أدوات الانتاج ومصدر الأموال التي تسير دواليب أجهزة الحكومة المختلفة ، فمن الواجب رعايتهم والاحسان اليهم حتى تتحقق مقاصد أصول الحكم ، من : اقرار الأمن ، ونشر العدل ، وعلى الجملة توطيد أركان الرخاء للناس ، وتأكيد أسباب السعادة لهم - حسبما تقضى به قواعد السياسة المدنية .

٤ - لما كانت التجربة التي عرفتها دولة الاسلام منذ العصر الأموي ، وما تفرع عنها من امارات تابعة أو دويلات متغلبة ، قد أكدت أن أوفق نظم الحكم هو النظام الوراثي الذي ينتقل فيه الحكم من الأب الى الابن ، وهو الأمر الذي يمثل أصل توارث الامامة عند الفاطميين ، كان من الطبيعي أن تكون وصية المعز بأن يتبعه نائبه في تطبيق نفس النظام في أسرته اليوسفية ، دون بقية البيت الزيري - حتى يبقى على الروابط القوية بين الأسترتين ، ويمنع من تفتيت ولايته بعد الاستقلال الذي كان مقدرًا لها - وهو الأمر الذي يؤكد ما ارتآه المعز بعد قليل من رحيله الى مصر ، من ارسال ألف من الفرسان الصنهاجيين ، وعسلى رأسهم الأمراء أبناء زيري ، وهو ما رفضه بلكين ، وبرره بحاجته اليهم في حرب زناة بالمغرب (انظر فيما سبق ، ص ٣٤٤) .

وهكذا يمكن اعتماد تلك المبادئ المستنبطة من واقع التاريخ الفاطمي في المغرب ، كعناوين رئيسية لدراسة الدولة الصنهاجية - التي بدأناها بنظام النيابة الإفريقية وعلاقتها بالخلافة في القاهرة - حسبما يلي :

اقرار الأمن في أفريقية وأعمالها :

باغاية وناهرت :

عاد يوسف بلكين ، بعد توديع المعز له ، الى المنصورية في ١١ ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ / ٢٠ ديسمبر ٩٧٢ م ، واستقر في القصر الأميري ، وسط ترحيب أهل القيروان الذين أعلنوا فرحهم بالعهد الجديد ، واستبشروا به خيرا . وبمجرد خروج ولاة الأقاليم وجباة الضرائب الى أعمالهم في مختلف البلدان ، « استقامت الأمور بحسن تديره » (٩٩) . والواضح من النصوص أن بلكين كان يعرف دوره كرجل دولة سياسي ، الى جانب كونه قائدا

عسكرياً . فهو ينتهي من ترتيب أمور المملكة في بلاد الزاب وجبل أوراس ، ذات الميول الانفصالية قبل أن يتجه نحو بلاد المغرب حيث أعداء الدولة الرناتية ، فلا يستغرق الفترة وجيزة لا تتجاوز ٣ (ثلاثة) أشهر ، إذ خرج في شهر شعبان/مايه من القيروان للاطمئنان على سير الأمور في أقاليم الدولة اغربية . وهو يعي نصائح المعز التي تقضي باستخدام الشدة في موضعها واللين في موضعه . فعندما يصل الى مدينة باغاية ، يولى فيها عاملاً من قبله ، ويأمره باستخدام اللطف في معاملتهم ، مما دعاهم الى اعلان الولاء والطاعة ، ولو أنهم لم يلبثوا أن ثاروا على العامل الجديد وتحصنوا بمدينتهم ، مما دعا بلكين الى التفكير في العودة اليهم بعد أن اقتحم تاهرت الثائرة ، لولا تهديد الرناتية لمدينة تلمسان(١٠٠) . والظاهر أن تلك الظروف كانت مواتية لكي تظل باغاية على عصيانها الى ما بعد القضاء على ثورة خلف بن خير في كتامة سنة ٣٦٤ هـ/٩٧٤ م (انظر فيما سبق ، ص ٣٠٥) حيث استسلم أهلها لبلكين ، ونزلوا على حكمه بالطرده من القلعة التي أخرجها(١٠١) .

اضطراب رجال الأسطول :

ومن المهم الاشارة الى أن الاضطرابات لم تكن تنور في الأقاليم البعيدة عن مركز الحكم في القيروان فقط ، مثل بلاد الزاب وجبل أوراس ، بل انها كانت تنفجر تلقائياً نتيجة لبعض الاجراءات التي كانت تتخذها الدولة ، مثل : حشد الرجال للعمل في الأسطول فيما يمكن أن يشبه بالسخرة . ففي شهر ذى الحجة سنة ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م أصدر بلكين أوامره الى نائبه عامل أفريقية : عبد الله بن محمد بن الكاتب باعداد أسطول - ربما لغزو بحري لا تعرف المصادر بوجهته - مجهز بالرجال والسلاح . وهكذا خرج عبد الله ابن محمد الى المهديّة وأخذ في حشد البحرين من كل البلدان ، كما أمر بجمع المتخلفين منهم ، سواء في القيروان أو في غيرها من المناطق ، ووضعهم في السجون التي امتلأت بهم ، انتظاراً لترحيلهم الى المهديّة ، الأمر الذي أثار القلق في النفوس بين الخاصة والعامة حتى أنهم امتنعوا من الخروج ولزموا بيوتهم . وفي ذلك تقول الرواية ان اعتكاف الناس في ديارهم بلغ الى حد أنه « اذا مات أحد عندهم لا يخرجوا الا النساء »(١٠٢) .

(١٠٠) النويري ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

(١٠١) النويري ، ص ٣١٤ . وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٣ .

(١٠٢) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٢٧ .

وفي أول المحرم من السنة الثمانية ٣٦٦ هـ / ٣٠ أغسطس ٩٧٦ م ، كان الأسطول قد أعد لاستقبال البحريين من رجاله والاقلاع الى وجهته ، ولكن الرياح لم تكن موافقة ، واستمر ركودها لفترة طالت الى أن نفذ الزاد والماء في البحر . وعندما فقد الرجال صبرهم نزلوا جميعا الى البر من : توتية وبحرية ، ثم انهم هربوا بما نهبوا من المراكب ، من عدة وسلاح ، الى كل الجهات . وتطلب الأمر اجراءات شديدة في ملاحقتهم ، بل وأنزل عقوبة القتل بمن ظفر به منهم (١٠٣) .

ولا ندرى ان كان لهذا الاضطراب الذي عرفته القيروان والمهدية بسبب تعبئة الأسطول هذه ، صلة بذلك الصراع الذي كان قد قام بين ابن القديم ، عامل أفريقية السابق الذي كان معتقلا في سجن عبد الله بن محمد الكاتب ، وبين هذا الأخير ، في ذلك الوقت الذي توفي فيه ابن القديم (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) في سجنه هذا . فهذا الصراع هو الذي أدى الى ثورة قبائل كتامة ، أنصار الفاطميين ، الذين أثارهم خلف بن خير ، أحد معساوئي ابن القديم السابقين ، الأمر الذي تطلب أعمال ردع قاسية من جانب بلكين . بناء على نصائح عامل أفريقية عبد الله الكاتب نفسه (انظر فيما سبق ، ص ٣٠٥) .

واعتبارا من نهاية اضطراب تلك السنة ، وحتى وفاة بلكين بسنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م ، كانت أحوال أفريقية وما يتبعها من الأعمال هادئة ، الأمر الذي هيا الظروف المناسبة للعمل على اقرار نفوذه في المغرب الأقصى ، حيث قضى نحبه في طريق العودة ، في وارجلان ، من المغرب الأوسط . يوم الأحد ٢٠ ذي الحجة سنة ٣٧٣ هـ / ٢٦ مايو ٩٨٤ م .

عهد المنصور (٣٧٣ هـ / ٩٨٤ - ٩٩٦ م)

تمت ولاية المنصور ، دون صعوبة ، وذلك أن بلكين كان قد اوصى القائد أبا زعبل بن مسلم ، أحد خواصه من العبيد (السودان) ، بالعمل على تسهيل الامر على ولي العهد ، المنصور ، للجلوس على العرش ، وهذا ما قام به ابو زعبل عندما أسرع بإبلاغ المنصور ، حيث كان يقيم في اسير . بوفاة والده ، فأسرع بإعلان النبا ، وجلس لتلقي العزاء في وفاة والده . وانتهته بامارته - دونما اعتراض او صعوبة من قبل عمومته ، أبناء زيرى او غيرهم ، ممن كانوا في حاشيته باشير او في صحبه بلكين في حملته المغربية (١) .

اقرار السلطان الامرى : محاولة اقصاء الكاتب فى القيروان :

وفيما يتعلق بالسياسة الداخلية كان اول أعمال المنصور سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م هو اقصاء ، عامل أفريقية ، الكاتب أو الوزير ، عن منصبه بمعرفة أخيه يطوفت بن بلكين ، ولكنه عدل عن ذلك ، سياسة ، لى يستقبل الرجل الذى تعرض للمضايقة الشديدة ، على رأس المهنيين من أهل أفريقية ، مع الاعتذار عما بدر فى حقه من أخيه ، وان أكد للوفد انه ليس ممن يولى بكتاب يعزل بكتاب (انظر فيما سبق ، ص ٣٠٩) . فكان ذلك كان اعلانا من قبيل الأمير الزيرى بالاستقلال عن خليفة القاهرة الفاطمية . وهكذا لم يكن من الغريب أن يخرج أهل القيروان فى جموعهم الغفيرة وعلى رأسهم عبد الله الكاتب عندما يقدم عليهم المنصور يوم ١٩ من شهر رجب (٣٧٤ هـ / ١٦ ديسمبر ٩٨٤ م) ، ولم يكن من المستغرب بالنسبة للأمير الذى يريد أن يثبت أقدامه فى أفريقية كحاكم مستقل أن يبين لتلك الجماهير أن من أهداف برنامجه السياسى : تحقيق الخير للجميع مع وعدهم بكل جميل (٢) . وخلال اقامته بالقيروان ، فى رقادة ، عمل على تأكيد الاحتفالات الفاطمية التى كان قد بدأها المعز فى المغرب ، من : الخروج

(١) التويرى ، ص ٣٧ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٩ - حيث الاسم : ابو زعبل ابن هشام (بدلا من ابن مسلم) ، ابن الاثير ، ج ٩ ص ٣٤ .
(٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٠ ، التويرى ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

الى المصلي يوم الفطر ، اول شوال فى موكب مهيب ، حيث ركب على سرج
مكمل بالدر والياقوت ، كان قد أعد له خصيصا لتلك المناسبة ، التي خرجت
فيها الى المصلي أعداد غفيرة من القيروانيين (٣) .

بعد ذلك لا نجد ذكرا لاقامة المنصور فى قصور صبرة المنصورية
بالقيروان ، الا فى سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م حيث وصل يوم الاثنين ١٥ من
المحرم / ١٧ مايو وبصحبتة عبد الله الكاتب الذى صار يقيم معه فى أشير ،
بينما ابنه يوسف (ابن عبد الله) كان ينوب عنه فى القيروان (٤) ، وهى
الاقامة التي تخلص فيها المنصور من وزيره : عبد الله الكاتب بالقتل ، وجعل
مكانه يوسف بن أبى محمد والى قفصة ، الذى عهد اليه المنصور بمسألة
أفريقية يوم الخميس ٢٥ شعبان سنة ٣٧٧ هـ / ٢٠ ديسمبر ٩٨٦ م ، فأعطاه
شعارات الولاية ، من : الطبول والبندود والحلح الأمايرية ، كما أنزله فى دار
القائد جوهر (٥) .

فى كتامة : ثورة أبى الفهم :

أما عن عصيان كتامة فى السنة التالية ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م الذى يظهر
كعمل انتقامى من الخلافة بالقاهرة ضد نائبها الزيرى بالقيروان ، مما سبق
الإشارة اليه (ص ٣١٤) ، فقد بدأ عملية تأهيل مذهبي للكتاميين ، أنصار
الدعوة الفاطمية . وذلك انه وصل الى القيروان سنة ٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م أحد
الدعاة الخراسانيين ، وهو أبو الفهم حسن بن نصرويه ، وفلما من قبل
الخليفة العزيز بالله . ولما كان عبد الله الكاتب فى صحبة المنصور بأشير
فان الداعي نزل على ابنه ونائبه بالمنصورية ، يوسف ، الذى أحسن
استقباله ، وأغدق عليه الأموال الكثيرة من الرواتب الجارية والهدايا .

ولكنه عندما طلب أبو الفهم من يوسف أن يذهب الى بلاد كتامة
لدعوتهم ، رأى أن يستشير والده فكتب اليه بالأمر ، فما كان من عبد الله
الكاتب الا أن يطلب من ابنه أن يعطى المبعوث الفاطمى ما يشاء ، وأن يتركه

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٠ .

(٤) الزويرى ، ص ٣١٩ . ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٢ .

(٥) الزويرى ، ص ٣٢٠ - حيث استمرت ولاية يوسف بن أبى محمد الى يوم الأحد

٢٣ ربيع الأول سنة ٣٨٢ هـ / ٣٠ مايو ٩٩٢ م عندما عزله المنصور وولى مكانه أبى عبد الله

محمد بن أبى العرب الكاتب . وانظر فيما سبق ، ص ٣١٥ .

يذهب حيث يشاء(٦) . فكانما أراد أن يتخفف من عبئه بأيسر السبل
دونما احراج ما ، بين الخلافة والأمير .

وكان خروج أبي الفهم الى كتامة في موكب رسمي مهيب ، يحيط به
الفرسان على السروج المحلاة ، وتتقدمه صناديق (تخوت) الثياب الثمينة ،
وأكياس بدر الدراهم(٧) . واستقبل الكتاميون داعي الخلافة بما يليق به من
التبجيل ، وقدموا له كل عون مادي ومعنوي الى أن انتهى به الأمر وكأنه
عامل مدشن ، فصار يجمع العساكر ويركب الخيل ، ويعمل البنود(٨) ، بل
ويصك النقود حسب مقالة النويري (ص ٣٢١) ، وحتى قيل ان غرض
الخلافة كان أن تميثل كتامة الى أبي الفهم وترسل اليه جنسدا يقاتلون
المنصور ، ويأخذون أفريقية لما رأى قوته(٩) .

الانتقام من ميلة :

وهكذا كان على المنصور أن يعرف الخلافة في القاهرة بخطورة الوضع
الذي ترتب على وجود الداعي الحراساني في كتامة ، بل وأن يحذر من مغبة
ذلك ، الأمر الذي دعا الخلافة الى أن تبعث سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م التالية الى
المنصورية سفيرين ، أحدهما كتامي يكنى بأبي العزم ، والآخر من عبيد
الخلافة واسمه محمد بن ميمون ، يطلبان من المنصور ألا يعرض للداعي أو
لجماعة كتامة ، على أن يلحقا بالكتاميين بعد ذلك . وأوضحت المداولات بين
الطرفين تعارض المواقف ، وانتهت بتبادل الشتايم بينهما(١٠) . وكان على
القوة اذن أن تقرر مصير هذا التنازع فمنع المنصور السفيرين من الخروج الى
كتامة بعد أن أبقاهما لديه خلال شهري شعبان ورمضان ، ثم صحبهما معه

(٦) النويري ، ص ٣٢١ .

(٧) النويري ، ص ٣٢١ .

(٨) النويري ، ص ٣٢١ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ - حيث النص على ان
المزير أرسفه يدعو كتامة لظاعته ، وأنه كثر تبعه وقاد الجيرش وعظم شأنه .

(٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ .

(١٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ - حيث النص على اغلاظ كل طرف القول لظرف
الآخر بما فيهم الخليفة المزير نفسه ، وقارن النويري ، ص ٣٢١ - حيث نفس الرواية
وان كانت أكثر تفصيلا حيث أسماء السفيرين مع تسمية الثاني منهما مرة أخرى
بـ « ابن الوزان » ؟ كما تأتي الإشارة الى أن مبعوثي المزير بأق حدها المنصور بأن يمضى
الكتاميون به الى العزيز بحبل في عنقه (ص ٣٢٢) .

في حملته لتأديب كتامة ، بعد عيده الاضحى ، في اواخر ذى الحجة (اواخر ابريل ٩٨٨ م) ، وهو يسير متشاقلا حتى دخلت سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م ، قبل أن يصل الى مدينة ميعة ، حيث أعلن عزمه على قتل أهلها . ولكن الأمير الصنهاجى الذى يظهر عنيفا قاسيا فى كثير من الأحيان ، يفجر هو الآخر باكيا عندما خرج له نساء ميعة وأطفالها باكين متضرعين ، الأمر الذى لم يمنع من قتل والى المدينة ، ونهب العساكر كل ما كان فيها ، مع هدم سورها ، ونقل أهلها بما خف حملة من المتاع والنقود - وان وقع كل ذلك بين يدي ماكسن بن زيرى ، عم المنصور ، عندما اعترضهم فى الطريق (١١) .

تأديب كتامة والمثلة بالثائر :

ومن ميعة دخل المنصور الى بلد كتامة ، وهو يهدم القصور والمنازل والدور ، ويحرقها بالنار ، ويعير رسولى العزيز بضعف كتامة . ويقول لهما : « هؤلاء الذين زعمتم أنهم يمضون بى بحبل فى عنقى الى مولاكما » (١٢) . وفى منطقة سطيف حيث مركز قيادة الثورة كانت النهاية بالنسبة لأبى الفهم وثورته حيث هرب الى قلعة حصينة هناك فى جبل وعمر ، لدى عشيرة بنى ابراهيم الذين سلموه الى المنصور (١٣) . وكانت نهاية الداعى الخلافى ذروة مأساة همجية مفرجة . فلقد اقتيد أبو الفهم الى حريم الأمير حيث ضرب ضربا مبرحا حتى أشرف على الموت ، ثم ان المنصور أمر به فأخرج أمام الملاء وقد بقيت فيه حشاشة من الروح ، فنحره ، وشق بطنه ، وأخرجت كبده فثويت وأكات ، « كما شرح عبيد المنصور من السودان - الذين ربما كانوا أصلا من آكله لحوم البشر - لحمه وأكلوه حتى لم يبق الا عظامه » ، وذلك فى يوم الثلاثاء ٣ صفر سنة ٣٧٨ هـ / ٢٣ ماية ٩٨٨ م (١٤) .

وبعد أن قام المنصور بعملية تطهير فى كتامة فقتل أعدادا من زعمائهم ،

(١١) التويرى ، ص ٣٢٢ .

(١٢) التويرى ، ص ٣٢٢ .

(١٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٣ - حيث تقول الرواية ان بنى ابراهيم لم يسلموه ، وقالوا مو ضيفنا ولا نسله ، ولكن أرسل أنت اليه فخذ ونحن لا نمنعه ، فأرسل فأخذه .

(١٤) التويرى ، ص ٣٢٢ ، وقارن ابن عذارى ، حيث نفس الرواية ، ج ١ ص ٢٤٤ .

ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٣ - حيث النص على او الداعى قتل وسلخ « وأكلت صنباجة وعبيد المنصور لحمه » .

منهم والى ميله ، حتى ذلوا ونزل بهم الهوان ، عهد بولاية بلد كتامة الى القائد ابي زعبل بن مسلم الذي فرق اولاده في أعمالها ، ورحل عائدا الى أشير ، ومن أشير وجه ابا العزم وابن هيمون ، سقيرى العزيز ، الى مصر ، ليعرف المسئولين بما وقع للداعى الخلافى ، ويذيعا فى أرجاء القساهرة قولهما : « أتينا من عند شياطين يأكلون بنى آدم ، وليسوا من البشر فى شيء » (١٥) .

وبعد كسر شوكة كتامة عاد المنصور الى القيروان ليتتبع من كانت له علاقة بثورة كتامة فى منطقة العاصمة المنصورية ، فهدم دورهم (١٦) .

رد الفعل فى كتامة : ثورة ابي الفرج :

ورغم ما أنزله المنصور بكتامة من الذل والهوان ، فقد كان ما زال فى البلاد من القوة ما يسمح بالانتفاضة فى السنة التساليه ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م حيث قام رجل اسمه أبو الفرج ، ادعى انه من اولاد الامراء بالمهدية وانتسب الى القائم بن المهدي (١٧) ، الأمر الذى قد يفسر وصفه بالدعى ونسبته الى اليهود ، حسب مقالة المشككين فى صححة النسب القساطمى . والمهم أن استجابة كتامة لدعوة ابي الفرج كانت تلقائيا ، إذ احتشد الكثيرون حوله مما دعا الى اتخاذ الطبول والبنود كعسكر شرعى ، الأمر الذى يؤكده اتخاذ السكة ، كما فعل أبو الفهم الخراسانى (١٨) ، والزحف لقتال الوالى ابي زعبل . وبعد أن دارت الحرب سجالا بينهما ما بين ميله وسطيف ، رأى أبو زعبل أن يكتب بذلك الى المنصور . وعندما سار المنصور لحرب الثوار فى بلدهم ، لم يتمكنوا من الوقوف أمامه ، إذ هزمهم « وقتل من كتامة مقتلة عظيمة » . وينتهى أمر الثائر بأن سلمه بعض خدمه الى ابي زعبل الذى بعث به الى المنصور ، الذى قتله شر قتلة ، وشحن بلد كتامة بالعمل والعساكر (١٩) ، ثم انه عاد الى أشير (٢٠) .

(١٥) النويرى ، ص ٣٢٢ .

(١٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ ، وأنظر فيما سبق ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(١٧) النويرى ، ص ٣٢٢ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٧ .

(١٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ .

(١٩) النويرى ، ص ٣٢٣ .

(٢٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ .

طاعة سعيد بن خزرون الزناتي والعهد له بطبنة :

وفي أشير- أتى الى المنصور في نفس السنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م ، سعيد بن خزرون الزناتي معلنا الدخول في طاعته ، فأحسن المنصور أستقباله وقربه من نفسه حتى توثقت العلاقة بينهما ، فعهد المنصور اليه بولاية طبنة أي بلاد الزاب ، كما وثق الروابط بينهما بالمصاهرة ، فزوج ابنه ببعض بنات سعيد بن خزرون (٢١) . ومن الواضح أن سعيد بن خزرون أناب عن نفسه بعض أعوانه في طبنة سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م لكي يرجع الى أهله حيث بقى هناك الى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ، ثم انه عاد الى ولايته طبنة سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م ، ومنها قصد المنصور زائرا ولكنه اعتل وتوفي في أول رجب / ٢ سبتمبر ، من نفس السنة . وعندئذ قدم ابنه قلقل بن سعيد علي المنصور لكي يخلف والده علي ولاية طبنة (٢٢) . وبذلك يكون المنصور قد تخفف من عبء حكم ولاياته الغربية بطريقة مباشرة ، بمعنى توجيه اهتمامه الى قلب المملكة ، ولاية أفريقية وبلاد القيروان . فالمهم هنا هو أن القيروان بدأت تحل محل أشير كمقر رسمي للأمير ، وهي المسألة التي تعنى الغناء الكيان المتمثل في العمالة الأفريقية ، وبالتالي وحدة المملكة الزيرية بعد أن كانت شبه امارة متحدة ، حسب تخطيط المعز لدين الله .

عامل أفريقيا تابعا للأمير :

وهكذا كان المنصور هو الذي يعهد بولاية خراج القيروان سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م الى محمد بن عبد القاهر بن خلف . وذلك بعد وفاة المرصدي صاحب الخراج هناك (ابن عذارى ج ١ ص ٢٤٥) . وفي السنة التالية ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ، كان المنصور يدخل قصره الجديد بالمنصورية وسط ترحيب أهل القيروان لكي يعزل « صاحب أفريقية ، نائبه في البلاد » يوسف

(٢١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ - ٦٨ - حيث يجعل ابن الأثير لهذا التحالف الدسائس الزناتي سببا عابرا ، هو ان المنصور كان يسأل سعيدا عن تقديره لكرمه بالنسبة له فرد سعيد بأنه أكثر كرما من الأمير المنصور من حيث أنه يقدم له نفسه في مقال المال ، ونفسه أعز بطبيعة الحال . ويضيف ابن الأثير الى ذلك انه عندما لام المنصور بعض أهله ، قال : كان أبي وجدى يستتبعانهم (الزناتية) بالسيف ، وأما أنا فمن رمان يرمع رميته بكبس . حتى تكون مودتهم طبعاً واختياراً (ج ٩ ص ٦٨) . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ - حيث التمس على ان المنصور زوج ابنته لوروا بن سعيد . (٢٢) انظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٨ (سنة ٣٨١ هـ) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ (سنة ٣٨٢ هـ) - حيث دمجتا الروايتين لتكمل احدهما الأخرى كما يقتضى السياق .

ابن أبي محمد ، محب الحياة الناعمة ، وعاشق الورد ، لكي يستعمل بدلا منه على البلاد أبا عبد الله محمد بن أبي العرب (٢٣) . ومنذ سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م كانت الأحوال مستترة في أفريقية وبلاد القيروان ، فلا ذكر لأعمال شغب أو اضطراب ، بل احتفالات ومظاهر رخاء ، من ظهور ولي العهد أبي مناد باديس ، ووصول سجل عهده من القاهرة ، وهدايا بلد السودان والهدية التي أعطيت لفنفل (٢٤) ، والاحتفال بوصول ولي العهد من المغرب وأشير ، بعد أول رحلاته هناك ، ووصول هدية من مصر فيها فيل عظيم (٢٥) ، كما تذكر وفاة الأمير عبد الله بن يوسف بلكين ، وتولية القائد يوسف بن أبي محمد ، صاحب أفريقية السابق ، على مدينة متيجة ، ووصول سفارة من مصر بانتصار قوات الخلافة في حلب من بلاد الشام (٢٦) ، الى أن تأتي وفاة المنصور في ٣ ربيع الأول سنة ٣٨٦ هـ / ٢٧ مارس ٩٨٦ م ، خارج صبرة المنصورية ، حيث دفن في قصره ، ثم ولاية ابنه أبي مناد باديس الذي كان صبيا في الثانية عشرة (١٢) من عمره (٢٧) .

باديس ما بين خلافة الحاكم في مصر وولاية عمه حماد في أشير :

يعتبر عهد باديس من المراحل الهامة في تاريخ الدولة الزييرية ، وذلك من وجهين : أولهما يتعلق بالخلافة حيث عاصره الخليفة الحاكم بأمر الله ، الذي ارتقى العرش في نفس السنة ، والحاكم ما هو معروف عنه من الاغراق في التطرف ، الى حدود ما يعرف الآن باللامعقول ، مما كان يسمح بأن تصل العلاقة بينهما الى ذروة التوتر . والوجه الثاني هو استعمال عمه حماد بن بلكين واليا لأشير ، الأمر الذي يعتبر من العلامات البارزة بالنسبة للدولة الزييرية بأفريقية والقيروان ، لما ترتب عليه من انقسامها الى مملكتين ، احدهما في القيروان والمهدية ، والأخرى يستقل بها في القلعة وبجاية أبناء حماد .

والحقيقة أن ملك باديس الصبي الصغير كان يمكن أن يكون موضع

(٢٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٩٠ ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ - حيث ارتبط بين عزل يوسف واتهام أحد عبيد المنصور ، المعروف بالبوذي وابنه بالحياة في المال .
(٢٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ (سنة ٣٨٢ هـ) .
(٢٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ (سنة ٣٨٤ هـ) .
(٢٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٧ (سنة ٤٨٥ هـ) .
(٢٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٧ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ .

سك منذ البداية بسبب ما بناه من محاولة تقض العهد من جانب بني زيري
 أعمام أبيه ، لولا الموقف الصلب الذي أظهره حرس باديس من العبيد
 السود ، وكذلك عبيد أبيه . وساعد على تأكيد ولاية باديس وصول عمه
 يطوفت (أبي بيباش) والى تاهزت والمغرب ، لعزاء باديس في والده المنصور ،
 والتهنئة بولايته للعرش ، وذلك في أواخر شهر شعبان/أغسطس (٢٨) .
 وأغلب الظن أن باديس خرج عندئذ الى سردانية لتلقي التعزية في والده ،
 والتهنئة بولايته (٢٩) . وتأكدت شرعية ولاية باديس في ربيع الثاني
 من السنة التالية (٣٨٧ هـ /ابريل ٩٩٧ م) ، عندما أتى سجل الخليفة
 الحاكم من القاهرة بولايته وتلقيه بـ « نصير الدولة » (٣٠) . وبيعه
 باديس ، وجماعة بني مناد ، للخليفة الحاكم تكون اماره باديس بن المنصور
 قد تكرست تماما (٣١) .

هذا ، ولا ندري ان كان هناك مجال لذكر خروج ذلك الرجل الصنهاجي
 المسمى خليفة بن مبارك ، فربما كان الرجل مريضا نفسيا ، اذ اكتفى
 بالتشهير به ثم بسجنه تحقيرا لشأنه (٣٢) .

سمات الدولة البربرية أيام باديس :

ما بين الامارة وعمالة الحراج :

أما عن تولية باديس مدينة أشير ، قاعدة صنهاجة ، لعمه حماد فقد
 تم في شهر صفر من سنة ٣٨٧ هـ /فبراير ٩٩٧ م ، حيث خرج حماد الى
 عمله بأشير مزودا بالتحيل والسلاح والعدد (٣٣) . واذا كانت رواية ابن عذاري
 تردف ذلك بالقول عن حماد انه اتسعت عمالته وكثرت عساكره وعظم
 شأنه (٣٤) ، اشارة الى ما سوف يحدث فيما بعد من تحول حماد في أشير
 الى مركز قوة يخشى خطره من قبل باديس ، مثل أن يكون له دولته المستقلة،

(٢٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٢٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ .

(٣٠) التويري ، ص ٣٢٤ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ابن الأثير ، ج ٩

ص ١٢٧ .

(٣١) انظر التويري ، ص ٣٢٤ ، ابن الأثير ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٣٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ .

(٣٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ ، التويري ، ص ٣٢٤ .

(٣٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٨ ، التويري ، ص ٣٢٤ .

كما حدث على عهد المعز بن باديس ، فإن العهد بأشير الى عمه حماد يسمى تنازل الأسره عن مهدها ، وترثة مؤسسها الأول زيرى بن مناد ، فكان باديس ورجال دولته قد قبلوا التخلي عن ارض الوطن للعلم وبينه ، وكان الحمادين اصبحوا ممثلى دولة صنهاجة الناهضة فى المغرب ، بينما تحولت سلالة المنصور ممثلة فى باديس ومن جاء بعده ، الى افارقة قيروانيين ، أقرب الى جماعة الأغلبه منهم الى الفاطميين الذين كانوا سم أنفسهم نوايا لهم ، الامر الذى يفسر القطيعة المنتظرة ، ويخاصبه علم المستوى الدينى والمذهبي .

والخلاصة هى أن يقاء باديس فى القيروان والمهيدية يعنى أنه حل مكان حامل اريقيه صاحب الحراج ، الذى كان تابعا للمعز لدين الله من وجهة النظر التنظيمية ، وذلك فى مقابل حماد ، صاحب اشير ، الذى حل محل الأمين القائد ، صاحب السلطة العليا فى الولاية - الأمر الذى يفسر واقع الحال فيما تواتر من الأعمال التى أدت الى تكريس انقسام الدولة الى مملكتين زيرية وحمادية ، نكل منهما عاصمتها ، وكتابها ووزراؤها ودواوينها المختلفة ، الى جانب جيوشها وأساطيلها الخاصة وسياساتها المميزة ، وعلاقتها الدولية النابعة من خصوصية مصالحها . وهكذا كان حماد فى بداية أمره فى اشير ، القائد صاحب الحروب الحاوجية ، بخاصة فى بلاد المغرب ، فهو « المشير » أو « مارشال » أفريقية ، حسب المصطلح الحديث (٣٥) .

فعدنا يصدر باديس أوامره سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م الى كاتبه محمد بن أبى العرب بالمسير نجدة الى عمه يطوفت بتاهرت ، يعرج ابن أبى العرب على اشير ، معدن صنهاجة ، لكي يصحب حمادا بعساكره الى هناك (٣٦) . وفى سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م كان حماد يبعث برسله الى ابن أخيه الأمير باديس ، يخبره بأعماله الحربية ضد عمه ماكسن بن زيرى ، عم والد باديس ، وضد أبناءه وقتلهم (٣٧) . وبذلك تحول الأمير الصنهاجى متمثلا فى باديس - الى

(٣٥) أنظر الاعلام لابن الخطيب ، ص ٨٥ - حيف وصف حماد بأنه « كان فريد دهره وفحل قومه ، ملكا كبيرا وشجاعا ثبنا ، وداهية حسيفا » .
(٣٦) النويرى ، ص ٣٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ .
(٣٧) النويرى ، ص ٣٢٨ - حيث النص على قتل ماكسن وأبنائه : محبسون وباديس وسبانه .

حكلك يملك نظريا ولا يمارس عمليا ، حيث يقوم نوابه بمختلف الأعمال .
ضعف الحرب على وزير الكاتب ، عامل افريقيه ، وعمه ابقاند ، عامل أرض
الوطن الاصلية - اشير . وعندما يموت محمد بن ابي العرب سنة ٣٩٦ هـ /
١٠٠٥ م ، يعهد بديس بوظيفته السامية ، الى ابنه القاسم ، وهكذا الامر
بالنسبة لسائر الوظائف كالقضاء مثلا أو وظيفة المظالم التي كان الأمير
يعتمد على صاحبها في اقرار الأمن الى جانب تحقيق العدالة . والمثل لذلك
صاحب المظالم محمد بن عبد الله (المتوفى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) الذي
عرف بوطاته الشديدة على أهل الفساد ، من : الضرب والقتل وقطع الأيدي
والأرجل دون رحمة أو شفقة (٣٨) .

انتفاضة كتامية :

ومن الأمور المستغربة حقا ، تلك الثورات الصغيرة التي تظهر في
شكل أعمال فردية غير مبررة من جانب أصحابها مثل تلك الثورة التي قام
بها سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م أمر بالمعروف يشتغل بالتعليم ، فدعا لنفسه ،
سولكنه قبض عليه وحمل الى القيروان حيث شهر به ثم قتل مع واحد من
كبار أصحابه . ومن المهم الاشارة الى ما تقوله الرواية من أنه وجد مع هذا
الثائر خريطة فيها أن أمره يظهر في كتامة (٣٩) ، فكان دعوة ذلك الأمر
بالمعروف كان المقصود منها التمهيد لثورة كبيرة في بلاد كتامة ، الأمر الذي
قد يثير علامات استفهام عن موقف محتمل للخلافة أو بعض أعوانها من تلك
الثورة .

نهاية باديس وهو يحاصر عمه حماد بالقلعة :

وإذا كان باديس قد تخفف في حروبه ، وخاصة تلك التي كانت ضد
بنى زيري الصنهاجيين ، اعتمادا على عمه حماد ، فانه سيضطر في النهاية
الى قيادة عسكره ضد عمه حماد ، بعد أن فشل في اقتناعه بالتنازل عن بعض
اقطاعه لولى عهد المملكة ، المنصور بن باديس الذي توفي بعد قليل أنفساء
حصار باديس لقلعة حماد . فكان ذلك مما عجل بوقاة باديس فجأة ، هو
الآخر أثناء الحصار على ما نظن - وذلك ليلة الأربعاء ٣٠ من ذي القعدة سنة
٤٠٦ هـ / ١٠ / مايه ١٠١٦ ، وولى بعده ابنه الصبي الصغير المعز بن باديس

(٣٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٢ .

وان أعلنت ولاية عمه كرامت مؤقتا بمدينة المحمدية (المسيلة) (٤٠) ، التي كانت معتبرة من حواضر الزاب الهامة ، حيث كان ذلك الاجراء يقيم فيها نوعا من التوازن مع نفوذ عم أبيه حماد بن بلكين .

الصراع ضد الزناتية :

منذ قيام الدولة الفاطمية في بلاد أفريقية واصطناعها اكتاميين أنصارا ، كان من الطبيعي أن يصبح الزناتية في البلاد وفي الأقاليم المجاورة - سواء في الزاب أو أوراس أو الجريد ، وحتى في وادي شلف وتلمسان من المغرب الأوسط - خصوما طبيعيين للدولة ، من حيث كونهم من بربر البتر الرجل ، عكس اكتاميين البرانس الحضري ، وهذا ما يفسر ثورة زناتة العظمى تحت قيادة أبي يزيد النكاري ، صاحب الحمار ، وظل الحال على هذا المتوال على عهد الزيريين اصنهاجيين الذين كان لهم دورهم في القضاء على تلك الثورة الزناتية ، عندما قدموا العون الى القائم ثم المنصور . ومن المهم الإشارة الى أن ذلك الصراع بين الفاطميين والزناتية كان قد تطوّر منذ البداية الى صراع تاريخي بين الفاطميين في المهديّة وبين الأمويين في قرطبة ، من حيث أظلت دولة الأندلس الأموية كل خصوم الفاطميين في أفريقية والمغرب بحمايتها ، منذ بداية عصر الهيمنة الأندلسية بوصول عبد الرحمن بن محمد الى سدة الامارة في قرطبة ثم اتخاذه اللقب الخلافي ، الناصر لدين الله ، كمنافس شرعي للفاطميين العلويين من آل البيت الشرفاء .

وبالقضاء على ثورة أبي يزيد النكاري انكسرت شوكة الزناتية في أفريقية فانزاحت أعداد كبيرة من قبائلهم نحو الغرب الى المغربين الأوسط والأقصى ، وهو الأمر الذي واصله جومر سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م على عهد المعز ثم سنهاجة بعده على يد زييري الذي راح سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م ضحية تحالف الزناتية ضده (انظر فيما سبق ، ص ٢٥٤ ، ٣٠٠) ، فكان عليهم أن يدفعوا ثمن ذلك غالبا على يدى ابنه بلكين الذي طاردهم في المغرب الأقصى حتى سبته ، الأمر الذي انزعجت له حكومة قرطبة فاستتفرت جيوشها وأساطيلها ، كما حاولت استرضاءه بوقوفها ضد من قتل والده ، في الوقت الذي تنبه فيه بلكين الى أن قتال سبته لا يتحقق الا بمؤازرة الأسباطيل البحرية (ص ٣٤٣) .

(٤٠) الزييري ، ص ٣٣٤ . وانظر فيما بعد ، ص ٣٨٠ - حيث كان المعز وقتئذ بالهديدة من حيث انتقل الى المنصورية .

وبفضل نجاح بلكين في حربه لزنانة في المغرب الأقصى على أواخر أيام المعز لدين الله في أفريقية ، اطمأن المعز الى اختياره نائباً عنه في حكم البلاد بعد أن أوصاه بالا يرفع السيف عن البربر يعنى عن زنانة ، فدان استحكام الوحشة بينه وبين زنانة كان أيضا من الأسباب التي جعلت المعز لدين الله يأمن تغلب بلكين على البلاد ، كما يقول ابن الأثير (٤١) - فكان المعز وهو يطلب من نائبه ألا يرفع السيف عن البربر كان يقصد ، في نفس الوقت ، أن يكون ذلك دعماً لمبدأ توازن القوى الذي أراد اقامته في المغرب حتى لا ترجح كفة فريق على الآخرين .

والظاهر أن البقية الباقية من الزنانية كانوا قد استكانوا لسلطات الدولة داخل أفريقية ، كما كان المقيمون منهم على الأطراف قد ضعفوا عن مواجهة بلكين في بداية حكمه منذ أواخر سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م ، ولئذ هـ (خمس) سنوات حتى سنة ٣٦٧ هـ / ١٩٧٧ م باستثناء ارهاصات خفيفة .

الزنانية فيما بين باغاية وتلمسان :

ففي بداية حكم بلكين عندما ثار أهل مدينة باغاية وهزموا عامله وأخرجوه من المدينة ، كما ردوا الحملة التي سيرها اليهم ، كان التاهرتيون ، في المغرب الأوسط ينتهزون افرصة ليطردوا بدورهم عامل بلكين هناك . وهكذا اضطر يوسف بلكين الى أن يوجه نشاطه من باغاية التي أجل الانتقام منها الى سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م بعد القضاء على ثورة خلف بن خير صاحب ابن القديم ، الى تاهرت التي كاد يوقع بأهلها ويخرب أسوارها ، لولا ان أتاه الخبر بنزول زنانة على تلمسان (٤٢) . ومن الواضح أن مثل هذه الاضطرابات التي قام بها أهل تلك المدن كان للزنانية يد في تحريكها . فرغم هروب الزنانية في منطقة تلمسان أمام بلكين فان التلمسانيين أغلقوا أبواب مدينتهم دونه ، الأمر الذي تطلب حصار المدينة لبعض الوقت ، قبل أن ينزلوا على حكمه . ورغم العفو عن أهل تلمسان فان بلكين نقلهم الى مدينة أشير ، في قلب المنطقة الصنهاجية ، حيث بنوا بالقرب منها مدينة أطلقوا عليها اسم تلمسان « الجديدة » (٤٣) .

(٤١) الكامل ، ج ٨ ص ٦٢٤ .

(٤٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ .

(٤٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ .

الزناتية يتهون الأسرة المدراية في سجلماسة :

ويسود نوع من الهدنة بين الصنهاجيين والزناتية الى سنة ٣٦٧ هـ / ٧٧ - ٩٧٨ م ، وهو تاريخ ابن عذارى الذي أخذ نابه ، حيث يشتمل الصراع بين الطائفتين في المغرب الأقصى ، بمعنى صراع الصغار تحت مظلة الكبار ، من الأمويين في الأندلس والفاطميين في مصر (٤٤) .

وهنا كانت زناتة هي البادئة باشعال نيران الفتنة ، اذ جمع خزرون ابن لفل (فلفل) بن خزر الزناتي (المغراوي) قوة كبيرة من قومه . وسار الى سجلماسة ليخضعها باسم الخلافة الأموية في الأندلس ، ومحمد بن أبي عامر (الحاجب المنصور) . وتم اللقاء بين خزرون بن لفل وبين صاحب سجلماسة : أبي محمد المعتز ، خارج المدينة في ٢٥ رمضان ٣٦٧ هـ / ٧ مايو ٩٧٨ م ، وانتهى القتال الشديده بمقتل المعتز ، وسقوط سجلماسة بين يدي خزرون بن لفل الذي أخذ منها الكثير من العمد والأموال . وانما هنا هو أن خزرون بعث برأس المعتز الى الأندلس (٤٥) ، اعلانا بالسيادة الأموية على مدينة صحراوات المغرب القسوى ، التي تعتبر من مداخل السودان الغربي وأبوابه ، واعترافا بدخول زناتة في طاعة المؤيد هشام ، الذي اعتلى عرش قرطبة في السنة السابقة (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) ، تحت اشراف الحاجب محمد بن أبي عامر ، الذي سيتخذ لقب المنصور اعتبارا من سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م (٤٦) . وبذلك ينتهي ملك بني مدرار بسجلماسة ،

(٤٤) ونحن هنا نرجع سنة ٣٦٧ هـ / ٧٧ - ٩٧٨ م ، حسب تاريخ ابن عذارى . وذلك من بين الروايات ذات الأصل الصنهاجي المحلي ، حيث نجح ابن عذارى في حركاته القوية في ترتيب الأعمال الحربية التي قام بها بلكين في المغرب الأقصى ضد الزناتة ترقيبا زمنيا متسلسلا بشكل مقبول ، ينتهي بنهاية بلكين سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م - عندما يحسن ابن الأثير تلك الأعمال اجمالا ، اعتبارا من سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م ، وكذلك الأمر بالنسبة لكتويري الذي يجعلها اعتبارا من سنة ٣٦٩ هـ / ٩٨٩ م ، حسبما فعل ابن خلدون (ج ٧ ص ١٩ ، ٢٨) وحتى سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م .

(٤٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ - حيث سرد أعمال بلكين الأخيرة ، دفعة واحدة في بلاد المغرب الأقصى ، اعتبارا من سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م وذلك بعد أن أقر المرز بلكين في ولاية افريقية . وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢٢ - حيث وضع ذلك في سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ، وأن أجمل الأحداث كلها دفعة واحدة الى سنة ٣٧٣ هـ مثل ابن الأثير .

(٤٦) أنظر ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٥٢ (من خلافة هشام الصغير) وص ٢٧٩ ١ من تسمى ابن أبي عامر بالمنصور ، والدعاء له على المنابر) .

ويعظم شأن زناتة ويشتهد ملكهم بسجل ماسة (٤٦) .

حملة بلكين الأخيرة بالمغرب الأقصى : ما بين فاس وسجلماسة وسبتة :

أما عن رد الفعل فذان في السنة الثانية ٢٦٨ هـ / ٩٨٨ م حيث خرج بلكين في حملة ردع ضد الزناتية في المغرب الأقصى (٤٧) . وبدأ يوسف بلكين بالتوجه بقواه الضخمة نحو فاس التي استولى عليها ، ثم انه أتبع ذلك بطرد زناتة من سجلماسة واستعادها ثم الاستيلاء على كل بلاد الهبط ، ما بين قصر كتامة وساحل البحر المحيط . وبذلك يكون بلكين قد نجح في طرد عمال بني أمية الأندلسيين من جميع البلاد (٤٨) . واستمرت مطاردة زناتة الى سبتة آخر ملاجئ الأمويين المحصنة في المغرب الأقصى ، والتي قرر الزعيم الصنهاجي محاصرتها ولكنه بعد أن عاين منعة المدينة المحاطة بسياج من الجبال العالية كالأسوار ، والغابات المتشابكة التي لا تسلك ، والمفتوحة على البحر من جهة الأندلس لتلقى امدادات الطعام والسلاح ، رأى استحالة فتحها دون أسطول بحري كبير (٥٠) . ورغم حصانة سبتة الأسطورية هذه ، فإن الرواية المنقبية تجعل من الزعيم الصنهاجي بلكين ، شخصية غير عادية ، فكانت مجرد اطلالته على المدينة في سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م من أعلى الجبال تنير الرعب في قلوب أهل المدينة ، من زناتية لاجئين وغيرهم ، فيفلقون أبوابهم كما كان حصاره للمدينة يثير الشفاق في قلب محمد بن أبي عامر وهو في قصره بقرطبة ، إذ يحاول استرضاء

(٤٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ .

(٤٨) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ - حيث يجعل خروج بلكين الى سبتة

سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ثم قوله بعد ذلك برحيله الى المغرب سنة ٣٦٨ هـ (في ٢٥ شعبان) ، نحو فاس وسجل ماسة ، وهو التاريخ الذي رجحناه على تاريخ النويري : ٢٦٩ هـ / ٩٧٩ م . وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٢ - حيث يجعل خروج الزناتية الى سجلماسة سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م .

(٤٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ ، النويري ، ص ٣١٤ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

(٥٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٦٦ ، النويري ، ص ٣١٥ - حيث النص على معانيته

الجبال الشامخة والشمالي الفامضة التي تطلب الأمر قطعها واحراقها لفتح طريق تسلكه المسافر الى الموضع الذي يمكن منه الاشراف عليها ، وانظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ - حيث الوصول الى سبتة وحصارها ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٩ حيث اطل عليهم بلكين من جبل تطاون ، فرأى ما لا قبل له به فارتحل ، وأشغل نفسه بقتال برغراطة الى أن هلك منصرفاً من المغرب سنة ٣٧٢ هـ .

يلكن ، فيرسل اليه رأس عدوه ، قاتل أبيه وهو جعفر بن علي بن الأندلسي ، وكان ابن عامر قد سحق عليه وقتله سنة ٢٦٧ هـ / ٩٧٧ م (٥١) .

وهكذا رجع يوسف بلكين عن سبتة التي بقيت وحدها ، دون كسل بلاد المغرب بين أيدي الأمويين بالأندلس والمنصور بن أبي عامر ، خارج سلطانه ، ومضى نحو مدينة البصرة ، وهو يسوق أمامه قبائل زناتة الهاربة منه إلى الرمال والصحارى (٥٢) . ومن البصرة عرج على اصيلا - غرب طنجة (٥٣) - التي كانت لقبائل نواتة وكنامة وهوارة ، والتي كانت خاضعة للأدراسة من بني محمد منذ سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م (٥٤) ، فكان مصيرها نفس مصير البصرة - على ما يظن - ثم انه واصل المسير غربا إلى تامستا ، بلد قبائل برغواطة ، المعروفة بانحرافاتا مذهبية والزندقية ، وذلك على عهد ملكهم صالح بن عيسى بن أبي الأنصار الذي « جعلوه نبيا ، وشرع لهم شريعة ، فاتبعوه فضل وأضلهم » (٥٥) .

حرب برغواطة ومحاولة القضاء على زندقتهم :

وكانت الحرب الدينية في بلاد برغواطة شرسة لا توصف وان انتهت بظفر بلكين بعيسى بن أبي الأنصار ، وهزيمة عساكره الذين قتلوا قتلا ذريعا . أما عن السبي الذي أخذ من نسائهم وأبنائهم والذي أرسل إلى أفريقيا ، فقد استقبله عامل الولاية : عبد الله الكاتب مع أهل القيروان والمنصورية (٥٦) ، يوم السبت ٨ ربيع الأول ٣٧١ هـ / ١٢ سبتمبر

-
- (٥١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ - حيث مقتل علي بن جعفر ٢٦٧ هـ / ٩٧٧ م .
وج ٢ ص ٢٧٩ - حيث النص على أن المنصور دبر قتل جعفر بن علي عندما أسكره وبعث وراءه من قته ، وانه بعث بالرأس التي كانت محفوظة في غيران في القصر أو مدفونة في بعض حوائطه ، سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م ، أي في آخر مراحل الحملة الهلكنية بالمغرب ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، التويري ، ص ٣١٥ .
(٥٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، التويري ، ص ٣١٠ - حيث النص على انها هدمت ونهبت حتى صارت كأن لم تكن بالأسر ، فلم تكن بصرة بالمغرب إلى الآن ، ودثر رسمها .
(٥٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٦ .
(٥٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٥ .
(٥٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٧ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، التويري ، ص ٣١٥ .
(٥٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٧ .

٩٨١ م (٥٧) ، وقالوا فيه : « انه لم يدخل اليهم من السبي مثل قط » (٥٨) .
ولا بأس أن يكون الهدف من كثرة السبي من الذراري هو تأهيلهم دينيا
ومذهبيا ولغويا (عربيا) حتى يمكن فيما بعد استخدامهم كعمال محاصرين للامارة
الصنهاجية والخلافة الفاطمية ، أو فيما يمكن أن يفيد في زيادة الروابط بين
البرغواطيين ، أهل تامسنا ، وبين أهل أفريقية ، والقيروان من صنهاجيين
وغيرهم .

واستمر بلكين في حملته العسكرية القوية ، وهو يؤكد سلطانه في
فاس ، العاصمة وسجلماسة وبلاد الهبط والبصرة . وتامسنا طوال ما يناهز
الخمس سنوات ، ٣٦٨ / ٩٧٨ - ٦٧٣ هـ / ٩٨٣ م (٥٩) . وخلال تلك الفترة
التي ملك فيها أبو الفتوح يوسف بلكين كل بلاد المغرب ، كانت السجلات
والرسائل الرسمية ترد عليه من مصر ، فتصله على البريد الى فاس أو غيرها
ثم ترجع الى عامل افريقية فتقرأ بعد مدة من تاريخها (٦٠) . وكانت الرسالة
التي وجهتها الخلافة الى بلكين تطلب منه ارسال ألف فارس من بينهم أبناء
زيري الى القاهرة ، ضمن السجلات التي مرت بالمغرب الأقصى قبل أن تعود
الى مستقرها في القيروان سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م . وحق وقتئذ للأمير
الصنهاجي أن يجيب الخلافة من المغرب يتغلب بنى أمية على المغرب ، وأن
الدعاء لهم على المناير ، وأنه يحاربهم بأخوته بنى زيري ، والا ترك المغرب
وسار معهم الى الخليفة (٦١) .

نهاية بلكين واسترجاع الزناتية فاس وسجلماسة :

والظاهر ان جهاد برغواطة ، ومحاولة تأهيلهم دينيا حسب تعاليم
الاسلام الصحيح استغرقت كثيرا من الوقت . وذلك أن النصوص تشير
الى أن وفاة يوسف بلكين كانت في أواخر سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م عند قفوله

(٥٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(٥٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، النويري ، ص ٣١٦ ، قارن ابن عذارى ، ج ١

ص ٢٢٧ .

(٥٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٧ - حيث النص على أنه ملكها ، وأهل سبحة منه

خائفون . وذناتة مشردون ، قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، والنويري ، ص ٣١٦ - حيث

المدة من ٣٦٩ الى ٣٧٣ .

(٦٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٧ .

(٦١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٨ .

من قنال برغواطه حيث عرج على سجداسه ، ومنها توجه مخترقا الص
نحو المغرب الأوسط . وفي الطريق وصلته أنباء رجوع الزناتية بقيت
خزرون بن فلعل الى سجداسه ، وطردهم عامله واستيلاهم عليها ، كما
فاس تعرضت هي الأخرى لغزو زيري بن عطية الزناتي (المغراوي)
العودة الى المغرب ، ولكنه مات في موضع وارجلان من مرض القولنج ،
الاحد ٢٣ ذي الحجة ٣٧٣هـ / ٢٨ مائة ٩٨٤م (٦٢) .

وهكذا وقع على عاتق الأمير منصور مهمة استنقاذ كل من عد
فاس وسجداسة من أيدي الزناتية ، وكان على أخيه يطوفت ، بصفتها
تاهرت والمغرب ، أن يقوم بالتنفيذ ، عندما يصدر له الأمر بذلك -
ما حدث في سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٣م .

زيري بن عطية يدافع عن فاس أمام يطوفت :

وفعلا خرج يطوفت بالعساكر والعدد الى بلاد المغرب ، واتجه ص
فاس وسجداسة ولكن التجربة الحربية أثبتت ان والى تاهرت والمغ
الصنهاجي لم يكن ندا لزيري بن عطية (المغراوي) المتغلب على فاس
اذ لم يكده الجيش الصنهاجي يقترب من فاس حتى عاجله زيري الملقب
بالقرطاس ، بهجوم كاسح انتهى بهزيمة شنيعة ليطوفت ورجاله الى
تبعهم الزناتيون بالقتل والأسر ، حتى تمت عليهم الهزيمة الساحقة
تاهرت دفعة واحدة . وهكذا عاد يطوفت الى ولايته وقد ترك قائدين
كبار قواده بني يدي خصومه أحدهما هو ابن عامل الذي قتل ، والآخر
ابن شعبان الذي شهر به مسمر على الباب الرئيسي بفاس (٦٣) . وبد
النصر المؤزر ثبت زيري بن عطية قدمه في ولايته (٦٤) ، وبدأت دولة ز
في فاس .

(٦٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٤ ، النويري ، ص ٣١٦ ، ص ٣١٨ - حيث النص
ان زفانة ملكت تلك البلاد بعد موت بلقين ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٩ -
التاريخ ٢٠ ذي الحجة / بدلا من ٢٣ منه ، وص ٢٤١ - حيث النص على ان الزناتية استمر
على كل من سجداسة وفاس بعد وفاة بلقين . وانظر فيما سبق ص ٣٠٨ .
(٦٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤١ ، وقارن النويري ، ص ٣١٨ ، وابن الأثير ، ج
ص ٤٦ .

(٦٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٦ ، وقارن صبح الأعي ، ج ٥ ص ١٨٥ - ١٨٦ -
يذكر أن الخليفة العزيز بمصر : الحسن بن كنون الادريسي لاسترجاع ملكه بالمغرب

اشتمل في مواجهة زناتة :

وعلى عكس ما يصف ابن عذارى المنصور به ، من : الصرامة والعزم (١٥) ، وعلى عكس ما أظهره المنصور من العنف والقسوة التي لا تعرف الشفقة والرحمة مع كاتبه الوزير عبد الله بن محمد الكاتب (ما سبق ، ص ٣١٢) أو ما أظهره من الهمجية والوحشية مع داعي الخلافة اثنا عشر في كتامة أبي الفهم الخراساني ، الذي أكل العبيد وصنهاجة أيضا لحمه فلم يبقوا الا على عظمه (ما سبق ، ص ٣٣٣) ، فقد اتضح خداع هذه المظاهر الكاذبة ، اذ كان الرجل ضعيفا ، من ذلك النوع من الرجال الذي لا يتحمل مواجهة الصعاب . فهو يتحمس عندما يصله خبر هزيمة أخيه يطوفت ، ويخرج من قصور المنصور في يوم الأربعاء ١٣ من ذي الحجة سنة ٣٧٤هـ / ٨ مايو ٩٨٦م ، برسم التوجه الى الغرب ، ويصحب معه وزيره عبد الله الكاتب الذي استخلف ابنه يوسف على القيروان . ولكن المنصور لا يلبث أن يغير رأيه فيبقى في أشير ، ويوجه منها أخاه الآخر عبد الله على رأس جيش الى تاهرت ، نجدة لأخيه يطوفت (٦٦) . ولكن الفشل يكتمل تماما بوصول يطوفت الى أشير ، ويصاب المنصور بما يشبه عقدة الزناتية ، « فام يتعرض بعدها لشيء من بلد زناتة » (٦٧) .

طبينة ولاية زناتية بالوراثة : أسرة سعيد بن خزرون :

وهكذا لا تشير النصوص الى صراعات صنهاجية زناتية ، الأمر الذي يعني عدم الاعتداء أو حسن الجوار لمدة خمس سنوات ، الى أن يأتي الزعيم

وان المنصور بن أبي عامر بعث لحربه قريبه ابا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر اللقب بسفلاجة سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م ومن معه من الزناتية ، فالتجأوا الحسن الى الطاعن . وبعد عودة سفلاجة عقد المنصور على المغرب للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي ، وأثناء سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م وعندما استقل زيري برئاسة مفراوة بعد موت أخيه مقابل بن عطية سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م بقى الوزير الحسن بن أحمد الى أن قتل سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م فعقد له المنصور فاستفحل ملكه حتى غلب على تلمسان فملكها من يد أبي الجبار الصنهاجي ، وبعث بالفتح الى المنصور فجدد له العهد . وزيرى بن عطية (الترتاس) هو باني مدينة وجدة سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م حيث أنزل بها عساكره ، واتخذها حاضرة له بسبب موقعها المتوسط في بلاد المغرب - قبل أن يفسد ما بينه وبين المنصور كما يأتي (ص ٣٦٣) .

(٦٥) البيان ، ج ١ ص ٢٣٩ .

(٦٦) التويرى ، ص ٣١٨ .

(٦٧) التويرى ، ج ١ ص ٣١٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤١ .

الزناتي سعيد بن خزرون ، الذي كان والده قد استولى على سجلماسة ،
وفضى على الأسرة المدراية فيها سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م (ما سبق ، ص ٣٤٢)
طالباً لدخول في طاعة المنصور ، الذي أحسن استقباله وقربه من نفسه
حتى استعمله على مدينة طنبنة - عاصمة الزاب العريقة - بل انه أكد ذلك
التقارب بالمصاهرة - فزوج ابنه ببعض بنات سعيد (٦٨) .

وهكذا يكون المنصور قد تخفف من عبء ولاية الزاب وطبنة بالعهد
بنا الى الزعيم الزناتي ، الذي كان يمكنه أن يستخلف عليها بعض أعوانه .
لكي يسير الى أهله في المغرب ، حيث يمكث لديهم الى سنة ٣٨١ هـ /
٩٩١ م ، عندما عاد الى ولايته ثم قام بزيارة للمنصور حيث أنزله المنصور
بقصره ، وأجرى عليه النفقات الواسعة . ولو ان سعيد بن خزرون لم يلبس
نأ اعتل ومات في الحضرة الأفريقية ، في أول رجب سنة ٣٨٢ هـ / ٢ سبتمبر
٣٩٢ م ، فاحتفل المنصور في تجهيزه حتى أنه كفته بم ٧٠ ثوباً . وبعد
فترة وجيزة وصل الى المنصور فلعل بن سعيد فأغدق عليه الهدايا الثمينة ،
ثم انه رده الى مدينة طنبنة أميراً عليها ، فكان ولاية طنبنة كانت مهياة لتكون
وراثية في آل خزرون الزناتية (٦٩) .

أما ما يذكره ابن عذارى في حوارياته سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م من وصول
ولى عهد المنصور ، وهو الأمير أبو مناد باديس من أول حركة من جبهة
المغرب فلا يذكر عن موضوعها شيئاً ، وان كان أبوه قد خرج لاستقباله مع
أهل القيروان ، الأمر الذي يعنى تدشين ولى العهد كقائد معتمد (٧٠) .
ولو كانت الحركة عبارة عن أول زيارة لأشير - مهد الوطن الصنهاجي

(٦٨) أنظر ابن الأثير ؛ ج ٩ ص ٦٧ - ٦٨ ، حيث الاشارة الى ان تولية سعيد بن
خزرون لطنبنة جاءت بطريقة عفوية عندما قام الجدل بين الرجلين حول الجود وأيهما أكرم
من الآخر ، فقال ابن خزرون المتهز بنفسه انه أكرم من باديس من حيث أنه يقدم له نفسه
بينما الأمير يقدم له المسال ، والنفس أعز من المسال . كما هناك رواية أخرى تقول انه
عندما لام المنصور بعض أهله لما كان يفعل بالزناتي الذي هو بمثابة عدوه ، قال : « كان
أبي وجدى يستمعانه بالسيف ، وأما أنا فمن رمانى بوجه رمنته بكس حتى تكون مودته .
طبعاً واختياراً . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ - حيث النص على أن المنصور زوج ابنته
من ودو بن سعيد .

(٦٩) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(٧٠) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ .

سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م ، بصحبة الجدة يعلن (٧١) .

هزيمة فاحشة لقواد صنهاجة الكبار على يدى زيرى بن عطية أول عهد باديس :

وعلى عهد أبى مناد باديس الذى خلف والده المنصور الذى توفى يوم
الخميس ٣ ربيع الأول ٣٨٦هـ / ٢٧ مارس ٩٩٦م ، يعود الصراع من جديد
مع الزناتية على المستويين الخارجى فى تاهرت ، ضد زيرى بن عطية ،
والداخلى ضد قفل بن سعيد فى الزاب وفى طرابلس .

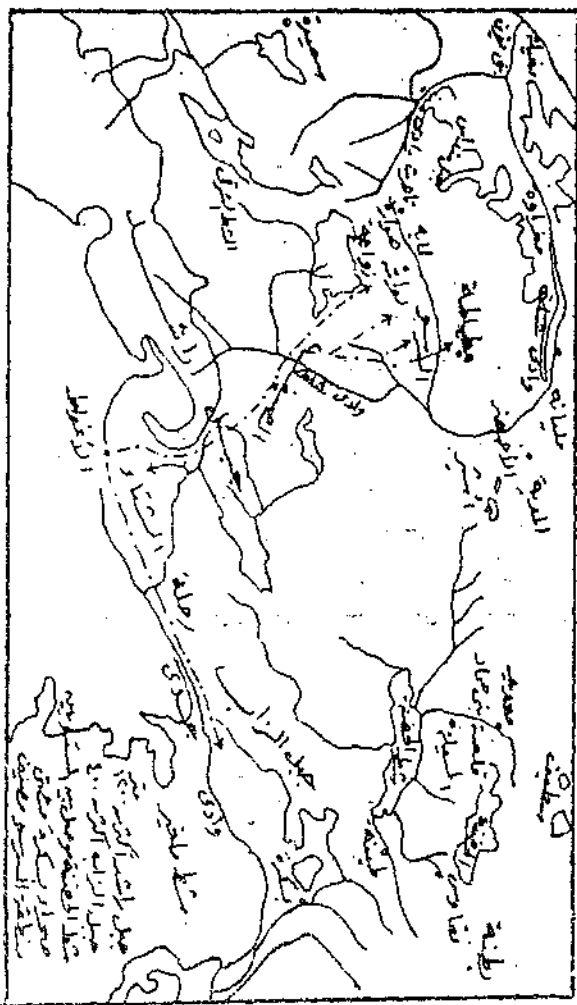
فى سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٩م قام صاحب فاس وما ولاها من بلاد الغرب ،
وهو زيرى بن عطية الزناتى (المغراوى) بالزحف فجأة على تاهرت ، حيث
كان يليها للمنصور عمه يطوفت بن بلكين الذى كتب اليه يطلب المدد .
وصدرت الأوامر من قبل المنصور الى وزيره الكاتب محمد بن أبى العرب
بالخروج بالعاكر نجدة ليطوفت فى تاهرت . وخرج ابن أبى العرب من
المنصورية فى ١٥ صفر / ٦ فبراير نحو أشير حيث كان عليه أن يسير فى
صحبة واليها حماد بن بلكين وعسكره نحو تاهرت . وهناك اجتمع مجلس
الحرب فى أول جمادى الأول / ٢٠ ابريل برئاسة القواد الثلاثة : يطوفت
والى تاهرت ، وحماد والى أشير ، وابن أبى العرب عامل افريقية ، على بعد
مرحلتين من موقع القرطاس : زيرى بن عطية ، فى موضع يعرف
بـ « آمسار » (٧٢) (أنظر شكل ٧ ص ٣٥٠) .

والذى يفهم من النصوص ان القوة الرئيسية فى الجانب الصنهاجى
كانت قوة أشير ، قلب الوطن الصنهاجى ، وعلى رأسها حماد بن بلكين ،
قائد الدولة أو مشيرها (المارشال) وان أكثر عسكره ، وخاصة الوثلكانيين
منهم ، كانوا يكرهونه لاساءته اليهم على يدى غلامه خلف الحميرى الذى

(٧١) ادريس (هادى - روجيه) ، بلاد المغرب (البربر) الشرقية على عهد الزيريين ،
بالفرنسية ، ج ١ ص ٧٣ ، هـ ١٦٧ - حيث الاشارة الى المؤنس لابن أبى ديتار وان البيان
لابن عذارى يهمل الكلام عن جدّه باديس . والحقيقة ان ابن عذارى أسقط رحلة الذهاب
سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م ، وبذلك يكون الفضل لابن أبى ديتار فى الاحتفاظ لنا بتلك المعلومة
الطريفة (المؤنس لابن أبى ديتار ، ص ٧٩) .

(٧٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ ، الترييرى ، ص ٣٢٥

- حيث اسم الموقع آمسار .



أقاليم تاهرت مع طنجة والحضنة ونسكة

(شكل ٧)

سماهم الحسيف . وفي هذه الظروف غير المواتية تم اللقاء بين العسكريين
وكان من الطبيعي أن ينهزم العسكر الصنهاجي أمام الزناتية ، رغم الحرب
الشديدة التي دارت بين الطرفين ، ورغم محاولات عامل أفريقية ، محمد بن
أبي العرب ، التي لم تنجح في رد المنهزمين من الوتلكانيين ، الأمر الذي
أدى الى هزيمة الجيوش الثلاثة هزيمة تامة ، وصلت الى أشير . وكان ذلك
يعنى ضياع كل محلات القواد الصنهاجية بما فيها من عدد وأموال وعتاد
كما قتل الكثير منهم أثناء الهزيمة المروعة ، وأسر الكثير أيضا وذلك في يوم
السبت ٤ جمادى الأولى سنة ٣٨٩هـ / ٢٢ ابريل ٩٩٩ م .

وظهر زيرى بن عطية بمظهر رجل الدولة الأريب ، فقد اكتفى باحتواء
ما كان في المعسكر الصنهاجي ، وعامل الأسرى معاملة كريمة . وعندما
وصل الى تاهرت أحسن الى أهلها ووعدهم الجليل ثم انه تفضل على الأسرى
فأطلقهم ، فرجعوا الى أشير (٧٣) .

بدايس يقود الصراع ضد الزناتية في قلب أفريقية وفي المغرب :

وكما حدث في بداية عهد المنصور عندما انهزمت القوات الصنهاجية
أمام رجال خزرون في سجلماسة ، وزيرى (المغراوى) في فاس ، بقى
القواد المنهزمون الثلاثة في أشير ، دون أن يحركوا ساكنا ، كما بقى زيرى
ابن عطية على تاهرت . وعندما وصل نبا الهزيمة الى المنصورية في ٢٠ جمادى
الأولى / ٨مايه ، أخذ المنصور يتجهز لمواصلة النضال . وكان خروجه للقاء
زيرى بن عطية يوم السبت ٢ جمادى الثانية / ٢١ مايه ، على طريق
بلاد الزاب . وعندما اقترب من طنبنة ، عمالة فلفل بن سعيد بن خزرون
الزناتى ، بعث فى طلبه ، ولكن فلفل - الذى كان على صلة بزناتية فاس -
توجس خيفة ، وأرسل اليه يعتذر عن الحضور ، بل ويطلب منه أن يكتب
له سجلا جديدا بولاية طنبنة . ورغم اجابة المنصور بطلب تجديد العهد
بالولاية ، ورحيله بعيدا عن المنطقة ، فالظاهر أن حمى العصبية الزناتية
كانت قد نالت من فلفل ، فرأى أن ينضم الى جانب أهله وعشيرته بشكل
مكشوف ، وأن ينقل الصراع - وان كان بشكل انتهازى - الى قلب الأملاك
الصنهاجية فى بلاد أفريقية . فهذا ما يفسر كيف انقلب فلفل الزناتى ،

(٧٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٠ . ابن الأثير - ج ٩ ص ١٥٢ ، التويرى ،
ص ٣٢٥ - حيث اسم الصنهاجيين المخالفين « التلكانيين » الذى رجحنا عليه قراءة ابن عذارى
« الوتلكانيين » .

ما بين عشية وضحاها ، الى بدوى جلف ، لا يفهم معنى الاقتصاد المدني -
فاحذ: ينشر الحراب والدمار في المنطقة من : طينة الى تيجس وباغاية التوم
حاصرها وافسد جهاتها ، بينما كان نصير الدولة ياديس ، متماديا في
سيره ، لا يلتفت اليه - عن غير قصد كما نطن - حتى وصل الى مدينة
أشير(٧٤) .

وعندما وصل باديس الى المسيلة رحل زيري بن عطية عن تاهرت .
فقرر متابعتها ، ولكنه عندما عرف انه متجه نحو مدينته فاس ، اكتفى بذلك
ورأى العودة الى تاهرت ، ومنها سار الى اشير وبصحبتة عمه يطوفت الذي .
آلت اليه ولاية اشير مع تاهرت ، فاستخلف ابنه أيوب على تاهرت مع حامية
من ٤ (أربعة) آلاف فارس . وفي اشير عرف باديس بما فعله فلغل بن
سعيد من الافساد في بلاد الزاب ، فسير اليه جيشا مع عدد من كبار قواده .
منهم : أبو زعبل ، وجعفر بن حبيب ، ومحمد بن حسن ، ثم خرج هو في
اثرهم لملاحقة الزناتي المخرب ، وبصحبتة عم ابيه أبو البهار بن زيري .
وكان وصوله الى المسيلة في أواخر أيام رمضان فعيد بها الفطر(٧٥) .

باديس يحقق انتصارا كبيرا على فلغل بن سعيد الزناتي :

وخلال رحلة العودة ، التي بدأها باديس ثالث أيام الفطر (٣ شوال /
١٧ سبتمبر) الى مقره بالمنصورية بلغته في بلزمة الأنباء السيئة عن انتصار
فلغل بن سعيد على العسكر الذي كان سيرهم ، وانه قتل أبا زعبل وأسر
ابنه حميد ومثل به ، ثم قتله ، بل ان الزناتي أخذته العزة بالانتم فتسادي
الى القيروان . وهنا عرج باديس على باغاية التي وصلها في ١٩ شوال /
٣ أكتوبر ، وعرف ما عاناه أهلها من شدة حصر فلغل لهم الذي استمر
٤٥ يوما ، فكان قراره بمشابعة فلغل بعد أن أقام بها بقية الشهر ، اذ كانت
رحيله عنها في غرة ذي القعدة / ١٤ أكتوبر الى مرامجة(٧٦) .

- (٧٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ ، النويري ، ص ٣٢٦ .
(٧٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥٩ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ - ١٥٣ .
النويري ، ص ٣٢٦ - حيث الاشارة الى ان باديس كان مصرا على صحبة اعمام ابيه اولاد
زيري مبه ، وكانوا قد طلبوا البقاء مع يطولت ، ولكنهم انتحلوا له الأعداء حتى سح لهم
بالبقاء على أن يلحقوا به فيما به ، ولكنهم تكترو وحاولوا القبض على يطولت الذي نجح
في الهرب منهم ، وعلق بالامير باديس بالمسيلة ثم صحبه الى افريقية .
(٧٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ ، النويري ، ص ١٢٧ :-

وعندما صار باديس الى بنى سعيد كان ذلك ايذانا ببدء المعركة الفاصلة مع فلفل بن سعيد الذي زحف اليه يوم ٦ ذى القعدة (٢٨٩هـ / ١٩ أكتوبر ٩٩٩م) . ومن الواضح أن باديس لم يتعجل اللقاء اذ تنص الرواية على أنه : لم يلقه ولم يلتفت اليه ، الأمر الذي دعا الزناتى أيضا الى الشروع وعدم الاندفاع فى المغامرة . هكذا ، لم يتم اللقاء الا يوم الاثنين ١٠ من ذى القعدة / ٢٣ أكتوبر ، فى ساحة تعرف بوادى اغلان . وفى مقابل قوات باديس التى حوت صنهاجة والعييد (السودان) كان يجتمع حول فلفل من اصناف البربر ما لا يحصى من زناتة ، « وكل من فى نفسه حقد على باديس وأهل بيته » . اما عن القتال فيوصف بأنه حرب عظيمة لم يسمع بمثلها صبر فيها الفريقان ، وثبتت صنهاجة بين يدي باديس ، وانتهت بانتصار باديس وصنهاجة وانهمز البربر وزناتة الى جبل « الحناش » حيث أتبعتهم صنهاجة والعييد ، ولكنهم عندما وجدوا تمادى فلفل فى الهزيمة رجعوا عنه ، وعادوا الى محلته ، ونهبوا ما كان فيها . أما عن نتائج المعركة فقد أسفرت عن خسارة كبيرة فى الجانب الزناتى حيث قتل منهم ٩ (تسعة) آلاف رجل (٧٧) .

وأرسل نصير الدولة باديس بكتاب الفتح الى القيروان ليقرأ من أعلى منبر جامع عقبة (٧٨) ، وعاد باديس الى قصوره بالمنصورية ، وسط احتفال القيروانيين الذين كانوا يخافون من غارة يقوم بها فلفل على مدينتهم (٧٩) .

(٧٧) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥١ - حيث النص على ٧ آلاف قتيل من زناتة ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ - حيث ٩ آلاف قتيل من زويلة (زناتة) سوى من قتل من البربر ، المتويرى ، ص ٣٢٧ - حيث قتل من زناتة ٩ آلاف رجل سوى البربر . (٧٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥١ .

(٧٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ ، وأنظر نموذج الزمان لابن رشيق ، ص ٢٩٤ - حيث النص على أن الشاعر على بن مية الله النخعي ، المعروف بـ « العميلة » ، صنع فى سيدنا نصير الدولة (باديس) قصيدة ذكر فيها وقته بزناة (٣٨٩هـ / ٩٩٩م) ، مع ذكر مواضع القتال والوقائع وانهمز التوم ، اذ خاطب محمد بن أبى العرب ، الكوزير القائد قائلا :

ولما طفى وبنى فلفلسل
دعائك اليه نصير الامام
فأضحكت منهم ضجاع الفلا
فطاش به رأيه الأخر
وما فوق ذا امرى مغنصر
وزارتهم الطلس والأنسر
(الطلس - الذئاب) .

تحالف أبناء زيروى مع فلفل الزناتى الذى لجأ الى طرابلس :

ومع دخول سنة ٣٩٠هـ / ديسمبر ٩٩٩ - يناير ١٠٠٠م ، وصلت الأنباء الى باديس بتحالف عمومة أبيه مع الثائر الزناتى ، فخرج فى طلبهم بصحبة أبى البهار منهم ، الذى كان اعتذر عن قصتهم هذه ، الى قصر الافريقى . وهنا افترق الطرفان فاتجه بنو زيروى نحو الغرب باستثناء ماكسن بن زيروى الذى بقى مع فلفل الذى توغل الى الرمال هاربا ، الأمر الذى دعا نصير الدولة باديس الى الرجوع الى حضرته بالمنصورية . وهنا ، تبعا لتكتيك الفر والكر الذى يعرفه أهل الصحراء ، رجع فلفل الى منطقة طرابلس ، التى كانت قد بدأت تتملل ، مما سبقت الإشارة اليه (ما سبق) ، ص (٣١٨) .

ويمكن أن يستشف من سير العمليات الحربية فى افريقية وفى الغرب انه كان هناك نوع من التخطيط المشترك بين الزناتية ، وان كان من الممكن أن يكون قد تم تلقائيا على المستوى الفردى دون اعداد مسبق . فبينما كان فلفل بن سعيد يثير الاضطراب فى طرابلس ، فى شرق الدولة ، كان صاحب فاس فى المغرب الأقصى ، وهو زيروى بن عطية الزناتى يتجاسر على التقدم نحو أشير ، قلب الوطن الصنهاجى . وهكذا كان على نصير الدولة باديس أن يخرج من المنصورية فى شهر رجب سنة ٣٩٠هـ / يونية سنة ١٠٠٠م الى رقادة استعدادا للتوجه الى القرطاس : زيروى بن عطية ، ولكنه عندما جاء الخبر برحيل زيروى الى الغرب ، كان على باديس أن يرجع بدوره الى المنصورية (٨٠) .

أسرة زناتية بمدينة طرابلس (انظر شكل ٨ ص ٤٤٥) :

فلفل بن سعيد أميرا :

والحقيقة ان الظروف كانت مواتية لكى يستقر فلفل بن سعيد فى مدينة طرابلس ، وأن يكون فيها ما يمكن أن يشبه بأسرة وراثية حاکمة ،

(٨٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥١ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ ، النويرى ، ص ٣٢٨ - حيث الإشارة الى أن هرب فلفل الى الرمال أثر مطاردة باديس له كان فى سنة ٣٩١هـ / ١٠٠١م ، وبالتالى عودة فلفل الى طرابلس حيث قبله أهلها أحر قبول ، فدخلها واستوطنها .

قبضت على زمام الأمور طوال عشر سنوات الى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ،
عندما توفي فلغل وخلفه أخوه ورو بن سعيد .

ففي سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م كان « تموصلت بن بكار » نائب باديس
في مدينة طرابلس الذي أساء السيرة وجمع الأموال الطائلة ، بكتابه
الخليفة الحاكم بأمر الله يطلب منه أن يسلم اليه مدينة طرابلس على أن يقبله
لاجئاً لديه بالقاهرة ، ويتم ذلك على يدي والي برقة الفاطمي : القائد يانس
الصقلبي . وعندئذ تتوتر العلاقات بين القاهرة والقروان عندما لا يقبل
باديس مبررات يانس الشفوية لأخذه طرابلس ، ويحاصره في المدينة ،
الأمر الذي يتطلب من الخليفة ارسال نجدة الى يانس بقيادة يحيى بن علي
ابن الأندلسي الذي ينتهي به الحال الى التحالف مع فلغل الذي كان انتهن
الفرصة سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، ودخل طرابلس بمساعدة فتوح بن علي
وجماعة أهل المدينة ، واستوطنها من ذلك الحين (٨١) .

محاولة التمدد في افريقية وولاية نفاوة :

والظاهر انه كان هناك نوع من التنسيق بين فلغل وبين ماكسن
ابن زيري ، فبينما كان فلغل يسيطر على طرابلس ويستوطنها سنة ٣٩١ هـ /
١٠٠١ م ، كان ماكسن حليفه ، يحاول الاستيلاء على أشير حيث كان حماد
ابن (أخيه) بالكين ، وتنتهي الحرب الشديدة بين الزيريين بمقتل ماكسن
وأولاده في ٣ رمضان / ٢٧ يولييه . ومما يسترعى انتباه المؤرخين من
غرائب الصدف : « وفاة زيري بن عطية الزناتي صاحب فاس والغرب كله ،
بعد تسعة أيام من مقتل ماكسن وأولاده أي في ١٢ رمضان / ٨
أغسطس (٨٢) .

ومن المهم ما قام به فلغل بن سعيد من الاستيلاء على بعض ولاية
افريقية نفسها ، عندما قام بمؤازرة يحيى بن علي بمحاصرة قابس التي
كان علي ولايتها عطية بن جعفر ، وهي المحاولة التي انتهت بالفشل والعودة.

(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ . اشاط
الحنفاء ، ص ٣٤ ، ادريس (هـ - ر) ، الزيريون ، بالفرنسية ، ج ١ ص ٩٩ .

(٨٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ - ١٥٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
النويري ، ص ٣٢٨ . وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٧ ، ص ١٧٩ .

الى طرابلس في ٢٤ رجب سنة ٣٩٣هـ / ١٥ سبتمبر سنة ٩٩٣م (٨٣) .
واستقر فلفل في طرابلس الى سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ، حيث توفي وخلفه
عليها أخوه ورو الذي آلت اليه زعامة زناتة . وأثناء تلك الفترة كان
فلفل قد يأس من معاونة خلافة القاهرة ، فبعث بطاعته الى المهدي محمد
ابن عبد الجبار بقرطبة ، وأوفد اليه رسالة في الصريح والمدد - وهو الأمر
المستغرب - وهلك فلفل قبل رجوعهم (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) (٨٤) . ولكن
عندما سار باديس الى طرابلس لحرب زناتة هناك ، فارقوا المدينة التي فر
أهلها ، وملكها باديس . وانتهى الأمر على كل حال بالتسوية عندما راسل
ورو باديس ودخل في طاعته على أن يستخدمهم كعمال له ، فأعطاهم نفزاوة
وقسطنطينية ، في نظير الرحيل عن أعمال طرابلس . كما دخل أيضا خزرون
ابن سعيد ، أخو ورو ، في طاعة باديس ، وكان معه ٧٠ (سبعون) فارسا ،
فأعطاه ولاية بعض المدن ، فخرج اليها بالبند والطبول (٨٥) . ولو ان هذا
لم يمنع من تجدد النزاع على طرابلس التي كان ورو يحاصرها سنة ٤٠٣هـ /
١٠١٢م بينما كان أخوه خزرون يحاول أن يمنعه من ذلك (٨٦) .

وخلال تلك الفترة وفيما بين سنة ٣٩٥هـ / ٤ - ١٠٠٥م و٣٩٧هـ /
٦ - ١٠٠٧م كانت قبائل زناتة في اقليم برقة تتحالف مع عرب بني قره
ضد حكومة القاهرة الفاطمية ، تحت قيادة الثائر أبي ركوة الذي حاول
اقتحام مصر نفسها ، ربما بسبب المجاعة التي اجتاحت المغرب سنة ٣٩٥هـ /
٤ - ١٠٠٥م على وجه الخصوص (أنظر فيما سبق ، ص ٣١٩) .

هكذا ظل باديس يعاني من فتن زناتة ما بين داخل بلاده من طرابلس
الى طنبجة وأشير وخارجها من تاهرت الى فاس وسجلماسة ، الى أن ينتهي
الأمر بوفاة سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٥م ، وهو يعاني من فتنه عمه حماد الذي
كان محاصرا في قلعته (٨٧) .

(٨٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١١٧ ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٨٤) أنظر ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤١ .

(٨٥) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٣ .

(٨٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٧٧ .

(٨٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

وفي شوال من هذا العام / مارس كانت وفاة ورو بن سعيد ،
واختلفت كلمة الزناتيين بالاختلاف بين خليفة بن ورو وابن عمه خزون .
وبذلك أوقع الله الشتات بينهم حسب مقالة ابن عذارى (٨٨) .

الانقسامات في الأسرة الزيرية :

رغم ان تاريخ الأسرة الزيرية الحقيقي لا يرتفع الى أكثر من جد بلكين
وهو مناد ، بصرف النظر عن سلسلة الأجداد الاسطورية التي ترتفع الى
ما يزيد عن أربعين جدا ، معظمهم لهم أسماء عربية (ما سبق ، ص ٢٩٣) ،
فان الأسرة ما لبثت الا قليلا حتى تضخمت بفضل سياسة تعدد الزوجات ،
واتخاذ الحریم الذي كان يحوى مئات الجوارى (النويرى ، ص ٣١٧) بين
سوداوات من العبيد ، وبيضاوات من الصقالبة المماليك ، حتى كان الأمير
منهم يبشر بالعشرة أولاد وأكثر في المرة الواحدة (النويرى ، ص ٣١٧) .
وهكذا تكاثرت الأسرة حتى كان يكون في قصر الأمير أحيانا ما يناهز الألف
امرأة من ذوات المحارم اللاتي لا يجزى له شرعا ، من : الأخوات الطبيعيات
أو في الرضاعة والحالات والعمات (٨٩) .

وهكذا ظهر ما يمكن أن يشبه بما نسميه حاليا بالانفجار السكاني ،
وان كان في الأسرة الزيرية انصهاجية ، منذ وقت بكر ، الأمر الذي أدى
الى ضيق الوطن الأصلي ، في منطقة أشير عن استيعابهم ، فخرجوا يطلبون
« أرض الله الواسعة » ، في المغرب الأقصى بعيدا عن حكومة القيروان
المركزية في افريقية ، وعن حكومة القاهرة الخلافية في مصر ، حيث كانت
الأبواب الشرقية موصدة أمام الحارجين عن السلطة ، في القيروان وفي
القاهرة ، الأمر الذي دعاهم الى خرق كل ما تعارف عليه الجماعة من
الأصول والقواعد أو التقاليد والأعراف ، من : شراء صداقة البعيد على
حساب الأقربين ، أو الارتقاء في أحضان الأعداء التقليديين ، أنه من مداراة
الأصدقاء التاريخيين ، مما أدى بهم الى التوغل بعيدا في قلب الأندلس من

(٨٨) البياو ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٨٢ .

(٨٩) النويرى ، ص ٣١٧ ، وقارن الاعلام لابن الخطيب ، ص ٦٨ - حيث الإشارة الى
ان زواى بن زيرى الذى لحق بالأندلس ، ثم عاد الى افريقية بعد وفاة باديس بن المنصور ،
كان له في الدنيا أزيد من ألف امرأة لا تحل له منهن واحدة . كلهن من نسل اخوته ،
وكذلك مثل هذا العدد من الرجال من نسل اخوته ، وهو ما يعتبره ابن حزم - خطأ - من
قرائب الدم .

أجل الجهاد أو طلب الملك ، وهو الأمر الذى تنبأ به المعز لدين الله فى وصيته - المزعومة ، على ما نظن الى بلكين - التى حذره فيها من تولية أحد من أبناء عمومته أو من أهل بيته - وهى الوصية التى تعتبر ببساطة من واقع الأحداث ، وان كانت بعض أفكار ما تمثله حتميات التاريخ .

وهنا لا بد من الاشارة أيضا الى أن الخلافات التى كانت تقوم بين الأمير وبين أفراد أسرته لم تكن دائما لأسباب سياسية . فتلك كان يثيرها الطموحون عادة ، وهم فلة نادرة ، ولأسباب قد تتعلق بدرجة القرابة من المؤسسين الأول للأسرة أو الأمير الممارس للسلطة أو ولى العهد المعلن أو بالأحقية فى المشاركة فى الحكم عن طريق ولاية بعض الأقاليم أو محاولة الاستقلال ببعض الولايات . ولكنه الى جانب ذلك كثيرا ما كانت تنشأ الوحشة بين الأمير وأهل بيته لأسباب شخصية ، مما يتمثل فى سوء المعاملة والطمع فى ممتلكات الغير أو أموالهم ، أو حتى فى بعض أفراد أسرهم . ولمثل هذه الأسباب ، مما يتعلق بمحاولة القوى الاستبداد بالضعيف ظهر ذلك النوع من القضاء العالى الذى عرف فى دولة الاسلام باسم « المظالم » ، وهو القضاء الذى كان يرأسه الأمير أو من ينوب عنه من كبار رجال الدولة ، والذى كان يفضل فى المنازعات التى يكون أحد أطرافها بعض أفراد الأسرة الحاكمة أو بعض كبار رجال الدولة أو مراكز القوى فيها .

الانشقاق الأول :

هروب أخوى بلكين الى القاهرة :

وفيمما يتعلق بالأسرة الزيرية ظهر أول انشقاق بين الأمير وبعض أفرادها على عهد يوسف بلكين ، وذلك سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م ، أى بعد سبع سنوات من ملكه . ففى ذلك الوقت كان بلكين ، يحتفظ باثنين من اخوته فى قصره بالمنصورية ، وهما : كباب - الذى أظهر فروسية مبكرة عندما نجح فى رد هجوم الزناتية على أشير ، وهو لم يبلغ الحلم بعد حتى انه كان ممنوعا من الخروج من المدينة ، الأمر الذى استحق عليه أن يطلق اسمه على باب أشير الذى خرج منه وعاد مظفرا ، فصار « باب كباب » (٩٠) - والآخر مغنين ، ابنا زيرى . والرواية لا تعرف بأسباب غضب الأمير على

(٩٠) انظر فيما سبق ، ص ٢٩٩ - هذا ان لم يكن بدء القصة سجما لنويا مبنى على لفظى كباب البربرية وباب العربية .

أخويه ، بل كان من الممكن الا تعرف قصتهما هذه التي لم تتفجر الا بسبب هروبهما من القصر ، والتجانهما مباشرة الى جوار الخلافة بالقاهرة . وقصة الهرب هذه طريفة ، وان كانت دارجه في بلاد الاسلام حيث لم تختلف ثياب الرجال كثيرا عن ثياب النساء . فلقد « لبسا ثياب النساء ، وخرجا في نسوة لن قد دخلن اليهما لزيارتها ، فوجدا الخيل والسلاح ، فركبا ، ومضيا الى مصر » . ولقد احتفى الخليفة العزيز بالأميرين الصنهاجيين ، وأبقاهما في كنفه الى نهاية ذلك العام . وفي السنة التالية ٣٧٠هـ / صرفهما العزيز الى بلكين أخيهما مع الأمر بالعفو عنهما(٩١) .

أولاد زيرو بن مناد والعلاقات مع الأندلس :

اما على عهد المنصور بن بلكين فقد ظهرت الانشقاقات بشكل واضح في الأسرة الحاكمة وذلك على المستوى الداخلي ثم انها اتسعت مع مرور الوقت لكي ترتبط بالسياسة الخارجية ، وليكون لها دورها السلي في العلاقات مع الأمويين بالأندلس ومن ترتبط بهم من أمراء الغرب من الزناتية أو الحسينيين الأدارسة .

فعلى عهد المنصور ازداد نفوذ عبد الله بن محمد الكاتب - رغم كراهية المنصور له منذ بداية ولايته (سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م) ، حيث تعرض الكاتب لاساءة متعمدة من جانبه ، على يدى أخيه يطوفت بن بلكين (كما سبق ، ص ٣٠٩) . فلقد صارت أمور الدولة كلها بين يديه من : « جمع المال وترتيب الأحوال » ، حتى انه لثقته بنفسه « كان لا يدارى أحدا من أولاد زيرو ، ولا أكابر الدولة »(٩٢) . وكان ذلك يثير بخاصة حقد الأمراء عليه ، الأمر الذى أدى الى وشايتهم به والظعن عليه(٩٣) . ومن ثم انتهى بمقتله سنة ٣٣٧هـ / ٩٨٧م على يدى المنصور وأخيه عبد الله ، كما قتل ابنه يوسف على أيدي المنصور أيضا وعمه ماكسن بن زيرو(٩٤) .

(٩١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٩٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٢ ، قارن التويرى ، ص ١٩ - حيث النصر على انه بلغ ما لم يبلغه قرابة المنصور وأهل دولته .

(٩٣) التويرى ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٩٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٢ ، وانظر فيما سبق ، ص ٣١٢ .

الجهاد في جليقية :

ومن المهم الإشارة هنا الى أن الأمراء الصغار من أبناء زيري كانوا مضطربين منذ أواخر عهد أخيه الأمير بلكين لا يضير ذلك أن كان ماكسن في سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م يقف الى جانب ابن أخيه المنصور ، ويشاركة في القضاء على منافسهم رجل الدولة ووزيرها الكاتب عبد الله بن محمد . وفي الحقيقة ان ماكسن ، على العكس من ذلك ، كان يشارك في بداية عهد المنصور في سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م ، أخويه زاوي وجلاله ، أولاد زيري ، وأخوة بلكين الصغار ، في الخروج على دولة ابن أخيه المنصور ، بطريق غير مباشر ، عبر الصراع مع ابن أخيه الآخر : حماد بن بلكين العامل على مدينة أشير ، فكانهم كانوا لا يقرون بالسيادة له وحده ، على مقر الأسرة ، وموطن صنهاجة الأول (٩٥) . والمهم أن الصراع من أجل الوطن الأصلي انتهى بين أبناء زيري وأبناء أخيهم بلكين بغلبة حماد وطردهم من البلاد فاتجهوا الى الغرب نحو طنجة ، من حيث عبروا الى محمد بن أبي عامر (المنصور) بقرطبة ، الذي أحسن استقبالهم ، « وأجرى عليهم الوظائف » . ومن المهم أيضا أن الأمراء بنى زيري لم يطلبوا من منصور قرطبة العون ضد ابن أخيه منصور القيروان ، بل سألوه الجهاد في الأندلس ، وبإغ أمر اعتزازهم بأنفسهم أن رفضوا أن يشاركون أحد من أهل الأندلس في جهادهم هذا أو غيرهم ، باستثناء بنى جلدتهم الصنهاجيين ، ومواليهم ومن يتبعهم من العبيد . وكانت حملتهم في أرض جليقية عبارة عن غارة من تلك التي تتركها جماعات البدو ، مما يسمى بحرب الامكانات الخفيفة بمعنى حرب العصابات التي تعتمد المفاجأة ، وقطع الطريق والأشجار ، ونصب الكمائن ، وبيان المهارات الفردية ، والتي يكون هدفها النهائي العودة بالمغانم والسبي ، بعد نشر الفزع والهلع (٩٦) .

(٩٥) انظر ابن الأثير ، حيث النص على تبرير الخلاف بينهم بأنه قامت حروب مع أخيه حماد (الصحيح ابن أخيه) على بلاد بينهم .

(٩٦) انظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٢ - حيث سألهم (ابن أبي عامر) عن سبب انتقالهم ، فأخبروه ، وقالوا له : انما اخترناك على غيرك . . . للجهاد في سبيل الله . فاستحسن ذلك منهم ، ووعدهم ووصلهم ، فأقاموا أياما . ثم دخلوا عليه وسألوه ما وعدهم به من الفزو ، فقال : انظروا ما أردتم من الجند نعتكم ، فقالوا : ما يدخل معنا بلاد العدو الا الذين معنا من بنى عمنا رصنهاجة ومواليها فأعطاهم الخيل والسلاح والأموال ، وبعت معهم دليلا .

ورغم ما تقوله الرواية من أن غارة جليقية التي قام بها الصنهاجيون من بنى زيري حمست الأندلسيين ونشطتهم للغزو معهم مرة أخرى في ليون ، حيث أظهر جلاله بن زيري (الصنهاجي) مهارة فردية عظيمة في القتال عندما تفادى ضربة القومس (الكونت :: Comes) فمال عنها ووجه إليه ضربة أبانت عاتقه ، وهي الغارة التي انتهت بالعودة بسبي عظيم ، تبالغ الرواية من غير شك ، عندما تجعله ٣٠ (ثلاثين) ألفاً(٩٧) . فالمعروف ان تلك الغارات غير المدروسة التي كانت تهدف الى تخريب بلاد العدو واضعاف معنوياته ، كانت تأتي بسبب بساطتها وعفويتها وعدم استمراريتها بنتائج عكسية . فقد كانت تثير العدو وتنبهه الى تقوية دفاعاته ثم قيامه بغارات ثأرية ، وأعمال ردع مستمرة كانت تثبط من همم المسلمين ، وتخرب بلادهم الحدودية وتجعلها أرضاً « بغير صاحب » (no man's land) ، كما يقال في المصطلح الحربي ، مما أدى مع مرور الوقت اما الى تبعية أهلها الى العدو أو جلائهم عنها وضمها . بل وما هو أخطر من ذلك ، فان استخدام ابن أبي عامر للبربر بكثرة في جيوشهم أدى الى تفاقم أزمة الخلافة الأموية على المستويين السياسي والاقتصادي ، وبالتالي الى انهيارها بانهيار الدولة العاصمية ، وافتقار البلاد لوحدها بتفرقتها .

بين عرب وبربر ومماليك صقالبة .

وهنا يكون أهم انجاز حققه بنو زيري الصنهاجيون في الأندلس هو اقتطاع مملكة لهم في غرناطة بفضل نشاط زاوي بن زيري الذي يسميه ابن خلدون : « ملت الفتنة بالأندلس » ، اعتباراً من سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، الأمر الذي أدى الى قيام أسرة بنى حبوس بن ماكسن الصنهاجي في البيرة وغرناطة ، وهي التي انتهت على يد يوسف بن تاشفين(٩٨) .

عصيان أبي البهار بن زيري :

ولا ندرى ان كان اضطراب بنى زيري اللاجئين الى الأندلس كان له تأثيره على من بقى منهم في كنف بنى أخيم بلكن في افريقية والمغرب الأوسط . ففي سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م عقب اضطراب بلاد كتامة بسبب

(٩٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٣ .

(٩٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٩ وما بعدها .

الداعي أبي الفهم (٧٧ - ٢٧٨هـ) ثم نابعة ابي انفرج سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩م ، وهي السنة التي صالح فيها سعيد بن خزرون الأمير المنصور ، ونال منه ولاية طبنة ، ثار على المنصور عمه أبو البهار ، والى تاهرت والمغرب ، لأسباب لا يوضحها ابن الأثير ، في روايته الغامضة التي تقول : « نشئ جرى عليه من المنصور لم يحمله لعزة نفسه » (٩٩) . وعندما سار المنصور اليه بعساكره ، ترك أبو البهار تاهرت ومعه أهله وأصحابه واتجه نحو الغرب . وهكذا دخلت عساكر المنصور تاهرت فانتهبوها ، وقتلوا كثيرا من أهلها قبل أن يطلبوا الأمان ، حسبما تقول رواية ابن الأثير وابن عذارى (١٠٠) ، فكأنهم كانوا مساندين للثورة ، بينما تقول رواية ابن خلدون ان أهل تاهرت أمدوا المنصور ، بمعنى أنهم ساعدوه (١٠١) ، وهو الأمر المقبول من حيث أنه لا بأس أن يكون تصرف العسكر العدائي بالنسبة لمدينة مفتوحة أمرا عاديا بالنسبة لهم ، سواء كانت صديقة أم عدوة - بمعنى عدم السيطرة على الجنود في جيوش ذلك الوقت ، ان لم تكن تلك سياسة معتمدة لترضية العساكر ، فكأنها مكافأة أشبه بما يعرف بالحوافز في أيامنا هذه .

وتتبع المنصور عمه فيما وراء تاهرت الى مسافة ١٧ (سبع عشرة) مرحلة ، الى أن أزهق عسكره ، فرجع أدراجه نحو أشير ، بعد أن عهد بولاية تاهرت الى أخيه يطوفت (١٠٢) .

التحالف مع زيري بن عطية :

أما عن أبي البهار فانه قصد الزعيم الزناتي زيري بن عطية ، القرطاس ، الذي رحب به وأدخله في خدمته ، فكان رجاله يغيرون على أطراف بلاد المنصور . ومن فاس راسل أبو البهار المنصور بن أبي عامر بقرطبة ، وعرض عليه الدخول في طاعته على أن يبقى في كنف زيري بن عطية . ووافق المنصور بن أبي عامر شريطة أن يبعث أبو البهار ابنه رهينة الى قرطبة ، وهذا ما فعله أبو البهار بولدين من أبنائه فرق أولهما عندهما .

(٩٩) الكامل ، ج ٩ ص ٦٨ ، وقارن بن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ - حيث يكتفى بذلك الخلاف دون إشارة الى سببه .

(١٠٠) الكامل ، ج ٩ ص ٦٨ ، البيان ، ج ١ ص ٢٤٤ .

(١٠١) المعبر ، ج ٦ ص ١٥٧ .

(١٠٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ .

عطب المركب الذي توجه به ، بصحبة ميمون بن الداية ، كاتب أبي البهار ، بينما وصل الثاني سالما ، وأقام في كنف أبي عامر (١٠٣) . وهكذا تم تحالف أبي البهار بن زيري الصنهاجي وزيري بن عطية المغراوي ، برعاية المنصور بن أبي عامر ، ضد المنصور بن بلكين ، وبدأ العمل سويا سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ضد الأراضي الزيرية المتاخمة لفاس ، حيث أوقعوا برجال المنصور ، واستولوا عليها (١٠٤) . وبقي أبو البهار في خدمة زيري بن عطية ، صاحب فاس ، تحت راية المنصور بن أبي عامر الى سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م حينما قرر العودة تائبا ، توبة الابن الضال ، الى بلده وأهله وعشيرته . فلقد بدأ أبو البهار اتصالاته من أجل العودة بابن أخيه يطوفت والى تاهرت ، الذي كتب بدوره ، في نفس الوقت ، سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م الى المنصور بذلك ، فطلب منه أن يبعث به اليه . وكان وصول أبي البهار الى المنصورية ليلة الاثنين ١٥ شعبان / ٦ أكتوبر ٩٩٣ م ، حيث أحسن المنصور استقباله وأغدى عليه الأموال والهدايا ، من : الكسي والفرش والجواري (١٠٥) .

أما عن زيري بن عطية ، القرطاس ، الذي كان قسد وثق علاقته بالمنصور بن أبي عامر في نفس سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م ، حيث قام ابن عطية - بعد أن ترك ابنه المعز في تلمسان - بزيارة ابن أبي عامر ، واستمرت العلاقة وطيدة بينهما الى أن فسدت سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م ، مع بداية عهد باديس بن المنصور ، وقامت الحروب بينهما (١٠٦) . وشارك في تلك الحروب

(١٠٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٤ ، ط : بيروت ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .
(١٠٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٨ ، وقارن القرطاس ، ص ١٠٣ - حيث النص على ان ابن أبي عامر عقد لأبي البهار على تلمسان وتنس ووهران وشلف وشرشال ، وجبال ونشرش والمهدية ، وكثير من بلاد الزاب ، وذلك اعتبارا من سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م . وكانت الامور مستقرة بينهما الى شهرين فقط قبل عودة أبي البهار الى افريقية ، حيث كان المنصور العامري قد بعث اليه بعهدة وهدية وخلعة و٤٠ ألف دينار .
(١٠٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٨ ، الذي يجعل ذلك من أحداث سنة ٣٨١ هـ / ٩٧١ . وقارن القرطاس ، ص ١٠٢ - ١٠٣ - حيث اجمال الأحداث عن أبي البهار .
(١٠٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ ، وانظر القرطاس ، ص ١٠٢ - ١٠٤ - حيث استقر ملك زيري بن عطية في فاس اعتبارا من سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م تحت راية ابن أبي عامر بقرطبة . ثم انه عهد اليه بعد عودة أبي البهار الى افريقية بجمع بلاده ، فجعل زيري من تلمسان مقرا لابنه المعز . وكان على زيري بن عطية أن يزور قرطبة ما بين حين وآخر ، =

قائد ابن أبي عامر : الفتى واضح ، وابنه عبد الملك المظفر ، وانتهت بهزيمة زيري واستئصال رجاله ، ونجده منحنا بالجراح . وبذلك انبسط ملك المظفر عبد الملك سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م على المغرب الأوسط ما بين تلمسان وتاهرت ، وفي المغرب الأقصى ، ومد سلطانه الى سجلماسة ، وصارت فاس هي قاعدة البلاد حيث استقر بعد اقامة المظفر فيها ، فتاه واضح ثم عبد الله ابن أبي عامر ، أخو المنصور (١٠٧) .

الخلاف بين اولاد زيري وباديس :

عند وفاة المنصور بن بلكين سنة ٣٨٦ هـ / ٩٨٦ م ، لم يكن اولاد

كما حدث سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ، حيث عهد بمدوني فاس الى عبد الرحمن بن عبد الكريم ابن ثعلبة (بالاندلس) وعلى بن محمد بن قشوس (بالقرويين) . ورغم الترحيب الكبير بزيري في قرطبة ، ووصله بلقب الوزير ، فانه رجع ساخطا الى بلاده لا يريد الا الامارة دون الوزارة ، وان تكون طنجة القاعدة الاندلسية ، ملكا له . وكان عليه أن يسترجع عدوه الاندلس من ابن جلدته اليفرنى ، يدو بن يعلى بعد أن قتله اثر حروب طويلة سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م . وظلت علاقة زيري بن عطية فاترة باين أبي عامر ، في الوقت الذي كان يؤكد سلطانه فيه بالمغرب ، وخاصة بعد بناء مدينة وجدة سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م واتخاذها قاعدة للملك ، ال أن فسد تماما ما بينه وبين المنصور العامري سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م ، من حيث كاو زيري يعترف فقط بامامة هشام المؤيد ، دون حجابة العامري ، وقيام الحروب بينهما . (١٠٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٢ ، قارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٨ وما بعدها ، صبيح الأعشى للقلقشندى ، ج ٥ ص ١٨٦ - حيث الاشارة الى فساد ما بين المنصور (ابن أبي عامر) وزيري ، وعقد المنصور لولاه واضح على المغرب وحرب زناتة ، واتباعه بابنه عبد الملك المظفر ، وانهزام زيري وجرحه وفراره الى فاس التي امتنع عليه أهلها ولماق بالصحراء ثم عودته الى حرب صنهاجة بالمغرب الأوسط حيث فتح تاهرت وتلمسان ، وأقام الدعوة فيها لهشام المؤيد والمنصور من بعده .

وأنظر القرباس ، ص ١٠٥ - ١٠٧ - حيث بعث المنصور قائده واضحا الفتى الذي أقام بطنجة يستكمل استعداده للقتال ، ولكن المعركة انتهت بهزيمة واضح الى طنجة . فكان على المنصور ابن أبي عامر أن يمدد بابنه عبد الملك الذي حقق النصر في معركة وادي منى من حواجز طنجة ، اثر غدر أحد غلمانه السود ، وطنه بسكين في رقبتة . وهكذا استحق عبد الملك لقب المظفر عندما أنهى محاولة تجسس فلول زيري بالقرب من مدينة مكناسة ، في ١٥ رمضان ٣٨٧ هـ / ٢١ سبتمبر ٩٩٧ م . وكان على زيري أن يفر الى الصحراء بعد أن أغلقت فاس أبوابها في وجهه . ونذاك أصبحت فاس من أملاك قرطبة حيث توالى عليها بعد المظفر ، عيسى بن سعيد صاحب الشرطة ، ثم القتيبي ، واضد سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م بشما كان زدي من عطية نجوس فسادا فر قلب الدنار الصنهاجة ، فر تاهرت وتلمسان والمسيلة الى أن خلقه ابنه المنصور سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠١ م .

زيري قد اطمأنوا بعد الى وضعهم في الدولة ، اذ حاولوا الخلاف ومنع الولاية من ولي عهد المنصور الشاب الصغير أبي مناد باديس ، بمعنى أنهم لم يكونوا قد قبلوا بعد انفراد الفرع البلكينى بالملك ، دون سائر أبناء زيري ، لولا موقف الحرس الأميرى من المماليك السودان (انظر فيما سبق ، ص ٣٣٠) . ولكنه على عهد باديس يظهر الانشقاق الزيرى بشكل أوضح ، بل ونجح الفرع الحمادى من أولاد بلكين فى اقتطاع امارة خاصة بهم فى إقليم القلعة الغربى ، منذ عهد باديس بولاية أشير الى عمه حماد سنة ٥٨٧ هـ / ٩٩٧ م ، ويتكرس ذلك الأمر بثورة حماد قبيل وفاة باديس سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م . وولاية المعز بن باديس ، فيستكمل شكله القانونى (انظر فيما سبق ، ص ٣٣٩ وما بعد ، ص ٤٠٩) .

وكانت الشرارة التى أشعلت الفتنة بين الأسرة الزيرية من أولاد زيري (الأعمام) وأولاد بلكين (أبناء الأخ) هى الحرب التى اندلعت بين زيري ابن عطية ، صاحب فاس وتابع المنصور بن أبى عامر ، حاجب قرطبة . ووزيرها الأول ، وبين باديس بن المنصور سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م ، فكانها كانت فرصة مواتية ، كى تعود الأهوار الى أوضاعها المناسبة ، حيث ينضم خصوم الأمير الصنهاجى (باديس) من أبناء الأسرة الى مناصريهم الأمويين الأندلسيين . واذا كانت الهزيمة المريرة التى لحقت بالجيش الصنهاجى على أيدي قوات زيري الزناتية قد وجدت تبريرها على أساس سحق رجال حماد عليه ، فلا تدرى ان كان لأبناء زيري - من : زاوى وجلاله وماكسن ، ممن خدم بعضهم فى الأندلس كمجاهدين بموافقة ابن أبى عامر ، أو كمساعدين لزيري بن عطية ، كما فعل أبو البهار ، تأثيرهم فى مسار تلك الأحداث ، بعد أن ظهرت مواقفهم الثابتة بين الطرفين المتنازعين على سيادة المغرب من أبناء الاخوة ، ممثلى الفاطميين ، وزناتة الغرب أتباع الأمويين .

والمهم أن أبناء زيري أظهروا ما كانوا يضمرونه لباديس من الحقد بعد ما طرد ابن عطية بعيدا عن تاهرت التى أعطيت ولايتها الى يطوفت ، كما أعطيت له ولاية أشير التى استقر فيها ، بينما استخلف ابنه على تاهرت . فعندما سار باديس لمواجهة لفل بن سعيد بن خزرون الذى كان يهدد بلاد الزاب وأوراس (انظر فيما سبق ، ص ٣٥١) تشبث أعمام أبيه ، أولاد زيري - باستثناء أبى البهار منهم - بالبقاء مع يطوفت فى أشير ، كأعوان له . وعندما اعترض باديس على ذلك وتشبث بضرورة مصاحبتهم له ، وعدهوه باللحاق به بعد أن يقضوا أمورا كانت لهم بأشير . وهكذا سار

بإديس نحو المسيلة حيث عيد الفطر . وأثناء صلاة العيد ، وصلت الأحياء
إلى أبي البهار بعصيان اخوته أولاد زيروى ، فى أشير وهم : زاوى وماكسن
وبنغنين ، إذ ناروا بيطوفت ، وقبضسوا عليه واخذوا ماله ، بل وكادوا
يقتلونه لولا أن نجح فى الاحتياى عليهم ، والنجاسة بنفسه ، والعودة إلى
بإديس .

وخاف أبو البهار ، الذى كان على صلة بأخوته ، أن يتهم بالمشاركة
فى تلك المؤامرة فهرب فى التو والنحظة بأهله وبنيه ، ولم يدرك عندما طلب
ولحق بأخوته بأشير (١٠٨) . وفى أشير قرر أولاد زيروى التحالف مع فلغل
ابن سعيد الزناتى ، الثائر على بإديس فى قلب ولاية افريقية ، بدلا من
الذهاب إلى الغرب البعيد وفاس . ولكنه عندما سار بإديس فى أوائل
سنة ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م ، ومع أبو البهار الذى اعتذر عما بدر من اخوته ،
فقبل بإديس عذره ، لحرب فلغل - بعد الهزيمة التى ألحقها به آخر السنة
الماضية - فخرج من المنصورية إلى رقادة ثم قصر الافريقى ، خاف عمومته
أولاد زيروى ، فنقضوا حلفهم مع فلغل ، وساروا نحو الغرب ، باستثناء
ماكسن بن زيروى وابنه محسن ، الأمر الذى دعا بإديس إلى العودة إلى
حاضرتة ، المنصورية (١٠٩) .

مقتل ماكسن بن زيروى وبنيه :

وبينما كان فلغل يزيد اشتعال الفتنة القائمة فى طرابلس ضد
بإديس باسم الخلافة الفاطمية ، محاولا الصيد فى الماء العكر ، كما يقال ،
كان ماكسن بن زيروى عم والد بإديس يسير سنة ٣٩١هـ / ١٠٠١م إلى أشير
فى محاولة لاسترجاع وطن الوالد من بين يدى حماد الذى ربما كان معاوننا
الأخيه يطوفت هناك ، إن لم يكن قد استعاد ولايتها مرة أخرى ، بعد فقدانها
أثر هزيمة سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٩م . والمهم أن تلك الحرب الضروس بين
ماكسن وابن أخيه حماد انتهت بكارثة بالنسبة لماكسن الذى قتل هو
و٣ (ثلاثة) من أبنائه ، هم : محسن وبإديس وحباسة - وهى الكارثة

(١٠٨) النويرى ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ - حيث الاشارة إلى التقاء كل من يطوفت وأبى البهار
فى طريقهما ما بين أشير والمسيلة . وأن أبا البهار حلف ليطوفت انه لم يعاقد اخوته على
الخلافة ، ولكنه يهرب خوفا على نفسه . ابن عذارى ج ١ ص ٢٥١ ، ابن الأثير ج ٩ ص ١٥٣
- قارن ابن خلدون ج ٦ ص ١٥٧ ، ١٧٩ .
(١٠٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٢ ، النويرى ، ص ٣٢٨ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ .

التي اعتبرها الكتاب نذير شؤم على حليف أبناء زيري ، السابق ، صاحب فاس ، الذي مات بعد ٩ (تسعة) أيام فقط ، في ١٢ من رمضان / ٢٧ أغسطس (٩٩٩) (١١٠) .

زواى (بن زيرى) فى الأندلس من جديد :

أما عن بقية أولاد زيرى الذين اتجهوا نحو الغرب ، للدخول فى خدمة المنصور بن أبى عامر تحت راية الأمويين ، فالمعروف أن زواى منهم لحق فى سنة ٣٩١ هـ / ٩٩٩ م بجبل شنوق من منطقة مليانة ، من حيث عبر مع أولاده وأولاد أخيه (ماكسن ؟) وحاشيته ، الى الشاطئ الأندلسى . وهناك نزلوا على المنصور بن أبى عامر الذى أحسن استقبالهم وأكرم وفادتهم ، وجعلهم أعوانا لنفسه ، اذ نظمهم فى طبقات البربر الذين اصطنعهم للخدمة فى القوات الأندلسية بدلا من العساكر الأموية النظامية ، وقبائل العرب من المتطوعة . وعن هذا الطريق قويت شوكة صنهاجة فى الأندلس ، فأصبحوا عصبية الدولة العامرية على أيامه وأيام ولديه : المظفر عبد الملك ، والناصر عبد الرحمن (شنجويhle) ثم كان لزواى شأنه فى فتنة قرطبة التى رفعت المستعين سليمان ممثل البربر الى عرش الخلافة .

وعند استباحة قرطبة كان هم زواى هو البحث عن رأس والده زيرى بن مناد « المنصوب بجدران قرطبة ، فأزاله الى قومه ليدفن فى جدثة » (١١١) .

(١١٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، الزيرى ، ص ٢٢٨ - حيث وصول الحجر فى سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٠ م ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٩ ، وأنظر فيما سبق ، ص ٣٦٤ .

(١١١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٩ - حيث وصف زواى بأنه « ملك » تلك الوقائع ومحتى حروبها ، بمعنى عاجنها وخايزها ، قبل قليل من عودته الى افريقية سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م بعد غياب دام ٢٢ سنة . وقارن صبح الأعمى ، ج ٥ ص ٢٥٧ - حيث النص على استيلاء زواى على غرناطة ثم عن له أن قدم على المرز بن باديس (ما بعد ، ص ٤٠٦) واستخلف ابنا له على غرناطة ، فإساء السيرة فملكوا ابن عمه حبوس بن هاكسن ، وعظم سلطانه الى أن توفي سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م ، وملك بعده ابنه باديس بن حبوس الذى تلقب بالمظفر ، والذى مصر غرناطة واختط قصبتها وشيد قصورها وحسن أسوارها سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، وقد ظهر المرابطون بالمغرب . وحافده عبد الله بن بلكين هو الذى خلعه ابن تاشفين سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م .

الصراع بين باديس وعمه حماد :

أما عن أخطر الخلافات بين الزيريين ، فكان ذلك الذي حدث بين باديس بن المنصور وبين عمه حماد بين بلكين ، من حيث هو صراع بين آل بلكين ، ومن حيث ما انتهت إليه من تقسيم الدولة الى مملكتين . والأمر هنا لا يتوقف على الحقوق المشروعة لآل بلكين في المشاركة في حكم الدولة « اليوسفية البلكنية » ، بصفة حماد من السلالة الحاكمة ، بقدر ما يتوقف على شخصية حماد نفسه . فمئذ بداية عهد باديس بن المنصور (٣٨٦هـ / ٩٩٦م) حل حماد بن بلكين محل يطوفت أخيه ، صاحب أشير والوطن الصنهاجي ، وأصبح قائد الدولة أو مشيرها « المارشال » الذي يهدف إليه بقيادة الجيوش ضد زناتية الغرب - بصرف النظر عن مكانه من القيادة أو من النصر والهزيمة (أنظر فيما سبق ، ص ٣٤٩) ، والذي يقا تل حلفاء زناتية الداخل من عمومته أولاد زيري ، بل ويقتل ما كسن منهم ، وكذلك أولاده الثلاثة (ص ٣٦٦) . وهو في النهاية لا يستجيب لمطالب باديس بالتنازل لولي العهد عن بعض اقطاعه ليرفع من شأن ولاية العهد ، ويكثر من أتباعها الأقوياء ، فكانه في حقيقة الأمر يرفض ولاية العهد بطريق التسلسل من الأب الى الابن ، ويفضل عليها حق الأسن وحق الأقوى ، على الأقل في وراثته وتوريث اقطاعه في أرض صنهاجة الوطن ، بأشير (١١٢) .

وفي ذلك وقف الى جانبه أخوه ابراهيم ، فكان على حد السيف أن يقرر مصير الدولة ، ولمن تكون اليد العليا فيها . وبدأت حرب قذرة استمات فيها حماد وأخوه ابراهيم ، ولجأ الى أساليب ممجوجة من أعمال القتل

(١١٢) أنظر الاعلام لابن الخطيب ، ص ٦٩ وما بعدها - حيث الاشارة الى ان باديس اتهمه عمه حمادا الى الزناتية المخالفين ، وجعل له تملك كل ما يفتحه ، وأعفاه من الوصول الى أفريقيا بعد ، وكمل شروطا كثيرة تشطط فيها حماد لكبره وحرص مديري دولة باديس على الاستراحة منه . وأنظر ادريس (هـ - ر) ، الزيريون ، بالفرنسية ، ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧ - حيث تتلخص صفات حماد ، في أنه : جريء ، مخادع ، حكيم جيد ، كريم . قاسي . ورغم انه قرأ الفقه صبيا في القيروان ، فهو طاغية لا يتورع عن القاء عمه «ماكسن» حيا الى الكلاب . وإذا كان ادريس لا يحب التشكيك فيما كان يظهره حماد من التقوى ، أو رميه بالتفاح . قلنا أن نتساءل ، هنا ، عما اذا كان حماد مخلصا فيما دعا اليه بمناسبة خروجه على باديس ، من : مخالفة دعوة باديس (الفاطمية) ، وقتل الرافضة ، واظهار السنة ، والترضى عن الشيخين ، وثبذ طاعة العبيدين جملة ، ومراجعة دعوة آل المباس ، وذلك في سنة ٤٠٥هـ ، حسبما ينص ابن خلدون (ج ٦ ص ١٧١) .

والنهب والتخريب (ص ٣٤٤ و٩٧) ، وتحمل فيها حماد هزائم قاسية دون أن تنكسر له شوكة . وفي النهاية لم ينقذه من الحصار الأخير الذي أحكم سحوه في القلعة (٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) الا وفاة باديس فجأة بانذبة ، وهي السكنة القلبية . فكان من حقه أن يكسب حق وراثة ولايته أشير منذ بداية عهد حفيد أخيه : المعز بن باديس .

السياسة المالية والأحوال الاقتصادية :

لم يكن من الغريب أن يكون من أهم وصايا المعز لدين الله لنائبه يوسف بلكين التركيز على المسألة المالية وجباية الضرائب ، الأمر الذي يعنى الاهتمام بالأحوال الاقتصادية ، ركيزة الدولة المتحضرة ، وأصل الحضارة ، كما تقضى العلاقة السببية بين المال والحضارة ، من حيث أن الحضارة تبع للثروة ، ومن حيث أن الدولة هي السوق التي تنفق فيها أسباب الحضارة ، من المطالب فوق الحاجة ، أي الكمالية ، كما تقضى بذلك نظرية ابن خلدون (١١٣) . وكما تقضى به أيضا السياسة المدنية مما يأتي ملخصا في الدائرة الثمانية التي يسميها ابن خلدون بالدائرة الحكيمة الفلسفية الالهية ، والتي تقرر : أن الملك راع يعضده الجيش ، وأن الجيش أعوان يشدهم المال ، وأن المال رزق تجمععه الرعية ، التي يستعبدها العدل الذي يحيا به العالم (١١٤) .

وهكذا ، فكما قامت السياسة المالية بدورها في حياة الدولة الفاطمية في المغرب ، من حيث تجميع المال من مظاهره المختلفة ، وخاصة الضرائب ، الأمر الذي لا يتحقق بدون تشجيع الزراعة والحرف والصناعات والتجارة حتى تغتنى الرعية ، وبالتالي يكثر المال الذي تحتاجه الدولة للنفقة على الدواوين الادارية ، والجيوش والأساطيل الحربية التي تحقق الأمن ، وعن طريقها ينتشر بالتالى العدل ، الذي هو أساس الملك وبه يحيا العالم .

بناء على ذلك لم يكن غريبا أن يوصى المعز نائبه بلكين ، بعدم رفع الجباية عن أهل البادية ، والعمل بأهل الحاضرة خيرا ، من حيث تحصيل

(١١٣) المقدمة ، فصل التدرج العمراني ، (من البداوة الى الحضارة) ، الفصل الثالث ،

ص ١٤٤ .

(١١٤) المقدمة ، تحقيق علي عبد الواحد ، ج ١ ص ٤١٦ ، وأنظر كتاب سر الأسرار .

محقق عبد الرحمن بدوي ، ط : دار الكتب ، القاهرة ، ١٦٥٤ ، ص ١٢٦ وشكل ص ١٢٧ .

الحياة من أهل البادية بانتظام ، بمعنى دفعهم الى العمل فى زراعة الأراضى وحياتها ، وبالتالي دفع ضريبة الحراج المطلوبة منها ، وتلك العملية تعنى فى ثناياها تحضير أهل البادية ، ورفع مستواهم الحياتى والعمرانى .
أما الإحسان لأهل الحاضرة فهو معاملتهم بالحسنى وعدم التجنى عليهم فى أخذ الضرائب ، تشجيعا لهم على مواصلة العمل وزيادة الانتاج ، وبالتالي زيادة الثروة القومية ، دعامة التحضر ، وارتفاع مستوى المعيشة .

الادارة المالية تابعة للخلافة :

وهكذا فصل المعز الادارة المالية للولاية الافريقية عن الامارة ، وجعلها تابعة له مباشرة ، بتعيين ابن القديم عوناً لبلكين على جميع الأموال بأفريقية(١١٥) كما ان بلكين ، بدوره ، عندما تسلم زمام الامور فى ولايته ، بدأ بإخراج العمال وجباة الأموال الى سائر البلدان(١١٦) . فكانه بدأ بحرق أوامر المعز التى تقضى بالفصل بين الولاية بمعنى السلطة السياسية والادارية ، والعمالة بمعنى السلطة المالية ، بقصد تجميعها جميعا بين يديه ، الأمر الذى يفسر كيف أنه تخلص من ابن القديم ، عن طريق كتابهم الأسبق عبد الله بن محمد الكاتب ، ولو أن المسألة انتهت بسيطرة هذا الأخير على الشئون المالية ، والظهور بمظهر صاحب الحراج المستقل ، التابع للخلافة وليس لأمير القيروان(١١٧) .

تبرعات اجبارية يجمعها انعام باسم الخلافة :

وهذا ما يفسر كيف كان عبد الله محمد الكاتب يستطيع فى سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م ، أن يفرض على المقتدرين من أعيان الناس بأفريقية والقيروان ، الذين بلغ عددهم ٦٠٠ رجل ، اتاوة معينة بحد أقصى قدره ١٠ (عشرة) آلاف دينار ، مع استثناء رجال الدين من الفقهاء والصلحاء ورجال العلم والأدب ، من هذا الغرم ، الى جانب رجال الدولة من أولياء السلطان . فكان تلك الاتاوة وقعت على التجار والأغنياء من أصحاب الأراضى الزراعية ، والعقارات أو التيسرين من أصحاب الحرف والصناعات ، وهى الطبقات العاملة أو المنتجة ، دون غيرهم . والمهم ان عبد الله بن محمد الكاتب جمع من منطقة القيروان وحدها ، أكثر من ٤٠٠ (أربعمائة) ألف دينار .

(١١٥) النويرى ، ص ٣١١ ، ما سبق ، ص ٣١٠ ، وأنظر ما سبق ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(١١٦) النويرى ، ص ٣١٢ ، وما سبق ، ص ٣١١ ، وأنظر ما سبق ، ص ٣٠٢ .

(١١٧) ما سبق ، ص ٣٠٤ .

ومن الواضح أن جباية تلك الأناوة لم تتم بسهولة ، بل استوجب إجراءات قمعية ضد بعض المطالبين بالدفع ، الأمر الذي كان له أصداء سيئة في نفوس الناس الذين جأروا بالشكوى حتى وصلت أسماع المسئولين في ديوان الخلافة بالقاهرة ، الذي أصدر أمره إلى أبي الفتوح يوسف بلكين « برفع الغرم عن الناس ، فأطلقهم عبد الله الكاتب في أواخر شوال (يونيو) » .

وفي سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م التالية ، كان عبد الله الكاتب ، عامل إفريقية ، يبعث ، بموافقة بلكين ، بتلك الأموال التي وضعت في صرر ، حسبما جمعت ، إذ وضع على كل صرة اسم صاحبها ، إلى الخليفة العزيز بمصر ، وكان صدورها من القيروان في ٢٥ من جمادى الثاني / ٢٣ أكتوبر . والأمر المستغرب هو أن ديوان الخلافة بالقاهرة رد بعض تلك الضرر إلى أصحابها (١١٨) . ولا يأسى أن كان هؤلاء من المحظوظين ، من بين الذين جأروا بالشكوى من تلك الغرامة أو المظلمة .

والحقيقة أن الخلافة كانت تعمل على تحسين صورتها في أعين الناس ، فكانت تحاول علاج مثل هذه الأعمال عن طريق العطاء أحيانا دون الأخذ . وكانت مناسبة خروج نقود جديدة من دار السكة بالقاهرة مناسبة جيدة يمكن استغلالها بإرسال مجموعات من تلك القطع الجديدة لكي تفرق على الناس . فهذا ما حدث بمناسبة ولاية العزيز للخلافة سنة ٣٦٥هـ / أواخر ٩٧٥م حيث ضربت دنانير ذهبية جديدة تحمل اسمه ، وأرسل بعضها إلى المغرب وإفريقية وقررت على الناس (١١٩) .

زيادة الخزائن :

والظاهر أن نشاط عبد الله الكاتب ، ومن كان تحت إدارته من الجباة كان يؤدي إلى نتائج المرجوة من زيادة الأموال في الخزائن العامة . فهذا ما يفهم مما قام به سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م ، وهي السنة الأخيرة من عهد يوسف بلكين ، حيث قام عبد الله الكاتب بعمل خزائن جديدة من الحديد مملأها بالأموال ، إضافة إلى خزائن خشبية ، امتلأت هي الأخرى (١٢٠) .

(١١٨) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٣٠ .

(١١٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

(١٢٠) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٣٨ .

ولا بأس أن تكون خزانة الحديد مخصصة لصرر الأموال الذهبية من الدنانير ، وأن تكون الحشبية للورق من الدراهم الفضية ، والفلوس النحاسية . وأغلب الظن أنه كان من مهام بيت المال تزويد الصيارفة في الأسواق بما كان يلزمهم من قطع النقود الصغيرة من فضية ونحاسية عند الحاجة ، وخاصة في مناسبات الأعياد والمواسم (١٢١) .

ولا شك ان اتخاذ بيوت مال (خزانات) جديدة . كان يثير خيال الطمعين في أموال الدولة ، وكذلك خوف المسئولين وشكهم فيما يمكن أن يكون لتلك الأموال من اغراءات قد تؤدي الى انحراف المسئولين عن جبايتها ، فضلا عن حفظها ، من عمال الجباية أو بيت المال .

محنة أولية لعبد الله الكاتب :

وهكذا كان أول عمل يقوم به المنصور عندما بلغه نبأ ولايته بوصول خبر وفاة يوسف بنكين والده ، هو أن يتأكد من أمانة عبد الله الكاتب - الذي ربما دارت حوله شائعات عن استبداده بالأموال من قبل الحساد والكارهين له - عن طريق التأكد من سلامة بيوت الأموال ، وكذلك خزانات السلاح بكل من الهندية والمنصورية ، وصحة بيانات حفظها ، عن طريق النفثيش المفاجيء والجرد المباشر ، الأمر الذي كلف أخاه بطوفت القيام به ، وان كان بطريقة فجة وأسلوب مهين بالنسبة لرجل الدولة ، صاحب عمالة افريقية ، المسئول أمام ديوان الخلافة مباشرة ، حسبما تم رسمه بمعرفة الخليفة المعز لدين الله - وهو ما اعتذر عنه المنصور عندما تبين له أمانة الكاتب الوزير ، ونظافة يديه (١٢٢) ، وان كانت المسألة أكبر من أن تكون موضوع محاسبة الأمير الوالي الذي تجب طاعته لصاحب الحراج العامل ، اذ كانت أشبه ببداية لتصفية حسابات بين قرينين ، بمعنى تابعين للخلافة بالقاهرة ، مما سبقت الإشارة إليه ، وان كانت التفرقة واضحة بين الأمير الوالي والعامل صاحب الحراج .

والمهم ان التفوق كان للأمير الوالي الذي كان يستطيع التصرف في

(١٢١) انظر التريفي ، ص ٣٢١ - بمناسبة خروج الداعي ابي الفهم الى كتامة في مركب بين يديه نخوت النياب ، وبدر الدراهم (أي آكياس الدراهم الفضية) .
(١٢٢) انظر ابن عداري ، ج ١ ص ٢٣٩ - حيث النص على أن يطوفت نظر الى الخزائن منلقة والى بيت المال مقللا ، فأخذ الماتبع وفتح بيت المال والسلاح .

الأموال ، وإن كان بطريقة غير مباشرة عبر العامل ، صاحب الحراج ، فعندهم حضر وفد إفريقية إلى أشير لتهنئة المنصور ، برئاسة عبد الله الكاتب . كان المنصور يستطيع أن يأمر عبد الله الكاتب ، بصفته صاحب بيت المال بأعطاء الوفد ١٠ (عشرة) آلاف دينار كمكافأة ضيافة وبدل انتقال .

هدايا وقصور للأمير :

أما عندما ذهب المنصور ، بعد ذلك إلى قصور رقادة في نفس سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م فقد انتهالت عليه هدايا العمال وعاطاياهم ، كما أتخفه عبد الله الكاتب بالهدايا الجليلة التي لا يحيط بها الوصف (١٢٣) . وفي السنة التالية ٣٧٥هـ / ٩٨٥م كان يوسف بن عبد الله الكاتب ينفذ أوامر المنصور بعمل أبواب حديد جديدة للقيروان وبناء قصر كبير له بالمنصورية (١٢٤) ، بلغت النفقة فيه ٨٠٠ (ثمانمائة) ألف دينار ، كما تبالغ رواية النويري ، على ما نظن (١٢٥) ، وحول هذا القصر ، وقصر آخر مجاور له كان قد بناه شميع أنصقلي ، صاحب المظلة ، أقيم سور محقق عليهما غرست حوله الأشجار من كل جهة (١٢٦) .

صعوبة موقف العامل بين الخليفة والأمير :

والحقيقة أن موقف عامل الحراج ، صاحب بيت المال ، كان دقيقاً من حيث ما هو مفروض عليه من ترضية كل من أمير القيروان وخليفة القاهرة . فعند وصول الداعي أبي الفهم الخراساني إلى القيروان في طريقه إلى كتامة يشعر عبدالله بالحرج ، ويجيب على تساؤل ابنه يوسف عما إذا كان يسمح له بالخروج إلى بلد كتامة بأن يقدم له التسهيلات اللازمة من المال والمتاع للخروج إلى أي جهة يريد . وينسأ على ذلك يخرج الداعي في موكب مهيب ، على أفراس بسروج محلاة ، وبين يديه نخوت ثياب وبدر دراهم حسب مبالغة الرواية على ما نظن (١٢٧) . وإذا كانت هناك إشارات في النصوص إلى أن

(١٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٠ ، النويري ، ص ٣١٨ .

(١٢٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤١ .

(١٢٥) النويري ، ص ٣١٨ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤١ - حيث النص على

أن مبلغ الاتفاق على القصر في سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م قبل تمامه ١٠٠ (مائة) ألف دينار .

(١٢٦) النويري ، ص ٣١٩ .

(١٢٧) أنظر النويري ، ص ٣٢١ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤١ - حيث النص على

مستولية يوسف بن عبد الله الكاتب الذي أعطاه الخيل والمال فتوجه إلى كتامة .

ثورة أبي الفهم في كتابة كانت من الأسباب التي أدت الى قتل عبد الله الكاتب على يدى المنصور ، فان المشهور أكثر من ذلك هو أن ادارته للأموال ، واستبداده بها كانت السبب الرئيسى فى التخلص منه ، فهذا ما يفهم أيضا مما نسب إليه من قوله بتلك المناسبة ، « ما قتلت عبد الله على مال ولا على شيء أغتنته ٠٠٠ » (١٢٨) .

والامر المستغرب أن التخلص من الرجل الذى كان يستبد بإدارة أموال الدولة ، والذى كان يخشى الحساد والهدامين حتى سقط وهو يتمثل بهذا البيت :

أرى ألف بان لا يقوم لهادم فكيف بيان حوله ألف هادم ،

كان مناسبة للقيام بعملية تمت فى شكل مكافأة للحرس الاميرى الذى دار ينهب أموال الناس ويسلبهم ، من مسافرين على الطرق ، وتجار الأقمشة والنسيج خاصة ، وذلك فيما بين وادى القصارين وباب تونس من القيروان (١٢٩) ، فكان البيت المتمثل به قد صار حقيقة من مبادئ الاقتصاد ، وأصول العمران .

يوسف بن أبى محمد عاملا واليونى مساعدا :

أسلوب خاص فى الجباية :

اما عن صاحب الإدارة المالية بعد عبد الله الكاتب ، وهو يوسف بن أبى محمد ، فكان من نسيج مختلف تماما عن سلفه . فهو وديع محب للمعافية والحياة الناعمة ، مولع بالطعام والشراب اللين ، خصوصا فى فصل الربيع عندما تتحسن الأحوال الجوية ، ويطلع الورد الذى أغرم به فكان يجلس وينام فيه حتى سمي بـ « شيخ الورد » . وهو لكل ذلك ينيب عنه تابعيه من العمال فى القيام بهمة جمع الأموال ، بينما هو مستغرق فى طعامه وشرابه فى ربيع الورد ، حيث تكون جولته من أجل تحصيل الضرائب .

وكان نائب يوسف بن أبى محمد الأول فى الجباية هو : أبو الحسن

(١٢٨) النويرى ، ص ٣٢٠ ، وأنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٢ ، وفيما سبق ص ٣١٣ .
(١٢٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٤ ، وما سبق ، ص ٢١٣ - ٣١٤ .

البونى ، نسبة الى بونة ، وهى عناية الحالية ، كما كان الرقيق (ابراهيم)
الكاتب مؤرخ افريقية والقيروان ، الذى يأخذ عنه ابن الأثير ، وينقله النويرى
تقلا ، من المساعدين الذين يجوبون البلاد فى دورة جمع أموال الحراج هذه .
والى جانب الحراج الذى كان يدفع للبورنى ومساعديه ، كان ليوسف نصيبه
الخاص من الهدايا التى يقبضها أصدقائه المصاحبون له ، وكذلك أفراد
عسكره . والى جانب راتب يوسف بصفته صاحب الحراج كانت له نفقته
اليومية الجارية التى كانت تنقسم الى نفقته الخاصة والذين يصحبونه ، التى
كانت تكلف البونى من مال الحراج مبلغ ٥ (خمسة) آلاف درهم ، الى
جانب نفقات المطبخ والفساكة التى كانت تكلف ٥ (خمسة) آلاف درهم
مثلا ، مما يعنى أن محمل نفقات يوسف بن أبى محمد أثناء موسم الجباية
كانت تبلغ ١٠ (عشرة) آلاف درهم يوميا (١٣٠) .

وكان من الطبيعى أن ينتهج يوسف سياسة مالية تتفق مع منهجه هذه
فى الحياة الناعمة ، وان كانت فى نفس الوقت تطبيقا لوصايا المعز لدين الله
لنائبه بلكين فى مجال السياسة المالية والاقتصادية ، مما يقضى بعدم رفع
الجباية عن أهل البادية والتوصية بأهل الحاضرة خيرا . وتلخص رواية
ابن عذارى تلك السياسة المالية التى طبقها يوسف بأن أهل الحاضرة كانوا
معه فى أمن وعافية ، بينما كان أهل البادية فى « عذاب وغرامة » (١٣١) .

الموقف الضرائبى فى بلاد كتامة :

وإذا كانت الرواية تقول ان يوسف بن أبى محمد كان يخرج فى كل
سنة فيدور على كور افريقية ويجبى الأموال ويأخذ الهدايا من كل
البلاد (١٣٢) ، فالمعروف أن بلاد كتامة كانت مستثناة من دفع الضرائب على
أساس انها بلاد « الأنصار » . ولكنه بعد ثورة أبى الفرج التى أعقبت ثورة
أبى الفهم الخراسانى الداعى الفاطمى شحنها المنصور بالعساكر والعمال
جباة الضرائب - بعد أن كان لا يدخلها عامل قط - فجبوا أموالها وضيقوا
على أهلها (١٣٣) . هذا ، ولو أننا لا نعرف ان كان دوران يوسف على كور

(١٣٠) النويرى ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٣١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٣٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٣٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ . وانظر فيما سبق ، ص ٣١٤ .

أفريقية خلال السنتين التاليتين ، أى حتى عزله سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م كان يشمل بلد كتامة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

وهذا لا يعنى أن عامل خراج أفريقية كان مستبدا بالادارة المالية دون الأمير . ففى سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ، عندما توفى المرصدى ، صاحب خراج القيروان ، رأى المنصور (أبو الفتح) أن يعهد بتلك الوظيفة بعده الى رجلين معا ، هما : محمد بن عبد القاهر بن خلف ، وسلامة ابن عيسى ، اللذين كان عليهما الاجتماع معا فى ديوان خراج المنصورية (١٣٤) ، كنوع من الاحتياط فى التدقيق والرقابة .

محنة البونى : مساعد الخراج :

والظاهر ان تلك الرقابة أدت فى سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م ، الى تغيير الادارة المالية ، بل اتخاذ اجراءات قمعية عنيفة ضد المسئولين عنها . فانقد قام المنصور بالقبض على أبى الحسن البونى نائب يوسف بن أبى محمد ، والمسئول عن الجباية ، والنفقة الجارية ببذخ يوميا على رئيسه يوسف ، وكان ذلك بتهمة الخيانة فى الأموال . ولقد تعرض البونى نظير ذلك الى غرامة - تعادل المبلغ المتهم باختلاسها ، على ما نظن - ولما عجز عن السداد ، كانت عقوبته الذبح ، كالشاة . أما عن يوسف بن أبى محمد ، صاحب أفريقية ، ونائب المنصور فى البلاد ، فإنه عزل ، واستعمل بدلا منه أبو عبد الله محمد بن الى العرب الكاتب (١٣٥) ، ولو ان المنصور عاد الى استعمال يوسف مرة أخرى فى سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م ولكن فى وظيفة ثانوية هى عمالة مدينة متيجة (١٣٦) ، ولو أن ذلك يمكن أن يعنى نوعا من توارث الوظائف العامة مما عرف فى النظم الاسلامية .

ومن المهم الإشارة هنا الى ما تقوله الرواية تبريرا للعقوبة البشعة التى نزلت بالبونى ، من أن المنصور كان يظن أن عنده مالا ، كآى عبد من عبيده يقدمه اليه عندما يطلبه (١٣٧) ، فكان الفقر أو عدم وجود المال عند واحد من خدام الأمير أو أهل دولته تعنى اهانة أو عيبا فى الدولة أو الأمير

-
- (١٣٤) ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٤٥ .
 - (١٣٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ .
 - (١٣٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ .
 - (١٣٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ .

يستحق صاحبه عليه العقوبة العظمى . والحقيقة ان هذا يعنى أيضا أن خزانة الأمير كانت خاوية ، وان حاجته الى المزيد من الأموال التي كان يضيع الكثير منها قبل الوصول الى الخزانة العامة ، اما ضحية الغدر أو فى النفقة الباذخة على العمال ، أو بسبب الاعفاءات الأميرية كذلك الذى حدث سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م ، عندما « ترك المنصور البقايا للرعايا » بمعنى الاعفاء من المتأخرات الضريبية التي كانت أموالا جلييلة عجز أصحابها عن الوفاء بها (١٣٨) . وهو ما يعنى التخفيف من الطبقات الكادحة على كل حال .

نفقات البلاط :

ولما كانت نفقات البلاط هي الأخرى غاية فى البذخ والتبذير ، وخاصة فى المناسبات المختلفة من فرحية وحزنية ، وكذلك النفقات الجارية على الأعوان ، من : الهدايا وأحمال المال ، وتواييت العود (العطر) الخاصة بالدفن ، وعشرات الأنواب الثمينة المخصصة للدفن ، مما كان يرهق الميزانية ، ويدفع الى اتخاذ اجراءات كريمة ضد أصحاب الأموال ، من : المصادرات وأعمال النهب والسلب مما كانت تصدر به ، أوامر الأمير أو مما يسمح به تغاضيه عن عدم انتظام العسكر ، أحيانا أو أعمال الابتزاز فى شكل هدايا ، مما سبقت الإشارة اليه على عهد المنصور خاصة ، وهو الذى وصفت أيامه بانها « كانت أحسن الأيام (١٣٩) » .

أما عن عهد باديس فلا نعرف من أمر الادارة المالية شيئا فى النصوص ، وان استمر المال عصيا للحرب والمؤامرات السياسية . فكما كانت أموال سجلماسة وعددها هدفا لحزرون بن فلفل الزناتى ، عندما دخلها على عهد بلكين سنة ٣٦٥هـ / ٧٥٤م (١٤٠) ، كذلك كانت أموال أشير هدفا لأعمام أبيه (أولاد زيرى) عندما أعلنوا العصيان ، وقبضوا على عمه يطوفت ابن بلكين ، فأخذوا ماله (١٤١) . وكذلك كان للمال دور فى محاولة

(١٣٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(١٣٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ ، وانظر فيما سبق ، ص ٣١٦ : عن هدية المنصور الى العزيز التي بلغت مليون دينار ، وص ٣٢٢ : عن الهدايا والأموال التي خرج بها أبو الفهم الى كتامة ، ص ٣١٧ وص ٣٧٣ : عن الأموال الجلييلة التي وصلها المنصور للثريف الدامى .

(١٤٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٦٦٥ .

(١٤١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

كرامت بن المنصور في منافسة ابن أخيه المعز في الولاية سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م
عندما حاول شراء الجنود بالمال ، فأعطاهم ١٠٠ (مائة) ألف دينار ، وان
لم يقيض لمؤامراته تلك النجاح (١٤٢) .

وهكذا تظهر أهمية السياسة المالية بالنسبة للمرحلة الأولى من
تاريخ الدولة الزيرية بأفريقية ، وان ظهرت أهمية المسائل المالية
والاقتصادية بشكل أكثر وضوحا في المراحل التالية ، حيث يستفحل الملك
الزيري على عهد المعز بن باديس في القيروان ثم في المهدية ، وكذلك الحال
بالنسبة للحماديين في القلعة ثم في بجاية .

الفصل الرابع

المعز بن باديس

(٤٠٦ - ٤٥٤ هـ / ١٠١٦ - ١٠٦٣ م)

يعتبر عهد المعز بن باديس علامة مميزة في تاريخ الدولة الزييرية ، بل في تاريخ المغرب الاسلامي ، من حيث انه كان العهد الذي أنهى مرحلة التشيع الفاطمي في بلاد القيروان وافريقية التي استمرت زهاء قرن ونصف قرن ، ساد فيها المذهب الاسماعيلي الفاطمي على حساب كل من المذهب المالكي الذي كان له السيادة على المستوى الشعبي بفضل كبار المالكية من تلاميذ امام دار الهجرة من أندلسيين كحبي بن يحيى ، ومغاربة كسحنون وابنه محمد ، والمذهب الحنفي ، مذهب الخلافة العباسية الرسمي ، الذي انتشر بفضل رجال الدولة من أصحاب الوظائف الدينية الكبيرة ، كالقضاء والفتوى وامامة المساجد الكبيرة في المدن ذات المنابر . فمن طريق قطع العلاقة بين القيروان والقاهرة على عهد المعز بن باديس واعلان الخطبة على المنابر باسم الخلافة العباسية ، عادت السنة الى أفريقية ، وانتهت أزمة التشيع ومعاناة مشايخ المالكية على أيدي السلطات الشيعية ، وان بدأت فترة معاناة الشيعة الذين دفعوا بدورهم ثمن تشيعهم غالبا .

هذا ، فضلا عن استفحال الملك الزييري على عهد المعز حيث بلغت حضارة القيروان ذروة عصورها الذهبية بفض الاموال الطائلة التي كانت ترد الى بيت المال من مظانها الكثيرة ، من الزراعة والحرف المهنية والتجارة ، وان كانت موارد صقلية قد انقطعت عن المهديية بينما استنزفت الهدايا الموجهة الى القاهرة نصيبا لا بأس به من خزانة بيت المال . هذا ، وان لم يغيب عن الذهن أن انقلاب الأوضاع الاقتصادية في أفريقية الزييرية على أيدي العرب الهلالية ، ربما أعطت صورة مبالغيا فيها بعض الشيء ، عن تضخم الحضارة القيروانية في العهد الزييري ، واستفحال الملك على عهد المعز بن باديس - فبضدها تتميز الأشياء ، كما يقال .

المعز قاصرا تحت وصاية العممة ، السيدة : أم ملال :

ولى المعز الامارة وله من العمر حوالى ٨ (ثمانى) سنوات (١) ، وكانت الشخصية القوية فى قصر الامارة بالمهدية وقتئذ ، هى السيدة أم ملال ، أخت باديس التى تقبلت العزاء فى أخيها المتوفى ، وكذلك التهنئة بولاية ابن أخيها الصغير (النويرى ، ص ٢٣٥) ، فكان ذلك اعترافا منهم بوصايتها على المعز (٢) ، تماما كما حدث فى القاهرة قبل ذلك بحوالى عشر سنوات حينما توفى الخليفة الفاطمى العزيز ، وعهد بالخلافة الى ابنه الشاب القاصر ، الحاكم بأمر الله فوضع تحت وصاية أخته الأسن منه ، وهى السيدة : ست الكل سلطانة ، التى أشارت اليها أصعب الاتهام عندما اخفى الحاكم ذات ليلة ، وهو يجوب بعض دروب جبل المقطم بالقاهرة (٣) .

وهسكنا مارست السيدة أم ملال مهامها كوصية على الأمير الصغير الذى انتقل من المهدية الى المنصورة يوم ١٥ المحرم سنة ٤٠٧ هـ / ٢٤ يونيه سنة ١٠١٦ م ، الى أن يشب عن الطوق ، خلال سبع سنوات ، كانت طوالها من غير شك ، موضع كل تقدير ورعاية من جانب المعز ورجال دولته . فهى عندما اعتلت سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م لعدة أيام قبل وفاتها ، كان المعز يعودها كل يوم ويسمح لرجال دولته وعبيده بزيارتها (٤) . وهى عندما ماتت ليلة الخميس آخر رجب (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) ١٨ أكتوبر ، دفنت فى احتفال مهيب ، يليق بمقام الوصية الرفيع . فلقد صلى على جنازتها بالبنود والطبول ، والعماريات ، والسيداتان الجليلتان : الوالدة والأخت (أم العلو) بحال من التشريف لهذه الجنازة لم ير الملك ولا لسوقه مثلها (٥) .

(١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٧ - بويح وعمره ٨ سنوات و٦ اشهر ، ابن عذارى ، ج ٢ ص ٣٩٥ - ولى عمره ٨ سنوات أو سبعا ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٨ - بويح وعمره ٨ (ثمانى) سنين .

(٢) أنظر المؤنس لابن أبى دينار ، ص ٨١ - حيث النص على أن جدته كانت تباشر الأمور وتصرف الأحوال من رأيها .

(٣) أنظر اتعاط الحفا ، ج ٢ ص ١١٥ - حيث كان فقده فى ٢٨ شوال سنة ٤١١ هـ . وحيث الإشارة الى أن ست الكل كانت امرأة حازمة ، وانها ربما تخلصت منه عندما رماها ذات مرة بالفجور .

(٤) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٢ .

(٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٣ ، الأمر الذى يؤكد ما هو معروف من مكانة المرأة السامية فى المجتمع البربرى (المغربى) بعامة والمجتمع الصنهاجى منه بخاصة ، وأنظر المؤنس لابن أبى دينار ، ص ٨٣ - حيث النص على أنها دفنت بالمهدية ، وأن المعز =

الأحوال الداخلية :

اضطراب العامة بالقيروان :

ولما كانت السيدة أم ملال هي المسئولة عن تدير أمور المعز في بداية ولايته ، فلا ندرى ماذا كان موقفها من تلك الانتفاضة الشعبية التي عرفتها منطقة القيروان سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، والتي قامت ضد عامل الحراج - وربما صاحب السوق أو المحتسب وقتئذ - أبي البهار خلع الذي ستؤول اليه الكتابة أو الوزارة للأمير المعز بن باديس سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م ، بعد قتل وزيره محمد بن الحسن ، في السنة السابقة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م . فلقد اجتمعت عامة القيروان من أهل السوق على أبي البهار لشدة عليهم ، ربما لتشدده في فرض أو جباية ما يجب عليهم من الضرائب ، والجأوه الى الفرار نحو المنصورية حيث تبعوه الى داره هناك ونهبوها . وعندما سار اليه ابن أخيه فيمن كان لديه من الأعوان والعساكر ، نجدة ، نجح العامة في البطش به ، بل وقتله والتمثيل به ، وكذلك قتل كل من كان معه من الرجال . وتمادى العامة في اضطرابهم الى حد زحفهم على المنصورية وهدم دورها - كما تباع الرواية (٦) - . ومن الواضح أن ثورة أهل السوق بالقيروان احتجاجاً على التمسك في الجباية ، كانت تعنى ثورة على الدولة بمعنى مباركة المسئولين لتلك السياسة المالية المتشددة ، وعلى رأسهم

أمر ببيع ٥٠ ناقة و ١٠٠ رأس من البقر و ١٠٠٠ شاة ، انتهبها الناس ، وفرق في مائتها على النساء ٢٠ ألف دينار . وهنا لا بأس من الإشارة الى الاحتفال الكبير الذي شيعت به زوجة نصير الدولة (باديس) والدة المعز ، سنة ٤١٤ هـ / ٢٠٢١ م ، ومن الواضح أنها السيدة الوالدة أم المعز ، حيث كفتت تحت اشراف السيدة أم ملال كما تقضى سلامة الحس - فيما قيمته ١٠٠ (مائة) ألف دينار ، ووضعت في تابوت من العود الهندي الثمين ، مرصع بالمجوهر الثمين ومساميره من ذهب بلغت قيمتها ٢٠٠٠ (ألفى) دينار - أنظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٠ .

(٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ، وقارن ادريس (ه - ر) ، الزيريون بالفرنسية ، ص ١٤٨ - حيث الربط بين هذه الثورة الشعبية وبين رد فعل السنة ضد الشيعة المشاركة الذين قتلوا تحت اشراف والي القيروان ، الفقيه أبا علي بن خلدون الذي كان يتر العامة من السنة ضد الشيعة ، فكان الهجوم على المنصورية ونهب أسواقها كان حوجها من السنة ضد المعز بن باديس . وهذا لا بأس به لولا أنه لا يتفق مع ما هو دارج من وقوف المعز مع السنة ضد الشيعة ، مما يأتي حالا ، ولولا الاعتماد على كتب سير المشايخ اصحاب الكرامات والخوارق . وهذا لا يمنع أن تكون الاضطرابات المذهبية قد استغلت لأغراض سياسية واقتصادية .

الوصية ، السيدة أم ملال ، فهذا ما يستشف مما سوف يتدفقه الأمير المعز
على أبي البهار خلف من الاحسان وزيادة الرتبة الى الوزارة في نفس السنة
التي توفيت فيها عمته ، السيدة أم ملال (ما يعنه ، ص ٤٠٣) .

مناهضة التشيع والعودة الى السنة :

أما أهم ما ينسب الى المعز بن باديس من العودة الى السنة وتتبع الشيعة
والقضاء عليهم ، فاذا صح ما يقال من أنه افتتح ملكه بتلك السياسة منذ
سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦ (٧) ، فانه يكون للسيدة أم ملال نصيبا الذي لا ينكر
في تلك السياسة . حقيقة ان بعض الروايات تنسب تلك السياسة أصلا
الى الوزير العالم والفقير الزاهد أبي الحسن ابن أبي الرجال الذي وقع على
عاقبه تأديب المعز طفلا وتحريضه على حب السنة ومذهب مالك بن أنس (٨) .
ولكن ذلك ما كان يمكن أن يتم الا تحت رعاية السيدة / العمة وشرافها .
ومثل ذلك يصح بالنسبة للروايات الدارجة التي تنسب الى المعز بن باديس
أنه كان منذ بداية ملكه سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م ، « منحرفا عن مذاهب
الرافضة ، منتحلا للسنة ، أعلن بمذهبه أول ولايته ولعن الرافضة ،
والشيعة لا يعلمون ذلك ، وقتل من وجد منهم » (٩) . فليس من المقبول أن
يتخذ طفل صغير قرارات خاصة بشئون دينية خطيرة ، يترتب عليها الموت
أو الحياة لكثير من الناس . والحقيقة أن أكثر الروايات الخاصة بهذه المسألة
تأخذ شكلا قصصيا متقنيا مصطنعا ، إذ تذكر أن المعز خرج في بعض
الأعياد الى المصلى وهو غلام ، فكبابه فرسه ، فقال « أبو بكر وعمر » ، فكادت

(٧) أنظر ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٥ - حيث للنص على ان « أول ما افتتح
به شأنه قتل الرافضة ومراسلة أمير المؤمنين ببغداد - وأنظر القلقشندي ، ج ٥ ص ١٢٤ -
حيث النص على أنه كان منحرفا عن الرافضة والتشيع ، منتحلا للسنة ، وأعلن بذلك في أول
ولايته .

(٨) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٥ - حيث ابن أبي الرجال بدلا من أبي الرجال
التي أخذنا بها . أنظر ادريس (هادي - روجيه) ، الزيريون ، بالفرنسية ، ج ١ ص ١٤٦ .
- حيث القراءة « ابن أبي الرجال ، والشاذلي بو يحيى ، الحياة الأدبية على عهد الزيريين ،
بالفرنسية ، ص ١٣٣ - حيث القراءة « ابن أبي الرجال » .

(٩) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ - هذا ، مع الإشارة الى قتل الدعاء أيضا ، وان كان
ذلك بمناسبة ثورة العامة بالشيعة بعد كبة الفرس المشهورة وقول المعز : « أبو بكر
وعمر » . وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٥٧ - حيث النص على أن المعز أول من حمل الناس
بالفرقية على مذهب مالك . وان اتبع ذلك بالقول وكان الأغلب عليهم مذهب أبي حنيفة .
وأنظر صبح الأفتى ، ج ٥ ص ١٢٤ .

الشيعة التي في عسكره أن تقتله لولا عبيده ورجاله الذين كانوا يكتمون السنة ، إذ قتلوهم واندفعوا يقتلون الشيعة في كل مكان (١٠) . وتتحور تلك الرواية في شكل آخر عندما تقول ان المعز ركب يوماً فمر بجماعة من الراضية الذين يسبون أبا بكر وعمر ، فقال : رضي الله عن أبي بكر وعمر ، فانصرفت العامة من فورها الى درب المعلى من القيروان ، وهو حي الشيعة ، فقتلوا منهم . والرواية هنا تبرر العمل بشهوة العسكر في النهب وطعمهم ، وبإغراء عامل القيروان لهم وتحريضه لأسباب شخصية بحتة (١١) ، الأمر الذي يضعف من صحة تلك الرواية . أما ما تقوله الرواية المحلية التي يقدمها النويري ، والتي تشير الى أن المعز بن ياديس ركب في يوم السبت ١٦ من المحرم سنة ٤٠٧ هـ / ٢٥ يونية ١٠١٦ م ، ومر بجماعة فسأل عنهم ، فقيل : رفضة ، والذين قبلهم سنة . فقال : « وأى شيء الرفضة والسنة » (١٢) . فكأنه لم يكن يعرف شيئاً أصلاً عن الشيعة ولا عن السنة ، وهو الأمر المقبول من حيث أن الأمير المعز الصغير لم يكن قد تم ختانه الا في أواخر سنة ٤٠٧ هـ / مايو ١٠١٧ م (١٣) . ولكنه عندما عرف أن الراضية يسبون أبا بكر وعمر قال : « رضي الله عن أبي بكر وعمر » ، فانصرفت العامة من فورها الى درب المعلى ، حيي الشيعة الى القيروان ، حيث « وقع القتل فيهم فصادفت شهوة العسكر وأتباعهم ، طمعا في النهب ، وانبسطت أيدي العامة فيهم » (١٤) .

مسئولية الأمير : طفلاً قاصراً :

ومن الواضح أن الرواية الأولى ، عند ابن عذارى ، منقبة تنسب الى

(١٠) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٩٥ - حيث النص على قتل ٢٣ ألف شيعي دفعة واحدة في موضع قريب من القيروان عرف لذلك باسم « بركة الدم » ، كما قيل : وصاح بهم في ذلك الوقت صاحب الموت فقتلوا في سائر إفريقية ، كما تقول الرواية : وحكى في قتل الروافض حكايات كثيرة ما رآه المعز في منامه ، وتأويل ذلك وغيره الفينا عن ذكره . والمعز منذ ذلك الوقت ما زال يعمل فكره في قطع الدعوة الى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م .

(١١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٩٤ - حيث الإشارة الى أن عامل القيروان كان يحرض على السلب والنهب لأنه كان قد عزل بعد أن أصلح أمور البلد ، فأراد إفساده قبل تركه . فكان الشيعة ضحية ذلك إذ قتل منهم خلق كثيراً ، وأحرقوا بالنار ونهبت ديارهم .

(١٢) النويري ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(١٣) النويري ، ص ٣٣٨ - حيث النص على انه ختن يوم الأحد ٢٠ ذي الحجة ٤٠٧ هـ /

٢٠ مايو ١٠١٧ م .

(١٤) النويري ، ص ٣٣٦ .

الغلام الصغير علما بأصول التشيع والسنة المالكية ، وتجعل من مقاتل الشيعة نتيجة طبيعية للترضية عن أبي بكر وعمر من قبل الأمير المحيد. للسنة والمالكية ، وكأنها خطة مدبرة من قبل . أما الروايتين التاليتين ، عند ابن الأثير والنويري ، فهما من أصل واحد ان لم تكونا رواية محلية. واحدة قد أصابها بعض التغيير مع التواتر والنقل ، وهما أكثر قبولا من حيث الواقع والمنطق . فالأمير الصغير لا يعرف أصلا معنى الشيعة أو السنة. وكذلك الأمر بالنسبة لتحديد وقت الموكب بشهر المحرم بدلا من يوم صلاة العيد في أول شوال أو في ١٠ من ذي الحجة . فالمحرم هو موسم مقتل الحسين في عاشوراء الذي يحتفل به الشيعة ذلك الاحتفال الحزين الذي يعدون فيه أنفسهم بصنوف اللطم ، ندما وتوبة على التقاعس في نجدة السبط ، الأمر الذي كانت له ردود فعل مضادة من جانب أهل السنة ، مما كان يؤدي عادة الى الفتنة ، وذهاب الضحايا في هذا الجانب أو ذاك .

من كل ما تقدم نخلص الى أن قصة نشأة المعز بن باديس على حب السنة والمالكية وكرهية التشيع وتبعه للشيعة منذ ولايته صغيرا ، منذ سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م ، غير ذات موضوع ، وانه اذا كان ثمة اهتمامات دينية مناهضة للتشيع فانها تكون مرتبطة بأهداف سياسية معينة من جانب المسؤولين عن الدولة ، من الوصية أم ملال ، والوزير أبي الحسن بن أبي الرجال أو محمد بن حسن ، الذي وصل فيما بعد الى الوزارة ، والذي بدأ تسليط الأضواء عليه اعتبارا من سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م ، حيث كان عاملا على طرابلس ثم انتقل الى ولاية أمور المعز وجيوشه (١٥) .

أول اهتمام بالأمور الدينية :

والمهم في هذه المسألة أن تكون تلك هي المرة الأولى في تاريخ الدولة الزيرية التي تحظى فيها الأمور الدينية باهتمام خاص يجعلها في المرتبة الأولى من شئون الدولة ، بمعنى أنها أخذت طابعا عربيا مميزا ، على أساس نظرية ابن خلدون التي تقر نوعا من العلاقة الطردية بين عروبة الدولة واهتمامها بشئون الدين الاسلامي .

فالحقيقة أن اهتمام أمراء الزيريين بأمور السنة ضد التشيع بدأ موازيا مع التوجه نحو الاستقلال السياسي عن خلافة القاهرة الشيعية . فعلى

عهد المنصور الذى قال لوفد القيروان سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م كلمته المشهورة :
« ٠٠٠٠ وما أنا فى هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب ٠٠٠٠ » ، بمعنى
الاستقلالية عن خليفة القاهرة (ماتسوق ، ص ٣٠٩-٣١٠) ، رفع اليد ان عبدا من
عبيده (السودان) قذف بعض الصحابة فأمر بقتله وصلب جثته ، بينما
قطعت رأسه وطيف بها فى القيروان تشهيرا ، مع المسادة عليها بسبب
العقوبة (١٦) ، ردعا للمخالفين وتحذيرا خصوصا للشيعة . هذا ، ولو ان
المنصور كان يجلس بعد ذلك ، فى سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م مع أهل بيته -
حسب أوامر القاهرة ليعطى العهد على التمسك بالمدىب الفاطمى لعبد الله
الكاتب لوزير ، بمناسبة تعيينه داعيا للدعاة (ما سبق ، ص ٣١١) ، واذا
كانت النصوص لا تشير الى شىء من ميول سنية لدى باديس بن المنصور
والد المعز ، فان الإشارة الى سنية الوزير أبى الحسن بن أبى الرجال ،
وميله الى المالكية وتحريضه للأمير الصغير على الأخذ بها والابتعاد عن الرضى
بمعنى التشيع ، يعنى أن السنة كانت قد بدأت تتسلل الى قلب البلاط
الزيرى نفسه ، تماما ، كما حدث فى القاهرة حيث بدأت اتجاهات سنية
لدى بعض الوزراء الذين اهتم بعضهم ببناء المدارس لأهل السنة ، كما حدث
فى الاسكندرية - فيما بعد - من بناء ابن السلار مدرسة الطروشى ،
أقدم مدارس المالكية فى مصر .

أما ما حدث على عهد باديس ، والد المعز ، من قبل العم حماد عندما
خرج عن الطاعة سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م ، وقتل الرافضة ، وأظهر السنة ،
وراجع دعوة آل العباس ، فكان لأهداف سياسية ، ليس (١٧) .

وهكذا من يكن من الغريب أن يتبلور الاتجاه السنى على أوائل عهد
المعز بن باديس بتشجيع من المسئولين من رجال الدولة ، وهذا ما ترجحه
الرواية التى تقول : ان والى القيروان المعزول هو الذى كان يحرض أهل
السوق فى القيروان ضد الشيعة . أما عن الظروف التى أدت الى انفجار
الموقف ضد الشيعة فالأرجح أن يكون ذلك قد حدث بمناسبة الاحتفال
بيوم عشوراء الذى كانت له ردود فعل تؤدى الى الصراع بين طائفتى السنة
والشيعة ، كما كان يحدث فى بغداد بين حى الكرخ حيث الشيعة على الضفة
الغربية لدجلة وحى الرصافة حيث السنة على الضفة الشرقية للنهر . وكان

(١٦) ابن عساقى ، ج ١ ص ٢٤٠ .

(١٧) أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧١ - وما سبق ، ص ٣٢٢ - ٣٢٤ .

النزاع بين الطائفتين يصل الى حد الحرب بينهما . ولكن الذي يثير الانتباه هنا هو أن الشيعة في القيروان وأفريقية كانوا أقلية مستضعفة ، الأمر الذي يعنى أن التشيع كان قد تقلص بشدة خلال نصف قرن أو أقل منذ نقله المعز الى القاهرة : ولا بأس أن يكون التشيع قد ضعف في البلاد منذ ثورة الحوارج النكارية بقيادة أبي يزيد الذي تحالف مع علماء القيروان لفترة من الوقت (ما سبق ، ص ١٧٨) ، الى جانب الدعاية السنية للقوية من قبل الأمويين بالأندلس وأنصارهم من زعماء البربر في افريقية ، ضد التشيع الذي وسم بأبشع النعوت والأوصاف (ما سبق ، ص ٣٥ - ٣٦) ، وذلك رغم جهود المعز الفاطمي النشطة في نشر المذهب ، وخاصة بين الكتاميين الذين ظلوا هدف الدعاة المبعوثين من القاهرة على أيام النيابة الزيرية (ما سبق ، ص ٣٣١ وما بعدها) والتمسك بتعاليمه (١٨) .

مهاجمة حي الشيعة في درب المعلى يوم عاشوراء :

هكذا تكون الثورة بالشيعة المستضعفين في القيروان وأفريقية ، قد وقعت انتهازا لصغر الأمير ، وبمناسبة شهر المحرم والاحتفال بعاشوراء . ولا بأس أن يكون ذلك قد بدأ بمهاجمة درب المعلى ، الحي الشيعي في القيروان ، حيث قتل الرافضة ونهبت دورهم . وسرعان ما انتشرت أعمال العنف ضدهم على طول المدينة وعرضها ، كما راح كثير من الناس ضحية الشبهة في مذاهبهم (١٩) ، حيث قتل خلق كثير منهم . واستمرت مذبحة الشيعة لمدة طويلة ، ففي يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الأولى ٤٠٧ هـ / ١٧ أكتوبر ١٠١٦ م احتسى حوالي ١٥٠٠ نفس منهم بدار محمد بن عبد الرحمن حيث حوصروا وتعرض من كان يخرج منهم لشراء قوته للقتل تصعد ادعاء أنه ظهرت لهم كتب حوت « الكفر والتعطيل للشريعة ، وإباحة المحارم » . وعندما ضاق بهم الحال أخرجوا الى قصر السلطان بالمنصورية حيث تحصنوا هناك خلال الفترة من أواخر جمادى الأولى الى جمادى الثانية (٢٠) .

وفي المهديّة هوجم الشيعة أيضا ، وعندما احتسوا بالمسجد الجامع قتلوا هناك دون اعتبار لحرمة المكان (٢١) .

(١٨) أنظر فيما سبق ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٠٦ ، ٢٥٠ عن نشاط المعز . ص ٣١٤ وما بعدها عن نشاط الدعاة الفاطميين .

(١٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٨٧ .

(٢٠) الزيري ، ص ٣٣٥ ، ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٨ .

(٢١) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٧ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٣٦ .

موقف ترقب ومهادنة في القاهرة :

ورغم ما لحق بالشيعة من الأذى ، وموقف أمير القيروان السلبي ، على الأقل ، فإن العلاقات مع القاهرة ظلت على ما هي عليه من حيث الشكل .
ففي آخر ذي الحجة سنة ٤٠٧ هـ / ٢٩ ماية ١٠١٧ م ، وصلت خلع الحاكم الى المعز بن باديس ، مع لقب شرف الدولة ، « ولم يذكر ما كان منه الى الشيعة من القتل والاحراق » ، كما يقول ابن الأثير (٢٢) .

هذا ، كما تصل هدية أخرى من الحاكم سنة ٤١١ هـ / ١٠١٩ م ، بصحبة ابي القاسم بن اليزيد ، الى شرف الدولة ابي تميم المعز ، تحوي : سيفاً مكلا بنقيس الجواهر وخلعة من ثياب الخليفة وكان دخولها الى قصور المنصورية في ٢٤ من صفر / ٢٠ مايه . ولحق بتلك الهدية سجل حاكمي حملة محمد بن عبد العزيز ، ومعه ١٥ علماً منسوجة بالذهب والخلع التي طيف بها في القيروان . ومع خلافة الظاهر قدم من لدنه رسول وصل المنصورية في ٢٦ جمادى / ١٧ أغسطس ، معه تشریف جليل لأبي تميم المعز وهدية من أفراس مسرجة ، وخلعة ومنجوقان قد نسجا بالذهب (٢٣) .

تحاولة الهجرة الى صقلية :

والظاهر ان مذابح الشيعة سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، أثارت خواطر القوم الذين استشعروا ضعفهم ودقة موقفهم في افريقية ، فقررت جماعة منهم المسير خفية الى صقلية . ففي سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م كانت جماعة منهم ، مكونة من ٢٠٠ (مائتى) فارس بعائلاتهم من النساء والأطفال قد قررت الخروج من البلاد الى صقلية عن طريق المهديّة . ولكنهم عندما وصلوا الى قرية كامل راحوا ضحية تأمر أهل الموضع عليهم ، اذ فاجأوهم ليلاً وهم نيام وقتلوهم . وبلغت شناعة الأمر الى حد الاعتداء على الشابات الجميلات من النساء ، بل وقتلن بعد فضحهن (٢٤) .

(٢٢) السكامل ، ج ٩ ص ٢٥٨ ، وقارن النويرى ، ص ٣٣٨ - حيث التساريخ ٣٠
ذى الحجة ، ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٨ - حيث سجل الحاكم بلقب شرف
الدولة أواخر سنة ٤٠٧ هـ .

(٢٣) اتواط الحنفا للمقریزی ، ج ٢ ص ١١٥ - ١١٦ .

(٢٤) ابن عذارى ، ه : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٨ .

التقيية :

وكان من الطبيعي أن تضع مثل هذه المأساة حدا لمعاداة الشيعة في أفريقية الزيرية لفترة طويلة من الوقت ، وذلك أننا لا نجد في الحوليات المغربية ذكرا لتعرضهم لمثل هذه المتاعب لمدة ١٥ (خمسة عشر) عاما ، الأمر الذي يعنى ان البقية الباقية منهم إما أن يكونوا قد دخلوا في السنة تقية أو تسربوا خارج البلاد خفية أو الى بعض الأماكن المعزولة . فمثل ذلك ما حدث سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٢ م ، عندما احتشدت جماعات من الشيعة وساروا الى أعمال نفضة من بلاد الجريد (قسطنطينية) حيث يتركز الشيعة - حسبما ينص البكري (ص ٧٥) - واستولوا على بعض بلادها واستقروا هناك . ولكنه ما كاد الخبر يصل الى مسامع المعز بن باديس حتى وجه اليهم العساكر لتدور حرب غير متوازنة بين الجند المحترف والتعساء الذين كان عليهم أن يموتوا دفاعا عن الشرف وعن النفس ، حتى آخر رجل منهم (٢٥) .

حسم العلاقات بين الخلافة بالقاهرة والنيابة بالقيروان :

وتسكت الحوليات الافريقية مرة أخرى عن الاشارة الى الصراع ضد الشيعة الى أن تثير موضوع حسم العلاقات الهشة بين الخلافة في القاهرة والنيابة في القيروان والمهدية ، وقطعها بشكل نهائي . والروايات تعرض لهذا الموضوع تحت عدد من العناوين المتباينة ، متدرجة في التوقيت على مدى ٨ (ثمانية) أو ٩ (تسعة) أعوام ، ما بين سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م وسنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ تحت العناوين التالية :

- ١ - الدعوة للقائم (العباسي) سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م .
- ٢ - قطع أسماء الفسطاطيين من الطراز والرايات سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م - مع مبايعة القائم والدعوة له .
- ٣ - قطع الدعوة الفاطمية سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، وتبديل السكة في السنة التي تليها ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م .
- ٤ - لبس السواد (شعار خلافة بغداد) سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م .
- ٥ - زحف العرب الهلالية الى المغرب (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م - ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م) - ويشمل أيضا الدعوة للقائم مرة أخرى ، وهو يساعد من غير شك ، في تجديد تاريخ القطيعة بين القاهرة والقيروان .

اختلاف الروايات :

هكذا تأتي الدعوة للعباسيين في بغداد في حواشي ابن الأثير سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ، تحت عنوان : طاعة المعز بافريقية للقائم بأمر الله ، حيث الإشارة الى الخطبة للخليفة القائم ، وورود الخلع مع سجل التقليد ببلاد أفريقية وجميع ما يفتحه للقائم من بلاد المغرب ، كما أرسلت رموز الامارة من قبل ديوان بغداد ، وتمثل في سيف (مرصع) وفرس (بسرج محلي) وأعلام (مطرزة مذهبة) ، وذلك عن طريق القسطنطينية - احترازا من أن تؤخذ في الطريق البري من مصر الى القيروان . وكان وصول الاعلام يوم الجمعة - دون تحديد السنة - في وقت الصلاة ، فدخل بها الى الجامع والخطيب وقتئذ ، في الخطبة الثانية ، أي قبيل النزول من أعلى المنبر ، ومع ذلك لم يفته الإشارة الى الحدث الهام ، فقال عنها (أي الاعلام) : « هذا لواء الحمد يجمعكم ، وهذا معز الدين يسمعكم ، وأستغفر الله لي ولكم » . ومنذ ذلك الوقت قطعت الخطبة للعلويين ، كما يقول ابن الأثير ، وأحرقت اعلامهم (٢٦) .

وتأتي بعد ذلك رواية لابن خلدون تدعم رواية ابن الأثير السابقة ، تنص على أن المعز بن باديس عندما حنق على اليازوري وانحرف عنه « حلف لينقضن طاعتهم ، وليحولن الدعوة الى بني عباس ، وأنه قطع أسماهم من الطراز والرايات ، وبايع القائم ودعا له سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ، وأنه وصله بعد ذلك أبو الفضل البغدادي ، مبعوث الخليفة العباسي ، وحظي بالتقليد والخلع ، وقرئ كتابه بجامع القيروان (٢٧) . ومن الواضح أن وصول رموز الخلافة عن طريق القسطنطينية استغرق وقتا طويلا فكان في سنة ٤٣٧ هـ /

(٢٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢١ - ٥٢٢ - حيث ايراد نصوص من كتاب ديوان بغداد وفي أوله : « من عبد الله ووليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، الى الملك الأوحى ، نية الاسلام ، وشرف الامام ، وعمدة الأنام ، ناصر دين الله ، قاهر أعداء الله ، ومؤيد سنة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أبي تميم المعز بن باديس بن المنصور ، ولي أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب ، وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين وهو طويل . وقارن النويري ، ص ٢٤١ - حيث نفس النص وإن كان بشيء من الاستفاضة أو الاختلافات الطفيفة مما يرجع أصلا الى التحقيق ، وقارن تماط المنقا للمقرئزي ، ج ٢ ص ١٩٠ ، حيث النص باقتضاب على قطع الخطبة سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م .

(٢٧) العبر ، ج ٦ ص ١٣ - ١٤ .

١٠٤٥ م هذه ، كما يقضى بذلك منطق الأشياء وسلامة الحس (٢٨) .

أما ابن عذارى فيجعل قطع الخطبة لصاحب مصر سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، حيث صاحبها احراق بنوده . وفي ذلك يقدم رواية ابن شرف التي تنص على أن المعز بن باديس أمر وقتئذ ، بالدعوة على منابر أفريقية للعباس بن عبس المطلب ، ويقطع دعوة الشيعة العبيديين ، فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة ، ولبقية العشرة (رضه) (٢٩) .

الاتصال ببغداد ونوع من العصيان المدني بالقيروان :

ومع أن رواية اتعاط الخنفا (ج ٢ ص ٢١٦) تقدم سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م كتاريخ لقطع الدعاء للمستنصر ، فإنها تضيف أن عهد بغداد أرسل بصحبة أبي الفضل بن عبد الواحد التميمي ، وأنه قرىء بجوامع القيروان الذي نشرت فيه الرايات السود ، مع النص على هدم دار (الدعوة) الاسماعيلية بالقيروان . أما عن مقدمات القطيعة التمهيدية فيفهم منها أنه كان هناك نوع من المقاومة الشعبية ، مما يسمى بالعصيان المدني من قبل أهل القيروان ، وذلك فيما يتعلق بمقاطعة صلاة الجمعة حيث عمد ملوك صنهاجة أن تكون الخطبة باسم خلفاء الفاطميين ، وأن هذه المقاطعة كانت تزداد حدة مع مرور الوقت الى أن انتهى الأمر بأن قطع أهل القيروان صلاة الجمعة - التي تعطلت دهرًا - الى أن رأى المعز قطع دعوتهم فكان لذلك سرور عظيم بالقيروان (٣٠) .

(٢٨) قارن اتعاط الخنفا ، ج ٢ ص ٢١٤ - حيث يضع المقرئ ذلك في سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، ورسول الخلاة هنا هو أبو غالب الشيزري الذي قبض عليه في بلاد الروم وأرسل الى المستنصر فزف في القاهرة مجوساً على جعل قبل أن يحرق المهدي واللواء والهدية في حفرة بين القصرين . هذا ، وتؤكد رواية أخرى (ج ٢ ص ٢٢٢) في سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ، تحت عنوان محضر القنح في نسب الخلفاء المصريين ، تفسر سبب ذلك بما عمل مع الرسول المرسل الى المعز بن باديس الذي شهر به بالقاهرة على جعل مقلوب والكتاب في عقده ثم أحرقت الخلع والتقليد وأعيد الرسول الى ملك الروم ، بسبب الهدنة المعقودة بين القاهرة والقسطنطينية ، والتي كان قد بقي منها ستان .

(٢٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٩ .

(٣٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧٧ - حيث النص على أن بعض القيروانيين كان اذا بلغ المسجد ظهر الجمعة ، قال سرا : اللهم أشهد . ثم ينصرف يصلي ظهراً أربعا ، وإن حاله تنهى وحتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد ، فتعطلت الجمعة دهرًا ، ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٠ .

لعن الفاطميين :

ويضيف ابن شرف الى ذلك أن الأمر لم يقف عند استبدال الخطبة العباسية بالفاطمية ، بل ان الأمر تجاوز خلع العبيديين الفواطم الى التصريح بلعنهم من أعلى المنابر ، وذلك في خطبة عيد الأضحى - ١٠ ذي الحجة - ٤٤٠ هـ / ١٦ ماية ١٠٤٩ م (٣١) ، كما كان يفعل الأمويون أصحاب الأندلس على عهد عبد الرحمن الناصر ، وأتباعهم من أمراء الزناتيين من : مكناسين ومغراويين أو من الحسينيين الأدارسة ، مما سبقت الإشارة اليه (٣٢) فكان الصنهاجيين قد تبادلوا المواقف مع الزناتية ، وان كان ذلك لحسابهم الخاص ، بعد سقوط الدولة الأموية العامرية ، وقيام نظام ملوك الطوائف الذي هيا الفرصة لكي ييسط أبناء صنهاجة الصحراء المغربية الكبرى سلطانهم على الأندلس ، فكاننا الآن على عتبات العصر الصنهاجي الكبير في كل المغرب والأندلس .

احراق البنود وتبديل النقود والدعاء لخليفة بغداد :

أما عن ابن خلدون فهو يلخص الأوضاع الجديدة بين القاهرة والقروان بعد أعمال العنف والقتل ضد الشيعة بشكل عام ، والدعاة منهم ، بقوله : « وامتعض لذلك خلفاء الشيعة بالقاهرة وخاطبه وزيرهم أبو القاسم الجرجاني محذرا ، حتى أظلم الجو بينه وبينهم الى أن انقطع الدعاء لهم سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م على عهد المستنصر من خلفائهم ، وأحرق بنوده ، ومحا اسمه من الطرز والسكة ، ودعا للقائم ابن القادر (٣٣) . »

(٣١) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠١ - حيث النص على قول الخطيب في لعنهم : « اللهم ألن الفسقة الكبار ، المارقين الفجار ، أعداء الدين .. المخالفين لأمرك .. المتبعين غير سبيلك والمبدلين لكتابك .. اللهم وان سيدنا أبا تميم المنصور بن باديس بن المنصور القائم لديتك ، والناصر لسنة نبيك والرافع لواء أوليائك يقول : معدقا لكتابك .. مدافعا لمن غير الدين ، وسلك غير سبيل الراشدين المؤمنين : يا أيها الكافرون لا أعيد ما تمدون » .

(٣٢) ما سبق ، ص ٣٥ ويضيف (بن شرف) ان الأمر ازداد حدة في الجمعة التالية - ١٧ ذي الحجة اذ أبلغ الخطيب بسببهم على منبر القروان بأشنع من هذا السب - ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠١ .

(٣٣) العبر ، ج ٦ ص ١٥٩ - حيث الإشارة أيضا الى أن خطاب القائم وكتاب عهده للمعز ووسائل صحبة داعيته أبي الفضل بن عبد الواحد التميمي ، فرماه المستنصر خليفة العبيديين بالمغرب بنى . خلال الذين كانوا مع الغرامطة ، وهم : رباح وزغبة والأنبج ، وذلك بمشاركة من وزيره أبي محمد الحسن بن علي اليازوري .

وتأتى رواية دخول العرب الهلالية الى أفريقيا سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م في حوليات ابن الأثير ، لتؤكد في المقدمات والأسباب ان سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م هي السنة التي خطب فيها المعز بن باديس للقائم بأمر الله العباسي ، وبالتالي التي قطع فيها خطبة المستنصر العلوي (٣٤) .

وهكذا تتسلسل المقاومة الشعبية للمذهب الاسماعيلي الفاطمي ، منذ بداية عهد المعز بن باديس في سنتي ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م و ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م بإشراف رجال الدولة المسئولين من : الوصية أم ملال عمه المعز الى الوزير ابن أبي الرجال ، وعامل الخراج أبي اليهار ، والوزير محمد بن الحسن ومن كان تحت امرتهم من : والي القيروان أو قواد العسكر الذين كان يستهويهم النهب والسلب بصرف النظر عن الدوافع أو الأسباب - وتلك مرحلة أولى .

مسئولية المعز شابا راشدا :

أما المرحلة الثانية فهي التي تنسب الى المعز شابا راشدا يقدر مسؤولياته ويقيم نتائج أفعاله ، وتبدأ بأحداث الشيعة في نفطة سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٢ م ، والمعز في الخامسة والعشرين ، وقد تمرس بأعمال الحكم ، وتنتهي بالقطيعة مع الخلافة بالقاهرة سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ، وهو في عنفوان السابعة والثلاثين من عمره ، مما يذكر بعنفوان صلاح الدين في مثل تلك السن عندما قاد رجاله ليحقق نصره العالمي في حطين - بعد أن قضى من قبل على الخلافة الفاطمية في القاهرة ، مع فارق الظروف والأحوال .

والحقيقة أن تحديد تاريخ القطيعة بين القاهرة والقيروان بسنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ، حسبما سبق عرضه يستدعي وقفة قصيرة ، من حيث وجود رواية أخرى تحدد ذلك بسنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، وان كان ذلك يأتي عرضا في ثنايا الاعداد لهجرة الهلالية الى المغرب . والحقيقة انه يمكن التوفيق بين التاريخين دونما تعارض ، وذلك اذا أخذنا بسنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م على أنها سنة القطيعة ، من حيث اجابة خلافة بغداد لمسعى القيروان للدخول في طاعتها بدلا من طاعة القاهرة ، وهو الأمر الذي كان يتم في السر خفية من وراء ظهر خلافة القاهرة ، بطبيعة الحال . والدليل

(٣٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٦ - حيث يضيف انه عندما كتب المستنصر الى المعز يهدد ، أقلظ المعز في الجواب ، وكان ما كان من تدبير الوزير اليازوري من الاصلاح بينه القبائل العربية وإطلاقها نحو الفريجية .

على ذلك هو تجشم عناء ارسال شعارات الامارة الى المعز بن باديس عن طريق القسطنطينية (ما سبق ، ص ٢٨٩) .

وهكذا تكون فترة الخمس سنوات من ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م الى ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، قد انقضت في محاولات من جانب خلافة القاهرة في رد الامير الصنهاجي عن انحرافه نحو القاهرة ، الأمر الذي تأكد فشله تماما سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م فكانت القطيعة النهائية التي انتهت بلعن خلفاء الفاطميين في عيد الأضحى من سنة ٤٤٠ هـ / ١٦ مايو ١٠٤٩ م . وفي سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م التالية ، بدلت السكة عن أسماء الخلفاء الفاطميين من بنى عبيد ، وذلك في شهر شعبان / ديسمبر ١٠٤٩ - يناير ١٠٥٠ م .

وهكذا ألغيت الدنانير والدراهم التي كانت تحمل أسماء خلفاء الفاطميين ، وسبكت الدنانير التي كانت في بيت المال ، وكانت أموالا عظيمة . وخرجت الدنانير الجديدة تحمل على أحد وجهيها الآية التي تقول :
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين .
وفي الوجه الآخر حملت الشهادة : لا اله الا الله محمد رسول الله .

والهم أن الغاء الدنانير الفاطمية لم يكن له تأثير على الأسواق في القيروان أو غيرها من المدن الافريقية ، وذلك أن دار السكة ضربت كميات كبيرة منها ، كفت الطلب في الأسواق وزادت (٣٥) .

وهذه المرحلة الثالثة انتهت بالقطيعة النهائية التي يرمز اليها باتخاذ اللون الأسود شعار العباسيين في جمادى الآخرة سنة ٤٤٣ هـ / أكتوبر ١٠٥١ م (٣٦) . وبذلك انفرجت الأزمة الفاطمية على مستواها الديني والمذهبي ، حيث تتبلور الشخصية الخاصة لبلاد المغرب تحت مظلة السنة

(٣٥) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٢ .

(٣٦) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٤ - حيث النص على أمر المعز باحضار عدد من الصباغين واعطائهم ثيابا بيضا من فندق الكتان لكي تصنع سوادا وبعد ذلك أعطيت للخياطين لتقطع أثوابا فرقاها على الفقهاء والقضاة والخطباء والمؤذنين الذين اجتمعوا لديه في قصره ، لكي يكتسوا بذلك السواد . وهكذا كان الخطيب يصعد منبر القيروان في الثياب السوداء شعار الخلافة العباسية ويدعو للخليفة القائم بأمر الله ، كما دعا بعده للسultan المعز بولولده أبي الطاهر تميم ولي العهد .

الملكية ، وعلى اكتناف العصبية الصنهاجية . فى كل من أفريقية التونسية
وبلاد الغرب المراكشية الفاسية .

من هذا العرض للأحوال الدينية وما قام من النزاع بين المهديية
والقاهرة على عهد المعز بن باديس بفضل توجه الدولة الصنهاجية حكومة
وشعباً ضد المذهب الاسماعيلى الفاطمى ، والعمل على احياء المذهب المالكي
الذى أعلن انتصاره بعد فترة من التنازع أشبه بما يسميه ابن خلدون
بالمطالبة ، مما يتعلق بالصراع بين نظامى حكم أحدهما قديم متهالك ،
والآخر جديد متماسك ، الأمر الذى لا تتضح معالمه الا بالقراءة النظر على
الجوانب الأخرى من المشكلة ، مما يشمل فى بقية الأحوال الداخلية فى الدولة
الصنهاجية .

أقرار الأمن ومواجهة الفتن الداخلية :

إذا كانت مطاردة الشيعة وما ترتب عليها من ردود فعل انية او
مستقبلية قد تعتبر علامة ناشزة فى عصر المعز بن باديس الذى يعتبره
ابن خلدون عصر استفحال الحضارة الزيرية ، بل الافريقية ، فان الحقيقة
قد تكون مختلفة بعض الشيء . فلقد عرف عهد المعز الى جانب مشكلة
الشيعة عدداً من المشاكل المشابهة التى عكرت صفو الأمن والسلام وقتئذ ،
كما سببت المتاعب للأمر وأسأمت الى نظام الحكم والادارة ، مثل الفتن
الطائفية التى شاركت فيها جماعات زناتة وكتامة ، بل وصنهاجة ، مثل
تلكاته ، والفتن الاقليمية والمحلية بين بعض المدن وغيرها أو بين أهل المدينة
الواحدة ، كما فى الزاب وجربة وتونس .

النزاعات العرقية من زناتية وغيرها :

على عكس ما كان يظن من أن المشكلة الزناتية كانت قد هانت فى
بلاد أفريقية منذ القضاء على الثورة النكارية لأبى يزيد ، بل وانها كانت قد
انتهت تماماً بعد أعمال زيورى وبلكين ضد زناتة التى أخرجت ، ليس من
أفريقية وحدها ، بل ومن المغرب الأوسط مما سبقته الإشارة اليه
(ص ٣٣٠) ، فالحقيقة أنه كانت قد بقيت للمشكلة الزناتية ذبول نابسة
من أسلوب حياة الزناتية ، بصفتهم قبائل رعوية لا تعرف مفهوم الوطن
بمعناه الجغرافى السياسى ، من حيث أن المههم لديهم هو الحرية السياسية ،
وعدم الخضوع لسلطان الدولة ، وبالتالي التنقل من أرض الى أخرى ، حسبما

تحكم الظروف وتقضى الأحوال . وهكذا نفاجأ بظهور الزناتية وحلفائهم من قبائل البربر (البترية) ما بين الفينة والأخرى ، بل انهم ربما همدوا العاصمة القيروان نفسها ، ولكن الى حين . وذلك ان كل لقنات المعز بالزناتية كانت تنتهى دائما لصالح المعز وعساكره ، بمعنى أن بقاياهم كانوا قد ضعفوا حقا ، فلم يعودوا يشكلون تهديدا خطيرا للدولة الصنهاجية .

وهكذا يجمل ابن خلدون موضوع الصراع بين المعز وزناتة فيقول : « كانت بينه وبين زناتة حروب ووقائع كان له الغلب فى جميعها ، كما هو مذكور » (٣٧) . وباستعراض الحوليات الزناتية الصنهاجية قبيل عهد المعز نجد أن والده باديس حاول استرضاء بنى خزرون وأقطعهم طبنة (ما سبق ، ص ٣٤٧-٣٤٨) وأكرمهم حتى صار اكرامه لهم مضرب الأمثال ، ودليلا على سخامة ملك بنى زيرى بافريقية والقيروان ، اذ أعطى باديس بن المنصور لفلول بن سعيد الزناتى ٣٠ حملا من المال و ٨٠ نختا من الثياب (٣٨) . ورغم ذلك فقد كانت العلاقة متارجحة دائما ما بين الوثام والحصام بين باديس وسعيد ابن خزرون ، بمعنى أن عدم الثقة كان هو الأصل فى العلاقة بين الطرفين على كل حال . وهكذا قضى باديس سنواته الأخيرة فى صراع مع بنى خزرون الزناتية فيما بين بلاد الزاب فى غرب أفريقية وما بين طرابلس فى شرق البلاد ، حيث أثاروا الاضطراب فى اقليمها ، وغلبوا عليه مع محاولة الاستعانة بتأييد الخلافة الفاطمية فى القاهرة ، (ما سبق ، ص ٣٥٥) .

مهاجمة دواب المعز فى قابس :

والمهم أن أول ذكر لأعمال عدائية من جانب الزناتية على عهد المعز تقع فى سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م ، وتظهر فى شكل تحذ شخصى للمعز ، وإن كان بشكل غير مباشر . اذ أغارت زناتة أفريقية على دواب للمعز بن باديس فى منطقة قابس ، بهدف أخذها ، لولا يقظة الوالى هناك الذى خرج لهم وقتلهم ، ونجح فى هزيمتهم (٣٩) . وهذا يعنى أن الفارة أتت من قبيل زناتة المستقرين فى شرق المملكة ، فى إقليم نقرارة الذى استقروا فيه عندما أعطاهم باديس اياه بدلا من طرابلس (ما سبق ، ص ٣٥٦) ، وبعد حوالى

(٣٧) العبر ، ج ٦ ص ١٥٩ .

(٣٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ - حيث لفلول بن مسعود بدلا من سعيد .

(٣٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٢٢ .

٤ (اربع) سنواً تسرب فيابل زنانه الى اقليم نزاره وما يتاخسه من بلاد قسطنطينية ، وهى بلاد الجريده ، اذ تقبول الروايه انهم خرجوا (اى عصوا) هناك سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، فقطعوا الطريق وأفسدوا البلاد ، وكان على المعز بن باديس أن يواجه اضطرابهم هذا بما يناسبه من الأعمال العسكرية المفاجئة ، قبل فرارهم فى بحار الرمال التى اعتادوا عليها ، فسير اليهم جيشا ، جريده ، وأمرهم أن يجدوا السير ويأخذوا العصاة على حين غرة ، قبل أن يصلهم خبر قدومه اليهم . وهذا ما حدث فعلا اذ انتهت المفاجأة بقتل كثير من الزناتية حيث قطعت رؤوس ٥٠٠ (خمسمائة) رجل منهم ، وضعت فى أعناق الخيل وكأنها أعلاق نفيسة ، وسيرت الى المعز الذى استقبلها باحتفال كانت له أصداؤه القوية فى منطقة القيروان(٤٠) .

مهاجمة المنصورية :

ورغم محاولات التهديئة ما بين المعز وزناتة ، بل وكذلك بينه وبين كتامة ، حيث انتهت المراسلات بينهم بالصلح والدخول فى الطاعة سنه ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ، على أن يكون من حق الزناتية خفارة الطريق وحفظهما فى نظير اعطائهم مواطن آمنه لهم ، واجراء الأموال المستحقة لهم نظير قيامهم بأعمال الحراسة(٤١) . فالظاهر أن تلك المفاجأة وذلك التمثيل الذى نزل بقتل الزناتية فى تلك الوقعة المفاجئة جعلت زعماء زناتة يعسدون بدورهم مفاجأة مدهشة للمعز ، وذلك أنهم قرروا فى ثورتهم التالية سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م أن يكون هدفهم هذه المرة هو حضرة المنصورية ، حيث المعز نفسه « طمعا فى الملك » ، كما يقول ابن عذارى(٤٢) ، أى قلب نظام الحكم ، كما يقال الآن ، والاستيلاء على السلطة . وهنا كان على المعز شخصياً أن يواجه الخطر فجمع العساكر وسار بهم نحو التجمعات الزناتية المتربصة به . وتم اللقاء فى موضع يعرف بـ « حمديس الصابون » وانتهى القتال الشديد بهزيمة زناتة الذين قتل منهم العدد الكثير ، وأسر مثلهم ، بينما فر الباقون الى الغرب ، وعاد المعز ظافراً غانماً الى المنصورية(٤٣) . والذى يثير الانتباه هو تصميم الزناتية لمستوى الصراع مع المعز بحيث كان هدفهم فى سنة

(٤٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٤٠ .

(٤١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٧٧ .

(٤٢) البيان ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ .

(٤٣) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ . ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٣٧ .

٤٢٧ هـ / ٣٥ - ١٠٣٦ م هو الحضرة المنصورية التي زحفوا عليها مرة أخرى ، كما نجحوا في التفوق على قوات المعز التي خرجت للقائهم ، فهزموها في موضع يعرف « بالجفنة » قرب القيروان (٤٤) ، ولو أن المعز نجح في تقويم الموقف بعد قتال شديد صيرت فيه صنهاجة ، وانهزمت زناتة هزيمة قبيحة ، وقتل منهم عدد كبير ، وأسر عدد كبير (٤٥) . وفي السنة التالية ٤٣٨ هـ / ٣٦ - ١٠٣٧ م خرج اليهم المعز بنفسه مرة أخرى ، ولم يكتف بكسرهم وهزيمتهم (٤٦) بل انه تتبعهم الى مساكنهم في البلاد فخربها ، كما هدم قصورهم أو حصونهم (٤٧) . واستمرت أعمال القمع التي قام بها المعز ضد الثوار في السنة التالية ٤٣٩ هـ / ٣٧ - ١٠٣٨ م ، حيث سير عساكره الى بلاد الزاب حيث فتح موضع « قورس » وقتل من ثوار البربر هناك خلقا كثيرا ، كما فتح مواضع من بلاد زناتة ، واستولى على قلعة « كردوم » من حصونهم القوية (٤٨) .

وفي سنة ٤٣٠ هـ / ٣٨ - ١٠٣٩ م زحف المعز الى زناتة بجهات طرابلس ولكنهم خرجوا اليه وهزموه هزيمة منكرة ، انتهت بمقتل عبد الله ابن حماد وسبب الأميرة أخت المعز « أم العلو » التي أطلقت وردت الى أخيها الأمير بعد حين (٤٩) .

أما عن الحملة التي سيرها المعز في سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م ضد زناتة فكانت بقيادة ولي العهد الأمير نزار الذي حقق النصر على الزناتية ، وعاد متوجا بأكليل الغار (٥٠) . وفي نفس السنة (٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م) كانت قوات المعز توقع بالثوار من قبائل لواتة (البثرية البدوية أيضا مثل زناتة)

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٦ .

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٦ .

(٤٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٦ .

(٤٦) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ .

(٤٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٥٣ .

(٤٨) النويري ، ص ٣٤٠ .

(٤٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣ . هذا وتشير الرواية الى أنهم هزموا المعز مرة ثانية

عندما أراد الثار فزحف اليهم ، وان أتاحت له الكرة عليهم فغلبهم وأذعنوا لسلطانه .

(٥٠) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ - حيث النص على انه عند قوله أنسلم

ابن شرف قصيدته التي أولها :

بالسعد والاقبال والتسكين

طلعت من الغربي شمس الدين

هزيمة موجعة ، وتقتل عددا منهم ، وتغنم من أموالهم (٥١) . وان كانت
الرواية لا تحدد الموضع الذي أنزلت به تلك العقوبة بلواعة ، فمن الواضح
ان يكون ذلك في الاقاليم الشرقية ما بين برقة ونفزاوة .
اضطراب قبائل تلكاة الصنهاجية :

والغريب أيضا أن بعض قبائل صنهاجة كانت مضطربة هي الأخرى ،
الأمر الذي كان يسبب المتاعب للدولة الزيرية ، من : الهزائم في الحرب
والاضطرابات الداخلية أوقات السلم . والمثل لذلك قبائل تلكاة التي كانت
السبب في هزيمة جيوش المنصور أمام قوات زيري بن عطية الزناتي
المغراوي ، ضاحب فاس (ما سبق ، ص ٣٤٩) . ففي سنة ٤٣٩ هـ /
١٠٤٧ م ، قامت حرب طائفية بين جماعات من قبائل تلكاة ، طالبت واشتدت
بما فيه الكفاية الى حد قتل الكثيرين منهم (٥٢) .

الاضطرابات الاقليمية :

والى جانب النزاعات القبلية عرف عهد المعز بن باديس الاضطرابات
الاقليمية ، كما في الزاب وجربة ، وبين المدن كما بين القيروان وسوسة أو
بين أهل المدينة الواحدة ، كما في كل من القيروان وتونس ، الى جانب
ما كان يقوم به بعض عمال الدولة وكبار الموظفين فيها ، وخاصة من العاملين
في الجباية وديوان الخراج أو غيرهم حتى من الأمرين بالمعروف ، من أعمال
كانت تثير ردود فعل عنيفة من قبل الأمير ، ومن عساكر الحرس ، أو ما كان
يشير خواطر العامة ويؤدي بالتالي الى الفتنة .

ففيما يتعلق بالاضطرابات الاقليمية في بعض المناطق التي عرفت
بمبولها الفردية أو الانفصالية ، تطلب الأمر من المعز تسيير العساكر الى
بلاد الزاب سنة ٤٢٩ هـ / ٣٧ - ١٠٣٨ م ، حيث تم فتح حصن قورس ،
وقتل خلق كثير من البربر ، الأمر الذي ربما كانت له علاقة بثورة زناتة في
ذلك الوقت (٥٣) . وفي سنة ٤٣٠ هـ / ٣٨ - ١٠٣٩ م دخل بعض قواد

(٥١) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ - وبمناسبة ورود خبر الاياع بلواته
ضربت الطبول ، كما أشهد ابن شرف قصيدته التي يقول فيها :

باليمن والسعد سعدو بالظفر
مرفق السورد غانم الصدر

(٥٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٤٢ .

(٥٣) التويري ، ص ٣٤٠ .

المعز بن باديس جزيرة جربة ، المعروفة بميولها الانعزالية ومذاهبها الانفصالية ، وقتل رجالها ، وأسر مقدمهم ابن كلده ، وصلبه : عقوبة قطع الطريق والافساد في الأرض ، فضلا عن سوء اعتقادهم(٥٤) ، حيث كانوا من الاباضية النكارية ، مذهب أبي يزيد صاحب الحمار . والظاهر انه لنفس هذه الأسباب كانت جزيرة جربة في السنة التالية ٤٣١ هـ / ٣٩٩ - ١٠٤٠ م ، هدفا مغارة بحرية من قبل جيوش مالقة ، كما تقول رواية ابن عذارى ، التي فتحتها وانتقمت من أهلها فقتلت الكثيرين منهم(٥٥) .

أما عن الفتن في المدن فتشير الحوليات الافريقية الى الفتنة التي قامت في القيروان سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م بين الأجناد وبين العامة من أهل القيروان ، والتي أدت الى قتال دام بين الطرفين وانتهت نهاية حزينة بالنسبة لأهل العاصمة ، اذ قتل من عامتهم ٢٠٠ (مائتي) رجل(٥٦) . وعن الخلاف الذي وقع بين أهل تونس وأدى الى تنازعهم فيما بينهم سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م ، فقد تطلب تدخل مباشر من المعز نفسه الذي نجح في تسكين الفتنة بفضل الإصلاح بينهم(٥٧) . وفيما يتعلق بالفتنة التي كانت قائمة بين أهل القيروان وأهل مدينة سوسة ، ميناء القيروان فانها انتهت بالصلح بين أهل المدينتين التوأمين سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م . والظاهر أن سعاية أهل الحير بين الطرفين انتهت باقرار الحق للسوسيين على أهل القيروان ، وذلك أنه كان على القيروانيين أن يقيموا الدعوات الكريمة للسوسيين وكانت تنتهي بغسل الأيدي بماء الورد ، ومسحها بمناديل الشرب الرقيقة وزيادة في التكريم(٥٨) .

ما بين الدعوة للفاطميين والأمر بالمعروف :

والى جانب ذلك هناك ذكر لما يمكن أن يكون محاولة لاثارة الفتنة عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي المسألة الشبيهة بما كان يقوم به دعاة الفاطميين قبل ذلك لحساب خلفاء القاهرة وخاصة في بلاد كتامة ، مثلما فعل أبو الفهم وأبو الفرج (ما سبق ، ص ٣٣١ ، ٣٣٤) مع الفارق

(٥٤) النويرى ، ص ٣٤١ .

(٥٥) البيان ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٧ .

(٥٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ .

(٥٧) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٢٦ .

(٥٨) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٣ .

في الامكانيات وبالتالي في الهدف ، ولو أنه يمكن ان يفهم من تفصيلات
احدث أنه كانت هناك نسة علاقة بين الأمر بالمعروف هنا وبين خسارة
القاهرة ، ففي شهر رجب سنة ٤٤٢ هـ / نوفمبر ١٠٥٠ م كان أحد الوعاظ
القيروانيين ، وهو أبو عبد الله بن عبد الصمد ، الذي عرف بأنه فقيه
زاهد ، يطرد من مدينته القيروان ، تحت الحراسة المشددة نحو مدينة قابس
انتظارا للقافلة التجارية الخارجة من القيروان الى مصر لتحمها الى هناك ،
هذا ، وصدرت الأوامر الصارمة الى عامل قابس بعزل الرجل ، فمنع الاتصال
به ، كما حرم من مغادرة موضع اعتقاله .

أما عن الأسباب التي أثارته كل هذه الاحتياطات وتلك الضجة حول
أبي عبد الله بن عبد الصمد الواعظ ، فإنه كان يشهد الناس الى حلقات
وعظه بسبب حدة لسانه ، الأمر الذي استدعى تحذير المعز بن باديس له .
والظاهر أن الرجل في وعظه لم يكن يتعرض لموضوعات سياسية تثير
الحكومة ، بل كانت موضوعاته تتعلق بأمر خاصة بالزهد والتصوف ، مما
يتعلق بموضوعات الفيض والحلول الالهية أو ما شابه ذلك ، وهي الموضوعات
التي أثارته من كان يجتمع حوله من فقراء القيروان ، أي عبادها وصلحائها ،
الذين استبشعوا مقالاته ، « فرفعوا رقاعهم الى المعز بذلك » ، فاتخذ قراره
بالنفي عن البلد ، بعد أن كان قد أنذره وأعدده .

ولكن الذي حدث هو أن الرجل المتصوف الصالح لم يقدر له الوصول
الى مصر حيث قتل وهو في القسافة ، في الطريق . وهنا لم يسكت
عبد الصمد والد أبي عبد الله الذي كان يمارس وظيفة الوعظ التي أخذها
ابنه عنه ، بجامع الفسطاط (مصر) ، وأشار بأصابع الاتهام الى أمير
القيروان ، وقرر أن ينتقم منه انتقاما يتفق مع بشاعة الجريمة التي ارتكبت
في حق فلذة كبده ، عن طريق استخدام أقصى ما يمكن من وسائل الإعلام
في ذلك الزمان . فقام الرجل في التو واللحظة بالمسير الى مكة ، فكان يطوف
بالكعبة خلال الموسم ، وهو يصيح « يارب المعز ، عليك به يارب » .

وهنا تكون المناسبة لتفسير سبب خراب ملك المعز بن باديس بدعاء
ذلك الرجل بل والتأكيد على أنه « لم يشك أحد في إجابة » دعوته « (٥٩) » ،
فكان حكومة المعز التي توصف بضخامة ملكها وترفها وبندخها ، كانت

تضعف من أن تقف أمام دعوة مظلوم ، فما بالك بدعاء كل الكارهين
لنظام ، من مظلومين وغير مظلومين ، لأسباب حقيقية أو لمآرب شخصية .

حما بين الأمير والوزير ورجال الدولة :

من أهم ما يميز حكومة المعز بن باديس هو طول عهده الذي امتد زهاء
نصف قرن (٤٨ سنة : ٤٠٦ - ٤٥٤ هـ / ١٠١٦ - ١٠٦٥ م) ، مما يسمح
بالمقارنة مع بعض أمراء الاسلام القرينى العهد به ، مثل عبد الرحمن
الناصر بالأندلس (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) ، والمستنصر الفاطمى
بلقاهرة (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) .

تكوين أسرة أميرية :

حقيقة أن المعز ولى الملك وهو غلام صغير فى الثامنة ، الأمر الذى
يمثل نوعا من القصور فى أسلوب الحكم ، الا أنه فى نفس الوقت كان فرصة
للتدريب العملى ، وتطبيق ما كان يمكن أن يتلقنه من نظريات الحكم وفلسفة
السياسة المدنية . ولما كان أول ما يجذب الاهتمام فى ذلك العصر ، أن
يكون الأمير أسرة تتوارث الملك ، فلأن ذلك الأمر كان يمنع الاختلاف بين
أفراد العائلة الكبيرة من : الأعمام الصغار والاخوة الطموحين وأبنائهم
الكبار . وهنا يمكن تفسير وصول زاوى بن زيرى ، عم والد المعز الأكبر
من الأندلس سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م ، والحفاوة التى قوبل بها من قبل المعز
(ما سبق ، ص ٣٦٧ وهـ ١١١ ، وص ٤٠٦) ، بأن ذلك يعنى تأييدا لامارة
المعز وسندا لا يستهان به .

زواج المعز بن باديس :

وهكذا كان على الأمير الصغير أن يتأهل للزواج ، بدأ بختانه الذى
حدث فى أواخر ذى الحجة سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م (النويرى ، ص ٣٣٨) .
أما عن زواجه الذى مر عليه ابن عذارى سريعا ، رغم المبالغة فى وصفه بأنه
« ما تهبأ قط لأحد من ملوك الاسلام ، اكتفاء بما شرحه الرقيق فى كتابه ،
فقد كان فى سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م . » ويذكر لابن أبى ديسار . رغم
تأخره ، أنه أشار الى الوليمة التى صنعها المعز بالمناسبة ، والتى « لم يكن
مثلها لأحد فى بلاد المغرب » مع تقديم تفاصيل طريفة عن الاستعدادات

الخاصة بالعرس الكبير (٦٠) . وهكذا بدأت الأسرة المعزية البياديسية في
الزيادة ، اعتباراً من شهر صفر سنة ٤١٥ هـ/ إبريل ١٠٢٤ م ، حيث ولد
له ابنه كباب ، بينما كان مولد ابنه الثاني نزار في ١٠ من المحرم ٤١٧ هـ/
١ مارس ١٠٢٦ م (٦١) .

ممارسة السلطات المطلقة : نكبة الوزير :

والظاهر أن المعز عندما أدرك سن الحلم وهو في شبابه المبكر ، في
الرابعة عشرة من عمره ، كان قد بدأ يمارس سلطاته المطلقة ، بل ويظهر
اتجاهات استبدادية متطرفة . ففي ربيع الآخر سنة ٤١٣ هـ/ ١٠ يولييه
١٠٢٢ م قتل وزيره وصاحب جيشه ، أبا عبد الله محمد بن الحسن بعد ٧
(سبع) سنين قضاها الرجل في الخدمة مستقلاً بأمر الدولة ، أي منذ
بداية عهد المعز . أما عن تبرير التخليص من الوزير قتلاً ، فيرجع ، كما تقول
الرواية إلى اتفاقه كل دخل الدولة في وجوهها المعروفة ، بمعنى الموازنة بين
الدخل والمخرج تماماً ، دون ادخار أموال قد يستفاد بها عند الحاجة (٦٢) .
وهو ما يعني أن الرجل كان مستقلاً بالإدارة المالية كما كان الحال بالنسبة
لمشاهير سابقيه ، من : ابن المقديم علي عهد ياكين ، إلى عبد الله بن محمد
الكتاب أيام المنصور ، إلى محمد بن أبي العرب علي عهد باديس ، مع عدم
الاخلال بطبيعة الحال بحق الأمير في الرقابة على أعماله .

وإذا كانت بقية الرواية تضيف إلى ذلك طمعه في المال لكثرة

(٦٠) المؤنس ، ص ٨٣ - حيث النص على البدء في العرس بنصب القباب خارج المدينة ،
ونشر ما هيا من الأثاث والشباب ، وحمل المهر على ١٠ بغال ، على كل بغل ١٠ آلاف دينار ،
وحضر من آلاف الملاح ما لا يوصف . ولقد قوم حذاق التجار ما حمل للمروسة فكان أزيد
من مليون (ألف ألف) دينار .

(٦١) النويري ، ص ٣٤٠ ، وأنظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ - حيث
النص على وفاة نزار بن المعز بن باديس سنة ٤٣٨ ، وعمره ٢١ سنة وأشهر ٠ . وفي تلك
السنة ولي ولده الآخر أبا التامم (العهد) ، وكنهه العزيز بالله ، وهو ابن ٨ أشهر ، وتوفي
بعد ذلك وهو ابن سنة و ٣ أشهر - أنظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ ،
وأخيراً كانت ولاية العهد سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م لولد أبي الظاهر تميم - خلفه - ابن عذارى
ج ١ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٦٢) النويري ، ص ٣٣٩ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٦ ص ٣٢٧ - حيث يمكن أن يفهم
من النص أن الرجل غدر في المال ، حيث قيل إن أبا عبد الله محمد بن الحسن أقام سبعين
سنتين لم يحمل من الأموال شيئاً (إلى المؤنس) ، بل يجيبها ويرفعها عنده .

اتباعه ، يمحى عنه أصبح مركز قوة ، وانه أخذ مالا من الذخيرة لم يرد
عرضه ، حتى ضاقت الدولة ، واتسعت أحواله ، وكثرت إبنيته التي لا تصلح
إلا للملوك ، كما أن ابن يرأسل أكابر رجال الدولة بمصر فيناديهم ويهادونهم ،
إني أن وصل إليه سجل خاص من الخليفة ، فضايق منه المعز (٦٣) ، فان
الاتهام الأخطر الذي توجه له الرواية هو أنه كان معترا بأخيه الذي كانت
له ولاية طرابلس ، حيث أعداء الدولة الزناتية الذين كان يمكنه الاعتماد
على مساندتهم ، فبناء على ذلك تقول الرواية أن الوزير أبا عبد الله محمد
ابن الحسن شعر ببقوته وبدأ يزاحم الأمير في سلطانه ، حيث صار يذكر
اسمه إلى جانب اسم المعز في مخاطباته ، الأمر الذي ثقل على المعز وجعله
يفكر في التخلص من الوزير ، حيث دس عليه بعض خواصه للخدمة لديه
وتعريفه بتفاصيل أحواله ، وانتهى بقتله ، في ٧ ربيع الآخر ٤١٣ هـ / ١٠
يوليه ١٠٢٢ م مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة للمتحفظ على أمواله وممتلكاته ،
وكذلك الأمر بالنسبة لرجال العاملين معه في الإدارة المالية (٦٤) ، فكانها
قصة الرشيد وجعفر البرمكي ، قد وضع لها « سيناريو » جديد يناسبها .

وفي سبيل تبرير غدر الأمير بالوزير تقدم الحولية التاريخية قصة
خيالية مفادها أن الوزير كان على دراية بما ينتظره من مصير مششوم ، فكان
المسألة تتعلق بشيء مما عرفه الفاطميون من علم الحدان ، وذلك عندما رأى
أبو عبد الله محمد بن الحسن في منامه عبد الله بن محمد الكاتب وزير
المنصور وباديس ، فحذره من مغبة عمله ونصحه بتقوى الله في الناس
كافة ، مع أبيات من الشعر تعبر عن قصر الحياة وعدم الإغترار بالدنيا ،
الأمر الذي أزعج له الرجل فانتبه من نومه مذعورا ، فلم ينقض على ذلك
غير شهرين حتى كان مصرع الوزير على يد الأمير (٦٥) .

عصيان أخي الوزير ، تحالفا مع زناتة في طرابلس :

والمهم أنه عندما بلغ الخبر إلى أخي الوزير في طرابلس تحالف مع

(٦٣) النويري ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٢٧ .

(٦٤) النويري ، ص ٣٤٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٢٧ .

(٦٥) ابن الأثير ج ٩ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ - حيث يعرض عددا من أبيات الشعر يقول الثالث
والرابع منها على لسان عبد الله بن محمد الكاتب .

وأعظم أسوة بك بن لاني
فلا تفتخر بالدنيا واقصر
ملكك ولم أعش طولاً وعرضاً
فإن أولاً أسرك قد تقضى

(ابن الأثير ج ٩ ص ٣٢٨)

زناثة في المنطقة ضد المعز ، بل وأدخلهم مدينة طرابلس نفسها ، فقتلوا من كان فيها من العسكر المعزي والصنهاجي واستولوا على المدينة . وكان انتقام المعز شديدا إذ أنه أمر بالقبض على أولاد الوزير الى جانب عدد من أقربائهم فحبسهم ، ولكنه أمام احتجاج نساء المقتولين في طرابلس الثلاثى استغثن بالمعز بن باديس ، اضطر الى قتلهم بعد أيام من الاعتقال(٦٦) .

اما عن الذى خلف أبا عبد الله بن الحسن في الوزارة فهو أبو القاسم ابن محمد بن أبي العرب ، وصرف اليه النظر في سائر افريقية ، في حفل رسمى قلده فيه سيفه ، وأخرجه في موكب تتقدمه الطبول والبنود(٦٧) ، ولكنه لم يقدر للقاسم أن يستمتع بمنصبه الكبير طويلا ، وذلك أن المعز فوض في ٢٥ جمادى من السنة التالية (٤١٤هـ / ١٠٢٣م) ١٦ سبتمبر ١٠٢٣م ، جباية الأموال وولاية العمال والنظر في العساكر وسائر الأشغال الى أبي البهار بن خلوف (ما سبق ، ص ٢٨١) ، الذى استخدم الحزم والحسم حتى تحسنت الأمور ، وضبطت الأطراف والثغور ، واستقام التدبير حتى « رأى الأمير شرف الدولة (المعز) من حزمه وكفايته ما لم يقم به غيره »(٦٨) .

سياسة حازمة تجعل من الوزير أبي البهار مركز قوة يتخشى أمره :

ولا بأس أن تكون سياسة الحزم والحسم التى انتهجها أبو البهار بن خلوف ، والتي تشير اليها رواية ابن عذارى قد أصبحت سياسة معتمدة من المعز ، وأنها التى تفسر سلسلة النكبات والمصادرات التى تشير اليها الحوليات المعزية الباديسية في ابن عذارى ، والتي صارت جزءا من السياسة السالية ، منذ التخلص عن الوزير أبي عبد الله محمد بن الحسن سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م . ففي سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م نكب محمد بن محمود بن السكاك ، الذى كان يتولى « أشغال أم المعز » ، وعن هذا الطريق استولى على دولته(٦٩) ، الأمر الذى يذكر بالطريقة التى استولى بها محمد بن أبي عامر الحجابي المنصور ، على دولة الحكم المستنصر بعد ما دخل في خدمة زوجته السيدة

(٦٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٨ ، وانظر التويرى ص ٣٤٠ - حيث النص على انه بعد أن أمر المعز بالقبض على جميع بنى محمد حبسهم لفترة من الوقت قبل أو يتقدم المسبب للمقتل .
(٦٧) التويرى ، ص ٣٤٠ .

(٦٨) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٣ .

(٦٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٧ .

أم هشام المؤيد ! أما عن نكبة والى نفطة ، وهو جوشن بن حميد الصنهاجى .
سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م ، فقد كذبت بسبب مطالبته بأموال كثيرة اتهم
باحتملها لنفسه ، وكان عليه أن يتحمل المثير من العذاب والهوان ، فى
سبيل اجباره على الاقرار بما اتهم به (٧٠) . هذا ، كما اتهم قاضى قفصة
أحمد بن حجاج هو الآخر ، فى مبلغ ١٠ (عشرة) آلاف دينار ، ولكن الرجل
الذى كان (متصاونا) يخشى أن تخدش كرامته ، يادر بدفع المبلغ المطلوب ،
وحفظ نفسه (٧١) . وكذلك كان الحال بالنسبة للقائد عباد بن مروان سنة
٤٤١ هـ / ١٠٣٩ م ، وهو أحد الخاصة ، وكان يحمل لقب سيف الدولة فقد
تأسست نكبته على أساس اتهامه بالحيانة فى الأموال ، وذلك انه دفع الى
أعدائه مع الأمر باستخراج أمواله ، كما قبض على من دخل فى خدمته من
العمال ، من أجل المساعدة على ذلك . وأخيرا ألقى الرجل فى سرداب من
نوع السجن المطبق المظلم فبقى حتى مات (٧٢) ، وذلك قبيل الوقت الذى
بدأت تنور فيه مشكلة العرب الهلالية .

الامير وأفراد الأسرة الحاكمة :

هكذا ، كان اضطراب الأجهزة الادارية يمثل مادة اضافية لاثارة
الحواطر وانلقى بين رجال الدولة وعمالها ، بل وبين ذوى الأملاك وأصحاب
الأموال من عامة الناس ، من التجار وغيرهم ، ولزيادة أسباب الاضطراب
الأخرى من نزاعات عرقية ومذهبية ، وصراعات محلية وعائلية . ومن بين
الصراعات العائلية كان للعلاقات الحسنة أو السيئة بين الامير أو الفرع المالك
من العائلة الزيرية الذى يتمثل هنا فى بنى المنصور بن بلكين ، وبين غيرها
من الفروع الاقدم ، كبنى زيرى أو الأحمد كبنى حماد ، أثرها الخطير على
استقرار الأمن والهدوء .

وفيما يتعلق بعهد المعز بن باديس أمكن التغلب على ما صادفه من
عقبات فى سبيل ارتقاء العرش قبل الطامعين فيه من أفراد الأسرة الزيرية ،
دون صعوبات كبيرة ، حيث أمكن التخلص بسهولة من كرامت بن المنصور

(٧٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٩٩ .

(٧١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٩٩ .

(٧٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٤٠٣ .

كمنافس على الامارة ، على يدى كل من الطرفين المتصارعين وقتئذ ، وهما حزب حماد بن بلكين المعارض ، وحزب المعز بن باديس ولى العهد الشرعى ، وان كان ذلك قد تم عن غير قصد من جانب كل من الطرفين (ما سبق ، ص ٣٧٧-٣٧٨) فلقد اقتضت السياسة ، من حزب المعز الحفاظ على عه كرامت الى جانبه ، فعقد المعز له اضافة الى ما كان بيده وقتئذ من ولاية اشير ، على اعمال المغرب كلها ، فى سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م (٧٣) وفى نفس السنة (٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م) تحسن موقف الأسرة بالنسبة للمعز عندما رحل زاوى بن زيرى من الأندلس - شيخا سبجلا ، بعد ٢٢ (اثنين وعشر) سنة قضاه فى الأندلس مجاهدا للعدو ، ومثرا للهيبة الفتنه هناك . ومشاركا فى اقامة نظام الطوائف بالعمل على استتلاء الصنهاجيين على غرناطة ، فاستقبله المعز فى المنصورية بما يلىق بشخصه من اجلال وتكريم ، الامر الذى اعتبر تمكينا لمركز المعز وتأييدا له (ما سبق ، ص ٤٠١) فى مراجعة حماد بن بلكين ، عم والد المعز الذى بقيت مشكلته تنتظر حلا .

الصراع ضد حماد بن بلكين :

بعد وفاة باديس والد المعز ، وهو يحاصر عمه حماد بن بلكين فى قلعه . وانصراف عسكر باديس الى افريقية نزل حماد على اشير حيث ابن اخيه كرامت بن المنصور ، الذى كان عليه الدفاع عنها ، بناء على نصيحة اتقضى ، ونجح بعد هزيمة كرامت فى اخراجه ، بعد أن ارضاه بمبلغ من المال فى المحرم ٤٠٧ هـ / يولييه ١٠١٦ م ، الى المعز بافريقية (٧٤) . وكان على المسئولين بالمنصورية أن يعدوا العدة لمواجهة تهديدى حماد ، الأمر الذى استغرق أكثر من العام ، حيث كان خروج المعز من المنصورية الى بقيادة على رأس العساكر فى يوم الخميس ٢٣ من صفر ٤٠٨ هـ / ٢٢ يولييه ١٠١٧ م ، حيث أشرف على الرجال ، وفرق فيهم الأموال ، قبل المسير على رأسهم يوم ٤ ربيع الأول / أوغ أغسطس ، فى الوقت الذى بدأت تأتيا

(٧٢) التويرى ، ص ٣٣٩ .

(٧٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٧ ، وما سبق ، ص ٤٠٥ ، وقارن التويرى ، ص ٣٢٧ ، حيث الإشارة الى أن جند كرامت التلكتانيين كانوا سبب الهزيمة إذ هربوا بكرامت وهربوا بيت المال مع الإشارة الى أن حماد طالب التلكتانيين والصنهاجيين بعد ذلك بما سار اليهم من أموال كرامت - مع الإفادة ان قوات حماد بلغت ١٥٠٠ رجل ، بينما بلغت قوات كرامت ٧٠٠٠ رجل ، اما النقود التى قدمها حماد الى كرامت فقد بلغت ٣٠٠٠ دينار فقط .

جماعات من عسكر حماد تطلب اندخول في خدمته ، وكذلك من كتامة (٧٥) ، بعد أن تفرقت عنه تلكاتة وبعض صنهاجة من أعوان كرامت في السننة السابقة (٧٦) . ولكنه على عكس ما كان يأمله المعز فنتيجة لذلك ، من ضعف حماد وأخيه ابراهيم وقرب خضوعهما ، أتت الأنبياء تبين أنهما يستعملان الخديعة والغدر في الايقاع بالمخالفين من أتباع المعز ورجاله . من ذلك ما فعله ابراهيم من التفرير بأيوب ابن يطوفت عامل باغاية . عندما كان يحاصر مدينته ، اذ عاتبه وذكره بأنهم اخوة وإن ما حدث من الخلف بينهم انما كان بقضاء الله وقدره ، وطلب اليه أن يرسل معه من يأخذ العهد على حماد بالطاعة ، حسب رغبة هذا الأخير ، ثم انه غدر برسولى أيوب ، وهما : حمادة أخى أيوب ، وحبوس بن القاسم بن حمادة ، فأسيا اليهما ، وأرسلهما الى القاعة في ثياب رثة مثقلين بالحديد - حيث حماد الذى قتل تابعهما : تورين ، غلام أيوب (٧٧) .

المعز ينزل الهزيمة بجماد :

وعندئذ لم يكن أمام المعز الا المسير بالعساكر الى حماد ، حيث أنزل به هزيمة مريرة فى آخر ربيع الأول ٤٠٨هـ / ٢٦ أغسطس ١٠١٧م ، قتل فيها حمادة أصحابه ، كما وقع ابراهيم أسيرا ، بينما نجح حماد فى الفرار وقد أصابه جراح وتفرق عنه أصحابه . واثر ذلك أضاف المعز الى أعمال كرامت بن المنصور ولاية المغرب (٧٨) ، بينما عاد المعز الى قصره فى آخر

(٧٥) النويرى ، ص ٢٢٨ .

(٧٦) النويرى ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ - حيث كان قد طلبهم بأموال كرامت التى نهبوها

فامتوا عليه وتفرقوا .

(٧٧) النويرى ، ص ٢٢٨ - حيث النص على أن حمادة وحبوس أنزلا فى فاعة (مظلة)

السلام ، وإن الذى جردهما من ثيابهما وألقى عليهما ملابس رثة ، هو : ذكون بن أبى جلا . اما عن تبرير حماد لقتل تورين الغلام فيتلخص فى قوله له : « هذان ابنا عمى ، وأنت فما جاء بك . أردت أن تتحدث . » قال لى حماد ، وقتلت لجماد . »

(٧٨) النويرى ، ص ٢٢٩ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٨ - حيث النص على مسيرة

المعز بن باديس فى ٢٢ صفر ٤٠٨هـ ، وهو تاريخ خروجه الى رقادة عند النويرى الذى يقدم لنا تاريخ الرقعة (آخر ربيع) ، كما يشير الى جراح حماد ، وقارون ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٨ - حيث كان حماد قد دخل المسيلة وأشير وحاصر باغاية . اما عن حملة المعز فقد فكت الحصار عن باغاية كما كانت مطاف المعز ، وكذلك قصر العطين ، قبل التفلول الى حضرته .

جمادى الأولى ٤٠٨هـ / ٢٢ أكتوبر ١٠١٧م ، حيث أطلق سراح عمه ابراهيم وأحسن اليه(٧٩) .

الصلح بين حماد والمعز :

وعندما طلب حماد الصلح ، وتيقن المعز من حسن نواياه ، قبل منا ما عرضه ، من سعى أخيه ابراهيم فى الصلح ، وارسال ابنه القائد رهينة الى المنصورية ، ووافق على الصلح . وفعلا وصل القائد بن حماد الى المنصورية فى ١٥ شعبان ٤٠٨هـ / ٢٨ ديسمبر ١٠١٧م ، فأحسن المعز استقباله وعهد اليه بولاية المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وزواوة ومقرة ودكة وبلزمة وسوق حمزة ، وأعطاه شعارات الولاية من البنود والطبول . وصرفه الى أبيه حماد بالقلعة ، فى ٤ رمضان / ٢٤ يناير ١٠١٨م . وبذلك يكون حماد قد دخل فى طاعة المعز شكلا على الأقل ، حيث كان ابنا القائد يتردد الى المعز ما بين الحين والآخر(٨٠) . وتأكد الوفاق بالمصاهرة حيث زوج المعز أخته بعبد الله بن حماد(٨١) .

واتر تمام الاتفاق بين المعز وبين حماد وابنه القائد سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م وانعقاد الصلح ، فان المعز كان يستطيع أن يبعث رسالة الى قبائل البربر وغيرهم ممن كانوا غير ملتزمين بالطاعة ، فيرجعون الى الهدوء والسكينة ، مع ردع المفسدين منهم بالحرب والقتل ، الأمر الذى أدى الى سيادة الأمن والسلام بين سائر القبائل(٨٢) . وهكذا حق لابن خلدون أن يقرر : ان الحرب رفعت أوزارها من يومئذ واقتسموا المظلة ، والتحموا بالأصهار ، وافترق ملك صنهاجة الى دولتين : دولة المنصور بن بلكين بالقبروان ودولة حماد بن بلكين بالقلعة(٨٣) . وبذلك يكون وضع حماد

(٧٩) ابن الأثير ، ج ٩ من ٢٥٨ - ٢٥٩ - حيث خلع عليه وأعطاه الأموال والدواب .
(٨٠) التويرى ، ص ٣٣٩ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٨ - حيث النص فى حاجة الى الضبط إذ يقرر ان المعز وصل القائد بن حماد بعامل : المسيلة وطبنة والزاب وأشير وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب لكى يكرر مرة أخرى أنه عقد للقائد (بن محمد بدلا من حماد) على : طبنة والمسيلة ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة ، كما القلب بهدية ضخمة ، وانظر ابن عذارى ط : بورت ج ١ ص ٢٨٨ - حيث الاشارة فى حوليات ٤٠٨هـ الى حروب عظيمة بين عسكر شرف الدولة (المعز بن باديس) وعسكر حماد .

(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٩ .

(٨٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٩ .

(٨٣) العبر ، ج ٦ ص ١٥٨ .

وبنيه قد استقر ، الى جانب الأمر الواقع من الناحية القانونية أيضا ، بعد اقل من سنتين من وفاة ياديس أمام أسوار القلعة . وهكذا عندما يتوفى حماد . بعد حوالي ٩ (تسع) سنوات ، في ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م فإن المعز يستقبل انبأ بما يستحقه من التأثر والأسى اللائق لما يربط بينهما من صلة القرابة - بصرف النظر عن انها من الدرجة الخامسة - والمصاهرة ، ويكتب بالتعزية الى ابنه القائد ، اذ المهم أنه : عظم على المعز موته ، كما يقول ابن الأثير ، لصالح الأمر بينهما ، ولأن الأمور استقامت للمعز من بعده ، وأذعن أولاد عمه حماد بالطاعة (٨٤) .

عودة النزاع واعتبار سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م

سنة انفصل بين الدولتين البلكيينيتين :

وبطبيعة الحال لم يمنع اقرار السلم بين المنصورية وبين انقلعة من قيام النزاع بين الأستين القرينتين ، تماما كما يحدث بين الدول المتجاورة ، بل والمتباعدة أيضا . وهكذا نجد في الحوليات سنة ٤٣٢ هـ / ٤٠ - ١٠٤١ م أن المعز يخرج بجيوشه الى قلعة حماد ويضرب عليها حصارا طويلا لمدة سنتين متتاليتين ، ضيق عليها أثناءها . مع تبرير تلك الأعمال العدائية ضد الحماديين ، يرجعونهم الى النفاق ، وهو المصطلح الذي يعنى العصيان أو الخروج عن الطاعة (٨٥) . وهو ما لا تمدنا المصادر بشيء ما عن موضوعه ، رغم اهتمام ابن الأثير بذلك وتخصيص عنوان مميز له (٨٦) ، الأمر الذي قد يعنى مجرد توجهات شخصية أو مزاجية من جانب الطرفين أو أحدهما .

هذا ، ولو أنه يفهم من نص ابن خلدون ان نهاية صراع سنة ٤٣٢ هـ / ٤٠ - ١٠٤١ م كانت في غير صالح المعز ان لم تكن وخيمة بالنسبة له ، من حيث أن عودة المعز الى افريقية لم تتبعها محاولة أخرى للدخول في صراع

(٨٤) الكامل ، ج ٩ ص ٣٥٥ . وقارن النويري ، ص ٣٤٠ - حيث النص على ان وفاة حماد كانت في صفر ٤١٩ هـ / مارس ١٠٢٨ م . وان المعز كتب الى ولده القائد بالتعزية . وقارن الاعلام لابن الخطيب ، ص ٧٥ و ٢ - حيث النص على موت حماد بموضع تازمرت ، الذي لبسه تازمالت على بعد ٨٠ كم ، جنوب شرق بجاية .

(٨٥) النويري ، ص ٣٤١ ، ابن عذارى ش : بيروت ج ١ ص ٣٩٧ - حيث النص على ان المعز اخذ بمخنق حماد (المتوفى) وهو يقصد ابنه القائد .

(٨٦) الكامل ، ج ٩ ص ٣٩٢ - ٣٩٣ - حيث النص بوضوح على خلاف أولاد حماد ، وعودتهم الى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف عليه .

مع الحمادين ، فكان سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م حتى سنة الفصل بين الدولتين
البلكينيتين ، وليس سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م ، حسبما ينص على ذلك ابن خلدون
نفسه .

الاقتصاد والمال والحضارة على عهد المعز بن باديس :

لما كانت قوة الدولة تتمثل في قوة اقتصادها بمعنى غناها وكثرة
الأموال فيها ، من حيث ان المال هو مادة الحياة بالنسبة للدولة وقيمة
مجتمعا ، اذ على قدر ما يجمعه الناس من المال يكون مستوى المعاش ،
وعلى حسب زيادة هذا المال وتقصانه تكون زيادة المستوى الحضارى
أو تدنيه ، وبالتالي ضخامة الملك أو تفاهته . وهنا لا بأس من الاشارة الى
تقييم ابن خلدون لعهد المعز بن باديس ، حيث يقول : « واستمر ملك
المعز بأفريقية والقروان وكان أضخم ملك عرفه البربر بأفريقية » وأترفه
وأبذخه . وفى ذلك يعرض لما ينقله الرقيق « من أحوالهم فى الولائم
والهدايا والجوائز والأعطيات ، ما يشهد بذلك » ، مثل: ما ذكر من « أن عطية
سندل عامل باغاية مائة حمل من المال ، وان بعض توابيت الكبراء منهم
كان العود الهندى بسمامير الذهب » (٨٧) .

ومثل هذا الكرم والعطاء كان يجذب الشعراء الى بلاط المعز بن باديس
الذى زها بشاعرى القروان الشهيرين ، ابن رشيق وابن شرف الى جانب
غيرهما ممن يزخر بنماذج من أشعارهم أنموذج ابن رشيق ، وما وصلنا من
أشعار ابن شرف الذى كان يكتب القصيدة فى غير مسودة كأنه يحفظها ثم
يقوم فينشدتها (الأنموذج ، ص ٣٤٠) ولا شك ان بلاط المعز بشعرائه
يهولاء هو الذى كان يعطى سمة عزوبة الدولة ، التى بدأت بريرية حتى كان
يلكن يسير بكتابه وترجمانه (ما سبق ، ص ٣٠٤) ومن شعراء المعز الذين
تغنوا بعزوبة دولة المعز ، ابن الحازن الذى يقول فيه :

وله ذؤابة حمير وسناؤها وسنام يعرب الرفيع العالى
ويحل من قحطان أعلى ذروة يعيا محاولها وليس بأل (٨٨)

(٨٧) العبر ، ج ٦ ، ص ١٥٨ . وأنظر فيما سبق هامش ص ٣٨١ وما هـ .
(٨٨) أنموذج الزمان لابن رشيق ، تحقيق المطوى ، تونس ١٩٨٦ ، ص ٨١ - وعن
ابن رشيق وابن شرف ، أنظر فيما بعد ص ٤٢٧ والهامش ٤٠ .

من مثل هذا الوصف لبعض المظاهر الحضارية في الدولة الزيرية وغيرنا ، يخرج ابن خلدون بالعلاقة السببية بين ضخامة الحضارة وكثرة المال . تماما كما هو الحال بين ضخامة الدولة وكثرة المال ، من حيث ان الدولة هي السوق التي تنفق فيه أسباب الحضارة . وربما كانت أهم الأمثلة لذلك في الدولة الأظمية هي الاحتفالات الشعبية التي كان يشارك فيها الجمهور بكل طبقاته . ومن أشهرها حفلات الختان التي أقامها المعز في كل البلاد من أقصى الصحروات الجنوبية الى صقلية شمالا ، وهي الاحتفالات التي أصبحت تقليدية في كثير من دول الاسلام والتي ورثتها دولة صنهاجة الزيرية . تركة أبوية . ومن الطريف هنا ان المعز ختن وهو أمير صغير في ذى الحجة من سنة ٤٠٧هـ / مائة ١٠١٦م ، « وختن معه من أبناء الضعفاء عدة كثيرة ، وأعطوا الكساء والنفقة » (النويري ، ص ٣٣٨) ، الأمر الذي كان يتطلب الكثير من المال (٨٩) .

الاحتفالات الشعبية والمواكب الأميرية :

وإذا كانت الاحتفالات تتطلب الأموال ، وكذلك الحال بالنسبة للحرب التي يعتبر المال عصبها ، كما يمكن أن تعتبر هي الأخرى مورد المال : فلا بأس من الإشارة هنا الى عودة زاوي بن زيري من جزيرة الأندلس سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م بعد اقامة طويلة هناك ، حيث « وصل ومعه من الأموال والعدد والجواهر شيء كثير لا يحده » (٩٠) ، وأن تطلب الأمر من المعز الذي سلم عليه راجلا ان « نوشت له القصور » . والحقيقة ان الهدايا أيا كانت تمثل بندا هاما من مصادر النفقة والدخل أيضا ، وكانت الهدايا الداخلية تأتي في المناسبات المختلفة ، بينما كانت أهم مظان الهدايا الخارجية هي الخلافة بالقاهرة ، وملوك السودان فيما وراء الصحراء ، وملك الروم الذي كانت العلاقة به تتراوح ما بين السلم والصدقة ، والحرب والعداوة . وأهم الهدايا الواردة من السودان تتمثل في : الرقيق الأسود ، والحيوانات الوحشية الغربية الأشكال والألوان (٩١) . أما ما يذكر من هدايا الروم الجيدة فهو الديباج الفاخر (٩٢) . وكانت استقبالات الوافدين على الأمير من

(٨٩) هنا لا بأس من الإشارة الى ما فعله المعز لدين الله الفاطمي بمناسبة هذا التقليد الذي كان له الفضل في نشره ، ما سبق ، ص ٢٤٢ .

(٩٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٩ .

(٩١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٩٦ - حيث هدية سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣٢م .

(٩٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٩٦ - حيث هدية سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م .

السفراء أو كبار رجال الدولة أو الزعماء تتطلب إقامة المواكب وتقديم الهدايا من الاموال والتحف والدواب ، سواء كانوا من الأصدقاء أو ممن يراد اكتسابهم أو حتى شراء ذممهم . والمثل لذلك ما حدث سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م ، بعد أسر ابراهيم بن بلكين أخى حماد وشريكه فى الثورة على المعز ، من اطلاق ابراهيم ، بل والملح عليه واعطائه الهدايا من الاموال والدواب (٩٣) . هذا ، ولو ان الدولة كانت عندما يضيق بها الخال تلجأ الى المصادرة فتتكب انوزير المسئول الأول عن الخزانة العامة ، أو كبار مساعديه فى ديوان الجباية والخراج ، كما حدث للوزير محمد بن الحسن الذى قتل بأمر المعز سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ، لأنه جبى الاموال مدة ٧ (سبع) سنين ولم يرفع منها شيئاً ، كما ظهرت عليه ثروة طائلة فأخذ يبنى البيوت التى لا تليق الا بالملك ، الأمر الذى شكك فى أمانته ، وان خيف من سطوته عندما أصبح مركز قوة كما يقال الآن (ما سبق ، ص ٤٠١) . وكما نكب سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م محمد بن محمد بن السكك المتولى لأشغال السيدة أم المعز ، وبذلك استولى على الدولة بمعنى أنه أصبح مركز قوة (ما سبق ، ص ٤٠٤) ، وكذلك الحال بالنسبة للقائد سيف الملك ، عباد بن مروان ، والذى نكب واستخرجت أمواله سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م (ما سبق ، ص ٤٠٥) .

دخل الدولة :

ومما يؤسف له أننا لا نعرف الا النزر اليسير عن دخل الدولة ، الذى يتمثل فى الضرائب المختلفة ، وضرب السكة ، ولا عن نفقاتها باستثناء اشارات عابرة فى بعض الحوليات . والمثل لذلك ما يورده ابن خلدون من أن « أعشار بعض أعمال الساحل بناحية صفاقس ، على عهد المعز ، كان يبلغ ٥٠ (خمسين) ألف قفيز (٩٤) . واذا كانت كتب الجغرافيا يمكن أن تقدم معلومات مفيدة فى هذا الصدد ، مما يتعلق بالثروات الزراعية والمعدنية فى المملكة الزيرية مع اشارات الى ما كان يجبى منها من ضرائب الخراج ، فان المعلومة التى كثيرا ما تنقل بالتواتر ، دونما تحقيق زمنى أو تمحيص قد

(٩٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٨ - ٢٥٩ .

(٩٤) العبر ، ج ٦ ص ١٥٩ - والمقصود بذلك ضريبة (خراج) الزيت الذى كان بثابة المحصول النقدى فى المنطقة التى سميت بالساحل لسوادها بالنسبة للقدام من الصحراء . فكانها ساحل البحر من كثرة شجر الزيتون .

توقع الباحث في الخطسأ ، عندما يأخذ رواية كاتب معاصر ، تكون في حقيقة الأمر منقولة من عصر سابق ، وهكذا يمكن الاستفادة بشيء من الحرص من مسالك البكري الى جانب نزهة الادريسي وعجائب الاستبصار ، وربما رحلة التجاني وجغرافية ابن سعيده .

الشروات الزراعية :

ففيما يتعلق بالشروات الزراعية توصف اشير بأنه ليس في تلك الأقطار أحسن منها ، حيث تحيط بها الجبال الشامخة ، وتتوفر المياه في العيون (٩٥) . ويوصف جبل ميله بأنه أحصب جبال افريقية على الطريق المؤدى الى قلعة أبى طويل التي عرفت باسم قلعة حماد (٩٦) . ومدينة جيجل حيث جبل كتامة الكثير الحصب كان يحمل منها الفواكه والرب الى بجاية (٩٧) . وبجاية كان يدور بها البحر من ٣ (ثلاث) جهات : شرق وغرب وجنوب ، فكانت مرسى دوليا تأتيه المراكب بالخير والمتاجر من اليمن والهند والصين ، وهى مظلة على فحص خصيب قد أحاطت به الجبال ، دورة حوالي ١٠ أميال ، ولها نهر كبير على نحو المليون ، بها المياه الكثيرة التي تدور عليها النواعير ، كما اشتهر بها جبل ميسون بمياهه السائحة وبساتينه وكثرة القرده فيه (٩٨) . وكذلك الحال بالنسبة لقلعة حماد ، الكثيرة المياه والتي كان قصرها الفخم يشرف على نهر كبير (٩٩) .

اما عن مليانة القرية من اشير فكان لها مياه سائحة وأنهار وبساتين فيها جميع الفواكه ، ويشق نهر شلف فحوصها (١٠٠) . واشتهرت منطقة قلعة دلول ، على بعد يومين من مستغانم ، وعلى البحر قرب مصب نهر شلف ، بوجوده أقطانها (١٠١) . والحقيقة ان منطقة وادي شلف من المغرب الأوسط حيث مدينة تاهرت كانت غنية بمدنها التي اشتهرت بأنها أسواق ، مثل :

(٩٥) الاستبصار ، ص ١٧٠ .

(٩٦) البكري ، ص ٨٢ ، الاستبصار ، ص ١٦٦ .

(٩٧) الاستبصار ، ص ١٢٨ .

(٩٨) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

(٩٩) الاستبصار ، ص ١٦٨ .

(١٠٠) الاستبصار ، ص ١٧١ ، وقارن البكري ، ص ٦٢ .

(١٠١) البكري ، ص ٦٩ .

سوق حمزة وسوق ماكسن اللتين كانتا لصينهاجة (١٠٢) ، وسوق ابراهيم القريبة من تنس (١٠٣) ، ولقد اشتهرت تاهرت بجودة جميع الشار فيها ، وبأسواقها العامرة (١٠٤) ، بينما اشتهر فحص زيدور ، من مدينة أرشيجول ، بكثرة القمح (١٠٥) ، وكان بنكور أجود أنواع الخشب من العرعر والأرز (١٢٦) .

الثروات المعدنية :

وإذ كان من المعروف أن بلاد الاسلام كانت قليلة الثروات المعدنية ، فإن بعض بلاد افريقية والمغرب الأوسط اشتهرت بمعادنها ، والمثل لذلك مرابجة ، ومجانة التي عرفت بمجانة المعدن (١٠٧) ، وجزيرة جربة الكثيرة الذهب (١٠٨) ، ومرسى سببية حيث معادن النحاس (١٠٩) .

التكايل والموازين والنقود :

وصما يدل على غنى بلاد افريقية والمغرب الأوسط وخاصة المنتجات الزراعية ، أن وحدات قياس الكيل والميزان عندهم كانت تفوق جرما مثيلاتها في البلاد الاخرى . ويظهر ذلك في بلد نكور من ساحل تلمسان ، حيث كيل الصحفة عندهم ٢٥ مدا ، والرطل ٢٢ أوقية ، والقنطار ١٠٠ رطل - ربما أزيد من غيرهم . أما عملتهم الدارجة فكانت الدراهم التي يتبادلها الناس عددا بلا وزن (١١٠) . أما عن السكة ، فلا شك أنها كانت من موارد بيت المال اليامة ، الأمر الذي يتضح من عملية تبديل السكة الفاطمية سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م ، ورفع أسماء خلفاء القاهرة منها ، حيث سبكت الدنانير الفاطمية وكانت أموالا عظيمة ، كما ضربت دراهم جديدة بدون أسماء العبيديين ، الأمر الذي لم يؤثر على مستوى التعامل في أسواق القيروان ، كما يظهر من

-
- (١٠٢) البكرى ، ص ٦٥
 - (١٠٣) البكرى ، ص ٦٢
 - (١٠٤) البكرى ، ص ٦٨
 - (١٠٥) الاستبصار ، ص ١٣٤
 - (١٠٦) البكرى ، ص ٩٠
 - (١٠٧) البكرى ، ص ١٤٥
 - (١٠٨) البكرى ، ص ٨٥
 - (١٠٩) البكرى ، ص ٨٢
 - (١١٠) البكرى ، ص ٩١

نص ابن عذارى (١١١) .

ومثل هكذا يقال عن تاهوت حيث كان المد عندهم ب $\frac{٥}{٧}$ أقفزة قرطبية ، وقنطار الزيت بقنطار وثلثين - الا المجلوب من الفلفل وغيره ، فقد كان قنطار عدل . أما رطل اللحم عندهم فهو ٥ (خمسة) أرتال (١١٢) ، الأمر الذي يعنى الحصب والرخاء ، أو ارتفاع مستوى المعيشة ، كما يقال في المصطلح الدارج الآن .

الكوارث الطبيعية :

والى جانب عوامل الازدهار الاقتصادي والحضارى هذه ، كانت هناك عوامل معوقة من : الكوارث الطبيعية والمجاعات والأوبئة ، مما كانت له آثاره السلبية فى الظروف الاقتصادية والأحوال الاجتماعية . فالمتتبع لحوليات ابن عذارى يلاحظ بعض السنوات العجاف التى مرت بالبلاد على عهد المعز ابن باديس ، كذلك الغلاء الذى أصاب افريقية سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م ، والذى صاحبه حروب كثيرة ، بمعنى فتن محلية فى مختلف الأقاليم (١١٣) . وفى سنة ٤١١ هـ / ٢٠ - ١٠٢١ م جاءت سخابة شديدة الرعد فأمرت بردا كقطع الحجارة ، لم ير أهل افريقية مثله لكبره وكنته ، ووقعت منه صاعقتان ، دون أضرار مادية أو خسائر بشرية (١١٤) . أما عن سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م فقد تميزت بأنها كانت سنة خصب ورخاء وأمان ، وكذلك سنة ٤٣٠ هـ / ٣٨ - ١٠٣٩ م (١١٥) . بينما كانت سنة ٤٢٥ هـ / ٣ - ١٠٣٤ م ، سنة جدي ومجاعة (١١٦) . أما عن سنة ٤٣٧ هـ / ٤٥ - ١٠٤٦ م ، فقد اشتدت فيها الرياح العاصفة فدمرت كل ما مرت به من شجر (١١٧) .

(١١١) ما سبق ، ص ٣٩١ وما يأتى ص ٤١٦ - وقارن ادريس (هادى روجيه) بلاد البربر الشرقية تحت حكم الزيريين بالفرنسية ، ج ١ ص ١٩٠ - حيث مكان الضرب الجديد بصيرة (المنصورية) جبل القروان والمهدية .

(١١٢) البكرى ، ص ٦٨ .

(١١٣) البيان ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٨٨ .

(١١٤) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٨٨ .

(١١٥) البيان ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٦ .

(١١٦) البيان ط : بيروت ، ص ٣٩٦ .

(١١٧) البيان ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٨ .

أشهر الأعمال العمرانية :

أما عن أشهر الأعمال العمرانية التي تمت على عهد المعز ، فيذكر بناء،
مضى العيد بالمنصورية سنة ٤٤١هـ / ٤٩ - ١٠٥٠ (١١٨) . وفي السنة
التالية حيث لعن الفاطميون على منابر أفريقية ، أحمدت بالمناسبة بعض
الإصلاحات النقدية من ضرب دينار سمي بالتجاري (١١٩) ، ربما لكي يحل
في الأسواق محل الدينار الفاطمي الذي ألغي . هذا ولو أن ابن شرف
(القيرواني) يعرفنا بتبديل السكة في شهر شعبان من تلك السنة (٤٤١هـ).
ديسمبر ٤٩ - ١١٥١ ، حيث نقش على وجه الدينار : « ومن يتبخ غير
الإسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » . وفي الوجه
الثاني : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . والمهم أن دار السكة تلافت.
حدث أزمة نقدية عند إلغاء العملة الفاطمية وسك الجديدة ، إذ ضربت أعدادا
كثيرة من الدينار الجديد بفضل سك ما كان موجودا في بيت المال من
الذنانير الفاطمية القديمة . وبذلك انقطعت أسماء خلفاء الفاطميين من
النقود ، كما قطعت أسماؤهم أيضا من الرايات والبنود (١٢٠) .

الاحتفال بولاية العهد لتمييم :

وفي السنة التالية ، ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م ، كانت الاحتفالات بمناسبة
تولية العهد للأمير تميم بن المعز ، وكانت مناسبة الدعاء للمعز وللأمير
تميم أبي الطاهر وفي عهده فرصة للدعاء بأن يحفظه الله من كثر معد بن
الظاهر ، صاحب مصر ، وهو المستنصر بالله (١٢١) . ولا شك أن تجديد
السكة ولعن المستنصر خليفة القاهرة من أعلى منبر القيروان كان يزيد
من الأزمة الفاطمية بأفريقية ، على مستوايتها السياسية والاقتصادية لما بين
المجالين من تأثيرات إيجابية وسلبية ، وذلك في الوقت الذي كانت تتعرض
فيه البلاد للموجات الأولى من الهجرة الهلالية .

(١١٨) ابن عذاري ، ج ١ ط : بيروت ، ص ٤٠٢ .

(١١٩) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٢ .

(١٢٠) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٣ - حيث النص على أن أول سكة

عبيدية ضربت في أفريقية ، في نفس الوقت الذي رسمت أسماؤهم على الرايات والبنود ،
كان في سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ، بمعنى أنها استمرت مدة ١٤٥ عاما عندما قطعت في سنة
٤٤١هـ / ١٠٤٩م . وأنظر الإعلام لابن الخطيب ، ص ٧٣ - حيث النص على إزالة أسماء
الفاطميين من السكة سنة ٤٤١هـ / ٩٤٩م ، ونقش الآية « ومن يتبخ غير الإسلام دينا فلن
يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » - آل عمران سورة ٣ آية ٨٥ .

(١٢١) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٤ .

العرب الهلالية في أفريقية والمغرب

الهجرة :

الشائع لدى المؤرخين أن الهجرة الهلالية الى بلاد المغرب ، بكل ما كان لها من تأثيرات عرقية وسياسية واقتصادية أو حضارية على الجملة ، انما بدأت نتيجة للقطيعة الدينية السياسية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة وبين نوابها الزيريين في القيروان ، وذلك ابتداء من سنة ٢٣٥هـ / ٩٤٦م . حيث كان الاتصال بخلافة بغداد العباسية لأول مرة - كبدل شرعي لخلافة القاهرة الفاطمية ، الأمر الذي بلغ مداه سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م عندما انطلقت قبائل بنى هلال مع قبائل بنى سليم من صحراء صعيد مصر الشرقية، عبر النيل نحو المغرب (ما سبق ، ص ٣٩٣) . وهي الرحلة التي تعرف في القصة الشعبية باسم « التفرية » الهلالية .

وأصل مواطن قبائل عرب هلال وسليم هي بلاد الحجاز وبعض تخوم نجد^(١) . فهي قبائل بدوية ، رعوية ، تنسب الى عرب الشمال العدنانية التي تعيش عيشة فتيحة مضطربة ، تضطرها في بعض الأحيان الى احترام الغارة على الجيران أو قطع السبيل حتى على قوافل الحجاج ، وعلى مكة أثناء الموسم^(٢) . وهو ما شاركت فيه القرامطة أكثر من مرة خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري / ١٠م ، وأشهرها تلك التي استولى فيها القرامطة على الحجر الأسود سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م (ما سبق ، ص ٢٠٨) . والمهم

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ - حيث الإشارة الى محللتهم من بعد الحجاز بنجد - حيث كان الهلالية في جبل غزوان قريبا من الطائف ، بينما كان بنو سليم مما يلي المدينة . الأمر الذي دعا ، لقصة التسمية التي تناولت تفرية الهلالية أن تجعل بدايتها من الحجاز بدلا من الصعيد ، بل ومع أمير مكة الشريف الذي أصبح سبورا لهم عندما تزوج شابتهم الجميلة « المجازية » ، الكاملة ، واشتركا بذلك في قصة حب عظيم من ذلك النوع الذي يشقى الروح ويميت الجسد ، حسبما جسدها شعراؤهم - أنظر فيما سبق ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ - حيث طوافهم أثناء رحلة الشتاء والصيف بأطراف العراق والشام وغانمهم على الضواحي وانفساد السابلة ، والقطع على الرفاق (التجار) مع الإشارة الى اغارة بنو سليم على الحاج أيام الموسم بسكة ، وأيام الزيارة بالمدينة ، والى تحيز بنو سليم مع الكثير من قبائل ربيعة ابن عامر الى القرامطة عند ظهورهم .

أن الفاطميين بعد ما استقروا في مصر ودخلوا في صراع مع القرامطة في بلاد الشام نجحوا في إبعاد القبائل الهلالية إلى صحراء مصر الشرقية على سمت بلاد الصعيد ، حيث فرضوا عليهم نوعاً من الإقامة الجبرية (٣) ، في تلك المنطقة التي عاشت فيها من قبل عرب ربيعة الذين كانوا يعملون في مناجم (معادن) الذهب والزمرد (٤) ، حيث نطن أن أسلافهم العرب أتوا إلى تلك المنطقة عبوراً للبحر الأحمر منذ ما قبل الإسلام (٥) .

التعريف بالهلالية ما بين الحقيقة والخيال :

ولقد اجتهد ابن خلدون في التعريف بزعماء الهلالية وقتئذ ، مقتنيا أثر ابن الأثير ، وصنفهم حسب الشرف ، وتبعاً لأصالة العروق مع المقابلة بين قبائلهم على أيامه في القرن الثامن الهجري / ١٤م . وتلك القبائل تشمل الهلالية وغيرهم من القبائل . وكانت أهم جماعات هلال (بن عامر) في محلاتهم بصعيد مصر ، وقتئذ هي : جشم والأنبج وزغبة ورياح وربيعة وعدى (٦) . أما عن أهم زعمائهم الذين دخلوا بهم أفريقية حسبما تغنى بهم شعراؤهم ، من : حسن بن سرحان ، أشرفهم ، وهو أخو الجازية ، بطلنة قصة التفرقة الهلالية الشعبية التي رفعت من ذكره من حيث أنه زوجها

(٣) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٢٥ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢ - هذا وإن كان ابن خلدون ينسب ذلك إلى عبدة الله المهدي ، بدلا من المعين لدين الله ، كما يكتبه بالقول بأنه نقل أشياعهم من العرب من بني هلال وبني سليم فأنزلهم بالصعيد ، وفي العدة الشرقية .

(٤) الاستبصار ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٥) أنظر للمؤلف تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ص ١٩٧٥ ، ص ٢٦٠ وما بعدها . والخريطة رقم ١٣ ص ٢٦٩ - عن ابن خلدون . هذا ولا بأس أن يكون الهلالية أو بعضهم على الأقل ، قد دخلوا صحراء الصعيد الشرقية عن هذا الطريق ، حيث لا توضح النصوص الطريقة التي دخلوا بها مصر من بلاد الشام على أيدي الفاطميين ، الأمر الذي يفتح الباب واسعا أمام هذا الاحتمال .

(٦) العبر ، ج ٦ ص ٦٤ - حيث « الأثير » بدلا من الأنبج ، وحيث النص بعد ذلك على أن شعوبهم الهلالية ، كما نقلهم ابن خلدون ، هم : زغبة - ورياح - والأنبج وقرة ، التي يضيفها هنا ، مع الإشارة إلى أنه ربما أضيفت إليها عدى الذين لم يقف على أخبارهم من حيث أنه ليس لهم من معروف على أيامه ويرى أنهم ربما دثروا . ومثل هذا يقوله عن ربيعة أيضا إذ يرى أنهم ربما كانوا المقعد على أيامه . وقارن ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٥ - حيث النص على بطون عامر بن صعصعة ، من : زغبة وعدى والأنبج ورياح وغيرهم .

للشريف هاشم صاحب مكة (٧) ، وأخوه بدر بن سرحان ، ثم فضل بن ناهض ، ثالثهم ، وهم من : دريد الأثيج * ثم يأتي ثلاثة آخر من بني عطية من كرفة ، وهم : ماضي بن مقرب ، وبنونة بن قره ، وسلامة بن رزق * وفي بني ثور يأتي : دياب بن غانم ، وحده ، وكذلك الأمر بالنسبة لمؤنس بن يحيى المرزاسي الرياحي ، من بني صفر ، من بطن مرداس (٨) .

والى جانب الهلالية هناك ذكر لأبطال ترجع أصولهم الى عرب اليمن القحطانية ، مثل : زيد بن زيدان الذي ينسب الى الضحاك ، ومليحان بن عباس الذي ينسب الى حمير ، ومثل : زيد الفجاج بن فاضل الذي قيل انه مات بالحجاز فى بداية التغريبة ، قبيل الدخول الى افريقية (٩) .

ويمكن القول أن ثلاثة من بين هؤلاء السادة المشايخ ، زعماء الهلالية ، لهم ذكر يفوق غيرهم ، بفضل خصالهم التي صارت مغاني لشعراء قبائلهم ، وهم : حسن بن سرحان أولهم ، ومؤنس بن يحيى سابعهم ثم زياد بن عامر ، آخرهم ، والذي تقول فيه رواية ابن خلدون انه كان رائدهم فى دخول افريقية ويسمونه لهذا السبب «أبا مخبير» (١٠) .

تهجيرهم من الصعيد ما بين الجرجاني واليازوري :

والمهم ان قبائل الهلالية هذه عاشت فى صحراء الصعيد الشرقية ، تحت رقابة الدولة ، فهذا ما يفهم من النص الذى يقول انه كان «لا يسمح لها بالرحيل ولا باجازة النيل» (١١) . وهنا نشور مشكلة خاصة بشخصية

(٧) أنظر العبر ، ج ٦ ص ١٨ .

(٨) العبر ، ج ٦ ص ١٦ - حيث موسى فى النص بدلا من مؤنس ، وكذلك النص على أنه من بطن مرداس بن رياح لا مرداس بنى سليم ، مع التحذير من الغلط فى هذا .
(٩) هذا كما يرد ذكر لكثير من العروق غير الهلالية ، مثل : فزارة وأشجع من بطون غطفان ، وجشم ابن معاوية بن بكر من هوزان ، وسلول بن مرة بن سمصة بن معاوية ، والمقل من بطون اليشبية ، وعمرة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وبنو ثور بن معارية من عبادة . بن سمصة ، وعمدان بن عمر بن قيس بن عيلان ، وطروود بطن من فهم بن قيس . ولكن المهم هنا هو ان جميع هؤلاء ، رغم اختلافاتهم العرقية ، كانوا يدرجون فى هلال وفى الأثيج الذين كانت لهم الرياسة ، فكان الهلالية أو الأثيج اتحاد سياسى من جماعات من القبائل المختلفة يحمل اسم أقوامها وأهمها على المستوى السياسى والمسكرى - العبر ، ج ٦ ص ١٦ .

(١٠) العبر ، ج ٦ ص ١٦ .

(١١) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٥ .

الوزير الذي دبر عبورهم النيل وتوجيههم نحو المغرب ، فرغم ما هو دارج من أن الذي فعل ذلك هو الوزير اليازوري (أبو محمد الحسن بن علي) ، الفاطميين أصلا ، والذي أراد أن يجدد شباب الوزارة الفاطمية . وبالتالي هيبتها ، بالنسبة لنواب الخلافة سواء في التسام أو في المغرب وأفريقيه . فانتهى الأمر الى عكس ما أراد ، إذ حنق عليه جمال بن صالح ، صاحب حلب ، والمعز بن باديس صاحب أفريقية ، وانحرفوا عنه (١٢) . فان هناك روايات أخرى تنسب ذلك الى الوزير أبي القاسم الجرجاني ، استنادا الى ان القطيعة مع الفاطميين ، والدعوة الى العباسيين وقعت سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م ، على أيام وزارته ، وهو الأمر الصحيح ، الذي ينص عليه ابن خلدون (١٣) . والحقيقة انه اذا كان ابن خلدون قد نقض ذلك بعد ، على أساس أن الجرجاني كان قد توفي سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م وحل محله في الوزارة اليازوري الذي حلف المعز بن باديس بسببه : « لينقضن طاعتهم ، وليحولن الدعوة الى بني عباس » ، كما « قطع أسمائهم من الطراز والرايات وبائع القوائم (العباسي) ودعا له سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م ، عندما وصله أبو الفضل البغدادي ، وحظي بالتقليد الذي قرىء بجامع القيروان ، وبالخلع (١٤) ، بينما كان بدء الهجرة الهلالية سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م ، والتي تليها ٤٤١هـ / ١٠٤٩م (أنظر فيما سبق ، ص ٣٨٨) ، فالصحيح ، اعتمادا على دراسة تفصيلات ابن خلدون ، أن الدعوة للعباسيين بدأت سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م ، وان الخلع والرايات ، شعارات الامارة الافريقية العباسية وصلت عن طريق بيزنطة سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م ، في الوقت الذي استمرت فيه المداورة بين الطرفين الى أن تمت القطيعة النهائية ، واتخاذ اللون الأسود شعار العباسيين سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م (١٥) . وبذلك يمكن التوفيق بين الروايتين اللتين تنسيان سبب القطيعة الى كل من الجرجاني واليازوري ، من حيث الدعوة للعباسيين وقطع الخطبة للفاطميين سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م ، أيام وزارة الجرجاني ، قبل وفاته سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م ، وهنا لا بأس أن يكون التفكير في اطلاق العرب على

(١٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ .

(١٣) أنظر فيما سبق ، ص ٣٨٩ .

(١٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ .

(١٥) ما سبق ، ص ٣٩٣ ، أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ - حيث النص بعد قتل الشيعة ، والناداة بشعار الاسلام ، على اعضاء الظاهر عن المعز من ذلك وابنه المستنصر من بعده ، واعتزاز المعز بالعامية ، الأمر الذي قبل منه ، فاستمر على اقامة الدعوة والمهادنة بمكاتبة وزيرها الجرجاني - وهو ما نراه نوعا من المداورة وليس عودة الناعة .

صنهاجة من رأيه ، وان لم يتم التنفيذ الا فيما بعد - اثر فشل سياسة المداراة بمعنى المداراة - على يدى اليازورى (١٦) . ويرجع ذلك الافتراض ان قصة نار اليازورى ، لما لحق به من الاهانة ، تعتبر تبريرا شخصيا غير مقنع بالنسبة لأحداث خطيرة ، قررت مصير كثير من الدول والشعوب فى بلاد المغرب ومصر والشام لأزمان طويلة (١٧) .

اليازورى يشير على المستنصر باصطناع العرب

والعهد لهم بولاية أفريقية :

والهسم هو أن الوزير اليازورى أشار ، فى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م على الخليفة المستنصر بالله باصطناع العرب عن طريق تقريب مشايخهم ، والعهد لهم بولاية أفريقية بدلا من أمراء القيروان الزيريين الخارجين عليهم ، وتم الأمر بتقليدهم أمرها - بنطق شفوى على ما يظن . ولم يكن فى الأمر مغامرة إذ كانت العملية محسوبة بطريقة لا تقبل الخطأ . وذلك أنه اذا صحت الفكرة التى تخيلها الوزير ، وظفر الهلالية بالمعز بن باديس وعصبيته صنهاجة ، « كانوا (العرب) أولياء للدعوة وعمالا ، وارتفع عدوانهم » الذى كان يعانى منه أهل الصعيد ، وبالتالى ما كان يسبب للدولة من القلق ، « وان كانت الأخرى فلها ما بعدها » (١٨) . وفى السنة التالية ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م كان

(١٦) وفى ذلك تقول بعض الروايات ان المعز الذى كان يتنوق الشعر والأدب ، أراد أن يوقع بين البرجراني ، على أساس أنه صاحب الدعوة الى الانتقام منه ، وبين الخليفة المستنصر ، وذلك بالتلميح دون التصريح ، فأرسل اليه بيتا من الشعر يقول :

وفيك صاحبت قوما لا خلاق لهم

لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

ولكن المكيدة لم تقب عن البرجراني الذى قال :

الا تعجبون من صبي بربرى مغربى يحب أن يخدع شيخا عربيا عراقيا (المؤنس ، ص ٨٤ ، وقارن التذكار لابن غلبون ، ص ٢٧) .

(١٧) انظر النويرى ، ص ٣٤٢ - حيث النص على ان المستنصر كتب الى المعز بن باديس يرقبه ويهدده عندما خطب للقائم العباسى ، وأنه عندما استوزر اليازورى لقبه بـ « سيد الوزراء وقاضى القضاة ، وداعى الدعوة » ، الأمر الذى لم يقبله المعز بن باديس فأمتنع من مخاطبته بما كان يخاطب به الوزراء ، قبله ، وقارن انماط الخطب ، ج ٢ ص ١١٢ - حيث صدره السجل الخلافي سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م بوزارة اليازورى مع لقب سيد الوزراء واجابة سلوك الأطراف على مكاتباته الا معز الدولة ابن باديس الذى قصر فى المكاتبه حتى ان الوزير استدعى أبا القاسم ابن الاخوة وكيل ابن باديس بمصر ، وعتب عنده .

(١٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ .

رسول اليازورى مكين الدولة أبو على الحسن بن على ، أحد أمراء الدولة (اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢١٥) يدور بأمر المستنصر ، على أحياء الهلالية ليتأكد من تنفيذ الحطة ، حسبا رسمت ، فيبدأ بإصلاح ذات البين بين زغبة ورياح ، ويجزل العطاء لأمرائهم ويخصص لكل رجل من العامة بعيرا ودينارا ، مع السماح لهم بعبور النيل من ضفته الشرقية الى الغربية ، مع الاذن بالمسير الى المغرب الذى أعطى لهم بدلا من المعز بن باديس ، المتهم بالعصيان والخروج على أمير المؤمنين ، مع ملك كل ما يستطيعون فتحه من البلاد هناك مع الوعد بالمسدد(١٩) .

نجاح الرحلة الى برقة ، وتقسيم البلاد بين سليم شرقا ، وهلال غربا :

وحقت الرحلة بالنسبة للهلالية نجاحا كبيرا ، اذ سرعان ما وصلوا الى برقة ، التى استوطنوها اعتبارا من سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، حيث وجدوا بلادا طيبة كثيرة المرعى خالية من الأهل ، بسبب هجرة الزناتية منها أمام ضغط صنهاجة(٢٠) . والمهم أن ذلك النجاح الذى حققه الهلالية فى برقة - بمساعدة اخوانهم من بقايا عرب الفتح الذين كانوا هناك - حسبهم ، فكتبوا الى اخوانهم شرقى النيل يرغبونهم فى البلاد . وكانت فرصة استغلتها السلطات الفاطمية هناك ، فبعد أن كانوا يدفعون لسكل رجل يعبر النيل الى الغرب دينارا ، صاروا يأخذون منهم ضريبة مقدارها

(١٩) انظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٦ ، أحداث سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، وقارن ابن عذارى ، ط : بيروت ٦١ ص ٤١٧ - حيث النص على انه جاز منهم خلق عظيم . . . لعلمه انهم لا يحتاجون الى وصية ، والنويرى ، ص ٢٤٣ - حيث النص على ان اليازورى دس الى زغبة ورياح ووصلهم بصيلات ستية ، وأصلح بين الفتنين بعد فتن وحروب ، وانظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث النص على ان الوزير الفاطمى قال لهم : « قد اعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين (باديس بن المنصور بن بلكين) الصنهاجى ، العبد الأبق . فلا تفتقروا . هذا ، كما تتفق الروايات على ان اليازورى كتب الى المعز بن باديس بالقيروان : « اما بعد فقد أنفذنا اليكم خيولا فحولا ، وأرسلنا عليها رجلا كهولا ليقضى الله أمرا كان مفعولا » .

(٢٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٧ - حيث النص على ان زناتة كانوا أهل برقة ، وان المعز بن باديس هو الذى آبادهم ، والمنصور بذلك هم الزيريون ملوك القيروان وليس المعز وحده ، منذ بداية أمرهم مع الاشارة الى أن العرب عاشوا فى أطراف البلاد . وقارن النويرى ، ص ٢٤٣ - حيث نفس الرواية ، وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث النص على أنهم نزلوا برقة وافتتحوا أمصارها واستباحوها ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢١٥ - حيث ملكوا برقة .

ديتارين ، فاستعادوا ما كان أخذ منهم أضعافا ، كما تقول رواية ابن خلدون (٢١) . ومع زيادة أعداد المهاجرين مع مرور الوقت ، كان من الطبيعي أن تزداد أعمال الانسداد واختريب . وفي ذلك تقول الرواية : انهم حاربوا المدينة (أى برقة : المرج حاليا) وأجدابية وسرت ، حيث أقامت قبائل لهب من سليم وأحلافها من : رواحة وناصره وعمرة (٢٢) . والظاهر أن فكرة الشر والفساد التي غلبت على الكتاب بالنسبة لأعمال الهلالية فى بلاد القيروان ، هي التي أملت فترة انهم لم يندخلوا البلاد حسب خطة موضوعة بل نتيجة للترعة التي جعلت من نصيب قبائل سليم : القسم الشرقى من البلاد ، وللهلال القسم الغربى منها (٢٣) . بينما الصحيح أن الهلالية كانوا الطرف الأقوى فى حلف القبائل العربية ، ولهذا كُن لهم فضل التقدم نحو الغرب يتبعهم الآخرون ممن ساروا فى أثرهم من سليم وغيرهم ، وهم الذين كان القسم الشرقى من البلاد من نصيبهم . وهكذا وصفت الرواية قبائل هلال التي اندفعت غربا مكنسحة برقة وطرابلس قبل أفريقية التي وصلتها سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، وهي : دياب وعوف وزغبة ، وكأنها الجراد المنتشر (٢٤) .

مؤنس بن يحيى الرياحى أول الرواد :

وهنا تقول رواية ابن خلدون ان أول من وصل اليهم ، أى الى أفريقية ، هو مؤنس بن يحيى أمير رياح الذى تصفه رواية ابن عذارى بأنه كان سيدا فى قومه ، شجاعا عاقلا (٢٥) ، وأن المعز بن باديس حاول أن يكتسبه الى جانبه ، فلم يكتف باستمالته والاحسان اليه ، بل انه حالفه بالمصاهرة ، فزوجه إحدى بناته ، بل وذهبت الظنون بعيسدا بالمعز الى حد أنه فكر فى

(٢١) العبر ، ج ٦ ص ١٤ ، ص ١٥ (عن بقايا عرب الفتح) .

(٢٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ .

(٢٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ . وقارن انعطاف الحنفا ، ج ٢ ص ٢١٨ - حيث يجعل

المقرئى تقسيم البلاد حسب خطة الخليفة المستنصر الذى جعل مؤنس القيروان وباجة ، ولزغبة طرابلس وقابس ، وللحسن بن مسرة ولاية قسنطينة .

(٢٤) ابن خلدون . ج ٦ ص ١٤ .

(٢٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤١٧ - حيث الاسم الذى أخذنا به -

مؤنس بن يحيى الرياحى ، وأن قدومه كان بعد أيام مضت من الاقامة بناحية برقة ، وهو الأمر المقبول ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث الاسم موسى (بدلا من مؤنس) بن يحيى

(الصنبرى) .

الاستفادة من الهلالية في تقوية مركزه في مواجهة منافسيه من أبناء عمومته ، بنى حماد أصحاب القلعة ، ففاوض عؤنس بن يحيى في استدعاء العرب الذين أتوا ، وكانهم الجراد المنتشر ، كما تقول رواية ابن خلدون ، « وأظهروا الفساد في الأرض ، ونادوا بشعار الخليفة المستنصر الفاطمي ، (٢٦) -

عرب برقة الى جانب المعز ضد المستنصر :

والظاهرة أن العلاقة بين عرب برقة الذين كانوا قد استوطنوا البلاد من قبل والهلالية لم تكن قد استقرت بعد ، فبينما تعاطف البعض منهم مع القادمين الجدد من بني جلدتهم ورأوا أن يشاركوهم في المغامرة ، رأى آخرون أن مصاحبتهم تقتضي الوقوف الى جانب أمير القيروان ، حليفهم وحاميهم . وهكذا فبينما كان الهلالية يصلون الى تخوم أفريقية سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م . كان زعيم عرب برقة وهو : الأمير جبارة بن مختار ، يعلن السمع والطاعة للمعز بن باديس ، وكذلك اخوانه وأهل برقة ، وأنهم أحرقوا المنابر التي كان يدعى علينا للعبيدية ، كما أحرقوا رايانهم وتبرأوا منهم ولعنوهم على منابرهم ، ودعوا للقائم العباسي (٢٧) .

ولما كان شيخهم على أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي ، هو مختار بن القاسم ، فإنه يكون والد جبارة بن مختار ، زعيم برقة الموالي للمعز بن باديس (٢٨) . أما أثناء الهجرة الهلالية فكان من شيوخ هلالية برقة : ماضي ابن مقرب (٢٩) الذي ذاع صيته في القصة الشعبية كالزوج الثاني الذي

(٢٦) ابن خلدون ، ج٦ ص ١٤ - ١٥ ، قارن ابن عذاري ، ط : بيروت ج١ ص ٤١٧ - حيث النص على أن مؤنسا عاد في ركب من الرياضية بنى عمه ، « لم يعهدوا نمة ولا طالعوا حاضرة .. كلما انتهوا الى قرية تتادوا هذه القيروان ونهبوها من حينها » .

(٢٧) ابن عذاري ، ط : بيروت ج١ ص ٤١٦ .

(٢٨) ابن خلدون ، ج٦ ص ١٧ - حيث الإشارة الى مشاركة مختار بن القاسم في الوقوف ضد المسكر الفاطمي الذي أرسله الحاكم بقيادة يحيى بن الأندلسي الى طرابلس ، لأمر الذي يفسر كيف انتقم منهم الحاكم سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٢٣ م عندما أعطاهم الأمان ثم قتلهم عندما وصلوا الى الاسكندرية ، مع الإشارة الى افسادهم على عهد باديس بن المستنصر حيث ائتمروا هديته الى مصر .

(٢٩) اللب ، ج٦ ص ١٨ .

أعقب الشريف على « الجازية » (٣٠) .

وابن خلدون يرى أن عرب برقة هؤلاء ، من المواليين لأمير القيروان ،
وهم في الحقيقة من طلائع العرب الذين دخلوا الى البلاد منذ أيام الحاكم
بأمر الله ، بل وهم الذين شاركوا في ثورة أبي ركونة ، في محاولته غزو
مصر ، وأنهم أيضا هلالية ، وان انتسبوا الى عبد مناف بن هلال ، حسبما
ذكر شعراؤهم (الشعبيون) (٣١) . هذا ولو انه عندما جد الجند سيقف
الرواد الأوائل من بقايا عرب الفتوح الى جانب الهلالية ، بنى جلدتهم ، ضد
خصومهم من المغاربة البربر (٣٢) .

المعز بن اللامبالاة بالعرب وادخالهم في خدمته :

والمهم أن المعز بن باديس استقبل أبناء افساد عرب الهلالية في بلاده
بشيء من اللامبالاة ، اذ تقول الرواية انه عندما بلغه عينتهم في برقة سنة
٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، « استحقق أمرهم » (٣٣) . وهو عندما لم يستمع الى
نصيحة مؤنس بن يحيى الرياحي بعدم الاستعانة ببني عمه رياح من الهلالية
لكي يحلوا في خدمته محل اخسوانه صنهاجة الذين كان كارها لهم محبا
للاستبدال بهم ، فسر افساد الهلالية بأنه مناورة من جانب مؤنس قام بها
ليبدل على صحة قوله ونصحه ، وانه بالتالي استحق سخطه (٣٤) .

وهكذا يتذبذب الصراع الشعبي الكبير ما بين مستواه العام والمستوى
الشخصي الذي يريده له القمص الشعبي ، فتشتد تكاياة مؤنس ، عندما

(٣٠) العبر ، ج ٦ ص ١٩ - حيث النص على أن من مزاعبهم أن الجازية لما صارت الى

أفريقية وفارقت الشريف بن هاشم خلفه عليها منهم : ماضي بن مقرب .

(٣١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧ - حيث يقول أحد شعرائهم :

يا رب جبر الخلق من نتائج البلا
الا الليل انجار ما لا يجيرها

وخص بها قرة منافع وعيتمها
ديما لا ريباد البرادى تشيرها

وبذلك ذكر نسبهم في منافع حيث يعلق ابن خلدون على ذلك بقوله : وليس في هلال

منافع ، هكذا منفردا ، انما هو عبد مناف ، والله تعالى أعلم .

(٣٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

(٣٣) النويري ، ص ٣٤٣ .

(٣٤) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٧ - ٤١٨ - حيث النص على أن الامر عظم

على المسز ، فقال : انما فعل مؤنس هذا ليصح قوله ، كما أنه اتخذ اجراءات عنيفة ضد مؤنس

في القيروان ، من ثقاف اولاده وعياله ، والتمت على داره حتى يعلم ما يكون من امره .

يباغه خبير ما فعله المعز بأهله ، ويعظم بلاؤه (٣٥) . ورغم محسالة المعز (السلطان) تفويم الموقف عن طريق وساطه بعض الفهماء الذين أخرجهم الى مؤنس والعرب ، بمكاتبات وشروط ووصايا ، ورغم ما قام به تميم ولى العهد (ولد السلطان) ، من الافراج عن عيالات العرب ، وأخذ اليهود والمواثيق عليهم بالرجوع الى الطاعة ، فقد انتهى الأمر بالعداء المكشوف . حيث انقلب العرب على المعز ، وانتشر فسادهم بكل جهة ومكان (٣٦) ، الى أن انتهى الأمر بمحاصرتهم للقيروان .

حصار القيروان بين الأسطورة والتاريخ :

وحول محاصرة القيروان تدور قصة شعبية هلالية طريفة تنسب الى الزعيم مؤنس بن يحيى الرياحى أنه عندما أظهر له أتباعه الرغبة فى الوصول الى القيروان ، قال لهم : ان الأمر لا يتحقق دفعة واحدة ، ودلل لهم على ذلك بطريقة عملية مقنعة ، « فأخذ بساطا فيسطه ، ثم قال لهم : من يدخل البساط من غير أن يمشى عليه ، فقالوا لا تقدر على ذلك ، فقال هكذا القيروان ، خذوا شيئا فشيئا حتى لا يبقى الا القيروان فخذوها حينئذ . فقالوا : انك لشيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولا نقطع أمرا دونك » (٣٧) - ونتيجة للأعمال العدوانية ، ما بين افساد العرب وانتقام المعز بن باديس هلكت الضواحي والقرى (٣٨) ، وكان لابد من عدد من المارك الحاسمة لتقرير لمن تكون السيادة فى النهاية - وهى النتيجة المقدره . سلفا لصالح الأعداء من المحاربين العرب بطبيعة الحال .

مقدمات الصراع :

تقييم الموقف :

والحقيقة أنه رغم ما توحى به الروايات المتأخرة نسبيا لابن الأثير وابن عذارى والنويرى وابن خلدون - ما بين القرن ال ٧ - ٩ هـ / ١٣ - ١٥ م -

-
- (٣٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٨ - حيث يقول مؤنس : قدمت له النصيحة فحاق بي الأمر ، وحيث يصبح أشد اضرازا من القول بسبب علمه بمورات القيروان .
- (٣٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٨ .
- (٣٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٧ ، وقارن النويرى ، ص ٣٤٥ - حيث قصة البساط خاصة بفتح بلاد المغرب جميعا قبل فتح القيروان - فكانها ما يعرف الآن بسياسة الخطوة خطوة .
- (٣٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

ومن يأتي بعدهم ، من أن الأمر لم يتطلب من العرب الهلالية الامعركة واحدة لهزيمة المعز واقضاء على القوة الزيرية في القيروان ، فان طبيعة حرب الهلالية ، مثلما كانت أيام العرب انقديمه ، لم تكن تعرف المعارك الحاسمة أو الفاصلة ، وهو الأمر الذي تقضى به طبيعة الأشياء ، من حيث أصول حرب الكر والفر ، مما يسمى في أيامنا هذه بحرب الامكانيات البسيطة . وإذا كانت أحداث الصراع بين الهلالية والمعز قد وضعت دفعة واحدة تحت عنوان انتصار العرب على المعز أو هزيمة العرب للمعز بن باديس ، كما عند ابن عذارى والزويرى ، وضمن أحداث سنة واحدة ، هي سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، فان رواية ابن الأثير التي تضعها تحت عنوان دخول العرب الى أفريقيا سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، تسلسل الأحداث في عدد من المعارك التي وقعت بين المعز والهلالية ، مثل : يوم النيون أو الأضحى أو حيدران ، وان كان ينقصها التحديدات التي تمكن من ترتيبها زمنياً بالاستعانة بالتواريخ المتناثرة هنا وهناك ، سواء عند ابن الأثير أو ابن عذارى الذي يأخذ بنفس الرواية ، وكذلك عند ابن خلدون الذي يقدم في الموضوع معلومات مبهرة .

ما بين القوتين المتصارعتين :

مبالغات ابن رشيق وابن شرف في محنة القيروان :

رغم وصف المعاصرين ، وخاصة من شعراء القيروان ، هزيمة جنود المعز بن باديس الصنهاجيين أمام عرب الهلالية الوافدين من صحراء مصر الشرقية بـ « الداهية العظمى ، والمصيبة الكبرى » (٣٩) ، فهناك من القرائن ما يدل على أن الأمر لم يكن كذلك ، وان هناك ثمة مبالغة من جانب المثقفين من أهل البلاد وخاصة الأدباء والشعراء منهم ، وبخاصة ابن رشيق وابن شرف ، في البكاء على أطلال القيروان (٤٠) . حقيقة ان الكتاب يبالغون في

(٣٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٦٩ .

(٤٠) عن تقييم عملهما الأدبي والتاريخي أنظر الشاذلي بو يحيى ، الحياة الأدبية في افريقية على عهد الزيريين ، بالفرنسية ، رسالة دكتوراة ، طبع تونس ١٩٧٢ ، ص ١٠٤ وما يتبعها ، عن ابن رشيق القيرواني الأزدى المسيل (٣٩٠ - ٤٥٦ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٦٤ م) الذي شمله ابن أبي الرجال الوزير مؤدب المعز واستخدمه في الديوان ، وكانت وسيلته لكي يتسبح شاعر البلاد ، حيث دخل في مناقسة مع ابن شرف قرينه ، كان يحلو للمعز أن يشمله . وعندما ترك المعز القيروان الى المهديّة تبعه ابن رشيق الى هناك ، وبعد وفاة المعز =

برف الحضارة الإفريقية على عهد المعز بن باديس . حيث كان موكب الأمير
يشير الضجة والصخب في العاصمة بما يتقدمه من الحيوانات السودانية.
الغريبة ، والسباع المخيفة . ولكن الاعجاب بالموكب المتبر كان ينتهي أحيانا
بتفجر مشاعر الهلع ثم الحزن والأسف ، اذا ما قدر لواحد من تلك السباع
مثلا ، أن يفلت من اسار صاحبه ، لكي ينطلق الناس أمامه مذهولين فزعا ،
ليقع بعضهم على بعض ، وتموت الأعداد الكثيرة منهم ، كما حدث في موكب
سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م ، أي قريب الوقت الذي كان خطر العرب ينتهدد
القيروان (٤١) . وكذلك الأمر بالنسبة لحضارة القيروان الزيرية التي تمثلت
في كثرة الأتواب التي يكمن فيها الواحد من أفراد الأسرة الحاكمة وغلاء
ثمنها ، أو تابوت العود الهندي الثمين بمسامير الذهب الذي يدفن فيه ، أو
أحمال المال التي كانت تعطى لمن يستحق أو لا يستحق من قبل الأمير أو
كبار رجال الدولة من الولاة (٤٢) ، الأمر الذي يتجاوز الترف الى البطر

(٤٤٣ هـ / ١٠٦١ م) هاجر الى صقلية ، وعاش في كنف أمراها الكليبيين . واذا كان يذكر
له نبوغه في الحمريات الوصفية والقطع الشعرية الصغيرة ، فانه بمناسبة كارثة القيروان
ملحس ، في قصيدته المزيّنة ، وأن كانت برنة غنائية - على كل حال - وفيما يتعلق بابن رشيق
مؤرخا ، يخرج الباحث بأنه لا يرى ذلك وإن كتاب « ميزان الاعتدال » المنسوب اليه متوسط
عند ابن خلدون ، وهو في الحقيقة ليس له ، بل لمؤلف أندلسي يحمل نفس الاسم (ابن رشيق) ،
وذلك اسنادا الى رواية ابن الخطيب . وأنظر نفس المرجع ، ص ١١٦ وما يتبعها عن ابن شرف
(٣٩٠ - ٤٦٠ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٦٧ م = أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد) فهو أحد المسح
رجال الأدب والشعراء وعلماء أفريقية في القرن الـ ٥ هـ / ١١ - أخذ ضمن من أخذ عنهم
عن أبي عمران الفاسي ، شيخ القيروان الشهير صاحب الفضل في اكتشاف فقيه المرابطين الشهير ،
عبد الله بن ياسين . ومن المهم هنا أن كل أعمال المعز بن باديس تظهر في شعر ابن شرف
بصفته شاعر البلاط مثل ابن رشيق ، الى سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٦ م ، حيث رحل ابن شرف
لفترة قصيرة الى المهديّة في كنف الأمير تميم بن المعز ، قبل أن يسير الى صقلية لدى الأمير
منكود ، ثم الى الأندلس لدى العباديين أمراء اشبيلية - حيث مات . وهو موضوع خراب القيروان
مثير في شعر ابن شرف ، وفي تاريخه أيضا ، حيث أكمل تاريخ الرقيق في حولياته ، هذا ،
كما أكمل ابنه جعفر تلك الحوليات ومن بعده تاريخ ابن عذارى ، ذلك العمل .

وأنظر لانونذج لابن رشيق ، تحقيق المطوي ، تونس ١٩٨٦ ، ص ٣٤٠ - حيث ابن شرفه
وفيه يقول ابن رشيق : « وكان بيننا قبل أن يجذبنا (سيدنا المعز) الى محل حرمه ، ويشركنا
في سائغ نعمته مكاتبات ومجاوبات » ، ص ٤٣٩ - عن صاحب الكتاب ، حسن بن رشيق ،
حيث أنه من موالى الأزد ، ولد بالمعدية (المسيلة) سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م ، وقدم الحضرة
سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ، وامتدح سيدنا - وأنظر فيما سبق ص ٤١٠ .

(٤١) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٠٢ .

(٤٢) العبر ، ج ٦ ص ١٥٨ .

والسبغ ، والكرم الى الاسراف والتفريط ، وهو ما يعنى بلوغ الذروة فى مسار الحضارة ، وبدء الانحدار فوق السفح الى الحضيض ، بمعنى افتقار الحشونة على المستوى العسكرى ، وعدم القدرة على مطاولة الحصار ، خصوصا اذا كانوا من نمط الهلالية الذين « لم يعهدوا نعمة ولا طالعوا حاضرة » . . . والذين كانوا كلما انتهوا الى قرية نادوا : هذه القيروان ، ونهبوها من حينها ، مما سبقت الاشارة اليه (ص ٤٢٤ و ٢٦٦) . والحقيقة ان الدولة الزيرية كانت منذ حين ، قد فقدت ثقتها فى عسكرها الصنهاجى ، عندما بدأ الأمراء منذ عهد المنصور وباديس ، فى جمع العبيد السودان ليكونوا الحرس الأميرى الخاص ، الذى أصبح وحده موضع الثقة ، وبالتالى نواة القوات النظامية (٤٣) .

المنوشات الأولية ، والحشد للمعركة :

بدأت المناوشات عندما سرح المعز الى الهلالية قوة من رجاله الصنهاجين ، ولكن العرب نجحوا فى الايقاع بهم ، فأخذته العزة بالكبر ، وأشاط به الغضب ، فأمر بالتبض على أخى مؤنس وخرج معسكرا بظاهر القيروان ، وهو يحشد الرجال ويستنفر القبائل الموالية ، من زناتة وغيرها ، كما بعث بالصريخ الى ابن عمه : القائد بن حماد ، صاحب القلعة . واستجاب القائد فأرسل الى المعز كتيبة من ألف فارس ، كما لبي نداءه الزعيم الزناتى المنتصر بن خزرون المغراوى ، والذى كان فى بادىء الأمر مناوئا للمعز ، على رأس ألف فارس من قومه . هذا ، كما انضم الى معسكر المعز أعداد من الأتباع والأولياء والحشم ، ومن فى ايالتهم من بقايا عرب الفتح والزناتية ، وغيرهم من جماعات البربر ، حتى اجتمع له حوالى الثلاثين ألف رجل . أما عن المعسكر الهلالي فقد حوى جماعات من قبائل : رياح وزغبة وعدى ، الذين أقبلوا من جهة قابس مرورا بجبل حيدران ، فى نحو ٣ (ثلاثة) آلاف رجل ، تحت قيادة مؤنس بن يحيى الرياحى (٤٤) .

(٤٣) ما سبق ص ٣٠٨ - حيث كان نواب أفريقية من الكتاب أو الوزراء سابقين الى افتتاح

العبيد .

(٤٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ - حيث موسى بدلا من مؤنس ، وابن خزور بدلا من ابن خزرون ، وفاس بدلا من قابس ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٧ - حيث عدد قوات المعز ٣٠ ألف فارس ومثلها رجالة . والبربرى ، ص ٣٤٦ - حيث المنصور بدلا من المنتصر .

الفتنة :

معركة يوم العيون :

وعندما رحل المعز الى ناسية قرية بنى منزل ، حيث كان اللقاء في منتصف النهار في منطقة أوعار وأودية اختارها المعز (٤٥) ، هال العرب منظر عساكر المعز وعبيده المدججين بالسلاح والمتدثرين بثقل الثياب . ولكن مؤنس بن يحيى نجح في تهديته روعهم ، ورفع معنوياتهم فقرروا الثبات في مواجهة الحشود الزيرية ، كما أن مؤنسا عرفهم بمواطن الضعف عند الخصوم الثقيلين بالعتاد والسيب من الكراغندات والمغافر ، اذ طلب منهم الطعن في العيون - تماما ، كما فعل عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، في حرب الثوبه بجنوب مصر - الأمر الذي أدى الى اطلاق اسم « يوم العيون » على تلك المعركة . ولكنه ما كادت المعركة تبدأ حتى ظهرت علامات الفشل في المعسكر الصنهاجي ، حيث بدأ عرب الفتح بالتحيز جانبيا ، قبل أن ينضموا الى جانب الهلالية ، للمعصية القديمة بينهم . وهنا لم يكن من المستغرب أن يخون الزناتية بدورهم ، بل والصنهاجيون فيفرون من ميدان القتال (٤٦) ، تاركين المعز وسط المخلصين له من عبيده . وفي ذلك تقول الرواية أن صنهاجة كانت تحقد على المعز اعتماده على العبيد دون عصبية الصنهاجية ، وأنهم لهذا السبب اتفقوا على الانسحاب أمام العدو حتى يشبثوا للمعز خطر الاعتماد على العبيد ، وأنهم كانوا على ثقة من تقويم الموقف بعد ذلك (٤٧) .

وعلى عكس ما حسب الصنهاجيون ثبت المعز في موضع القلب مع عبيده السودان حتى قتل الكثير ، بينما لم يتمكن الصنهاجيون من العودة الى ميدان المعركة اذ منعهم العرب من ذلك ، فتمت الهزيمة على المعز الذي انسحب في بعض خاصته نحو القيروان .

وكان النصر مؤزرا بالنسبة للعرب ، كما كانت الهزيمة قاسية بالنسبة لصنهاجة . فلقد انتهب العرب جميع ما كان بالمحلة من المال والمتاع

(٤٥) ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٩ - والذي يؤخذ على الرواية هنا انها تجمع معلومات حروب المطولة في معركة واحدة ، وهي : معركة يوم الأضحى التي تاتي كثنائي لقاء بين الطرفين .

(٤٦) العبر ، ج ٦ ص ١٥ .

(٤٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ .

والذخيرة والحيل والفسطاطيط والرايات (٤٨) . واستنادا الى رواية ابن الأثير
التي أخذنا بها ، وهي التي تظهر عند النويري ، كما يؤيدها ابن خلدون ،
نرى كيف تحورت الرواية المنسوبة الى ابن شرف ، عند ابن عذارى ، متجهة
نحو المبالغة في أعداد الجيوش المتحاربة ، وهو الأمر الذي تهفوا اليه
البنفوس ، فالثلاثون ألفا أصبحت ثمانين ، والثلاثة آلاف صارت في الجانب
البيلاي ثلاثين ألفا . هذا ، كما تبالغ رواية ابن عذارى - المتأثرة أصلا
بإبن شرف - عندما تضع معلومات يوم العيون هذا ، في موضع يوم الأضحى
أو يوم حيدران ، وهما اللقاءان الثاني والثالث بين الطرفين المتحاربين ، كما
سنرى ، فتجعل من بين ما حازه العرب في مضارب المعز ، الذهب والفضة
الى جانب أكثر من ١٠ (عشرة) آلاف خباء ، و ١٥ (خمسة عشر) ألف
جمل ، وعدد لا يحصى من البغال ، « فما خلص لأحد من الجند عقال فمسا
فوقه » . هذا ، كما تجعل الرواية تلك المعركة فاصلة من حيث كان انتصار
العرب نهائيا ، اذ : « جعل كل من سبق الى قرية يسمى نفسه لهم ،
ويؤمنهم ويعطيهم قلنسوته أو رقعة يكتبها لهم ، علامة ليعلم غيره من
سبقة » (٤٩) .

معركة عيد الأضحى :

وحسب ترتيب ابن الأثير الذي أخذنا به - كما عند النويري - فإن
معركة يوم الأضحى المحددة التاريخ بالأيام ، كانت بمثابة ثأر ليزيمة يوم
العيون . فلقد أراد المعز بن باديس أن يأخذ العرب على حين غرة ، فدبر

(٤٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ - حيث النص على ان بعض الشعراء قال في تلك المعركة :
وان ابن باديس لأفضل مات ولكن لعمري ما لديه رجال
ثلاثون ألفا منهم غلبتهم ثلاثة آلاف ان ذا لرجال
وقارن النويري ، ص ٣٤٦ - حيث الكلمة الأخيرة من الشطرة الثانية من البيت الثاني :
لنكالم بدلا من لجال ، وابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٢٠ - حيث بيتا الشعر المنسوبان
الى : علي ابن زرق ، من قصيدة له ، والأول منهما مختلف ، اذ هما كالآتي :
لقد زاد وهنبا من أميم خيال وأبدي المطايا بالرميل عجال
ثمانون ألفا منكم هزمتهم ثلاثون ألفا ان ذا لنكالم
وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ - حيث يورد ٣ أبيات خاصة بالمعركة ، أولها هو البيت
الأول عند النويري : « لقد زاد وهنبا . . . » اما الآخران فهما الواردان عند ابن الأثير مع
اختلاف بعض الكلمات ، في البيت الثالث ، مثل : « قد هزمتهم » بدلا من غلبتهم في الشطرة
الأولى ، وذلك ضلال بدلا من وذلك ضلال في الشطرة الثانية .
(٤٩) البيان ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٠ . وانظر فيما بعد ص ٤٣٥ .

أن تكون المفاجأة لهم يوم النحر ، أى يوم عيد الأضحى ، فى العاشر من ذى الحجة من السنة نفسها ٤٤٣هـ / ٣ ابريل ١٠٥٢م ك ، والقوم مشغولون بصلاة العيد ، والاعداد للنحر ، وموائد الضحية الغنية باللحم والثريد . هكذا جمع المعز فى صباح ذلك اليوم ٢٧ (سبعة وعشرين) ألف فارس ، وسار بهم جريدة أى حملة سريعة تصل الى هدفها قبل أن يصله خبرها . ونجحت الخطة من حيث التوقيت اذ هجم جيش المعز على العرب ، وهم فى صلاة العيد ، ولكن العرب ، وهم الفرسان بحكم النشأة ، أسرعوا الى ركوب خيولهم ، وحملوا على القوات الصنهاجية التى لم تحتل الصدمة فانهمزمت « وقتل منهم عالم كثير » (٥٠) .

وهنا لا بأس من الأخذ برواية ابن عذارى عن معركة يوم الأضحى ، حيث يقول انه بعد عودة المنهزمين الى القيروان بات الناس هناك ليلتين وقد خيم عليهم كابوس من الخوف والرعب من مفاجأة خيل العرب ، التى كانت تسرح حول القيروان فى كل جهة ومكان ، والناس يرونهم عيانا بياناً . وبعد ثلاثة أيام عندما استرد المعز أنفاسه المقطوعة حاول أن يقوم بتظاهرة ترفع من معنويات الناس وترد اليهم بعض شجاعاتهم المفقودة ، فقام فى اليوم السابع للعيد ، ١٦ ذى الحجة / ١٩ ابريل ١٠٥٢م بالحروج بجنوده ، كما خرج معه العامة من أهل القيروان ، ولكنه لم يجرؤ على أن يتعدى بهم موضع المصل خارج المدينة . وهنا رأى أن يستخدم خطة ما يعرف فى الحروب باسم « الأرض المحترقة » ، نكاية فى العدو ، فأمر كافة الناس بانتهاب المزروعات المحيطة بالقيروان وصبرة (المنصورية) . ورغم سرور المسلمين ، كما تقول الرواية ، كناية عن أن العرب الهلالية شيعية فاطمية خارجين على الاسلام - بما حسبه رزقا لهم ، فانهم سرعان ما أصيبوا بخيبة الأمل ، اذ كان مصيرها الفساد وأكل البهائم (٥١) .

(٥٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ ، النويرى ، ص ٣٤٦ ، وقارن ابن عذارى ، بيروت : ص ٤١٩ - حيث تظهر معركة عيد الأضحى وكأنها معركة يوم العيون ، فهو يصفها بالدهية العظيمة والمصيبة الكبرى ، حيث كانت الهزيمة على المعز الذى صبر بين عبيده الذين فدوه ، بينما انهزم مناد وصنهاجة وغيرهم وبذلك كانت عودة المعز الى قصره بالمنصورية فى ثالث يوم العيد ، اذ كانت المعركة فى اليوم الثانى من العيد ، ولا بأس أن يكون الثانى بالنسبة الى المعركة والثالث بالنسبة لها ، أى بالنسبة للهزيمة . هذا ، كما تبالى رواية ابن عذارى المنسوبة الى ابن شرف فى اعداد المسكر فى من الجانبين ، فهم ٨٠ ألفا فى معسكر المعز ٣٠ ألفا فى جانب الهلالية .

(٥١) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢١ .

بناء سور القيروان وصيرة :

وعندما ظهر العرب في اليوم التالي ، ١٧ ذى الحجة / ٩ ابريل ، على بعد ٧ أميال من القيروان كان على المعز أن يخرج لتفقد ضواحي المدينة . واتخذ الاجراءات المناسبة لتحصينها . وفعلا صدرت الاوامر ببناء سور القيروان وصيرة التي تمت في السنة الثالثة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٣م (٥٢) . وزيادة في حصانة الاسوار امر الناس بالاحتفال في البناء ، فأخذ كثير منهم في بناء دورهم (٥٣) . وكان من الطبيعي بعد أن اطمأن المعز الى حصانة القيروان وصيرة وخاصة أن العرب من الهلالية أو غيرهم كانوا لا يعرفون في حروبهم الا الكر والفر ، وليست لهم خبرة بحرب الحصون واقتحام الموانع أن يحاول استغلال هذه الميزة التي كانت له وتوجيه ضربة رادعة الى العرب ، تردهم بعيدا عن بلاد القيروان .

يوم حيدران والمركة الحاسمة :

وهكذا حدث النزال الثالث ، في منطقة جبل حيدران ، على ٣ أيام من القيروان ، والذي يمكن أن يعتبر الوقعة الفاصلة في تاريخ حذب المطولة هذه . - حسب اصطلاح ابن خلدون - التي وضعت نهاية حزيمة لمدينة القيروان كعاصمة لبلاد افريقية التونسية ، منذ انشائها قبل أربعة قرون ، كما قررت مصير المغرب الى حد كبير .

وحسبما يستشف من الأحداث توضع موقعة جبل حيدران في السنة التالية ليوم الأضحى أي سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣م ، حيث جمع المعز بن باديس أعدادا كبيرة من فرسان صنهاجة وزناتة ، وخرج علي رأسهم قاصدا منازل العرب في قرية الهلالية ، جنوب جبل حيدران . ورغم أن العرب لم يزيدوا على ٧ (سبعة) آلاف فارس ، فان قوات القيروان المنهكة جسمانيا ومعنويا ، لم تكن لتستطيع الصمود أمام حملات العرب الساحقة ، فانهمزمت صنهاجة ، كما انهزمت زناتة ، رغم ثبات المعز في عبيده ، ذلك الثبات العظيم الذي لم يسمع بمثله ، والذي انتهى على كل حال بهزيمته هو الآخر ، وعودته الى قصوره بالمنصورية . ورغم ما تقوله الرواية من أن هزيمة صنهاجة انتهت

(٥٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ - حيث النص خطأ على سور « زويلة » والقيروان بدلا

من صيرة والقيروان .

(٥٣) ابن عسارى ، ط ١ : بيروت ج ١ ص ٤٢١ .

بأن « ولى كل رجل منهم الى منزله » ، فان خسارة صنهاجة في رجالها كانت فادحة هذه المرة ، اذ أنه عندما أحصى من قتل منهم ، كانوا ٣٣٠٠ (ثلاثة آلاف وثلاثمائة) رجل - ولا بأس أن تقصد الرواية من ذلك العدد الكبير جميع من قتل في موقعة حيدران ، من صنهاجة وزنانه والعبيد الأسيرية ، وغيرهم(٥٦) ، الأمر الذي يعنى ضربة قاضية للصنهاجيين ، وبالتالي لدولة آل بلكين الزبيريين في القيروان .

حصان القيروان ، والاجراءات التحفظية :

بمجرد وصول نبا هزيمة جبل حيدران الى القيروان بدأ أهلها في الفرار منها الى تونس ، في نفس السنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م (٥٧) ، كما تم تنفيذ ما كان المعز بن باديس قد اتخذ من اجراءات وقائية لما ينتظره من ضغوط العرب على القيروان والمنصورية ، بعد بناء الأسوار . من ذلك أنه أمر بانتقال اعمامة من أهل صبرة وسوقتها الى القيروان ، وبخلو الحوانيت كلها بصبرة ، كما أمر جميع الصنهاجيين الموجودين بالقيروان وغيرهم من العسكر بالانتقال الى صبرة ، والنزول في حوانيتها وأسواقها . فكانه فرق ما بين المدينتين . فعلى القيروان ، كما كانت من قبل ، مدينة العامة ، وصبرة المنصورية وهي مدينة صبرة الملكية ، مدينة العسكر دون غيرهم(٥٦) - ربما ليأمن من غائلة العامة اذا ما اضطربوا عند قدوم العرب الى القيروان ، وهو الأمر المتوقع .

انتفاضة العامة بالقيروان :

وفعلا لم يلبث عرب زغبة ورياح ، المنتصرون في حيدران ، أن وصلوا الى القيروان وأحاطوا بها(٥٧) ، في الوقت الذي كانت قد ساءت فيه العلاقات نوعا ما بين عامة أهل القيروان الذين تركوا أسواقهم وحوانيتهم ، في صبرة المنصورية ، بين أيدي عسكر صنهاجة ، وعبيد المعز الذين نزلوا بها ، فملوا أيديهم الى خشب الحوانيت وسقائتها واقتلموها ، فخرت العمارة العظيمة في ساعة واحدة(٥٨) . واذا كان المعز قد أصدر أوامره للعسكر

(٥٤) انظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ - ٥٦٩ ، النويرى ، ص ٣٤٦ .

(٥٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

(٥٦) ابن عذارى ، ط ١ : بيروت ج ١ ص ٤٢١ .

(٥٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

(٥٨) ابن عذارى ، ط ١ : بيروت ج ١ ص ٤٢١ .

بعدم الخروج على سويد صبره (٥٩) تلافيا لاحتكاك لا تعرف عقباه مع العرب ،
فان العامة كانوا مستعدين لمواجهة الأخطار . فعندما وصل العرب الى مصلى
القيروان في السنة التالية لوقعة حيدران ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م ، خرج اليهم
أهل ضاحيتي وقادة وصبرة المنصورية ، في حرب غير متكافئة ، انتهت
بقتل خلق كثير من أهل الضاحيتين ، الأمر الذي أدى الى تدخل المعز لرفع
الحرب بين الفريقين (٦٠) .

ورغم انسحاب العرب من الضواحي التي كانوا قد اقتحموها ، فان
المعز سمح لهم بدخول القيروان ، تحسبا لعودتهم مرة أخرى ، لكي يقوموا
بما كانوا في حاجة اليه من بيع وشراء (٦١) . وكان من الطبيعي أن يكون
دخول العرب الى القيروان واحتكاكهم . بعامتها الذين استخفوا بهم ، نتائجه
السلبية ، اذ أدى التنازع بين واحد من أهل السوق مع رجل من العرب الى
الحرب بين الفريقين ، وكانت الغلبة في الصراع للعرب بطبيعة الحال (٦٢) .

وبانكسار انتفاضات العامة من أهل القيروان أمام حملات فرسان
العرب بعد هزيمة الجيوش النظامية من الحرس الأميري الأسود ، والمتطوعين
من صنهاجة وزناتة ، انتهى الأمر بانفتاح القيروان أمام الهلالية وسيطرتهم
تماما على تخومها ، حتى صار «كل من سبق منهم الى قرية يسمى نفسه لهم» ،
ويؤمنهم ، ويعطيهم قانسوته أو رقعة يكتبها لهم ، علامة ليعلم غيره من
سبقة (٦٣) .

(٥٩) ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٢ .

(٦٠) النويري ، ص ٣٤٦ .

(٦١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، النويري ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٦٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، النويري ، ص ٣٤٧ ، وقارن ابن عذاري ، ط :
بيروت ج ١ ص ٤٢٣ - حيث الإشارة الى وقعة باب تونس بالقيروان بين العامة الذين خرجوا
بالمعز والسلاح . ولكنهم لم يستطيعوا الصمود أمام حملة فرسان العرب عليهم ، اذ تساقطوا
على وجوههم وجنحهم ، كما سطحوهم من حد أفران الأجر الى هذا الباب (باب تونس) .
وتعطي رواية ابن شرف صورة صادقة لأعمال العرب في حي باب تونس حيث لم يتركوا على
حي ولا ميت خرفة توارية . وبعد انصراف العرب خرج الناس لرفع القتلى ، فكانت النواتج
والندب بكل جهة وزقاق ، كما كانت جراح المصابين القبيحة تفتت الأكباد وتذيب القلوب
والأجساد ، وكذلك مناظر البيئات اللاتي سودن وجوههن وحلقن رؤوسهن على آبالهن
واخوانهن . . فكان يوما لم ير الناس مثله في سائر الأمصار فيما مضى من الأمصار .
(٦٣) ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٠ ، وانظر فيما سبق ، ص ٤٣١ .

الإحاطة بالقيروان :

وهكذا انتهى الأمر بإحاطة زغبة ورياح بالقيروان ، ونزول مؤنس ابن يحيى المرداسي الرياحي ، قريبا من ساحة البلد بينما فر قرابة المعز ابن باديس من آل زيري . وبذلك اقتسمت العرب من زغبة ورياح بلاد افريقية منذ سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م ، حيث صارت قابس وما يليها من بلاد قسطليلية لهما جميعا ، بينما انفردت زغبة بمنطقة طرابلس ، واخذ مؤنس ابن يحيى منطقة باجة وما يليها(٦٤) . ومع استمرار تقاطر العرب من صعيد مصر كان عليهم أن يعيدوا تقسيم البلاد مرة أخرى ، فكان لبنى سليم الأقاليم من طرابلس فما دونها ، وكان للهلالية من : المعقل وجشم وقررة والأنبج والخلط وسفيان ، من : مدينة تونس الى المغرب . وبذلك « تصرم الملك من المعز » ، وتغلب عائذ بن أبي الغيث على مدينة تونس وسلبها ، وملك أبو مسعود من شيوخهم ، مدينة سوسة صلحا ، وعمل المعز على خلاص نفسه مصاهرة ببنته الثالثة اللاتي زوجها بابنيه : فارس بن أبي الغيث وأخيه عائذ ، والفضل بن أبي علي المرادي(٦٥) .

النقلة الى المهديّة :

ومنذ ذلك الوقت (٤٤٦هـ / ١٠٥٤م) تأكد المعز بن باديس من نهاية مملكته في القيروان التي طوقها العرب وأحكموا حصارها ، وبدأ يفكر في النقلة الى المهديّة فكان في الأمر عودة الى الوحشة مع أهل القيروان أيام المهدي أو أثناء الثورة الزناتية على عهد القائم . وهكذا أشار المعز على الرعية بالانتقال الى المهديّة لعجزه عن حمايتهم من العرب ، وأقام هو بالقيروان والناس ينتقلون الى المهديّة الى سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م(٦٦) .

وفي نفس هذا الوقت كان الهلالية يدمغون سياسة الفرع الحمادي من الزيريين في القلعة بطابعهم . ففي سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م توفى القائد بن حماد ، وتولى ابنه محسن الذي خشي منافسة عمومته فقتل الكثيرين منهم ، ولكن بلسكين بن محمد ، من بنى عمومته ، نجح في التخلص منه بمعونة العرب ، ودخل القلعة في ربيع الأول سنة ٤٤٧هـ /مايه يونيه ١٠٥٥م .

(٦٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

(٦٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ - ١٦ .

(٦٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ .

وأصبح الأمير الحمادى الرابع (٦٧) . وبذلك يكون الهلالية قد تقدموا الى قسنطينة ، وأصبحت لهم اليد العليا فى كل البلاد ، وخاصة فى الأقاليم الداخلية ، حيث شرعوا فى هدم الحصون والقصور ، وقطع الشار وتخريب الأنهار (٦٨) .

وكخطوة تمهيدية للانتقال الى المهديّة سار ولى العهد ، تميم بن المعز ابن باديس ، الى ولايته بالمهديّة سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م (٦٩) ، وكان أبوه قد ولاه اياها سنة ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م (٧٠) . وكانت تلك الولاية بالنسبة للمعز ، قد بدأت بما يتفق مع مقولة « ان المصائب لا تأتى فرادى » ، اذ لم تلبث أن قامت الفتنة بين عبيد تميم الذين انضم اليهم عامة أهل زويلة ومن كان بها من رجال الأسطول ، وبين عبيد المعز الذين كانوا هناك ، وكانت الدائرة على عبيد المعز الذين قتل الكثير منهم . وعندما حاول الباقون منهم الخروج من المهديّة الى القيروان حيث سيدهم المعز ، أغرى تميم بهم العرب فى المنطقة ، فقتلوا منهم جمعا غفيرا ، الأمر الذى يثير نوعا من الشك حول سلامة العلاقة بين المعز وولى عهده ، الولى على المهديّة (٧١) وهو ما يظهر كصدى للروايات التى تنص بشيء من الإلحاح على تلقى تميم والده المعز بما يليق به من الاحترام والتبجيل ، ومشيه بين يديه من مياش الى القصر ، على طول مسافة نصف فرسخ (٧٢) ، وذلك عندما انتقل المعز الى المهديّة فى شعبان سنة ٤٤٩هـ / أكتوبر ١٠٥٧م ، بعد أن أصلح أحوال أهل القيروان ، بمساعدة أصحابه العرب الذين تبعوه ، حراسة بالعبيد السودان ومعهم ابنه المنصور ، الى منطقة الساحل من حيث ركب البحر الى المهديّة (٧٣) .

(٦٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٠١ ، التويرى ، ص ٣٤٣ - حيث النص على أنه قتل ٢٤ من عمومه ، وأنه استدعى ابن عمه بلكين بن محمد وأمر رجالا من العرب أن يقتلوه ، ولكنهم أخبروا بلكين بالكيدة اذ كانوا من أوليائه ، بل وقتلوا الأمير محسن .

(٦٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ .

(٦٩) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ - ولو ان نص ابن الأثير يقول انه أقام بها منذ ولها ، الأمر الذى يعنى أنه ربما كان فى زيارة لوالده بالقيروان أو انه كان قد استدعى بسبب الوحشة بينهما .

(٧١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦١٧ - حيث النص على ان هذه التوبة كانت سبب قتل تميم من قتل من عبيدا أبيه لما ملك .

(٧٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، التويرى ، ص ٣٤٧ .

(٧٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ وقارن المقرئى ، انماط الحنفا ، ص ٢١٧ - حيث =

نهب القيروان وسيادة البعز من بربر وعرب على المنطقة :

وكان لخروج المعز من القيروان ردود فعل سيئة هناك ، ففى الشهر التالى ، رمضان ٤٤٩ هـ / أكتوبر ١٠٥٧ م نهب العرب القيروان (٧٤) . هذا ولم يكتف العرب بافساد القيروان بل انهم تابعوا المعز نحو المهديّة ، فنزلوا حولها وضيقوا عليها بمنع المرافق وافساد السابلة (٧٥) .

وباضطراب افريقية الزيرية ، خرب عمرانها وفسدت سابلتها ، بعد أن آلت السيادة على أطرافها وضواحيها الى قبائل البربر البترية (البدوية من : زناتة وبنى يفرن ومغراوة وبنى مانه وبنى تلويمان (٧٦) . فبعد كده سنهاجة دخل الأهالية فى صراع طويل مع الزناتية ، أهل البادية مثاهم وغلبوهم على أطراف البلاد . وهنا نجد أن الصراع مع الزناتية هو الذى يمثل سداة تغريبة بنى هلال الشعبية ولحمها ، وذلك عندما التحمرو بصاحب تلمسان الزناتى ، من أعقاب محمد بن خزر ، ووزيره الشسيه « أبى سعدى خليفة اليفرنى » ، بطل الملحمة ، فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة ، كما يقول ابن خلدون (٧٧) .

ومن المهم هنا الإشارة الى أن بنى حماد أصحاب القلعة ، سارو على نفس السياسة التى انتهجها أبناء عمومته أصحاب القيروان من قبل . فحاولوا امتصاص قوى العرب الحربية بادخالهم فى خدمتهم . وهكذا كان بلكين بن محمد ، يخرج سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، ومع جماعات من الأبيح ووعدى ل حرب زناتة ، التى انتهت بكسرهم وقتل أعداد كثيرة منهم (٧٨) .

النص على أن المعز ركب البحر الى المهديّة سنة ٤٤٩ هـ ، وان قال قبيل ذلك (ص ٢١٥) انه خرج الى المهديّة متخفيا فى زى امرأة عندما اشرف على التلف ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، النويرى ، ص ٣٤٧ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ - حيث النص على أنهم جاءوا وخربوا المبانى ، وعاثوا فى محاسنها ، وطمسوا من الحسن والروث معالمها ، واستصفوا ما كان لآل بلكين فى قصورها ، وشعلوا بالعبث والنهب سائر حريمها ، وتفرق أهلها فى الأقطار فعظمت الرزية وانتشر الداء .

(٧٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٦) ابن خلدون ج ٦ ص ١٦ - حيث النص على ان ذلك كان داب العرب وزناتة حتى غلبوا سنهاجة وغيرهم من البربر وأساروهم عبيدا وخدموا بياحة بخاصة .

(٧٧) العبر ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، النويرى ، ص ٢٤٧ .

تباشير عصر الطوائف :

وأدت غلبة العرب على الدولتين الزيريتين في القيروان والمهدية وفي القلعة وبجاية ، الى قيام نوع من عصر ملوك الطوائف كذلك الذي عرفته الأندلس بعد سقوط المرwanيين والعامريين بقرطبة . ففي سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩ م كانت سفاقس تحت حكم أفروم البرغواطي الذي تلقب بمنصور ، ولكنه قتل بمعرفة برغواطي آخر ، هو : حمو بن مليل الذي ملك سفاقس مكانه (٧٩) . وفي سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م ، تورفتة في تقيوس من بلاد الجريد بين أهل البلدة وبين العرب الذين دخلوا المدينة متسوقة فقتل رجل منهم آخر من أهل البلد اثر نقاش سياسي في أحوال البلاد اتخذ فيه التقيوسي موقفا مؤيدا لسياسة المعز بن باديس ضد العرب ، فثار هؤلاء الآخرون بأهل البلدة الذين دفعوا ثمنا باهظاً لتعصيبهم لأمرهم . اذ قتل العرب منهم ٢٥٠ (مائتين وخمسين) رجلا (٨٠) . وفي هذه السنة (٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) انهزمت هواربة أمام العرب في الحرب التي ثارت بين الطرفين وقتل فيها الكثير من الهواريين (٨١) .

وفاة المعز :

وفي نفس تلك السنة الأخيرة (٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) توفي المعز بن باديس مريضا بضعف الكبد ، بعد ملك دام ٤٧ (سبعة وأربعين) عاما ، وبذلك يختم العصر الذهبي للزيريين في القيروان لكي يبدأ عصر جديد ، ليس في افريقية وحدها ، بل في بلاد المغرب جميعا ، هو عصر ملوك الطوائف الذي ينتهي بقيام دولة المرابطين ، فكانه مقدمة طبيعة لها ، الأمر الذي يتطلب رسم خريطة كعمل تمهيدى لدراسة إعادة توحيد المغرب تحت رايات سنهاجة المرابطين من الملتصين .

(٧٩) النويري ، ص ٢٤٧ .
(٨٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ .
(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ .

الفصل الخامس

خريطة أفريقية وبلاد المغرب
حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١م

ملوك الطوائف فى أفريقية :

تعتبر معركة حيدران ، ونقطة المعز الى المهديّة سنة ٤٤٩هـ/٩٥٧م ، نقطة تحول هامة فى تاريخ أفريقية التونسية ، من حيث تحول دولة القيروان الزيرية الى دولة بحرية توجه أنظارها نحو صقلية وجنوب ايطاليا ، تماما كما كان الحال بالنسبة لدولة بنى العمومة الحماديين الذين تركوا بدورهم مركز حكمهم فى القلعة ، اثر هزيمة سيبية سنة ٤٥٧هـ / ١١م ، الى مدينة بجاية البحرية التى أصبحت دار ملكهم ، وأمر الذى يعنى توجيههم ، هم الآخرين ، ووجهة بحرية بعد أن استولى الهلالية على دواخل البلاد البرية ، فكان الممتلكات الفاطمية انتهت فى منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١م الى ثلاث دويلات ، هى : الزيرية فى المهديّة ، والحمادية فى بجاية ، والدولة الكلبية فى صقلية .

والمهم فى هذه الدويلات أنها ممالك مركبة عرقيا من البربر والعرب فى افريقية ، ومن البربر والصقليين المولدين فى جزيرة صقلية ، الأمر الذى كان له أثره - الى جانب الانقسام المذهبى الى سنة وشيعة - أثره فى تصدع الوحدة الوطنية فى تلك الدويلات ما بين الفروق المختلفة . وقيام نوع من النظام الاقطاعى فى الحكم ، حيث استقلت كثير من المدن أو الأسر الحاكمة ، فيما يمكن أن يشبه بنظام الطوائف الذى عرفته ، وقتئذ ، مدن الأندلس وأسرها الحاكمة .

دولة المهديّة الزيرية

وعلاقتها بالدولة الحمادية فى القلعة والدولة الكلبية فى بلرم :

بعد وفاة المعز بن باديس سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ، خلفه فى المهديّة

ابنه تميم الذي كان له من العمر ٢٧ سنة (١) ، والذي تصفه رواية النويري الصنهاجية أصلا ، بأنه : شهيم ، شجاع ، كريم ، حلیم (٢) ، وهي الصفات المطلوبة في الأمير ، الي جانب أنه كان حسن الشعر ، بمعنى أن الأسرة الصنهاجية على عهده كانت قد تعربت تماما ، حتى أصبح الأمير شاعرا ، وبذلك لم يعد من المستغرب أن تنسب الي أعرق الأرومات العربية ، ملوك حمير ، معدن العروبة في اليمن .

وإذا كان الكتاب قد اتفقوا على أن عهد المعز بن باديس هو العصر الذهبي للدولة الصنهاجية ، من حيث وصولها الي الذروة على المستوى الحضاري ، في الثروة والأثاث والرياش ، وكثرة الجند النظامي من العبيد السودان من الحرس الأميري ، وعلى المستوى السياسي من حيث التطلع الي الاستقلال ، وقطع الصلة بخلافة القاهرة الفاطمية ، فان الكثيرين منهم يجعلون من تميم ابنه قرينا له ، رغم ما هو متعارف عليه من أن مملكة المهديّة ، في عصرها الثاني هذا ، تعتبر بداية لعصر الاضمحلال بالنسبة للأسرة الزيرية .

والحقيقة أن تميما ظهر منافسا لوالده المعز منذ بداية الأزمة الهلالية . ولا بأس أن يكون تعيينه حاكما للمهديّة ، اعتبارا من سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ، نوعا من الاقصاء بعيدا عن المنصورية ، حيث مقام المعز ومركز الحكومة . والقرينة على ذلك ما حدث من صدام بين العبيد المعزبة والعبيد التميمية ، ممن كانت لهم مهام وسلطات الشرطة في المهديّة ، الأمر

(١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥ - حيث مولده في ١٥ رجب سنة ٤٢٢ هـ / ٩ يولييه ١٠٣٦ م ، وقارن ابن عذارى ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٢٨ - حيث شهر رجب فقط . وان والده أبرزه ابن سنتين ، وركب والمساكر وراه ، وطاف القيروان والمنصورية ، وأنه ولي المهديّة سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ، وعمره ٢٣ سنة .

(٢) أنظر النويري ، ص ٣٦١ ، وفي التفاصيل (ص ٦١ - ٣٦٢) ، حيث النص في أخباره في رعيته وشفتته عليهم ، انه اشترى جارية بشن كبير ، ولما عرف ان صاحبها ذهب عقله لذلك ، بعثها اليه في الكسوة وأواني الفضة والطيب ، وأنه عندما ردها الرجل اليه انتهره وأمره بالعودة بكل ما حصله الي داره . وفي ذلك تسترسل الرواية في القول أنه كان لتمييم في البلاد أصحاب أخبار يطالبونه بأخبار الناس ، ولكنه هنا بدلا من الاشارة الي الرغبة في حفظ الأمن وسلامة الدولة ، يركز فقط على ان الهدف من الاستخبارات هو تحقيق العدل بين الناس وكف الظلم ، وقارن ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥ - حيث النص على انه سلك طريقة حسن السيرة ، ومحبّة أهل العلم .

الذي انتهى باخراج العبيد المعزية الى المنصورية والقروان في حالة سيئة (ما سبق ، ص ٤٣٧) ، فكان تميما كان قد أصبح أميرا منافسا في العاصمة الفاطمية العريفة .

الموقف من الهلالية :

والحقيقة انه كان لتمييم موقف متميز عن موقف والده المعز من العرب الهلالية ، فبينما ظهر المعز غير مبال بهم محتقرا لشأنهم ، قبل الفشل في استخدام السياسة ازاءهم ، عن طريق محاولة ادخالهم في الخدمة كطرف محايد بالنسبة للصنهاجية والزناطية ، طرفي الصراع وقتئذ في أفريقية والمغرب ، مثلهم في ذلك مثل الحرس الأسود من العبيد السودان ، ثم الهزيمة العسكرية عند المواجهة ، ظهر تمييم بمظهر السياسى الداهية ، الذى يمكنه التصرف في مثل تلك الظروف الصعبة عن طريق المناورة والمداراة ، مستخدما مبدأ « فرق تسد » ، الذى أصبح من مبادئ السياسة المعتمدة منذ أيام الرومان .

فهو عندما عرف أن أقوى التحالفات بين القبائل الهلالية المتصارعة فيما بينها من أجل الهيمنة ، هو حلف عسدى ورياح ، عمل على أن يضعفهما جميعا عن طريق التفرقة وبث الخلاف بينهما . وساعد تمييم على ذلك تمكنه من العربية ، واحسانه لصناعة الشعر ، الأمر الذى جعله لا يظهر بمظهر الدخيل فيما ينشعب بين الجماعتين من نزاع ، بل بمظهر صاحب المصلحة الاصيل الذى يحرص على التقاليد العربية العريفة ، وان كان طرفا ثالثا . فهو يثير العداة فى نفوس الرياحيين ، وهى القبيلة الأقوى ، لتأخذ بثأر قتلها من بنى عسدى ، ورفض التسوية السلمية المهينة التى اتفق عليها ، وكانت وسيلته التى لا تقاوم عند العرب ، هى الشعر .

وفعلا نجحت أبيات الشعر فى قيام الحرب بين الطرفين ، وانتهى الأمر بهزيمة بنى عسدى ، واخراجهم من أفريقية(٣) ، وان كان ذلك فى وقت

(٣) النويرى ، ص ٣٦١ - حيث النص على أبيات من الشعر ، منها :
مضى كانت دمسأؤكم تطل
أغانم ثم سالم ان نسلتم
ونتم عن طلاب الشار حتى
كان المر فيكم مضمحل
عمد اخوة المقتول فقتلوا أمرا من بنى عسدى فقامت الحرب بينهم ، حتى أخرجوا بنى عسدى من أفريقية ، وبلغ فيهم تمييم ما يريد - اذ كان يوقع بالشعر الحروب بين العرب ، فبلغ بلسانه ما لم يبلغ بسنانه .

متأخر نسبياً ، سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٨م (٥) .

طوائف أفريقية ما بين العرب والبربر البادية :

ولم يكن هذا يعني ان تميم بن المعز كان مسيطرا على الأحداث التي أخذت في أفريقية شكل التغيير الجذري نحو التفتت ، تماما ، كما حدث في الأندلس اثر سقوط الخلافة المروانية هناك ، الأمر الذي كانت له أصدائه في المغرب ، تماما ، كما كان لرجيل الفاطميين الى مصر ردود فعله القوية في أفريقية ، الأمر الذي تأكد بقطع العلاقات ، وانطلاق الهجرة العربية نحو حدود مصر الغربية وأفريقية .

طرابلس ، مملكة زناتية :

والحقيقة ان الاتجاهات الانفصالية كانت قد وجدت أرضا صالحة لبذر بذورها في الأقاليم الشرقية ، قبل الهجرة الهلالية ، منذ أن استقر بنو خزرون في طرابلس على عهد باديس بن المنصور ، والد المعز ، وذلك بتحريض من الخلافة بالقاهرة ، التي رأت أن تستعيد سلطانها على الأقاليم المتاخمة لحدودها الغربية ، حيث أثبتت التجارب أنه من الخطورة بمكان ، ترك تلك المناطق عرضة لأهواء المغامرين من بربر وعرب ، سواء من بنى خزرون المغراوية في طرابلس وما يتبعها من نفاوة حيث كونوا أسرة وراثية ، أو من بنى قره العرب وغيرهم ممن تحالفوا مع أبي ركة في برقة ، وتهيباً لهم تهديد النظام الفاطمي في قلب مصر (ما سبق ، ص ٣٥٤) .

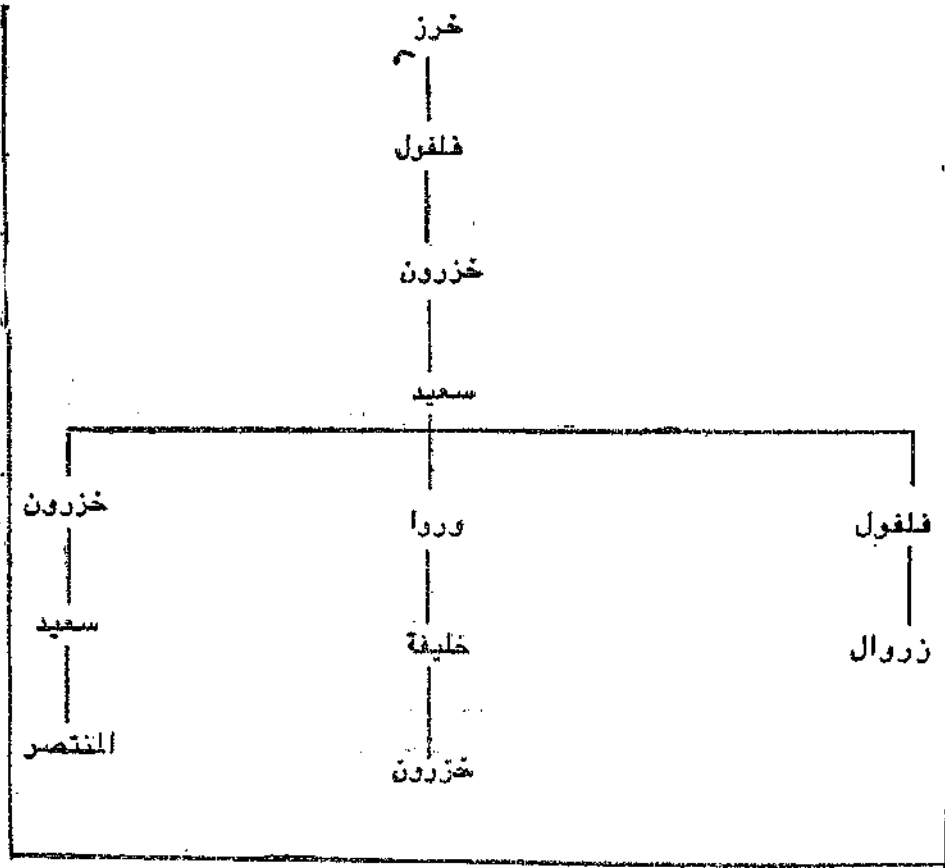
فلقول بن سعيد وأخوه وروا :

فعل أيام باديس نجح فلقول بن سعيد الزناتي في التغلب على طرابلس ، فملكها سنة ٣٩١هـ / ١٠٠١م ، واستوطنها بمساعدة أهلها ، وبتسامح من الخلافة في القاهرة ، الى وفاته سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م (٥) : وآلت

(٤) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ - حيث النص « وأخرجت عدى من أفريقية أمام رياح » .

(٥) هذا ، ولو انه عندما طلب المساندة واستيظا المعونة القوية من القاهرة ، اتصل بخليفة الأندلس أثناء الفتنة ، وهو المهدي محمد بن عبد الجبار بقرطبة ، ولكنه مات قبل وصول جواب قرطبة - وانظر فيما سبق ، ص . ، والثائب الانصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ط . الفرجاني ، ص ١٠٨ .

بنو خزرون بطرا بلس



شکل رقم ٢ - شجرة نسب بنی خزرون بطرا بلس
عن ابن خلدون - ج ٧ ص ٤٤

رئاسة زناتة بعد فلفول الى أخيه وروا بن سعيد ، الذى لم يستطع مواجهة باديس عندما زحف الى طرابلس واستردها ، ونزل فى قصر فلفول . وهنا رأى وروا ان السياسة تقضى باستخدام المداراة . فسأل باديس الأمان ، وتم الصلح بوساطة محمد بن حسن الذى ستؤول اليه ولاية طرابلس قبل الوزارة ، وعهد بولاية نفاوة الى وروا ، كما عهد بقسطنطية من بلاد الجريد الى النعيم بن كنون^(٦) .

ولما لم يطل الوفاق الا الى سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م ، التالية ، عندما أعلن وروا العصيان وحق بجبال دمر ، الأمر الذى ترتب عليه أن ضم النعيم نفاوة الى عمله ، وان انفصل خزرون بن سعيد عن أخيه وروا ، وسار الى الأمير باديس بالقيروان سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م ، فتقبله وولاه عمل أخيه وروا ، كما ولى بنى محلية منهم على قفصة ، وبذلك صارت منطقتى الجنوب جميعا ، فى نفاوة والجريد ، لزناتة . وهنا رجع وروا من جديد ، يريد العودة الى طرابلس ، فقامت بينه وبين عاملها محمد بن حسن حروب شديدة انهزم فيها وروا ، وقتل الكثير من قومه ، كما لاقى فيها والى طرابلس الكثير من العناء ، الأمر الذى دعا باديس الى الطلب من خزرون أخى وروا ومن قريتهم النعيم وغيره من أمراء الجريد الزناتية ، المشاركة فى حرب وروا ، ولكن ذلك انتهى بانضمام الزناتية ، جماعة بعد أخرى الى وروا من النعيم الى خزرون ، وذلك فى سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م ، حيث نصبوا الحرب على طرابلس من جديد ، مما دعا باديس الى اتخاذ اجراءات جازفة قاسية ضد الزناتية ، إذ قتل من كان لديه من رهنهم ، كما ضاعت معهم طائفة أخرى كانت قد وصلت مع مقاتل بن سعيد أخى وروا تطلب الدخول فى الطاعة ضد وروا . ولكنه بعد انتصار باديس على عمه حماد سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م ، بعث وروا يطلب الدخول فى الطاعة ، ولكن المنية عاجلته ، كما عاجلت باديس فى السنة التالية (٤٠٦ هـ / ١٠١٦ م)^(٧) .

(٦) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤١ - ٤٢ ، حيث قسطنطين المتطرفة على البحر من أرض القبائل الصغرى ، بدلا من قسطنطين القريبة من نفاوة ، وقارن النائب الأنصارى ، المنهل العذب فى أخبار طرابلس الغرب ، ص ١٠٩ .

(٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٢ ، وقارن ما سبق (ص ٣٥٧) ، حيث أخذنا بوفاة وروا سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ، حسب رواية ابن عنارى ، وقارن المنهل العذب للنائب الأنصارى ، ص ١١٠ .

«خليفة بن وروا» :

ونتيجة لوفاة وروا انقسم الزناتية فباع بعضهم ابنه خليفة ، وباع غيرهم اخاه خزون بن سعيد . والظاهر انه كان لعامل طرابلس محمد بن حسن دوره في اثارة تلك الفتنة التي انتهت بتفوق خليفة على عمه خزون ، فألت اليه بالزعامة . وهكذا ولي المعز بن باديس أواخر سنة ٤٠٦هـ / ١٦م ، والزناتية منتفضين عليه في « قيطونهم » (أى مضاربهم) بقيادة خليفة بن وروا ، بينما كان أخوه حماد بن وروا يغير على أعمال طرابلس وقابس ، ويواصل النهب الى سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م ، حينما انتهر فرصة عصيان عبد الله بن حسن ، عامل طرابلس الذي أمكنه من المدينة ، انتقاما لمقتل أخيه الوزير محمد بن حسن (٨) . وقتل خليفة بن وروا الحامية الصنهاجية التي كانت داخل طرابلس ، ونزل في قصر عبد الله بن محمد ، بعد أن أخرجه عنه واستصفي أمواله وحريمه - وبذلك اتصل ملك خليفة وقومه بني خزون الزناتية بطرابلس . وحصل خليفة بن وروا على شرعية ولايته بقبول الخليفة الظاهر بن الحاكم بالقاهرة ، ثم دخوله في الطاعة سنة ٤١٧هـ / ١٠٢٦م ، وضمان أمن الطريق ، وخفارة التجار .

وعندئذ رأى خليفة ان الحكمة تقضي بتحسين علاقته بالمعز بن باديس أيضا ، فأرسل اليه أخاه حماد بهدية تقبلها وكافأه عليها (٩) .

لكنه لما كان الأصل في العلاقات بين الصنهاجيين والزناتية أنها غير مستقرة ، كان من الطبيعي أن يقوم المعز ، سنة ٤٣٠هـ / ١٠٢٨م ، بالزحف لقتال زناتة بجهات طرابلس ، ولكن اللقاء انتهى بكارثة للمعز ، قتل فيها قريبه عبد الله بن حماد ، ووقعت السيدة أم العلو بنت باديس ، أخت المعز ، سبية بين أيديهم ، وكو أنهم منوا عليها بعد حين فأطلقوها الى أخيها (ما سبق ، ص ٣٩٧) .

(٨) ما سبق ، ص ٤٠٢ ، وأنظر ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٢ ، وقارن المنهل العذب ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣ - حيث ينتهي ما نقله ابن خلدون من الرقيق ، فيتمه بما أخذ من ابن حماد وغيره . وقارن المنهل العذب ، ص ١١٢ ، وأنظر ابن غلبون ، التذكار فيمن ملك طرابلس ، وما كان بها من الأخبار ، ص ٢٤ - حيث النص على أنه في أثناء امارة الفاطمي : « استولى على طرابلس بنو خزون الزناتيون ، ووقعت بينهم وبين الصنهاجيين حروب كثيرة ، من زعمها فليراجع تاريخ الرقيق فان فيه غرائب وعجائب - ولا ندرى ان كان كتاب الرقيق كان موجودا بين يدي ابن غلبون أم أنه يتكلم على اللسان غيره .

المنتصر بن خزرون :

ولما كان خزرون بن سعيد ، لما عليه ابن أخيه وروا على اماره قومه ، قد سار الى مصر وعاش في كنف الخلافة حيث نشأ ينسوه ، ومنهم المنتصر بن خزرون وأخوه سعيد ، فانه نتيجة لما وقع بمصر من الاضطرابات بين الترك والمغاربة لحق المنتصر وسعيد بنواحي طرابلس ، وانتهى الأمر بولاية سعيد لطرابلس المدينة الى ان هلك بها سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م (١٠) . وعندما قدم خزرون بن خليفة من القيطون (المضارب الزناتيه) ولي ولايتها ، مكث منها رئيس الثورى ، وبائع له ، وبها يومئذ من الفقهاء : أبو الحسن ابن المنتصر ، المشتهر بعلم الفرائض ، فقام بها الى سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م ، حينما قام عليه المنتصر بن خزرون ، أخو سعيد ، وملك طرابلس ، واتصت بها امارته .

والهم أن المنتصر بن خزرون زحف مع عرب بنى عدى الى بلاد بنى حماد - في تاريخ غير محدد - ونزل بالمنسيلة وأشير ، ولكنه لما خرج لهم الناصر بن علناس ، فر المنتصر الى الصحراء . ومع الحاج المنتصر وعرب عدى على البلاد بالفارات والافتساد ، اضطر الناصر الى استخدام الحيلة لتخلص من المنتصر فاتفق معه على الصلح على أن يوليه بلاد الزاب وريفه ، ولكنه أوعز الى رئيس بسكرة وقتئذ ، وهو عمرو بن سندی أن يخلصه منه ، فقتله غيلة في الستينيات ، أى بعد سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م (١١) .

(١٠) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٢ - حيث الاشارة الى ان التجاني ينص على ان سعيد ابن خزرون قتل على أيدي عرب زغبة الهلالية سنة ٤٢٩هـ / ١٠٢٧م ، ويرى ابن خلدون ان هذا الجبر مشكل من حيث أن زغبة من العرب الهلالية انما جازوا الى افريقية من مصر بعد سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م ، فلا يكون وجودهم بطرابلس سنة ٤٢٩هـ الا ان كان تقدم بعض أحيائهم الى افريقية من قبل ذلك ، مثل بنى قرة الذين قدموا مع يحيى بن علي بن حمدون الاندلسي ، الا ان ذلك لم ينقله أحد .

(١١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣ - ٤٤ - حيث النص على أنه لا يحضره اسم من ولد طرابلس بعد المنتصر ، مع الاشارة الى اختلال أحوال صنهاجة حيث كانوا في تلك الأعمال الى سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م عندما وجه روجر الصقلي أسطوره لحصار طرابلس ، في وقت شدة واختلال أحوال ، وقارن المنهل العذب ، ص ١٢٧ - ١٢٨ - حيث عدل المؤلف سنة ٤٣٠هـ اثنى انتهى فيها حكم خزرون بن خليفة وولى فيها المنتصر الى سنة ٤٥٠هـ حتى تنسجم مع الاخبار التالية الخاصة بزحف المنتصر على بلاد القلمة حيث الناصر بن علناس ، ونهاية المنتصر سنة ٤٦٠هـ / ٧ - ١٠٠٨م . ولا ننسى ان كان يمثل هذه المناسبة استقبال المعز بن باديس

الطوائف في مدن الساحل :

ومع مجيء العرب على عهد المعز بن باديس ، وما أثاروه من الفوضى السياسية والاقتصادية في البلاد ، كان من الطبيعي أن يستشري داء الانفصال ليشمل المدن الرئيسية في كل أفريقية (١٢) ، وخاصة مدن الساحل ، من : صفاقس وسوسة ، شمال وجنوب العاصمة المهدية ، الى تونس في أقصى الشمال ، وقابس في أقصى الجنوب ، حيث قامت أسر مستقلة توارثت الحكم . ولم تسلم القيروان من مهانة الطائفية تلك ، الى حد أنها كانت عرضة للبيع والشراء عن طريق وساطة العرب الهلالية ، كما كانت أشبه بأرض لا صاحب لها يمكن أن تستبيحها جيوش الحماديين ، مما تأتي الإشارة إليه (ص ٤٥٢ وص ٤٦٠ وهـ ٤٦ ، ص ٤٦٢) . وبذلك يكون تميم قد ورث من المعز والده ، مملكة ممزقة الأوصال بفضل المنتزعين فيها من الثوار ، الذين يصور ابن خلدون خريطتهم ، أيام المعز ، كالآتي :

- صفاقس : ملكها خمو بن ميليل البرغواطي ، قائدها ، اعتبارا من سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م .

- سوسة : صارت آخرا الى ولاية الناصر بن علناس بن حماد ، صاحب القلعة ، وولى عليها عبد الحق بن خراسان فاستبد بها ، واستقرت في ملكه وملك بنيه .

- قابس : تغلب عليها موسى بن يحيى ، وصار عاملها : المعز بن محمد الصنهاجي الى ولايتها ، ومن بعده أخوه ابراهيم .

وهكذا يكون قد « الثالث ملك آل باديس ، وانقسم في الثوار » (١٣) .

والى طرابلس المنتصر بن خزرون ، وأمداه هدية المال الكبيرة التي كانت قد وصلت اليه في أكياسها ، بعد أن فرزها أمامه ، وعدما ، الأمر الذي اعتبر من علامات منتهى الجرد . أنظر ما سبق ، ص ، وقارن ابن غلبون ، التذكار ، ص ٢٣ سواء نقل اسم المنتصر في شكل المستنصر .

(١٢) أنظر ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥ - حيث النص على أن « أصحاب البلاد ضموا بسبب العرب ، وزالت الهيبة » .

(١٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ - حيث النص الأخير « الثالث ملك آل بدرس » ، بدلا من « الثالث ملك آل باديس » ، كما تذكر في أخبارهم بعد مهلك المعز سنة ٤٥٤هـ (٤) . والله أعلم .

الصراع مع صاحب صفاقس :

ومن بين هؤلاء القواد الذين طمعوا بسبب العرب وزوال الهيبة ، كان حمو بن مليل البرغواطى ، صاحب صفاقس ، أشدهم طمعا وأكثرهم طموحا . فبمجرد ملك تميم ، استعان حمو بطائفة من العرب ، من الأثيبيج وعدي ، وسار بهم في السنة التالية ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م نحو المهديّة ، بتعمد حصارها ، أو بقصد املء شروطه على تميم ، ان لم يكن بغرض انتزاع الملك منه . والمهم أن تميما خرج للقاء حمو بعسكر من عبيده السودان ، على ما نظن ، الى جانب طائفة من العرب الذين كانوا في خدمته ، من : زغبة ورياح ، فكان الهلاية أصبحوا قاسما مشتركا بين جميع المتنافسين .

وتم اللقاء في موضع « سلقطة » ، في منتصف الطريق ما بين المهديّة وصفاقس . ورغم ما تقوله رواية ابن الأثير من أن الحرب الشديده التي دارت بين الطرفين في تلك السنة (٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) انتهت بهزيمة ساحقة لحمو وأصحابه ، إذ « أخذتهم السيوف فقتل أكثر حماته وأصحابه ، بينما نجا هو بنفسه الى مدينته ، وعاد تميم الى المهديّة مظفرا (١٤) ، فان تميما لم يستطع أن يحسم مسألة خلاف حمو ، إذ استمرت الحرب بينهما سجالا ، بين كروفر ، على طريقة حروب البادية ، كما يفهم من التراث الأدبي الخاص بالموضوع ، مما اعتنى المتأخرون بجمعه (١٥) .

(١٤) أنظر ابن الأثير ج ١٠ ص ١٥ - بمناسبة ولاية تميم ، ص ٢٩ - حيث تفصيلات حولية سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م ، وقارن نفس الرواية في النويرى ، ص ٢٤٨ - حيث النص على ان العرب الذين استعان بهم حمو ، من : الأثيبيج وعدي ، وهو ما تفنقه رواية ابن الأثير . وحيث الاشارة أيضا الى استيلاء حمو في طريقه الى المهديّة ، على المنزل المعروف ببيير قشتيل ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ ، ص ١٦٠ - حيث الاشارة الى غلبة العرب ، وانه كان يخالف بينهم ويسلط بعضهم على بعض ، وان العرب انقسمت على كل من حمو وتميم .

(١٥) أنظر ابن غلبون ، التذكار ، ص ٢٤ وما بعدها - حيث الاشارة الى كاتب حمو بن مليل ، وهو المظفر بن علي الذي عرف بأنه « بليغ مشهور بالبلاغة » ، والذي قال في انتصارهم مثلا بقول أبي الطيب المتنبي :

وان كان أعجبكم عامسكم فعدوا الى مصر في المقابل
فان المسام الحضب الذي قتلتم به في يد القتائل

وهنا تختلط السياسة والحرب بالأدب والشعر (ص ٣٥) - فتميم يكتب الى حمو باثر وقعة كانت له عليه : « كتاب ايناس الطاف » ، فراجعه في الجواب منظر ، مثلا بقول =

وهكذا تشير حوايات ابن عذارى في السنة التالية ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م الى جولة من الحرب بين حمو وبين تميم ، لها نفس مواصفات الجولة الأولى دون ذكر مواضع القتال ، الأمر الذي يعني أنها تكرار لنفس جولة سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، حيث « ولت طائفة حمو أدبارها ، فأخذتها السديوف وتولتها الختوف » ، ولكن دون ذكر أنها وضعت خطأ في السنة التالية (١٦) .

سسوسة :

وبعد هذا النصر ، قصد تميم مدينة سوسة ، في نفس السنة : ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، ونجح في استعادتها من أهلها المخالفين عليه ، دون اشارة الى قتال ، الأمر الذي يفسر كيف أنه عفا عنهم ، وحقن دماهم (١٧) .

القيروان وتونس :

أما عن القيروان فقد كان يقيم بها ، واليا منذ أيام المعز ، قائد بن ميمون الصنهاجي ، وكان له الى جانبها مدينة تونس ، وذلك لمدة ٣ (ثلاث) سنوات ، أى الى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م ، الى أن غلبته عليها قبائل هوارية ، فخرج عنها الى المهديية . ولكن تسيما نجح في رده اليها حيث أقام بها الى سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م (١٨) .

الحرب بين الناصر بن علناس و تميم بن المعز واتباعهما من العرب

سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م :

ساعت العلاقات بين تميم وابن عمه الناصر ، بسبب تدخل هذا الأخير

عبد الله بن محمد العطار :

لا تظنن أمرا أغضبيه سيب ثم انقضى ذلك السبب
سالم الصدر من الحقد ونو أكثر الرد ولم يبد الغضب
كرماد النار يبقى حرها كامشا فيه ولو زال اللهب

(ص ٣٦)

(١٦) البيان ، ط . بيروت : ج ١ ص ٤٢٨ .

(١٧) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٩ ، التويرى ، ص ٢٤٩ ، قارن ابن عذارى ، ط . بيروت ،

ج ١ ص ٤٢٨ - حيث النص على أنهم كانوا ناققوا على آية ففعا عنهم ، وابن خلدون ، ج ٦

ص ١٦٠ - حيث افتتاح سوسة .

(١٨) ابن الأثير ، ج ١ ص ٥٠ ، التويرى ، ص ٣٥٥ .

في شئون أفريقية عن طريق المتغلبين على مدنها من القواد ، وخاصة حمو
في صفاقس ، وابن خراسان في تونس تم العرب في القيروان الذين اعتبروا
مدينة عقبه سلمه حينه يمكن أن تباع أو تشتري لمن يدفع اثمان . ولم يكن
من الغريب إذن ، أن تقوم تلك الحرب العجيبة بين أطراف النزاع من الأقارب
الصنهاجيين ، ومن الهلاليين المنقسمين على المعسكرين جميعا ، بين أبناء
العم الأعداء .

وترجع الرواية المحلية التي ينقلها ابن الأثير ، ومن بعده النويري ،
أسباب النزاع بين صاحب القلعة : الناصر بن علناس وبين تميم بن المعز
صاحب المهديّة ، الى بدايات النزاع الأولى بين حماد بن بلكين وبين ابن أخيه
باديس ، والذي ورثه أبناء كل من الطرفين (١٩) ، فكان كلا منهما كان يرى
أحقية في الملك والتمسك بالوحدة الصنهاجية التي لا يجب أن تنجزا .
وهذا ما يفسر عدم خضوع الحماديين في أشير والقلعة لسلطان صاحب
المنصورية والمهديّة ، قبل مجيء الهلالية ، وهو ما يفسر أيضا تدخل الناصر
ابن علناس في شئون المعز وتميم منذ ضياع القيروان ، وهو السبب المباشر
الذي أدى الى الحرب بين الطرفين على عهد باديس ، مع الاستعانة بالعرب .

وفي تفصيلات هذه الجزئية يظهر أن الطرف الباديء بالتجني هو
الناصر بن علناس ، وهو الطرف الأقوى اقتصاديا أي ماديا ، وبالتالي
سياسيا وعسكريا . فنتيجة لانتقال المعز من القيروان الى المهديّة ، وتخريب
العرب للبلاد ، انتقل كثير من أهلها الى بلاد بني حماد النبعة بجبالها
الوعرة ، فصمرت بلادهم ، وكثرت أموالهم ، الأمر الذي كان يثير الحقد
والأسى لدى بني باديس (٢٠) . والظاهر أن الناصر بن علناس عندما شعر
بقوته النسبية ، أخذ يفكر في إعادة الوحدة الى الدولة الزييرية ، وضم بلاد
أفريقية والقيروان الى الوطن الصنهاجي وأشير (٢١) . وهكذا كانت الأخبار

(١٩) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٤ ، النويري ، ص ٣٤٩ .

(٢٠) أنظر النويري ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٤ - ٤٥ - حيث
النص على دخول حماد في طاعة المعز ، ولكن القائد بن حماد كان يفسر الفدر وخلق طاعة
المعز ، ولم يكن يمنه من ذلك الا العجز . فلما رأى ما نال المعز من العرب خلق الطاعة
واستبد بالبلاد ، وتبعه في ذلك ولده محسن ، ومن بعده ابن عمه بلكين ثم الناصر ، وكل
منهم متحصن بالقلعة دار ملكهم .

(٢١) أنظر الاستبصار ، ص ١٢٨ - ١٢٩ - حيث النص على أن صاحب القلعة كان =

قترى الى تميم « ان الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه ٠٠٠ وانه عزم على المسير اليه بالمهدية لخصاره ٠٠٠ وانه اتصل ببعض صنهاجة وزناة وبنى هلال ، ليعينوه على ذلك » (٢٢) .

وهنا رأى تميم أن يستخدم أسلوب الكيد والوقية ، وذلك بأن يثير حلفاءه وأصحابه الرياحيين على الناصر ، فأرسل الى أمراء بني رياح فأحضرهم ، وقال لهم : « ان المهدي في البحر ، يحميها في البر أبراج عليها ٤٠ (أربعون) رجلا ، وان الناصر يحشد اليهم » . فوافقوه شريطة أن يقدم لهم المعونة ، فأعطاهم المال والسلاح والرمح والسيوف والدروع والدق ، فجمعوا قوتهم ، وتحالفوا على حرب الناصر . هذا ، كما أنهم أرسلوا الى حلفاء الناصر من العرب الهلالية يقبحون مساعدتهم له ، فأجابوهم الى طلبهم ، ووعدوهم بالانتهزام عنسأ أول حملة عليهم ، على أن يعودوا ضد أصحاب الناصر ، وذلك نظير ثلث (١/٣) الغنيمة . وفيما يتعلق بمن كان في معسكر الناصر من الزناتية ، فان تميمأ راسل زعيمهم الذي ربما كان من ولد المعز بن زيري (الزناتى المغراوى) ، واتفق معه بنحو ذلك ، فوعده أن ينهزموا بدورهم (٢٣) .

معركة سببية :

وهكذا بدأ كل من الطرفين يحشد قواته انتظارا للمعركة الحاسمة ،

أشد شوكة من صاحب القروان وأكثر جيشا . هذا ، وان كان صاحب الاستبصار يرى أن صاحب القلعة خرج نصيرا لابن عمه ، صاحب المهديفة ضد العرب .

(٢٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٥ ، النويرى ، ص ٣٥٠ .

(٢٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٥ ، قارن النويرى ، ص ٣٥٠ - حيث النص على ان تميمأ

أعطى أمراء الرياحية ، لكل واحد منهم ألف دينار وألف درغ وألف رمح ٠٠٠٠ ، كما أنهم أرسلوا شيخين منهم الى بني هلال يطلبون منهم العمد بالناصر ، فوافقوا على ذلك لأنه كان قد اتفق مع زناتة لأخراجهم من أفريقية ٠٠٠ ، كما أرسل الى زناتة بنحو من ذلك . وهنا يوقعنا ابن الأثير (ج ١٠ ص ٤٤ ، ٤٦) ثم ابن خلدون بشكل أوضح (ج ٦ ص ١٩) فى أشكال تاريخي من تلك الاشكالات التى يبنه عليها صاحب العبر كثيرا ، وذلك أنهما جملا الزعيم الزناتى ، هو : المسز بن زيري الزناتى (فى الكامل) والمسز بن زيري صاحب فاس المغراوى (فى العبر) ، وهو قطعأ ليس المسز بن زيري بن عطية أمير فاس والمغرب ، وصاحب المنظر عبد الملك بن المنصور بن أبى عامر ، الذى توفي سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م . أما صاحب فاس سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م فكان منصور بن حماد الذى انتهى على أيدي المرابطين سنة ٤٦٠هـ /

١٠٦٨م .

فاحتوى معسكر الناصر بن علناس ، الى جانب قواته النظامية من العبيد السودان - كما نرى - جماعات من «المغاربة» (البربر) ، وصنهاجة ، وزناتة ، الى جانب الحلفاء العرب الهلالية ، من : عدى والأثيج(٢٤) ، بينما احتوى معسكر تميم قبائل الهلالية ، من : رياح وزغبة وسليم(٢٥) .

والمعروف عن تاريخ الموقعة أنها تمت في سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م ، دون تحديد الشهر أو اليوم ، كما جرت العادة ، ولا بأس أن يكون الجهل بالتاريخ الدقيق للموقعة مترتباً على نتيجتها التي كانت لصالح العرب الهلالية الذين لم يكونوا يهتمون بالتدوين ، اكتفاء بتسجيل مفاخر النصر شعراً(٢٦) . أما عن موقع المعركة فكان بالقرب من قرية سببية ، القريبة من الأربس التي نزلتها حشود الناصر(٢٧) ، وهي على بعد مرحلة - أى مسيرة يوم - من القيروان . وسببية على الطريق المؤدى من القيروان الى قلعة أبي طويل ، وهي قلعة حماد ، مما يلي الصحراء ، وهي من المدن التي خربتها العرب عند دخولهم أفريقية(٢٨) .

وفيما يتعلق بالمعركة ذات النتائج الخطيرة بالنسبة لتاريخ الصراع العربى الصنهاجى ، فكانت سريعة وحاسمة ، حسبما أبرمه تميم بن المعز(٢٩) . فبمجرد حملة عرب رياح ومن معهم من زغبة وسليم ، حلفاء تميم ، على حلفاء الناصر ، من عرب الأثيج وعدى « انهزمت الطائفتان » غدرا ، هزيمة

(٢٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٤ ، وقارن النويرى ، ص ٣٤٩ ، ابن عذارى ، ط ٠ بيروت ، ص ٤٢٩ - حيث للنص على « عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعدى والأثيج ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٩ - حيث النص على أن الناصر حشد لظاهرتهن ، وجمع زناتة وكان فيهم المعز بن زيرى صاحب فاس من مغراوة .

(٢٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٤ - حيث النص خطأ على أنه كان معهم المعز بن زيرى الزناتى على مدينة سببية ، بينما الصحيح أن يكون الشخص تميم بن المعز بن باديس ، وأن تكون المدينة سببية ، وقارن النويرى ، ص ٤٩ (نفس الرواية) ، ابن عذارى ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٢٩ - حيث رياح وزغبة وسليم فقط .

(٢٦) قارن مبارك الميلى ، تاريخ الجزائر ، ج ٢ ص ٥٥٧ - حيث تفسير ما قام به العرب من تخريب مناطق طينة والمسيلة - بمبالغة كتاب العرب لأنهم كتبوا لدولة بربرية بينما العرب ليس لهم دولة ، ولم يهتموا بالدعاية السياسية .

(٢٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٩ .

(٢٨) الاستبصار ، ص ١٦١ وهـ ٠

(٢٩) ابن عذارى ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٢٩ .

لا رجعة فيها ، وتبعثهم في الهزيمة عساكر الناصر (٣٠) من العبيد السودان وصنهاجة ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للزناتية . والمهم أن المعركة التي لم تستغرق وقتا ما ، حسبما تصفها النصوص ، انجلت عن خسائر فادحة في المعسكر الناصري . اذ لم يسلم الناصر بن علناس الا في ١٠ (عشرة) أفراس فقط ، بينما قتل أخوه القاسم بن علناس ، الذي ضحى بنفسه في سبيل مملكة أخيه (٤١) . أما من بقي من قتلى صنهاجة وزناتة في أرض المعركة فكانوا ٢٤ (أربع وعشرين) ألف رجل . أما عن المغانم التي شملت كل ما كان في العسكر من رجال وسلاح ودواب وغيرها فقد آلت جميعها الى العرب الذي اقتسموها فيما بينهم ، باستثناء الألوية والطبول وخيم الناصر التي بعثوا بها الى تميم ، فعز عليه أن يأخذها ، فردها وهو يقول : « يقبح بي أن آخذ سلب ابن عمي » ، الأمر الذي رضى به العرب (٣٢) .

فتائج هزيمة سببية :

تطويق القلعة :

انهزم الناصر بن علناس ، ونجا الى قسنطينة وعرب رياح في اثره يطاردونه الى أن لحق بالقلعة وتحصن بأسوارها . فطوقوا القلعة وخرّبوا أطرافها ونسفوا زروعها ، وعاثوا فيما حوالها من البلدان فأفسدوها ، كما خربوا منطقتي طبنة والمسيلة ، فتركوا ما فيها من القرى والضبياع قاعا صفصفا ، أفقر من بلاد الجن ، كما يقول ابن خلدون ، بشيء من المبالغة ، وأوحش من جوف البعير (٣٣) .

(٣٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ .

(٣١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ ، التويري ، ص ٥١ ، وقارن الاستبصار ، ص ١٢٩ - حيث النص على أن أخاه ، الذي كان أسن منه ، طلب أن يعطيه تاجه والراية لتييم في الجيش وأن ينجو بنفسه حتى يبقى للناس ، وحيث المقصود بالتاج هو عمامة الشرب المذهبة التي ترمع على قالب خاص فتأتي تاجا . وكانت العمامة الواحدة منها تسارى الـ ٥٠٠ دينار والـ ٦٠٠ دينار وأزيد .

(٣٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ ، التويري ، ص ٢٥١ - حيث النص على هزيمة الناصر وقتل الكثير من أصحابه ونهب أمواله ومضاربه ، وقتل أخيه القاسم بن علناس ، وابن عذاري ، ج ١ ص ٢٨٩ - حيث انهزام المعسكر وسير العبيد الى أن وصلت رماح العرب اليه ، ومات من العبيد خلق عظيم فدوه بأنفسهم . أما عن المغانم في معسكر السلطان فشملت الذهب والفضة والأمتعة والأسباب والأثاث والحف والكراع ما لا يعلم عدده الا الله . فلاخبة ١٠ آلاف ، والجمال ١٥ ألفا ، ٠٠٠ ، فما خلص لأحد من الجند عمال فما فوقه .

(٣٣) العبر ، ج ٦ ص ١٩ .

وازاء ضغط الهلالية المستمر على بلاد الناصر بن علناس ، بعد أن ملكوا الضواحي ، وقعدوا للولاء بالمراسد ، وأخذوا منهم الاتاوات ، اضطر الناس الى هجر سكنى القلعة ، واختط بالساحل مدينة بجاية ، وأعدّها لنزله ، وجعلها قاعدة للملكه (٣٤) ، وهي التي عرفت أول الأمر باسم الناصرية ، ثم باسم المنصورية نسبة الى ابنه المنصور (٣٥) .

بناء مدينة بجاية :

هذا ، ولو أن الرواية المحلية تقدم سببا مختلفا لبناء بجاية ، وأن كان بمناسبة الوساطة في الصلح بين تميم بن المعز وبين الناصر بن علناس ، عندما وجد مستشاروهما أن المصلحة تقتضي بذلك حفاظا على الدولتين الصنهاجيتين مما يتهددهما من خطر الهلالية الخارجي ، الأمر الذي لا يحتمل مزيدا من التهديد الداخلي من قبل الزيريين أنفسهم .

ظروف اختيار المكان :

فرغم ما تقوله الروايات من أن انتصار العرب الياحية ومن كان معهم من بني عدى في وقعة سببية سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م ، كان بتدبير تميم ابن المعز فإن نفس الرواة يقولون ان انتصار العرب أهم تميما ، وأنه أصابه لذلك حزن شديد . وعندما عرف الناصر بن علناس ذلك أرسل اليه وزيره أبا بكر بن أبي الفتوح ، الذي كان يجب الاتفاق بينهما ، بل ويهوى دولة تميم ، حتى أنه كان يحرض الناصر على الاتفاق في سبيل اخراج العرب من البلاد . وعندما قبل تميم فكرة الصلح أرسل بدوره وزيه محمد بن البليغ رسولا الى الناصر ، على أساس أنه رجل غريب لا يرجو مصلحة شخصية من تلك الوساطة . ولما كان ابن البليغ قد اتخذ طريق الساحل من المهديّة ، ونزل في موضع بجاية من حيث كان عليه أن يسلك طريق الوادي نحو القبلة حيث القلعة ، فإنه أعجب بالموضع الذي كانت تقطنه جماعة « رعية من البربر » يعرفون ببجاية ، ورأى ان ذلك المكان يصلح

(٣٤) العبر ، ج٦ ص ٣٠ ، وأنظر الاستبصار ، ص ١٢٩ - حيث النص على أنه لما نجا (الناصر) الى القلعة ، نزلت عليه جيوش العرب ، وضيقوا عليه ببلادهم ، فكان يصانهم حتى خاف ذرعا بهم ، وكان لا يقدر على التصرف في بلادهم ، فطلب موصما يبنى فيه مدينة ، ولا يلحقه فيها العرب ، فدل على موضع بجاية ، وكان مرسى ، فيناها .

(٣٥) الاستبصار ، ص ١٢٨ .

أن يكون مرسى ومدينة ، وأشار على الناصر بذلك ، على أن تكون دار ملنكه
التي تقربه من المهديّة ، بل وحذره من مخامرة وزيره أبي بكر بن الفتوح
الذي كان على اتصال بتميم . وفي مقابل ذلك عرّفه بعورات تميم وأغراه
به ، وعرض عليه أن يدخل في خدمته في أقرب فرصة مواتية .



الطريق ما بين القلعة وبجاية

(شكل ٩)

وقبل أن يعود ابن البليغ الى المهديّة كان قد زار موضع بجاية مع
الناصر ، وأراه موضع الميناء والبلد والدار السلطانية ، الأمر الذي أسر
الناصر حتى أنه أمر من ساعته بالبناء (٣٦) .

(٣٦) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ - ٤٧ - حيث الإشارة بعد ذلك الى انكشاف أمر
ابن البليغ لدى تميم الذي توقع به فقتله وغرق جثته ، وقارن النويري ، ص ٣٥٦
وما بعدها - حيث النص على أن ابن البليغ استغاث بالشريف الفهري دون جدوى ، وقارن
معجم البلدان لياقوت (بجاية) ، ج ٣ ص ٦٢ .

اهمية الموقع :

اما عن أهمية موقع مدينة بجاية فتتمثل في توسطها بين عدد من عواصم المغرب الأوسط ، فبينها وبين جزيرة بنى مزغناى (الجزائر العاصمة) مسافة ٤ أيام ، وبينها وبين ميلة ٣ أيام (٣٧) ، وهى على ٤ أيام من قلعة بنى حماد (قلعة أبى طويل من قبل) بفضل طريق الوادى القبلى ، المؤدى اليها رغم ما فيه من عقاب وأوعار (الاستبصار ، ص ١٢٩) (انظر شكل رقم ٩ ، ص ٤٥٧) . وهكذا تكون المدينة قد جمعت بين مزايا الميناء البحرى الذى تركب منه السفن وتسافر الى جميع الجهات (٢٨) ، كما تميزت بريا ارتباطها بالعواصم المحيطة بها . فالبحر يحيط بها من ثلاث جهات ، فى الشرق والغرب والجنوب ، ومع ذلك فلها طريق ضيق الى جهة الغرب ، كان يسمى المضيق ، وذلك على ضفة النهر المعروف بالوادى الكبير ، الذى يقرب منها بنحو الميلىن أو أقل ، وهو أسهل الطرق المؤدية اليها (٣٩) . وبفضل حصانة الموقع لم يكن للعرب اليها سبيل ، الأمر الذى شجع أهل أفريقية على الهجرة اليها ، وأدى الى ازدهار العمران وزيادته فيها . وهكذا كان لا يدخل اليها العرب الا من يبعث السلطان فى طلبه ، فيدخلها أفراد وفرسان دون عسكر . « فبقى صاحب بجاية فى ملك شامخ ، وعن باذخ ، يضاهى فى ملكه صاحب مصر - أى الخليفة (٤٠) » .

التخطيط والبناء :

أما عن تخطيط المدينة فالقصور الأميرية تقع فى أنف الجبل الداخلى فى البحر ، فهى فى أحسن موضع حيث قصور ملوك صنهاجة ، ولهذا السبب عرف بالؤلؤة ، كما يظهر . ويصف صاحب الاستبصار تلك القصور الحمادية بأنه لم ير الراؤون أحسن منها بناء ، ولا أنزه موضعا ، ففيها طاقات مشرفة على البحر ، عليها شبابيك الحديد ، والأبواب المخرمة المحنية ، والمجالس المقربصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها الى أسفلها ، قد نقشتم أحسن نقش ، وأنزلت بالذهب واللازورد . وقد كتبت فيها

(٣٧) معجم البلدان لياقوت (بجاية) ، ج ٢ ص ٦٢ .

(٣٨) معجم البلدان ، ج ٢ ص ٦٢ .

(٣٩) الاستبصار ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٤٠) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

الكتابات المحسنة ، وصورت فيها الصور المحسنة ، فجاءت من أحسن القصور
وأتمها منتزها وجمالا(٤١) .

ودما يؤسف له أنه لم يصلنا شيء من قصور بجاية هذه ، كما هو الحال
بالنسبة للقصور الزيرية كما كشفت عنه التنقيبات الأثرية في قلعة بني
حماد حيث كان قصر البحر بيوانكه وصحونه وقاعاته أو قصر المنار الشاهق
الارتفاع بقاعته المربعة ، ودرجه الدائري ، وقبابه العسائية وتضليعاته
العمودية ، ومشكاواته الشاهقة . وبناء على ذلك يرجع الباحثون الى ما بقي
من نماذج القصور الصقلية التي أنشئت في العهد النورمندي ، مثل : قصر
العزيزة والقبه في بلرم ، في محاولاتهم المرهقة لاستكشاف السمات العامة
للعماره الفاطمية المغربية(٤٢) .

التطور :

أما عن منطقة بجاية فهي غنية بزراعاتها وكثرة فواكهها . فهي مطلة
على فحص قد أحاطت به جبال تسقيه الأنهار والعيون ، وأكثره بساتين .
أما عن نهرها الكبير ، فعليه الكثير من جناتهم ، وقد صنعت عليه نواعير تسقي
من الأنهر ، وله منتزه عظيم(٤٣) . وهكذا ذاعت شهرة المدينة ، وأصبحت
مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام ومن غيرها ، وسفن المسلمين
من الاسكندرية بطرف بلاد مصر ، وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها(٤٤) .
وبذلك كثرت أموال بجاية وانتعشت الأحوال الاقتصادية في بلاد القبائل ،
ورسخ ملك سلاطين بني حماد ، واستفحلت الحضارة الصنهاجية في دورتها
الحمادية الثانية .

تميم بن المعز بن باديس ،

والصراع مع أمراء المتغلبين في المدن الافريقية :

بعد هزيمة الناصر بن علناس أمام الغزب في سببية سنة ٤٥٧هـ /

(٤١) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

(٤٢) أنظر للمؤلف ، العماره والفنون في دولة الاسلام ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ .

ص ٢٨٥ .

(٤٣) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

(٤٤) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

١٠٦٥م ، اطمأن تميم بعض الشيء من جانب بنى عمه أصحاب القلعة ،
وأصبح لديه من الوقت ، ومن الجهد ما يصرفه في إعادة الوحدة الى بلاد
أفريقية ، ولو على حساب المتغلبين من حلفاء بجاية حيث استقر
الناصر بن علناس *

في القيروان وتونس :

كان المعز بن باديس قد عهد بولاية كل من القيروان وتونس الى :
قائد بن ميمون الصنهاجى الذى أقام بالقيروان ، وأتاب عن نفسه فى مدينة
تونس : عبد الحق بن خراسان ، على ما يظهر . وعندما غلبته قبيله هواره
على القيروان رده تميم حيث بقى فى ولايته الى سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م ،
(ما سبق ، ص ٤٥١) ، حيث أظهر الخلاف ، ورأى أن يجرب الاستقلال ،
بتحريض نائبه ابن خراسان فى تونس ، من حيث أنه التجأ الى طاعة
الناصر بن علناس ، راعى ابن خراسان . وهنا سير تميم عسكريا كثيفا
نحو القيروان فتركها قائد الصنهاجى ، وسار الى الناصر بن علناس . وهكذا
دخل عسكر المهديّة الى القيروان ، واكتفوا منها بهدم دور القائد ، قبل أن
يوجهوا أنظارهم نحو تونس ، اذ الحقيقة ان القيروان كانت واقعة فى دائرة
نفوذ العرب الريحانية وحلفائهم من أعوان تميم *

وفى تونس ضربوا الحصار على ابن خراسان الذى نجح فى الدفاع
عن مدينته ومواجهة قوات المهديّة لمدة ١٤ شهرا ، انتهت بالاتفاق على أن يعبر
ابن خراسان تبعيته ، فيدخل فى طاعة تميم بدلا من الناصر بن علناس (٤٥) .
وبعد أن أقام قائد بن ميمون الصنهاجى فى كنف الناصر بن علناس بالقلعة
لمدة سنتين ، رجع الى أفريقية وسيطا لحمو بن مليل ، صاحب صفاقس
لكى يتتبع له القيروان من : مهنى بن على أمير زغبة . وكان ثمن تلك الوساطة
أن عهد اليه حمو من جديد بولاية القيروان ، فعاد قائد اليها ، وبني سورها
وحصنها ، تحت اسم تميم وبصره (٤٦) *

(٤٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٥٠ ، النويرى ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ، ابن عذارى ، ط .
ج ١ ص ٤٢٩ - عن حصار تونس فقط ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .
(٤٦) أنظر النويرى ، ص ٣٥٦ ، وقارن ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٥٠ - حيث راسل قائد
أمراء العرب من بجاية واشترى منهم إمارة القيروان ، فلما أجابوه عاد اليها ، ابن خلدون ،
ج ٦ ص ١٦ - حيث تحدّثه شخصية الزعيم الزغبى الذى باع القيروان ، أما التواريخ فمتمتزة -

وهكذا تكون العلاقة قد بقيت فاترة بين الناصر بن علناس وتميم .
ابن المعز بن باديس ، منذ وقعة سببية ، ان لم تكن عدائية بشكل سافر .
فانناصر وهو في قاعدة ملكه في القلعة وبجاية كان يهيم بشكل أو بآخر
على المتغلبين على مدن أفريقية الرئيسية ، من القيروان الى تونس وصفاقس .
فكان الضغائن كانت كامنة مع الأحقاد في نفوس أبناء العم الأعداء ، من
الحماديين والباديسيين ، تماما كما يتقد الجمر تحت الرماد ، الأمر الذي
ترتب عليه أن الصلح بين تميم والناصر بن علناس الذي تأكد بالمصاهرة
لم يتم حقيقة الا في سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م (ما بعد ، ص ٤٦٣) .

غارة ثائرة للناصر بن علناس بأفريقية :

وهكذا كان الناصر بن علناس ، بعد سنتين ، يقوم بحملات عسكرية
سافرة في بلاد تميم . فهو في سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م يقوم بمعاونة حلفائه
من عرب الأثبج بغارة كبرى يخترق فيها بلاد أفريقية ، بدأ بمدينة الأربس
الاستراتيجية الهامة ، على بعد يوم من القيروان ، ويضيق عليها الحصار حتى
يفتحها ، ويعطي أهلها الأمان ، وان عاقب عاملها ابن مكرز بالقتل (٤٧) ،
وانتهاء بالوصول الى القيروان التي دخلها مع حلفائه العرب (٤٨) ، ولو أنه
لم يجرؤ على البقاء طويلا في المنطقة ، حيث عاد مسرعا من القيروان الى قلعته .
خوفا من جموع العرب الرياحية وأحلافهم الزغبية (٤٩) . وذلك في الوقت
الذي كانت بلاد المغرب الأقصى وصحراواتها تموج بحركة المرابطين من
الملمثين . ففي السنة التالية ، ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م ، كان أمير لتونة يستبد
بالمغرب ، ويدخل في طاعته قبائل المصامدة وبلاد درعة وسجلماسة ، بعد
أن تغلب على زناتة المستوطنين هناك (٥٠) ، في الوقت الذي كان العمل في
بناء العاصمة المرابطية الجديدة مراكش ، يقوم على قدم وساق بمعرفة الزعيم
اللمتوني أبي بكر بن عمر (٥١) . فكان حركة الإنقاذ قد بدأت تتبلور في
المغرب الأقصى .

(٤٧) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٢٩ .

(٤٨) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ .

(٤٩) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ .

(٥٠) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ .

(٥١) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ .

شريط الأحداث الصغيرة في أفريقية والمغرب الأوسط

دنا بين الصنهاجيين والهلالية :

وهكذا يستمر سيناريو الاضطراب في أفريقية والمغرب الأوسط سائرا بنفس الإيقاع البطيء ، ما بين غارات ثارية وغارات مضادة ، لا ندري ان كان هدفها محاولة إعادة الوحدة للبلاد تحت هذه الرايات أو تلك ، أم هدفها تكريس التفتت والانفصال ، بقصد أو بغير قصد آ

ففي سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م كان أسطول المهديّة ينطلق بأوامر من تميم بن المعز لافساد المراكب الشرقية التي وصلت الى ميناء صفاقس(٥٢) بقصد اضعاف حمو بن مليل الذي نشط في البحث عن موارد جديدة في الشرق ، بعد أن ربط مصيره بصاحب بجاية في الغرب .

خروج زغبة من أفريقية على أيدي رياح :

وبينما كان الصراع فيما بين الصنهاجيين يضعف كلا الطرفين : الحسادي والباديسي ، كان العرب الهلالية ، بدورهم ، يتصارعون فيما بينهم في سبيل الهيمنة على البلاد . ففي جانب عرب تميم في أفريقية قام الصراع شرسا بين رياح وزغبة ، وانتهى في سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م بغلبة رياح وطرد زغبة من أفريقية(٥٣) ، الأمر الذي تطلب من الرياحيين مساومة الناصر بن علناس لشراء مدينة القيروان(٥٤) التي كانت وقتئذ في حيازة زغبة . والظاهر ان الفراغ الذي تركته زغبة في أفريقية تطلب نزوح قبائل عربية جديدة من برقة ، نزلت حول القيروان ، سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م ، الأمر الذي يعني ان زغبة انضخضت نحو الغرب عبر بلاد بني حماد حيث كانت على علاقة جيدة بها ، وهو ما كان يسمح من قبل للزعيم الزغبى : مهني بن علي ببيع القيروان لاتباع الناصر بن علناس (ما سبق ، ص ٤٥٢ ، ٤٦٠) .

(٥٢) ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٩٨ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ ، قارن ابن عذاري ، ط بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ - حيث التاريخ بين ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م - ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م .

(٥٣) ابن عذاري ، ط بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ .

(٥٤) ابن عذاري ، ط بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ .

الصلح بين تميم بن المغز والناصر بن علناس :

وكان من سوء حظ عرب بركة ان كانت سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م التي اعتقت مجيئهم الى افريقية ، سنة « مجاعة عظيمة ووباء عظيم ، مات فيه من الناس خلق كثير ، ولا بأس أن كانت لسنة الجذب تلك آثارها في اشتعال الفتنة التي كانت هامة بين الأميرين الزيريين ، المتنافسين في بجاية والمهدية ، والتي لا نعرف موضوعها أو أسبابها . ولكن المهم أن الرجلين استمعا الى صوت العقل ، وتأكدا من عقم الصراع فيما بينهما ، وانتهيا الى تحييد سلوك طريق المصالحة التي عقدها بينهما هذه المرة ، سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م ، وتأكد ذلك الصلح بالمصاهرة ، فقام تميم بعقد زواج الناصر من ابنته : السيدة بلارة ، وتجهيزها اليه برا من المهديّة الى بجاية(٥٥) .

استمرار الصراع مع المتغلبين على المدن الساحلية :

وفي نفس سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م ، عندما استقرت العلاقات بين المهديّة وبجاية ، كان تميم يستخدم ابنه واليسا على مدينة طرابلس الغرب(٥٦) ، بمعنى العناية بتأمين الحدود الشرقية ، مثلما تأمنت الحدود الغربية . ولما كان الطريق الى طرابلس يمر بقابس ، كان من الطبيعي أن يعمل تميم على اعادتها الى الطاعة ، وهذا ما حاوله سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م ، حيث كان بها ماضي بن محمد الصنهاجي الذي وليها بعد أخيه ابراهيم(٥٧) ، وان لم يكن يعمل مباشر ، وذلك أنه اكتفى بأن يضيّق بالعساكر على أهلها ، ويعيث بهم في بسايتها الكثيفة ، التي كانت تعرف لذلك باسم القصابة ، فأفسدها(٥٨) .

وكان من الطبيعي أن يؤدي فشل تميم في القيام بعملية عسكرية مباشرة ضد قابس الى طمع المتغلبين من عرب لبربر ، ممن استشعروا ضعف

(٥٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٠٧ - حيث النص على ان تميم اصحبها من الخي والمجاز ما لا يحده ، بينما رد المهر الذي دفعه الناصر ، وبلغته ٣٠ ألف دينار ، فلم يأخذ منها الا دينارا واحدا فقط ، وقارن ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .

(٥٦) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٠٧ ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ .

(٥٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .

(٥٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٢١ ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ .

ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ - حيث النص على أنه حاصرهما ثم اخرج عنها .

الأمير تميم ، وطعموا في منازل دار ملكه بالمهدية نفسها ، فضلا عن القبروان ، فلعل وعسى أن تنجح التجربة . ففي سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م ، قام الزعيم العربي ملك بن علوي الصخري بحشد جموعه ، وسار الى المهديّة ليصرب عليها احصار ، وبدن ساء عن الرجل بالامير تميم الذي نجح في دفعه بعيدا عن اسوار المهديّة . وهنا قرر زعيم العرب الهلالية ان يجرب حظه مرة أخرى مع القبروان ، التي نالت اشبه بمدينة مفتوحة ، ونجح فعلا في دخولها . وهنا استعرض تميم كل فواه ، وجرّد ابيه العساكر العظيمه التي ضربت عليه الحصار ، فلما رأى أنه لا طاقة له بمواجهة قوات تميم خرج عنها وتركها ، فاستولى عليها عسكر تميم ، وبذلك تكون القبروان قد عادت الى ملكه مرة أخرى (٥٩) .

والظاهر أن نجاح تميم في تجربة قواته أمام العرب ، رفعت من معنويات قواده ، ومن حماس رجاله ، وذلك أنه في جولته الحربية التالية التي تذكر له سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٩٦ م ، تمكن من القيام بحملة مزدوجة أو بحملتين عسكريتين دفعة واحدة ، ضد كل من مدينتي قابس وسفاقس ، الأمر الذي أثار انتباه الكتاب فنصوا على الحدث وكانه معجزة تاريخية تذكر للأمير الزيري ابن المعز وحفيد باديس (٦٠) .

أساطيل جنوة وبيزا تهاجم المهديّة وزويلة

سنة ٤٨٠ - ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ - ١٠٨٩ م :

الأسباب :

ومن الأمور المثيرة للانتباه أيضا ، أنه وسط دوامات الاضطرابات الداخلية والصراعات الطائفية التي كانت تموج بها البلاد ، تفاجأ مدينة المهديّة ، في السنة التالية ، بعد ما دبره لها العرب سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، بمفاجأة بحرية أشد هولا من كل ما سبق ، وذلك عندما داهمتها أساطيل كل من جنوة وبيزا سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، وهو الأمر الذي يمكن أن يشر

(٥٩) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٣٢ ، النويري ، ص ٣٥٦ ، ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٥ .
(٦٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥٩ - حيث النص على أنه حصر المدينتين في وقت واحد ، وفرق عليها البساکر ، ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ٢ ص ٤٣١ - حيث النص على أنه حاصر المدينتين في زمن واحد ، مما لم يسمع بمثله .

الجدل أيضا ، حول أسباب ذلك الغزو ودواعيه ! حقيقة يمكن القول انه بانتقال المعز بن باديس من القيروان الى المهديّة غيرت الدولة الزيرية وجهتها نحو البحر فأصبحت دولة بحرية ، بعد أن فقدت الدواخل التي غلب عليها السلاطنة . وأنها بعملها هذا أثارت مخاوف القوى البحرية في المتوسط ، وثبتت . وهذا ما يقول به ابن الأثير فعلا ، عندما يذكر ابتداء الحادثة بذكر سببها ، فيقول عن تميم انه « أكثر غزو بلادهم (الروم) في البحر فخر بها وشنت أهلها » ، وهي الرواية التي تحسن الظن بالأمير تميم وبدولته التي لم تفقد الدواخل فقط ، بل فقدت السواحل أيضا ، حيث قام المتغلبون من كل من تونس وسوسة وصفاقس وقابس . فكان دولة تميم في المهديّة كانت في الحقيقة معرضة للعدو البحري ، بغير عمق استراتيجي كما يقال الآن .

والظاهر ان مقالة ابن الأثير مجرد استنتاج عقلي تقضى به سلامة الحس واصول المنطق ، لولا أن الوقت كان بعيدا عن ذلك الذي قامت فيه الأساطيل الاغلبية بفتح صقلية ، وبحصار الروم أيضا في جنوب ايطاليا ، وكذلك الامر بالنسبة لأساطيل المهديّة الفاطمية التي كانت تقوم بالغزو بعيدا حتى جنوة دون التوقف في صقلية . فمنذ انتقال الخلافة الفاطمية الى القاهرة اصبح كل ذلك من ذكريات الماضي ، حتى فقد البحارة في سواحل أفريقية حيويتهم لمهنتهم ، وتطلبت تعبتهم للأسطول أيام بلكن ، وضعمهم في السجن ، الأمر الذي انتهى باضطرابهم وفرارهم من مراكزهم بعد أن نهبوا (ما سبق ، ص ٣٢٨) . وهكذا يقف ابن الأثير وحده بفكرة الغزو والجهاد البحري الذي كان يقوم به تميم بن المعز بن باديس ، لا يشاركه فيها أحد ، وان كان ذلك لا يمنع من قيام نشاطات جهادية خاصة في البحر يقوم بها أفراد أو جماعات ممن اتخذوا « القرصنة » والبحر حرفة وطنية ، وهو الأمر المقبول وان لم تملك له دليلا قويا بين أيدينا من الحوليات البحرية .

وهكذا ، وعلى عكس ابن الأثير يتوسع ابن عذارى في أسباب الغزو البحري الخارجي للمهديّة ، فيصنفها بعد « قدر الله تعالى » الى الأسباب الآتية :

- غيبة عسكر السلطان عن المهديّة - في مهمات داخلية أخرى
- مفاجأة الروم - التي تعنى عدم وجود اعدادات بحرية كلانذار المبكر ، كما يقال الآن ، فضلا عن الدفاعات البحرية الذاتية ، من طبيعية واصطناعية .

- خلو كافة الناس من الأسلحة والعدد .
- قصر الأسوار وتهدمها .
- تكذيب تميم يخبرهم - الأمر الذي يعنى ان الصراع البحرى مع العدو لم يكن ضمن موضوعات تفكيره .
- سوء تدبير عبد الله بن منكود ، تتولى امر الدولة فى قصده مخالفة قائد الأسطول فى الخروج اليهم للقائهم فى الماء ، ومنعهم من النزول الى البر - بمعنى عدم قنصاعة المسئولين السياسيين فى الدولة ، وكذلك الفنيين المسئولين عن الاسطول ، فى كفاءة القوات البحرية ، وقتئذ ، فى مواجهة الأساطيل المعتدية .

ومثل هذا كان رأى شهود العيان ممن سجلوا الحدث شعرا وبشكل موجز ، كما فعل أبو الحسن الحداد ، فى قصيدته التى يقول فى بعض أبياتها :

غزا حمانا العدو فى عهد هدم السدبى كدرة أو اللفت
جاءوا على غرة الى نفسر قد جهلوا فى الحروب ما عرفوا

هكذا لم يكن الهجوم البحرى الكبير على المهديّة من قبل جنوة وبيزا مجرد رد فعل لأعمال عدوانية من قبل الأساطيل الأفرقية ضد أراضى المدينتين البحريتين أو ضد مصالحهما التجارية أو الاقتصادية ، بل كانت مجرد استعراض للقوة وكسب للنفوذ السياسى والاحتيازات التجارية والاقتصادية. وذلك فى اطار عملية الانطلاق التى عرفتها أوروبا الغربية اعتبارا من القرن الحادى عشر الميلادى / هـ ، فى مقابل عملية التوقف والانكماش التى عرفتها دولة الاسلام ، وخاصة فى جنوب ايطاليا وصقلية وأفرقية التونسية بعد رحيل الفاطميين .

الحملة :

والمهم أن القوات البحرية المهاجمة التى حوت ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ قطعة بحرية (٦١) ، شارك فيها البيشانيون (أهل بيزا) والجنويون ، وغيرهم فى

(٦١) ٤٠٠ قطعة عند ابن الأثير والنويرى ، و٣٠٠ عند ابن عذارى وابن خلدون ، وابن الخطيب .

شكل ناجية. (الكامل ، ج ١٠ ص ١٦٥) ، وأهل أمالفي في جنوب إيطاليا ،
وفسوات كبيرة من قبل البابوية (٦٢) ، وتطلب الأمر ٤ (أربع) سنوات
لإعداد هذا الأسطول حتى يصبح جاهزا للحملة . ولما كانت الروايات
تختلف في تحديد تاريخ الحملة ، ما بين سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م وسنة ٤٨١هـ /
١٠٨٨م ، فلا بأس أن يكون التاريخان صحيحين ، من حيث بدء الهجوم
سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م ، واستعراق العمليات الحربية والاحتلال ثم المفاوضات
من أجل الصلح بقية السنة حتى دخول سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م .

التجمع في جزيرة قوصرة :

أما عن خطوات الحملة فقد بدأ تجمع المراكب المهاجمة في جزيرة قوصرة ،
وهي بـنتلاريا Fantelliar الواقعة شمال تونس ، وكانت ٤٠٠ قطعة
حسب رواية ابن الأثير ، الأكثر تفصيلا ، فأسرع أهل قوصرة بالكتابة إلى
المهدية بالبريد الطائر ، بواسطة الحمام الزاجل (٦٣) . وهنا تشير أصبح
الالتهام إلى تميم بالتقصير في اتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهة خطر
الغزو . فتقول رواية أنه رفض أن يصدق تحذير أهل قوصرة (٦٤) ، واعتبره

(٦٢) أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط ، الترجمة
العربية ، ص ٣٧١ ، وأنظر اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ١٧٦ وما بعدها - حيث
موضوع علاقة الناصر بن علناس بالبابا جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥م) ، حيث
تم تبادل الرسائل بينهما ، ووصلتنا منها الرسالة الخاصة ببرد البابا على رسالة الناصر
سنة ١٠٧٧م / ٤٧٠هـ ، والتي نشرها دوماس لا ترى ، في معاهدات السلام والتجارة في
العصر الوسيط ، والتي قام بدراستها ش . كورتوا Ch. Courtois وحاول أن يجعل لتلك
العلاقة التي أقامها الناصر مع البابا جريجورى السابع ، الذى يلقب الأمير الحمادى بـ ملك
موريتانيا وولاية سطيف الأفريقية ، أهدافا سياسية موجبة ضد قرابته الزيريين الذين كانوا
يؤيدون المسلمين في صقلية ضد الغزاة النورمانيين حتى سنة ١٠٧٨م ، وهو ما يرفضه
المؤلف على أساس أن رسالة البابا لا تعوى أية إشارة إلى موضوعات سياسية . ورغم تقدم
هذه العلاقة الخاصة بين الناصر وجريجورى بحوالى أكثر من عشر سنوات على حملة المهدية
الملمم أن ما يرفضه المؤلف يمكن أن يكون مقبولا هنا من حيث أن البابوية كانت تتدخل ضد
الزيريين تأييدا للنورمانيين ضد المسلمين في صقلية . وما يمكن أن يكون قرينة لذلك
هو هجوم بيزا قبل ذلك على بلمر عاصمة صقلية الإسلامية سنة ١٠٦٣م - الأمر الذى أزعج
مدن أقاليم كيبانيا التى كانت على صلات تجارية وثيقة مع العرب وخاصة ساليرو (أرشيبالد
لويس ، الترجمة ، ص ٣٧١) .

(٦٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، النويرى ، ص ٣٥٦ - حيث النص على أنهم أتوا
كلهم إلى جزيرة قوصرة وأخربوا ونهبوا وأحرقوا .
(٦٤) ابن خلدون ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٣٢ .

بمثابة بلاغ كاذب ، الهدف منه ازعاج السلطات ، كما يقال في المصط الحديث ، وما يؤسف له أننا لا نعرف أسباب هذا الموقف السلبي من قبل الأمير تميم ، ولا بأس أن يكون قد تصور أنها مجرد غارة مألوفة على تدا الجزيرة المنعزلة في البحر لا تستحق أن يعرض بسببها أسطوله للخطر والحقيقة ان الرواية تحاول تبرير موقف تميم هذا ، من حيث أنه أراد يسير مقدم الأسطول : عثمان بن سعيد المعروف بالمهر ، ليمنع العدو البحر من النزول الى البر ، لولا نصيحة الوزير : عبد الله بن منكود للأمير بالأ يفع ذلك ، نكايه في عدوه قائد البحرية الذي كان يؤله ، من غير شك ، ان يقق موقف المتفرج (٦٥) .

وهكذا وقفت المهديّة موقف المدينة المفتوحة بالنسبة لأساطيل العدو البحري الكثيرة ، من حيث ان أسطول المهديّة ليس ندا لها ، ومن حيث غيا القوات البرية النظامية التي كانت في مهمات قتالية ضد ثوار الداخل أما عن موقف قوات الداخل من قبائل البربر والعرب فلا ذكر لها (٦٦) وهكذا نزل العدو الى البر في أعداد هائلة ، اذ بلغ عدد مقاتلته ٣٠ (ثلاثين ألفا) (٦٧) ، وهو رقم مقبول على أساس متوسط ١٠٠ (مائة) رجل لكل سفينة ، علما بأن السفن الكبيرة من نوع الشوانى كانت تحمل أكثر م هذا العدد . وطلع العزاة الى البر دون مقاومة ، ونهبوا وأحرقوا ما صادفه على طول الطريق الى أن دخلوا مدينة العامة زويلة التي نهبوها هي الأخرى وقتلوا الناس فيها وأحرقوهم بالنار ، حسبما تبألخ الرواية على ما نظن (٦٨) ورغم ما تقوله رواية ابن عذارى ، وهي أصل رواية ابن خلدون وابن الخطيب من ان المغيرين دخلوا كلا من المهديّة وزويلة (٦٩) ، فمن الواضح أن رواة

(٦٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٤٣٢ - حين النص على سوء تدبير عبد الله بن منكود متولى أمور الدولة (الوزير) في قصده مخالفة قائد الأسطول في الخروج اليهم للقائهم في الماء ومنهم من النزول الى البر .

(٦٦) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، النويرى ، ص ٣٥٦ .

(٦٧) حسب رواية ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ ، وحسب رواية ابن خلدون ج ٦ ص ١٦٠ ، ابن الخطيب ، ص ٧٨ . وقارن ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ - الذي لا ينص على عدد المقاتلة في الأساطيل الفرنجية ، وان كان يقدم الرقم ٣٠ ألفا كقيمة المبلغ الذي ت اتفاق الصلح على أن يدفعه لهم تميم ، وهو الأمر الذي يستحق للملاحظة ، كما يأتي .

(٦٨) انظر ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ١٣١ - حيث كسوف الشمس كسوف كلبيا ، كناية عما قاسته المدينة في المحنة الصعبة .

(٦٩) ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٤٣٢ ، العبير ، ج ٦ ص ١٦٠ ، ابن الخطيب ، ص ٧٨ .

ابن الأثير التي تعتبر مع رواية النويرى من أصل محلى واحد ، والتي تقول بدخول العدو مدينة زويلة وحدها (٧٠) ، هي الأرجح من حيث ان المهديّة كانت حسنة التحصين ، يسهل الدفاع عنها ، كما هو معروف ، حتى قال المعز بن باديس للعرب الرياحية - وهو يحرضهم على الناصر بن علناس ، ويخوفهم منه - ان ٤٠ رجلا فقط يكفون للدفاع عنها (مسبق ، ص ٤٥٣) ، وهذا ما يفسر كيف كان تميم مطمئنا في قصره بالمهديّة أثناء غزو عساكر جنوة وبيزا لمدينة زويلة ، تماما ، كما كان الحال منذ حوالي ١٥٠ سنة ، عندما كان القائم مطمئنا الى ان نائر زناتة ، ابا يزيد ، صاحب الحمار ، الذي كان يتخذ من باب المدينة الرئيسي هدفا لرشق رماحه ، لا بد وأن ينكص على عقبية - الأمر الذي يطمئن الى الثقة فى علم الحدثنان .

الصلح :

هكذا كان تميم متأكدا من انسحاب الأساطيل الإيطالية ، ولكن بشيء من المسال . وفعلا انتهت مفاوضات الصلح بينه وبين المهاجمين على دفع ١٠٠ (مائة) ألف دينار (٧١) ، على أن يرد المهاجمون جميع ما أخذوه من السبى (٧٢) .

(٧٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، النويرى ، ص ٣٥٦ - حيث النص على ملك مدينة زويلة بقرت المهديّة .

(٧١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ ، ابن الخطيب ، ص ٧٨ - حيث النص على أنه دفع فيها أواني الذهب والفضة . وقارن النويرى ، ص ٣٥٧ ، الذي يجعلها ٨٠ ألفا ، بينما ينص ابن الأثير على مبلغ ٣٠ ألف دينار ، وهو الرقم المقبول للمبلغ المحتمل دفعه أى المتسدر عليه ، على ما نرى ، والذي يمكن أن يكون قد تحول الى ٣٠ ألف مقاتل عند الآخرين ، بدلا من ١٠٠ ألف مقاتل التي يسكن إن تكون قد تحولت الى ٣٠ ألف مقاتل ، ولو أن ابن الأثير ، وهو يعتبر أن مبلغ الـ ٣٠ ألف دينار مبلغا كبيرا ، يملق على ذلك قائلا : « وكان تميم يندل المسال الكثير فى الغرض الحقيق ٠٠٠ بذل للعرب لما استولوا على حصن قناطة ١٢ ألف دينار ، فقتل هذا سرف فى المسال ، فقال هو شرف فى الحال ، الأمر الذى يسمح بأن يكون قد دفع المبلغ الأكبر ، وهو الـ ١٠٠ ألف دينار ، وهو ما جعلنا نأخذ به على كل حال .

(٧٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ - حيث النص على رد جميع ما حووه من السبى ، النويرى ، ص ٣٥٦ - حيث النص على « شرط أن يؤدوا جميع ما أخذوه من السبى ففعلوا ذلك ورجعوا جميعا » ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ - فاستخلصها من أيديهم ورجعوا ، ابن الخطيب ، الاعلام ، ص ٧٨ - حيث النص على أنهم أقتلوا بذلك (أى الـ ١٠٠ ألف دينار) وبأموال الناس ونسانهم . والظاهر أن ابن الخطيب أراد أن يوازن قوله هذا فأشاد =

قدوم بشائر من ترك المشرق الى أفريقية :

الى جانب ما كانت تعانيه بلاد أفريقية الزيرية من مشاكل البربر والعرب الهلالية ، بدأت البلاد تعرف بدورها العنصر التركي الذي عرفته بغداد وسامرا منذ خلافة المعتصم ، والذي عرفته بعد ذلك معظم بلاد المشرق الاسلامي ، اعتبارا من ما وراء النهر وخراسان ، مروا بفارس والديلم والعراق حتى الشام ومصر حيث عانت الخلافة الفاطمية من مشاكل عساكرها المقسمين ما بين طوائف المغاربة ، وهم الحرس القديم ، والحرس السوداني الأسود من الجيود ، الى جانب الترك الذين أضحوا قطاعا هاما في الجيش ، حيث عرفوا أيضا بالعرز ، وبضمنهم الأرمن وأشهرهم بدر الجمالي (٧٧) .

شاهمك في طرابلس :

وتنفجر قصة الترك في أفريقية سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م ، عندما يغدر رئيسهم شاهمك بولي العهد يحيى بن تميم ويقبض عليه . أما عن تاريخ دخول شاهمك الى المغرب فلا يحدده الكتاب بدقة ، ولا بأس أن يكون قبل فترة وجيزة من سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م .

وتقول الرواية ان شاهمك كان من أولاد بعض أمراء الأتراك بالمشرق ، وأغلب الظن أنه كان في خدمة الخلافة ببغداد أميرا لمائة فارس ، وأنه عندما حدثت الوحشة بينه وبين بعض رؤسائه خرج بجماعة فرسانه المائة الى مصر (٧٨) ، عبر الشام ، كما فعل الفتكين التركي سابقا والذي كانت له صولات وجولات مع الجند الفاطمي هناك ، قبل أن يستسلم للخليفة العزيز الذي أحسن اليه وضمه الى بطانته (٧٩) . وفي مصر أحسن الوزير الأفضل ابن بدر الجمالي الى شاهمك وأكرم وفادته ، ولكنه عندما أخرج من مصر هرب وأصحابه نحو المغرب ، حيث وصلوا الى مدينة طرابلس ، في وقت كان أهل

(٧٧) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط ٤ ، ١٩٨١ ، ص ٣٠١ - حيث يتكون الجيش من عدة عناصر ، من : العامة والأتراك والأكراد والعرز والديلم والسامنة والسودان ، وفي المسير فصائل ، يسير البربر في المقدمة ويليه المغاربة ثم الأتراك والفرس ويطلق عليهم الشرقيين ويتبعهم الحجازيون والسودان ويطلق عليهم عبيد الشراء . وعن الصراع بين الترك والسودان ، انظر ص ١٨١ - بعد وفاة الخائف سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٤م .

(٧٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ ، التويري ، ص ٣٥٧ .

(٧٩) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٥٦ - ٦٦١ (عن الفتكين) ، وقارن حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ١٥٧ - ١٦٣ .

البلد يتنازعون مع واليهم ، فكانت فرصة لكي يدخلوه الى البلد لكي يصبح أميرها (٨٠) .

الترك في خدمة تميم والفدر بولي العهد يحيى :

وبطبيعة الحال لم يكن تميم ليرضى بان يترك عاصمه الاقاليم الشرقية لبلاده سقط تمرّة ناضجه ، وهي التي كان يشرف بها ولده مقلد بن تميم سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م (ما سبق ، ص ٤٦٢) ، بين يدي مغامر غريب ولو كان من الترك - أفضل جند الاسلام في كل العصور . هكذا أرسل تميم العساكر لكي يضربوا الحصار حول طرابلس ويفتحوها ، ويعودوا بشاهمملك وجماعه الاتراك المغمرين . وعجب الأمير الصنهاجي الذي لم يعرف من العسكر النظامي الا عبيده السود ، بجماعة العسكر التركي الذين جيلوا على الفروسية والطاعة مع النظام والبراعة في استخدام السهام ، وعبر عن فرحته الكبرى بهم عندما قال : الآن ولد لي ١٠٠ (مائة) ولد انتفع بهم لا يخطيء لهم سهم (٨١) . ولكنه لما كان للعسكر الترك أسلوبيهم الخاص في الخدمة ، لم يكن من الغريب أن ينتهي الأمر بينهم وبين تميم بالوحشة ، بحيث أخذ كل جانب حذره من الآخر .

والظاهر أن ولي العهد يحيى بن تميم كان مفتونا بشخصية القائد التركي وفروسيته ، فسمح لنفسه بالخروج معه وبعض أصحابه في نزهة صيد موسم سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، وكانت فرصة انتهزها شاهمملك ، فغدر يحيى وقبض عليه وسار به في اتجاه صفاقس حيث حمو بن مليس البرغواطي الذي كان مخالفا لتميم ، مستبدا بمدينته ، بينما انسحب عسكر يحيى لكي يبلغوا الأمير الوالد (٨٢) . ورغم أن حمو أحسن استقبال ولى العهد فعظمه وقبل يده ومشى في ركابه ، الا أنه لم يلبث أن خافه على نفسه ، وخاصة بعد أن قام تميم بتنحية يحيى عن ولاية العهد ، واقامة ابن ثمان له ، هو المثني ، مقامه . عندئذ كاتب صاحب صفاقس الأمير تميم يسأله عقد صفقة بينهما يتم فيها تبادل من كان لديه من الأتراك وأولادهم مقابل ابنه يحيى . ورغم تمنع تميم في أول الأمر الا أنه تم إبرام التبادل ،

(٨٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ ، التويرى ، ص ٣٥٧ .

(٨١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ ، التويرى ، ص ٣٥٧ .

(٨٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، التويرى ، ٣٥٨ ، ابن عذارى ، ط . بيروت .

ورغم أن تميمًا حجب ابنه يحيى لفترة من الوقت فإنه عاد وأرجعه إلى ما كان عليه من ولاية العهد ورضى عنه (٨٣) .

حصار صفاقس :

وانتقامًا مما فعله الأتراك الغزاة من الغدر بيحيى كان على هذا الأخير أن يخرج ، بأمر والده ، على رأس قوة برية بحرية لحصار صفاقس . وتم حصر المدينة برا وبحرا ، وضيّقوا على الأتراك بها لمدة طالت إلى شهرين . ورغم ما تقوله رواية ابن الأثير من أن قوات المهديّة استولت على المدينة ، فإن خروج الترك من صفاقس إلى قابس يعني أنه تم نوع من الصلح بشروط منها خروج الأتراك عنها (٨٤) .

خروج المثني بن تميم إلى قابس وشعبه على والده وأخيه بالمهدية :

ولم تنته ردود فعل حادثة غدر الأتراك بولي العهد الزيري ، وذلك أن مثني بن تميم أظهر ضيقه بخلعه من ولاية العهد ، حسداً لأخيه يحيى ، حتى « نقل عنه ما غير قلب أبيه عليه » - وهنا رأى تميم أن من حسن السياسة إخراجهم من المهديّة ، فخرج بحرا بآله وماله ، واتجه إلى صفاقس ، حيث منعه عاملها من الدخول ، فاتجه إلى قابس حيث كان المتغلب عليها : مكين ابن كامل الدهماني ، الذي سبق له استقبال جماعة الترك الغزاة (٨٥) .

وفي قابس تراءى للمثني أنه يمكنه العودة إلى المهديّة ، ليس كولي للعهد فقط ، بل كأمير أيضاً ، وذلك بمساعدة الدهماني ، وبتحريض من شاهمك ومن معه من الغز ، طالما كان المثني قد تكفل بالنفقة على الحملة مما كان لديه من المال . وسار المفامرون الثلاثة وأصحابهم برا إلى صفاقس ، ونزلوا عليها . ولكنهم عندما عرفوا بخبر العسكر الذي كان تميم قد جرده إليهم ، رأوا انتهاز الفرصة والاتجاه إلى المهديّة ذاتها ، من طريق آخر . وفعلاً ناصبوا المدينة البحرية القتال ، وهي الصعبة المنال بغير الأسطول ، وكان الذي يقود قتالهم هو ولي العهد يحيى بن تميم الذي « ظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير ، فلم يبلغ أولئك منه

(٨٣) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٤٢ ، النويري ، ص ٣٥٨ ، ابن عذارى ، ص ٣٠٠ بيروت ،

ج ١ ص ٤٣٣ .

(٨٤) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٤٢ ، النويري ، ص ٣٥٨ .

(٨٥) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٤٢ ، النويري ، ص ٣٥٨ .

غرضاً « . وهكذا عادت جماعة المغامرين من حزب المهديّة خائبين ، وقد فقد ما كان مع المثنى من المال وغيره من الأشياء الثمينة . الأمر الذى ترتب عليه أن « عظم أمر يحيى ، وصار هو المشار اليه » (٨٦) .

استرداد قابس : ٤٨٩ هـ / ١٠٩٧ م :

وإذا كان النص السابق لا يعرفنا بما كان من أمر الدهمانى والمثنى وشاهملك بعد عودتهم من حصار المهديّة ، فالظاهر أنهم لم يتمكنوا من العودة الى قابس التى كان قد سيطر أهلها على مقاليد الأمور فيها ، وأقاموا نوعاً من حكم الشورى بمعرفة أهل الحل والعقد من الفقهاء ، كذلك الذى عرفته سوسة وكذلك طرابلس من قبل (ما سبق ، ص ٤٥١) . فهذا ما يفهم من الحولية الخاصة بملك تميم لقابس سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ ، التالية .

فقد كان حكم قابس يرجع الى شخص يعرف بـ : قاضى بن ابراهيم ابن بلمونة ، فلما مات فى تلك السنة ، ولى أهلها عليهم : عمر بن المعز بن ياديس ، أخا تميم ، الذى لا نعرف ظروف وجوده هناك ، وأغلب الظن أنه كان من فئة الساخطين من أفراد الأسرة الزيرية ، وإن ذلك ما دعا الى القول بأنه كان « أساء السيرة ، عاصياً على تميم » (٨٧) . وهذا ما دعا الى أن يسرع تميم بإرسال العساكر الى قابس لإخراج أخيه عمر بن المعز ، قبل أن يعطيه فرصة اثبات حسن النية ، الأمر الذى أثار عجب البعض . وكان رد تميم عندما سئل : لماذا لم يفعل ذلك مع قاضى بن ابراهيم ؟ قوله : « لأن زواله كان سهلاً ، أما ابن المعز فلا » (٨٨) . فكان وصية المعز لدين الله لبلكين من أن لا يولى أحداً من قرابته ، كانت ما زالت مبدأً صحيحاً فى أصول السياسة ونظم الحكم بالنسبة لكل من الأمير وولى العهد المدشن . ويظهر من النصوص

(٨٦) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤٢ ، التويرى ، ص ٣٥٩ .

(٨٧) انظر ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٥٧ ، وقارو التويرى ، ص ٣٥٩ - حيث الاسم

ابن بلمويه بدلاً من بلمونة ، وحيث فلم يحسن السياسة ولا نهض بشروط الولاية ، بدلاً من أساء السيرة عاصياً على تميم ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ - حيث النص على : فتح تميم مدينة قابس ، وأخرج منها عمر بن المعز أخاه ، وقد كان ولاء أهلها ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .

(٨٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٥٧ ، وقارن التويرى ، ص ٣٥٩ - حيث النص على أنه

قال عندما أخرج اليه العساكر : لما كان فيها عبداً من عبدينا كان زواله سهلاً علينا ، وأما الآن فأبى المعز بالمهديّة وابن المعز بقابس ، هذا لا يمكن السكوت عليه .

أن خروج عمر بن المعز أخى تميم من قابس كان من الأحداث التى يستحق
الإشادة بها من قبل الشعراء ، من حيث أنها تسر الأمير وتحقق رضاه .
ففى فتح قابس هذا قال ابن خطيب سوسة قصيدة ، منها :
ضحك الزمان وكان يلقي عابسا لما فتحت بحد سيفك قابسا (٨٩)

ولا يقلل من ذلك ما تقوله بعض الروايات من أن مكين بن كامل
الدهماني ، كان فى قابس سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م ، عندما كانت قوات تميم
تفتح صفاقس ، وتطرد منها حمو بن مليل لكى يلجأ الى الدهماني ، مما
يأتى ذكره .

الغنى الأخير من حكم تميم :

والحقيقة أن الزمان كان قد بدأ يضحك فعلا للأمير تميم ، ونحن الآن
فى مطلع اسنوات العشر الأخيرة من ملكه ، إذ كان قد استعاد من قبل .
عددا من مدن الساحل العاصية ، من : طرابلس الى صفاقس وسوسة وكذلك
نونس ، وإن كان ذلك بشكل عابر ، إذ سرعان ما كان يعود أصحاب تلك
المدن من المتغلبين أو كان أهل المدن أنفسهم يحنون الى العودة اليهم . وإذا
كان الحزن قد خيم على البلاد بسبب المجاعة التى خربتها والغلاء ، سنة
٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م القريبة ، فإن فتوحا جديدة تمت فيها فى بلاد الساحل .
مثل فتح جزيرة جربة مقابل قابس ، وجزيرة قرنة ، مقابل سوسة ،
ومدينة تونس من جديد (٩٠) . هذا ، كما تخففت البلاد أيضا من ثقل بعض
العرب الهلالية ، حيث كان خروج قبائل عدى من أفريقية أمام قبائل
رياح (٩١) . وإذا كانت الخلافة الفاطمية فى القاهرة قد أصيبت بانخفاض
عالمى عندما تعرضت فى السنة التالية (٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م) لكارثة سقوط
بيت المقدس بين أيدي الفرنج من الصليبيين (٩٢) ، تماما كما شاركت نائبها
فى أفريقية فى كارثة سقوط صقلية قبل ذلك بسنوات ، كان تميم ، رغم
ظروفه الصعبة يحاول النهوض مما تعرض له من كبوات .

(٨٩) انظر ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٥٧ ، والنويرى ، ص ٣٥٩ .
(٩٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٧٩ ، النويرى ، ص ٣٦٠ ، ابن عذارى ، ط٠ بيروت ،
ج ١ ص ٤٣٤ .
(٩١) ابن عذارى ، ط٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ .
(٩٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٨٢ .

فتح صفاقس : ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م :

فزاء ما تعرض له تميم من خطر حمو بن مليل البرغواطى الذى كان قد أكد سلطانه فى صفاقس ، بل وارتفع بنظام حكمه عندما استعان بواحد من كبار وزراء المعز بن باديس السابقين ، الأمر الذى دعا تميما الى محاولة شراء ذلك الرجل ، دون جدوى ، قرر تميم تصفية النظام المخالف له فى صفاقس باستخدام كل من القوة والحيلة . فهو عندما يرسل قواته ، سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م ، لحصار صفاقس يأمر قائده بهدم ما حول المدينة ، وحرق الأشجار وقطعها باستثناء ما يتعلق بالوزير العنيد . وكان الهدف من ذلك هو إثارة الشك فى حسن نوايا الوزير بالنسبة لحمو ، وهو ما حدث فعلا . فلقد اتهم حمو وزيره بالتآمر مع تميم ، وأنزل به العقوبة العظمى ، جزاء الخيانة ، الأمر الذى ترتب عليه انحلال نظام الدولة . وهكذا سقطت صفاقس بين أيدي عسكر تميم ، وخرج حمو منها ، وقصد مكين بن كامل الدهمانى الذى كان قد عاد الى ملك قابس ، فأحسن اليه ، وأنزله فى كنفه الى أن مات عنده (٩٣) .

السنوات الأخيرة من عهد تميم بن المعز :

وتتوالى السنوات الأخيرة من حكم تميم بن المعز ، الطويل ، وهى تنرى دون أحداث هامة ، سوى وفاة المنصور الحمادى صاحب بجاية والقلعة سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٥ م ، وإمارة ابنه باديس الذى لم يقدر له الحياة طويلا ، فولى بعده أخوه العزيز بالله ، فى نفس السنة (٩٤) ، وفى نفس السنة تعرضت المهديّة لغارة من قبل « الرومانيين » تعيد ذكرى هجوم أساطيل جنوه وبيزا وحلفائهم ، منذ ثمانى سنوات ، وان كان بإمكانات أقل . وفى هذه المرة قام بالهجوم عدد من الشوانى ، وهى المراكب الكبيرة التى تحمل المعدات الثقيلة من الخيل وغيرها ، وبصحبته ٢٣ مركبا معاونة . وتلخصت خططهم الحربية فى محاولة سد باب دار الصناعة لمنع الأسطول من الخروج للقائهم ، ولكنهم فشلوا فى ذلك ، وتمكن الأسطول من الخروج لهم وهزيمتهم بعد قتل أعداد كبيرة من رجالهم (٩٥) .

(٩٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٩٨ ، التريرى ، ص ٣٦٠ ، ابن عذارى ، ط٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .
(٩٤) ابن عذارى ، ط٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ ، التريرى ، ص ٣٦٠ .
(٩٥) ابن عذارى ، ط٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ .

وأتبع تميم هذا النصر الخارجي في السنة التالية (٤٩٩ هـ / ١١٠٦ م) ، بمحاولة اخضاع جزيرة جربة التي عرفت بنزعتها الاستقلالية ، وأعمالها العدوانية في البحر ، قسراً إليها حملة برية بحرية بقيادة أبي الحسن الفهرى ، ولكنه ازاء استعدادات الجربيين للقضاء ، رأى الفهرى ألا جدوى في حربهم ، فعاد أدراجه ، مكثفياً من الغنمة بالاياب(٩٦) .

وقبل وفاته ، في ختام القرن الخامس الهجرى وبداية السادس ، سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م ، تعرض تميم لهزة عنيفة من جانب عرب رباح الهلالية ، وذلك أن أحد بطونهم ، وهم جماعة الأخضر ، غدروا بمدينة باجة ، وغلبوا عليها ، وملكوها بعد أن قتلوا كثيراً من الخلق فيها(٩٧) ، الأمر الذى يمكن أن يكون سبباً فى التعجيل بوفاة الأمير تميم ، كما يمكن أن يفهم من رواية ابن خلدون(٩٨) . وذلك فى الوقت الذى كان يوسف بن تاشفين المرابطى ينهى حكمه فى المغرب والأندلس ، بينما كان محمد بن تومرت ، مهدي دولة الموحدين ومؤسسها ، يبدأ رحلته المشرقية من جبل هرغة فى بلدة السوس الأقصى ، لطلب العلم ، أول الطريق الى تأليفه لمذهب التوحيد الذى يعيىد الوحدة لكل بلاد المغرب والأندلس ، الأمر الذى يعتبر من المنعطقات الحاسمة فى تاريخ المنطقة بما فيها جزر المتوسط وبضمنها صقلية وجنوب إيطاليا .

(٩٦) ابن عذارى ، ط٠ بيروت ، ج ١٠ ص ٤٣٤ .

(٩٧) ابن عذارى ، ط٠ بيروت ، ج ١٠ ص ٤٣٥ . ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .

(٩٨) العبر ، ج ٦ ص ١٦٠ - حيث يتتبع الغلبة على باجة بقوله : وهلك تميم اثر ذلك

سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م .

صقلية وجنوب إيطاليا في العصر الزيرى

عهد أبى القاسم :

سار المعز لدين الله الى مصر وقد ترك في صقلية أبى القاسم على بن الحسن بن أبى الحسين ، نيابة عن أخيه أحمد ، بعد فشل استبدال أسرة الكلبيين وتعيين مولاهم يعيش ، وذلك سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م . وبعد وفاة أحمد بعد أشهر قليلة ، ثبت أبو القاسم في الولاية ، وبذلك تأكد حكم الكلبيين وراثيا في الجزيرة ، تحت ولاية الخليفة في القاهرة .

جهاد الروم في مسينا وكلابريا ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م :

ولقد حقق أبو القاسم في الجزيرة ما كان يرجوه أهلها من الهدوء والسكينة ، حتى تمكن معهم من مواجهة الأعداء الروم الذين كانوا يهددون كلابريا ومضيق مسينا الاستراتيجي . وهكذا تسجل حوليات الجهاد في صقلية أن الأمير أبى القاسم سار في سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م ، في عساكر المسلمين ، ومعه جماعة من الصالحين والعلماء ، الى مدينة مسيني التي كان يهددها العدو ، حيث نازل الروم ، وذلك في شهر رمضان / مارس ، فانهمزوا هاربين في المراكب (١) . وكانت فرصة للأمير أبى القاسم لكي يعبر المضيق الى كلابريا ، ويتجه برجانه شمالا الى كسينته (Cosenza) ، في وادي كراتي (Crati) ويضرب عليها الحصار أياما الى أن طلب أهلها الأمان ، الذي تم نظير دفع مبلغ من المال . والظاهر أن أصحاب أبى القاسم من المجاهدين الصالحين والعلماء ، المتحمسين للجهاد من غير الجيش النظامي ، كان يمكنهم أن يقوموا بغارات لحسابهم الخاص في المنطقة . فهذا ما يمكن أن يكون تفسيراً لما يقوله ابن الأثير من أن أبى القاسم عندما رحل عن كسينته ، سار الى قلعة جلوا ، ففعل كذلك بهياً وبغيرها (٢) ، وهو ما يجد تفسيراً عند جاي (J. Gay) الذي يشير الى أن أبوليا (Apulia) لم تسلم

(١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، وقارن جاي ، إيطاليا الجنوبية (بالفرنسية) ، ص ٣٣٥ - حيث الإشارة الى أن هجمة البيزنطيين الناجحة على مسينا ، ربما تمت بمعاونة مراكب بيزا في أول عهد باسيل الثاني .
(٢) الكامل ، ج ٨ ص ٦٦٧ .

هي الاخرى من صعجات العرب ، منذ الهجوم على طارنت سنة ٢٧ - ٩٢٩ ،
كما ان زعيم احدي الجماعات الاسلامية المحاربة (من المرتزقة
(Condottiere)) ، واسمه اسماعيل ، لقي حتفه قرب بيتاتو (Bitato)
غير بعيد من بارى (٣) .

والحقيقة ان ابا القاسم كان قد أمر أخاه ان يذهب بالأسطول الى ناحية
بريونه (ابوليا ؟) وييث السرايا في جميع قلورية ، ففعل ذلك ، وغنم
غنائم كثيرة ، وقتل وسبى ، قبل ان يرجع الأخوان سويا الى المدينة : الخالصة
(بلرم) (٤) .

وفي السنة التالية ٣٦٦هـ / ٧٦٠ - ٩٧٧م ، كان أبو القاسم يأمر
بعمارة ومطلة القريبة من بلرم على الساحل الشمالي ، وكانت قد خربت
من قبل . ثم انه بدأ في الاعداد للغزو من جديد ، فجمع الجيوش ، وعبر
المضيق حيث توقف أمام مدينة أغاثة (San'Agata) الصغيرة ،
الواقعة على ساحل المضيق بالقرب من ريو (Reggio) ، فطلب أهلها
الامان ، فأمنهم نظير تسليم القلعة بكل ما فيها من سلاح وعتاد . ثم انه
واصل الطريق الى مدينة طارنت (Otrante) فوجد ان أهلها قد فروا
منها بعد ان أغلقوا أبوابها ، فصعد الرجال السور وفتحوا الأبواب ، ودخلها
أبو القاسم الذي أمر بهدمها ، فخربت وأحرقت . ومن هنا أرسل السرايا
التي بلغت مدينة « أذرنث » وغيرها ، بينما سار هو الى مدينة « عردلية »
وشن عليها الحرب حتى عقد أهلها الصلح معه نظير دفع مال الفداء لكي يعود
بعد تمام الحملة الى المدينة : الخالصة (بلرم) (٥) .

(٣) جاي ، ايطاليا الجنوبية . . . (بالفرنسية) ، ص ٢٢٥ .

(٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٧ ، وقارن جاي ، ايطاليا الجنوبية . . . (بالفرنسية) ،
ص ٢٢٥ - حيث يضيف الى ذلك انه خلال ذلك الوقت كانت هناك جماعات اسلامية أخرى
تتوغل حتى وادي البراندانو (Brandano) وتأتي لمهاجمة جرافينا (Gravina)
وهي المكان الحصين في قلب منطقة مورجي (Murgie) جنوب غرب بارى . وان مدينتي
طارنت وأريه (Oria) كانتا هدفا للهجوم الذي أفرغ أهل المدينة الأخيرة (أوريه)
فصرخوها لكي يحرقها العدو .

(٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٧ ، وقارن جاي ، ايطاليا الجنوبية . . . (بالفرنسية) ،
ص ٢٢٥ - ٢٢٦ - حيث يضيف أنه ما بين ٩٧٨ و ٩٨١م / ٤٦٨ - ٤٧١ هـ ، كانت كلابريا
وأبوليسا (Apulia) هدفا مستمرا للغارات الاسلامية ، وان حكومة بيزنطة على عهد
باسيل الثاني كانت عاجزة وقتئذ ، بسبب ثورة بورداس سكليريس (Bordas Skleres)
في آبريا الصغرى ، الأمر الذي كان يدفع المدن الايطالية الى تفضيل الدفاع عن نفسها ، =

استشهاد أبي القاسم أمام أوتو الثاني وولاية ابنه جابر :

وفي المحرم من سنة ٣٧٢ هـ / يونيه ٩٨١ م ، انتهى حكم أبي القاسم لصقلية. اذ راح شهيدا في ميدان الجهاد بإيطاليا . ففي شهر ذي القعدة من السنة السابقة ٣٧١ هـ / ابريل - مايه ٩٨٢ م ، تعرضت كلابريا لغارة عنيفة قام بها أحد ملوك الفرنج الذي يدعى يردويل عند ابن الأثير ، وهو في الحقيقة الامبراطور أوتو الثاني ، الذي ضرب الحصار على قلعة اسلامية هناك وتمكن من أخذها ، بعد أن أنزل الهزيمة بسريتين اسلاميتين (٦) . وهنا خرج أبو القاسم عبر مضيق مسينا بعساكره ليطرد الغازي الفرنجي من تلك القلعة ، ولكنه ما ان اقترب منها ، وعرف بقوة الفرنج وما فعلوه بالمسلمين هناك ، حتى تمكله الخوف ، فجنب عن اللقاء ، واستسمح كبار قواده في الرحيل دون أن يعترضوا على ذلك . وعندما رأى رجال أسطول العدو الرومي رجوع المسلمين على أعقابهم أخطروا للملك الفرنجي بذلك ، وطلبوا منه انتهاز الغرة في المسلمين . وهنا جرد أوتو عسكره من أثقالهم ، وسار بهم جريده في اثر المسلمين فأدركوهم في المحرم ٣٧٢ هـ / يونيه ٩٨٢ م . ونجح الفرنج في اختراق قلب القوة الاسلامية التي اختل نظامها ، واتجهوا حيث الأعلام المحيطة بالأمير أبي القاسم ، وتمكنوا من الوصول اليه حيث ضربه أحدهم « على أم رأسه » ضربة قاضية .

وإذا كان الخوف والجبن قد أدى الى نهاية القائد الأمير فان التصميم على العودة والظفر من جانب الذين كانوا قد فقدوا شجاعتهم من هول المفاجأة ، أنهت القتال الى صالح المسلمين. الذين صمدوا في اللقاء حتى هزموا الفرنج « أقبح هزيمة) ، وقتلوا منهم نحو ٤ (أربعة) آلاف قتيل ، وأسروا عددا كبيرا من كبار قوادهم من البطارقة . وغنموا كثيرا من أموالهم . ولم يتوقفوا

وحدهما - دون البيزنطيين - اذا لزم الأمر ، بل وان تدفع للمغامرين المسلمين ثمن شراء انسحابهم . وان وصول الخطر الاسلامي الى الأراضي اللومباردية هو الذي دفع الامبراطور أوتو الثاني الى التفكير في حملته على جنوب إيطاليا . وانظر ص ٣٢٨ - حيث الملمة الى روما ، وكيف يرى جاي انه كان هناك خلط بين الغرب وبين البيزنطيين الذين كانوا يجيئون الضرائب .

(٦) انظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٣ - حيث القارة خطأ ، على صقلية ، وكذلك القلعة معالطة. خلطاً ، وقارن ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارة ، الترجمة ، ص ٣٠٧ - حيث الإشارة الى ان تلك القارة كانت لأوتو الذي كان يزمع الاستيلاء على كل الأراضي البيزنطية ، الأمر الذي أدى الى نوع من التقارب بين الروم والمسلمين ضده .

من متابعتهم الا بعد ان أدركهم الليل(٧) .

ومسكذا كان على اوتو الثاني ان يفر الى خيابه في رسانه (Rossana)، حيث كانت زوجته الامبراطورة تيوفانو في صحبته ، فعاد برئاله الى رومة .
(المبارديا) من حيث أتى(٨) .

وبعد مقتل ابي القاسم قام ابنه جابر ، الذي كان بصحبته ، مقامه ، ورحل بالمسلمين على عجل ، دون توقف حتى لأخذ المغانم من السلاح . « ليعمر الجزائن » . وبذلك أنهى ابو القاسم ولايته التي استمرت أكثر من ١٢ (اثني عشرة) سنة . مرضيا عنه من رعيته ، لما عرفوه فيه من العدل بهم ، والشفقة عليهم ، والاحسان اليهم . وفي بذله واحسانه قيل انه كان « عظيم السدقة » . لم يخلف دينارا ولا درهما ولا عقارا ، فانه كان قد رقت جميع املكه على الفقراء وأبواب البر «(٩) .

معالم بلرم على عهد ابي القاسم :

وخلال ولاية ابي القاسم زار ابن حوقل ، الجغرافي والرحالة العراقي سنة ٣٦٢ هـ/ ٩٧٣ م ، جزيرة صقلية ، وقدم عنها معلومات تجمع ما بين الأهمية والطرافة . من : الفقر في بلد كان غنيا ، والتظاهر بالتدين مع تغير الضمان وفساد المذاهب ، وكثرة الأربطة على السواحل مع الطمع في أموال الناس . وفساد الأخلاق ، الى التهرب من الخدمة الجهادية بالدخول في سلك التعليم(١٠) .

فمن وجهة النظر الاقتصادية يصف ابن حوقل بلرم بأنها مدينة العامة ذات الأسواق الكبيرة المتخصصة في أنواع المتاجر المختلفة (ص ١٤) ، والنص على ان ذلك كان في الماضي . أما المشاهد ، فقد استحالت جميع

(٧) ابن الأثير . ج ٩ ص ١٢ - ١٤ .

(٨) ابن الأثير . ج ٩ ص ١٢ - ١٤ - حيث النص على ان مستشار الملك اليهودي اقتداء . عندما توقف فرسه اعباء وقدم له عطيته . وانظر ارشيبالد لويس ، ص ٣٠٧ - حيث كان هروب اوتو على ظهر مركب بيزنطي التقله عفوا وحمله من كلابريا الى بلده في ايطاليا ، حيث توفي مبرونا لفشل مشروعه التوسعي ، وذلك في ٩٨٣ م / ٧٢ - ٣٧٣ م ، وقارن تاريخ : كامبريدج في العصر الوسيك ، ج ٣ فصل ٧ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٩) ابن الأثير . ج ٩ ص ١٤ .

(١٠) صورة الأرض . ط ٠ بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٢٢ .

أمورها من الحصب الى الجذب ، بسبب بغضهم التجار الغرباء المجيزين ، مع قوام مصالحهم بالجلابين وفقرهم وفاقتهم الى المسافرين ، لانها جزيرة ٠٠٠ وجميع ما تقع اليه الضرورات ٠٠٠ من سائر الطلبات مجلوب الى بلدهم ، باستثناء ما تنتجها جزيرتهم ، من : القمح والصوف والشعير والحمر ، وشيء من القند والكتان (ص ١٢٤) .

أما عن التدين ، فمع كثرة المساجد والربط العديدة على ساحل البحر ، فهي مشحونة بالرياء والنفاق والبطالين والفساق ٠٠٠ قد عملوا المساجد ، منتصبين لأخذ الصدقات وقذف المحصنات ٠٠٠ وأكثرهم يقدرون (ص ١٥ - ١١٦) ، مع فساد المذاهب الى حد ان « المشعمدون » يسمحون بالزواج من المسيحيات ، على أن يكون الأولاد مسلمين ، والبنات مسيحيات (ص ١٢٣) .

وفى التعليم والجهاد يغلب على البلد المعلمون والمكاتب ، ومع ذلك فان كثرتهم تضطرد مع قلة منفعتهم لفرارهم من الغزو ، ورغبتهم عن الجهاد ، حيث كان سبق الرسم باعفاء المعلمين قديما من الجهاد ، ففرغ الى التعليم البلهاء والجهلة (ص ١٢٠) .

وإذا كان ابن جبير يقدم لنا صورة بهية عن بلرم النورمندية التي زارها بعد حوالي قرنين من ابن حوقل ، من حيث جمال المخبر والمنظر ، وبسائط البساتين ، والسكك الفسيحة والشوارع الواسعة ، والديارات المزوقة البنيان ، والكنائس المصاغة فيها بالذهب والفضة الصليبان ، فان الأحياء الاسلامية كانت ما زالت تحتفظ ببعض الملامح القديمة مما سجله ابن حوقل . فأكثر المساجد عامرة تقام فيها الصلاة بأذان مسموع ، والأسواق معمورة بالمسلمين ، وهم التجار فيها . والمساجد كثيرة لا تحصى ، وأكثرها محاضر لمعلمي القرآن (١) .

أما عن نساء بلرم فزى النصرانيات فيها هو زى المسلمات ، فهن ملتحفات ، منتقيات ، قد لبسن ثياب الحرير المذهب ، والتحفن اللحف الرائعة ، وانتقبن بالنقب الملونة ، وانتعلن بالأخفاف المذهبة ، وبرزن

(١) رحلة ابن جبير ، ط ١٩٧٩ ، ص ٣٠٥ .

لكنائسهن حاملات جميع زينة المسلمين ، من : التحلي والتخضب والتعطر (١٢) .

وهكذا حافظ المسلمون الصقليون على سماتهم الحضرية المميزة التي جمعت ما بين متطلبات الدين والدنيا ، بعد قرنين من امتلاك النورمنديين للجزيرة . فالنساء المسلمات كن قدوة النورمنديات في اللبس والزينة ، والتجار المسلمون كانوا مهتمين على أسواقهم ، والمساجد الكثيرة كانت مدارس تعليم القرآن .

جابر بن أبي القاسم أميراً :

وهكذا لم يكن من الغريب أن يصبح أبا القاسم ، في رحلات جهاده ، جماعات الصالحين والعلماء ، مما سبقت إليه الإشارة ، في آخر غزواته في كلابريا . أما عن جابر ابنه فان الخليفة الفاطمي العزيز بالله بالقاهرة أقره في الإمارة ، حسب اختيار أعيان العسكر ، ولكنه لما لم يكن يتمتع بمثل حسن سمعة والده ، الأمر الذي صار في غير صالحه بدلا من أن يكون سنداً له ، فانه خلع بسرعة من قبل الصقليين ، وانتهى ضحية مؤامرة بلاط في القاهرة ، بعد أن استدعاه ديوان الخلافة الى هناك (١٣) .

أمراء عابرون يجوبون العافية :

وخلف جابر ابن أخيه : جعفر بن محمد بن أبي القاسم علي ، بأمر الخليفة العزيز سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م . ويذكر لجعفر أنه اعتنى بأحوال الأرض من حيث تقويمها والعمل على تحسينها ، وأنه حظى باحترام الخاصة لعلمه ، وحب العامة لكرمه ، ولكنه لم يقدر له البقاء في الولاية طويلا ، اذ توفي سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٦م ، بعد ثلاث سنوات فقط . وأتى بعد جابر أخوه عبد الله بن محمد بن أبي القاسم علي ، الذي توفي سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩م ،

(١٢) رحلة ابن جبير ، ط . بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٣٠٧ ، وانظر أيضا ص ٣٠٦ - عن كنيسة الانطاكي حيث هي أعجب مصانع الدنيا المزخرفة جدرانها الداخلة كلها ذهب ، وفيها ألواح الرخام الملون ... قد رصمت كلها بفصوص الذهب وكللت بانجار الفصوص الحضر ، ونظم أعلاها بالشمسيات الذهبيات من الزجاج التي تخطف الأَبصار ، وتحدث في النفوس فتنة - يستعبد رحالتنا المرحدي - بالله منها .

(١٣) أحمد عزيز ، صقلة الإسلامية ، بالانجليزية ، ص ٣٦ - ٣٢ .

ولكنه مما يؤسف له أننا لا نعرف ماهية إنجازاته ، بعد ولايته التي طانت
الى ٤ (أربع) سنوات وأكثر(١٤) .

ثقة الدولة يوسف بن عبد الله :

حكم قواعده ، العدل والجهاد والجود :

وولى بعد عبد الله ابنه يوسف ، وكان والده قد عينه كخلف له ، واقر
الخليفة العزيز بالقاهرة تلك الولاية ، وأنعم عليه بلقب «ثقة الدولة»(١٥) .
وفي تقييم عهد يوسف بن عبد الله ، ينص ابن عذارى على « كون الناس فى
إيامه على أفضل ما يشتهون ، واستقامت الأمور ، وأداح بلاد الروم ، وظهر
من كرمه وجوده ما هو معدوم من كثير من البلدان(١٦) . وهكذا كان ليوسف
نشاطه الجهادى حيث قام ببعض الغارات على الأراضى البيزنطية فى جنوب
إيطاليا . ففي سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م نجح فى الاستيلاء على بلدة ماتيرا
(Matera) ، بعد مقاومة عنيدة(١٧) ، كما كان لثقافته الخاصة أثرها فى
أدب تلك الفترة(١٨) . ومما يؤسف له إصابة يوسف بن عبد الله فى سنة
٣٨٨هـ / ٩٩٨م بالفالج (الشلل) ، فألت ولاية صقلية الى ابنه جعفر(١٩) .

(١٤) أنظر زامباور ، معجم الانسان ، والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، تعريب
زكى حسن وحسن محمود ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١٠٧ ، عزيز أحمد ، صقلية الاسلامية ،
بالانجليزية ، ص ٣٢ - حيث النص خطأ على ان وفاة عبد الله كانت فى نفس سنة ولايته
٩٨٦م .

(١٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٥ ، عزيز أحمد ، صقلية الاسلامية ، ص ٣٢ ، زامباور ،
معجم الأنساب ، الترجمة ، ص ١٠٧ .

(١٦) البيان ، ج ١ ص ٢٤٥ ، وأنظر المؤنس لابن أبى دينار ، ص ٧٨ (سنة ٣٧٦هـ) .

(١٧) كما نجح القائد العربى أبو سعيد (Busito) فى التحالف مع الأمير
اللومباردى سمارساجدوس (Smarsagudus) ، وأغراه بقتل أحد كبار الموظفين البيزنطيين فى
مدينة أوريه ، نظير مساعدته على دخول مدينة بارى ، وهو ما لم يوفيه له .

(١٨) جاي ، إيطاليا الجنوبية ، بالفرنسية ، ص ٣٦٨ ، عزيز أحمد ، صقلية الاسلامية ،
بالانجليزية ، ص ٣٢ .

(١٩) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٤ (أحداث سنة ٤٨٤) ، وقارن اتماط الحنفا ، ج ٢
ص ٩٩ - حيث النص فى أحداث سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٣م ، على أنه فى أواخر رجب - فبراير
فلج أبو الفتح يوسف بن عبد الله أبى الحسين ، أمير صقلية ، فتعطل جانبه الأيسر فقام
الأمر ابنه أبو محمد جعفر بن يوسف ، وكان بيده سجل الحاكم بولايته بعد أبيه .

جعفر بن يوسف أميراً ،

وبداية التفكك في الأسرة الكليية :

ازدهر نظام الحكم في صقلية على عهد جعفر بن يوسف بن عبد الله ، من حيث ارتفع شأن الأمير في بلرم والحالصة (قصبه الحكم والادارة) ، فكانه ملك متوج . فلقد أنعم الخليفة الحاكم بأمر الله على جعفر بلقبى « تاج الدولة » و « سيف الملة » (٢٠) ، كما أحاط جعفر نفسه برجال الدولة ، من الوزير والحاجب ، فكانه حاكم مستقل حتى أضحى عليه شعراء بلاطه فى مدائحهم لقب الملك .

ولم يمنع الاهتمام بالبلاط ونظم الحكم ، من مواصلة الغزو فى جنوب ايطاليا . ففي سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م ، أتى جيش كبير بقيادة القائد صافى لحصار مدينة بارى ، بينما هاجمت المراكب العربية المدينة من جهة البحر ، واستمر ذلك الحصار من أوائل مايه حتى ٢٠ سبتمبر ، عندما جاء أسطول البندقية ، الذى أصبح بمثابة شرطى البحر الأدرىاتى ، كما يقول جاي (٢١) . فلقد دخلت سفن البندقية ، التى أحسن الأهالى استقبالها بصيناء المدينة ، كما انتشرت بعض قطعها فى الضواحي . وخلال ثلاثة أيام دارت رحى حرب شديدة انتهت بانسحاب المسلمين ليلا . ولكن الأساطيل العربية ظلت نشطة فى منطقة كلابريا . ففي سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٦م التقت المراكب العربية بمراكب الروم قرب ريو ، ولم ينقذ المراكب البيزنطية الا تدخل سفن بيزا الى جانبها . وفى سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م كانت القوات الاسلامية تصعد فى كلابريا الى وادى كراتى (Urati) وتحتل كسنتة (Cosenza) مسرة أخرى (٢٢) .

وخلال تلك الفترة كانت صقلية ملجأ للنساء من أهل أفريقية عندما يخيم القحط والغلاء على البلاد ، مثلما حدث فى سنة ٣٩٥هـ / ٤ - ١٠٠٥م ، حيث وفد على الجزيرة كثير من أهل الحاضرة والبادية (٢٣) . هذا كما كانت صقلية على أواخر أيام جعفر ، محط أنظار النساء من الشيعة فى القيروان

(٢٠) انساط الحنفا ، ج ٢ ص ٩٩ .

(٢١) جاي ، ايطاليا الجنوبية ، ص ٣٦٩ ، بالفرنسية ، ص ٣٦٩ .

(٢٢) جاي ، ايطاليا الجنوبية ، ص ٣٦٩ ، بالفرنسية ، ص ٣٦٩ .

(٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٧ .

والمهديّة ، عندما تعرضوا لثورة العامة بهم اعتبارا من سنة ٤٠٩ هـ /
١٠١٨م (٢٤) .

ولكن مظاهر التقبيل في البلاط الصقلي ، بل وعلم الأمير جعفر وثقافته
التي لم تكن ترتفع الى مستوى ثقافة والده على كل حال ، لم تكن لتعجب
ما كان يتصف به من الحمول والبخل والقسوة ، الأمر الذي كان له رد فعله
في نفوس أفراد الأسرة حيث بدأ الشقاق يدب بينهم ، معلنا بوادر
الاضمحلال .

ثورة علي بن يوسف واستيلاء جعفر :

ففي سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٥م قام أحد اخوة جعفر بالثورة عليه ،
بمساعدة جماعة من البربر والعبيد السودان ، وذلك في أول شعبان /
٢٥ فبراير ، ولكن رجال جعفر نجحوا في القضاء على الثورة فشتتوا البربر
والعبيد ، وأخذوا عليا أسيرا في ٧ شعبان / ٣ مارس ، وهنا لم يرحمه أخوه
الأمير فقتله ، الأمر الذي زاد في آلام يوسف والدهما ، الذي كان ما زال
يعاني من الشلل (٢٥) .

وكان من نتائج ذلك أن فقد جعفر صوابه فانتهج سياسة تعسفية
منطرفة ، وذلك أنه نفى كل بربري بالجزيرة الى أفريقية ، كما نفذت أوامره
بقتل كل طائفة العبيد من العسكر الأميري ، واستبدل بهم جنودا من
الصقاليين البلدين . هذا ، كما انتهج جعفر سياسة عنيفة مع أهل بيته ،
فقهر أخوته واستطال عليهم ، الأمر الذي أضعف مركزه ، وأطمع فيه أهل
الجزيرة .

سياسة مالية متشددة تفجرت الثورة ضد جعفر :

وهكذا وبينما كان جعفر يعمل على احكام قبضته على دواوين الادارة ،
ويعتنى بصفة خاصة بترتيب الشئون المالية ، مصدر التمويل الأول للخزانة
العامة ، وذلك بتطبيق نظام قاس على عماله في جباية ضريبة العشر التي

(٢٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٦٩ ، وما سبق ، ص

(٢٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٣ - ١٩٤ ، عزيز أحمد ، صقلية الاسلامة ،

بالانجليزية ، ص ٣٢ .

بسطورها على ما تغله الأرض من حب أو غيره ، ومطاردة المتخلفين عن الدفع ، دون رعاية لأعيان البلد من القواد والشيوخ أو أفراد الأسرة الحاكمة ، انفجرت الثورة بين أهل صقلية • وفوجيء جعفر بالجميع ، كبارا وصغارا ، وقد حاصروه في قصره ، في الحى الحكومى من بلرم المعروف بالخالصة ، وضيقوا عليه حتى كادوا يأخذونه ، وذلك فى المحرم من سنة ٤١٠ هـ / مايو ١٠١٩ م • وهنا كان على كبير الأسرة ، يوسف الوالد ، الذى كان مفلوجا الخرج فى محفة الى الثوار ، فيثير أشجانهم بلطف حديثه ورفقه بهم ، حتى « بكوا رحمة له من مرضه ، وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمدًا المعروف بالأكل » ، الأمر الذى وافقهم عليه (٢٦) •

ولما كان يوسف قد خاف على حياة ابنه جعفر من الثوار ، فإنه قرر تسييره الى مصر عن طريق البحر ، كما سار هو بعده الى هناك ، وكان معهما من المال الكثير ما قدر بمبلغ ٦٧٠,٠٠٠ (ستمائة وسبعين ألف) دينار (٢٧) •

أحمد الأكل بن يوسف ثقة الدولة ،

واليا لصقلية فى منعطف حاسم :

تعتبر ولاية أحمد الأكل مرحلة فاصلة فى تاريخ صقلية الاسلامية ، من حيث كانت بداية النهاية ، ليس بالنسبة لأسرة بنى أبى الحسين الكلبين ، بل بالنسبة لبقاء الجزيرة اسلامية أم لا • وفى ذلك الوقت كانت السياسة البيزنطية تعمل على تقوية نفوذها فى روما ، كما كان الباسيليوس (ملك الروم) يقوى علاقته مع الامبراطور أوتو الثالث ، وذلك فى الوقت الذى تصادف فيه نزول النورمانيين لأول مرة فى منطقة أبوليا ، ١٠٠٩ - ١٠١٨ م / ٤٠٠ - ٤٠٩ هـ •

والحقيقة ان أحمدًا الأكل بدأ ولايته بداية قوية ، رفعت من شأنه بين ولاة صقلية المجاهدين • وفى ذلك تقول رواية ابن الأثير أنه أخذ أمره

(٢٦) ابن الأثير • ج ١ ص ١٩٤ •

(٢٧) ابن الأثير ، ج ١ ص ١٩٤ - حيث النص على أنه كان ليوسف وقتئذ ١٣ ألف سيرة سمى البغال وغيرها ، وأنه مات فى مصر فقيرا ، ليس له الا دابة واحدة - أى لركوبه الشخصى •

بالحزم والاجتهاد ، وجمع المقاتلة ، وبث السرايا في بلاد الكفر ، فكانوا يحرقون ويغتمون ويسبون ، ويخربون البلاد ، وانه اطاعه ايضا جميع قلاع صقلية التي للمسلمين (٢٨) . ومع نزول النورمان في ابوليا (Apulia) تغيرت موازين القوى ، ووفق القائد بازيل بوجونيز (Basile Bojaonnes) الذي عهدت اليه الامبراطورية بتقويم الموقف في صقلية ، في قيادة الصراع ينجح ضد الامبراطورية الجرمانية ، وفي تحصين مدينة ريو ضد العرب ، ثم النزول في مسينا ، وذلك في الفترة من ١٠١٨ - ١٠٢٨ م / ٤٠٩ - ٤١٩ هـ (٢٩) .

محاولة للمساعدة من المهدي لا يقدر لها النجاح :

وامام هذا التهديد البيزنطي في كلابريا ومسينا ، عرض المعز بن باديس المساعدة على الأمير الأكل (أحمد بن يوسف) الذي لم يكن أمامه الا القبول . وفلاجهز المعز في سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٦ م ، أسطولا كبيرا ، من ٤٠٠ قطعة ، حشد فيها المسكر النظامي والمنتطوعة من المجاهدين ، وسيره على عجل في قلب الشتاء (في كانون الثاني : يناير / ذي الحجة) ، ولكنه عندما قرب من جزيرة قوصرة (بنتلاريا) في شمال تونس ، تعرض لريح شديدة ونوء عظيم ، لم يفلح في مقاومته . ففرقت أكثر المراكب ولم ينج منها الا اليسير (٣٠) .

نجاحات مباشرة في الصراع البحري ضد الروم :

وعندما بدأ القائد بوجونيز يلاقي المصاعب اعتبارا من بداية الغزوة النورمندية الثانية لأبوليا ، فيما بين ١٠٢٨ - ١٠٤٠ م / ٤١٩ - ٤٣٢ هـ ، وانهزمت الامدادات البحرية البيزنطية تحت قيادة الحصى أورستيز (Orestes) على أيدي القوات العربية قرب مدينة ريو ، كان من نتائج

(٢٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٥ - هذا ، كما كانت علاقة الأكل طيبة بالخلافة بالقاهرة ، حيث أرسل له الخليفة الظاهر سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م سجلا لعمية ابن القاسم ابن رزق البغدادي ، وهدية فيها مننجات من النصر .

(٢٩) جاي ، إيطاليا الجنوبية . . . بالفرنسية . . . ص ٤١٤ وما بعدها .

(٣٠) أنظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٤٢ (سنة ٤١٦ هـ) - حدث الناس على ان السيب في تجهيزه الأسطول ما عرفه من خروج الروم الى صقلية في جمع كبير . ما سكر ما كان للمسلمين بجزيرة قلورية وشرعوا في بناء المساكن يفتخرون وصول مراكبهم مع ابن أشد الملك .

ذلك عوة الغارات العربية على عهد رومان أرجير (Romain Argyre) ١٠٢٨ - ١٠٣٤ م / ٤١٩ - ٤٢٦ هـ ، وذلك بمعرفة الأساطيل الزيرية والكلية المتعاونة فيما بينها ، في الاغارة على الأراضي البيزنطية في أبوليا وشمال كلابريا وحتى إليريا (Ellyria) ، قرب الجزر الأيونية . بل ان الهجمات العربية امتدت شرقا الى جزيرة كورفو (حوالي ١٠٣٢ م / ٤٢٣ هـ) ، بل وحتى ساحل تراقيا .

والى ذلك الوقت كان البيزنطيون مستعدين للمفاوضة من أجل السلم . ولكنه اعتبارا من سنة ١٠٣٣ م / ٤٢٥ هـ) كانت الغارات العربية قد توقفت على كلابريا وأبوليا (٣١) ، الأمر الذي يفسره اضطراب الأمور في صقلية ، وضعف الأمير الأكحل عن مواصلة نشاطاته الجهادية ضد الروم في إيطاليا برا أو بحرا ، وذلك عندما ساءت العلاقة بينه وبين أهل صقلية ، الأمر الذي أدى بالتالى الى سوء العلاقة بين المعز بن باديس والأكحل ، وفض الحلف الذى كان بينهما .

الأكحل وسياسة « فرق تسد » :

وهكذا حاول الأكحل أن يستخدم سياسة « فرق تسد » حتى يضمن لنفسه استمرار السيطرة على الجزيرة ، حيث حاول أن يضم البلديين الصقليين الى جانبه ضد الأفريقيين ، ولكنه لما واجه رفضهم بحجة ان الطائفتين أصهار صاروا شيئا واحدا ، ضم الأفريقيين الذين استجابوا لندائه ووقفوا الى جانبه ، فبدأ سياسة محاباتهم على حساب الصقليين . فكان يأخذ ضريبة خراج الأرض من أهل صقلية ويعفى أراضى الأفريقيين منها ، الأمر الذى أدى الى شكواهم الى المعز بن باديس (٣٢) . فكانهم كانوا ما يزالون يرون ان أمير المهديّة هو الرئيس الشرعى لأمير صقلية ، قبل خليفة القاهرة البعيد الدار .

وكانت فرصة طيبة انتهزتها بيزنطة - للتفاوض من موقف أقوى . وبشروط أفضل . ففي سنة ١٠٣٤ م / ٤٢٥ هـ ، وصلت الى صقلية سفارة من قبل الامبراطور ميشيل الرابع ، على رأسها الضابط المفاوض جورج

(٣١) جاي ، إيطاليا الجنوبية ، ص ٤٣٣ وما بعدها ، وقارن

عزير احمد ، صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ٢٢ - ٣٣ وهـ ٧ عن جاي .

(٣٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٥ .

بروباتا (G. Probata) فاوضت من أجل السلم الذي عقد في أنسطس
١٠٣٥م / شوال ٤١٧هـ . وعاد المفاوضات البيزنطي الى القسطنطينية
وبصحبه ابن الأكلحل الذي حصل لوالده ، من الامبراطور ، على لقب القائد :
(ماجيستراتوس (Magistratos) ، فكان الأكلحل هو الذي يتدخل
للإمبراطور ، كما يقول جاي(٣٣) .

تدخل المعز في شئون صقلية :

والهم ان المعز استقبل في سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م ، وفد أهل
صقلية الذي أتاه شاكيا ، برئاسة من يدعى بـ « أبي حفص » (أحمد عزيز ،
ص ٣٣) ، وعرض عليه أمر الدخول في طاعته تحت التهديد بتسليم البلاد
الى الروم ، مما يعنى انشقاقا خطيرا بين الأكلحل والصقليين . واستجاب
المعز لنداء الصقليين فأرسل معهم عسكريا بقيادة ابنه عبد الله ، يقدر بحوالي
٦ (ستة) آلاف رجل ما بين فارس وراجل ، نجح في دخول المدينة ،
بلرم ، وحصر الأكلحل في المدينة الأميرية : الخالصة . وانتهت الحرب بين
الطرفين بمقتل الأكلحل ، وسط انقسام الصقليين على أنفسهم ، ازاء قيادتهم
الزيرية الجديدة ، ثم قيامهم ضد الغريباء من أهل أفريقية ، فزحفوا اليهم
وقاتلوهم ، وقتلوا منهم حوالي ٨٠٠ (ثمانمائة) رجل ، واضطروهم الى
الرجوع الى مراكزهم ، والعودة الى بلادهم : أفريقية(٣٤) .

وكانت فرصة انتهزها البيزنطيون سنة ٣٧ - ١٠٣٨م / ٢٩ - ٤٣٠هـ
لكي يغزو مسينة بقوة كبيرة ، على رأسها القائد جورج منياكس (Georges
Maniakes) الذي كان قد ظهرت مواهبه في حرب الشام فيما بين ١٠٣٠ -
١٠٣٤م / ٢١ - ٤٢٦هـ ، والذي لحقت به قوة من النصاري الصقليين
تقدر بـ ١٥ ألف رجل . ولكنه اذا كان منياكس قد حقق بصعوبة انتصارات
بطيئة في منطقتي رمطة وأتنا ١٠٤١م / ٤٣٣هـ ، فقد كان استدعاء منياكس
الى القسطنطينية مناسبة سهلت على العرب في صقلية استعادة الأقاليم التي

(٣٣) جاي ، ايطاليا الجنوبية ، ص ٤٣٥ .

(٣٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٥ ، وأنظر جاي ، ايطاليا الجنوبية ، ص ٤٣٥ ، بالفرنسية ،
ص ٤٣٦ - حيث النص على ان الأكلحل عندما انهزم أمام عبد الله بن المرز بلا الى قائد ايطاليا
قسطنطين أوبس (Constantin Opos) الذي حاول عبور المضيق برجاله القليلين لقتال
الجيش الأفريقي سنة ١٠٣٧م / ٤٢٩هـ .

الى الجزيرة تحت امرته ، كان من الطبيعي أن يدخل ابن الثمئة في صراع مع ابن الحواس ، صاحب قصر يانة ، سرة الجزيرة ، وهو الطموح أيضا مثله ، وقرينه ، هذا ، ولو ان الرواية ترجع صراعهما الى أسباب عائلية خاصة بالمصاهرة التي كانت بينهما (٣٧) .

الصراع بين ابن الثمئة وابن الحواس ،

والتدخل النورمندي في الجزيرة :

وانتهز ابن الثمئة فرصة الخصام العائلي ، وسار نحو قصر يانة حيث حصر ابن الحواس ، ولكن الأخير كان أكثر من ندد لصره ، فخرج اليه ونجح في هزيمته ، بل « وتبعه الى قرب مدينة قطانية ، وعاد بعد أن قتل من أصحابه فآثر » (٣٨) . وهنا خرج ابن الثمئة عن صوابه ، وسولت له نفسه الانتصار بالكفار من الأفرنج النورمنديين الذين كانوا قد استقروا في كلابريا ، والذين كانوا يرونون بأبصارهم ، مع البابوية ، نحو صقلية ومن فيها من المسلمين (٣٩) . وسار ابن الثمئة فعلا الى رجاء ملك النورمنديين ، وعرض عليه وعلى من معه من كبار قاداته تملكهم الجزيرة ، وعندما سألوه عن مدى ما يمكن أن يواجههم من المقاومة ، عرفهم ان عسكر المسلمين مختلفون ، فضلا عن ان أكثرهم تابع له ، يسمع قوله .

وهكذا كان على النورمنديين المستقرين بكلابريا أن يسيروا مع ابن الثمئة في شهر رجب سنة ٤٤٤هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٠٥٢م ، وهم مطمئنون الى بلاد المسلمين ، « فلم يلقوا من يدافعهم ، واستولوا على ما مروا به في طريقهم » . ولكنهم عندما قصدوا قصر يانة وحاصروها ، خرج اليهم

(٣٧) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٦ - حيث النص على أنه نتيجة لمشادة كلامية بين ابن الثمئة وزوجته ، أخت ابن الحواس ، أثناء مجلس شراب وسكر ، أمر ابن الثمئة بفسدهما ، وتركها لتسوت لولا أن أنقذها ابنها ابراهيم بالأطباء . ورغم قبولها عذر زوجها بسبب السكر ، فانها دبرت زيارة لأخيها ابن الحواس لكي تخبره بما ألم بها ، فحلف ألا يمدها الى زوجها ابن الثمئة .

(٣٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٦ .

(٣٩) أنظر أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ، الترجمة ، ص ٣٧٣ - حيث خطر النورمان بجنوب إيطاليا منذ تزعمهم روبرت جيسكاردي ، وهو أخو روجر الذي وقع على عاتقه إقامة دولة نورماندية في كلابريا ، قبل التطلع الى صقلية بتحريض من البابا سنة ١٠٥٩م / ٤٥٩هـ .

ابن الحواس ، فلما هزمه النورمنديون عاد الى حصنه ، فرحلوا عنه ، وساروا في الجزيرة ، واستولوا على مواضع كثيرة ، من حيث هجرة جماعات من أهلها الى أفريقية ، وخاصة من العلماء والصالحين - ممن يحرسون على دينهم أولا- وقبل كل شيء (٤٠) . وهذا لم يمنع ما كان دارجا من قبل من هجرة البعض ، بتشكيل مضاد ، من أفريقية الى صقلية . ففي هذا الوقت ، حيث كانت بلاد القيروان تعاني من افساد العرب الهلالية كان الشاعر ابن رشيق ، الذي كان في خدمة المعز الى جانب ابن شرف ، يركب البحر الى صقلية ، لكي يقيم في مدينة مازر ، في كنف أميرها ابن منكود الذي تدارس معه كتاب العمدة . وكانت وفاته بمآزر في أول ذي القعدة سنة ٤٥٦هـ / ١٥ أكتوبر ١٠١٤م (٤١) .

فتسّل التدخل الزيري في صقلية وضياع الجزيرة :

وأمام ما داهم الجزيرة من خطر النورمندين سار جماعة من الصقليين الى المعز بن باديس ، وعرفوه بالأحوال المضطربة عندهم بسبب الخلاف ما بين البلديين والأفريقيين ، الأمر الذي استغله الفرنج النورمنديون في الاستيلاء على كثير من أرض الجزيرة ، وطلبوا منه التدخل . وأسرع المعز واستجاب للنداء من جديد وأسرع وأعد أسطولا كبيرا شحنه بالرجال والعتاد على عجل ، ودفعه دفعا الى الاقلاع الى صقلية ، الأمر الذي يعتبر مغامرة قد لا تحمد مغبتها بسبب دخول فصل الشتاء . وفعلا ما أن وصلت المراكب الى جزيرة قوصرة (بنتلاريا) ، شمال تونس ، حتى هاج عليها البحر ، فغرق أكثرها ولم ينج منها الا اليسير - الأمر الذي يخشى معه أن تكون هي نفس حملة ٤١٦ هـ / ١٠٢٦ م (ما سبق ، ص ٤٨٨ وهـ ٣٠) .

والهمم أنه اذا كانت رواية ابن الأثير تعلق على ذلك بقولها : « وكان ذهاب هذا الأسطول مما أضعف المعز ، وقوى عليه العرب حتى أخذوا منه البلاد » ، فما هو أحق من ذلك ما قررته الرواية بعدئذ من القول : فملك.

(٤٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٦ - ١٩٧ . هذا ، ولو ان المعروف في الجانب الفرنسي ان روجار لم يبدأ غزوته لصقلية الا في سنة ١٠٦٦م / ٤٥٣هـ - أي بعد حوالي عشر سنوات - عندما عبر خليج مسينا واستولى على مدينة مسينا نفسها ، ووصله الى قصر يانة ، ولو انه رجع بعد ذلك الى ايطاليا ، انظر أرشيبالد لويس ، القرى البحرية ، الترجمة ، ص ٣٧٤ ، وقارن ادريس (هـ ٠ ر ٠) ، الزيريون بالفرنسية ، ص ١٧١ - حيث عرض كثير من الاحتمالات لتفسير ذلك الخلاف التاريخي .

(٤١) انظر نموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق ، تحقيق المطوي ، تونس ،

حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة ، لا يمنهم أحد ، واشتغل صاحب أفريقيا بما دهمه من العرب ، ومات المعز سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م (٤٢) .

وقد تميم بن المعز برسالة الأسطول والعساكر الى الجزيرة ، بقيادة ولديه : أيوب وعلي . وسار أيوب بالعسكر الى المدينة : بلرم ، بينما نزل على بالأسطول على جرجنت ، ثم ان أيوب انتقل الى جرجنت حيث استضافه ابن الحواس في قصره ، وقدم اليه الهدايا الكثيرة . ولكن ابن الحواس لم يلبث أن نهشته الغيرة عندما نجح أيوب في اكتساب محبة أهل جرجنت ، وانتهى الأمر بأن ساءت العلاقة بينهما حتى سار ابن الحواس لقتال أيوب الذي وقف الى جانبه الجرجنتيون . وأسفرت الحرب عن مقتل ابن الحواس بسهم طائش ، وبذلك آلت رئاسة جرجنت الى أيوب باختيار العسكر (٤٣) .

ولم يدم الوفاق طويلا بين الأميرين الزيريين وبين الصقليين ، اذ قامت الفتنة بين أهل المدينة : بلرم ، وعبيد تميم . وعندما زاد الشر بين الفريقين اجتمع أيوب مع أخيه علي ، وقررا الرجوع في الأسطول الى أفريقية ، وذلك سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٩م ، وبصحبتهم عدد من أعيان صقلية ومن القواد (٤٤) .

ولا بأس أن يكون من أسباب الخلاف بين المجاهدين الصقليين والعسكر الزيري ، عدم التوفيق الذي لقيته القوات الزيرية في مواجهتها للفرنج النورمنديين . ففي سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٩م ، لقيت القوات الزيرية هزيمة على أيدي النورمنديين في موقعة ميسلمري (Miselmeri) ، على مسافة ٩ أميال من شرق العاصمة بلرم . وبعد العودة الى أفريقية يقف الزيريون مكتوفي الأيدي أمام استطالة النورمنديين على المسلمين الذين لم يبق بين أيديهم سوى مدينتي قصريانة وجرجنت . فهم يهاجمون سواحل إيطاليا الجنوبية ، في كلابريا حيث تعرضوا لمدينة نيكوترا لتخفيف العبء عن المجاهدين الصقليين ، كما قاموا بمحاولة ثانية عند جرجنت سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م ، ولكن الملك روجر النورمندی دفعهم بعيدا عن سواحل الجزيرة (٤٥) . ومن الواضح ان مثل هذا التدخل من جانب الزيريين كان من الأسباب التي دفعت الجنوبيين والبيسانيين الى مهاجمة زويلة والمهدية سنة ٤٨٠هـ /

(٤٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٧ .

(٤٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٧ .

(٤٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٨ .

(٤٥) انظر تقي الدوري ، صقلية ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

١٠٨٨م (٤٦) .

والمهم أن ترك الزيريين صقلية كان يعني تركها غنيمة سهلة للنورمنديين الذين لم يبق أمامهم ما يحول وأخذهم الجزيرة كلها . وهكذا لم يبق بين أيدي الصقليين غير قصر يانة وجرجنت اللتين حصرهما النورمنديون ، وضيقوا على المسلمين بهما حتى جاعوا ، فكان تسليم أهل جرجنت سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨ م ، بينما صمد أهل قصر يانة طوال ٣ (ثلاث) سنوات صعبة حتى « أذعنوا إلى التسليم سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١ م .

وبذلك ملك رجار النورمندي جميع الجزيرة وأسكنها أروم والمغرب مع المسلمين ، ولم يترك لأحد من أهلها حاما ولا دكانا ولا طاحونا ، بمعنى إبعادهم عن التصرف في المرافق العامة ، حذرا . وإقصد سلك ولده وخليفته رجار الثاني سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م ، الذي أشاد به الادريسي ، طريق ملوك المسلمين في أصول السياسة ونظم الحكم ، كما أكرم المسلمين وقربهم ، واعتنى بالأسطول حتى فتح جزائر البحر وتطاول إلى سواحل أفريقية .

وهكذا كان النصف الأول من القرن الخامس الهجري منعطفا في تاريخ المغرب ، من حيث أضعف خروج العرب إلى أفريقية الدولة الزيرية داخلها ، فأعجزها عن السيطرة على كل أراضيها مما كان سببا في ظهور المتغلبين ، وخاصة في مدن الساحل ، الأمر الذي قيد حركة الأسطول الزيري خارجيا في النصف الثاني من هذا القرن ، مما أعطى الأسطول البيزنطي وأساطيل الجمهوريات الإيطالية الناهضة ، في جنوه وبيزا حرية الحركة ، ليس في جنوب إيطاليا وصقلية وحدها ، بل وفي المهديّة نفسها ، الأمر الذي ترك الصقليين المزقين فيما بينهم يواجهون وحدهم ، الخطر النورمندي ، تماما ، كما ضعف ملوك الطوائف في الأندلس عن مواجهة الممالك المسيحية الشمالية التي أخذت تشن عليهم حرب الاسترداد دون هوادة ، الأمر الذي كان ينفذ بحل عاجل للمشكلة الأندلسية لصالحهم ، لولا عملية الانقاذ التي تمت على أيدي جماعات البسندو في صحراء المغرب الجنوبية ، من بربر صنهاجة الملثمين ، الذين جددوا في المغرب والأندلس ما انقطع على أيدي بني جلدتهم: صنهاجة أفريقية في بلاد القيروان وصقلية ، مما يتطلب رسم خريطة لبلاد المغرب في النصف الأول من القرن الخامس الهجري / ١١ م ، تمكن من المقابلة مع ما رسمناه لأفريقية وصقلية .

بلاد المغرب فى منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١ م

الحماديون همزة الوصل ما بين افريقية والمغرب :

رغم ما قام بين الزيريين من بنى باديس فى القيروان والمهدية وبين أبناء عمومتهم الحماديين فى القلعة وبجاية من التنافس فى استعراض القوة ، بغية الحفاظ على الاستقلال ، ولو عن طريق التدخل فى الشؤون الداخلية للطرف الآخر ، كما فعل الناصر بن علناس فى مساندته للقواد الثوار فى تونس وفى سوسة ، وفى حصار الأريس وقتل عاملها (١) ، وفى دخول القيروان (٢) ، وفيما كان يرد به المزم وتميم من اثاره العرب الهلالية على الناصر ، كما حدث فى سيبية (ما سبق ، ص ٤٥٤) ، وكما ظهر من الطرفين بمناسبة بناء بجاية (ما سبق ، ص ٤٥٦) ، فان ذلك لم يكن يضير للود قضية بين الطرفين . فبمناسبة خلع المزم الطاعة لبنى عبيد ، يقتدى به القائد ابن حماد ويدعو للعباسيين حتى وفاته سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م (٣) . وبمناسبة ولاية تميم يصله كتاب الناصر بن علناس بالتعزية والتهنئة (النورى ، ص ٣٤٨) ، وعندما ينهزم الناصر أمام الهلالية يعز على تميم ذلك ، ويرفض أخذ سلبه (ما سبق ، ص ٤٥٥) ، بل ويكون ذلك حافزا على المصالحة ، رغم ما كان قد استقر فى النفوس من الحقد والضغينة التى ظلت تقض المضاجع وتثير الشكوك .

والمهم ان صاحب كل من دولتى المهدية والقلعة حمل تبعاته من هموم التركة الزيرية ، من متاعب الهلالية ، والقطيعة مع الخلافة الفاطمية ، الى جانب الهموم المستجدة مع الانفصال . فقد كان على دولة المهدية أن توجه أنظارها الى الأقاليم الشرقية وما قام بها من تمرد الزناتية وعملهم على الاستقلال ،

(١) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ص ٤٢٩ - حيث حاصر الناصر بن حماد سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٠٨ م مدينة الأريس ، وكان معه الأتبع من العرب ، وبقي عليها حتى افتتحها وأمن أهلها ، وقتل عاملها أبى مكرز .

(٢) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ - حيث وصل الناصر مع العرب الى القيروان ودخلها ، وعاد منها الى قلعتة خوفا من جموع العرب .

(٣) الاعلام لابن الخطيب ، ص ٨٦ - ٨٧ .

كَمَا تَلَقَّ عَلَيهَا أَنْ تَوَاجِهَ أَعْمَالُ الشَّعْبِ فِي أقالِيمِهَا السَّاحِلِيَّةِ ، الأَمْرَ الَّذِي شَغَلَ الأَسْطُولَ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ عَنِ التَّاهِبِ لِلْعَدُوِّ البَحْرِيِّ الَّذِي تَعَاظَمَ بِظُهُورِ أساطيلِ المَدَنِ الأِيطَالِيَّةِ ، وَخَاصَّةً جَنُودَ وَبِيضَةَ ، وَشَغَلَ المَهْدِيَّةَ عَنِ مَنَاصِرِهِ . أَصْنَحَابِ صَقَلِيَّةٍ ، عِنْدَمَا كَانَتْ تَوَاجِهَ مَسئُولِيَّاتِهَا التَّارِيخِيَّةَ إِذْ أَعْصَابُ المَصْلُحَةِ المَبَاشِرَةِ مِنَ الصَّقَلِيِّينَ ، أَهْلَ الجَزِيرَةِ ، وَهَمَّ يَعْانُونَ مَحَنَةَ الأَحْتِلَالِ .

أَمَّا عَمَّا وَرَثَهُ الحَمَادِيُّونَ مِنْ هُمُومِ المَمْلَكَةِ الزَّيْرِيَّةِ فَيَتَعَلَّقُ بِشَسْتُونَ المَغْرِبِ ، بِخَاصَّةً ، مِنْ أَوْسَطِهِ فِي تَلْمَسَانَ إِلَى أَقْصَاهُ فِي فَاسٍ . وَإِذَا لَمْ تَنْتَهِيَ لِلحَمَادِيِّينَ ظُرُوفُ التَّدخُلِ فِي صَقَلِيَّةٍ وَمَا وَرَاءَ البَحَارِ بِشَكْلِ مَبَاشِرٍ ، فَانَ البَاصِرُ بِنَ عُلَنَاسٍ كَانَتْ لَهُ عَلاَقَاتٌ طَيِّبَةٌ بِالبَابُويَّةِ عَلَي عَهْدِ جَرِيجُورِيِّ السَّانِيحِ ، إِذْ تَبَادَلَ مَعَهُ الرِّسَالُ وَإِنْ كَانَتْ ظَاهِرِيًّا بِشَأْنِ أُمُورِ دِينِيَّةٍ سَلْمِيَّةٍ (مَا سَبَقَ ، ص ٤٦٧) ، الأَمْرَ الَّذِي كَانَ يَسْمَحُ لِلنَّاصِرِ بِالأَقِيَامِ بِالأَوْسَاطِ سَنَةَ ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م ، مِنْ أَجْلِ تَخْلِيصِ عَلِيِّ بِنِ مَجَاهِدٍ مِنَ الأَمْرِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ عِنْدَمَا انْهَزَمَ وَالأَدَهَ مَجَاهِدٌ ، صَاحِبِ دَانِيَّةٍ ، فِي سِرْدِينِيَا أَمَامَ البِيْزَانِيِّينَ (٣ م) ، الأَمْرَ الَّذِي يَقَعُ فِي نَطاقِ البِلَادِ الحَمَادِيَّةِ نَحْوِ المَغْرِبِ أَيْضًا وَالأَنْدَلُسِ ، وَالَّذِي يَجْعَلُ مِنَ النَّاصِرِ بِنِ عُلَنَاسٍ أَكْبَرَ شَخْصِيَّةٍ بَيْنَ بَنِي حَمَادٍ .

تَاهَرْتُ وَتَلْمَسَانَ مَا بَيْنَ أَفْرِيْقِيَّةِ وَالمَغْرِبِ :

لَمَّا كَانَتْ جِغْرَافِيَّةً بِلَادُ المَغْرِبِ بِمَعْنَى الشَّمَالِ الأَفْرِيْقِيِّ - دُونَ مِصْرَ - تَقْضِي بَأَنَّ تَنْتَهِيَ بِلَادُ أَفْرِيْقِيَّةٍ ، وَهِيَ بِلَادُ القَيْرَوَانِ فِي عِزِّ سُلْطَانِهَا عَلَي أَيَّامِ الأَغَالِبِيَّةِ ، وَكَمَا وَرَثَهَا الفَاطِمِيُّونَ وَمِنْ بَعْدِهِمُ الصَّنَهَاجِيُّونَ بِنُو زَيْرِيٍّ ، عَلَي تَحُومِ مَقَاطِعَةِ قَسَنْطِينَةَ وَبِلَادِ القِبَائِلِ الصَّغْرَى ، مِنْ حَيْثُ تَبَدَأَ بِلَادُ المَغْرِبِ الأَوْسَطِ بِمَعْنَاهَا الجِغْرَافِيَّةِ الأِصْطِلَاحِيَّةِ لِتَشْمَلَ بِلَادَ أَشِيرَ الَّتِي أَصْبَحَتْ بِلَادَ بَنِي حَمَادٍ ثُمَّ أَقْلِيمِ الشَّلْفِ وَتَاهَرْتُ ، وَهُوَ مَا تَقَرَّرَهُ نَصُوصُنَا التَّسَارِيخِيَّةِ الخَاصَّةُ بِالدَّوْلَةِ الزَّيْرِيَّةِ ، حَيْثُ كَانَ خُرُوجُ الأَمِيرِ مِنَ القَيْرَوَانِ إِلَى أَشِيرَ هُوَ خُرُوجٌ إِلَى المَغْرِبِ ، وَرُجُوعُهُ مِنْ أَشِيرَ إِلَى المَنْصُورِيَّةِ وَالمَهْدِيَّةِ : عُدُودُهُ مِنَ المَغْرِبِ (مَا سَبَقَ ، ص ٣٣٦ ، ٣٤٨) ، وَلكِنَّهُ لَمَّا كَانَتْ حُدُودُ الدَّوْلَةِ الحَمَادِيَّةِ الأَفْرِيْقِيَّةِ تَنْتَهِي عِنْدَ مَدِينَةِ الجَزَائِرِ ، جَزَائِرِ بَنِي مَرْغَنَائِيٍّ ، بَيْنَمَا كَانَتْ تَاهَرْتُ

(٣ مكرر) أنظر عصام سالم سيسالم ، التاريخ الإسلامي لجزر البليار ، بيروت ١٩٨٤ .

الى عهد قريب معتبرة اصطلاحيا من أفريقية(٤) ، قبل أن تخلفها تلمسان(٥) ، كان من الطبيعي أن يكون هناك شد وجذب بين الحماديين أصحاب القلعة وبجاية وبين الزناتية أصحاب تاهرت وتلمسان ، وهو الأمر الدارج بالنسبة لمن الحدود ، مثلما كانت طرابلس مجال شد وجذب بين مصر وأفريقية ، وكما كانت تاهرت ، وبخاصة تلمسان ، موضع نزاع بين دول المغرب الأوسط ودول المغرب الأقصى - وكان المغرب الأقصى وقتئذ بين أيدي الزناتية .

غلبة زيرى بن عطية (القرطاس) على فاس :

والحقيقة أن الصراع بين صنهاجة وبين زناتة ، من أجل السيطرة على تاهرت وفاس وسواحلها في أرشقول وتلمسان ، كان سجالا لفترة طويلة منذ أيام الفاطميين وحتى استقلال بلكين ، وحيث شارك فيه الأمويون في الأندلس ، وانتهى بغلبة الزناتية من بنى خزرون ، حيث استقل زيرى بن عطية المغراوي المعروف بالقرطاس ، واتخذ فاس دار ملك له منذ ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م ، ودعا لهشام المؤيد خليفة قرطبة ، وخرج على المنصور بن أبي عامر (ما سبق ، ص ٣٦٣) ، كما نجح بنو خزرون في الاستقلال أيضا بطرابلس بمعرفة سعيد بن خزرون ثم أخيه وروا من بعده ، وذلك بمعاونة الحلافة الفاطمية بالقاهرة (ما سبق ، ص ٤٤٤) - فكان الزناتية المغراوية كانوا يخططون لتطويق الدولة الزيرية من غربها الى مشرقها .

بناء وجدة :

والمهم ان زيرى بن عطية استقل بملك المغرب ، وبنى مدينة وجدة سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م ، واتخذها عاصمة لمملكته ، كما غلب صنهاجة على تاهرت وتلمسان وما يتبعها ، وأقام فيها الدعوة لهشام المؤيد . وبعد وفاته سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، خلفه ابنه المعز بن زيرى على أملاكه ببياضة زناتة له في نفس السنة ، وتأكد ذلك بعد أن صالح عبد الملك المظفر بن المنصور بن

(٤) ابن حوقل ، ص ٩٣ - حيث تعتبر تاهرت من كورة أفريقية عند الجميع ، وهو ما يتفق مع واقعا على عهد الفاطميين والزيريين ، بينما كانت في القديم مفردة السمل والاسم والدواوين ، بينما هو عند الإستيصار (ص ١٧٨) من مدن المغرب الأوسط المشهورة وبها قبائل البربر من مطفرة وزناتة ويخالطون من أفريقية بنزقية الهلالية ومن جهة المغرب بلاد مسوفة .

(٥) وتلمسان قاعدة المغرب الأوسط عند كل من البكري (ص ٧٦) والاستيصار (ص ١٧٦) ، كما كانت دار مملكة زناتة ، بينما لا يحدد ابن حوقل كورتها (ص ٨٨) .

ابن عامر ، الذي عهد اليه سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م ، بمدينة فاس ونسائر أعمال المغرب ، مدنه وبواديه ، بعد ان عزل واضحا مولاه عنها ، وصرقه الى الأندلس .

بنو يعلى الزناتية في تلمسان

وملحمة أبي سعدي والهلالية :

وفيما يتعلق بتلمسان فقد آلت الى يعلى بن محمد الذي نزلها ، وصارت ملكا ، خالصة له ولعقبه من بعده ، حيث استوثق ملك بنو يعلى بتلمسان على عهد بنو حماد الذين ضعفوا عن دفاعهم (٦) . وعندما دخل الهلالية بلاد القلعة ، استخلص الحماديون الأتبع منهم وزغبة ، واستظهروا بهم في حرب الزناتية بالمغرب الأوسط . وهكذا قامت بينهم وبين بنو يعلى " أمراء تلمسان ، الذين جمعوا من كان اليهم من بنو واسين وبنو مرين ، وبنو عبد الواد ، وتهدوا بالقيادة ضد الهلالية الى وزيرهم أبي سعدي خليفة اليفرنى . ووقعت الحرب التي أظهر فيها الوزير أبو سعدي بطولات مرموقة ، وذلك على عهد الأمير يحيى (ابن يعلى) ، وفي ميسادين حروبهم التي اعتادوا عليها في أطراف بلاد الزاب والمغرب الأوسط . وهنا ينص ابن خلدون على أن وزير يحيى وقائد حروبه أبا سعدي بن خليفة الزناتى اليفرنى ، كان كثيرا ما يخرج بالعساكر من تلمسان فى نضاله لعرب الأتبع وزغبة ، وأنه خلال بعض تلك الملاحم هلك هذا الوزير أبو سعدي ، وذلك سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، الأمر الذى ترتب عايه غلبة الهلالية على جميع الضواحي بالزاب وأفريقية ، وانسحاب بنو واسين ومن اليهم الى صحراء المغرب الأوسط (٧) .

غارة حمادية على فاس :

وبعد مهلك يحيى وولاية ابنه العباس بن يحيى ، ملك المرابطون أعمال المغرب الأقصى . وسرح يوسف بن تاشفين قائده مزدلى فى عساكر ملتونة لحرب من بقى بتلمسان من مغراوة ، ومن لحق بهم من فل بنو زيرى ، فظفر بـ يعلى بن العباس بن يحيى الذى خرج اليه قانهمز وقتل ، بينما عاد مزدلى

(٦) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٥ .

(٧) المعبر ، ج ٦ ص ٤٥ - حيث اسلم الوزير أبو سعدي ، ص ٦١ - حيث الاسم

الى المغرب (٨) . وقريب ذلك الوقت ، في سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م . تشيد رواية ذات طابع قصصي ، لابن الخطيب ، الى أن بلقين بن محمد صاحب القلعة الحمادية ، قام بغارة جريئة على فاس جعلت يوسف بن تاشفين الذي كان يدوخ بلاد المغرب ، وقتيلد ، يكرر راجعا الى الصحراء ، خوفا منه (٩) ، فكان زناة المغرب الأوسط في تلمسان ، وكذلك في المغرب البعيد ، كانوا قد وقعوا - على كل حال - في منتصف القرن الخامس الهجري / ١١ م ، بين شقى رحي صنهاجة أفريقية الزيريين ، وبين صنهاجة صحراوات المغرب الأقصى ، من الملتصين المرابطين .

امارة فاس الزناتية :

بنو موسى بن أبي العافية :

عندما قامت الخلافة الفاطمية في القيروان سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م ، كانت الامامة الادريسية في فاس تعيانى من الضعف والتفتت ، سواء في فاس أو في ساحل تلمسان والعمورة في سبتة وطنجة . وهكذا عجل وصول

(٨) العبر ، ج ٦ ص ٦١ .

(٩) انظر ابن الخطيب ، الاعلام ، ص ٨٧ - ٨٨ - حيث النص على انه في صفر سنة ٤٥٤ هـ / فبراير ١٠٦٢ م ، تحرك بلقين بن محمد بن حماد - ثالث بني حماد ، بعد القائد بن حماد وابنه محسن - من القلعة للحرب زناة ، وكان يلغى ظهور يوسف بن تاشفين ببلاد المصامدة ، فتحرك حتى نزل بفاس ففتحها وجلس بلاد المغرب ودوخها ، وانه عندما بلغ يوسف بن تاشفين خبره كسر راجعا الى الصحراء خوفا منه الى أن قبض الله الناصر (ابن علناس) ، أحد بني عمه ، . . . ففرق بين روحه والجسد - نقلا عن ابن بسلام في الذخيرة ، حيث يصف بلقين هذا بأنه أحد جبابرة الاسلام . . . رجل كان لا يملأ يده الا من ليلدة أسد . . . غاية من سلف من جبابرة الأرض . هذا ، كما انه كان يستطيع أن يقوم بالغارة على فاس ، وهو يقطع مجلس راحته وشرايه ، ليؤخذ من الفزو مستانفا مجلس أنسه ، فيشرب من نفس الكاس الذي تركه مختصوما . . . ولا بأس أن يكون المقصود بذلك غارة سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م ، على فاس الأمر الذي يشكك في صحة المصدر الأدبي . ولا شك أن القرابة بين الحماديين من بني زيرى وبين اللمتونيين من وصال يوسف بن تاشفين ، من حيث الفرق الصنهاجي الواحد ، قرينة على ما نذهب اليه من زيف النص . وقارن صبيح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث زحف صاحب القلعة بلقين بن محمد بن حماد الى المغرب سنة ٤٥٤ هـ ، ودخوله على المرابطين في فاس ، التي تركها الفتح ، وأسترهن بعض أشرافهم (من المرابطين) على الطاعة ، ورجع الى عمله ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٢ ، ج ٧ ص ٣٦ - حيث النص على أن بلقين (بن حماد) زحف الى المغرب سنة ٤٥٤ هـ على عمادتهم في غزوه ، وانه دخل فاس واحتل من الأبرهم وأشرافهم رهيا .

الفاطميين الى فاس منذ سنة ٣٠٥ هـ/٩١٧ م ، بسرعة اضمحل ملك الادارسة في تلك الاقاليم ، وساعد على أن يحل محلهم موسى بن ابي العافية زعيم قبيله مكناسة ، وان يخلفه بنوه في سيادة المغرب وفاس تحت الرايات الأندلسية لعبد الرحمن الناصر ومن بعده هشام المؤيد والمنصور بن ابي عامر . ولكن موسى بن ابي العافية وبنوه لم يستطيعوا مطاولة بنى خزر الزناتية الذين طاولوا صنهاجه في السيطرة على المغرب ، وقتلوا زيرى بن مناد ، وخاصة عندما ظهر زيرى بن عطية المغراوي ، الذي قرب المنصور العامري ، وحاول أن يحتويه ، لولا طموح زيرى الذي لا يحد .

هذا ، ولو أن بنى موسى بن ابي العافية ظلت لهم مكانتهم في المغرب على كل حال . ففي مطلع القرن الخامس الهجري/١١ م ، كان اسماعيل بن البورى بن موسى بن ابي العافية ينصر حماد بن بلكين في حربه مع ابن أخيه باديس بن المنصور ، وهلك اسماعيل في تلك الحرب في معارك وادي شلف سنة ٤٠٥ هـ/١٠١٤ م (١٠) . بل وظل حفدة موسى بن ابي العافية حتى قيام المرابطين . ففي سنة ٤٠٥ هـ/١٠١٤ م كانت وفاة ابراهيم بن موسى بن ابي العافية ، وولاية ابنه عبد الله (أبو عبد الرحمن) الذي توفي سنة ٤٣٠ هـ/١٠٣٨ م ، وخلفه ابنه محمد الذي توفي سنة ٤٤٦ هـ/١٠٥٤ م ، وولى بعده ابنه القاسم . والقاسم بن محمد هو الذي زحف الى المرابطين عندما غلبوا على أعمال المغرب .

فلقد زحف القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابراهيم ابن موسى بن ابي العافية الى المرابطين بوادي صفرو ، بعد أن استدعى أهل فاس ، وطلب النجدة من زناتة ، بعد مهلك معنصر المغراوي سنة ٤٦٠ هـ/١٠٦٨ م ، ونجح في هزيمة المرابطين . ولكن القاسم بن محمد لم يستطع الوقوف أمام يوسف بن تاشفين الذي هزمه مع من ناصره من جمع مكناسة وزناتة سنة ٤٦٣ هـ/١٠٧١ م ، واقتحم فاس عنوة ، فكانت نهاية ملك مكناسة من المغرب ، متزامنة مع انقراض ملك مغراوة الزناتية(١١) .

(١٠) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦

(١١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦

بنو خزرج المغراويون وغلبة صاحب سلا :

أبي الكمال تميم اليفرنى على فاس :

والهمم بالنسبة لبني خزرج الزناتية أن المظفر عبد الملك بن المتصور تمكن من تدجين المعز بن زيري بن عطية عندما خلف والده ، وذلك اعتبارا من سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م (ما سبق ، ص ٥٠٢) ، حيث تكرست دولة زناتة في فاس . فبعد المعز بن زيري بن عطية الذي توفى سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ملك ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية المغراوي . وقام عليه الأمير تميم بن زيري بن يعلى بن محمد اليفرنى صاحب شالة وتادلا وما إليها ، وهو من بني يندو بن يعلى ، وزحف اليه في قبائل يفرن الى فاس . وخرج الأمير حمامة الى لقائه في قبائل مغراوة ، وانتهى اللقاء في جمادى الثانية ٤٢٤ هـ / مايو ١٠٣٣ م ، بهزيمة حمامة الذي فر الى ويجدة ، من أحواز تلمسان ، تركا فاس لكي يدخلها تميم بن زيري الذي تكتى بأبي الكمال (١٢) .

وعرف أبو الكمال بالثمد في تدينه ، وان كان الغالب عليه الجليل ، حسبما تقول رواية ابن أبي زرع في القرطاس . فهو يوقع بيهود فاس موقعة عظيمة فيقتل منهم أكثر من ٦ (ستة) آلاف رجل ، ويأخذ أموالهم ، ويسبي نساءهم . هذا ، كما كان أبو الكمال مولعا بجهاد برغواطة ، فكان يفزروهم مرتين في كل سنة ، فيقتل ويسبي ، وظل على ذلك الى أن توفى سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م (١٣) .

والهمم أن إقامة أبي الكمال في فاس طالمت الى أكثر من خمس سنوات حيث تمكن حمامة من الذهاب الى تنس لحشد مغراوة ، وتمكن من طرد تميم من فاس الى مدينة شالة ، حيث بدأ فيها دولته الثانية اعتبارا من ذي الحجة

(١٢). العبر ، ج ٧ ص ٣٥ - حيث النص على ان حمامة ابن عم المعز بن زيري وليس ابنه ، كما يزعم بعض المؤرخين ، القرطاس ، ص ١٠٩ ، وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ .
(١٣) القرطاس ، ص ١١٠ - حيث الاشارة الى ان الرجل المجاهد بلغ طبقة الاولياء أصحاب الكرامات ، وذلك أنه عندما قتل ابنه سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م في حرب لمثونة وجرى به لدفنه في قبر أبيه ، سمعوا من قبره تكبيرا عظيما وتشهد ، فبنشوا قبره فوجدوه لم يتغير منه شيء . وعندما رآه أحد قرابته في المنام وسأله عن ذلك التكبير والتشبيح ، قال : ملائكة وكلهم لنا ، ويكون أجر ذلك لي ، وقال وبم نلت ذلك ، قال بجهادي في الكفرة برغواطة ، وقارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٥ - حيث النص على اكتساح تميم اليهود واصطلام نعمهم واستباحة حريمهم دون النص على العدد ٦ (ستة) آلاف .

سنة ٤٢٩ هـ / نوفمبر ١٠٢٨ م ، والتي انتهت بوفاته سنة ٤٤٦ هـ /
١٠٥٤ م .

والظاهر أن غزو اليفرنيين في سلا لمدينة فاس على عهد حمامة شجع
القائد بن حماد على القيام في سنة ٤٣٠ هـ / ٣٠ - ١٠٣١ م ، بغارة على
فاس انتهت بالصلح نتيجة لشراء القائد زعماء زناتة (١٤) .

وبعد تميم أبي الكمال ولى ابنه حماد الذى توفى سنة ٤٤٨ هـ /
١٠٥٦ م ، وولى ابنه يوسف الذى توفى سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م ، فولى بعده
عمه محمد بن الأمير أبي الكمال تميم الذى هلك فى حروب لتونة حين غلبوهم
على المغرب أجمع (١٥) .

دوناس بن حمامة : محضر فاس :

أما حمامة (ابن المعز بن عطية الميراوى) فلم يبق طويلا فى ملك
فاس وأعمالها فى المغرب ، إذ توفى سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م (١٦) ، وبعدمه
آلت إمارة فاس الى ابنه دوناس ، المعروف بأبى العطف ، مع جميع ما كان
بيد أبيه من المغرب .

وفى عهد دوناس بن حمامة ساد الأمن والدعة ، الأمر الذى أدى الى
انتشار الرخاء . وهكذا عظمت فاس على أيامه ، وعمرت وكثرت أرباضها ،
وصارت بمقصد الناس والتجار من جميع البلاد . وكان لدوناس نشاطه فى
عمران فاس ، فهو الذى أدار الأسوار حول الأرباض ، كما بنى المساجد
والحمامات والفنادق . وفى ذلك يقول ابن أبى زرع « لم يشغل دوناس من
يوم ولى الى أن توفى الا بالبناء والتشييد ، فهو صاحب الفضل فى جعلها
« حاضرة المغرب » . وبذلك يكون دوناس من أصحاب الفضل فى تحويل
دولة مغراوة الزناتية الى دولة حضارة ومدنية .

(١٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٥ .

(١٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١ .

(١٦) القزطاس ، ص ١١٠ - حيث الإشارة الى أن أبا الكمال تميم بقى فى فاس ٧ سنوات

ومرة أخرى الى الاختلاف فى ذلك ما بين ٥ سنوات و٧ سنوات . وقارن المير ، ج ٧ ص ٣٥ ،

الذى ينقله القلقشندى فى صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث النص على وفاة أبى الكمال

فى شبالة سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٢٨ م بدلا من سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م ، كما فى المير ، ج ٧

المغراويون الأواخر في فاس :

صراع الأخوة بين الفتوح وعجيسة :

وكانت وفاة دوناس بفاس في شهر شوال سنة ٤٥٢ هـ / نوفمبر
١٠٦٠ (١٧) .

وآلت الدولة الى ولدي دوناس ، وهما : الفتوح وعجيسة . والحقيقة
أن المسألة لا تتعلق بتقسيم الدولة بين الأخوين ، إذ كان الابن الأكبر ، وهو
الفتوح ، صاحب الأمر ، واتخذ عدوة الأندلس مقرا له ، وجعل أخاه الأصغر
عجيسة واليا على عدوة القرويين . الأمر الذي يفهم منه أن مدينة الأندلس
كانت الأكبر وقتئذ ، بينما يصف ابن أبي زرع عجيسة بأنه الأصغر سنا ،
ولكنه شهيم ، بمعنى طموح على ما نظن . فهذا ما يفسر كيف أنه لم يلبث
أن قام بشن الحرب على أخيه الفتوح ، وهو الأمر المقبول بالنسبة لأصول
السياسة حسبما أقرها المعز لدين الله في وصيته لبلقين ، وهي الحكمة
المستفادة من واقع الأحداث الانسانية ، حسبما تقضى به نزعات النفس
البشرية .

والمهم أن الأخوين كانا مستعدين للصراع المتوقع بينهما ، وأعدا له
عدته . فالفتوح ، الذي ينسب اليه باب الفتوح بسور فاس القبلي ، كان قد
بنى قسبة (أى قلعة) منيعة بعدوة الأندلس بالموضع المعروف هناك ،
بحجر الكذان الصلب . وفي المقابل بنى عجيسة أيضا قسبة مثلها بعدوة
القرويين ، في الموضع المعروف بـ « رأس عقبة الصعتر » ، حيث الباب
الذي ينسب اليه هناك ، فهو باب عجيسة المشهور بباب الجيسة .

وفي العدا بين الأخوين ، يقول ابن أبي زرع أنها كثرت حتى كان
القتال بينهما يدور ليلا ونهارا (١٨) ، الأمر الذي أدى الى الخوف وغلاء
الأسعار وانتشار المجاعة ، الى أن تخلص الفتوح من أخيه عجيسة غدرا ،

(١٧) القرطاس ، ص ١١١ ، وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث النص على
وفاة دوناس سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م .

(١٨) القرطاس ، ص ١١١ ، وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث النص على ان
الولاية كانت لفتوح وناظر عليه أخوه الأصغر عجيسة واستولى على عدوة القرويين . وأن باب
عجيسة هو باب الجيسة حيث حذفت العين - وأن الفتوح ظفر بعجيسة وقتله سنة ٤٥٣ هـ /
١٠٦٢ م .

سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م ، وكان كل ذلك مما سهل على لمتونة الاستيلاء على اطراف البلاد . الى أن ينزل على الفتوح عسكر لمتونة سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، ويضطر الى التخلي عن فاس لابن عمه معنصر بن حماد بن معنصر ابن المعز بن زيروى بن عطية سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م ، الذى فقد فى حرب سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م ، فقام مقامه ابنه تميم (ابن معنصر) ، آخر الزناتية المغراويين فى فاس (١٩) .

امارة سجلماسة الزناتية :

نجح خزرون بن فلقول الزناتى فى القضاء على الأسرة المدراية الحاكمة فى سجلماسة سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ، وحكمها باسم هشام المؤيد ، خليفة قرطبة . ولم تنجح حملة بلكين بن زيروى فى استعادتها الا بصفة عابرة ، حيث مات دون ذلك سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م (ما سبق ، ص ٣٤٣ وما بعدها) ، فان ذلك كله يعنى تكريس استقرار الزناتية فى تخوم الدولة الصنهاجية الغربية . فى نهساية القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ، ومطلع القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، تماما ، كما فعلوا فى الاطراف الشرقية لدولة القيروان والمهدية باستقرارهم فى طرابلس ونفزاوة .

وبعد وفاة خزرون خلفه ابنه وانودين بن خزرون فى حكم سجلماسة واعمالها ، الى أن غلب زيروى مناد عليها ، فعقد حميد بن يوصل المكناسى عليها . ثم ان المظفر عبد الملك بن ابي عامر أعاد وانودين الى ولاية سجلماسة بعد وفاة بلكين بن زيروى (٣٧٣ هـ / ٩٨٣) نظير ضريبة سنوية يؤديها اليه ، وذلك قبل أن يستقل بها سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م . وعندما عهد عبد الملك المظفر بولاية المغرب الى المعز بن زيروى بن عطية المغراوى سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م ، استثنى عليه ولاية سجلماسة من حيث كانت بيده وانودين بن خزرون (٢٠) . واذا كان المعز بن زيروى قد نجح فى تحقيق

(١٩) القرطاس ، ص ١١٣ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٦ - حيث النص على انشغال معنصر بن حماد بحروب لمتونة ، وأنه كانت له عليهن الوقعة المشهورة سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م وأنه بعد خروجه من فاس الى غمارة عاد وملكها وقتل العامل المرابطى ومن معه من لمتونة ، ومثل بهم بالمروق والصلب . ثم أنه زحف الى محمد بن يوسف الكترناتى صاحب مكناسة وقد كان دخل فى دعوة المرابطين فهزمه وقتله وبعث براسه الى سكوت البرغواطى صاحب سبتة . . . وقارن صبيح الاعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ .

(٢٠) انظر صبيح الاعشى ، ج ٥ ص ١٦٨ ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٨ - حيث تحديده سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م تاريخا لذلك العهد .

أمله في ضم سجلماسة الى أملاكه في فاس وغيرها ، فان ذلك كان قد حدث سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١٢ م ، في فترة اضطراب الدولة العامرية بالأندلس (٢١) .

ولكن وانودين حشد بنى يفرن ونهض سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م الى المعز بن زيرى بن عطية ، « فهزموه » ، ورجع الى فاس في قل قومه ، وأقام على الاضطراب من أمره الى أن هلك سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م (٢٢) . وهكذا استفحل ملك وانودين ، من حيث أضاف الى سجلماسة بعض أعمال المغرب ، مثل : صفروى من أحواز فاس ، وقصور ملوية التي ولى عليها من أهل بيته . وبعد وانودين ولى ابنه مسعود ، وظل فى الحكم الى أن خرج عبد الله بن ياسين ، شيخ المرابطين ، فكانت نهاية مسعود بن وانودين بإيدى المرابطين ، سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ، وملكهم لسجلماسة التي دخلت فى دولتهم من ذلك الحين (٢٣) .

سببته وطنجة : مجاز العدو الأندلسية ، منطقة نفوذ بنى حمود الأدارسة :

كانت منطقة غمارة أو جبال الريف من مناطق نفوذ الأدارسة منذ وقت مبكر ، كما زادت أهميتها بالنسبة لهم منذ انقراض دولتهم فى فاس واستقرارهم هناك ، ومع انهيار خلافة قرطبة منذ أوائل القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، حسن الأدارسة من بنى حمود مركزهم ، ليس فى العدو الافريقية فقط ، بل وفى الأندلس أيضا ، حيث دخلوا بقيادة الأخوين : القاسم وعلى بن حمود فى حملة أنصار المستعين ، وعن هذا الطريق آلت ولاية « الجزيرة الخضراء » من العدو الأندلسية الى القاسم ، بينما رد المستعين ، بصفته ولى عهد خلافة قرطبة بتعيين المؤيد هشام ، على على ولاية طنجة ، التي كانت لهم من قبل ، كما كانت ولايتها أمنية عزيزة على زيرى

(٢١) القرطاس ، ص ١١٧ ، أحداث سنة ٤٠٣ هـ ، وذلك بمناسبة عرض ملحق للأحداث الخاصة بالدولة الزيرية فى فاس ، دون بيان الأسباب أو النتائج ، وهو ما توضحه رواية ابن خلدون (العبر ، ج ٧ ص ٣٤) - حيث الإشارة الى ان المظفر ابن أبى عامر كان عهد للمعز بن زيرى بولاية المغرب ما عدا كوة سجلماسة التي كانت لوانودين بن خزرون ابن فللول . ولما افترق أمر الجماعة بالأندلس .٠٠ استحدث المعز بن زيرى بن عطية التغلب على سجلماسة .

(٢٢) العبر ، ج ٧ ص ٣٤ .

(٢٣) صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٦٨ ، وقارن ابن عذارى ، ج ٣ ص ٢٣٤ - حيث تسجيل

الحدث فى سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م .

ابن عطية المخرأوى ، عندما عاد نافرأ من حضرة المنصور بن أبى عامر سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م ، فنزل بطنجة ، وهو يقول : وقد « وضع يده على رأسه : الآن علمت أنك لى » (٢٤) .

خلافة على بن حمود بقرطبة :

وعن طريق طنجة نجح على بن حمود فى الجواز الى قرطبة والخلافة سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، وتلقب بالناصر لدين الله ، وعندما قتل فى السنة التالية (٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م) حل أخوه القاسم محله ، وتلقب بالمأمون ، وإن غلبه يحيى بن أخيه على الذى تلقب بالمعتلى بالله ، على ملك قرطبة بعد ذلك سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م . وإذا كانت دولة بنى حمود قد انقطعت بقرطبة بمقتل يحيى بن على عندما كبا به فرسه ، فإن أخاه ادريس بن على تم له الأمر بمالقة ، وتلقب بالتأييد بالله ، سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م . وكانت له سبتة وطنجة (٢٥) .

الحموديون بمالقة والمرية ومليلة :

وبعد ادريس انقسم بنو حمود الى فرعين ، أحدهما بقى بالأندلس فى مالقة واحوازها ، وقام به ابنه محمد (ابن ادريس) الذى خطب له بالخلافة وتلقب بالمستعلى . وبقى محمد بن ادريس فى مالقة الى سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، حينما انتقل الى المرية لما تغلب عليه أمير غرناطة الصنهاجى : باديس بن حبوس . وهنا كان على محمد (ابن ادريس) أن يلبس نداء أهل مليلة الذين استدعوه ، فسار اليهم ، وتولى أمر المدينة بمعاونة بنى ورتندى ، وبسطة سلفطانه على نواحيها (٢٦) .

(٢٤) القرطاس ، ص ١٠٤ (عن طنجة وزيرى ، وأنظر فيما سبق ، ص ، وصبح الاعشى ، ج ٥ ص ٢٤٧) عن بن حمود والادارة) .
(٢٥) عن ملك بنى حماد بالأندلس ، أنظر ابن عذارى ، ج ٣ ص ١١٩ وما بعدها . حيث تفصيلات الولاية لمرة أو أكثر مع تحديد تواريخها ، وصى ١٣١ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٨٨ عن ولاية يحيى بن على التى آلت اليه شريش ومالقة والمرية وسبتة ثم ولاية ادريس بن على وقارن صبح الاعشى ، ج ٥ ص ٢٤٧ .

(٢٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٩٩ ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٢٩ ، وعن باديس بن حبوس بن ماكسن الصنهاجى أمير غرناطة ، أنظر صبح الاعشى ، ج ٥ ص ٢٥٧ - حيث النص على ولايته بعد ابيه حبوس سنة ٤٢٩ هـ / ٣٧ - ١٠٣٨ م ، وتلقب بالمظفر . وأنه صاحب الغضبل فى تمصير غرناطة ، فهو الذى اختط قصبته ، وشيد قصرها وحسن اسوارها ، وإنه مات فى سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، وقد ظهر أمر المرابطين ، وإن حافده =

الحسن بن علي المستنصر بسببته :

أما الفرع الحمودي الآخر ، فقد قام بأمره البربر الذين بايعوا صاحب سببته حسن بن علي الذي تلقب بالمستنصر ، سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٣٩ م ، ومات مسموما سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م (٢٦ م) . والمهم أن ابن حزم الذي ينقله ابن عذاري ، ينص على أنه كان في سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م (أربعة) خلفاء ، وهو ما يصفه بالفضيحة التي لم ير مثيها ، أولهم خليفة قرطبة « المدعى هشام » ، والى جانبه ٣ (ثلاثة) خلفاء من أدارسة بني حمود ، وهم : محمد بن ادريس بمالقة ، ومحمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء ، وادريس ابن يحيى بسببته (٢٧) . والمهم أن خلافة الجزيرة الخضراء الحمودية انتهت على عهد القاسم بن محمد بن القاسم الذي توفي سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، في قلب عصر الطوائف بالأندلس (٢٨) ، قبيل تدخل المرابطين في الأندلس .

تغلب الحاجب سكوت بسببته :

وقريب هذا الوقت كان قد استقل بكل من سببته وطنجة أحد موالى بني حمود ، وهو الحاجب سكوت البرغواطي ، الذي خضعت له قبائل غمارة . وبعد استيلاء المرابطين على فاس ، ونهاية دولة مغراوة بها ، كان

عبد الله بن بلكين هو الذي قبض عليه يوسف بن تاشفين ونحاه عن الامارة عندما نزل بقرناطة سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م ، وعن بني « ورتدي » (بدون نون) سكان مليلة ، انظر البكري ، ص ٨٨ - حيث النص على ان بني الهوري بن موسى بن أبي الصافية جدودها (مليلة) . وان عبد الرحمن الناصر عندما انتصها سنة ٣٦٤ هـ / ٩٢٦ م بنى سورها معقلا لموسى بن أبي الصافية - وفي ذلك قال احمد بن محمد بن موسى الرازي :

ذلت لها تاهرت والامارة ونم يطق ببنائها العسائفة

(٢٦ مكرر) انظر صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٤٧ ، وقارن ابن عذاري ، ج ٣ - حيث النص على أنه في سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م كان ادريس بن علي أخو حسن بن علي ومثانس ابنه يحيى في الامامة يجوز الى مالقة حيث توفي مسموما ، وأنه في سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م خرج ادريس بن علي من سجنة زوبوع ، وسمى بالتمالي ، وأنه في سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م خلفه ابن عمه محمد بن ادريس (ص ٢١٦) ، الذي مات مسموما سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ، بينما كان بالجزيرة الخضراء : محمد بن القاسم بن حمود (ص ٢١٨) .

(٢٧) ابن عذاري ، ج ٣ ص ٢٤٤ .

(٢٨) صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٤٨ ، وقارن ابن عذاري ، ج ٣ ص ٢١٨ - حيث تعتبر الرواية أن خروج القاسم بن محمد بن القاسم من الجزيرة الخضراء على يدي ابن عباد هو نهاية ذرية بني القاسم في الأندلس ، بعد اقامة دامت ٥٨ سنة ، وذلك انه يضمها بعد تغلب باديس (بن جيبوس) صاحب قرناطة على مالقة ، واخراج المستعلى (محمد بن ادريس) منها سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م .

على يوصف ابن تاشفين أن يسير الى بلاد غمارة للقاء سكوت والقضاء عليه في بعض المواقع . وجيند بلأ العز بن سكوت النى اشتهر بلقب ضياء الدولة الى سبتة ، وبقى معصما بها الى أن دخلها عليه المرابطون (٢٠) .

أغمات فى سفوح جبال المصامنة (درن) ، وأماؤها المغراويون :

كانت مدينة أغمات فى منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١ م كبرى مدن جبال درن الاطلسية . والندى يفهم من وصف ابن حوقل فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ، أن إقليم أغمات « رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير » ، وان أغمات وقتئذ كانت وثيقة الصلة بعواصم المغرب الكبرى ، ومراكزه العمرانية المعتبرة . فهى مرتبطة على وجه الخصوص بكل من فاس وسجلماسة ، بصحلات تجارية وطرق مواصلات عامرة بالمسافرين من التجار ، كما تتصل أغمات أيضا من ناحية المحيط بمنطقة السوس الأقصى ، التى توصف بأن « ليس بالمغرب كله بلد أجمع ولا ناحية أوفر وأغزر وأكثر نخيلا منها » .

أهمية أغمات على طرق التجارة :

وظلت الصلات وثيقة بين أغمات وسجلماسة - باب تجارة السودان - فى القرن الخامس الهجرى / ١١ م حيث كان طريق الشمال يأخذ اتجاهه من سجلماسة نحو أغمات ، التى يصفها البكرى وقتئذ بأنها مدينتان : أغمات ايلان وأغمات بوزيكة (٣٠) . نسبة لى بطنين من بطون المصامدة سكانها ، وأغلب الظن أن وادى (نهر) وزيكة أو بعض روافده ، كان يفصل بين المدينتين ، مثلما يفصل وادى فاس بين العديوتين . هذا ، كما كانت أغمات وثيقة الصلة أيضا بمدينة فاس ، حيث يمر الطريق بينهما بعدد من المراكز

(٢٩) أنظر صبح الأغلبي ، ج ٥ ص ١٦٠ ، ٢٤٨ ، وقارن ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٥٠ - حيث تغلب سمرجات البرغواظي (أوالد سقوت) الذى كان مولى ليجى بن على بن حمود نحو زميله فى نيابة سبتة ، وهو مولى ليجى أيضا المسمى رزق الله ، وقتله والاستيلاء بحكم المدينة واتخاذ لقب المنصور . أما ابنه المسز المروك بسقوت (سكوت) فقد اتخذ لقب الحاجب ، فكانه رئيس الوزراء فقط .

(٣٠) البكرى ، ص ١٥٢ - ١٥٣ . حيث ألكم فى أغمات نوع من السورى ، إذ يختار الرجل للحكم سنة واحدة ثم يترك الولاية لى ينتخب أهل المدينة آخرا منهم ، عن تراض وإتفاق ، حسبما ذكر محمد بن يوصف الأندلسى (فى آخر القرن الرابع الهجرى / ١٠) .

التجارية المزدهرة ، مثل : بلد زواغة الذي يجتمع فيه تجار فاس واليصرقة وسجلماسة ومغيلة ، وأوزقور التي كان يسكنها ريبضية الأندلس ، وورزيغة الأهلة لكثرة المياه بها والشمار. تم اغيغى التي بناها الإندلسيون (٣١) ومثل هذا يقال عن الطريق المؤدى من أغمات الى السوس ، والذي يمر حسيما بصفه مؤمن بن يومر الهوارى. كما عند البكرى ، بمدينة نفيس . مدينة مصمودة الأهلة السمران ، وتامرورت من حيث يكون التصعود الى جبل درن (جبل المصامدة الاطلسى) ويمر الطريق بمواضع عامرة لبربر مصمودة من الشيعة ، قبل الوصول الى عاصمة السوس : ايجل ، وبقيتها ، وعلى بعد ٦ (ست) مراحل ، من حيث يكون النزول من الجبل ، بمدينة تامدلت ، التي توصف بأنها سهلية عليها سور طوب (٣٢) .

ورغم أهمية أغمات كبلد غنى ، ومركز تجارى هام له اتصالاته بالمراكز التجارية الكبرى في بلاد المغرب ، وخاصة فاس في الشمال ، وسجلماسة في صحراوات الجنوب ، فان من المستغرب أن أحداثها وأعمال ملوكها لم تسترع الانتباه . وهكذا يشكو ابن خلدون ، رغم موسوعيته.

(٣١) البكرى ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، وقارن كتاب الاستيصار ، ص ٢٠٧ - حيث النص على ان المسافة بين مدينتي أغمات (وريكة وهيلانة) هي ٨ (ثمانية) أميال . والذي يفهم من هذا النص الذي يرجع الى أواخر القرن السادس هـ / ١١٢ ، بعد أكثر من مائة سنة من زمن البكرى ، هو أن مدينة وريكة هي المركز التجارى المزدهر ، إذ يسكنها الأعيان . وينزل بها التجار على القديم ، لأنها كانت دار التجهز للصحراء (بالبضائع في طرق القوافل الكبيرة) . وأقرب المراكز لأغمات هو مرسي جوزهرتانة من بلاد رجراجة ، آخر مراسى سواحل المغرب على البحر المحيط . أما المسافة بين أغمات ومدينة نفيس فهي مرحلة . - (٣٢) البكرى ، ص ١٦٠ - ١٦٢ ، وقارن الاستيصار ، ص ٢١٨ - ٢١٣ - حيث النص على أن بلاد السوس الأقصى ، على عهد المزلف في أواخر القرن السادس الهجرى / ١١٢ ، مدن كثيرة وبلاد واسعة ، عامرة كثيرة الحيرات . وعلى نهر السوس تقع تارودانت ، التي توصف بأنها قرية كبيرة جدا ، وهي مركز زراعة قصب السكر ، وإنتاج السكر الفاخر وتصديره الى بلاد المغرب والأندلس وأفريقية . وعلى مصب هذا الوادى رباط مقصود يأوى اليه الصالحون ، له موسم عظيم . أما عاصمة السوس مدينة ايجل فهي وافرة الحيرات ، كثيرة الفس ، وهي مركز إنتاج للسكر مثل تارودانت ، بالإضافة الى كونها مركز تمدن يسبك بها النحاس الذي يتجهز به الى بلاد السودان . كما يصنع بها زيت الهرجان ، وهو شجر شبيه بشجرة الكمثرى ، وطعمه طيب شبيه بطعم القمح المقلو . وهذا الزيت يستخدم في الأغراض الطبية الخاصة بعلاج الكلى ودرار البول . أما مدينة تامدلت ، فهي على نحو ٦ (ست) مراحل من ايجل . وأصل نهر تامدلت هو نهر درعة . ومن بلاد السوس مدينة نول لمطة حيث تسكنها قبيلة لمطة ، وهي آخر بلاد السوس .

المذهلة ، من عدم وقوفه على أسمائهم ، وان كان يعرف أنهم آخر دولة بنى
زيرى بفاس ، وبنى يعلى بسلا وتادلا ، من المغراويين الزناتيين ، المجاورين
للمصامدة في جبال درن والسوس ، ولبرغواطة في تامسنا .

لقوط بن يوسف ، آخر أمراء أغمات المغراويين :

وآخر أمراء أغمات منهم ، هو لقوط بن يوسف بن علي الذي غلبه
المرابطون على أغمات سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م ، فهرب الى تادلا حيث قتل
هناك فيمن قتلوا من بنى يقرن . والظاهر أن الذي جعل الذكر للقوط هذا
دون سابقه من أمراء أغمات ، أن أبا بكر بن عمر أمير المرابطين خلفه على
زوجته زينب بنت اسحق التي آلت بعد ذلك الى يوسف بن تاشفين عندما
نزل له عنها ابن عمه أبو بكر عندما ارتحل الى الصحراء سنة ٤٥٣ هـ /
١٠٦١ م . فلقد كان لزینب الرياسة في أمر يوسف وسلطانه ، وهي
صاحبة الفضل فيما أشارت به على يوسف من استعراض قوته أمام
أبي بكر ، عندما رجع من الصحراء « حتى تجافي عن منازعته ، وخلص
ليوسف بن تاشفين ملكه » ، فهذا كل ما عرفه ابن خلدون الذي استقصى
أخبار القبائل ، ما كبر منها وما صغر ، بدقة تثير الدهشة ، عن لقوط بن
يوسف وقومه ، ليس الا (٣٣) .

الصحراء الواعدة في المغرب الأقصى على تخوم السودان :

المرابطون وارهصاصات الوحدة :

تلك كانت أحوال المغرب الأقصى حوالي منتصف القرن الخامس هـ /
١١ م ، حيث كان الزناتية المغراوية فيما بين تاهرت وتلمسان وفاس ،
والأدارسة الحسنيون وبرغواطة في سبتة والعدوة وبلاد الريف (غمارة) ،
وبنو يقرن في سلا وتادلا وأغمات ، وأخيرا كان بنو خزرون في سجلماسة
ودرعة . والذي لا حظناه هو أن المرابطين من الصنهاجيين الملتزمين كانوا
يتدخلون حينئذ في أمور كل تلك البلاد بقيادة زعيمهم يوسف بن تاشفين ،
الأمر الذي يعنى بداية نجاح الارهاصات الأولى في توحيد المغرب من
أقصاه ، على شواطئ الأطلنطي الى أدناه ، والقضاء على دويلات الطوائف
المغربية حتى أفريقية .

(٣٣) انظر محمد عبد الهادي شعيرة ، المرابطون : تاريخهم السياسي ، الناصرة ،

امكانات الصحراء :

أما كيف تأهلت الصحراء ، وهي الفتيرة ، بحكم الضرورة ، في مواردنا البشرية والاقتصادية ، للقيام بعملية التوحيد المضمينة حقا ، والمكلفة أيضا ، فهذا ما نحاول أن نجد له تفسيرا ، ولنا فيما قدمه أستاذنا شعيرة في دراسته للمرابطين ، ما يمكن أن يكون هاديا لنا ، مما سبقت الإشارة إليه . في عرض المصادر (ص ٤٤) ، من أن أحوال الصحراء الافريقية في ذلك القرن الهـ ٥ هـ / ١١ م ، لم تكن على حالها من الفقر ، كما هي عليه في أيامنا هذه . فقد كانت أشبه ما تكون « بشركات الطيران أو السبلك الحديدية » ذات الامكانات الضخمة ، من حيث نقل المسافرين من التجار وإرباب الأعمال بما يحملون من الأمتعة والمتاجر وأسباب الحضارة ما بين الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وخاصة خسيرات السودان من الذهب والتبر والجلود والعاج والعبيد من أصناف السودان ، مما كان مطلوبيا بالخارج في أسواق الشمال والشرق ، الأمر الذي يتطلب رسم خريطة سياسية اقتصادية لتلك الصحارى الواعدة ، تساعد على تصور العملية « المعجزة » التي قامت بها قبائل الملثمين ممن كانوا منقطعين في تلك المنطقة من العالم في نهاية الصحراء ، على مشارف السودان ، كأنها خارج المكان والزمان - كما كان يتصور الكثير من الناس .

صنهاجة الصحراء ومواطنهم :

فمن حيث الكثافة البشرية يفهم من ابن حوقل أن سكان الصحراء ، سواء من قبائل الملثمين الصنهاجية الحضرية أصلا ، أو الزناتية البدوية ، كانت وفيرة الأعداد . فالبربر في النصف الثاني من القرن الهـ ٤ م / ١٠ م ، كما رأهم : لا يلحق عددهم بسبب توغلهم في البراري وتبيدهم في الصحارى . وان أشهر المتوغلين في البراري هم صنهاجة منطقة أودغست . وهو يورد في ذلك رواية ملك جيسع صنهاجة وقتئذ : « تنبروتان بن أسفيشر ، بأنه كان يرد عليه في كل سنة ، خلال ملكه الذي طال الى ٢٠ سنة ، من لم يكن رآه أو سمع عنه من قبل » (٣٤) . أما عن القبائل المنقطعة بالصحراء ممن لم يروا حاضرة ، ولا عرفوا غدير النادية ، فمنهم : شريطة وسطة وبنو مسوقة ، وكان لهم ملك تكبيره صنهاجة وسائر أهل تلك

الديار لأنهم يمتلكون تلك الطريق (٣٥) . ومن القبائل التي يعدد منها ١٩ ما بين قبيلة ويطن وفخسذ ، يذكر الى جانب بني مسوفة : بني لوتونا (لمتونة) ولطة . ولتونة عند البكري (ص ١٦٤) ، طواعن رحالة في الصحراء ، ومراحلهم فيها مسيرة شهرين في شهرين ، ما بين بلاد السودان وبلاد الاسلام ، وهم الى بلاد السودان أقرب - على نحو ١٠ مراحل (انظر شكل ١٠ ، ص ٥١٤) . هذا غير صنهاجة المشكوك في صراحة نسبهم بسبب اختلاطهم بالسودان - حيث يقال انهم سودان بيض - فهم يسكنون جنوب الصحراء في بلاد تادمكة (٣٦) . وابن حوقل يختم تعداده الكثير لقبائل الصحراء ، بقوله : « ولو قلت اني لم اصل الى علم كثير من قبائلهم لقات حقاً » ، كناية عن الكثرة التي لا يحيط بها الاستقصاء (٣٧) .

وخلف لمتونة ، بجوار البحر المحيط انتشرت قبائل جدالة (٣٨) . أما عن مسوفة فمساكنهم في الدواخل فيما بعد لمتونة ، وكانوا ينتشرون جنوبا على مشارف السودان في ايوالاتن ، على أيام ابن بطوطة في القرن الثامن هـ / ١٤ م (٣٩) .

ثروات الصحراء المعدنية :

أما عن ثروات الصحراء فتتمثل في معادنها ، ونتاجها الحيواني الوفير . فما كان من المعادن ، يأتي الملح على رأس القائمة ، حيث كان يوجد في منطقتين ، هما : أوليل ، على ساحل البحر المحيط ، على سمت أودغست (٤٠) ، وفي موضع تانتال ، حيث كانت مناجم في الصحراء ، على بعد يومين من المجابة الكبرى ، الأمر الذي يعتبر من غرائب تلك

(٣٥) صورة الأرض ، ص ٩٨ .

(٣٦) صورة الأرض ، ص ١٠١ - حيث النص على أنهم منسوبون لأمهاتهم من ولد

حام .

(٣٧) ابن حوقل ، ص ١٠٣ .

(٣٨) البكري ، ص ١٦٤ ، ١٦٧ ، وقارن الاستبصار ، ص ٢١٣ - حيث النص على

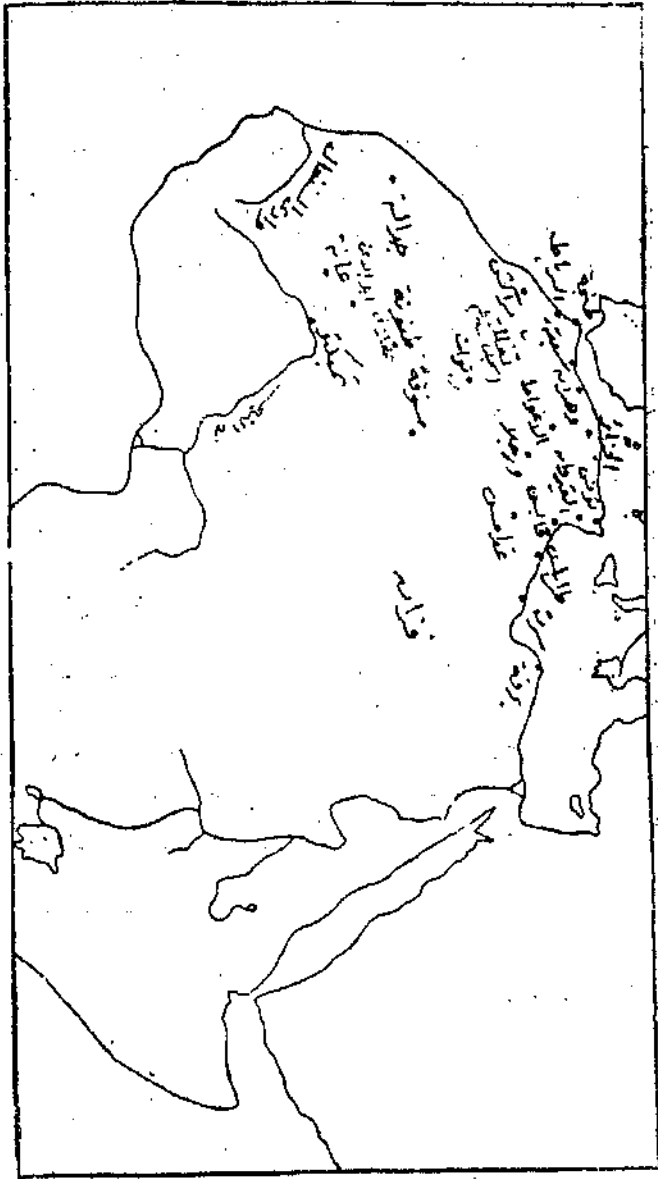
ان لمتونة رحالة لا يستقر بهم موضع .

(٣٩) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٧٧٣ ، ص ٧٧٤ - حيث الدليل الذي يكتريه أهل القافلة:

رجل مسوفى ، وحيث العمل في مناجم الملح يقوم به عبيد مسوفة .

(٤٠) ابن حوقل ، ص ٦١ ، الاستبصار ، ص ٢١٤ - حيث يوجد بجبال جدالة في

أوليل .



(شكل ١٠) صحارات المغرب

الصحراء (٤١) ، حيث كان يستخرج على أيام ابن بطوطة في قرية تغازي جنوبا على بعد ٢٢ يوما من ايالاتن ، في شكل صفائح مصفوفة بعضها فوق بعض كأنها قد نحتت نحتا (٤٢) .

والى جانب الملح الذى كان يتجهز به التجار الى بلاد السودان ، يذكر العنبر الذى كان يوجد فى لقايا بقرب البحر (٤٣) ، وفى جزيرة أيونيا بخاصة (٤٤) . هذا ، الى جانب النحاس الذى كان يصنع فى أيجلى عاصمة السوس ، ويتجهز به الى بلاد السودان (٤٥) . أما عن جبل الحديد ، من حيث كان الدخول الى بلاد لتونة فى الطريق الدولى الذى يبدأ من وادى درعة الى وادى ترجا فى أول المفازة الصحراوية الى الطريق القديم المفتوح فى الجبال الحجرية الصلدة ، فلا نعرف ان كان مستغلا لانتاج الحديد أم لا (٤٦) .

الثروة الزراعية :

والى جانب بعض الثروات الزراعية الصحراوية أو على حدود الصحراء ، مثل قصب السكر فى وادى السوس ، وزيت الهرجان الذى يستخرج الكلى ويدر البول (الاستبصار ، ص ٢١١ ، ٢١٢) ، والكمأة الكثيرة فى الصحراء (ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣) ، فإن الثروة الزراعية للصحراء تمثلت فى التمر ، وهو انتاج اقليم النخل عند ابن خلدون ، ويمثل حزاما ممتدا بكل عرض الصحراء ، من تارودانت ، وسجلماسة ، وورجلة ، وبلاد الجريد (انظر ج ١ ص ٧٥) . فقسطنطينية عند ابن حوقل هي « مغوثة » أفريقية يتمورها (صورة الأرض ، ص ٩٢) . ولو أن تاهرت كانت قد تغيرت فضرب أهلها الفقر بتواتر الفتن ، ودوام القحط ، وكثرة القتل والموت (صورة الأرض ، ص ٩٣) ، وإيجلى ، عاصمة السوس ، كانت كثيرة الثمر حتى ان ثمن الحمل منه كان أقل من كراء الدابة (الاستبصار ، ص ٢١٢) . ومثل هذا يقال عن سجلماسة التى شبهت فى كثرة ثمرها الطيب بالبصرة ،

(٤١) البكرى ، ص ١٧٠ ، الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(٤٢) ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣ .

(٤٣) ابن حوقل ، ص ٩٥ .

(٤٤) البكرى ، ص ١٧٠ ، كما كان يجلب أيضا من أودغست لقرنها من المعيط .

(الاستبصار ، ص ٢١٦) .

(٤٥) الاستبصار ، ص ٢١٢ .

(٤٦) الاستبصار ، ص ٢١٣ .

والتي كان يوجد فيها أنواع ، مثل : الايران ، الذي لا نظير له (ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣) ، وكذلك الأمر بالنسبة لدرعة القرية ، حيث كان عبيد مسوفة العاملون في منجم الملح بتغازى « يتعيشون على ما يجلب اليهم من تمر درعة وسجلماسة - الى جانب لحوم الجمال » (٤٧) .

الثروات الحيوانية :

أما الثروة الحقيقية للصحراء فتمثلت في الحيوانات الداجنة من المشاية ، من : الغنم والبقر والجمال ، الى جانب الحيوانات الوحشية ، كحيوان اللمط المعلوم من البقر ، رغم قرونه المتشعبة كحيوان « الرنة » ، والذي يصنع من جلده القوي الدرق اللمطي الشهير ، وذلك جنوب بلاد السوس حيث مواطن قبائل لمطة ، وقاعدتها « نول لمطة » (٤٨) - ولا ندرى ان كانت لمطة قد انتسبت الى حيوان اللمط حسبما تقضى نظرية الطوظمية . ولقد اشتهرت السلاحف البحرية المفرطة الحجم على طول ساحل المحيط حيث مساكن جدالة ، وكان يعيش على لحمها كثير من أهل المنطقة ، مثل : سكان جزيرة أيونا الشهيرة بعنبرها (٤٩) . وكذلك الأمر بالنسبة لحيوان الفنك المطلوب لفرائه ، ففسد كان كثيرا بالصحراء ، وكانت له شهرة الفيزون : (Vison) في أيامنا هذه ، حيث كانت تحمل جلوده الى جميع البلاد (٥٠) .

والحقيقة أن الثروة الحيوانية في واحات الصحراء وعلى أطرافها السودانية تمثلت في الغنم والبقر التي كانت تمد الناس باللحوم والألبان التي كونت جزءا أساسيا من طعامهم . ففي أودغست كانت البقر والغنم أرخص شيء حتى كان العشرة أكباش بدينار واحد (الاستبصار ، ص ٢١٥) . أما الايل والجمال فكانت ثروة اقتصادية ذات طابع سياسى من حيث كونها آلة عظمى من آلات الحرب وقتئذ ، ولهذا عرف الجمالة ، حسب تصنيف البدو حديثا ، باسم « الرعاة الكبار » أو « الجمالين الكبار » ، من حيث كان أصحاب المهاري منهم ، فرسانا غزاة (٥١) .

(٤٧) ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣ .

(٤٨) ابن حوقل ، ص ٩١ ، البكرى ، ص ١٧٥ ، الاستبصار ، ص ٢١٣ ، وقارن

ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٥ (عن البقر الوحشى) .

(٤٩) البكرى ، ص ١٧٠ ، الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(٥٠) البكرى ، ص ١٧٠ ، الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(٥١) انظر فيما سبق من الكتاب ج ١ ص ٨٩ .

صناع الوحدة :

رعاة الابل : الجمالون الكبار :

ففى ثروة بلاد المغرب من الابل والغنم وماشية البقر ، يقول ابن حوقل :
« وعندهم من الجمال الكثيره فى براريهم وسكان صحارهم ، التى لا تدانها
فى انكثرة ابل العرب » (٥٢) . وهكذا يمكن القول ان تقدير ثروة الرجل
ومقدار عزه ، بما كان يملكه من قطعان الابل والجمال ، حيث النص على أن
« المال فيهم من الماشية كثير غزير » (صورة الأرض ، ص ٩٧) . وفى
أهمية قطعان الابل والجمال الاقتصادية السياسية كان لأخت تنبروتان ،
ملك صنهاجة المعاصر لابن حوقل ، التى عرفت بيسارها ، ١٥ ألف
جمل (٥٣) . وهكذا ، كان الملك الصنهاجى يستطيع أن يصد غارة
استهدفتهم ، عن طريق أمر رعاة أخته الغنية بآثارة الابل من الناحية التى
قدم منها العدو ، وانزالها نافرة من أعلى الشرف ، وهى مصوبة على الجيش
الغازى « فأتت على جميع من كان منهم مسع ابلهم وسلاحهم ، دوسا لهم ،
ووطئا عليهم ، حتى استفاض جميع من بأودغست ومن بعد عنها من
أعدائهم ، أنه لم يعرف لواحد منهم حلية بوجه من الوجوه » (٥٤) . وأغلب
الظن أن تنبروتان هذا ، هو الذى يعنيه صاحب الاستبصار عندما ينص
على أن صاحب أودغست فيما بين ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م و ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م ، كان
صنهاجيا يدين له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان ، وان امتداد
عمله كان مسيرة شهرين فى شهرين ، فى عمارة متصلة ، وانه كان يعتد
فى أكثر من ١٠٠٠٠ (مائة ألف) نجيب ، لقللة الخيل فى تلك البلاد (٥٥) .
وهكذا كانت قوام الآلة الحربية المرابطية هى الجمال ، حيث كان اجتياحهم
لمدينة سجلماسة على رئيسها مسعود بن وانودين المغراوى بـ ٣٠ ألف
جمل (٥٦) ، وذلك سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م (ما سبق ، ص ٥٠٦) .

(٥٢) صورة الأرض ، ص ٩٥ .

(٥٣) ابن حوقل ، ص ٩٨ - حيث كان لها ١٠٠ راع مع كل واحد منهم ١٥٠ جملا .

(٥٤) ابن حوقل ، ص ٩٩ - ٩٨ .

(٥٥) الاستبصار ، ص ٢١٦ ، وقارن ابن حوقل ، ص ٩٧ - حيث القول ان تنبروتان
كان يلى أمر صنهاجة مدة عشرين سنة . ولا ندرى ان كان ثمة علاقة بين العشرين سنة هنا
والعشرين ملكا فى الاستبصار .

(٥٦) البكرى ، ص ١٦٧ .

البساطة والقوة سمة النقاء والرفعة :

ومن المهم أيضا أن جماعات المشيمين من لتونة ومسوفة في صحراواتهم .
أنهم كانوا لا يعرفون البر ولا الشعير ولا الدقيق ، وإن أقواتهم كانت
الايان ، وفي بغض الأوقات اللحم ، الذي كان يطحن قديدا ، ويصب عليه
بغض السمن أو اللبن ، ومع ذلك فقد كان فيهم من الجلد والقوة ، ما ليس
لغيرهم . وفيهم من البسالة والجرأة والفروسية على الابل ، والحفة في الجرى
والشدة ، والمعرفة بأوضاع البر وأشكاله ، والهداية فيه ، ما كان يثير
دهشة الرحالة في بلادهم والوافدين . فقد كان للرجل منهم من القوة
ما يسمح بالركض مع فحل الجمل وهو نافر ، والقبض على كراعه ليضرب به
الأرض ، وينحره كما ينحر عنزا أو جديا(٥٧) ، فكان الصحراء الجنوبية
كانت قد جمعت ، حينئذ ، بين البساطة والقوة ، سمة النقاء والرفعة .

وبذلك تكتمل خريطة المغرب حوالي منتصف القرن الخامس هـ / ١١ م ،
بأحوال صحراوات المغرب الأقصى السياسية والاقتصادية . والخلاصة انه
بينما كانت تنحل قوى فرسان صنهاجة الشيعة من بنى زيري في أفريقية
والمغرب الأوسط ، وكذلك قوة الزناتية المغراويين في المغرب الأقصى .
ويتفرق ملكهم بين أمراء الطوائف من عرب وبربر ، كان بنو جلدتهم
الصنهاجيون السنة من الجمالة المشيمين ، من لتونة ومسوفة وغيرهم في
صحراوات المغرب الأقصى ، يأخذون على عاتقهم عملية الانقاذ - مما ظهرت
بشائره في سنجلماسة وفاس وتلمسان وسبتة وأغمات - وذلك بالقضاء على
الفتنة والطائفية ، وإعادة الوحدة الى البلاد تحت رايات دولتهم المرابطية .
وهو ما نرجو معالجته في الجزء الرابع من الكتاب ، بمشيئة الله .

فهرس المصادر والمراجع المذكورة في الهوامش

- ابن عدادى ، البيان المغرب ، نشرة احسان عباس ، بيروت فى ع. ح (نشرة كولونى وبروفنسال) .
- ابن غلبون ، التذكار ، تصحيح الطاهر الزاوى ، طرابلس ، ١٩٦٧ .
- احمد النائب الانصارى ، المنهل المذهب فى تاريخ طرابلس الغرب ، طرابلس .
- احسان الهى ظهور ، الاسماعيلية : تاريخ وعقائد ، الرياض ١٩٨٦/١٤٠٦ .
- آدام عتر ، الحضارة العربية فى القرن الرابع الهجرى ، ط. بيروت .
- احمد (عزيز) ، مسجلة الاسلامية ، بالانجليزية ، اذنيه ، ١٩٧٥ .
- Ahmad, Aziz, History of Islamic Sicily.
- احمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية .
- ادريس (هادى - ووجه) ، بلاد المغرب (البربر) الشرقية على عهد الزيريين ، بالفرنسية ، باريس ، ١٩٦٢ .
- ادريس عماد الدين القرشى (الداعى) ، عيون الأخبار وفنون الآثار ، ج ٥ ، تحقيق : فرحات المشراوى ، تونس ، ١٩٧٩ .
- ارشييدالدلويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض المتوسط ، الترجمة العربية ، القاهرة .
- ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، طبعة ليدن المصورة ، بيروت ، ١٩٧٩/١٣٩٩ .
- ابن ابى ايشار ، المزنس فى تاريخ افريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام ، تونس .
- ابن ابى زرع ، الانيس المطوب بروض القرطاس فى اخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ط. الرباط ، ١٩٧٣ .
- ابن بطوطة ، الرحلة ، تحقيق ، على المنتصر الكتانى ، بيروت ، ١٩٧٥/١٣٩٥ .
- ابن جبير ، الرحلة ، بيروت ، ١٩٧٩/١٣٩٩ .
- ابن حمادة (ابو عبد الله محمد انصهاجى) ، اخبار ملوك بنى عبيد ، تحقيق : جلولى احمد اليدوى ، الجزائر ، ١٩٨٤ .
- ابن حوقل ، صورة الارض ، ط. بيروت ١٩٧٩ .
- ابن حيسان ، المتنبس ، ج ٥ ، نشر : ب. شالينا - ف : كورينظى - م : صبح . المعهد الاسبانى العربى للثقافة ، مدريد .
- ابن الخطيب ، الاعلام ، تحقيق مختار العبادى وابراهيم الكتانى ، الرباط .
- ابن خلدون ، العبر ، ط. بولاق للمصورة فى بيروت ، ٧ اجزاء - والمقدمة ، تحقيق على عبد الواحد .
- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت .
- ابن وشيخ ، انظر حسن .

حسن بن رشيق القيرواني ، جمع وتحقيق :
محمد الطوي وبشير البكرش ، تونس ،
١٩٨٦/١٤٠٦ .

الدرجين ، كتاب طبقات الشانخ بالمغرب ،
تحقيق وطبع ، ابراهيم ملاي ، البليدة ،
١٩٧٤/١٣٩٤ (٢ ج) .

سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب
العربي ، ج ١ ، ج ٢ ، الاسكندرية ،
١٩٧٩ .

سعد زغلول عبد الحميد ، فترة حاسمة من
تاريخ المغرب ، موقف ليبيا فيما بين قيام
الفاطمين في أفريقيا ونقلتهم الى مصر ،
مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ،
المجلد ١ ، ١٩٥٨ .

سعد زغلول عبد الحميد ، ابن خلدون مؤرخا ،
بحث في مجلة عالم الفكر الكويتية ،
مجلة ١٤ ، عدد ٢ ، ١٩٨٣ .

سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة والفنون في
دولة الاسلام ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ .

سعد زغلول عبد الحميد ، علوم العسب
النديمة ، مجلة عالم الفكر الكويتية ،
المجلد ٨ ، العدد ١ ، ١٩٧٧ .

سليمان مصطفى زبيس ، المهديّة وصيرة
المصورية ، المجلة الآسيوية (بالفرنسية)
المجلد ٢٤٤ ، ١٩٥٦ .

سهيل زكار ، أخبار القرامطة في الاحساء
والشام واليمن والعراق ، دمشق ،
١٩٨٢/١٤٠٢ .

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب
العربي الكبير .

سيرة الأستاذ جوفز ، تحقيق محمد كامل
حسني ، ومحمد عبد الهادي شعيرة ،
القاهرة ، ١٩٥٤ ، والترجمة الفرنسية
لكانار (Canard)

الكسندر ليزين ، المهديّة ، بالفرنسية ،
١٩٦٨ .

اماري ، المكتبة العربية الصنلّية ، ليزنج ،
١٨٥٧ .
Amari, Biblioteca Arabo-sicula.

البكري ، أبو عبيد عبد الله ، المسالك
والممالك ، نسخة بغداد المصورة عن
نشر دسلان (Deslane) الجزائر
١٨٥٧ .

البغدادي ، الفرق بين الفرق ، القاهرة .
التجاني ، الرحلة ، ط ١ ، تونس ، ١٩٢٧ .
جمال الدين الشّمال ، الوثائق الفسطاطية ،
القاهرة ، ١٩٥٨ .

جوتيه ، ماضي شمال أفريقية - القرون
المنظمة ، باريس ١٩٤٢ .
Gautier, Le passé de l'Afrique du
Nord.

جودج ماركسيه ، بلاد البربر والمشرق الاسلامي
في العصر الرسيط ، باريس ، ١٩٤٦ .
G. Margais, La Berberie e l'Orient
musulman au moyen-âge, Paris,
1946.

جول جاي ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية
البيزنطية ، باريس ، ١٩٠٤ .
Jules GAY, L'Italie Meridionale
et l'Empire Byzantin, Paris, 1904.

جوليان ، تاريخ شمال أفريقية ، الترجمة
العربية بمعرفة محمد مزالي البشير بن
سلامة ، تونس ١٩٧٨/١٣٩٨ .

حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ،
القاهرة ١٩٨١ .

الحبيب القتي ، التأويل : أسسه ومعانيه في
المذهب الاسماعيلي (القاضي النعمان) ،
تونس .

حسن ابراهيم حسن ، المغرب لدين الله .

المالكي ، رياض النفوس ، تحقيق بشير
البكوش ومحمد المطوي ، بيروت ١٩٨١ .

المسوردي ، الاحكام السلطانية ، بيروت ،
١٩٧٨/١٣٩٨ .

مبارك محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم
والحديث ، تقديم وتصحيح محمد الميل ،
الجزائر ، ١٩٧٦/١٣٩٦ .

محمد عبد الهادي شعيرة ، المرابطون ، تاريخهم
السياسي ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

مجهول ، كتاب الاستيصار في عجائب الامصار ،
تحقيق سعد زغلول عيد الحميدة ،
الاسكندرية ، ١٩٥٨ .

مجهول ، العيون والحداثق ، تحقيق نبيلة
عبد النعم ، ط١ - النجف .

محمد طالبي ، الامارة الاغلبية ، بالفرنسية ،
باريس ١٩٦٦ .

محمد كامل حسين ، في ادب مصر الفاطمية ،
محمد المرزوقي ، المهدي وشاعرها تميم ،
تونس ، ١٩٨٠ .

معبود اسماعيل ، المالكية والشيعة بأفريقية،
المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٣ ،
١٩٧٦ .

المسعودي ، مروج الذهب ، بيروت ، ١٤٠٣/
١٩٨٣ .

المقرئزي ، اعطاء الحنفا ، ج ١ ، تحقيق
جمال الدين الشديال ، ج ٢ تحقيق محمد
حلمى محمد أحمد ، القاهرة ١٣٩٠ -
١٩٧١ .

المقرئزي ، اغانة الامة ، القاهرة .

المقرئزي ، الخطط ، ط١ - بولاق ، طبعة
مصورة ، بيروت .

موتيلينسكي ، كتب المذهب الاباضي ،

صالح باجية ، الاباضية بالجزيرة في العصور
الاسلامية الاولى ، تونس ، ١٣٩٦/
١٩٧٦ .

صبح الاعشى ، انظر القلشندي .
الطاهر احمد الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في
ليبيا ، القاهرة .

عائلة علي محمد ، قيام الدولة الفاطمية ببلاد
المغرب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، القاهرة .
عبد المنعم ماجد ، المسجلات المستنصرية ،
القاهرة .

عصام سالم سيسالم ، التاريخ الاسلامي لجزر
البيزار ، جزر الاندلس المنسية ، بيروت ،
١٩٨٤ .

القرطاس ، انظر ابن ابي زرع .

القلشندي ، صبح الاعشى ، النسخة المصورة
عن الطبعة الاميرية .

ليتورنو ، ابو يزيد ، صاحب الحماس ، في
القرن العاشر ، بالفرنسية ، كرايس
تونسية ، ج ١ ، ١٩٥٣ .

R. Le Tourneau, La révolte d'Abu
Yazid aux siècles, dans C.T.I, 1953

ليتورنو ، حركة الموحدين في المغرب في
القرنين ١٢ ، ١٣ ، ترجمة أمين الطيبي ،
ليبيا - تونس ، ١٩٨٢ .

ماسكراي (اميل) ، كتب أهل الزاب ،
بالفرنسية ، الجزائر ، ١٨٧٩ .

Masqueray (Emile), Livres des
Beni Mzab.

ماسيه (هنري) ، الاسلام ، ترجمة بهيج
شعبان ، منشورات عويدات ، بيروت .

الفقي ، ابراهيم شيوخ ، محمد اليعلاوي ،
تونس ، ١٩٧٨ .

النعمان ، دعائم الاسلام ، تحقيق آصف فيظي ،
القاهرة .

النعمان ، تاويل الدعائم (تربية المؤمن) ،
نشر محمد حسن الاعطى ، القاهرة ،
١٩٦٩ .

النويرى ، نهاية الارب ، تحقيق مصطفى
أبو ضيف ، الرباط .

ياقوت ، معجم البلدان ، مطبعة السعادة ،
مصر ، ١٩٠٦ .

بالفرنسية ، الجزائر ، ١٨٨٥ .
Motylinski, les Livres de la sect
abadite.

موسى لقبال ، دور كتامة فى تاريخ الخلافة
الفاطمية ، منذ تأسيسها الى منتصف
التسرون اله ٥ / ١١ م ، الجزائر .
١٩٧٩ .

النعمان بن محمد (القاضي) ، كتاب افتتاح
الدعوة ، تحقيق فرحات الدشرارى ،
تونس ، ١٩٧٥ .

النعمان بن محمد (القاضي النعمان) ، كتاب
المجالس والمسائرات ، تحقيق الحبيب

اسماء الأشخاص والقبائل والجماعات

الأترال : ٤٤٨ ، ٤٧١ ، ٧٧ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣

الأثنا عشرية : ١٢٦

الأنبيج : ٤١٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥١

ما ١٤ ، ٤٥٤ ، ٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩

ابن الأنسر : ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ١٠٠

١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٦٦

١٧٤ ، ١٨٨ ، ٧٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٤

٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٠

٣١١ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٤

٣٨٧ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٨ ، ٤١٤

٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤ ، ٤٥٤ ، ٤٤٣

٤٦٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٨٠ ، ٤٨٠

٤٨٧ ، ٤٩٣ ، ٤٩٣ ، ٤٩٣ ، ٤٩٣

أحمد (أخو أبي يزيد) : ٢٠٥

أحمد بن إبراهيم بن محمد : ٢١٤ ، ٢١٤ ، ٢١٤

أحمد بن بكر الجذامي : ٢٤ ، ٦٠ ، ٦٠ ، ٦٠

١٦٦ ، ٢١٢ ، ٢١٢ ، ٢١٢ ، ٢١٢ ، ٢١٢

٢٢٣ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٧

أحمد البلوي (النحاس) : ١٢٨ ، ١٣٠

أحمد بهاء الدين : ١٧ ، ١٧ ، ١٧

أحمد بن حجاج : ٤٠٥

أحمد بن الحسن بن أبي الحسين : ٤٧٨ ، ٤٧٨

٤٨٧

أحمد (أبو الحسين) بن الحسن : ٢٥٦ ، ٢٥٦

٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٢

٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨١

٢٨٢

(٤)

أئمة المساجد : ٢٤٥

أئمة العامة (السنة) : ١٤ ، ٤٠ ، ١٣٢ ، ١٣٢

الأئمة الفاطميون : ٢٤٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٧

الإباضية : ١٤ ، ١٧ (الوصلية) : ٣٠ ، ٣٠

٣١ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ١٠٨ ، ١٠٨

١١٢ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ، ١٨٧

٢٨٣ ، ٣٦٩

بنو إبراهيم (الإدارة) : ٩٠ ، (من كلمة)

٣٣٣

إبراهيم بن أحمد (الأغلبي) : ١٣٧ ، ١٣٧

١٧٢ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٠

١٤٥ ، ١٩٣

إبراهيم (بن بكين) : ٣٢٤ ، ٣٦٨ ، ٤٠٧ ، ٤٠٧

٤٠٨ ، ٤١٣

إبراهيم بن أبي سلاس : ١٧٦ ، ٤٣ ، ٤٣

إبراهيم شيوخ : ٤٩

إبراهيم طلال : ٣٠

إبراهيم بن غازي : ١٣٠

إبراهيم بن غالب المزاني : ٦١ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩١

إبراهيم (أبو آتيس) بن محمد الشيباني

البنفسادي المعروف بالرياض : ٦١ ، ٦١

١٣٨

إبراهيم بن محمد الصنهاجي : ٤٤٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٣

إبراهيم بن موسى بن أبي العافية : ٥٠١ ، ٥٠١

إبراهيم بن يونس : (ابن الحساب) : ١٣٩ ، ١٣٩

- احمد بن ابي الحسين بن رباح : ١٤٥ .
١٤٦ .
- احمد بن ابي خنزير : ٦٩ .
- احمد بن الرحال : ٢١٧ ، ٢١٦ .
- احمد بن زياد (الفارسي) : ١٢٩ .
- احمد بن زيادة الله بن قهظ : ١٤٧ ، ١٤٨ .
١٩١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ .
١٥٨ .
- احمد بن سيرين الحنفي : ١٢٨ ، ١٣٠ .
٢٤٩ هـ ٨٤ .
- ابو احمد الشافعي : ٩٠ هـ ٧٢ .
- احمد بن صالح (القائد) : ٧٧ ، ٧٩ .
- احمد بن القاسم بن ادريس : ٩٠ هـ ٧٣ .
- احمد بن المهدي (عبيد الله) : ٢٦ ، ١٠٨ .
١١١ ، ١٦٣ هـ ٥ .
- احمد بن ميمون (المدراي) : ٩١ ، ٢١٧ .
- احمد (محمد) بن نصر (الباغالي) : ٧٣ .
٧٤ .
- احمد بن نصر بن زياد (المالكي) : ١٣٨ .
- احمد الهواري : ١٨٣ هـ ٦٣ .
- احمد بن يحيى بن طيب (الحنفي) : ١٣٣ .
- احمد بن يحيى (القاضي) : ١٧٧ هـ ٤٨ .
- احمد بن يعلى : ٢١٥ .
- احمد بن (الاكمل) بن يوسف بن عبد الله :
٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ .
- احمد العليظلي (الشاعر) : ٨٥ هـ ٦١ .
- الاخشيد (ابو الحسن علي) : ٢٤١ ، ٢٤٢ .
٢٤٩ هـ ٨٤ .
- ابن الاخوة (ابو اناسم) وكيل ابن باويس
بمصر : ٤٢١ هـ ١٧ .
- الادارسة (بنو ادريس) : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
٣٨ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ هـ
٧٢ ، ١٠٢ ، ١٠٤ هـ ١١٠ ، ١١٠ ،
١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ هـ ١١٣ ، ١١٥ ،
١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤٦ ،
٢٥٦ ، ٢٨٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥٩ ، ٣٩١ هـ
٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥١١ .
- ادريس (الراعي) : ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٦٠ هـ
٧٨ ، ٨٢ ، ١٢٤ ، ٢٠٤ .
- ادريس بن ابراهيم : ٣٥ ، ١٦٨ .
- ادريس بن سعيد (بنكور) : ٨٤ هـ ٦٠ .
- ادريس بن صالح : ٨٤ هـ ٦٠ .
- ادريس (ابوالعيش) بن عمر : ٢١٢ هـ ٥٣ .
- ادريس بن علي بن حمود : ٥٠٧ .
- ادريس بن يحيى : ٥٠٨ .
- الادريسي : ٤١٣ ، ٤٩٥ .
- آدم : ٢٨٤ .
- ارجير (رومان) : ٤٨٩ .
- الارمن : ٢٧٢ ، ٤٧١ هـ ٧٧ .
- ابن ادوي : ٤٨ .
- الاستبصار : ٤١٢ ، ٥١٧ .
- اسحق بن خليفة : ١٠٥ ، ١٧٦ هـ ٤٢ .
- اسحق بن ابي المنهال : ١١٩ ، ١٤٦ هـ ١٨٨ .
٦٥ هـ ١٣ .
- اسحق بن سليمان الاسرائيلي : ٢١٩ هـ ٦٤ .
- اسماعيل (من المرتزقة) : ٤٧٩ .

١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١٥
١٤١ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٨
٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٤
٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤
٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥
٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩١
٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧
٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٩
٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٨٦ ، ٣٩١ ، ٤٩٨

ام العز (بن ياديس) : ٤١٢

الانصار : ١٨٢

أبو الأنصار بن عبد الله بن أبي عفير :-
٢٠٩ ، ٢٢٦

أنوجور ابن الأخشيذ : ٢٤٩

أوتو الثاني : ٤٨٠ ، ٤٨١

أوتو الثالث : ٤٨٧

أورستيز : ٤٨٨

أوستاتيوس (القائد البيزنطي) : ٨٥٠
١٩٧ ، ٦٥٤

أوسه (قبيلة) : ٧٠

الأولياء : ١٧ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ١٣٢

أوكيل : ٥١٣

أيوب بن تميم بن العز : ٤٩٤

أيوب بن خيران الزويبي (قائد أبي يزيد) :-
١٧٧ ، ٤٦

أيوب بن أبي يزيد : ٥٣ ، ٨٤ ، ٦٦

أيوب بن يطوفت : ٣٥٢ ، ٤٠٧

(ب)

اليسابوية : ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٦٣ ، ٤٩٢
٤٩٧

اسماعيل بن أسباط : ٣٠٤

اسماعيل بن البوري بن موسى بن أبو العافية :
٥٠٦

اسماعيل بن الطبرى : ٦٥

اسماعيل (أبو أيوب) بن عبد الملك :
١٦٧

الاسماعيلية (والدهب) : ٢٧ ، ٣٩ ، ٧٠
٨٤ ، ٩٢ ، ١٢٦ ، ١٣٠

أشجع : ٤١٩ ، ٩

الأصديون : ١٦

الأغالبية : ٢٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٦١
٦٣ ، ٦٨ ، ٢٩ ، ٧٤ ، ١٠٠ ، ١١٧
١٢١ ، ١٢٧ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٣٣
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١
١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٢٧١ ، ٢٨٥
٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٢٨
٤٩٧

أفتكين (التركى) : ٤٧١

الافرنجة : ٢٥٦

الغروم البرغواطي : ٤٣٩

الغريقيون (الفارقة) : ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧١
٣٣٨

الفلج بن ناشب : ٢٥٢ ، ٢٧٩

الفلج بن هارون الملويس (القضاى) : ٦١
٧٢

الأكراذ : ٤٧١ ، ٧٧

أهارى : ١٥٤ ، ٢٧٣

الامام العصوم : ١٣٥ ، ١٣٦

الأهويون : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧
٥٤ ، ٦٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٦

بنوثة بن قرة : ٤١٩ .
أبو الهيثم خلوف (كاتب ابن باديس) :
٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٤٠٤ .
أبو الهيثم الصنهاجي : ٣٤٦ هـ ، ٦٤ ، ٣٥٢ هـ ،
٣٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ هـ ، ١٠٤ ،
٣٦٦ ، ٣٦٥ .
بورداس سكليريس : ٤٧٩ هـ .
البيروى بن موسى بن أبي العافية : ١٦٧ هـ ،
٢١٢ ، ٤٨ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٢٣ .
البولصيون : ٢٧٢ .
البيوني (أبو الحسن) : ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،
٣٧٦ .
بنو بويه : ١٢٦ هـ ، ١٧١ .
بيزنطة (الروم) : ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،
٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٤٢٠ ، ٤٧٩ هـ ،
١ هـ ، ٥ ، ٤٨١ هـ ، ٦ ، ٤٨٤ هـ ،
٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ هـ ،
٤٩١ ، ٤٩٥ .
البيسانيون : ٤٩٤ .
(ت)
تانتال : ٥١٣ .
تاج الدولة ، سيف الله ، أنظر جعفر بن
يوسف بن عبد الله (بصقلية) .
بان تبادلت أنظر عبد الله بن خزر .
التجاني : ٤١٣ ، ٤٤٨ هـ ، ١٠ .
تكين (والي مصر) : ٧٧ .
تلسكاته (وتلسكاتيون) : ٣٩٤ ، ٣٩٨ ،
٤٠٧ .
بنو تلومان : ٤٢٨ .

بغا (المغمي) : ١٤١ .
البغدادي أنظر أبو جعفر وإبراهيم (أبو اليسر)
وأبو الفضل .
أبو بكر : ١٢٦ هـ ، ١٤٢ ، ١٧٨ ، ٢٨٢ هـ ،
٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
بكر (أبو عبد الرحمن) بن حماد بن سهر
(الشاعر) .
(الزناتي) : ١٢٧ ، ١٤٠ ، ٢١٤ هـ ، ٥٤ ،
٥٦ .
أبو بكر بن عمير (اللمطوني) : ٤٦١ ،
٥١١ .
أبو بكر بن عمر : ٤٢ ، ٤٨ .
أبو بكر بن أبي الفتح : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .
أبو بكر بن القمودي (الفيلسوف) :
٦٢ .
البيكري : ١٣ هـ ، ١٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٩ ،
١٠٤ ، ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢٨٨ ، ٤١٣ ،
٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٣ .
بلارة (بنت تميم) : ٤٦٣ .
بلكين (يوسف بن زيري) : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،
٢٥٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،
٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،
٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،
٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ،
٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ،
٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤ ،
٤٠٢ ، ٤٣٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٤ ، ٤٩٩ ،
٥٠٤ ، ٥٠٥ .
بلكين بن محمد : ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٥٣ هـ ،
٥٠٠ .

جاني (ج) : ١٥٤ ، ١٥٩ ، ٢٧٢ ، ٤٧٨ ،
٤٧٩ هـ ١ و هـ ٣ و هـ ٤ و هـ ٤٨٤

هـ ١٨ ، ٤٨٥ هـ ٢١ و هـ ٢٢ -

جيسارة : ٤٢٤ .

جبر بن نماسب الميلي : ٦٧ .

جيلة بن محمود الصرفي : ١٤٢ .

ابن جبير : ٤٨٢ ، ٤٨٣ هـ ١١ و هـ ١٢ .

جسدالة : ٤٣ ، ٤٤ هـ ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٦ ،
٥١٣ ، ٥١٦ .

جراجة : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

جراة : ٨٤ هـ ٦٠ ، ١١٢ ، ١١٣ هـ ١٢١ ،

١١٤ ، ١١٥ ، ٢١٤ هـ ٥٦ ، ٢٨٦ .

٢٩٨ .

الجرينيون : ٤٧٧ .

الجرجاني (أبو القاسم) : ٥٠ ، ٣٩١ ،

٤٢٠ ، ٤٢١ هـ ٢٦ .

الجرجتيون : ٤٩٤ .

جريجوري (الببا) : ٤٦٨ هـ ٦٢ ، ٤٩٧ .

ابن الجزائر : ١٠٨ هـ ١١١ .

جزولة : ٤٣ .

جستينان : ١٩٤ .

جشم : ٤١٨ ، ٤١٩ هـ ٩ ، ٤٣٦ .

جعفر اليرمكي : ٤٠٣ .

أبو جعفر الخزري : ٦٢ .

جعفر الصادق : ١٤ ، ١٧ هـ ٣٥ .

جعفر بن تمرث : ٣٠٣ .

جعفر بن حبيب : ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٦ ،

٣٥٢ .

تموصلت بن يكار : ٣١٨ ، ٣٥٥ .

تميم بن زيري بن يعلى بن محمد اليفرنى :
٥٠٢ ، ٥٠٣ .

تميم بن المعز : ٤١ ، ٤٩ ، ٤٩٨ ، ٤١٦ ،
٤٢٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢ هـ ٢ ، ٤٤٣ ،

٤٤٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ هـ ١٤

هـ ١٥ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ هـ ٢٣

هـ ٢٥ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ،

هـ ٣٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ،

٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ،

٤٦٩ هـ ٦٧ هـ ٧١ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ،

هـ ٧٢ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ هـ ٨٧ ،

٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ هـ ٩٨ ،

٤٩٤ ، ٤٩٦ .

تميم بن منصر : ٥٠٥ .

تنبورتان بن أسفيسر : ٥١٢ ، ٥١٧ .

تورين (غلام أيوب بن يطوكت) : ٤٠٧ .

توزر : ٥٨ ، ١٧١ ، ١٧٣ .

أبن تومرت (محمد) : ٢٨٨ .

تودورا : ١٩٤ .

(ث)

ثمال بن صالح : ٤٢٠ .

ثوبان بن أبي سلاس : ١٨٤ هـ ٦٦ .

ثبو نور : ٤١٩ هـ ٩ .

(ج)

جابر بن الحسن بن أبي الحسين : ٤٨٠ .

٤٨١ ، ٤٨٢ .

الجسازية : ١٠ هـ ٤ ، ٥١ ، ٤١٧ هـ ١

٤١٨ ، ٤٢٤ .

جسان بلاطوس : ٣٦٨ .

٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٢٩
٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ٢٥٢ ، ٢٤٠

جميلة (قبيلة) : ٨٢

(ح)

حارث بن جمال الزياتي : ٧٨

اهل الحضارة : ٢٨٧

الحائض : انظر ابو الحسن

الحافظ : ٤٧١ م ٧٧

الحاكم بامر الله : ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨

٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣

٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨

٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣

حامد بن حمدان الهمداني : ١٠٣ ، ١٠٤

١٠٥

حاميم (ابو محمد) بن من الله : ٢١٠

٢١١ ، ٢٩٨

حباسة بن ماكسن (زيري) : ٣٦٦

حباسة بن يوسف (اللوس) : ٧٤ ، ٧٦

٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١١٨

حيوس بن زيري : ٣٠٨

حيوس بن القاسم بن حمارة : ٤٠٧

بنو حيوس بن ماكسن : ٣٦١ ، ٣٦٧

١١١ م

الحجازيون : ٤٧١ م ٧٧

الحجام : انظر حسن بن محمد بن القاسم

ابن الحداد : انظر سعيد

ابن حزم : ٥٠٨

الحسن (السبط) : ١٢٥

حسن ابراهيم حسن : ٤٧١ م ٧٧ ، ٤٧٢

٧٩ م

جعفر بن حمدون (الاندلسي) : ٥٣ ، ٢٦٦

ابو جعفر بن خرون : ١١٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤

جعفر بن عبيد (ابو حماد) : ٦٨ ، ١٣٦

١٥٦ ، ١٥٧

جعفر بن علي (الحلاجي) : ٦١ ، ١٥٧

١٦٤ ، ٢٠٠ م ١٧ ، ٢٠٥

جعفر بن علي بن حمدون (الاندلسي) :

١٦٨ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٣١ ، ٢٥٤

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٣٠٠

٣٤٤

جعفر بن محمد (انصاري ، المصدق) :

١٦٦ ، ١٩٦

ابو جعفر محمد بن احمد بن هارون البغدادي :

٦٢ ، ٧٥ ، ١٢٣ ، ١٣٤ م ١٦٥

١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٦٥ م ١٣

جعفر بن محمد بن ابي القاسم علي : ٤٨٢

جعفر بن منصور آيجن (ابن حوشب) :

٢٨ ، ٣١ ، ١٨٢ م ٥٩ ، ١٨٨ م ١٧

١٩٠ ، ١٩١

جعفر بن يوسف بن عبد الله : ٤٨٤ ، ٤٨٥

٤٨٦ ، ٤٨٧

جلالة بن زيري : ٣٦٠ ، ٣٦٥

جمال الدين الشيبان : ٧ م ١

الجنويون : ٤٩٤

جوذر : ٢٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ١٨٨ م ٧٥

١٩٦ م ١٩٧ ، ٧ م ٢٠٠ م ١٧

٢٠٥ م ٢٢٤ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨

جوشن بن حميد الصنهاجي : ٤٠٥

جوهر المصقل : ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤

٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨

حسن بن احمد بن عبد الوهيد التميمي
(الوزير) : ٢٤٦ هـ ، ٢٤٤ هـ .
ابو الحسن الحيداد : ٤١٠ هـ ، ٤١٦ هـ .
الحسن ابن احمد بن ابي خنزير : ٦٢ هـ ، ١٤٢ هـ ، ١٤٦ هـ ، ١٤٧ هـ ، ١٨٩ هـ .
١٤٨ هـ ، ١٤٩ هـ ، ١٩١ هـ ، ١٩٣ هـ ، ١٥٠ هـ .
٢٦٠ هـ .
ابو الحسن بن ابي الرحيل : ٣٨٨ هـ ، ٣٨٤ هـ .
٣٩٢ هـ .
حسن بن سرحان : ٥٠ هـ ، ٥١ هـ ، ٤١٨ هـ .
٤١٩ هـ .
الحسن الصمصام : ٤٩٩ هـ .
ابو الحسن طيب بن اسماعيل (الخاضع) :
٦١ هـ .
الحسن بن ابي العيش (اللادري) : ٣٦ هـ ، ٣٧ هـ ، ١١٠ هـ ، ١١٥ هـ ، ١١٦ هـ ، ١١٢ هـ .
١١٣ هـ ، ١٢١ هـ ، ١٨٤ هـ ، ١٢٣ هـ .
الحسن بن علي (ابو علي مسكين المروزي) :
٤٢٢ هـ .
حسن بن علي (بن ابي الحسن الكلبى) :
١٧٧ هـ ، ٤٥ هـ ، ٤٦ هـ ، ٢٣٩ هـ ، ٢٥٦ هـ ،
٢٦٤ هـ ، ٢٦٥ هـ ، ٢٦٦ هـ ، ٢٦٧ هـ ، ٢٦٨ هـ ،
٢٧٢ هـ ، ٢٧٤ هـ ، ٢٧٥ هـ ، ٢٧٦ هـ ، ٢٧٨ هـ .
٢٨٢ هـ .
الحسن بن علي المستنصر : ٥٠٨ هـ .
الحسن بن عيسى (بن ادريس) : ٣٨٤ هـ ، ٥٩٦ هـ .
٢٢٦ هـ .
الحسن بن فوج بن حوشب انظر جعفر بن منصور اليمن .
ابو الحسن الفهرى : ٤٧٧ هـ .
حسن بن القاسم (جنون) : ٢١٣ هـ ، ٥٣ هـ ،
٢١٤ هـ ، ٥٤ هـ ، ٢١٥ هـ ، ٢١٦ هـ ، ٢٢٧ هـ .
١٣٣٤ هـ ، ١٣٥٦ هـ ، ١٣٥٦ هـ ، ١٣٥٦ هـ .
حسن بن قاسم اللواتي : ١٦٧ هـ ، ٢١٢ هـ .
الحسن بن ملاك بن : ١٨٣ هـ ، ٦٣ هـ .
حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس (الحجام) :
٩٠ هـ ، ٩١ هـ ، ١٠٣ هـ ، ١٠٤ هـ ، ١٠٤ هـ .
حسن بن مفرج (الفقيه) : ١٣٤ هـ ، ١٦٦ هـ .
ابو الحسن بن المنتصر : ٤٤٨ هـ .
حسن بن منصور (مقدم بنو هراش) : ١٨٤ هـ ،
٦٦ هـ .
حسن بن نصر (الداعي) انظر ابو الفهم .
الحسين (السبط) : ١٢٥ هـ ، ٣٨٤ هـ .
حسين بن خلف الموصلي : ٢٨١ هـ .
الحسين بن زكرويه (صاحب الشامة) :
٥٨ هـ ، ٣ هـ .
بنو ابي الحسن السكيتيين : ٢٦٨ هـ ، ٢٧٧ هـ ،
٢٨١ هـ .
حسين بن عمار : ٢٧٢ هـ ، ٢٧٣ هـ .
حسين (ابو جعفر) بن مهذب : ٢٢٣ هـ .
ابو حفص : ٤٩٠ هـ .
ابو حفص القلاسي : ١١٨ هـ .
الحفصيون : ٤٩ هـ .
ابو حليفة (من جماعة الشايخ) : ٦٨ هـ .
حسام بن يسكين : ٢٩١ هـ ، ٩ هـ ، ٣٢٣ هـ ،
٣٢٤ هـ ، ٣٢٦ هـ ، ٣٢٧ هـ ، ٣٢٨ هـ ، ٣٢٩ هـ ،
٣٤٩ هـ ، ٣٥٥ هـ ، ٣٥٦ هـ ، ٣٦٠ هـ ، ٣٦٥ هـ ،
٣٦٦ هـ ، ٣٦٨ هـ ، ١١٢ هـ ، ٣٨٥ هـ ، ٤٠٦ هـ ،
٤٠٧ هـ ، ٤٠٨ هـ ، ٤١٣ هـ ، ٤٤٥ هـ ، ٤٥٢ هـ ،
٥٠٨ هـ .
حسام بن تميم بن زيري : ٥٠٣ هـ .

حسن بن احمد بن عبد الوهيد التميمي
(الوزير) : ٢٤٦ هـ ، ٢٤٤ هـ .
ابو الحسن الحيداد : ٤١٠ هـ ، ٤١٦ هـ .
الحسن ابن احمد بن ابي خنزير : ٦٢ هـ ، ١٤٢ هـ ، ١٤٦ هـ ، ١٤٧ هـ ، ١٨٩ هـ .
١٤٨ هـ ، ١٤٩ هـ ، ١٩١ هـ ، ١٩٣ هـ ، ١٥٠ هـ .
٢٦٠ هـ .
ابو الحسن بن ابي الرحيل : ٣٨٨ هـ ، ٣٨٤ هـ .
٣٩٢ هـ .
حسن بن سرحان : ٥٠ هـ ، ٥١ هـ ، ٤١٨ هـ .
٤١٩ هـ .
الحسن الصمصام : ٤٩٩ هـ .
ابو الحسن طيب بن اسماعيل (الخاضع) :
٦١ هـ .
الحسن بن ابي العيش (اللادري) : ٣٦ هـ ، ٣٧ هـ ، ١١٠ هـ ، ١١٥ هـ ، ١١٦ هـ ، ١١٢ هـ .
١١٣ هـ ، ١٢١ هـ ، ١٨٤ هـ ، ١٢٣ هـ .
الحسن بن علي (ابو علي مسكين المروزي) :
٤٢٢ هـ .
حسن بن علي (بن ابي الحسن الكلبى) :
١٧٧ هـ ، ٤٥ هـ ، ٤٦ هـ ، ٢٣٩ هـ ، ٢٥٦ هـ ،
٢٦٤ هـ ، ٢٦٥ هـ ، ٢٦٦ هـ ، ٢٦٧ هـ ، ٢٦٨ هـ ،
٢٧٢ هـ ، ٢٧٤ هـ ، ٢٧٥ هـ ، ٢٧٦ هـ ، ٢٧٨ هـ .
٢٨٢ هـ .
الحسن بن علي المستنصر : ٥٠٨ هـ .
الحسن بن عيسى (بن ادريس) : ٣٨٤ هـ ، ٥٩٦ هـ .
٢٢٦ هـ .
الحسن بن فوج بن حوشب انظر جعفر بن منصور اليمن .
ابو الحسن الفهرى : ٤٧٧ هـ .
حسن بن القاسم (جنون) : ٢١٣ هـ ، ٥٣ هـ ،
٢١٤ هـ ، ٥٤ هـ ، ٢١٥ هـ ، ٢١٦ هـ ، ٢٢٧ هـ .

الخليفة : ١٣٢ هـ ، ١٦٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٢

ابن حوقل : ٩٧ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٧

ابن حيان : ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٣

(خ)

الخاصة : ٢٤٣ ، ٢٢٨

ابن الخيام (القاضى) : ١٥٠

ابن خراسان (عبد الحق) : ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٦٠

بنو خزر : ١١٤ ، ١٩٢ ، ٢٢٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٢

خزرون بن خليفة : ٤٤٨ ، ٤٥٠ هـ ، ١١

خزرون بن سعيد : ٣٥٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨

خزرون بن فلغل بن خزر : ٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٧٧

خزرون بن فللول : ٥٠٥

بنو خزرون : ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ هـ ، ٩ ، ٤٩٨ ، ٥١١

الحزرى انظر أبو جعفر

الأخشيدي : ٢٤

ابن الخطيب : ٤٦٨ ، ٥٠٠

ابن خطيب سوسة : ٤٧٥

ابن خلدون : ٩ هـ ، ٣ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٤ هـ ، ٤٨ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٦٦ ، ١٧٣

١٧٥ ، ١٨٨ هـ ، ٧٥ ، ١٩١ ، ٢١٣

٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨

٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩١

٢٩٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٨٤

أحمد بن محمد بن حماد : ٢٢٨ ، ٢٢٣

٣٦٥ ، ٣٧٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٠

٤٢٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٨

٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦١

٤٦٢ هـ ، ٦٢٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧

٤٩٨ ، ٤٩٩

أحمد بن هاشم : ١١٠

أحمد بن حمادة : ٣٠٠ ، ١٦٤ ، ١٨٨ هـ ، ٧٥ ، ٤٤٨ هـ ، ٩

أحمد بن وروا : ٤٤٧

بنو حماد المزاني : ٧٧ ، ٧٨ ، ١٦٨

أحمد بن زبيري : ٣٠٨

أحمد بن المعز بن عطية الخزازي : ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣

أحمد بن يثوب (بن يثوب) : ٤٠٧

أحمد بن يعلى : ٢٢٤

أحمد بن الصابون (موقع) : ٣٩٦

أحمد بن حمزة (صاحب برقعانة) : ٨٢

أحمد بن خليل البرغواني : ٤٣٩ ، ٤٤٩

٤٥٠ ، ٤٥١ هـ ، ١٤٠ هـ ، ٦٥ ، ٤٥٢

٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦

أحمد بن حمود : ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨

أحمد بن حميد : ٨٤ هـ ، ٦٠

أحمد بن إدريس بن محمد السليمانى :

٨٤ هـ ، ٦٠

أحمد بن أبي زبيل : ٣٥٢

أحمد بن يعلى : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٩٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧

٢٣٤ ، ٢٣٧ هـ ، ٥٨ ، ٥٠٥

أحمد بن الحسين (الحسينية) : ٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٣٢٠

٤٤٢ ، ٤٤٩

٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ،
٥١١ ، ٥١٨ .

زيري بن عطية الزناتي : ٣٤٦ هـ ، ٦٤ ،
٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ،
٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٩٨ ، ٤٩٨ ،
٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

زينب بنت اسحق : ٥١١ .

(س)

الساحل : ٩٤ ، ١٧٩ .

سالم بن راشد : ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،
١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ .

ابن السبابة : ٢٥٨ .

السبعية : ٢٤٣ .

الست (ست الكل سلطنة أخت الحاكم) :
٣٢٢ ، ٣٨٠ .

سختون : ١٣٣ ، ٣٧٩ .

السرديوس (strategos) : ١٥٩ ، ٢٦٦ .

سعادة الله بن هارون : ٨٤ هـ ، ٦٠ .

أبو سعدي خليفة الزناتي (انيفرنى) :
١٣ هـ ، ١٠ (سعدة) ، ٥٠٠ ، ٤٣٨ ،
٤٩٩ .

ابن سعدون : ٣٩ هـ ، ٤٢ ، ١٧٤ ، ١٧٨ .

ابن سعيد : ٤١٣ .

سعيد بن ادريس : ٨٤ هـ ، ٦٠ .

سعيد بن الحداد (القتيبة) : ١٣٣ ، ١٣٤ ،
١٤٢ .

سعيد بن خزون الزناتي : ٣٣٥ ، ٣٤٧ ،
٣٤٨ ، ٣٦٢ ، ٣٩٥ ، ٤٤٨ هـ ، ١٠ ،
٤٩٨ .

زنداش (والى طبرمين) : ٢٥٧ .

بنو زنداك (المغراويون) .

زواغة : ٨٤ هـ ، ٦٠ ، ١١٣ ، ٥١٠ .

زواوة : ٢٩٠ ، ٤٠٨ .

زياد بن خلفون (المتطيب) : ١٣٩ .

زياد بن عامر : ٥٠ ، ٤١٩ .

زيادة الله (الأعلبي الأخير) : ١٨ ، ١١٧ ،
١٢١ ، ١٣٢ ، ١٤٦ .

زيادة الله بن عبد الله بن القاسم : ٢٨٠ .

٢٨١ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

٣٠٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤١ ، ٣٧٠ ، ٤٠٢ .

زيان (أبو الفتح) الصقلي : ٢٧٧ .

زيد بن زيد : ٤١٩ .

زيدان (الفتى) : ١٦٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩ .

زيد المعجاج بن فاضل : ٥٠ ، ٤١٩ هـ ، ٩ .

زيري (ابن مناد) : ١٨٨ هـ ، ٧٧ ، ١٨٩ .

٢٢١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .

٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ .

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٢ ، ٣٣٠ .

٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ .

٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ هـ ، ١١١ ، ٣٩٤ ،
٤٠٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٥ .

الزيريون : ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣ ،

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ .

٣١٠ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ .

٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧٩ .

٣٨٤ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ،

٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ هـ ،

٦٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ،

٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ .

٢٤٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٢٨ ، ٢٠٨
٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٦ ، ٢٨٢ ، ٢٧٩
٥١٨ ، ٢٩٤ ، ٢٨٨

سمنار : ٧٩ ، ٦٠

آل سهل : ٢٨٩

سهيل بن نفيس (صاحب النققات) : ١٧٧
٤٨

السودان : ٤٤ ، ١٣٥ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ،
١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٦ ،
٢٤٢

سيار بن عبد الوهاب : ١١٠

ابن سيد بن الخنفي : انظر أسد

(ش)

الشامعية : ١٢٢ ، ١٦٠ ، ١٢٣

الشاعر لله : انظر محمد بن الفتح

شاهملك : ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤

ابن شداد (الأمير الصنهاجي) : ٥٠ ، ٤٩

بنو شداد (من يفرن) : ١٩٠

شرطة : ٥١٢

ابن شرف : ٤٠ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٣٩٠

٢٩١ ، ٤١٠ ، ٤١٦ ، ٤٢٧ ، ٤٠

٤٩٣ ، ٤٣١

الشرفاء : ٢٤٣

الشرىف الباهرى : انظر عل بن عيسى

العلوى

الشرىف العلوى (رئيس الدعاه) : ١٢٦

الشرىف الفهرى : ٤٥٨ ، ٣٦

الشرىف هاشم : ٥١ ، ٤١٧ ، ١ ، ٤١٨

٤٢٥

ابو سعيد موسى بن احمد (الصيف) :
١١٨ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
٢٥٧

بنو سعيد (ابن صالح بنكور) : ٨٦

سعيد بن صالح الحميرى : ٨٤ ، ٦٠ ، ٨٥ ،
٨٦

سعيد بن يوسف : ٢٩٩

سفيان : ٤٣٦

سكن (الثائر البرنسي نيكور) : ٨٤ ، ٦٠

سكوت البرغواطي (الحاجب) : ٥٠٨ ، ٥٠٩

سكليتزي : ١٥٤ ، ٢١١

ابن السلار : ٣٨٥

سلامة بن رزق : ٥٠ ، ٤١٩

سلامة بن عيسى : ٣٧٦

سلمان الفارسي : ١٢٧ ، ١٤٨

ابن سلمة : ١٥٩

سلول (بن عسرة) : ٤١٩ ، ٩

بنسو سليم : ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٣٦ ، ٤٥٤

٢٥

سليمان (سولومون) : ١٩٤

سليمان بن خيران الزويل : ١٧٦ ، ٤٢

سليمان بن كافي الجيمل : ٧٧ ، ٨١

سليمان المستعين : ٣٦٧

سمة : ٥١٢

سنان بن ثابت بن قرة : ١١ ، ٧

السنة : ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٣١

١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١

١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٥

• صلاح الدين (الأيوبي) : ٣٩٢

• صلاح بن حيوس : ٢١٦

• الصليبيون : ٤٧٥

• صندل (الفتى) : ١٦٧

• صنهاجة : ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٨٤

• ص ٦٠ ، ٧٠ ، ١٠٧ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢١٧ ، ٢٣٢

• ٢٨٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٦ ، ٢٨٦ ، ٢٩١

• ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٢

• ٣٠٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨

• ٣٣٨ ، ٣٣٧ ، ٣٣٦ ، ٣١٦ ، ٣١٦ ، ٣٠٨

• ٣٤٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٠

• ٣٥١ ، ٣٥١ ، ٣٥١ ، ٣٥١ ، ٣٥١ ، ٣٥١

• ٣٦٧ ، ٣٦٧ ، ٣٦٧ ، ٣٦٧ ، ٣٦٧ ، ٣٦٧

• ٣٩٧ ، ٣٩٧ ، ٣٩٧ ، ٣٩٧ ، ٣٩٧ ، ٣٩٧

• ٤٢٠ ، ٤٢٠ ، ٤٢٠ ، ٤٢٠ ، ٤٢٠ ، ٤٢٠

• ٤٢٦ ، ٤٢٦ ، ٤٢٦ ، ٤٢٦ ، ٤٢٦ ، ٤٢٦

• ٤٣٦ ، ٤٣٦ ، ٤٣٦ ، ٤٣٦ ، ٤٣٦ ، ٤٣٦

• ٤٣٨ ، ٤٣٨ ، ٤٣٨ ، ٤٣٨ ، ٤٣٨ ، ٤٣٨

• ٤٤٨ ، ٤٤٨ ، ٤٤٨ ، ٤٤٨ ، ٤٤٨ ، ٤٤٨

• ٤٥٣ ، ٤٥٣ ، ٤٥٣ ، ٤٥٣ ، ٤٥٣ ، ٤٥٣

• ٤٥٨ ، ٤٥٨ ، ٤٥٨ ، ٤٥٨ ، ٤٥٨ ، ٤٥٨

• ٤٦٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٥

• ٤٦٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٥

• ٥١٨ ، ٥١٧ ، ٥١٢ ، ٥١١

• الصوفية : ٥٤

• صولات بن جندة : ٧١

(ض)

• الضيف (موسى) : انظر أبو سعيد

(ط)

• أبو طار : ٣٥٨

• ابن طائون : ١٦٥ ، ٢٧٧

• بنو الطبري : ٢٦٤ ، ٢٦٥

• طبريز (بن ملوك) : ٢٣٩

• طريف (بن ملوك) : ٢٣٩

• ابن شعيبان (القائد) : ٢٤٦

• الشماخي : ٢٠ ، ٢٧

• شمع الصقلي : ٣٧٣

• شواشي بن نبال : ٣٢١

• شيخ الشايخ : انظر مارون بن يونس

• الشيعة : ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٦٥

• ١٧٢ ، ١٧٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٠

• ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

• ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

- عبد الرحمن الداخلى : ٨٠ هـ .
- عبد الرحمن بن رستم : ٣٣ .
- عبد الرحمن بن أبي عسافر (النسياسر)
شنجويه : ٣٦٧ .
- عبد الرحمن فهمي : ٧ هـ ١ .
- عبد الرحمن الناصر (الاموي) : ٢٣ ، ٢٤ ،
٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٣ ،
٨٦ ، ٨٧ ، ١١٠ ، ١١١ هـ ١١٦ ،
١١٢ هـ ١١٨ ، ١١٤ هـ ١٢١ ، ١١٥ ،
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،
١٩٢ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ هـ ٤٨ ،
٢١٣ هـ ٥٣ ، ٢١٤ هـ ٥٤ ، ٢١٥ ،
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ هـ ٢٣٠ ، ٢٣١ هـ
٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،
٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ،
٢٥١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٩١ ، ٤٠١ .
- العبد الصالح : انظر صالح بن سعيد صالح .
- عبد العزيز بن أبي كدية : ٢٢٣ هـ ٩٤ .
- أبو عبد الله (الداعي) الشيعي : ١٨ ، ٥٧ ،
٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ،
٧٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩١ ،
٩٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٥ ،
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ،
١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،
١٧٣ ، ١٧٥ ، ٢٤٥ .
- عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية
(أبو عبد الرحمن) : ٥٠١ .
- عبد الله بن أصيح (الشاعر) : ١٨٦ هـ ٦٨ .
- عبد الله بن يسكار : ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢١٦ .
٢٢٧ .
- عبد الله بن حسن : ٤٤٧ .

- (ظ) .
- الظاهر (الفاطمي) : ٣٢٥ ، ٣٨٧ ، ٤٤٧ .
- (ع)
- عائذ بن أبي الفيث : ٤٣٦ .
- عائذ بن عائذ أبي الفيث : ٤٣٦ .
- العامة : ١٣٧ ، ٢٤٣ ، ٣٢٨ ، ٣٩٩ ، ٤٧١ .
هـ ٧٧ .
- عامر (أخو الحسن بن أبي العيش) : ١١٣ .
- ابن عامر الفزاري : ١٤٠ .
- ابن عامر (القائد) : ٣٤٦ .
- ابو العاعة : انظر محمد بن أبي أيوب .
- عبد بن صادق : ٢٩١ هـ ٩ .
- عبد بن مروان (سيف البوتة وسيف ذلك) :
٤٠٥ ، ٤١٢ .
- أبو العباس أحمد المظوم : ١٨ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،
١٤٠ ، ١٤٢ ، ٢٤٥ .
- العباس بن عبد المطلب : ٣٩٠ .
- عباس بن سنلر : ١٨٣ هـ ٦٣ .
- العباسيون (والدولة) : ٨ هـ ٢ ، ٣٥ ،
٦٢ ، ٧٥ ، ٩٣ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٥١ ،
١٧٠ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٨٥ ،
٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ،
٤٢٠ ، ٤٩٦ .
- العباس بن يحيى بن يعلى : ٤٩٩ .
- عبد الجبار الخراساني : ٢٨١ .
- عبد (ترجمه) (أبو التساسم) بن أنيس بن
أبي علي بن المهدي : ٣٢٢ .

العرب : ١٣١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ،
 ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ، ٢٦٢ ، ٢٨٥ ،
 ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٣٢٢ ، ٣٦١ ،
 ٣٦٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ،
 ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ،
 ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٩ ،
 ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ،
 ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ،
 ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ ،
 ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ،
 ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ،
 ٥١٨

عروبة بن يوسف الموصي : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
 ٦٨ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٢٨٨

عز الدين بن شداد : ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،
 أبو العزم (الكتامي) : ٣٣٢ ، ٣٣٤

العزير (نزار) بن العمز : ٢٢٣ ، ٢٢٧ ،
 ٢٤٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ،
 ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ،
 ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥٩ ،
 ٣٧١ ، ٣٨٠ ، ٤٧١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤

العز بن سكوت (ضياء الدولة) : ٥٠٦

العزير بالله بن النصور (بن الناصر بن
 علناس) : ٤٧٦ ، ٤٨٣

بنو عصام : ٢٨٥

ابن عطف : ٢٦٢ ، ٢٦٤

أبو العطف : انظر دوناس بن سلامة بن العز
 ابن عطية المنراوى

بنو عطية : ٤١٩

عطية بن جعفر : ٣٥٥

عقيف بن كرداس : ٧٧

عقبة (المستجاب) : ٢٤٥ ، ٧٨

١٦٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ،
 ٢٨٤ ، ٢٨١ ، ٢٧٧ ، ٢٦٢ ، ١٧ ،
 ٣٠١ ، ٤٣٦

بنو عبيد (العبيديون) : ٤١٤ ، ٤٢٤ ،
 ٤٦٦

العبيد السودان : ٢٤٣ ، ٣٠٨ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٧ ، ٣٥٣ ، ٣٦٥ ، ٣٨٥ ، ٤٢٩ ،
 ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ،
 ٤٧١ ، ٧٧ ، ٤٨٦

عبيد القصر (المائيك) : ٦٥ ، ٦٨ ، ١٠٥ ،
 ١٠٦ ، ٣٠٦

أبو عبيدة (عبد الحميد) بن عمار الأعمى :
 ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ، ٦٢ ، ١٨٨ ،
 ٧٧

عثمان (ابن عفان) : ١٢٦ ، ١٤٢ ، ١٤٢ ،
 ٢٩١

عثمان بن سعيد (مسلم التمدني) : ٦١ ،
 عثمان بن سعيد : ٤٦٨

شعيبة : ١٠٦ ، ٢٩٠ ، ٥٠٤ ،
 الاعدنانية : ٤١٧

عدوان (بن عمر) : ٤١٩ ، ٩

بنو عدي : ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٣ ، ٤ ، ٤٤٨ ،
 ٤٥٠ ، ٥١ ، ١٤ ، ٤٥٤ ، ٣٤ ،
 ٤٧٥ ، ٤٥٦

ابن عذاري : ٣٠ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،

٦٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ،

١١٢ ، ١٢٣ ، ١١٧ ، ١٣١ ، ١٣٨ ،

١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ،

١٧٤ ، ٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٩٦ ،

٢٣٩ ، ٥٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ،

٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ،

٤١٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ،

٤٥١ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٨٤ ، ٥٠٨

علي بن هبة الله النخعي (العميلة الشاعر) :
٣٥٣ هـ ٧٩ .

علي بن أبي الفوارس : ١٤٦ .

علي بن لقمان : ١٠٢ .

علي بن مجاهد : ٤٩٧ .

علي بن محمد بن أبي العرب : ٣٢١ .

علي بن مصالة : ١١٣ .

علي بن يوسف : ٤٨٦ .

أبو عمار الأعمى : انظر أبو عبيدة .

ابن عمار (ابن أبي الحسين الكلبي) : انظر
الحسين .

عمار بن علي بن أبي الحسين الكلبي : ٢٦٩ .

عمار بن ياسر : ١٢٧ هـ ١٤٩ .

عمر : ١٢٦ هـ ١٤٢ ، ١٧٨ ، ٣٠٢ ، ٢٨٢ .

ص ٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

عمر بن عبد العزيز : ٢٤٦ .

عمر بن المغز بن تميم : ٤٧٤ هـ ٨٧ ، ٤٧٥ .

(أبو عمر) عمران بن أحمد بن عبد الله بن

أبي معمر القاسي : ١٢٢ ، ١٢٣ .

ابن عمران : ٢٥٧ .

عمران بن حكان : ١٤٠ .

عمران بن أبي خاتمة بن أبي سلام : ١٢٣ هـ

١٣٩ .

عمرة (بن أسد) : ٤١٩ هـ .

عمرو (أبو الحكم) بن عبد الله بن أبي عامر

(عسقلانية) : ٣٤٦ هـ ٦٤ .

عمرو بن سنان : ٤٤٨ .

عوف : ٤٢٣ .

عقيل (بن المعز لدين الله) : ٢٤٢ .

العلاء بن مغيث : ٨٠ هـ .

أم العلو (بنت باديس) : ٣٨٠ ، ٣٩٧ ،
٤٤٧ .

علي (ابن أبي طالب) : ٢٦ ، ٢٩ ، ١٢٥ ،

١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ هـ ١٤٨ ، ١٣٤ .

١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٧٢ ، ١٨٩ هـ ٧٨ ،

٢٩١ .

العلويون (العلوية) : ٨ هـ ٢ ، ٣٥ ،

٣٦ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٢٤٦ ،

٢٨٥ .

علي بن أحمد بن أبي خنزير : ١٤٦ .

علي بن أحمد بن فرهب : ١٤٨ .

علي (أبو الحسن) ابن الإخشيد : ٢٤٩ .

علي بن تميم بن المعز : ٤٩٤ .

علي بن أبي الحسين : ٢٦٠ ، ٢٦٥ .

علي بن حمزة : ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

علي بن حمدون (الأندلسي) : ٥٣ ، ١٠٦ ،

١٦٨ ، ١٨٤ هـ ٦٦ .

علي بن الحواسي : ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ .

أبو علي بن خلدون (انقذيه) : ٣٨٢ هـ ٦ .

علي بن رزق : ٤١ ، ٤٩ .

علي بن سلمان (الداعي) : ٨١ ، ١٠٤ .

علي بن سليمان بن كافي : ١٠٥ هـ ١٠٣ .

علي بن الطبري : ٢٦٥ .

علي بن عبد الله أفلوي (الداعي) : ٢١٧ .

علي بن عبد الواحد : ٤٨ .

علي بن عمر البيلوي : ١٤٧ .

أبو القاسم بن الحسن بن محمد بن (الصدائلي) :
٢٧٦ ، ٢٧٧ .

أبو القاسم بن حسين : ٢٢٣ هـ ، ٩٤ .

القاسم بن حمود : ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

القاسم بن علتاس : ٤٥٥ ، ٤٥٦ هـ ، ٣٢ .

أبو القاسم علي بن الحسن بن أبي الحسين :
٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ .

قاسم بن محمد بن طلحة : ٢١٣ .

القاسم بن محمد بن عبد الرحمن : ٥٠١ .

أبو القاسم بن محمد بن أبي العرب : ٣٢٠ ،
٤٣٩ ، ٤٠٤ .

القاسم بن محمد بن القاسم : ٥٠٨ .

أبو القاسم بن القاسم : ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٨ ،
٦٩ ، ١٢١ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ .

القاسم بن محمد كنون : ٢١٣ .

أبو القاسم (القائم ابن المهدي) : ٢٠ ، ٢٢ .

٤٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ .

٤٠ هـ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٧٣ .

٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٢ .

٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٥ .

١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٥ .

١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٥٣ ، ١٥٩ .

١٦١ ، ١٦٢ هـ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .

١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ .

١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ١٩٧ .

٢٠٠ هـ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ هـ ، ١٧ .

٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٩٥ .

٢٩٦ ، ٢٣٤ ، ٣٥٠ ، ٤٣٦ ، ٤٦٩ .

أبو القاسم بن يزيد : ٢٨٧ .

قاضي بن إبراهيم بن بلونة : ٤٧٤ .

أبو الفضل بن عبد الواحد البغدادي : ٢٨٦ هـ ،
٢٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ هـ ، ٣٢ ، ٤٢٠ .

الفضل بن أبي علي المرادي : ٤٢٦ .

فضل بن ناهض : ٥٠ ، ٤١٩ .

فضل بن أبي يزيد : ١٧٣ ، ١٨٨ هـ ، ٧٧ ،

١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ هـ ، ٨٢ ، ١٩٢ .

٢٢٠ .

فلغل بن سعيد الزناني : ٣١٨ ، ٣١٩ .

٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٨ .

٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٤٤٤ .

٤٤٥ .

ابن فنديس : ٣٢ .

أبو الفهم حسن بن نصرويه الخراساني :

٤١ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ .

٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٦٢ .

٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٩٩ .

قيت : ٧ هـ ، ١ .

(ق)

القائد بن حماد : ٤٥٣ هـ ، ٤٩٦ ، ٥٠٣ .

قائد بن ميمون الصنهاجي : ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

القائد : انظر أبو القاسم .

القائد (بن حماد) : ٤٠٨ هـ ، ٨٠ ، ٤٠٩ .

٤٢٩ ، ٤٣٦ .

القائم العباس (ابن القادر) : ٣٨٨ ، ٣٨٩ هـ ،

٢٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ .

القادر (الخليفة العباسي) : ١٣٦ هـ ، ١٨١ .

القاسم بن إبراهيم : ٢٦ .

أبو القاسم بن الحسن : ٢٥٦ ، ٢٨١ .

- ١٠٠ ، ٩٣ ، ٨٢ ، ٨٠ ، ٧٥ ، ٧٣
١١٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠١
١٥٢ ، ١٥١ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢١
١٨١ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٥ ، ١٥٣
١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٦٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٦
٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠
٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥
٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١١
٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨
٣٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤
٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٣
٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤
٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٧
- كرامت بن المنصور : ٣٧٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧
- ابو كسية : ٢١١
- الكلاعي (الحنفي) : ١٣٢
- كلالة (بن يفرح) : ١٩٠
- الكليسون : ٤٧٨ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٦
- ابن كلدة (مقدم جربة) : ٣٩٩
- كلمات بن عديني : ٢٩٩
- ابو الكمال : انظر تميم بن زيري بن يعلى بن محمد البفري
- بنو كملان : ١٠٦ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٢ هـ
٦١ ، ١٨٨ هـ ، ٧٦ ، ٧٧ هـ ، ١٩١
٣٠٦ ، ٣٣١
- ابن الكوشى : ٢٦٣
- (ل)
- لاوه (اسقف صقلية) : ١٥٧
- لقوط بن يوسف بن علي (القراوى) : ٥١١
- لساية : ٧٢ هـ ، ١٠٥ ، ١٠٨ هـ ، ١١٢

- القحطانية : ٤٦٩
- قدام (الخادم الصقلاني) : ٢٠٣
- ابن القديم : انظر ابو القاسم : زليخة الله
- القراملة : ٩ هـ ، ٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٤٠ هـ ، ٤٢
٥٨ هـ ، ٣ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ٢٠٨
- ٢٤٩ ، ٤١٧ ، ٤١٨
- بنو قرة : ٤٤٤ هـ ، ٤٤٨ هـ ، ١٠٠
- ابن القرين : انظر محمد بن اسحق القرشي
- بنو قرة : ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٥٦ ، ٤٣٥ هـ
٣١ ، ٤٣٦
- ابن قزح : ٤٠ ، ١٢٠
- قسطنطين (السابع) : ٢٤١ هـ ، ٦٨ ، ٦٩
- قصيرة (قبيلة) : ١٠٨
- القلقشندى : ٧
- ابو قمح : ١١٥
- ابن القمودى : انظر ابو بكر
- القيسية : ٢٨٧
- قيصر (الصقلي) : ٢٢٣ هـ ، ١٣٠
- (نك)
- كادو بن معارك المساوطتى : ٧٠٠ ، ٧٨١ ، ٧٤٠
- كافور (ابو اسك) : الاخشيسى : ٢٤٩ ، ٣٥٠
- كباب بن زيري : ٢٩٣ ، ٣٠٨ ، ٣٥٨
- كباب بن اعمر بن باديس : ٤٠٢
- كبون : ١٧٥
- كتسامة (الكتاميون) : ١٩٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٠ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤
٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢

محمد بن حسن (قائد باديس) : ٣٥٢ هـ

محمد بن حفص الفهم : ١٣٤ هـ ١٦٨

محمد بن خنزر (بن صيلات) : ٣٥ ، ٣٦ هـ

٣٨ ، ٥٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩١ هـ

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ هـ

١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١ هـ ١١٤ ، ١٦٣

١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ هـ

١٩٠ هـ ٧٩ ، ١٩٢ ، ٢١٣ ، ٢١٦ هـ

٢١٧ هـ ٦١ ، ٢٢٥ هـ ١٧ ، ٢٢١ هـ

٢٣٦ ، ٤٣٨ هـ

محمد بن الخيزر بن محمد البقرني : ٢٢٧ هـ

٢٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ هـ

٢٥٥ ، ٢٥٦ هـ ١٠٥ ، ٢٠٠ هـ

محمد بن خيزون : ١٣٥ هـ ١٧٠ هـ

محمد بن رماحس : ١٨٦ هـ

محمد بن سخنون : ١٣٩ هـ ٢٧٩ هـ

محمد (أبو عبد الله) السدري : ١٤٤ هـ

محمد بن السرقوس : ١٤٥ هـ

محمد بن أبي سعيد الميل (صاحب السوق) : ٦٩ هـ

محمد بن سلام بن سياد (البرقي) : ١٤١ هـ

محمد الشاذلي (الزاهد) : ١٣٤ هـ

١٦٦ هـ

محمد بن أبي عامر (المنصور والعامريون) : ٢٣٩ هـ

٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ هـ

٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ هـ

٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٤٠٤ ، ٤٣٩ ، ٤٩٨ هـ

٥٠١ ، ٥٠٧ هـ

محمد بن العباس الهندي : ١٣٤ هـ ١٦٩ هـ

محمد (الهندي) بن عبد الجبار : ٣٥٦ هـ

٤٤٥ هـ ٥ هـ

محمد (الرسول) : ١٢٥ ، ٢٤٨ هـ

محمد (الأخشيد) : ١٦٦ هـ

بنو محمد (الأدارسة) : ١١٠ ، ١١١ هـ

١١٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ هـ

٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٤ هـ

محمد بن أحمد الطزلي : ٢٠٤ هـ

محمد بن ادريس بن علي : ٥٠٧ ، ٥٠٨ هـ

محمد بن ادريس (أبو انعش) بن عمر : ٣٦ هـ

٢١٢ هـ ٥٣ هـ

محمد بن أحمد (العنسياني) : ١٤١ هـ

٨٠ هـ

محمد بن أحمد بن فرهب : ١٤٩ ، ١٥٠ هـ

محمد بن اسحق القرشي (ابن القليلين) : ٧٣ هـ

٧٤ هـ

محمد بن أبي أيوب (أبو العاصم) : ٧٥ هـ

محمد بن البديل : ١٢٨ هـ ١٤٩ هـ

محمد بن البليغ : ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ هـ

٣٦ هـ

محمد تارشي : ٤٤ هـ

محمد بن أبي ترحال البانماني : ٦٨ هـ

٢٩ هـ

محمد بن تومرت : ٨ هـ ٢ هـ ٩ هـ ٣ هـ

١٦ هـ ٢٣ ، ٤٧٧ هـ

محمد بن الثومة : ٤٩١ ، ٤٩٢ هـ

محمد بن جنا : ٢٦٥ هـ

محمد جواد : ١٥ هـ ٢٢ هـ

محمد بن الحسن (وزير المعز بن باديس) : ٢١٤ هـ

٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢ هـ

٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ هـ

- محمد بن عبد الرحمن (الامام الأندلسي) :
٨٤ م ٦٠ ، ٣٨٦ ، ٥٠١ .
- محمد (أبو الفضل) بن عبد السلام :
١٤١ .
- محمد بن عبد العزيز : ٣٨٧ .
- محمد بن عبد القادر بن خلف : ٣٣٥ .
- محمد بن عبد القاهر بن خلف : ٣٧٦ .
- محمد بن عبدون : ٣٦٥ .
- محمد بن عبد الله (صاحب النظام) :
٣٣٩ .
- محمد بن عبد الله بن إبراهيم (آخر بني
موسى بن أبي العافية) : ٢١٢ .
- محمد بن عبد الله بن عيسى : ٢١٤ م ٥٤٤ .
- محمد بن عبد الله بن مسسرة القرطبي :
١٣٨ م ١٧٥ .
- محمد بن عبد الله بن هاشم (القاسمي) :
٣١٦ .
- محمد عبد الهادي شمعرة : ٤٤ م ٤٦
٤٨ ، ٤٧ ، ٥١٢ .
- محمد بن أبي العرب (الكاتب) : ٣١٥ ،
٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ .
- ٣٣٩ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ م ٣٧٩ .
٣٧٦ ، ٤٠٢ .
- (محمد بن عمر) الكروزي (التافسي) :
١١٩ م ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٣٣ .
- ١٣٤ م ١٦٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .
١٤٥ ، ٢٤٥ .
- محمد بن عمران النطفي : ١١٩ .
- محمد بن الفتح (ابن واسول) انشاكن الله :
١٧٠ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ .
- ٢٣٥ ، ٢٢٨ م ٦١ .
- محمد بن القاسم : ٥٠٨ .
- محمد كامل حسين : ٢٦ م ٣٦ .
- محمد بن الأمير أبي الكمال تميم : ٥٠٣ .
- محمد بن محمد بن سحنون : ١٤٥ .
- محمد بن معمود بن السسكالا : ٤٠٤ ،
٤١٢ .
- أبو محمد المعتز : ٣٤٢ .
- محمد بن عيمون (من عبيد اقلالة) :
٢٣٢ ، ٢٣٤ .
- محمد (احمد) بن نصر (الباغاتي) :
٧٣ ، ٧٤ .
- محمد بن هاني، الأندلسي : ١٢٨ م ١٤٩ ،
١٣٦ ، ٢٥٢ ، ٢٨٤ .
- محمد بن واسول : ٢٣٦ ، ٢٣٧ م ٦٠ ،
٢٢٨ .
- محمد بن يعلى (الكناس) : ٢٢٦ .
- محمد البعلاني : ٢٥ م ٣٥ .
- محمد بن يوسف الكوراني : ٢٥٥ .
- مختار بن القاسم : ٤٢٤ م ٢٨ .
- مخلد بن كيداد : أنظر أبو يزيد .
- أبو مخيب : أنظر زياد بن عامر (٤١٩) .
- بنو مدران : ٩١ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٨٥ ،
٣٤٢ .
- مدين بن موسى بن أبي العافية : ١١٤
١٢٣ ، ١١٥ ، ١٦٦ م ٢٧ ، ٢١٢ .
٤٨ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ .
- أبو مدين بن فروج اللهيبي : ٨٠ ، ١١٨ .
- أبو مدين كناوة اللهيبي : ٧٤ .
- مدين بن موسى بن أبي العافية : ٥٣ .

- الرايطون : ٧ ، ٧ ، ١ ، ١٢ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٤٣٩ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٢٣ ، ٤٦١ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٧ ، ٥١٨
- مرداس (بطن) : ٨ ، ٨
- مرماذوا (القائد الكناسي) : ١٦٧
- بنو مروان (المروانيون) : ٣٥ ، ٣٧ ، ٨٤ ، ٦٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٤٧ ، ٨٠ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤
- مريان (السردغوس) : ٢٧٠
- بنو مزين : ٢٨ ، ٤٩ ، ٤٩٩
- مزينة : ١١٤
- مزحل : ٤٩٩
- مزانة : ٣٤ ، ١٠٦
- الزردكية : ١٣٠
- مزوعة (من مكناسة) : ١٩٠
- بنو مزغنة : ٢٩٢ ، ٤٥٨ ، ٤٩٧
- المستعربة : ٢٨٦
- المستعين (خليفة قرطبة) : ٥٠٦
- المستقر (الامام) : ٧٠
- المستنصر (الحكيم) : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٤٠٤
- المستنصر (الفاطمي) : ٧ ، ١ ، ٢٦ ، ١٤٢ ، ٣٣٥ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٣ ، ٣٩٢ ، ٣٤ ، ٤٠١ ، ٤١٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤
- مسرور الخادم : ٢٨ ، ١٩١ ، ٨٦ ، ١٩٢ ، ٢٢٧
- مسعود (القتي) : ١٥٦
- ابو مسعود (من شيوخ الهلالية) : ٤٣٦
- مسعود بن وانودين : ٥٠٦ ، ٥١٧
- المسعودي : ١١ ، ١١ ، ٦ ، ١١ ، ٧
- المسلمون : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٧١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٦١
- ابو مسلم الخراساني : ٦٣
- مسلم السجلماسي : انظر عثمان بن سعيد
- مسيرة : ٤٣ ، ٢٨٨ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥١٨
- السيح : ٢٨٤
- المسارقة : ١٣٠ ، ٢٨٥
- مصالة بن حبوس الكناسي : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٦٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٨
- المصاملة (مصمودة) : ١٦٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨ ، ٤٦١ ، ٤٧١ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١
- المصريون : ٨٠
- مصطفى غالب : ٢٦
- مصعب بن عاتق : ١٠٧ ، ١٠٨
- المضجك : ٤١٩
- مطمطاطة : ٨٤ ، ٦٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢
- الطبيع (العباسي) : ٢٠٨

• منتظر الصقلي : ٢٢٢

الظفر بن عبد الملك بن أبي عانس : ٢٤٤
• ٢٣ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥

الظفر بن علي (كاتب حمو بن مليل) :
• ٤٥١ م ١٥

• مساوية : ٨٨

عبد بن خزر (أخو محمد) : ١٨٨
• ٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢١٧
• ٢٣١

العتز بن محمد بن ساروا (اندراري) :
• ٩١ ، ١٦٩ ، ٢١٧

• المتزقة : ١٣٥ ، ١٤٢

• العتصم : ٤٧١

• العتصم بن صالح : ٨٤ م ٦٠

• العز بن ياديس : ١٠ م ١٣ م ١٠

• ٤١ ، ٥٠ م ٤٩ ، ٦٩ ، ١٤٢ ، ٢٨٧

• ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨

• ٣٣٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ م ١١١ ، ٣٧٨

• ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ م ٦

• ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨

• ٣٨٩ م ٢٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣

• ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨

• ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣

• ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩

• ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٦

• ٤٢٠ م ١٦ ، ٤٢١ م ١٦ ، ٤٢٢

• ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ م ٣٤ ، ٤٢٦

• ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١

• ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦

• ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧

• ٤٤٩ ، ٤٥٠ م ١١ ، ٤٥١ ، ٤٥٢

• ٤٥٣ م ٢٠ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦

• ٤٧٦ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣

• ٤٩٤ ، ٤٩٦

• ام العز (ابن ياديس) : ٤٠٤

• المعز ثدين الله (الفاطمي) : ٢٠٠ ، ٢١

• ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ٢٤ ، ٩٢

• ٧٥ ، ١٠١ ، ١٢٧ م ١٤٩

• ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٦١ ، ١٦٢

• ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٨٨ م ٧٦ ، ١٦١

• ١٩٦ م ٥ ، ١٩٧ م ٦ ، ١٩٩

• ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨

• ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٠

• ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

• ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

• ٢٣١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

• ٢٣٧ م ٥٨ م ٥٩ م ٦٠ ، ٢٣٨

• ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤

• ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ م ٧٩ م ٨٠

• ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

• ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٨

• ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥

• ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠

• ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥

• ٢٩٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦

• ٣٠٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨

• ٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٨

• ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦

• ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٥٠٤

• المعز بن زيري بن عطية : ٣٦٣ ، ٤٥٣

• ٤٥٤ م ٢٣ م ٢٤ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢

• ٥٠٥ ، ٥٠٦

• المعز بن محمد الصنهاجي : ٤٤٩

• المعقل : ٤١٩ م ٩ ، ٤٣٦

• المعلى بن محمد (اللوس) : ١٠٥

• ١٠٣ م

• ابو معلوم فيلون : ١٠١

• معلى بن محمد اللوس : ١٣١

• معصر بن حماد بن معصر ابن المعز بن زيري

- ابن عطية : ٥٠١ ، ٥٠٥
- المنسارية : ٨٢ ، ١٣٧ ، ٢١٦ ، ٢٦٥
- ٤٤٨ ، ٤٧١ هـ ٧٧
- مغراوة (المغراويون) : ٢١٦ ، ٢٨٦
- ٢٩١ ، ٣٩١ ، ٤٣٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١
- ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩
- ٥١١
- معتين بن زيبري : ٣٠٨ ، ٣٥٨
- مقيلة (بلد) : ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٩٤
- مقاتل بن عطية : ٣٤٦ هـ ٦٤
- المتنسر العباسي () : ١٢٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩
- المتنسر بن الأسود : ١٢٧ هـ ١٤٩
- مقدر بن سعد : ٢١٢ هـ ٤٨
- المقريزي : ١٣٢ ، ٢٢٠ ، ٢٠٤
- مقلد بن تميم : ٤٧٢
- المكتفي (الخليفة العباسي) : ٨ هـ ٢
- ٢٤
- ابن مكران : ٤٦١ ، ٤٩٧ هـ ١
- مكرو جوهانيس : ٢٦٧ ، ٢٦٨
- مكناسة (قبائل) : ٨٤ هـ ٦٠ ، ٨٧
- ٦٧ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٩
- ٢١٢ ، ٣٩١
- مكين بن كامل الدهماني : ٤٧٣ ، ٤٧٤
- ٤٧٥ ، ٤٧٦
- أم ملاك (أخت باديس) : ٣٢٢ ، ٣٨٠
- ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٩٢
- الملثسون : ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٨٩ ، ٤٣١
- ٥٠٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٨
- ملجسان (مالكيتوس) : ٢٦٧
- بنو ملكان بن كرت : ٢٩٢
- ملك بن علوي الصنجري : ٢٦٤ ، ٤٧٠
- ملوسة (قبيلة) : ٨٢
- ملول الطوائف : ٣٩١
- مليحان بن عباس : ٤١٩
- مناد (ابن هتوش) : ٢٩١ ، ٢٩٢
- ٣٩٣ ، ٣٠٤ ، ٢١٧ ، ٣٥٧
- المنافقون : ٦٤ ، ٦٦
- المتنصر بن خزرون المغراوي : ٤٢٩ ، ٤٤٨
- ٤٥٠ هـ ١١
- أبو المتنصر بن العتس (بن واسول) :
- ١٦٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ هـ ٦١
- المنجمون : ٥٩
- المنصور (العباسي) : ٩٣ ، ٩٧
- المنصور (أبو نظار اسماعيل الفاطمي) :
- ١٣ ، ٢٠ ، ٢٢ هـ ٣٣ ، ٢٣ ، ٢٤
- ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٠
- ٤٢ هـ ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦
- ٦٨ هـ ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ هـ ٧٨
- ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤
- ١٩٦ ، ١٩٧ هـ ٧ هـ ٩ ، ١٩٨ هـ ١١
- ١٩٩ ، ٢٠٠ هـ ١٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢
- ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧
- ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢
- ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٤
- ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧
- ٢٨ هـ ٢٧٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٣٠
- ٣٤٠
- المنصور بن باديس : ٣٢١ ، ٣٢٣ هـ ٩٤
- ١٢٤ ، ٣٣٩
- المنصور بن بلكين : ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠
- ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥
- ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢
- ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧

مؤنس بن يحيى المردي الرياحي : ٥٠ ، ٥١
ح ٥٠ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ح ٣٤
٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣٦ .

المؤيد بن عبد البديع بن صالح (صاحب
شكور) : ١١٤ .

المسواقي : ٢٢ .

الموحسون : ٧ ح ١ ، ٨ ح ٢ ، ١٢ ،
٣٣ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٢١٠ ، ٢٨٨ .
٢٨٩ ، ٤٧٧ .

مورجى : ٤٧٩ ح ٤ .

موزالون : ١٥٤ .

موسى بن أبي العافية (الكناسي) : ٣٧ ،
٣٨ ، ٥٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ح ٦٧ ، ٨٩ ،
٩٠ ح ٧٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ ،
١١٥ ح ١١١ ، ١١٦ ، ١١٢ ،
١١٣ ح ١٢١ ، ١٢٢ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١١٥ ،
١٣٧ ح ١٧٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ،
٢٣٣ ، ٢٦٨ ، ٥٠١ .

بنو موسى بن أبي العافية : ٥٠٦ .

موسى بن عبد الرحمن الودائي : ٧٦ .

موسى (أبو الأسود) بن عبد الرحمن
ابن جندل « موسى القطان » : ١٣٩ .

موسى بن نصير : ١٣٩ ، ١٤١ .

موسى بن يحيى : ٥٠ ، ٤٤٩ .

الموصل (اسحق) : ١٤١ .

بنو مولا ب (من مكناسة) : ١٩٠ .

المولدون : ٢٨٦ .

المؤيد هشام : ٣٤٢ .

ميسرة المشرقي : ٢٤٠ .

٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ،
٣٥١ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،
٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،
٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،
٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤٢٩ .

منصور بن ستان : ٢٨ .

منصور بن عامر (عامل الثيروان) :
١٧٧ ح ٤٨ .

المنصور بن أبي عامر : انظر محمد بن أبي
عامر .

أبو منصور عيسى بن أبي الإنصار : ٢٠٩ ،
٢١٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ .

المنصور بن العز بن باديس : ٤٣٧ .

المنصور بن الناصر بن علداس : ٤٧٠ ،
٤٧٦ .

منقذ بن موسى بن أبي العافية : ٢١٢ ،
٤٨ .

من الله بن الحسن بن أبي خنزير : ٨١ .

منهال بن موسى بن أبي العافية : ١٠٣ .

ابن أبي المنهال (القاضي) : انظر اسحق .

منيكس (جورج) : ٤٩٠ .

منيب بن سلمان الكناسي (اداعي) :
١٣٦ .

المثير بن محمد بن خزر : ١١٠ ح ١١٤ .

المهاجرون : ١٨٢ .

المهدي : انظر عبيد الله .

مهني بن علي : ٤٦٠ ، ٤٦٢ .

المؤذنون : ٢٤٥ .

مؤمن بن يوهن الهواري : ٥١٠ .

مؤنس (الخادم) : ٨٠ .

١٦٢ هـ ١ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٩٣ ،
١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ،
٣٧ هـ ٢٢٠٠ ، ٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ،
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ .

نعيم بن كنون : ٤٤٥ .

نفوسة : ٨١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٢٨٣ .

نقفور فوكساس : ٢٤٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ،
هـ ١٥٩ .

نقيتاس (البطريق) : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

النكار (الخسارح) : ١٠٩ ، ١٧١ ،
١٧٢ ، ١٧٤ .

نمت (من يقرن) : ١٩٠ .

أبو النمر أحمد بن صالح : ٧٦ .

النوتية : ٣٢٩ .

نوح : ٢٨٤ .

النورمانديون : ٤٦٨ هـ ٦٢ ، ٤٧١ هـ ٧٥ ،
٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ،
٤٩٤ ، ٤٩٥ .

النوفلي : ٨٧ ، ٩٠ هـ ٧٢ .

النومان : ٢٢٨ .

النويري : ٣٠ ، ٤٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ،
٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٧٣ ،
٣٧٥ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ،
٤٥٢ ، ٤٦٩ .

(هـ)

أبو هارون الهواري : ٧٢ .

هارون بن يونس الأزيابي (شيخ المشايخ) :
٦٥ ، ٦٦ ، ١٣٤ .

هاشم بن جعفر : ٣٢٤ .

هيسور (القتي) : ٥٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،
١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٩٢ ،
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ هـ ٦١ .

هيشيل الرابع (الأمبراطور) : ٤٨٩ .

هيمون بن اللاية : ٣٦٣ .

هيمون بن موسى : ٣٥٨ .

(ن)

ابن ناجي : ١٣٣ .

الناصر (عبد الرحمن) : ٥٠١ .

الناصر بن خلف : ١٣ هـ ٤٤٨ ،
٤٤٩ ، ٤٥٠ هـ ١١ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ،
٤٥٣ هـ ٢٠ ، ٤٥٤ هـ ٢٣ هـ ٢٤ ،
٤٥٥ ، ٤٥٦ هـ ٣٢ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ،
هـ ٣٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ،
٤٦٣ ، ٤٦٤ هـ ٥٥ ، ٤٦٨ هـ ٦٢ ،
٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

سافع بن الأزرق : ٣٣ .

النبلي : ٥٨ .

نزار بن جمال المزاني : ٧٨ .

نزار : أنظر المزني (الفاطمي) ابن المزمز .

نزار بن المعز بن باديس : ٣٩٧ ، ٤٠٢ .

النصارى (المسيحيون) : ١٤٧ ، ١٥٢ ،

١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ .

نصير (الخازن) : ٢٧٨ .

أبو نظار الأسود : ٢٥٨ .

الغفمان (بن محمد القاضي) : ١١ هـ ٦٠ ،

١٣ ، ١٤ ، ١٧ هـ ١٨ ، ١٩ ،

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ،

٣٩ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٨٨ ،

١٠٢ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٤٠ .

٣٧٧ ، ٣٧٢ ، ٣٦٨ .
يعرب بن قحطان : ٢٩٢ .
يعقوب بن اسحق (التميمي) : ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ١٢٤ ، ١٤٠ .
يعقوب بن كلس : ٢٢٧ ، ٢١٢ .
يعلان (جلة باديس) : ٣٤٩ هـ ٧١ .
يعلى بن العباس بن يحيى : ٤٩٩ .
يعلى بن فرج : ٣٢٢ .
يعلى بن محمد (بن خزر) : ٢٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ هـ ٦١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢١ .
٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٢٩ ، ٤٩٩ .
بنو يعلى : ٤٩٩ ، ٥١١ .
يعيش (هوئ الكلبين بصقلية) : ٢٧٦ ، ٤٧٤ .
بنو يفرن : ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٩٢ ، ٤٣٨ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥١١ .
البيشية : ٢٨٧ .
ينال التركي : ٣٢١ .
اليهود : ٣٣٤ .
يوسف بلكين بن زيدي : انظر بلكين .
يوسف بن تاشفين : ٤٨ ، ٢٨٨ ، ٣٦١ ، ١٦٧ هـ ١١١ ، ٤٧٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٩ ، ٥١١ .
يوسف بن حماد بن تميم بن زبيري : ٥٠٣ .
يوسف بن عبد الله الكاتب : ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٣١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ ، ٣٧٣ .
يوسف بن شهاب الله بن محمد بن أبي القاسم : ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

يحيى بن علي (بن الأندلسي) : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٣٥٥ ، ٣٧٩ .
٤٤٨ هـ ١٠ ، ٥٠٧ .
يحيى بن عمر بن تلاجاجين : ٤٥ ، ٤٦ .
يحيى بن المهدي (القرمطي) : ١١٦ .
يحيى بن يعلى بن محمد : ٤٩٩ .
يسو بن يعلى بن محمد : ٢٢٢ .
يسو يسو بن يعلى : ٥٠٢ .
أبو يزيد الزناتي (مخلد - صاحب الحمار) : ١٠ هـ ٥ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٩٠ ، ٩٢ هـ ٧٥ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ هـ ٤٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ هـ ٦٧ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ هـ ٧٧ ، ٧٨ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ هـ ١٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٢٦٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٤٠ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، ٤٦٩ .
يزيد بن أبي يزيد : ١٧٣ .
يصل بن حيوس : ١١٠ ، ١١٣ .
بنو يصلان : ٨٤ هـ ٦٠ .
بن يصلوس : ٢٧٠ .
عطوفت بن بلكين : ٢٠٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

- | | |
|---------------------------------------|-------------------------------------|
| ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
٣٧٦ | • يوسف بن القاسم (عم المعز) : ٢٨٤ |
| | • يوسف بن محارب الأزدي : ٢١٢ |
| • اليونان : أنظر الروم | • يوسف بن محمد بن أبي العرب : ٣٢١ |
| • يونس (ابن أبي يزيد) : ١٨٨ هـ ، ٧٧ | • يوسف بن أبي محمد : ٣١٦ ، ٣١٥ |

الأماكن والمواضع

- (١)
- أشهر : (٢٣) ، ٢٥٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،
٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ،
٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،
٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ،
٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٤٠٦ ، ٤١٣ ،
٤٥٢ ، ٤٩٧ .
- أصيلة : ٩٠ ، ٣١٤ ، ٣٤٤ .
- الأضحي (معركة) : ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ،
٥٠٠ .
- أغاثة : ٤٧٩ .
- أغاثي : ١٢٠ ، ١٥٦ ، ٢١٤ .
- أغمات : ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٨ .
- أغمات ايلان : ٥٠٩ .
- أغمات وريكة : ٥٠٩ .
- أغيني : ٥١٠ .
- أفريقية : ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ،
٨٢ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٨ ،
١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ،
١٦٣ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ ،
٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،
٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،
٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ .
- أبرجه : ١٥٧ .
- أبولونيا : ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ .
- أقنسا : ٤٩٠ .
- أجاجين (قبل حجر الترس) : ٢١٤ م ٥٤ ،
أجانة : ٦٧ ، ٨٢ .
- أجدابية : ٧٦ ، ٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ،
٣٠١ ، ٣٠٧ .
- أدونت : ١٥٧ ، ٤٧٩ .
- أدنة : ١٨٨ م ١٧ .
- أذرج : ٨٨ .
- أربا (مدينة) : ٨٣ .
- الأريس : ١٠٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ م ٤٢ ،
١٨٤ ، ٢٠٧ ، ٤٦١ ، ٤٩٦ .
- أرتنني : ٤٥ ، ٤٦ .
- أرثسقول : ٣٥ ، ١١١ م ١١٧ ، ١١٤ ،
١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٤١٤ ، ٤٩٨ .
- أسكلافينه : ٢٦١ .
- أسكندرية : ٧٨ ، ٨١ ، ٨٤ م ٦٠ ، ٩٢ ،
١٠٢ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٦٦ ، ٢٢٩ ،
٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٨٤ ، ٢٢٢ ، ٣٨٥ ،
٤٥٩ ، ٤٦٠ م ٤٢ .
- آسيا : ٤٧٩ م ٥ .
- أشميلية : ٢٥٥ .

- بسكرة : ١٨٧ ، ٤٤٨ .
- بشرى (الفتى) : ١٧٦ ، ٦٧٧ .
- البصرة (بالقرب) : ٩٠ هـ ٧٢ ، ٢١٤ .
- ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٥١٠ .
- البصرة (العراق) : ٥١٥ .
- بغداد (والبغداديون) : ٥٧ ، ٥٨ هـ ٣ .
- ٧٦ ، ٨٠ هـ ٩٣ ، ٩٧ ، ١٢٤ هـ .
- ١٤٠ ، ١٣٢ ، ١٤١ هـ ١٨٠ ، ١٢٨ .
- ١٤٩ ، ١٧٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٨ .
- ٢٢٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٤١٧ ، ٤٧١ .
- بلاط حميد : ٢١٤ هـ ٥٤ .
- بلرم : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .
- ١٥٧ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
- ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
- ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٤٤١ ، ٤٥٩ .
- ٤٦٨ هـ ٦٢ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ .
- بيتاتو : ٤٧٩ .
- بلزمة : ٣٠٢ ، ٤٠٨ .
- البلزى (الجابى) : ١٥٨ .
- البلوك (قلقة) : ٢٥٧ .
- البليسة : ٣٠ .
- بتدون : ١٢٢ .
- بتفنت : ٢٦٩ .
- بور جرج : ٢٢٦ .
- بونة (عنابة حاليا) : ١٨٦ ، ٢٩٠ .
- البيت الحرام : ١٢٦ .
- بيرقشتيل : ٤٥١ هـ ١٤ .
- بيزا : ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ هـ ٦٢ ، ٤٦٩ .
- ٤٧٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ هـ ١ ، ٤٨٥ .

- باب ابي الربيع (بانقروان) : ٣١٦ .
- باب سالم (بالقيروان) : ١٥٠ .
- باب عجيسة (جيسة) : ٥٠٤ .
- باب الفتح (بالهدية) : ١٨١ .
- باب القصر (بالتصورية) : ٣١٧ .
- باب قلشانة (بالقيروان) : ٣١٧ .
- باب كياب : ٣٥٨ .
- باجة : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٧٧ ، ١٨٣ .
- ٦٣ ، ١٨٤ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ .
- بازي : ٢٦٦ ، ٤٧٩ هـ ٤ ، ٤٨٥ .
- باغاية : ١٠٦ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، ١٩٠ .
- ١٩١ ، ٢٥٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢٧ .
- ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٢ ، ٤٠٧ .
- اليراندانو : ٤٧٩ هـ ٤ .
- بجاعة (من الأندلس) : ٨٦ ، ١١١ هـ ١١٧ .
- ١٨٦ .
- بجاية : ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٢٦ ، ٣٣٦ .
- ٣٧٨ ، ٤١٣ ، ٤٣٩ .
- البحر المحيط : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
- برحمانة : ١٩٠ .
- برفجاعة (حصن) : ٣٨٣ .
- بروقة : ٥٠ ، ٥٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .
- ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ١١٨ ، ١٣٢ .
- ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ٢٣٠ .
- ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
- ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢١٨ .
- ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
- ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٤٢٣ .
- ٤٢٤ ، ٤٢٥ .
- بركة النم : ٣٨٣ هـ ١٠ .

- الترافيق :
- ترجا (وادي) : ٥١٥
- نرموله : ١٢٠ ، ١٥٩
- رميني : ٢٦٩
- تسول : ٨٧ ، ١١٥ ، ١٦٦
- تطوان : ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٧
- ٢٣٤
- تغازي : ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦
- تقويس : ٣١ ، ١٠٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٤٣٩
- التل الغربية : ٢٩٥
- تلمسان : ٤٦ ، ٥٠ ، ٨٢ ، ١١٤ ، ١٦٩
- ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
- ٢٦٣ من ١٠٤ ، ٣٦٤ ، ٤١٤ ، ٤٢٨
- ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢
- ٥١١ ، ٥١٨
- تلمسان الجديدة : ٢٤١
- تنس : ٦٤ ، ٦٥ ، ١١٠ من ١١٤ ، ١٨٦
- ١٩٣ من ١٠٤ ، ٤١٤ ، ٥٠٢
- تونس : ٩٤ ، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٧٤ ، ١٧٦
- ١٧٧ من ١٨٣ ، ٦٣ ، ١٨٤ ، ٣٩٨
- ٤٥١ ، ٤٤٩ ، ٤٣٦ ، ٤٣٤ ، ٣٩٩
- ٤٥٣ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦
- ٤٦٧ ، ٤٧٥ ، ٤٨٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦
- تيجسي (تيجساس) : ١٠٦ ، ١٨٤ ، ٢١٥
- ٢٣٤ ، ٢٢٤ ، ٣٥٢
- تيفريل : ٤٦
- توفانو (الامبراطورة) : ٤٨١
- (ج)
- جالولا : ٢١٩

- ٤٩٧ ، ٤٩٥
- البيضاء (الهدية) : ٩٢
- (د)
- تادلا : ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٥٠٢
- ٥١١
- تادمكة : ٥١٣
- تارودانت : ٥١٥
- تازروت : ١٢١
- تازة : ٨٧ ، ١٠٣
- تافشمت : ١٠٨ من ١١٢
- تامدلت : ٥١٠
- تامورث : ٥١٠
- تامسنا : ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
- ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤
- ٢٤٥ ، ٥١١
- تاهرت : ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦
- ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤
- ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩
- ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣١
- ١٧١ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٩
- ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧
- ٢٢٥ من ١٧١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨
- ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٤
- ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨
- ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧
- ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢
- ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤١٣ ، ٤٩٧
- ٤٩٨ ، ٥١١ ، ٥١٥
- تيسه : ١٧٥
- ترافيا :

٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٧ ، ١٥٢ ، ١٥٠
٤٩٥ ، ٤٩٤ ، ٤٩١ ، ٢٦٥ ، ٢٦١

جرجانتو : ١٥٤ ، ١٥٩

الجريد (بلاد - وقسطيلية) : ٣٠ ، ٥٩
١٨٧ ، ١٧٠ ، ١٠٩ ، ١٠٥ ، ٦
٤٢٩ ، ٢٩٦ ، ٢٨٨ ، ٣٤٠ ، ١٩٠
٤٤٥ ، ٥١٥

الجزائر (جزائر بني مزغنة) : ٢٩١ ، ٢٩٠
٤٩٧ ، ٤٥٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٢

الجزيرة (جزيرة باشو) : ١٨٤

الجزيرة الخضراء : ٥٠٦ ، ٥٠٨

الجنة (حوض قرب القيروان) : ٢٩٧

جلانيانا : ١٥٠

جلوا : ٤٧٨

جليقية : ٣٦٠ ، ٣٦١

جعة (جزيرة) : ٦٤

جنوة : ٤٠ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ٢٥٦ ، ٤٦٤
٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦
٤٩٥ ، ٤٩٧

جيجل : ٤١٣

الجيزة : ٢٥٣

(ج)

الحجاز : ٤١٧ ، ١ ، ٤١٩

الحجر الأسود : ٢٠٨ ، ٢٤٩ (كانفور)

حجر النسر : ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٤
٢٣ ، ١١٥ ، ٢١٣ ، ٥٤ ، ٢١٤
٢٤٦

الحرم الكبي : ١٠٠ ، ٩٥

حصن ملواس : ١٩٠ ، ١٩١

جامع عقبة (القيروان) : ٢٥٣ ، ٢٨٩
٣٩٠

جامع القسطنط : ٤٠٠

جامع القرويين : ٢٣٣

جاينته : ١٥٤

جبال درن : ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١

جبال عقار : ١٨٨ ، ٧٧

جبل اوراس : ٣٢ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ١٠١ ،
١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٢
١٨٣ ، ٦١ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٣١
٢٢٢ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٣٠٥ ، ٢٣٨
٣٤٠ ، ٣٦٥

جبل يرزال : ١٨٧

جبل تيطرى : ٢٩٤

جبل الحديد : ٥١٥

جبل ابي الحسين : ٨٩

جبل الخناش : ٣٥٣

جبل شنوق : ١٦٧

جبل كتامة : ٤١٣

جبل غزوان (قرب الطائف) : ٤١٧ ، ١

جبل مجاسة : ٢١١

جبل المقطم : ٢٨٠

جبل ميسون : ٤١٣

جبل ونشريس : ١٣٠ ، ٣٦٣

جرايينا : ٤٧٩ ، ٤

جربة : ٢٩٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤١٤ ، ٤٧٥ ،
٤٧٧ ، ٤٦٢ ، ٤٦٢ ، ٤٧٤

جرجنت : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩

(د)

الرباط (رباط الفتح) : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٢١٠ ، ٢٢٦ .

رباط سوسة : ٩٤ ، ١١٧ .

رباط المنستير : ٩٤ .

رسالة : ٤٨١ .

رشيد (مدينة) : ٢٥٣ .

الرصافة (شرق بغداد) : ٣٨٥ .

رقادة : ١٨ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ،

٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ،

٨٠ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ،

١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،

١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٨٤ ،

٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ، ٣٣٠ ، ٣٥٤ ،

٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٤٠٦ ، ٤٣٥ .

رمتسه (حصن) : ٣٦٨ .

رمطة : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٤٩٠ .

الرملة : ١٣١ .

ريفة : ٤٤٨ .

الريف (بلاد) : ٨٢ ، ٩٠ ، ٧٢ .

ريو : ١٥٥ ، ١٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،

٢٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ ، ٤٨٨ .

الزباب (بلاد) : ٣٣ ، ٥٩ ، ٦ ، ٧٠ ،

٨٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،

١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،

١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،

٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٣٠٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ،

٣٤٠ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،

٣٦٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

حصن القصورة : ١١٢ .

الحضنة : ٢٩١ .

حظين : ٣٩٢ .

حلب : ٢٣٦ ، ٤٢٠ .

الحنية (اقليم) : ٧٩ .

حيدرآباد (معركة) : ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ،

٤٣٢ ، ٤٤١ .

(ح)

الحالصة : ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(د)

دار (الدعوة) الاسماعيلية (بالتهرون) :
٣٩٠ .

دار القائد جوهر : ٣١٤ ، ٣٣١ .

دجلة : ٣٨٥ .

درب الملل : ٣٨٣ ، ٣٨٦ .

الدرجيني : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٣٣ .

درعة (وادي) : ٤٦ ، ٢٣٥ ، ٤٦١ ، ٥١١ ،
٥١٥ ، ٥١٦ .

دكجة : ٤٠٨ .

دسر : ٤٤٥ .

دمش : ١٤٧ .

دير سانت كاترين : ٧ ، ١ .

دمشق : ٥٨ ، ٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٨٧ .

(ذ)

ذات الحمام : ١٠٢ ، ١٠٩ .

٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ .
سرت : ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
٣٠١ ، ٣٠٧ .
سردانيك : ٢٢٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
٣٢٧ .
سرقوسة : ٢٧٦ ، ٤٩١ .
سليف : ١٠٦ ، ١٩٤ ، ٣١٤ ، ٣٣٣ ، ٣٤٤ ، ٤٦٨ ، ٦٢ .
بنو سعيد (موضع قرب مرماجة) : ٤٥٣ .
سفالس : ٤٣٩ .
سلا : ٤٦ ، ٢٢٦ ، ٥٠٣ ، ٥١١ .
سلقطة : ٤٥٠ .
سنمية : ١٢٣ .
السفقال : ٤٦ .
السودان : ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٧ .
السوس (الأقصى) : ٩ ، ٣ ، ١١٤ ، ٢٣٣ ، ٢٨٩ ، ٤٧٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٦ .
سوسة : ٩٣ ، ٩٤ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ٦٣ ، ١٨٥ ، ٢٣٠ ، ٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٤٣٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ١٧ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٩١ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥ ، ٤١٤ .
سوق ابراهيم : ٤١٤ .
سوق حفزة (البويرة) : ١٠٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ .
سوق ماكسن : ٤١٤ .
سيكة : ١٧١ .

٤٤٨ ، ٤٩٩ .
زويلة (مدينة) : ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٢٥١ ، ٤٣٧ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٩٤ .
(س)
ساليرنو : ١٥٤ ، ١٥٨ ، ٢٦٩ ، ٤٦٨ ، ٦٢ .
سلامرا : ٩٣ ، ٤٧١ .
سسية : ١١٠ ، ١١٥ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٨ .
سيخة بنى معروف : ٩٠٦ .
سبيبة : ١٧٥ ، ١٩٤ ، ٤١٤ ، ٤٤١ ، ٤٥٤ ، ٤٦١ ، ٤٥٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦١ ، ٤٩٦ .
سيطة : ١٩٠ .
سجلهاسة : ١٠ ، ٤ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٢٧٧ ، ٤٦١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٥ .

الفيضان : ١٥٨ ، ١٠٧ ، ٢٤٧
غيس (نهر) : ٨٤ هـ ٦٠

(ف)

فاس : ٢٤ ، ٢٨ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٨٢ ، ٨٧ ،
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ هـ ١١٥ ، ١١١ ،
١١٥ ، ١١٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ،
٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ١٤٢ ، ٢٨٥ ، ١٤٦ ،
٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،
٣٦٦ ، ٣٩٨ ، ٧٩٦ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ،
٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ،
٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ،
٥١٨

فارس : ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٤٧١ هـ ٧٧
فحص غزالة (قرب باغاية) : ٢٩٩
فحص زيدور : ٤١٤
الفسطاط : ٢٤٩ ، ٢٥٣

فكان (افكان) : ٢٢٦ ، ٢٢٢
القيوم : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١

(ق)

قابس : ٧٨ ، ١٠٢ ، ٢٥٢ ، ٢٩٢ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٥٥ ، ٣٩٥ ،
٤٠٠ ، ٤٢٩ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ،
٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ،
٤٧٤ هـ ٧٨ ، ٧٧ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ هـ ٨٨

القمامرة : ٩٢ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ٢٢٠ ،
٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٨٤ ،
٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ،
٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ،
٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ،
٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١

٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٩٨ ، ٥٠٥

طرابنش : ٤٩١

طنجة : ١١١ هـ ١١٧ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ،
٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ،
٢٤٤ ، ٣٦٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ،
٥٠٨

(ع)

العندوة : ٨٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ،
٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ،
٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥١١

عدوة الاندلس : ١٠٤ هـ ١٠٢ ، ١٦٩ ،
٢١٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٩

عدوة القرويين : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٦٩ ،
٢١٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٩

عنق : ٤١٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨

العراق : ٨٨ ، ١٣٣ ، ٢٨٥ ، ٤١٧ هـ ٠٢ ،
٤٧١

عردلية : ٤٧٩

عصرة (قرب جرجنت) : ٢٥٨

عفار (قلعة) : ١٠٦ ، ١٨٨ هـ ٧٧

عقبة الصمتر : ٥٠٤

العيون (يوم) : ١٠٨ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠

(غ)

غانة : ٤٢ ، ٤٣

المغرب (٣٠٨) أنظر المغرب

مغرناطة : ٢٨٦ ، ٣٦١ ، ٤٠٦ ، ٥٠٧

مغارة : ٥١١

- مالقنة : ٨٤ ، ٨٦ ، ٢٥٥ ، ٣٩٩ ، ٥٠٧ .
٥٠٨
ماوڤنت (بنو) : ٧٠ .
متيجة : ٣١٦ ، ٣٣٦ ، ٣٧٦ .
المجاجة الكبرى : ٥١٥ .
مجانة : ١٧٥ ، ٤١٤ .
مجردة (وادي) : ١٧٧ .
المحارس : ١١٩ .
المحمدية أنظر المسيلة : ١٦٨ .
مدرسة الطرطوشي : ٣٨٥ .
المدينة : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٦٣ .
مراكش : ٤٨ ، ٤٦١ .
المرسى (بيلرم) : ١٥٢ .
مرسى الخزر : ٢٣٠ .
مرسى الدار : ٨٤ ، ٦٠ .
مرسى النجاج : ٤٠٨ .
المرصلى (صاحب الخراج) : ٣٣٥ ، ٣٧٦ .
مرماجنة : ٣٣ ، ١٧٥ ، ٣٥٢ ، ٤١٤ .
المرسية : ١١١ ، ١١٧ ، ١٨٦ ، ٢٢٩ .
٥٠٧ ، ٢٣٩ ، ٢٣٢ .
مستغانم : ٤١٣ .
مسيد اليس (قرب جرجنيت) : ٢٥٨ .
المسيلة : ١٠٦ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٨٧ .
١٨٨ ، ٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٣١ ، ٢٥٤ ،
٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٤٠ (المحمدية) ،
٣٥٢ ، ٣٦٦ ، ٤٠٨ ، ٤٥٤ ، ٢٦ .
٤٥٥

- كرفة : ٤١٩ .
كرف : ٨٤ ، ٦٠ .
كريت (افریطس) : ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ .
٢٤٢ ، ٢٧٨ .
كزنانية (قبائل) : ٨٤ ، ٦٠ .
كسنته : ٤٧٨ ، ٤٨٥ .
الكعبة : ٢٠٨ ، ٤٠٠ .
كلابريا : أنظر قلورية .
كهبانيا : ٤٦٨ ، ٦٢ .
كورسيكا : ٢٢٨ .
كورفو : ٤٨٩ .
كوتو : ١٧١ .
كيانة : ١٠٦ ، ١٨٨ ، ٧٧ ، ١٩٨ .

(ل)

- لطره (حصن) : ٣٦٨ .
لكاي (مدينة) : ٩٠ ، ١٦٦ .
لطة (مرسى) : ١٤٩ .
لومبارديا : ١٥٤ ، ١٥٧ ، ٢٥٧ .
اللبريا : ٤٨٩ .
ليون : ٣٦١ .

(م)

- ماتيرا : ٤٨٤ .
مستازر : ١٤٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٤٩١ .
٤٩٣ .
مسالطة : ٤٨١ ، ٦ .

المغرب : ٧ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٧ ،

- ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
- ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ،
- ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩١ ،
- ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٢ ،
- ١٠٤ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١١ ،
- ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣١ ، ١٣٦ ،
- ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
- ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٩١ ،
- ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
- ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،
- ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
- ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
- ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ،
- ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
- ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ،
- ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ،
- ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ (الغرب) ،
- ٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٧ ،
- ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
- (الغرب) ، ٣٤٦ ، (الغرب) ، ٣٤٧ ،
- (الغرب) ، ٣٤٩ ، (الغرب) ، ٣٥١ ،
- ٣٥٤ (الغرب) ، ٣٥٥ (الغرب) ، ٣٥٦ ،
- ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ (الغرب) ، ٣٦٧ ،
- ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ،
- ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ (الغرب) ، ٣٩٦ ،
- ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ،
- ٤٢٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ،
- ٤٤٤ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ،
- ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ،
- ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥١٠ ،
- ٥١١ ، ٥١٧ ،

المغرب الأوسط : ٦٤ ، ٨٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

- ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
- ١٣٦ ، ١٧٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
- ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ ، ٣٢٦ ،
- ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ،
- ٣٩٤ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٦٢ ، ٤٩٨ ،
- ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥١٨ ،

مستينا : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ،

- المشرق : ١١٨ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ،
- ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،
- ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ،
- ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ،

مصر : ٥٧ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،

- ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ،
- ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،
- ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
- ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ، ٢١١ ،
- ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ ،
- ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
- ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ،
- ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ،
- ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ،
- ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،
- ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ،
- ٣٤٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ،
- ٣٩٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤١٤ ، ٤١٨ ،
- ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٣٤ ، ٤٤٨ ،
- ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٨ ،
- ٤٨٧ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ،

الموصل (بركة) : ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٨٢ ،

- موصل (العيد بالنصورية) : ٤١٦ ،
- الموصل (بالقروان) : ٤٣٢ ، ٤٣٥ ،
- موصل الهدية : ٢٠٨ ،

مصمودة (مدينة) : ٥١٠ ،

- مضيق مستينا : ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ،
- ٤٨٨ ، ٤٩٠ ،

مطاحن مرزوق : ٢٥٨ ،

- المعزبة (طبرمين) : ٢٧١ ، ٢٤٨ ،

٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٣ - حد ١
٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٩٧ .

الهدية : ٥٩ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢
حد ٧٥ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

١٠٠ - حد ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥
١١٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ .

١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤
حد ١٤٠ ، ١٢٨ ، ١٥٠ ، ١٢٩ .

١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٥٠ ، ١٥٣ .

١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ .

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٩ .

١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

٢٠٠ - حد ١٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، حد ١ .

٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ .

٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٧ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ .

٣٧٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ .

٣٨٧ ، ٣٨٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

٤٤١ ، ٤٤٢ ، حد ١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٩ .

٤٥٠ ، ٤٥١ ، حد ١٤ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

حد ٢٠ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ .

٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

٤٦٨ ، حد ٦٢ ، ٤٦٩ ، حد ٧٠ ، ٤٧٤ .

٤٧٤ ، ٤٧٦ ، حد ٨٨ ، ٤٨٦ ، ٤٩٤ .

٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥٠٥ .

• مياسر : ٢٨٣

• ميائش : ٤٣٧

• ميلسة : ٧٠ ، ٣١٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

• ٤٥٨

• الميناء (مرسى الهدية) : ٦٦

المغرب الأقصى : ٩ - حد ٣ ، ١٠ - حد ٤ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ .

٨٨ ، ١١٠ ، ١٦٦ ، ٢١٠ ، ٢١٨ .

٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ .

٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ .

٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤ .

٣٦٦ ، ٤٦١ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

• ٥١٨ ، ٥١١

• مغيلة (مدينة) : ٥١٠

• الفايزة (الصحراوية) : ٥١٥

• مقتلة الكلاب : ٢٥٨

• مقرة : ٤٠٨

• مسكة : ١٣٦ ، ٤١٧ ، ٤١٩

• مكناسة (المدينة) : ٩١ ، ٥٠٠

• ملوية : ٨٤ - حد ٦٠ ، ١١٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ٢١١

• مليانة : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٦٧ ، ٤١٣

• مليلة : ١١ ، ٣٣١ ، ٥٠٨

• منائش (قرية) : ٩٧

• المنصورية : ٢٣ ، ٢٩ ، ١٩١ ، ١٩٤

١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

٢٠٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧

٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢

٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٠٢

٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٧

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣١

٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩

٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨

٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠

٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٤٠٦

- | | |
|--|---|
| <p>• هرك : ٨٤ م ٦٠</p> <p>• الهسد : ٤١٣</p> <p>(و)</p> <p>• وادى اعلان : ٣٥٣</p> <p>• وادى الشيطان : ١٤٧</p> <p>• وادى فاس : ٥٠٩</p> <p>• وادى القصارين (بالفروان) : ٣١٣</p> <p>• ٣٧٤</p> <p>• وادى الطماحن : ١٠٣</p> <p>• وادى وريكة : ٥٠٩</p> <p>• وار جلاڻ (وبنو) : ٥٨ ، ١٧٣ ، ٣٠٩</p> <p>• ٣٢٩</p> <p>• وجبة : ٤٩٨ ، ٥٠٢</p> <p>• وطاء : ١٦٨</p> <p>• وقعة الجياز : ٢٧٢ ، ٢٧٤</p> <p>• ورجلة : ٥١٥</p> <p>• ورزيفة : ٥١٠</p> <p>• وهران : ١١٠ م ١١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٧</p> <p>• ٢٩١ ، ٣٦٣ م ١٠٤</p> <p>(ي)</p> <p>• اليعن : ٤١٣ ، ٤٤٢ ، ٤٥٩</p> | <p>(ن)</p> <p>• نابول : ١٥٤ ، ١٥٨ ، ٢٦٩</p> <p>• ناسفت (موضع قرب نكور) : ٨٤ م ٦٠</p> <p>• نجد : ٤١٧</p> <p>• نفزة : ٨٤ م ٦٠</p> <p>• نفزاوة : ٧٩ ، ٨٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢١ ، ٣٥٥</p> <p>• ٣٥٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٤٥ م ٦</p> <p>• ٥٠٥</p> <p>• نعطية : ٣٠ ، ٣٨٨ ، ٤٠٤</p> <p>• نفيس (مدينة) : ٥١٠</p> <p>• نكور : ٨٤ م ٦٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ م ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٤</p> <p>• ١٦٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٤١٤</p> <p>• نكور (نهر) : ٨٤ م ٦٠ ، ٨٦</p> <p>• النوالات : ١٧٣</p> <p>• النسوية : ٤٣٠</p> <p>• نول لكمة : ٥١٦</p> <p>• نيكو تيرا : ٤٩٤</p> <p>• النيل : ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٤١٩ ، ٤٢٢</p> <p>(ه)</p> <p>• الهسب (بلاد) : ٣٤٣ ، ٣٤٥</p> <p>• هرقلية : ١٧٦ م ٤٦</p> |
|--|---|

رقم الايداع ٤٧٧٤ / ١٩٩٠
I.S.B. 1-977-03-0012-S

مطبعة اطلس
١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية
تليفون : ٧٤٧٧٩٧ - القاهرة

